RAĞIP P.
Ka. Nu.
81

مما أنعم الله على أحقر العباد على نهج الابتياع المعتاد
وأنا العبد الآمل عفو مولاه الجواد السيد محمد حسيب
المدعو بمحمود زاده القاضي بمدينة بغداد
دار السلام عفي عنه

RAĞIP P.
Ka. Nu.
81

الجلد الثاني
من تفسير القرطبي المسمى بالجامع
لأحكام القرآن

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
إلى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وكفى عبده ١١٧٥

٩٢

سورة المائدة ١	سورة الانعام ٨٢	سورة الاعراف ١٣٠
سورة الانفال ١٧٣	سورة التوبة ١٩٦	سورة يونس ٢٥٣
سورة هود ٢٧٠	سورة يوسف ٢٩٧	سورة الرعد ٣٣٤
سورة ابراهيم ٣٤٧	سورة الحجر ٣٥٨	سورة النحل ٣٧٢
سورة بني اسرائل ٤٠٣	سورة الكهف ٤٣٥	

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة المائدة وهي مدنية باجماع

وروي انها نزلت منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وذكر النقاش عن ابي سلمة انه
قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية قال يا علي اشعرت انه نزلت علي سورة المائدة
ونعمت الفائدة قال ابن العربي هذا حديث موضوع لا يحل لمسلم اعتقاده اما انا نقول المائدة ونعمت الفائدة
ولا ياثره عن احد ولكنه كلام حسن وقال ابن عطية وهذا عندي لا يشبه كلام النبي صلى الله عليه وسلم وروي
عنه عليه الصلاة والسلام انه قال سورة المائدة تدعى في ملكوت الله المنقذة تنقذ صاحبها من ايدي
ملائكة العذاب ومن هذه السورة ما نزل في حجة الوداع ومنها ما نزل عام الفتح وما نزل من القران
بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فهو مدني سوا نزل في المدينة او في سفر من الاسفار وانما يرسم بالمكي ما
نزل قبل الهجرة وقال ابو ميسرة المائدة من اخر ما نزل ليس فيها منسوخ وفيها ثمان عشرة فريضة ليست
في غيرها وهي المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع وما ذبح على النصب وان تستقسموا
بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم وتمام الطهور اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم الى قوله
عزيز ذو انتقام وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر
احدكم الموت الاية قلت وفريضة تاسعة عشر وهي قوله عز وجل واذا ناديتم الى الصلاة ليس للنداء
بالصلاة ذكر في القران الا في هذه السورة اما انه جاء في سورة الجمعة مخصوص بالجمعة وهو في هذه
السورة عام لجميع الصلوات وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا المائدة في حجة الوداع وقال
يا ايها الناس ان سورة المائدة من اخر ما نزل فاحلوا حلالها وحرموا حرامها ونحوه عن عايشة رضي الله
عنها موقوفا قال جبير بن نفير دخلت على عايشة رضي الله عنها فقالت هل تقرا سورة المائدة قلت نعم
فقالت فانها من اخر ما نزل فما وجدتم فيها من حلال فاحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه وقال

الشعبي لم ينسخ من هذه السورة غير قوله ولا الشهر الحرام ولا الهدي الاية وقال بعضهم نسخ منها اواخران من
غيركم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي
الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد فيه سبع مسائل الاولى قال علقمة كل ما في القران يا ايها الذين
امنوا فهو مدني ويا ايها الناس فهو مكي وهذا خرج على الاكثر وقد تقدم وهذه الاية مما يلوح فصاحتها
وكثرة معانيها على قلة الفاظها لكل ذي بصر بالكلام فانها تضمنت خمسة احكام الاول الامر بالوفا بالعقود
الثاني تحليل بهيمة الانعام الثالث استثناء ما يلي بعد ذلك الرابع استثناء حال الاحرام فيما يصاد
الخامس ما تقتضيه الاية من اباحة الصيد لمن ليس بمحرم وحكى النقاش ان اصحاب الكندي قالوا له ايها
الحكيم اعمل لنا مثل هذا القران فقال نعم اعمل مثل بعضه فاحتجب اياما كثيرة ثم خرج فقال والله ما اقدر
ولا يطيق هذا احد اني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة فاذا هو قد نطق بالوفا ونهى عن النكث
وحلل تحليلا عاما ثم استثنى استثناء بعد استثناء ثم اخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ولا يقدر احد
ياتي بهذا الا في اجلاد الثانية قوله تعالى اوفوا يقال وفى واوفى لغتان قال الله تعالى ومن اوفى
بعهده من الله وقال تعالى وابراهيم الذي وفى وقال الشاعر • اما ابن طوق فقد اوفى بذمته • كما وفى
بقلاص النجم حاديها • فجمع بين اللغتين بالعقود العقود الربوط واحدها عقد يقال عقدت العهد
والحبل وعقدت الغل فهو يستعمل في المعاني والاجسام قال الحطيئة • قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم • شدوا
العناج وشدوا فوقه الكربا • فامر سبحانه بالوفا بالعقود قال الحسن يعني بذلك عقود الدين وهو ما
عقده المرء على نفسه من بيع وشرا واجارة وكرا ومناكحة وطلاق ومزارعة ومصالحة وتمليك وتخيير
وعتق وتدبير وغير ذلك من الامور ما كان ذلك غير خارج في الشريعة وكذلك ما عقده لله على نفسه
من الطاعات كالحج والصيام والاعتكاف والقيام والنذر وما اشبه ذلك من طاعات ملة الاسلام
واما نذر المباح فلا يلزم باجماع من الامة قاله ابن العربي ثم قيل ان الاية نزلت في اهل الكتاب لقوله
تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه قال ابن جريج هو خاص
باهل الكتاب وفيهم نزلت وقيل هي عامة وهو الصحيح فان لفظ المومنين يعم مومني اهل الكتاب لان بينهم
وبين الله عقدا في اداء الامانة كما في كتابهم من امر محمد صلى الله عليه وسلم وهم امة محمد صلى الله عليه
وسلم فانهم مامورون بذلك في قوله اوفوا بالعقود وغير موضع قال ابن عباس اوفوا بالعقود معناه
بما احل وبما حرم وبما فرض وعاهد في جميع الاشيا وكذلك قال مجاهد وغيره وقال ابن شهاب
قرات كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعثه لعمرو بن حزم حين بعثه الى نجران وفي صدره
هذا بيان من الله ورسوله يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود وكتب الايات منها الى قوله ان الله
سريع الحساب وقال الزجاج المعنى اوفوا بعقد الله عليكم وبعقدكم بعضكم على بعض وهذا كله راجع
الى القول بالعموم وهو الصحيح في الباب قال صلى الله عليه وسلم المومنون عند شروطهم وقال كل شرط
ليس في كتاب الله فهو باطل وان كان مائة شرط فبين ان الشرط والعقد الذي يجب الوفا به ما وافق
كتاب الله اي دين الله فان ظهر فيها ما يخالفه رد كما قال صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا
فهو رد ذكر ابن اسحق قال اجتمعت قبايل من قريش في دار عبد الله بن جدعان لشرفه ونسبه فتعاقدوا
وتعاهدوا على ان لا يجدوا بمكة مظلوما من اهلها او غيرهم الا قاموا معه حتى يردوا عليه مظلمته
فسمت قريش ذلك العقد الحلف حلف الفضول وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب ان لي به حمر النعم ولو ادعى به في الاسلام لاجبت
وهذا الحلف هو المراد بقوله عليه السلام وايما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة لانه

موافق للشرع اذا امر بالانتصاف من الظالم فاما ما كان من عقودهم الفاسدة وتعاقدهم الباطلة على الظلم و
الغارات فقد هدمه الاسلام والحمد لله قال ابن اسحق تحامل الوليد بن عتبة على حسين بن علي في مال له
لسلطان الوليد فانه كان اميرا على المدينة فقال له حسين احلف بالله لتنصفني من حقي او لآخذن بسيفي
ثم لاقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون بحلف الفضول قال عبد الله بن الزبير
وانا احلف بالله لئن دعاني لآخذن بسيفي ثم لاقومن معه حتى ينتصف من حقه او نموت جميعا وبلغت
المسور بن مخرمة فقال مثل ذلك وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمي فقال مثل ذلك فلما
بلغ ذلك الوليد انصفه الثالثة قوله تعالى احلت لكم بهيمة الانعام الخطاب لكل من التزم الايمان
على وجهه وكماله وكانت للعرب سنن في الانعام من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فنزلت هذه
الاية رافعة لتلك الاوهام الخالية والاراء الفاسدة الباطلة واختلف في معنى بهيمة الانعام
والبهيمة اسم لكل ذي اربع سميت بذلك لابهامها من جهة نقص نطقها وفهمها وعدم تمييزها وعقلها
ومنه باب مبهم اي مغلق وليل بهيم وبهمة الشجاع الذي لا يدرى من اين يؤتى له والانعام الابل
والبقر والغنم سميت بذلك للين مشيها قال الله تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء الى قوله وتحمل اثقالكم
قال ومن الانعام يعني كبارا وصغارا ثم بينها فقال ثمانية ازواج الى قوله ام كنتم شهداء وقال ومن جلود
الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها يعني الغنم واوبارها يعني الابل واشعارها
يعني المعز فهذه ثلاثة ادلة تنبئ عن تضمن اسم الانعام لهذه الاجناس الابل والبقر والغنم وهو قول ابن
عباس والحسن قال الهروي واذا قيل النعم فهو الابل خاصة وقال الطبري وقال قوم بهيمة الانعام وحشيها
كالظبي وبقر الوحش والحمر وغير ذلك وذكره غير الطبري عن السدي والربيع وقتادة والضحاك
كانه قال احلت لكم الانعام فاضيف الجنس الى اخص منه قال ابن عطية وهذا قول حسن وذلك ان
الانعام هي الثمانية الازواج وما انضاف اليها من سائر الحيوان يقال له انعام بمجموعه معها وكان المفترس
كالاسد وكل ذي ناب خارج عن حد الانعام فهي الراعي من ذوات الاربع قلت فعلى هذا يدخل
فيها ذوات الحافر لانها راعية غير مفترسة وليس كذلك لان الله تعالى قال والانعام خلقها لكم
فيها دفء ومنافع ثم عطف عليها قوله والخيل والبغال والحمير فلما استانف ذكرها وعطفها على
الانعام دل على انها ليست منها والله اعلم وقيل بهيمة الانعام ما لم يكن صيدا لان الصيد يسمى وحشيا
لا بهيمة وهذا راجع الى القول الاول وروي عن عبد الله بن عمر انه قال بهيمة الانعام الاجنة التي
تخرج عند الذبح من بطون الامهات فهي تؤكل دون ذكاة وقال ابن عباس وقاله بعد لان الله تعالى
قال الا ما يتلى عليكم وليس في الاجنة ما يستثنى قال مالك وذكاة الذبيحة ذكاة لجنينها اذا لم
يدرك حيا وكان قد نبت شعره وتم خلقه فان لم يتم خلقه ولم ينبت شعره لم يؤكل الا ان
يدرك حيا فيذكى وان بادروا الى تذكيته فمات بنفسه فقيل هو ذكي وقيل ليس بذكي وسياتي لهذا
مزيد بيان ان شاء الله تعالى الرابعة قوله تعالى الا ما يتلى عليكم اي يقرا عليكم في القران والسنة
من قوله حرمت عليكم الميتة وقوله عليه الصلاة والسلام وكل ذي ناب من السباع حرام فان قيل
الذي يتلى علينا في الكتاب ليس السنة قلنا كل سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهي من كتاب الله
تعالى والدليل عليه امران احدهما حديث العسيف لاقضين بينكما بكتاب الله والرجم ليس منصوصا
في كتاب الله الثاني حديث ابن مسعود وما لي لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
في كتاب الله الحديث وسياتي في سورة الحشر ويحتمل الا ما يتلى الان او ما يتلى عليكم فيما بعد من
مستقبل الزمان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون فيه دليل على جواز تاخير البيان عن

وقت

وقت لا يفتقر فيه الى تعجيل الحاجة الخامسة قوله تعالى غير محلي الصيد اي ما كان صيدا فهو حلال في
الاحلال دون الاحرام وما لم يكن صيدا فهو حلال في الحالين واختلف النحاة في الا ما يتلى عليكم هل
هو استثناء ام لا فقال البصريون هو استثناء من بهيمة الانعام وغير محلي الصيد استثناء اخر
ايضا منه والاستثناآن جميعا من بهيمة الانعام وهي المستثنى منها التقدير الا ما يتلى عليكم الا الصيد و
انتم محرمون بخلاف قوله انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط على ما ياتي وقيل هو مستثنى مما يليه من
الاستثناء فيصير بمنزلة قوله عز وجل انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط ولو كان كذلك لوجب اباحة
الصيد في الاحرام لانه مستثنى من المحظور اذ لو كان قوله تعالى الا ما يتلى عليكم مستثنى من الاباحة وهذا
وجه ساقط فاذا معناه احلت لكم بهيمة الانعام غير محلي الصيد وانتم حرم الا ما يتلى عليكم سوى الصيد
ويجوز ان يكون معناه ايضا اوفوا بالعقود غير محلي الصيد واحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم
واختار الفراء ان يكون الا ما يتلى عليكم في موضع رفع على البدل على ان يعطف بالا كما يعطف بلا ولا يجيزه
البصريون الا في النكرة او ما قاربها من اسماء الاجناس نحو جاء القوم الا زيد والنصب عنده بان غير محلي
الصيد نصب على الحال مما في اوفوا قال الاخفش يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود غير محلي الصيد و
قال غيره حال من الكاف والميم في لكم والتقدير احلت لكم بهيمة الانعام غير محلي الصيد وقيل يجوز ان
يرجع الاحلال الى الناس اي لا تحلوا الصيد في حال الاحرام ويجوز ان يرجع الى الله تعالى اي احللت لكم الا
ما كان صيدا في وقت الاحرام كما تقول احللت لك كذا غير مبيح لك كذا يوم الجمعة فاذا قلت ترجع الى
الناس فالمعنى غير محلين الصيد فحذفت النون تخفيفا السادسة قوله تعالى وانتم حرم يعني الاحرام بالحج
او العمرة يقال رجل حرام وقوم حرم وحرام اذا احرموا بالحج قال الشاعر فقلت لها فيئي اليك فانني
حرام واني بعد ذاك لبيب اي ملب وسمي ذلك احراما لما يحرمه من دخل فيه على نفسه من النساء
والطيب وغيرهما ويقال احرم دخل في الحرم فيحرم صيد الحرم ايضا وقرا الحسن وابراهيم ويحيى بن
وثاب حرم بسكون الراء وهي لغة تميمية يقولون في رسل رسل وفي كتب كتب ونحوه السابعة
قوله تعالى ان الله يحكم ما يريد تقوية لهذه الاحكام الشرعية المخالفة لمعهود احكام العرب اي فانت
يا محمد السامع لنسخ تلك التي عهدت من احكامهم تنبه فان الذي هو مالك الكل يحكم ما يريد لا معقب
لحكمه ويشرع ما يشاء كما يشاء قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام
ولا الهدي ولا القلائد ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم
فاصطادوا ولا يجرمنكم شنئان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر
والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله خطاب للمؤمنين حقا اي لا تتعدوا حدود الله في امر من
الامور والشعائر جمع شعيرة على وزن فعيلة وقال ابن فارس ويقال للواحدة شعارة وهو
احسن والشعيرة ايضا البدنة تهدى واشعارها ان يحز سنامها حتى يسيل منه الدم فيعلم انها هدي
والاشعار الاعلام من طريق الاحساس يقال اشعر هديه اي جعل له علامة ليعرف انه هدي ومنه
المشاعر المعالم واحدها مشعر وهي المواضع التي اشعرت بالعلامة ومنه الشعر لانه يكون بحيث يقع الشعور
ومنه الشاعر لانه يشعر بفطنته لما لا يفطن له غيره ومنه الشعير لشعيرته التي في راسه فالشعائر
على قول ما اشعر من الحيوانات لتهدى الى بيت الله وعلى جميع مناسك الحج قاله ابن عباس وقال
مجاهد الصفا والمروة والهدي كل ذلك من الشعائر قال الشاعر نقتلهم جيلا فجيلا تراهم
شعائر قربان بهم يتقرب وكان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فقال الله

تعالى لا تحلوا شعائر الله وقال عطا بن ابي رباح شعاير الله جميع ما امر به ونهى عنه وقال الحسن دين
الله كله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب اي دين الله قلت وهذا
هو القول الراجح الذي يقدم على غيره لعمومه وقد اختلف العلماء في اشعار الهدي وهي الثانية فاجازه
جماعة ثم اختلفوا في اي جهة تشعر فقال الشافعي واحمد وابو ثور يكون في الجانب الايمن وروي عن
ابن عمر وثبت عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم اشعر ناقته في صفحة سنامها الايمن اخرجه مسلم
وغيره وهو الصحيح وروي انه اشعر بدنه من الجانب الايسر قال ابو عمر بن عبد البر هذا عندي حديث
منكر من حديث ابن عباس والصحيح من حديث مسلم عن ابن عباس قال ولا يصح عنه غيره وصفحة السنام
جانبه والسنام اعلى الظهر وقالت طائفة يكون في الجانب الايسر وهو قول مالك وقال لا باس
به في الجانب الايمن وقال مجاهد من اي الجانبين شاء وبه قال احمد في احد قوليه ومنع من هذا
كله ابو حنيفة وقال انه تعذيب للحيوان والحديث يرد عليه وايضا فذلك يجري مجرى الوسم
الذي يعرف به الملك كما تقدم وقد اوغل ابن العربي على ابي حنيفة في الرد والانكار حين لم ير الاشعار
فقال كانه لم يسمع بهذه الشعيرة في الشريعة لهي اشهر منه في العلماء قلت والذي رايته منصوصا
في علماء الحنفية الاشعار مكروه من قول ابي حنيفة وعند ابي يوسف ومحمد ليس بمكروه ولا سنة
بل هو مباح لان الاشعار لما كان مباحا كان سنة بمنزلة التقليد ومن حيث انه جرح ومثلة
فكان حراما ولابي حنيفة ان الاشعار مثلة وانه حرام ومن حيث انه تعذيب للحيوان فكان مكروها
وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول الابتدا حين كانت العرب تنتهب كل مال الا ما
جعل هديا وكانوا لا يعرفون الهدي الا بالاشعار ثم زال بزوال العذر هذا ما روي عن ابن عباس
وحكي عن الشيخ الامام منصور الماتريدي رحمه الله انه قال يحتمل ان ابا حنيفة كره اشعار اهل
زمانه وهو المبالغة في البضع على وجه يخاف منه السراية اما ما لم يجاوز الحد فعل كما فعل في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حسن وهكذا ذكر ابو جعفر الطحاوي فهذا اعتذار علماء الحنفية
لابي حنيفة عن الحديث الذي ورد في الاشعار فقد سمعوه ووصل اليهم قالوا وعلى القول بانه
مكروه ولا يصير به احد محرما لان مباشرة المكروه لا تعد من المناسك الثالثة قوله تعالى ولا
الشهر الحرام مفرد يدل على الجنس في جميع الاشهر الحرم وهي اربعة واحد فرد وثلاثة سرد يأتي تبيانها
في براءة والمعنى لا تستحلوها للقتال ولا للغارة ولا تبدلوها فان استبدالها استحلال وذلك
ما كانوا يفعلونه من النسيء وكذلك قوله ولا الهدي ولا القلائد لا تستحلوه وهي على حذف مضاف
اي ولا ذوات القلائد جمع قلادة فنهى سبحانه عن استحلال الهدي ثم ذكر المقلد منه تاكيدا ومبالغة
في التنبيه على الحرمة في التقليد الرابعة قوله تعالى ولا الهدي ولا القلائد الهدي ما اهدي
لبيت الله من ناقة او بقرة او شاة الواحدة هدية وهدية فمن قال اراد بالشعائر المناسك قال
ذكر الهدي تنبيها على تخصيصها ومن قال الشعاير الهدي قال ان الشعاير ما كان مشعرا اي معلما
باسالة الدم من سنامه والهدي ما لم يشعر اكتفي فيه بالتقليد وقيل الفرق ان الشعاير هي البدن
من الانعام والهدي البقر والغنم وكل ما يهدى وقال الجمهور الهدي عام في جميع ما يتقرب به من الذبايح
والصدقات ومنه قوله عليه الصلاة والسلام المبكر الى الجمعة كالمهدي بدنة الى ان قال
كالمهدي بيضة فسماها هديا وتسمية البيضة هديا لا محمل له الا انه اراد به الصدقة ولذلك
قال العلماء اذا قال جعلت ثوبي هديا فعليه ان يتصدق به الا ان الاطلاق انما ينصرف الى احد
الاصناف الثلاثة الابل والبقر والغنم وسوقها الى الحرم وذبحها فيه وهذا انما يلقى من عرف

الشرع

الشرع من قوله فان احصرتم فما استيسر من الهدي واقله شاة عند الفقهاء وقال مالك اذا قال ثوبي هدي يجعل
ثمنه في الهدي والقلائد ما كان الناس يتقلدونه امنة لهم فهو على حذف مضاف اي ولا اصحاب القلايد ثم
نسخ قال ابن عباس آيتان نسختا من المائدة آية القلايد وقوله فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض
عنهم فاما القلايد فنسخها الامر بقتل المشركين حيث كانوا وفي اي شهر كانوا واما الاخرى فنسخها وان
احكم بينهم بما انزل الله على ما ياتي وقيل اراد بالقلايد نفس القلايد فهو نهي عن اخذ لحا الشجر حتى يتقلد به
طلبا للامن قاله مجاهد وعطا ومطرف بن الشخير والله اعلم وحقيقة الهدي كل معطى لم يذكر معه
عوض واتفق العلماء على ان من قال لله علي هدي انه يبعث بثمنه الى مكة واما القلايد فهو كل
ما علق على اسنمة الهدايا واعناقها علامة انه لله سبحانه وتعالى من نعل وغيره وهي سنة ابراهيمية
بقيت في الجاهلية واقرها الاسلام وهي سنة البقر والغنم قالت عايشة اهدى رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرة الى البيت غنما فقلدها اخرجه البخاري ومسلم والى هذا صار جماعة من العلماء الشافعي
واحمد واسحق وابو ثور وانكره مالك واصحاب الراي وكانهم لم يبلغهم هذا الحديث في تقليد الغنم او
بلغ اليهم لكنهم ردوه لانفراد الاسود به عن عايشة رضي الله عنها فالقول به اولى والله اعلم واما البقر
فان كانت لها اسنمة اشعرت كالبدن قاله ابو عمرو به قال مالك وقال الشافعي تقلد وتشعر
مطلقا ولم يفرقوا وقال سعيد بن جبير تقلد ولا تشعر وهذا اصح اذ ليس لها سنام وهي اشبه بالغنم منه
الابل والله اعلم الخامسة واختلفوا فيمن قلد بدنه على نية الاحرام وساقها انه يصير محرما قال الله
تعالى لا تحلوا شعائر الله الى ان قال فاصطادوا ولم يذكر الاحرام لكن لما ذكر التقليد عرف انه بمنزلة
الاحرام السادسة فان بعث الهدي ولم يسق بنفسه لم يكن محرما لحديث عايشة قالت انا فتلت
قلايد هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ثم قلدها بيديه ثم بعثها مع ابي فلم يحرم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء احله الله له حتى نحر الهدي اخرجه البخاري وهذا مذهب مالك
والشافعي واحمد واسحق وجمهور العلماء وروي عن ابن عباس انه يصير محرما قال ابن عباس من
اهدى هديا حرم عليه ما يحرم على الحاج حتى ينحر الهدي رواه البخاري وهذا مذهب ابن عمر
وعطا ومجاهد وسعيد بن جبير وحكاه الخطابي عن اصحاب الراي واحتجوا بحديث جابر قال كنت
جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني امرت ببدني التي بعثت بها ان تقلد وتشعر على
مكان كذا وكذا فلبست قميصي ومثلت فكم اكن لاخرج قميصي من راسي وكان بعث ببدنه واقام
في المدينة في اسناده عبد الرحمن بن عطا بن ابي لبيبة وهو ضعيف فان قلد شاة وتوجه معها
فقال الكوفيون لا يصير محرما لان تقليد الشاة ليس بمسنون ولا من الشعاير لانه يخاف عليها الذيب
فلا يصل الى الحرم بخلاف البدن فانها تترك حتى ترد الماء وترعى الشجر وتصل الى الحرم وفي صحيح البخاري
عن عايشة ام المؤمنين قالت فتلت قلايدها من عهن كان عندي العهن الصوف المصبوغ ومنه
قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش السابعة ولا يجوز بيع الهدي ولا هبته اذا قلد واشعر
لانه قد وجب وان مات موجبه لم يورث عنه ونفذ لوجهه بخلاف الاضحية فانها لا تجب
الا بالذبح خاصة عند مالك الا ان يوجبها بالقول فان اوجبها بالقول قبل الذبح فقال جعلت
هذه الشاة اضحية تعينت وعليه ان تلفت ثم وجدها قبل ايام الذبح او بعدها ذبحها ولم
يجز له بيعها واذا كان اشترى اضحية غيرها ذبحهما جميعا في قول احمد واسحق وقال الشافعي
لا بدل عليه اذا ضلت او سرقت انما الابدال في الواجب وروي عن ابن عباس انه قال اذا ضلت
فقد اجزت ومن مات يوم النحر قبل ان يضحي كانت اضحيته موروثة عنه كساير امواله بخلاف

المدي وقال احمد وابو ثور يذبح بكل حال وقال الاوزاعي يذبح الا ان يكون عليه دين لا وفاء الا من
تلك الاضحية فتباع في دينه ولو مات بعد ذبحها لم يرثها عنه ورثته وصنعوا بها من الاكل
والصدقة ما كان له ان يصنع بها ولا يقتسمون لحمها على سبيل الميراث وما اصاب الضحية قبل
الذبح من العيوب كان على صاحبها بدلها بخلاف المدي هذا تحصيل مذهب مالك وقد قيل في
المدي على صاحبه البدل والاول اصوب والله اعلم الثامنة قوله تعالى ولا امين البيت الحرام
يعني القاصدين له من قولهم اممت كذا اي قصدته وقرا الاعمش امي البيت الحرام بالاضافة كقوله
غير محلي الصيد والمعنى لا تمنعوا الكفار والقاصدين البيت الحرام على جهة التعبد والقربة وعليه
فقيل ما في هذه الايات من نهي عن مشرك او مراعاة حرمة له بقلادة او ام البيت فهو كله منسوخ
باية السيف في قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
هذا فلا يمكن المشرك من الحج ولا يؤمن في الاشهر الحرم وان اهدى وقلد وحج وروي عن ابن عباس
وقاله ابن زيد على ما ياتي ذكره وقال قوم الاية محكمة لم تنسخ وهي في المسلمين وقد نهى الله عن
اخافة من يقصد بيته من المسلمين والنهي عام في الاشهر الحرم وغيرها ولكنه خص الشهر الحرام بالذكر
تعظيما وتفضيلا وهذا يمشي على قول عطا فان المعنى لا تحلوا معالم الله وهي امره ونهيه وما اعلمه
الناس فلا تحلوه وكذلك قال ميسرة هي محكمة وقال مجاهد لم ينسخ منها الا القلائد كان الرجل يتقلد
بشيء من لحاء الحرم فلا يقرب فنسخ ذلك وقال ابن جريج هذه الاية نهي عن الحجاج ان تقطع سبلهم
وقال ابن زيد نزلت الاية عام الفتح ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة جاء ناس من المشركين يحجون
ويعتمرون فقال المسلمون يا رسول الله انما هؤلاء مشركون فلم ندعهم الا ان نغير عليهم فنزل القران
ولا امين البيت الحرام وقيل كان هذا لامر شريح بن ضبيعة الكندي ويلقب بالحطم اخذته جند
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في عمرته فنزلت هذه الاية ثم نسخ هذا الحكم كما ذكرناه وادرك
الحطم هذا ردة اليمامة فقتل مرتدا وقد روي من خبره انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
بالمدينة وخلف خيله خارج المدينة فقال الى ما تدعو الناس قال الى شهادة ان لا اله الا الله
واني رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لي امرا لا اقطع امرا دونهم ولعلي
اسلم واتي بهم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل يتكلم بلسان شيطان
ثم خرج من عنده فقال عليه الصلوة والسلام لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما
الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه فطلبوه فعجزوا عنه فانطلق وهو يقول قد لفها الليل
بسواق حطم ليس براعي ابل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم باتوا نياما وابن هند لم ينم بات
يقاسيها غلام كالزلم خدلج الساقين حقاق القدم فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم عام
القضية سمع تلبية حجاج اليمامة فقال هذا الحطم واصحابه وكان قد قلد ما نهب من سرح
المدينة واهداها الى الكعبة فتوجهوا الى طلبه فنزلت الاية اي لا تحلوا ما اشعر لله وان
كانوا مشركين التاسعة وعلى ان الاية محكمة قوله لا تحلوا شعاير الله يوجب اتمام امور المناسك
ولهذا قال العلماء ان الرجل اذا دخل في الحج ثم افسده فعليه ان ياتي بجميع افعال الحج ولا يجوز
ان يترك شيئا منها وان فسد حجه ثم عليه القضا من السنة الاتية قال ابو الليث السمرقندي
وقوله ولا الشهر الحرام منسوخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة وقوله ولا الهدي ولا القلائد
محكم لم ينسخ اذ كل من قلد الهدي ونوى الاحرام صار محرما لا يجوز له ان يحل بدليل هذه الاية
فهذه الاحكام معطوف بعضها على بعض بعضها منسوخ وبعضها غير منسوخ العاشرة قوله تعا

يبتغون

يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا قال فيه جمهور المفسرين معناه يبتغون الفضل والارباح في التجارة
ويبتغون مع ذلك رضوانا في ظنهم وطمعهم وقيل كان منهم من يبتغي التجارة ومنهم من يبتغي بالحج رضى الله
وان كان لا يناله وكان من العرب من يعتقد حشرا بعد الموت وانه يبعث فلا يبعد ان يحصل له نوع
تخفيف في النار قال ابن عطية هذه الاية استيلاف من الله تعالى للعرب والطف بهم لتنبسط النفوس
ويتداخل الناس ويردون الموسم ويستمعون القران ويدخل الايمان في قلوبهم وتقوم عندهم الحجة كالذي كان
وهذه الاية نزلت عام الفتح ونسخ الله ذلك كله بعد عام سنة تسع اذ حج ابو بكر ونودي في الناس بسورة
براءة الحادية عشر قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا امر اباحة باجماع الناس رفع ما كان محظورا بالاحرام
حكاه جماعة من العلماء وليس بصحيح بل صيغة افعل الواردة بعد الحظر على اصلها من الوجوب وهو مذهب
القاضي ابو الطيب وغيره لان المقتضي للوجوب قايم وتقديم الحظر لا يصلح ان يكون مانعا دليله قوله
تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين فهذه افعل على الوجوب لان المراد بها الجهاد وانما
فهمت الاباحة هناك وما كان مثله من قوله فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض فاذا تطهرن
فاتوهن من نظر الى المعنى والاجماع لا من صيغة الامر والله اعلم الثانية عشر قوله ولا يجرمنكم شنان قوم ان
صدوكم اي لا يحملنكم عن ابن عباس وقتادة وهو قول الكسائي وابي العباس وهو يتعدى الى مفعولين
يقال جرمني كذا على بغضك اي حملني عليه قال الشاعر ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت
فزارة بعدها ان يغضبوا وقال الاخفش اي ولا يحقنكم وقال ابو عبيدة والفرا معنى لا يجرمنكم اي
يكسبنكم بغض قوم ان تعدوا الحق الى الباطل والعدل الى الظلم قال عليه الصلاة والسلام اداء
الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وقد مضى هذا القول ونظير هذه الاية فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقد تقدم مستوفى ويقال فلان جريمة اهله اي كاسبهم
فالجريمة والجارم بمعنى الكاسب واجرم فلان اي اكتسب الاثم ومنه قول الشاعر جريمة ناهض في
راس نيق ترى لعظام ما جمعت صليبا معناه كاسب قوت والصليب الودك وهذا هو الاصل في
بنا جارم وقال ابن فارس يقال جرم واجرم ولا جرم بمنزلة قولك لا بد ولا محالة واصلها من جرم
اي اكتسب قال جرمة فزارة بعضها ان يغضبوا وقال اخر يا ايها المشتكي عكلا وما جرمت الى
القبايل من قبايل واياس ويقال جرم يجرم جرما اذا قطع قال الرماني علي بن عيسى وهو الاصل فمعنى
جرم حمل الشيء لقطعه من غيره وجرم بمعنى كسب لانقطاعه وجرم بمعنى حق لان الحق يقطع عليه وقال
الخليل لا جرم ان لهم النار وقال الكسائي جرم واجرم لغتان بمعنى واحد اي اكتسب وقرا ابن
مسعود لا يجرمنكم بضم الياء والمعنى ايضا لا يكسبنكم ولا تعرف البصريون الضم وانما يقولون جرم لا غير
والشنان البغض وقرئ بفتح النون واسكانها يقال شنيت الرجل اشنوه شنا وشناة وشنانا
وشنانا بجزم النون كل ذلك اذا ابغضته اي لا يكسبنكم بغض قوم بصدهم اياكم والمراد بغضكم قوما
فاضاف المصدر الى المفعول قال ابن زيد لما صد المسلمون عن البيت عام الحديبية مر بهم ناس من
المشركين يريدون العمرة فقال المسلمون نصدهم كما صدنا اصحابهم وقرئ ان صدوكم بفتح الهمزة وهو
اختيار ابي عبيد وروي عن الاعمش ان يصدوكم قال ابن عطية فان للجزاء اي ان وقع مثل هذا
الفعل في المستقبل والقراءة الاولى امكن في المعنى وقال النحاس واما ان صدوكم بكسر ان فالعلما
الجلة بالنحو والحديث والنظر يمنعون القراءة بها لاشياء منها ان الاية نزلت عام الفتح سنة
ثمان وكان المشركون صدوا المسلمين عام الحديبية سنة ست فالصد كان قبل الاية واذا قرئ بالكسر
لم يجز ان يكون الا بعده كما تقول لا تعط فلانا شيئا ان قاتلك فهذا لا يكون الا للمستقبل وان

11

فحيث كان للماضي فوجب على هذا ان لا يجوز الآن صدوكم ايضا فلو لم يصح هذا لكان الفتح واجبا لان
قوله لا تحلوا شعائر الله الى اخر الاية يدل على ان مكة كانت في ايديهم فانهم لا ينهون عن هذا الا
وهم قادرون على الصد عن البيت الحرام فوجب من هذا فتح ان لانه للماضي ان تعتدوا في موضع نصب
لانه مفعول اي لا يجرمنكم شنآن قوم الاعتداء وانكر ابو حاتم وابو عبيد شنآن باسكان النون لان
المصادر انما ياتي مثل هذا متحركة وخالفهما غيرهما وقال ليس هذا مصدرا ولكنه اسم الفاعل على وزن
كسلان وغضبان **الثالثة عشر** قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
قال الاخفش هو مقطوع عن اول الكلام وهو امر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى اي ليعن
بعضكم بعضا وتحابوا على ما امر الله تعالى به واعملوا به وانتهوا عما نهى الله عنه وامتنعوا منه وهذا
موافق لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدال على الخير كفاعله وقد قيل الدال على الشر
كصانعه على البر والتقوى لفظان بمعنى واحد وكرر باختلاف اللفظ تاكيدا ومبالغة اذ كل بر
تقوى وكل تقوى بر قال ابن عطية وفي هذا تسامح ما والعرف في دلالة هذين اللفظين ان البر
يتناول الواجب والمندوب اليه والتقوى رعاية الواجب فان جعل احدهما بدل الاخر فبتجوز وقال
الماوردي ندب الله سبحانه وتعالى الى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له لان في التقوى رضى
الله وفي البر رضى الناس ومن جمع بين رضى الله ورضى الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته وقال
ابن خواز منداد في احكامه والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه فواجب على العالم ان يعين الناس
بعلمه فيعلمهم ويعينهم والغني بماله والشجاع بشجاعته في سبيل الله وان يكون المسلمون متظاهرين
كاليد الواحدة والمؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم ويجب عن المعتدي
وترك النصرة له ورده عما هو عليه ثم نهى فقال ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وهو الحكم
اللاحق عن الجرائم وعن العدوان وهو ظلم الناس ثم امر بالتقوى وتوعد توعدا فقال ان الله
شديد العقاب قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة
والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا
بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله
غفور رحيم فيه ست وعشرون مسئلة **الاولى** قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به قد تقدم في البقرة **الثانية** قوله والمنخنقة وهي التي تموت خنقا وهو حبس
النفس سواء فعل بها ذلك آدمي او اتفق لها ذلك في حبل او بين عودين او نحوه وذكر **قتادة**
ان اهل الجاهلية كانوا يخنقون الشاة وغيرها فاذا ماتت اكلوها وذكر نحوه عن ابن عباس **الثالثة**
قوله تعالى والموقوذة هي التي ترمى او تضرب بعصا او بحجر حتى تموت من غير تذكية عن ابن عباس والحسن
وقتادة والضحاك والسدي يقال منه وقذه يقذه وقذا وهو وقيذ والوقذ شدة الضرب
وفلان وقيذ اي مثخن ضربا قال قتادة كان اهل الجاهلية يفعلون ذلك وياكلونه وقال الضحاك
كانوا يضربون الانعام بالخشب لالهتهم حتى يقتلوها فياكلوها ومنه المقتولة بقوس البندق وقال
الفرزدق شعاره يفدا الفصيل برجها وطاره لقوادم الاظفار وفي صحيح مسلم عن عدي بن حاتم
قال قلت يا رسول الله فاني ارمي بالمعراض الصيد فاصيب فقال اذا رميت بالمعراض فخزق فكله
وان اصابه بعرضه فلا تاكله في رواية فانه وقيذ قال ابو عمر اختلف العلماء قديما وحديثا
في الصيد بالبندق والحجر والمعراض فمن ذهب الى انه وقيذ لم يجزه الا ما ادرك ذكاته على ما روي

عن ابن عمر وهو قول مالك وابي حنيفة واصحابه والثوري والشافعي وخالفهم الشاميون في ذلك قال
الاوزاعي في المعراض كله خزق او لم يخزق فقد كان ابو الدرداء وفضالة بن عبيد وعبد الله بن
عمر ومكحول لا يرون به باسا قال ابو عمر هكذا ذكره الاوزاعي عن ابن عمر والمعروف عن ابن عمر ما
ذكره مالك عن نافع عنه والاصل في هذا الباب والذي عليه العمل وفيه الحجة لمن لجا اليه حديث
عدي بن حاتم وفيه ما اصاب بعرضه فلا تاكل فانما هو وقيذ **الرابعة** قوله تعالى والمتردية
وهي التي تتردى من العلو الى السفل فتموت كان ذلك من جبل او في بئر ونحوه وهي متفعلة من الردى
وهو الهلاك وسواء تردت بنفسها او رداها غيرها واذا اصاب السهم الصيد فتردى من جبل على الارض
حرم ايضا لانه ربما مات بالصدمة والتردي لا بالسهم ومنه الحديث وان وجدته غريقا في الماء فلا
تاكل فانك لا تدري قتله الماء ام سهمك اخرجه مسلم وكانت الجاهلية تاكل المتردي ولم تكن تعتقد
ميتة الا ما مات بالوجع ونحوه دون سبب يعرف فاما هذه الاسباب فكانت عندها كالذكاة
فحصر الشرع الذكاة في صفة مخصوصة على ما ياتي بيانها وبقيت هذه كلها ميتة وهذا كله من
المحكم المتفق عليه وكذلك النطيحة واكيلة السبع التي فاتت نفسها بالنطح والاكل **الخامسة** قوله تعالى
والنطيحة النطيحة فعيلة بمعنى مفعولة وهي الشاة تنطحها اخرى او غير ذلك فتموت قبل ان تذكى
وتاول قوم النطيحة بمعنى الناطحة لان الشاتين قد يتناطحان فيموتان وقال نطيحة ولم يقل نطيح على
وزن فعيل لا يذكر فيه الهاء كما يقال كف خضيب ولحية دهين لكن ذكر الهاء ههنا لان الهاء انما
تحذف من الفعيلة اذا كانت صفة لموصوف منطوق به يقال شاة نطيح وامراة قتيل وان لم
يذكر الموصوف اثبت الهاء فتقول رايت قتيلة بني فلان وهذه نطيحة الغنم لانك لو لم تذكر
الهاء لقلت قتيل بني فلان ولم تعرف رجل هو او امراة وقرا ابو ميسرة والمنطوحة **السادسة** قوله
تعالى وما اكل السبع يريد كل ما افترسه ذو ناب واظفار من الحيوان كالاسد والنمر والثعلب
والذيب والضبع ونحوها هذه كلها سباع يقال سبع فلان فلانا اي عضه بسنه وسبعه اي
عابه ووقع فيه وفي الكلام اضمار اي ما اكل منه السبع لان ما اكله السبع قد فني ومن العرب
من يوقف اسم السبع على الاسد وكانت اذا اخذ السبع شاة ثم خلصت منه اكلوها وكذلك
ان اكل بعضها قاله قتادة وغيره وقرا الحسن وابو حيوة السبع بسكون الباء وهي لغة لاهل نجد وقال
حسان في عتبة بن ابي لهب، من يرجع العام الى اهله، فما اكيل السبع بالراجع، وقرا ابن مسعود
واكيلة السبع وقرا عبد الله ابن عباس واكيل السبع **السابعة** قوله تعالى الا ما ذكيتم نصب على
الاستثناء المتصل عند الجمهور من العلماء والفقهاء وهو راجع على كل ما ادرك ذكاته من المذكورات
وفيه حياة فان الذكاة عاملة فيه فان حق الاستثناء ان يكون مصروفا الى ما تقدم من الكلام
ولا يجعل منقطعا الا بدليل يجب التسليم له روى ابن عيينة وشريك وجرير عن الركين بن الربيع
عن ابي طلحة الاسدي قال سالت ابن عباس عن ذيب عدا على شاة فشق بطنها حتى انتثر بعض قصبها
فادرك ذكاتها فذكيتها فقال كل وما انتثر من قصبها فلا تاكل قال اسحاق بن راهويه السنة في
الشاة على ما وصف ابن عباس لانه وان خرج مصارينها فانها حية وموضع الذكاة منها سالم
وانما ينظر عند الذبح احية ام ميتة ولا ينظر الى هل يعيش مثلها وكذلك المريضة قال اسحق
ومن خالف هذا فقد خالف السنة من جمهور الصحابة وعامة العلماء قلت واليه ذهب ابن حبيب
وذكره عن اصحاب مالك وهو قول ابن وهب والاشهر من مذهب الشافعي قال المزني وحفظ
للشافعي قولا اخر انها لا تؤكل اذا بلغ منها السبع او التردي الى ما لا حياة معه وهو قول المدنيين والمشهور

من قول مالك وهو الذي ذكره عبد الوهاب في تلقينه وروي عن زيد بن ثابت وذكره مالك في موطائه
واليه ذهب اسماعيل القاضي وجماعة المالكيين البغداديين والاستثناء على هذا القول منقطع
اي حرمت عليكم هذه الاشياء الا ما ذكيتم اي لكم ما ذكيتم فهو الذي لم يحرم قال ابن العربي اختلف
قول مالك في هذه الاشياء فروي عنه انه لا يوكل الا ما ذكي ذكاة الصحيحة والذي في الموطا انه
ان ذبحها ونفسها تجري وهي تضطرب فليأكل وهو الصحيح من قوله الذي كتبه بيده وقراه على
الناس من كل بلد طول عمره فهي اولى من الروايات المفادة وقد اطلق علماؤنا على المريضة ان المذهب
جواز تذكيتها ولو اشرفت على الموت اذا كانت فيها بقية حياة وليت شعري اي فرق بين بقية حياة
مريضة او بين بقية حياة من سبع لو اتسق النظر وسلمت عن الشبه والفكر وقال ابن عمر قد اجمعوا
في المريضة التي لا ترجى حياتها ان ذكاتها ذكاة لها اذا كانت فيها الحياة في حين ذبحها وعلم ذلك
منها بما ذكر من حركة يدها او رجلها او ذنبها او نحوها او غير ذلك واجمعوا انها اذا صارت في حال
النزع ولم تحرك يدا ولا رجلا انه لا ذكاة فيها وكذلك ينبغي في القياس ان يكون حكم المتردية
وما ذكر معها في الاية والله اعلم الثامنة قوله ذكيتم الذكاة في كلام العرب الذبح قاله قطرب
وقال ابن سيدة في المحكم والعرب تقول ذكاة الجنين ذكاة امه قال ابن عطية وهذا انما هو
حديث وذكى الحيوان ذبحه ومنه قول الشاعر يذكيها الاسل قلت الحديث الذي اشار اليه
اخرجه الدارقطني من حديث ابي سعيد وابي هريرة وعلي وعبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذكاة
الجنين ذكاة وبه يقول جماعة اهل العلم الا ما روي عن ابي حنيفة انه قال اذا خرج الجنين من
بطن امه ميتا لم يحل اكله لان ذكاة نفس لا يكون ذكاة نفسين قال ابن المنذر في قول النبي صلى
الله عليه وسلم ذكاة الجنين ذكاة امه دليل على ان الجنين غير الام وبه نقول ان عتقت امه
حامل ان عتقه عتق امه وهذا يلزمه ان عتق واحد عتق اثنين جاز ان يكون ذكاة واحد ذكاة
اثنين على ان الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء عن اصحابه وما عليه جل الناس يستغنى به عن
كل قول واجمع اهل العلم على ان الجنين اذا خرج حيا ان ذكاة امه ليست بذكاة له واختلفوا
اذا ذكيت الام وفي بطنها جنين فقال مالك وساير اصحابه ذكاته ذكاة امه اذا كان قد تم خلقه
ونبت شعره وذلك اذا خرج ميتا او خرج وبه رمق من الحياة غير انه استحب ان يذبح ان خرج
يتحرك فان سبقهم بنفسه اكل وقال ابن القاسم ضحيت بنعجة فلما ذبحتها جعل يركض ولدها في
بطنها فامرتهم ان يتركوها حتى يموت في بطنها ثم امرتهم فشقوا جوفها فاخرج منها فذبحته فسال منه دم فامرت اهلي ان يشووه وقال
عبد الله بن كعب بن مالك كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون اذا اشعر الجنين
فذكاته ذكاة امه ولم يذكر كما اشعر او لم يشعر علي بن ابي طالب وسعيد بن المسيب والشافعي واحمد
واسحق قال القاضي ابو الوليد الباجي وقد كان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذكاة
الجنين ذكاة امه اشعر او لم يشعر الا انه حديث ضعيف فمذهب مالك هو الصحيح من الاقوال
الذي عليه عامة فقهاء الامصار وبالله التوفيق التاسعة قوله تعالى ذكيتم الذكاة في اللغة اصلها
التمام ومنه تمام السن والفرس المذكي الذي ياتي بعده القرح وذلك تمام استكمال القوة
ويقال ذكى يذكي والعرب تقول جري المذكيات غلاب والذكا حدة القلب قال الشاعر يفضله
اذا اجتهدا عليه تمام السن منه والذكاء والذكا سرعة الفطنة والفعل منه ذكى يذكي والذكا
ما يذكى به النار واذكيت الحرب والنار اوقدتها وذكا اسم الشمس وذلك انها تذكو كالنار و
الصبح ابن ذكا لانه من ضوئها فمعنى ذكيتم ادركتم ذكاته على التمام ذكيت الذبيحة اذكيها مشتقة

من التطيب يقال رايحة ذكية فالحيوان اذا اسيل دمه فقد طيب لانه يتسارع اليه التجفيف وفي
حديث محمد بن علي رضي الله عنهما ذكاة الارض يبسها يريد طهارتها من النجاسة فالذكاة في
الذبيحة تطهير لها واباحة لاكلها فجعل يبس الارض بعد النجاسة تطهيرا واباحة للصلاة فيها
بمنزلة الذكاة في الذبيحة وهو قول اهل العراق واذا تقرر هذا فاعلم انها في الشرع عبارة عن انهار
الدم وفري الاوداج في المذبوح والنحر في المنحور والعقر في غير المقدور مقرونا بنية القصد لله على
ما ياتي بيانه العاشرة واختلف العلماء فيما يقع به الذكاة فالذي عليه الجمهور من العلماء ان كل
ما فرى الاوداج وانهر الدم فهو من الات الذكاة خلا السن والعظم وعلى هذا تواترت الاثار
وقال به فقهاء الامصار والسن والظفر المنهي عنهما في التذكية هما غير المنزوعين لان ذلك يصير
خنقا وكذلك قال ابن عباس ذلك الخنق فاما المنزوعان اذا فريا الاوداج فجايز عندهم وقد كره قوم
السن والظفر والعظم على كل حال منزوعة وغير منزوعة منهم الحسن والليث بن سعد وروي عن
الشافعي وحجتهم ظاهر حديث رافع بن خديج قال قلت يا رسول الله انا لاقوا العدو غدا وليست
معنا مدى في رواية فنذكي بالليط وفي موطا مالك عن نافع عن رجل من الانصار عن معاذ بن
سعد او سعد بن معاذ ان جارية لكعب بن مالك كانت ترعى غنما له بسلع فاصيب شاة منها
فادركتها فذكتها بحجر فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال لا باس بها كلوها وفي
مصنف ابي داود فنذبح بالمروة وشقة العصا فقال اعجل او ارني ما انهر الدم وذكر اسم الله
فكل ليس السن والظفر وساحدثك اما السن فعظم واما الظفر فمدى الحبشة الحديث اخرجه مسلم
وروي عن سعيد بن المسيب انه قال ما ذبح بالليطة والشطير والظرر فحل ذكي الليطة فلقة
القصبة ويمكن بها الذبح والنحر والشطير فلقة العود وقد يمكن بها الذبح لان لها جانبا دقيقا
والظرر فلقة الحجر يمكن الذكاة بها ولا يمكن النحر وعكسه الشظاظ ينحر به ولانه كطرف السنان
ولا يمكن به الذبح الحادية عشر قال مالك وجماعة لا تصح الذكاة الا بقطع الحلقوم والمري ولا
يحتاج الى الودجين لانهما مجرى الطعام والشراب لا يكون معهما حياة وهو الغرض من الموت ومالك
وغيره اعتبروا الموت على وجه يطيب معه اللحم ويفترق فيه الحلال وهو اللحم من الحرام الذي
يخرج من الاوداج وهو مذهب ابي حنيفة وعليه يدل حديث رافع بن خديج في قوله ما انهر
الدم وحكى البغداديون عن مالك انه شرط قطع اربع الحلقوم والودجين والمري وهو قول ابي
ثور والمشهور ما تقدم وهو قول الليث ثم اختلف اصحابه في قطع احد الودجين والحلقوم هل
هو ذكاة على قولين الثانية عشر واجمع العلماء على ان الذبح مهما كان في الحلق تحت الغلصمة
فقد تمت الذكاة واختلف فيما اذا ذبح فوقها وجازها الى البدن هل ذلك ذكاة ام لا على
قولين وقد روي عن مالك انها لا تؤكل وكذا لو ذبحها من القفا واستوفى القطع وانهر الدم
وقطع الحلقوم والودجين لم تؤكل وقال الشافعي تؤكل لان المقصود قد حصل وهذا مبني على
اصل وهو ان الذكاة وان كان المقصود منها انهار الدم ففيها ضرب من التعبد وقد ذبح صلى
الله عليه وسلم في الحلق ونحر في اللبة وقال انما الذكاة في الحلق واللبة فبين محلها وعين
موضعها وقال مبينا لفايدتها ما انهر الدم وذكر اسم الله فكل فاذا اهمل ذلك ولم يقع بنية ولا
بشرط ولا بصفة مخصوصة زال منها حظ التعبد فلم تؤكل لذلك والله اعلم الثالثة عشر واختلفوا
فيمن رفع يده قبل تمام الذكاة ثم رجع واكمل الذكاة فقيل يجزيه وقيل لا يجزيه والاول اصح
لانه جرحها ثم ذكاها بعد وحياتها مستجمعة فيها الرابعة عشر ويستحب ان لا يذبح الا من

رضي حاله وكل من اطاقه وجاء به على سنته من ذكر وانثى من بالغ وغير بالغ جاز ذبحه اذا كان مسلما
او كتابيا وذبح المسلم افضل من ذبح الكتابي ولا يذبح نسكا الا مسلما فان ذبح النسك كتابي فقد
اختلف فيه ولا يجوز في تحصيل المذهب وقد اجازه اشهب الخامسة عشر وما استوحش من الانسي
لم يجز فيه ذكاة الا ما يجوز في ذكاة الانسي في قول مالك واصحابه وربيعة والليث بن سعد
وكذلك المتردي في البير لا تكون الذكاة فيه الا فيما بين الحلق واللبة على سنة الذكاة وقد
خالف في هاتين المسئلتين بعض اهل المدينة وغيرهم وفي الباب حديث رافع بن خديج وقد تقدم
وتمامه بعد قوله فمدى الحبشة قال واصبنا نهب ابل وغنم فند منها بعير فرماه رجل بسهم فحبسه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهذه اوابد كاوابد الوحش فاذا غلبكم منها شيء فافعلوا به
هكذا في رواية فكلوه وبه قال ابو حنيفة والشافعي قال الشافعي تسليط النبي صلى الله عليه وسلم
على هذا الفعل دليل على انه ذكاة واحتج بما رواه ابو داود والترمذي عن ابي العشراء عن ابيه قال
قلت يا رسول الله انما تكون الذكاة في الحلق واللبة قال لو طعنت في فخذها لاجزاء عنك قال
يزيد بن هرون وهو حديث صحيح اعجب احمد بن حنبل ورواه عن ابي داود واشار على من دخل
عليه من الحفاظ ان يكتبه قال ابو داود لا يصلح هذا الا في المتردية والمستوحش وقد حمل ابن حبيب
هذا الحديث على ما سقط من مهواه ولا يوصل الى ذكاته الا بالطعن في غير موضع الذكاة وهو قول انفرد
به مالك واصحابه قال ابو عمر قول الشافعي اظهر في العلم وانه يوكل بما يوكل به الوحشي لحديث رافع
بن خديج وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومن جهة القياس لما كان الوحشي اذا قدر عليه لم
يحل الا بما يحل به الانسي لانه صار مقدورا عليه فلذلك ينبغي في القياس اذا توحش وصار في معنى الوحش
من الامتناع ان يحل بما يحل به الوحشي قلت اجاب علماونا عن رافع بن خديج بان قالوا تسليط النبي
صلى الله عليه وسلم انما هو على حبسه لا على ذكاته وهو مقتضى الحديث وظاهره لقوله فحبسه ولم يقل
ان السهم قتله وايضا فانه مقدور عليه في غالب الاحوال فلا يراعى النادر منه وانما يكون ذلك في
الصيد وقد صرح في الحديث بان السهم حبسه وبعد ان صار محبوسا صار مقدورا عليه فلا يوكل الا
بالذبح والنحر والله اعلم واما حديث ابي العشراء فقد قال فيه الترمذي حديث غريب لا نعرفه الا من
حديث حماد بن سلمة ولا نعرف لابي العشراء عن ابيه غير هذا الحديث واختلفوا في اسم ابي العشراء فقال
بعضهم اسمه اسامة بن قهطم ويقال اسمه يسار بن برز ويقال بلز ويقال اسمه عطارد فنسب
الى جده فهو مسند مجهول لا حجة فيه ولو سلمت صحته كما قال يزيد بن هرون لما فيه من حجة اذ
مقتضاه جواز الذكاة في اي عضو كان مطلقا في المقدور وغيره ولا قايل في المقدور فظاهره
ليس بمراد قطعا وتاويل ابي داود وابن حبيب له غير متفق عليه فلا يكون فيه حجة والله اعلم
قال ابو عمر وحجة مالك انهم قد اجمعوا انه لو لم يند الانسي انه لا يذكى الا بما يذكى المقدور عليه
ثم اختلفوا فهو على الاصل حتى يتفقوا وهذا لا حجة فيه لان اجماعهم انما يكون انعقد على مقدور
عليه وهذا غير مقدور عليه السادسة عشر ومن تمام هذا الباب قوله عليه الصلاة والسلام ان
الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد
احدكم شفرته وليرح ذبيحته رواه مسلم عن شداد بن اوس قال ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله كتب قد ذكره قال علماونا واحسان الذبح في البهايم الرفق بها فلا
يصرعها بعنف ولا يجرها من موضع الى موضع واحداد الالة واحضار نية الاباحة والقربة وتوجيهها
الى القبلة والاجهاز وقطع الودجين والحلقوم وارحتها وتركها الى ان تبرد والاعتراف لله بالمنة

والشكر

والشكر له بالنعمة بانه سخر لنا ما لو شاء لسلطه علينا واحل لنا ما لو شاء لحرمه علينا وقال ربيعة من
احسان الذبح ان لا يذبح بهيمة واخرى تنظر اليها وحكي جوازه عن مالك والاول احسن وقد روى
ابو داود عن ابن عباس وابي هريرة قالا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شريطة الشيطان زاد ابن
عيسى في حديثه وهي التي تذبح فتقطع ولا تفرى الاوداج ثم تترك فتموت السابعة عشر قوله تعالى
وما ذبح على النصب قال ابن فارس النصب حجر كان ينصب فيعبد وتصب عليه دماء الذبايح وهو
النصب ايضا والنصايب حجارة تنصب حوالي شفير البير فتجعل عضايد وغبار منتصب مرتفع وقيل
النصب واحده نصاب كحمار وحمر وقيل هو اسم مفرد والجمع انصاب وكانت ثلثمائة وستين حجرا وقرا
طلحة النصب بجزم الصاد وروي عن ابي عمرو النصب بفتح النون والصاد جعله اسما واحدا كالجبل
والجبل والجمع انصاب كالاجبال والاجبال قال مجاهد هي حجارة كانت حوالي مكة يذبحون عليها قال
ابن جريج كانت العرب تذبح بمكة وتنضح بالدم ما اقبل من البيت ويشرحون اللحم ويضعونه
على الحجارة فلما جاء الاسلام قال المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم نحن احق ان نعظم هذا البيت
بهذه الافعال فكانه عليه الصلوة والسلام كره ذلك فانزل الله تعالى لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها وما ذبح على النصب لان الذبح عليها غير جايز ثم قال الاعشى ولا النصب المنصوب
لعانيه والله ربك فاعبد وقيل على بمعنى اللام اي لاجلها قاله قطرب وما ذبح على النصب جزء مما
اهل به لغير الله ولكن خص بالذكر بعد جنسه لشهرة الامر وشرف الموضع وتعظيم النفوس له والله اعلم
الثامنة عشر قوله تعالى وان تستقسموا بالازلام معطوف على ما قبله وان في موضع رفع اي وحرم
عليكم الاستقسام بالازلام والازلام قداح الميسر واحدها زلم وزلم قال الشاعر بات يقايسها غلام
كالزلم وقال اخر فلئن جذيمة قتلت سرواتها فنساؤها يضربن بالازلام وذكر محمد بن جرير ان
ابن وكيع حدثهم عن ابيه عن شريك عن ابي حصين عن سعيد بن جبير ان الازلام حصى بيض كانوا
يضربون بها قال محمد ابن جرير قال لنا سفيان بن وكيع هي الشطرنج واما قول لبيد تزل عن
الثرى ازلامها قالوا اراد اظلاف البقرة الوحشية والازلام للعرب ثلاثة انواع منها الثلاثة
التي كان يتخذها كل انسان لنفسه على احدها افعل وعلى الاخر لا تفعل والثالث مهمل لا شيء عليه
فيجعلها في خريطة معه فاذا اراد فعل شيء ادخل يده وهي متشابهة فاذا اخرج احدها ايتمر وانتهى
بحسب ما يخرج له وان خرج القدح الذي لا شيء عليه اعاد الضرب وهذه هي التي ضرب بها
سراقة بن مالك بن جعشم حين اتبع النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وقت الهجرة وانما قيل لهذا
الفعل استقسام لانهم كانوا يستقسمون بها الرزق وما يريدون كما يقال الاستسقاء في الاستدعا
للسقي ونظير هذا الذي حرمه قول المنجم لا تخرج من اجل نجم كذا واخرج من اجل نجم كذا وقال
عز وجل وما تدري نفس ماذا تكسب غدا الاية وسياتي بيان هذا مستوفى ان شاء الله تعالى
والنوع الثاني سبعة قداح كانت عند هبل في جوف الكعبة مكتوب عليها ما يدور بين الناس
من النوازل كل قدح منها فيه كتاب قدح فيه العقل في امر الديات وفي اخر منكم وفي اخر من غيركم
وفي اخر ملصق وفي سايرها احكام المياه وغير ذلك وهي التي ضرب بها عبد المطلب على بنيه
اذ كان نذر ذبح احدهم اذا اكملوا عشرة والخبر مشهور ذكره ابن اسحق وهذه السبعة ايضا كانت
عند كل كاهن من كهان العرب وحكامهم على نحو ما كانت في الكعبة عند هبل والنوع الثالث هو
قداح الميسر وهي عشرة سبعة منها فيها خطوط وثلاثة اغفال وكانوا يضربون بها مقامرة
لهوا ولعبا وكان عقلاؤهم يقصدون بها اطعام المساكين والمعدم في زمن الشتاء وكلب البرد

ونعود الحرف وقال مجاهد الازلام هي كعاب فارس والروم التي يتقامرون بها وقال سفيان ووكيع هي
الشطرنج فالاستقسام بهذا كله هو طلب القسم والنصيب كما بينا وهو من اكل المال بالباطل وهو حرام
او بنرد او شطرنج او بغير ذلك من هذه الالعاب فهو استقسام كما هو في معنى الازلام حرام كله وهو خروج
من التكهن وتعرض لدعوى علم الغيب قال ابن خواز منداد ولهذا نهى اصحابنا عن الامور التي يفعلها
المنجمون على الطرقات من السهام التي معهم ورقاع الفال واشباه ذلك قال الكيا الطبري وانما نهى
الله عنها فيما يتعلق بامور الغيب فانه لا يدري نفس ما يصيبه غدا فليس للازلام في تعرف
المغيبات اثر فلخذ بعض الجاهلين من هذا الرد على الشافعي في الاقراع بين المماليك في العتق ولو
يعلم هذا الجاهل ان الذي قاله الشافعي بناء على الاخبار الصحيحة وليس مما يعترض عليه بالنهي عن
الاستقسام بالازلام فان العتق حكم شرعي يجوز ان يجعل الشرع خروج القرعة علما على اثبات حكم
العتق قطعا للخصومة اولمصلحة يراها ولا ينقاس ذلك بقول القايل اذا فعلت كذا اوقلت كذا
فذلك يدل على المستقبل على امر من الامور فلا يجوز ان يجعل خروج القداح علما على شي يتجدد
في المستقبل ويجوز ان يجعل خروج القرعة علما على العتق قطعا فظهر افتراق البابين التاسعة عشر
وليس من هذا الباب طلب الفال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الفال اذا سمع يا
راشد يا نجيح اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح غريب وانما كان يعجبه الفال لانه تنفرح
له النفس ويبشر بقضاء الحاجة وبلوغ الامل فيحسن الظن بالله تعالى وقد قال انا عند ظن
عبدي بي وكان عليه الصلاة والسلام يكره الطيرة لانها من اعمال اهل الشرك ولانها تجلب
ظن السوء بالله قال الخطابي الفرق بين الفال والطيرة ان الفال انما هو من طريق حسن الظن بالله
تعالى والطيرة انما هي من طريق الاتكال على شي سواه وقال الاصمعي سالت ابن عون عن الفال
فقال ان يكون مريضا فيسمع يا سالم او يكون غايبا فيسمع وهذا معنى حديث الترمذي وفي صحيح
مسلم عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا طيرة وخيرها الفال قيل يا
رسول الله وما الفال قال الكلمة الصالحة يسمعها احدكم وسياتي لمعنى الطيرة مزيد بيان ان شاء
الله تعالى وروي عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر
الخير يوقه وثلاثة لا ينالون الدرجات العلى من تكهن او استقسم او رجع من سفر من طيرة والله
اعلم الموفية عشرين قوله تعالى ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام بالازلام والفسق الخروج وقد
تقدم وكل شي منها فسق وخروج من الحلال الى الحرام والانكفاف عن هذه المحرمات وقيل يرجع
الى جميع ما ذكر من استحلال هذه المحرمات من الوفا بالعقود اذ قال اوفوا بالعقود والله اعلم
الحادية والعشرون قوله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم يعني ان ترجعوا الى دينهم كفارا
قال الضحاك نزلت هذه الاية حين فتح مكة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح
مكة لثمان بقين من رمضان سنة سبع ويقال سنة ثمان ودخلها ونادى منادي رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا من قال لا اله الا الله فهو امن ومن وضع السلاح فهو امن ومن وضع
اغلق بابه فهو امن وفي يئس لغتان يئس ييأس يأسا وأيس يأيس اياسا وأياسة قاله
النضر بن شميل فلا تخشوهم واخشون اي لا تخافوهم وخافون فاني انا الله قادر على نصركم والله
اعلم الثانية والعشرون قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حين كان
بمكة لم يكن الا فريضة الصلاة وحدها فلما قدم المدينة انزل الله الحلال والحرام الى ان حج فلما
حج وكمل الدين نزلت هذه الاية اليوم اكملت لكم دينكم الاية على ما نبينه روى الايمة عن طارق

بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر فقال يا امير المؤمنين اية في كتابكم تقرؤنها لو انها انزلت علينا
معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الاسلام دينا فقال عمر اني لاعلم اليوم الذي انزلت فيه والمكان الذي انزلت فيه نزلت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعرفة في يوم الجمعة لفظ مسلم وعند النسائي ليلة جمعة وروي انها لما نزلت في يوم الحج الاكبر
وقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قال ابكاني
انا كنا في زيادة من ديننا فاما اذ كمل فانه لا يكمل شي الا نقص فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقت وروي مجاهد
ان هذه الاية نزلت يوم فتح مكة قلت القول الاول اصح وانها نزلت في يوم جمعة وكان يوم عرفة
بعد الظهر من حجة الوداع سنة عشر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة على ناقته العضباء وكاد
عضد الناقة ينقد من ثقلها فبركت واليوم قد يعبر عنه بجزء منه عن جميعه وكذلك عن الشهر بجميعه يقول
فعلنا في شهر كذا وفي سنة كذا وكذا ومعلوم انك لم تستوعب الشهر ولا السنة وذلك مستعمل في لسان العرب
والعجم والدين عبارة عن الشرايع التي شرع وفتح لنا فانها نزلت نجوما واخر ما نزل منها هذه ولم ينزل بعدها
حكم قاله ابن عباس والسدي وقال الجمهور المراد معظم الفرايض والتحليل والتحريم قالوا وقد نزل بعد
ذلك قران كثير ونزلت اية الربا ونزلت اية الكلالة الى غير ذلك وانما كمل معظم الدين والحج اذ لم
يطف معهم في تلك السنة مشرك ولا طاف بالبيت عريان ووقف الناس كلهم بعرفة وقيل اكملت لكم
دينكم بان اهلكت عدوكم واظهرت دينكم على الدين كله كما تقول قد تم لنا ما نريد اذ كفيت عدوك
الثالثة والعشرون قوله تعالى واتممت عليكم نعمتي اي باكمال الشرايع والاحسان واظهار دين الاسلام كما
وعدتكم اذ قلت ولاتم نعمتي عليكم وهي دخول مكة امنين مطمئنين وغير ذلك مما انتظمته هذه الملة
المحمدية الحنيفية الى دخول الجنة في رحمة الله الرابعة والعشرون لعل قايلا يقول قوله تعالى اليوم اكملت
لكم دينكم يدل على ان الدين كان غير كامل في وقت من الاوقات وذلك يوجب ان جميع من مات من
المهاجرين والانصار والذين شهدوا بدرا والحديبية وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعتين
جميعا وبذلوا انفسهم لله مع عظيم ما حل بهم من انواع المحن ماتوا على دين ناقص وان رسول الله صلى
الله عليه وسلم في ذلك كان يدعو الناس الى دين ناقص ومعلوم ان النقص عيب ودين الله قيم كما قال
تعالى دينا قيما فالجواب يقال له لم قلت ان كل نقص فهو عيب وما دليلك عليه ثم يقال له ارايت
نقصان الشهر ايكون عيبا ونقصان صلاة المسافر اهو عيب ونقصان العمر الذي اراده الله بقوله وما
ينقص من عمره اهو عيب ونقصان ايام الحيض عن المعهود ونقصان ايام الحمل ونقصان المال بسرقة
او حريق او غرق اذا لم يفتقر صاحبه فما انكرت ان نقصان اجزاء الدين في الشرع قبل ان يلحق به الاجزاء
الباقية في علم الله تعالى هذه ليست بعيب ولا شين وما انكرت ان معنى قول الله تعالى اليوم اكملت
لكم دينكم يخرج على وجهين احدهما ان يكون المراد بلغته اقصى الحد الذي كان له عندي كما قضيته
وقدرته وذلك لا يوجب ان يكون ما قبل ناقصا كما كان عند الله تعالى انه ملحق به وضامه اليه
كالرجل يبلغه الله مائة سنة فيقال اكمل الله عمره ولا يجب ان يكون عمره حين كان ابن ستين ناقصا نقص قصور وخلل
ان كان ناقصا عما كان عند الله تعالى انه يبلغه اياه ويعمره اليه وقد بلغ الله بالظهر والعصر والعشاء
اربع ركعات فلو قيل عند ذلك اكملها لكان الكلام صحيحا ولا يجب عن ذلك انها كانت حين
كانت ركعتين ناقصة نقص قصور وخلل ولو قيل كانت ناقصة عما عند الله انه ضامه اليها
وزايده عليها لكان ذلك صحيحا فهكذا هذا في شرايع الاسلام وما كان شرع منها شيئا فشيئا الى
ان انهى الله الدين منتهاه الذي كان له عنده والله اعلم والوجه الاخر انه اراد بقوله اليوم اكملت

لكم دينكم انه وقفهم للحج الذى لم يكن بقي عليهم من اركان الدين غيره فحجوا فاستجمع لهم الدين اداء الاركان وقياما بفرايضه فانه يقول عليه الصلاة والسلام بني الاسلام على خمس الحديث وقد كانوا تشهدوا وصلوا وزكوا وصاموا وجاهدوا وحجوا واعتمروا ولم يكونوا حجوا فلما حجوا ذلك اليوم مع النبي صلى الله عليه وسلم انزل بالموقف عشية عرفة اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وانما اراد اكمل وصفه لهم وفى ذلك دلالة على ان الطاعات كلها دين وايمان واسلام الخامسة والعشرون قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا اي اعلمتكم برضاي لكم دينا فانه تعالى لم يزل راضيا بالاسلام لنا دينا فلا يكون لاختصاص الرضى بذلك اليوم فايدة ان حملته على ظاهره ودينا نصب على التمييز وان شئت على مفعول ثانى وقيل المعنى ورضيت عنكم اذا تعبدتم لي بالدين الذى شرعته لكم ويحتمل ان يريد لكم الاسلام دينا اي رضيت اسلامكم الذى انتم عليه اليوم دينا باقيا بكماله الى اخر الاية لا انسخ منها شيئا والله اعلم والاسلام فى هذه الاية هو الذى فى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وهو الذى يفسر فى سؤال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم وهو الايمان والاعمال والبعث السادسة والعشرون قوله تعالى فمن اضطر فى مخمصة اي دعته ضرورة الى اكل الميتة وساير المحرمات فى هذه الاية والمخمصة الجوع وخلاء البطن من الطعام والخمص ضمور البطن رجل خميص وخمصان وامراة خميصة وخمصانة ومنه اخمص القدم ويستعمل كثيرا فى الجوع قال الاعشى يبيتون فى المشتى ملاء بطونهم وجاراتهم غرثى يبتن خمايصا اي منطويات على الجوع قد اضمر بطونهن وقال النابغة فى خميص البطن من جهة ضمره والبطن ذو عكن خميص لين والنحر تنفجه بثدي مقعد وفى الحديث خماص البطون خفاف الظهور الخماص جمع الخميص البطن وهو الضامر اخبر انهم اعفاء عن اموال الناس ومنه الحديث تغدو خماصا وتروح بطانا والخميصة ايضا ثوب قال الاصمعى الخمايص ثياب خز او صوف معلمة وهي سود كانت من لباس الناس وقد تقدم معنى الاضطرار وحكمه فى البقرة السابعة والعشرون قوله تعالى غير متجانف لاثم اي غير مايل لحرام وهو بمعنى غير باغ ولا عاد وقد تقدم والجنف الميل والاثم الحرام ومنه قول عمر رضى الله عنه ما تجانفنا فيه لاثم اي ما ملنا ولا تعمدنا ونحن نعلمه وكل مايل فهو متجانف وجنف وقراءة النخعي ويحيى ابن وثاب والسلمى متجنف دون الف وهي ابلغ فى المعنى لان شد العين يقتضى مبالغة وتوغلا فى المعنى وثبوتا لحكمه وتفاعل انما هو محاكاة الشيء والتقرب منه الا ترى انك اذا قلت تمايل الغصن فان ذلك يقتضى تاودا ومقاربة ميل فاذا قلت تميل فقد ثبت حكم الميل تضاون الرجل وتصون وتغافل وتغفل فالمعنى غير متعمد لمعصية فى مقصده قاله قتادة والشافعي فان الله غفور رحيم اي فان الله له غفور رحيم فحذف وانشد سيبويه قد اصبحت ام الخيار تدعى * على ذنبا كله لم اصنع * اي لم اصنعه فحذف

قوله تعالى يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب

فيه ثمان عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى يسألونك الاية نزلت بسبب عدي بن حاتم وزيد بن مهلهل وهو زيد الخيل الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة وان الكلاب تاخذ البقر والحمر والظبا فمنه ما ندرك ذكاته ومنه ما تقتله فلا ندرك ذكاته وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا الثانية قوله ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات ما فى موضع رفع بالابتدا والخبر احل لهم وذا زائدة وان شئت كانت بمعنى الذى ويكون الخبر قل احل لكم الطيبات وهو الحلال وكل حرام فليس بطيب وقيل ما التذ اكله وشاربه ولم يكن عليه فيه ضرر فى الدنيا ولا فى الاخرة وقيل الطيبات الذبايح لانها طابت بالتذكية الثالثة قوله

وما علمتم اي وصيد ما علمتم ففى الكلام اضمار لا بد منه ولولاه لكان المعنى ان يكون الحل المسول عنه ميتا ولا المعلم من الجوارح مكلبين وذلك ليس مذهبا لاحد فان الذي يبيح لحم الكلب فلا يخصص فى الاباحة وسياتى ما للعلماء فى اكل الكلب فى الانعام ان شاء الله تعالى وقد ذكر بعض من صنف فى احكام القران ان الاية تدل على الاباحة تناولت ما علمنا من الجوارح وهو ينتظم الكلب وساير الجوارح الطير وذلك يوجب اباحة ساير وجوه الانتفاع فدل على جواز بيع الكلب والجوارح والانتفاع بها بساير وجوه المنافع الا ما خصه الدليل وهو الاكل من الجوارح اي الكواسب من الكلاب وسباع الطير وكان لعدي كلاب خمسة قد سماها باسماء اعلام وكان اسما اكلبه سليب وغلاب والمختلس والمتناعس قال السهيلي وخامس اسد قال فيه اخطب او قال فيه رباب الرابعة اجمع الامة على ان الكلب اذا لم يكن اسود وعلمه مسلم فينشلي اذا اشلي ويجيب اذا دعي وينزجر بعد ظفره بالصيد اذا زجر وان لا يكن ياكل من صيده الذى صاده واثر فيه بجرح او بيت وصاد به مسلم وذكر اسم الله عند ارساله ان صيده صحيح يوكل بلا خلاف لان التحريم شرط من هذه الشروط دخل الخلاف وان كان الذى يصاد به غير كلب كالفهد وما اشبهه والبازى والصقر ونحوهما فجمهور العلماء على ان كل ما صاد بعد التعليم فهو جارح اي كاسب يقال جرح فلان واجترح اي اكتسب ومنه الجارحة لانه يكتسب بها ومنه اجترحوا السيئات قال الاعشى * ذات خد منضج ميسمها * يذكر الجازم ما كان جرح * وفى التنزيل ويعلم ما جرحتم بالنهار وقال تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات الخامسة قوله تعالى مكلبين اي اصحاب الكلاب وهو كالمؤدب صاحب التاديب وقيل معناه مضرين على الصيد كما تضرى الكلب قال الرماني وكلا القولين محتمل وليس فى مكلبين دليل على انه انما ابيح صيد الكلاب خاصة لانه بمنزلة قوله مؤمنين وان كان قد تمسك فى قصر الاباحة على الكلاب خاصة روي عن ابن عمر فيما حكى ابن المنذر عنه واما ما يصاد به من البزاة وغيرها من الطير فما ادركت ذكاته فهو لك حلال والا فلا تطعمه قال ابن المنذر وسئل ابو جعفر عن البازى يحل صيده قال لا الا ان تدرك ذكاته وقال الضحاك والسدى وما علمتم من الجوارح مكلبين هي الكلاب خاصة فان كان الكلب اسود بهيما فكره الحسن صيده وقتادة والنخعي وقال احمد ما اعرف احدا يرخص فيه اذا كان بهيما وبه قال اسحق بن راهويه فاما عوام اهل العلم بالمدينة والكوفة فيرون جواز صيد كل كلب معلم لما من منع صيد الكلب الاسود فلقوله عليه الصلاة والسلام الكلب الاسود شيطان اخرجه مسلم ثم احتج الجمهور بعموم الاية واحتجوا ايضا فى جواز صيد البازى بما ذكر من سبب النزول وبما اخرجه الترمذى عن عدي بن حاتم قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيد البازى فقال ما امسك عليك فكل فى اسناده مجالد ولا يعرف من جهته وهو ضعيف وبالمعنى فهو ان كل ما يتاتى من الفهد فلا فارق الا فيما لا مدخل له فى التاثير وهذا هو القياس فى معنى الاصل كقياس السيف على المدية والامة على العبد وقد تقدم السادسة واذا تقرر هذا فاعلم انه لا بد للصايد ان يقصد عند الارسال التذكية والاباحة وهذا لا يختلف فيه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل وهذا يقتضى النية والتسمية فلو قصد مع ذلك اللهو فكرهه مالك واجازه ابن عبد الحكم وهو ظاهر قول الليث ما رايت حقا اشبه بباطل منه يعني الصيد قالوا فلو فعله بغير نية التذكية فهو حرام لانه من باب الفساد واتلاف حيوان لغير منفعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الحيوان الا لماكله فذهب الجمهور من العلماء الى ان التسمية لا بد منها بالقول عند الارسال لقوله وذكرت اسم الله فلو لم يوجد على اي وجه كان لم يوكل الصيد وهو مذهب

اهل الظاهر وجماعة اهل الحديث وذهب جماعة من اصحابنا وغيرهم الى انه يجوز اكل مصادة المسلم وذبحه
وان ترك التسمية عمدا وحملوا الامر بالتسمية على الندب وذهب مالك في المشهور الى الفرق بين
ترك التسمية عمدا او سهوا فقال لا يوكل مع العمد ويوكل مع السهو وهو قول فقهاء الامصار وهو احد
قولي الشافعي وستاتي هذه المسئلة في الانعام ان شاء الله ثم لا بد ان يكون اشعار الكلب بارسال
من يد الصايد بحيث يكون زمامه بيده فيخلي عنه وتغريه عليه فينبعث ويكون الجارح ساكنا حال
رؤيته الصيد فلا يتحرك له الا باغراء الصايد فهو بمنزلة ما زمامه بيده فاطلقه مغريا له في احد
القولين واما لو انبعث الجارح من تلقاء نفسه من غير ارسال ولا اغراء فلا يجوز صيده ولا يحل اكله
عند الجمهور مالك والشافعي واصحاب الراي لانه انما صاد لنفسه وامسك عليها ولا صنع للصايد فيه
فلا ينسب اليه ارساله لانه لا يصدق عليه قوله عليه الصلوة والسلام اذا ارسلت كلبك المعلم
وقال عطا ابن ابي رباح والاوزاعي يوكل صيده اذا كان للصيد السابعة قرء الجمهور وعلمتم بفتح
العين واللام وابن عباس ومحمد بن الحنفية بضم العين وكسر اللام اي من امر الجوارح والصيد بها
والجوارح الكواسب سميت اعضاء الانسان جوارح لانها تكسب وتتصرف وقيل سميت جوارح لانها
تجرح الصيد ويسيل الدم فهو ماخوذ من الجراح وهذا ضعيف واهل اللغة على خلافه وحكاه ابن المنذر
عن قوم ومكلبين قراءة الجمهور بفتح الكاف وشد اللام والمكلب معلم الكلاب ومضريها ويقال
لمن يعلم غير كلب مكلب لانه يرد ذلك الحيوان كالكلب حكاه ويقال للصائد
مكلب فعلى هذا معناه صايدين وقيل المكلب صاحب الكلاب يقال كلب فهو مكلب وكلاب
وقرء الحسن مكلبين بسكون الكاف وتخفيف اللام ومعناه اصحاب كلاب يقال امشى الرجل
كثرت ماشيته واكلب كثرت كلابه وانشد الاصمعي، وكل فتى وان امشى فاثرى، ستخلجه
عن الدنيا منون، الثامنة قوله تعالى تعلمونهن مما علمكم الله انث الضمير مراعاة للفظة
الجوارح اذ هو جمع جارحة ولا خلاف بين العلماء في شرطين في التعليم وهما ان ياتمر اذا امر وينزجر
اذا زجر لا خلاف في هذين الشرطين في الكلاب وما في معناها من سباع الوحوش واختلف
فيما يصاد به من الطير فالمشهور ان ذلك يشترط فيها عند الجمهور وذكر ابن حبيب انه لا يشترط
فيها ان ينزجر اذا زجر فانه لا يتاتى ذلك فيها غالبا فيكفي انها اذا امرت اطاعت وقال ربيعة
ما اجاب منها اذا دعي فهو المعلم الضاري لان اكثر الحيوان بطبعه ينشلي وقد شرط الشافعي وجمهور
العلماء في التعليم ان يمسك على صاحبه ولم يشترطه مالك في المشهور عنه وقال الشافعي
المعلم هو الذي اذا اشلاه صاحبه استشلى واذا دعاه الى الرجوع رجع اليه ويمسك الصيد
على صاحبه ولا ياكل منه واذا يفعل هذا مرارا وقال اهل العرف صار معلما فهو المعلم وعن
الشافعي ايضا والكوفيين اذا اشلي فانشلى واذا اخذ حبس وفعل ذلك مرة بعد مرة اكل صيده
في المرة الثالثة ومن العلماء من قال يفعل ذلك ثلاث مرات ويوكل صيده في الرابعة ومنهم
من قال اذا فعل ذلك مرة فهو معلم ويوكل صيده في الثانية التاسعة قوله تعالى فكلوا مما
امسكن عليكم اي يحبسن لكم واختلف العلماء في تاويله فقال ابن عباس وابو هريرة والنخعي وقتادة
وابن جبير وعطا ابن ابي رباح وعكرمة والشافعي واحمد واسحق وابو ثور والنعمان واصحابه المعنى
ولم ياكل فان اكل لم يوكل ما بقي لانه امسك على نفسه ولم يمسك على ربه والفهد عند ابي حنيفة
واصحابه كالكلب ولم يشترط ذلك في الطيور بل يوكل ما اكلت منه وقال سعد بن ابي وقاص
وعبدالله بن عمر وسلمان الفارسي وابو هريرة ايضا المعنى وان اكل فاذا اكل الجارح كلبا كان او

فهذا

فهدا او طيرا اكل ما بقي من الصيد وان لم يبق الا بضعة وهذا قول مالك وجميع اصحابه وهو القول الثاني
للشافعي وهو القياس وفي الباب حديثان بمعنى ما ذكرنا احدهما حديث عدي في الكلب المعلم واذا اكل
فلا تاكل فانما امسك على نفسه اخرجه مسلم والثاني حديث ابي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في صيد الكلب اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان اكل منه وكل ما ردت عليك يدك
اخرجه ابو داود وروي عن عدي ولا يصح والصحيح عنه حديث مسلم ولما تعارضت الروايتان راى
بعض اصحابنا وغيرهم الجمع بينهما فحملوا حديث النهي على التنزيه والورع وحديث الاباحة على الجواز
وقالوا ان عديا كان موسعا عليه فافتاه النبي صلى الله عليه وسلم بالكف ورعا وثعلبة كان محتاجا
فافتاه بالجواز والله اعلم وقد دل على صحة هذا التاويل قوله عليه الصلاة والسلام في حديث عدي
فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه هذا تاويل علمائنا وقال ابو عمر في كتاب الاستذكار وقد
عارض حديث عدي هذا حديث ابي ثعلبة والظاهر ان حديث ابي ثعلبة ناسخ له بقوله وان اكل
يا رسول الله قال وان اكل قلت هذا فيه نظر فان التاريخ مجهول والجمع بين الحديثين اولى
ما لم يعلم التاريخ والله اعلم واما اصحاب الشافعي فقالوا ان كان الاكل عن افراط جوع من الكلب اكل
والا لم يوكل فان ذلك من سوء تعليمه وقد روي عن قوم من السلف التفرقة بين ما اكل منه الكلب
والفهد فمنعوه وبين ما اكل منه البازي فاجازوه قاله النخعي والثوري واصحاب الراي وحماد ابن ابي
سليمان وحكي عن ابن عباس وقالوا الكلب يمكن ضربه وزجره والطير لا يمكن ذلك فيه وحد تعلمه
ان يدعى فيجيب واذا اشلي استشلى ولا يمكن فيه اكثر من ذلك والضرب يؤذيه العاشرة والجمهور
من العلماء على ان الجارح اذا شرب من دم الصيد ان الصيد يوكل قال عطا ليس شرب الدم باكل وكره
اكل ذلك الصيد الشعبي وسفيان الثوري ولا خلاف بينهم ان سبب الاباحة الصيد الذي هو عقد
الجارح له لا بد ان يكون متحققا غير مشكوك فيه ومع الشك لا يجوز الاكل وهي الحادية عشر
فان وصل الصايد مع كلبه كلبا فهو محمول على انه غير مرسل من صايد اخر وانه انما انبعث في طلب الصيد
بطبعه ونفسه ولا يختلف في هذا لقوله عليه الصلاة والسلام وان خالطها كلاب من غيرها
فلا تاكل في رواية فانما سميت على نفسك ولم تسم على غيره واما لو ارسله صايد اخر فاشترك الكلبان
فيه فانه للصايدين يكونان شريكين فيه فلو انفذ احد الكلبين مقاتله ثم جاء الاخر فهو للذي
انفذ مقاتله وكذلك لا يوكل ما رمي بسهم فتردى من جبل او غرق في ماء لقوله عليه الصلاة والسلام
لعدي واذا رميت بسهمك فاذكر اسم الله فان غاب عنك يوما فلم تجد فيه الا اثر سهمك
فكل وان وجدته غريقا في الماء فلا تاكل فانك لا تدري الماء قتله او سهمك وهذا نص والله
اعلم الثانية عشر لو مات الصيد في افواه الكلاب من غير بضع لم يوكل لانه مات خنقا فاشبه
ان يذبح بسكين كالة فيموت بالذبح قبل ان يفري حلقه ولو امكنه اخذه من الجوارح ولم
يفعل حتى مات لم يوكل وكان مقصرا في الذكاة لانه صار مقدورا على ذبحه وذكاة المقدور
تخالف ذكاة غير المقدور عليه ولو اخذه ثم مات قبل ان يخرج السكين او تناولها وهي
معه جاز اكله ولو لم تكن السكين معه فتشاغل بطلبها لم توكل وقال الشافعي فيما نالته الجوارح
ولم تدمه قولان احدهما لا يوكل حتى يجرح لقوله تعالى من الجوارح وهو قول ابن القاسم والاخر انه
حل وهو قول اشهب قال اشهب ان مات من صدمة الكلب اكل الثالثة عشر قوله فان
غاب عنك يوما فلم تجد فيه الا اثر سهمك فكل ونحوه في حديث ابي ثعلبة الذي خرجه ابو داود
غير انه زاد فكله بعد ثلاث ما لم ينتن يعارضه قوله عليه الصلاة والسلام كلها اصميت ودع

ما انميت والاصما ما قتل مرعا وانت تراه والانما ان ترمي الصيد فيغيب عنك فيموت وانت لا تراه يقال
قد انميت الرمية فنمت تنمي اذا غابت ثم ماتت قال امرؤ القيس فهو لا تنمي رميته ماله لا عد من عدم
وقد اختلف العلماء في اكل الصيد الغايب على ثلاثة اقوال يوكل مخافة ان يكون قد اعان على قتله
غير السهم من الهوام الثالث الفرق بين السهم فيوكل وبين الكلب فلا يوكل ووجهه ان السهم يقتل
على جهة واحدة فلا يشكل والجارح على جهات متعددة فيشكل والثلاثة الاقوال لعلمائنا وقال
مالك في غير الموطا اذا بات الصيد ثم وجد ميتا فلم ينفذ الكلب او السهم او البازي مقاتله لم
ياكله قال ابو عمر فهذا يدلك انه اذا بلغ مقاتله كان حلالا عنده اكله وان بات الا انه يكره اذا
بات لما جاء عن ابن عباس وان غاب عنك ليلة فلا تاكل ونحوه عن الثوري قال اذا غاب عنه يوما
كرهت اكله وقال الشافعي القياس انه لا ياكله اذا غاب عنه مصرعه وقال الاوزاعي ان وجده من
الغد ميتا ووجد فيه سهمه او اثرا من كلبه فلياكله ونحوه وقال اشهب وعبد الملك واصبغ قالوا
جايز اكل الصيد وان بات اذا انفذت مقاتله وقوله في الحديث ما لم يبيت لانه اذا انتن لحق
بالمستقذرات التي تمجها الطباع فيكره اكلها جاز كما اكل النبي صلى الله عليه وسلم الاهالة السنخة
وهي المنتنة وقيل هو معلل بما يخاف منه الضرر على اكله وعلى هذا التعليل يكون اكله محرما ان كان
الخوف محققا والله اعلم الرابعة عشر واختلف العلماء من هذا الباب في الصيد بكلب اليهودي والنصراني
اذا كان معلما فكرهه الحسن البصري فاما كلب المجوسي وبازه وصقره فكره الصيد بها جابر بن
عبد الله والحسن وعطا ومجاهد والنخعي والثوري واسحق واجاز الصيد بكلابهم مالك والشافعي
وابو حنيفة اذا كان الصايد مسلما قالوا وذلك مثل سفرته واما اذا كان الصايد من اهل الكتاب
فجمهور الامة على جواز صيده غير مالك وفرق بين ذلك وبين ذبيحته وتلا يا ايها الذين امنوا
ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم قال فلم يذكر الله في هذه اليهودي ولا النصراني
وقال ابن وهب واشهب صيد اليهودي والنصراني حلال وذبيحته وفي كتاب محمد لا يجوز صيد الصابي
ولا ذبيحتهم وهم قوم بين اليهود والنصارى ولا دين لهم واما ان كان الصايد مجوسيا فمنع من اكله
مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابهم وجمهور الناس وقال ابو ثور فيهما قولان احدهما كقول
هولاء والثاني ان المجوس من اهل الكتاب وان صيدهم جايز ولو اصطاد السكران او ذبح لم يوكل
صيده ولا ذبيحته لان الذكاة تحتاج الى قصد والسكران لا قصد له الخامسة عشر واختلف النحاة
في من في قوله مما امسكن عليكم فقال الاخفش هي زايدة كقوله من ثمره وخطاه البصريون قالوا
من لا تزاد في الاثبات وانما تزاد في النفي والاستفهام وقوله من ثمره يكفر عنكم من سيئاتكم ويغفر لكم
من ذنوبكم للتبعيض اجاب فقال قد قال يغفر لكم ذنوبكم باسقاط من فدل على زيادتها في الايجاب
اجيب بان من ها هنا للتبعيض لانه انما يحل من الصيد اللحم دون الفرث والدم قلت ليس
هذا بمراد ولا معهود في الاكل فيعكر على ما قال ويحتمل ان يريد مما امسكن مما ابقته الجوارح لكم
وهذا على قول من قال لو اكل الكلب الفريسة لم يضر وبسبب هذا الاحتمال اختلف العلماء في جواز
اكل الصيد على ما تقدم السادسة عشر ودلت الاية على جواز اتخاذ الكلاب واقتنايها للصيد وثبت
ذلك في صحيح السنة وزادت الحرث والماشية وقد كان اول الاسلام امر بقتل الكلاب حتى كان
يقتل كلب المرية من البادية يتبعها روى مسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا
الا كلب صيد او ماشية نقص من اجره كل يوم قيراطين وروى ايضا عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتخذ كلبا الا كلب ماشية او صيدا او زرع انتقص من اجره كل يوم

قيراط قال الزهري وذكر لابن عمر قول ابي هريرة فقال يرحم الله ابا هريرة كان صاحب زرع فقد دلت السنة
على ما ذكرنا وجعل النقص في اجر من اقتناها على غير ذلك من المنفعة اما لترويع الكلب المسلمين
وتشويشه عليهم بنباحه كما قال بعض شعراء البصرة وقد نزل بعمان فسمع لكلابه نباحا فانشا يقول
نزلنا بعمان فاشلى كلابه علينا فكدنا بين بيتيه نوكل فقلت لاصحابي اشير اليهم اذا اليوم من يوم
القيامة اطول او لمنع دخول الملايكة او لنجاسته على ما يراه الشافعي او لاقتحام النهي على اتخاذ
ما لا منفعة فيه والله اعلم وقال في احدى الروايتين قيراطان وفي الاخرى قيراط وذلك يحتمل
ان يكون في نوعين من الكلاب احدهما اشد اذى من الاخر كالاسود الذي امر عليه الصلاة والسلام
بقتله ولم يدخله في الاستثناء حين نهى عن قتلها فقال عليكم بالاسود البهيم ذي الطفيتين
فانه شيطان اخرجه مسلم ويحتمل ان يكون ذلك لاختلاف المواضع فيكون ممسكه بالمدينة
مثلا او بمكة ينقص قيراطان وبغيرهما قيراط والله اعلم واما المباح اتخاذه فلا ينقص اجر متخذه
كالفرس والهر ويجوز بيعه وشراؤه حتى قال سحنون ويحج بثمنه وكلب الماشية المباح اخذه
عند مالك هو الذي يسرح معها لا الذي يحفظها في الدار من السارق وكلب الزرع هو الذي يحفظه
من الوحوش بالليل والنهار لا من السارق وقد اجاز مالك اتخاذها للسارق للماشية والزرع في
الدار والبادية السابعة عشر في هذه دليل على ان العالم له من الفضيلة ما ليس للجاهل لان الكلب اذا
علم له فضيلة على ساير الكلاب فالانسان اذا كان له علم اولى ان يكون له فضل على ساير الناس لا سيما
وان عمل بما علم وهذا كما روي عن علي كرم الله وجهه انه قال لكل شيء قيمة وقيمة المرء ما يحسنه
الثامنة عشر واذكروا اسم الله عليه امر بالتسمية عند الصيد وبقية الصيد والذبح في معنى
التسمية واحد ياتي بيانه في الانعام وقيل المراد بالتسمية هنا عند الاكل وهو الاظهر وفي صحيح
مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن ابي سلمة يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك
وفي حديث حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يستحل الطعام ان لم
يذكر اسم الله عليه الحديث فان نسي التسمية اول الاكل فليسم اخره وروى النسائي عن امية بن مخشي
وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا ياكل ولم
يسم فلما كان في اخر لقمة قال بسم الله اوله واخره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال الشيطان
ياكل معه فلما سمى قاء ما اكل منه التاسعة عشر قوله تعالى واتقوا الله امر بالتقوى على الجملة والاشارة
القريبة هي ما تضمنته هذه الايات من الاوامر وسرعة الحساب هي من حيث كونه تعالى احاط
بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا فلا يحتاج الى محاولة عدد ولا عقد كما يفعله الحساب ولهذا قال
وكفى بنا حاسبين فهو سبحانه يحاسب الخلق دفعة واحدة ويحتمل ان يكون وعيدا بيوم القيامة
كانه قال ان حسابي لكم سريع اتيانه اذ يوم القيامة قريب ويحتمل ان يريد بالحساب المجازاة
فكانه يوعد في الدنيا بمجازاة سريعة قريبة ان لم تتقوا الله قوله تعالى اليوم احل لكم الطيبات
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المومنات والمحصنات من
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين فيه عشر مسايل الاولى قوله تعالى
اليوم احل لكم الطيبات اي اليوم اكملت لكم دينكم واليوم احل لكم الطيبات فاعاد تاكيدا اي
احل لكم الطيبات التي سالتم عنها وكانت الطيبات ابيحت للمسلمين قبل نزول هذه الاية فهذا
جواب سوالهم اذ قالوا ماذا احل لنا وقيل اشار بذكر اليوم الى وقت محمد كما تقول هذه ايام فلان

اي هذا وان ظهوركم وشرع الاسلام فقد اكملت بهذا دينكم واحللت لكم الطيبات وقد تقدم ذكر الطيبات
في الاية قبل هذا الثانية قوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ابتدا وخبر والطعام اسم
لما يوكل والذبايح منه وهو خاص بالذبح عند كثير من اهل العلم بالتاويل واما ما حرم علينا من
طعامهم فليس بداخل تحت عموم الخطاب قال ابن عباس قال الله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه ثم استثنى فقال وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يعني ذبيحة اليهودي والنصراني وان
كان النصراني يقول عند الذبايح باسم المسيح واليهودي باسم عزير وذلك لانهم يذبحون على الملة
وقال عطا كل من ذبيحة النصراني وان قال باسم المسيح لان الله عز وجل قد اباح ذبايحهم وقد علم
ما يقولون وقال القاسم بن محمد كل من ذبيحته وان قال باسم جرجس اسم نبيهم وهو قول الزهري
وربيعة والشعبي ومكحول وروي عن صحابيين عن ابي الدرداء وعبادة بن الصامت وقالت طايفة
اذا سمعت الكتابي يسمي غير الله فلا تاكل وقال بهذا من الصحابة علي وعايشة وابن عمر وهو قول طاوس
والحسن متمسكين بقوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وقال مالك اكره
ذلك ولم يحرمه قلت العجب من الكيا الطبري الذي حكا الاتفاق على جواز اكل ذبيحة اهل
الكتاب ثم اخذ يستدل بذلك على ان التسمية على الذبيحة ليست بشرط فقال ولا شك انهم
لا يسمون على الذبيحة الا الاله الذي ليس معبودا حقيقة مثل المسيح وعزير ولو سموا الاله حقيقة
لم يكن تسميتهم بطريق العبادة وانما كان على طريق اخر واشتراط التسمية لا على وجه العبادة
لا يعقل ووجود التسمية من الكافر وغيرها بمثابة واحدة اذ لم يتصور منه العبادة ولان
النصراني انما يذبح على اسم المسيح وقد حكم الله بحل ذبايحهم مطلقا وفي ذلك دليل على ان
التسمية لا تشترط اصلا كما يقول الشافعي وسياتي بيان هذا للعلماء في الانعام ان شاء الله
تعالى الثالثة ولا خلاف بين العلماء ان ما لا يحتاج الى ذكاته كالطعام الذي لا محاولة فيه
كالفاكهة والبر جاز اكله اذ لا يضير فيه بملك احد والطعام الذي تقع فيه محاولة على
وجهين احدهما ما فيه محاولة صنعة لا تعلق للدين بها كخبز الدقيق وعصير الزيت ونحوه
فهذا ان يجب من الذمي فعلى وجه التعذر والضرب الثاني هو التذكية التي ذكرناها التي هي
محتاجة الى الدين والنية فلما كان القياس ان لا تجوز ذبايحهم كما يقول انه لا صلاة لهم
ولا عبادة لهم مقبولة رخص الله تعالى في ذبايحهم على هذه الاية واخرجها النص على القياس
على ما ذكرناه من قول ابن عباس والله اعلم الرابعة واختلف العلماء ايضا فيما ذكوه هل تعمل
الذكاة فيما حرم عليهم اولا على قولين فالجمهور على انها عاملة في كل الذبيحة ما حل لهم منها وما
حرم لانه مذكى وقالت جماعة من اهل العلم انما احل لنا من ذبيحتهم ما احل لهم لان ما لا يحل لهم
لا يعمل فيه تذكيتهم فمنعت هذه الطائفة الطريف والشحوم المحضة من ذبايح اهل الكتاب و
قصرت لفظ الطعام على البعض وحملته الاولى على العموم في جميع ما يوكل وهذا الخلاف موجود
في مذهب مالك قال ابو عمر كره مالك شحوم اليهود واكل ما نحروا من الابل واكثر اهل العلم لا
يرون بذلك باسا وسياتي هذا في الانعام ان شاء الله تعالى وكان مالك رحمه الله تعالى
يكره ما ذبحوه اذا وجدوا ما ذبحه المسلم وكره ان يكون لهم اسواق يبيعون فيها ما يذبحون وهذا
منه رحمه الله تنزه الخامسة واما المجوس فالعلماء مجمعون الا من شذ منهم على ان ذبايحهم لا توكل
ولا يتزوج منهم لانهم ليسوا اهل كتاب على المشهور عند العلماء ولا باس باكل طعام من لا كتاب له كالمشركين
وعبدة الاوثان ما لم يكن من ذبايحهم ولم يحتج الى ذكاة الا الجبن لما فيه من انفحة الميتة وان

كان ابو الصبي مجوسيا وامه كتابية فحكمه حكم ابيه عند مالك وعند غيره لا توكل ذبيحة الصبي اذا كان احد
ابويه ممن لا تجوز ذبيحته السادسة واما نصارى تغلب وذبايح كل دخيل في اليهودية والنصرانية فكان
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ينهى عن ذبايح بني تغلب لانهم عرب ويقولون انهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية
الا بشرب الخمر وهو قول الشافعي وعلى هذا فليس ينهى عن ذبايح النصارى المحققين منهم وقال جمهور الامة
ان ذبيحة كل نصراني حلال سوا كان من بني تغلب او غيرهم وكذلك اليهودي واحتج ابن عباس بقوله
تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم فلو لم يكن بنو تغلب من النصارى الا بتوليهم اياهم لاكلت ذبايحهم
السابعة ولا باس بالاكل والشرب والطبخ في انية الكفار كلهم ما لم تكن ذهبا او فضة او جلد خنزير بعد
ان تغسل وتغلى لانهم لا يتوقون النجاسات وياكلون الميتات فاذا طبخوا في تلك القدور تنجست وربما
سرت النجاسات في اجزا قدر الفخار فاذا طبخ فيها بعد ذلك توقع مخالطة تلك الاجزاء النجسة للمطبوخ
في القدر ثانيا فاقتضى الورع الكف عنها وروي عن ابن عباس انه قال ان كان الاناء من حديد او
نحاس غسل وان كان من فخار اغلي فيه الماء ثم غسل هذا اذا احتيج اليه وقال مالك فاما ما يستعملونه لغير
الطبخ فلا باس باستعماله بغير غسل لما روى الدارقطني عن عمر انه توضا من بيت نصراني في حق نصرانية
وهو صحيح وسياتي في الفرقان بكماله وفي صحيح مسلم من حديث ابي ثعلبة الخشني قال اتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انا بارض قوم اهل كتاب نأكل في انيتهم وارض صيد اصيد بقوسي
واصيد بكلبي المعلم او بكلبي الذي ليس بمعلم فاخبرني ما الذي يحل لي من ذلك فقال اما ما ذكرت انكم
بارض قوم اهل كتاب تاكلون في انيتهم فان وجدتم غير انيتهم فلا تاكلوا فيها فان لم تجدوا فاغسلوها
ثم كلوا فيها ثم ذكر الحديث الثامنة قوله تعالى وطعامكم حل لهم دليل على انهم مخاطبون بتفاصيل
شرعنا اي اذا اشتروا منا اللحم يحل لهم اللحم ويحل لنا الثمن الماخوذ منهم التاسعة قوله تعالى والمحصنات
من المومنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم الاية وقد تقدم معناها في البقرة والنسا
والحمد لله وروي عن ابن عباس في قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم هو على العهد
دون دار الحرب فيكون خاصا وقال غيره يجوز نكاح الذمية والحربية لعموم الاية وروي عن ابن
عباس انه قال المحصنات العفيفات العاقلات وقال الشعبي هو ان تحصن فرجها فلا تزني وتغتسل
من الجنابة وقرا الشعبي والمحصنات بكسر الصاد وبه قرا الكسائي وقال مجاهد المحصنات الحراير قال
ابو عبيد يذهب الى انه لا يحل نكاح اماء اهل الكتاب لقوله عز وجل فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم
المومنات وهذا القول الذي عليه جلة العلماء قيل لما قال الله عز وجل والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم قال اهل الكتاب لولا ان الله رضي ديننا لم يبح لكم نكاحنا العاشرة قوله ومن يكفر
بالايمان اي بما انزل على محمد وقال ابو الهيثم الباء صلة اي ومن يكفر الايمان اي يجحده فقد حبط عمله
وقرا ابن السميقع فقد حبط بفتح الباء وقيل لما ذكرت فرايض واحكام يلزم القيام بها ذكر الوعيد
على مخالفتها لما في ذلك من تاكيد الزجر عن تضييعها وروي عن ابن عباس ومجاهد ان المعنى ومن
يكفر بالله قال الحسن بن الفضل ان صحت هذه الاية فمعناها برب الايمان وقال الشيخ ابو الحسن
الاشعري لا يجوز ان يسمى الله ايمانا خلافا للحشوية السالمية لان الايمان مصدر امن يومن ايمانا
واسم الفاعل منه مومن والايمان التصديق لا يكون كلاما ولا يجوز ان يكون الثاني كلاما قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم
وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من
الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما

يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون فيه ثلاثون
مسئلة الاولى قوله يا ايها ذكر القشيري وابن عطية ان هذه الاية نزلت في قصة عائشة حين فقدت
العقد في غزوة المريسيع وهي اية الوضوء وقال ابن عطية لكن من حيث كان الوضوء متقررا عندهم
مستعملا فكان الاية لم تزدهم فيه الا تلاوته وانما اعطتهم الفائدة والرخصة في التيمم وقد ذكرنا
في اية النساء خلاف هذا والله اعلم وحكم هذه الاية داخل فيما امر به من الوفاء بالعقود واحكام
الشرع وفيما ذكر من اتمام النعم فان هذه الرخصة من تمام النعم الثانية واختلف العلما في المعنى
المراد في قوله اذا قمتم الى الصلاة على اقوال فقالت طايفة هذا لفظ تمام في كل قيام الى الصلاة ان
يتوضا وكان علي يفعله وروي نحوه عن عكرمة وقال ابن سيرين كان الخلفا يتوضؤن لكل
صلاة قلت فالاية على هذا محكمة لا نسخ فيها وقالت طايفة الخطاب خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم
قال عبد الله بن حنظلة ابن ابي عامر الغسيل ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالوضوء عند كل صلاة فشق
ذلك عليه فامر بالسؤال ودفع عنه الوضوء الا من حدث وقال علقمة عن ابيه وهو من الصحابة وكان
دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك نزلت هذه الاية رخصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه لا يعمل عملا الا وهو على وضوء ولا يكلم احدا ولا يرد سلاما الى غير ذلك فاعلمه الله بهذه الاية
ان الوضوء انما هو الى القيام الى الصلاة فقط دون ساير الاعمال وقالت طايفة المراد بالاية الوضوء
لكل صلاة طلبا للفضل وكان عليه الصلاة والسلام يفعل ذلك الى ان جمع يوم الفتح بين الصلوات
الخمس بوضوء واحد ارادة البيان لامته صلى الله عليه وسلم قلت وظاهر هذا القول ان الوضوء لكل
صلاة قبل ورود الناسخ كان مستحبا لا ايجابا وليس كذلك كان الامر اذا ورد مقتضاه الوجوب
لا سيما عند الصحابة رضوان الله عليهم ما هو معروف من سيرتهم وقال اخرون ان الفرض في الوضوء
كان لكل صلاة ثم نسخ في فتح مكة وهذا غلط لحديث انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضا
لكل صلاة وان امته كانت على خلاف ذلك وسياتي ولحديث سويد بن النعمان ان النبي صلى الله
عليه وسلم صلى وهو بالصهباء العصر والمغرب بوضوء واحد وذلك في غزوة خيبر وهي في سنة ست
وقيل في سنة سبع وفتح مكة في سنة ثمان وهو حديث صحيح رواه مالك في موطانه واخرجه
البخاري ومسلم فبان بهذين الحديثين ان الفرض لم يكن قبل الفتح لكل صلاة فان قيل فقد روى
مسلم عن بريدة ابن الحصيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضا لكل صلاة فلما كان يوم
الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد ومسح على خفيه فقال عمر رضي الله عنه لقد صنعت اليوم شيئا
لم تكن تصنعه فقال عمدا صنعت يا عمر فلما سأله عمر واستفهمه قيل له انما سأله لمخالفته عادته
منذ صلاته بخيبر والله اعلم وروى الترمذي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوضا لكل
صلاة طاهرا او غير طاهر قال حميد قلت لانس وكيف كنتم تصنعون قال كنا نتوضا وضوءا واحدا
قال الحديث حسن صحيح وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الوضوء على الوضوء نور وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يتوضا مجددا لكل صلاة وقد سلم عليه رجل وهو يبول فلم يرد عليه حتى تيمم
ثم رد الى السلام وقال اني كرهت ان اذكر الله الا على طهارة ثم رد السلام رواه الدارقطني و
قال السدي وزيد بن اسلم ومعنى الاية اذا قمتم الى الصلاة يريد من المضاجع والمقصد بهذا
التاويل ان يعم الاحداث بالذكر ولا سيما النوم الذي هو مختلف فيه هل هو حدث في نفسه ام لا وفي
الاية على هذا التاويل تقديم وتاخير التقدير يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة من النوم او جاء
احد منكم من الغائط او لامستم النساء الملامسة الصغرى فاغسلوا فتمت احكام الحدث حدثا اصغر

ثم قال وان كنتم جنبا فاطهروا فهذا حكم نوع اخر ثم قال للنوعين جميعا وان كنتم مرضى او على سفر فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا وقال بهذا التاويل محمد بن سلمة من اصحاب مالك رحمه الله وغيره وقال جمهور
اهل العلم معنى الاية اذا قمتم الى الصلاة محدثين وليس في الاية على هذا تقديم وتاخير بل ترتب في الاية حكم
واحد الما الى قوله فاطهروا ودخلت الملامسة الصغرى في قوله محدثين ثم ذكر بعد قوله وان كنتم جنبا
فاطهروا حكم عادم الماء من النوعين جميعا وكانت الملامسة هي الجماع لا بد ان تذكر الجنب لعادم الماء
كما ذكر الواجد وهذا تاويل الشافعي وغيره وعليه تحمل اقوال الصحابة كسعد بن ابي وقاص وابن عباس
وابي موسى الاشعري وغيرهم قلت وهذان التاويلان احسن ما قيل في هذه الاية والله اعلم و
معنى اذا قمتم الى الصلاة اردتم القيام كما اذا قال فاذا قرأت القرآن فاستعذ اي اذا اردت لان الوضوء
حالة القيام الى الصلاة لا يمكن الثالثة قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم ذكر الله تعالى اربعة اعضاء الوجه
وفرضه الغسل واليدين كذلك والرأس وفرضه المسح اتفاقا واختلف في الرجلين على ما ياتي لم يذكر
سواها فدل ذلك على ان ما عداها اداب وسنن ولا بد في غسل الوجه من نقل الماء اليه وامرار اليد
عليه وهذه حقيقة الغسل عندنا وقد بيناه في النساء وقال غيره انما عليه اجرا الماء وجمع يديه ولم
يذكر غسل وجهه ويده ومعلوم انه لا يعتبر في ذلك غير حصول الاسم فاذا حصل كفى والوجه ماخوذ من
المواجهة وهو عضو مشتمل على اعضاء وله طول وعرض فحده في الطول من مبتدا سطح الجبهة الى منتهى
اللحيين ومن الاذن الى الاذن في العرض وهذا في الامرد واما الملتحي فان اكتسى الذقن بالشعر فلا يخلوا
ان يكون خفيفا او كثيفا فان كان الاول بحيث يتبين معه البشرة فلا بد من ايصال الماء اليها وان
كان كثيفا فقد انتقل الفرض اليه كشعر الراس ثم زاد على الذقن من الشعر واسترسل من اللحية فقال
سحنون عن ابن القاسم سمعت مالكا سئل هل سمعت بعض اهل العلم يقول ان اللحية من الوجه فليمر
عليها الماء فقال نعم وتخليلها في الوضوء ليس من امر الناس وعاب ذلك على من فعله وذكر
ابن القاسم ايضا عن مالك قال الشافعي يحرك المتوضي ظاهر لحيته من غير ان يدخل يده فيها قال
وهي مثل اصابع الرجلين قال ابن عبد الحكم تخليل اللحية واجب في الوضوء والغسل قال ابو عمر روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خلل لحيته من وجوه كلها ضعيفة وذكر ابن خويز منداد ان الفقهاء اتفقوا
على ان تخليل اللحية ليس بواجب في الوضوء الا شيئا روي عن سعيد بن جبير قوله ما بال الرجل
يغسل لحيته قبل ان تنبت فاذا نبتت لم يغسلها وما بال الامرد يغسل ذقنه ولا يغسله ذو اللحية
قال الطحاوي التيمم واجب فيه مسح البشرة قبل نبات الشعر في الوجه ثم سقط بعضه عند جميعهم
وكذلك الوضوء قال ابو عمر من جعل غسل اللحية كلها واجبا جعلها وجها لان الوجه ماخوذ من
المواجهة والله قد امر بغسل الوجه امرا مطلقا لم يخص صاحب لحية من امرد فوجب غسلها بظاهر القران
لانها بدل من البشرة قلت واختار هذا القول ابن العربي وبه اقول لما روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يغسل لحيته خرجه الترمذي وغيره فعين المحتمل بالفعل وحكي ابن المنذر عن اسحق ان من
ترك تخليل لحيته عامدا اعاد وروي الترمذي عن عثمان بن عفان ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يخلل لحيته قال هذا حديث حسن صحيح قال ابو عمر ومن لم يوجب غسل ما انسدل من اللحية ليس
تحته ما يلزم غسله فيكون غسل اللحية بدلا منه واختلفوا ايضا في غسل ما وراء العذار الى الاذن
فروى ابن وهب عن مالك قال ليس ما خلف الصدغ الذي من وراء شعر اللحية الى الذقن من الوجه
قال ابو عمر لا اعلم احدا من فقهاء الامصار قال بما رواه ابن وهب عن مالك وقال ابو حنيفة واصحابه
البياض الذي بين العذار والاذن من الوجه وغسله واجب وهو قول الشافعي واحمد وقيل

يغسل البياض استحبابًا قال ابن العربي والصحيح عندي انه لا يجب غسله الا للامرد وهو اختيار القاضي
عبد الوهاب وسبب الخلاف هل يقع عليه المواجهة ام لا والله اعلم وبسبب هذا الاحتمال اختلفوا
هل يتناول الامر بغسل الوجه باطن الانف والفم ام لا فذهب احمد بن حنبل واسحق وغيرهما الى وجوب
ذلك في الوضوء والغسل الا ان احمد قال له يعيد من ترك الاستنشاق من وضوئه ولا يعيد من ترك
المضمضة وقال عامة الفقهاء هما سنتان في الوضوء والغسل لان الامر انما يتناول الظاهر دون
الباطن والعرب لا تسمي وجها الا ما وقعت عليه المواجهة ثم ان الله تعالى لم يذكرهما في كتابه
ولا اوجبهما المسلمون ولا اتفق الجمع عليه والفرايض لا تثبت من هذه الوجوه وقد مضى هذا
المعنى في النساء واما العينان فالناس كلهم مجمعون على ان داخل العينين لا يلزم غسله الا ما روي
عن عبد الله بن عمر انه كان ينضح الماء في عينيه وانما سقط غسلهما للتأذي بذلك والحرج قال ابن
العربي كان ابن عمر لما عمي يغسل عينيه اذ كان لا يتأذى بذلك واذا تقرر هذا من حكم الوجه فلا بد
من غسل جزء من الراس مع الوجه من غير تحديد كما لا بد على القول من وجوب عموم الراس من غسل
جزء معه من الوجه لا يتقدر وهذا ينبني على اصل من اصول الفقه وهو ان ما لا يتم الواجب الا به
فهو واجب والله اعلم الرابعة وجمهور العلماء على ان الوضوء لا بد فيه من نية لقوله عليه السلام
انما الاعمال بالنيات قال البخاري ويدخل فيه الايمان والوضوء والصلاة والزكاة والحج والصوم
والاحكام وقال الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته يعني على نيته وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ولكن جهاد ونية وقال كثير من الشافعية لا حاجة الى النية وهو قول الحنفية قالوا لا تجب النية
الا في الفروض التي هي المقصودة لاعيانها ولم تجعل سببا لغيرها فاما ما كان شرطا لصحة فعل آخر
فليس يجب ذلك فيه بنفس ورود الامر الا بدلالة تقارنه والطهارة شرط فان من لا صلاة عليه
لا يجب عليه فرض الطهارة كالحايض والنفساء احتج علماؤنا وبعض الشافعية بقوله تعالى اذا قمتم
الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم فلما وجب غسل الوجه كانت النية شرطا في صحة الفعل لان الفرض من
قبل الله تعالى فينبغي ان يجب فعل ما امر الله به فاذا قلنا ان النية لا تجب عليه لم يجب عليه القصد
الى فعل ما امر الله ومعلوم ان الذي اغتسل تبردا او غرض ما قصد اداء الواجب وصح في الحديث
ان الوضوء يكفر فلو صح بغير نية لما كفر وقال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين الخامسة قال ابن العربي قال بعض علمائنا ان من خرج من النهر بنية الغسل اجزاه
وان عزبت نيته في الطريق ولو خرج الى الحمام فعزبت في اثناء الطريق بطلت النية قال القاضي
ابو بكر بن العربي فركبت على هذا سفساف المفتيين ان نية الصلاة تخرج على القولين واوردوا
فيها نصا عمن لا يفرق بين الظن واليقين بانه قال يجوز ان تتقدم النية على التكبير والله رب
العالمين من امة ارادت ان تكون مفتية مجتهدة فما وفقها الله ولا سددها اعلموا رحمكم الله ان
النية في الوضوء مختلف في وجوبها بين العلماء وقد اختلف فيها قول مالك فلما نزلت عن
مرتبة الاتفاق سومح في تقديمها في بعض المواضع فاما الصلاة فلم يختلف احد من الائمة
وهي اصل مقصود فكيف يحمل الاصل المقصود المتفق عليه على الفرع التابع المختلف فيه على هذا
لا عيادة العبادة واما الصوم فان الشرع دفع الحرج فيه لما كان ابتداؤه في وقت الغفلة بتقديم
النية عليه السادسة قوله تعالى وايديكم الى المرافق واختلف الناس في دخول المرافق في التحديد
فقال قوم نعم لان ما بعد الى اذا كان من نوع ما قبلها دخل فيه قاله سيبويه وغيره وقد مضى
هذا في البقرة مبينا وقيل لا يدخل المرفقان في الغسل والروايتان مرويتان عن مالك الثانية

لاتهب

لاشهب والاولى عليها اكثر العلماء وهو الصحيح لما روى الدارقطني عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا توضأ ادار الماء على مرفقيه وقد قال بعضهم ان الى بمعنى مع كقولهم الذود الى الذود ابل اي مع
الذود وهذا لا يحتاج اليه كما بيناه في النساء ولان اليد عند العرب يقع على اطراف الاصابع الى الكف
وكذلك الرجل يقع على الاصابع الى الفخذ فالمرفق داخل تحت اسم اليد فلو كان المعنى مع المرافق لم يفد
فلما قال الى اقتطع عن حد المرفق عن الغسل وبقيت المرافق مغسولة الى الظفر وهذا كلام صحيح يجري على
الاصول لغة ومعنى قال ابن العربي وما فهم احد مقطع المسئلة الا القاضي ابو محمد فانه قال الى المرافق
حد للمتروك من اليدين لا للمغسول فيهما ولذلك تدخل المرافق في الغسل قلت لما كان اليد والرجل
يطلق في اللغة على ما ذكرنا كان ابو هريرة يبلغ بالوضوء ابطه وساقه فيقول سمعت خليلي صلى الله
عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء قال القاضي عياض والناس مجمعون على خلاف
هذا وان لا يتعدى حدوده لقوله عليه الصلاة والسلام فمن زاد فقد تعدى وظلم قال غيره كان
هذا الفعل مذهب له ومما انفرد به ولم يحكه عن النبي صلى الله عليه وسلم وانما استنبطه من قوله عليه
الصلاة والسلام انتم الغر المحجلون ومن قوله تبلغ الحلية كما ذكر السابعة قوله تعالى وامسحوا برؤوسكم
تقدم في النساء ان المسح لفظ مشترك واما الراس فهو عبارة عن الجملة التي يعلمها الناس ضرورة ومنها
الوجه فلما ذكره الله عز وجل في الوضوء وعين الوجه للغسل بقي باقيه للمسح ولو لم يذكر المسح لوجب مسح
جميع ما عليه شعر من الراس وما فيه العينان والانف والفم وقد اشار مالك في وجوب
مسح الراس الى ما ذكرنا فانه سئل عن الذي يترك بعض راسه في الوضوء فقال ارايت ان ترك
غسل بعض وجهه كان يجزيه ووضح بهذا الذي ذكرناه ان الاذنين من الراس وان حكمهما حكم الراس
خلافا للزهري حيث قال هما من الوجه يغسلان معه وخلافا للشعبي حيث قال ما اقبل منهما من الوجه
وظاهرهما من الراس وهو قول الحسن واسحق وحكاه ابو   عن الشافعي وسياتي بيان حجتهما وانما سمي
الراس راسا لعلوه ونبات الشعر فيه ومنه راس الجبل وانما قلنا ان الراس اسم لجملة اعضاء لقول الشاعر
اذا احتملوا راسي وفي الراس اكثري   وغودر عند الملتقى ثم سائري الثامنة واختلف العلماء في
تقدير مسحه على احد عشر قولا ثلاثة اقوال لابي حنيفة وقولان للشافعي وستة اقوال لعلمائنا والصحيح
منها واحد وهو وجوب تعميمه لما ذكرناه واجمع العلماء على ان من مسح راسه فقد احسن وفعل ما
يلزمه والبا مؤكدة زائدة ليست للتبعيض والمعنى وامسحوا رؤوسكم وقيل دخولها هنا كدخولها في
التيمم في قوله وامسحوا بوجوهكم فلو كان معناها التبعيض لافادت في ذلك المكان وهذا قاطع
وقيل انما دخلت لتفيد معنى بديعا وهو ان الغسل لغة يقتضي مغسولا به والمسح لغة لا يقتضي ممسوحا
به فلو قال وامسحوا رؤوسكم لاجزأ المسح باليد امرارا من غير شيء على الراس فدخلت الباء لتفيد ممسوحا
به وهو الماء فكانه قال وامسحوا برؤوسكم الماء وذلك فصيح في اللغة على وجهين اما على القلب كما
انشد سيبويه ۝ كنواح ريش حمامة نجدية ۝ ومسحت باللثتين عصف الاثمد ۝ واللثة هي الممسوحة
بعصف الاثمد فقلبت واما على الاشتراك في الفعل والتساوي في نسبته كقول الشاعر ۝ مثل
المعاقد مدّاحون مذ بلغت ۝ نجران او بلغت سواتهم هجر ۝ فهذا ما للعلماء في معنى الباء وقال
الشافعي احتمل قوله تعالى وامسحوا برؤوسكم بعض الراس ومسح جميعه فدلت السنة ان مسح بعضه
يجزي وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم مسح بناصيته وقال في موضع آخر فان قال قد قال الله
عز وجل فامسحوا بوجوهكم في التيمم مسح بعض الوجه فمنه قيل له مسح في التيمم بدل من غسل فلا بد
ان ياتي بالمسح على جميع موضع الغسل منه ومسح الراس اصل فهذا فرق ما بينهما اجاب علماؤنا عن

الحديث بان قالوا لعل النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لعذر لا سيما وكان هذا الفعل منه صلى الله عليه وسلم
في السفر وهو مظنة الاعذار وموضع الاستعجال والاختصار وحذف كثير من الفرايض لاجل المشقات
والاخطار ثم هو لم يكتف بالناصية حتى مسح بالعمامة واخرجه مسلم من حديث المغيرة بن شعبة فلو لم
يكن مسح جميع الراس واجبا لما مسح على العمامة والله اعلم التاسعة وجمهور العلما على ان مسحة واحدة موعبة
كاملة تجزي وقال الشافعي يمسح راسه ثلاثا وروي عن انس وسعيد بن جبير وعطا وكان ابن سيرين
يمسح مرتين وقال داود احاديث عثمان الصحاح كلها تدل على مسح الراس انه مرة فانهم ذكروا الوضوء
مرة مرة قالوا فيها ومسح براسه ولم يذكروا عددا العاشرة واختلفوا من اين يبدا بمسحه فقال مالك
يبدا بمقدم راسه ثم يذهب بيديه الى موخره ثم يردهما الى مقدمه على حديث عبد الله بن زيد
اخرجه مسلم وبه يقول الشافعي وابن حنبل وكان الحسن بن حي يبدا بموخر الراس على حديث الربيع بنت
معوذ بن عفرا وهو حديث يختلف في الفاظه وهو يدور على عبد الله بن محمد بن عقيل وليس بالحافظ
عندهم اخرجه ابو داود من رواية بشر بن المفضل عن عبد الله ابن الربيع وروي ابن عجلان عنه
عن الربيع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا عندنا فمسح الراس كله من قرن الشعر كل ناحية بمنصب
الشعر لا يحرك الشعر عن هيبته وروت هذه الصفة عن ابن عمر وانه كان يبدا من وسط راسه
واصح ما في هذا الباب حديث عبد الله بن زيد وكل من اجاز بعض الراس فانما يرى ذلك البعض في
مقدم الراس وروي ابراهيم والشعبي قالا اي نواحي راسك مسحت اجزا عنك ومسح ابن عمر اليافوخ
فقط والاجماع منعقد على استحباب المسح باليدين معا وعلى الاجزا ان مسح بيد واحدة واختلف فيمن
مسح باصبع واحدة حتى عم ما ترى انه يجزيه من الراس فالمشهور ان ذلك لا يجزي لانه خروج عن
سنة المسح وكانه لعب الا ان يكون ذلك عن ضرورة مرض فينبغي ان لا يختلف في الاجزا وقال ابو حنيفة
وابو يوسف ومحمد لا يجزي مسح الراس باقل من ثلاث اصابع واختلفوا في رد اليدين على شعر الراس
هل هو فرض او سنة بعقد الاجماع على ان المسحة الاولى فرض بالقران فالجمهور على انه سنة وقيل
هو فرض الحادية عشر فلو غسل متوضي راسه بدل المسح فقال ابن العربي لا نعلم خلافا ان ذلك يجزيه
الا ما اخبرنا الامام فخر الاسلام الشاشي في الدرس عن ابي العباس ابن القاص من اصحابهم قال لا يجزيه
وهذا لا يولج في مذهب الداودية الفاسد من اتباع الظاهر المبطل للشريعة الذي ذم الله سبحانه
في قوله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وقال ام بظاهر من القول والا فقد جاء هذا الغاسل
بما امر وزيادة فان قيل هذه زيادة خرجت عن اللفظ المعتد به قلنا ولم تخرج عن معناه
في ايصال الفعل الى المحل ولذلك لو مسح راسه ثم حلقه لم يكن عليه اعادة المسح الثانية عشر
واما الاذنان فانهما من الراس عند مالك ومحمد والثوري وابي حنيفة وغيرهم ثم اختلفوا في
تجديد الماء فقال مالك واحمد يستانف لهما ماء جديدا سوى الماء الذي مسح به الراس على ما فعل
ابن عمر وهكذا قال الشافعي في تجديد الماء وقال هما سنة على حيالهما لا من الوجه ولا من الراس
لاتفاق العلما على انه لا يحلق ما عليهما من الشعر في الحج وقول ابي ثور في هذا كقول الشافعي وقال
الثوري وابو حنيفة يمسحان مع الراس بماء واحد وروي مثل هذا القول عن جماعة من السلف من
الصحابة والتابعين وقال داود ان مسح اذنيه فحسن والا فلا شيء عليه اذ ليستا مذكورتين
في القران قيل له اسم الراس تضمنهما كما بيناه وقد جاءت احاديث صحيحة في كتاب النسائي وابي داود
وغيرهما فان النبي صلى الله عليه وسلم مسح ظاهرهما وباطنهما وادخل اصبعيه في صماخيه وانما يدل عدم
ذكرهما من الكتاب على انهما ليستا بفرض كغسل الوجه واليدين وثبتت سنة مسحهما بالسنة واهل العلم

يكرهون

يكرهون للمتوضي ترك مسح اذنيه ويجعلونه تارك سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يوجبون
عليه اعادة الا اسحاق فانه قال ان ترك مسح اذنيه لم يجزه وقال احمد ان تركهما عمدا احببت ان
يعيد وروي عن علي بن زياد من اصحاب مالك انه قال من ترك سنة من سنن الوضوء او الصلاة
عامدا اعاد وهذا عند الفقها ضعيف وليس لقايله سلف ولا له حظ من النظر ولو كان كذلك
لم يعرف الفرض الواجب من غيره والله اعلم احتج من قال هما من الوجه بما ثبت عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان يقول في سجوده سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فاضاف السمع الى
الوجه فثبت ان يكون لهما حكم الوجه وفي مصنف ابي داود من حديث عثمان فغسل بطونهما وظهورهما
مرة واحدة ثم غسل رجليه ثم قال اين السايلون عن الوضوء هكذا رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتوضا احتج من قال يغسل ظاهرهما مع الوجه وباطنهما يمسح مع الراس بان الله عز وجل قد امر
بغسل الوجه وامر بمسح الراس فما واجهك من الاذنين وجب غسله لانه من الوجه وما لم يواجهك
وجب مسحه لانه من الراس وهكذا رده الاثار بان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمسح ظاهر اذنيه
وباطنهما من حديث علي وعثمان وابن عباس والربيع وغيرهم احتج من قال هما من الراس بقوله صلى الله عليه
وسلم في حديث الصنابحي فاذا مسح راسه خرجت الخطايا من راسه حتى تخرج من اذنيه اخرجه مالك
الثالثة عشر قوله تعالى وارجلكم قرا نافع وابن عامر والكسائي وارجلكم بالنصب وروى الوليد بن
مسلم عن نافع انه قرا وارجلكم بالرفع وهي قراءة الحسن والاعمش سليمان وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة
وارجلكم بالخفض وبحسب هذه القراءات اختلفت الصحابة والتابعون فمن قرا بالنصب جعل العامل
اغسلوا وبنى على ان الفرض في الرجلين الغسل دون المسح وهذا مذهب الجمهور والكافة من العلما وهو
الثابت من فعل النبي صلى الله عليه وسلم واللازم من قوله في غير ما حديث وقد راى قوما يتوضون
واعقابهم تلوح فنادى باعلى صوته ويل للاعقاب من النار اسبغوا الوضوء ثم ان الله حدهما فقال
الى الكعبين كما قال في اليدين الى المرفقين على وجوب غسلهما والله اعلم ومن قرا بالخفض جعل العامل
البا قال ابن العربي اتفقت الامة على وجوب غسلهما وما علمت من رد ذلك الا الطبري من فقهاء
المسلمين والرافضة من غيرهم وتعلق الطبري بقراءة الخفض قلت وقد روي عن ابن عباس
انه قال الوضوء غسلتان ومسحتان وروي ان الحجاج خطب بالاهواز فذكر الوضوء فقال اغسلوا
وجوهكم وايديكم وامسحوا برؤسكم وارجلكم فانه ليس شيء من ابن آدم اقرب من خبثه من قدميه
فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما فسمع انس بن مالك ذلك فقال صدق الله وكذب الحجاج قال
الله وامسحوا برؤسكم وارجلكم قال فكان اذا مسح رجليه بلهما وروي عن انس ايضا ان القران
نزل بالمسح والسنة بالغسل وكان عكرمة يمسح رجليه وقال ليس في الرجلين غسل انما نزل
فيهما المسح وقال عامر الشعبي نزل جبريل بالمسح الا ترى ان التيمم يمسح فيه ما كان غسلا ويلغي ما كان
مسحا وقال قتادة افترض الله غسلتين ومسحتين وذهب ابن جرير الطبري الى ان فرضهما التخيير
بين المسح والغسل وجعل القراءتين كالروايتين قال النحاس ومن احسن ما قيل فيه ان المسح
والغسل واجبان جميعا فالمسح واجب على قراءة من قرا بالخفض والغسل واجب على قراءة من
قرا بالنصب والقراءتان بمنزلة آيتين وقال ابن عطية وذهب قوم ممن يقرا بالكسر الى ان المسح
في الرجلين هو الغسل قلت وهو الصحيح فان لفظ المسح مشترك يطلق بمعنى المسح ويطلق بمعنى
الغسل قال الهروي واخبرنا الازهري اخبرنا ابو بكر محمد بن عثمان بن سعيد الدارمي عن ابي
حاتم عن ابي زيد الانصاري قال المسح في كلام العرب يكون مسحا ويكون غسلا ومنه يقال للرجل اذا

توضا فغسل اعضاه قد مسح ويقال قد مسح الله ما بك اي غسلك وطهرك من الذنوب فاذا ثبت
بالنقل عن العرب ان المسح يكون بمعنى الغسل فترجح قول من قال من العرب هذا جحر ضب خرب بجره
وانما هو رفع وهذا مذهب الاخفش وابي عبيدة ورده النحاس وقال هذا القول غلط عظيم لان
الجوار لا يكون في الكلام ان يقاس عليه وانما هو غلط ونظيره الاقوا قلت والقاطع في الباب من
ان فرض الرجلين الغسل ما قدمناه وما ثبت من قوله عليه الصلاة والسلام ويل للاعقاب من النار
وبطون الاقدام من النار فخوفنا ذكر النار من مخالفة مراد الله عز وجل ومعلوم ان النار لا يعذب
بها الا من ترك الواجب ومعلوم ان المسح ليس شانه الاستيعاب ولا خلاف بين القايلين بالمسح على
الرجلين اي على ظهورهما لا على بطونهما فتبين بهذا الحديث بطلان قول من قال بالمسح اذ لا مدخل
لمسح بطونهما عندهم وانما ذلك يدرك بالمسح لا بالغسل ودليل اخر من جهة الاجماع وذلك انهم
اتفقوا على ان من غسل قدميه فقد ادى الواجب عليه واختلفوا فيمن مسح قدميه فاليقين ما اجمعوا
عليه دون ما اختلفوا فيه ونقل الجمهور كافة عن كافة عن نبيهم صلى الله عليه وسلم انه كان يغسل
رجليه في وضوئه مرة وثنتين وثلاثا حتى ينقيهما وحسبك بهذا حجة في الغسل مع ما بيناه فقد
وضح وظهر ان قراءة الخفض المعنى فيها الغسل لا المسح كما ذكرنا وان العامل في قوله وارجلكم قوله
فاغسلوا والعرب قد تعطف الشي على الشي بفعل ينفرد به احدهما تقول اكلت الخبز واللبن و
شربت اللبن ومنه قول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا وقال اخر ورايت زوجك في الوغا
متقلدا سيفا ورمحا وقال اخر واطفلت بالجلهتين ظباؤها وفرخت نعامها والنعام لا يطفل
انما يفرخ واطفلت كان لها اطفال والجلهتان جنبا الوادي وقال اخر شراب البان واكل تمر فيكون
وامسحوا برؤسكم وارجلكم عطف بالغسل على المسح حملا على المعنى والمراد الغسل والله اعلم الرابعة عشر
قوله تعالى الى الكعبين روى البخاري حدثني موسى قال حدثنا وهيب عن عمرو وهو ابن يحيى
عن ابيه قال شهدت عمر ابن ابي حسن سال عبد الله بن زيد عن وضوء رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاكفا على يده من التور فغسل يديه ثلاثا ثم ادخل في التور فمضمض واستنشق
واستنثر ثلاث مرات ثم ادخل يده فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده فغسل يديه الى المرفقين
ثلاثا ثم ادخل يده فمسح راسه فاقبل بهما وادبر مرة واحدة ثم غسل رجليه الى الكعبين ثلاثا
ففي هذا الحديث دليل على ان الباء في قوله وامسحوا برؤسكم وارجلكم زايدة لقوله فمسح راسه ولم
يقل براسه وان مسح الراس مرة وقد جاء مبينا في كتاب مسلم من حديث عبد الله بن زيد يفسر
قوله فاقبل بهما وادبر بدا بمقدم راسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان
الذي بدا منه واختلف في الكعبين فالجمهور على انهما العظمان الناتيان في جنبي الرجل وانكر
الاصمعي قول من قال ان الكعب في ظهر القدم قاله في الصحاح وروي عن ابن القاسم قاله محمد ابن
الحسن قال ابن عطية ولا اعلم احدا جعل حد الوضوء الى هذا ولكن عبد الوهاب في التلقين جاء في
ذلك بلفظ تخليط وابهام وقال الشافعي رحمه الله لم اعلم مخالفا في ان الكعبين هما العظمان
في مجمع مفصل الساق وروى الطبري عن يونس عن ابن شهاب عن مالك قال الكعبان اللذان
يجب الوضوء اليهما العظمان الملتصقان بالساق المحاذيان للعقب وليس بالظاهر في وجه القدم
قلت هذا هو الصحيح لغة وسنة فان الكعب في كلام العرب ماخوذ من العلو ومنه سميت
الكعبة ومنه كعب المراة اذا فلك ثديها وكعب القناة انبوبها وانبوب ما بين كل عقدتين
كعب وقد يستعمل في الشرف والمجد تشبيها ومنه الحديث والله لا يزال كعبك عاليا واما السنة

فقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو داود عن النعمان بن بشير والله لتقيمن صفوفكم او ليخالفن الله
بين قلوبكم يلزق منكبه بمنكب صاحبه وركبته بركبة صاحبه وكعبه بكعبه فالعقب هو موخر
القدم تحت العرقوب والعرقوب هو مجمع مفصل الساق والقدم ومنه الحديث ويل للاعقاب من النار
يعني اذا لم يغسل كما قال ويل للاعقاب وبطون الاقدام من النار الخامسة عشر قال ابن وهب عن مالك
ليس على احد تخليل اصابع رجليه في الوضوء ولا في الغسل ولا خير في الجفا والغلو قال ابن وهب تخليل الرجلين
مرغب فيه ولا بد في اصابع اليدين من ذلك وقال ابن القاسم عن مالك ان لم يخلل اصابع رجليه فلا
شي عليه وقال محمد بن خالد عن ابن القاسم عن مالك ان من توضا على نهر فحرك رجليه انه لا
يجزيه حتى يغسلهما بيديه قال ابن القاسم وان قدر على غسل احداهما بالاخرى اجزاه قلت الصحيح انه لا
يجزي فيهما الا غسل ما بينهما كساير الرجل اذ ذاك من الرجل كما ان اصابع اليدين من اليد ولا اعتبار
بانفراج اصابع اليدين وانضمام اصابع الرجلين فان الانسان مامور بغسل الرجل جميعها كما هو
مامور بغسل يده جميعها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا توضا يدلك اصابع
رجليه بخنصره مع ما ثبت انه عليه الصلاة والسلام كان يغسل رجليه وهذا يقتضي العموم
وقد كان مالك رحمه الله في اخر عمره يدلك اصابع رجليه بخنصره او تنفرج اصابعه لحديث حدثه
ابن وهب عن ابن لهيعة والليث بن سعد عن يزيد بن عمرو الغفاري عن ابي عبد الحبلي عن المستورد بن
شداد القرشي قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا فيخلل بخنصره ما بين اصابع رجليه
قال ابن وهب فقال لي مالك ان هذا لحسن وما سمعته قط الا الساعة قال ابن وهب وسمعته
يسال بعد ذلك عن تخليل الاصابع في الوضوء فامر به وقد روى حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال خللوا بين الاصابع لا يخللها النار وهذا نص في الوعيد على ترك التخليل فثبت ما قلناه والله
الموفق السادسة عشر الفاظ الاية تقتضي الموالاة بين الاعضاء وهو اتباع المتوضي الفعل الفعل الى
اخره من غير تراخ بين ابعاضه وان لا يفصل بفعل ليس منه واختلف العلماء في ذلك فقال ابن
ابي سلمة وابن وهب ذلك من فروض الوضوء في الذكر والنسيان فمن فرق بين اعضاء الوضوء
متعمدا او ناسيا لم يجزه وقال ابن عبد الحكم يجزيه ناسيا ومتعمدا وقال مالك في المدونة وكتاب
محمد ان الموالاة ساقطة وبه قال الشافعي وقال مالك وابن القاسم ان فرقه متعمدا لم يجزه و
يجزيه ناسيا وقال مالك في رواية ابن حبيب يجزيه في المغسول ولا يجزيه في الممسوح فهذه خمسة
اقوال ابتنت على اصلين الاول ان الله سبحانه امر امرا مطلقا والى او فرق انما المقصود وجود
الغسل في جميع الاعضاء عند القيام الى الصلاة الثاني انها عبادة ذات اركان مختلفة فوجب فيها
التوالي كالصلاة وهذا اصح والله اعلم السابعة عشر ويتضمن الفاظ الاية ايضا الترتيب كما اختلف
فيه فقال الابهري الترتيب سنة وظاهر المذهب ان التنكيس للناسي يجزي واختلف في العامد
فقيل يجزي ويرتب في المستقبل وقال ابو بكر القاضي وغيره لا يجزي لانه عابث والى هذا ذهب الشافعي
وساير اصحابه وبه يقول احمد بن حنبل وابو عبيد القاسم ابن سلام واسحق وابو ثور واليه ذهب
ابو مصعب مالك وذكره في مختصره وحكاه عن اهل المدينة ومالك معهم في ان من قدم في
الوضوء يديه على وجهه فلم يتوضا على ترتيب الاية فعليه الاعادة لما صلى بذلك الوضوء وذهب
مالك في اكثر الروايات عنه واشهرها ان الواو لا توجب التعقيب ولا تعطي الترتيب وبذلك
قال اصحابنا وهو قول ابي حنيفة واصحابه والثوري والاوزاعي والليث بن سعد والمزني وداود
بن علي قال الكيا الطبري ظاهر قوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم يقتضي الاجزا فرق او جمع او والى على ما

هو الصحيح من مذهب الشافعي وهو مذهب الاكثر من العلماء قال ابن عمر الا ان مالكا يستحب له الاستيناف في الوضوء
على التسنن لما يستقبل من الصلاة ولا يرى ذلك واجبا عليه وهذا تحصيل مذهبه وروي علي بن زياد
عن مالك قال من ترك غسل ذراعيه ثم وجهه ثم ذكر مكانه اعاد غسل ذراعيه وان لم يذكر اعاد الوضوء
والصلاة قال علي ثم بعد ذلك لا تعيد الصلاة ويعيد الوضوء لما يستقبل وسبب الخلاف ما قال بعضهم
ان الفا توجب التعقيب في قوله فاغسلوا فانها لما كانت جوابا للشرط ربطت الشروط به فاقتضت
الترتيب في الجميع واجيب بانه انما اقتضت البداية في الوجه اذ هو جزاء الشرط وجوابه وانما كانت
تقتضي الترتيب في الجميع لو كان جواب الشرط معنى واحدا واذا كانت جملا كلها جوابا لم تبال بايهما بدات
اذ المطلوب تحصيلها قيل الترتيب انما جاء من قبل الواو وليس كذلك لانك تقول تقاتل زيد وعمرو
عاصم وخالد وبكر فدخولها في باب المفاعلة يخرجها عن الترتيب والصحيح ان يقال ان الترتيب متلقف
من وجوه اربعة الاول ان يبدا بما بدا الله به كما قال عليه الصلاة والسلام حين حج يبدا بما بدء
الله به الثاني من اجماع السلف فانهم كانوا يرتبون الثالث من تشبيه الوضوء بالصلاة الرابع من
مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك احتج من اجاز ذلك بالاجماع على ان لا ترتيب في غسل
اعضاء الجنابة فكذلك غسل اعضاء الوضوء لان المعنى في ذلك الغسل لا التبدية وروي عن علي انه قال
ما ابالي اذا تممت وضوئي باي اعضائي بدات وعن عبد الله لا باس ان تبدا برجليك قبل يديك قال
الدارقطني هذا مرسل لا يثبت والاولى وجوب الترتيب والله اعلم الثامنة عشر اذا كان في الاشتغال
بالوضوء فوات الوقت لم يتيمم عند اكثر العلماء ومالك يجيز التيمم في مثل ذلك لان التيمم انما
جاز في الاصل لحفظ وقت الصلاة ولولا ذلك لوجب تاخير الصلاة الى حين وجود الماء احتج الجمهور
بقوله فلم تجدوا ماء فتيمموا وهذا وجد فقد فُقِدَ شرط صحة التيمم فلا يتيمم التاسعة عشر
وقد استدل بعض العلماء بهذه الاية على ان ازالة النجاسة ليست بواجبة لانه قال اذا قمتم
الى الصلاة ولم يذكر الاستنجا وذكر الوضوء فلو كان ازالتها واجبة لكانت اول مبدوء به وهو
قول اصحاب ابي حنيفة وهي رواية اشهب عن مالك وقال ابن وهب عن مالك ازالتها واجبة
في الذكر والنسيان وهو قول الشافعي وقال ابن القاسم تجب ازالتها مع الذكر وتسقط مع النسيان
وقال ابو حنيفة تجب ازالة النجاسة وان زادت على قدر الدرهم البغلي يريد الكبير الذي هو على
هيئة المثقال قياسا على فم المخرج المعتاد الذي عفي عنه والصحيح رواية
ابن وهب لان النبي صلى الله عليه وسلم قال في صاحب القبرين انهما يعذبان وما يعذبان في كبير
اما احدهما فكان يمشي بالنميمة واما الاخر فكان لا يستنزه من البول ولا يعذب الا على ترك الواجب
ولا حجة في ظاهر القران لان الله سبحانه بين من اية الوضوء صفة الوضوء خاصة ولم يتعرض
لازالة النجاسة ولا غيرها الموفية عشرون ودلت الاية على المسح على الخفين كما بينا ولمالك
في ذلك ثلاث روايات الانكار مطلقا كما يقول الخوارج وهذه الرواية منكرة وليست بصحيحة
وقد تقدم الثانية يمسح في السفر دون الحضر لان اكثر الاحاديث انما هي في السفر وحديث السباطة
يدل على جواز المسح في الحضر اخرجه مسلم من حديث حذيفة قال فلقد رايتني انا ورسول الله صلى
الله عليه وسلم نتماشى فاتى سباطة قوم خلف حايط فقام كما يقوم احدكم فبال فانتبذت منه فاشار
الي فجئت فقمت عند عقبيه حتى فرغ وزاد في رواية فتوضا ومسح خفيه ومثله حديث شريح بن
هاني فقال اتيت عايشة اسئلها عن المسح على الخفين فقالت عليك يا ابن ابي طالب فاساله فانه
كان يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالناه فقال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسافر

ثلاثة ايام ولياليهن وللمقيم يوما وليلة وهي الرواية الثالثة يمسح حضرا وسفرا وقد تقدم ذكرها واما علم
الحادية والعشرون ويمسح المسافر عند مالك على الخفين بغير توقيت وهو قول الليث قال ابن وهب سمعت
مالكا يقول ليس عند اهل بلدنا في ذلك وقت وروى ابو داود من حديث ابي بن عمارة انه قال يا رسول الله
امسح على الخفين قال نعم قال يوما قال يوما ويومين قال نعم وثلاثة وما شئت في رواية نعم وما بدا لك قال
ابو داود وقد اختلف في اسناده وليس بالقوي وقال الشافعي واحمد بن حنبل والنعمان والطبري يمسح
المقيم يوما وليلة والمسافر ثلاثة ولياليهن على حديث شريح وما كان مثله وروي مالك في رسالته
الى هرون او بعض الخلفاء وانكره اصحابه الثانية والعشرون والمسح عند جميعهم لمن لبس خفيه على
وضوء لحديث المغيرة بن شعبة انه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير ذات ليلة الحديث
وفيه فاهويت لانزع خفيه فقال دعهما فاني ادخلتهما طاهرتين ومسح عليهما وراى اصبغ ان هذه
طهارة التيمم وهذا بناء منه على ان التيمم يرفع الحدث وشذ داود فقال المراد بالطهارة ههنا
هي الطهارة من النجس فقط واذا كانت رجلاه طاهرتين من النجاسة جاز المسح على الخفين وسبب
الخلاف الاشتراك في اسم الطهارة الثالثة والعشرون ويجوز عند مالك المسح على الخف وان كان فيه خرق
يسير قال ابن خواز منداد معناه ان يكون الخرق لا يمنع الانتفاع به ومن لبسه ويكون مثله يمشي فيه
وبمثل قول مالك هذا قال الثوري والليث والشافعي والطبري وقد روي عن الثوري والطبري اجازة
المسح على الخف المخرق جملة وقال الاوزاعي يمسح على الخف وعلى ما ظهر من القدم وهو قول الطبري وقال
ابو حنيفة اذا كان ما ظهر من الرجل اقل من ثلاث اصابع مسح فلا يمسح اذا ظهرت ثلاث اصابع وهذا
الحديث يحتاج الى توقيف ومعلوم ان اخفاف الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم من التابعين كانت
لا تسلم من الخرق اليسير وذلك متجاوز عند الجميع منهم وروي عن الشافعي اذا كان في مقدم الرجل انه لا
يجوز المسح عليه وقال الحسن بن حي يمسح على الخف يغطيه الجورب فان ظهر شيء من القدم لم يمسح قال
ابو عمر هذا على مذهبه في المسح على الجوربين اذا كانا ثخينين وهو قول الثوري ومحمد وابي
يوسف وهي الرابعة والعشرون ولا يجوز المسح على الجوربين عند ابي حنيفة والشافعي الا ان يكونا
مجلدين وهو احد قولي مالك وله قول اخر انه لا يجوز المسح على الجوربين وان كانا مجلدين وفي
كتاب ابي داود عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا ومسح على الجوربين والنعلين
قال ابو داود وكان عبد الله بن مهدي لا يحدث بهذا الحديث لان المعروف عن المغيرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين وروي عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم وليس بالقوي
ولا بالمتصل قال ابو داود ومسح على الجوربين علي بن ابي طالب وابن مسعود والبرا بن عازب وانس
ابن مالك وابو امامة وسهل بن سعد وعمرو بن حريث وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن
عباس رضي الله عنهم اجمعين قلت واما المسح على النعلين فروى ابو محمد الدارمي في مسنده حدثنا
ابو نعيم حدثنا يونس عن ابي اسحاق عن سعيد بن جبير قال رايت عليا توضا ومسح على النعلين
فوسع ثم قال لولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما رايتموني فعلت لرايت ان باطن
القدمين احق بالمسح من ظاهرهما قال ابو محمد الدارمي رحمه الله هذا الحديث منسوخ بقوله
فامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين قلت وهو قول علي رضي الله عنه لرايت ان باطن
القدمين احق بالمسح من ظاهرهما مثله قاله في المسح على الخفين اخرجه ابو داود عنه قال لو كان
الدين بالراي لكان باطن الخف بالمسح اولى من اعلاه وقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمسح على ظاهر خفيه قال مالك والشافعي فمن مسح ظهر خفيه دون بطونهما ان ذلك يجزيه الا

اشهب
ان مالكا قال من فعل ذلك اعاد في الوقت وبعده وكذلك قال جميع اصحاب مالك الا شيئا روي عن
انه قال باطن الخف وظاهره سواء ومن مسح باطن الخف دون ظاهره لم يعد الا في الوقت وروي عن
الشافعي انه يجزيه مسح بطونهما دون ظهورهما والمشهور من مذهبه انه من مسح بطونهما واقتصر عليهما
لم يجزه وليس بماسح وقال ابو حنيفة والثوري يمسح ظاهر الخفين دون باطنهما وبه قال احمد واسحق
وجماعة والمختار عند مالك والشافعي واصحابهما مسح الاعلا والاسفل وهو قول ابن عمر وابن شهاب
لما رواه ابو داود والدارقطني عن المغيرة بن شعبة قال وضأت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة
تبوك فمسح على اعلا الخف وما اسفله قال ابو داود ويروى ان ثورا لم يسمع هذا الحديث من رجا بن
حيوة الخامسة والعشرون واختلفوا فيمن نزع خفيه وقد مسح عليهما على اقوال ثلاثة الاول يغسل
رجليه مكانه وفي اخر استيناف الوضوء قاله مالك والليث وكذا قال الشافعي وابو حنيفة واصحابهما
وروي عن الاوزاعي والنخعي ولم يذكروا مكانه الثاني يستانف الوضوء قاله الحسن بن حي وروي
عن النخعي والاوزاعي الثالث ليس عليه شيء ويصلي كما هو قاله ابن ابي ليلى والحسن البصري ورواية
عن ابراهيم النخعي رضي الله عنهم السادسة والعشرون قوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا قد مضى
في النساء معنى الجنب واطهروا امر بالاغتسال بالماء ولذلك راى ابن عمر وابن مسعود رضي الله
عنهما ان الجنب لا يتيمم البتة بل يدع الصلاة حتى يجد الماء وقال الجمهور من الناس بل هذه العبارة
لواجد الماء وقد ذكر تيمم الجنب بعد في احكام عادم الماء بقوله او لامستم النساء والملامسة هاهنا
الجماع وقد صح عن ابن عمر وابن مسعود انهما رجعا الى ما عليه الناس وان الجنب يتيمم وحديث عمران
بن حصين نص في ذلك وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا معتزلا لم يصل في القوم
فقال يا فلان ما منعك ان تصلي في القوم فقال يا رسول الله اصابتني جنابة ولا ماء قال عليك
بالصعيد فانه يكفيك اخرجه البخاري السابعة والعشرون قوله تعالى وان كنتم مرضى او على
سفر او جاء احد منكم من الغائط تقدم في النساء مستوفى ونزيد هنا مسئلة اصولية اغفلناها هناك
وهي تخصيص العموم بالعادة الغالبة فان الغائط كناية عن الاحداث الخارجة من المخرجين كما
بيناه في النساء فهو عام غير ان جل علمائنا خصصوا ذلك بالاحداث المعتادة الخارجة على الوجه
المعتاد فلو خرج غير المعتاد كالحصا والدود او خرج المعتاد على وجه المرض والسلس لم يكن شيء من
ذلك ناقضا وانما صاروا الى ذلك لان اللفظ مبهم يتردد لولا عرف غالب في الاستعمال سبق ذلك
الغالب لفهم السامع حالة الاطلاق وصار غيره مما وضع له اللفظ بعيدا عن الذهن فصار غير
مدلول وصار الحال فيه كالحال في الدابة فانها اذا اطلقت سبق الذهن الى ذوات الاربع ولم
تخطر النملة ببال السامع فصارت غير مرادة ولا مدلولة لذلك اللفظ ظاهرا والمخالف يقول لا
يلزم من سبقية الغالب ان يكون النادر غير مراد فان تناول اللفظ لهما واحد وضعا وذلك
يدل على شعور المتكلم بهما قصدا والاول اصح وهو في كتاب الاصول الثامنة والعشرون قوله تعالى
او لامستم النساء روى عبيدة بن عبد الله ابن مسعود القبلة ما دون اللمس وكل ما دون الجماع
لمس وكذلك قال ابن عمر واختاره محمد بن يزيد قال لانه قد ذكر في اول الاية ما يجب على من جامع
في قوله وان كنتم جنبا فاطهروا وقال عبد الله بن عباس اللمس والمس والغشيان الجماع ولكنه عز وجل يكني
وقال مجاهد في قول الله عز وجل واذا مروا باللغو مروا كراما اذا ذكروا النكاح كنوا عنه وقد مضى في
النساء هذا الباب مستوفى والحمد لله التاسعة والعشرون قوله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا قد تقدم في النساء في عدمه يترتب للصحيح الحاضر بان يصلي او يربط وهو الذي يقال فيه انه لم

يجد ماء ولا ترابا وخشي خروج الوقت اختلف الفقهاء في حكمه على اربعة اقوال الاول قال ابن خواز
منداد الصحيح من مذهب مالك انه لا يصلي ولا شيء عليه قال ورواه المدنيون عن مالك قال
وهو الصحيح من المذهب وقال ابن القاسم يصلي ويعيد وهو قول الشافعي وقال اشهب يصلي ولا يعيد
وقال اصبغ لا يصلي ولا يقضي وبه قال ابو حنيفة قال ابو عمر ابن عبد البر وما اعرف كيف اقدم ابن
خواز منداد على ان الصحيح من المذهب ما ذكر وحكى خلافا وجمهور السلف وعامة الفقهاء وجماعة
المالكية واظنه ذهب الى ظاهر حديث مالك في قوله وليسوا على ماء الحديث ولم يذكر انهم صلوا ولا حجة فيه
وقد ذكر هشام بن عروة عن عائشة في هذا الحديث انهم صلوا بغير وضوء ولم يذكر اعادة وقد ذهب
الى هذا طايفة من الفقهاء قال ابو ثور وهو القياس قلت وقد احتج المزني فيما ذكر الكيا الطبري
بما ذكر في قصة عائشة رضي الله عنها وان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم لطلب القلادة صلوا
بغير تيمم ولا وضوء واخبروه بذلك ثم نزلت اية التيمم ولم ينكر عليهم فعلها بلا تيمم ولا وضوء
والتيمم متى لم يكن مشروعا صلوا بلا طهارة ومنه قال المزني لا اعادة وهو نص في جواز الصلاة مع
عدم الطهارة مطلقا عند تعذر الوصول اليها قال ابو عمر ولا ينبغي حمل المغمى عليه لان المغمى عليه
مغلوب على عقله وهذا معه عقله وقال ابن القاسم وساير العلماء الصلاة واجبة عليه ما دام
عقله معه فاذا زال المانع له توضا او تيمم وصلى وعن الشافعي روايتان المشهور عنه يصلي كما هو
ويعيد قال المزني اذا كان محبوسا لا يقدر على تراب نظيف صلى واعاد وهو قول ابي يوسف و
محمد والثوري والطبري وقال زفر بن الهذيل المحبوس في الحضر لا يصلي وان وجد ترابا نظيفا وهذا
على اصله فانه لا يتيمم عنده في الحضر كما تقدم قال ابو عمر من قال يصلي كما هو ويعيد اذا قدر
على الطهارة فانهم احتاطوا للصلاة بغير طهور قالوا وقوله عليه الصلاة والسلام لا يقبل الله
صلاة بغير طهور ان قدر على طهور فاما من لم يقدر فليس كذلك لان الوقت فرض وهو قادر
عليه فيصلي كما قدر في الوقت ثم يعيد فيكون قد اخذ بالاحتياط في الوقت والطهارة جميعا
وذهب الذين قالوا لا يصلي لظاهر الحديث وهو قول مالك وابن نافع واصبغ قالوا من عدم
الماء والصعيد لم يصل ولم يقض ان خرج وقت الصلاة لان عدم قبولها بعدم شرطها يدل
على انه غير مخاطب حالة عدم شرطها فلا يترتب شيء في الذمة فلا يقضي قاله غير ابي عمر وعلى
هذا تكون الطهارة من شروط الوجوب الثلاثون قوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا وقد تقدم
في النساء اختلافهم في الصعيد وحديث عمران بن حصين نص على ما يقوله مالك اذ لو كان
الصعيد التراب لقال عليه الصلاة والسلام للرجل عليك بالتراب فانه يكفيك فلما قال الصعيد
احاله على وجه الارض والله اعلم وامسحوا بوجوهكم وايديكم منه تقدم في النساء الكلام فيه فتامله
هناك الحادية والثلاثون واذا انتهى القول بنا في الاي فاعلم ان العلماء تكلموا في فضل الوضوء والطهارة
وهي خاتمة الباب قال صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان الحديث اخرجه مسلم من حديث ابي
مالك الاشعري وقد تقدم في البقرة الكلام فيه قال ابن العربي والوضوء اصل في الدين وطهارة
المسلمين وخصوصا لهذه الامة في العالمين وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا وقال
وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء خليلي ابراهيم وذلك لا يصح قال غيره هذا ليس بمعارض
لقوله عليه الصلاة والسلام لكم سيما ليست لغيركم فانهم كانوا يتوضؤن وانما الذي خص به هذه
الامة الغرة والتحجيل لا بالوضوء وهما تفضل من الله تعالى اختص بهما هذه الامة شرفها ولنبيها
صلى الله عليه وسلم بالمقام المحمود وغيره على ساير الانبياء والله اعلم قال ابو عمر وقد يجوز ان يكون

الانبياء يتوضؤن فيكتسبون بذلك الغرة والتحجيل ولا تتوضا اتباعهم كما جاء عن موسى عليه السلام
رب اجعلهم امتي قال تلك امة احمد في حديث طويل وقد روى سالم بن
عبد الله بن عمر عن كعب الاحبار انه سمع رجلا يحدث انه راى رؤيا في المنام ان الناس قد جمعوا
للحساب ثم دعي الانبياء مع كل نبي امته وانه راى لكل نبي نورين يمشي بهما ولمن اتبعه من امته
نورا واحدا يمشي به حتى دعي بمحمد صلى الله عليه وسلم فاذا شعر راس ووجهه نور كله يراه كل من نظر
اليه واذا لمن اتبعه من امته نوران كنور الانبياء فقال كعب وهو لا يشعر انها رؤيا من حدثك بهذا
الحديث وما اعلمك به فاخبره انها رؤيا فناشده كعب بالله الذي لا اله الا هو لقد رايت ما
تقوله في منامك فقال نعم والله لقد رايت ذلك فقال كعب والذي نفسي بيده او قال والذي
بعث محمدا بالحق ان هذه لصفة محمد وامته وصفة الانبياء في كتاب الله لكان ما تقوله من التورية
اسنده في كتاب التمهيد وقال ابو عمرو قد قيل ان ساير الانبياء كانوا يتوضؤن والله اعلم وهذا لا
اعرفه من وجه صحيح مسلم عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا توضا العبد المؤمن او
المسلم فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء او مع اخر قطر الماء فاذا
غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشها يداه مع الماء او مع اخر قطر الماء فاذا غسل رجليه
خرج كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء او مع اخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب وحديث
مالك عن عبد الله الصنابحي الحمل والصواب ابي عبد الله لا عبد الله ووهم وهم فيه مالك واسمه
عبد الرحمن بن عسيلة تابعي شامي كبير لادراكه خلافة ابي بكر قال ابو عبد الله الصنابحي قدمت مهاجرا
الى النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن فلما وصلنا الجحفة اذا براكب قلنا له ما الخبر قال دفنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ ثلاثة ايام وهذه الاحاديث وما كان في معناها من حديث
عمرو بن عنبسة وغيره تفيدك ان المراد بها كون الوضوء مشروعا عبادة لدحض الاثام وذلك
يقتضي افتقاده الى نية لانه شرع لمحو الاثم ورفع الدرجات عند الله تعالى التاينة والثلثون
قوله تعالى منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي من ضيق في الدين دليله قوله تعالى وما جعل
عليكم في الدين من حرج ومن صلة اي ليجعل عليكم حرجا ولكن يريد ليطهركم اي من الذنوب كما
ذكرنا من حديث ابي هريرة والصنابحي وقيل من الحدث والجنابة وقيل لتستحقوا الوصف بالطهارة
التي يوصف بها اهل الطاعة وقرا سعيد بن المسيب ليطهركم والمعنى واحد كما يقال نجاه وانجاه
وليتم نعمته عليكم اي بالترخص في التيمم عند المرض والسفر وقيل ببيان الشرايع وقيل بغفران الذنوب
وبالجنة وتمام النعمة دخول الجنة والنجاة من النار لعلكم تشكرون اي تشكروا نعمته فتقبلوا
على طاعته وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا
واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور قيل هو الميثاق الذي في قوله عز وجل واذ
اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم قال مجاهد وغيره ونحن وان لم نذكره فقد اخبرنا
الصادق به ويجوز ان يؤمر بالوفاء به وقيل خطاب لليهود بحفظ ما اخذ عليهم في التورية
والذي عليه الجمهور من المفسرين كابن عباس والسدي هو العهد والميثاق الذي جرى لهم مع
النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره اذ قالوا سمعنا واطعنا كما جرى ليلة
العقبة وتحت الشجرة واضافه تعالى الى نفسه كما قال انما يبايعون الله فبايعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة على ان يمنعوه مما يمنعوا منه انفسهم ونساءهم وابناءهم وان
رحل اليهم هو واصحابه وكان اول من بايعه البرا بن معرور وكان له في تلك الليلة المقام

المحمود

المحمود في التوثق لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشد لعقد امره وهو القايل والذي بعثك بالحق
لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله ابنا الحرب واهل الحلقة ورثناها
كابرا عن كابر والخبر مشهور في سيرة ابن اسحق ويأتي ذكر بيعة الشجرة في موضعها وقد اتصل هذا
بقوله اوفوا بالعقود فوفوا بما قالوا جزاهم الله عن نبيهم وعن الاسلام ورضي عنهم وارضاهم واتقوا
الله اي في مخالفته انه عالم بكل شي قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهدا بالقسط
ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما
تعملون وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا
باياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقدم معناها في النسا
والمعنى اتممت عليكم وكونوا قوامين لله اي لاجل ثواب الله فقوموا بحقه واشهدوا بالحق من غير ميل
الى اقاربكم وحيف على اعدائكم ولا يجرمنكم شنآن قوم على ترك التحرك وايثار العدوان على الحق
وفي هذا دليل على نفوذ حكم العدو على عدوه في الله تعالى ونفوذ شهادته عليه لانه امر بالعدل
وان ابغضه ولو كان حكمه عليه وشهادته لا تجوز مع البغض له لما كان لامره بالعدل فيه وجه
ودلت ايضا على ان كفر الكافر لا يمنع ايضا من العدل عليه وان يقتصر بهم على المستحق من القتال
والاسترقاق فان المثلة بهم غير جايزة وان قتلوا نساءنا واطفالنا وغمونا بذلك فليس لنا
ان نقتلهم بمثله قصدا لايصال الغم والحزن لهم واليه اشار عبد الله بن رواحة بقوله في القصة
المشهورة هذا معنى الاية وتقدم في صدر هذه السورة معنى ولا يجرمنكم شنآن وقرئ ولا
يجرمنكم شنان قوم قال الكسائي هما لغتان وقال الزجاج معنى ولا يجرمنكم لا يدخلنكم في الجرم كما
تقول آثمني اي ادخلني في الاثم ومعنى هو اقرب للتقوى اي لان تتقوا الله وقيل لان تتقوا النار
ومعنى لهم مغفرة واجر عظيم اي لا يعرف كنهه افهام الخلق كما قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين واذا قال الله تعالى اجر عظيم واجر كبير واجر كريم فمن ذا الذي يقدر قدره ولما كان
الوعد من قبيل القول حسن ادخال اللام في قوله لهم مغفرة وهو في موضع نصب لانه وقع موقع
الموعود به على معنى وعدهم ان لهم مغفرة اي وعدهم مغفرة الا ان الجملة وقعت موقع المفرد كما
قال الشاعر وجدنا الصالحين لهم جزاء وجنات وعينا سلسبيلا فموضع الجملة نصب ولذلك
عطف عليها بالنصب وقيل هي في موضع رفع على ان يكون الموعود به محذوفا على تقدير لهم مغفرة
واجر عظيم فيما وعدهم وهذا المعنى عن الحسن والذين كفروا نزلت في بني النضير وقيل في جميع الكفار
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم نزلت بسبب
فعل الاعرابي في غزوة ذات الرقاع حين اخترط سيف النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يعصمك مني
يا محمد كما تقدم في النساء وفي البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس فاجتمعوا وهو جالس عنده
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعاتبه وذكر الواقدي وابن ابي حاتم انه اسلم وذكر قوم انه ضرب برأسه
في ساق الشجرة حتى مات وفي البخاري في غزوة ذات الرقاع ان اسم الرجل غورث بن الحارث بالغين
منقوطة مفتوحة وسكون الواو وبعد ثاء مثلثة وقد ضم بعضهم الغين والاول اصح وذكر ابو حاتم
محمد بن ادريس الرازي وابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي ان اسمه دعثور بن الحارث وذكر انه
اسلم كما تقدم وذكر محمد بن اسحق ان اسمه عمرو بن جحاش وهو اخو بني النضير وذكر بعضهم ان قصة
عمرو بن جحاش غير هذه القصة والله اعلم وقال قتادة ومجاهد وغيرهما نزلت في قوم من اليهود جاءهم

النبي صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية فهموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم فمنعه الله منهم قال القشيري وقد
وقد تنزل الاية في قصة ثم ينزل ذكرها مرة اخرى لادكار ما سبق ان يبسطوا اليكم ايديهم اي
بالسوء فكف ايديهم عنكم اي منعهم قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني
عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم
الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد
ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا
فيه ثلاث مسائل الاولى قال ابن عطية هذه الايات المتضمنة الخبر عن نقضهم مواثيق الله
تقوي ان الاية المتقدمة في كف الايدي انما كانت في بني النضير واختلف اهل التاويل في كيفية بعث
هؤلاء النقباء بعد الاجماع على ان النقيب كبير القوم القايم بامرهم الذي ينقب عنها وعن مصالحهم
فيها والنقاب الرجل العظيم الذي هو في الناس على هذه الطريقة ومنه قيل في عمر رضي الله عنه انه كان
نقابا فالنقبا الضمان واحدهم نقيب وهو شاهد القوم وضمينهم يقال نقب عليهم وهو حسن النقيبة
اي حسن الخلقة والنقب الطريق في الجبل وانما قيل نقيب لانه يعلم دخيلة امر القوم ويعرف مناقبهم
وهي الطريق الى معرفة كفودهم وقال قوم النقباء الامناء على قومهم وهذا كله قريب بعضه من
بعض والنقيب اكبر مكانة من العريف قال عطا بن سيار حملة القران عرفاء اهل الجنة ذكره الدارمي
في مسنده قال قتادة رحمه الله وغيره هؤلاء النقباء قوم كبار من كل سبط تكفل كل واحد بسبطه
بان يؤمنوا ويتقوا الله ونحو هذا كان النقباء ليلة العقبة بايع فيها سبعون رجلا وامراتان فاختار
رسول الله صلى الله عليه وسلم من السبعين اثني عشر رجلا وسماهم النقباء اقتداء بموسى عليه السلام وقال
الربيع والسدي وغيرهما انما بعث النقباء من بني اسرائيل امناء على الجبارين والمسير لمنعهم وقوتهم لشادوا
ليختبروا احوال من بها ويعلموه بما اطلعوا عليه فيها حتى ينظر في الغزو اليهم فاطلعوا من الجبارين على
قوة عظيمة على ما ياتي وظنوا انهم لا قبل لهم بهم فتعاقدوا بينهم على ان يخفوا ذلك عن بني اسرائيل
وان يعلموا به موسى فلما انصرفوا الى بني اسرائيل خان منهم عشرة فعرفوا قراباتهم ومن وثقوا على
سرهم ففشا الخبر حتى اعوج امر بني اسرائيل وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون
الثانية وفي الاية دليل على قبول خبر الواحد فيما يفتقر اليه المرء ويحتاج الى اطلاعه من حاجاته
الدينية والدنيوية فيركب عليه الاحكام ويرتبط عليه الحلال والحرام وقد جاء ايضا مثله في
الاسلام قال صلى الله عليه وسلم لهوازن ارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم امركم اخرجه البخاري
الثالثة وفيها ايضا دليل على اتخاذ الجاسوس والتجسس البحث وقد بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم بسيسة عينا اخرجه مسلم وسياتي حكم الجاسوس في الممتحنة ان شاء الله تعالى
واما اسما نقباء بني اسرائيل فقد ذكر اسماءهم محمد بن حبيب في المحبر قال ومن سبط روبيل شموع
بن ركوب ومن سبط شمعون شوفوط بن حوري ومن سبط يهودا كالب بن يوفنا ومن سبط
الساحر يغوثون بن يوسف ومن سبط افرايم بن يوسف يوشع بن نون ومن سبط بنيامين بنطي
بن روفوا ومن سبط زبالون كرابيل بن سودي ومن سبط ميشا بن يوسف كدي بن سوسا
ومن سبط نفتالي نحبي بن دقوسي ومن سبط كاد كوال بن موحي فالمومنان منهم يوشع وكالب ودعى
موسى عليهم فهلكوا مسخوطا عليهم قاله الماوردي واما نقباء ليلة العقبة فمذكورون في سيرة
ابن اسحق فلينظر هناك قوله تعالى وقال الله اني معكم قال الربيع بن انس قال ذلك للنقباء وقال
غيره قال ذلك لجميع بني اسرائيل وكسرت ان لانها ابتداء معكم منصوب لانها ظرف اي بالنصر

والعون ثم ابتدا فقال لئن اقمتم الصلاة الى ان قال لاكفرن عنكم سيئاتكم اي ان فعلتم ذلك ولادخلنكم
جنات واللام في لئن لام توكيد ومعناها القسم وكذا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم وقيل المعنى لئن
اقمتم الصلاة لاكفرن عنكم سيئاتكم وتضمن شرط اخر لقوله لاكفرن عنكم اي ان فعلتم ذلك لاكفرن عنكم
وقيل قوله لئن اقمتم جزاء لقوله اني معكم وشرط لقوله لاكفرن والتعزير التعظيم والتوقير وانشد ابو عبيدة
وكم من ماجد لهم كريم ومن ليث يعزر في النداء اي يعظم وعزرتموهم اي رددتم عنهم اعداءهم واقرضتم
الله قرضا حسنا يعني الصدقات ولم يقل اقراضا وهذا مما جاء من المصدر بخلاف المصدر كقوله والله
انبتكم من الارض نباتا فتقبلها ربها بقبول حسن وقد تقدم قيل حسنا اي طيبة بها نفوسهم وقيل يبتغون
بها وجه الله وقيل حلالا وقيل قرضا اسم لا مصدر فمن كفر بعد ذلك منكم اي بعد الميثاق فقد ضل سواء
السبيل اي اخطا قصد الطريق قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون
الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف
عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين اي فبنقضهم ميثاقهم فما زائدة للتوكيد عن قتادة وساير اهل
العلم وذلك انها تؤكد الكلام بمعنى تمكنه في النفس من جهة حسن النظم ومن جهة تكثيره للتوكيد كما
قال لشيء ما يسود من يسود فالتاكيد بعلامة موضوعة كالتاكيد بالتكرير لعناهم قال ابن عباس عذبناهم
بالجزية وقال الحسن ومقاتل بالمسخ عطا ابعدناهم واللعن الابعاد من الرحمة وجعلنا قلوبهم قاسية اي
صلبة لا تعي خيرا ولا تفعله والقاسية والعاتية بمعنى واحد وقرا الكسائي وحمزة قسية بتشديد الياء
من غير الف وهي قراءة ابن مسعود والنخعي ويحيى بن وثاب والعام القسي الشديد الذي لا ينظر فيه
وقيل هو من الدراهم القسيات اي الفاسدة الردية فمعنى قسية على هذا ليست بخالصة الايمان يقال
درهم قسي النحاس وهو قول حسن لانه يقال درهم قسي اذا كان مغشوشا او غيره يقال درهم قسي مخفف السين
مشدد الياء مثل شقي اي زايف ذكر ذلك ابو عبيد وانشد لها صواهل في صم السلام كما صاح القسيات
في ايدي الصياريف يصف وقع المساحي في الحجارة فقال الاصمعي وابو عبيدة درهم قسي كانه معرب قاسي
القشيري وهذا بعيد لانه ليس في القران ما ليس من لغة العرب بل الدرهم القسي من القسوة والشدة
ايضا لان ما قل نقرته يقسو ويصلب وقرا الاعمش قسيه بتخفيف الياء على وزن فعله نحو عمية وشجيه
من قسي يقسى لا من قسا يقسو وقرا الباقون على وزن فاعلة وهو اختيار ابي عبيد وهما لغتان مثل
العلية والعالية والزكية والزاكية قال ابو جعفر النحاس وهذا اولى ما يكون فيه ان قسية
بمعنى قاسية الا ان فعيلة ابلغ من فاعلة فالمعنى جعلنا قلوبهم غليظة نابية عن الايمان والتوفيق
لطاعتي لان القوم لم يوصفوا بشيء من الايمان فتكون قلوبهم موصوفة بان ايمانهم خالطه كفر كالدراهم
القسية التي خالطها غش قال الراجز قد قسوت وقسى لداتي يحرفون الكلم عن مواضعه اي يتاولونه
على غير تاويله ويلقون ذلك الى العوام وقيل معناه يبدلون حروفه ويحرفون في موضع نصب اي
جعلنا قلوبهم قاسية محرفين وقرا السلمي والنخعي الكلام بالالف وذلك انهم غيروا صفة محمد عليه السلام
واية الرجم ونسوا حظا مما ذكروا به اي نسوا عهد الله الذي اخذه الانبياء عليهم من الايمان بمحمد و
بيان نعته ولا تزال تطلع اي وانت يا محمد لا تزال الان تقف على خائنة منهم فالخائنة الخيانة
قاله قتادة وهذا جائز في اللغة ويكون مثل قولهم قايلة بمعنى قيلولة وقيل هو نعت لمحذوف
والتقدير فرقة خائنة وقد تقع خائنة للواحد كما يقال رجل نسابة وعلامة فخائنة على هذا
للمبالغة يقال رجل خائنة اذا بالغت في اوصافه بالخيانة قال الشاعر حدثت نفسك بالوفا
ولم يكن للغدر خائنة مغل الاصبع قال ابن عباس على خائنة اي معصية وقيل كذب وفجور وكانت

خيانتهم نقض العهد بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ومظاهرتهم للمشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيوم الاحزاب وغير ذلك من همهم بقتله وسبه الا قليلا منهم لم يخونوا فهو استثناء متصل من الهاء
والميم اللتين في خائنة منهم فاعف عنهم واصفح في معناه قولان فاعف عنهم واصفح ما بينك وبينهم عهد
وهم اهل ذمة والقول الاخر انه منسوخ باية السيف وقيل بقوله عز وجل واما تخافن من قوم خيانة
قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم
العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون قوله ومن الذين قالوا
انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي في التوحيد والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم اذ هو مكتوب في الانجيل فنسوا
حظا مما ذكروا به وهو الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم اي لم يعملوا بما امروا به وجعلوا ذلك الهوى والتحريف
سبب للكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ومعنى اخذنا ميثاقهم هو كقولك اخذت من زيد ثوبه ودرهمه
قاله الاخفش ورتبة الذين ان يكون بعد اخذنا وقبل الميثاق فيكون التقدير اخذنا من الذين قالوا
انا نصارى ميثاقهم فالهاء والميم يعودان على من المحذوفة وعلى القول الاول يعودان على الذين ولا يجيز
النحويون اخذنا ميثاقهم من الذين قالوا انا نصارى ولا الها ابيب من النبات لئلا يلزم تقدم المضمر
على ظاهره وفي قولهم انا نصارى ولم يقل من النصارى دليل على انهم ابتدعوا النصرانية وتسموا بها وروي
معناه عن الحسن قوله تعالى فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء اي هيجنا وقيل الصقنا بهم ماخوذ
من الغراء وهو ما يلصق به الشيء بالشيء كالصمغ وشبهه يقال غري بالشيء يغرى غرى بفتح العين مقصور
وغراء بكسر الغين ممدودا اي اولع به كانه التصق به وحكى الرماني الاغراء تسليط بعضهم على بعض وقيل
الاغراء التحريش واصله اللصوق يقال غريت بالرجل غرى مقصور وممدود مفتوح الاول اذا لصقت به
قال كثير اذا قلت مهلا غارت العين بالبكا غراء ومدتها حوافل نهل واغريت زيدا بكذا حتى غري
به ومنه الغراء الذي يغرى به المصوفة فالاغراء بالشيء الالصاق به من جهة التسليط عليه واغريت
الكلب اي اولعته بالصيد بينهم ظرف والعداوة والبغضاء اشار بهذا الى اليهود والنصارى لتقدم
ذكرهما عن السدي وقتادة بعضهم لبعض عدو وقيل اشار الى افتراق النصارى خاصة قاله الربيع بن
انس لانهم اقرب مذكور وذلك انهم افترقوا الى اليعاقبة والنسطورية والملكانية اي كفر بعضهم بعضا
قال النحاس ومن احسن ما قيل في معنى فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء ان الله عز وجل امر بعداوة
الكفار وابغاضهم وكل فرقة مامورة بعداوة صاحبتها وابغاضها لانهم كفار وسوف ينبئهم الله
تهديد لهم اي سيلقون جزاء نقض الميثاق قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين
لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي
به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم
الى صراط مستقيم قوله يا اهل الكتاب اسم جنس بمعنى الكتب وجميعهم مخاطبون قد جاءكم رسولنا محمد صلى
الله عليه وسلم يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اي من كتبكم من الايمان به ومن اية الرجم
ومن قصة اصحاب السبت الذين مسخوا قردة فانهم كانوا يخفونها ويعفوا عن كثير اي يتركه ولا يبينه
وانما يبين ما فيه حجة على نبوته ودلالة على صدقه وشهادة على رسالته وترك ما لم يكن به حاجة
الى تبيينه وقيل ويعفوا عن كثير يتجاوز عن كثير فلا يخبركم به وذكر ان رجلا من احبارهم جاء الى النبي صلى
الله عليه وسلم فسأله فقال ما هذا عفوت عنا فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين
وانما اليهودي اراد ان يظهر مناقضة كلامه ولما لم يبين له رسول الله صلى الله عليه وسلم قام
من عنده فذهب وقال لاصحابه ارى انه صادق فيما يقول لانه كان وجد في كتابه انه لا يبين

له ما سئل عنه قد جاءكم من الله نور وكتاب اي ضياء قيل الاسلام وقيل محمد صلى الله عليه وسلم عن الزجاج
وكتاب مبين اي القران فانه يبين الاحكام وقد تقدم يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام طرق
السلامة الموصلة الى دار السلامة المنزهة عن كل افة والموقية من كل مخافة وهي الجنة وقال الحسن
والسدي السلام الله عز وجل فالمعنى دين الله وهو الاسلام كما قال ان الدين عند الله الاسلام ويخرجهم
من الظلمات الى النور اي ظلمات الكفر والجهالات الى نور الاسلام والهدايات باذنه اي بتوفيقه وارادته
قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان
يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق
ما يشاء والله على كل شيء قدير قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم على جهة النبوة
لانهم لو قالوه على جهة الحكاية منكرين له لم يكفروا قل فمن يملك من الله شيئا من امر الله ويملك
بمعنى يقدر من قولهم ملكت على فلان امره اي اقتدرت عليه اي فمن يقدر اي يمنع من ذلك شيئا
فاعلم الله تعالى ان المسيح لو كان الها لقدر على دفع ما ينزل به او بغيره وقد امات امه ولم يتمكن من
دفع الموت عنها فلو اهلكه هو ايضا فمن يدفعه عن ذلك او يرده ولله ملك السموات والارض وما بينهما
والمسيح وامه مخلوقان محدودان محصوران وما احاط به النهاية لا يصلح للالهية وقال وما بينهما
ولم يقل وما بينهن لانه اراد النوعين والصنفين كما قال الراعي طرفا فتلك هماهمي اقريهما قلصا
لواقح كالقسي وحولا فقال طرفا ثم قال فتلك هماهمي يخلق ما يشاء عيسى من ام لا اب له اية لعباده قوله
تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر
ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير
قوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قال ابن عباس خوف رسول الله صلى الله
عليه وسلم قوما من اليهود العقاب فقالوا لا نخاف نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم
فنزلت الاية وقال ابن اسحق اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن اضا وبحري بن عمرو وشاس بن
عدي فكلموه وكلمهم فدعاهم الى الله عز وجل وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن ابناء الله
واحباؤه قال فلم يعذبكم بذنوبكم الى اخر الاية قال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن
وهب يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنتم
تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حرملة ووهب بن يهوذا ما قلنا
هذا لكم وما انزل الله من كتاب بعد موسى ولا ارسل بشيرا ولا نذيرا من بعده فانزل الله يا اهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد
جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير السدي زعمت اليهود ان الله عز وجل اوحى الى اسرائيل ان
ولدك بكري من الولد قال غيره والنصارى قالت نحن ابناء الله لان في الانجيل حكاية اذهب
الى ابي وابيكم وقيل المعنى نحن ابناء رسل الله فهو على حذف مضاف وبالجملة فانهم راوا لانفسهم
فضلا فرد عليهم قولهم فقال فلم يعذبكم بذنوبكم فلم يكونوا يخلوا من احد وجهين اما ان يقولوا هو
يعذبنا فيقال لهم فلستم اذا ابناءه واحباءه فان الحبيب لا يعذب حبيبه وانتم تقرون بعذابه
فذلك دليل على كذبكم وهذا هو المسمى عند الجدليين برهان الخلف او يقولوا لا يعذبنا فيكذبوا ما
في كتبهم وما جاءت به رسلهم ويبيحون المعاصي وهم معترفون بعذاب العصاة منهم ولهذا يلتزمون احكام
كتبهم وقيل معنى يعذبكم عذبكم فهو بمعنى المضي اي فلم مسخكم قردة وخنازير ولم عذب من قبلكم من اليهود
والنصارى بانواع العذاب وهم امثالكم لان الله سبحانه لا يحتج عليهم بشيء لم يكن بعد لانهم ربما

يقولون لا نعذب عذابك بحجة عليهم بما عرفوه ثم قال بل انتم بشر ممن خلق اي كساير خلقه يحاسبكم على الطاعة
والمعصية ويجازي كلا بما عمل يغفر لمن يشاء اي لمن تاب من اليهود ويعذب من يشاء لمن مات عليها ولله
ملك السموات والارض فلا شريك له يعارضه واليه المصير اي يؤول امر العباد اليه في الاخرة قوله تعالى
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين انقطاع حجتهم حتى لا يقولوا غدا ما جاءنا
رسول على فترة من الرسل اي سكون يقال فتر الشيء سكن وقيل على فترة على انقطاع ما بين النبيين عن
ابي علي وجماعة اهل العلم حكاه الرماني قال والاصل فيها انقطاع العمل عما كان عليه من الجد ومن
قولهم فتر عن عمله وفترته عنه ومنه فتر الماء اذا انقطع عما كان من البرد الى السخونة وامراة
فاترة الطرف اي منقطعة عن حدة النظر وفتور البدن كفتور الماء والفتر ما بين السبابة والابهام
اذا فتحتهما اي مضت للرسل مدة قبله واختلف في قدر مدة تلك الفترة فذكر محمد بن سعد في
كتاب الطبقات عن ابن عباس قال كان بين موسى بن عمران وعيسى بن مريم عليهما السلام الف
وتسعماية سنة ولم يكن بينهما فترة وانه ارسل بينهما الف نبي من بني اسرائيل سوى من ارسل من
غيرهم وكان بين ميلاد عيسى والنبي عليهما الصلاة والسلام خمسماية سنة وتسع وستون سنة بعث
في اولها ثلاثة انبياء وهو قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث والذي عزز
به شمعون وكان من الحواريين وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولا اربعماية سنة واربع
وثلاثون سنة وذكر الكلبي ان بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسماية سنة وتسع وستون
سنة بينهما اربعة انبياء واحد من العرب من بني عبس وهو خالد بن سنان قال القشيري ومثل
هذا لا يعلم الا بخبر صدق وقال قتادة كان بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ستماية سنة
وقال قتادة والضحاك ووهب بن منبه الا ان وهبا زاد عشرين سنة وعن الضحاك ايضا اربعماية
وبضع وثلاثون سنة وذكر ابن سعد عن عكرمة قال بين ادم ونوح عشر قرون كلهم على الاسلام قال
ابن سعد اخبرنا محمد بن عمر بن واقد الاسلمي عن واحد قالوا كان بين ادم ونوح عشر قرون والقرن
مائة سنة وبين ابراهيم وموسى بن عمران عشر قرون والقرن مائة سنة فهذا ما بين ادم ومحمد
من القرون والسنين والله اعلم ان تقولوا اي لئلا يقولوا او كراهية ان يقولوا فهو في موضع نصب ما
جاءنا من بشير اي مبشر ولا نذير اي منذر ويجوز من بشير ولا نذير على الموضع قال ابن عباس قال معاذ
بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود يا معشر يهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون ان
محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه بصفته قالوا ما
انزل الله من كتاب بعد موسى ولا ارسل بعده من بشير ولا نذير فانزلت الاية والله على كل شيء قدير
على ارسال من شاء من خلقه وقيل قدير على ايجاد ما بشر به وانذر منه قوله تعالى واذ قال موسى
لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من
العالمين يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين
قوله واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم الاية تبيين من الله تعالى ان اسلافهم
تمردوا على موسى وعصوه فكذلك هؤلاء مع محمد عليه الصلاة والسلام وهو تسلية له اي
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا قصة موسى وروي عن عبد الله بن كثير انه
قرا يا قوم اذكروا بضم الميم وكذلك ما اشبهه وتقديره يا ايها القوم اذ جعل فيكم انبياء لم ينصرف
لان فيه الف التانيث وجعلكم ملوكا اي تملكون امركم لا يغلبكم عليه بعد ان كنتم مملوكين لفرعون
مقهورين فانقذكم منه بالغرق فهم ملوك بهذا الوجه وبنحوه فسر السدي والحسن وغيرهما قال

السدي ملك كل واحد منهم نفسه واهله وماله وقال قتادة انما قال وجعلكم ملوكا لانا كنا نتحدث انهم
اول من خدم من بني ادم قال ابن عطية وهذا ضعيف لان القبط كانوا يستخدمون بني اسرائيل وظاهر
امر بني ادم ان بعضهم كان يسخر بعضا منذ تناسلوا وكثروا وانما اختلف الامم في معنى التمليك فقط وقيل
جعلكم ذوي منازل لا يدخل عليكم الا باذن روي معناه عن جماعة من اهل العلم قال ابن عباس ان الرجل
اذا لم يدخل بيته الا باذنه فهو ملك وعن الحسن ايضا وزيد بن اسلم ان من كانت له دار وزوجة
وخادم فهو ملك وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص وساله رجل فقال السنا من فقراء المهاجرين
فقال له عبد الله الك امراة تاوي اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه قال نعم قال فانت من
الملوك قال ابن العربي وفائدة هذا ان الرجل اذا وجبت عليه كفارة وملك دارا وخادما
ولم يجز له الصيام لانه قادر على الرقبة والملوك لا يكفرون بالصيام ولا يوصفون بالعجز عن
الاعتاق وقال ابن عباس ومجاهد جعلكم ملوكا بالمن والسلوى والحجر والغمام فهم يخدمون كالملوك
وعن ابن عباس ايضا يعني الخادم والمنزل وقاله مجاهد وعكرمة بن الحكم بن عيينة وزادوا
الزوجة وقال زيد بن ارقم الا انه قال ما يعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من كان له بيت او قال منزل
ياوي اليه وزوجة وخادم يخدمه فهو ملك ذكره النحاس ويقال من استغنى عن غيره فهو ملك
وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم من اصبح امنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت
له الدنيا بحذافيرها قوله تعالى واتاكم اي اعطاكم ما لم يؤت احدا من العالمين والخطاب من موسى
لقومه في قول جمهور المفسرين وهو وجه الكلام مجاهد والمراد بالايتاء المن والسلوى والحجر والغمام
وقيل كثرة الانبياء فيهم والايات التي جاءتهم وقيل قلوبا سليمة من الغل والغش وقيل احلال الغنائم
والانتفاع بها قلت وهذا القول مردود فان الغنائم لم تحل لاحد الا لهذه الامة على ما ثبت في
الصحيح ويأتي بيانه ان شاء الله وهذه المقالة من موسى عليه السلام توطئة لهم ولنفوسهم حتى
يعذروا باخر الامر بدخول ارض الجبارين بقوة وينفذوا في ذلك نفوذ من اعزه الله ورفع من
شانه ومعنى من العالمين على عالمي زمانكم عن الحسن وقال ابن جبير وابن مالك والخطاب
لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا عدول عن ظاهر الكلام بما لا يحسن مثله وتظاهرت الاخبار ان
دمشق قاعدة الجبارين والمقدسة معناها المباركة والبركة التطهير من القحوط والجوع ونحوه قتادة
هي الشام مجاهد الطور وما حوله ابن عباس والسدي وابن زيد هي اريحا الزجاج دمشق وفلسطين
وبعض الاردن وقول قتادة يجمع هذا كله التي كتب الله لكم اي فرض دخولها عليكم ووعدكم دخولها
وسكناها ولما خرج بنو اسرائيل من مصر امرهم بجهاد اهل اريحا من بلاد فلسطين فقالوا لا علم لنا
بتلك الديار فبعث بامر الله اثني عشر نقيبا من كل سبط رجلا يتجسسون الاخبار على ما تقدم فراوا
سكانها من العمالقة وهم ذوو اجسام هائلة حتى قيل ان بعضهم راى هؤلاء النقباء فاخذهم في كمه
مع فاكهة كان حملها من بستانه وجاء بهم الى الملك فنثرهم بين يديه وقال ان هؤلاء يريدون
قتالنا فقال لهم الملك ارجعوا الى اصحابكم فاخبروهم خبرنا على ما تقدم وقيل انهم لما رجعوا اخذوا
من عنب تلك الارض عنقودا فحمله رجل واحد وقيل حمله الاثنا عشر قلت وهذا اشبه فانه يقال
انهم لما وصلوا الى الجبارين وجدوهم يدخل في كم كل واحد منهم اثنان منهم ولا يحمل عنقود احدهم الا خمسة
منهم ويدخل في شطر الرمانة اذا نزع حبها خمسة انفس او اربع قلت ولا تعارض بين هذا
والاول فان ذلك الجبار الذي اخذهم في كمه ويقال في حجره هو عوج بن عناق وكان اطولهم قامة
واعظمهم خلقا على ما ياتي من ذكره ان شاء الله تعالى وكان طول سايرهم ستة اذرع ونصف

في قول مقاتل وقال الكلبي كان طول كل رجل منهم ثمانون ذراعا والله اعلم فلما اذاعوا الخبر ماعدا يوشع
وكالب بن يوقنا وامتنعت بنوا اسرائيل من الجهاد عوقبوا بالتيه اربعين سنة الى ان مات اولئك
العصاة ونشا اولادهم فقاتلوا الجبارين وغلبوهم قوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم اي لا ترجعوا عن
طاعة الله الى المعصية والمعنى واحد قوله تعالى قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها
حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما
ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا يا موسى
انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون قال رب
اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قوله قالوا يا موسى ان فيها قوما
جبارين اي عظام الاجسام طوال وقد تقدم يقال نخلة جبارة اي طويلة والجبار المتعظم الممتنع
من الذل والفقر وقال الزجاج الجبار من الادميين العاتي وهو الذي يجبر الناس على ما يريد واصله
على هذا من الاجبار وهو الاكراه قال الفراء لم اسمع فعالا من افعل الا حرفين جبار من اجبر ودراك
من ادرك ثم قال ان هؤلاء من بقايا عاد وقيل هم من ولد عيص بن اسحق وكانوا من الروم وكان
معهم عوج بن الاعنق وكان طوله ثلاثة الاف وثلثماية وثلاثة وثلاثون ذراعا قاله ابو
عمرو وكان يحتجز السحاب اي يجذبه بحجزته ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه
بعين الشمس يرفعه اليها ثم ياكله وحضر طوفان نوح عليه السلام ولم يجاوز ركبتيه وكان
عمره ثلاثة الاف وستمائة سنة وانه قلع صخرة على قدر عسكر موسى ليرضخهم بها فبعث الله طائرا
فنقرها فوقعت في حلقه فصرعته فاقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وعصاه عشرة اذرع
ثم اصاب الا كعبه وهو مصروع فقتله وقيل بل ضربه في العرق الذي تحت كعبه فصرعه فمات
ووقع على نيل مصر فجسرهم سنة ذكر هذا المعنى باختلاف الفاظه محمد بن اسحق والطبري ومكي
وغيرهم وقال الكلبي عوج من ولد هاروت وماروت حيث وقعا بالمراة قوله تعالى وانا لن ندخلها
يعني البلدة ايليا ويقال اريحا حتى يخرجوا منها اي حتى يسلموها لنا من غير قتال وقيل قالوا ذلك خوفا
من الجبارين ولم يقصدوا العصيان لانهم قالوا فان يخرجوا منها فانا داخلون قوله تعالى قال
رجلان من الذين يخافون قال ابن عباس وغيره هما يوشع وكالب بن يوقنا وكانا من الاثني عشر
نقيبا يخافون اي يخافون من الجبارين قتادة يخافون الله تعالى وقال الضحاك هما رجلان كانا في
مدينة الجبارين على دين موسى فمعنى يخافون على هذا اي من العمالقة من حيث الطبع لئلا يطلعوا
على ايمانهم فيفتنوهم ولكن وثقا بالله وقيل يخافون ضعف بني اسرائيل وجبنهم وقرا مجاهد وابن جبير
يخافون بضم الياء وهذا يقوي انهما من غير قوم موسى انعم الله عليهما اي بالاسلام او باليقين والصلاح
ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون قالا لبني اسرائيل لا يهولنكم عظم اجسامهم فقلوبهم
مملية رعبا منكم فاجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة وكانوا قد علموا انهم اذا دخلوا من ذلك الباب
كان لهم الغلب ويحتمل ان يكونا قالا ذلك ثقة بوعد الله ثم قالا وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
به فانه ينصركم ثم قيل على القول الاول لما قالا هذا اراد بنوا اسرائيل رجمهما بالحجارة وقالوا نصدقهما
وندع قول عشرة ثم قالوا لموسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها وهذا عناد وحيد عن القتال واياس
من النصر ثم جهلوا صفة الرب تبارك وتعالى فقالوا اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا
قاعدون وصفوه بالذهاب والانتقال والله تعالى متعال عن ذلك وهذا يدل على انهم كانوا مشبهة وهو
معنى قول الحسن لانه قال هو كفر منهم بالله وهو الاظهر في معنى هذا الكلام وقيل ان نصره لك احق من

نصرتنا وقتاله معك ان كنت رسوله اولى من قتالنا فعلى هذا يكون ذلك منهم كفرا لانهم شكوا في رسالته
وقيل المعنى انت فقاتل وليعنك ربك وقيل اراد وابالرب هارون وكان اكبر من موسى وكان موسى
يطيعه وبالجملة فقد فسقوا بقولهم لقوله فلا تاس على القوم الفاسقين اي لا تحزن عليهم انا ها هنا قاعدون
اي لا نبرح ولا نقاتل ويجوز قاعدين على الحال لان الكلام قد تم قبله قال رب اني لا املك
الا نفسي واخي لانه كان يطيعه وقيل المعنى اني لا املك الا نفسي ثم ابتدا فقال واخي ايضا لا يملك الا
نفسه فاخي على القول الاول في موضع نصب عطفا على نفسي وعلى الثاني في موضع رفع وان شئت عطفت
على اسم ان وهو الياء اي انا واخي لا نملك الا انفسنا وان شئت عطفت على المضمر في املك كانه قال لا املك
انا واخي الا انفسنا فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فقال باي وجه يقال في الفرق بينه وبين
القوم الفاسقين اجوبة الاول بما يدل على بعدهم عن الحق وذهابهم عن الصواب فيما ارتكبوا من العصيان
ولذلك القوا في التيه الثاني بطلب التمييز اي ميزنا عن جماعتهم ولا تلحقنا بهم في العقاب وقيل المعنى
فافرق بيننا وبينهم بعصمتك ايانا من العصيان الذي ابتليتهم به ومنه فيها يفرق كل امر حكيم اي يقضى
وقد فعل لما اصابهم في التيه اربعين سنة وقيل انما اراد الاخرة اي اجعلنا في الجنة ولا تجعلنا معهم
في النار والشاهد الذي يدل على المباعدة في الاحوال قول الشاعر يا رب فافرق بينه وبيني
اشد ما فرقت بين اثنين وروي ابن عيينة عن عمرو بن دينار انه قرا فافرق بكسر الراء قوله تعالى
قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تاس على القوم الفاسقين واتل عليهم
نبا ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما
يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني
اخاف الله رب العالمين قوله فانها محرمة عليهم استجاب الله دعاه وعاقبهم في التيه اربعين سنة
واصل التيه في اللغة الحيرة يقال منه تاه يتيه تيها وتوها اذا تحير وتيهته وتوهته والياء اكثر
والارض التيهاء التي لا يهتدى فيها وارض تيه وتيهاء وقال تيه اباديه على السقاط وقال اخر
تيهاء قفر والمطي كانها قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها فكانوا يسيرون في فراسخ قليلة قيل
قدر ستة فراسخ يومهم وليلتهم فيصبحون حيث امسوا ويمسون حيث اصبحوا وكانوا سيارة لا قرار لهم
واختلف هل كان معهم موسى وهارون فقيل لا لان التيه عقوبة وكانت سنون التيه بعدد
ايام العجل فعوقبوا على كل يوم سنة وقد قال فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقيل كانا معهم
لكن سهل الله الامر عليهما كما جعل الله النار بردا وسلاما على ابراهيم ومعنى محرمة انهم ممنوعون من
دخولها كما يقال حرم الله وجهك على النار وحرمت عليك دخول النار فهذا تحريم منع لا تحريم شرع
عند اكثر اهل التفسير وقال الشاعر جاءت لتصرعني فقلت لها اقصري اني امرؤ صرعي عليك حرام
اي انا فارس فلا يمكنك صرعي وقال ابو علي يجوز ان يكون تحريم تعبد ويقال كيف يجوز على جماعة
كثيرة من العقلاء ان يسيروا في فراسخ يسيرة فلا يهتدوا للخروج منها الجواب قال ابو علي قد يجوز ذلك
بان يحول الله الارض التي هم عليها اذا ناموا فيردهم الى المكان الذي ابتدوا منه وقد يكون بغير ذلك من
الاشتباه والاسباب المانعة من الخروج عنها على طريق المعجزة الخارجة عن العادة اربعين ظرف زمان
للتيه في قول الحسن وقتادة قالا ولم يدخلها احد منهم فالوقف على هذا على عليهم وقال الربيع بن
انس وغيره اربعين سنة ظرف التحريم فالوقف على هذا اربعين سنة فعلى الاول انما دخلها
اولادهم قاله ابن عباس ولم يبق منهم الا يوشع وكالب فخرج يوشع بذرياتهم الى تلك المدينة ففتحها
وعلى الثاني فمن بقي منهم بعد اربعين سنة دخلوها وروي عن ابن عباس ان موسى وهارون ماتا

في التيه قال غيره ونبا الله يوشع وامر بقتال الجبارين وفيها حبست عليهم الشمس حتى دخل المدينة وفيها
احرق الذي وجد الغلول عنده وكانت تنزل من السماء اذا غنموا نار بيضا فتاكل الغنايم وكان
ذلك دليل على قبولها فان كان فيها غلول لم تاكله وجاءت السباع والوحوش فاكلته فنزلت النار
فلم تاكل ما غنموا فقال ان فيكم الغلول فليات كل رجل منكم فبايعوه رجلا رجلا حتى لصقت يد
رجل منهم بيده فقال عندك الغلول فاخرج مثل راس البقرة من ذهب فنزلت النار فاكلت الغنايم
وكانت نارا بيضا مثل الفضة لها حفيف اي صوت الشجر وجناح الطاير فيما يذكرون فذكروا انه احرق
الغال ومتاعه بغور يقال له الان غور عاجر عرف باسم الغال وكان اسمه عاجرا قلت ويستفاد
من هذا عقوبة الغال قبلنا وقد تقدم حكمه في ملتنا وبيان ما ابهم به اسم النبي والغال في الحديث
الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال غزا نبي من الانبياء الحديث اخرجه مسلم قال
وفيه فغزا فادنى للقرية حتى صلاة العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس انت مامورة وانا مامور
اللهم احبسها علي شيئا فحبست عليه حتى فتح الله عليه قال فجمعوا ما غنموا فاقبلت النار لتاكله فابت
ان تطعمه فقال فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه قال فلصق بيد رجلين او ثلاثة فقال
فيكم الغلول وذكر نحو ما تقدم قال علماؤنا والحكمة في حبس الشمس على يوشع عند قتاله اهل اريحا
واشرافه على فتحها عشاء يوم الجمعة واشفاقه من ان تغرب الشمس قبل الفتح انه لو لم تحبس عليه
حرم عليه القتال لاجل السبت ويعلم به عدوهم فيعمل فيهم السيف ويجتاحهم فكان ذلك اية له خص
بها بعد ان كانت نبوته ثابتة بخبر موسى عليه السلام على ما يقال والله اعلم وفي هذا الحديث يقول عليه
الصلاة والسلام فلم تحل الغنايم لاحد من قبلنا ذلك بان الله عز وجل راى ضعفنا وعجزنا فطيبها
لنا وهذا يرد قول من قال في تاويل قوله واتاكم ما لم يوت احدا من العالمين انه تحليل الغنايم
والانتفاع بها وممن قال ان موسى عليه السلام مات بالتيه عمرو بن ميمون الاودي وزاد
وهارون وكانا خرجا في التيه الى بعض الكهوف فمات هارون فدفنه موسى وانصرف الى
بني اسرائيل فقالوا ما فعل هارون قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلته لحبنا له وكان محببا في
بني اسرائيل فاوحى الله اليه ان انطلق بهم الى قبره فاني باعثه حتى يخبرهم انه مات موتا ولم تقتله
فانطلق بهم الى قبره فنادى يا هرون فخرج من قبره ينفض راسه فقال له انا قاتلك قال لا ولكني
مت قال فعد الى مضجعك وانصرف وقال الحسن ان موسى لم يمت بالتيه وقال غيره ان موسى فتح
اريحا وكان يوشع على مقدمته فقاتل الجبابرة الذين كانوا بها ثم دخلها موسى ببني اسرائيل فاقام فيها
ما شاء الله ان يقيم ثم قبضه الله تعالى اليه لا يعلم بقبره احد من الخلايق وهو اصح الاقاويل
قلت قد روى مسلم عن ابي هريرة قال ارسل ملك الموت الى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقا
عينه فرجع الى ربه فقال ارسلتني الى عبد لا يريد الموت قال فرد الله تعالى عليه عينه وقال ارجع
اليه وقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال اي رب ثم ماذا
قال ثم الموت قال فالان فسال ربه ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولو كنت ثم لاريتكم قبره الى جانب الطريق تحت الكثيب الاحمر فهذا نبينا صلى
الله عليه وسلم قد علم قبره ووصفه وراه فيه قايما يصلي كما جاء في حديث الاسرا الا انه يحتمل ان
يكون اخفاه الله عن الخلق سواه ولم يجعله مشهورا عندهم واخفى ذلك لئلا يعبد والله اعلم
ويعني بالطريق طريق بيت المقدس ووقع في بعض الروايات الى جانب الطور مكان الطريق واختلف
العلماء في تاويل لطم موسى عين ملك الموت وفقيها على اقوال منها انها كانت عينا متخيلة لا حقيقة

وهذا

وهذا باطل لانه يودي الى ان يراه الانبياء من صور الملائكة لا حقيقة له ومنها انها كانت عينا معنوية
وانما فقاها بالحجة وهذا مجاز لا حقيقة له ومنها انه عليه الصلاة والسلام لم يعرف ملك الموت وانما
راى رجلا دخل منزله بغير اذنه يريد نفسه فدافع عن نفسه فلطم عينه ففقاها وتجب المدافعة في
هذا بكل ممكن وهذا وجه حسن لانه حقيقة في الفقا والصك قاله الامام ابو بكر بن خزيمة غير انه
اعترض عليه بما في الحديث وهو ان ملك الموت رجع الى الله تعالى قال يا رب ارسلتني الى عبد لا يريد
الموت فلو لم يعرفه موسى لما صدق هذا القول من ملك الموت وايضا قوله في الرواية الاخرى اجب ربك
يدل على تعريفه بنفسه والله اعلم ومنها ان موسى عليه السلام كان سريع الغضب اذا غضب خرج الدخان
من قلنسوته ورفع شعر بدنه جبته وسرعة غضبه كان سببا لصكه ملك الموت قاله ابن العربي
وهذا كما ترى فان الانبياء معصومون ان يقع منهم ابتدا مثل هذا في الرضا والغضب ومنها وهو الصحيح
من هذه الاقوال ان موسى عليه السلام عرف ملك الموت وانه جاء ليقبض روحه لكنه جاء مجي الجازم
بانه قد امر بقبض روحه من غير تخيير فلما جاءه على الوجه الذي اعلم بادر بشهامته وقوة نفسه
الى ادبه فلطمه ففقا عينه امتحانا لملك الموت يخيره بين الحياة والموت اختار الموت واستسلم والله
بغيبه احكم واعلم وهذا اصح ما قيل في وفاة موسى عليه السلام وقد ذكر المفسرون في ذلك قصصا واخبارا
الله اعلم بصحتها وفي الصحيح غنية عنها وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة فروي ان يوشع راه بعد
موته في المنام فقال كيف وجدت الموت فقال كشاة تسلخ وهي حية وهذا صحيح معنى قال صلى الله عليه
وسلم في الحديث الصحيح ان للموت سكرات على ما بيناه في كتاب التذكرة وقوله فلا تاس على القوم الفاسقين
اي لا تحزن والاسى الحزن اسي ياسى اسا اي حزن قال يقولون لا تهلك اسى وتجمل قوله تعالى واتل
عليهم نبا ابني ادم بالحق الى قوله المتقين فيه مسئلتان الاولى قوله واتل عليهم نبا ابني
ادم الاية وجه اتصال هذه الاية بما قبلها التنبيه من الله على ان ظلم اليهود ونقضهم المواثيق
والعهود كظلم ابن ادم لاخيه المعنى ان هم هولاء اليهود بالفتك بك يا محمد فقد قتلوا قبلك
الانبياء وقتل قابيل هابيل والشر قديم اي ذكرهم هذه القصة فهي قصة صدق لا كالاحاديث الموضوعة
وفي ذلك تبكيت لمن خالف الاسلام وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم واختلف في ابني ادم فقال
الحسن البصري ليسا لصلبه كانا رجلين من بني اسرائيل ضرب الله بهما المثل في ابانة حسد اليهود
وكان بينهما خصومة فتقربا بقربانين ولم تكن القرابين الا في بني اسرائيل قال ابن عطية وهذا
وهم لانه لا يجهل صورة الدفن احد من بني اسرائيل حتى يقتدي بالغراب والصحيح انهما ابناه لصلبه
هذا قول الجمهور من المفسرين وقاله ابن عباس وابن عمر وغيرهما وهما قابيل وهابيل وكان قربان
قابيل حزمة من سنبل لانه كان صاحب زرع واختارها من اردى زرعه ثم انه وجد فيها سنبلة
من زرعه طيبة ففركها واكلها وكان قربان هابيل كبشا لانه صاحب غنم اخذه من اجود غنمه
فتقبل فرفع الى الجنة فلم يزل يرعى فيها الى ان فدي به الذبيح عليه السلام قاله سعيد بن
جبير وغيره فلما تقبل قربان هابيل لانه كان مومنا قال له قابيل حسدا
لانه كان كافرا تمشي على الارض يراك الناس افضل مني لاقتلنك وقيل سبب هذا القربان
ان حوا عليها السلام كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى الا شيثا عليه السلام فانها ولدته منفردا
عوضا من هابيل على ما ياتي واسمه هبة الله لان جبريل عليه السلام قال لحوا لما ولدته هذا
هبة الله لك بدل عن هابيل وكان ادم يوم ولد شيث ابن ثلاثين ومائة سنة وكان يزوج
الذكر من هذا البطن الانثى من البطن الاخر ولا تحل له اخته توامته فولدت مع قابيل اختا

١١

جميلة واسمها اقليما ومع هابيل اخت ليست كذلك واسمها لبودا فلما اراد آدم تزويجهما قال قابيل انا
احق باختي فامره آدم فلم ياتمر وزجره فلم ينزجر فاتفقوا على التزتيب قاله جماعة من المفسرين منهم
ابن مسعود وروي ان آدم حضر ذلك والله اعلم وقد روي في هذا الباب عن جعفر الصادق ان ادم
لم يكن يزوج ابنته بابنه ولو فعل ذلك ادم مارغب عنه النبي صلى الله عليه وسلم ولا كان دين ادم
الا دين النبي صلى الله عليه وسلم وان الله تعالى لما اهبط آدم عليه السلام وحوى الى الارض وجمع بينهما
ولدت حوا بنتا فسماها عناقا فبغت وهي اول من بغى على وجه الارض فسلط الله عليها من قتلها
ثم ولدت لادم قابيل ثم ولدت له هابيل فلما ادرك قابيل اظهر الله له جنية من ولد الجن يقال
لها جالة في صورة انسية وخلق لهما ديما وكان اسمها بدله من هابيل ففعل فقال قابيل يا ابة الست
اكبر من اخي قال نعم قال فكنت احق بما فعلت به منه فقال له ادم يا بني ان الله الذى امرني
بذلك وان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء فقال لا والله ولكن انت اثرته علي فقال ادم فقربا
قربانا فايكما يقبل قربانه فهو احق بالفضل قلت هذه القصة عن جعفر ما اظنها تصح وان القول
ماذكرناه من انه كان يزوج غلام هذا البطن بجارية تلك البطن والدليل على هذا من الكتاب قوله
الحق يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء وهذا كالنص ثم نسخ ذلك حسب ما تقدم بيانه في سورة البقرة وكان جميع ما ولدته
حوا اربعين ذكرا وانثى في عشرين بطنا اولهم قابيل وتوتمته اقليما واخرهم عبد المغيث ثم بارك
الله في نسل ادم قال ابن عباس لم يمت ادم حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفا ومارو‌ي عن
جعفر قوله ثم ولدت بنتا وانها بغت فيقال لم من بغت امع جني تسول لها ومثل هذا لا يكون الا
بنقل صحيح يقطع العذر وذلك معدوم والله اعلم قلت في قول هابيل انما يتقبل الله من
المتقين كلام قبله محذوف لانه لما قال له قابيل لاقتلنك قال له ولم تقتلني وانا لم اجن
شيئا ولا ذنب لي في قبول الله قرباني اما اني اتقيته وكنت لاحب الحق وانما يتقبل الله من
المتقين قال ابن عطية المراد بالتقوى هنا اتقا الشرك والمعاصي ولله الدرجة العليا من
القبول والختم بالرحمة علم ذلك باخبار الله تعالى لا ان ذلك يجب على الله عقلا قلت
وهذا خاص في نوع العبادات وقد روي البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تبارك وتعالى قال من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشيء
احب مما افترضته عليه ومايزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده الذى يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن
سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن نفس المومن
يكره الموت وانا اكره اسائته قوله تعالى لئن بسطت الي يدك لتقتلني الاية فيه مسئلتان الاولى
قوله لئن بسطت الي يدك اي لئن قصدت قتلي فانا لا اقصد قتلك فهذا استسلام منه وفي الخبر
اذا كانت الفتنة فكن خير ابني ادم وروي ابو داود عن سعيد بن ابي وقاص قال قلت يا رسول
الله ان دخل الي بيتي وبسط يده الي ليقتلني قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكن كخير ابني ادم
وتلى هذه الاية لئن بسطت الي يدك لتقتلني قال مجاهد كان الفرض عليهم حينئذ ان لا يسل
احدهم سيفا وان لا يمتنع ممن يريد قتله قال علماؤنا وذلك مما يجوز ورود التعبد به الا ان
في شرعنا يجوز دفعه اجماعا وفي وجوب ذلك عليه خلاف والاصح وجوب ذلك لما فيه من
النهي عن المنكر وفي الحشوية قوم لا يجوزون للمصول عليه الدفع واحتجوا بحديث ابي ذر وجملة العلماء

على ترك القتال في الفتنة وكف اليد عند الشبهة على ما بيناه في كتاب التذكرة وقال عبد الله بن عمر
وجمهور الناس كان هابيل اشد قوة من قابيل ولكنه تحرج قال ابن عطية وهذا هو الاظهر ومن
ها هنا نقول انما هو عاص لا كافر لانه لو كان كافرا لم يكن للتحرج هنا وجه وانما وجه التحرج في
هذا المتحرج ان يقاتل موجرا وصي بان يظلم فيجازى في الاخرة ونحو هذا فعل عثمان رضي الله عنه وقيل
المعنى لا اقصد قتلك بل اقصد الدفع عن نفسي وعلى هذا قيل كان نائما فجاء قابيل فرضخ راسه بحجر على ما
ياتي ومدافعة الانسان من يريد ظلمه جايزة وان اتى على نفس العادي وقيل لا ادلين بدات بقتلي
فلا ابدا بالقتل وقيل لئن بسطت الي يدك ظلما فما انا بظالم اني اخاف الله رب العالمين الثانية
قوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين
قيل معناه معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل
يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وكان هابيل اراد اني
لست حريصا على قتلك فالاثم الذى كان يلحقني لو كنت حريصا على قتلك اريد ان تحمله انت مع اثمك
في قتلي وقيل المعنى باثمي الذى يختص بي فيما فرط لي اي يوخذ من سيئاتي فيطرح عليك بسبب ظلمك لي
وتبوء باثمك في قتلي وهذا يعضده قوله عليه الصلاة والسلام يوتى بالظالم يوم القيامة والمظلوم
فيوخذ من حسنات الظالم فيزاد في حسنات المظلوم حتى ينتصف فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات
المظلوم فيطرح عليه اخرجه مسلم بمعناه وقد تقدم ويعضده قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم وهذا بين لا اشكال فيه وقيل المعنى اني لا اريد ان تبوء باثمي واثمك كما قال تعالى والقى في الارض
رواسي ان تميد بكم اي ان لا تميد بكم وقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي ان لا تضلوا فحذف قلت
وهذا ضعيف لقوله عليه الصلاة والسلام لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها
لانه اول من سن القتل فثبت بهذا ان اثم القتل حاصل ولهذا قال اكثر العلماء ان المعنى ترجع باثم
قتلي واثمك الذى عملته قبلي قال الثعلبي هذا قول عامة المفسرين اوقيل هو استفهام اواريد على جهة
الانكار لقوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي اي وتلك نعمة وهذا لان ارادة القتل معصية حكاه
القشيري وسئل ابو الحسن بن كيسان كيف يريد المومن ان يوثم اخاه وان يدخل النار فقال وقعت
الارادة بعد ما بسط يده اليه بالقتل والمعنى لئن بسطت الي يدك لتقتلني لا يمتنعن من ذلك
مريدا للثواب فقيل له كيف قال باثمي واثمك واي اثم له اذا قتل فقيل فيه ثلاثة اجوبة احدها ان
تبوء باثم قتلي واثم ذنبك الذى من اجله لم يتقبل قربانك ويروى هذا القول عن مجاهد والوجه
الاخر ان تبوء باثم قتلي واثم اعتدائك علي لانه قد ياثم في الاعتدا وان لم يقتل والوجه الثالث
لو بسط يده اليه لاثم فراى انه اذا امسك عن ذلك فاثمه يرجع على صاحبه فصار هذا مثل قولك
المال بينه وبين زيد اي المال بينهما فالمعنى ان تبوء باثمنا واصل باء رجع الى المباءة وهي المنزل وباؤ
بغضب من الله اي رجعوا وقد مضى في البقرة مستوفى قال الشاعر الا تنتهي عنا ملوك وتتقي
محارمنا لا يبوء الدم بالدم اي لا يرجع الدم بالدم في القود فتكون من اصحاب النار دليل على انهم
في ذلك الوقت مكلفين لحقهم الوعيد والوعد وقد استدل بقول هابيل لاخيه قابيل فتكون
من اصحاب النار على انه كان كافرا لان لفظ اصحاب النار انما ورد في الكفار حيث وقع في القران
وهذا مردود هنا بما ذكرناه عن اهل العلم في تاويل الاية ومعنى من اصحاب النار مدة كونك فيها
والله اعلم قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين فيه اربع مسائل
الاولى قوله فطوعت له نفسه اي سهلت عليه الامر وشجعته وصورت له ان قتل اخيه

طوع اي سهل له يقال للشي تطوع اي سهل وانقاد وطوعه فلان له اي سهله قال الهروي طوعت وطاعت
واحد يقال طاع له الامر كذا اذا اتاه طوعا وقيل طاوعته نفسه في قتل اخيه بنزع الخافض وانتصب
وقيل انه جهل كيف يقتله فجاء ابليس بطاير او حيوان غيره فجعل يشدخ راسه بين حجرين ليقتدي
قابيل به ففعل قاله ابن جريج ومجاهد وغيرهما وقال ابن عباس وابن مسعود وجده نايما فشدخ راسه
وكان ذلك في ثور جبل بمكة قاله ابن عباس وقيل عند عقبة حرا حكاه محمد بن جرير الطبري وقال
جعفر الصادق بمكة في المسجد الاعظم وكان عمر هابيل يوم قتله قابيل عشرون سنة وقيل ان قابيل
كان يعرف القتل بطبعه لان الانسان وان لم يعرف القتل بطبعه فانه يعلم بطبعه ان النفس
فانية ويمكن اتلافها فاخذ حجرا فقتله بارض الهند والله اعلم ولما قتله ندم فقعد يبكي عند راسه
اذ اقبل غرابان فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه فحفر له حفرة ودفنه فيها ففعل القاتل باخيه كذلك
والسوءة اراد بها العورة وقيل اراد بها جيفة المقتول ثم انه هرب الى ارض عدن في اليمن فاتاه
ابليس وقال انما اكلت النار قربان اخيك لانه كان يعبد النار فانصب انت ايضا نارا تكون
لك ولعقبك فبنى بيت نار فهو اول من عبد النار فيما قيل والله اعلم وروي عن ابن عباس انه لما قتله
وادم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت وحمضت الفواكه وملحت المياه واغبرت الارض فقال ادم عليه
السلام قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل وقيل ان قابيل هو الذي
انصرف الى ادم فلما وصل اليه قال له اين هابيل قال لا ادري كانك وكلتني بحفظه فقال
له ادم افعلتها والله ان دمه لينادي اللهم العن ارضا شربت دم هابيل وروي انه من يومئذ ما
شربت الارض دما ثم ان ادم بقي مائة سنة لم يضحك حتى جاءه ملك فقال حياك الله يا ادم
وبياك قال ما بياك قال اضحكك قاله سالم بن ابي الجعد ولما مضى من عمر ادم مائة وثلاثون
سنة وذلك بعد ان قتل هابيل بخمس سنين ولدت له شيثا وتفسيره هبة الله اي خلفا من هابيل
وقال مقاتل كان قبل قتل قابيل هابيل الطيور والسباع تستانس بادم فلما قتل قابيل هابيل هربوا
فلحقت الطيور بالهوى والوحوش بالبرية والسباع بالغياض وروي ان ادم عليه السلام قال لما
تغير الحال تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح تغير كل ذي طعم ولون وقل
بشاشة الوجه المليح في ابيات ذكرها الثعلبي وغيره قال ابن عطية هكذا هو الشعر بنصب بشاشة
وكف التنوين قال القشيري قال ابن عباس ما قال ادم الشعر وان محمدا والانبياء كلهم في النهي
عن الشعر سواء لكن لما قتل هابيل رثاه ادم وهو سرياني فهي مرثية بلسان السريانية اوصى بها
الى ابنه شيث وقال انك وصيي فاحفظ مني هذا الكلام ليتوارث فحفظت الى زمان يعرب بن
قحطان فترجم يعرب عنها بالعبرانية وجعله شعرا الثانية روي من حديث انس قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الثلاثا فقال يوم الدم فيه حاضت حوا وفيه قتل ابن ادم
اخاه وثبت في صحيح مسلم وغيره عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس
ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه كان اول من سن القتل وهذا نص على التعليل
وبهذا الاعتبار يكون على ابليس كفل من معصية كل من عصى بالسجود لانه اول من عصى به وكذلك
من احدث في دين الله ما لا يجوز من البدع والاهواء قال صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة
سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وهذا نص في الخبر وقال صلى الله عليه
وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الائمة المضلين وهذا كله صريح ونص صحيح في معنى الاية وهذا
ما لم يتب منه الفاعل من تلك المعصية لان ادم عليه السلام كان اول من خالف في اكل ما

نهي عنه ولا يكون عليه شي من اوزار من عصى باكل ما نهي عنه ولا شربه ممن بعده بالاجماع لان ادم
تاب من ذلك وتاب الله عليه فصار كمن لم يجن ووجه اخر انه اكل ناسيا على الصحيح من الاقوال
كما بيناه في البقرة والناسي غير اثم ولا مواخذ الثالثة تضمنت هذه الاية البيان عن حال الحاسد
حتى يحمله حسده على اهلاك نفسه بقتل اقرب الناس اليه قرابة وامسهم به رحما واولاهم بالحنو عليه
ودفع الاذية عنه الرابعة قوله فاصبح من الخاسرين اي ممن خسر حسناته وقال مجاهد علقت احد
رجلي القاتل بساقها الى فخذها من يومئذ الى يوم القيمة ووجهه الى الشمس حيث ما دارت عليه في
الصيف حظيرة من نار وفي الشتا حظيرة من ثلج قال ابن عطية فان صح هذا فهو من خسرانه الذي
تضمنه قوله فاصبح من الخاسرين والا فالخسران يعم خسران الدنيا والاخرة قلت ولعل هذا ان
يكون عقوبته على القول بانه عاص لا كافر فيكون المعنى فاصبح من الخاسرين اي في الدنيا والله اعلم
قوله تعالى **فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سواة اخيه قال يا ويلتى اعجزت
ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي فاصبح من النادمين** فيه خمس مسائل الاولى
قوله فبعث الله غرابا يبحث في الارض قال مجاهد بعث الله غرابين فاقتتلا حتى قتل احدهما
صاحبه ثم حفر فدفنه وكان ابن ادم هذا اول من قتل وقيل ان الغراب بحث في الارض على طعمه
ليخفيه الى وقت الحاجة اليه لانه من عادة الغراب فعل ذلك فتنبه قابيل بذلك على مواراة
اخيه وقيل ان قابيل لما قتل هابيل جعله في جراب ومشى به يحمله على عنقه مائة سنة قاله
مجاهد وروى ابن القاسم عن مالك انه حمله سنة واحدة وقاله ابن عباس وقيل حتى اروح
ولا يدري ما يصنع به الى ان اقتدى بالغراب كما تقدم وفي الخبر عن انس قال سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقول امتن الله على ابن ادم بثلاث بعد ثلاث بالذبح بعد الروح فلولا ان
الريح مع هذه الروح ما دفن حميم حميما وبالدود في الجثة فلولا ان الدود يقع في الجثة لاكتنزها
الملوك وكان خيرا لهم من الدنانير والدراهم وبالموت بعد الكبر وان الرجل ليكبر حتى يمل نفسه
ويمله اهله وولده واقرباؤه فكان الموت استر له وقال قوم كان قابيل يعلم الدفن ولكن
كان ترك اخاه بالعرا استخفافا به فبعث الله غرابا يبحث في الارض على هابيل ليدفنه فقال
عند ذلك يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي فاصبح من النادمين حيث
راى اكرام الله لهابيل بان قيض الله له الغراب حتى واراه ولم يك ذلك ندم توبة وقيل ان ندمه
انما كان على فقده لا على قتله وان كان لم يكن يوفي شروطه وندم ولم يستر ندمه قال ابن عباس ولو
كانت ندامته على قتله كانت الندامة توبة منه ويقال ان ادم وحوا اتيا قبره وبكيا اياما
عليه ثم ان قابيل كان على ذروة جبل فنطحه ثور فوقع الى السفح وقد تفرقت عروقه ويقال دعا
عليه ادم فانخسفت به الارض ويقال ان قابيل استوحش بعد ما قتل هابيل ولزم البرية وكان
لا يقدر على ما ياكله الا من الوحش وكان اذا ظفر به وقذه حتى يموت ثم ياكله قال ابن عباس فكانت
الموقوذة حراما من لدن قابيل بن ادم وهو اول من يساق من الادميين الى النار وذلك
قوله تعالى ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس الاية فابليس راس الكافرين من
الجن وقابيل راس الخطايين من الانس على ما ياتي بيانه في حم فصلت ان شاء الله وقد قيل ان
الندم في ذلك الوقت لم يكن توبة والله بكل ذلك اعلم واحكم وذلك الاية ان هابيل هو اول
ميت من بني ادم ولذلك جهلت سنة المواراة وكذلك حكى الطبري عن ابن اسحق عن بعض اهل
العلم بما في الكتب الاوايل ويبحث معناه يفتش التراب بمنقاره ويثيره ومن هذا سميت سورة

براءة البحوث لانها فتشت عن المنافقين ومن ذلك قول الشاعر اذا الناس غطوني تغطيت عنهم
وان بحثوا عني ففيهم مباحث وفي المثل لا تكن كالباحث عن الشفرة قال الشاعر فكانت كعنز
السوء قامت بحبلها الى مدية مدفونة تستثيرها الثانية بعث الله الغراب حكمة ليرى
ابن ادم كيفية المواراة وهو معنى قوله ثم اماته فاقبره فصار فعل الغراب في المواراة سنة
باقية في الخلق فرضا على جميع الناس واخص به الاقربون الذين يلونه ثم الجيرة ثم سائر المسلمين
واما الكفار فقد روى ابو داود عن علي قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ان عمك الشيخ الضال
قد مات قال اذهب فوار اباك ثم لا تحدثن شيئا حتى تاتيني فواريته فجئته فامرني فاغتسلت
ودعا لي الثالثة ويستحب في القبر سعته واحسانه لما رواه ابن ماجة عن هشام بن عامر رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احفروا واوسعوا واحسنوا وروى عن الادرع
السلمي قال جئت ليلة احرس النبي صلى الله عليه وسلم فاذا رجل قراءته عالية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله هذه مراءي قال فمات بالمدينة ففرغوا من جهازه فحملوا نعشه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ارفقوا به رفق الله به انه كان يحب الله ورسوله قال وحفرت حفرته فقال
اوسعوا له وسع الله عليه فقال بعض اصحابه حزنت عليه فقال اجل انه كان يحب الله ورسوله
اخرجه ابو بكر بن ابي شيبة عن زيد بن الحارث عن موسى بن عبيدة عن سعيد بن ابي سعيد
المقبري واما هشام بن عامر بن امية الحسحاس بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الانصاري كان
يسمى في الجاهلية شهابا فغير النبي صلى الله عليه وسلم اسمه فسماه هشاما واستشهد ابوه عامر احد
سكن هشام البصرة ومات بها ذكره في كتاب الصحابة الرابعة ثم قيل اللحد افضل من الشق
فانه الذي اختاره الله لرسوله فان النبي صلى الله عليه وسلم لما توفي بالمدينة كان بها رجلان
احدهما يلحد والاخر يشق فقال ايهما جاء اول عمل عمله فجاء الذي يلحد فلحد لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ذكره مالك في الموطا عن هشام بن عروة عن ابيه واخرجه ابن ماجة عن انس بن مالك
وعايشة رضي الله عنهما والرجلان هما ابو طلحة وابو عبيدة يشق واللحد هو ان يحفر في جانب القبر
ان كانت تربته صلبة ويوضع فيه الميت ويوضع عليه اللبن ثم يهال التراب وقال سعد بن ابي
وقاص في مرضه الذي هلك فيه الحدوا لي لحدا وانصبوا علي اللبن نصبا كما صنع برسول الله
صلى الله عليه وسلم اخرجه مسلم وروى ابن ماجة وغيره عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللحد لنا والشق لغيرنا الخامسة روى ابن ماجة عن سعيد بن المسيب قال حضرت ابن عمر
في جنازة فلما وضعها في اللحد قال بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله فلما اخذ في تسوية
اللحد قال اللهم اجرها من الشيطان ومن عذاب القبر اللهم جاف الارض عن جنبيها وصعد
روحها ولقها منك رضوانا قلت يا ابن عمر اشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ام قلته
برايك قال اني اذا لقادر على القول بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة ثم اتى قبر الميت فحثا عليه من قبل راسه
ثلاثا فهذا معنى ما تعلق في معنى الاية من الاحكام والاصل في يا ويلتا يا ويلتي ثم ابدلت من الياء
الف وقرء الحسن على الاصل بالياء والاول افصح لان حذف الياء في النداء اكثر وهي كلمة تدعو بها
العرب عند الهلاك قاله سيبويه قال الاصمعي ويل بعد وقرء الحسن عجزت بكسر الجيم قال النحاس
وهي لغة شاذة انما يقال عجزت المراة اذا عظم عجزها وعجزت عن الشيء عجزا ومعجزة قوله تعالى
من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل اي من جراء ذلك القاتل وجريرته قال الزجاج اي من جنايته يقال

اجل الرجل على اهله شرا يأجل اجلا اذا جنى مثل اخذ ياخذ اخذا قال الخوت واهل خباء صالح ذات بينهم
قد احتربوا في عاجل انا اجله اي جانيه وقيل انا جاره عليهم قال عدي بن زيد اجل ان الله قد فضلكم
فوق من احكى صلبا بازار واصله الجر ومنه الاجل لانه وقت يجر اليه العقد الاول ومنه الاجل نقيض
العاجل وهو بمعنى يجر اليه معنى متقدم ومنه اجل بمعنى نعم لانه انقياد الى ما جر اليه ومنه الاجل
للقطيع من بقر الوحش لان بعضه ينجر الى بعض قال الرماني وقرا ابن زيد بن القعقاع ابو جعفر
من اجل ذلك بكسر النون وحذف الهمزة وهي لغة والاصل من اجل ذلك فالقيت كسرة الهمزة على
النون ثم حذفت الهمزة ثم قيل يجوز ان يكون قوله من اجل ذلك متعلقا بقوله من النادمين
فالوقف على قوله من اجل ذلك ويجوز ان يكون متعلقا بما بعده وهو كتبنا فمن اجل ذلك ابتداء كلام
والتمام من النادمين وعلى هذا اكثر الناس اي من سبب هذه النازلة كتبنا وخص بني اسرائيل بالذكر
وقد تقدمهم امم قبلهم كان قتل النفس فيهم محظورا لانهم اول امة نزل الوعيد عليهم في قتل الانفس
مكتوبا وكان قبل ذلك قولا مطلقا فغلظ الامر على بني اسرائيل في الكتاب بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء
انه من قتل نفسا بغير نفس اي بغير ان يقتل نفسا فيستحق القتل وقد حرم الله القتل في سائر الشرايع
الا بثلاث خصال كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان او قتل نفس ظلما وعدوانا او فساد في الارض فكانما
قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان
كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون او شرك وقيل قطع الطريق وقرء الحسن فسادا بالنصب
على تقدير حذف فعل يدل عليه اول الكلام تقديره او احدث فسادا والدليل عليه قوله من
قتل نفسا بغير نفس لانه من اعظم الفعل من المرتدين سنة ست من الهجرة وفي بعض الروايات
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احرقهم بالنار بعد ما قتلهم وروى عن ابن عباس
والضحاك انها نزلت بسبب قوم من اهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض وفي مصنف ابي داود عن ابن عباس
قال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا
او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في
الاخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم نزلت
هذه الاية في المشركين فمن اخذ منهم قبل ان يقدر عليه لم يمنعه ذلك ان يقام عليه الحد الذي
اصابه وممن قال ان الاية نزلت في المشركين الحسن وعكرمة وهذا ضعيف مردود بقوله تعالى
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله عليه الصلاة والسلام الاسلام يهدم
ما قبله اخرجه مسلم والصحيح الاول لنصوص الاحاديث الثابتة في ذلك وقال مالك والشافعي
وابو ثور واصحاب الراي الاية نزلت فيمن خرج من المسلمين يقطع السبيل ويسعى في الارض بالفساد
قال ابن المنذر قول مالك صحيح قال ابو ثور محتجا لهذا القول وفي الاية دليل على انها نزلت
في غير اهل الشرك وهو قوله جل ثناؤه الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم وقد اجمعوا
على ان اهل الشرك اذا وقعوا في ايدينا واسلموا ان دماءهم تحرم فدل ذلك على ان الاية نزلت
في اهل الاسلام وحكى الطبري عن بعض اهل العلم ان هذه الاية نسخت فعل النبي صلى الله عليه
وسلم في العرنيين ووقف الامر على هذه الحدود وروي محمد بن سيرين قال كان هذا قبل ان
ينزل الحدود يعني حديث انس ذكره ابو داود وقال قوم منهم الليث بن سعد ما فعله النبي
صلى الله عليه وسلم يوم عرينة نسخ اذ لا يجوز التمثيل بالمرتد قال ابو الزناد ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم لما قطع الذين سرقوا لقاحه وسمل اعينهم بالنار عاتبه الله عز وجل في ذلك فانزل انما
جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا اخرجه ابو داود
وقال ابو الزناد فلما وعظ ونهي عن المثلة لم يعد وحكي عن جماعة ان هذه الاية ليست بناسخة
لذلك الفعل لان ذلك وقع في مرتدين لا سيما وقد ثبت في صحيح مسلم وكتاب النسائي وغيرهما
قال انما سمل النبي صلى الله عليه وسلم اعين اولئك لانهم سملوا اعين الرعاء فكان هذا قصاصا وهذه
الاية في المحارب المؤمن قلت وهذا قول حسن وهو معنى ما ذهب اليه مالك والشافعي ولذلك
قال تعالى الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ومعلوم ان الكفار لا تختلف احوالهم في زوال
العقوبة عنهم بالتوبة بعد القدرة كما يسقط قبل القدرة والمرتد يستحق القتل بنفس الردة دون
المحاربة ولا ينفى ولا تقطع يده ورجله ولا يخلى سبيله ويقتل اذا لم يسلم ولا يصلب ايضا فدل ان ما اشتملت
عليه الاية ما عني به المرتد وقال تعالى في حق الكفار قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد
سلف وقال في المحاربين الا الذين تابوا الاية وهذا بين وعلى ما قررناه في اول الباب لا اشكال
ولا لوم ولا عتاب اذ هو مقتضى الكتاب قال الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم فمثلوا فمثل بهم الا انه يحتمل العتاب ان صح على الزيادة في القتل وذلك تسمير مجماتهم وتركهم
عطاشا حتى ماتوا والله اعلم وقيل لم يسمل اعين العرنيين وانما اراد ذلك فنزلت الاية ناهية
وهذا ضعيف جدا فان الاخبار الثابتة وردت بالسمل في صحيح البخاري فامر بمسامير فاحميت
فكحلهم ولا اختلاف بين اهل العلم ان حكم هذه الاية مترتب في المحاربين من اهل الاسلام وان كانت
نزلت في المرتدين او اليهود وفي قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله استعارة ومجاز
اذ الله سبحانه وتعالى لا يحارب ولا يغالب لما هو عليه من صفات الكمال ولما وجب له من
التنزيه عن الاضداد والانداد والمعنى يحاربون اولياء الله فعبر بنفسه العزيزة عن اوليائه
اكبارا لاذايتهم كما عبر بنفسه عن الفقراء والضعفاء في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
على الاستعطاف عليهم ومثله في صحيح السنة استطعمتك فلم تطعمني الحديث اخرجه مسلم وقد
تقدم في البقرة الثانية واختلف العلماء فيمن يستحق اسم المحاربة فقال مالك المحارب عندنا
من حمل على الناس في مصر او في برية فكابرهم على انفسهم واموالهم دون نائرة ولا ذحل ولا عداوة
قال ابن المنذر واختلف عن مالك في هذه المسئلة فاثبت المحاربة في المصر مرة ونفى ذلك
مرة وقالت طايفة حكم ذلك المصر او المنازل والطرق وديار اهل البادية سواء وحد وحكمهم
واحد هذا قول الشافعي وابو ثور قال ابن المنذر كذلك هو لان هذا يقع عليه اسم المحاربة
والكتاب على العموم ليس لاحد ان يخرج من جملة الاية قوما بغير حجة وقالت طايفة لا تكون المحاربة
انما تكون خارجا من المصر هذا قول سفيان الثوري واسحق والنعمان والمغتال كالمحارب وهو
ان يحتال في قتل انسان على اخذ ماله وان لم يشهر عليه السلاح ولكن دخل بيته او صحبه في
سفر فاطعمه سما فقتله فيقتل حدا لا قودا الثالثة واختلفوا في ذكر المحارب فقالت طايفة
يقام عليه بقدر فعله فان اخاف السبيل واخذ المال قطعت يده ورجله ثم صلب فاذا قتل
ولم ياخذ المال قتل وان هو لم ياخذ المال ولم يقتل نفي قاله ابن عباس وروي عن ابن مجلد
وعطا والنخعي وغيرهم وقال ابو يوسف اذا اخذ المال وقتل صلب على الخشبة قال الليث بالحربة
مصلوبا وقال ابو حنيفة اذا قتل واذا اخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف واذا
اخذ المال وقتل فالسلطان مخير فيه ان شاء قطع يديه ورجليه وان شاء لم يقطع وقتله

وصلبه وقال ابو يوسف القتل ياتي على كل شيء ونحوه قول الاوزاعي وقال الشافعي اذا اخذ المال قطعت
يده اليمنى وحسمت ثم قطعت رجله اليسرى وحسمت وخلي لان هذه الجناية زادت على السرقة
بالحرابة واذا قتل قتل واذا اخذ المال وقتل قتل وصلب وروي انه قال يصلب ثلاثة ايام قال وان
حضر وكثر وهيب وكان ردا للعدو حبس وقال احمد ان قتل قتل وان اخذ المال قطعت يده ورجله
كقول الشافعي وقال قوم لا يصلب قبل القتل فيحال بينه وبين الصلاة والاكل والشرب وحكي عن الشافعي
اكره ان يقتل مصلوبا لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقال ابو ثور الامام مخير على ظاهر
الاية وكذلك قال مالك وهو مروي عن ابن عباس وهو قول سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز
ومجاهد والضحاك والنخعي كلهم قال الامام مخير في الحكم على المحاربين يحكم عليهم باي الاحكام التي
اوجبها الله تعالى من القتل او الصلب او القطع او النفي بظاهر الاية قال ابن عباس ما كان في القران
او فصاحبه بالخيار وهذا القول اسعد بظاهر الاية فان اهل القول الاول الذين قالوا ان او للترتيب
وان اختلفوا فانك تجد اقوالهم انهم يجمعون عليه حدين فيقولون يقتل ويصلب ويقول بعضهم
يصلب ويقتل ويقول بعضهم يقطع يده ورجله وينفى وليس كذلك الاية ولا معنى او في اللغة قاله
النحاس واحتج الاولون بما ذكره الطبري عن انس بن مالك انه قال سال رسول الله صلى الله
عليه وسلم جبريل عن الحكم في المحارب فقال من اخذ المال واخاف السبيل فاقطع يده للاخذ ورجله
للاخافة ومن قتل فاقتله ومن جمع ذلك فاصلبه قال ابن عطية وبقي النفي للمخيف فقط والمخيف
في حكم القاتل ومع ذلك فمالك يرى فيه الاخذ باشد الاشياء استحسانا الرابعة قوله تعالى او ينفوا من
الارض اختلف في معناه فقال السدي هو ان يطلب ابدا بالخيل والرجل حتى يؤخذ فيقام حد الله او يخرج
من دار الاسلام هربا ممن طلبهم عن ابن عباس وانس بن مالك ومالك بن انس والحسن والسدي
والضحاك وقتادة وسعيد بن جبير والربيع بن انس والزهري حكاه الرماني في كتابه وحكي عن
الشافعي انهم يخرجون من بلد الى بلد ويطلبون فيقام عليهم الحد وقاله الليث بن سعد والزهري
وقال مالك ايضا ينفى من البلد الذي احدث هذا فيه الجرم ويحبس فيه كالزاني وقال الكوفيون
نفيهم سجنهم فينفى من سعة الدنيا الى ضيقها فصار كانه اذا سجن فقد نفي من الارض الا من موضع
استقراره واحتجوا بقول بعض اهل السجون في ذلك خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من
الاموات فيها ولا الاحيا اذا جاءنا السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا حكي مكحول
ان عمر بن الخطاب اول من حبس في السجون وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا انفيه من بلد الى بلد
فيؤذيهم والظاهر ان الارض في الاية هي ارض النازلة وقد يجتنب الناس قديما الارض التي اصابوا
بها الذنوب ومنه الحديث الذي ناء بصدره نحو الارض المقدسة وينبغي للامام ان كان هذا المحارب
مخوف الجانب يظن انه يعود الى حرابته وافساده انه يسجنه في البلد الذي يغرب اليه وان كان
غير مخوف الجانب سرح قال ابن عطية وهذا صريح مذهبه ان يغرب ويسجن حيث يغرب وهذا
على الاغلب في انه مخوف ورجحه الطبري وهو الراجح لان نفيه من ارض النازلة هو نص الاية
وسجنه بعد بحسب الخوف منه فاذا تاب وفهمت حالته سرح الخامسة قوله او ينفوا من الارض
النفي اصله الاهلاك بالاعدام ومنه النفاية لردي المتاع ومنه النفي لما تطاير من الماء عن الدلو قال
الراجز كان متنيه من النفي مواقع الطير على الصفا السادسة قال ابن خويز منداد ولا يراعى في
المال الذي ياخذه المحارب نصابا كما يراعى في السارق فقد قيل يراعى في ذلك النصاب ربع دينار
قال ابن العربي قال الشافعي واصحاب الراي لا يقطع من قطاع الطريق الا من اخذ قدر ما يقطع فيه

السارق وقال مالك رحمه الله يحكم عليه بحكم المحارب وهو الصحيح فان الله تعالى وقت على لسان نبيه عليه السلام القطع في السرقة في ربع دينار ولم يوقت في الحرابة شيئا بل ذكر جزاء المحارب فاقتضى ذلك توفية الجزاء لهم على المحاربة عن حبة ثم ان هذا قياس اصل على اصل وهو مختلف فيه وقياس الاعلى بالادنى والادنى بالاسفل وذلك عكس القياس فكيف يصح ان يقاس المحارب على السارق وهو يطلب خطف المال فان منع منه او صيح به حارب عليه فهو محارب يحكم عليه بحكم المحارب قال القاضي ابن العربي كنت في ايام حكمي بين الناس اذ جاء في اخذ سارق وقد دخل الدار بسكين يحبسه على قلب صاحب الدار وهو نايم واصحابه ياخذون مال الرجل حكمت فيهم بحكم المحاربين فافهموا هذا من اصل الدين وارتفعوا الى يفاع العلم عن حضيض الجاهلين قلت اليفع اعلا الجبل ومنه غلام يفعة اذا ارتفع الى البلوغ والحضيض الحفرة في اسفل الوادي كذا قال اهل اللغة ولا خلاف ان الحرابة يقتل فيها من قتل وان لم يكن المقتول مكافيا للقاتل وللشافعي قولان احدهما انه يعتبر فيها المكافاة كالقصاص وهذا ضعيف لان القتل هنا ليس على مجرد القتل وانما هو على انفاد العلم من التخويف وسلب المال قال الله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا فامر الله تعالى باقامة الحدود على المحارب اذا جمع شيئين محاربة وسعيا في الارض الفساد ولم يخص شريفا من وضيع ولا رفيعا من دني السابعة واذا خرج المحاربون فاقتتلوا مع القافلة فقتل بعض المحاربين ولم يقتل بعض قتل الجميع وقال الشافعي لا يقتل الا من قتل وهذا ايضا ضعيف فان من حضر الوقعة شركاء في الغنيمة وان يقتل جميعهم وقد اتفق معنا على قتل الرد وهو الطليعة فالمحارب اولى الثامنة واذا خاف المحاربون السبيل وقطعوا الطريق وجب على الامام قتالهم من غير ان يدعوهم ووجب على المسلمين التعاون على قتالهم وكفهم عن اذى المسلمين فان انهزموا لم يتبع منهم مدبر الا ان يكون قتل او اخذ مالا فان كان ذلك اتبع ليؤخذ ويقام عليه ما وجب بجنايته ولا يدفف منهم على جريح الا ان يكون قد قتل فان اخذوا ووجد في ايديهم مال لاحد بعينه رد اليه او الى ورثته وان لم يوجد له صاحب جعل في بيت المال وما اتلفوه من مال لاحد غرموه ولا دية لمن قتلوا اذا قدر عليهم قبل التوبة فان تابوا وجاؤوا تائبين وهي التاسعة لم يكن للامام عليهم سبيل وسقط عنهم ما كان حدا لله واخذوا بحقوق الادميين فاقتص منهم من النفس والجراح وكان عليهم ما اتلفوه من مال ودم لاولياء ذلك ويجوز لهم العفو والهبة كسائر الجناة من غير المحاربين هذا مذهب مالك والشافعي وابي ثور واصحاب الراي وانما اخذ ما بايديهم من الاموال وضمنوا قيمة ما استهلكوا لان ذلك غصب فلا يجوز ملكه لهم ويصرف الى اربابه او يوقفه الامام عنده حتى يعلم صاحبه وقال قوم من الصحابة والتابعين لا يطلب من المال الا بما وجد عنده واما ما استهلكه فلا يطلب به وذكر الطبري ذلك عن مالك من رواية الوليد ابن مسلم عنه وهو الظاهر من فعل علي ابن ابي طالب رضي الله عنه في حارثة بن بدر العراقي فانه كان محاربا ثم تاب قبل القدرة عليه فكتب اليه بسقوط الاموال والدم عنه كتابا منشورا قال ابن خواز منداد واختلفت الرواية عن مالك في المحارب اذا اقيم عليه الحد ولم يوجد له مال هل يتبع به دينا بما اخذ او يسقط عنه كما يسقط عن السارق والمسلم والذمي في ذلك سواء العاشرة واجمع اهل العلم على ان السلطان ولي من حارب فان قتل المحارب امرا واباه في حال المحاربة فليس الى طالب الدم من امر المحارب شيء ولا يجوز عفو ولي الدم والقايم بذلك الامام جعلوا ذلك بمنزلة حد من حدود الله قلت هذه جملة من احكام المحاربين جمعنا غررها واجتلبنا دررها ومن اغرب ما قيل في تفسيرها وهي الحادية عشر تفسير مجاهد لها قال مجاهد المراد بالمحاربة في هذه الاية الزنا والسرقة

وليس

وليس بصحيح لان الله سبحانه بين في كتابه على لسان رسوله ان السارق تقطع يده وان الزاني والسارق يجلد ويغرب ان بكرا ويرجم ان كان محصنا واحكام المحارب في هذه الاية مخالفة لذلك اللهم الا ان يريد اخافة الطريق باظهار السلاح قصدا للتغلب على الفروج فهذا افحش المحاربة واقبح من اخذ الاموال وقد دخل هذا في معنى قوله ويسعون في الارض فسادا الثانية عشر قال علماؤنا ويناشد اللص بالله تعالى فان كف ترك وان ابى قوتل فان انت قتلته فشر قتيل ودمه هدر روى النسائي عن ابي هريرة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت ان عدا على مالي قال انشده بالله قال فان ابوا علي قال فانشد ثانية قال فان ابوا علي قال فانشد ثالثة قال فان ابوا علي قال فقاتل فان قتلت ففي الجنة وان قتلت ففي النار واخرجه البخاري ومسلم وليس فيه ذكر المناشدة عن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت ان جاء رجل يريد اخذ مالي قال فلا تعطه مالك قال ارايت ان قاتلني قال قاتله قال ارايت ان قتلني قال فانت شهيد قال فان قتلته قال فهو في النار قال ابن المنذر وروينا عن جماعة من اهل العلم انهم راوا قتال اللصوص ودفعهم عن انفسهم واموالهم قال مذهب ابن عمر والحسن البصري وابراهيم النخعي وقتادة ومالك والشافعي واحمد واسحق والنعمان وبهذا يقول عوام اهل العلم ان للرجل ان يقاتل عن نفسه واهله وماله اذا اريد ظلما للاخبار التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخص وقتا دون وقت ولا حالا دون حال الا السلطان فان جماعة اهل الحديث كالمجمعين على ان من لم يمكنه ان يمنع عن نفسه وماله الا بالخروج على السلطان ومحاربته انه لا يحاربه ولا يخرج عليه للاخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي فيها الامر بالصبر على ما يكون من الجور والظلم وترك قتالهم والخروج عليهم ما اقاموا الصلاة قلت وقد اختلف مذهبنا اذا طلب الشيء الخفيف كالثوب والطعام هل يعطون او يقاتلون وهذا الخلاف مبني على اصل وهو ان الامر بقتالهم هل هو من تغيير المنكر او من باب دفع الضرر وعلى هذا ايضا ينبني الخلاف في دعوتهم قبل القتال والله اعلم الثالثة عشر قوله تعالى ذلك لهم خزي في الدنيا لشناعة المحاربة وعظم ضررها وانما كانت المحاربة عظيمة الضرر لان فيها سد سبيل الكسب على الناس لان اكثر المكاسب واعظمها التجارات وركنها وعمادها الضرب في الارض كما قال عز وجل يضربون في الارض يبتغون من فضل الله فاذا اخيف الطريق انقطع الناس عن السفر واحتاجوا الى لزوم البيوت فانسد باب التجارة عليهم وانقطعت اكسابهم فشرع الله على قطاع الطريق الحدود المغلظة وذلك الخزي في الدنيا ردعا لهم عن سوء فعلهم وفتحا لباب التجارة التي اباحها لعباده لمن ارادها منهم ووعد فيها بالعذاب العظيم في الاخرة وتكون هذه المعصية خارجة عن المعاصي ومستثناة من حديث عبادة في قول النبي صلى الله عليه وسلم فمن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة والله اعلم ويحتمل الخزي في الدنيا والعذاب في الاخرة لمن لم يسلم في الدنيا ويجري هذا الحديث مجرى غيره وخلود المؤمن في النار على ما تقدم ولكن يعظم عقابه لعظم الذنب ثم يخرج اما بالشفاعة واما بالقبضة ثم ان هذا الوعيد مشروط الانفاذ بالمشيئة لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اما ان الخوف يغلب عليهم بسبب الوعيد وكبر المعصية الرابعة عشر قوله تعالى الا الذين تابوا استثنى الله التائبين قبل ان يقدر عليهم واخبر بسقوط حقه عنهم بقوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القصاص وحقوق الادميين فلا يسقط ومن تاب بعد القدرة فظاهر الاية ان التوبة لا تنفع وتقام الحدود كما تقدم وللشافعي قول انه يسقط كل حد بالتوبة والصحيح من مذهبه ان ما تعلق بحق الادمي

قصاصا كان او غيره فانه لا يسقط بالتوبة قبل القدرة عليه فانه يسقط عنه الحدود وهذا ضعيف
لانه ان امن بعد القدرة عليه لم يقبل ايضا بالاجماع وقيل انما لم يسقط الحد عن المحاربين والله
اعلم لانهم يتهمون بالكذب فى توبتهم والتصنع فيها اذا نالهم يد الامام او لانه لما قدر عليهم صاروا معرضين
ان ينكل بهم فلم تقبل توبتهم كالمتلبس بالعذاب من الامم قبلنا او من صار الى حال الغرغرة فتاب
فاما اذا تقدمت توبتهم قبل القدرة عليهم فلا تهمة وهي نافعة على ما ياتى بيانه فى سورة يونس فاما
الشراب والسراق والزناة اذا تابوا واصلحوا وعرف ذلك منهم ثم رفعوا الى الامام فلا ينبغى له ان
يحدهم فان رفعوا اليه فقالوا تبنا لم يتركوا وهم فى هذه الحال كالمحاربين اذا غلبوا قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون ان
الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل
منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة الوسيلة القربة عن ابي وائل قرء الحسن
ومجاهد وقتادة وعطا والسدي وابن زيد وعبد الله بن كثير وهي فعيلة من توسلت اليه اي
تقربت قال عنترة " ان الرجال لهم اليك وسيلة " ان ياخذوك تكحلي وتخضبي " والجمع الوسايل
قال اذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافى بيننا والوسايل ويقال منه سلت اسل اي طلبت
وهما يتساولان اي يطلب كل واحد منهما من صاحبه فالاصل الطلب والوسيلة القربة التى ينبغى ان
يطلب بها والوسيلة درجة فى الجنة وهي التى جاء الحديث الصحيح فى قوله عليه الصلاة والسلام
فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها قال يزيد الفقير قيل لجابر بن عبد الله انكم يا اصحاب محمد تقولون ان قوما
يخرجون من النار والله تعالى يقول وما هم بخارجين منها فقال جابر انكم تجعلون العام خاصا
والخاص عاما انما هذا فى الكفار خاصة ومقيم معناه دايم ثابت لا يزول ولا يحول قال الشاعر
فان لكم بيوم الشعب مني " عذابا دايما ابدا مقيما قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما
جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فيه خمس وعشرون مسئلة الاولى قوله تعالى والسارق
والسارقة الاية لما ذكر تعالى اخذ الاموال بطريق السعي فى الارض والفساد ذكر حكم السارق
من غير حراب على ما ياتى بيانه فى اثناء الباب وبدا بالسارق قبل السارقة عكس الزنا على ما نبينه
اخر الباب وقد قطع السارق فى الجاهلية الوليد بن المغيرة فامر بقطعه فى الاسلام فكان اول
سارق قطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسلام من الرجال الخيار بن عدي بن نوفل بن
عبد مناف ومن النساء مرة بنت سفيان بن عبد الاسد من بني مخزوم وقطع ابو بكر يده
اليمنى التى سرق العقد وقطع عمر يد ابن سمرة اخا عبد الرحمن بن سمرة ولا خلاف فيه وظاهر الاية
العموم فى كل سارق وليس كذلك لقوله عليه الصلاة والسلام لا لا تقطع يد السارق الا فى ربع
دينارا او فى ثلاثة دراهم او فيما قيمته ربع دينار وهذا قول عمر بن الخطاب وعثمان وعلي رضي
الله عنهم وبه قال عمر بن عبد العزيز والليث والشافعي وابو ثور وقال مالك يقطع اليد فى
ربع دينارا او فى ثلاثة دراهم فان سرق درهمين وهو ربع دينار لانحطاط الصرف لم يقطع
يده فيهما والعروض لا يقطع فيها الا ان تبلغ ثلاثة دراهم قل الصرف او كثر فجعل مالك الذهب
والورق كل واحد منهما اصلا بنفسه وجعل تقويم العروض بالدراهم فى المشهور وقال احمد واسحق
ان سرق ذهبا فربع دينار وان سرق غير الذهب والفضة فكانت قيمته ربع دينارا او ثلاثة

دراهم

دراهم من الورق وهذا نحو ما صار اليه مالك فى القول الاخر والحجة للاول حديث ابن عمر ان رجلا سرق
جحفة فاتى به النبي صلى الله عليه وسلم فامر بها فقومت بثلاثة دراهم وجعل الشافعي حديث عايشة رضي
الله عنها فى الربع دينار اصلا رد اليه تقويم العروض لا بالثلاثة دراهم على غلاء الذهب ورخصه
وترك حديث ابن عمر لما راه والله اعلم من اختلاف الصحابة فى المجن الذي قطع فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فابن عمر يقول ثلاثة دراهم وابن عباس يقول عشرة دراهم وانس يقول خمسة دراهم
وحديث عايشة فى الربع دينا صحيح ثابت لم يختلف فيه عن عايشة الا ان بعضهم وقفه ورفعه
من يجب العمل بقوله لحفظه وعدالته قاله ابو عمر وغيره وعلى هذا فان بلغ العرض المسروق ربع دينار
بالتقويم قطع سارقه وهو قول اسحاق فرضيت على هذين الاصلين فهما عمدة الباب وهو اصح ما قيل
فيه وقال ابو حنيفة وصاحباه والثوري لا يقطع يد السارق الا فى عشرة دراهم كيلا او دينارا ذهبا
عينا او وزنا ولا يقطع حتى يخرج بالمتاع من ملك الرجل وحجتهم حديث ابن عباس قال قوم المجن الذي
قطع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دراهم ورواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان
ثمن المجن يومئذ عشرة دراهم اخرجهما الدارقطني عن عمر قال لا يقطع الخمس الا فى خمس وبه قال ابن سليمان
بن يسار وابن ابي ليلى وابن شبرمة وقال انس بن مالك قطع ابو بكر رضي الله عنه فى مجن قيمته خمسة
دراهم وقول خامس وهو ان اليد لا تقطع الا فى اربعة دراهم فصاعدا روي عن ابي هريرة وابي سعيد
الخدري وقول سادس وهو ان اليد تقطع فى درهم فما فوقه قاله عثمان البتي وذكره الطبري ان عبد
الله بن الزبير قطع فى درهم وقول سابع وهو ان اليد تقطع فى كل ما له قيمة على ظاهر الاية هذا قول
الخوارج وروي عن الحسن البصري وهى احدى الروايات الثلاث عنه والثانية كما روي عن
عمر والثالثة حكاها قتادة عنه انه قال تذاكرنا القطع فى كم يكون على عهد زياد فاتفق
راينا على درهمين وهذه اقوال متكافية والصحيح منها ما قدمناه لك فان قيل قد روى البخاري
ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة
فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده وهذا موافق لظاهر الاية فى القطع فى القليل والكثير والجواب
ان هذا خرج مخرج التحذير بالقليل عن الكثير كما جاء فى معرض الترغيب بالقليل مجرى الكثير فى قوله
عليه الصلاة والسلام من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة وقيل ان
ذلك مجاز من وجه اخر وذلك انه اذا سرق القليل سرق الكثير فقطعت يده واحسن
من هذا ما قاله الاعمش وذكره البخاري فى اخر الحديث فى التفسير قال كانوا يرون انه بيض الحديد
والحبل كانوا يرون ان منها ما يساوي دراهم قلت كحبال السفينة وشبه ذلك والله اعلم الثانية
اتفق جمهور الناس ان القطع لا يكون الا على من اخرج من حرز ما يجب فيه القطع وقال الحسن
ابن ابي الحسن ايضا فى قول اخر مثل قول ساير العلماء فصار اتفاقا صحيحا والحمد لله الثالثة الحرز
هو ما نصب عادة لحفظ اموال الناس وهو يختلف فى كل شي بحسب حاله على ما ياتى بيانه قال
ابن المنذر ليس فى هذا الباب خبر ثابت لا مقال فيه لاهل العلم وانما ذلك كالاجماع من اهل
العلم وحكي عن الحسن وهو الظاهر انهم لم يشترطوا الحرز وفى الموطا لمالك عن عبد الله بن
عبد الرحمن بن ابي حسين المكي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع فى ثمر معلق ولا فى
حريسة جبل فاذا اواه المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن قال ابن عمر هذا حديث
متصل بمعناه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره وعبد الله هذا ثقة عند الجميع
كان احمد يثني عليه وعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الثمر المعلق

المجن الحبلان

من اصاب منه من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شيء عليه ومن خرج بشيء منه فعليه القطع ومن سرق
دون ذلك فعليه غرامة مثله والعقوبة وفي رواية وجلدات نكالا بدل العقوبة قال ابو عمر قوله
غرامة مثله منسوخ لا اعلم احدا من الفقهاء قال به الا ما جاء عن عمر في دقيق حاطب بن ابي بلتعة خرجه
مالك ورواية عن احمد بن حنبل والذي عليه الناس في الغرم بالمثل لقوله تعالى فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم وروى ابو داود عن صفوان بن امية قال كنت نايما في المسجد على خميصة لي ثمن ثلاثين
درهما فجاء رجل فاختلسها مني فاخذ الرجل فاتي النبي صلى الله عليه وسلم فامر به ليقطع قال فاتيته فقلت
اتقطعه من اجل ثلاثين درهما انا ابيعه وانسيه ثمنها قال فهلا كان هذا قبل ان تاتيني به ومن
جهة النظر ان الاموال خلقت مهياة لانتفاع الخلق اجمعين ثم الحكمة الاولية حكمت فيها بالاختصاص
الذي هو الملك شرعا وبقيت الاطماع متعلقة والاموال محرمة عليها فيكفها المروة والديانة في اصل الخلق
ويكفها الصون والحرز عن اكثرهم فاذا اجتمع ما الكفان فقد اجتمع فيها الصون والحرز غاية الامكان للانسان
فاذا هتكا فحسب الجريمة ضخمت العقوبة واذا هتك احد الصورتين وهي الملك وجب الضمان
والادب الرابعة فاذا اجتمع جماعة فاشتركوا في اخراج نصاب من حرز فلا يخلوا اما ان يكون
بعضهم ممن يقدر على اخراجه او لا الا بتعاونهم فان كان الاول فاختلف فيه علماؤنا على قولين
احدهما يقطع فيه والثاني لا يقطع وبه قال ابو حنيفة والشافعي قالا لا يقطع في السرقة المشتركون
الا بشرط ان يجب لكل واحد منهم نصاب يخصه لقوله عليه الصلاة والسلام لا تقطع يد السارق الا في ربع
دينار فصاعدا وكل واحد من هؤلاء لم يسرق نصابا فلا قطع عليهم ووجه القطع في احدى الروايتين
ان الاشتراك في الجناية لا يسقط عقوبتها كالاشتراك في القتل ابن العربي وما اقرب ما بينهما
فانا انما قتلنا الجماعة بالواحد صيانة للدماء لئلا يتعاونوا على سفكها الاعداء فكذلك في
الاموال مثله لا سيما وقد ساعدنا الشافعي على ان الجماعة اذا اشتركوا في قطع يد رجل قطعوا
ولا فرق بينهما وان كان الثاني وهو ما لا يمكن اخراجه الا بالتعاون فانه يقطع جميعهم باتفاق
العلماء ذكره ابن العربي الخامسة فان اشتركوا في السرقة بان نقب واحد الحرز واخرج اخر
فان كانا متعاونين قطعا وان انفرد كل واحد بفعله دون اتفاق منهما بان يجيء اخر فيخرج
فلا قطع على واحد منهما وان تعاونا في النقب وانفرد احدهما بالاخراج فلا قطع عليه خاصة
وقال الشافعي لا قطع لان هذا نقب ولم يسرق من حرز مهتوك الحرمة وقال ابو حنيفة
ان شارك في النقب ودخل واخذ ولا يشترط الاشتراك في النقب للتقابل على التواحد
بل التعاقب في الضرب يحصل به النكز السادسة ولو دخل احدهما فاخرج المتاع الى اخر
الحرز وادخل الاخر يده فاخذ فعليه القطع لا على الاخذ وان وضعه وسط النقب فاخذه
الاخر والتقت ايديهما في النقب قطعا جميعا السابعة والقبر والمسجد حرز فيقطع النباش
عند الاكثر وقال ابو حنيفة لا قطع لانه سرق من غير حرز مالا معرضا للتلف لا مالك له لان
الميت لا يملك ومنهم من ينكر السرقة لانه ليس فيه ساكن وانما تكون السرقة بحيث تتقى الاعين
ويتحفظ من الناس وعلى نفي السرقة عول اهل ما وراء النهر وقال الجمهور هو سارق لانه تدرع الليل
لباسا واتقى الاعين وقصد وقتا لا ناظر ولا مار عليه فكانه بمنزلة ما لو سرق في وقت بروز
الناس للعيد وخلو البلد من جميعهم واما قولهم ان الميت لا يملك فباطل لانه لا يجوز ترك الميت
عاريا فصارت هذه الحاجة قاضية بان القبر حرز وقد نبه الله تعالى عليه بقوله الم نجعل
الارض كفاتا احياء وامواتا ليسكن فيها حيا ويدفن فيها ميتا واما قوله انه عرضة للتلف وكلما

يليه الحي ايضا معرض للتلف والاخلاق بلباسه الا ان احد الامرين اعجل من الثاني وقد روى ابو داود
عن ابي ذر قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف انت اذا اصاب الناس موت يكون البيت
بالوصيف يعني القبر قلت الله ورسوله اعلم قال عليك بالصبر قال حماد بهذا قال من قال يقطع يد النباش
لانه دخل على الميت بيته واما المسجد فمن سرق حصره قطع رواه عيسى عن ابن القاسم وان لم يكن للمسجد
باب ورآها محرزة وان سرق الابواب قطع ايضا وروى عن ابن القاسم ايضا ان كانت سرقته للحصر
نهارا لم يقطع وان كان مستورا عليها فلا قطع وذكر عن سحنون ان كان حصيرا خيط بعضها الى بعض والا لم
يقطع قال اصبغ يقطع يد سارق حصر المسجد وقناديله وبلاطه كما لو سرق بابه مستترا او خشبة من
سقفه او من جوايزه وقال اشهب في كتاب محمد لا قطع في شيء من حصر المسجد وقناديله وبلاطه الثامنة
واختلف العلماء هل يكون غرم مع القطع ام لا فقال ابو حنيفة لا يجتمع القطع مع الغرم لان الله تعالى
قال والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ولم يذكر غرما قال الشافعي يغرم
قيمة السرقة موسرا كان او معسرا ويكون دينا عليه متى ايسر اداه وهو قول احمد واسحاق واما علماؤنا مالك
واصحابه فقالوا ان كانت العين قايمة ردها فان تلفت فان كان موسرا غرم وان كان معسرا لم يتبع
به دينا ولم يكن عليه شيء وروى مثل ذلك الزهري قال الشيخ ابو اسحق وقد قيل انه يتبع بها دينا مع
القطع موسرا كان او معسرا قال وهو قول غير واحد من اهل المدينة واستدل على صحته بانهما حقان
لمستحقين فلا يسقط احدهما بالاخر كالدية والكفارة ثم قال وبهذا اقول واستدل القاضي ابو الحسن
للمشهور بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اقيم على السارق الحد فلا ضمان عليه واسنده في كتابه وقال
بعضهم ان الاتباع بالغرم عقوبة ولا يجتمع عقوبتان وعليه قول القاضي عبد الوهاب والصحيح قول
الشافعي ومن وافقه قال الشافعي يغرم السارق ما سرق موسرا كان او معسرا قطع او لم يقطع وكذلك
اذا قطع الطريق قال ولا يسقط الحد لله ما اتلفه للعباد واما ما احتج به علماؤنا من الحديث اذا
كان معسرا احتج الكوفيون وهو قول الطبري ولا حجة فيه رواه النسائي والدارقطني عن عبد الرحمن
بن عوف قال ابن عمر هذا حديث ليس بالقوي ولا تقوم به حجة وقال ابن العربي وهذا حديث باطل
فقال الطبري القياس ان عليه غرم ما استهلك ولكن تركنا ذلك اتباعا للاثر في ذلك قال ابو عمر
ترك القياس لضعيف الاثر غير جايز لان الضعيف لا يوجب حكما التاسعة واختلف في قطع يد
من سرق المال من الذي سرقه فقال علماؤنا يقطع وقال الشافعي لا يقطع لانه سرق من غير مالك
ومن غير حرز وقال علماؤنا حرمة المالك عليه باقية ولا ينقطع عنه ويد السارق كلا يد كالغاصب
لو سرق منه المال المغصوب قطع فان قيل اجعلوا حرزه كلا حرز قلنا الحرز قايم والملك قايم
ولم يبطل الملك فيه فيقولوا لنا ابطلوا الحرز العاشرة واختلفوا اذا كرر السرقة بعد القطع
في العين المسروقة فقال الاكثر يقطع وقال ابو حنيفة لا قطع عليه وعموم يوجب
عليه القطع وهو رد لقوله وقال ابو حنيفة ايضا في السارق يملك الشيء المسروق بشراء او هبة
قبل القطع فانه لا يقطع والله تعالى يقول والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما فاذا وجب
القطع حقا لله لم يسقط الحادية عشر قرا الجمهور والسارق والسارقة بالرفع قال سيبويه وفيما
فرض عليكم السارق والسارقة وقيل الرفع فيهما على الابتداء فاقطعوا ايديهما وليس القصد معينا
اذ لو قصد معينا لوجب النصب تقول زيدا اضربه بل هو كقولك من سرق فاقطع يده وقال
الزجاج وهذا القول هو المختار وقرئ والسارق بالنصب فيهما وعلى تقدير واقطعوا السارق
والسارقة وهو اختيار سيبويه لان الفعل بالامر اولى قال سيبويه الوجه في كلام سيبويه النصب

كما تقول زيدا اضربه ولكن العامة ابت الا الرفع يعني عامة القراء وجلتهم فانزل سيبويه النوع
السارق منزلة الشخص المعين وقرا ابن مسعود والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهما وهو
يقوي قراءة الجماعة والسرق والسرقة بكسر الراء فيهما هو اسم الشيء المسروق والمصدر من سرق يسرق
سرقا بفتح الراء قال الجوهري واصل هذا اللفظ انما هو اخذ الشيء في خفية من الاعين ومنه استرق
السمع ومسارقة النظر قال ابن عرفة السارق عند العرب هو من جاء مستترا الى حرز فاخذ منه ما
ليس له فان اخذ من ظاهر فهو مختلس ومستلب ومنتهب ومحترس فان تمنع مما في يده فهو غاصب انتهى
قلت وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اسوا السرقة الذي يسرق صلاته قالوا وكيف
يسرق صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها خرجه الموطا وغيره فسماه سارقا وان كان ليس سارقا
من حيث وضع الاشتقاق فانه ليس فيه مسارقة الاعين غالبا الثانية عشر قوله تعالى فاقطعوا ايديهما
القطع الابانة والازالة ولا يجب الا بجمع اوصاف تعتبر في السرقة وفي الشيء المسروق منه وفي صفته فاما
ما يعتبر في السارق فخمسة اوصاف وهي البلوغ والعقل وان يكون غير مالك المسروق منه وان لا يكون
له عليه ولاية ولا يقطع العبد ان سرق من مال سيده وكذلك السيد ان اخذ مال عبده لان
له اخذ ماله فسقط قطع العبد باجماع الصحابة وبقول الخليفة غلامكم سرق متاعكم وذكر الدار
قطني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على العبد الآبق اذا سرق قطع ولا
على الذمي قال لم يرفعه غير فهد بن سليمان والصواب موقوف وذكر ابن ماجة عن ابي بكر بن ابي
شيبة حدثنا ابو اسامة عن ابي عوانة عن عمر بن ابي سلمة عن ابيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا سرق العبد فبيعوه ولو بنش قال ابن ماجة وحدثنا جبارة بن المغلس
حدثنا حجاج بن تميم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس ان عبدا من رقيق الجيش سرق من
الخمس فرفع الى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقطعه وقال مال الله سرق بعضه بعضا وجبارة بن
المغلس متروك قاله ابو زرعة ولا قطع على صبي ولا مجنون ويجب على الذمي والمعاهد والحربي
اذا دخل بامان واما ما يعتبر في الشيء المسروق فاربعة اوصاف وهي النصاب وقد مضى القول فيه
وان يكون مما يتملك ويتمول ويحل بيعه فان كان مما لا يتملك ولا يتمول ولا يحل بيعه كالخمر
والخنزير فلا يقطع فيه باتفاق حاشا الحر الصغير عند مالك وابن القاسم وقيل لا قطع عليه
وبه قال الشافعي وابو حنيفة لانه ليس بمال وقال علماؤنا هو من اعظم المال ولم يقطع السارق
في المال لعينه وانما قطع لتعلق النفوس به وتعلقها بالحر اكثر من تعلقها بالعبد وان كان
مما يجوز تملكه ولا يجوز بيعه كالكلب المأذون في اتخاذه ولحوم الضحايا ففي ذلك اختلاف
عن ابن القاسم واشهب قال ابن القاسم ولا يقطع سارق الكلب وقال اشهب ذلك في المنهي
عن اتخاذه واما المأذون في اتخاذه فيقطع سارقه قال ومن سرق لحم اضحية او جلدها قطع
اذا كان قيمة ذلك ثلاثة دراهم وقال ابن حبيب قال اصبغ جلد الضحية قبل الذبح قطع وان
سرق بعد الذبح لا يقطع وان كان مما يجوز اتخاذ اصله وبيعه فصنع منه ما لا يجوز استعماله
كالطنبور والملاهي من المزمار والعود وشبهه من آلات اللهو فينظر فان كان يبقى منها بعد
فساد صورها واذهاب المنفعة المقصودة بها ربع دينار فاكثر قطع وكذلك الحكم في اواني
الذهب والفضة التي لا يجوز استعمالها ويومر بكسرها فانما يقوم ما فيها من الذهب والفضة دون
صنعته وكذلك الصليب من ذهب او فضة والزيت النجس ان كانت قيمته على نجاسته نصابا
قطع فيه الوصف الثالث ان لا يكون للسارق فيه ملك كمن سرق ما رهنه او استاجره ولا شبهة

ملك على اختلاف بين علمائنا وغيرهم في مراعاة شبهة ملك كالذي سرق من المغنم او من بيت المال لان
له فيه نصيبا وروي عن علي انه أُتي برجل سرق مغفرا من الخمس فلم ير عليه قطعا وقال له فيه نصيب
وعلى هذا مذهب الجماعة في بيت المال وقيل يجب عليه القطع تعلقا بعموم لفظ اية السرقة وان يكون مما
يصح سرقته كالعبد الصغير والاعجمي الكبير لان ما لا تصح سرقته كالعبد الفصيح فانه لا يقطع فيه واما ما يعتبر
في الموضع المسروق منه فوصف واحد وهو الحرز لمثل ذلك الشيء المسروق وجملة القول فيه ان كل شيء له
مكان معروف فكانه حرزه وكل شيء معه حافظ فحافظه حرزه فالدور والمنازل والحوانيت حرز
لما فيها غاب عنها اهلها او حضروا وكذلك بيت المال حرز لجماعة المسلمين والسارق لا يستحق فيه شيئا
وان كان قبل السرقة مما يجوز ان يعطيه الامام وانما يتعين حق كل مسلم بالعطية الا ترى ان الامام
قد يجوز ان يصرف جميع المال الى وجه من وجوه المصالح ولا يفرقه في الناس او يفرقه في بلد دون بلد
اخر ويمنع منه قوما دون قوم ففي التقدير ان هذا السارق ممن لا حق له فيه وكذلك الغنائم لا يخلو
ان تتعين بالقسمة فهو ما ذكرنا في بيت المال وتتعين بنفس التناول لمن شهد الوقعة فيجب ان
يراعى قدر ما سرق بان يكون فوق حقه قطع والا لم يقطع الرابعة عشر وظهور الدواب حرز للمحمولات
وافنية الحوانيت حرز لما وضع فيها في موقف البيع وان لم يكن هناك حانوت كان معه اهله ام سرق
بليل او نهار وكذلك موقف الشاة بالسوق مربوطة او غير مربوطة والدواب على مرابطها محرزة كان
معها اهلها ام لا فان كانت الدابة بباب المسجد او في السوق لم تكن محرزة الا ان يكون معها حافظ ومن
ربط دابته بفنائه او اتخذ موضعا مربطا لدوابه فانه حرز لها والسفينة حرز لما فيها وسواء كانت سائبة
او مربوطة فان سرقت السفينة نفسها فهي كالدابة ان كانت سائبة فليست بمحرزة وان كان صاحبها
ربطها في موضع وارساها وربطها حرز وهكذا ان كان معها احد حيث ما كانت فهي محرزة كالدابة بباب
المسجد معها حافظ الا ان ينزلوا بالسفينة في سفرهم منزلا فربطوها فهو حرز لها كان صاحبها معها
او لا الخامسة عشر ولا خلاف ان الساكنين في دار واحدة كالفنادق التي يسكن كل واحد على جهته
يقطع من سرق منهم من بيت صاحبه اذا اخذ وقد خرج بسرقته الى قاعة الدار وان لم يدخل بها
بيته ولا خرج بها من الدار ولا خلاف في انه لا يقطع من سرق منهم من قاعة الدار فان ادخله بيته
واخرجه من الدار لان قاعتها مباحة للجميع للبيع والشراء الا ان تكون الدابة في مربطها او ما يشبهها
من المتاع السادسة عشر ولا يقطع الابوان بسرقة مال ابنهما لقوله عليه الصلاة والسلام انت
ومالك لابيك ويقطع الابن في سرقة مالهما لانه لا شبهة له فيه وقيل لا يقطع وهو قول ابن
وهب واشهب لان الابن ينبسط في مال ابيه في العادة الا ترى ان العبد لا يقطع في مال
سيده فلان لا يقطع ابنه في ماله اولى واختلفوا في الجد فقال مالك وابن القاسم لا يقطع وقال
اشهب يقطع وقول مالك اصح لانه اب وان علا قال مالك احب الي ان لا يقطع الاجداد من قبل
الاب والام وان لم يجب لهم نفقة قال ابن القاسم ولا يقطع من سرق من جوع اصابه وقال ابو حنيفة
لا يقطع من ذوي الارحام مثل العمة والخالة والاخت وغيرهم وهو قول الثوري وقال مالك والشافعي
واحمد واسحق يقطع من سرق من هؤلاء وقال ابو ثور يقطع كل سارق سرق ما يقطع فيه اليد الا ان يجمعوا
على شيء فيسلم للاجماع انتهى السابعة عشر واختلفوا في سارق المصحف فقال الشافعي وابو حنيفة
وابو ثور يقطع اذا كانت قيمته ما يقطع فيه الوليد وقال ابن القاسم لا يقطع من سرق مصحفا قال
ابن المنذر يقطع سارق المصحف واختلفوا في الطرار يطر النفقة في الكم فقالت طائفة يقطع
من طر من داخل الكم او من خارج وهو قول مالك والاوزاعي وابي ثور ويعقوب وقال ابو حنيفة

ومحمد بن الحسن واسحق ان كانت الدراهم مصرورة الى داخل الكم فادخل يده فسرقها قطع وقال
الحسن يقطع قال ابن المنذر يقطع على اي وجه طر الثامنة عشر واختلفوا في قطع اليد في السفر وا[قامة]
الحدود في ارض الحرب فقال مالك والليث بن سعد تقام الحدود في ارض الحرب ولا فرق بين
دار الحرب والاسلام وقال الاوزاعي يقيم من غزا على جيش وان لم يكن امير مصر من الامصار الحدود
في عسكره الا ان يكون اقام بمصر او الشام او العراق او ما اشبهه فيقيم الحدود في عسكره استدل الاوزا[عي]
ومن قال بقوله بحديث جنادة بن ابي امية قال كنا مع بسر بن ارطاه في البحر فاتي بسارق يقال له
مصدر قد سرق بختيه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقطع الايدي في الغزو ولولا
ذلك لقطعته بسر هذا يقال انه ولد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكانت له اخبار سوء في جانب
علي واصحابه وهو الذي ذبح طفلين لعبيد الله بن العباس ففقدتهما امهما عقلها فهامت على وجهها
فدعا عليه علي رضي الله ان يطيل الله عمره ويذهب عقله فكان كذلك قال يحيى بن معين كان بسر
بن ارطاه رجل سوء استدل من قال بالقطع بعموم القران وهو الصحيح ان شاء الله واولى ما يحتج به
لمن منع القطع في دار الحرب والحدود مخافة ان يلحق ذلك بالشرك والله اعلم التاسعة عشر اذا قطعت
اليد او الرجل فالى اين يقطع فقال الكافة من الرسغ والرجل من المفصل ويحسم السارق اذا قطع وقال
بعضهم يقطع الى المرفق وقيل الى المنكب لان اسم اليد يتناول ذلك قال علي رضي الله عنه يقطع الرجل
من شطر القدم ويترك له العقب وبه قال احمد وابو ثور قال ابن المنذر وقد روينا عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه امر بقطع يد رجل فقال احسموها وفي اسناده مقال واستحب ذلك جماعة منهم
الشافعي وابو ثور وهذا احسن وهو اقرب من البرو ابعد من التلف الموفية عشرين لا خلاف ان
اليمين هي التي تقطع اولا ثم اختلفوا ان سرق ثانيا فقال مالك واهل المدينة والشافعي وابو ثور
وغيرهم يقطع رجله اليسرى ثم الثالثة يده اليسرى ثم الرابعة رجله اليمنى ثم ان سرق خامسة يعزر
ويحبس وكان ابو مصعب يقتل بعد الرابعة واحتج بحديث النسائي عن الحارث بن حاطب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بلص فقال اقتلوه فقالوا يا رسول الله انما سرق قال اقطعوا يده
قال ثم سرق فقطعت رجله ثم سرق على عهد ابي بكر حتى قطعت قوايمه كلها ثم سرق ايضا الخامسة
فقال ابو بكر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم بهذا حين قال اقتلوه ثم دفع الى فتية من قريش
ليقتلوه منهم عبد الله بن الزبير وكان يحب الامارة فقال امروني عليكم فامروه عليهم فكان اذا
ضرب ضربوه حتى قتلوه ولحديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بسارق في الخامسة قال اقتلوه
قال جابر فانطلقنا به فقتلناه احتززناه فرميناه في بئر ورمينا عليه الحجارة ورواه ابو داود
وخرجه النسائي وقال الحديث منكر واحد رواته ليس بالقوي ولا اعلم في هذا الباب حديثا صحيحا
وقال ابن المنذر ثبت عن ابي بكر وعمر انهما قطعا اليد بعد اليد والرجل بعد الرجل وقيل تقطع
في الثانية رجله اليسرى ثم لا قطع في غيرها فان عاد عزر وحبس وروي عن علي ابن ابي طالب
وبه قال الزهري وحماد ابن ابي سلمة واحمد بن حنبل قال الزهري لم يبلغنا في السنة الا قطع اليد
والرجل وقال عطا يقطع يده اليمنى خاصة ولا يعود عليه القطع ذكره ابن العربي وقال اما قول
عطا فان الصحابة قالوا قبله خلافه الحادية والعشرون واختلفوا في الحاكم يامر بقطع يد السارق
اليمنى فتقطع يساره فقال قتادة قد اقيم عليه الحد لا يزاد عليه وبه قال مالك اذا اخطا القاطع
فقطع شماله وبه قال اصحاب الراي استحسانا وقال ابو ثور على الحزاز الدية لانه اخطا وقطع يمينه
الا ان يمنع منه اجماع قال ابن المنذر ليس يجوز قطع يد السارق من احد معنيين اما ان يكون القاطع

تعمد

تعمد ذلك فعليه القود او يكون خطا فديته على عاقلة القاطع وقطع يمين السارق يجب ولا يجوز
ازالة ما اوجب الله سبحانه متعمدا وخطا مخطا وقال الثوري في الذي يقتص منه في يمينه اذا برى
وذلك انه اتلف يساره ولا شي على القاطع في قول اصحاب الراي وقياس قول الشافعي ويقطع يمينه
اذا برات وقال قتادة والشعبي لا شي على القاطع وحسبه ما قطع منه الثانية والعشرون وتعلق
يد السارق في عنقه قال عبد الله ابن محيريز سالت فضالة عن تعليق يد السارق في عنقه امن السنة
هو فقال جي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعت يده ثم امر بها فعلقت في عنقه اخرجه الترمذي
وقال الحديث حسن غريب وابو داود والنسائي الثالثة والعشرون اذا وجب حد السارق فقتل السارق
رجلا فقال مالك يقتل ولا يدخل القطع فيه وقال الشافعي يقطع لانهما حدان لمستحقين فوجب ان
يوفى لكل منهما حقه وهو الصحيح ان شاء الله وهو اختيار ابن العربي الرابعة والعشرون قوله ايديهما
ولم يقل يديهما تكلم علما البيان في ذلك قال ابن العربي وتابعهم الفقهاء على ما ذكروه حسن ظن
بهم فقال الخليل بن احمد والفرا كل شي يوحد من خلق الانسان اذا اضيف الى اثنين جمع وبهذا
قال فاقطعوا ايديهما ولم يقل يديهما والمراد فاقطعوا يمينا من هذا ويمينا من هذا ويجوز في اللغة
فاقطعوا يديهما وهو الاصل قال الشاعر ومهمهين قذفين مرتين ظهراهما مثل ظهور الترسين
وقيل فعل هذا لانه لا يشكل وقال سيبويه اذا كان مفردا قد يجمع اذا اردت به التثنية وحكي عن
العرب وضعا رحالهما وتريد رحلي راحلتيهما قال ابن العربي وهذا بناء على ان اليمين وحدها هي
التي تقطع وليس كذلك بل يقطع الايدي والارجل فيعود قوله الى اربعة وهي جمع في الاثنين وهما
تثنية فياتي الكلام على فصاحته ولو قال فاقطعوا ايديهم لكان له وجه لان السارق والسارقة
لم يرد بهما شخصين خاصة وانما هما اسما جنس يعمان ما لا يحصى الخامسة والعشرون قوله جزاء بما
كسبا مفعول من اجله وان شئت كان مصدرا وكذا نكالا من الله نكلت به اذا فعلت به ما
ينكل بحيث ان ينكل به عن ذلك الفعل والله عزيز لا يغالب حكيم فيما يفعله وقد تقدم والعلم
السادسة والعشرون قوله تعالى فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله
غفور رحيم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله
غفور رحيم قوله فمن تاب من بعد ظلمه واصلح شرط وجوابه فان الله يتوب عليه ومعنى من بعد
ظلمه من بعد السرقة فان الله يتجاوز عنه والقطع لا يسقط عنه بالتوبة وقال عطا وجماعة
يسقط بالتوبة قبل القدرة على السارق وقال بعض الشافعية وعزاه الى الشافعي اولا وتعلقوا
بقول الله تعالى الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم وذلك استثناء من الوجوب فوجب
حمل جميع الحدود عليه وقال علماؤنا هذا بعينه دليلنا لان الله سبحانه لما ذكر حد المحارب
قال الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم وعطف عليه حد السارق وقال فيه فمن تاب
من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه فلو كان مثله في الحكم ما غاير الحكم بينهما ابن العربي
ويا معشر الشافعية سبحان الله اين الدقايق الفقهية والحكم الشرعية التي تستنبطونها من
غوامض المسايل الم تروا الى المحارب المستبد بنفسه والمعتدي بسلاحه الذي يفتقر الامام معه
الى الايجاف بالخيل والركاب كيف سقط حده بالتوبة استنزالا عن تلك الحالة كما فعل بالكافر
في مغفرة جميع ما سلف استيلافا على الاسلام فاما السارق والزاني وهما في قبضة المسلمين وتحت
حكم الامام فما الذي يسقط عنهم حكم ما وجب عليهم او كيف يجوز ان يقال يقاس على المحارب وقد
فرقت بينهما الحكمة والحالة هذا ما لا يليق بمثلكم يا معشر المحققين واذا ثبت ان الحد لا يسقط

بالتواتر فالتوبة مقبولة والقطع كفارة له واصلح اي كما تاب عن السرقة تاب عن كل ذنب وقيل واصلح ترك المعصية بالكلية فاما من ترك المعصية بالزنا او التهود بالتنصر فهذا ليس توبة وتوبة الله تعالى على العبد ان يوفقه للتوبة وقيل ان يقبل منه التوبة النافعة والعترزن يقال بدء الله بالسارق في الاية قبل السارقة وبالزانية قبل الزاني فما الحكمة في ذلك فالجواب ان لما لما كان حب المال على الرجال اغلب وشهوة النساء على الاستمتاع اغلب بدا بهما في الموضعين هذا احد الوجوه في المراة على ما ياتي بيانه في سورة النور من البداة بها على الزاني ان شاء الله تعالى ثم جعل سبحانه حد السرقة قطع اليد لتناول المال ولم يجعل حد الزنا قطع الذكر مع مواقعة الفاحشة لثلاثة معان احدها ان السارق مثل يده التي قطعت فان انزجر بها اعتاض بالباقية وليس للزاني مثل ذكره اذا قطع فلم يعتض لغيره لو انزجر بقطعه الثاني ان الحد زجر للمحدود وغيره وقطع اليد في السرقة ظاهر وقطع الذكر في الزنا باطل الثالث ان قطع الذكر فيه ابطال للنسل وليس في قطع اليد ابطاله قوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره اي لا قرابة بين الله وبين احد توجب المحاباة حتى يقول قايل نحن ابناء الله واحباؤه والحدود تقام على كل من تعارف موجب الحد وقيل الي له ان يحكم بما يريد فلهذا فرق بين المحاربين والسارق وغير المحارب وقد تقدم نظاير هذه والكلام فيها فلا معنى لاعادتها والله الموفق هذا ما يتعلق باية السرقة من بعض احكام السرقة والله اعلم قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم

فيه ثمان مسائل الاولى قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الاية في سبب نزولها ثلاثة اقوال قيل نزلت في بني قريظة والنضير قتل قرظي نضيريا وكان بنو النضير اذا قتلوا من بني قريظة لم يقيدوهم وانما يعطونهم الدية على ما ياتي بيانه فتحاكموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فحكم بالتسوية بين القرظي والنضيري فساءهم ذلك ولم يقبلوا وقيل انها نزلت في شان ابي لبابة حين ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة فخانه حين اشار اليهم انه الذبح وقيل انها نزلت في زنا اليهوديين وقصة الرجم وهذا اصح الاقوال رواه الائمة مالك والبخاري ومسلم والترمذي وابو داود قال ابو داود عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم ايتوني باعلم رجلين منكم فجاؤا بابني صوريا فنشدهما الله كيف تجدان امر هذين في التورية قالا نجد في التورية اذا شهد اربعة انهم راوا ذكره في فرجها كالمرود في المكحلة رجما قال فما يمنعكما ان ترجموهما قالا ذهب سلطاننا فكرهنا القتل فدعا النبي صلى الله عليه وسلم اليهود فجاؤا فشهدوا انهم راوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة فامر النبي صلى الله عليه وسلم برجمهما وفي غير الصحيحين عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال زنا رجل من اهل فدك فكتب اهل فدك الى ناس من اليهود بالمدينة ان سلوا محمدا عن ذلك فان امركم بالجلد فخذوه وان امركم بالرجم فلا تاخذوه فسالوه فدعا ابن صوريا وكان عالمهم وكان اعور فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله كيف تجدون حد الزاني في كتابكم فقال ابن صوريا فاما اذ ناشدتني الله فانا نجد في التورية ان النظر زنية والاعتناق زنية والقبلة زنية فان شهد اربعة بانهم راوه كالميل في

المكحلة

المكحلة فقد وجب الرجم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو ذاك وفي صحيح مسلم عن البراء بن عازب قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محمما مجلودا فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالذي انزل التورية على موسى اهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم قال لولا انك نشدتني بهذا لم اخبرك نجد الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد قلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا الجلد والتحميم مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقول ايتوا محمدا فان امركم بالتحميم والجلد فخذوه وان افتاكم بالرجم فاحذروا فانزل الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها هكذا في هذه الرواية مر على النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ابن عمر اتي بيهودي ويهودية قد زنيا فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء يهود قال ما تجدون في التورية على من زنا الحديث وفي رواية ان اليهود جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامراة قد زنيا وفي كتاب ابي داود من حديث ابن عمر قال اتى نفر من يهود فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القف فاتاهم في بيت المدارس فقالوا يا ابا القاسم ان رجلا منا زنا بامراة فاحكم بينهم ولا تعارض في شيء من ذلك كله وهي كلها قصة واحدة وقد ساقها ابو داود من حديث ابي هريرة سياقة حسنة فقال زنى رجل من اليهود فقال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى هذا النبي فانه نبي بعث بالتخفيفات فان افتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله وقلنا فتيا نبي من انبيائك قال فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في اصحابه فقالوا يا ابا القاسم ما ترى في رجل وامراة منهم زنيا فلم يكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى اتى بيت مدارسهم فقام على الباب فقال انشدكم الله الذي انزل التورية على موسى ما تجدون في التورية على من زنى اذا احصن قالوا يحمم ويجبه ويجلد والتجبية ان يحمل الزانيان على حمار ويقابل اقفيتهما ويطاف بهما قال وسكت شاب منهم فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم سكت الظ به النشدة فقال اللهم اذ نشدتنا فانا نجد في التورية الرجم وساق الحديث الى ان قال قال النبي صلى الله عليه وسلم فاني احكم بما في التورية فامر بهما فرجما الثالثة والحاصل من هذه الروايات ان اليهود حكمت النبي صلى الله عليه وسلم فحكم عليهم بمقتضى ما في التورية واسند في ذلك الى قول ابن صوريا وانه سمع شهادة اليهود وعمل بها وان الاسلام ليس شرطا في الاحصان فهذه مسايل اربع فاذا ترافع اهل الذمة الى الامام فان كان ما رفعوه ظلما كالقتل والعدوان والغصب حكم بينهم ومنعهم منه بلا خلاف واما ان لم يكن كذلك فالامام مخير في الحكم بينهم وتركهم عند مالك والشافعي غير ان مالكا راى الاعراض عنهم اولى فان حكم حكم بينهم بحكم الاسلام وقال الشافعي لا يحكم بينهم في الحدود وقال ابو حنيفة يحكم بينهم على كل حال وهو قول الزهري وعمر بن عبد العزيز ويروى عن ابن عباس وهو احد قولي الشافعي لقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله على ما ياتي بيانه بعد احتج مالك بقوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وهو نص في التخيير قال ابن القاسم اذا جاء الاساقفة والزانيان فالحاكم مخير لان انفاذ الحكم الى الاساقفة والمخالف يقول لا يلتفت الى الاساقفة قال ابن العربي وهو الاصح لان مسلمين لو حكما بينهما رجلا لنفذ ولم

يعتبر رضى الحاكم فالكتابيون بذلك اولى وقال عيسى عن ابن القاسم لم يكونوا اهل ذمة انما كانوا
اهل حرب قال ابن العربي وهذا الذي قاله عيسى عنه انما نزع به لما رواه الطبري وغيره ان
الزانيين كانا من اهل خيبر وفدك وكانوا حربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسم المراة الزانية
بسرة وكانوا بعثوا الى يهود المدينة يقولون لهم سلوا محمدا عن هذا فان افتاكم بغير الرجم فخذوا منه
واقبلوه وان افتى به فاحذروه الحديث قال ابن العربي وهذا لو كان صحيحا لكان مجيئهم بالزانيين
وسؤالهم عهدا وامانا وان لم يكن عهد وذمة ودار لكان لهم حكم الكف عنهم والعدل فيهم فلا
حجة لرواية عيسى في هذا وعنهم اخبر الله سبحانه بقوله سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين
لم ياتوك ولما حكموا النبي صلى الله عليه وسلم نفذ الحكم عليهم ولم يكن لهم الرجوع فكل من حكم
رجلا في الدين وهي الثالثة فاصله هذه الاية قال مالك اذا حكم رجل رجلا فحكمه ماض وان رفع
الى قاض امضاه الا ان يكون جورا بينا وقال سحنون يمضيه ان راه صوابا قال ابن العربي وذلك
في الاموال والحقوق التي تختص بالطلب فاما الحدود فلا يحكم فيها الا السلطان والضابط ان كل
حق اختص به الخصمان جاز التحكيم فيه ونفذ تحكيم المحكم به وتحقيقه ان التحكيم بين الناس انما هو
حقهم لا حق الحاكم بيد ان الاسترسال على التحكيم خرم لقاعدة الولاية ومود الى تهارج الناس تهارج
الحمر فلا بد من نصب فاصل فامر الشرع بنصب الوالي ليحسم قاعدة الهرج واذن في التحكيم تخفيفا عنه
وعنهم لمشقة الترافع لتتم المصلحتان وتحصل الفايدة وقال الشافعي وغيره التحكيم جايز وهو غير لازم
وانما هو فتوى وقال بعض العلما انما كان حكم النبي صلى الله عليه وسلم على اليهود بالرجم اقامة لحكم
كتابهم لما حرفوه واخفوه وتركوا العمل به الا ترى انه قال اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه
وان ذلك حين قدم المدينة ولذلك استثبت ابني صوريا عن حكم التوراة واستحلفه على ذلك
واقوال الكفار في الحدود وفي شهادتهم عليها غير مقبولة بالاجماع لكن فعل ذلك على ترك التزامهم
ما التزموه وعملوا به وقد يحتمل ان يكون حصول طريق العلم بذلك الوحي او ما القى الله في روعه
من تصديق ابني صوريا فيما قالاه من ذلك لا قولهما مجردا فبين له صلى الله عليه وسلم ولخبر بشرعية
الرجم ومبديه ذلك الوقت فيكون افاد بما فعله اقامة حكم التورية وبين ان ذلك حكم شريعته
وان التورية حكم الله لقوله تعالى انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين
اسلموا وهو من الانبياء وقد قال عنه ابو هريرة فاني احكم بما في التورية والله اعلم الرابعة والجمهور
على رد شهادة الذمي لانه ليس من اهلها فلا يقبل على مسلم ولا على كافر وقد قبل شهادتهم جماعة من
التابعين وغيرهم اذا لم يوجد مسلم على ما ياتي بيانه اخر السورة فان قيل فقد حكم بشهادتهم ورجم
الزانيين والجواب انه انما نفذ عليهم ما علم انه حكم التورية والزمهم العمل به على نحو ما عملت به بنوا
اسرائيل الزاما للحجة واظهارا لتحريفهم وتغييرهم فكان منفذا لا حاكما وهذا على التاويل الاول
وعلى ما ذكر من الاحتمال فيكون ذلك خاصا بتلك الواقعة اذ لم يسمع في الصدر الاول من
قبل شهادتهم في مثل ذلك والله اعلم الخامسة قوله تعالى لا يحزنك قرء نافع بضم الياء وكسر الزاي
والباقون بفتح الياء وضم الزاي والحزن والحزن خلاف السرور وحزن الرجل بالكسر فهو حزن
وحزين واحزنه غيره وحزنه ايضا مثل اسلكه وسلكه ومحزون بني عليه قال اليزيدي حزنه
لغة قريش واحزنه لغة تميم وقد قرئ بهما واحتزن وتحزن بمعنى والمعنى في الاية تانيس النبي
صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنك مسارعتهم الى الكفر فان الله قد وعدك النصر عليهم السادسة
قوله من الذين قالوا امنا بافواههم وهم المنافقون ولم تؤمن قلوبهم اي لم يضمروا في قلوبهم الايمان

كما نطقت به السنتهم طوافون عليكم وقيل الابتداء من قوله ومن الذين هادوا اي ومن الذين هادوا
قوم سماعون للكذب اي قابلون للكذب رؤساهم من تحريف التورية وقيل اي يسمعون كلامك
يا محمد ليكذبوا عليك فكان فيهم من يحضر النبي صلى الله عليه وسلم ثم يكذب عليه عند عامتهم ويقبح
صورته في اعينهم وهو معنى قوله سماعون لقوم اخرين لم ياتوك وكان في المنافقين من يفعل
هذا قال الفرا ويجوز سماعين وطوافين كما قال ملعونين اينما ثقفوا وكما قال ان المتقين في
جنات ونعيم ثم قال فاكهين اخذين وقال سفيان بن عيينة ان الله سبحانه ذكر الجاسوس في
القران بقوله سماعون لقوم اخرين لم ياتوك ولم يعرض النبي صلى الله عليه وسلم لهم مع علمه بهم
لانه لم يكن حينئذ تقررت الاحكام ولا تمكن الاسلام وسياتي حكم الجاسوس في الممتحنة ان شاء
الله تعالى السابعة قوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يتاولونه على غير تاويله بعد
ان فهموه عنك وعرفوا مواضعه التي اراده الله وبين احكامه فقال شرعه ترك الرجم وجعلهم بدل
رجم المحصن جلد اربعين تغيير الحكم الله عز وجل ويحرفون في موضع الصفة لقوله سماعون وليس
بحال من الضمير الذي في ياتوك لانهم اذا لم ياتوا لم يسمعوا والتحريف انما هو ممن يشهد ويسمع فيحرف
والمحرفون من اليهود بعضهم لا كلهم ولذلك كان حمل المعنى على ومن الذين هادوا فريق سماعون اشبه
يقولون في موضع الحال من المضمر في يحرفون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اتاكم محمد بالجلد فاقبلوا والا
فلا الثامنة قوله تعالى ومن يرد الله فتنته اي ضلالته في الدنيا وعقوبته في الاخرة فلن تملك
له من الله شيئا اي فلن ينفعه اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم بيان منه عز وجل انه
قضى عليهم بالكفر ودلت الاية على ان الضلالة بمشيئة الله ردا على من قال بخلاف ذلك كما تقدم اي
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الطبع عليها والختم كما طهر قلوب المؤمنين ثوابا لهم في الدنيا خزي
قيل هو فضيحتهم حين انكروا الرجم ثم احضرت التورية فوجد فيها الرجم وقيل خزيهم في الدنيا
اخذ الجزية والذل قوله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او
اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب
المقسطين قوله سماعون للكذب اكالون للسحت فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى سماعون للكذب
كرره تاكيدا وتفخيما وقد تقدم في البقرة الثانية قوله اكالون للسحت على التكثير والسحت في اللغة
اصله الهلاك والشدة قال الله تعالى فيسحتكم بعذاب قال الفرزدق وعض زمان يا ابن
مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف كذا الرواية او مجلف بالرفع عطفا على المعنى لان
معنى لم يدع لم يبق ويقال للحالق اسحت اي استاصل وسمي المال الحرام سحتا لانه يسحت الطاعات
اي يذهبها ويستاصلها قال الفرا اصله كلب الجوع يقال رجل مسحوت المعدة اي اكول فكان بالمسترشي
واكل الحرام من الشره الى ما يعطى مثل المسحوت المعدة من النهم وقيل سمي الحرام سحتا لانه يسحت مروة
الانسان قال الشيخ القرطبي رحمه الله والقول الاول اولى لانه بذهاب الدين تذهب المروة ولا
مروة لمن لا دين له قال ابن مسعود وغيره السحت الرشا وقال عمر بن الخطاب رشوة الحاكم من السحت
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل لحم نبت بالسحت فالنار اولى به قالوا يا رسول الله وما
السحت قال الرشوة في الحكم وعن ابن مسعود ايضا انه قال السحت ان يقضي لاخيه حاجة
فيهدي اليه هدية فيقبلها وقال ابن خويز منداد من السحت ان ياكل الرجل بجاهه وذلك
ان يكون له جاه عند السلطان فيساله انسان حاجة فلا يقضيها الا برشوة ياخذها ولا خلاف
بين السلف ان اخذ الرشوة على ابطال الحق او ما لا يجوز سحت حرام وقال ابو حنيفة اذا ارتشى

الحاكم انعزل فى الوقت وان لم ينعزل بطل كل حكم حكم به بعد ذلك قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا
لا يجوز ان يختلف فيه لان اخذ الرشوة منه فسق والفاسق لا يجوز حكمه والله اعلم وقال عليه الصلاة
والسلام لعن الله الراشي والمرتشي وعن علي رضي الله عنه انه قال السحت الرشوة وحلوان الكاهن
والاستجعال فى المعصية وروي عن وهب بن منبه انه قيل له الرشوة حرام فى كل شئ فقال لا انما
يكره من الرشوة ان ترشي لتعطي ما ليس لك او تدفع حقا قد لزمك واما ان ترشي لتدفع عن دينك و
دمك ومالك فليس بحرام قال ابو الليث السمرقندي الفقيه وبهذا ناخذ لا باس بان يدفع الرجل
عن نفسه وماله بالرشوة وهذا كما روي عن عبد الله بن مسعود انه كان بالحبشة فرشى دينارين وقال
انما الاثم القابض دون الدافع قال المهدوي ومن جعل كسب الحجام وما ذكر معه سحتا فمعناه انه
يسحت مروة اخذه قال الشيخ القرطبي الصحيح فى كسب الحجام انه طيب ومن اخذ طيبا لا تسقط مروته
ولا تنحط مرتبته وقد روي مالك عن حميد الطويل عن انس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم
حجمه ابو طيبه فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاع من تمر وامر اهله ان يخففوا عنه من
خراجه قال ابن عبد البر هذا يدل على ان كسب الحجام طيب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجعل
ثمنا ولا جعلا ولا عوضا لشئ من الباطل وحديث انس هذا ناسخ لما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ثمن الدم وناسخ لما كرهه من اجارة الحجام وروي البخاري وابو داود عن ابن عباس قال احتجم
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطى الحجام اجره ولو علمه سحتا لم يعطه والسحت والسحت لغتان
قرئ بهما قرا ابو عمرو وابن كثير والكسائي بضمتين والباقون بضم السين وحدها وروي العباس بن
الفضل عن خارجة بن مصعب عن نافع اكلون للسحت بفتح السين واسكان الحاء وهذا مصدر من
سحته اسحت وسحت بمعنى وقال الزجاج سحته ذهب به قليلا قليلا قوله تعالى فان جاؤك
فاحكم بينهم او اعرض عنهم هذا تخيير من الله تعالى ذكره القشيري وقد تقدم معناه انهم كانوا
اهل موادعة لا اهل ذمة فان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وادع اليهود ولا يجب علينا
الحكم بين الكفار اذا لم يكونوا اهل ذمة بل يجوز الحكم ان اردنا فاما اهل الذمة فهل يجب علينا الحكم
بينهم اذا ترافعوا الينا فيه قولان للشافعي واذا ارتبطت الخصومة بمسلم يجب الحكم قال المهدوي
اجمع العلماء على ان الحاكم ان يحكم بين المسلم والذمي واختلفوا فى الذميين فذهب بعضهم الى
ان الاية محكمة وان الحاكم مخير روي ذلك عن النخعي والشعبي وغيرهما وهو مذهب مالك
والشافعي وغيرهما سوى ما روي عن مالك فى ترك اقامة الحد على اهل الكتاب فى الزنا فانه
قال اذا زنى المسلم بالكتابية حد ولا حد عليها فان كان الزانيان ذميان فلا حد عليهما وهو
مذهب ابي حنيفة ومحمد بن الحسن وغيرهما وقد روي عن ابي حنيفة ايضا انه قال يجلدان
ولا يرجمان وقال الشافعي وابو يوسف وابو ثور وغيرهم عليهما الحد اذا اتيا راضيين بحكمنا قال
ابن خواز منداذ ولا يرسل الامام اليهم اذا استعدى بعضهم على بعض ولا يحضر الخصم مجلسه الا ان
يكون فيما يتعلق بالظالم الذي ينتشر منها الفساد كالقتل ونهب المنازل واشباه ذلك فاما
الديون والطلاق وساير المعاملات فلا يحكم بينهم الا بعد التراضي والاختيار له ان لا يحكم
ويردهم الى حكامهم فان حكم بينهم حكم بحكم الاسلام واما اجبارهم على حكم المسلمين فيما ينتشر منه
الفساد فليس على الفساد عهدناهم وواجب قطع الفساد عنهم منهم ومن غيرهم لان فى ذلك حفظ
اموالهم ودمائهم ولعل فى دينهم استباحة ذلك فينتشر منه الفساد بيننا ولذلك منعناهم ان
يبيعوا الخمر جهارا وان يظهروا الزنا وغير ذلك من القاذورات لئلا يفسد بهم سفهاء المسلمين

واما الحكم فيما يختص به دينهم من الطلاق والزنا وغيره فليس يلزمهم ان يتدينوا بديننا وفى الحكم بينهم
اضرار بحكامهم وتغيير ملتهم وليس كذلك الديون والمعاملات لان فيها وجها من الظالم وقطع الفساد
والله اعلم وفى الاية قول ثان وهو ما روي عن عمر بن عبد العزيز والنخعي ايضا ان التخيير المذكور فى
الاية منسوخ بقوله تعالى وان احكم بينهم وهو مذهب عطا الخراساني وابي حنيفة واصحابه وغيرهم
روي عن عكرمة انه قال فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسختها اية اخرى وان احكم بينهم بما
انزل الله قال مجاهد لم ينسخ من المائدة الا ايتين قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسختها وان احكم بينهم
بما انزل الله وقوله لا تحلوا شعاير الله نسختها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال الزهري مضت
السنة ان يرد اهل الكتاب فى حقوقهم ومواريثهم الى اهل دينهم الا ان ياتوا راضين فيحكم الله فيحكم بينهم
بكتاب الله قال السمرقندي وهذا القول موافق قول ابي حنيفة انه لا يحكم بينهم ما لم يتراضوا بحكمنا قال
النحاس فى الناسخ والمنسوخ له قوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم منسوخ لانه انما نزل
اول لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم واليهود يومئذ كثير وكان الاصلح لهم ان يردوا الى حكامهم فلما قوى
الاسلام انزل الله وان احكم بينهم بما انزل الله قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والزهري وعمر بن عبد
العزيز والسدي وهو الصحيح من قول الشافعي قال فى كتاب الجزية ولا خيار له اذا تحاكموا اليه لقوله
تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ان تجري عليهم احكام المسلمين وجب ان لا يردوا الى
احكامهم فاذا وجب هذا فالاية منسوخة وهو ايضا قول الكوفيين ابي حنيفة وزفر وابي يوسف ومحمد
لا اختلاف بينهم اذا تحاكم اهل الكتاب الى الامام انه ليس له ان يعرض عنهم غير ان ابا حنيفة قال
اذا جاءت المراة والزوج فعليه ان يحكم بينهما وان جاءت المراة وحدها ولم يرض الزوج لم يحكم
وقال الباقون يحكم فثبت ان اكثر العلماء ان الاية منسوخة مع ما ثبت فيها من توقيف ابن عباس
ولو لم يات الحديث عن ابن عباس لكان النظر يوجب انها منسوخة لانهم قد اجمعوا ان اهل
الكتاب اذا تحاكموا الى الامام فله ان ينظر بينهم فاذا نظر بينهم مصيب عند الجماعة واختلفوا
فى الاعراض عنهم فالواجب ان ينظر بينهم لانه مصيب عند الجماعة وان لا يعرض عنهم فيكون عند
بعض العلماء تاركا فرضا فاعلا ما لا يحل ولا يسعه قال النحاس ولمن قال انها منسوخة من
الكوفيين قول اخر منهم من يقول على الامام اذا علم من اهل الكتاب حدا من حدود الله وان احكم
بينهم يحتمل امرين احدهما وان احكم بينهم اذا تحاكموا اليك والاخر وان احكم بينهم وان لم يتحاكموا
اليك اذا علمت ذلك منهم قالوا فوجدنا فى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب
اقامة الحق عليهم وان لم يتحاكموا الينا فاما ما فى كتاب الله تعالى فقوله يا ايها الذين امنوا كونوا
قوامين بالقسط شهداء لله واما ما فى السنة فحديث البرا قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي
قد جلد وحمم فقال هكذا حد الزاني عندكم فقالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله
هكذا حد الزاني فيكم فقال لا الحديث وقد تقدم قال النحاس فاحتجوا بان النبي صلى الله عليه وسلم
حكم بينهم ولم يتحاكموا اليه فى هذا الحديث فان قال قايل ففى حديث مالك عن نافع عن ابن عمر
ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم قلنا ليس فى حديث مالك ايضا ان الذين زنيا رضيا بالحكم
وقد رجمهما النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو عمر بن عبد البر لو تدبر من احتج بحديث البرا لم يحتج لان
فى درج الحديث تفسير قوله عز وجل فان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا يقول ان افتاكم
بالتحميم والجلد فخذوه وان افتاكم بالرجم فاحذروا دليل على انهم حكموه وذلك بين حديث ابن
عمر وغيره فان قال قايل ليس فى حديث ابن عمر ان الزانيين حكما رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا رضيا بحكمه قلنا حد الزاني حق من حقوق الله تعالى على الحاكم اقامته ومعلوم ان اليهود كان لهم
حاكم يحكم بينهم ويقيم حدودهم عليهم وهو الذي حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وان حكمت
فاحكم بينهم بالقسط روى النسائي عن ابن عباس قال كان قريظة والنضير وكان النضير اشرف من قريظة
وكان اذا قتل رجل من قريظة رجلا من النضير قتل به واذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فقالوا
ادفعوه الينا لنقتله فقالوا بيننا وبينكم النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط
النفس بالنفس ونزلت افحكم الجاهلية يبغون قوله تعالى وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها
حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمومنين انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم
بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا
عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشوني ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الكافرون قوله تعالى وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله قال الحسن هو الرجم
وقال قتادة هو القود ويقال هل يدل قوله عز وجل فيها حكم الله على انه لم ينسخ الجواب قال ابو علي
نعم لانه لو نسخ لم يطلق عليه بعد النسخ انه حكم الله كما لا يطلق ان حكم الله تحليل الخمر او تحريم السبت
وقوله وما اولئك بالمومنين اي بحكمك انه من عند الله وقال ابو علي ان من طلب غير حكم الله من حيث
لم يرض به فهو كافر وهذه حالة اليهود قوله تعالى انا انزلنا التورية فيها هدى ونور اي بيان
وضيا وتعريف ان محمدا صلى الله عليه وسلم حق هدى في موضع رفع بالابتدا ونور عطف عليه يحكم بها
النبيون الذين اسلموا للذين هادوا وقيل المراد بالنبيين محمد صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بلفظ الجمع
وقيل كل من بعث من بعد موسى باقامة التورية وان اليهود قالت ان الانبياء كانوا يهودا وقالت
النصارى كانوا نصارى فبين الله عز وجل كذبهم ومعنى اسلموا صدقوا بالتورية موسى الى عيسى عليهما
السلام وبينهما الف نبي ويقال اربعة الاف ويقال اكثر من ذلك كانوا يحكمون بما في التورية
وقيل معنى اسلموا خضعوا وانقادوا لامر الله تعالى فيما بعثوا به وقيل اي يحكم بها النبيون الذين هم
على دين ابراهيم عليه السلام والمعنى واحد ومعنى للذين هادوا على الذين هادوا فاللام بمعنى على
وقيل المعنى يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا وعليهم فحذف عليهم والذين اسلموا
ههنا نعت فيه معنى المدح مثل بسم الله الرحمن الرحيم هادوا اي تابوا من الكفر وقيل فيه تقديم
وتاخير اي انا انزلنا التورية فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون والاحبار اي
ويحكم بها الربانيون وهم الذين يسوسون الناس بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره عن ابن عباس
وغيره وقد تقدم في آل عمران وقال ابو رزين الربانيون العلماء الحكماء والاحبار قال ابن
عباس هم الفقهاء والحبر والحبر هو الرجل العالم وهو ماخوذ من التحبير وهو التحسين فهم يحبرون
العلم اي يبينونه ويزينونه وهو محبر في صدورهم قال مجاهد الربانيون فوق العلماء والالف
واللام للمبالغة قال الجوهري والحبر والحبر واحد احبار اليهود وبالكسر افصح لانه يجمع على افعال
دون الفعول قال الفراء هو حبر بالكسر يقال ذلك للعالم وقال الثوري سالت الفراء لم سمي الحبر حبرا
فقال يقال للعالم حبر وحبر فالمعنى مداد حبر ثم حذف كما قال واسال القرية قال فسالت الاصمعي
فقال ليس هذا بشي انما سمي حبرا لتاثيره يقال على اسنانه حبرة اي صفرة او سواد وقال ابو العباس
سمي الحبر الذي يكتب به حبرا لانه محبر به اي يحقق به وقال ابو عبيد والذي عندي في واحد
الاحبار الحبر بالفتح ومعناه العالم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه وقال هكذا يرويه المحدثون
كلهم بالفتح والحبر الذي يكتب به وموضعه المحبرة بالكسر والحبر ايضا الاثر والجمع حبور عن يعقوب

بما

بما استحفظوا من كتاب الله اي استودعوا من علمه والباء متعلقة بالربانيين والاحبار كانه قال والعلماء
بما استحفظوا او تكون متعلقة بيحكم اي يحكموا بما استحفظوا وكانوا عليه شهداء اي على الكتاب بانه
من عند الله ابن عباس شهداء على حكم النبي صلى الله عليه وسلم انه في التورية فلا تخشوا الناس اي في اظهار
صفة محمد صلى الله عليه وسلم واظهار الرجم واخشوني في كتمان ذلك فالخطاب لعلماء اليهود وقد يدخل بالمعنى
كل من كتم حقا وجب عليه ولم يظهره وتقدم معنى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا مستوفى قوله تعالى
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون نزلت كلها في الكفار ثبت
ذلك في صحيح مسلم من حديث البرا وعلى هذا المعظم فاما المسلم فلا يكفر وان ارتكب كبيرة وقيل فيه
اضمار اي ومن لم يحكم بما انزل الله ردا للقران وجحدا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر قاله
ابن عباس ومجاهد فالاية عامة على هذا قال ابن مسعود والحسن هي عامة في كل من لم يحكم بما انزل الله
من المسلمين واليهود والكفار اي معتقدا ذلك ومستحلا له فاما من فعل ذلك وهو معتقد انه
راكب محرما فهو من فساق المسلمين وامره الى الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء غفر له وقال ابن عباس
في رواية ومن لم يحكم بما انزل الله فقد فعل فعلا يضاهي افعال الكفار وقيل اي ومن لم يحكم بجميع
ما انزل الله فهو كافر فاما من حكم بالتوحيد ولم يحكم ببعض الشرايع فلا يدخل في هذه الاية والصحيح
الاول الا ان الشعبي قال هي في اليهود خاصة واختاره النحاس قال ويدل على ذلك ثلاثة اشياء
منها ان اليهود قد ذكروا قبل هذا في قوله للذين هادوا فعاد الضمير عليهم ومنها ان سياق الكلام
يدل على ذلك الا ترى ان بعده وكتبنا عليهم فيها وهذا الضمير لليهود باجماع وايضا فان اليهود
هم الذين انكروا الرجم والقصاص فان قال قايل من اذا كانت للمجازاة فهي عامة الا ان يقطع
دليل على تخصيصها قيل له من ههنا بمعنى الذي مع ما ذكرناه من الادلة والتقدير واليهود الذين
لم يحكموا بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وهذا من احسن ما قيل في هذا ويروى ان حذيفة سئل
عن هذه الايات اهي في بني اسرائيل قال نعم هي فيهم ولتسلكن سبيلهم حذو النعل وقيل الكافرون
للمسلمين والظالمون لليهود والفاسقون للنصارى وهذا اختيار القاضي ابي بكر بن العربي قال لانه
ظاهر الايات وهو اختيار ابن عباس وجابر بن زيد وابن ابي زائدة وابن شبرمة والشعبي ايضا
قال طاوس وغيره ليس بكفر ينقل عن الملة ولكنه كفر دون كفر وهذا يختلف ان حكم بما
عنده على انه من عند الله فهو تبديل له يوجب الكفر وان حكم به هوى ومعصية فهو ذنب تدركه
المغفرة على اصل اهل السنة في الغفران للمذنبين قال القشيري ومذهب الخوارج ان من ارتشا
وحكم بغير حكم الله فهو كافر وعزى هذا الى الحسن والسدي وقال الحسن ايضا اخذ الله عز وجل على الحكام
ثلاثة اشياء ان لا يتبعوا الهوى وان لا يخشوا الناس ويخشوه وان لا يشتروا باياته ثمنا قليلا قوله تعالى
وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن
بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الظالمون فيه ثلاثون مسالة الاولى قوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس بين انه سوى بين
النفس والنفس في التورية فخالفوا ذلك فضلوا فكانت دية النضري اكثر وكان النضري لا
يقتل بالقرظي ويقتل به القرظي فلما جاء الاسلام راجع بنو قريظة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه فحكم بالاستوا فقالت بنو النضير قد حططت منا فنزلت هذه الاية وكتبنا يعني فرضنا وقد
تقدم وكان شرعهم القصاص او العفو وما كان فيهم الدية كما تقدم في البقرة بيانه وتعلق ابو حنيفة
وغيره بهذه الاية فقال يقتل المسلم بالذمي لانه نفس بنفس وقد تقدم في البقرة بيان هذا وقد

روي ابو داود والترمذي والنسائي عن علي رضي الله عنه انه سئل هل خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشيء قال لا الا ما في هذا واخرج كتابا من قراب سيفه واذا فيه المؤمنون تتكافؤ دماؤهم وهم على من
سواهم ولا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده وايضا فان الاية انما جاءت للرد على اليهود في المفاضلة
بين القبائل واخذهم من قبيلة رجلا برجل ومن قبيلة اخرى رجلا برجلين وقالت الشافعية هذا خبر
عن شرع من قبلنا وشرع من قبلنا ليس شرعا لنا وقد مضى في البقرة في الرد عليهم ما يكفي فتامله هناك
ووجه رابع وهو انه تعالى قال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس وكان ذلك مكتوبا على اهل
التورية وهي ملة واحدة ولم يكن لهم اهل ذمة كما للمسلمين اهل ذمة لان الجزية وغنيمة افاءها الله
تعالى على المؤمنين ولم يجعل الفيء لاحد قبل هذه الامة ولم يكن نبي فيما مضى مبعوثا الا الى قومه فاوجبت
الاية الحكم على بني اسرائيل اذ كانت دماؤهم تتكافا فهو كما قال الواحد منا في ذمتي سوى المسلمين النفس
بالنفس اذ يشير الى قوم معينين ويقول الحكم في هؤلاء ان النفس منهم بالنفس وليس في كتاب الله ما
يدل على ان النفس بالنفس على الاختلاف الملة الثانية قال اصحاب الشافعي وابو حنيفة اذا جرح او
قطع اليد او الاذن ثم قتل فعل ذلك به لان الله تعالى قال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس
والعين بالعين فيوخذ منه ما اخذ ويفعل به كما فعل وقال علماؤنا ان قصد به المثلة فعل به
مثله وان كان ذلك في اثنا مضاربة ومدافعة قتل بالسيف وانما قالوا ذلك في المثلة يجب لان
النبي صلى الله عليه وسلم سمل اعين العرنيين حسب ما تقدم بيانه في هذه السورة انتهى الثالثة قوله
والعين بالعين قرء نافع وعاصم والاعمش وحمزة بالنصب في جميعها على العطف ويجوز ان ترفع الكل
بالابتدا والعطف وقرء ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وابو جعفر بنصب الكل الا الجروح وكان
الكسائي وابو عبيد يقرءان العين والانف والاذن والسن والجروح بالرفع فيها كلها قال ابو عبيد
ثنا حجاج عن هارون عن عباد بن كثير عن عقيل عن الزهري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرا وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن
والسن بالسن والجروح قصاص بالرفع من ثلاث جهات بالابتدا والخبر وعلى المعنى على موضع ان
النفس لان المعنى قلنا لهم النفس بالنفس والوجه الثالث قاله الزجاج يكون عطفا على المضمر في النفس
لان المضمر في النفس في موضع رفع لان التقدير ان النفس هي ماخوذة بالنفس فالاسماء معطوفة على
هي قال ابن المنذر ومن قرا بالرفع جعل ذلك ابتدا كلام حكم في المسلمين وهذا اصح القولين وذلك
انها قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقصاص من العين يجب على قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والعين بالعين وكذا ما بعده والخطاب للمسلمين امروا بهذا ومن خص الجروح بالرفع فعلى القطع
مما قبلها والاستيناف بها كان المسلمين امروا بهذا خاصة وما قبله لم يواجهوا به الرابعة هذه
الاية تدل على جريان القصاص فيما ذكر وقد تعلق ابن شبرمة بعموم قوله العين بالعين على ان اليمنى
تفقا باليسرى وكذلك على العكس واجرى ذلك في اليد اليمنى واليسرى وقال توخذ الثنية بالضرس
والضرس بالثنية لعموم قوله والسن بالسن والذين خالفوه وهم علماء الامة قالوا العين اليمنى
هي الماخوذة باليمنى عند وجودها ولا يتجاوز ذلك الى اليسرى مع الرضى وذلك يبين لنا ان
المراد بقوله العين بالعين استيفاء ما يماثله من الجاني فلا يجوز له ان يتعدى الى غيره كما لا
يتعدى من الرجل الى اليد في الاحوال كلها وهذا لا ريب فيه الخامسة واجمع العلماء على ان
العينين اذا اصيبتا خطا ففيهما الدية وفي العين الواحدة نصف الدية وفي عين الاعور اذا
فقئت الدية كاملة روي عن عمر وعثمان وبه قال عبد الملك بن مروان والزهري وقتادة ومالك

والليث

والليث بن سعد واحمد واسحق وقيل نصف الدية روي عن عبد الله بن المغفل ومسروق والنخعي وبه
قال الثوري والشافعي والنعمان قال ابن المنذر وبه نقول لان في الحديث في العينين الدية
ومعقول اذا كان كذلك ففي احدهما نصف الدية قال ابن العربي وهو القياس الظاهر ولكن علماؤنا
قالوا ان منفعة الاعور ببصره كمنفعة السالم او قريب من ذلك فوجب عليه مثل ديته السادسة
واختلفوا في الاعور يفقا عين صحيح فروي عن عمر وعثمان وعلي انه لا قود عليه وعليه الدية كاملة وبه
قال عطا وسعيد بن المسيب واحمد بن حنبل وقال مالك ان شاء اقتص فتركه اعمى وان شاء اخذ
الدية كاملة دية عين الاعور وقال النخعي ان شاء اقتص وان شاء اخذ نصف الدية وقال الشافعي
وابو حنيفة والثوري عليه القصاص وروي ذلك عن علي ايضا وهو قول مسروق وابن سيرين
وابن مغفل واختاره ابن المنذر وابن العربي لان الله تعالى قال والعين بالعين وجعل النبي
صلى الله عليه وسلم في العينين الدية ففي العين نصف الدية والقصاص بين صحيح العين والاعور
كهيئته بين ساير الناس ومتعلق احمد بن حنبل ان في القصاص اخذ جميع البصر ببعضه وذلك
ليس بمساواة وبما روي عن عمر وعثمان وعلي في ذلك ومتمسك مالك ان الادلة لما تعارضت خير
المجني عليه قال ابن العربي والاخذ بعموم القران اولى فانه اسلم عند الله تعالى انتهى السابعة
واختلفوا في عين الاعور التي لا يبصر بها فروي عن زيد بن ثابت انه قال فيها مائة دينار وعن
عمر بن الخطاب انه قال فيها ثلث ديتها وبه قال اسحاق وقال مجاهد فيها نصف ديتها وقال
مسروق والزهري ومالك والشافعي وابو ثور والنعمان فيها حكومة قال ابن المنذر وبه نقول
لانه الاقل مما قيل وفي ابطال البصر من العينين مع بقاء الحدقتين كمال الدية ويستوي فيه الاعمش
والاخفش وفي ابطاله من احدهما مع بقائها النصف قال ابن المنذر واحسن ما قيل في ذلك
ما قاله علي بن ابي طالب انه امر بعينه الصحيحة فغطيت واعطى رجل بيضة فانطلق بها وهو
ينظر حتى انتهى بصره ثم خط عند ذلك ثم امر به فحول الى مكان اخر ففعل به مثل ذلك فوجده
سواء فاعطي ما نقص من بصره من مال الاخر وهذا على مذهب الشافعي وهو قول علمائنا وهي
الثامنة ولا خلاف بين اهل العلم ان لا قود من بعض البصر اذ غير ممكن الوصول اليه وكيفية
القود في العين ان تحمى مرآة ثم يوضع على العين الاخرى ثم تقرب المرآة عينه حتى يسيل انسانها
روي عن علي رضي الله عنه ذكره المهدوي وابن العربي التاسعة قوله تعالى والانف
بالانف جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال وفي الانف اذا اوعب جدعه الدية واختلف
في جفن العين فقال زيد بن ثابت ربع الدية وهو قول الشعبي والحسن وقتادة وابو هاشم والثوري
والشافعي واصحاب الراي وروي عن الشعبي انه قال في الجفن الاعلى ثلث الدية وفي الجفن الاسفل
ثلثا الدية وبه قال مالك عمدها الدية قال ابن المنذر واجمع كل من يحفظ عنه من اهل العلم على
القول به والقصاص من الانف اذا كانت الجناية عمدا كالقصاص من ساير الاعضاء على كتاب
الله تعالى واختلفوا في كسر الانف فكان مالك يرى في العمد منه القود وفي الخطا الاجتهاد
وروى ابن نافع انه لا دية في الانف حتى يستاصله من اصله قال ابو اسحق التونسي وهذا شاذ
والمعروف الاول واذا فرعنا على المعروف ففي بعض المارن من الدية بحسابه من المارن قال ابن
المنذر وما قطع من الانف فبحسابه روي ذلك عن عمر بن عبد العزيز والشعبي وبه قال الشافعي
قال ابو عمر واختلفوا في المارن اذا قطع ولم يستاصل الانف فذهب مالك والشافعي وابو حنيفة
واصحابهم الى ان في ذلك الدية كاملة ثم ان قطع منه شيء بعد ذلك ففيه حكومة قال مالك

الذي فيه الدية من الانف ان يقطع المارن وهو دون العظم قال ابن القاسم وسوا قطع المارن من العظم او استوصل الانف من العظم من تحت العينين انما فيه الدية كالحشفة فيها الدية وفي استيصال الذكر الدية العاشرة قال ابن القاسم واذا خرم الانف وكسر فبرا على عثم فلا شي فيه قال وليس الانف اذا خرم فبر على غير عثم كالموضحة تبرا على غير عثم فيكون فيها ديتها لان تلك جاءت بها السنة وليس في خرم قال والانف عظم منفرد ليس فيه موضحة واتفق مالك والشافعي واصحابهما على انه لا جايفة فيه ولا جايفة عندهم الا ما كان في الجوف والمارق ما لان من الانف كذلك قال الخليل وغيره قال ابو عمر واظن روثته مارنه وارنبته طرفه وقيل الارنبة والروثة والعرتمة طرفا الانف والذي عليه الفقها مالك والشافعي والكوفيون ومن تبعهم في الشم اذا نقص اوفقد حكومة الحادية عشر قوله تعالى والاذن بالاذن قال علماؤنا في الذي يقطع اذني رجل عليه حكومة وانما يكون عليه الدية في السمع ويقاس في نقصانه كما يقال البصر وفي بطاله من احدهما نصف الدية ولو لم يكن يسمع الا بها بخلاف العين العوراء فيها الدية كاملة على ما تقدم وقال اشهب ان كان السمع اذا سئل عنه قيل ان احد السمعين ما يسمع السمعان فهو عندي كالبصر واذا شك في السمع جرب بان يصاح به من مواضع عدة يقاس ذلك فان تساوت او تقاربت اعطي بقدر ما ذهب من سمعه ويحلف على ذلك قال اشهب ويحسب له ذلك على سمع وسط من الرجال مثله فان اختبر فاختلف قوله لم يكن له شي وقال عيسى بن دينار واذا اختلف قوله عقل له الاقل مع يمينه الثانية عشر قوله تعالى والسن بالسن قال ابن المنذر وثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقاد من سن وقال كتاب الله القصاص وجاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في السن خمس من الابل قال ابن المنذر وبظاهر هذا الحديث نقول لا فضل للثنايا منها على الانياب والاضراس والرباعيات لدخولها كلها في ظاهر الحديث وبه يقول الاكثر من اهل العلم وممن قال بظاهر الحديث ولم يفضل شيئا منها على شي عروة بن الزبير وطاووس والزهري وقتادة ومالك والثوري والشافعي واحمد واسحق والنعمان وابن الحسن وروي ذلك عن علي بن ابي طالب وابن عباس ومعاوية وفيه قول ثان رويناه عن عمر بن الخطاب انه قضى فيما اقبل من الفم بخمس فرايض خمس فرايض وذلك خمسون دينارا قيمة كل فريضة عشرة دنانير وفي الاضراس بعير بعير وكان عطا يقول في السن والرباعيتين والنابين خمس خمس وفيما بقي بعيران بعيران اعلا الفم واسفله سواء والاضراس سواء قال ابو عمر اما ما رواه مالك في موطئه عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ان عمر قضى في الاضراس بعير بعير فان المعنى في ذلك ان الاضراس عشرون ضرسا والاسنان اثني عشر سنا اربع ثنايا واربع رباعيات واربعة انياب فعلى قول عمر تصير الدية ثمانين بعيرا في الاسنان خمسة خمسة وفي الاضراس بعير بعير وعلى قول معاوية في الاضراس والاسنان خمسة خمسة تصير الدية ستين ومائة بعير وعلى قول معاوية في الاضراس والاسنان خمسة خمسة تصير الدية ستين سعيد بن المسيب بعيرين في الاضراس وهي عشرون ضرسا يجب لها اربعون وفي الاسنان خمسة ابعرة خمسة ابعرة فذلك ستون وهي تتمة المائة بعير وهي الدية كاملة من الابل والاختلاف بينهم انما هو في الاضراس لا في الاسنان قال ابو عمر واختلاف العلماء من الصحابة والتابعين في ديات الاسنان وتفضيل بعضها على بعض كثير جدا والحجة قايمة لما ذهب اليه الفقها مالك والشافعي وابو حنيفة والثوري بظاهر قوله صلى الله عليه وسلم وفي السن خمس من الابل والضرس من الاسنان روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الاصابع

سواء والاسنان سواء الثنية والضرس سواء هذه وهذه سواء وهذا نص اخرجه ابو داود وروى ابو داود ايضا عن ابن عباس قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابع اليدين والرجلين سواء قال ابو عمر على هذه الاثار جماعة فقهاء الامصار وجمهور اهل العلم ان الاصابع في الدية كلها سواء وان الاسنان في الدية كلها سوا الثنايا والاضراس لا يفضل شي منها على شي على ما في كتاب عمرو بن حزم ذكر الثوري عن ازهر بن محارب قال اختصم الى شريح رجلان ضرب احدهما ثنية الاخر واصاب الاخر ضرسه فقال شريح الثنية وجمالها والضرس ومنفعته سن بسن قوما قال ابو عمر على هذا العمل اليوم في جميع الامصار والله اعلم الثالثة عشر فان ضرب سنه فاسودت ففيها ديتها كاملة عند مالك والليث بن سعد وبه قال ابو حنيفة وروي عن زيد بن ثابت وهو قول سعيد بن المسيب والزهري والحسن وابن سيرين وشريح وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان فيها ثلث ديتها وبه قال احمد واسحق وقال الشافعي وابو ثور فيها حكومة قال ابن العربي وهذا عندي خلاف يؤول الى وفاق فانه ان كان سوادها اذهب منفعتها وانما بقيت صورتها كاليد الشلا والعين العميا فلا خلاف في وجوب الدية ثم ان كان بقي من منفعتها شي او جميعها لم يجب الا بمقدار ما نقص من المنفعة حكومة وما روي عن عمر فيها ثلث ديتها لم يصح عنه سندا ولا فقها الرابعة عشر واختلفوا في سن الصبي يقلع قبل ان يثغر فكان مالك والشافعي واصحاب الراي يقولون اذا قلعت سن الصبي فنبتت فلا شي على القالع الا ان مالكا والشافعي قالا اذا نبتت ناقصة الطول عن التي تقاربها اخذ له من ارشها بقدر نقصها وقالت طايفة فيها حكومة روي ذلك عن الشعبي وبه قال النعمان قال ابن المنذر يستانا بها الى الوقت الذي تقول اهل المعرفة انها لا تنبت فاذا كان ذلك كان فيها قدرها تاما على ظاهر الحديث وان نبتت رد الارش واكثر من يحفظ عنه من اهل العلم يقولون يستانا بها سنة روي ذلك عن علي وزيد وعمر بن عبد العزيز وشريح والنخعي وقتادة ومالك واصحاب الراي ولم يجعل الشافعي لها مدة معلومة الخامسة عشر واذا قلع سن الكبير فاخذ ديتها ثم نبتت قال مالك لا يرد ما اخذ وقال الكوفيون يرد اذا نبتت وللشافعي قولان يرد لا يرد لان هذا نبات لا تجري به عادة ولا يثبت الحكم للنادر هذا قول علمائنا تمسك الكوفيون بان عوضها قد نبت فيرد اصله سن الصغير قال الشافعي ولو جنى عليها جان اخر وقد نبتت صحيحة كان فيها ارشها تاما هذا اصح القولين لان كل واحد قالع سن وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم في السن خمسا من الابل السادسة عشر فلو قلع رجل فردها صاحبها فالتحمت فلا شي فيها عندنا وقال الشافعي ليس له ان يردها من قبل انها نجسة وقال ابن المسيب وعطا ولو ردها اعاد كل صلاة صلاها لانها ميتة وكذلك لو قطعت اذنه فردها بحرارة الدم فالتزقت مثله وقال عطا يجبره السلطان على قلعها لانها ميتة الصقها قال ابن العربي وهذا غلط وقد جهل من خفي عليه ان ردها وعودها بصورتها لا يوجب عودها بحكمها لان النجاسة كانت فيها عند الانفصال وقد عادت متصلة واحكام الشريعة ليست صفات للاعيان وانما هي احكام تعود الى قول الله سبحانه فيها واخباره عنها قال الشيخ القرطبي رحمه الله ما حكاه ابن العربي عن عطا خلاف ما حكاه ابن المنذر عنه قال ابن المنذر واختلفوا في السن تقلع قودا ثم ترد مكانها فتنبت فقال عطا الخراساني وعطا ابن ابي رباح لا باس بذلك وقال الثوري واحمد واسحق تقلع لان القصاص للشين وقال الشافعي ليس له ان يردها من قبل انها نجسة ويجبره السلطان على القلع انتهى السابعة عشر فلو كانت له سن زايدة فقلعت ففيها حكومة وبه قال فقهاء الامصار وقال زيد بن ثابت فيها ثلث الدية قال ابن العربي وليس في التقدير

دليل فالحكومة اعدل قال ابن المنذر ولا يصح ما روي عن زيد وقد روي عن علي انه قال في الشفتين
اذا كسر بعضها اعطي صاحبها بحساب ما نقص منه وهذا قول مالك والشافعي وغيرهما قال الشيخ
القرطبي وهنا انتهى ما نص الله عز وجل عليه من الاعضاء ولم يذكر الشفتين واللسان وهي الثامنة
عشر فقال الجمهور وفي الشفتين الدية وفي كل واحدة منهما نصف الدية لا فضل للعليا منهما على
السفلى وروي عن زيد بن ثابت وسعيد بن المسيب والزهري في الشفة العليا ثلث الدية وفي السفلى
ثلثا الدية قال ابن المنذر وبالقول الاول اقول للحديث المرفوع عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال وفي الشفتين الدية ولان في اليدين الدية ومنافعهما مختلفة وما قطع من
الشفتين فبحساب ذلك واما اللسان فجاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في اللسان
الدية واجمع اهل العلم من اهل المدينة واهل الكوفة واصحاب الحديث واهل الراي على القول به قاله
ابن المنذر التاسعة عشر واختلفوا في الرجل يجني على لسان الرجل فيقطع من اللسان شيئا ويذهب
من الكلام بعضه فقال اكثر اهل العلم ينظر الى مقدار ما ذهب من كلامه وان ذهب الكلام كله
ففيه الدية وهذا قول مالك والشافعي واحمد واسحق واصحاب الراي وقال مالك ليس في اللسان قود
لعدم الاحاطة باستيفاء القود فان امكن فالقود هو الاصل الموفية عشرون واختلفوا في لسان
الاخرس يقطع فقال الشعبي ومالك واهل المدينة والثوري واهل العراق والشافعي وابو ثور والنعمان
وصاحباه فيه حكومة قال ابن المنذر وفيه قولان شاذان احدهما قول النخعي ان فيه الدية والاخر
قول قتادة ان فيه ثلث الدية قال ابن المنذر القول الاول اصح لانه الاقل مما قيل قال ابن العربي
نص الله سبحانه وتعالى على امهات الاعضاء وترك باقيها للقياس عليها فكل عضو فيه القصاص اذا
امكن ولم يخش عليه الموت وكذلك كل عضو بطلت منفعته وبقيت صورته فلا قود فيه وفيه
الدية لعدم امكان القود فيه الحادية والعشرون قوله تعالى والجروح قصاص اي مقاصة وقد
تقدم في البقرة ولا قصاص في كل مخوف ولا فيما لا يوصل الى القصاص فيه الا بان يخطئ الضارب او
يزيد او ينقص ويقاد من جراح العمد اذا كان مما يمكن القود منه وهذا كله في العمد واما الخطا فالدية
واذا كانت الدية في قتل الخطا فكذلك في الجرح وفي صحيح مسلم عن انس ان اخت الربيع ام حارثة جرحت
انسانا فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القصاص القصاص
فقالت ام الربيع يا رسول الله ايقتص من فلانة والله لا يقتص منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحان الله يا ام الربيع القصاص كتاب الله قالت والله لا يقتص منها ابدا قال فما زالت حتى قبلوا الدية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله من لو اقسم على الله لابره قال الشيخ القرطبي
رحمه الله المجروح في هذا الحديث جارية والجرح كسر ثنيتها اخرجه النسائي عن انس ايضا ان عمته
كسرت ثنية جارية فقضى النبي صلى الله عليه وسلم بالقصاص فقال اخوها انس بن النضر اتكسر ثنية فلانة لا
والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها قال وكانوا قبل ذلك سالوا اهلها العفو والارش فلما حلف اخوها
وهو عم انس وهو الشهيد يوم احد رضي القوم بالعفو فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله من
لو اقسم على الله لابره خرجه ابو داود ايضا وقال سمعت احمد بن حنبل قيل له كيف يقتص من السن قال
يبرد قال الشيخ القرطبي رحمه الله ولا تعارض بين الحديثين فانه يحتمل ان يكون كل واحد منهما حلف
فبر الله قسمهما وفي هذا ما يدل على كرامات الاولياء على ما ياتي بيانه في قصة الخضر عليه السلام ان شاء الله
الثانية والعشرون اجمع العلماء على ان قوله تعالى والسن بالسن انه في العمد فمن اصاب سن احد عمدا
ففيه القصاص على حديث انس واختلفوا في ساير عظام الجسد اذا كسرت عمدا فقال مالك عظام الجسد كلها

فيها

فيها القود الا ما كان مخوفا مثل الفخذ والصلب والمامومة والمنقلة والهاشمة ففي ذلك الدية وقال
الكوفيون لا قصاص في عظم يكسر ما خلا السن لقوله والسن بالسن وهو قول الليث والشافعي قال
الشافعي لا يكون كسر ككسر ابدا فهو ممنوع قال الطحاوي اتفقوا على انه لا قصاص في عظم الراس فكذلك
ساير العظام والحجة لمالك حديث انس في السن وهو عظم فكذلك ساير العظام الا عظما اجمعوا على
انه لا قصاص فيه لخوف ذهاب النفس منه قال ابن المنذر ومن قال لا قصاص في عظم فهو مخالف
للحديث والخروج الى النظر غير جايز مع وجود الخبر قال الشيخ رحمه الله ويدل على هذا ايضا قوله تعالى
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما
عوقبتم به وما اجمعوا عليه فغير داخل في الاي وبالله التوفيق الثالثة والعشرون قال ابو عبيد في
حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الموضحة وما جاء عن غيره في الشجاج قال الاصمعي وغيره دخل كلام بعضهم
في بعض اول الشجاج الحارصة وهي التي تحرص الجلد يعني التي تشقه قليلا ومنه قيل حرص القصار الثوب
اذا شقه وقد يقال لها الحرصة ايضا ثم الباضعة وهي التي تشق اللحم تبضعه بعد الجلد ثم المتلاحمة
وهي التي اخذت في الجلد ولم تبلغ السمحاق والسمحاق جلدة او قشرة رقيقة بين اللحم والعظم وقال
الواقدي هي عندنا الملطا قال وهي التي جاء فيها الحديث يقضى في الملطاة بدمها ثم الموضحة وهي التي
تكشط عنها ذلك القشر او تشق حتى تبدو وضح العظم فتلك الموضحة قال ابو عبيد وليس في شيء من
الشجاج قصاص الا في الموضحة خاصة لانه ليس منها شيء له حد ينتهي اليه سواها واما غيرها من الشجاج
ففيها ديتها ثم الهاشمة وهي التي تهشم العظم ثم المنقلة بكسر القاف حكاه الجوهري وهي التي تنقل العظم
اي تكسره حتى يخرج منها فراش العظم مع الدواء ثم الامة ويقال لها المامومة وهي التي تبلغ ام الراس
يعني الدماغ قال ابو عبيد ويقال في قوله ويقضى في الملطا بدمها لانه اذا شج الشاج حكم عليه للمشجوج
بمبلغ الشجة ساعة شج ولا يستانى بها وقال وساير الشجاج يستانى بها حتى ينظر الى ما يصير امرها
ثم يحكم فيها حينئذ قال ابو عبيد والامر عندنا في الشجاج كلها والجراحات كلها انه يستانى بها
ثنا هشيم عن حصين قال قال عمر بن عبد العزيز ما دون الموضحة قصاص وقال مالك القصاص
فيما دون الموضحة الملطا والدامية والباضعة وما اشبه ذلك وكذلك قال الكوفيون وزادوا
السمحاق حكاه ابن المنذر وقال ابو عبيدة الدامية التي تدمى من غير ان يسيل منها دم والدامعة
ان يسيل منها دم وليس فيما دون الموضحة قصاص وقال الجوهري والدامية الشجة التي تدمى
ولا تسيل وقال علماؤنا الدامية هي التي تسيل الدم ولا قصاص فيما بعد الموضحة من الهاشمة العظم
والمنقلة على خلاف فيها خاصة والامة هي البالغة الى ام الراس والدامغة الخارقة لخريطة
الدماغ وهي هاشمة الجسد القصاص الا ما هو مخوف كالفخذ وشبهه واما هاشمة الراس فقال ابن
القاسم لا قود فيها لانها لا بد تعود منقلة وقال اشهب فيها القصاص الا ان تنتقل فتصير منقلة
لا قود فيها واما الاطراف فيجب القصاص في جميع المفاصل الا المخوف منها وفي معنى المفاصل ابعاض
المارن والاذنين والذكر والاجفان والشفتين لانها تقبل التقدير وفي اللسان روايتان
والقصاص في كسر العظام الا ما كان متلفا كعظام الصدر والعنق والصلب والفخذ وشبهه وفي
كسر عظم العضد وقضى ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في رجل كسر فخذ رجل ان تكسر فخذه وفعل
ذلك عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن اسيد بمكة وروي عن عمر بن عبد العزيز انه فعله
وهذا مذهب مالك على ما ذكرنا وقال انه الامر المجتمع عليه عندهم والمعمول به من بلادنا في
الرجل يضرب الرجل فيتقيه بيده فيكسرها يقاد منه الرابعة والعشرون قال العلماء الشجاج

في الراس والجراح في البدن واجمع اهل العلم ان فيما دون الموضحة ارشا فيما ذكر ابن المنذر واختلفوا في ذلك الارش وما دون الموضحة شجاج خمس الدامية والدامغة والباضعة والمتلاحمة والسمحاق وقال مالك والشافعي واحمد واسحاق واصحاب الراي في الدامية حكومة وفي الباضعة حكومة وفي المتلاحمة حكومة وذكر عبد الرزاق عن زيد ابن ثابت في الدامية بعير وفي الباضعة بعيران وفي المتلاحمة ثلاثة من الابل وفي السمحاق اربع وفي الموضحة خمس وفي الهاشمة عشر وفي المنقلة خمس عشرة وفي المامومة ثلث الدية وفي الرجل يضرب حتى يذهب عقله الدية كاملة او يضرب حتى يغن ولا يفهم الدية كاملة او حتى يبح ولا يفهم الدية كاملة وفي جفن العين ربع الدية وفي حلمة الثدي ربع الدية قال ابن المنذر وروي عن علي في السمحاق مثل قول زيد وروي عن عمر وعثمان انهما قالا فيها نصف الموضحة وقال الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز والنخعي فيها حكومة وكذلك قال مالك والشافعي واحمد ولا يختلف العلماء ان الموضحة فيها خمس من الابل على ما في حديث عمرو بن حزم وفيه وفي الموضحة خمس واجمع اهل العلم على ان الموضحة تكون في الراس والوجه واختلفوا في تفضيل موضحة الوجه على موضحة الراس فروي عن ابي بكر وعمر هما سواء وقال بقولهما جماعة من التابعين وبه يقول الشافعي واسحاق وروي عن سعيد بن المسيب تضعف موضحة الوجه على موضحة الراس وقال احمد موضحة الراس احرى ان يزاد فيها وقال مالك المامومة والمنقلة والموضحة لا تكون الا في الراس والوجه ولا تكون المامومة الا في الراس خاصة اذا وصل الى الدماغ قال والموضحة ما يكون في جمجمة الراس وما دونها فهو من العنق ليس فيها موضحة قال مالك والانف ليس من الراس وليس فيه موضحة وكذلك اللحيين الاسفل ليس فيه موضحة واختلفوا في الموضحة في غير الراس والوجه فقال اشهب وابن القاسم ليس في موضحة الجسد ومنقلته وماموته الا الاجتهاد وليس فيها ارش معلوم قال ابن المنذر وهذا قول مالك والثوري والشافعي واحمد واسحاق وبه نقول وروي عن عطا الخراساني ان الموضحة اذا كانت في جسد الانسان فيها خمس وعشرون دينارا قال ابو عمر واتفق مالك والشافعي واصحابهما ان من شج رجلا مامومتين او موضحتين او ثلاث مامومات او موضحات او اكثر في ضربة واحدة ان فيهن كلهن وان انخرقت وصارت واحدة دية كاملة واما الهاشمة فلا دية فيها عندنا بل حكومة قال ابن المنذر ولم اجد في كتب المدنيين ذكر الهاشمة بل قد قال مالك في من كسر انف رجل ان كان خطا ففيه الاجتهاد وكان الحسن البصري لا يوقت في الهاشمة شيئا وقال ابو ثور ان اختلفوا فيه ففيها حكومة قال ابن المنذر والنظر يدل على هذا اذ لا سنة فيها ولا اجماع وقال القاضي ابو الوليد الباجي فيها ما في الموضحة فان صارت منقلة فخمسة عشر وان صارت مامومة فثلث الدية قال ابن المنذر ووجدنا اكثر من لقيناه وبلغنا عنه من اهل العلم يجعلون في الهاشمة عشرا من الابل روينا هذا القول عن زيد بن ثابت وبه قال قتادة وعبيد الله بن الحسن والشافعي وقال الثوري واصحاب الراي فيها الف درهم ومرادهم عشر الدية واما المنقلة فقال ابن المنذر جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في المنقلة خمس عشرة من الابل واجمع اهل العلم على القول به قال ابن المنذر وقال كل من يحفظ عنه من اهل العلم ان المنقلة التي ينقل منها العظام وقال مالك والشافعي واحمد واصحاب الراي وهو قول قتادة وابن شبرمة ان المنقلة لا قود فيها وروينا عن ابن الزبير وليس بثابت عنه انه اقاد من المنقلة قال ابن المنذر والاول اولى لاني لا اعلم احدا خالف ذلك واما المامومة فقال ابن المنذر جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في المامومة ثلث الدية واجمع عوام اهل العلم على القول به ولا نعلم احدا خالف ذلك الا مكحولا فانه قال اذا كانت المامومة

عمدا ففيها ثلثا الدية وان كانت خطا ففيها ثلث الدية وهذا قول شاذ وبالقول الاول اقول واختلفوا في القود من المامومة فقال الكثير من اهل العلم لا قود فيها وروي عن ابن الزبير انه اقتص من المامومة فانكر ذلك الناس وقال عطا ما علمنا احدا اقاد منها قبل ابن الزبير واما الجايفة ففيها ثلث الدية على حديث عمرو بن حزم ولا خلاف في ذلك الا ما روي عن مكحول انه قال اذا كانت عمدا ففيها ثلثا الدية واذا كانت خطا ففيها الثلث والجايفة كل ما خرق الى الجوف ولو مدخل ابرة فان نفذت من جهتين فهي عندهم جايفتان وفيهما من الدية الثلثان قال اشهب وقد مضى الصديق رضي الله عنه في جايفة نفذت من الجنب الاخر بدية جايفتين وقال عطا ومالك والشافعي واصحاب الراي يقولون لا قصاص في الجايفة قال ابن المنذر وبه نقول

الخامسة والعشرون واختلفوا في القود من اللطمة وشبهها فذكر البخاري عن ابي بكر وعلي وابن الزبير وسويد بن مقرن انهم اقادوا من اللطمة وشبهها وروي عن عثمان وخالد بن الوليد مثل ذلك وهو قول الشعبي وجماعة من اهل الحديث وقال الليث ان كانت اللطمة في العين فلا قصاص فيها للخوف على العين ويعاقبه السلطان وان كانت على الخد ففيها القود وقالت طايفة لا قصاص في اللطمة روي هذا عن الحسن وقتادة وهو قول مالك والكوفيين والشافعي واحتج مالك في ذلك فقال ليس لطمة المريض الضعيف مثل لطمة القوي وليس العبد يلطمه مثل الرجل ذي الحالة والهيئة وانما في ذلك كله الاجتهاد لجهلنا بمقدار اللطمة

السادسة والعشرون واختلفوا في القود من ضرب السوط فقال الليث يقاد منه ويزاد عليه للتعدي وقال ابن القاسم يقاد منه ولا يقاد منه عند الكوفيين والشافعي الا ان يجرح قال الشافعي ان جرح السوط ففيه حكومة قال ابن المنذر وما اصيب به من سوط او عصا او حجر فكان دون النفس فهو عمد وفيه القود وهذا قول جماعة من اصحاب الحديث وفي البخاري واقاد من ضربة الدرة واقاد علي ابن ابي طالب من ثلاثة اسواط واقتص شريح من سوط وخموش قال ابن بطال وحديث لد النبي صلى الله عليه وسلم لاهل البيت حجة لمن جعل القود في كل الم وان لم يكن جرح

السابعة والعشرون واختلفوا في عقل جراحات النساء ففي موطا مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه كان يقول تعاقل المراة الى ثلث الدية اصبعها كاصبعه وسنها كسنه وموضحتها كموضحته ومنقلتها كمنقلته قال ابن بكير قال مالك فاذا بلغت ثلث دية الرجل كانت الى النصف من دية الرجل قال ابن المنذر روينا هذا القول عن عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز وعروة بن الزبير والزهري وقتادة وابن هرمز ومالك واحمد بن حنبل وعبد الملك بن الماجشون وقالت طايفة دية المراة على النصف من دية الرجل فيما قل او كثر روينا هذا القول عن علي بن ابي طالب وبه قال الثوري والشافعي وابو ثور والنعمان وصاحباه واحتجوا بانهم لما اجمعوا على الكثير وهو الدية كان القليل مثله وبه نقول

الثامنة والعشرون قال القاضي عبد الوهاب وكل ما فيه جمال منفرد عن منفعة اصلا ففيه حكومة كالحاجبين وذهاب شعر اللحية وشعر الراس وثندي الرجل والالية وصفة الحكومة ان يقوم المجني عليه لو كان عبدا سليما ثم يقوم مع الجناية فما نقص من ثمنه جعل جزءا من ديته بالغا ما بلغ وحكاه ابن المنذر عن كل من يحفظ عنه من اهل العلم ويقبل فيه قول رجلين ثقتين من اهل المعرفة وقيل بل يقبل قول عدل واحد والله اعلم وهذه جملة من احكام الديات والاعضاء تضمنتها هذه الاية فيها لمن اقتصر عليها كفاية والله الموفق

التاسعة والعشرون قوله تعالى فمن تصدق به فهو كفارة له شرط وجوابه اي تصدق

بالقصاص فعفى فهو كفارة له اي لذلك المتصدق وقيل هو كفارة للجارح فلا يوخذ بجنايته في الاخرة
لانه يقوم مقام اخذ الحق منه واجر المتصدق عليه وقد ذكر ابن عباس القولين وعلى الاول اكثر
الصحابة ومن بعدهم وروي الثاني عن ابن عباس ومجاهد وعن ابراهيم النخعي والشعبي رضي الله عنهما
والاول اظهر لان العايد فيه يرجع الى المذكور وهو من وعن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما من مسلم يصاب بشيء من جسده فيهبه الا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة قال ابن المنذر
والذي نقول انه اذا عفى عنه المجروح عفى الله عنه لم يقم عليه دليل فلا معنى له قوله تعالى
وقفينا على اثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية واتيناه الانجيل فيه
هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل
بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون قوله وقفينا على اثارهم
بعيسى اي جعلنا عيسى يقفوا اثارهم اثار النبيين الذين اسلموا مصدقا لما بين يديه يعني التورية
فانه داعي التورية حقا وداعي وجوب العمل بها الى ان ياتي ناسخ مصدقا نصب على الحال من عيسى فيه
هدى في موضع رفع بالابتدا ونور عطف عليه ومصدقا فيه وجهان يجوز ان يكون لعيسى وتعطفه
على مصدقا الاول ويجوز ان يكون حالا من الانجيل ويكون التقدير واتيناه الانجيل مستقرا
فيه هدى ونور ومصدقا وهدى وموعظة للمتقين عطف على مصدقا اي هاديا وواعظا للمتقين
وخصهم لانهم المنتفعون بهما ويجوز رفعهما على العطف على قوله فيه هدى ونور قوله تعالى وليحكم
اهل الانجيل بما انزل الله فيه قراة الاعمش وحمزة بنصب الفعل على ان تكون اللام لام
كي والباقون بالجزم على الامر فعلى الاول تكون اللام متعلقة بقوله واتيناه فلا يجوز الوقف
اي واتيناه الانجيل ليحكم اهله بما انزل الله فيه ومن قراه على الامر فهو كقوله وان احكم بينهم
هو الزام مستانف يبتدا به اي ليحكم اهل الانجيل اي في ذلك الوقت فاما الان فهو منسوخ
وقيل هذا امر للنصارى الان بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فان في الانجيل وجوب الايمان به
والنسخ انما يتصور في الفروع لا في الاصول قال مكي والاختيار الجزم لان الجماعة عليه ولان ما
بعده في الوعيد والتهديد يدل على انه الزام من الله لاهل الانجيل النحاس والصواب عندي
انهما قراتان حسنتان لان الله عز وجل لم ينزل كتابا الا ليعمل بما فيه وامر بالعمل بما فيه فصحتا
جميعا قوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه
فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما اتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم
جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون قوله وانزلنا اليك الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والكتاب
القران بالحق اي بالامر الحق مصدقا حال لما بين يديه من الكتاب اي من جنس الكتب ومهيمنا
عليه اي عاليا عليها ومرتفعا وهذا على تاويل من يقول في التفضيل اي في كثرة الثواب على ما
تقدمت الاشارة اليه في الفاتحة وهو اختيار ابن القصار في كتاب شرح السنة له وقد
ذكرنا ما ذكره في كتابنا الاسنى في شرح الاسماء الحسنى والحمد لله وقال قتادة المهيمن معناه
الشاهد وقيل الحافظ الحسن المصدق ومنه قول الشاعر ان الكتاب مهيمن لنبينا والحق
يعرفه ذوو الالباب وقال ابن عباس والحسن ايضا المهيمن الامين المبرد اصله مويمن ابدل من
الهمزة هاء كما قيل في ارقت الماء هرقت قاله الزجاج ايضا وابو علي وقد صرف فقيل هيمن
يهيمن هيمنة وهو مهيمن بمعنى كان امينا الجوهري هو من امن غيره من الخوف واصله امن فهو

ما امن

ما امن بهمزتين قلبت الهمزة الثانية ياء كراهة لاجتماعهما فصار مايمن ثم صيرت الاولى هاء كما قالوا
هراق الماء واراقه يقال منه هيمن على الشيء يهيمن اذا كان له حافظا فهو مهيمن عن ابي عبيد وقرا
مجاهد وابن محيصن ومهيمنا عليه بفتح الميم قال مجاهد اي محمد صلى الله عليه وسلم مؤتمن على القران
قوله تعالى فاحكم بينهم بما انزل الله يوجب الحكم فقيل هذا نسخ للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض
عنهم وقيل ليس هذا وجوبا والمعنى فاحكم بينهم ان شئت اذ لا يجب علينا الحكم بينهم اذا لم يكونوا من
اهل الذمة وفي اهل الذمة تردد وقد مضى الكلام فيه وقيل اراد فاحكم بين الخلق فهذا كان واجبا
عليه قوله تعالى ولا تتبع اهواءهم فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى ولا تتبع اهواءهم يعني
لا تعمل باهوائهم ومرادهم على ما جاءك من الحق يعني لا تترك ما بين الله تعالى في القران من بيان
الحق وبيان الاحكام والاهواء جمع هوى لا يجمع اهوية وقد تقدم في البقرة فنهاه عن ان يتبعهم
فيما يريدونه وهو يدل على بطلان قول من قال تقوم الخمر على من اتلفها لانها ليست مالا لهم فتكون
مضمونة على متلفها لان ايجاب ضمانها على متلفها حكم بموجب هوى اليهود وقد امرنا بخلاف ذلك
ومعنى عما جاءك على ما جاءك لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فدل على عدم التعلق بشرايع الاولين
والشرعة الشريعة الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها الى النجاة والشريعة في اللغة الطريق الذي
يتوصل به الى الماء والشريعة ما شرع الله لعباده من الدين وقد شرع لهم يشرع شرعا اي سن
والشارع الطريق الاعظم والشرعة ايضا الوتر والجمع شرع وشرع وشراع جمع الجمع عن ابي عبيد
فهو مشترك والمنهاج الطريق المستمر وهو النهج والمنهج اي البين قال الراجز من يك ذا شك
فهذا فلج ماء رواء وطريق نهج وقال ابو العباس محمد بن يزيد الشريعة ابتداء الطريق والمنهاج
الطريق المستمر وروي عن ابن عباس والحسن وغيرهما شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا ومعنى الاية انه جعل
التورية لاهلها والانجيل لاهله والقران لاهله وهذا في الشرايع والعبادات واصل التوحيد
لا اختلاف فيه روي معنى ذلك عن قتادة الشرعة والمنهاج دين محمد صلى الله عليه وسلم وقد نسخ به
كل ما سواه قوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة اي لجعل شريعتكم واحدة فكنتم على الحق
فبين انه اراد بالاختلاف ايمان قوم وكفر قوم ولكن ليبلوكم فيما اتاكم في الكلام حذف تتعلق
به لام كي اي ولكن جعل شرايعكم مختلفة ليختبركم والابتلاء الاختبار قوله تعالى فاستبقوا الخيرات
اي سارعوا الى الطاعات وهذا يدل على ان تقديم الواجبات افضل من تاخيرها وذلك لا اختلاف
فيه في العبادات كلها الا في الصلاة في اول وقتها فان ابا حنيفة يرى ان الاولى تاخيرها
وعموم الاية دليل عليه قال الكيا وفيه دليل على ان الصوم في السفر اولى من الفطر وقد تقدم
جميع هذا في البقرة الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اي بما اختلفتم فيه وتزول
الشكوك قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن
بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا
من الناس لفاسقون قوله وان احكم بينهم بما انزل الله تقدم الكلام فيها وانها ناسخة للتخيير
قال ابن العربي وهذه دعوة عريضة فان شروط النسخ اربعة منها معرفة التاريخ بتحصيل
المتقدم والمتاخر وهذا مجهول من هاتين الايتين فامتنع ان يدعى ان واحدة ناسخة للاخرى
وبقي الامر على حاله قال الشيخ القرطبي رحمه الله تعالى قد ذكرنا من ابي جعفر النحاس ان هذه
الاية متاخرة في النزول فتكون ناسخة الا ان يقدر في الكلام وان احكم بينهم بما انزل الله
ان شئت بانه قد تقدم ذكر التخيير له فاخر الكلام حذف التخيير منه لدلالة الاول عليه لانه

معطوف عليه فحكمه التخيير كحكم المعطوف عليه فهما شريكان وليس الاخر بمنقطع مما قبله اذ لا معنى لذلك
ولا يصح فلا بد من ان يكون قوله وان احكم بينهم بما انزل الله معطوفا على ما قبله من قوله وان حكمت
فاحكم بينهم بالقسط ومن قوله فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم فمعنى وان احكم بينهم بما
انزل الله اي احكم بذلك ان حكمت واخترت الحكم فهو كله محكم غير منسوخ لان الناسخ لا يكون مرتبطا
بالمنسوخ معطوفا عليه فالتخيير للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك محكم غير منسوخ قاله مكي رحمه الله
وان احكم في موضع نصب عطفا على الكتاب اي وانزلنا اليك ان احكم بينهم بما انزل الله اي بحكم
الله الذي انزله اليك في كتابه واحذرهم ان يفتنوك ان بدل من الهاء والميم في واحذرهم
وهو بدل الاشتمال او مفعول من اجله اي من اجل ان يفتنوك وعن ابن اسحق قال ابن عباس اجتمع
قوم من الاحبار منهم ابن صوريا وكعب بن اسد وابن صلوبا وساس بن عدي وقالوا اذهبوا بنا الى
محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فانما هو بشر فاتوه فقالوا قد عرفت يا محمد ان احبار اليهود وان
اتبعناك لم يخالفنا احد من اليهود وان بيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فاقض لنا
عليك حتى نؤمن بك فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية واصل الفتنة الاختبار
حسب ما تقدم ثم يختلف معناها فقوله تعالى هنا ويفتنوك معناه يصدوك ويردوك
وتكون الفتنة بمعنى الشرك ومنه قوله والفتنة اكبر من القتل وقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
وتكون الفتنة بمعنى العبرة كقوله لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ولا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
وتكون الفتنة الصد عن السبيل كما في هذه الاية وتكرير وان احكم بينهم بما انزل الله للتاكيد
او هي احوال واحكام امره ان يحكم في كل واحد بما انزل الله وفي الاية دليل على جواز النسيان على
النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال ان يفتنوك وانما يكون ذلك عن نسيان لا عن تعمد وقيل المراد
له والمراد غيره وسياتي بيان هذا في الانعام ان شاء الله تعالى ومعنى عن بعض ما انزل الله
اليك عن كل ما انزل الله اليك والبعض يستعمل بمعنى الكل قال الشاعر او يعتبط بعض النفوس
حمامها ويروى او يرتبط اراد كل النفوس وعليه حملوا قوله تعالى ولابين لكم بعض الذي تختلفون
فيه قال ابن العربي والصحيح ان بعض على حالها في هذه الاية والمراد به الرجم والحكم الذي
كانوا ارادوه ولم يقصدوا ان يفتنوه عن الكل قوله تعالى فان تولوا اي بواحكامك واعرضوا عنه
فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اي يعذبهم بالجلاء والجزية والقتل وكذلك كان
وانما قال ببعض لان المجازاة بالبعض كانت كافية في التدمير عليهم وان كثيرا من الناس
لفاسقون يعني اليهود قوله تعالى افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه
منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون
نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا
في انفسهم نادمين ويقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم
حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين قوله تعالى افحكم الجاهلية يبغون فيه ثلاث مسايل الاولى
قوله افحكم الجاهلية نصب بيبغون والمعنى ان الجاهلية كانوا يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضيع
كما تقدم في غير موضع وكانت اليهود تقيم الحدود على الضعفاء الفقراء ولا يقيموها على الاقوياء
الاغنياء فضارعوا الجاهلية في هذا الفعل الثانية روى سفيان بن عيينة عن ابن ابي نجيح عن
طاوس قال كان اذا سالوه عن الرجل يفضل بعض ولده يقرا افحكم الجاهلية يبغون فكان طاوس

يقول

يقول لا يجوز لاحد ان يفضل بعض ولده على بعض فان فعل لم ينفذ وفسخ وبه قال اهل الظاهر وروي
عن احمد بن حنبل مثله وكرهه الثوري وابن المبارك واسحق فان فعل ذلك احد نفذ ولم يرد واجاز
ذلك مالك والثوري والليث والشافعي واصحاب الراي واستدلوا بفعل الصديق في نحلة عايشة
دون ساير ولده وبقوله عليه الصلاة والسلام فارجعه وقوله فاشهد على هذا غيري واحتج الاولون
بقوله عليه الصلاة والسلام لبشير الك ولد سوى هذا قال نعم قال اكلهم وهبت له مثل هذا
قال لا قال فلا تشهدني اذا فاني لا اشهد على جور في رواية واني لا اشهد الا على حق قالوا وما كان
جورا وغير حق فهو باطل لا يجوز وقوله اشهد على هذا غيري ليس اذنا في الشهادة وانما هو زجر عنها
لانه عليه الصلاة والسلام قد سماه جورا وامتنع من الشهادة فيه فلا يمكن ان يشهد احد من
المسلمين في ذلك بوجه واما فعل ابي بكر فلا يعارض به قول النبي صلى الله عليه وسلم ولعله قد كان
نحل اولاده نحلا يعادل ذلك فان قيل الاصل تصرف الانسان في ماله مطلقا قيل له الاصل الكلي
والواقعة المعينة المخالفة لذلك الاصل لا تعارض بينهما كالعموم والخصوص وما يؤدي الى المحرم
فهو ممنوع ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واعدلوا بين اولادكم قال النعمن فرجع ابي
فرد تلك الصدقة والصدقة لا يعتصرها الاب بالانفاق وقوله فارجعه محمول على معنى فاردده
والرد ظاهر في الفسخ كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد اي مردود
منسوخ وهذا كله ظاهر قوي وترجيح جلي في المنع الثالثة قرا ابن وثاب والنخعي افحكم بالرفع على
معنى يبغونه فحذف الهاء كما حذفها ابو النجم في قوله قد اصبحت ام الخيار تدعى علي ذنبا كله
لم اصنع فيمن روى كله بالرفع ويجوز ان يكون التقدير افحكم الجاهلية حكم يبغونه فحذف الموصوف
وقرا الحسن وقتادة والاعرج والاعمش افحكم بنصب الحاء والكاف وفتح الميم وهي راجعة الى معنى
قراءة الجماعة اذ ليس المراد نفس الحكم وانما المراد الحكم فكانه قال افحكم حكم الجاهلية تبغون
وقد يكون الحكم في اللغة والحاكم واحد كانهم يريدون الكاهن وما اشبهه من حكام الجاهلية
فيكون المراد بالحكم الشياع والجنس اذ لا يراد به حاكم بعينه وجاز وقوع المضاف جنسا كما جاز
في قولهم منعت مصر اردبها وشبهه وقرا ابن عامر تبغون بالتاء والباقون بالياء قوله تعالى
ومن احسن من الله حكما هذا استفهام على جهة الانكار بمعنى لا احد احسن فهو ابتدا وخبر وحكما
نصب على البيان لقوم يوقنون اي عند قوم يوقنون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى فيه مسئلتان الاولى اليهود والنصارى مفعولان وهو يدل على قطع الموالاة
شرعا وقد مضى في ال عمران بيان ذلك ثم قيل المراد به المنافقون المعنى يا ايها الذين امنوا
بظاهرهم وكانوا يوالون المشركين ويخبرونهم باسرار المسلمين وقيل نزلت في ابي لبابة عن عكرمة
السدي نزلت في قصة يوم احد حين خاف المسلمون حتى خاف قوم منهم ان يوالوا اليهود والنصارى
وقيل نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن ابي سلول فتبرا عبادة من موالاة اليهود وتمسك
بها اليهود وقال اخاف ان تدور الدواير بعضهم اولياء بعض مبتدا وخبره وهو يدل على اثبات
الشرع الموالاة فيما بينهم حتى يتوارث اليهود والنصارى بعضهم من بعض الثانية قوله تعالى
ومن يتولهم منكم اي يعضدهم على المسلمين فانه منهم بين ان حكمه كحكمهم وهو يمنع اثبات الميراث
للمسلم من المرتد وكان الذي تولاهم ابن ابي ثم هذا الحكم باق الى يوم القيامة في قطع الموالاة
وقد قال تعالى لا تتخذوا بطانة من دونكم وقد مضى القول فيه وقيل ان معنى بعضهم اولياء
بعض في النصرة ومن يتولهم منكم فانه منهم شرط وجوابه اي لانه قد خالف الله ورسوله كما خالفوا

ووجبت معاداتهم كما وجبت معاداتهم ووجبت له النار كما وجبت لهم فضا دمنهم اي من اصحابهم
قوله تعالى فترى الذين فى قلوبهم مرض شك ونفاق وقد تقدم فى البقرة والمراد ابن ابي
واصحابه يسارعون فيهم اي فى موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة اي يدور
الدهر علينا اما بقحط فلا يميرونا ولا يفضلوا علينا واما ان تظفر اليهود بالمسلمين فلا يدوم
الامر لمحمد وهذا القول اشبه بالمعنى كانه من دارت تدور نخشى ان يدور الامر ويدل
عليه قوله عز وجل فعسى الله ان ياتى بالفتح وقال الشاعر يرد عنك القدر المقدورا ودايرات
الدهر ان تدورا يعنى دول الدهر الدايرة من قوم الى قوم واختلفوا فى معنى الفتح فقيل الفصل الفتح
والحكم عن قتادة وغيره قال ابن عباس اتى الله بالفتح فقتلت مقاتلة بنى قريظة وسبيت
ذراريهم واجلى بنو النضير وقال ابو على هو فتح بلاد المشركين على المسلمين وقال السدى يعنى
بالفتح فتح مكة او امر من عنده قال السدى هو الجزية الحسن اظهار امر المنافقين والاخبار
باسمائهم والامر بقتلهم وقيل الخصب والسعة للمسلمين فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم نادمين اي
فيصبحوا نادمين على توليهم الكفار اذا راوا نصر المؤمنين واذا عاينوا عند الموت فبشروا بالعذاب
قوله تعالى ويقول الذين امنوا قرء اهل المدينة واهل الشام يقول بغير واو وقرء ابو عمرو وابن
ابي اسحاق ويقول بالواو والنصب عطفا على ان ياتى عند اكثر النحويين التقدير فعسى الله ان
ياتى بالفتح وان يقول وقيل هو عطف على المعنى لان معنى عسى الله ان ياتى بالفتح عسى ان ياتي الله
بالفتح اذ لا يجوز عسى زيد ان ياتى ويقوم عمرو لانه لا يصح المعنى واذا قلت وعسى زيدا ان يقوم
عمرو ولكن لو قلت عسى ان يقوم زيد وياتى عمرو كان جيدا فاذا قدرت التقديم فى ان ياتى
الى جنب عسى حسن لانه يصير التقدير عسى ان ياتى وعسى ان يقول ويكون من باب قال ورايت
زوجك فى الوغا متقلدا سيفا ورمحا وفيه قول ثالث وهو ان تعطف على الفتح كما قال
الشاعر ولبس عباءة وتقر عينى ويجوز ان يجعل ان ياتى بدلا من اسم الله جل ذكره فيصير
التقدير عسى ان ياتى الله ويقول الذين امنوا وقرء الكوفيون ويقول الذين امنوا بالرفع على
القطع من الاول هؤلاء اشارة الى المنافقين اقسموا اخلفوا واجتهدوا فى الايمان انهم لمعكم
اي قالوا انهم ويجوز انهم باقسموا اي قال المؤمنون لليهود على جهة التوبيخ اهؤلاء اقسموا
بالله جهد ايمانهم انهم يعينونكم على محمد ويحتمل ان يكون من المؤمنين بعضهم من بعض اي
هؤلاء الذين كانوا يحلفون انهم مؤمنون فقد انهتك اليوم سترهم حبطت اعمالهم بطلت
بنفاقهم فاصبحوا لخاسرين اي خاسرين الثواب وقيل خسروا فى موالاة اليهود فلم يحصل لهم ثمرة
بعد قتل اليهود واجلائهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف
ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى
سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم
انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم
راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فيه اربع مسايل الاولى قوله يا ايها الذين امنوا
من يرتد منكم عن دينه شرط وجوابه فسوف وقراة اهل المدينة والشام من يرتدد بدالين
الباقون من يرتد وهذا من اعجاز القران والنبى صلى الله عليه وسلم اذ اخبر عن ارتدادهم ولم يكن
ذلك فى عهده وكان ذلك غيبا فكان على ما اخبر بعد موته واهل الردة كانوا بعد موته صلى الله

عليه وسلم قال ابن اسحق لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب الا ثلاثة مساجد مسجد
المدينة ومسجد مكة ومسجد جواثى وكانوا فى ردتهم على قسمين قسم نبذ الشريعة كلها وخرج عنها وقسم
نبذ وجوب الزكاة واعترف بوجوب غيرها فقالوا نصلى ونصوم ولا نزكى فقاتل الصديق جميعهم وبعث
خالد بن الوليد اليهم بالجيوش فقاتلهم وسباهم على ما هو مشهور من اخبارهم الثانية قوله تعالى فسوف
ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه فى موضع النعت قال الحسن وقتادة وغيرهما نزلت فى ابى بكر الصديق
وغيره وقال السدى نزلت فى الانصار وقيل هو اشارة الى قوم لم يكونوا موجودين فى ذلك الوقت وان
ابا بكر قاتل اهل الردة بقوم لم يكونوا وقت نزول الاية وهم احيا من اليمن من كندة وبجيلة ومن
اشجع وقيل انها نزلت فى الاشعريين ففى الخبر انها لما نزلت قدم بعد ذلك بيسير سفاين الاشعريين
وقبايل اليمن من طريق البحر وكان لهم بلاء فى الاسلام فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عامة
فتوح العراق فى زمن عمر على يدى قبايل اليمن هذا اصح ما قيل فى نزولها والله اعلم وروي الحاكم ابو
عبد الله فى المستدرك باسناده ان النبى صلى الله عليه وسلم اشار الى ابى موسى الاشعري لما نزلت هذه
الاية فقال قوم هذا قال القشيري فاتباع ابى الحسن من قومه لان كل موضع اضيف فيه قوم
الى نبي اريد به الاتباع الثالثة قوله اذلة على المؤمنين اذلة نعت لقوم وكذلك اعزة اي
يرافون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم من قولهم دابة ذلول اي تنقاد سهلة وليس من
الذل فى شيء ويغلظون على الكافرين ويعادونهم قال ابن عباس هم للمؤمنين كالوالد للولد والسيد
للعبد وهم فى الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم
ويجوز اذلة بالنصب على الحال اي يحبهم ويحبونه فى هذه الحال وقد تقدمت معنى محبة الله
لعباده ومحبتهم له الرابعة قوله تعالى يجاهدون فى سبيل الله فى موضع الصفة ايضا ولا يخافون
لومة لائم بخلاف المنافقين يخافون الدواير فدل بهذا على تثبيت امامة ابى بكر وعمر وعثمان
وعلي رضي الله عنهم لانهم جاهدوا فى الله عز وجل فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوا
المرتدين بعده ومعلوم ان من كانت فيه هذه الصفات فهو ولي الله تعالى وقيل الاية
عامة فى كل من يجاهد الكفار الى قيام الساعة والله اعلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ابتدا
وخبر والله واسع عليم اي واسع الفضل عليم بمصالح خلقه قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله
والذين امنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم راكعون فيه مسئلتان الاولى
قوله انما وليكم الله ورسوله قال جابر بن عبد الله قال عبد الله بن سلام للنبى صلى الله عليه وسلم
ان قومنا من قريظة والنضير قد هجرونا واقسموا ان لا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة اصحابك لبعد
المنازل فنزلت هذه الاية فقال رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين اوليا والذين عام فى جميع
المؤمنين وقد سئل ابو جعفر محمد بن على رضي الله عنه عن معنى انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا
هل هو علي ابن ابى طالب فقال علي من المؤمنين يذهب الى ان هذا لجميع المؤمنين قال النحاس وهذا
قول بين لان الذين لجماعة وقال له مجاهد والسدى وحملهم على ذلك قوله الذين يقيمون
الصلاة ويؤتون الزكوة وهم راكعون وهي الثالثة وذلك ان سائلا سال فى مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يعطه احد شيئا وكان علي فى الصلاة فى الركوع وفى يمينه خاتم
فاشار الى السايل بيده حتى اخذه قال الكيا الطبرى وهذا يدل على ان العمل القليل لا يبطل الصلاة
فان التصدق بالخاتم فى الركوع عمل جاء به فى الصلاة ولم تبطل به الصلاة وقوله ويؤتون الزكوة
وهم راكعون يدل على ان صدقة التطوع تسمى زكاة فان عليا تصدق بخاتمه فى الركوع وهو نظير

قوله وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون وقد انتظم النفل والفرض فصار اسم
الزكاة شاملا للفرض والنفل كاسم الصدقة وكاسم الصلاة ينتظم الامرين قال الشيخ القرطبي رحمه الله
فالمراد على هذا بالزكاة التصدق بالخاتم وحمل لفظ الزكاة على الصدقة بالخاتم فيه بعد لان
الزكاة لا تاتي الا بلفظها المختص بها وهو الزكاة المفروضة على ما تقدم بيانه في اول سورة البقرة
وايضا فان قبله ويقيمون الصلاة ومعنى يقيمون الصلاة ياتون بها في اوقاتها بجميع حقوقها والمراد
صلاة الفرض ثم قال وهم راكعون اي النفل وقيل افرد الركوع بالذكر تشريفا وقيل المومنون وقت نزول
الاية كانوا بين متم للصلاة وبين راكع وقال ابن خواز منداذ قوله تعالى ويؤتون الزكاة وهم
راكعون تضمنت جواز العمل اليسير في الصلاة وذلك ان هذا خرج مخرج المدح واقل ما في باب المدح
ان يكون مباحا وقد روي ان علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه اعطى السائل شيئا وهو في الصلاة
وقد يجوز ان تكون هذه صلاة تطوع وذلك انه مكروه في الفرض ويحتمل ان يكون المدح متوجها
على اجتماع حالتين كانه وصف من يعتقد وجوب الصلاة والزكاة فعبر عن الصلاة بالركوع وعن
الاعتقاد للوجوب بالفعل كما تقول المسلمون هم المصلون ولا يريد انهم في تلك الحال مصلون ولا
يوجه حال الصلاة فانما يريد من يفعل هذا الفعل ويعتقده قوله تعالى ومن يتول الله
ورسوله والذين امنوا اي من فوض امره الى الله وامتثل امر رسول الله ووالى المسلمين فهو من
حزب الله وقيل اي ومن يتولى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله صلى الله عليه وسلم والمومنين فان
حزب الله هم الغالبون قال الحسن حزب الله جند الله وقال غيره حزب الله انصار الله قال الشاعر
والمومنون حزب الله فلا جرم غلبوا اليهود بالسبي والاجلا وضرب الجزية والحزب الصنف من
الناس واصله من النايبة من قوله حزبه كذا اي نابه فكان المتحزبين يجتمعون كاجتماع اهل
النايبة عليها وحزب الرجل اصحابه والحزب الورد ومنه الحديث فمن فاته حزبه من الليل وقد
حزبت القران والحزب الطايفة وتحزبوا اجتمعوا والاحزاب الطوايف التي تجتمع على محاربة الانبيا
وحزبه امر اصابه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مومنين واذا ناديتم
الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون قوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا فيه مسئلتان الاولى روي عن ابن عباس ان قوما من اليهود والمشركين
ضحكوا من المسلمين وقت سجودهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا
دينكم هزوا ولعبا الى اخر الايات وتقدم معنى الهزو في البقرة من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
والكفار اولياء قراه ابو عمرو والكسائي بالخفض بمعنى ومن الكفار قال الكسائي وهو في حرف
ابي ومن ههنا لبيان الجنس والنصب اوضح وابين قاله النحاس وقيل هو معطوف على اقرب العاملين
منه وهو قوله من الذين اوتوا فنهاهم الله ان يتخذوا اليهود والمشركين اولياء واعلمهم ان الفريقين
اتخذوا دين المومنين هزوا ولعبا ومن نصب عطف على الذين الاول في قوله لا تتخذوا الذين
اتخذوا دينكم هزوا ولعبا والكفار اولياء اي لا تتخذوا هولاء وهولاء اولياء فالموصوف بالهزو واللعب
في هذه القراءة اليهود لا غير والمنهي عن اتخاذه اولياء اليهود والمشركون وكلاهما في القراءة بالخفض
موصوف بالهزو واللعب قال مكي ولولا اتفاق الجماعة على النصب لاخترت الخفض لقوته في الاعراب
وفي المعنى والتفسير والقرب من المعطوف عليه وقيل المعنى لا تتخذوا المشركين والمنافقين اولياء بدليل
قولهم انما نحن مستهزؤن والمشركون كلهم كفار لكن يطلق في الغالب لفظ الكفار على المشركين

فلهذا فصل ذكر اهل الكتاب من الكافرين الثانية قال ابن خواز منداذ ان هذه الاية مثل قوله
لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ولا تتخذوا بطانة من دونكم تضمنت المنع
من التايد والانتصار بالمشركين ونحو ذلك وروي جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد الخروج
الى احد جاءه قوم من اليهود فقالوا نسير معك فقال عليه الصلاة والسلام انا لا نستعين على امرنا
بالمشركين وهذا هو الصحيح من مذهب الشافعي وابو حنيفة جواز الانتصار بهم على المشركين للمسلمين و
كتاب الله يدل على خلاف ما قالوه مع ما جاء من السنة في ذلك قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلاة
الاية فيه ثلاثة عشر مسئلة الاولى قال الكلبي كان المؤذن اذا اذن وقام المسلمون الى الصلاة
قالت اليهود قد قاموا لا قاموا وكانوا يضحكون اذا ركع المسلمون وسجدوا وقالوا في حق الاذان لقد
ابتدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الامم فمن اين لك صياح كصياح العير فما اقبحه من صوت
وما اسمجه من امر وقيل انهم كانوا اذا اذن المؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على
طريق السخف والمجون تجهيلا لاهلها وتنفير الناس منها وعن الداعي اليها وقيل انهم كانوا يرون
المنادي اليها بمنزلة اللاعب الهازي بفعلها جهلا منهم بمنزلتها فنزلت هذه الاية ونزل قوله
ومن احسن قولا ممن دعا الى الله والندا الدعا برفع الصوت وقد يضم مثل الدعا والدعاء وناداه
مناداة ونداء اي صاح به وتنادوا اي نادى بعضهم بعضا وتنادوا اي جلسوا في النادي وناداه اي
جالسه في النادي وليس في كتاب الله تعالى ذكر الاذان الا في هذه الاية اما انه ذكر في الجمعة
على الاختصاص ولم يكن الاذان بمكة قبل الهجرة وانما كانوا ينادون الصلاة جامعة فلما هاجر
النبي صلى الله عليه وسلم وصرفت القبلة الى الكعبة امر بالاذان وبقي الصلاة جامعة للامر يعرض
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اهمه امر الاذان حتى اريه عبد الله بن زيد وعمر ابن الخطاب و
ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم سمع الاذان ليلة الاسرا في السما واما
رويا عبد الله بن زيد الانصاري وعمر رضي الله عنهما فمشهور وان عبد الله بن زيد اخبر النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك ليلا طرقه به وان عمر قال اذا اصبحت اخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بلالا فاذن بالصلاة اذان الناس اليوم وزاد بلال في الصبح الصلاة خير
من النوم فاقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وليست فيما اري الانصاري ذكره ابن سعد عن ابن
عمر وذكر الدارقطني ان الصديق روي الاذان وانه اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وان
النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بالاذان قبل ان يخبره الانصاري ذكر في كتاب المدبج له في حديث
النبي صلى الله عليه وسلم عن ابي بكر الصديق وحديث ابي بكر عنه انتهى الثانية واختلف العلماء في وجوب
الاذان والاقامة فاما مالك واصحابه فان الاذان عندهم انما يجب في المساجد للجماعات حيث
يجتمع الناس وقد نص على ذلك في موطئه واختلف المتاخرون من اصحابه على قولين احدهما انه
سنة مؤكدة واجبة على الكفاية في المصر وما جرى مجرى المصر من القرى وقال بعضهم على الكفاية
وكذلك اختلاف الشافعي وحكى الطبري عن مالك قال ان ترك اهل مصر الاذان عامدين
اعادوا الصلاة قال ابو عمرو لا اعلم خلافا في وجوب الاذان جملة على اهل المصر لان الاذان هو
العلامة الدالة المفرقة بين دار الاسلام ودار الكفر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث
سرية قال لهم اذا سمعتم الاذان فامسكوا وكفوا وان لم تسمعوا الاذان فاغيروا او قال
وشنوا الغارة وفي صحيح مسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير اذا طلع الفجر فان سمع
اذانا امسك والا اغار الحديث وقال عطا ومجاهد والاوزاعي وداود الاذان فرض ولم يقولوا

على الكفاية وقال الطبري الاذان سنة وليس بواجب وذكر عن اشهب عن مالك ان ترك الاذان مسافر عمدا فعليه اعادة الاذان وكره الكوفيون ان يصلي المسافر بغير اذان ولا اقامة قالوا واما المصر فيستحب له ان يوذن ويقيم فان استجزا باذان الناس واقامتهم اجزاه وقال الثوري يجزيه الاقامة عن الاذان في السفر وان شئت اذنت واقمت وقال احمد بن حنبل يؤذن المسافر على حديث مالك بن الحويرث و قال داود الاذان واجب على كل مسافر في خاصته والاقامة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمالك بن الحويرث ولصاحبه اذا كنتما في سفر فاذنا ويومكما اكبركما كما خرجه البخاري وهذا قول اهل الظاهر قال ابن المنذر ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمالك بن الحويرث ولابن عم له اذا سافرتما فاذنا واقيما وليؤمكما اكبركما قال ابن المنذر فالاذان والاقامة واجبان على كل جماعة في الحضر والسفر لان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالاذان وامره على الفرض قال ابو عمر واتفق الشافعي وابو حنيفة واصحابهما والثوري واحمد واسحق وابو ثور والطبري على ان المسافر اذا ترك الاذان عامدا او ناسيا اجزأته صلاته وكذلك لو ترك الاقامة عندهم وهم اشد كراهة لتركه الاقامة واحتج الشافعي ان الاذان غير واجب فرضا من فروض الصلاة بسقوط الاذان للواحد عند الجميع بعرفة والمزدلفة وتحصيل مذهب مالك في الاذان في السفر كالشافعي سواء الثالثة واتفق مالك والشافعي واصحابهما على ان الاذان مثنى والاقامة مرة مرة الا ان الشافعي يربع التكبير وذلك محفوظ من روايات الثقات في حديث ابي محذورة وفي حديث عبد الله بن زيد قال وهي زيادة يجب قبولها وزعم الشافعي ان اذان اهل مكة لم يزل في آل ابي محذورة كذلك الى وقته وعصره قال اصحابه وكذلك هو عندنا الان وما ذهب اليه مالك موجود ايضا في احاديث صحاح في اذان محذورة وفي اذان عبد الله بن زيد والعمل عندهم بالمدينة على ذلك في آل سعد القرظي الى زمانهم واتفق مالك والشافعي على الترجيع في الاذان وذلك رجوع المؤذن اذا قال اشهد ان لا اله الا الله مرتين اشهد ان محمدا رسول الله مرتين رجع فمد من صوته جهده ولا خلاف بين مالك والشافعي في الاقامة الا قوله قد قامت الصلاة فان مالك يقولها مرة والشافعي مرتين واكثر العلماء على ما قال الشافعي وبه جاءت الاثار وقال ابو حنيفة واصحابه والثوري والحسن بن صالح الاذان والاقامة جميعا مثنى مثنى والتكبير عندهم في اول الاذان واول الاقامة الله اكبر اربع مرات و لا ترجيع عندهم في الاذان وحجتهم في ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي ليلى قال حدثنا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان عبد الله بن زيد جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رايت في المنام كان رجلا قام عليه بردان اخضران على جذم حايط فاذن مثنى واقام مثنى وقعد بينهما قعدة فسمع بذلك بلال فقام واذن مثنى مثنى وقعد قعدة واقام مثنى رواه الاعمش وغيره عن عمرو بن مرة عن ابن ابي ليلى وهو قول جماعة من التابعين والفقهاء بالعراق قال ابو اسحق السبيعي كان اصحاب علي وعبد الله يشفعون الاذان والاقامة فهذا اذان الكوفيين متوارث عندهم به العمل قرنا بعد قرن ايضا كما يتوارث الحجازيون فاذانهم تربيع التكبير ثم الشهادة بان لا اله الا الله مرة واحدة اشهد ان محمدا رسول الله مرة واحدة ثم حي على الصلاة مرة واحدة ثم حي على الفلاح مرة واحدة ثم يرجع المؤذن فيمد صوته ويقول اشهد ان لا اله الا الله الاذان كله مرتين مرتين الى اخره قال ابو عمر ذهب احمد بن حنبل واسحق بن راهويه وداود بن علي ومحمد بن جرير الطبري الى اجازة القول بكل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملوه على الاباحة والتخيير قالوا كل ذلك جايز لانه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم

جميع ذلك وعمل به اصحابه فمن شاء قال الله اكبر مرتين في اول الاذان ومن شاء قال ذلك اربعا ومن شاء رجع في اذانه ومن شاء لم يرجع ومن شاء ثنى الاقامة ومن شاء افردها الا قوله قد قامت الصلاة فان ذلك مرتان مرتان على كل حال الرابعة واختلفوا في التثويب لصلاة الصبح وهو قول المؤذن الصلاة خير من النوم فقال مالك والثوري والليث يقول المؤذن في صلاة الصبح بعد قوله حي على الفلاح مرتين الصلاة خير من النوم وهو قول الشافعي بالعراق وقال بمصر لا يقول ذلك وقال ابو حنيفة واصحابه يقوله بعد الفراغ من الاذان ان شاء وقد روي عنهم ان ذلك في نفس الاذان وعليه الناس في صلاة الفجر قال ابو عمر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابي محذورة انه امره ان يقول في الاذان للصبح ان يقول الصلاة خير من النوم وروي عنه ايضا ذلك من حديث عبد الله بن زيد وروي عن انس انه قال من السنة ان يقال في الفجر الصلاة خير من النوم وروي عن ابن عمر انه كان يقوله واما قول مالك في الموطا انه بلغه ان المؤذن جاء عمر ابن الخطاب يؤذنه بصلاة الصبح فوجده نايما فقال الصلاة خير من النوم فامره ان يجعلها في اذان الصبح فلا اعلم انه روي هذا عن عمر من جهة يحتج بها وتعلم صحتها وانما فيه حديث هشام بن عروة عن رجل يقال له اسمعيل فاعرفه ذكر ابن ابي شيبة حدثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن رجل يقال له اسمعيل قال جاء المؤذن يوذن عمر بصلاة الصبح فقال الصلاة خير من النوم فاعجب به وقال للمؤذن اقرها في اذانك قال ابو عمر والمعنى فيه عندي انه قال له نداء الصبح موضع القول بها لا ههنا كانه كره ان يكون منه نداء اخر عند باب الامير كما احدثه الامرا بعد قال ابو عمر انما حملني على هذا التاويل وان كان الظاهر من الخبر خلافه لان التثويب في صلاة الصبح اشهر عند العلماء والعامة من ان يظن بعمر رضي الله عنه انه جهل ما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر به مؤذنيه بالمدينة بلالا وبمكة ابا محذورة فهو محفوظ معروف في تاذين بلال واذان ابي محذورة في صلاة الصبح للنبي صلى الله عليه وسلم مشهور عند العلماء وروى وكيع عن سفيان عن عمران بن مسلم عن سويد بن غفلة انه ارسل الى مؤذنه اذا بلغت حي على الفلاح فقل الصلاة خير من النوم فانه اذان بلال ومعلوم ان بلالا لم يؤذن قط لعمر ولا سمعه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مرة بالشام اذ دخلها الخامسة واجمع اهل العلم على ان من السنة ان لا يوذن للصلاة الا بعد دخول وقتها الا الفجر فانه يوذن لها قبل طلوع الفجر في قول مالك والشافعي واحمد واسحق وابي ثور وحجتهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن ام مكتوم وقال ابو حنيفة والثوري ومحمد بن الحسن لا يؤذن لصلاة الصبح حتى يدخل وقتها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمالك بن الحويرث وصاحبه اذا حضرت الصلاة فاذنا ثم اقيما وليؤمكما اكبركما وقياسا على ساير الصلوات وقالت طايفة من اهل الحديث اذا كان للمسجد مؤذنان اذن احدهما قبل طلوع الفجر والاخر بعد طلوع الفجر السادسة واختلفوا في المؤذن يؤذن ويقيم غيره فذهب مالك وابو حنيفة واصحابهما الى انه لا باس بذلك لحديث محمد بن عبد الله بن زيد عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره اذ اراى النداء في النوم ان يلقيه على بلال ثم امر عبد الله بن زيد فاقام وقال الثوري والليث والشافعي من اذن فهو يقيم لحديث عبد الرحمن بن زياد بن انعم عن زياد بن نعيم عن عبد الله بن الحارث الصدائي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان اول الصبح امرني فاذنت ثم قام الى الصلاة فجاء بلال ليقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان اخاصدا اي اذن ومن اذن فهو يقيم قال ابو عمر ابو عبد الرحمن بن زياد الافريقي واكثرهم يضعفونه
وليس يروي هذا الحديث غيره والاول احسن اسنادا ان شاء الله تعالى وان صح حديث الافريقي فان
من اهل العلم من يوثقه ويثني عليه فالقول به اولى لانه نص في موضع الخلاف وهو متاخر عن قصة
عبد الله بن زيد مع بلال والاخر فالاخر من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى ان يتبع ومع هذا فاني
استحب اذا كان المؤذن واحدا راتبا ان يتولى الاقامة فان اقامها غيره فالصلاة ماضية باجماع
والحمد لله السابعة وحكم المؤذن ان يترسل في اذانه ولا يطرب به كما يفعله اليوم كثير من الجهال
بل وقد اخرجه كثير من الطغام والعوام عن حد الاطراب فيرجعون فيه الترجيعات ويكثرون فيه
التقطيعات حتى لا يفهم ما يقول ولا بما به يصول روى الدارقطني من حديث ابن جريج عن عطا عن
ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن يطرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الاذان سهل سمح فان كان اذانك سمحا سهلا والا فلا تؤذن ويستقبل في اذانه القبلة عند
جماعة العلماء ويلوي راسه يمينا وشمالا في حي على الصلاة حي على الفلاح عند كثير من اهل العلم قال
احمد لا يدور الا ان يكون في منارة يريد ان يسمع الناس وبه قال اسحاق والافضل ان يكون
متطهرا الثامنة ويستحب لسامع الاذان ان يحكيه الى اخر التشهدين وان اتمه جاز لحديث ابي
سعيد وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اذن المؤذن
الله اكبر الله اكبر فقال احدكم الله اكبر الله اكبر ثم قال اشهد ان لا اله الا الله قال اشهد ان لا اله الا
الله ثم قال اشهد ان محمدا رسول الله قال اشهد ان محمدا رسول الله ثم قال حي على الصلاة قال
لا حول ولا قوة الا بالله ثم قال حي على الفلاح قال لا حول ولا قوة الا بالله ثم قال الله اكبر الله اكبر
قال الله اكبر الله اكبر ثم قال لا اله الا الله قال لا اله الا الله من قلبه دخل الجنة وفيه عن
سعد ابن ابي وقاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قال حين يسمع المؤذن
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد
صلى الله عليه وسلم رسولا وبالاسلام دينا غفر له ما تقدم من ذنبه التاسعة واما فضل الاذان
والمؤذن فجاءت به ايضا اثار صحاح منها ما رواه مسلم عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا نودي للصلاة ادبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التاذين الحديث وحسبك انه شعار
الاسلام وعلم على الايمان كما تقدم واما المؤذن فروى مسلم عن معاوية قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول المؤذنون اطول الناس اعناقا يوم القيمة وهذه اشارة الى الامن من
هول ذلك اليوم والله اعلم والعرب تكني بطول العنق عن اشراف القوم وساداتهم كما قال قائلهم
طوال انضية الاعناق واللمم وفي الموطا عن ابي سعيد الخدري سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شيء الا شهد له يوم القيامة وفي سنن
ابن ماجة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذن محتسبا سبع سنين
كتبت له براءة من النار وفيه عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اذن
اثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة وكتبت له بتاذينه في كل يوم ستون حسنة ولكل اقامة
ثلاثون حسنة قال ابو حاتم هذا اسناد منكر والحديث صحيح وعن عثمان بن ابي العاص قال كان
اخر ما عهد الي النبي صلى الله عليه وسلم ان لا اتخذ مؤذنا ياخذ على اذانه اجرا حديث ثابت والله اعلم
العاشرة واختلفوا في اخذ الاجرة على الاذان فكره ذلك القاسم بن عبد الرحمن واصحاب الراي
ورخص فيه مالك وقال لا باس به وقال الاوزاعي ذلك مكروه ولا باس باخذ الرزق على

ذلك من بيت المال وقال الشافعي لا يرزق المؤذن الا من خمس الخمس سهم النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن
المنذر لا يجوز اخذ الاجرة على الاذان وقد استدل علماؤنا باخذ الاجرة بحديث ابي محذورة وفيه
نظر اخرجه النسائي وابن ماجة وغيرهما قال خرجت في نفر فكنا ببعض الطريق فاذن مؤذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا صوت المؤذن ونحن عنه
متنكبون فصرخنا نحكيه نهزا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الينا قوما فاقعدونا
بين يديه فقال ايكم الذي سمعت صوته قد ارتفع فاشار الي القوم كلهم وصدقوا فارسل كلهم
وحبسني ثم قال قم فاذن فقمت ولا شيء اكره الي من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مما يامرني
به فقمت بين يديه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم التاذين
هو بنفسه فقال قل الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا
الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح
حي على الفلاح الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله ثم دعاني حين قضيت التاذين واعطاني صرة
فيها شيء من فضة ثم وضع يده على ناصية ابي محذورة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك
الله لك وبارك عليك فقلت يا رسول الله مرني بالتاذين بمكة قال امرتك فذهب كل شيء كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كراهة وعاد كله محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت على
عتاب بن اسيد عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاذنت بعد بالصلاة عن امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم لفظ ابن ماجة الحادي عشر قوله تعالى ذلك بانهم قوم لا يعقلون اي انهم بمنزلة
من لا عقل له يمنعه من القبائح روي ان رجلا من النصارى وكان بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول
اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الكاذب فسقطت في بيته شررة من النار وهو نائم فتعلقت
بالبيت فاحرقته واحرقت ذلك الكافر معه فكانت للخلق والبلاء موكل بالمنطق وكانوا يهزؤن
مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى يستفتحوا فلا يؤخروا بعد ذلك ذكره ابن العربي قوله تعالى قل يا
اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم
فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل
منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل واذا جاؤكم
قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون قوله قل يا اهل الكتاب
هل تنقمون منا قال ابن عباس جاء نفر من اليهود فيهم ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابي رافع
الى النبي صلى الله عليه وسلم فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال نؤمن بالله وما انزل الينا وما
انزل الى ابراهيم واسماعيل الى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله
ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت هذه الاية وما
بعدها وهي متصلة بما سبق من انكارهم الاذان وهو جامع بالشهادة لله بالتوحيد ولمحمد
بالنبوة والمتناقض دين من فرق بين انبياء الله لا دين من يؤمن بالكل ويجوز ادغام اللام
في التاء لقربهما منها وتنقمون معناه تسخطون وقيل تكرهون وقيل تنكرون والمعنى متقارب يقال
نقم من كذا ينقم ونقم ينقم والاول اكثر قال عبد الله بن الرقيات ما نقموا من بني امية الا
انهم يحلمون ان غضبوا وفي التنزيل وما نقموا منهم ويقال نقمت على الرجل بالكسر فانا ناقم اذا
عتبت عليه يقال ما نقمت عليه الاحسان قال الكسائي نقمت بالكسر لغة ونقمت الامر ايضا ونقمته
اذا كرهته وانتقم الله منه اي عاقبه والاسم منه النقمة والجمع نقمات مثل كلمة وكلمات وكلم

وان شئت سكنت القاف ونقلت حركتها الى النون فقلت نقمة والجمع نقم مثل نعمة ونعم الا ان امنا
بالله فى موضع نصب بتنقمون اي فى ترككم الايمان وخروجكم عن امتثال امر الله فقيل هو مثل قول
القائل هل تنقم منى الا اننى عفيف وانك فاجر وقيل اي لان اكثركم فاسقون تنقمون منا ذلك
قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك اي بشر من نقمكم علينا وقيل بشر مما تريدون بنا من المكروه
وهذا جواب قولهم ما نعرف دينا شرا من دينكم مثوبة نصب على البيان واصلها مفعوله فالقيت
حركة الواو على الثا فسكنت الواو وبعدها ساكنة فحذفت احدهما لذلك ومثله مقولة ومجوزة
ومصوفة على معنى المصدر كما قال الشاعر وكنت اذا جاري دعا لمصوفة اشمر حتى ينصف الساق
ميزرى وقيل مفعلة كقولك مكرمة ومعقلة من لعنه الله فى موضع دفع كما قال بشر من ذلكم
النار والتقدير هو لعن من لعنه الله ويجوز ان يكون فى موضع نصب بمعنى قل هل انبئكم من لعنه
الله ويجوز ان يكون فى موضع خفض على البدل من شر والتقدير هل انبئكم بمن لعنه الله والمراد
اليهود وقد تقدم القول فى الطاغوت اي وجعل منهم من عبد الطاغوت فالموصول محذوف عند
الفراء وقال البصريون لا يجوز حذف الموصول والمعنى من لعنه الله وعبد الطاغوت وقرا ابن
وثاب والنخعي انبئكم بالتخفيف وقرء حمزة عبد الطاغوت بضم البا وكسر التا جعل اسما على
فعل كعضد فهو بناء للمبالغة والكثرة كيقظ وندس وحذر واصله الصفة ومنه قول النابغة
كيف الصقيلى الزردى بضم الراء ونصبه بجعل اي جعل منهم عبد الطاغوت فخفضه وجعل بمعنى
خلق والمعنى وجعل منهم من يبالغ فى عبادة الطاغوت وقرء الباقون بفتح الباء والتا جعلوه فعلا
ماضيا وعطفه على فعل ماض وهو غضب ولعن والمعنى عندهم من لعنه ومن عبد الطاغوت
اومنصوبا بجعل اي جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ووحد الضمير فى عبد حملا على
لفظ من دون معناها وقرء ابي وابن مسعود وعبدوا الطاغوت وهو على المعنى ابن عباس وعُبُد
الطاغوت فيجوز ان يكون جمع عبد كما تقول رهن ورُهُن وسقف وسُقُف ويجوز ان يكون جمع
عابد كبازل وبزل والمعنى وخدم الطاغوت وعن ابن عباس ايضا وعبد الطاغوت جعله جمع
عابد كما يقال شاهد وشُهَّد وغايب وغُيَّب وعن ابي واقد وعباد الطاغوت للمبالغة جمع
عابد ايضا كعامل وعمال وضارب وضراب وذكر محبوب ان البصريين قرا واعباد الطاغوت
جمع عباد ايضا كقايم وقيام ويجوز ان يكون جمع عبد وقرا ابو جعفر الرواسى وعبد الطاغوت
على المفعول والتقدير وعبد الطاغوت فيهم وقرا عون العقيلي وابن بريدة وعابد الطاغوت
على التوحيد وهو يؤدى عن جماعة وقرا ابن مسعود ايضا وعُبِدَ الطاغوت وعنه ايضا وابي
وعبدت الطاغوت على تانيث الجماعة كما قال تعالى قالت الاعراب وقرا ابو عبيد بن عمير
واعبد الطاغوت مثل كلب واكلب فهذه اثنى عشر وجها قوله تعالى اولئك شر مكانا لان
مكانهم النار واما المؤمنون فلا شر فى مكانهم وقال الزجاج اولئك شر مكانا على قولكم النحاس
ومن احسن ما قيل فيه اولئك الذين لعنهم الله شر مكانا فى الاخرة من مكانكم فى الدنيا لما لحقكم
من الشر وقيل اولئك لعنهم الله شر مكانا من الذين نقموا عليكم وقيل اولئك الذين نقموا عليكم
شر مكانا من الذين لعنهم الله ولما نزلت هذه الاية قال المسلمون لهم يا اخوة القردة والخنازير
فنكسوا رؤسهم افتضاحا وفيهم يقول الشاعر فلعنة الله على اليهود ان اليهود اخوة القرود
قوله تعالى واذا جاؤكم قالوا امنا الاية هذه صفة المنافقين والمعنى انهم لم ينتفعوا بشئ
مما سمعوه بل دخلوا كافرين وخرجوا كافرين والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من نفاقهم وقيل المراد

اليهود الذين قالوا امنا بالذى انزل على الذين امنوا وجه النهار اذا دخلتم المدينة واكفروا اذا رجعتم
الى بيوتكم يدل عليه ما قبله من ذكرهم وما ياتى قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان
واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهيهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت
لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه
مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون فى الارض
فسادا والله لا يحب المفسدين قوله وترى كثيرا منهم اي من اليهود يسارعون فى الاثم والعدوان اي
يسابقون فى المعاصى والظلم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون قوله تعالى لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار لولا بمعنى افلا ينهاهم يزجرهم الربانيون علما النصارى والاحبار علماء اليهود قاله الحسن
وقيل الكل فى اليهود لان هذه الايات فيهم ثم وبخ علماهم فى تركهم نهيهم فقال لبئس ما كانوا يصنعون
كما وبخ من يسارع فى الاثم بقوله لبئس ما كانوا يعملون ودلت الاية على ان تارك النهي عن المنكر كمرتكب
المنكر فالاية توبيخ للعلما فى ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد مضى القول فى هذا المعنى فى البقرة
وال عمران وروى سفيان ابن عيينة قال حدثنى سفيان بن سعيد عن مسعر قال بلغنى ان ملكا امر ان
يخسف بقرية فقال يا رب فيها فلان العابد فاوحى الله تعالى ان به فابدا فانه لم يتمعر وجهه
فى قط وفى صحيح الترمذى ان الناس اذا راوا الظالم ولم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب
من عنده وسياتى والصنع بمعنى العمل الا انه يقتضى الجودة يقال سيف صنيع اذا جود عمله قوله تعالى
وقالت اليهود يد الله مغلولة قال عكرمة انما قال هذا ابن عازورا واصحابه وكان لهم اموال فلما
كفروا بمحمد قل ما لهم فقالوا ان الله بخيل ويد الله مقبوضة عنا فى العطا فالاية خاصة فى
بعضهم وقيل لما قال قوم هذا ولم ينكر الباقون صاروا كانهم باجمعهم قالوا هذا وقال الحسن المعنى
يد الله مقبوضة عن عذابنا وقيل انهم لما راوا النبى صلى الله عليه وسلم فى فقر وقلة مال وسمعوا
من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وراوا ان النبى صلى الله عليه وسلم قد كان يستعين بهم فى
الديات قالوا ان اله محمد فقير وربما قالوا بخيل وهذا معنى قولهم فهو على التمثيل كقوله ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ويقال للبخيل جعد الانامل ومقبوض الكف وكز الاصابع ومغلول
اليد قال الشاعر كانت خراسان ارضا ان يزيد بها وكل باب من الخيرات مفتوح فاستبدلت
بعده جعدا انامله كانما وجهه بالخل منضوح واليد فى كلام العرب تكون الجارحة كقوله تعالى
وخذ بيدك ضغثا وهذا محال على الله تعالى وتكون النعمة تقول العرب كم يد لى عند فلان
اي كم من نعمة لى قد اسديتها له وتكون القوة قال الله عز وجل واذكر عبدنا داود ذا الايد اي ذا
القوة وتكون الملك والقدرة قال الله تعالى قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وتكون
بمعنى الصلة قال الله تعالى مما عملت ايدينا انعاما اي مما عملنا نحن وقال او يعفو الذى
بيده عقدة النكاح اي الذى له عقدة النكاح وتكون بمعنى التاييد والنصرة ومنه قوله
عليه الصلاة والسلام يد الله مع القاضى حتى يقضى والقاسم حتى يقسم وتكون لاضافة الفعل
الى المخبر عنه تشريفا له وتكريما قال الله تعالى يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى
فلا يجوز ان تحمل على الجارحة لان البارى جل وتعالى واحد لا يجوز عليه التبعيض ولا على القوة
والملك والنعمة والصلة لان الاشتراك يقع حينئذ بين وليه ادم وعدوه ابليس ويبطل
ما ذكر من تفضيله عليه لبطلان معنى التخصيص فلم يبق الا ان يحملا على صفتين تعلقتا بخلق

ادم تشريفا له دون خلق ابليس تعلق القدرة بالمقدور لا من طريق المباشرة ولا من حيث المماسة ومثله ما
روي انه كتب التورية بيده وغرس دار الكرامة لاهل الجنة وغير ذلك تعلق الصفة بمقتضاها
قوله تعالى غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا حذفت الضمة من الياء لثقلها اي غلت في الاخرة ويجوز ان يكون
دعا عليهم وكذا ولعنوا بما قالوا والمقصود تعليمنا كما قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله علمنا الاستثنا
وكما علمنا الدعا على ابي لهب بقوله تبت يدا ابي لهب وقيل اراد انهم ابخل الخلق فلا ترى يهوديا غير
لئيم واللعن الابعاد وقد تقدم بل يداه مبسوطتان فنعم الله عز وجل اكثر من ان تحصى فيكون مثل
قوله مبسوطتان واجيب بانه يجوز ان يكون هذا تثنية جنس لا تثنية واحد مفرد فيكون مثل
قوله عليه الصلاة والسلام مثل المنافق كالشاة العايرة بين الغنمين فاحد الجنسين نعمة الدنيا و
الثاني نعمة الاخرة وقيل نعمة الدنيا النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة كما قال واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة روي ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فيه النعمة الظاهرة ما حسن من
خلقك والباطنة ما ستر عليك من سيء عملك وقيل نعمتاه المطر والنبات اللتان نعمه بهما ومنهما
وقيل ان التثنية للمبالغة كقول العرب لبيك وسعديك وليس يريد الاقتصار على مرتين وقد يقول القائل
ما لي بهذا الامر يد اي قوة قال السدي معنى قوله يداه قوتاه بالثواب والعقاب بخلاف ما قالت
اليهود ان يده مقبوضة عن عذابهم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله تعالى قال لي انفق انفق عليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمين الله ملأى لا يغيضها
سحا الليل والنهار ارايتم ما انفق منذ خلق السماء والارض فانه لم يغض ما في يمينه قال وعرشه على
الماء وبيده الاخرى القبض يرفع ويخفض السح الصب الكثير او يغيض ينقص ونظير هذا الحديث
قوله جل ذكره والله يقبض ويبسط واما هذه الاية في قراءة ابن مسعود بل يداه بسطان حكاه
الاخفش وقال يقال يد بسطة اي منطلقة منبسطة ينفق كيف يشاء اي يرزق كما يريد ويجوز
ان تكون اليد في هذه الاية بمعنى القدرة اي قدرته شاملة فان شاء وسع وان شاء قتر وليزيدن
كثيرا منهم ما انزل اليك اي بالذي انزل اليك طغيانا وكفرا اي اذا نزل شيء من القران فكفروا
ازداد كفرهم والقينا بينهم قال مجاهد اي بين اليهود والنصارى لانه قبل هذا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء وقيل اي القينا بين طوايف اليهود كما قال تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى فهم متباغضون
غير متفقين فهم ابغض خلق الله الى الناس كلما اوقدوا نارا للحرب يريد اليهود وكلما ظرف اي كلما
جمعوا واعدوا شتت الله جمعهم وقيل ان اليهود لما افسدوا وخالفوا كتاب الله التورية ارسل الله
عليهم بخت نصر ثم افسدوا فارسل عليهم بطرس الرومي ثم افسدوا فبعث الله عليهم المجوس ثم افسدوا
فبعث الله عليهم المسلمين فكانوا كلما استقام امرهم شتتهم الله وكلما اهاجوا نارا اي اهاجوا
شرا واجمعوا امرهم على حرب النبي صلى الله عليه وسلم اطفاها الله حتى يضعفوا وذلك بما جعله من الرعب
نصرة بين يدي نبيه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم
سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم
من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من
الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين قوله ولو ان اهل الكتاب ان في موضع رفع وكذا ولو انهم
اقاموا التورية امنوا صدقوا واتقوا اي الشرك والمعاصي لكفرنا اللام جواب لو وكفرنا غطينا وقد
تقدم واقامة التورية والانجيل العمل بمقتضاهما وعدم تحريفهما وقد تقدم هذا المعنى في البقرة مستوفى

وما انزل اليهم من ربهم اي القران وقيل كتب انبيائهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس
وغيره يعني المطر والنبات وهذا يدل على انهم كانوا في جدب وقيل المعنى لوسعنا عليهم في ارزاقهم ولاكلوا
اكلا متواصلا وذكر فوق وتحت للمبالغة فيما يفتح عليهم من الدنيا ونظير هذه الاية ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا
ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض فجعل سبحانه التقى من اسباب
الرزق كما في هذه الايات ووعد بالمزيد لمن شكر فقال لئن شكرتم لازيدنكم ثم اخبر تعالى ان
منهم مقتصدا ومنهم المؤمنون كالنجاشي وسلمان وعبد الله بن سلام اقتصدوا فلم يقولوا في عيسى ومحمد
الا ما يليق بهما وقيل اراد بالاقتصاد قوما لم يؤمنوا ولكنهم لم يكونوا من المؤذين المستهزئين والله
اعلم والاقتصاد الاعتدال في العمل وهو من القصد والقصد اتيان الشيء تقول قصدته وقصدت له
وقصدت اليه بمعنى ساء ما يعملون اي بئس شيء عملهم كذبوا الرسل وحرفوا الكتب واكلوا السحت قوله
تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك فيه مسئلتان الاولى قوله يا ايها الرسول
بلغ قيل معناه اظهر التبليغ لانه كان في اول الاسلام يخفيه خوفا من المشركين ثم امر باظهاره في
هذه الاية واعلمه الله انه يعصمه من الناس وكان عمر رضي الله عنه اول من اظهر اسلامه وقال
لا يعبد الله سرا وفي ذلك نزلت يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فدلت الاية
على رد قول من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من امر الدين تقية وبطلانه وهم الرافضة
ودلت على انه صلى الله عليه وسلم لم يسر الى احد شيئا من امر الدين لان المعنى بلغ كل ما انزل اليك
ظاهرا ولولا هذا ما كان في قوله عز وجل وان لم تفعل فما بلغت رسالته فايدة وقيل بلغ ما انزل اليك
من ربك في امر زينب بنت جحش الاسدية وقيل غير هذا والصحيح القول بالعموم قال ابن عباس المعنى
بلغ جميع ما انزل من ربك فان كتمت شيئا منه فما بلغت رسالته وهذا تاديب للنبي صلى الله عليه
وسلم وتاديب لحملة العلم من امته الا يكتموا شيئا من امر شريعته وقد علم الله تعالى من نبيه انه لا
يكتم شيئا من وحيه وفي صحيح مسلم عن مسروق عن عايشة انها قالت من حدثك ان محمدا صلى الله عليه
وسلم كتم شيئا من الوحي فقد كذب والله تعالى يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقبح الله الروافض حيث قالوا انه عليه الصلاة والسلام كتم شيئا
مما اوحى الله اليه كان بالناس حاجة اليه الثانية قوله والله يعصمك من الناس دليل على
نبوته لان الله تعالى خبر انه معصوم ومن ضمن له العصمة فلا يجوز ان يكون ترك شيئا مما
امره الله به وسبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان نازلا تحت شجرة فجاء اعرابي فاخترط
سيفه وقال للنبي صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني فقال الله فذعرت يد الاعرابي وسقط السيف
من يده وضرب براسه الشجرة حتى انتثر دماغه ذكره المهدوي وذكره القاضي عياض في كتاب
الشفا قال وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب القصة وان
النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد تقدم الكلام
في هذا المعنى في هذه السورة عند قوله اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم مستوفى وفي
النساء ايضا في ذكر صلاة الخوف وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال غزونا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق
سيفه بغصن من اغصانها قال وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر قال فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاني وانا نايم فاخذ السيف فاستيقظت وهو قايم على راسي فلم

اشعر الا السيف صلتا في يده فقال لي من يمنعك مني قال قلت الله ثم قال في الثانية من يمنعك
مني قال قلت الله قال فشام السيف فها هو ذا هو جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثني الله برسالته ضقت بها ذرعا وعرفت
ان من الناس من يكذبني فانزل الله هذه الاية وكان يرسل ابو طالب كل يوم مع رسول الله
رجالا من بني هاشم يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان
الله قد عصمني من الجن والانس فلا احتاج الى من يحرسني قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا يقتضي
ان ذلك كان بمكة وان الاية مكية وليس كذلك وقد تقدم ان هذه السورة مدنية باجماع
ومما يدل على ان هذه الاية مدنية ما رواه مسلم في الصحيح عن عايشة قالت سهر رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة فقال ليت رجلا من اصحابي يحرسني الليلة قالت فبينا نحن كذلك
سمعنا خشخشة سلاح قال من هذا قال سعد بن ابي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جاء بك قال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت احرسه فدعا له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم نام وفي غير الصحيح قالت فبينا نحن سمعت صوت السلاح فقال من هذا قالوا
سعد وحذيفة جئنا نحرسك فنام عليه الصلاة والسلام حتى سمعت غطيطه ونزلت هذه الاية
فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من قبة ادم وقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله تعالى
وقرء اهل المدينة رسالاته على الجمع وابو عمرو واهل الكوفة رسالته على التوحيد قال النحاس والقراءتان
حسنتان والجمع ابين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل عليه الوحي شيئا شيئا ثم يبينه
والافراد يدل على الكثرة فهي كالمصدر والمصدر في اكثر الكلام لا يجمع ولا يثنى لدلالته على نوعه
بلفظه كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يرشدهم وقد
تقدم وقيل ابلغ انت فاما الهداية فالينا نظيره ما على الرسول الا البلاغ **قل يا اهل الكتاب
لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك
من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون
والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لقد اخذنا
ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا
يقتلون** قوله قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل فيه ثلاث مسايل الاولى
قال ابن عباس جاء جماعة من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا الست تقر ان التورية حق من
عند الله قال بلى فقالوا انا نؤمن بها ولن نؤمن بما عداها فنزلت الاية لستم على شيء من الدين
حتى تعملوا بما في الكتابين من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والعمل بما يوجب ذلك منهما وقال ابو علي
يجوز ان يكون ذلك قبل النسخ لهما الثانية قوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا اي يكفرون به فيزدادون كفرا الى كفرهم والطغيان تجاوز الحد في الظلم والعتو فيه
وذلك ان الظلم منه صغيرة ومنه كبيرة فمن تجاوز منزلة الصغيرة فقد طغى قوله تعالى كلا ان
الانسان ليطغى اي يتجاوز الحد في الخروج عن الحد الثالثة قوله تعالى فلا تاس على القوم الكافرين
اي لا تحزن عليهم اسى ياسى اسا اذا حزن قال واغلبت عيناه من فرط الاسى وهذه تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم وليس بنهي عن الحزن فانه لا يقدر عليه ولكنه تسلية ونهي عن التعرض للحزن
وقد مضى هذا المعنى في اخر ال عمران مستوفى ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى
الاية تقدم الكلام في ذلك كله فلا معنى لاعادته والذين هادوا معطوف وكذا والصابئون معطوف

على المضمر في هادوا في قول الكسائي والاخفش قال النحاس سمعت الزجاج يقول وقد ذكر له قول الاخفش و
الكسائي هذا خطأ من جهتين احداهما ان المضمر المرفوع يقبح العطف عليه حتى يؤكد والجهة الاخرى ان
المعطوف شريك المعطوف عليه فيصير المعنى ان الصابئين قد دخلوا في اليهودية وهذا محال وقال الفراء
انما جاز الرفع في والصابئون لان ان ضعيفة فلا تؤثر الا في الاسم دون الخبر والذين هنا لا يتبين فيه
الاعراب فجرى على جهة واحدة الامران فجاز رفع الصابئين رجوعا الى اصل الكلام قال الزجاج وسبيل
ما يتبين فيه الاعراب وما لا يتبين واحد وقال الخليل وسيبويه الرفع محمول على التاخير والتقدير ان
الذين امنوا والذين هادوا من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون
والنصارى كذلك وانشد سيبويه وهو نظيره ٭ والا فاعلموا انا وانتم ٭ بغاة ما بقينا في شقاق ٭
وقال ضابي البرجمي ٭ فمن يك امسى بالمدينة رحله ٭ فاني وقيار بها لغريب ٭ وقيل ان بمعنى نعم
فالصابئون مرتفع بالابتداء وحذف الخبر لدلالة الثاني عليه فالعطف يكون على هذا التقدير على
هذا الكلام وانقضاء الاسم والخبر وقال قيس الرقيات ٭ بكر العواذل في الصبا ٭ ح يلمنني والومهنه
ويقلن شيب قد علاك ٭ وقد كبرت فقلت انه قال الاخفش انه بمعنى نعم وهذه الهاء ادخلت للسكوت
قوله تعالى لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا قد تقدم في البقرة معنى الميثاق وهو ان
لا يعبدوا الا الله وما يتصل به والمعنى في هذه الاية لا تاس على القوم الكافرين فانا قد اعذرنا اليهم
وارسلنا الرسل فنقضوا العهود وكل هذا يرجع الى ما افتتحت به السورة وهو قوله اوفوا بالعقود
كلما جاءهم اي اليهود رسول بما لا تهوى انفسهم لا يوافق هواهم فريقا كذبوا اي كذبوا فريقا وقتلوا
فريقا فممن كذبوا عيسى ومن مثله من الانبياء وقتلوا زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء صلوات الله
عليهم وانما قال يقتلون لمراعاة راس الاي وقيل اراد فريقا كذبوا وفريقا قتلوا وفريقا يكذبون
وفريقا يقتلون فهذا دابهم وعادتهم فاختصر وقيل فريقا كذبوا لم يقتلوهم وفريقا قتلوهم فكذبوا
ويقتلون نعت لفريق قوله تعالى **وحسبوا ان لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم
ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال
المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
وماويه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله
الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله
ويستغفرونه والله غفور رحيم** قوله وحسبوا ان لا تكون فتنة المعنى ظن هؤلاء الذين اخذ عليهم
الميثاق انه لا يقع من الله عز وجل ابتلاء واختبار بالشدايد اغترارا بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه
وانما اغتروا بطول الامهال وقرء ابو عمرو وحمزة والكسائي تكون ونصب الباقون فالرفع على ان
حسب بمعنى علم وتيقن وان مخففة من الثقيلة ودخول لا عوض من التخفيف وحذف الضمير لانهم
كرهوا ان يليها الفعل وليس من حكمها ان تدخل عليه ففصلوا بينهما بلا ومن نصب جعل ان ناصبة للفعل
وبقي حسب على بابه من الشك وغيره قال سيبويه حسبت ان لا يقول ذلك اي حسبت انه يقول
ذلك وان شئت نصبت قال النحاس والرفع عند النحويين في حسبت واخواتها اجود كما قال
الا زعمت بسباسة اليوم انني ٭ كبرت وان لا يشهد اللهو امثالي ٭ وانما صار الرفع اجود لان حسبت
واخواتها بمنزلة العلم لانه شيء ثابت قوله تعالى فعموا اي عن الهدى وصموا اي عن سماع الحق لانهم
لم ينتفعوا بما راوه ولا سمعوه ثم تاب الله عليهم في الكلام اضمار اي اوقعت بهم الفتنة فتابوا
فتاب الله عليهم بكشف القحط او بارسال محمد يخبرهم بان الله يتوب عليهم اي امنوا فهذا بيان تاب الله

عليهم اي يتوب عليهم ان امنوا وصدقوا لا انهم تابوا على الحقيقة ثم عموا وصموا كثير منهم اي عمي كثير وصم بعد
تبين الحق لهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فارتفع كثير على البدل من الواو وقال الاخفش سعيد كما تقول رايت
قومك ثلاثتهم وان شئت كان على اضمار مبتدا اي العمي والصم كثير منهم وان شئت كان التقدير والعمي والصم
منهم كثير وجواب رابع ان يكون على لغة من قال اكلوني البراغيث وعليه قول الشاعر ولكن ديا
في ابوه وامه بحوران يعصرون السليط اقاربه ومن هذا المعنى قوله واسروا النجوى ويجوز في غير القران كثيرا
بالنصب يكون نعتا لمصدر محذوف قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هذا
قول اليعقوبية فرد الله عليهم ذلك بحجة قاطعة مما يقرون به فقال وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا
الله ربي وربكم اي اذا كان المسيح يقول يا رب ويا الله فكيف يدعو نفسه او كيف يسالها هذا محال
انه من يشرك بالله قيل هو من قول عيسى وقيل ابتدا كلام من الله تعالى والاشراك ان يعتقد معه
موجدا وقد مضى في ال عمران القول في اشتقاق المسيح فلا معنى لاعادته وما للظالمين من انصار قوله
تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة ولا يجوز فيه التنوين اذا قلت ثالث
اثنين وهذا قول فرق النصارى من الملكية والنسطورية واليعقوبية لانهم يقولون اب وابن
وروح قدس اله واحد ولا يقولون ثلاثة الهة وهو معنى مذهبهم وانما يمتنعون من العبارة وهي
لازمة لهم وما كان هكذا صح ان يحكى بالعبارة اللازمة وذلك انهم يقولون ان الابن اله والاب
اله وروح القدس اله وقد تقدم القول في هذا في النساء فاكفرهم الله بقولهم هذا وقال وما
من اله الا اله واحد اي ان لا اله لا يتعدد وهم يلزمهم القول بثلاثة الهة كما تقدم وان لم يصرحوا
بذلك لفظا وقد مضى في البقرة معنى الواحد ومن زائدة ويجوز في غير القران الها واحدا على الاستثنا
واجاز الكسائي الخفض على البدل قوله تعالى وان لم ينتهوا اي يكفوا عن القول بالتثليث ليمسنهم
عذاب اليم في الدنيا والاخرة افلا يتوبون تقرير وتوبيخ اي فليتوبوا اليه وليسالوه ستر ذنوبهم
والمراد الكفرة منهم وانما خص الكفرة بالذكر لانهم القايلون بذلك دون المومنين قوله تعالى
ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر
كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يوفكون قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا
ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم
قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان
داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما
كانوا يفعلون قوله ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ابتدا وخبر اي ما المسيح وان
ظهرت الايات على يديه فانما جاء بها كما جاءت بها الرسل فان كان الها فليكن كل رسول الها
فهذا رد لقولهم واحتجاج عليهم ثم بالغ في الحجة فقال وامه صديقة ابتدا وخبر كانا ياكلان الطعام
اي انه مولود مربوب ومن ولدته النساء وكان ياكل الطعام مخلوق محدث كساير المخلوقين ولم يدفع
هذا احد منهم فمتى يصلح المربوب لان يكون ربا وقولهم كان ياكل بناسوته وهذا مصير الى الاختلاط ولا
يتصور اختلاط اله بغير اله ولو جاز اختلاط القديم بالمحدث لجاز ان يصير القديم محدثا ولو صح
هذا في حق عيسى لصح في حق غيره حتى يقال اللاهوت مخالط لكل محدث وقال بعض المفسرين في قوله
كانا ياكلان الطعام انه كناية عن الغايط والبول وفي هذا دلالة على انهما بشران وقد استدل
من قال ان مريم عليها السلام لم تكن نبية بقوله تعالى وامه صديقة قال الشيخ القرطبي
رحمه الله وفيه نظر فانه يجوز ان تكون صديقة مع كونها نبية كادريس عليه السلام وقد مضى

في

في ال عمران ما يدل على هذا والله اعلم وانما قيل لها صديقة لكثرة تصديقها بايات ربها وتصديقها ولدها
فيما اخبرها به عن الحسن وغيره قوله تعالى انظر كيف نبين لهم الايات اي الدلالات ثم انظر انى
يوفكون اي كيف يصرفون عن الحق بعد هذا البيان يقال افكه يافكه اذا صرفه وفي هذا رد على
القدرية والمعتزلة قوله تعالى قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا اي اذا قد اقررتم
ان عيسى كان في حال من الاحوال لا يسمع ولا يعلم ولا ينفع ولا يضر فكيف اتخذتموه الها والله هو السميع
العليم اي لم يزل سميعا عليما يملك الضر والنفع ومن كانت هذه صفته فهو الاله على الحقيقة قوله
تعالى قل يا اهل الكتاب لا تغلوا اي لا تفرطوا كما افرط اليهود والنصارى في عيسى غلو اليهود قولهم في عيسى
ليس ولد رشدة وغلو النصارى قولهم انه اله والغلو مجاوزة الحد وقد تقدم في النساء بيانه قوله تعالى
ولا تتبعوا اهواء قوم الاهواء جمع هوى وقد تقدم في البقرة وسمي الهوى هوى لانه يهوي بصاحبه الى النار
قد ضلوا من قبل قال مجاهد والحسن يعني اليهود واضلوا كثيرا يعني اضلوا كثيرا من الناس وضلوا عن سواء
السبيل اي عن قصد محمد صلى الله عليه وسلم وتكرير ضلوا على معنى انهم ضلوا من قبل وضلوا من بعد والمراد الاسلاف
الذين سنوا الضلالة وعمل بها من روسا اليهود والنصارى قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني
اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم فيه مسئلة واحدة وهي جواز لعن الكافرين وان كانوا من اولاد
الانبياء وان شرف النسب لا يمنع اطلاق اللعنة في حقهم ومعنى على لسان داود وعيسى ابن مريم اي لعنوا في
الزبور والانجيل فان الزبور لسان داود والانجيل لسان عيسى اي لعنهم الله في الكتابين وقد تقدم اشتقاقهما
قال مجاهد وقتادة وغيرهما لعنهم مسخهم قردة وخنازير قال ابو مالك الذين لعنوا على لسان داود
مسخوا قردة والذين لعنوا على لسان عيسى مسخوا خنازير وقال ابن عباس الذين لعنوا على لسان
داود اصحاب السبت والذين لعنوا على لسان عيسى الذين كفروا بالمائدة بعد نزولها وروي نحوه
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لعن الاسلاف والاخلاف ممن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم على لسان
داود وعيسى لانهما اعلما ان محمدا نبي مبعوث فلعنا من يكفر به قوله تعالى ذلك بما عصوا ذلك
في موضع رفع بالابتدا اي ذلك اللعن بما عصوا اي بعصيانهم ويجوز ان يكون على اضمار مبتدا
اي الامر ذلك ويجوز ان يكون في موضع نصب اي فعلنا ذلك بهم بعصيانهم واعتدائهم قوله تعالى
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فيه مسئلتان الاولى قوله كانوا لا يتناهون اي لا ينهى بعضهم
بعضا لبئس ما كانوا يفعلون ذم لتركهم النهي وكذا من بعدهم يذم من فعل فعلهم خرج ابو داود
عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما دخل النقص على بني اسرائيل كان
الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه
ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض حينئذ
كذا ذكره النحاس من اول ما وقع النقص في بني اسرائيل ان احدهم كان يرى اخاه على المعصية فينهاه
ثم لا يمنعه ذلك من الغد الحديث ثم قال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى
ابن مريم الى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن
على يدي الظالم ولتاطرنه على الحق اطرا ولتقصرنه على الحق قصرا او ليضربن الله بقلوب بعضكم على
بعض وليلعننكم كما لعنهم اخرجه الترمذي ايضا معنى لتاطرنه لتردنه الثانية قال ابن عطية
والاجماع منعقد على ان النهي عن المنكر فرض لمن اطاقه وامن الضرر على نفسه وعلى المسلمين فان
خاف فلينكر بقلبه ويهجر ذا المنكر ولا يخالطه وقال الحذاق اهل العلم ليس من شرط الناهي ان يكون
سليما عن معصية بل ينهى العصاة بعضهم بعضا وقال بعض الاصوليين فرض على الذين يتعاطون

المكوس ان ينهى بعضهم بعضا واستدل بهذه الاية قال لان قوله كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه يقتضى
اشتراكهم فى الفعل وذمهم على ترك التناهى وفى الاية دليل على النهى عن مجالسة المجرمين وامر بتركهم
وهجرانهم واكد ذلك فى الانكار على اليهود بقوله ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا وما من قوله
ما كانوا يجوز ان تكون فى موضع نصب وما بعده ما نعت لها التقدير لبئس شيئا كانوا يفعلونه او تكون
فى موضع رفع وهى بمعنى الذى قوله تعالى ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم
انفسهم ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما انزل اليه
ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين
اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين
ورهبانا وانهم لا يستكبرون قوله ترى كثيرا منهم اى من اليهود قيل كعب بن الاشرف واصحابه وقال
مجاهد يعنى المنافقين يتولون الذين كفروا اى المشركين وليسوا على دينهم لبئس ما قدمت لهم انفسهم
اى سولت وزينت وقيل المعنى لبئس ما قدموا لانفسهم ومعادهم ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم
خالدون ابتدا وخبر قوله تعالى ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء
يدل بهذا ان من اتخذ كافرا وليا فليس بمؤمن اذا اعتقد اعتقاده ورضى افعاله ولكن كثيرا منهم
فاسقون اى خارجون عن الايمان بنبيهم لتحريفهم او عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لنفاقهم قوله تعالى
لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود اللام لام قسم ودخلت النون على قول الخليل وسيبويه
فرقا بين الحال والمستقبل عداوة نصب على البيان وكذا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين
قالوا انا نصارى وهذه الاية نزلت فى النجاشى واصحابه لما قدم عليهم المسلمون فى الهجرة الاولى
حسب ما هو مشهور فى سيرة ابن اسحق وغيره خوفا من المشركين وفتنتهم وكانوا ذوى عدد ثم هاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد ذلك فلم يقدروا على الوصول اليه حالت بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب فلما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد الكفار قال كفار
قريش ان ثاركم بارض الحبشة فاهدوا الى النجاشى وابعثوا اليه رجلين من ذوى رايكم لعله
يعطيكم من عنده فتقتلونهم بمن قتل منكم ببدر فبعث كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ابى ربيعة
بهدايا فسمع النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمرى
وكتب معه الى النجاشى فقدم على النجاشى فقرا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا جعفر
بن ابى طالب وارسل الى الرهبان والقسيسين فجمعهم ثم امر جعفر يقرا عليهم القران فقرا سورة مريم
وقاموا تفيض اعينهم من الدمع فهم الذين انزل الله فيهم ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا
الذين قالوا انا نصارى وقرا الى الشاهدين رواه ابو داود قال حدثنا سلمة المرادى قال ثنا
ابن وهب قال اخبرنى يونس عن ابن شهاب عن ابى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعن
سعيد بن المسيب وعن عروة بن الزبير ان الهجرة الاولى هجرة المسلمين الى ارض الحبشة وساق
الحديث بطوله وذكر البيهقى عن ابن اسحق قال قدم على النبى صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا وهو
بمكة او قريب من ذلك من النصارى حين ظهر خبره من الحبشة فوجدوه فى المجلس فكلموه وسالوه
ورجال من قريش فى انديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسئلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما ارادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله عز وجل وتلا عليهم القران فلما سمعوه فاضت
اعينهم من الدمع ثم استجابوا له وامنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم
من امره فلما قاموا من عنده اعترضهم ابو جهل فى نفر من قريش فقالوا خيبكم الله من ركب بعثكم

من وراكم من اهل دينكم ترتادون لهم فتاتونهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالستكم عنده حتى فارقتم دينكم
وصدقتموه بما قال لكم ما نعلم ركبا احمق منكم او كما قال فقالوا سلام عليكم لا نجاهلكم لنا اعمالنا ولكم
اعمالكم لا نالوا انفسنا خيرا فيقال ان النفر النصارى من اهل نجران ويقال ان فيهم نزلت هؤلاء الايات
الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله لا نبتغى الجاهلين وقيل ان جعفرا واصحابه
قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة
وثمانية من اهل الشام بحيرا الراهب وادريس واشرف وتمام وتميم ودريد وايمن فقرا عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم سورة يس الى اخرها فبكوا حين سمعوا القران وامنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان
ينزل على عيسى فنزل فيهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن
اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى يعنى وفد النجاشى وكانوا اصحاب الصوامع وقال
سعيد بن جبير وانزل فيهم ايضا الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله اولئك
يؤتون اجرهم مرتين الى اخر الاية وقال مقاتل والكلبى كانوا اربعين رجلا من اهل نجران من بنى
الحارث بن كعب واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية وستون من اهل الشام وقال قتادة نزلت
فى ناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
امنوا به فاثنى عليهم قوله تعالى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا واحد القسيسين قس وقسيس
قاله قطرب والقسيس العالم واصله من قس اذا تتبع الشى وطلبه قال الراجز يصبحن عن قس
الاذى غوافلا وتقسست اصواتهم بالليل تسمعتها والقس النميمة والقس ايضا رئيس من رؤساء
النصارى فى الدين والعلم وجمعه قسوس وكذلك القسيس مثل الشر والشرير فالقسيسون هم
الذين يتبعون العلماء والعباد ويقال فى جمع قسيس مكسرا قساوسة ابدل من احدى السينين واوا
قساوسة ايضا كالمهالبة والاصل قساسسة فابدلوا احدى السينات واوا لكثرتها ولفظ القسيس
اما ان يكون عربيا واما ان يكون بلغة الروم ولكن خلطته العرب بكلامهم فصار من لغتهم
اذ ليس فى الكتاب ما ليس من لغة العرب كما تقدم وقال ابو بكر الانبارى ثنا ابى ثنا نصر بن داود
ثنا ابو عبيد قال حدثت عن معاوية بن هشام عن نصير الطائى عن الصلت عن حامية بن رباب
قال قلت لسلمان فان منهم قسيسين ورهبانا فقال دع القسيس فى الصوامع والخرب اقرانيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بان منهم صديقين ورهبانا وقال عروة بن الزبير ضيعت النصارى
الانجيل وادخلوا فيه ما ليس منه وكانوا اربعة نفر الذين غيروه لوقاس ومرقوس ويحنس
ومقبوس وبقى قسيسين على الحق والاستقامة فمن كان على دينه وهديه فهو قسيس قوله تعالى
ورهبانا الرهبان جمع راهب كركبان وراكب قال النابغة لو انها عرضت لاشمط راهب
عبد الاله صرورة متعبد لرنا لرؤيتها وحسن حديثها ولخاله رشدا وان لم يرشد والفعل
منه رهب الله يرهبه اى خافه رهبا ورهبا ورهبة والرهبانية والترهب التعبد فى
صومعة قال ابو عبيد وقد يكون رهبان للواحد والجمع قال الفراء ويجمع رهبان اذا كان للمفرد
رهابنة ورهابين كقربان وقرابين قال جرير فى الجمع رهبان مدين لو راوك تنزلوا والعصم
من شعف العقول الفادر الفادر المسن من الوعول العظيم وكذلك الفدور والجمع فدر وفُدْر
وموضعها المفدرة قاله الجوهرى وقال اخر فى التوحيد لو ابصرت رهبان دير فى الجبل لانحدر
الرهبان يسعى ويصل من الصلاة والرهابة على وزن السحابة عظم فى الصدر مشرف على البطن مثل
اللسان وهذا المدح لمن امن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم دون من اصر على كفره ولهذا قال وانهم لا

يستكبرون اي عن الانقياد الى الحق قوله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض
من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما
جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
الجحيم يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين
وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون قوله واذا سمعوا ما انزل الى
الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع اي بالدمع وهو في موضع الحال وكذا يقولون وقال امرؤ القيس
ففاضت دموع العين مني صبابة على النحر حتى بل دمعي محملي وخبر مستفيض اذا كثر وانتشر كفيض
الماء عن الكثرة وهذه احوال العلماء يبكون ولا يصعقون ولا يسألون ولا يصيحون ولا يتحازنون ولا
يتماوتون الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وفي
الانفال ياتي بيان هذا المعنى ان شاء الله تعالى وبين الرب سبحانه في هذه الايات ان اشد
الكفار تمردا وعتوا وعداوة للمسلمين اليهود ويضاهيهم المشركون وبين ان اقربهم مودة النصارى
قوله تعالى فاكتبنا مع الشاهدين اي مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق
من قوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس عن ابن عباس وابن
جريج وقال الحسن الذين يشهدون بالايمان وقال ابو علي الذين يشهدون بتصديق نبيك وكتابك
ومعنى فاكتبنا فاجعلنا فيكون بمنزلة ما قد كتب ودون قوله تعالى وما لنا لا نؤمن بالله بين
استبصارهم في الدين اي يقولون وما لنا لا نؤمن اي وما لنا تاركين الايمان فهو في موضع نصب على
الحال اي يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين اي مع امة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله ان الارض يرثها
عبادي الصالحون يريد امة محمد وفي الكلام اضمار اي نطمع ان يدخلنا ربنا الجنة وقيل مع بمعنى في
كما يذكر في بمعنى مع تقول كنت في من لقي الامير اي مع من لقي الامير والطمع يكون مخففا وغير مخفف
يقال طمع فيه طمعا وطماعة وطماعية مخفف فهو طمع قوله تعالى فاثابهم الله بما قالوا جنات
دليل على اخلاص ايمانهم وصدق مقالهم فاجابهم الله سؤالهم وحقق طمعهم وهكذا من خلص ايمانه
وصدق يقينه يكون ثوابه الجنة ثم قال والذين كفروا من اليهود والنصارى ومن المشركين وكذبوا
باياتنا اولئك اصحاب الجحيم والنار الشديدة الاتقاد يقال جحم فلان النار اذا شدد ايقادها ويقال
ايضا لعين الاسد جحمة لشدة ايقادها ويقال ذلك للحرب قال الشاعر والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل
والمراح الا الفتى الصبار في النجدات والفرس الوقاح قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا فيه خمس مسائل الاولى اسند الطبري الى ابن عباس ان الاية
نزلت بسبب رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اذا اصبت من اللحم انتشرت ا
حدثني شهوتي فحرمت اللحم فانزل الله هذه الاية وقيل انها نزلت بسبب جماعة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ابو بكر وعلي وعبد الله ابن مسعود وعبد الله بن عمرو وابو ذر
الغفاري وسالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن رضي
الله عنهم اجتمعوا في دار عثمان بن مظعون واتفقوا على ان يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا
على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا
ويسيحوا في الارض ويترهبوا ويجبوا المذاكير فانزل الله الاية والاخبار بهذا المعنى كثيرة وان لم يكن

فيها

فيها ذكر النزول وهي الثالثة خرج مسلم عن انس ان نفرا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سالوا ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر فقال بعضهم لا اتزوج النساء وقال بعضهم لا اكل اللحم وقال بعضهم
لا انام على فراش فحمد الله واثنى عليه فقال ما بال اقوام قالوا كذا وكذا لكني انام واصلي واصوم وافطر
واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وخرجه البخاري عن انس ايضا قال جاء ثلاثة رهط
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته فلما اخبروا كانهم تقالوها فقالوا واين نحن من
النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فقال احدهم اما انا فاني اصلي الليل
ابدا وقال الاخر اما انا فاصوم النهار فلا افطر وقال الاخر انا اعتزل النساء فلا اتزوج ابدا فجاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انتم القايلون كذا وكذا اما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له
لكني اصوم وافطر واصلي وارقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وخرجا عن سعد بن
ابي وقاص قال اراد عثمان بن مظعون ان يتبتل فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم ولو اجاز له ذلك
لاختصينا وخرج الامام احمد في مسنده ثنا ابو المغيرة قال ثنا معان بن رفاعة قال حدثني علي
بن يزيد عن القاسم عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سرية من سراياه قال فمر رجل بغار فيه شيء من الماء فحدث نفسه بان يقيم في ذلك الغار فيقوته
ما كان فيه شيء من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى من الدنيا قال لو اني اتيت النبي صلى
الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فان اذن لي فعلت والا لم افعل فاتاه فقال يا نبي الله اني مررت
بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل فحدثتني نفسي بان اقيم فيه واتخلى من الدنيا فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اني لم ابعث باليهودية ولا النصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس
محمد بيده لغدوة او روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام احدكم في الصف خير من
صلاته ستين سنة الثالثة قال علماؤنا رحمة الله عليهم في هذه الاية وما شابهها والاحاديث
الواردة في معناها رد على غلاة المتزهدين وعلى اهل البطالة من المتصوفين اذ كل فريق قد عدل
عن طريقه وحاد عن تحقيقه قال الطبري لا يجوز لاحد من المسلمين تحريم شيء مما احل الله تعالى
لعباده المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح اذا خاف على نفسه باحلال ذلك
بعض العنت والمشقة ولذلك رد النبي صلى الله عليه وسلم التبتل على ابن مظعون فثبت انه لا
فضل في ترك شيء مما احله الله لعباده وان الفضل والبر انما هو في فعل ما ندب عباده اليه وعمل
به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنه لامته واتبعه على منهاجه الائمة الراشدون اذ كان
خير الهدى هدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاذا كان ذلك تبين خطا من اثر لباس الشعر
والصوف على لباس القطن والكتان اذا قدر على لباس ذلك من حله واثر اكل الخشن من الطعام
او ترك اللحم وغيره حذرا من عارض الحاجة الى النساء قال الطبري فان ظن ظان ان الفضل
في غير الذي قلنا لما في لباس الخشن واكله من المشقة على النفس وصرف ما فضل بينهما من القيمة
الى اهل الحاجة فقد ظن خطا وذلك ان الاولى بالانسان صلاح نفسه وعونه لها على طاعة ربها
ولا شيء اضر للجسم من المطاعم الردية لانها مفسدة لعقله ومضعفة لادواته التي جعلها الله
سببا الى طاعته وجاء رجل الى الحسن البصري فقال ان لي جارا لا ياكل الفالوذج فقال ولم قال
يقول لا يؤدي شكره قال الحسن افيشرب الماء البارد قال نعم فقال ان جارك جاهل ان نعمة
الله عليه في الماء البارد اكثر من نعمته عليه في الفالوذج قال ابن العربي قال علماؤنا هذا اذا
كان الدين قواما ولم يكن المال حراما فاما فساد الدين عند الناس وعم الحرام فالتبتل افضل

وترك اللذات اولى واذا وجد الحلال فحال النبي صلى الله عليه وسلم افضل واعلا قال المهلب انما نهى
عليه الصلاة والسلام عن الترهب والتبتل من اجل انه مكاثر بامته الامم يوم القيمة وانه في
الدنيا مقاتل بهم طوايف الكفار وفي اخر الزمان يقاتلون الدجال فاراد النبي صلى الله عليه وسلم
ان يكثر النسل الرابعة قوله تعالى ولا تعتدوا قيل المعنى لا تعتدوا فتحلوا ما حرم الله فالنهيان
على هذا تضمنا الطرفين لا تشددوا فتحرموا حلالا ولا تترخصوا فتحلوا حراما قاله الحسن البصري
وقيل معناه التاكيد لقوله تحرموا قاله السدي وعكرمة وغيرهما اي لا تحرموا ما احل الله وشرع
والاول اولى والله اعلم الخامسة من حرم على نفسه طعاما او شرابا او امة له او شيئا مما احل الله
له فلا شيء عليه ولا كفارة في شيء من ذلك عند مالك الا انه ان نوى بتحريم الامة عتقها
وكذلك اذا قال لامراته انت علي حرام فانه تطلق عليه ثلاثا وذلك ان الله قد اباح ان
يحرم امراته عليه بالطلاق صريحا وكناية وحرام من كنايات الطلاق وسياتي ما للعلماء
فيه في سورة التحريم ان شاء الله تعالى وقال ابو حنيفة ان من حرم شيئا صار محرما عليه واذا
تناوله لزمته الكفارة وهذا بعيد والاية ترد عليه وقال سعيد بن جبير لغو اليمين تحريم
الحلال وهو معنى قول الشافعي على ما ياتي قوله تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فيه مسئلة
واحدة الاكل في هذه الاية عبارة عن تمتعوا بالاكل والشرب واللباس والركوب ونحو ذلك وخص
الاكل بالذكر لانه اعظم المقصود واخص الانتفاعات بالانسان وسياتي بيان حكم الاكل والشرب و
اللباس في الاعراف ان شاء الله تعالى فاما شهوة الاشياء الملتذة ومنازعة النفس الى طلب
الانواع الشهية فمذاهب الناس في تمكين النفس منها مختلفة فمنهم من يرى صرف النفس عنها
وقهرها عن اتباع شهواتها احرى ليذل له قيادها ويهون عليه عنادها فانه اذا اعطاها المراد
يصير اسير شهواتها ومنقادا بانقيادها حكي ان ابا حازم كان يمر على الفاكهة فيشتهيها فيقول موعدك
الجنة وقال اخرون تمكين النفس من لذاتها اولى لما فيه من ارتياحها ونشاطها بادراك ارادتها
وقال اخرون بل التوسط في ذلك اولى لان في اعطائها ذلك مرة ومنعها اخرى جمعا بين الامرين
وذلك النصف من غير شين وتقدم معنى الاعتداء والرزق في البقرة والحمد لله قوله تعالى لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما
تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا
حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون فيه سبع واربعون مسئلة
الاولى قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم تقدم معنى اللغو في البقرة ومعنى في ايمانكم اي من
ايمانكم والايمان جمع يمين وقيل يمين فعيل من اليمن وهي البركة سماها الله تعالى بذلك لانها تحفظ
الحقوق ويمين تذكر وتؤنث وتجمع ايمان وايمن قال زهير فتجمع ايمن منا ومنكم الثانية واختلف
في سبب نزول هذه الاية فقال ابن عباس سبب نزولها القوم الذين حرموا الطيبات المطاعم
والملابس والمناكح على انفسهم حلفوا على ذلك فلما نزلت لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا
كيف نصنع بايماننا فنزلت هذه الاية والمعنى على هذا القول اذا اتيتم باليمين ثم الغيتموها
اي اسقطتم حكمها بالتكفير وكفرتم فلا يؤاخذكم الله بذلك وانما يؤاخذكم بما اقمتم عليه فلم تلغوه
اي فلم تكفروا فبان بهذا ان الحلف لا يحرم شيئا وهو دليل الشافعي على ان اليمين لا يتعلق بها
تحريم الحلال وان تحريم الحلال لغو كما ان تحليل الحرام لغو مثل قول القائل استحللت شرب الخمر
فمقتضى الاية على هذا القول ان الله تعالى جعل تحريم الحلال لغوا في انه لا يحرم فقال لا يؤاخذكم

الله باللغو في ايمانكم اي بتحريم الحلال وروي ان عبد الله بن رواحة كان له ايتام وضيف فانقلب
من شغله بعد ساعة من الليل فقال اعشيتم ضيفي فقالوا انتظرناك فقال لا والله لا اكله الليلة
فقال ضيفه وما انا بالذي اكل وقال ايتامه ونحن لا ناكل فلما راى ذلك اكل واكلوا ثم اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبره فقال اطعت الرحمن وعصيت الشيطان فنزلت الاية الثالثة الايمان في الشريعة على
اربعة اقسام قسمان فيهما الكفارة وقسمان لا كفارة فيهما خرج الدارقطني في سننه حدثنا عبد الله بن
محمد بن عبد العزيز ثنا خلف بن هشام ثنا عبثر عن ليث عن حماد بن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله
قال الايمان اربعة يمينان تكفران ويمينان لا تكفران فاليمينان اللذان تكفران فالرجل يحلف والله
لا افعل كذا وكذا فيفعل والرجل يقول والله لافعلن فلا يفعل واليمينان اللذان لا يكفران فالرجل
يحلف ما فعلت كذا وكذا وقد فعل والرجل يحلف لقد فعلت كذا وكذا ولم يفعله قال ابن عبد البر
وذكر سفيان الثوري في جامعه وذكر المروزي عنه ايضا قال سفيان الايمان اربعة يمينان يكفران
وهو ان يقول الرجل والله ما فعلت وقد فعل او يقول والله لقد فعلت وما فعل قال المروزي اما
اليمينان الاولان فلا اختلاف فيهما بين العلماء على ما قال سفيان واما اليمينان الاخريان فقد
اختلف اهل العلم فيهما فان كان الحالف على انه لم يفعل كذا وكذا او انه قد فعل كذا وكذا عند نفسه
صادقا يرى انه على ما حلف عليه فلا اثم عليه في قول مالك وسفيان الثوري واصحاب الراي وكذلك
قال احمد وابو عبيد وقال الشافعي لا اثم وعليه الكفارة قال المروزي وليس قول الشافعي هذا بالقوي
قال وان كان الحالف على انه لم يفعل كذا وقد فعل متعمدا للكذب فهو اثم ولا كفارة عليه في قول
عامة العلماء مالك وسفيان الثوري واصحاب الراي واحمد بن حنبل وابي ثور وابي عبيد وكان
الشافعي يقول يكفر قال وقد روي عن بعض التابعين مثل قول الشافعي قال المروزي اميل الى قول
مالك واحمد قال فاما يمين اللغو التي اتفق عامة العلماء على انها لغو فهو قول الرجل لا والله وبلى
والله وكلامه غير معتقد لليمين ولا مريد بها قال الشافعي وذلك عند اللجاج والغضب والعجلة
الرابعة قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان مخفف القاف من العقد والعقد
على ضربين حسي كعقد الحبل وحكمي كعقد البيع قال كانوا اذا عقدوا اعقد الجادم شدوا العناج
وشدوا فوقه الكربا فاليمين المنعقدة منفعلة من العقد هي عقد القلب في المستقبل الا يفعل
ففعل او ليفعلن فلا يفعل كما تقدم فهذه التي عليها الاستثناء والكفارة على ما ياتي وقرئ عاقدتم
بالف بعد العين على وزن فاعل وذلك لا يكون الا من اثنين في الاكثر وقد يكون الثاني من حلف
لاجله في كلام وقع معه او يكون المعنى بما عاقدتم عليه الايمان لان عاقد قريب من معنى عاهد
فعدي بحرف الجر لما كان في معنى عاهد وعاهد يتعدى الى مفعولين الثاني منهما بحرف جر قال
الله تعالى ومن اوفى بما عاهد عليه الله وهذا كما عديت ناديتم الى الصلاة بالى وبابها ان تقول
ناديت زيدا وناديناه من جانب الطور الايمن لكن لما كانت بمعنى دعوت عدي بالى قال الله تعالى
ومن احسن قولا ممن دعا الى الله ثم اتسع في قوله تعالى عاقدتم عليه فحذف حرف الجر فوصل الفعل
الى المفعول فصار عاقدتموه ثم حذفت الهاء كما حذفت من قوله تعالى فاصدع بما تؤمر او يكون فاعل
بمعنى فعل كما قال تعالى قاتلهم اي قتلهم وقد تاتي المفاعلة في كلام العرب من واحد بغير معنى فاعلت
كقولهم سافرت وظاهرت وقرئ عقدتم بتشديد القاف قال مجاهد معناه تعمدتم اي قصدتم وروي
عن ابن عمران بالتشديد يقتضي التكرار فلا تجب عليه الكفارة الا اذا كرر وهذا يرده ما روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اني والله ان شاء الله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا

ايت الذي هو خير وكفرت عن يميني فذكر وجوب الكفارة في اليمين التي لم تكرر قال ابو عبيد التشديد
يقتضي تكرير مرة بعد مرة ولست امن ان يلزم من قرا بذلك ان لا يوجب عليه كفارة في اليمين الواحدة
حتى يرددها مرارا وهذا قول خلاف الاجماع روي نافع ان ابن عمر كان اذا حنث من غير ان يوكد اليمين
اطعم عشرة مساكين فاذا وكد اليمين اعتق رقبة قيل لنافع ما معنى وكد اليمين قال ان يحلف على الشي
مرارا الخامسة اختلف في اليمين الغموس هل هي يمين منعقدة ام لا فالذي عليه الجمهور انها يمين مكر
وخديعة وكذب فلا تنعقد ولا كفارة فيها قال الشافعي هي يمين منعقدة لانها مكتسبة بالقلب
معقودة بخبر مقرونة باسم الله تعالى وفيها الكفارة والصحيح الاول قال ابن المنذر وهذا قول مالك
بن انس ومن تبعه من اهل المدينة وبه قال الاوزاعي ومن وافقه من اهل الشام وهو قول الثوري
واهل العراق وبه قال احمد واسحق وابو ثور وابو عبيد واصحاب الحديث واصحاب الراي من اهل
الكوفة قال ابو بكر وقول النبي صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين فراى خيرا منها فليأت الذي هو خير
وليكفر عن يمينه وقوله فليكفر عن يمينه وياتي الذي هو خير يدل على ان الكفارة انما تجب فيمن حلف
على فعل يفعله فيما يستقبل فلا يفعله او على فعل ان لا يفعله فيما يستقبل فيفعله وفي المسألة قول
ثان وهو ان يكفر وان اثم وعمد الكذب بالله كاذبا هذا قول الشافعي قال ابو بكر ولا نعلم خبرا يدل
على هذا القول من الكتاب والسنة الا ان على القول الاول قال الله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس قال ابن عباس هو الرجل يحلف ان لا يصل قرابته فجعل
الله له مخرجا في التكفير وامره ان لا يعتل بالله وليكفر عن يمينه انتهى والاخبار دالة على ان اليمين
التي يحلف بها الرجل يقتطع بها مالا حراما هو اعظم من ان يكفرها ما يكفر اليمين قال ابن العربي
الاية وردت بقسمين لغو ومنعقدة وخرجت على الغالب في ايمان الناس فدع ما بعدها يكون
ماية قسم فانه لم يتعلق عليه كفارة قال الشيخ القرطبي خرج البخاري عن عبد الله بن عمرو قال جاء
اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الكبائر قال الاشراك بالله قال ثم ماذا
قال عقوق الوالدين قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذي يقتطع بها
مال امرء مسلم هو فيها كاذب وخرج مسلم عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
اقتطع حق امرء مسلم بيمينه فقد اوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال رجل وان كان شيئا
يسيرا يا رسول الله قال وان قضيبا من اراك ومن حديث عبد الله بن مسعود فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع مال امرء مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان
فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الاية ولم يذكر كفارة فلو
اوجبنا عليه كفارة لسقط جرمه ولقي الله وهو عنه راض ولم يستحق الوعيد المتوعد وكيف لا يكون
ذلك وقد جمع الحالف هذا الكذب واستحلال مال الغير والاستخفاف باليمين بالله تعالى والتهاون
بها وتعظيم الدنيا فاهان ما عظم الله وعظم ما حقر الله وحسبك ولهذا قيل انما سميت اليمين
الغموس غموسا لانها تغمس صاحبها في النار السادسة الحالف بان لا يفعل على بر ما لم يفعل فان
فعل حنث ولزمته الكفارة لوجود المخالفة منه وكذلك اذا قال ان فعلت واذا حلف بان
ليفعلن فانه في الحال على حنث لوجود المخالفة فان فعل بر وكذلك اذا قال ان لم افعل والله اعلم
السابعة قول الحالف لا افعلن او ان لم افعل بمنزلة الامر وقوله لا افعل وان فعلت بمنزلة
النهي ففي الاول لا يبر حتى يفعل جميع المحلوف عليه مثاله لاكلن هذا الرغيف فاكل بعضه لم يبر
حتى ياكل جميعه لان كل جزء محلوف عليه فان قال والله لا اكلن مطلقا فانه يبر باقل ما يقع

عليه الاسم لادخال ماهية الاكل في الوجود فلو حلف ان لا يدخل دارا فادخل احدى رجليه حنث والدليل
عليه انا وجدنا الشارع غلظ جهة التحريم باول الاسم في قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم فمن عقد
على امراة ولم يدخل بها حرمت على ابنه وابيه وان لم يكتف في جهة التحليل باول الاسم فقال لا حتى
تذوقي عسيلته الثامنة المحلوف به هو الله سبحانه واسماؤه الحسنى كالرحمن والرحيم والسميع
والعليم والحكيم ونحو ذلك من اسمائه وصفاته العلى كعزته وقدرته وعلمه وارادته وكبريائه
وعظمته وعهده وميثاقه وساير صفات ذاته لانها يمين بقديم غير مخلوق فكان الحالف بها
كالحالف بالذات روي الترمذي والنسائي وغيرهما ان جبريل عليه السلام لما نظر الى الجنة ورجع
الى الله تعالى قال وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها وكذلك قال في النار وعزتك لا يسمع بها احد
فيدخلها وخرجا ايضا وغيرهما عن ابن عمر كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم لا ومقلب القلوب وفي
رواية لا ومصرف القلوب واجمع اهل العلم على ان من حلف فقال والله او بالله او تالله فحنث
ان عليه الكفارة قال ابن المنذر وكان مالك والشافعي وابو عبيد وابو ثور واسحق واصحاب
الراي يقولون من حلف باسم من اسماء الله فحنث فعليه الكفارة وبه نقول ولا اعلم في ذلك
خلافا قال الشيخ القرطبي رحمه الله فقد نقل في باب ذكر الحلف بالقران وقال يعقوب من حلف
بالرحمن فحنث فلا كفارة عليه قال الشيخ القرطبي والرحمن من اسمائه سبحانه مجمع عليه ولا خلاف
فيه التاسعة واختلفوا في وحق الله وعظمة الله وقدرة الله وعلم الله ولعمر الله وايم الله
فقال مالك كلها ايمان تجب فيها الكفارة وقال الشافعي في وحق الله وجلال الله وعظمة الله
وقدرة الله يمين ان نوى بها اليمين وان لم يرد اليمين فليست بيمين وقال اصحاب الراي اذا قال
وعظمة الله وعزة الله وجلال الله وكبرياء الله وامانة الله فحنث فعليه الكفارة وقال
الحسن في وحق الله ليست بيمين ولا كفارة فيها وهو قول ابي حنيفة حكاه عنه الرازي وكذلك
عهد الله وميثاقه وامانته ليست بيمين وقال بعض اصحابه هي يمين وقال الطحاوي ليست بيمين
وكذلك اذا قال وعلم الله لم تكن يمينا في قول ابي حنيفة وخالفه صاحبه ابو يوسف فقال تكون
يمينا قال ابن العربي والذي اوقعه في ذلك ان العلم قد ينطلق على المعلوم وهو المحدث فلا تكون
يمينا وذهل عن ان القدرة تنطلق على المقدور فكل كلام له في المقدور فهو حجتنا في المعلوم قال
ابن المنذر وثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وايم الله ان كان لخليقا بالامارة في قصة
اسامة بن زيد وابيه زيد فكان ابن عباس يقول وايم الله وكذلك قال ابن عمر وقال اسحق
اذا اراد بايم الله يمينا كانت يمينا بالارادة وعقد القلب العاشرة واختلفوا في الحلف بالقران
فقال ابن مسعود عليه بكل اية يمين وبه قال الحسن البصري وابن المبارك وقال احمد ما
اعلم شيئا يدفعه وقال ابو عبيد يكون يمينا واحدة وقال ابو حنيفة لا كفارة وكان قتادة
يحلف بالمصحف وقال احمد واسحق لا نكره ذلك الحادية عشر لا تنعقد اليمين بغير الله تعالى
واسمائه وصفاته وقال احمد بن حنبل اذا حلف بالنبي صلى الله عليه وسلم انعقدت يمينه لانه حلف
بما لا يتم الايمان الا به فتلزمه الكفارة كما لو حلف بالله وهذا يرده ما ثبت في الصحيحين وغيرهما
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ادرك عمر ابن الخطاب في ركب وعمر يحلف بابيه فناداهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله
او ليصمت وهذا حصر في عدم الحلف بكل شي سوى الله تعالى واسمائه وصفاته كما ذكرنا
ومما يحقق ذلك ما رواه ابو داود والنسائي وغيرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لا تحلفوا بابائكم ولا بامهاتكم ولا بالانداد ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون
ثم ينتقض عليه بمن قال وادم وابراهيم فانه لا كفارة عليه وقد حلف بما لا يتم الايمان الا به والله اعلم
الثانية عشر روى الائمة واللفظ لمسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف
منكم فقال في حلفه باللات فليقل لا اله الا الله ومن قال لصاحبه تعال اقامرك فليتصدق
وخرج النسائي عن مصعب بن سعد عن ابيه قال كنا نذكر بعض الامر وانا حديث عهد بالجاهلية
فحلفت باللات والعزى فقال لي بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما قلت في رواية
قلت هجرا فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال قل لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وانفث عن يسارك ثلاثا وتعوذ بالله من
الشيطان الرجيم ثم لا تعد قال العلماء فامره صلى الله عليه وسلم من نطق بذلك ان يقول بعده
لا اله الا الله تكفيرا لتلك اللفظة وتذكيرا من الغفلة واتماما للنعمة وخص اللات بالذكر
لانها اكثر ما كانت تجري على السنتهم وحكم غيرها من اسماء الهتهم حكمها اذ لا فرق بينهما وكذا من قال
لصاحبه تعال اقامرك فليتصدق القول فيه كالقول في اللات لانهم كانوا اعتادوا المقامرة
وهي من اكل المال بالباطل الثالثة عشر قال ابو حنيفة في الرجل يقول هو يهودي او نصراني او
بريء من الاسلام او من النبي او من القران او اشرك بالله او كفر بالله انها يمين تلزم فيها الكفارة
ولا يلزم فيها اذا قال واليهودية والنصرانية والنبي والكعبة وان كانت على صيغة الايمان
ومتمسكهم ما روى الدارقطني عن ابي رافع ان مولاته ارادت ان تفرق بينه وبين امراته فقالت هي
يوما يهودية ويوما نصرانية وكل مملوك لها حر وكل مال لها في سبيل الله وعليها مشي الى بيت الله
ان لم تفرق بينهما فسالت عائشة وابن عمر وابن عباس وحفصة وام سلمة فكلهم قال لها اتريدين
ان تكوني مثل هاروت وماروت وامروها ان تكفر يمينها وتخلي بينهما وخرج ايضا عنه قال قالت
مولاتي لافرقن بينك وبين امراتك وكل مال لها في رتاج الكعبة وهي يوما يهودية ويوما نصرانية
ويوما مجوسية ان لم تفرق بينك وبين امراتك قال فانطلقت الى ام المومنين ام سلمة فقلت ان
مولاتي تريد ان تفرق بيني وبين امراتي فقالت انطلق الى مولاتك فقل لها ان هذا لا يحل لك
قال فرجعت اليها قال ثم اتيت ابن عمر فاخبرته فجاء حتى جاء الى الباب فقال هاهنا هاروت
وماروت قالت اني جعلت كل مالي في رتاج الكعبة قال فما تاكلين قالت وقلت يوما يهودية ويوما
نصرانية ويوما مجوسية قال فان تهودت قتلت وان تنصرت قتلت وان تمجست قتلت
قالت فما تامرني قال تكفرين عن يمينك وتجمعين بين فتاك وفتاتك اجمع العلماء على ان الحالف
اذا قال اقسم بالله انها يمين واختلفوا اذا قال اقسم او اشهد ليكونن كذا وكذا ولم يقل بالله فانها
تكون ايمانا عند مالك اذا اراد بالله وان لم يرد بالله لم تكن ايمانا تكفر وقال ابو حنيفة والاوزاعي
والحسن والنخعي هي ايمان في الموضعين وقال الشافعي لا يكون ايمانا حتى يذكر اسم الله تعالى هذه
رواية المزني عنه وروى عنه الربيع مثل قول مالك الرابعة عشر اذا قال اقسمت عليك لتفعلن
فان اراد سؤاله فلا كفارة فيه وليست بيمين فان اراد اليمين كما ذكرناه انفا الخامسة عشر
من حلف بما يضاف الى الله تعالى مما ليس بصفة كقوله وخلق الله ورزقه وبيته لا شيء عليه لانها ايمان
غير جائزة وحلف بغير الله تعالى السادسة عشر اذا انعقدت اليمين حلتها الكفارة او الاستثنا
بدل عن الكفارة وليست حلا لليمين قال ابن القاسم هي حل اليمين قال ابن العربي وهو مذهب
فقهاء الامصار وهو الصحيح وشرطه ان يكون متصلا منطوقا بلفظا لما رواه النسائي وابو داود عن

ابن

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حلف فاستثنى فان شاء مضى وان شاء ترك غير حنث فان
نواه من غير نطق او قطعه من غير عذر لم ينفعه وقال محمد بن المواز يكون الاستثناء مقترنا باليمين
اعتقادا ولو باخر حرف وقال فان فرغ منها واستثنى لم ينفعه ذلك لان اليمين فرغت عارية من
الاستثنا فوروده بعدها لا يوثر كالتراخي وهذا يرده الحديث من حلف فاستثنى والفا للتعقيب
وعليه جمهور اهل العلم وايضا فان ذلك يودي ان لا تنحل يمين ابتدى عقدها وذلك باطل وقال
ابن خوازمنداذ واختلف اصحابنا متى استثنى في نفسه تخصيص ما حلف عليه فقال بعض اصحابنا يصح
استثناوه وقد ظلم المحلوف له وقال بعضهم لا يصح حتى يسمع المحلوف له وقال بعضهم يصح اذا حرك
به لسانه وشفتيه وان لم يسمع المحلوف له قال ابن خوازمنداذ وانما قلنا يصح استثناوه في نفسه
فلان الايمان تعتبر بالنيات وانما قلنا لا يصح حتى يحرك به لسانه وشفتيه فان لم يحرك به لسانه
لم يكن متكلما والاستثناء من الكلام يقع بالكلام دون غيره وانما قلنا لا يصح بحال فلان ذلك
حق المحلوف له وانما يقع على حسب ما يستوفيه له الحاكم فلما لم تكن اليمين على اختيار الحالف بل كان
له مستوفاه منه وجب ان لا يكون له فيها حكم وقال ابن عباس يدرك الاستثناء اليمين بعد
سنة وتابعه على ذلك ابو العالية والحسن بقوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها اخر
الاية فلما كان بعد عام نزلت الا من تاب وقال مجاهد من قال بعد سنتين ان شاء الله
اجزاه وقال سعيد بن جبير ان استثنى بعد اربعة اشهر اجزاه وقال طاووس له ان يستثني
ما دام في مجلسه وقال قتادة ان استثنى قبل ان يقوم او يتكلم فله ثنياه وقال احمد بن حنبل و
اسحق يستثني ما دام في مجلسه وقال قتادة اي ذلك الامر وقال عطاء له ذلك قدر حلب الناقة
الغزيرة السابعة عشر قال ابن العربي اما ما تعلق به ابن عباس من الاية فلا متعلق له فيها
لان الايتين كانتا متصلتين في علم الله تعالى وفي كرمه وانما تاخر نزولها لحكمة علم الله ذلك
فيها اما انه يتركب عليها فرع حسن وهو ان الحالف اذا قال والله لا دخلت الدار وانت طالق
ان دخلت الدار واستثنى في يمينه الاولى ان شاء الله في قلبه واستثنى في اليمين الثانية
في قلبه ايضا ما يصلح للاستثناء الذي يرفع اليمين بمدة او سبب او مشيئة احد ولم يظهر شيئا
من الاستثناء ارهابا على المحلوف فان ذلك ينفعه ولا ينعقد اليمينان عليه وهذا في الطلاق
ما لم تحضره البينة فان حضرت بينة لم يقبل منه دعواه الاستثناء وانما يكون ذلك نافعا
له اذا جاء مستفتيا قال الشيخ القرطبي رحمه الله وجه الاستثمار ان الله تعالى اظهر الاية
الاولى واخفى الثانية فكذلك الحالف اذا حلف ارهابا واخفى الاستثنا والله اعلم قال ابن
العربي كان ابو الفضل المراغي يقرا بمدينة السلام فكانت الكتب تاتي اليه من بلده فيضعها
في صندوق ولا يقرا منها واحدا مخافة ان يطلع فيها على ما يزعجه ويقطع به عن طلبه فلما كان
بعد خمسة اعوام وقضى غرضا من الطلب وعزم على الرحيل شد رحله وابرز كتبه واخرج تلك
الرسايل فقرا فيها ما لو ان واحدا منها يقراه بعد وصوله ما تمكن بعده من تحصيل حرف من العلم فحمد
الله ورحل على دابة قماشه وخرج الى باب الحلبة طريق خراسان وتقدمه الكري بالدابة واقام
هو على فامي يبتاع منه سفرته فبينما هو يحاول ذلك بعد ان سمعه يقول لفامي اخر اما سمعت يعني
الواعظ ان ابن عباس يجيز الاستثنا ولو بعد سنة لقد اشتغل بذلك بالي منذ سمعته فظللت فيه
متفكرا ولو كان ذلك صحيحا لما قال الله تعالى لايوب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث
وما الذي يمنعه قل ان شاء الله فلما سمعه يقول ذلك قال بلد يكون فيه الفاميون بهذا الحظ

من العلم وهذه المرتبة اخرج عنه الى المراغة لا افعله ابدا واتقى اثر الكرى وحلله من الكرى واقام بها
حتى مات الثامنة عشر الاستثناء انما يرفع اليمين بالله تعالى اذ هي رخصة من الله تعالى ولا خلاف
في هذا واختلفوا في الاستثناء في اليمين بغير الله تعالى فقال الشافعي وابو حنيفة يقع في كل يمين
كالطلاق والعتاق وغير ذلك كاليمين بالله تعالى قال ابو عمر ما اجمعوا عليه فهو الحق وانما ورد
التوقيف بالاستثناء في اليمين بالله عز وجل لا في غير ذلك التاسعة عشر قوله تعالى فكفارته اختلف
العلماء في تقديم الكفارة على الحنث هل تجزى ام لا بعد اجماعهم على ان الحنث قبل الكفارة مباح حسن
وهو عندهم اولى على ثلاثة اقوال احدها يجزى مطلقا وهو مذهب اربعة عشر من الصحابة وجمهور الفقها
وهو مشهور مذهب مالك وقال ابو حنيفة واصحابه لا تجزى بوجه وهي رواية اشهب عن مالك
وجه الجواز ما رواه ابو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واني والله ان شاء الله
لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يميني واتيت الذي هو خير خرجه ابو داود
ومن جهة المعنى ان اليمين سبب الكفارة لقوله تعالى ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم فاضاف الكفارة
الى اليمين والمعاني تضاف الى اسبابها وايضا فان الكفارة بدل عن البر فيجوز تقديمها قبل الحنث
وجه ما رواه مسلم عن عدي بن حاتم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حلف على يمين
ثم راى خيرا منها فليات الذي هو خير زاد النسائي وليكفر عن يمينه ومن جهة المعنى ان الكفارة
لرفع الاثم وما لم يحنث لم يكن هناك ما يرفع فلا معنى لفعلها وكان معنى قوله تعالى اذا حلفتم
اي اذا حلفتم وحنثتم وايضا فان كل عبادة فعلت قبل وجوبها لم تصح اعتبارا بالصلوات وساير
العبادات وقال الشافعي تجزى بالاطعام والعتق والكسوة ولا تجزى بالصوم لان عمل البدن
لا يقدم قبل وقته ويجزى في غير ذلك تقديم الكفارة وهو القول الثالث الموفية عشرين ذكر
الله سبحانه في الكفارة الخلال الثلاث فخير فيها وعقب عند عدمها بالصيام وبدا بالطعام لانه
كان الافضل في بلاد الحجاز لغلبة الحاجة اليه وعدم شبعهم ولا خلاف في ان كفارة اليمين على
التخيير قال ابن العربي والذي عندي انما يكون بحسب الحال فان علمت محتاجا فالطعام افضل لانك
اذا اعتقت لم ترفع حاجتهم وزدت محتاجا حادي عشر اليهم وكذلك ثلثة ولما علم الله الحاجة بدا
بالمقدم المهم الحادية والعشرون قوله تعالى اطعام عشرة مساكين لا بد عندنا وعند الشافعي من
تمليك المساكين ما يخرج لهم ودفعه اليهم حتى يتملكوه ويتصرفوا فيه لقوله تعالى وهو يطعم
ولا يطعم وفي الحديث اطعم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجد السدس ولانه احد نوعي الكفارة
فلم يجز فيها الا التمليك اصله الكسوة وقال ابو حنيفة لو غداهم وعشاهم جاز وهو اختيار ابن
الماجشون ان التمكين من الطعام اطعام قال الله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا
فباي وجه اطعمه دخل في الاية الثانية والعشرون قوله تعالى من اوسط ما تطعمون اهليكم
قد تقدم في البقرة ان الوسط بمعنى الاعلا والخيار وهو هنا منزلة بين منزلتين ونصفا بين طرفين
ومنه الحديث خير الامور اوساطها وخرج ابن ماجة ثنا محمد بن يحيي ثنا عبد الرحمن بن مهدى
ثنا سفيان بن عيينة عن سفيان بن ابي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان الرجل
يقوت اهله قوتا فيه سعة وكان الرجل يقوت اهله قوتا فيه شدة فنزلت من اوسط ما تطعمون
اهليكم وهذا يدل على ان الوسط ما ذكرناه وهو ما كان بين شيئين الثالثة والعشرون الاطعام
عند مالك مد لكل واحد من المساكين العشرة ان كان بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال
الشافعي واهل المدينة قال سليمان بن يسار ادركت الناس وهم اذا اعطوا في كفارة اليمين اعطوا

مدا من حنطة بالمد الاصغر ورءوا ذلك مجزيا عنهم وهو قول ابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت وبه
قال عطا بن ابي رباح واختلف اذا كان بغيرها فقال ابن القاسم يجزيه المد بكل مكان وقال ابن
المواز افتى ابن وهب بمصر بمد ونصف واشهب بمد وثلث قال وان مدا وثلثا لوسط من عيش الامصار
في الغدا والعشا وقال ابو حنيفة يخرج من البر نصف صاع ومن التمر والشعير صاعا على حديث عبد الله
بن ثعلبة بن صعير عن ابيه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فامر بصدقة الفطر صاع
تمر او صاع شعير عن كل راس او صاع بر بين اثنين وبه اخذ سفيان وابن المبارك وروي عن علي وعمر
وعايشة وبه قال سعيد بن المسيب وهو قول عامة فقهاء العراق لما رواه ابن عباس قال كفر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بصاع من تمر وامر الناس بذلك فمن لم يجد فنصف صاع من بر او من اوسط ما تطعمون
اهليكم خرجه ابن ماجة في سننه الرابعة والعشرون لا يجوز ان يطعم غنيا ولا ذا رحم تلزمه نفقته
فان كان ممن لا تلزمه نفقته فقد قال مالك لا يعجبني ان يطعمه ولكن ان فعل وكان فقيرا اجزاه فان
اطعم غنيا جاهلا بغناه ففي المدونة وغير كتاب لا يجزى وفي الاسدية انه يجزيه الخامسة والعشرون
ويخرج الرجل مما ياكل قال ابن العربي وقد زل هنا جماعة من العلماء فقالوا انه اذا كان ياكل الشعير
وياكل الناس البر فليخرج مما ياكل الناس وهذا سهو بين فان المكفر اذا لم يستطع في خاصة نفسه الا
الشعير لم يكلف ان يعطي لغيره سواه وقد قال صلى الله عليه وسلم صاعا من طعام صاعا من شعير ففصل
ذكرهما ليخرج كل احد فرضه مما ياكل وهذا مما لا خفاء به السادسة والعشرون قال مالك ان غدا
عشرة مساكين وعشاهم اجزاه وقال الشافعي لا يجوز ان يطعمهم جملة لانهم يختلفون في الاكل ولكن يعطي
كل مسكين مدا وروي عن علي بن ابي طالب لا يجزي اطعام العشرة وجبة واحدة يعني غدا دون عشا
وعشاء دون غدا حتى يغديهم ويعشيهم قال ابو عمر وهو قول ائمة الفتوى بالامصار السابعة والعشرون
قال ابن حبيب ولا يجزي الخبز قفارا بل يعطى معه اداما زيتا او كشكا او كامخا او ما تيسر قال ابن
العربي هذه زيادة ما اراها واجبة اما انه يستحب له ان يطعم مع الخبز السكر نعم واللحم واما
تعيين الادام للطعام فلا سبيل اليه لان اللفظ لا يتضمنه قال الشيخ القرطبي رحمه الله نزول
الاية في الوسط يقتضي الخبز والزيت والخل وما كان في معناه من الجبن والكشك كما قال ابن
حبيب والله اعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل قال الحسن البصري ان اطعمهم خبزا
ولحما او خبزا وزيتا مرة واحدة في اليوم حتى يشبعوا اجزاه وهو قول ابن سيرين وجابر بن
زيد ومكحول وروي ذلك عن انس بن مالك الثامنة والعشرون لا يجوز عندنا دفع الكفارة الى
مسكين واحد وبه قال الشافعي واصحاب ابي حنيفة يمنعون صرف الجميع الى واحد دفعة واحدة
ويختلفون فيما اذا صرف الجميع في يوم واحد بدفعات مختلفة فمنهم من اجاز ذلك وانه اذا تعدد
الفعل حسن ان يقال في الفعل الثاني لا يمنع من الذي دفعت اليه اولا فان اسم المسكين يتناوله
وقال الاخرون يجوز دفع ذلك اليه في ايام وان تعدد الايام يقوم مقام اعداد المساكين وقال ابو
حنيفة يجزيه ذلك لان المقصود من الاية التعريف بقدر ما يطعم فلو دفع ذلك القدر لواحد
اجزاه ودليلنا نص الله تعالى على العشرة فلا يجوز العدول عنهم وايضا فان فيه احيا جماعة من
المسلمين وكفايتهم يوما واحدا فيتفرغون فيه لعبادة الله تعالى ولدعائه فيغفر للمكفر بسبب ذلك
والله اعلم التاسعة والعشرون قوله تعالى فكفارته الضمير على الصناعة النحوية عايد على ما
ويحتمل في هذا الموضع ان يكون بمعنى الذي ويحتمل ان تكون مصدرية او يعود على اثم الحنث ولم يجر
له ذكر صريح لكن المعنى يقتضيه الموفية ثلاثين قوله تعالى اهليكم هو جمع اهل على السلامة وقرا جعفر

بن محمد اما ليكم وهذا جمع مكسر قال ابو الفتح اهال بمنزلة ليال واحدها اهلات وليلات والعرب تقول اهل واهلة قال الشاعر واهلة ود قد تبريت ودهم وابليتهم في الجهد جهدي ونائلي يقول تعرضت لودهم قاله ابن السكيت الحادية والثلاثون قوله تعالى او كسوتهم قرئ بكسر الكاف وضمها وهما لغتان مثل اسوة واسوة وقرا سعيد بن جبير ومحمد بن السميقع اليماني او كاسوتهم اي كاسوة اهلك والكسوة في حق الرجال الثوب الواحد الساتر لجميع الجسد واما في حق النساء فاقل ما يجزيهم فيه الصلاة وهو الدرع والخمار وهكذا حكم الصغار قال ابن القاسم في العتبية تكسى الصغيرة كسوة كبيرة والصغير كسوة كبير قياسا على الطعام وقال الشافعي وابو حنيفة والثوري والاوزاعي اقل ما يقع عليه الاسم وذلك ثوب واحد وفي رواية ابي الفرج عن مالك وبه قال ابراهيم ومغيرة ما يستر جميع البدن بناء على ان الصلاة لا تجزي في اقل من ذلك وروي عن سلمان رضي الله عنه انه قال نعم الثوب التبان اسنده الطبري قال الحكم بن عيينة تجزي عمامة يلف بها راسه وهو قول الثوري قال ابن العربي وما كان احرصني على ان يقال انه لا يجزي الا كسوة تستر عن اذى الحر والبرد كما عليه طعام يشبعه من الجوع فاقول به واما القول بميزر واحد فلا ادريه والله يفتح لي ولكم في المعرفة بعونه قال الشيخ القرطبي رحمه الله قد راعى قوم معهود الزي والكسوة المتعارفة فقال بعضهم لا يجزي الثوب الواحد الا اذا كان جامعا مما قد يتزيى به كالكسا والملحفة وقال ابو حنيفة واصحابه الكسوة في كفارة اليمين لكل مسكين ثوب وازار ورداء او قميص او قبا او كسا وروي عن ابي موسى الاشعري انه امر ان يكسى عنه ثوبين ثوبين وبه قال الحسن وابن سيرين وهذا المعنى الذي اختاره ابن العربي والله اعلم الثانية والثلاثون لا تجزي القيمة عن الطعام والكسوة وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة تجزي وهو يقول تجزي القيمة في الزكاة فكيف في الكفارة قال ابن العربي وعمدتهم ان الغرض سد الخلة ورفع الحاجة بالقيمة قلنا ان نظرتم الى سد الخلة فاين العبادة ونص القران على الاعيان الثلاثة والانتقال بالبيان من نوع الى نوع الثالثة والثلاثون اذا دفع الكسوة الى ذمي او عبد لم يجزه قال ابو حنيفة يجزيه لانه مسكين يتناوله لفظ المسكنة وتشتمل عليه عموم الاية قلنا هذا نخصه بان نقول جزء من المال يجب اخراجه للمساكين فلا يجوز دفعه للكافر اصله الزكاة وقد اتفقنا على انه لا يجوز دفعه للمرتد فكل دليل خص به المرتد فهو دليل في الذمي والعبد ليس بمسكين لاستغنائه بنفقة سيده فلا تدفع فيه كالغني الرابعة والثلاثون قوله تعالى او تحرير رقبة التحرير الاخراج من الرق ويستعمل في الاسر والمشقات وتعب الدنيا ونحوها ومنه قول ام مريم اني نذرت لك ما في بطني محررا اي من شغوب الدنيا ونحوها ومن ذلك قول الفرزدق بن غالب · ابني غدانة انني حررتكم · فوهبتكم لعطية ابن جعال اي حررتكم من الهجا وخص الرقبة من الانسان اذ هو العضو الذي يكون فيه الغل والتوثق غالبا من الحيوان فهو موضع الملك فاضيف التحرير اليها الخامسة والثلاثون لا يجزي عندنا الا اعتاق رقبة مؤمنة كاملة ليس فيها شرك لغيره ولا عتاقة بعضها ولا عتق الى اجل ولا كتابة ولا تدبير ولا تكون ام ولد ولا من يعتق عليه اذا ملكه ولا يكون بها من الهرم والزمانة ما يضر بها في الاكتساب سليمة غير معيبة خلافا لداود في تجويزه اعتاق المعيبة قال ابو حنيفة يجوز عتق الكافرة لان مطلق اللفظ يقتضيها ودليلنا انها قربة واجبة فلا يكون الكافر محلا لها كالزكاة وايضا فكل مطلق في القران من هذا فهو راجع الى المقيد في عتق الرقبة في قتل الخطا وانما قلنا لا يكون فيها شركة لغيره لان التحرير يقتضي ابتدا عتق دون تجزية عتق مقدم وانما قلنا سليمة لقوله تعالى فتحرير رقبة والاطلاق يقتضي تحرير رقبة كاملة والعميا ناقصة

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يعتق امرا مسلما الا كان فكاكه من النار عضوا منه بعضو منها حتى الفرج بالفرج وهذا نص وقد روي في الاعور قولان في المذهب وكذلك في الاصم والخصي السادسة والثلاثون من اخرج مالا ليعتق رقبة في كفارة فتلف كانت الكفارة باقية عليه بخلاف مخرج المال في الزكاة ليدفعه الى الفقراء او ليشتري به رقبة فتلف لم يكن عليه لامتثال الامر السابعة والثلاثون اختلفوا في الكفارة اذا مات الحالف فقال الشافعي وابو ثور كفارات الايمان تخرج من راس مال الميت وقال ابو حنيفة تكون في الثلث وكذلك قال مالك ان اوصى بها والله اعلم الثامنة والثلاثون من حلف وهو موسر فلم يكفر حتى اعسر او حنث وهو معسر فلم يكفر حتى ايسر او حنث وهو فلم يكفر حتى اعتق فالمراعاة في ذلك كله وقت تكفيره لا وقت حنثه التاسعة والثلاثون روى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لان يلج احدكم بيمينه في اهله اثم له عند الله من ان يعطي كفارته التي فرض الله اللجاج في اليمين هو المضي على مقتضاه وان لزم من ذلك حرج ومشقة وترك ما فيه منفعة عاجلة او اجلة فان كان شيء من ذلك فالاولى به تحنيث نفسه وفعل الكفارة ولا يعتل باليمين كما ذكرناه في قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وقال عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير اي الذي هو اكثر خيرا الموفية اربعين روى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمين على نية المستحلف قال العلماء معناه ان من وجبت عليه يمين في حق وجب عليه وهو ينوي غيره لم تنفعه نيته ولا يخرج بها عن اثم تلك اليمين وهو معنى قوله تعالى في الحديث الاخر يمينك على ما يصدقك عليه وروي يصدقك به صاحبك خرجه مسلم ايضا قال مالك من حلف لطالبه في حق له عليه واستثنى في يمينه او حرك لسانه او شفتيه او تكلم به لم ينفعه استثناؤه ذلك لان النية نية المحلوف له لان اليمين حق له وانما تقع على حسب ما يستوفيه له الحاكم لا على اختيار الحالف لانها مستوفاة منه هذا تحصيل مذهبه وقوله الحادية والاربعون قوله تعالى فمن لم يجد معناه لم يجد في ملكه احد هذه الثلاثة من الاطعام او الكسوة او عتق الرقبة باجماع فاذا عدم هذه الثلاثة الاشياء والعدم يكون بوجهين اما المغيب المال عنه او عدمه فالاول ان يكون في بلد غير بلده فان وجد من يسلفه لم يجزه الصوم وان لم يجد من يسلفه فقد اختلف فيه فقيل ينتظر الى بلده قال ابن العربي وذلك لا يلزمه بل يكفر بالصيام لان الوجوب قد تقرر في الذمة والعدم قد تحقق فلا وجه لتاخير الامر فيكفر مكانه لعجزه عن الانواع الثلاثة لقوله تعالى فمن لم يجد وقيل من لم يكن له فضل عن راس ماله الذي يعيش به فهو الذي لم يجد وقيل هو من لم يكن عنده الا قوت يومه وليلته وليس عنده فضل يطعمه وبه قال الشافعي واختاره الطبري وهو مذهب مالك واصحابه وروي عن ابن القاسم ان من يفضل عنه نفقته يوم فانه لا يصوم قال ابن القاسم في كتاب ابن مزين انه ان كان للحانث فضل عن قوت يومه اطعم الا ان يخاف الجوع او يكون في بلد لا يعطف عليه فيه وقال ابو حنيفة اذا لم يكن عنده نصاب فهو غير واجد وقال احمد واسحق اذا كان عنده قوت يومه وليلته وعياله وكسوة تكون لكفايتهم ثم يكون بعد ذلك مالكا لقدر الكفارة فهو عندنا واجد قال ابن المنذر قول ابي عبيد حسن الثانية والاربعون قوله تعالى فصيام ثلاثة ايام قراها ابن مسعود متتابعات فيقيد بها المطلق وبه قال ابو حنيفة والثوري وهو احد قولي الشافعي واختاره المزني قياسا على الصوم في كفارة الظهار واعتبارا بقراءة عبد الله وقال مالك والشافعي في قوله الاخر يجزي التفريق لان التتابع صفة لا تجب الا بنص او قياس على منصوص وقد عدما الثالثة والاربعون

ومن افطر فی یوم من ایام الصیام ناسیا فقال مالك علیه القضا وقال الشافعی لا قضاء علیه علی ما تقدم بیانه
فی الصیام فی البقرة الرابعة والاربعون هذه الکفارة التی نص الله علیها لازمة للحر المسلم باتفاق
واختلفوا فی ما یجب منها علی العبد اذا حنث فکان سفیان الثوری والشافعی واصحاب الرای یقولون لیس
علیه الا الصوم لا یجزیه غیر ذلك واختلف فیه عن مالك فحکی عنه ابن نافع انه قال لا یکفر العبد
بالعتق لانه لا یکون له الولاء ولکن یکفر بالصدقة ان اذن له سیده واصوب ذلك ان یصوم وحکی
ابن القاسم عنه انه قال ان اطعم او کسا باذن السید فما هو بالبین وفی قلبی منه شیء الخامسة
والاربعون قوله تعالی ذلك کفارة ایمانکم ای تغطیة ایمانکم وکفرت الشیء ای غطیته وسترته وقد
تقدم ولا خلاف ان هذه الکفارة فی الیمین بالله تعالی وقد ذهب بعض التابعین الی ان کفارة
الیمین فعل الخیر الذی حلف علی ترکه وترجم ابن ماجة فی سننه من قال کفارتها ترکها ثنا علی بن محمد
ثنا عبد الله بن نمیر عن حارثة بن ابی الرجال عن عمرة عن عایشة قالت قال رسول الله صلی الله
علیه وسلم من حلف علی قطیعة رحم او بما لا یصلح فبره ان لا یتم ذلك واسند عن عمرو بن شعیب عن
ابیه عن جده ان النبی صلی الله علیه وسلم قال من حلف علی یمین فرای غیرها خیرا منها فلیترکها فان ترکها
کفارتها قال المؤلف رحمه الله ویعضد هذا بقصة الصدیق رضی الله عنه حین حلف ان لا یطعم
الطعام وحلفت امراته ان لا تطعمه حتی یطعمه وحلف الضیف او الاضیاف ان لا یطعموه او لا یطعموه فقال
ابو بکر کان هذا من الشیطان فدعا بالطعام فاکل واکلوا اخرجه البخاری وزاد مسلم قال فلما اصبح غدا
علی النبی صلی الله علیه وسلم فقال یا رسول الله بروا وحنثت قال فاخبره فقال انت ابرهم واخیرهم
قال ولم تبلغنی کفارة السادسة والاربعون واختلفوا فی کفارة غیر الیمین بالله فقال مالك من حلف
بصدقة اخرج ثلثه وقال الشافعی علیه کفارة یمین وبه قال اسحق وابو ثور وروی عن عمر وعایشة
رضی الله عنهما وقال الشعبی وعطا وطاوس لا شیء علیه واما الیمین بالمشی الی مکة فعلیه ان یفی به
عند مالك وابی حنیفة ویجزیه کفارة یمین عند الشافعی واحمد وابی ثور وقال ابن المسیب والقاسم
بن محمد لا شیء علیه قال ابن عبد البر اکثر اهل العلم بالمدینة وغیرها یوجبون فی الیمین بالمشی الی
مکة کفارة مثل کفارة الیمین بالله وهو قول جماعة من الصحابة والتابعین وجمهور فقهاء المسلمین
وقد افتی به ابن القاسم ابنه عبد الصمد وذکر له انه قول اللیث ابن سعد والمشهور عن ابن القاسم
انه لا کفارة عنده فی المشی الی مکة الا بالمشی لمن قدر علیه وهو قول مالك واما الحالف بالعتق
فعلیه عتق من حلف علیه بعتقه فی قول مالك والشافعی وغیرهما وروی عن ابن عمر وابن
عباس وعایشة انه یکفر کفارة یمین ولا یلزمه العتق وقال عطا یتصدق بشیء قال المهدوی
واجمع من یعتمد علی قوله من العلماء علی ان الطلاق لازم لمن حلف به وحنث السابعة والاربعون
قوله تعالی واحفظوا ایمانکم ای بالبدار الی ما لزمکم من الکفارة اذا حنثتم وقیل ای بترك الحلف فانکم
اذا لم تحلفوا لم تتوجه علیکم بعد هذه التکلیفات لعلکم تشکرون تقدم معنی الشکر ولعل فی البقرة
قوله تعالی یا ایها الذین امنوا انما الخمر والمیسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشیطان فاجتنبوه
لعلکم تفلحون انما یرید الشیطان ان یوقع بینکم العداوة والبغضاء فی الخمر والمیسر ویصدکم
عن ذکر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون واطیعوا الله واطیعوا الرسول واحذروا فان
تولیتم فانما علی رسولنا البلاغ المبین فیه سبع عشرة مسئلة الاولی قوله یا ایها الذین امنوا خطاب
لجمیع المؤمنین بترك هذه الاشیاء اذا کانت شهوات وعادات تلبسوا بها فی الجاهلیة وغلبت
علی النفوس فکان بقی منها فی نفوس کثیر من المؤمنین ابن عطیة ومن هذا القبیل الزجر بالطیر واخذ

الفال من الکتب ونحوه مما یصنعه الناس الیوم واما الخمر فکانت لم تحرم بعد وانما نزل تحریمها فی سنة
ثلاث بعد وقعة احد وکانت وقعة احد فی شوال سنة ثلاث من الهجرة وتقدم اشتقاقها واما
المیسر فقد مضی فی البقرة القول فیه واما الانصاب فقیل هی الاصنام وقیل هی النرد والشطرنج ویاتی
بیانهما فی سورة یونس عند قوله فماذا بعد الحق الا الضلال واما الازلام فهی القداح وقد مضی فی اول
السورة القول فیها ویقال کانت فی البیت عند سدنة البیت وخدام الاصنام یاتی الرجل اذا اراد
حاجة فیقبض منها شیئا فان کان علیه امرنی ربی خرج لحاجته علی ما احب او کره الثانیة تحریم
الخمر کان بتدریج ونوازل کثیرة فانهم کانوا مولعین بشربها واول ما نزل فی امرها یسئلونك عن الخمر
والمیسر قل فیهما اثم کبیر ومنافع للناس ای فی تجاراتهم فلما نزلت هذه الایة ترك بعض الناس وقالوا
لا حاجة لنا فیما فیه اثم کبیر ولم یترکها بعض الناس وقالوا ناخذ منفعتها ونترك اثمها فنزلت هذه
الایة لا تقربوا الصلاة وانتم سکاری فترکها بعض الناس وقالوا لا حاجة لنا فیما یشغلنا عن الصلاة
وشربها بعض الناس فی غیر اوقات الصلاة حتی نزلت یا ایها الذین امنوا انما الخمر والمیسر والانصاب
والازلام الایة فصارت حراما علیهم حتی کان یقول بعضهم ما حرم الله شیئا اشد من الخمر وقال ابو میسرة
نزلت بسبب عمر بن الخطاب فانه ذکر للنبی صلی الله علیه وسلم عیوب الخمر وما ینزل بالناس من اجلها
ودعا الله فی تحریمها وقال اللهم بین لنا فی الخمر بیانا شافیا فنزلت هذه الایات فقال عمر انتهینا
انتهینا وقد مضی فی البقرة والنساء وروی ابو داود عن ابن عباس قال یا ایها الذین امنوا لا تقربوا
الصلاة وانتم سکاری ویسئلونك عن الخمر والمیسر نسختهما التی فی المائدة انما الخمر والمیسر والانصاب
والازلام وفی صحیح مسلم عن سعد بن ابی وقاص انه قال نزلت فی ایات من القران وفیه قال
واتیت علی نفر من الانصار فقالوا تعال نطعمك ونسقیك خمرا وذلك قبل ان تحرم الخمر قال
فاتیتهم فی حش والحش البستان فاذا راس جزور مشوی وزق من خمر قال فاکلت وشربت معهم
قال فذکرت الانصار والمهاجرون فقلت المهاجرون خیر من الانصار قال فاخذ رجل لحی جمل
فضربنی به فجرح انفی وفی روایة ففزره وکان انف سعد مفزورا فاتیت رسول الله صلی الله علیه وسلم
فاخبرته فانزل الله تعالی فی یعنی فی نفسه شان الخمر انما الخمر والمیسر والانصاب والازلام
رجس من عمل الشیطان فاجتنبوه الثالثة هذه الاحادیث تدل علی ان شرب الخمر کان اذ
ذاك مباحا معمولا به معروفا عندهم بحیث لا ینکر ولا یغیر وان النبی صلی الله علیه وسلم اقر علیه
هذا ما لا خلاف فیه یدل علیه ایة النساء لا تقربوا الصلاة وانتم سکاری علی ما تقدم وهل کان
یباح لهم شرب القدر الذی یسکر حدیث حمزة ظاهر فیه حین بقر خواصر ناقتی علی رضی الله عنهما
وجب اسنمتهما فاخبر علی بذلك النبی صلی الله علیه وسلم فجاء الی حمزة فصدر عن حمزة للنبی صلی الله
علیه وسلم من القول الجافی المخالف لما یجب علیه من احترام النبی صلی الله علیه وسلم وتوقیره وتعزیره
ما یدل علی ان حمزة کان قد ذهب عقله بما یسکر ولذلك قال الراوی فعرف رسول الله صلی
الله علیه وسلم انه ثمل ثم ان النبی صلی الله علیه وسلم لم ینکر علی حمزة ولا عنفه لا فی حال سکره ولا
بعد ذلك بل رجع لما قال حمزة وهل انتم الا عبید ابی علی عقبیه القهقری وخرج عنه وهذا خلاف
ما قاله الاصولیون وحکوه فانهم قالوا ان السکر حرام فی کل شریعة لان الشرایع مصالح العباد
لا مفاسدهم واصل المصالح العقل کان اصل المفاسد ذهابه فیجب المنع من کل ما یذهبه او یشوشه
الا انه یحتمل حدیث حمزة انه لم یقصد بشربه السکر لکنه اسرع فیه فغلبه والله اعلم الرابعة
قوله تعالی رجس قال ابن عباس فی هذه الایة رجس سخط وقد یقال للنتن والقذرة

والاقذار رجس والرجز بالزاي العذاب لاغير والركس العذرة لاغير والرجس يقال للامرين ومعنى من عمل الشيطان اي يحمل عليه ويزينه وقيل هو الذي كان عمل مبادي هذه الامور لنفسه حتى اقتدي به فيها
الخامسة قوله تعالى فاجتنبوه يريد ابعدوه واجعلوا ناحية فامر تعالى باجتناب هذه الامور واقترنت بصيغة الامر مع نصوص الاحاديث واجماع الامة فحصل الاجتناب في جهة التحريم فبهذا حرمت الخمر ولا خلاف بين علماء المسلمين ان سورة المائدة نزلت بتحريم الخمر وهي مدنية من اخر ما نزل وورد التحريم في الميتة والدم ولحم الخنزير في قوله تعالى لا اجد وغيرها من الاي خبرا وفي الخمر نهيا وزجرا وهو اقوى التحريم واوكده روي ابن عباس قال لما نزل تحريم الخمر مشي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم الى بعض وقالوا حرمت الخمر وجعلت عدلا للشرك يعني انه قرنها بالذبح للانصاب وذلك الشرك ثم علق لعلكم تفلحون فعلق الفلاح بالامر وذلك يدل على تاكيد الوجوب والله اعلم
السادسة فهم الجمهور من تحريم الخمر واستخباث الشرع لها واطلاق الرجس عليها والامر باجتنابها الحكم بنجاستها وخالفهم في ذلك ربيعة والليث بن سعد والمزني صاحب الشافعي وبعض المتاخرين من البغداديين والقرويين فراوا انها طاهرة وان المحرم انما هو شربها وقد استدل سعيد بن الحداد القروي على طهارتها بسكبها في طرق المدينة قال ولو كانت نجسة لما فعل ذلك الصحابة ولنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نهي عن التخلي في الطرق والجواب ان الصحابة فعلت ذلك لانهم لم تكن لهم سروب ولا اباريتونها فيها اذ الغالب من احوالهم انهم لم يكن لهم كنف في بيوتهم وقالت عايشة انهم كانوا يتقذرون من اتخاذ الكنف في البيوت ونقلها الى خارج المدينة فيه كلفة ومشقة ويلزم منه تاخير ما وجب على الفور وايضا فانه يمكن التحرز منها فان طرق المدينة كانت واسعة ولم تكن الخمر من الكثرة بحيث تصير نهرا يعم الطريق كلها على انها انما جرت في مواضع يسيرة يمكن التحرز عنها هذا مع ما يحصل في ذلك من فايدة شهرة اراقتها في طرق المدينة ليشيع العمل على مقتضى تحريمها من اتلافها وانه لا ينتفع بها وتتابع الناس ويتوافقوا على ذلك والله اعلم فان قيل التنجيس حكم شرعي ولا نص فيه ولا يلزم من كون الشي محرما ان يكون نجسا فكم من محرم في الشرع ليس بنجس قلنا قوله تعالى رجس يدل على نجاستها فان الرجس في اللسان النجاسة ثم لو التزمنا ان لا نحكم بحكم الا حتى نجد فيه نصا لتعطلت الشريعة فان النصوص فيها قليل فاي نص يوجد على تنجيس البول والعذرة والميتة والدم وغير ذلك وانما هي الظواهر والعمومات والاقيسة وسياتي في سورة الحج ما يوضح هذا المعنى ان شاء الله
السابعة قوله تعالى فاجتنبوه يقتضي الاجتناب المطلق الذي لا ينتفع معه بشي بوجه من الوجوه لا بشرب ولا بيع ولا بتخليل ولا مداواة ولا غير ذلك وعلى هذا تدل الاحاديث الواردة في الباب روي مسلم عن ابن عباس ان رجلا اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم راوية خمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل علمت ان الله حرمها قال لا قال فسار انسانا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بم ساررته قال امرته ببيعها فقال ان الذي حرم شربها حرم بيعها فقام ففتح المزادتين حتى ذهب ما فيهما فهذا حديث فهذا يدل على ما ذكرنا اذ لو كان فيها منفعة من المنافع الجايزة لبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال في الشاة الميتة هلا اخذتم اهابها فدبغتموه فانتفعتم به الحديث
الثامنة اجمع المسلمون على تحريم بيع الخمر والدم وفي ذلك دليل على تحريم بيع العذرات وساير النجاسات وما لا يحل اكله ولذلك والله اعلم كره مالك بيع زبل الدواب ورخص فيه ابن القاسم لما فيه من المنفعة والقياس ما قاله مالك وهو مذهب الشافعي وهذا الحديث شاهد بصحة

ذلك التاسعة ذهب جمهور الفقهاء الى ان الخمر لا يجوز تخليلها لاحد ولو جاز تخليلها لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع الرجل ان يفتح المزادتين حتى يذهب ما فيهما لان الخل مال وقد نهي عن اضاعة المال ولا يقول احد فيمن اراق خمرا على مسلم انه اتلف له مالا وقد اراق عثمان بن ابي العاص خمرا ليتيم واستوذن صلى الله عليه وسلم في تخليلها فقال لا ونهي عن ذلك ذهب الى هذا طايفة من العلماء من اهل الحديث والراي واليه مال سحنون بن سعيد وقال اخرون لا باس بتخليل الخمر ولا باس باكل ما تخلل منها بمعالجة ادمي او غيره وهو قول الثوري والاوزاعي والليث بن سعد والكوفيين وقال ابو حنيفة ان طرح فيها المسك والملح فصارت مربا وتحولت عن حال الخمر جاز وخالفه محمد بن الحسن في المري وقال لا يعالج الخمر بغير تحويلها الى الخل وحده قال ابو عمر احتج العراقيون في تخليل الخمر بابي الدرداء وهو يروى عن ابي ادريس الخولاني عن ابي الدرداء من وجه ليس انه كان ياكل المري منه ويقول دبغته الشمس والملح وخالفه عمر بن الخطاب وعثمان بن ابي العاص في تخليل الخمر وليس في راي احد حجة مع السنة وبالله التوفيق وقد يحتمل ان يكون المنع من تخليلها كان في بدء الاسلام عند نزول تحريمها لئلا يستدام حبسها لقرب العهد ارادة لقطع العادة في ذلك واذا كان هكذا لم يكن في النهي عن تخليلها حينئذ والامر باراقتها ما يمنع من اكلها اذا خللت وروي اشهب عن مالك قال اذا خلل النصراني خمرا فلا باس باكله وكذلك ان خللها مسلم واستغفر الله وهذه رواية ذكرها ابن عبد الحكم في كتابه والصحيح ما قاله مالك في رواية ابن القاسم وابن وهب انه لا يحل لمسلم ان يعالج الخمر حتى يجعلها خلا ولا يبيعها ولكن ليهريقها والله اعلم
العاشرة لم يختلف قول مالك واصحابه ان الخمر اذا تخللت بذاتها ان اكل ذلك الخل حلال وهو قول عمر بن الخطاب وقبيصة وابن شهاب وربيعة واحد قولي الشافعي وهو تحصيل مذهبه عند اكثر اصحابه
الحادية عشر ذكر ابن خواز منداد انها تملك ونزع الى ذلك بانه يمكن ان يزال بها الغصص ويطفى بها حريق وهذا نقل لا يعرف ذلك بل يخرج ذلك على قول من يرى انها طاهرة ولو جاز ملكها لما امر النبي صلى الله عليه وسلم باراقتها وايضا فان نعم وقد بطل باراقتها والحمد لله
الثانية عشر هذه الاية تدل على تحريم اللعب بالنرد والشطرنج قمارا او غير قمار فان الله تعالى لما حرم الخمر بين بالمعنى الذي فيها فقال يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الاية ثم قال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء الاية فكل لهو دعا قليله الى كثيره واوقع العداوة والبغضاء بين العاكفين عليه وصد عن ذكر الله وعن الصلاة فهو كشرب الخمر واوجب ان تكون حراما مثله فان قيل شرب الخمر يورث السكر فلا يقدر معه على الصلاة وليس في اللعب بالنرد والشطرنج هذا المعنى قلنا قد جمع الله بين الخمر والميسر في التحريم ووصفهما جميعا بانهما يوقعان العداوة والبغضاء بين الناس ويصدان عن ذكر الله وعن الصلاة ومعلوم ان الخمر ان اسكرت فالميسر لا يسكر ثم لم يكن عند الله افتراقهما في ذلك يمنع من التسوية بينهما في التحريم لاجل ما اشتركا فيه من المعاني وايضا فان قليل الخمر لا يسكر كما ان اللعب بالنرد والشطرنج لا يسكر ثم كانا حراما مثل الكثير فلا ان يكون اللعب بالنرد والشطرنج حراما مثل الخمر وان كان لا يسكر وايضا فان ابتداء اللعب يورث الغفلة فتقوم تلك الغفلة المستولية على القلب مقام السكر فان كانت الخمر انما حرمت لانها تسكر فتصد بالاسكار عن الصلاة فليحرم اللعب بالنرد والشطرنج لانه يغفل ويلهي فيصد بذلك عن الصلاة والله اعلم
الثالثة عشر مهدي الراوية يدل على انه كان لم يبلغه الناسخ وكان متمسكا بالاباحة المتقدمة فكان ذلك على ان الحكم لا يرتفع بوجود الناسخ كما يقوله بعض الاصوليين بل ببلوغه كما دل عليه هذا الحديث وهو الصحيح لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يوبخه بل بين له الحكم ولانه مخاطب بالعمل

بالاول بحيث لو تركم عصى بالخلاف وان كان الناسخ قد حصل في الوجود وذلك كما وقع لاهل قبا اذ كانوا يصلون الى بيت المقدس الى ان اتاهم الاتي فاخبرهم بالناسخ فمالوا نحو الكعبة وقد تقدم في سورة البقرة وتقدم فيها ذكر الخمر واشتقاق والميسر ومضى في صدر هذه السورة القول في الانصاب والازلام والحمد لله الرابعة عشر قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر الاية اعلم الله تعالى عباده ان الشيطان انما يريد ان تقع العداوة بيننا بسبب الخمر وغيره فحذرنا منها ونهانا عنها روي ان قبيلتين من الانصار شربوا الخمر وانتشوا فعبث بعضهم ببعض فلما صحوا راى بعضهم في وجه بعض اثار ما فعلوا وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغاين فجعل الرجل يقول لو كان اخي بي رحيما ما فعل هذا فحدثت بينهم الضغاين فانزل الله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء الاية الخامسة عشر قوله تعالى ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة يقول اذا سكرتم لم تذكروا الله ولم تصلوا وان صليتم خلط عليكم كما فعل بعلي وروي بعبد الرحمن كما تقدم في النساء وقال عبيد الله بن عمر سئل القاسم ابن محمد عن الشطرنج اهي ميسر وعن النرد اهو ميسر فقال كل ما صد عن ذكر الله وعن الصلاة فهو ميسر قال ابو عبيد تاول قول الله تعالى ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة السادسة عشر قوله تعالى فهل انتم منتهون لما علم عمر رضي الله عنه ان هذا وعيد شديد زايد على معنى انتهوا قال انتهينا وامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديه ان ينادي في سكك المدينة الا ان الخمر قد حرمت فكسرت الدنان واريقت الخمر حتى جرت في سكك المدينة السابعة عشر واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا تاكيد للتحريم وتشديد في الوعيد وامتثال للامر وكف عن المنهي وحسن عطف واطيعوا في ذكر الرسول تاكيدا ثم حذر في مخالفة الامر وتوعد من تولى بعذاب الاخرة فقال فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين في تبليغ ما امر بتحريمه وعلى المرسل ان يعاقب او يثيب بحسب ما يعصى او يطاع قوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين فيه تسع مسائل الاولى قال ابن عباس والبرا بن عازب وانس بن مالك انه لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة كيف من مات منا وهو يشربها وياكل الميسر فنزلت الاية روى البخاري عن انس قال كنت ساقي القوم في منزل ابي طلحة فنزل تحريم الخمر فامر مناديا فنادى فقال ابو طلحة اخرج فانظر ما هذا الصوت قال فخرجت فقلت هذا منادي ينادي الا انما الخمر قد حرمت فقال اذهب فاهرقها وكان الخمر من الفضيخ قال فجرت في سكك المدينة فقال بعض القوم قتل قوم وهي في بطونهم فانزل الله عز وجل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح الاية الثانية هذه الاية وهذا الحديث نظير سوالهم عن من مات الى القبلة الاولى فنزلت وما كان الله ليضيع ايمانكم ومن فعل ما ابيح له حتى مات على فعله لم يكن له ولا عليه شي لا اثم ولا مواخذة ولا ذم ولا اجر ولا مدح لان المباح مستوي الطرفين بالنسبة الى الشرع وعلى هذا فما كان ينبغي ان يتخوف ولا يسال عن حال من مات والخمر في بطنه وقت اباحتها فاما ان يكون ذلك القايل غفل عن دليل الاباحة فلم يخطر او يكون لغلبة خوفه من الله تعالى وشفقته على اخوانه المومنين توهم مواخذة ومعاقبة لاجل شرب الخمر المتقدم فرفع الله ذلك التوهم بقوله ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح الاية الثالثة هذا الحديث في نزول الاية فيه دليل واضح على ان نبيذ التمر اذا اسكر خمر وهو نص لا يجوز الاعتراض عليه لان الصحابة هم اهل اللسان وقد عقلوا ان شرابهم ذلك خمر اذ لم يكن شراب ذلك الوقت بالمدينة غيره وقد قال الحكمي لنا خمر وليست خمر كرم ولكن من نتاج الباسقات

كرام

كرام في السماء ذهبن طولا وفات ثمارها ايدي الجناة ومن الدليل الواضح على ذلك ما رواه النسائي اخبرنا عبد الله عن شيبان عن الاعمش عن دثار عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم الزبيب والتمر هو الخمر وثبت بالنقل الصحيح ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحسبك به عالما باللسان والشرع خطب على منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس الا انه قد نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل وهذا ابين ما يكون في معنى الخمر يخطب به عمر بالمدينة على المنبر بحضر الصحابة وهم اهل اللسان ولم يفهموا من الخمر الا ما ذكرنا واذا ثبت هذا بطل مذهب ابي حنيفة والكوفيين القايلين بان الخمر لا يكون الا من العنب وما كان من غيره لا يسمى خمرا ولا يتناوله اسم الخمر وانما يسمى نبيذا وقال الشاعر تركت النبيذ لاهل النبيذ وصرت حليفا لمن عابه شراب يدنس عرض الفتى ويفتح للشر ابوابه الرابعة قال ابو عبد الله المزني مذهب جمهور العلماء من السلف وغيرهم ان كل ما يسكر نوعه حرم شربه قليلا كان او كثيرا نيا كان او مطبوخا ولا فرق بين المستخرج من عنب او غيره وان من شرب شيئا من ذلك حد فاما المستخرج من العنب المسكر التي فهو الذي انعقد الاجماع على تحريم كثيره وقليله ولو نقطة منه واما ما عدا ذلك فالجمهور على تحريمه وخالف الكوفيون في القليل ما عدا ما ذكر وهو الذي لا يبلغ الاسكار وفي المطبوخ المستخرج من العنب فذهب قوم من اهل البصرة الى قصر التحريم على عصير العنب ونقيع الزبيب النيء فاما المطبوخ منهما والنيء والمطبوخ مما سواهما فحلال ما لم يقع الاسكار وذهب ابو حنيفة الى قصر التحريم على المعتصر من ثمرات النخيل والاعناب على تفصيل فيرى ان سلافة العنب يحرم قليلها وكثيرها الا ان تطبخ حتى ينقص ثلثاها واما نقيع الزبيب والتمر فيحل مطبوخهما وان مسته النار مسا قليلا من غير اعتبار بحد واما النيء منه فحرام ولكنه مع تحريمه اياه لا يوجب الحد فيه وهذا كله ما لم يقع الاسكار فان وقع الاسكار استوى الجميع قال شيخنا ابو العباس رضي الله عنه العجب من المخالفين في هذه المسئلة فانهم قالوا ان القليل من الخمر المعتصر من العنب حرام ككثيره وهو مجمع عليه فاذا قيل لهم فلم حرم القليل من الخمر وليس مذهبا للعقل فلا بد ان يقال لانه داعية الى الكثير او للتعبد فحينئذ يقال لهم كلما قدرتموه من قليل الخمر هو بعينه موجود في قليل النبيذ فيحرم ايضا اذ لا فارق بينهما الا مجرد الاسم اذا سلم ذلك وهذا القياس ارفع انواع القياس لان الفرع فيه مساو للاصل في جميع اوصافه وهذا كما تقول في قياس الامة على العبد في سراية العتق ثم العجب من ابي حنيفة واصحابه فانهم يتوغلون في القياس ويرجحونه على اخبار الاحاد ومع ذلك فقد تركوا هذا القياس الجلي المعضود بالكتاب والسنة واجماع صدر الامة لاحاديث لا يصح منها شي على ما قد بين عللها المحدثون في كتبهم وليس في الصحاح شي منها وسياتي في سورة النحل تمام هذه المسئلة ان شاء الله تعالى الخامسة قوله تعالى فيما طعموا اصل هذه اللفظة في الاكل يقال طعم الطعام وشرب الشراب لكن قد تجوز في ذلك فيقال لم اطعم خبزا ولا ماء ولا نوما قال الشاعر نعاما بوجرة صعر الخدود ما يطعم النوم الا صياما وقد تقدم القول في البقرة في قوله ومن لم يطعمه بما فيه الكفاية السادسة قال ابن خواز منداد تضمنت هذه الاية تناول المباح والشهوات والانتفاع بكل لذيذ من مطعم ومشرب ومنكح وان بولغ فيه وتنوهي في ثمنه وهذه الاية نظير قوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ونظير قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق السابعة قوله تعالى اذا ما اتقوا وامنوا الى قوله المحسنين فيه اربعة اقوال الاول انه ليس في ذكر التقوى

تكرار والمعنى اتقوا شربها وامنوا بتحريمها ومعنى الثاني دام اتقاؤهم وايمانهم والثالث على معنى الاحسان الى الاتقا الثاني اتقوا قبل التحريم في غيرها من المحرمات ثم اتقوا بعد تحريمها شربها ثم اتقوا فيما بقي من اعمالهم واحسنوا العمل الثالث اتقوا الشرك وامنوا بالله ورسوله ومعنى الثاني ثم اتقوا الكباير وازدادوا ايمانا ومعنى الثالث ثم اتقوا الصغاير واحسنوا اي تنفلوا وقال محمد بن جرير الاتقاء الاول هو الاتقا بتلقي امر الله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل والاتقا الثاني الاتقاء بالثبات على التصديق والثالث الاتقاء بالاحسان والتقرب بالنوافل الثامنة قوله ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين دليل على ان المتقي المحسن افضل من المتقي المومن الذي عمل الصالحات فضله باجر الاحسان التاسعة قد تاول هذه الاية قدامة بن مظعون الجمحي من الصحابة رضي الله عنهم وهو ممن هاجر الى ارض الحبشة مع اخويه عثمان وعبد الله ثم هاجر الى المدينة وشهد بدرا وكان ختن عمر بن الخطاب خال عبد الله وحفصة وولاه عمر بن الخطاب على البحرين ثم عزله بشهادة الجارود سيد عبد القيس عليه بشرب الخمر روى الدارقطني قال حدثنا ابو الحسن علي بن محمد حدثنا يحيى بن ايوب العلاف حدثني سعيد بن عفير حدثني يحيى بن فليح بن سليمان قال حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس ان الشراب كانوا يضربون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالايدي والنعال والعصي حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان في خلافة ابي بكر اكثر منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر يجلدهم اربعين حتى توفي ثم كان عمر من بعده فجلدهم كذلك اربعين حتى اتي برجل من المهاجرين الاولين وقد شرب فامر به ان يجلد فقال لم تجلدني بيني وبينك كتاب الله قال وفي اي كتاب الله تجد الا اجلدك فقال له ان الله تعالى يقول في كتابه ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية فانا من الذين امنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا واحسنوا شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها فقال عمر الا تردون عليه ما يقول فقال ابن عباس ان هولاء نزلن عذرا لمن غبر وحجة على الناس لان الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الاية ثم قرا حتى انفذ الاية الاخرى فان كان من الذين امنوا وعملوا الصالحات فان الله قد نهاه ان يشرب الخمر فقال عمر صدقت فماذا ترون فقال علي رضي الله عنه انه اذا شرب سكر واذا سكر هذى واذا هذى افترى وعلى المفتري ثمانون جلدة فامر عمر به فجلد ثمانين وذكر الحميدي عن ابي بكر البرقاني عن ابن عباس قال لما قدم الجارود من البحرين قال يا امير المومنين ان قدامة بن مظعون قد شرب مسكرا واني اذا رايت حقا من حقوق الله تعالى حق علي ان ارفعه اليك فقال عمر من يشهد على ما تقول فقال ابو هريرة فدعا عمر ابا هريرة فقال علام تشهد يا ابا هريرة فقال لم اره حين شرب ورايته سكران يقي فقال عمر لقد تنطعت في الشهادة ثم كتب عمر الى قدامة وهو بالبحرين يامره بالقدوم عليه فلما قدم قدامة والجارود بالمدينة كلم الجارود عمر فقال اقم على هذا كتاب الله فقال عمر للجارود اشهيد انت ام خصم فقال الجارود انا شهيد قال قد كنت اديت الشهادة ثم قال لعمر اني انشدك الله فقال عمر اما والله لتملكن لسانك او لاسونك فقال الجارود اما والله ما ذلك بالحق ان يشرب ابن عمك وتسوني فاوعده عمر فقال ابو هريرة وهو جالس يا امير المومنين ان كنت تشك في شهادتنا فسل بنت الوليد امراة ابن مظعون فارسل عمر الى هند ينشدها بالله فاقامت هند على زوجها الشهادة فقال عمر يا قدامة اني جالدك فقال قدامة والله لو شربت كما يقولون ما

كان لك ان تجلدني يا عمر قال ولم يا قدامة قال لان الله سبحانه يقول ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية فقال عمر اخطات التاويل يا قدامة اذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله ثم اقبل عمر على القوم فقال ما ترون في جلد قدامة فقال القوم لا نرى ان تجلده ما دام وجعا فسكت عمر عن جلده ثم اصبح يوما فقال لاصحابه ما ترون في جلد قدامة فقال القوم لا نرى ان تجلده ما دام وجعا فقال عمر انه والله لان يلقى الله تحت السوط احب الي ان القى الله وهو في عنقي والله لاجلدنه ايتوني بسوط فاتوه بسوط دقيق صغير فاخذه عمر فمسحه بيده ثم قال لاسلم اخذتك اقرارة اهلك ايتوني بسوط غير هذا قال فجاه اسلم بسوط تام فامر عمر بقدامة فجلد فغاضب قدامة عمر وهجره فحجا وقدامة مهاجر لعمر حتى قفلوا عن حجهم ونزل عمر بالسقيا ونام بها فلما استيقظ عمر قال عمر على بقدامة انطلقوا فاتوني به فوالله لارى في النوم انه جاءني ات فقال سالم قدامة فانه اخوك فلما جاوا قدامة ابى ان ياتيه فامر عمر بقدامة ان يجر اليه حتى كلمه عمر واستغفر له فكان اول صلحهما قال ايوب بن ابي تميمة لم يحد احد من اهل بدر في الخمر غيره قال ابن العربي فهذا يدلك على تاويل الاية وما ذكر فيه ابن عباس في حديث الدارقطني وعمر في حديث البرقاني وهو صحيح وبسطه انه لو كان من شرب الخمر واتقى الله في غيره ما حد على الخمر احد فكان هذا من افسد تاويل وقد خفي على قدامة وعرفه من وفقه الله كعمر وابن عباس، وان امرا لا ارى الدهر باكيا على شجوه الا بكيت على عمر، وروي ان قوما شربوا بالشام وقالوا هي لنا حلال وتاولوا هذه الاية فاجمع علي وعمر على ان يستتابوا فان تابوا والا قتلوا ذكره الكيا يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم فيه ثمان مسائل الاولى قوله تعالى ليبلونكم الله والابتلاء الاختبار وكان الصيد احد معايش العرب العاربة وشايعا عند الجميع مستعملا جدا فابتلاهم الله تعالى فيه مع الاحرام والحرم كما ابتلى بني اسرائيل في ان لا يعتدوا في السبت وقيل انها نزلت عام الحديبية احرم بعض الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحرم بعضهم فكان اذا عرض صيد اختلفت فيه احوالهم وافعالهم واشتبهت احكامه عليهم فانزل الله هذه الاية بيانا لاحكام احوالهم وافعالهم ومحظورات حجهم وعمرتهم الثانية اختلف العلماء من المخاطب بهذه الاية على قولين احدهما انهم المحلون قاله مالك الثاني انهم المحرمون قاله ابن عباس وتعلق بقوله تعالى ليبلونكم فان تكليف الامتناع الذي يتحقق به الابتلاء هو مع الاحرام قال ابن العربي وهذا لا يلزم فان التكليف يتحقق في المحل بما شرط له من امور الصيد وما شرع له من وصفه في كيفية الاصطياد والصحيح ان الخطاب في الاية لجميع الناس محلهم ومحرمهم لقوله تعالى ليبلونكم اي ليكلفنكم والتكليف كله ابتلاء وان تفاضل في الكثرة والقلة وتباين في الضعف والشدة الثالثة قوله تعالى بشيء من الصيد يريد ببعض الصيد فمن للتبعيض وهو صيد البر خاصة ولم يعم الصيد لان للبحر صيدا قاله الطبري وغيره واراد بالصيد المصيد لقوله تعالى تناله ايديكم الرابعة قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم بيان لحكم صغار الصيد وكباره وقرا ابن وثاب والنخعي يناله بالياء المنقوطة من تحت قال مجاهد الايدي تنال الفراخ والبيض وما لا يستطيع ان يفر والرماح تنال كبار الصيد وقال ابن وهب قال مالك قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم فكل شيء تناوله الانسان بيده او برمحه او بشيء من سلاحه فقتله فهو صيد كما قال تعالى الخامسة خص الله تعالى الايدي بالذكر لانها اعظم التصرف في الاصطياد وفيها تدخل الجوارح والحبالات

وما عمل باليد من فخاخ وشباك وخص الرماح بالذكر لانها اعظم ما يجرح به الصيد وفيها يدخل السهم
ونحوه وقد مضى القول فيما يصاد به من الجوارح والسهام فى اول السورة بما فيه كفاية والله اعلم
السادسة ما وقع فى الفخ والحبالة فلربها فان الجا الصيد اليها احد ولولاها لم يتهيا له اخذه فربها
فيه شريكه وما وقع فى الجبح المنصوب فى الجبل من ذباب النحل فهو كالحبالة والفخ وحمام الابرجة يرد على
اربابها ان استطيع ذلك وكذلك نحل الجباح وقد روي عن مالك وقال بعض اصحابه انه ليس على من
حصل الحمام او النحل عنده ان يرده ولو الجات الكلاب صيدا فدخل فى بيت احد وداره فهو للصايد
مرسل الكلاب دون صاحب البيت ولو دخل فى البيت من غير اضطرار الكلاب له فهو لرب البيت
السابعة احتج بعض الناس على ان الصيد للاخذ لا للمثير بهذه الاية لان المثير لا يده ولا رمحه
بعد شيئا وهو قول ابي حنيفة الثامنة كره مالك صيد اهل الكتاب لقوله تعالى تناله ايديكم
ورماحكم يعني اهل الايمان لقوله تعالى فى صدر الاية يا ايها الذين امنوا فخرج عنهم اهل الكتاب
وخالفه جمهور اهل العلم لقوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وهو عندهم مثل ذبايحهم
واجاب علماؤنا بان الاية انما تضمنت اكل طعامهم والصيد باب اخر فلا يدخل فى عموم الطعام ولا
يتناوله مطلق لفظه قال المؤلف رحمه الله هذا بناء على ان الصيد ليس مشروعا عندهم فلا يكون
من طعامهم فيسقط عنا هذا الالزام فاما ان كان مشروعا عندهم فى دينهم فيلزمنا اكله لتناول
اللفظ له فانه من طعامهم والله اعلم يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله
منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام
مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفى الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه
والله عزيز ذو انتقام فيه ثلاثون مسئلة الاولى هذا خطاب عام لكل مسلم ذكر وانثى وهذا النهي
هو الابتلاء المذكور فى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد وروي ان
ابا اليسر واسمه عمرو بن مالك الانصاري كان محرما عام الحديبية بعمرة فقتل حمار وحش فنزلت
فيه لا تقتلوا الصيد وانتم حرم الثانية قوله تعالى لا تقتلوا الصيد القتل هو كل فعل يفيت
الروح وهو انواع منها الذبح والنحر والخنق والرضخ وشبهه فحرم الله تعالى على المحرم فى الصيد
كل فعل مفيت للروح الثالثة من قتل صيدا او ذبحه فاكل منه فعليه جزء واحد لقتله دون
اكله وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة عليه جزء ما اكل قيمته وخالفه صاحباه فقالا لا شيء
عليه سوى الاستغفار لانه تناول الميتة كما لو تناول ميتة اخرى ولهذا لو اكلها محرم اخر
لا يلزمه الا الاستغفار وحجة ابي حنيفة انه تناول محظور احرامه لان قتله كان من محظورات
الاحرام ومعلوم ان المقصد من القتل هو التناول فاذا كان ما يتوصل به الى المقصود محظور احرامه
موجبا عليه الجزا كان المقصود اولى الرابعة لا يجوز عندنا ذبح المحرم الصيد لنهي الله تعالى
المحرم عن قتله وبه قال ابو حنيفة ذبح المحرم للصيد ذكاة وتعلق بانه ذبح صدر من اهله
وهو المسلم مضافا الى محله وهو الانعام فافاد مقصوده من اجل الاكل اصله ذبح الحلال قلنا
قولكم ذبح صدر من اهله فالمحرم ليس باهل لذبح الصيد اذ الاهلية لا تستفاد عقلا
وانما يفيدها الشرع وذلك باذنه فى الذبح او بنفيها وذلك بنهيه عن الذبح والمحرم منهي
عن الذبح لقوله لا تقتلوا الصيد فقد انتفت الاهلية بالنهي وقولكم افاد مقصوده فقد
اتفقنا على ان المحرم اذا ذبح الصيد لا يحل له اكله وانما ياكل منه غيره عندكم فاذا كان الذبح
لا يفيد الحل للذابح فاحرى واولى لا يفيده لغيره لان الفرع تبع للاصل فى احكامه فلا يصح ان

يثبت له ما لا يثبت لاصله الخامسة قوله تعالى الصيد مصدر عومل معاملة الاسماء فاوقع على الحيوان
الصيد ولفظ الصيد هنا عام فى كل صيد بري وبحري حتى جاء قوله تعالى وحرم عليكم صيد البر فاباح
صيد البحر مطلقا على ما ياتي بيانه بعد هذا ان شاء الله تعالى السادسة اختلف العلماء فى خروج
السباع من صيد البر وتخصيصها منه فقال مالك كل شيء لا يعدو من السباع مثل الهر والثعلب
والضبع وما اشبهها فلا يقتله المحرم وان قتله فداه قال وصغار الذياب مثل فراخ الغربان
ولا باس بقتل كل ما عدا على الناس فى الاغلب مثل الاسد والذيب والنمر والفهد وكذلك لا باس
عليه بقتل الحيات والعقارب والفارة والغراب والحداة قال اسمعيل انما ذلك لقوله عليه الصلاة
والسلام خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم الحديث فسماهن فساقا ووصفهن بافعالهن لان الفاسق
فاعل والصغار لا فعل لهن ووصف الكلب بالعقور واولاده لا تعقر فلا تدخل فى هذا النعت قال
اسمعيل الكلب العقور مما يعظم ضرره على الناس قال ومن ذلك الحية والعقرب لانه يخاف منهما
وكذلك الحداة والغراب لانهما يخطفان اللحم من ايدي الناس قال ابن بكير انما اذن فى قتل العقرب
لانها ذات حمة وفى الفارة لقرضها السقا والحذا اللذين بهما قوام المسافر وفى الغراب لوقوعه
على الظهر ونقبه من لحومها وقد روي عن مالك انه قال لا يقتل الغراب ولا الحداة الا ان يضرا
قال اسمعيل واختلف فى الزنبور فشبهه بعضهم بالحية والعقرب قال ولولا ان الزنبور لا يعتدي
لكان اغلظ على الناس من الحية والعقرب ولكنه ليس فى طبعه من العداء ما فى الحية والعقرب
وانما يحمي الزنبور اذا اوذي قال فان عرض الزنبور لاحد فدفعه عن نفسه لم يكن عليه شيء فى قتله
وثبت عن عمر بن الخطاب اباحة قتل الزنبور وقال مالك يطعم قاتله شيئا وكذلك قال
مالك فيمن قتل البرغوث والذباب والنمل ونحوه وقال اصحاب الراي لا شيء على قاتل هذه كلها
وقال ابو حنيفة لا يقتل المحرم من السباع الا الكلب العقور والذيب خاصة سواء ابتداه او ابتداهما
وان قتل غيرهما من السباع فداه قال فان ابتداه غيرهما من السباع فقتله فلا شيء عليه قال
ولا شيء عليه فى قتل الحية والعقرب والغراب والحداة هذا جملة قول ابي حنيفة واصحابه الا
زفر وبه قال الاوزاعي والثوري والحسن واحتجوا بان النبي صلى الله عليه وسلم حصر دواب باعيانها
وارخص للمحرم فى قتلها من اجل ضررها فلا وجه ان يزاد عليها الا ان يجمعوا على شيء فيدخل فى
معناها قال المؤلف رحمه الله العجب من ابي حنيفة رحمه الله يحمل التراب على البر بعلة الكيل
ولا يحمل السباع العادية على الكلب بعلة الفسق والعقر كما فعل مالك والشافعي رحمهما
الله وقال زفر بن الهذيل لا يقتل الا الذيب وحده ومن قتل غيره وهو محرم فعليه الفدية
سواء ابتداه او لم يبتديه لانه عجما فكان فعله هدرا وهذا رد للحديث ومخالف له وقال
الشافعي كل ما لا يوكل لحمه فللمحرم ان يقتله وصغار ذلك وكباره سواء الا السمع وهو المتولد
بين الذيب والضبع قال وليس فى الرخمة والخنافس والقردان والحلم وما لا يوكل لحمه شيء لان
هذا ليس من الصيد لقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فدل على ان الصيد الذي
حرم عليهم ما كان لهم قبل الاحرام حلالا حكى عنه هذه الجملة المزني والربيع فان قيل
فلم يفدي القملة وهي توذي ولا توكل قيل له ليس يفدي الا على ما يفدي به الشعر والظفر ولبس
ما ليس له لبسه لان فى طرح القملة اماطة الاذى عن نفسه اذا كانت فى راسه ولحيته فكانه
اماط بعض شعره فاما اذا ظهرت فقتلت فانه لا يفدي وقول ابي ثور فى هذا الباب كقول
الشافعي قاله ابو عمر السابعة روت الايمة عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحداة والعقرب والفارة والكلب العقور
واللفظ للبخاري وبه قال احمد واسحق وفي كتاب مسلم عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والعقرب والغراب الابقع خاصة والكلب العقور
والحديا وبه قال طايفة من اهل العلم قالوا لا يقتل من الغربان الا الابقع خاصة لانه تقييد مطلق
وفي كتاب ابي داود عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ويرمي الغربان ولا يقتله وبه قال
مجاهد وجمهور العلماء على القول بحديث ابن عمر والله اعلم وعند ابي داود والترمذي والسبع
العادي وهو تنبيه على العلة الثامنة قوله تعالى وانتم حرم عام في النوعين من الرجال والنسا
الاحرار والعبيد يقال رجل حرام وامراة حرام وجمع ذلك حرم كقولهم قذال وقذل واحرم الرجل
دخل الحرم كما يقال اسهل دخل السهل وهذا اللفظ يتناول الزمان والمكان وحالة الاحرام بالاشتراك
لا بالعموم يقال رجل حرام اذا دخل في الاشهر الحرم او في الحرم او تلبس بالاحرام الا ان تحريم الزمان
خرج بالاجماع عن ان يكون معتبرا وبقي تحريم المكان وحالة الاحرام على اصل التكليف قاله ابن
العربي التاسعة حرم المكان حرمان حرم المدينة وحرم مكة وزاد الشافعي الطايف عنده قطع
شجره ولا صيد صيده ومن فعل ذلك فلا جزا عليه فاما حرم المدينة فلا يجوز فيه الاصطياد
لاحد ولا قطع شجر كحرم مكة فان فعل اثم ولا جزا عليه عند مالك والشافعي واصحابهما وقال
ابن ابي ذئب عليه الجزا وقال سعد جزاوه اخذ سلبه وروي عن الشافعي وقال ابو حنيفة صيد
المدينة غير محرم وكذلك قطع شجرها واحتج له بعض من ذهب مذهبه بحديث سعد بن ابي
وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من وجدتموه يصيد في حدود المدينة او يقطع شجرها
فخذوا سلبه واخذ سعد سلب من فعل ذلك قال وقد اتفقت الفقهاء على انه لا يوخذ
سلب من صاد في المدينة فدل ذلك على انه منسوخ واحتج لهم الطحاوي ايضا بحديث انس
ما فعل النغير فلم ينكر صيده ولا امساكه وهذا كله لا حجة فيه اما الحديث الاول فليس بالقوي
ولو صح لم يكن في نسخ اخذ السلب ما يسقط ما صح من تحريم المدينة فكم من محرم ليس عليه عقوبة
في الدنيا واما الحديث الثاني فيجوز ان يكون صيد في غير الحرم وكذلك حديث عايشة انه
كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحش فاذا خرج لعب واشتد واقبل وادبر فاذا احس
برسول الله صلى الله عليه وسلم ربض فلم يترمرم كراهية ان يوذيه ودليلنا عليهم ما رواه مالك
عن ابن شهاب عن سعيد ابن المسيب ان ابا هريرة قال لو رايت الظباء ترتع بالمدينة ما
ذعرتها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتيها حرام فقول ابي هريرة ما ذعرتها دليل على
انه لا يجوز ترويع الصيد في حرم المدينة كما لا يجوز ترويعه في حرم مكة وكذلك نزع زيد بن
ثابت النهس وهو طاير من يد شرحبيل بن سعد كان صاده بالمدينة دليل على ان الصحابة
فهموا مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحريم صيد المدينة فلم يجيزوا فيها الاصطياد ولا
تملك ما يصطاد ومتعلق ابن ابي ذئب قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح اللهم ان ابراهيم حرم
مكة واني احرم المدينة بمثل ما حرم به مكة ومثله معه لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها
ولا ينفر صيدها ولانه حرم منع الاصطياد فيه فتعلق الجزاء به كحرم مكة قال القاضي عبد
الوهاب وهذا القول اقيس عندي على اصولنا لا سيما ان المدينة عند اصحابنا افضل من
مكة وان الصلاة فيها افضل من الصلاة في المسجد الحرام ومن حجة مالك والشافعي في ان
لا يحكم عليه بجزا ولا اخذ سلب في المشهور من قولي الشافعي عموم قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح

للمدينة

المدينة حرام ما بين عير الى ثور فمن احدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه يوم القيمة صرفا ولا عدلا فارسل صلى الله عليه وسلم الوعيد الشديد ولم يذكر كفارة واما
ما ذكر عن سعد فذلك مذهب له مخصوص به لما روي عنه في الصحيح انه ركب الى قصره بالعقيق فوجد
عبدا يقطع شجرا او يخبطه فسلبه فلما رجع سعد جاءه اهل العبد فكلموه ان يرد على غلامهم او عليهم
ما اخذ من غلامهم فقال معاذ الله ان ارد شيئا نفلنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى ان يرد عليهم
فقوله نفلنيه ظاهره الخصوص والله اعلم العاشرة قوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا ذكر الله سبحانه
التعمد ولم يذكر المخطي والناسي والمتعمد هو القاصد للشي مع العلم بالاحرام والمخطي هو الذي يقصد شيئا
فيصيب صيدا والناسي هو الذي يتعمد الصيد ولا يذكر احرامه واختلف العلماء في ذلك على خمسة اقوال
الاول ما اسنده الدارقطني عن ابن عباس قال انما التكفير في العمد وانما غلظوا في الخطا لئلا يعودوا الثاني
ان قوله متعمدا خرج على الغالب فالحق به النادر كاصول الشريعة الثالث انه لا شي على المخطي وبه
قال الطبري واحمد بن حنبل في احدى روايتيه عن ابن عباس وسعيد ابن جبير وبه قال طاوس وابو
ثور وهو قول داود وتعلق احمد بان قال لما اخص الله سبحانه المتعمد بالذكر دل على ان غيره بخلافه
وزاد بان قال الاصل براة الذمة فمن ادعى شغلها فعليه الدليل الرابع ان يحكم عليه في العمد والخطاء
والنسيان قاله ابن عباس وروي عن عمر وطاوس والحسن وابراهيم والزهري وبه قال مالك والشافعي
وابو حنيفة واصحابهم قال الزهري وجب الجزا في العمد بالقران وفي الخطا والنسيان بالسنة قال ابن
العربي ان كان يريد بالسنة الاثار التي وردت عن ابن عباس فنعما هي وما احسنها اسوة الخامس ان يقتله
متعمدا لقتله ناسيا لاحرامه وهو قول مجاهد لقوله تعالى بعد ذلك ومن عاد فينتقم الله منه قال
ولو كان ذاكرا لاحرامه لوجبت عليه العقوبة لاول مرة قال فدل على انه اراد متعمدا لقتله ناسيا
لاحرامه قال مجاهد فان كان ذاكرا لاحرامه فقد حل ولا حج له لارتكابه محظور احرامه فبطل عليه كما
لو تكلم في الصلاة او احدث فيها قال ومن اخطا فذلك الذي يجزيه ودليلنا على مجاهد ان الله سبحانه
اوجب الجزاء ولم يذكر الفساد ولا فرق بين ان يكون ذاكرا للاحرام او ناسيا له ولا يصح اعتبار الحج بالصلاة
فانهما مختلفان وقد روي عنه انه لا حكم عليه في قتله متعمدا ويستغفر الله وحجه تام وبه قال ابن
زيد ودليلنا على داود ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الضبع فقال هي صيد وجعل فيها اذا اصابها
المحرم كبشا ولم يقل عمدا ولا خطأ وقال ابن بكير من علمائنا قوله سبحانه متعمدا لم يرد به التجاوز
عن الخطا وانما اراد متعمدا تبيين انه ليس كابن ادم الذي لم يجعل في قتله متعمدا كفارة وان الصيد
فيه كفارة ولم يرد به اسقاط الجزاء في قتل الخطا والله اعلم الحادية عشر فان قتله في احرامه
مرة بعد مرة حكم عليه كلما قتله في قول مالك والشافعي وابي حنيفة وغيرهم لقول الله تعالى يا
ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فالنهي
دايم مستمر عليه ما دام محرما فمتى قتله فالجزا لاجل ذلك لازم وروي عن ابن عباس قال لا يحكم عليه مرتين
في الاسلام ولا يحكم عليه الا مرة واحدة فان عاد ثانية فلا يحكم عليه ويقال له ينتقم الله منك
لقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله وبه قال الحسن وابراهيم ومجاهد وشريح ودليلنا عليهم ما ذكرناه
من تمادي التحريم في الاحرام ويتوجه الخطاب عليه في دين الاسلام الثانية عشر قوله تعالى فجزاء
مثل ما قتل من النعم فيه اربع قراءات فجزاء مثل برفع جزاء وتنوينه ومثل على الصفة والخبر مضمر
التقدير فعليه جزاء مماثل واجب او لازم من النعم وهذه القراءة تقتضي ان يكون المثل هو الجزاء بعينه
وجزاء بالرفع غير منون ومثل بالاضافة اي فعليه جزاء ما قتل ومثل مقحمة كقولهم انا اكرم مثلك وانت

تقصد انا اكومك ونظير هذا قوله تعالى اومن كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس
كمن مثله في الظلمات التقدير كمن هو في الظلمات وقوله ليس كمثله شيء اي ليس كهو شيء و هذه القراءة
تقتضي ان يكون الجزا غير المثل اذ الشيء لا يضاف الى نفسه وقال ابو علي انما يجب عليه جزا المقتول لا جزاء
مثل المقتول والاضافة توجب جزا المثل لا جزاء المقتول وهو قول الشافعي على ما ياتي وقوله من النعم
صفة لجزاء على القراءتين جميعا وقرء الحسن من النعم باسكان العين وهي لغة وقرء عبد الرحمن فجزاءٌ
بالرفع والتنوين مثلاً بالنصب قال ابو الفتح مثلاً منصوبة بنفس الجزا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما
قتل وقرء ابن مسعود والاعمش فجزاؤه مثل بالظهار هاء ويحتمل ان يعود على الصيد او على الصايد والها
الثالثة عشر الجزاء انما يجب بقتل الصيد لا بنفس اخذه كما قال تعالى وفي المدونة من اصطاد طايرا
فنتف ريشه ثم حبسه حتى نسل ريشه فطار لا جزاء عليه وكذلك لو قطع يد صيد او رجله او شيئا
من اعضائه وسلمت نفسه وصح ولحق بالصيد فلا شيء عليه وقيل عليه من الجزاء بقدر ما نقصه ولو ذهب
فلم يدر ما فعل فعليه جزاؤه ولو زمن الصيد وان تركه مخوفا عليه فعليه جزاؤه كاملا الرابعة عشر
ما يجزي من الصيد شيئان دواب وطير فيجزي ما كان من الدواب بنظيره في الخلقة والصورة ففي
النعامة بدنة وفي حمار الوحش وبقره بقرة وفي الضبع شاة وبه قال الشافعي واقل ما يجزي عند
مالك ما استيسر من الهدي وكان ضحية وذلك الجذع من الضان والثني مما سواه ولم يبلغ جزاؤه
ذلك ففيه الطعام او صيام وفي الحمام كله قيمته الا حمام مكة فان في الحمام منه شاة اتباعا للسلف في
ذلك والدبسي والفواخت والقمري وذوات الاطواق كله حمام وحكى ابن عبد الحكم عن مالك ان في حمام
مكة وفراخها شاة قال وكذلك حمام الحرم قال وفي حمام الحل حكومة وقال ابو حنيفة انما يعتبر
المثل في القيمة دون الخلقة فيقوم الصيد دراهم في المكان الذي قتله او في اقرب موضع اليه ان
كان لا يباع الصيد في موضع قتله فيشتري بتلك القيمة هديا ان شاء او اشترى بها طعاما
ويطعم المساكين كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من شعير او صاعا من تمر واما الشافعي فانه
يرى المثل من النعم هو الاصل في الوجوب وهذا بين وعليه تخرج قراءة الاضافة فجزاء مثل
احتج ابو حنيفة فقال لو كان الشبه من طريق الخلقة معتبرا في النعامة بدنة وفي الحمار بقرة وفي
الظبي شاة لما اوقفه على عدلين يحكمان به لان ذلك قد علم فلا يحتاج الى الارتيا والنظر وانما يفتقر
الى العدول والنظر ما يشتبه الحال فيه ويضطرب وجه النظر عليه ودليلنا عليه قوله تعالى
فجزاء مثل ما قتل من النعم الاية فالمثل يقتضي بظاهره المثل الخلقي الصوري دون المعنى ثم قال من
النعم فبين جنس المثل ثم قال يحكم به ذوا عدل منكم وهذا ضمير راجع الى مثل النعم لانه لا يتقدم ذكر
لسواه يرجع الضمير عليه ثم قال هديا بالغ الكعبة والذي يتصور فيه الهدي مثل المقتول
من النعم فاما القيمة فلا يتصور ان يكون هديا ولا جرى به ذكر في نفس الاية فصح ما ذكرناه والحمد
لله وقولهم لو كان الشبه معتبرا لما اوقفه على عدلين فالجواب ان اعتبار العدلين انما وجب
للنظر في حال الصيد من صغر وكبر وما لا جنس له مما له جنس والحاق ما لم يقع عليه نص بما
وقع عليه النص الخامسة عشر من احرم من مكة فاغلق باب بيته على فراخ حمام فعليه في كل فرخ
شاة قال مالك وفي فراخ الصيد مثل ما في كباره وهو قول عطا ولا يفدى عند مالك بعناق
ولا جفرة قال مالك وذلك مثل الدية الصغير والكبير فيها سواء وفي الضبع عنده واليربوع قيمتهما
طعاما ومن اهل المدينة من يخالفه في صغار الصيد وفي اعتبار الجذع والثني ويقول بقول عمر
في الارنب عناق وفي اليربوع جفرة رواه مرفوعا وروي ابو الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال

قال في الضبع اذا اصابه المحرم كبش وفي الظبي شاة وفي الارنب عناق وفي اليربوع جفرة قال والجفرة التي
قد ارتعت وفي طريق اخر قلت لابي الزبير وما الجفرة قال التي قد فطمت ورعت خرجه الدارقطني
وقال الشافعي في النعامة بدنة وفي فرخها فصيل وفي حمار الوحش بقرة وفي سخلة عجل لان الله تعالى
حكم بالمثلية في الخلقة والصغر والكبر متفاوتان فيجب اعتبار الصغير فيه والكبير كساير المتلفات قال ابن
العربي وهذا صحيح وهو اختيار علمائنا يشعر انه المشهور المختار وليس كذلك وانما هو صريح مذهبه
الشافعي رحمه الله قالوا ولو كان الصيد اعور او اعرج او كسيرا لكان المثل على صفته لتحقق المثلية فلا
يلزم المتلف فوق ما اتلف ودليلنا قوله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم ولم يفصل بين صغير وكبير وقوله
هديا يقتضي ما يتناوله اسم الهدي بحق الاطلاق وذلك يقتضي الهدي التام والله تعالى اعلم السادسة عشر
في بيض النعامة عشر ثمن البدنة عند مالك وفي بيض الحمام المكية عنده عشر ثمن الشاة قال ابن القاسم
وسواء كان فيها فرخ او لم يكن ما لم يستهل الفرخ بعد الكسر فان استهل فعليه الجزا كاملا كجزا كبير ذلك
الطير قال ابن المواز بحكومة عدلين واكثر العلماء يرون في بيض كل طاير القيمة وروي ذلك عن ابن عباس
عن كعب بن عجرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى في بيض نعام اصابه محرم بقدر ثمنه خرجه الدارقطني
وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل بيضة نعام صيام يوم او اطعام مسكين
السابعة عشر واما ما لا مثل له كالعصافير والفيلة فاما العصفور ففيه قيمة لحمه او عدله من الطعام دون
ما يراد له من الاعراض لان المراعى فيما له مثل وجوب مثله فان عدم المثل فالقيمة قايمة مقامه كالعبد
وغيره ولان الناس على مذهبين معتبر للقيمة في جميع الصيد ومقتصر بها على ما لا مثل له من النعم فقد
تضمن ذلك الاجماع على اعتبار القيمة فيما لا مثل له واما الفيل فقيل فيه بدنة من الهجان العظام
التي لها سنامان وهي بيض خراسانية فان لم يوجد شيء من هذه الابل فينظر في قيمته طعاما فيكون
عليه مثل ذلك والعمل فيه ان يجعل الفيل فيه في مركب وينظر الى ما ينتهي ما ينزل المركب في الماء ثم
يخرج الفيل ويجعل في المركب طعام حتى ينزل الى الحد الذي نزل والفيل فيه وهذا عدله من الطعام
واما ان ينظر الى قيمته فيكون له ثمن عظيم لاجل عظامه وانيابه فيكثر الطعام وذلك ضرر الثامنة
عشر قوله يحكم به ذوا عدل منكم روى مالك عن عبد الملك بن قرير عن محمد بن سيرين ان رجلا جاء الى
عمر ابن الخطاب فقال اني اجريت انا وصاحب لي فرسين نستبق الى ثغرة ثنية فاصبنا ظبيا ونحن
محرمان فماذا ترى فقال لرجل الى جنبه تعال حتى احكم انا وانت فحكما عليه بعنز فولى الرجل وهو يقول
هذا امير المؤمنين لا يستطيع ان يحكم في ظبي حتى دعا رجلا يحكم معه فسمع عمر ابن الخطاب قول الرجل
فدعاه فسأله هل تقرء سورة المائدة فقال لا قال فهل تعرف الرجل الذي حكم معي فقال لا قال
عمر رضي الله عنه لو اخبرتني انك تقرا سورة المائدة فقال لا قال فهل تعرف الرجل الذي حكم
لاوجعتك ضربا ثم قال ان الله سبحانه يقول في كتابه يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة
وهذا عبد الرحمن بن عوف التاسعة عشر اذا اتفق الحكمان لزم الحكم وبه قال الحسن والشافعي وان
اختلفا نظر في غيرهما وقال محمد بن المواز لا ياخذ بارفع من قولهما لانه عمل بغير تحكيم وكذلك لا ينتقل
عن المثل الخلقي اذا حكما به الى الطعام لانه امر قد لزم قاله ابن شعبان وقال ابن القاسم ان امرهما
بان يحكما بالجزا من المثل ففعلا فاراد ان ينتقل الى الطعام جاز وقال ابن وهب في العتبية من السنة
ان يخير الحكمان من اصاب الصيد كما خيره الله في ان يخرج هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام
مساكين او عدل ذلك صياما فان اختار الهدي حكما عليه بما يريانه نظيرا لما اصاب ما بينهما
وبين ان يكون عدل ذلك شاة لانها ادنى الهدي وما لم يبلغ شاة حكما فيه بالطعام ثم خير في ان

يطعمه او يصوم مكان كل مد يوما وكذلك قال مالك في المدونة الموفية عشرون ويستانف الحكم في
كل ما مضت فيه حكومة او لم تمض ولو اجتزى بحكومة الصحابة رضي الله عنهم فيما حكموا به من جزاء الصيد
كان حسنا وقد روي عن مالك انه ما عدا حمام مكة وحمار الوحش والظبي والنعامة لا بد فيه من
الحكومة ويجتزا في هذه الاربعة بحكومة من مضى من السلف رضي الله عنهم الحادية والعشرون
لا يجوز ان يكون الجاني احد الحكمين وبه قال ابو حنيفة وقال الشافعي يكون الجاني احد الحكمين
وهذا تسامح منه فان ظاهر الاية يقتضي جانيا وحكمين فحذف بعض العدد اسقاط للظاهر وافساد
للمعنى لان حكم المرء لنفسه لا يجوز ولو كان ذلك جائزا لاستغنى بنفسه عن غيره لانه حكم بينه وبين
الله تعالى فزيادة ثان اليه دليل على استيناف الحكم برجلين الثانية والعشرون اذا اشترك
جماعة محرمون في قتل صيد قال مالك وابو حنيفة على كل واحد جزاء كامل وقال الشافعي عليهم
كلهم كفارة واحدة لقضاء عمر وعبد الرحمن وروى الدارقطني ان موالي لابن الزبير احرموا اذ مرت
بهم ضبع فحذفوها بعصيهم فاصابوها فوقع في انفسهم فاتوا ابن عمر فذكروا له فقال عليكم كلكم كبش
قالوا او على كل واحد منا كبش قال انكم لمعزز بكم عليكم كلكم كبش قال اللغويون لمعزز بكم اي لمشدد
عليكم وروي عن ابن عباس في قوم اصابوا ضبعا قال عليهم كبش يتخارجونه بينهم ودليلنا قول الله
سبحانه وتعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم وهذا خطاب لكل قاتل وكل واحد من القاتلين للصيد
قاتل نفسا على التمام والكمال بدليل قتل الجماعة بالواحد ولولا ذلك ما وجب عليهم القصاص وقد قلنا
بوجوبه اجماعا ومنهم فثبت ما قلناه الثالثة والعشرون قال ابو حنيفة اذا قتل جماعة صيدا في
الحرم وهم محلون عليهم جزاء واحد بخلاف ما لو قتله المحرمون في الحل والحرم فان ذلك لا يختلف و
قال مالك على كل واحد منهم جزاء كامل بناء على ان الرجل يكون محرما بدخوله الحرم بتلبيته بالاحرام
وكل واحد من الفعلين قد اكسبه صفة تعلق بها نهي فهو هاتك لها في الحالتين ووجه ابي حنيفة
ما ذكره القاضي ابو زيد الدبوسي قال السر فيه ان الجناية في الاحرام على العبادة وقد ارتكب كل واحد
منهم محظور احرامه واذا قتل المحلون في الحرم فانما اتلفوا دابة محترمة بمنزلة ما لو اتلف جماعة
دابة فان كل واحد منهم قاتل دابة ويشتركون في القيمة وقال ابن العربي وابو حنيفة اقوى منا
وهذا التعليل يستهين به علماؤنا وهو عسير الانفصال علينا الرابعة والعشرون قوله تعالى
هديا بالغ الكعبة المعنى اذا حكمنا بالهدي فانه يفعل به ما يفعل بالهدي من الاشعار والتقليد
ويرسل من الحل الى مكة وينحر ويتصدق به فيها لقوله هديا بالغ الكعبة ولم يرد الكعبة بعينها
لان الهدي لا يبلغها اذ هي في المسجد وانما اراد الحرم ولا خلاف في هذا وقال الشافعي لا يحتاج الهدي
الى الحل بناء على ان الصغير من الهدي يجب في الصغير من الصيد فانه يبتاع في الحرم ويهدى فيه
الخامسة والعشرون قوله تعالى او كفارة طعام مساكين الكفارة انما هي عن الصيد لا عن الهدي
قال ابن العربي قال مالك احسن ما سمعت في الذي يقتل الصيد فيحكم عليه فيه انه يقوم الصيد
الذي اصاب فينظر كم ثمنه من الطعام فيطعم لكل مسكين مدا او يصوم مكان كل مد يوما وقال ابن
القاسم عنه ان قوم الصيد دراهم ثم قومها طعاما اجزاه والصواب الاول وقال عبد الله بن عبد
الحكم مثله قال عنه وهو في هذه الثلاثة بالخيار اي ذلك فعل اجزاه موسرا كان او معسرا وبه
قال عطاء وجمهور الفقهاء لان او للتخيير قال مالك كل شيء في كتاب الله في الكفارات كذا او كذا
فصاحبه مخير في ذلك اي ذلك احب ان يفعل فعل وروي عن ابن عباس انه قال اذا قتل المحرم
ظبيا او نحوه فعليه شاة تذبح بمكة فان لم يجد فاطعام ستة مساكين فان لم يجد فعليه صيام

ثلاثة ايام وان قتل ايلا او نحوه فعليه بقرة فان لم يجد اطعم عشرين مسكينا فان لم يجد فصيام
عشرين يوما وان قتل نعامة او حمارا فعليه بدنة من الطعام ثلثين مسكينا فان لم يجد فصيام ثلثين
يوما والطعام مد لشبعهم وقاله ابراهيم النخعي وحماد بن سلمة قالوا والمعنى او كفارة طعام ان لم يجد
الهدي وحكى الطبري عن ابن عباس انه قال اذا اصاب المحرم الصيد حكم عليه بجزائه فان وجد جزاءه
ذبحه وتصدق به وان لم يكن عنده جزاؤه قوم جزاؤه بدراهم ثم قومت الدراهم حنطة ثم صام مكان
كل نصف صاع يوما وقال انما اريد بالطعام تبيين امر الصيام فمن لم يجد طعاما فانه يجد جزاءه واسنده
ايضا عن السدي ويعترض هذا القول بظاهر الاية فانه ينافره السادسة والعشرون اختلف العلماء
في الوقت الذي يعتبر فيه المتلف فقال قوم يوم الاتلاف وقال اخرون يوم القضاء وقال اخرون يوم
التلف اكثر القيمتين من يوم الاتلاف الى يوم الحكم قال ابن العربي واختلف علماؤنا كاختلافهم والصحيح انه
يلزمه القيمة يوم الاتلاف والدليل على ذلك ان الوجوب كان حق المتلف عليه فاذا اعدمه لزمه
ايجاده بمثله وذلك في وقت العدم السابعة والعشرون اما الهدي فلا خلاف انه لا بد له من
مكة لقوله هديا بالغ الكعبة واما الاطعام فاختلف فيه قول مالك هل يكون بمكة او بموضع الاصابة
والى كونه بمكة ذهب الشافعي وقال عطاء ما كان من دم او طعام فبمكة ويصوم حيث شاء وهو قول مالك
في الصوم ولا خلاف فيه قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب ولا يجوز اخراج شيء من جزاء الصيد بغير
الحرم الا الصيام وقال حماد وابو حنيفة يكفر بموضع الاصابة مطلقا وقال الطبري يكفر حيث شاء
فاما قول ابي حنيفة فلا وجه له في النظر ولا اثر فيه واما من قال يصوم حيث شاء فلان الصوم
عبادة تختص بالصيام فيكون في كل موضع كصيام سائر الكفارات وغيرها واما وجه القول بان
الطعام يكون بمكة فلانه بدل عن الهدي او نظير له والهدي حق لمساكين مكة فلذلك يكون بمكة
بدله ونظيره واما من قال انه يكون بكل موضع فاعتبار بكل طعام وفدية فانها تجوز بكل موضع
والله اعلم الثامنة والعشرون قوله تعالى او عدل ذلك صياما العدل والعدل بفتح العين وكسرها
لغتان وهما المثل قاله الكسائي وقال الفراء عدل الشيء بكسر العين مثله من جنسه وبفتح العين مثله
من غير جنسه ويؤثر هذا القول عن الكسائي تقول عندي عدل دراهمك من الدراهم وعندي عدل
دراهمك من الثياب والصحيح عن الكسائي انهما لغتان وهو قول البصريين ولا يصح ان يماثل الصيام
الطعام في وجه اقرب من العدد قال مالك يصوم عن كل مد يوما وان زاد على شهرين او ثلثة
وبه قال الشافعي وقال يحيى بن عمير من اصحابنا انما يقال كم من رجل يشبع من هذا الصيد فيعرف
العدد ثم يقال كم من الطعام يشبع هذا العدد فان شاء اخرج ذلك الطعام وان شاء صام
عدد امداده وهذا قول حسن احتاط فيه لانه قد يكون قيمة الصيد من الطعام قليلة فبهذا
النظر يكثر الاطعام ومن اهل العلم من لا يرى ان يتجاوز في صيام الجزاء شهرين قالوا لانها اعلى
الكفارات واختاره ابن العربي وقال ابو حنيفة يصوم عن كل مدين يوما اعتبارا بفدية الاذى
التاسعة والعشرون قوله تعالى ليذوق وبال امره الذوق هنا مستعار كقوله تعالى ذق انك
انت العزيز الكريم وقال تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وحقيقة الذوق انما هي في
حاسة اللسان وهي في هذا كله مستعارة ومنه الحديث ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا والوبال
سوء العاقبة والمرعى الوبيل هو الذي يتاذى به بعد اكله وطعام وبيل اذا كان ثقيلا ومنه قوله
عقيلة شيخ كالوبيل يلندد وعبر بامره عن جميع حاله الموفية ثلاثون قوله تعالى عفا الله عما
سلف يعني في جاهليتكم من قتلكم الصيد قاله عطاء بن ابي رباح وجماعة معه وقيل قبل نزول

الكفارة ومن عاد يعني للنهي فينتقم الله منه اي بالكفارة وقيل المعنى فينتقم الله منه في الاخرة ان كان
مستحلا ويكفر في ظاهر الحكم وقال شريح وسعيد بن جبير يحكم عليه في اول مرة فان اعاد لم يحكم عليه وقيل
له اذهب ينتقم الله منك اي ذنبك اعظم من ان يكفر كما ان اليمين الفاجرة لا كفارة لها عند اكثر
اهل العلم لعظم اثمها والمتورعون يتقون النقمة بالتكفير وقد روي عن ابن عباس يملأ ظهره سوطا حتى
يموت وروي عن ابي العلا ان رجلا اصاب صيدا وهو محرم فتجوز عنه ثم عاد فانزل الله عز وجل
نارا من السماء فاحرقته وهذه عبرة للامة تكف المعتدين عن المعصية الحادية والثلاثون
قوله والله عزيز ذو انتقام عزيز اي منيع في ملكه ولا يمتنع عليه ما يريده ذو انتقام ممن عصاه ان
شاء قوله تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم
حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون فيه ثلاثة عشر مسئلة الاولى قوله احل لكم صيد البحر هذا حكم
بتحليل البحر وهو كل ما صيد من حيتانه والصيد هنا يراد به المصيد واضيف الى البحر لما كان منه بسبب
وقد مضى القول في البحر في البقرة ومتاعا نصب على المصدر اي متعتم به متاعا انتهى الثانية قوله
تعالى وطعامه الطعام لفظ مشترك ينطلق على كل ما يتطعم ويطلق على مطعوم خاص كالماء وحده
والبر وحده والتمر وحده واللبن وحده وقد يطلق على النوم كما تقدم وهو هنا عبارة عما قذف البحر
وطفا عليه اسند الدارقطني عن ابن عباس في قول الله عز وجل احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا
لكم الاية صيده ما صيد وطعامه ما لفظ وروي عن ابي هريرة مثله وهو قول جماعة كثيرة من
الصحابة والتابعين وروي عن ابن عباس طعامه ميتة وهو في ذلك المعنى وروي عنه انه قال
طعامه مالح منه وبقي وقاله معه جماعة وقال قوم طعامه ملحه الذي ينعقد من مائه وسائر
ما فيه من نبات وغيره الثالثة قال ابو حنيفة لا يؤكل السمك الطافي ويؤكل ما سواه من السمك ولا يؤكل
شيء من حيوان البحر الا السمك وهو قول الثوري في رواية ابي اسحق الفزاري عنه وكره الحسن اكل
الطافي من السمك وروي عن علي بن ابي طالب انه كرهه وروي عنه ايضا انه كره اكل الجري
وروي عنه اكل ذلك كله وهو اصح ذكره عبد الرزاق عن الثوري عن جعفر بن محمد عن علي قال
الجراد والحيتان ذكي فعلي مختلف فيه في اكل الطافي من السمك ولم يختلف عن جابر انه كرهه
وهو قول طاوس ومحمد بن سيرين وجابر بن زيد واحتجوا بعموم قوله تعالى حرمت عليكم الميتة
وبما رواه ابو داود والدارقطني عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كلوا ما حسر عنه
البحر وما القاه وما وجدتموه ميتا او طافيا فوق الماء فلا تاكلوه قال الدارقطني تفرد به عبد
العزيز بن عبيد الله عن وهب بن كيسان عن جابر وعبد العزيز ضعيف لا يحتج به وروى سفيان
الثوري عن ابي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه قال الدارقطني لم يسنده عن الثوري
غير ابي احمد وخالفه وكيع والوراق ومومل بن وابو عاصم وغيرهم رووه عن الثوري موقوفا وهو
الصواب وكذلك رواه ايوب السختياني وعبيد الله بن عمر وابن جريج وزهير وحماد بن سلمة
وغيرهم عن ابي الزبير موقوفا قال ابو داود وقد اسند هذا الحديث من وجه ضعيف عن ابن ابي
ذويب عن ابي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدارقطني وروي عن اسمعيل بن امية
وابن ابي ذويب عن ابي الزبير مرفوعا ولا يصح رفعه رفعه يحيى بن سليم عن اسمعيل بن امية ووقفه
غيره وقال مالك والشافعي وابن ابي ليلى والاوزاعي والثوري في رواية الاشجعي يؤكل ما في البحر
من السمك والدواب وساير ما في البحر من الحيوان وسواء اصطيد او وجد ميتا واحتج مالك ومن
تابعه بقوله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته واصح ما في هذا الباب من جهة

الاسناد

الاسناد حديث جابر في الحوت الذي يقال له العنبر وهو من اثبت الاحاديث خرجه الصحيحان
وفيه فلما قدمنا المدينة اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك فقال هو رزق اخرجه الله
لكم فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا فارسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فاكله لفظ مسلم واسند
الدارقطني عن ابن عباس انه قال اشهد على ابي بكر انه قال السمكة الطافية حلال لمن اراد اكلها
واسند عنه ايضا انه قال اشهد على ابي بكر انه قال السمك الطافي على الماء واسند عن ابي ايوب انه
ركب البحر في رهط من اصحابه فوجد واسمكة طافية على الماء فسالوه عنها فقال اطيبة هي لم تتغير
قالوا نعم قال فكلوها وارفعوا نصيبي منها وكان صايما واسند عن جبلة بن عطية ان اصحاب ابي طلحة
اصابوا سمكة طافية فسالوا عنها ابا طلحة فقال اهدوها الي وقال عمر بن الخطاب الحوت ذكي
والجراد ذكي كله رواه عنه الدارقطني فهذه الاثار ترد قول من كره ذلك وتخصيص عموم الاية وهو
حجة للجمهور الا ان مالكا كان يكره خنزير الماء من جهة اسمه ولم يحرمه وقال انتم تقولون خنزيرا
وقال الشافعي لا باس بخنزير الماء وقال الليث ليس بميتة البحر باس قال وكذلك كلب الماء وترس
الماء قال ولا يؤكل انسان الماء ولا خنزير الماء الرابعة اختلف العلماء في الحيوان الذي يكون في
البر والبحر هل يحل صيده للمحرام لا فقال مالك وابو مجلز وعطا وسعيد بن جبير وغيرهم كل ما
يعيش في البر وله فيه حياة ان قتله المحرم وداه وزاد ابو مجلز في ذلك الضفادع والسلاحف
والسرطان الضفادع واجناسها حرام عند ابي حنيفة ولا خلاف عند الشافعي في انه لا يجوز اكل
الضفادع واختلف قوله فيما شبيه في البر مما لا يؤكل كالخنزير والكلب وغير ذلك والصحيح اكل
ذلك كله لانه نص على الخنزير في جواز اكله وهو له شبه في البر مما لا يؤكل ولا يؤكل عنده التمساح
ولا القرش ولا الدلفين وكل ما له ناب لنهيه عليه الصلاة والسلام عن اكل كل ذي ناب قال ابن
عطية ومن هذه انواع لا زوال لها من الماء فهي لا محالة من صيد البحر وعلى هذا خرج جواب مالك
في الضفادع في المدونة فانه قال الضفادع من صيد البحر وروي عن عطا خلاف ما ذكرناه وهو انه يراعي
اكثر عيش الحيوان سئل عن ابن الماء اصيد بر هو ام صيد بحر فقال حيث يكون اكثر فهو منه وحيث
يفرخ فهو منه وهو قول ابي حنيفة والصواب في ابن الماء انه صيد بر يرعى ويأكل الحب قال
ابن العربي الصحيح في الحيوان الذي يكون في البر والبحر منعه لانه تعارض فيه دليلان دليل
تحليل ودليل تحريم فيغلب ذلك التحريم احتياطا الخامسة قوله تعالى وللسيارة فيه قولان
احدهما للمقيم وللمسافر كما جاء في حديث ابي عبيدة انهم اكلوه وهم مسافرون واكل النبي
صلى الله عليه وسلم وهو مقيم فبين الله تعالى انه حلال لمن اقام كما احله لمن سافر الثاني ان
السيارة هم الذين يركبونه كما جاء في حديث مالك والنسائي ان رجلا سال النبي صلى الله
عليه وسلم فقال انا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فان توضانا به عطشنا افنتوضأ
بماء البحر فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو الطهور ماؤه الحل ميتته قال ابن العربي قال علماؤنا
فلو قال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم لما جاز الوضوء به الا عند خوف العطش لان الجواب
مرتبط بالسؤال فكان يكون محالا عليه ولكن النبي صلى الله عليه وسلم ابتدا تاسيس القاعدة
وبيان الشرع فقال هو الطهور ماؤه قال المؤلف رحمه الله وكان يكون الجواب مقصورا عليهم
لا يتعدى لغيرهم لولا ما تقرر من حكم الشريعة ان حكمه على الواحد حكمه على الجميع الا ما نص بالتخصيص
عليه كقوله لابي بردة في العناق ضح بها ولن تجزي عن احد غيرك انتهى السادسة قوله تعالى وحرم
عليكم صيد البر ما دمتم حرما التحريم ليس صفة للاعيان وانما يتعلق بالافعال فمعنى قوله وحرم

عليكم صيد البر اي فعل الصيد وهو المنع من الاصطياد او يكون الصيد بمعنى المصيد على معنى تسمية
المفعول بالفعل كما تقدم وهو الاظهر لاجماع العلماء على انه لا يجوز للمحرم قبول صيد وهبة ولا يجوز
له شراؤه ولا اصطياده ولا استحداث ملكه بوجه من الوجوه ولا خلاف بين علماء المسلمين في ذلك
لعموم قوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ولحديث الصعب بن جثامة على ما ياتي ان شاء الله
اعلم التاسعة اختلف العلماء فيما ياكله المحرم من الصيد فقال مالك والشافعي واصحابهما واحمد
وروي عن اسحق وهو الصحيح عن عثمان بن عفان انه لا باس باكل المحرم الصيد اذا لم يصد له ولا من
اجله لما رواه الترمذي والنسائي والدارقطني عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الصيد البر لكم
حلال ما لم تصيدوه او يصد لكم قال ابو عيسى هذا احسن حديث في الباب وقال النسائي عمرو بن ابي عمرو
ليس بالقوي في الحديث وان كان قد روي عنه مالك فان من اكل من صيد صيد من اجله فداه
وبه قال الحسن ابن صالح والاوزاعي واختلف قول مالك فيما صيد لمحرم بعينه والمشهور من مذهبه
ان المحرم لا ياكل مما صيد لمحرم معين او غير معين ولم ياخذ بقول عثمان لاصحابه حين اتي بلحم صيد
وهو محرم كلوا فلستم مثلي لانه صيد من اجلي وبه قالت طائفة من اهل المدينة وروي عن مالك وقال
ابو حنيفة واصحابه اكل الصيد للمحرم جائز على كل حال اذا اصطاده الحلال سواء صيد من اجله او لم
يصد لظاهر قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم فحرم صيده وقتله على المحرمين دون ما صاده
غيرهم واحتجوا بحديث البهزي واسمه زيد بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في حمار الوحش العقير
انه امر ابا بكر فقسمه في الرفاق من حديث مالك وغيره وبحديث ابي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم
وفيه انما هي طعمة اطعمكموها الله وهو قول عمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان في رواية عنه وابي
هريرة والزبير بن العوام ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وروي عن علي ابن ابي طالب وابن عباس
وابن عمر انه لا يجوز للمحرم اكل صيد على حال من الاحوال سواء صيد من اجله او لم يصد لعموم قوله
تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما قال ابن عباس هي مبهمة وبه قال طاووس وجابر بن زيد
وابو الشعثاء وروي ذلك عن الثوري وبه قال اسحق واحتجوا بحديث الصعب بن جثامة الليثي
انه اهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابواء او بودان فرده عليه قال
فلما ان راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في وجهي قال انا لم نرده عليك الا انا حرم خرجه
الائمة واللفظ لمالك قال ابو عمر روي ابن عباس من حديث سعيد بن جبير ومقسم وعطاء وطاوس
عنه ان الصعب بن جثامة اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمار وحش وقال سعيد بن جبير
في حديثه عجز حمار وحش فرده يقطر دما كان صيد في ذلك الوقت وقال مقسم في حديثه رجل
حمار وحش وقال عطا في حديثه اهدى له عضد صيد فلم يقبله وقال انا حرم وقال طاووس
في حديثه عضدا من لحم صيد حدث به اسمعيل عن علي بن المديني عن يحيى بن سعيد عن زيد بن
ارقم عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن طاوس عن ابن عباس الا ان منهم من يجعله عن ابن عباس
عن زيد بن ارقم قال اسمعيل سمعت سليمان بن حرب يتاول هذا الحديث على انه صيد من اجل
النبي صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك كان اكله جايزا قال سليمان ومما يدل على انه صيد من اجله
قولهم في الحديث فرده يقطر دما كانه صيد في ذلك الوقت قال اسمعيل انما تاول سليمان هذا
الحديث لانه يحتاج الى تاويل فاما رواية مالك فلا تحتاج الى التاويل لان المحرم لا يجوز له
ان يمسك صيدا حيا ولا يذكيه قال اسمعيل وعلى تاويل سليمان بن حرب تكون الاحاديث المرفوعة
كلها غير مختلفة ان شاء الله تعالى الثامنة اذا احرم وبيده صيد او في بيته عند اهله فقال

مالك ان كان في يده فعليه ارساله وان كان في اهله فليس عليه ارساله وهو قول ابي حنيفة واحمد بن حنبل
وقال الشافعي في احد قوليه سواء كان بيده او في بيته ليس عليه ان يرسله وبه قال ابو ثور وعن مجاهد
وعبد الله بن الحارث مثله وروي عن مالك وقال ابن ابي ليلى والثوري والشافعي في القول الاخر عليه
ان يرسله سواء كان في بيته او يده فان لم يرسله ضمن وجه القول بارساله قوله تعالى وحرم عليكم
صيد البر ما دمتم حرما وهذا عام في الملك والتصرف كله ووجه القول بامساكه انه معنى لا يمنع من
ابتداء الاحرام فلا يمنع من استدامة ملكه من اصله كالنكاح التاسعة فان صاده الحلال في
الحل فادخله الحرم جاز له التصرف فيه بكل نوع من ذبحه واكل لحمه وقال ابو حنيفة لا يجوز ودليلنا
انه معنى يفعل في الصيد فجاز في الحرم للحلال كالامساك والشرا فيهما العاشرة اذا دل الحرام حلالا على
صيد فقتله الحلال اختلف فيه فقال مالك والشافعي وابو ثور لا شي عليه وهو قول ابن الماجشون
وقال الكوفيون واحمد واسحق وجماعة من الصحابة والتابعين عليه الجزا لان المحرم التزم باحرامه
حرمة التعرض فيضمن بالدلالة كالمودع اذا دل سارقا على الوديعة الحادية عشر واختلفوا في المحرم
اذا دل محرما اخر فذهب الكوفيون واشهب من اصحابنا الى ان على كل واحد منهما جزا وقال مالك والشافعي
وابو ثور الجزا على المحرم القاتل لقوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا فعلق وجوب الجزا بالقتل فدل على انتفائه
بغيره ولانه دال فلم يلزمه بدلالته غرم كما دل الحلال في الحرم على صيد وتعلق الكوفيون واشهب بقوله
عليه الصلاة والسلام في حديث ابي قتادة هل اشرتم او اعنتم وهذا يدل على وجوب الجزاء والله اعلم
الثانية عشر اذا كانت شجرة نابتة في الحل وفرعها في الحرم فاصيب ما عليه من الصيد فعليه الجزا
لانه اخذ في الحرم وان كان اصلها في الحرم وفرعها في الحل فاختلف علماؤنا فيما اخذ عليه على قولين
الجزا نظرا الى الاصل ونفيه نظرا الى الفرع الثالثة عشر قوله تعالى واتقوا الله الذي اليه تحشرون
تشديد وتنبيه عقب هذا التحليل والتحريم ثم ذكر بامر الحشر والقيمة مبالغة في التحذير قوله تعالى
جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان
الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شي عليم اعلموا ان الله شديد العقاب
وان الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي
الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون قوله جعل
الله الكعبة البيت الحرام فيه خمس مسايل الاولى جعل الله الكعبة جعل هنا بمعنى خلق وقد تقدم
وسميت الكعبة كعبة لانها مربعة واكثر بيوت العرب مدورة وقيل انما سميت كعبة لنتوها وبروزها
وكل ناتي بارز كعب مستديرا كان او غير مستدير ومنه كعب القدم وكعوب القناة وكعب ثدي
المراة اذا ظهر في صدرها والبيت سمي بذلك لانها ذات سقف وجدار وهي حقيقة البيتية وان
لم يكن بها ساكن وسماه سبحانه حراما بتحريمه اياها قال النبي صلى الله عليه وسلم ان مكة حرمها
الله ولم يحرمها الناس وقد تقدم هذا مستوفى والحمد لله الثانية قوله قياما للناس اي صلاحا
ومعاشا لامن الناس بها وعلى هذا يكون قياما بمعنى يقومون بها وقيل قياما اي يقومون بشرايعها
وقرا ابن عامر وعاصم قيما وهما من ذوات الواو فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وقد قيل قوام
قال العلماء والحكمة في جعل الله تعالى هذه الاشياء قياما للناس ان الله سبحانه وتعالى
خلق الخلق على سليقة الادمية من التحاسد والتنافس والتقاطع والتدابر والسلب والغارة
والقتل والثار فلم يكن بد في الحكمة الالهية والمشيئة الازلية من كاف يدوم معه الحال ووازع
يحمد معه المال قال الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة فامرهم الله بالخلافة وجعل امورهم

الى واحد يردعهم عن التنازع ويحملهم على التالف من التقاطع ويرد الظالم عن المظلوم ويقرر كل يد على
ما استولى عليه وروي ابن القاسم قال حدثنا مالك ان عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يقول لما يزع
الامام اكثر مما يزع القران ذكره ابو عمر وجور السلطان عاما واحدا اقل اذاية من كون فوضى لحظة واحدة
فانشا الله سبحانه الخليفة بهذه الفايدة لتجري على راية الامور ويكف الله به عادية الامور
فعظم الله في قلوبهم البيت الحرام واوقع في نفوسهم هيبته وعظم بينهم حرمته فكان من لجا اليه
معصوما وكان به من اصطهد محميا بالكون فيه قال الله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس
من حولهم قال العلماء فلما كان موضعا مخصوصا لا يدركه كل مظلوم ولا يناله كل خائف جعل الله الشهر
الحرام وهي الثالثة ملجا اخر وهو اسم جنس والمراد الاشهر الاربعة باجماع من العرب فقرر الله في قلوبهم
حرمتها فكانوا لا يروعون فيها سربا اي نفسا ولا يطلبون فيها دما ولا يتوقعون فيها ثارا حتى كان
الرجل يلقى قاتل ابيه وابنه واخيه فلا يوذيه واقتطعوا فيها ثلث الزمان ووصلوا منها ثلاثة
متوالية فسحة وراحة ومجالا للسياحة في الامن والاستراحة وجعلوا منها واحدا منفردا في نصف
العام دركا للاحترام وهو رجب الاصم وانما قيل له الاصم لانه كان لا يسمع فيه صوت الحديد ويسمى
منصل الاسنة لانهم كانوا ينزعون فيه الاسنة من الرماح وهو شهر قريش وله يقول عوف بن
الاحوص وشهر بني امية والهدايا اذا سيقت مضرجها الدماء وسماه النبي صلى الله عليه وسلم
شهر الله اي شهر ال الله وكان يقال لاهل الحرم ال الله ويحتمل ان يريد شهر الله لان الله سنه
وشدده اذ كان كثير من العرب لا يراه وسياتي في براءة اسماء الشهور ان شاء الله ثم يسر لهم
الالهام او شرعا على السنة الرسل الكرام الهدي والقلايد وهي الرابعة فكان اذا اخذ بعيرا
واشعره دما وعلقوا عليه نعلا او فعل ذلك الرجل بنفسه من التقليد على ما تقدم بيانه اول
السورة لم يروعه احد حيث لقيه وكان الفصيل بينه وبين من طلبه او ظلمه حتى جاء الله بالاسلام
وبين الحق لمحمد عليه الصلاة والسلام فانتظم الدين في سلكه وعاد الحق الى نصابه واسندت
الامامة اليه وابتنى وجوبها للخلق عليه وهو قوله سبحانه وتعالى وعد الله الذين امنوا
منكم وعملوا الصلحات ليستخلفنهم في الارض الاية وقد مضى في البقرة احكام الامامة فلا معنى
لاعادتها الخامسة قوله ذلك لتعلموا ذلك اشارة الى جعل الله هذه الامور قياما والمعنى فعل
الله ذلك لتعلموا ان الله يعلم تفاصيل امور السموات والارض ويعلم مصالحكم ايها الناس قبل
وبعد فانظروا لطفه بالعباد على كفرهم قوله تعالى اعلموا ان الله شديد العقاب تخويف وان
الله غفور رحيم ترجية وقد تقدم هذا المعنى قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ اي ليس له
الهداية والتوفيق ولا الثواب انما عليه البلاغ وفي هذا رد على القدرية كما تقدم واصل البلاغ
البلوغ وهو الوصول بلغ يبلغ بلوغا وابلغه ابلاغا وبلغ تبليغا وبالغه مبالغة وبلغه
تبليغا ومنه البلاغة لانها ايصال المعنى الى النفس في حسن صورة من اللفظ وتبالغ الرجل
اذا تعاطى البلاغة وليس ببليغ وفي هذا بلوغ اي كفاية لانه يبلغ مقدار الحاجة والله يعلم
ما تبدون اي تظهرون يقال بدا السر وابداه صاحبه يبديه وما تكتمون اي ما تسرون وتخفونه
في قلوبكم من الكفر والنفاق قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب فيه ثلاث مسايل الاولى
قال الحسن الحلال والحرام السدي المومن والكافر وقيل المطيع والعاصي وقيل الردي والجيد
وهذا على ضرب المثال والصحيح ان اللفظ عام في جميع الامور يتصور في المكاسب والاعمال والناس
والمعارف من العلوم وغيرها فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب ولا تحسن له عاقبة وان

كثر والطيب وان قل نافع جميل العاقبة قال الله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي
خبث لا يخرج الا نكدا ونظير هذه الاية ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض
ام نجعل المتقين كالفجار وقوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات
فالخبيث لا يساوي الطيب مقدارا ولا انفاقا ولا مكانا ولا ذهابا فالطيب باخذ جهة اليمين والخبيث
ياخذ جهة الشمال والطيب في الجنة والخبيث في النار وهذا بين وحقيقة الاستواء الاستمرار في جهة
واحدة ومثله الاستقامة وضدها الاعوجاج ولما كان هذا وهي الثانية قال بعض علمائنا ان البيع
الفاسد يفسخ ولا يمضي بحوالة سوق ولا بتغير بدن فيستوي في امضائه مع البيع الصحيح بل يفسخ ابدا
ويرد الثمن على المبتاع ان كان قبضه وان تلف في يده ضمنه لانه لم يقبضه على الامانة وانما
قبضه بشبهة عقد وقيل لا يفسخ نظرا الى ان البيع اذا فسخ ورد بعد الفوت يكون فيه ضرر وغبن
على البايع فتكون السلعة تساوي ماية وترد عليه وهي تساوي عشرين ولا عقوبة في الاموال
والاول اصح لعموم الاية ولقوله عليه الصلاة والسلام من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد قال
المؤلف رحمه الله واذا تتبع هذا المعنى في عدم الاستواء من مسايل الفقه تعددت وكثرت فمن ذلك
الغاصب وهي الثالثة اذا بنى في البقعة المغصوبة او غرس فانه يلزمه قلع ذلك البناء والغرس
لانه خبيث وردها خلافا لابي حنيفة في قوله لا يقلع وياخذ صاحبها القيمة وهذا يرده قوله عليه
الصلاة والسلام ليس لعرق ظالم حق قال هشام العرق الظالم ان يغرس الرجل في ارض غيره ليستحقها
بذلك وقال مالك العرق الظالم كل ما اخذ واحتفر وغرس في غير حق قال مالك من غصب ارضا
فزرعها او اكراها او دارا فسكنها او اكراها ثم استحقها ربها ان على الغاصب كرا ما سكن ورد ما
اخذ في الكرا واختلف قوله اذا لم يسكنها او لم يزرع الارض وعطلها فالمشهور من مذهبه انه ليس
عليه فيه شي وقد روي عنه ان عليه كرا ذلك كله وهو مذهب الشافعي لقوله عليه الصلاة
والسلام ليس لعرق ظالم حق وروى ابو داود عن ابي الزبير ان رجلين اختصما الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم غرس احدهما نخلا في ارض الاخر فقضى لصاحب الارض بارضه وامر صاحب النخل ان يخرج
نخله منها قال فلقد رايتها وانها لتضرب اصولها بالفوس حتى اخرجت منها وانها لنخل عم قال
ابن حبيب والحكم فيه ان يكون صاحب الارض مخيرا على الظالم ان شاء حبس ذلك في ارضه بقيمته
مقلوعا وان شاء نزعه من ارضه واجر النزع على الغاصب وروى الدارقطني عن عايشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى في رباع قوم باذنهم فله القيمة ومن بنى بغير اذنهم فله النقض
قال علماونا انما تكون له القيمة لانه بنى في موضع يملك منفعته وذلك كمن غرس او بنى بشبهة فله
حق ان شاء رب المال ان يدفع اليه قيمته قايما وان ابى قيل للذي بنى او غرس ادفع اليه قيمة ارضه
براحا فان ابى كانا شريكين قال ابن الماجشون وتفسير اشتراكهما ان تقوم الارض براحا ثم تقوم بعمارتها
فما زادت قيمتها بالعمارة على قيمتها براحا كان العامل شريكا لرب الارض فيها ان احبا قسما او حبسا
قال ابن الجهم فاذا دفع رب الارض قيمة العمارة واخذ ارضه كان له كراؤها فيما مضى من
السنين وقد روي عن ابن عباس وغيره رضي الله عنهم انه اذا بنى رجل في ارض رجل باذنه
ثم وجب له اخراجه فانه يعطيه قيمة بنائه مقلوعا والاول اصح لقوله عليه الصلاة والسلام
فله القيمة وعليه اكثر الفقهاء قوله تعالى ولو اعجبك كثرة الخبيث قيل الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد امته فانه عليه الصلاة والسلام لا يعجبه الخبيث وقيل المراد به النبي صلى الله عليه
وسلم نفسه واعجابه له انه صار عنده عجبا مما يشاهده من كثرة الكفار والمال الحرام وقلة

للمؤمنين والمال الحلال فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون تقدم معناه قوله تعالى عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم
عفا الله عنها والله غفور حليم قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ما جعل الله من بحيرة
ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون
قوله يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم فيه عشر مسائل الاولى روى البخاري ومسلم
وغيرهما واللفظ للبخاري قال قال رجل يا نبي الله من ابي قال ابوك فلان قال فنزلت الاية
وخرج ايضا عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فوالله لا تسالون عن شيء الا اخبرتكم به ما
دمت في مقامي هذا فقام رجل فقال اين مدخلي يا رسول الله قال النار فقام عبد الله بن حذافة فقال
من ابي يا رسول الله قال ابوك حذافة وذكر الحديث قال ابن عبد البر عبد الله بن حذافة اسلم قديما
وهاجر الى ارض الحبشة الهجرة الثانية وشهد بدرا وكانت فيه دعابة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارسله الى كسرى بكتاب ولما قال من ابي يا رسول الله قال ابوك حذافة قالت له امه
ما سمعت بابن اعق منك امنت ان تكون امك قارفت ما يقارف نساء الجاهلية فتفضحها على
اعين الناس فقال لها والله لو الحقني بعبد اسود للحقت وروى الترمذي والدار
قطني عن علي رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية ولله على الناس حج البيت قالوا يا رسول
الله افي كل عام فسكت قالوا افي كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت فانزل الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تسالوا عن اشياء الاية واللفظ للدارقطني سئل البخاري عن هذا الحديث فقال
حديث حسن الا انه مرسل ابو البختري لم يدرك عليا واسمه سعيد واخرجه الدارقطني ايضا
عن ابي عياض عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس كتب عليكم الحج
فقام رجل فقال في كل عام يا رسول الله فاعرض عنه ثم عاد فقال في كل عام يا رسول الله قال ومن القائل
قالوا فلان قال والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما اطقتموها ولو لم تطيقوها
لكفرتم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء الاية وقال الحسن البصري في هذه
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امور الجاهلية التي عفى الله عنها ولا وجه للسؤال عما عفى
الله عنه وروى مجاهد عن ابن عباس انها نزلت في قوم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة
والسائبة والوصيلة والحام وهو قول سعيد بن جبير وقال الا ترى ان بعده ما جعل الله من بحيرة
ولا سائبة قال المؤلف رحمه الله وفي الصحيح والمسند كفاية ويحتمل ان تكون الاية جوابا للجميع
فيكون السؤال بعضه قريبا من بعض والله اعلم واشياء وزنه افعال ولم ينصرف لانه مشبه
بحمرا قاله الكسائي وقيل وزنه افعلا كقولك هين واهونا عن الفرا والاخفش ويصغر فيقال
اشياء قال المازني ويجب ان يصغر شيئان كما يصغر اصدقا في المؤنث صديقات وفي المذكر
صديقون الثانية قال ابن عون سالت نافعا عن قوله تعالى لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم
تسؤكم فقال لم تزل المسايل منذ قط تكره روى مسلم عن المغيرة بن شعبة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله حرم عليكم عقوق الامهات ووأد البنات ومنعا وهات وكره لكم
ثلاثا قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال قال كثير من العلماء المراد بقوله وكثرة السؤال
التكثير من السؤال في المسائل الفقهية تنطعا وتكلفا فيما لم ينزل والاغلوطات وتشقيق
المولدات وقد كان السلف يكرهون ذلك ويرونه من التكلف ويقولون اذا نزلت النازلة
وفق المسئول لها قال مالك ادركت هذا البلد وما عندهم علم غير الكتاب والسنة فاذا نزلت

نازلة

نازلة جمع الامير لها من حضر من العلماء فما اتفقوا عليه انفذه وانتم تكثرون المسايل وقد كرهها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بكثرة المسايل السؤال عما لا يعني من احوال الناس بحيث يؤدي ذلك
الى كشف عوراتهم والاطلاع على مساويهم وهذا مثل قوله تعالى ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا
قال ابن خويز منداد وكذلك اصحابنا متى قدم اليه طعام لم يسال عنه من اين هذا او عرض عليه شيء
يشتريه لم يسال من اين هو وحمل امور المسلمين على السلامة والصحة قال المؤلف رحمه الله والوجه
حمل الحديث على عمومه فيتناول جميع تلك الامور والله اعلم الثالثة قال ابن العربي اعتقد قوم
من الغافلين تحريم اسولة النوازل حتى تقع تعلقا بهذه الاية وليس كذلك لان هذه الاية مصرحة
بان السؤال المنهي عنه انما كان فيما تقع المساة في جوابه والمساة ليست في جواب نوازل الوقت فافترقا
قال المؤلف رحمه الله قوله اعتقد قوم من الغافلين فيه قبح وانما كان الاولى به ان يقول ذهب قوم
الى تحريم اسولة النوازل لكنه جرى على عادته وانما قلنا كان الاولى به لانه كان قوم من السلف
يكرهها وكان عمر بن الخطاب يلعن من سال عما لم يكن ذكره الدارمي في مسنده وذكر عن الزهري قال
بلغنا ان زيد بن ثابت الانصاري كان يقول اذا سئل عن الامر اكان هذا فان قالوا نعم قد كان حدث
فيه بالذي يعلم وان قالوا لم يكن قال فذروه حتى يكون واسند عن عمار بن ياسر وقد سئل عن مسئلة
فقال اكان هذا بعد قالوا لا قال دعونا حتى يكون فاذا كان تجشمناها لكم قال الدارمي حدثنا عبد الله
بن محمد بن ابي شيبة قال حدثنا ابن فضيل عن عطاء عن ابن عباس قال ما رايت قوما كانوا خيرا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالوه الا عن ثلاث عشرة مسئلة حتى قبض كلهن في القران منهن
يسئلونك عن الشهر الحرام ويسئلونك عن المحيض ما كانوا يسالون الا عما ينفعهم الرابعة قال ابن عبد
البر السؤال اليوم لا يخاف ان ينزل تحريم ولا تحليل من اجله فمن سال مستفهما راغبا في العلم ونفي الجهل عن
نفسه باحثا عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه فلا باس به فشفاء العي السؤال ومن سال
متعنتا غير متفقه ولا متعلم فهو الذي لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره قال ابن العربي الذي ينبغي للعالم
ان يشتغل به هو بسط الادلة وايضاح سبل النظر وتحصيل مقدمات الاجتهاد المعينة على الاستمداد
فاذا عرضت نازلة اتيت من بابها ونشدت في مظانها والله يفتح في صوابها الخامسة قوله تعالى
وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم فيه غموض وذلك ان في اول الاية النهي عن السؤال
ثم قال وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم فاباحه لهم فقيل المعنى وان تسالوا عن غيرها مما
مست الحاجة اليه فحذف المضاف ولا يصح حمله على غير الحذف قال الجرجاني الكناية في عنها ترجع
الى اشياء اخر كقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين يعني ادم ثم قال ثم جعلناه
نطفة اي ابن ادم لم يجعل نطفة في قرار مكين لكن لما ذكر الانسان وهو ادم دل على انسان مثله
وعرف ذلك بقرينة الحال والمعنى وان تسالوا عن اشياء حين ينزل القران من تحليل او تحريم
او حكم او مست حاجتكم اليه تفسيره فاذا سالتم حينئذ تبد لكم فقد اباح هذا النوع من السؤال ومثاله
انه بين عدة المطلقة والمتوفى عنها فنزل واللائي يئسن من المحيض والنهي اذا في شيء لم يكن لهم
حاجة الى السؤال فيه فاما ما مست الحاجة اليه فلا انتهى السادسة قوله تعالى عفا الله عنها
اي عن المسئلة التي سلفت منهم وقيل عن الاشياء التي سالوا عنها من امور الجاهلية وما جرى
مجراها وقيل العفو بمعنى الترك ولم يعرفهم بها في حلال ولا حرام فهو معفو عنها فلا تبحثوا عنها
فلعله ان ظهر لكم حكمه ساءكم وكان عبيد بن عمير يقول ان الله احل وحرم فما احل فاستحلوه وما
حرم فاجتنبوه وترك بين ذلك اشياء لم يحلها ولم يحرمها فذلك عفو من الله ثم يتلو هذه

الاية وخرج الدارقطني عن ابي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى فرض
فرايض فلا تضيعوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وسكت عن اشياء من
غير نسيان فلا تبحثوا عنها والكلام على هذا التقدير فيه تقديم وتاخير اي لا تسالوا عن اشياء عفا الله
عنها ان تبد لكم تسؤكم اي امسك عن ذكرها فلم يوجب فيها حكما وقيل ليس فيه تقديم ولا تاخير بل المعنى
قد عفا الله عن المسئلة التي سلفت وان كرهها النبي صلى الله عليه وسلم فلم تعودوا لمثلها فقوله عنها عن
المسئلة او عن السؤالات كما ذكرنا السابعة قوله تعالى قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها
كافرين اخبرنا تعالى ان قوما من قبلنا قد سالوا ايات مثلها فلما اعطوها وفرضت عليهم كفروا بها
وقالوا ليست من عند الله وذلك كسؤال قوم صالح الناقة واصحاب عيسى المائدة وهذا تحذير مما وقع
فيه من سبق من الامم الثامنة ان قال قائل ما ذكرتم من كراهة السؤال والنهي عنه يعارضه قوله
تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون والجواب ان هذا امر الله به عباده هو ما تقرر وثبت
وجوبه مما يجب عليهم العمل به والذى جاء فيه النهي هو ما لم يتعبد الله عباده ولم يذكره في كتابه
والله اعلم التاسعة روى مسلم عن عامر بن سعد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سال عن شئ لم يحرم على المسلمين فحرم عليهم من اجل مسئلته قال
القشيري ابو نصر ولم يسال العجلاني عن الزنا لم يثبت اللعان قال ابو الفرج الجوزي هذا محمول على من
سال عن الشئ عنتا وعبثا فعوقب بسوء قصده بتحريم ما سال عنه والتحريم يعم انتهى العاشرة
قال علماؤنا لا تعلق للقدرية بهذا الحديث في ان الله تعالى يفعل ما يشاء من اجل شئ وبسببه
تعالى الله عن ذلك فان الله على كل شئ قدير وبكل شئ عليم بل السبب والداعي فعل من افعاله
لكن سبق القضا والقدر ان يحرم الشئ المسئول عنه اذا وقع السؤال فيه لان السؤال موجب
للتحريم وعلة له ومثله كثير لا يسال عما يفعل وهم يسالون قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة
ولا وصيلة ولا حام فيه سبع مسائل الاولى قوله تعالى ما جعل الله جعل هنا بمعنى سمى كما قال تعالى
انا جعلناه قرانا عربيا اي سميناه والمعنى في هذه الاية ما سمى الله ولا سن ذلك حكما ولا تعبد به
شرعا بيد انه قضى به علما واوجده بقدرته وارادته خلقا فان الله خالق كل شئ من خير وشر
ونفع وضر وطاعة ومعصية الثانية قوله تعالى من بحيرة ولا سائبة من زائدة والبحيرة
فعيلة بمعنى مفعولة وهي على وزن النطيحة والذبيحة وفي الصحيح عن سعيد بن المسيب البحيرة
هي التي يمنع درها للطواغيت فلا يحتلبها احد من الناس واما السائبة فهي التي كانوا يسيبونها
لالهتهم وقيل البحيرة لغة هي الناقة المشقوقة الاذن يقال بحرت اذن الناقة اي شققتها
شقا واسعا والناقة بحيرة ومبحورة وكان البحر علامة التخلية قال ابن سيده يقال البحيرة
التي خليت بلا راع ويقال للناقة الغزيرة بحيرة قال ابن اسحق البحيرة هي ابنة السائبة و
السائبة اذا تابعت بين عشر اناث ليس بينهن ذكر لم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب
لبنها الا ضيف كما فعل بامها فهي البحيرة ابنة السائبة وقال الشافعي اذا نتجت الناقة خمسة
ابطن اناثا بحرت اذنها فحرمت قال المحرمة لا يطعم الناس لحمها ولا تحمل في شئ كذلك البحاير
وقال ابن عزيز البحيرة الناقة اذا نتجت خمسة ابطن فاذا كان الخامس ذكرا نحروه فاكله
الرجال والنساء وان كان الخامس انثى بحروا اذنها اي شقوه وكانت حراما على النساء لحمها ولبنها
وقاله عكرمة فاذا ماتت حلت للنساء والسائبة البعير يسيب بنذر يكون على الرجل ان
سلمه الله من مرض او بلغه منزله ان يفعل ذلك فلا تحبس عن رعي ولا ماء ولا يركبها احد قال

ابو

ابوعبيدة قال وسايبة لله تمنى تشكرا ان الله عافى فاصرا او مشاجها وقد يسيبون غير الناقة
وكانوا اذا سيبوا العبد لم يكن عليه ولاء وقيل السايبة هي المخلاة لا قيد عليها ولا راعي لها فاعل
بمعنى مفعول نحو عيشة راضية اي مرضية من سابت الحية وانسابت قال عترتم ناقة كانت
لربي وسايبة فقوموا للعقاب واما الوصيلة والحام فقال ابن وهب قال مالك كان اهل الجاهلية
يعتقون الابل والغنم يسيبونها فاما الحام فمن الابل كان الفحل اذا انقضى ضرابه جعلوا عليه من
ريش الطواويس وسيبوه واما الوصيلة فمن الغنم اذا ولدت انثى بعد انثى سيبوها وقال ابن
عزيز الوصيلة في الغنم كانوا اذا ولدت الشاة سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبح
فاكل منه الرجال والنساء وان كانت انثى تركت في الغنم وان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها
فلم تذبح لمكانها وكان لحمها حراما على النساء وابن الانثى حراما على النساء الا ان يموت فياكل منه
الرجال والنساء والحامي الفحل اذا ركب ولد ولده قال حماها ابو فارس في عز ملكه كما قد حمى
اولاد اولاده الفحل ويقال اذا انتج من صلبه عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من
كلا وماء وقال ابن اسحق الوصيلة الشاة اذا اتامت عشرة اناث متتابعات في خمسة ابطن ليس
بينهن ذكر قالوا وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون الاناث الا ان يموت شئ
منها فيشترك في اكله ذكورهم واناثهم الثالثة روى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن عامر بن العاص الخزاعي يجر قصبه في النار وكان اول من سيب
السوايب وفي رواية عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رايت رجلا اشبه
برجل منك به ولا به منك فقال اكثم اخشى ان يضرني شبهه يا رسول الله قال لا لانك مؤمن
وهو كافر انه اول من غير دين اسمعيل وبحر البحيرة وسيب السايبة وحمى الحامي وفي رواية راييته
رجلا قصيرا اشعر له وفرة يجر قصبه في النار وفي رواية ابن القاسم وغيره عن مالك عن زيد بن اسلم
عن عطا بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم يوذي اهل النار بريحه مرسل ذكره ابن العربي وقيل ان
اول من ابتدع ذلك جنادة ابن عوف والله اعلم وفي الصحيح كفاية وروى ابن اسحق ان سبب نصب
الاوثان وتغيير دين ابراهيم عمرو ابن لحي خرج من مكة الى الشام فلما قدم ماب من ارض البلقاء وبها
يومئذ العماليق اولاد عمليق ويقال عملاق ابن لاود بن سام بن نوح راهم يعبدون الاصنام فقال
لهم ما هذه الاصنام التي اراكم تعبدون قالوا هذه اصنام نستمطر بها فنمطر ونستنصر بها فننصر
فقال لهم افلا تعطوني منها صنما اسير به الى ارض العرب فيعبدونه فاعطوه صنما يقال
له هبل فقدم به مكة فنصبه واخذ الناس بعبادته وتعظيمه فلما بعث الله محمدا صلى
الله عليه وسلم انزل الله عليه ما جعل الله من بحيرة ولا سايبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين
كفروا يعني من قريش وخزاعة ومشركي العرب يفترون على الله الكذب بقولهم ان الله امر
بتحريمها ويزعمون انهم يفعلون ذلك لرضى ربهم في طاعة الله وطاعة الله انما تعلم من قوله
ولم يكن عندهم بذلك قول فكان ذلك مما يفترون على الله وقالوا ما في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا يعني من الولد والالبان ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة يعني ان وضعته
ميتا اشترك فيه الرجال والنساء فذلك قوله عز وجل فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم اي
بكذبهم العذاب في الاخرة انه حكيم عليم اي بالتحريم وبالتحليل وانزل عليه قل ارايتم ما انزل الله
لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون وانزل عليه
ثمانية ازواج الاية وانزل عليه وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء على الله قد ضلوا وما

كانوا متعبدين الرابعة تعلق ابو حنيفة رضي الله عنه في منعه الاحباس والاوقاف بان الله تعالى
عاب على العرب ما كانت تفعل من تسييب البهايم وحمايتها وحبس انفسها عنها وقاس على البحيرة والسايبة
والرقيق يعتق ولو عمد رجل الى ضيعة له وقال هذه تكون حبسا لا يجتنى ثمرها ولا يزرع ارضها ولا
ينتفع منها بنفع لجاز ان يشبه هذا بالبحيرة والسايبة وقال قال علقمة لمريح اله عن هذه الاشياء
ما تريد الى شيء كان من عمل الجاهلية وقد ذهب وقال نحوه ابن زيد وجمهور العلماء على القول بجواز
الاحباس والاوقاف ما عدا ابا حنيفة وابا يوسف وزفر وهو قول شريح الا ان ابا يوسف رجع عن
قول ابي حنيفة في ذلك لما حدثه ابن علية عن ابن عوف عن نافع عن ابن عمر انه استاذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ان يتصدق من سهمه بخيبر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم احبس
الاصل وسبل الثمرة وبه يحتج كل من اجاز الاحباس وهو حديث صحيح قاله ابو عمر وايضا فان المسالة
اجماع من الصحابة وذلك ان ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وعايشة وفاطمة وعمرو بن العاص
وابن الزبير وجابر كلهم وقفوا الاوقاف واوقافهم بمكة والمدينة معروفة مشهورة وروي ان ابا
يوسف قال لمالك بحضرة الرشيد ان الحبس لا يجوز فقال له مالك هذه الاحباس احباس
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وفدك واحباس اصحابه واما ما احتج به ابو حنيفة من الاية
فلا حجة فيه لان الله سبحانه انما عاب عليهم ان تصرفوا بعقولهم بغير شرع توجه اليهم او تكليف
فرض عليهم في قطع طريق الانتفاع واذهاب نعمة الله تعالى وازالة المصلحة التي للعباد في تلك
الابل بهذا جاءت هذه الامور الاحباس والاوقاف ومما احتج به ابو حنيفة وزفر ما رواه عطا
عن ابن المسيب قال سالت شريحا عن رجل جعل داره حبسا على الاخر من ولده لا حبس عن
فرايض الله تعالى قالوا فهذا شريح قاضي عمر وعثمان وعلي الخلفاء الراشدين حكم بذلك واحتج
ايضا بما رواه ابن لهيعة عن اخيه عيسى عن عكرمة عن ابن عباس قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم بعد ما نزل سورة النساء وانزل فيها الفرايض ينهى عن الحبس قال الطبري الصدقة التي
يمضيها المتصدق في حياته على ما اذن الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وعمل به الايمة
الراشدون ليس من الحبس عن فرايض الله تعالى ولا حجة في قول شريح ولا في قول احد يخالف
السنة وعمل الصحابة وهم الحجة على جميع الخلق واما حديث ابن عباس فرواه ابن لهيعة
وهو رجل اختلط عقله في اخر عمره واخوه غير معروف فلا حجة فيه قال ابن القصار فان قيل
كيف يجوز ان تخرج الارض بالوقف عن ملك اربابها لا الى ملك مالك قال الطحاوي يقال لهم
وما ينكر من هذا وقد اتفقت انت وخصمك على الارض يجعلها صاحبها مسجدا للمسلمين ويخلي بينهم
وبينها وقد خرجت بذلك عن ملكه الى غير ملك ولكن الى الله تعالى وكذلك السقايات والجسور
والقناطر فما الزمت مخالفك في حجتك يلزمك في هذا كله والله اعلم الخامسة اختلف المجيزون
للحبس فيما للمحبس من التصرف فقال الشافعي يحرم على الواقف ملكه كما يحرم عليه ملك رقبة
العبد الا انه جايز له ان يتولى صدقته وتكون في يده ليفرقها ويسبلها فيما اخرجها فيه لان
عمر بن الخطاب لم يزل يلي صدقته فيما بلغنا حتى قبضه الله عز وجل وكذلك علي وفاطمة كانا
يليان صدقاتهما وبه قال ابو يوسف وقال مالك من حبس ارضا او نخلا او دارا على المساكين
وكانت بيده يقوم بها ويكريها ويقسمها في المساكين حتى مات والحبس في يديه فليس بحبس
ما لم يحزه غيره وهو ميراث والربع عنده والحوائط والارض لا ينفذ حبسها ولا يتم حوزها حتى
يتولاه غير من حبسه بخلاف الخيل والسلاح هذا تحصيل مذهبه عند جماعة اصحابه وبه قال

ابن

ابن ابي ليلى السادسة لا يجوز للواقف ان ينتفع بوقفه لانه اخرجه لله وقطعه عن ملكه فانتفاعه
بشيء منه رجوع في صدقته وانما يجوز له الانتفاع ان شرط ذلك في الوقف او ان يفتقر المحبس او ورثته
فيجوز لهم الاكل منه ذكر ابن حبيب عن مالك قال من حبس اصلا تجري غلته على المساكين فان ولده
يعطون منه اذا افتقروا وكانوا يوم الحبس اغنياء او فقراء غير انهم لا يعطون جميع الغلة مخافة
ان يندرس الحبس ولكن يبقى منه سهم للمساكين ليبقى عليه اسم الحبس ويكتب على الولد كتاب انهم
انما يعطون ما اعطوا على سبيل المسكنة وليس على حق لهم دون المساكين السابعة عتق السايبة
جايز وهو ان يقول السيد لعبده انت حر وينوي العتق او يقول اعتقتك سايبة فالمشهور
من مذهب مالك عند جماعة اصحابه ان ولاءه لجماعة المسلمين وعتقه نافذ هكذا روى عنه
ابن القاسم وابن عبد الحكم واشهب وغيرهم وبه قال ابن وهب وروى ابن وهب عن مالك قال
لا يعتق احد سايبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الولاء وعن هبته قال ابن عبد البر
وهذا عند كل من ذهب مذهبه انما هو محمول على كراهة عتق السايبة لا غير فان وقع نفذ
وكان الحكم فيه ما ذكرناه وروى ابن وهب ايضا وابن القاسم عن مالك انه قال انا اكره عتق
السايبة وانهى عنه فان وقع نفذ وكان ميراثه لجماعة المسلمين وعقله عليهم وقال اصبغ لا
باس بعتق السايبة ابتداء ذهب الى المشهور من مذهب مالك وله احتج اسمعيل بن اسحق واياه
تقلد ومن حجته في ذلك ان عتق السايبة مستفيض بالمدينة لا ينكره عالم وان عبد الله بن
عمر وغيره من السلف اعتقوا السايبة وروي عن ابن شهاب وربيعة وابي الزناد وهو قول عمر
بن عبد العزيز وابي العالية وعطا وعمرو بن دينار وغيرهم قال المؤلف رحمه الله ابو العالية
الرياحي البصري التميمي رضي الله عنه ممن اعتق سايبة اعتقته مولاة له من بني رياح سايبة لوجه
الله تعالى وطافت به على حلق المسجد واسمه رفيع بن مهران وقال ابن نافع لا سايبة اليوم
في الاسلام ومن اعتق سايبة كان ولاؤه له وبه قال الشافعي وابو حنيفة وابن الماجشون
ومال اليه واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم من اعتق سايبة فولاؤه له وقوله انما الولاء
لمن اعتق فنفى ان يكون الولاء لغير معتق واحتجوا بقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سايبة
وبالحديث لا سايبة في الاسلام وبما رواه ابو قيس عن هذيل بن شرحبيل قال قال جاء رجل
لعبد الله اني اعتقت غلاما لي سايبة فماذا ترى فيه فقال عبد الله ان اهل الاسلام لا يسيبون
انما كانت تسيب الجاهلية انت وارثه وولي نعمته قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما
انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا
ولا يهتدون تقدم معناها والكلام عليها في البقرة فلا معنى لاعادتها قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما
كنتم تعملون فيه اربع مسايل الاولى قال علماؤنا وجه اتصال هذه الاية بما قبلها التحذير
مما يجب ان يحذر منه وهو حال من تقدمت صفته ممن ركن في دينه الى تقليد ابائه
واسلافه وظاهر هذه الاية يدل على ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس القيام به بواجب
اذا استقام الانسان فانه لا يواخذ بذنب غيره لولا ما ورد من تفسيرها في السنة واقاويل الصحابة
والتابعين على ما نذكره بحول الله تعالى الثانية قوله تعالى عليكم انفسكم معناه احفظوا انفسكم
اتقوا المعاصي تقول عليك زيدا بمعنى الزم زيدا ولا يجوز عليه زيدا وعندك زيدا اي حضرك
ودونك زيدا اي قرب منك وانشد يا ايها المايح دلوي دونكا واما قوله عليه رجلا ليسني فشاذ

الثالثة روي ابو داود والترمذي وغيرهما عن قيس قال خطبنا ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال انكم
تقرؤن هذه الاية وتتاولونها على غير تاويلها يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا الظالم ولم ياخذوا
على يديه اوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح قال اسحق
بن ابراهيم سمعت عمرو بن علي يقول سمعت وكيعا يقول لا يصح عن ابي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم
الا حديثا واحدا ولا اسمعيل بن قيس قال ان اسمعيل روي عن قيس موقوفا قال النقاس وهذا
افراط من وكيع رواه شعبة عن سفيان والخلف عن اسمعيل مرفوعا وروي ابو داود والترمذي
وغيرهما عن ابي امية الشيباني قال اتيت ابا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع بهذه الاية
فقال اية اية قلت قوله يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم فقال اما والله لقد سالت عنها
خبيرا سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى
اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة
نفسك ودع عنك امر العامة وان من ورائكم اياما الصابر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل فيهن
مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفي رواية قيل يا رسول الله اجر خمسين منا او منهم قال
بل اجر خمسين منكم قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب قال ابن عبد البر قوله بل منكم هذه اللفظة
سكت عنها بعض الرواة فلم يذكرها وروي الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال انكم في زمان من ترك منكم عشر ما امر به هلك ثم ياتي زمان من عمل منهم بعشر ما امر به
نجا قال هذا حديث غريب وروي عن ابن مسعود انه قال ليس هذا بزمان هذه الاية قولوا
الحق ما قبل منكم فاذا رد عليكم فعليكم انفسكم وقيل لابن عمر في بعض اوقات الفتن لو تركت القول
في هذه الايام فلم تامر ولم تنه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ليبلغ الشاهد
الغايب ونحن شهدنا فيلزمنا ان نبلغكم وسياتي زمان اذا قيل فيه الحق لم يقبل وفي رواية
عن ابن عمر بعد قوله ليبلغ الشاهد الغايب فكنا نحن الشهود وانتم الغيب ولكن هذه الاية لاقوام
يجيئون من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وقال ابن المبارك قوله تعالى عليكم انفسكم خطاب لجميع
المؤمنين اي عليكم اهل دينكم كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فكانه قال ليامر بعضكم بعضا ولينهه
بعضكم بعضا فهو دليل على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يضركم ضلال المشركين
والمنافقين واهل الكتاب لان الامر بالمعروف يجري مع المسلمين من اهل العصيان كما تقدم
وروي معنى هذا عن سعيد بن جبير وقال سعيد بن المسيب معنى الاية لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم بعد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال ابن خواز منداد تضمنت اشتغال الانسان
بخاصة نفسه وترك التعرض لمعايب الناس والبحث عن احوالهم فانهم لا يسالون عن حالهم فلا
يسال عن حالهم وهذا كقوله كل نفس بما كسبت رهينة ولا تزر وازرة وزر اخرى وقول
النبي صلى الله عليه وسلم كن جليس بيتك وعليك بخاصة نفسك ويجوز ان يكون اريد به الزمان
الذي يتعذر فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فينكر بقلبه ويشتغل باصلاح نفسه قال
المؤلف رحمه الله قد جاء حديث غريب رواه ابن لهيعة قال حدثنا بكر بن سوادة الجذامي
عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان راس مايتين فلا تامر بمعروف ولا تنه
عن منكر وعليك بخاصة نفسك قال علماونا انما قال عليه الصلاة والسلام ذلك لتغير الزمان
وفساد الاحوال وقلة المعينين وقال جابر بن زيد معنى الاية يا ايها الذين امنوا من ابنا اولئك

الذين

الذين بحروا البحيرة وسيبوا السوايب عليكم انفسكم في الاستقامة على الدين لا يضركم ضلال الاسلاف
اذا اهتديتم قال فكان الرجل اذا اسلم قال له الكفار سفهت اباءك وضللتهم وفعلت وفعلت
فانزل الله الاية بسبب ذلك وقيل الاية في اهل الاهواء الذين لا ينفعهم الوعظ فاذا علمت من
قوم انهم لا يقبلون بل يستخفون ويظهرون فاسكت عنهم وقيل نزلت في الاسارى الذين عذبهم
المشركون حتى ارتد بعضهم فقيل لمن بقي على الاسلام عليكم انفسكم لا يضركم ارتداد اصحابكم قال سعيد
بن جبير هي في اهل الكتاب وقال مجاهد في اليهود والنصارى ومن كان مثلهم يذهبان الى ان المعنى
لا يضركم كفر اهل الكتاب اذا ادوا الجزية وقيل هي منسوخة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر قاله
المهدوي قال ابن عطية وهذا ضعيف ولا يعلم قايله قال المؤلف رحمه الله قد جاء عن ابي عبيد
القاسم بن سلام انه قال ليس في كتاب الله تعالى اية جمعت الناسخ والمنسوخ غير هذه الاية قال
غيره الناسخ منها قوله اذا اهتديتم والهدى هنا هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والله اعلم الرابعة
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر متعين متى رجي القبول ورجي رد الظالم ولو بعنف ما لم يخف الامر
ضررا يلحقه في خاصته او فتنة يدخلها على المسلمين اما بشق عصى واما بضرر يلحق طايفة من الناس
فاذا خيف هذا فعليكم انفسكم بحكم واجب ان يوقف عنده ولا يشترط في الناهي ان يكون عدلا كما
تقدم وعلى هذا جماعة اهل العلم فاعلمه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر
احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او اخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض
فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به
ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الاثمين فان عثر على انهما استحقا
اثما فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا
احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على
وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين
فيه سبع وعشرون مسئلة الاولى قال مكي رحمه الله هذه الايات الثلاث عند اهل المعاني من
اشكل ما في القران اعرابا ومعنى وحكما قال ابن عطية هذا كلام من لم يقع له الثلج في تفسيرها وذلك
بين من كتابه رحمه الله قال المؤلف رحمه الله ما ذكره مكي رحمه الله ذكره ابو جعفر النحاس
قبله ايضا ولا اعلم خلافا ان هذه الايات نزلت بسبب تميم الداري وعدي بن بدا روى
البخاري والدارقطني وغيرهما عن ابن عباس قال كان تميم الداري وعدي يختلفان الى مكة
فخرج معهما فتى من بني سهم فتوفي بارض ليس بها مسلم فاوصى اليهما يدفعا تركته الى اهله
وحبسا جاما من فضة مخوصا بالذهب فاستحلفهما النبي صلى الله عليه وسلم ما كتمتما ولا اطلعتما
ثم وجد الجام بمكة فقالوا اشتريناه من عدي وتميم فجاء الرجلان من ورثة السهمي فحلفا
ان هذا الجام للسهمي ولشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا قال فاخذوا الجام وفيهم نزلت
هذه الاية لفظ الدارقطني وروي الترمذي عن تميم الداري في هذه الاية يا ايها الذين
امنوا شهادة بينكم بري منها الناس غيري وغير عدي بن بدا وكانا نصرانيين يختلفان
الى الشام قبل الاسلام فاتيا الشام بتجارتهما وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن
ابي مريم بتجارة ومعه جام فضة يريد به الملك وهو معظم تجارته فمرض فاوصى
اليهما وامرهما ان يبلغا ما ترك اهله قال تميم فلما مات اخذنا ذلك الجام فبعناه بالف
درهم ثم اقتسمناها انا وعدي بن بدا فلما قدمنا الى اهله دفعنا اليهم ما كان معنا

وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا ما ترك غير هذا وما دفع الينا غيره قال تميم فلما اسلمت بعد
قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة تاثمت من ذلك فاتيت اهله واخبرتهم الخبر واديت اليهم
خمسمائة درهم واخبرتهم ان عند صاحبي مثلها فاتوا بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم
البينة فلم يجدوا فامرهم ان يستحلفوه بما يقطع به على اهل دينه فحلف فانزل الله عز وجل يا ايها
الذين امنوا الى قوله بعد ايمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل اخر منهم فحلفا فنزعت الخمسمائة
من يد عدي بن بدر قال ابو عيسى هذا حديث غريب وليس اسناده بصحيح وذكر الواقدي ان
الايات الثلاثة نزلت في تميم واخيه عدي وكانا نصرانيين وكانا متجرهما الى مكة فلما هاجر
النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدم ابن ابي مارية مولى عمرو بن العاص المدينة وهو يريد
الشام تاجرا فخرج مع تميم واخيه عدي وذكر النقاش قال نزلت في بديل بن ابي مارية مولى العاص
بن وايل السهمي كان خرج مسافرا في البحر الى ارض النجاشي ومعه رجلان نصرانيان احدهما يسمى تميما
وكان من لخم وعدي بن بدر فمات بديل وهم في السفينة فرمي به في البحر وكان كتب وصيته
ثم جعلها في المتاع فقال ابلغا هذا المتاع اهلي فلما مات بديل قبضا المال واخذا منه ما اعجبهما
فكان فيما اخذا اناء من فضة فيها ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب وذكر الحديث وذكره سنيد
وقال فلما قدموا الشام مرض بديل وكان مسلما الحديث الثانية قوله تعالى شهادة بينكم
ورد شهد في كتاب الله بانواع مختلفة منها قوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم
قيل معناه احضروا ومنها شهد بمعنى قضى اي علم قاله ابو عبيدة كقوله تعالى شهد الله انه
لا اله الا هو ومنها شهد بمعنى اقر كقوله تعالى والملائكة يشهدون ومنها شهد بمعنى حكم قال
الله تعالى وشهد شاهد من اهلها وشهد بمعنى حلف كما في اللعان وشهد بمعنى وصى كقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم وقيل معناها هنا الحضور للوصية يقال شهدت وصية
فلان اذا حضرت وذهب الطبري الى ان الشهادة بينكم بمعنى اليمين فيكون المعنى يمين ما بينكم
ان يحلف اثنان واستدل على ان ذلك غير الشهادة التي تودى للمشهود له بانه لا يعلم لله حكم
يجب فيه على الشاهد يمين واختار هذا القول القفال وسميت اليمين شهادة لانه يثبت بها
الحكم كما يثبت بالشهادة واختار ابن عطية ان الشهادة هي الشهادة التي تحفظ فتودى وضعف كونها
بمعنى الحضور واليمين الثالثة قوله تعالى بينكم قيل معناه ما بينكم فحذف ما واضيفت الشهادة
الى الظرف واستعمل اسما على الحقيقة وهو المسمى عند النحويين بالمفعول على السعة كما قال ويوما
شهدناه سليما وعامرا اراد شهدنا فيه وقال تعالى بل مكر الليل والنهار اي مكركم فيهما وقال
تصافح من لاقيت لي ذا عداوة صفاحا وعني بين عينيك منزوى اراد ما بين عينيك فحذف
ومنه قوله تعالى هذا فراق بيني وبينك اي ما بيني وبينك الرابعة قوله تعالى اذا معناه اذا
قارب الحضور والا فاذا حضر الموت لم يشهد ميت وهذا كقوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ
بالله وكقوله اذا طلقتم النساء فطلقوهن ومثله كثير والعامل في اذا المصدر الذي هو شهادة
الخامسة قوله تعالى حين الوصية اثنان حين ظرف زمان والعامل فيه حضر وقوله اثنان
يقتضي بمطلقه شخصين ويحتمل رجلين الا انه لما قال بعد ذلك ذوى عدل بين انه اراد رجلين
لانه لفظ لا يصلح الا للمذكر كما ان ذوات لا يصلح الا للمونث وارتفع اثنان على انه خبر المبتدا
الذي هو شهادة قال ابو علي شهادة رفع بالابتدا والخبر في قوله اثنان التقدير شهادة بينكم
في وصاياكم شهادة اثنين فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما قال تعالى واذواجه

امهاتهم ويجوز ان يرتفع اثنان بشهادة التقدير وفيما انزل عليكم او ليكن منكم ان يشهد اثنان
او ليقم الشهادة اثنان السادسة قوله تعالى ذوى عدل منكم ذوا عدل صفة لقوله اثنان ومنكم
صفة بعد صفة وقوله او اخران من غيركم اي وشهادة اخرين من غيركم فمن غيركم صفة لاخرين
وهذا الفصل هو المشكل في هذه الاية والتحقيق فيه ان يقال اختلف العلماء فيه على ثلاثة اقوال
الاول ان الكاف والميم في قوله منكم ضمير للمسلمين واخران من غيركم للكافرين فعلى هذا تكون
شهادة اهل الكتاب على المسلمين جايزة في السفر اذا كانت وصية وهو الاشبه بمساق الاية مع
تقرره من الاحاديث وهو قول ثلاثة من الصحابة الذين شاهدوا التنزيل ابو موسى الاشعري وعبد
الله بن قيس وعبد الله بن عباس فمعنى الاية من اولها الى اخرها على هذا القول ان الله تعالى اخبر
ان حكمه في الشهادة على الموصي اذا حضر الموت ان تكون شهادة عدلين فان كان في السفر وهو الضرب
في الارض ولم يكن معه احد من المؤمنين فليشهد شاهدين ممن حضره من اهل الكفر فاذا قدما
واديا الشهادة على وصيته حلفا بعد الصلاة انهما ما كذبا ولا بدلا وان ما شهدا به حق ما كتما
فيه شهادة وحكم بشهادتهما فان عثر بعد ذلك على انهما كذبا او خانا ونحو هذا مما هو اثم حلف رجلان
من اولياء الموصي في السفر وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما هذا معنى الاية على مذهب ابي موسى الاشعري
وسعيد بن المسيب ويحيى بن يعمر وسعيد بن جبير وابي مجلز وابراهيم وشريح وعبيدة السلماني وابن
سيرين ومجاهد وقتادة والسدي وابن عباس وغيرهم وقال به من الفقهاء سفيان الثوري
ومال اليه ابو عبيد القاسم بن سلام لكثرة من قال به واختاره احمد بن حنبل وقال شهادة اهل
الذمة جايزة على المسلمين في السفر عند عدم المسلمين كلهم يقولون منكم من المؤمنين ومعنى من غيركم
من الكفار قال بعضهم وذلك ان الاية نزلت ولا مؤمن الا بالمدينة وكانوا يسافرون بالتجارة صحبة
اهل الكتاب وعبدة الاوثان وانواع الكفرة والاية محكمة على مذهب ابي موسى الاشعري وشريح و
غيرهما القول الثاني ان قوله سبحانه او اخران من غيركم منسوخ هذا قول زيد بن اسلم والنخعي
ومالك والشافعي وابي حنيفة وغيرهم من الفقهاء الا ان ابا حنيفة خالفهم فقال تجوز شهادة
الكفار بعضهم على بعض ولا تجوز على المسلمين واحتجوا بقوله ممن ترضون من الشهداء وقوله فاشهدوا
ذوي عدل منكم زعموا ان اية الدين من اخر ما نزلت وان فيها ممن ترضون من الشهداء فهو
ناسخ لذلك ولم يكن الاسلام يومئذ الا بالمدينة فجازت شهادة اهل الكتاب وهو اليوم طبق
الارض فسقطت شهادة الكفار وقد اجمع المسلمون ان شهادة الفساق لا تجوز والكفار فساق فلا
تجوز شهادتهم قال المؤلف رحمه الله ما ذكرتموه صحيح الا انا نقول بموجبه وان ذلك جاير في
شهادة اهل الذمة على المسلمين في الوصية في السفر خاصة للضرورة بحيث لا يوجد مسلم واما
مع وجود مسلم فلا ولم يات ما ادعيتموه من النسخ عن احد ممن شهد التنزيل وقد قال بالاول
ثلاثة من الصحابة وليس ذلك في غيره ومخالفة الصحابة الى غيرهم ينفر منه اهل العلم ويقوى
هذا ان سورة المائدة من اخر القران نزولا حتى قال ابن عباس والحسن وغيرهما انه قال لا منسوخ
فيها وما ادعوه من النسخ لا يصح فان الناسخ لا بد من اثباته على وجه يتنافى الجمع بينهما مع تراخي
الناسخ فما ذكروه لا يصح ان يكون ناسخا فانه في قصة غير قصة الوصية لمكان الحاجة والضرورة
ولا يمتنع اختلاف الحكم عند الضرورات ولانه ربما كان الكافر ثقة عند المسلم ويرتضيه عند
الضرورة فليس فيما قالوه ناسخ القول الثالث ان الاية لا نسخ فيها قاله الزهري والحسن ويكون
معنى قوله منكم اي من عشيرتكم وقرابتكم لانهم احفظ واضبط وابعد عن النسيان ومعنى قوله او

اخران من غيركم اي من غير القرابة والعشيرة قال النحاس وهذا ينبني على معنى غامض في العربية وذلك
ان معنى اخر في العربية من جنس الاول تقول مررت بكريم وكريم اخر فقوله اخر يدل على انه من
جنس الاول ولا يجوز عند اهل العربية مررت بكريم وخسيس اخر ولا مررت برجل وحمار اخر فوجب
من هذا ان يكون معنى قوله اخران من غيركم اي عدلان والكفار لا يكونون عدولا فيصح على هذا قول
من قال من غيركم من غير عشيرتكم من المسلمين وهذا معنى حسن من جهة اللسان وقد يحتج بما لك
ومن قال بقوله لان المعنى عندهم من غيركم من غير قبيلتكم على انه قد عورض هذا القول بان في اول
الاية يا ايها الذين امنوا فخوطب الجماعة من المومنين **الثامنة** استدل ابو حنيفة بهذه
الاية على جواز شهادة الكفار من اهل الذمة فيما بينهم قال ومعنى او اخران من غيركم اي من غير اهل
دينكم فدل على جواز شهادة بعضهم على بعض فيقال له انت لا تقول بمقتضى هذه الاية لانها
نزلت في قبول شهادة اهل الذمة على المسلمين من طريق النطق ودلت على قبول شهادتهم على
اهل الذمة من طريق التنبيه وذلك انه اذا قبلت شهادتهم على المسلمين فلان تقبل على اهل
الذمة اولى ثم دل الدليل على بطلان شهادتهم على المسلمين فبقي شهادتهم على اهل الذمة على ما كان
عليه وهذا ليس بشي لان قبول شهادة اهل الذمة على اهل الذمة فرع لقبول شهادتهم على المسلمين
فاذا بطلت شهادتهم على المسلمين وهي الاصل فلان تبطل شهادتهم على اهل الذمة وهي فرعها
احرى واولى والله اعلم **الثامنة** قوله تعالى ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم وفي الكلام حذف
تقديره ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت فاوصيتم الى اثنين عدلين في ظنكم
ودفعتم اليهما ما معكم من المال ثم متم وذهبا الى ورثتكم بالتركة فارتابوا في امرهما وادعوا عليهما خيانة
فالحكم ان يحبسوهما من بعد الصلاة اي تستوثقوا منهما وسمى الله تعالى الموت في هذه الاية مصيبة
قال علماونا الموت وان كان مصيبة عظمى ورزية كبرى واعظم منه الغفلة عنه والاعراض
عن ذكره وترك العمل له وان فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم لو ان البهايم تعلم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا ويروى ان اعرابيا كان يسير
على جمل له فخر الجمل ميتا فنزل الاعرابي عنه وجعل يطوف به ويتفكر فيه ويقول ما لك لا تقوم
ما لك لا تنبعث هذه اعضاوك كاملة وجوارحك سالمة ما شانك ما الذي كان يحملك
ما الذي كان يبعثك ما الذي صرعك ما الذي عن الحركة منعك ثم تركه وانصرف متفكرا في شانه
متعجبا من امره **التاسعة** قوله تعالى تحبسونهما قال ابو علي تحبسونهما صفة لاخران واعترض
بين الصفة والموصوف بقوله ان انتم وهذه الاية اصل في حبس من وجب عليه الحق والحقوق
على قسمين منها ما يصلح استيفاوه معجلا ومنها ما لا يمكن استيفاوه الا موجلا فان خلي من عليه
غاب واختفى وبطل الحق وتوى فلم يكن بد من التوثق منه اما بعوض عن الحق وهو المسمى رهنا واما
بشخص ينوب منابه في المطالبة والذمة وهو الحميل وهو دون الاول لانه يجوز ان يغيب كمغيبه
ويتعذر وجوده كتعذره ولكن لا يمكن اكثر من هذا فان تعذرا جميعا لم يبق الا التوثق بحبسه
حتى تقع منه التوفية لما كان عليه من حق او تتبين عسرته **العاشرة** فان كان الحق بدنيا لا يقبل
البدل كالحقوق والقصاص ولم يتفق استيفاوه معجلا لم يكن فيه الا التوثق بحبسه ولاجل
هذه الحكمة شرع السجن روى ابو داود والترمذي وغيرهما عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال في الواحد يحل عرضه وعقوبته قال ابن المبارك يحل عرضه يغلظ له
وعقوبته يحبس له قال الخطابي الحبس على ضربين حبس عقوبة وحبس استظهار والعقوبة لا تكون

الا في واجب واما ما كان في تهمة فانما يستظهر بذلك ليستكشف به ما وراءه وقد روي انه حبس
رجلا في تهمة ساعة من نهار ثم خلى عنه وروى معمر عن ايوب عن ابن سيرين قال كان ابن
شريح اذا قضى على رجل بحق امر بحبسه في المسجد الى ان يقوم فان اعطاه حقه والا امر به الى السجن
الحادية عشر قوله تعالى من بعد الصلاة يريد به صلاة العصر قاله الاكثر من العلما لان اهل
الاديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الكذب واليمين الكاذبة وقال الحسن صلاة الظهر
وقيل اي صلاة كانت وقيل من بعد صلاتهما على انهما كافران قاله السدي وقيل ان فائدة اشتراطه
بعد الصلاة تعظيما للوقت وارهابا به لشهود الملائكة ذلك الوقت وفي الصحيح من حلف على يمين
كاذبة بعد العصر لقي الله وهو عليه غضبان **الثانية عشر** هذه الاية اصل في التغليظ في الايمان
والتغليظ يكون باربعة اشياء احدها الزمان كما ذكرنا الثاني المكان كالمسجد والمنبر خلافا لابي
حنيفة واصحابه حيث يقولون لا يجب استحلاف احد عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا بين
الركن والمقام لا في قليل الاشياء ولا كثيرها والى هذا القول ذهب البخاري حيث ترجم باب ما
يحلف المدعى عليه حيث ما وجب عليه اليمين ولا يصرف من موضع الى غيره قال مالك والشافعي
ويحلف في ايمان القسامة الى مكة من حملها فيحلف عند المنبر الثالث الحال روى مطرف وابن
الماجشون وبعض اصحاب الشافعي انه يحلف مستقبل القبلة لان ذلك ابلغ في الردع والزجر
وقال ابن كنانة يحلف جالسا قال ابن العربي والذي عندي انه يحلف كما يحكم عليه بها ان قايما
فقايما وان جالسا فجالسا اذ لم يثبت فيه اثر ولا يضر اعتبار ذلك من قيام او جلوس قال المولف
رحمه الله قد استنبط العلماء من قوله حديث علقمة بن وايل عن ابيه فانطلق ليحلف القيام والله
اعلم خرجه مسلم الرابع التغليظ باللفظ فذهبت طايفة الى الحلف بالله لا يزيد عليه لقوله
فيقسمان بالله وقوله قل اي وربي وقال وتالله لاكيدن اصنامكم وقوله عليه الصلاة
والسلام من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وقوله الرجل لا ازيد عليهن وقال مالك
يحلف بالله الذي لا اله الا هو ما له عندي حق وما ادعاه علي باطل والحجة له ما رواه ابو
داود حدثنا مسدد قال حدثنا ابو الاحوص قال حدثنا عطا بن السايب عن ابي يحيى عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يعني لرجل حلفه احلف بالله الذي لا اله الا هو ما له
عندي شي يعني للمدعى قال ابو داود ابو يحيى اسمه زياد كوفي ثقة ثبت وقال الكوفيون يحلف
بالله لا غير فان اتهمه القاضي غلظ عليه اليمين فيحلفه بالله الذي لا اله الا هو عالم الغيب
والشهادة الرحمن الرحيم الذي يعلم من السر ما يعلم من العلانية الذي يعلم خائنة الاعين
وما تخفي الصدور وزاد اصحاب الشافعي التغليظ بالمصحف ويامر اصحابه بذلك ويروى عن
ابن عباس ولم يصح قال المولف رحمه الله وفي كتاب المهذب وان حلف بالمصحف وبما فيه
من القران فقد حكى الشافعي عن مطرف ان ابن الزبير كان يحلف على المصحف قال ورايت مطرفا
بصنعا يحلف على المصحف قال الشافعي وهو حسن قال ابن المنذر واجمعوا على انه لا ينبغي للحاكم
ان يستحلف بالطلاق والعتاق والمصحف قال المولف قد تقدم في الايمان وكان قتادة يحلف
بالمصحف وقال احمد واسحق لا يكره ذلك حكاه ابن المنذر **الثالثة عشر** اختلف مالك والشافعي
في هذا الباب في قدر المال الذي يحلف به في مقطع الحق فقال مالك لا تكون اليمين في
مقطع الحق في اقل من ثلاثة دراهم على القطع وكل مال تقطع فيه اليد وتسقط به حرمة العضو
فهو عظيم وقال الشافعي لا يكون في ذلك اقل من عشرين دينارا قياسا على الزكاة وكذلك عند

منه كل مسجد الرابعة عشر قوله تعالى فيقسمان بالله الفاء في فيقسمان عاطفة جملة على جملة او جواب
جزاء لان تحبسونهما معناه احبسوهما اي لليمين فهو جواب الامر الذي دل عليه الكلام كانه قال
اذا حبستموهما اقسما قال ذو الرمة ، وانسان عيني يحسر الماء مرة ، فيبدو وتارات يجم ويغرق ،
تقديره اذا حسر بدا الخامسة عشر واختلف من المراد بقوله فيقسمان فقيل الوصيان اذا ارتيب بقولهما
وقيل الشاهدان اذا لم يكونا عدلين وارتاب بقولهما الحاكم حلفهما قال ابن العربي مبطلا لهذا القول
الذي سمعت وهو بدعة عن ابن ابي ليلى انه يحلف الطالب مع شاهديه ان الذي شهدا به حق
وحينئذ يقضى له بالحق وتاويل هذا عندي اذا ارتاب الحاكم بالقبض فيحلف انه لباق واما غير
ذلك فلا يلتفت اليه هذا في المدعي وكيف يحبس الشاهد او يحلف هذا ما لا يلتفت اليه قال
المؤلف رحمه الله تعالى وقد تقدم من قول الطبري انه لا يعلم انه حكم يجب على الشاهد فيه يمين
وقد قيل انما استحلف الشاهدان لانهما صارا مدعا عليهما حيث ادعا الورثة انهما خانا في المال
السادسة عشر قوله تعالى ان ارتبتم شرط لا يتوجه تحليف الشاهدين الا به ومتى لم يقع ريب لا
اختلاف ولا يمين قال ابن عطية اما انه يظهر من حكم ابي موسى في تحليف الذميين انه باليمين
تكمل شهادتهما وتنفذ الوصية لاهلها وروى ابو داود عن الشعبي ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاة
موقوفا هذه ولم يجد احدا من المسلمين حضر يشهده على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب
فقدما الكوفة فاتيا الاشعري فاخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال الاشعري هذا امر لم يكن
بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا
ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها لوصية الرجل وتركته فامضى شهادتهما قال ابن عطية وهذه الريبة
عند من لا يرى الاية منسوخة يترتب في الخيانة وفي الاتهام بالميل الى بعض الموصى لهم دون
بعض ويقع مع ذلك اليمين عنده واما من يرى الاية منسوخة فلا يقع تحليف الا على ان
يكون الارتياب في خيانة او تعد بوجه من وجوه التعدي فيكون التحليف عنده بحسب الدعوى
على منكر لا على انه تكميل للشهادة قال ابن العربي يمين الريبة والتهمة على قسمين احدهما ما تقع
الريبة فيه بعد ثبوت الحق وتوجه الدعوى فلا خلاف في وجوب اليمين الثاني التهمة المطلقة
في الحقوق والحدود وله تفصيل بيّنه في كتب الفروع وقد تحققت هنا الدعوى وقويت
حسب ما ذكر في الروايات السابعة عشر الشرط في قوله ان ارتبتم يتعلق بقوله تحبسونهما لا
بقوله يقسمان لان هذا الحبس سبب للقسم الثامنة عشر قوله تعالى لا نشتري به ثمنا اي
يقولان في يمينهما لا نشتري بقسمنا عوضا ناخذه بدلا مما اوصى به ولا ندفعه الى احد ولو
كان الذي نقسم له ذا قربى منا واضمار القول كثير كقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم اي يقولون سلام والاشترا هنا ليس بمعنى البيع بل هو للتحصيل التاسعة عشر
اللام في قوله لا نشتري جواب لقوله فيقسمان لان اقسم يكتفي بما يكتفي به القسم وهو لا وما في النفي
وان واللام في الايجاب والهاء في به عائد على اسم الله وهو اقرب مذكور والمعنى لا نبيع حظنا
من الله تعالى بهذا العرض ويحتمل ان يعود على الشهادة وذكرت على معنى القول كما قال صلى الله
عليه وسلم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب فاعاده على معنى الدعوة الذي
هو الدعا كما تقدم في سورة النساء الموفية عشرون قوله تعالى ثمنا قال الكوفيون المعنى
ذا ثمن اي سلعة ذا ثمن فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعندنا وكثير من العلماء ان
الثمن قد يكون هو وتكون السلعة وفان الثمن عندنا مشترى وكل واحد من المعنيين ثمنا

ومنها كان البيع داير على عرض ونقدا وعلى عرضين او على نقدين وعلى هذا الاصل تنبني مسئلة اذا
افلس المبتاع ووجد البايع متاعه هل يكون اولى به قال ابو حنيفة لا يكون اولى به وبناه على هذا
الاصل وقال يكون صاحبها اسوة الغرما وقال مالك هو احق بها في الفلس والموت تمسك ابو
حنيفة بما ذكرناه وبان الاصل الكلي ان الدين في ذمة المفلس والميت وما بايديهما محل للوفا فيشترك
جميع الغرما فيه بقدر رؤس اموالهم ولا فرق في هذا بين ان تكون اعيان السلع موجودة او لا اذ
قد خرجت عن ملك بايعها ووجبت اثمانها لهم في الذمة بالاجماع فلا يكون لهم الا اثمانها او ما
وجد منها وخصص مالك والشافعي هذه القاعدة باخبار رويت في هذا الباب رواها الائمة ابو
داود وغيرها الحادية والعشرون قوله تعالى ولا نكتم شهادة الله اي ما اعلمنا الله من الشهادة وفيها
سبع قراات من ارادها وجدها في التحصيل وغيره الثانية والعشرون قوله تعالى فان عثر على
انهما استحقا اثما قال عمر هذه الاية اعضل ما في هذه السورة من الاحكام وقال الزجاج اصعب
ما في القران من الاعراب قوله من الذين استحق عليهم الاوليان عثر على كذا اطلع عليه يقال عثرت
منه على خيانة اي اطلعت واعثرت غيري عليه ومنه قوله تعالى وكذلك اعثرنا عليهم لانهم
كانوا يطلبونهم وخفي عليهم موضعهم واصل العثور الوقوع والسقوط على الشي ومنه قولهم عثر
الرجل يعثر عثورا اذا وقعت اصبعه بشي صدمته وعثرت اصبع فلان بكذا اذا صدمته فاصابته
ووقعت عليه وعثر الفرس عثارا قال الاعشى بذات لوث عفرناة اذا عثرت فالتعس اولى بها
من ان اقول لعا والضمير في انهما يعود على الوصيين اللذين ذكرا في قوله عز وجل اثنان عن سعيد بن جبير
وقيل على الشاهدين عن ابن عباس واستحقا اي استوجبا اثما يعني بالخيانة واخذهما ما ليس
لهما او باليمين الكاذبة الباطلة وقال ابو علي الاثم هنا اسم الشي الماخوذ لان اخذه باخذه اثم
فسمي اثما كما سمي ما يوخذ بغير حق مظلمة قال سيبويه المظلمة اسم ما اخذ منك فلذلك هذا
الماخوذ باسم المصدر وهو الماثم الثالثة والعشرون قوله تعالى فاخران يقومان مقامهما يعني
في الايمان او في الشهادة وقال اخران بحسب ان الورثة كانا اثنين وارتفع اخران بفعل مضمر يقومان
في موضع النعت مقامهما مصدر وتقديره مقاما مثل مقامهما ثم اقيم النعت مقام المنعوت و
المضاف مقام المضاف اليه الرابعة والعشرون قوله تعالى من الذين استحق عليهم الاوليان قال
ابن السري المعنى استحق عليهم الايصا قال النحاس وهذا من احسن ما قيل فيه لانه لا يجعل حرف بدلا من
حرف واختاره ابن العربي ايضا فان التفسير عليه لان المعنى عند اهل التفسير من الذين استحقت
عليهم الوصية والاوليان بدل من قوله فاخران قاله ابن السري واختاره النحاس وهو بدل
المعرفة من النكرة وابدال المعرفة من النكرة جائز وقيل النكرة اذا تقدم ذكرها ثم اعيد ذكرها
صارت معرفة كقوله تعالى كمشكوة فيها مصباح ثم قال المصباح في زجاجة الزجاجة وقيل
هو بدل من الضمير في يقومان كانه قال فيقوم الاوليان او خبر ابتدا محذوف والتقدير فاخران
يقومان مقامهما هما الاوليان وقال ابن عيسى الاوليان مفعول استحق على حذف المضاف اي
استحق فيهم وبسببهم اثم الاولين فعليهم بمعنى فيهم مثل على ملك سليمان اي في ملك سليمان
وقال الشاعر ، متى ما تنكروها تعرفوها ، على اقطارها علق نفيث ، اي في اقطارها وقرا
يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة الاولين جمع اول على انه بدل من الذين او من الهاء والميم في
عليهم وقرا حفص استحق بفتح التاء والحاء وروي عن ابي بن كعب وفاعله الاوليان والمفعول
محذوف والتقدير من الذين استحق عليهم الاوليان بالميت وصيته التي اوصى بها وقيل استحق

عليهم الاوليان ردا الايمان وروي عن الحسن الاولان وعن ابن سيرين الاولين قال النحاس والقراتان
لحن لايقال في مثنى مثنيان غيرانه قد روي عن الحسن الاولان الخامسة والعشرون قوله تعالى
فيقسمان بالله اي يحلفان الاخران اللذان يقومان مقام الشاهدين ان الذي قال صاحبنا في
وصيته حق وان المال الذي وصى به اليكما كان اكثر مما اتيتمانا به وان هذا الاناء لمن متاع
صاحبنا الذي خرج به معه وكتبه في وصيته وانكما خنتما فذلك قوله لشهادتنا احق من شهادتهما
اي يميننا احق من يمينهما فصح ان الشهادة قد تكون بمعنى اليمين ومنه قوله تعالى فشهادة احدهم
اربع شهادات وقد روى معمر عن ايوب عن ابن سيرين عن عبيدة قال قام رجلان من اولياء
الميت فحلفا لشهادتنا احق ابتداء وخبر وقوله وما اعتدينا اي تجاوزنا الحق في قسمنا انا اذا
لمن الظالمين ان كنا حلفنا على باطل واخذنا ما ليس لنا السادسة والعشرون قوله تعالى ذلك
ادنى ابتدا وخبر ان في موضع نصب يأتوا نصب بان او يخافوا عطف عليه ان ترد في موضع يخافوا
ايمان بعد ايمانهم قيل الضمير في يأتوا ويخافوا راجع الى الموصى اليهما وهو الاليق بمساق الاية
وقيل المراد به الناس اي احرى ان يحذر الناس الخيانة فيشهدوا بالحق خوف الفضيحة في رد
اليمين على المدعي والله اعلم واتقوا الله واسمعوا امر ولذلك حذفت منه النون اي اسمعوا
ما يقال لكم قابلين له متبعين امر الله فيه والله لا يهدي القوم الفاسقين فسق يفسق اذا
خرج من الطاعة الى المعصية وقد تقدم قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا
لا علم لنا انك انت علام الغيوب اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى
والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب
والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون
طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل
عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين قوله يوم يجمع الله
الرسل يقال ما وجه اتصال هذه الاية بما قبلها فالجواب انه اتصال الزجر عن اظهار خلاف
الابطان في وصية او غيرها مما ينبي ان المجازي عليه عالم به ويوم ظرف زمان والعامل فيه
واسمعوا اي واسمعوا خبر يوم وقيل التقدير واتقوا يوم يجمع الله الرسل عن الزجاج وقيل التقدير
اذكروا او احذروا يوم القيمة حين يجمع الله الرسل والمعنى متقارب والمراد التخويف فيقول ماذا
اجبتم اي ما الذي اجابتكم اممكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم الى توحيدي قالوا
اي فيقولون لا علم لنا واختلف اهل التاويل في المعنى المراد بقولهم لا علم لنا فقيل معناه لا علم لنا
بباطن ما اجاب به اممنا لان ذلك هو الذي يقع عليه الجزاء وهذا مروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم وقيل المعنى لا علم لنا الا ما علمتنا فحذف عن ابن عباس ومجاهد بخلاف وقال ابن
عباس ايضا معناه لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا وقيل انهم يذهلون من هول ذلك ويفزعون
عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب اليهم عقولهم فيقولون لا علم لنا قاله الحسن ومجاهد والسدي
قال النحاس وهذا لا يصح لان الرسل صلوات الله عليهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال
المؤلف هذا اكثر مواطن القيمة ففي الخبر ان جهنم اذا جيء بها زفرت زفرة فلا يبقى نبي ولا صديق
الا جثى لركبتيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفني جبريل يوم القيمة حتى ابكاني فقلت
يا جبرائيل الم يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر فقال لي يا محمد لتشهدن من هول ذلك
اليوم ما ينسيك المغفرة قال المؤلف رحمه الله فان كان السؤال عند زفرة جهنم كما قال بعضهم

فنقول

فقول مجاهد والحسن صحيح والله اعلم قال النحاس والصحيح في هذا المعنى ماذا اجبتم في السر والعلانية
ليكون هذا توبيخا للكفار فيقولون لا علم لنا فيكون هذا تكذيبا لمن اتخذ عيسى الها وقال ابن جريج معنى
قوله ماذا اجبتم ماذا عملوا بعدكم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب قال ابو عبيد ويشبه هذا
حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يرد علي اقوام الحوض فيختلجون فاقول امتي فيقال انك لا تدري
ما احدثوا بعدك وكسر الغين حمزة وابو بكر وضم الباقون قال الماوردي فان قيل لم سألهم عما هو
اعلم به منهم فعنه جوابان احدهما انه سألهم ليعلمهم ما لا يعلمون من كفر امهم ونفاقهم وكذبهم
عليهم من بعدهم الثاني انه اراد ان يفضحهم بذلك على رؤس الاشهاد ليكون ذلك نوعا من
العقوبة لهم قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك هذا من صفة يوم القيمة كانه
قال اذكر يوم يجمع الله الرسل واذ يقول الله لعيسى كذا قال المهدوي وعيسى يجوز ان يكون في موضع
رفع على ان يكون ابن مريم نداء ثانيا ويجوز ان يكون في موضع نصب لانه نداء منسوب كما قال
يا حكم بن المنذر بن الجارود ولا يجوز الرفع في الثاني اذا كان مضافا الا عند الطول قوله تعالى
اذكر نعمتي عليك انما ذكر الله تعالى عيسى نعمته عليه وعلى والدته وان كان ذلك لهما لامرين
احدهما ليتلو على الامم ما خصهما به من الكرامة وميزهما به من علو المنزلة الثاني ليؤكد به حجته
ويرد به جاحده ثم اخذ في تعديد نعمه فقال اذ ايدتك يعني قويتك ماخوذ من الايد وهو
القوة وقد تقدم وفي روح القدس وجهان احدهما ان الروح الطاهرة التي خصه الله بها كما
تقدم في قوله وروح منه الثاني انه جبريل وهو الاصح كما تقدم في البقرة تكلم الناس يعني وتكلم
الناس في المهد صبيا وفي الكهولة نبيا وقد تقدم ما في هذا في ال عمران فلا معنى لاعادته وكففت
معناه دفعت وصرفت بني اسرائيل عنك حين هموا بقتلك اذ جئتهم بالبينات اي الدلالات
والمعجزات وهي المذكورة في الاية فقال الذين كفروا يعني الذين لم يؤمنوا بك وجحدوا نبوتك
ان هذا اي المعجزات الا سحر مبين وقرا حمزة والكسائي ساحر اي ان هذا الرجل الا ساحر قوي على
السحر قوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد باننا مسلمون
اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا
الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون
عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون
لنا عيدا لاولنا واخرنا واية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قوله واذ اوحيت الى
الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قد تقدم القول في معاني هذه الاية والوحي في كلام العرب
معناه الالهام ويكون على اقسام وحي بمعنى ارسال جبريل الى الرسل ووحي بمعنى الالهام كما في هذه
الاية اي الهمتهم وقذفت في قلوبهم ومنه قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واوحينا الى ام موسى
ووحي بمعنى الاعلام في اليقظة والمنام قال ابو عبيدة اوحيت بمعنى امرت والى صلة يقال وحى
واوحى قال الله تعالى بان ربك اوحى لها وقال العجاج وحى لها القرار فاستقرت اي امرها بالقرار
فاستقرت وقيل اوحيت هنا بمعنى امرتهم وقيل بينت لهم واشهد باننا مسلمون على الاصل ومن
العرب من يحذف احدى النونين اي واشهد يا رب وقيل يا عيسى باننا مسلمون لله قوله تعالى
اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم على ما تقدم من الاعراب هل يستطيع ربك قراءة الكسائي وعلي
وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد هل تستطيع بالتاء ربك بالنصب وادغم الكسائي اللام
من هل في التاء وقرا الباقون بالياء ربك بالرفع وهذه القراءة اشكل من الاولى فقال السدي

المعنى هل يطيعك ربك ان سألت ان ينزل فيستطيع بمعنى اطاع كما قالوا استجاب بمعنى اجاب وكذلك
استطاع بمعنى اطاع وقيل المعنى هل يقدر ربك فكان هذا السؤال في ابتداء امرهم قبل استحكام
معرفتهم بالله عز وجل ولهذا قال عيسى في الجواب عند غلطهم وتجويزهم على الله ما لا يجوز اتقوا الله
ان كنتم مؤمنين اي لا تشكوا في قدرة الله تعالى قال المؤلف رحمه الله وهذا فيه نظر الحواريون
اخصاء الانبياء ودخلاؤهم وانصارهم كما قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله
وقال عليه الصلاة والسلام لكل نبي حواري وحواري الزبير ومعلوم ان الانبياء صلوات الله
عليهم جاؤا بمعرفة الله تعالى وما يجب له ويجوز ويستحيل وان يبلغوا ذلك امهم فكيف يخفى
ذلك على من باطنهم واختص حتى يجهلوا قدرة الله تعالى الا انه يجوز على بعد ان يقال ان
ذلك صدر ممن كان معهم كما قال بعض جهال الاعراب للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا ذات انواط
كما لهم ذات انواط وكما قال من قال من قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة على ما ياتي بيانه
في الاعراب ان شاء الله تعالى وقيل ان القوم لم يشكوا في استطاعة الباري سبحانه لانهم كانوا
مؤمنين عارفين عالمين وانما هو كقولك للرجل هل يستطيع فلان ان ياتي وقد علمت انه يستطيع
فالمعنى هل يفعل ذلك وهل يجيبني الى ذلك ام لا وقد كانوا عالمين باستطاعة الله تعالى لذلك ولغيره
علم دلالة وخبر ونظر فارادوا علم معاينة لذلك كما قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى على ما تقدم
وقد كان ابراهيم علم ذلك علم خبر ونظر ولكن اراد المعاينة التي لا يدخلها ريب ولا شبهة لان
علم النظر والخبر قد تدخله الشبه والاعتراضات وعلم المعاينة لا يدخلها شيء من ذلك ولذلك
قال الحواريون وتطمئن قلوبنا كما قال ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي قال المؤلف وهذا تاويل
حسن واحسن منه ان ذلك كان من قول من كان مع الحواريين على ما ياتي بيانه وقد ادخل
ابن العربي المستطيع في اسماء الله تعالى وقال لم يرد به كتاب ولا سنة اسما وقد ورد فعلا
وذكر قول الحواريين هل يستطيع ربك ليس شكا في الاستطاعة وانما هو تلطف في السؤال وادب
مع الله تعالى اذ ليس كل ممكن سبق في علمه وقوعه ولا لكل احد والحواريون هم كانوا خيرة من
امن بعيسى فكيف يظن بهم الجهل باقتدار الله تعالى على كل شيء ممكن واما قراءة التاء فقيل
المعنى هل تستطيع ان تسال ربك هذا قول عائشة ومجاهد رضي الله عنهما قالت عائشة كان
القوم اعلم بالله عز وجل من ان يقولوا هل يستطيع ربك قالت ولكن هل تستطيع ربك وروي
عنها ايضا انها قالت كان الحواريون لا يشكون ان الله يقدر على انزال المائدة ولكن قالوا
هل تستطيع ربك وعن معاذ بن جبل قال اقرانا النبي صلى الله عليه وسلم هل تستطيع ربك قال
معاذ وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم مرارا يقرا بالتاء هل تستطيع وقال الزجاج المعنى هل تستدعي
طاعة ربك فيما تساله وقيل هل تستطيع ان تدعو ربك او تساله والمعنى متقارب ولا بد
من محذوف كما قال واسال القرية وعلى قراءة الياء لا يحتاج الى حذف قال اتقوا الله اي
اتقوا معاصيه وكثرة السؤال فانكم لا تدرون ما يحل بكم عند اقتراح الايات اذ كان الله
عز وجل انما يفعل الاصلح لعباده ان كنتم مؤمنين به وبما جئت به فقد جاءكم من الايات ما فيه
غنى قوله تعالى قالوا نريد ان ناكل منها نصب بان وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا
ونكون عليها من الشاهدين عطف كله بينوا به سبب سؤالهم حين نهوا عنه وفي قولهم
ناكل منها وجهان احدهما انهم ارادوا الاكل منها للحاجة الداعية اليها وذلك ان عيسى
عليه السلام كان اذا خرج اتبعه خمسة الاف او اكثر بعضهم كانوا اصحابه وبعضهم كانوا

يطلبون منه ان يدعو لهم لمرض كانوا لهم او علة اذ كانوا زمنى او عميانا وبعضهم كانوا ينظرون ويستهزؤن
فخرج الى موضع فوقعوا في مفازة ولم يكن معهم نفقة فجاعوا وقالوا للحواريين قولوا لعيسى حتى
يدعو بان ينزل علينا مائدة من السماء فجاءه شمعون راس الحواريين واخبره ان الناس يطلبون
بان تدعو بان تنزل عليهم مائدة من السماء فقال عيسى لشمعون قل لهم اتقوا الله ان كنتم مؤمنين
فاخبر بذلك شمعون القوم فقالوا له قل له نريد ان ناكل منها الثاني ناكل منها فننال بركتها لا لحاجة
دعتهم اليها قال الماوردي وهذا اشبه لانهم لو احتاجوا لم ينهوا عن السؤال وتطمئن قلوبنا يحتمل
ثلاثة اوجه احدها تطمئن الى ان الله بعثك الينا نبيا الثاني تطمئن الى ان الله تعالى قد
اختارنا لدعوتنا الثالث تطمئن الى ان الله تعالى قد اجابنا الى ما سالنا ذكرها الماوردي وقال
المهدوي اي تطمئن ان الله قبل صومنا وعملنا قال الثعلبي نستيقن قدرته فتسكن قلوبنا ونعلم
ان قد صدقتنا بانك رسول الله ونكون عليها من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالرسالة
والنبوة وقيل ونكون عليها من الشاهدين لك عند من لم يرها اذا رجعنا اليهم قوله تعالى قال
عيسى ابن مريم اللهم ربنا الاصل عند سيبويه يا الله والميمان بدل من يا ربنا نداء ثان لا يجيز سيبويه
غيره ولا يجوز ان يكون نعتا لانه قد اشبه الاصوات من اجل ما لحقه انزل علينا مائدة المائدة
الخوان الذي عليه الطعام قال قطرب لا تكون المائدة مائدة حتى يكون عليها طعام فان لم يكن
قيل خوان وهي فاعلة من ماده يميده اذا اطعمه واعطاه فالمائدة تميد ما عليها اي تعطي ومنه
قول رؤبة انشده الاخفش، تهدى رؤس المترفين الانداد، الى امير المؤمنين الممتاد، اي
المستعطى المسئول فالمائدة هي المطعمة والعطية للآكلين الطعام ويسمى الطعام ايضا مائدة
تجوزا لانه يؤكل على المائدة كقولهم للمطر سماء وقال اهل الكوفة سميت مائدة لحركتها بما
عليها من قولهم ماد الشيء اذا مال وتحرك قال الشاعر، لعلك باك ان تغنت حمامة، يميد بها
غصن من الاثل مائل، وقال آخر، واقلقني قتل الكناني بعده، فكادت بي الارض الفضاء تميد،
ومنه قوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وقال ابو عبيدة مائدة فاعلة بمعنى
مفعولة مثل عيشة راضية بمعنى مرضية وماء دافق اي مدفوق قوله تعالى تكون لنا عيدا تكون
نعت لمائدة وليس بجواب وقرا الاعمش تكن على الجواب والمعنى يكون يوم نزولها عيدا لاولنا
اي لاول امتنا واخرها فقيل ان المائدة نزلت عليهم يوم الاحد غدوة وعشية فلذلك جعلوا
الاحد عيدا والعيد واحد الاعياد وانما جمع بالياء واصله الواو للزومها في الواحد ويقال للفرق
بينه وبين اعواد الخشب وقد عيدوا اي شهدوا العيد قاله الجوهري وقيل اصله من عاد يعود اي
رجع فهو عود بالواو فقلبت لانكسار ما قبلها ياء مثل الميزان والميقات والميعاد فقيل ليوم الفطر
والاضحى عيد لانهما يعودان كل سنة وقال الخليل العيد كل يوم مجمع كانهم عادوا اليه وقال ابن
الانباري سمي عيدا للعود في المرح والفرح فهو يوم سرور للخلق كلهم الا ترى الى المسجونين في ذلك
اليوم لا يطالبون ولا يعاقبون ولا تصاد الوحش ولا الطيور ولا تنفذ الصبيان الى المكاتب وقيل
سمي عيدا لان كل انسان يعود الى قدر منزلته الا ترى الى اختلاف ملابسهم وهيئاتهم وماكلهم
فمنهم من يضيف ومنهم من يضاف ومنهم من يرحم ومنهم من يُرحم وقيل سمي بذلك لانه يوم
شريف تشبيها بالعيد وهو فحل كريم مشهور في العرب وينسبون اليه فيقال ابل عيدية قال
عيدية ارهنت فيها الدنانير وقد تقدم وقرا زيد بن ثابت لاولينا واخرينا على الجمع قال
ابن عباس ياكل منها اخر الناس كما ياكل اولهم واية منك يعني دلالة وحجة وارزقنا اي اعطنا

وانت خير الرازقين اي من اعطى ورزق انك انت الغني الحميد قوله تعالى قال الله اني منزلها عليكم
فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين واذ قال الله يا عيسى ابن مريم
ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي
بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب
ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني
كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد قوله قال الله اني منزلها عليكم هذا وعد من الله
اجاب به سؤال عيسى كما كان سؤال عيسى اجابة للحواريين وهذا يوجب انه قد انزلها ووعده
الحق فجحد القوم وكفروا بعد نزولها فمسخوا قردة وخنازير قال ابن عمر اشد الناس عذابا يوم
القيمة المنافقون ومن كفر من اصحاب المائدة وال فرعون قال الله تعالى فمن يكفر بعد منكم فاني
اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين واختلف العلماء في المائدة هل نزلت ام لا فالذي
عليه الجمهور وهو الحق نزولها لقوله اني منزلها عليكم وقال مجاهد ما نزلت وانما هذا مثل ضربه
الله تعالى لخلقه فنهاهم عن مسئلة الايات لانبيائه وقيل وعدهم بالاجابة فلما قال لهم فمن
يكفر بعد منكم استعفوا منها واستغفروا الله وقالوا لا نريد هذا قاله الحسن وهذا القول والذي
قبله خطا والصواب انها نزلت قال ابن عباس ان عيسى ابن مريم قال لبني اسرائيل صوموا ثلاثين
يوما فقالوا يا عيسى لو عملنا لاحد فقضينا وانا صمنا وجعنا فادع الله ان ينزل علينا مائدة من السماء
فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها تسعة ارغفة وتسع احوات فوضعوها بين ايديهم
فاكل منها اخر الناس كما اكل اولهم وذكر ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي في نوادر الاصول حدثنا
عمر بن ابي عمر قال حدثنا عمار بن هارون الثقفي عن زكريا بن حكيم الحنظلي عن علي بن زيد بن
جدعان عن ابي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال لما سالت الحواريون عيسى ابن مريم صلوات
الله عليه المائدة قام فوضع ثياب الصوف ولبس ثياب المسوح وهو سربال من مسح اسود ولحاف
اسود فقام فالزق القدم بالقدم والصق العقب بالعقب والابهام بالابهام ووضع يده اليمنى
على يده اليسرى مطاطيا راسه خاشعا لله ثم ارسل عينيه يبكي حتى جرى الدمع على لحيته وجعل
يقطر على صدره ثم قال اللهم انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا واية
منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم الاية فنزلت سفرة حمراء مدورة
بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها والناس ينظرون اليها فقال عيسى اللهم
اجعلها رحمة ولا تجعلها فتنة الهي اسالك من العجايب فتعطي فهبطت بين يدي عيسى عليه
السلام وعليها منديل مغطى فخر عيسى ساجدا والحواريون معه يجدون لها رايحة طيبة لم
يكونوا يجدون قبل ذلك فقال عيسى ايكم اعبد لله واجرا على الله واوثق بالله فليكشف
عن هذه السفرة حتى نأكل منها ونذكر اسم الله عليها ونحمد الله عليها فقال الحواريون يا روح
الله انت احق بذلك فقام عيسى عليه السلام فتوضا وضوءا حسنا وصلى صلاة جديدة
ودعا دعاء كثيرا ثم جلس الى السفرة فكشف عنها فاذا عليها سمكة مشوية ليس فيها شوك تسيل سيلان
السمن وقد قصد حولها من كل البقول ما خلا الكراث وعند راسها ملح وخل وعند ذنبها
ارغفة على واحد منها خمس رمانات وعلى الاخر تمرات وعلى الاخر زيتون الثعلبي على الواحد
منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث بيض وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فبلغ ذلك
اليهود فجاؤا غما وكمدا ينظرون اليه فراوا عجبا فقال شمعون وهو راس الحواريين يا روح الله

امن طعام الدنيا ام من طعام الجنة فقال عيسى عليه السلام اما افترقتم بعد هذه المسايل ما اخوفني
ان تعذبوا قال شمعون واله اسرائيل ما اردت بذلك سوا فقال يا روح الله لو كان مع هذه
الاية اية اخرى قال عيسى يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة طرية تبصبص عينا ها ففزع
الحواريون فقال عيسى ما لي اراكم تسالون عن الشيء فاذا اعطيتموه كرهتموه ما اخوفني ان تعذبوا
وقال لقد نزلت من السماء وما عليها طعام من الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شيء ابتدعه
الله تعالى بالقدرة البالغة قال لها كوني فكانت فقال لها عيسى يا سمكة عودي كما كنت فعادت
مشوية كما كانت فقال الحواريون يا روح الله كن اول من ياكل منها فقال عيسى معاذ الله انما
ياكل منها من طلبها وسالها فابت الحواريون ان ياكلوا منها خشية ان تكون مثله وفتنة فلما
راى عيسى ذلك دعا عليها الفقراء والمساكين والمرضى والزمنى والمجذومين والمقعدين والعميان واهل
الماء الاصفر فقال كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم واحمدوا الله عليه وقال يكون المهنى لكم
والعذاب على غيركم فاكلوا حتى صدروا عن سبع الاف وثلاثماية يحسون فبرئ كل سقيم اكل منه
واستغنى كل فقير اكل منه حتى الممات فلما راى ذلك الناس ازدحموا عليه فما بقي صغير ولا كبير ولا غني
ولا فقير الا جاؤا ياكلون منه فضغط بعضهم بعضا فلما راى ذلك عيسى عليه السلام جعلها نوايب
بينهم فكانت تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود ترعى يوما وتشرب يوما فنزلت اربعين يوما
تنزل ضحى ولا تزال هكذا حتى يفي الفيء موضعه فياكل الناس منها ثم ترجع الى السماء والناس ينظرون
الى ظلها حتى تتوارى عنهم فلما تم اربعون يوما اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى اجعل
مائدتي هذه للفقراء دون الاغنياء فتمارى الاغنياء في ذلك وعادوا الفقراء وشككوا وشككوا
الناس فقال الله يا عيسى اني اخذ بشرطي فاصبح منهم ثلاثة وثلاثون خنزيرا ياكلون العذرة
يطلبونها في الاكبا والاكبا الكناسة واحدها كبى بعد ما كانوا ياكلون الطعام الطيب وينامون
على الفرش اللينة فلما راى الناس ذلك اجتمعوا على عيسى يبكون وجاءت الخنازير فجثوا على
ركبهم قدام عيسى فجعلوا يبكون تقطر دموعهم فعرفهم عيسى فجعل يقول الست بفلان فيومي براسه
ولا يستطيع الكلام فلبثوا بذلك سبعة ايام ومنهم من يقول اربعة ايام ثم دعا الله عيسى ان
يقبض ارواحهم فاصبحوا لا يدرى كيف ذهبوا الارض ابتلعتهم او ما صنعوا قلت في هذا
الحديث مقال ولا يصح من قبل اسناده وعن ابن عباس وابي عبد الرحمن السلمي كان طعام المائدة
خبزا وسمكا وقال ابن عطية كانوا يجدون في السمك طيب كل طعام وذكر الثعلبي وقال عمار
بن ياسر وقتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمار من ثمار الجنة وهب بن منبه انزل
الله تعالى قرصة من شعير وحيتانا وخرج الترمذي في ابواب التفسير عن عمار بن ياسر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت المائدة خبزا ولحما وامروا ان لا يدخروا الغد ولا يخونوا
فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير قال ابو عيسى هذا حديث قد رواه ابو عاصم
وغير واحد عن ابي عروبة عن قتادة عن جلاس عن عمار بن ياسر موقوفا ولا نعلمه مرفوعا الا
من حديث الحسن بن قزعة حدثنا حميدة بن مسعدة قال حدثنا سفيان بن حبيب عن
سعيد بن ابي عروبة نحوه ولم يرفعه وهذا اصح من حديث الحسن بن قزعة ولا نعلم للحديث
المرفوع اصلا وقال سعيد بن جبير انزل على المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال عطا انزل
عليها كل شيء الا السمك واللحم وقال كعب نزلت المائدة منكوسة من السماء تطير بها الملائكة
بين السماء والارض عليها كل الطعام الا اللحم قلت هذه الثلاثة الاقوال مخالفة لحديث

الترمذي وهو اولى منها لانه ان لم يصح مرفوعا يصح موقوفا عن صحابي كبير والله اعلم والمقطوع به انها
نزلت وكان عليها طعام يوكل والله اعلم بتعيينه وذكر ابو نعيم عن كعب انها نزلت ثانية لبعض
عُبّاد بني اسرائيل قال كعب اجتمع ثلاثة نفر من عباد بني اسرائيل فاجتمعوا في ارض فلاة مع كل
رجل منهم اسم من اسماء الله تعالى فقال احدهم سلوني فادع الله لكم بما شئتم فقالوا نسالك ان
تدعوا الله ان يطعمنا شيئا من ثمار الجنة فدعا الله فنزلت عليهم بسرة فاكلوا منها لا تقلب الا
اكلوا منها لونا ثم رفعت ثم قال احدهم سلوني فادع الله لكم بما شئتم قالوا نسالك ان تدعو
الله ان ينزل علينا المائدة التي انزلها على عيسى قال فدعا فنزلت فقضوا منها حاجتهم ثم
رفعت وذكر تمام الخبر مسئلة جاء في حديث سلمان المذكور بيان المائدة وانها كانت
سفرة لا مائدة ذات قوايم والسفرة مائدة النبي صلى الله عليه وسلم وموايد العرب خرج ابو
عبد الله الترمذي حدثنا محمد بن المثنى ابو يوسف الزمن قال حدثنا معاذ بن هشام قال ثنا
ابي عن يونس عن قتادة عن انس قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قط ولا في
سكرجة ولا خبز له مرقق قلت لانس فعلى م كانوا ياكلون قال على السفر قال ابو موسى يونس هذا
هو ابو الفرات الاسكاف قلت هذا حديث صحيح ثابت اتفق على رجاله البخاري ومسلم وخرجه
ابو عيسى الترمذي قال حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا معاذ بن هشام فذكره وقال فيه حسن
غريب قال الترمذي ابو عبد الله فالخوان هو شيء محدث فعله الاعاجم ولم تكن العرب لتمتهنها
وكانوا ياكلون على السفر واحدها سفرة وهي التي تتخذ من الجلود ولها معاليق تنضم وتنفرج سميت
سفرة لانها اذا حلت معاليقها انفرجت فاسفرت عما فيها فقيل لها سفرة وانما سمي السفر لاسفاره الرجل
بنفسه عن البيوت وقوله ولا في سكرجة لانها اوعية الاصباغ وانما الاصباغ للالوان ولم يكن
من شانهم الالوان انما كان طعامهم الثريد عليها مقطعات اللحم وكان يقول انهشوا اللحم نهشا فانه
اشهى وامرا فان قيل فقد جاء ذكر المائدة في الاحاديث من ذلك حديث ابن عباس قال لو كان
الضب حراما ما اكل على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجه مسلم وعن عايشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تصلي الملائكة على الرجل ما دامت مائدته موضوعة خرجه مسلم قيل
له المائدة كل شيء يمد ويبسط مثل المنديل والثوب وكان من حقه ان يكون مادة الدال
مضاعفة فجعلوا احدى الدالين ياء فقيل مائدة والفعل واقع به فكان ينبغي ان يكون ممدودة
ولكن خرجت في اللغة مخرج فاعل كما قالوا سر كاتم وهو مكتوم وعيشة راضية وهي مرضية وكذلك
خرج في اللغة ما هو فاعل على مخرج مفعول فقالوا رجل مشوم وانما هو شائم وحجاب مستور وانما هو
ساتر فالخوان هو المرتفع عن الارض بقوايمه والمائدة ما مد وبسط والسفرة ما اسفر عما في
جوفه وذلك انها مضمومة بمعاليقها وعن الحسن قال الاكل على الخوان فعل الملوك وعلى المنديل
فعل العجم وعلى السفرة فعل العرب قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس
اتخذوني الاية اختلف في وقت هذه المقالة فقال قتادة وابن جريج واكثر المفسرين انما يقول
له هذا يوم القيمة وقال السدي وقطرب قال له ذلك حين رفعه الى السماء وقالت
النصارى فيه ما قالت واحتجوا بقوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان اذ في كلام العرب لما
مضى والاول اصح يدل عليه ما قبله من قوله يوم يجمع الله الرسل الاية وبعده هذا يوم
ينفع الصادقين صدقهم وعلى هذا تكون اذ بمعنى اذا كقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا اي اذا
فزعوا وقال ابو النجم ثم جزاك الله عني اذ جزا جنات عدن في السموات العلى يعني اذا جزى

وقال الاسود بن جعفر الازدي فالان اذ هان لهن فانما يقلن الامر يذهب الشيخ مذهبا يعني
اذا هان لهن فعبر عن المستقبل بلفظ الماضي لانه لتحقيق امره وظهور برهانه كانه قد وقع وفي
التنزيل ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ومثله كثير وقد تقدم واختلف اهل التاويل في معنى هذا
السؤال وليس هو باستفهام وان خرج مخرج الاستفهام على قولين احدهما انه ساله عن ذلك توبيخا
لمن ادعى عليه فيكون انكاره بعد السؤال ابلغ في التكذيب واشد في التوبيخ والتقريع الثاني قصد
بهذا السؤال تعريفه ان قومه غيروا بعده وادعوا عليه ما لم يقله فان قيل فالنصارى لم يتخذوا
مريم الها فكيف قال ذلك فيهم قيل لما كانت من قولهم انها لم تلد بشرا وانما ولدت الها لزمهم
ان يقولوا لاجل البعضية عناية لمن ولدته فصاروا حين لزمهم ذلك بمثابة القايلين له قوله تعالى
قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته خرج الترمذي عن ابي
هريرة قال تلقى عيسى حجته ولقاه الله في قوله واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فلقاه الله سبحانك
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته الاية كلها قال ابو عيسى هذا حديث
حسن صحيح وبدا بالتسبيح قبل الجواب لامرين احدهما تنزيها له عما اضيف اليه والثاني خضوعا
لعزته وخوفا من سطوته ويقال ان الله تعالى لما قال لعيسى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله اخذته الرعدة من ذلك القول حتى سمع صوت عظامه في نفسه فقال
سبحانك ثم قال ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ادعي لنفسي ما ليس لي بحق يعني انني
مربوب ولست برب وعابد ولست بمعبود ثم قال ان كنت قلته فقد علمته فرد ذلك الى
علمه وقد كان عالما به وانه لم يقله وانه ساله عنه تقريعا لمن اتخذ عيسى الها ثم قال
تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك وقيل المعنى تعلم ما
اعلم ولا اعلم ما تعلم وقيل تعلم ما اخفيه ولا اعلم ما تخفيه وقيل تعلم ما اريد ولا اعلم ما تريد
وقيل تعلم سري ولا اعلم سرك لان السر موضعه النفس وقيل تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا
اعلم ما يكون منك في دار الاخرة قلت والمعنى في هذه الاقوال متقارب اي تعلم سري وما
انطوى عليه ضميري الذي خلقته ولا اعلم شيئا مما استاثرت به من غيبك وعلمك وانت
علام الغيوب ما كان وما يكون وما لم يكن وما هو كاين يعني في الدنيا بالتوحيد قوله تعالى
ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم ان لا موضع لها من الاعراب وهي مفسرة
مثل وانطلق الملا منهم ان امشوا اي ما ذكرت لهم الا عبادة الله ويجوز ان تكون في موضع خفض
اي بان اعبدوا الله وضم النون اولى لانهم يستثقلون كسرة بعدها ضمة والكسر جايز على
اصل التقاء الساكنين قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب
عليهم قيل هذا يدل على ان الله تعالى توفاه قبل ان يرفعه وليس بشيء لان الاخبار تظاهرت
برفعه وانه في السماء حي وانه ينزل ويقتل الدجال على ما ياتي وانما المعنى فلما رفعتني الى السماء
قال الحسن الوفاة في كتاب الله تعالى على ثلثة اوجه وفاة الموت وذلك قوله تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها يعني وقت انقضاء اجلها ووفاة النوم قال الله تعالى وهو الذي يتوفاكم
بالليل يعني ينيمكم ووفاة الرفع قال الله تعالى يا عيسى اني متوفيك وانت تاكيد للرقيب
خبر كنت ومعناه الحافظ عليهم والعالم بهم والشاهد على افعالهم واصله المراقبة اي
المراعاة ومنه المرقبة لانها في موضع الرقيب من علو المكان وانت على كل شيء شهيد في

مقالتي ومقالهم وقيل على من عصى واطاع خرج مسلم عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم خطيبا بموعظة فقال ايها الناس انكم محشورون الى الله عراة غرلا كما بدانا اول خلق
نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا وان اول الخلايق يكسى يوم القيمة ابراهيم عليه السلام الا وانه
سيجا برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول يا رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا
بعدك فاقول ما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب
عليهم الى قوله فانك انت العزيز الحكيم قال فيقال لي انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ
فارقتهم قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم قال
الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو
على كل شيء قدير قوله ان تعذبهم فانهم عبادك شرط وجوابه وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم مثله روى النسائي عن ابي ذر قال قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى اصبح باية والاية ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم واختلف في تاويله فقيل قاله على وجه
الاستعطاف لهم والرافة بهم كما يستعطف السيد لعبده ولهذا لم يقل فان عصوك وقيل
قاله على وجه التسليم لامره والاستجارة من عذابه وهو يعلم انه لا يغفر لكافر وقيل الهاء والميم
في ان تعذبهم لمن مات منهم على الكفر والهاء والميم في ان تغفر لهم لمن تاب منهم قبل الموت وهذا
حسن واما قول من قال ان عيسى عليه السلام لم يعلم ان الكافر لا يغفر له فقول يجترئ على كتاب الله
عز وجل لان الاخبار من الله لا تنسخ وقيل كان عند عيسى انهم احدثوا معاصي وعملوا بعده بما لم
يامرهم به الا انهم على عمود دينه فقال وان تغفر لهم ما احدثوا بعدي من المعاصي وقال انك
انت العزيز الحكيم ولم يقل فانك انت الغفور الرحيم على ما تقتضيه القصة من التسليم لامره
والتفويض لحكمه ولو قال قايل انك انت الغفور الرحيم لاوهم الدعا بالمغفرة لمن مات على شركه
وذلك مستحيل والتقدير ان تبقهم على كفرهم حتى يموتوا وتعذبهم فانهم عبادك وان تهدهم الى
طاعتك وتوحيدك فتغفر لهم فانك انت العزيز الذي لا يمتنع عليك ما تريده الحكيم فيما
تفعله تضل من تشاء وتهدي من تشاء وقد قرا جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست
من المصحف ذكره القاضي عياض في كتاب الشفا وقال ابو بكر الانباري وقد طعن على القران
من قال ان قوله انت العزيز الحكيم ليس بمشاكل لقوله وان تغفر لهم لان الذي يشاكل المغفرة
فانك انت الغفور الرحيم والجواب انه لا يحتمل الا ما انزله الله ومتى نقله الى الذي نقل
اليه ضعف معناه فانه ينفرد الغفور الرحيم بالشرط الثاني ولا يكون له بالشرط الاول تعلق
وهو على ما انزل الله عز وجل ويجتمع على قوله المسلمون بالشرطين كليهما واولهما واخرهما اذ تلخيصه
ان تعذبهم فانك انت العزيز الحكيم وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم في الامرين
كليهما من التعذيب والغفران فكان العزيز الحكيم اليق بهذا المكان لعمومه فانه يجمع الشرطين
ولم يصح الغفور الرحيم اذ لم يحتمل من العموم ما يحتمله العزيز الحكيم وما شهد بتعظيم الله وعدله
والثناء عليه في الاية كلها والشرطين المذكورين اولى واثبت معنى في الاية مما يصلح لبعض الكلام
دون بعض خرج مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قوله عز وجل
في ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الاية وقال عيسى ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال يا رب امتي وبكى

فقال

فقال الله عز وجل اذهب الى محمد صلى الله عليه وسلم وقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وان
تغفر لهم فانهم عبادك ووجه الكلام على نسقه اولى كما بيناه وبالله التوفيق قوله تعالى قال الله
هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم اي في الدنيا فاما في الاخرة فلا ينفع فيها الصدق وصدقهم
في الدنيا يحتمل ان يكون صدقهم في العمل لله ويحتمل ان يكون تركهم الكذب عليه وعلى من مثله
وانما ينفعهم الصدق في ذلك اليوم وان كان نافعا في كل الايام لوقوع الجزا فيه وقيل المراد صدقهم
في الاخرة وذلك في الشهادة لانبيائهم بالبلاغ وفيما شهدوا به على انفسهم من اعمالهم ويكون وجه
النفع فيه ان يكفوا المواخذة بتركهم الشهادة فيغفر لهم باقرارهم لانبيائهم على انفسهم والله اعلم
وقرا نافع وابن محيصن يوم بالنصب ورفع الباقون وهي القراءة البينة على الابتدا والخبر
فيوم ينفع خبر لهذا والجملة في موضع نصب بالقول واما قراءة نافع وابن محيصن فحكى ابراهيم
بن حميد عن محمد بن يزيد ان هذه القراءة لا تجوز لانه نصب خبر المبتدا ولا يجوز فيه البنا
وقال ابراهيم بن السري هي جايزة بمعنى قال الله هذا لعيسى ابن مريم يوم ينفع الصادقين صدقهم
فيوم ظرف للقول وهذا مفعول الاول والتقدير قال الله هذا القول في يوم ينفع الصادقين و
قيل التقدير قال الله عز وجل هذه الاشياء تنفع يوم القيمة وقال الكسائي بني يوم هنا على النصب
لانه مضاف الى غير اسم متمكن مثل يومئذ وانشد الكسائي على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت الما اصح
والشيب وازع الزجاج ولا يجيز البصريون ما قاله اذا اضفت الظرف الى فعل مضارع فان كان
الى ماض كان جيدا كما مر في البيت وانما جاز ان يضاف الفعل الى ظروف الزمان لان الفعل بمعنى
المصدر وقيل يجوز ان يكون مبنيا ويكون خبر الابتداء الذي هو هذا لانه مشار به الى حدث
وظروف الزمان تكون اخبارا عن الاحداث تقول القتال اليوم والخروج الساعة والجملة في
موضع نصب بالقول ويجوز ان يكون هذا في موضع رفع بالابتداء واليوم خبر الابتدا والعامل
فيه محذوف والتقدير قال الله هذا الذي قصصناه يقع يوم ينفع الصادقين صدقهم في الكلام
حذف تقديره فيه مثل واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا وهي قراءة الاعمش قوله تعالى
لهم جنات ابتدا وخبر تجري في موضع الصفة من تحتها اي من تحت غرفها واشجارها وقد
تقدم بين تعالى ثوابهم وانه راض عنهم رضى لا يغضب بعده ابدا ورضوا عنه اي الجزا الذي
اثابهم به ذلك الفوز اي الظفر العظيم الذي عظم خيره وكثر وارتفعت منزلة صاحبه وشرف
قوله تعالى لله ملك السموات والارض جاء هذا عقب ما جرى دعوى النصارى في عيسى انه اله
فاخبر تعالى ان له ملك السموات والارض له دون عيسى ودون ساير المخلوقين ويجوز ان
يكون المعنى ان الذي له ملك السموات والارض يعطي الجنات المتقدم ذكرها للمطيعين من عباده انتهى

سورة الانعام وهي مكية

في قول الاكثرين قال ابن عباس وقتادة كلها مكية الا ايتين منها نزلتا بالمدينة قوله وما
قدروا الله حق قدره نزلت في مالك بن الصيف وكعب بن الاشرف اليهودي والاخرى
قوله وهو الذي انشا جنات معروشات نزلت في ثابت بن قيس بن شماس الانصاري وقال
ابن جريج نزلت في معاذ بن جبل قاله الماوردي وقال الثعلبي سورة الانعام مكية الا ست
ايات نزلت في المدينة وما قدروا الله حق قدره الى اخر ثلاث ايات قال ابن عطية وهي
الايات المحكمات وذكر ابن العربي ان قوله تعالى قل لا اجد نزلت بمكة يوم عرفة وسياتي
القول في جميع ذلك ان شا الله وفي الخبر انها نزلت جملة واحدة غير الست الايات وشيعها

سبعون الف ملك مع اية منها اثنى عشر الف ملك وهي وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو نزلوا
بها ليلا لها زجل بالتسبيح والتحميد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتبوها من ليلتهم
واسند ابو جعفر النحاس قال اخبرنا محمد بن يحيى حدثنا ابو حاتم روح بن الفرج مولى الحضارمة قال
وحدثنا احمد بن محمد ابو بكر العمري حدثنا ابن ابي فديك حدثني عمر بن طلحة بن علقمة بن ابي وقاص
عن نافع ابي سهيل عن مالك عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت سورة
الانعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والارض ترتج ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول سبحان ربي العظيم ثلاث مرات وذكر الدارمي ابو محمد في مسنده عن
عمر بن الخطاب قال الانعام من نواجب القران وفيه عن كعب قال فاتحة التورية افتتحت بقوله
وخاتمته خاتمة هود وقاله وهب بن منبه ايضا وذكر المهدوي ذكر المفسرون ان التورية افتتحت
بقوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض الاية وختمت بقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
ولم يكن له شريك في الملك الى اخر الاية وذكر الثعلبي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من قرا ثلاث ايات من اول سورة الانعام الى قوله ويعلم ما تكسبون وكل الله له اربعين الف
ملك يكتبون له مثل عباداتهم الى يوم القيمة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من
حديد فاذا اراد الشيطان ان يوسوس له او يوحي في قلبه شيئا ضربه ضربة فيكون بينه وبينه
سبعون حجابا فاذا كان يوم القيمة قال الرب تعالى امش في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وكل من ثمار
جنتي واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل فانت عبدي وانا ربك وفي البخاري
عن ابن عباس قال اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين ومائة اية من سورة
الانعام قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الى قوله وما كانوا مهتدين تنبيه قال
العلماء هذه السورة اصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور
وهذا يقتضي انزالها جملة واحدة لانها في معنى واحد من الحجة وان تصرف ذلك بوجوه كثيرة
وعليها بنى المتكلمون اصول الدين لان فيها ايات بينات ترد على القدرية دون السور
التي تذكر والمذكورات وسترى ذلك مبينا بحول الله تعالى وقدرته وقوته انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون وهو الله في السموات
وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا
كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون
الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء
عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم
قرنا اخرين قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض فيه قوله يعدلون فيه خمس مسائل الاولى
قوله تعالى الحمد لله بدا سبحانه فاتحتها بالحمد لله على نفسه واثبات الوهيته اي ان الحمد كله
لله لا شريك له فان قيل فقد افتتح غيرها بالحمد لله فكان الاجتزاء بواحدة يغني عن سايره فيقال
ان لكل واحدة معنى موضعه لا يودى عنه غيره من اجل عقده بالنعم المختلفة وايضا فلما فيه
من الحجة في هذا الموضع على الذين هم بربهم يعدلون وقد تقدم معنى الحمد لله في الفاتحة والله
اعلم الثانية قوله تعالى الذي خلق السموات والارض اخبر عن قدرته وعلمه وارادته فقال

الذى

الذي خلق اي اخرج واوجد وانشا وابتدع والخلق يكون بمعنى الاختراع ويكون بمعنى التقدير وتقدم وكلاهما
مراد ههنا وذلك دليل على حدوثهما فرفع السماء بغير عمد وجعلها مستوية من غير اود وجعل الشمس والقمر
ايتين وزينها بالنجوم واودعها السحاب والغيوم علامتين وبسط الارض واودعها الارزاق
والنبات وبث فيها من كل دابة ايات وجعل فيها الجبال اوتادا وسبلا فجاجا واجرى فيها الانهار
والبحار وفجر فيها العيون من الاحجار دلالات على وحدانيته وعظيم قدرته وانه هو الواحد القهار
وبين بخلقه السموات والارض انه خالق كل شيء الثالثة خرج مسلم قال حدثني سريج بن يونس
وهارون بن عبد الله قالا اخبرنا حجاج بن محمد قال قال ابن جريج اخبرني اسمعيل بن امية عن ايوب
بن خالد بن عبد الله بن رافع مولى ام سلمة عن ابي هريرة قال اخذ رسول الله بيدي فقال خلق
الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق
المكروه يوم الثلثا وخلق النور يوم الاربعا وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد
العصر من يوم الجمعة في اخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل قلت ادخل
العلماء هذا الحديث تفسير الفاتحة هذه السورة قال البيهقي وزعم اهل العلم بالحديث انه غير محفوظ
لمخالفة ما عليه اهل التفسير واهل التواريخ وزعم بعضهم ان اسمعيل بن امية انما اخذه عن ابراهيم بن ابي
يحيى عن ايوب بن خالد وابراهيم غير محتج به وذكر محمد بن يحيى قال سالت علي بن المديني عن حديث
ابي هريرة خلق الله التربة يوم السبت فقال علي هذا حديث مدني رواه هشام بن يوسف عن ابن
جريج عن اسمعيل بن امية عن ايوب بن خالد عن ابي رافع مولى ام سلمة عن ابي هريرة قال اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال علي وشبك بيدي ابراهيم بن يحيى فقال لي شبك بيدي ايوب
ابن خالد وقال لي شبك بيدي عبد الله بن رافع وقال لي شبك بيدي ابو هريرة وقال لي
شبك بيدي ابو القاسم صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم خلق الله الارض يوم السبت فذكر
الحديث بنحوه قال علي ابن المديني وما ارى اسمعيل بن امية اخذ هذا الا من ابراهيم بن ابي يحيى
قال البيهقي وقد تابعه على هذا موسى ابن عبيدة ضعيف وروي عن بكر بن شريك عن ابراهيم
بن ابي يحيى عن صفوان بن سليم عن ايوب بن خالد واسناده ضعيف عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم يسال الله عز وجل شيئا الا اعطاه
اياه قال فقال عبد الله بن سلام ان الله عز وجل ابتدا الخلق فخلق الارض يوم الاحد ويوم
الاثنين وخلق السموات يوم الثلاثا ويوم الاربعا وخلق الاقوات وما في الارض يوم الخميس
ويوم الجمعة وخلق ادم بعد العصر وهو ما بين صلاة العصر الى ان تغرب الشمس خرجه
البيهقي قلت وفيه ان الله تعالى بدا بالخلق يوم الاحد لا يوم السبت وكذلك تقدم في البقرة
عن ابن مسعود وغيره من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم فيها الاختلاف اي ما خلق اولا
الارض ام السماء مستوفى والحمد لله الرابعة قوله تعالى وجعل الظلمات والنور ذكر بعد
ذكر خلق الجواهر خلق الاعراض لكون الجواهر لا يستغني عنه وما لا يستغني عنه عن الحوادث فهو حادث
والجوهر في اصطلاح المتكلمين هو الجزء الذي لا يتجزى الحامل العرض وقد اتينا على ذكره في الكتاب
الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى في اسمه الواحد وسمي العرض عرضا لانه يعرض في الجسم الجوهر فيتغير
به من حال الى حال والجسم هو المجتمع واقل ما يقع عليه اسم الجسم جوهران مجتمعان وهذه الاصطلاحات
وان لم تكن موجودة في الصدر الاول فقد دل عليها معنى الكتاب والسنة فلا معنى لانكارها وقد
استعملها العلماء واصطلحوا عليها وبنوا عليها كلامهم وقتلوا بها خصومهم كما تقدم في البقرة واختلف

في المعنى المراد بالظلمات والنور فقال السدي وقتادة وجمهور المفسرين المراد سواد الليل وبياض النهار وقال الحسن الكفر والايمان وقال ابن عطية هذا خروج عن الظاهر قلت اللفظ يعمه وفي التنزيل اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات والارض هنا اسم للجنس فافرادها في اللفظ بمنزلة جمعها وكذلك والنور ومثله ثم يخرجكم طفلا وقال الشاعر كلوا في نصف بطنكم تعيشوا وقد تقدم وجعل هنا بمعنى خلق لا يجوز غيره قاله ابن عطية قلت وعليه يتفق اللفظ والمعنى في النسق فيكون الجميع معطوفا على الجمع والمفرد على المفرد فيتجانس اللفظ وتظهر الفصاحة والله اعلم وقيل جمع الظلمات ووحد النور لان الظلمات لا يتعدى والنور يتعدى وحكى الثعلبي ان بعض اهل المعاني قال جعل زائدة والعرب تزيد جعل في الكلام كقول الشاعر وقد جعلت ارى الاثنين اربعة والواحد اثنين لما هدني الكبر قال النحاس جعل بمعنى خلق واذا كانت بمعنى خلق لم تتعدا الا الى مفعول واحد وقد تقدم المعنى ومحامل جعل في البقرة مستوفى الخامسة قوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ابتدا وخبر والمعنى ثم الذين كفروا يجعلون لله عدلا وشريكا وهو الذي خلق هذه الاشياء وحده قال ابن عطية فثم دالة على قبح فعل الكافرين لان المعنى ان خلقه السموات والارض قد تقرر واياته قد سطعت وانعامه بذلك قد تبين ثم بعد ذلك كله عدلوا بربهم وهذا كما تقول يا فلان اعطيتك واكرمتك واحسنت اليك ثم تشتمني ولو وقع العطف بالواو في هذا ونحوه لم يلزم التوبيخ كلزومه قوله تعالى هو الذي خلقكم من طين خبر وفي معناه قولان احدهما وهو الاشهر وعليه من الخلق الاكثر ان المراد ادم عليه السلام والخلق نسله والفرع يضاف الى اصله فلذلك قال خلقكم بالجمع فاخرجه مخرج الخطاب لهم اذ كانوا ولده هذا قول الحسن وقتادة وابن ابي نجيح والسدي والضحاك وابن زيد وغيرهم الثاني ان تكون النطفة خلقها الله من طين على الحقيقة ثم قلبها حتى كان الانسان ذكره النحاس قلت وبالجملة فلما ذكر عز وجل العالم الكبير ذكر بعده خلق العالم الصغير وهو الانسان وجعل فيه ما في العالم الكبير على ما بيناه في البقرة في اية التوحيد والحمد لله وقد روى ابو نعيم الحافظ في كتابه عن مرة عن ابن مسعود ان الملك الموكل بالرحم ياخذ النطفة فيضعها في كفه فيقول يا رب مخلقة او غير مخلقة فان قال مخلقة قال يا رب ما الرزق ما الاثر ما الاجل فيقول انظر في ام الكتاب فينظر في اللوح المحفوظ فيجد فيه رزقه واثره واجله وعمله وياخذ التراب الذي يدفن في بقعته ويعجن به نطفته فذلك قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم وخرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا وقد ذر عليه من تراب حفرته قلت وعلى هذا يكون كل مخلوق من طين وماء مهين كما اخبر عز وجل في سورة المؤمنين فينتظم الايات والاحاديث ويرتفع الاشكال والتعارض والله اعلم واما الاخبار من خلق ادم عليه السلام فقد تقدم في البقرة ذكره واشتقاقه ونزيد مناظرفا من ذلك وبعثه وسنه ووفاته فذكر ابن سعد في الطبقات عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ولد ادم وادم من تراب وعن سعيد بن جبير قال خلق الله ادم عليه السلام من ارض يقال لها دحنا قال الحسن وخلق جؤجؤه من ضرية قال الجوهري ضرية قرية لبني كلاب على طريق البصرة وهي الى مكة اقرب وعن ابن مسعود قال ان الله تعالى بعث ابليس فاخذ من اديم الارض من عذبها وملحها فخلق منه ادم عليه السلام وكل شي خلقه من عذبها فهو صاير الى الجنة وكل شي خلقه من ملحها فهو صاير الى النار وان كان ابن نبي فمن ثم قال ابليس أأسجد لمن خلقت طينا لانه

جاء

جاء بالطينة فسمي ادم لانه خلق من اديم الارض وعن عبد الله بن سلام قال خلق الله ادم في اخر يوم الجمعة وعن ابن عباس قال لما خلق الله ادم كان راسه يمس السحاب قال فوطده الى الارض حتى صار ستين ذراعا في سبعة اذرع عرضا وعن ابي بن كعب قال كان ادم طوالا جعدا كانه نخلة سحوق وعن ابن عباس في حديث فيه طول وحج ادم عليه السلام من الهند الى مكة اربعين حجة على رجليه وكان ادم حين اهبط يمسح راسه السماء فمن ثم اصلع واورث ولده الصلع ونفرت من طوله دواب الارض فصارت وحشا من يومئذ ولم يمت حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفا وتوفي على ذروة الجبل الذي انزل عليه فقال شيث لجبريل عليه السلام صل على ادم فقال له جبريل عليه السلام تقدم انت فصل على ابيك وكبر عليه ثلاثين تكبيرة فاما خمس فهي الصلاة وخمس وعشرون تفضيلا لادم وقيل كبر عليه اربعا فجعل بنو شيث ادم في مغارة وجعلوا عليها حافظا لا يقربها احد من بني قابيل وكان الذي ياتونه ويستغفرون له بنو شيث وكان عمر ادم تسعماية سنة وستة وثلاثين سنة ويقال هل في الاية دليل على ان الجواهر من جنس واحد الجواب نعم لانه اذا جاز ان ينقلب الطين انسانا حيا قادرا عالما جاز ان ينقلب الى كل حال من احوال الجواهر لتسوية العقل بين ذلك في الحكم وقد صح انقلاب الجماد الى الحيوان بدلالة هذه الاية قوله تعالى ثم قضى اجلا مفعول واجل مسمى عنده ابتدا وخبر الضحاك اجلا في الموت واجل مسمى عنده الى اجل القيمة فالمعنى على هذا اجلا واعلمكم انكم تقيمون الى الموت ولم يعلمكم باجل القيمة وقال الحسن ومجاهد وعكرمة وخصيف وقتادة وهذا لفظ الحسن قضى اجل الدنيا من يوم خلقك الى ان تموت واجل مسمى عنده يعني الاخرة وقيل قضى اجلا اما اعلمناه من انه لا نبي بعد النبي صلى الله عليه وسلم واجل مسمى من الاخرة وقيل قضى اجلا مما نعرفه من اوقات الاهلة والزرع وما اشبههما واجل مسمى اجل الموت لا يعلم الانسان متى يموت وقال ابن عباس ومجاهد وقضى اجلا بقضاء الدنيا واجل مسمى عنده لابتداء الاخرة وقيل الاول قبض الارواح في النوم والثاني قبض الروح عند الموت عن ابن عباس ايضا قوله تعالى ثم انتم تمترون ابتدا وخبر اي تشكون في انه اله واحد وقيل تمارون في ذلك اي تجادلون جدل الشاكين والتماري المجادلة على مذهب الشك ومنه قوله تعالى افتمارونه على ما يرى قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض يقال ما عامل الاعراب في الظرف من السموات والارض ففيه اجوبة احدها اي وهو الله المعظم او المعبود في السموات وفي الارض كما تقول زيد الخليفة في الشرق والمغرب اي حكمه ويجوز ان يكون المعنى وهو الله المنفرد بالتدبير في السموات وفي الارض كما يقول هي في حاجات الناس وفي الصلاة ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر ويكون المعنى وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض فلا يخفى عليه شي قال النحاس وهذا من احسن ما قيل فيه وقال محمد بن جرير وهو الله في السموات ويعلم سركم وجهركم في الارض فيعلم مقدم في الوجهين والاول اسلم وابعد من الاشكال وقيل غير هذا والقاعدة تنزيهه عز وجل عن الحركة والانتقال وشغل الامكنة ويعلم ما تكسبون من خير وشر والكسب الفعل لاجتلاب نفع او دفع ضر ولهذا لا يقال لفعل الله كسب قوله تعالى وما تاتيهم من اية اي علامة كانشقاق القمر ونحوها ومن لاستغراق الجنس تقول ما في الدار من احد ومن ايات ربهم من الثانية للتبعيض معرضين خبر كانوا والاعراض ترك النظر في الايات التي يجب ان يستدلوا بها على توحيد الله عز وجل من خلق السموات والارض وما بينهما وانه يرجع الى قديم غني عن جميع الاشياء قادر لا يعجزه شي عالم لا يخفى عليه شي من المعجزات التي اقامها الانبياء عليه

الصلاة والسلام ليستدل به على صدقه في جميع ما يأتي به قوله تعالى فقد كذبوا يعني مشركي مكة
بالحق يعني بالقران وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم فسوف ياتيهم اي يحل بهم العقاب واراد بالانباء
وهي الاخبار بالعذاب كقولهم اصبر وسوف يأتيك الخبر العذاب والمراد ما ياتيهم يوم بدر وعده
وقيل يوم القيمة قوله تعالى الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن كم في موضع نصب باهلكنا
لا بقوله الم يروا لان لفظ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وانما يعمل فيه ما بعده من اجل ان له صدر
الكلام والمعنى لا يعتبرون بمن اهلكنا من الامم قبلهم بتكذيبهم انبياءهم اي الن لم يعرفوا ذلك والقرن
الامة من الناس والجمع القرون قال الشاعر اذا ذهب القرن الذي كنت فيهم وخلفت في قرن فانت
غريب والقرن في كل عالم في عصره مأخوذ من الاقتران اي عالم مقترن بعضهم الى بعض وفي الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم خيركم قرني يعني اصحابه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم هذا اصح ما
قيل فيه وقيل المعنى اهل قرن فحذف كقوله واسئل القرية فالقرن على هذا مدة من الزمان
قيل ستون عاما وقيل سبعون عاما وقيل ثمانون عاما وقيل مائة عام وعليه اكثر اصحاب الحديث ان
القرن مائة سنة واحتجوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بشر تعيش قرنا فعاش مائة
سنة ذكره النحاس واصل القرن الشيء الطالع كقرن ما له قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم خروج
من الغيبة الى الخطاب عكسه حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقال اهل البصرة اخبر عنهم
بقوله الم يروا وفيه محمد واصحابه ثم خاطبهم معهم والعرب تقول قلت لعبد الله ما اكرمه وقلت
لعبد الله ما اكرمك ولو جاء على ما تقدم من الغيبة لقال ما لم نمكن لهم ويجوز مكنه ومكن له
فجاء باللغتين جميعا اي اعطيناهم ما لم نعطكم من الدنيا وارسلنا السماء عليهم مدرارا يريد المطر الكثير
عبر عنه بالسماء لانه من السماء ينزل ومنه قول الشاعر اذا سقط السماء بارض قوم ومدرار
بناء دال على التكثير كمذكار للمراة التي كثرت ولادتها للذكور ومئناث للتي تلد الاناث يقال در
اللبن يدر اي اقبل على الحلب بكثرة وانتصب مدرارا على الحال وجعلنا الانهار تجري من تحتهم
اي من تحت اشجارهم ومنازلهم ومنه قول فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي والمعنى وسعنا
عليهم النعم فكفروها فاهلكناهم بذنوبهم اي بكفرهم فالذنوب سبب الانتقام وزوال النعم وانشانا
من بعدهم قرنا اخرين اي اوجدنا فليحذر هؤلاء من الاهلاك ايضا قوله تعالى ولو نزلنا عليك
كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقالوا لولا انزل عليه
ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا
عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به
يستهزءون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل لمن ما في السموات
والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم
فهم لا يؤمنون قوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الاية المعنى يا محمد ولو نزلنا فرأى منهم
كما زعموا وطلبوا كلاما مكتوبا في قرطاس وعن ابن عباس كتابا معلقا بين السما والارض هذا
يبين لك ان التنزيل على وجهين احدهما على معنى نزل عليك الكتاب بمعنى نزول الملك به
والاخر لو نزلنا عليك كتابا في قرطاس يمسكه الله بين السماء والارض وقال باليا على المبالغة
بطول مكث الكتاب من السماء والارض والكتاب مصدر بمعنى الكتابة فبين ان الكتابة في قرطاس
لانه غير معقول كتابة الا في قرطاس اي في صحيفة والقرطاس الصحيفة ويقال قرطاس بالضم
وقرطس فلان اذا رمى فاصاب الصحيفة الملتزقة بالهدف فلمسوه بايديهم فعاينوا ذلك

ومسوه باليد كما اقترحوا وبالغوا في ميزه وتقليبه حسا بايديهم ليرتفع كل ارتياب ويزول عنهم كل
اشكال لعاندوا فيه وبالغوا في كفرهم وقالوا هذا سحر مبين انما سكرت ابصارنا وسحرنا وهذه الاية
جواب لقولهم حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه فاعلم الله بما سبق في علمه من انه لو نزل لكذبوا به
قال الكلبي نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد قالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الاية قوله تعالى وقالوا لولا انزل عليه ملك اقترحوا هذا ايضا
ولولا بمعنى هلا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ابن عباس لو راوا الملك على صورته لماتوا اذ لا يطيقون
رؤيته مجاهد وعكرمة لقامت الساعة الحسن وقتادة لاهلكوا بعذاب الاستيصال لان الله
اجرى سنته بان من طلب اية فاظهرت له فلم يؤمن اهلكه الله في الحال ثم لا ينظرون لا يمهلون
ولا يؤخرون قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لا يستطيعون ان يروا الملك في صورته
الا بعد التجسم بالاجسام الكثيفة لان كل جنس يانس بجنسه وينفر من غير جنسه فلو جعل الله تعالى
الرسول الى البشر ملكا لنفروا عن مقاربته ولما انسوا به ولداخلهم الرعب من كلامه ما يلقيهم
عن كلامه ويمنعهم عن سؤاله فلا تعم المصلحة ولو نقله عن صورة الملائكة الى مثل صورتهم
لانسوا به ولسكنوا اليه لقالوا لست ملكا وانما انت بشر فلا نؤمن بك وعادوا الى مثل حالهم
وكانت الملائكة تاتي الانبياء في صورة البشر فاتوا ابراهيم ولوطا في صورة الادميين واتى جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي اي لو نزل ملك لراوه في صورة بشر كما جرت عادة الانبياء
ولو نزل على عادته لم يروه فاذا جعلناه رجلا لبس عليهم وكانوا يقولون هذا ساحر مثلك وقال الزجاج
المعنى للبسنا عليهم على رؤسائهم كما يلبسون على ضعفتهم وكانوا يقولون لهم انما محمد بشر مثلكم وليس
بينكم وبينه فرق فيلبسون عليهم مثل هذا ويشككونهم وعلم الله عز وجل انه لو انزل ملكا في صورة
رجل لوجدوا سبيلا الى اللبس كما يفعلون واللبس الخلط يقال لبست الامر عليه البسه لبسا
اي خلطته واصله التستر بالثوب ونحوه وقال لبسنا بالاضافة الى نفسه على جهة الخلط
وقال ما يلبسون فاضاف اليهم على جهة الاكتساب ثم قال مونسا لنبيه صلى الله عليه وسلم ومعزيا
له ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق اي نزل بامهم من العذاب ما اهلكوا به جزاء
استهزائهم بانبيائهم حاق الشيء يحيق حيقا وحيوقا وحياقا فانزل الله تعالى ولا يحيق المكر
السيء الا باهله وما في قوله ما كانوا بمعنى الذي وقيل بمعنى المصدر اي حاق بهم عاقبة استهزائهم
قوله تعالى قل سيروا في الارض اي قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين المستخرين المكذبين سافروا
في الارض واستخبروا لتعرفوا ما حل بالكفرة قبلكم من العقاب واليم العذاب وهذا سفر مندوب
اليه اذا كان على سبيل الاعتبار باثار من خلا من الامم واهل الديار والعاقبة اخر الامر
والمكذبون هنا من كذب الحق واهله لا من كذب بالباطل قوله تعالى قل لمن ما في السموات
والارض هذا احتجاج عليهم والمعنى قل لهم يا محمد لمن ما في السموات والارض فان قالوا لمن هو فقل
لله المعنى وانه اذا ثبت ان له ما في السموات والارض وانه خالق الكل اما باعترافهم واما
باقامة الحجة عليهم فالله قادر على ان يعاجلهم بالعذاب ويبعثهم بعد الموت ولكنه كتب على
نفسه الرحمة اي وعد بها فضلا منه وكرما فلذلك امهل وذكر النفس هنا عبارة عن وجوده
وتقدسه وتاكيده وعده وارتفاع الوسايط دونه ومعنى الكلام الاستعطاف منه تعالى للمتولين
عنه الى الاقبال عنه واخبار منه سبحانه بانه رحيم بعباده ولا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل
منهم الانابة والتوبة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى

الله الخلق كتب في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده ان رحمتي سبقت غضبي يعني لما ابرز قضاه واظهر
لمن شاء اظهر كتابا في اللوح المحفوظ او فيما شاءه مقتضاه خبر حق ووعده صدق ان رحمتي تغلب
غضبي اي تسبقه وتزيد عليه قوله تعالى ليجمعنكم اللام لام القسم والنون نون التوكيد قال الفراء
وغيره يجوز ان يكون تمام الكلام عند الرحمة ويكون ما بعده مستأنفا على جهة التبيين فيكون
المعنى ليجمعنكم ليشالنكم ويؤخرون جمعكم وقيل المعنى ليجمعنكم اي في القبور الى اليوم الذي انكرتموه وقيل الى
بمعنى في اي ليجمعنكم في يوم القيمة وقيل يجوز ان تكون في موضع ليجمعنكم نصب على البدل من الرحمة فتكون
اللام بمعنى ان المعنى كتب ربكم على نفسه الرحمة ليجمعنكم اي ان يجمعكم وكذلك قال كثير من النحويين
في قوله ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه ان يسجنوه وقيل موضعه نصب بكتب
كما يكون اي في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوء بجهالة وذلك انه مفسر
بالرحمة بالامهال الى يوم القيمة عن الزجاج لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون
ابتدا وخبر قال الزجاج وهو اجود ما قيل فيه يقول الذي يكرمني فله درهم فالفاء تتضمن معنى
الشرط والجزاء وان شئت كان الذين في موضع نصب على البدل من الكاف والميم في ليجمعنكم
اي ليجمعن المشركين الذين خسروا انفسهم وانكره المبرد وزعم انه خطا لانه لا يبدل من المخاطب
ولا من المخاطبة لا يقول مررت بك زيد ولا مررت بي زيد لان هذا لا يشكل فيبين وقال
الذي يجوز ان يكون النعت جرا على البدل من المكذبين الذين تقدم ذكرهم او على النعت لهم وقيل
ان الذين نداء مفرد قوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قل اغير الله
اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من
اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه
يومئذ فقد رحمه وذلك هو الفوز المبين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا
هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير
قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن
بلغ اينكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء
مما تشركون قوله وله ما سكن في الليل والنهار الاية نزلت لانهم قالوا علمنا ما يحملك على هذا
الا الحاجة فنحن نجمع لك من اموالنا حتى تصير من اغنيائنا فقال تعالى اخبرهم ان جميع الاشياء
لله فهو قادر على ان يغنيني وسكن معناه هدا واستقر والمراد ما سكن وما تحرك فحذف لعلم
السامعين وقيل خص الساكن بالذكر لان ما يعم السكون اكثر مما يعم الحركة وقيل المعنى ما تعلق
فهو عام في جميع المخلوقات متحركها وساكنها فانه يجري عليه الليل والنهار وعلى هذا فليس
المراد بالسكون ضد الحركة بل المراد الخلق وهذا احسن ما قيل لانه يجمع شتات الاقوال وهو
السميع العليم السميع لاصواتهم العليم باسرارهم قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا مفعولان
لما دعوه الى عبادة الاصنام دين ابائه انزل الله تعالى قل يا محمد اتخذ وليا اي ربا ومعبودا
وناصرا دون الله فاطر السموات والارض بالخفض على النعت لاسم الله تعالى واجاز الاخفش
الرفع على اضمار المبتدا وقال الزجاج ويجوز النصب على المدح ابو علي الفارسي ويجوز النصب على
فعل مضمر كانه اترك فاطر السموات والارض لان قوله اغير الله اتخذ وليا يدل على ترك
الولاية له وحسن اضماره لقوة هذه الدلالة وهو يطعم ولا يطعم كذا قراءة العامة اي يرزق
ولا يرزق دليله ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون وقرا سعيد بن جبير ومجاهد والاعمش

وهو يطعم ولا يطعم وهي قراءة حسنة اي انه يرزق عباده وهو غير محتاج الى ما يحتاج اليه المخلوقين
من الغذا وقرئ بضم الياء وكسر العين في الفعلين اي ان الله يطعم عباده ويرزقهم والولي لا
يطعم نفسه ولا من يتخذه وقرئ بفتح الياء والعين في الاولى اي الولي يطعم ولا يطعم بضم الياء
وكسر العين وخص الاطعام بالذكر دون غيره من ضروب الانعام لان الحاجة اليه امس لجميع
الانام قل اني امرت ان اكون اول من اسلم اي استسلم لامر الله تعالى وقيل اول من اخلص اي من
قومي وامتي عن الحسن وغيره ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم
عظيم اي بعبادة غيره يعذبني والخزن وقوع المكروه ابن عباس اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم
عظيم اخاف هنا بمعنى اعلم من يصرف عنه يومئذ اي العذاب يومئذ يوم القيمة فقد رحمه اي فاز
ونجا ورحم وقرا الكوفيون من يصرف بفتح الياء وكسر الراء وهو اختيار ابي حاتم وابي عبيد لقوله
قل لمن ما في السموات وما في الارض قل لله ولقوله فقد رحمه ولم يقل فقد رحم على المجهول وقراءة
اي من يصرفه الله واختار سيبويه القراءة الاولى قراءة اهل المدينة وابي عمرو وقال سيبويه
وكلما قل الاضمار في الكلام كان اولى وليتا قراءة من يصرف بفتح الياء فتقديره من يصرف الله
عنه العذاب واما من قرا من يصرف عنه فتقديره عنه العذاب وذلك الفوز المبين اي النجاة
البينة قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو المس والكشف من صفات الاجسام
وهو هنا مجاز وتوسع والمعنى ان ينزل بك يا محمد شدة من فقر او مرض فلا دافع ولا صارف له الا
هو وان يصبك بعافية فهو على كل شيء قدير من الخير والشر روي ابن عباس قال كنت رديف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا غلام او يا بني الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن فقلت
بلى فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف اليه في الرخا يعرفك في الشدة
واذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد جف القلم بما هو كاين فلو ان الخلق
كلهم جميعا ارادوا ان يضروك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه واعمل بالشكر واليقين
واعلم ان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر
يسرا اخرجه ابو بكر بن ثابت الخطيب في كتاب الفصل الموصلي وهو حديث صحيح وقد خرج الترمذي
وهذا اتم قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده القهر الغلبة والقاهر الغالب واقهر الرجل اذا
صار بحال المقهور الذليل قال الشاعر تمنى حصين ان يسود خزاعه فامسى حصين قد اذل واقهرا
وقهرته غلبته ومعنى فوق عباده فوقيه الاستعلا بالقهر والغلبة عليهم اي هم تحت تسخيره
لا فوقيه مكان كما يقول السلطان فوق رعيته اي بالقوة والرفعة وفي القهر معنى زايد ليس في
القدرة وهو منع غيره من بلوغ المراد وهو الحكيم في امره الخبير باعمال عباده اي من اتصف بهذه
الصفات يجب ان لا يشرك به قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة وذلك ان المشركين قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت الاية عن الحسن وغيره ولفظ شيء هنا
واقع موقع اسم الله المعنى الله اكبر شهادة اي انفراده بالربوبية وقيام البراهين على توحيده اكبر
شهادة واعظم فهو شهيد بيني وبينكم على اني قد بلغت وصدقت فيما قلته وادعيته من الرسالة
قوله تعالى واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ الحلم ودل بهذا على
ان من لم يبلغ الحلم فليس بمخاطب ولا متعبد وتبليغ القران والسنة مامور بهما كما امر النبي صلى
الله عليه وسلم بتبليغهما فقال يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك وفي صحيح البخاري عن عبد الله
بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن

كذب علي متعمدا فليتبوء مقعده من النار وفي الخبر من بلغه اية من كتاب الله فقد بلغه امر الله اخذه او تركه وقال مقاتل من بلغه القران من الجن والانس فهو نذير له وقال القرطبي من بلغه القران فكانما راى محمدا صلى الله عليه وسلم فسمع منه وقرا ابو نهيك واوحى الله الى هذا القران مسمى الفاعل وهو معنى قراءة الجماعة اي انكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى استفهام توبيخ وتقرير وقرئ ءانكم بهمزتين على الاصل وان خففت الثانية قلت انكم وروى الاصمعي عن ابي عمرو ونافع اانكم وهذه لغة معروفة يجعل بين الهمزتين الف كراهية التقاء الساكنين قال الشاعر

ايا ظبية الوعساء بين حلاحل وبين النقا اانت ام ام سالم

ومن قرا انكم على الخبر فعلى انه حقق عليهم شركهم وقال الهة اخرى ولم يقل اخر قال الفراء لان الهة جمع والجمع يقع عليه التانيث ومنه قوله ولله الاسماء الحسنى وقوله فما بال القرون الاولى ولو قال الاول والاخر صح ايضا قل لا اشهد اي فانا لا اشهد معكم فحذف لدلالة الكلام عليه ونظيره فان شهدوا فلا تشهد معهم

الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون

قوله الذين اتيناهم الكتاب اليهود والنصارى الذين عرفوا وعاندوا وقد تقدم معناه في البقرة والذين في موضع رفع بالابتدا يعرفونه في موضع الخبر اي يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم عن الحسن وقتادة وهو قول الزجاج وقيل تعود على الكتاب اي يعرفون على ما يدل عليه اي على الهيئة التي هو بها من دلالته على صحة امر النبي صلى الله عليه وسلم واله الذين خسروا انفسهم في موضع النعت ويجوز ان يكون مبتدا وخبره فهم لا يؤمنون قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته يريد القران والمعجزات انه لا يفلح الظالمون في الدنيا ولا يوم نحشرهم فلا يوقف على هذا التقدير على قوله الظالمون لانه متصل وقيل هو متعلق بما بعده وهو انظر اي انظر كيف كذبوا يوم نحشرهم اي كيف يكذبون يوم نحشرهم ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم سؤال افتضاح لا افصاح الذين كنتم تزعمون اي في انهم شفعا لكم في زعمكم عند الله وتقربكم منه زلفى وهذا توبيخ لهم قال ابن عباس كل زعم في القران فهو كذب قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الفتنة الاختبار اي لم يكن جوابهم حين اختبروا بهذا السؤال وراوا الحقايق وارتفعت الدواعي الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين تبروا من الشرك وانتفوا منه لما راوا من تجاوزه ومغفرته قال ابن عباس يغفر الله تعالى لاهل الاخلاص ذنوبهم ولا يتعاظم عليه ذنب ان يغفره فاذا راى المشركون ذلك قالوا ان ربنا يغفر الذنوب ولا يغفر الشرك فتعالوا نقول ما كنا اهل ذنوب ولم نكن مشركين فقال الله تعالى اما اذ كتموا الشرك فاختموا على افواههم فيختم على افواههم فتنطق جوارحهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون فعند ذلك يعرف المشركون ان الله لا يكتم حديثا فذلك قوله يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا وقال ابو اسحاق الزجاج تاويل هذه الاية لطيف جدا اخبر الله عز وجل بقصص المشركين وافتتانهم بشركهم ثم اخبر ان فتنتهم

لم تكن حين راوا الحقايق الا ان انتفوا من الشرك ونظير هذا في اللغة ان ترى انسانا يحب غاويا فاذا وقع في هلكة تبرا منه فيقول ما كانت محبتك اياه الا ان تبرات منه وقال الحسن هذا خاص في المنافقين جروا على عادتهم في الدنيا ومعنى فتنتهم عاقبة فتنتهم اي كفرهم قتادة معناه معذرتهم وفي صحيح مسلم حديث ابي هريرة قال فيلقى العبد فيقول اي فل الم اكرمك واسودك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى فيقول اظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اني انساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول له ويقول هو مثل ذلك بعينه ثم يلقى الثالث فيقول مثل ذلك فيقول يا رب امنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع قال فيقال ههنا اذا ثم يقال له الان نبعث شاهدا عليك فيتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لجلده انطقي فتنطق جلده ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم كذب المشركون في قولهم ان عبادة الاصنام تقربهم الى الله زلفى بل ظنوا ذلك وظنهم الخطا لا يعذرهم ولا يزيل اسم الكذب عنهم وكذب المنافقين باعتذارهم بالباطل وجحدهم نفاقهم وضل عنهم ما كانوا يفترون اي فانظر كيف ضل عنهم افتراؤهم اي تلاشى وبطل ما كانوا يظنونه من شفاعة الهتهم وقيل وضل عنهم ما كانوا يفترون اي فارقهم ما كانوا يعبدون من دون الله فلم يغن عنهم شيئا عن الحسن وقيل المعنى عزب عنهم افتراؤهم لدهشتهم وذهول عقولهم والنظر في قوله انظر يراد به نظر الاعتبار ثم قيل كذبوا بمعنى يكذبون يعبر عنه بالماضي وجاز ان يكذبوا في الاخرة لانه موضع دهش وحيرة وذهول عقل وقيل لا يجوز ان يقع منهم كذب في الاخرة لانها دار جزاء على ما كان في الدنيا وعلى هذا اكثر اهل النظر وانما ذلك في الدنيا فمعنى والله ربنا ما كنا مشركين على هذا ما كنا مشركين عند انفسنا وعلى جواز ان يكذبوا في الاخرة يعارضه قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا ولا معارضة ولا تناقض لا يكتمون الله حديثا في بعض المواطن اذا شهدت عليهم السنتهم وارجلهم بعلمهم ويكذبون على انفسهم في بعض المواطن قبل شهادة الجوارح على ما تقدم والله اعلم وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين قال اعتذروا وحلفوا وكذلك قال ابن ابي نجيح وقتادة وروي عن مجاهد انه قال لما راوا الذنوب تغفر الا الشرك والناس يخرجون من النار قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقد علمنا ان الاحجار لا تنفع ولا تضر وهذا وان كان صحيحا من القول فقد صدقوا ولم يكذبوا ولكن لا يعذرون بهذا فان المعاند كافر غير معذور ثم قيل في قوله ثم لم تكن فتنتهم خمس قراات حمزة والكسائي يكن بالياء فتنتهم بالنصب الا ان قالوا اي الا مقالتهم وقرا ابي وابن مسعود وما كان بدل قوله ثم لم تكن فتنتهم وقرا ابن عامر وعاصم من رواية حفص والاعمش من رواية المفضل والحسن وقتادة وغيرهم ثم لم تكن بالتاء فتنتهم بالرفع اسم كان والخبر الا ان قالوا فهذه اربع قراات الخامسة ثم لم تكن فتنتهم رفع بذكر الفتنة لانها بمعنى الفتون ومثله فمن جاءه موعظة من ربه والله واو القسم ربنا نعت لله او بدل ومن نصب فعلى النداء اي يا ربنا وهي قراءة حسنة لان فيها معنى الاستكانة والتضرع الا انه فصل بين القسم وجوابه بالمنادى قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك على اللفظ يعني المشركين كفار مكة وجعلنا على قلوبهم اكنة اي فعلنا ذلك بهم مجازاة على كفرهم وليس المعنى انهم لا يسمعون ولا يفقهون ولكن لما كانوا لا ينتفعون بما يسمعون ولا ينقادون الى الحق كانوا بمنزلة من لا يسمع ولا يفهم والاكنة الاغطية جمع كنان مثل الاسنة والسنان والاعنة والعنان كننت الشي في كنه اذا صنته واكننت الشي اخفيته والكنانة معروفة والكنة بفتح الكاف والنون امراة

ابنك ويقال امراة الابن او الاخ لا نما في كنه ان يفقهوه اي يفهموه وهو في موضع نصب المعنى كراهية
ان يفقهوه او لئلا يفقهوه وفي اذانهم وقرا اطفا عليه اي ثقلا يقال منه وقرت اذنه بفتح الواو
توقر وقرا اي صمت وقياس مصدره التحريك الا انه جاء بالتسكين وقد وقرالله اذنه يقرها وقرا
اللهم قراذنه وحكى ابو زيد عن العرب اذن موقرة على ما لم يسم فاعله فعلى هذا وقرت بضم الواو
اي جعل في اذانهم ما سدها عن استماع القول على التشبيه بوقر البعير وهو مقدار ما يطيق ان يحمل والوقر
الحمل يقال منه نخلة موقورة وموقرة اذا كانت ذات ثمر كثير ورجل ذو وقرة اذا كان وقورا بفتح الواو
يقال منه وقر الرجل بضم القاف وقارا ووقر بفتح القاف ايضا قوله تعالى وان يروا كل اية لا
يؤمنوا بها اخبر بعنادهم لانهم لما راوا القمر منشقا قالوا سحر فاخبر الله عز وجل بردهم الايات بغير
حجة قوله تعالى حتى اذا جاؤك يجادلونك مجادلتهم قولهم تاكلون مما قتلتم ولا تاكلون مما قتل
الله عن ابن عباس يقول الذين كفروا يعني قريشا قال ابن عباس قالوا للنضر ابن الحارث ما يقول
محمد قال اراه يحرك شفتيه وما يقول الا اساطير الاولين مثل ما احدثكم عن القرون الماضية و
كان النضر صاحب قصص واشعار فسمع اقاصيص في ديار العجم مثل قصة رستم واسفنديار وكان
يحدثهم وواحد الاساطير اسطار كانياب واناسة عن الزجاج والاخفش وواحدها اسطورة وقيل
هو جمع لا واحد له كذاكر وعباديد وابابيل اي سطره الاولون في الكتب الجوهري وغيره الاساطير الاباطيل
والترهات قلت انشدني بعض اشياخي تطاول ليلي واعترتني وساوسي لاتي اتى بترهات الاباطل
قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه النهي الزجر والنأي البعد وهو عام في جميع الكفار
اي ينهون عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وينأون عنه عن الحسن وقيل هو خاص بابي طالب ينهى
الكفار عن اذاية محمد صلى الله عليه وسلم ويتباعد عن الايمان به عن ابن عباس ايضا وروى اهل السير
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج الى الكعبة يوما فاراد ان يصلي فلما دخل الصلاة قال
ابو جهل لعنه الله من يقوم الى هذا الرجل ليفسد عليه صلاته فقام ابن الزبعرى واخذ فرثا ودما
فلطخ وجه النبي صلى الله عليه وسلم فانفتل النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته ثم اتى ابا طالب فقال
يا عم الا ترى الى ما فعل بي فقال ابو طالب من فعل هذا بك فقال النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله
بن الزبعرى فقام ابو طالب فوضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى اتى الى القوم فلما راوا ابا طالب
قد اقبل جعل القوم ينهضون فقال ابو طالب لئن قام رجل جللته بسيفي هذا فقعد ولحق ثم اليهم
فقال يا بني من فعل هذا قال عبد الله بن الزبعرى فاخذ ابو طالب فرثا ودما فلطخ به وجوههم
ولحاهم وثيابهم واساء لهم القول فنزلت هذه الاية وهم ينهون عنه وينأون عنه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا عم نزلت فيك اية قال وما هي قال تمنع قريشا ان تؤذيني وتابى ان تؤمن بي فقال
ابو طالب والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فانهض لامرك ما عليك غضاضة
ابشر بذاك وقر منك عيونا ودعوتني وزعمت انك ناصحي فلقد صدقت وكنت قبل امينا وعرضت
دينا قد عرفت بانه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا
بذاك يقينا فقالوا يا رسول الله هل تنفع نصرة ابا طالب قال نعم تدفع عنه بداه الغل ولم
يقرن مع الشياطين ولن يدخل في جب الحيات والعقارب انما عذابه في نعلين من نار في
رجليه يغلي منهما دماغه في راسه وذلك اهون اهل النار عذابا فانزل الله على رسوله فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه
قل لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله يوم القيمة فقال لولا تعيرني قريش يقولون انما حمله

على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء
كذا الرواية المشهورة الجزع بالجيم والزاي الخوف وقال ابو عبيدة الخزع بالخاء المنقوطة والراء
المهملة قال يعني الضعف والخور وفي صحيح مسلم ايضا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اهون اهل النار عذابا ابو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه واما عبد الله بن الزبعرى
فانه اسلم عام الفتح وحسن اسلامه فاعتذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل عذره وكان شاعرا مجيدا
فقال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم وله في مدحه اشعار كثيرة ينسخ بها ما مضى في كفره منها قوله منع الرقاد
بلابل وهموم والليل منفرج الرواق بهيم مما اتاني ان احمد لامني فيه فبت كانني محموم يا خير من
حملت على اوصالها عيرانة سرح اليدين غشوم اني لمعتذر اليك من الذي اسديت اذ انا في الضلال
اهيم ايام تامرني باغوى خطة سهم وتامرني بها مخزوم وامد اسباب الردى ويقودني امر الغواة
وامرهم مشؤوم فاليوم امن بالنبي محمد قلبي ومخطئ هذه محروم مضت العداوة فانقضت اسبابها
ودعت اواصر بيننا وحلوم فاغفر فدى لك والدي كلاهما وارحم فانك راحم مرحوم وعليك من
نعم المليك علامة نور اغر وخاتم مختوم اعطاك بعد محبة برهانه شرفا وبرهان الاله عظيم
ولقد شهدت بان دينك صادق حق وانك في العباد جسيم والله اشهد ان احمد مصطفى مستقبل
في الصالحين كريم قرم علا بنيانه من هاشم فرع تمكن في الذرى وارومُ وقيل المعنى ينهون عنه اي
هؤلاء الذين يستمعون ينهون عن القران وينأون عنه عن قتادة فالها على القولين الاولين في
عنه للنبي صلى الله عليه وسلم وعلى قول قتادة للقران وان يهلكون الا انفسهم ان نافية اي ما يهلكون الا
انفسهم باصرارهم على الكفر وحملهم اوزار الذين يصدونهم قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار
فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون
من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا
وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا
يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون قوله ولو ترى
اذ وقفوا على النار اي اذا وقفوا غدا واذ قد تستعمل في موضع اذا وما سيكون فكانه كان لان خبر
الله تعالى حق وصدق ولهذا عبر بالماضي ومعنى وقفوا حبسوا يقال وقفته وقفا يوقف
وقوفا وقرا ابن السميقع بفتح الواو والقاف من الوقوف على النار اي هم فوقها على الصراط وهي
تحتهم وقيل على بمعنى الباء اي وقفوا بقربها وهم يعاينونها وقال الضحاك جمعوا على ابوابها
ويقال وقف على متن جهنم والنار تحتهم وفي الخبر ان الناس كلهم يوقفون على متن جهنم كانها
متن اهالة ثم ينادي مناد خذي اصحابك ودعي اصحابي وقيل وقفوا دخلوا اعاذنا الله
منها فعلى بمعنى في اي وقفوا في النار وجواب لو محذوف ليذهب الوهم الى كل شيء فيكون ابلغ
في التخويف والمعنى لو ترام في تلك الحال لرايت سوء حال او لرايت منظرا هائلا او لرايت منظرا
عجيبا وما كان مثل هذا التقدير قوله تعالى فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون
بالرفع في الافعال الثلاث عطفا قراءة اهل المدينة والكسائي وابو عمرو وابو بكر عن عاصم
بالضم على رفع نكذب ونصب ونكون وكله داخل في معنى التمني اي تمنوا الرد وان لا يكذبوا وان
يكونوا من المؤمنين واختار سيبويه القطع في ولا نكذب فيكون غير داخل في التمني المعنى ونحن
لا نكذب على معنى الثبات على ترك التكذيب اي لا نكذب رددنا او لم نرد قال سيبويه وهو مثل

دعني ولا اعود ولا اعود على كل حال تركتني او لم تتركني واستدل ابو عمرو وعلى حمزة وجه من التمني بقوله وانهم
لكاذبون لان الكذب لا يكون في التمني انما يكون في الخبر وقال من جعله داخلا في التمني المعنى وانهم
لكاذبون في الدنيا في انكارهم البعث وتكذيبهم الرسل وقرا حفص وحمزة بنصب نكذب ونكون جوابا
للتمني لانه غير واجب وهما داخلان في التمني على انهم تمنوا الرد وترك التكذيب والكون مع المؤمنين
قال ابو اسحق معنى ولا نكذب اي ان رددنا لم نكذب والنصب في نكذب ونكون باضمار ان كما ينصب في
جواب الاستفهام والامر والنهي والعرض لان جميعه غير واجب ولا واقع بعد منصوب الجواب مع الواو
كانه عطف على مصدر الاول كانهم قالوا يا ليتنا يكون لنا رد وانتفاء من الكذب وكون من المؤمنين
فحملا على مصدر نرد لانقلاب المعنى الى الرفع ولم يكن بد من اضمار ان فيه عمر النصب في الفعلين وقرا
ابن عامر ويكون بالنصب على جواب التمني كقولك ليتك تسير الينا ونكرمك اي ليت مسيرك يقع
واكرامنا وادخل الفعلين الاولين في التمني اراد ونحن لا نكذب على القطع على ما تقدم محتمل وقرا
ابي ولا نكذب بايات ربنا ابدا وعنه وعن ابن مسعود يا ليتنا نرد فلا نكذب بالفاء والنصب والفاء
بها في الجواب كما ينصب بالواو وعن الزجاج واكثر البصريين لا يجيزون الجواب الا بالفاء قوله تعالى
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل بل اضراب عن تمنيهم وادعائهم الايمان لو ردوا واختلف في معنى
بدا لهم على اقوال بعد تعيين من المراد فقيل المراد المنافقون لان اسم الكفر مشتمل عليهم فعاد الضمير
على بعض المذكورين قال النحاس وهذا من الكلام العذب الفصيح وقيل المراد الكفار وكانوا اذا
وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم خافوا واخفوا ذلك الخوف لئلا يفطن بهم ضعفاؤهم فيظهر يوم
القيمة ولهذا قال الحسن بدا لهم اي بدا لبعضهم ما كان يخفيه عن بعض وقيل بل ظهر لهم ما كانوا
يجحدونه من الشرك فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فينطق الله جوارحهم فتشهد عليهم
بالكفر فذلك حين بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل قاله ابو روق بدا لهم جزاء كفرهم الذي كانوا
يخفونه وقيل المعنى بل ظهر للذين اتبعوا الغواة ما كان الغواة يخفون من امر البعث والقيمة
لان بعده وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قوله تعالى ولو ردوا قيل بعد
معاينة العذاب وقيل قبل معاينته لعادوا لما نهوا عنه اي لصاروا ورجعوا الى ما نهوا عنه من
الشرك لعلم الله تعالى فيهم انهم لا يؤمنوا وقد عاين ابليس ما عاين من ايات الله ثم عاد قوله تعالى
وانهم لكاذبون اخبار عنهم وحكاية عن الحال التي كانوا عليها في الدنيا من تكذيبهم الرسل وانكارهم
البعث كما قال وان ربك ليحكم فجعله حكاية عن الحال الاتية وقيل المعنى وانهم لكاذبون
فيما اخبروا به عن انفسهم من انهم لا يكذبون ويكونون من المؤمنين وقرا يحيى بن وثاب ولو
ردوا بكسر الراء لان الاصل رددوا فقلبت كسرة الدال على الراء قوله تعالى وقالوا ان هي الا حياتنا
الدنيا ابتداء وخبر وان نافية وما نحن اسم ما بمبعوثين خبرها وهذا ابتداء اخبار عنهم كما
قالوه في الدنيا ابن زيد هو داخل في قوله ولو ردوا لعادوا وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا
اي لعادوا الى الكفر واشتغلوا بلذة الحال وهذا يحمل على المعاند كما بيناه في حال ابليس او على
ان الرب يلبس عليهم بعد ما عرفوا وما عرفوا وهذا سائغ في العقل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على
ربهم اي حبسوا على ربهم اي على ما يكون من امر الله فيهم وقيل على بمعنى عند اي عند ملائكته وخزائنه
وحيث لا سلطان فيه لغير الله تقول وقفت على فلان اي عنده جواب لو محذوف لعظيم شان
الموقف قال اليس هذا بالحق تقرير وتوبيخ اي اليس هذا البعث وهذا العذاب حقا فيقولون
بلى وربنا انه حق قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء

الله

الله قيل بالبعث بعد الموت وبالجزاء دليله قوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين كاذبة
ليقتطع بها مال امرئ لقي الله وهو عليه غضبان اي لقي جزاءه لان من غضب عليه لا يرى الله عند
مثبتي الرؤية ذهب الى هذا القفال وغيره قال القشيري وهذا ليس بشيء لان حمل اللقاء في موضع
على الجزاء الدليل قام لا يوجب هذا التاويل في كل موضع فليحمل اللقاء على ظاهره في هذه الاية والكفار
كانوا ينكرون الصانع ومنكر الرؤية منكر للوجود قوله تعالى حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة سميت
القيمة الساعة لسرعة الحساب فيها ومعنى بغتة فجاة يقال بغتهم الامر يبغتهم بغتا وبغتة وهي
نصب على الحال سيبويه وهي مصدر في موضع الحال كما تقول قتلته صبرا وانشد فلايا لاي ما
حملنا وليدنا على ظهر محبوك ظماء مفاصله ولا يجيز سيبويه ان يقاس عليه لا يقال جاء فلان سرعة
قوله تعالى قالوا يا حسرتنا وقع النداء على الحسرة وليست بمنادى في الحقيقة ولكنه يدل على كثرة
التعجب ومنه قول الشاعر فيا عجبا من رحلها المتحمل وقيل هو تنبيه للناس على عظم ما يحل بهم من
الحسرة اي يا ايها الناس تنبهوا على عظم ما ياتي من الحسرة فوقع النداء على غير المنادى حقيقة
كقولك لا ارينك هنا فيقع النهي على غير المنهي في الحقيقة قوله تعالى على ما فرطنا فيها اي في الساعة
اي في التقدمة لها عن الحسن وفرطناه ضيعناه واصله التقدم يقال فرط فلان اي تقدم وسبق الى
الماء ومنه انا فرطكم على الحوض ومنه الفارط اي المتقدم للماء ومنه الدعاء للصبي اللهم اجعله
فرطا لابويه فقوله فرطنا اي قدمنا العجز وقيل جعلنا غيرنا الفارط السابق لنا الى الطاعة
وتخلفنا فيها اي في الدنيا بترك العمل للساعة وقال الطبري الهاء راجعة الى الصفقة وذلك
انهم لما تبين لهم خسران صفقتهم ببيعهم الايمان بالكفر والدنيا بالاخرة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا
فيها اي في الصفقة وترك ذكرها لدلالة الكلام عليها لان الخسران لا يكون الا في صفقة بيع
دليله قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وقال السدي على ما ضيعنا اي من عمل الجنة وفي الخبر عن
ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية قال يرى اهل النار منازلهم في الجنة
فيقولون يا حسرتنا قوله تعالى وهم يحملون اوزارهم اي ذنوبهم جمع وزر على ظهورهم مجاز وتوسع
وتشبيه بمن يحمل ثقلا يقال منه وزر يزر ووزر يوزر فهو وازر واصله من الوزر وهو الجبل
ومنه الحديث في النساء اللواتي خرجن من جنازة ارجعن مازورات غير ماجورات قال ابو
عبيد والعامة تقول ماذورات كانه لا وجه له عنده لانه من الوزر قال ابو عبيد ويقال
للرجل اذا بسط ثوبه فجعل فيه المتاع احمل وزرك اي ثقلك ومنه الوزير لانه يحمل اثقال ما
يسند اليه من تدبير الولاية والمعنى انهم لزمتهم الاثام فصاروا مثقلين بها الا ساء ما يزرون اي
ما اسوا الشيء الذي يحملونه قوله تعالى وما الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وللدار الاخرة خير
للذين يتقون افلا يعقلون قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن
الظالمين بايات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا
حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين وان كان كبر
عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية ولو
شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين قوله وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو
فيه مسئلتان الاولى وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو اي لقصر مدتها كما قال الا انما
الدنيا كاحلام نائم وما خير عيش لا يكون بدائم تامل اذا ما نلت بالامس لذة فافنيتها هل
انت الا كالحالم اخر فاعمل على مهل فانك ميت واكدح لنفسك ايها الانسان وكان ما قد كان

لربك اذ مضى وكان ماهو كائن قد كان وقيل المعنى متاع الحياة الدنيا لعب ولهو اي الذي يشتهون في
الدنيا لا عاقبة له فهو بمنزلة اللعب واللهو ونظر سليمان بن عبد الملك في المراة فقال انا الملك الشاب
فقالت جارية له انت نعم المتاع لو كنت تبقى غير ان لا بقاء للانسان ليس فيما بدا لنا منك عيب كان
في الناس غير انك فاني وقيل معنى لعب ولهو باطل وغرور كما قال وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور
والقصد بالاية تكذيب الكفار في قولهم ما هي الا حياتنا الدنيا واللعب معروف والتلعابة الكثيرة
اللعب والملعب مكان اللعب يقال لعب يلعب واللهو ايضا معروف وكل ما اشغلك فهو الهاك
من لهوت من اللهو وقيل اصله الصرف عن الشي من قولهم لهيت عنه قال المهدوي وفيه بعد
لان الذي بمعناه الصرف لامه يا بدليل قولهم لهيان ولام الاول واو وقوله تعالى ليس من اللهو واللعب
ما كان من امور الاخرة فان حقيقة اللعب ما لا ينتفع به واللهو ما يلهى به وما كان مرادا للاخرة
خارج عنها وذم رجل الدنيا عند علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال علي الدنيا دار صدق لمن صدقها
ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها وقال محمود الوراق لا تتبع الدنيا وايامها ذما
وان دارت بك الدائره من شرف الدنيا ومن فضلها ان بها تستدرك الاخرة وروى ابو عمر
بن عبد البر عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما
فيها الا ما كان فيها من ذكر الله او ادى الى ذكر الله والعالم والمتعلم شريكان في الاجر وساير الناس
همج لا خير فيه واخرج الترمذي عن ابي هريرة وقال حديث حسن غريب وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من هوان الدنيا على الله ان لا يعصى الله الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وروى
الترمذي عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله
جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال الشاعر تسمع من الايام ان كنت حازما فانك
منها بين ناه وامر اذا ابقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضاير فما الدنيا ثوابا
لمؤمن ولا رضي الدنيا جزاء لكافر وقال ابن عباس هذه حياة الكافر لانه يزجيها في غرور
وباطل واما حياة المؤمن فتنطوي على اعمال صالحة فلا تكون لعبا ولهوا قوله تعالى وللدار الاخرة
خير اي الجنة لبقائها وسميت اخرة لتاخرها عنا والدنيا لدنوها منا وقرا ابن عامر ولدار الاخرة
وعلى قراءة الجمهور وللدار الاخرة اللام لام الابتدا ورفع الدار بالابتدا وجعل الاخرة نعتا لها والخبر
خير للذين تقوية تلك الدار الاخرة وان الدار الاخرة لهي الحيوان فاتت الاخرة صفة للدار
فيهما للذين يتقون اي الشرك افلا يعقلون قرئ بالتاء والياء افلا تعقلون ان الامر هكذا فتزهدوا
في الدنيا قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون كسرت ان لدخول اللام قال ابو ميسرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بابي جهل واصحابه فقالوا والله يا محمد ما نكذبك ولكنا
نكذب ما جئت به فنزلت هذه الاية فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون
ثم انسه بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الاية وقرئ يكذبونك مخففا ومشددا وقيل هما
بمعنى واحد كحزنته واحزنته واختار ابو عبيد قراءة التخفيف وهي قراءة علي رضي الله عنه
وروي عنه ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فانزل الله
فانهم لا يكذبونك ويقوي هذا ان رجلا قرا على ابن عباس فانهم لا يكذبونك مخففا فقال
له ابن عباس فانهم لا يكذبونك لانهم كانوا يسمون النبي صلى الله عليه وسلم الامين ومعنى يكذبونك
ينسبونك الى الكذب ويردون عليك ما قلت ومعنى لا يكذبونك لا يجدونك تاتي بالكذب كما تقول
اكذبته وجدته كذابا وابخلته وجدته بخيلا اي لا يجدونك كذابا ان تدبروا ما جئت به ويجوز

ان يكون المعنى لا يثبتون عليك انك كاذب لانه يقال اكذبته اذا احتججت عليه وبينت انه كاذب
وعلى التشديد لا يكذبونك بحجة ولا برهان ودل على هذا ولكن الظالمين بايات الله يجحدون قال
النحاس والقول في هذا مذهب ابي عبيد واحتجاجه لازم لان عليا رضي الله عنه هو الذي روى الحديث
وقد صح عنه انه قرا بالتخفيف وحكى الكسائي عن العرب اكذبت الرجل اخبرت انه جاء بالكذب
ورواه وكذبته اخبرت انه كاذب وكذا قال الزجاج كذبته اذا قلت له كذبت واكذبته اذا
اردت ان ما اتى به كذب قوله تعالى فصبروا على ما كذبوا اي فاصبر كما صبروا واوذوا حتى اتاهم نصرنا
اي عوننا فسياتيك ما وعدت به ولا مبدل لكلمات الله مبين لذلك النصر اي ما وعد الله عز وجل
به فلا يقدر احد ان يدفعه لا ناقض لحكمه ولا خلف في وعده ولكل اجل كتاب انا لننصر رسلنا
والذين امنوا ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون
كتب الله لاغلبن انا ورسلي ولقد جاءك من نبا المرسلين فاعل جاء مضمر المعنى جاءك من نبا
المرسلين نبا قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم اي عظم قولهم اي عن الايمان فان استطعت
قدرت ان تبتغي تطلب نفقا في الارض اي سربا تخلص منه الى مكان اخر ومنه النافقاء لجحر اليربوع
وقد تقدم في البقرة بيانه ومنه المنافق وقد تقدم او سلما في السماء معطوف عليه اي سببا الى
السماء وهذا تمثيل لان السلم قد يرتقى عليه سبب الى الموضع وهو مذكر ولا يعرف ما حكاه الفراء من
تانيث السلم قال قتادة السلم الدرج الزجاج وهو مشتق من السلامة كانه يسلمك الى الموضع الذي
تريد فتاتيهم باية عطف عليه اي ليؤمنوا فافعل فاضمر الجواب لعلم السامع امر الله نبيه صلى الله عليه
وسلم الا يشتد حزنه عليهم اذ كانوا لا يؤمنون كما انه لا يستطيع هدا ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
اي خلقهم مؤمنين وطبعهم عليه بين ان كفرهم بمشيئة الله ردا على القدرية وقيل المعنى
اي لا دامهم انه يضطرهم الى الايمان ولكنه اراد عز وجل ان يثيب منهم من امن ومن احسن فلا
تكونن من الجاهلين اي من الذين اشتد حزنهم وتحسروا حتى اخرجهم ذلك الى الجزع الشديد
والى ما لا يحل اي لا تحزن على كفرهم فتقارب حال الجاهلين وقيل الخطاب له والمراد الامة فان قلوب
المسلمين كانت تضيق من كفرهم واذايتهم قوله تعالى **انما يستجيب الذين يسمعون والموتى
يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه قل ان الله قادر على ان
ينزل اية ولكن اكثرهم لا يعلمون وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا
امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شي ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا باياتنا
صم وبكم في الظلمات من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم قل ارايتكم
ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون
فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون** قوله تعالى انما يستجيب الذين يسمعون
اي سماع اصغاء وتفهم وارادة للحق وهم المؤمنون الذين يقبلون ما يسمعون فينتفعون به ويعملون
قال معناه الحسن ومجاهد وتم الكلام ثم قال والموتى يبعثهم الله وهم الكفار عن الحسن ومجاهد
اي هم بمنزلة الموتى في انهم لا يقبلون ولا يصغون الى حجة وقيل الموتى كل من مات يبعثهم الله اي
للحساب وعلى الاول يبعثهم هدايتهم الى الايمان بالله ورسوله وعن الحسن هو بعثهم من شركهم حتى
يؤمنوا بك يا محمد يعني عند حضور الموت في حال الالجا في الدنيا قوله تعالى وقالوا لولا نزل عليه اية
من ربه قال الحسن ها لا ههنا بمعنى هلا وقال الشاعر تعدون عقر النيب افضل مجدكم بني
ضوطرى لولا الكمي المقنعا وكان منهم تعنتا بعد ظهور البراهين واقامة الحجة بالقران الذي

عجزوا ان ياتوا بسورة من مثله لما فيه من الوصف وعلم الغيوب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله عز وجل
انما ينزل من الايات ما فيه مصلحة لعباده وكان في علم الله ان يخرج من اصلابهم اقوام يؤمنون
به ولم يرد استيصالهم وقيل ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها الزجاج طلبوا ان يجمعهم
على الهدى جمع الجاء قوله تعالى وما من دابة في الارض تقدم معنى دابة والقول في البقرة واصله
الصفة من دب يدب فهو داب اذا مشى مشيا فيه تقارب خطو وطاير يطير بجناحيه بخفض
طاير عطفا على اللفظ وقرء الحسن وعبد الله بن ابي اسحق ولا طائر بالرفع عطفا على الموضع ومن زائدة
والتقدير وما دابة بجناحيه تاكيد وازالة للابهام فان العرب تستعمل الطيران لغير الطير تقول
للرجل طر في حاجتي اي اسرع فذكر بجناحيه ليتمحض القول في الطير وهو في غيره مجاز وقيل ان اعتدال
جسد الطائر بين الجناحين يعينه على الطيران ولو كان غير معتدل لكان يميل فاعلمنا ان الطيران
بالجناحين وما يمسكهن الا الله والجناح احد ناحيتي الطير الذي يتمكن به من الطيران في الهوى
واصله الميل الى ناحية من النواحي ومنه جنحة السفينة اذا مالت الى ناحية الارض لاصقة
بها فوقفت وطائر الانسان عمله وفي التنزيل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه الا امم امثالكم
اي هم جماعات مثلكم في ان الله عز وجل خلقهم وتكفل بارزاقهم وعدل عليهم فلا ينبغي ان تظلموهم
ولا تجاوزوا فيهم ما امرتم وانه نفع لجميع ما دب وخص بالذكر ما في الارض دون السماء لانه الذي
يعرفونه ويعاينونه وقيل هي امثال لنا في التسبيح والدلالة المعنى وما من دابة ولا طائر الا وهو
يسبح الله تعالى ويدل على وحدانيته لو تامل الكفار وقال ابو هريرة هي امثال لنا على معنى انه
يحشر البهايم غدا ويقتص للجماء من القرناء ثم يقول لها كوني ترابا وهذا اختيار الزجاج فانه قال
الا امم امثالكم في الخلق والرزق والموت والبعث والاقتصاص وقد دخل فيه معنى القول الاول
ايضا وقال سفيان بن عيينة اي ما من صنف من الدواب والطير الا في الناس شبه منه فمنهم
من يعدو كالاسد ومنهم من يشره كالخنزير ومنهم من يعوي كالكلب ومنهم من يزهو كالطاوس
فهذا معنى المماثلة واستحسن الخطابي هذا وقال فانك تعاشر البهايم والسباع فخذ حذرك وقال
مجاهد في قوله عز وجل الا امم امثالكم قال اصناف لهن اسما تعرف بها كما تعرفون وقيل غير
هذا مما لا يصح من انها سلبا من المعرفة وانما تحشر وتنعم في الجنة وتعوض من الالام التي حلت بهم
في الدنيا وان اهل الجنة يستانسون بصورهم والصحيح الا امثالكم في كونها مخلوقة دالة على
الصانع محتاجة اليه مرزوقة من جهته كما ان رزقكم على الله وقول سفيان ايضا حسن فانه
تشبيه واقع في الوجود قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء اي في اللوح المحفوظ فانه
اثبت فيه ما يقع من الحوادث وقيل اي في القران ما تركنا شيئا من امر الدين الا وقد دللنا
عليه في القران اما دلالة مثبتة مشروحة واما مجملة يتلقى بيانها من الرسول عليه
الصلاة والسلام او من الاجماع او من القياس الذي يثبت بنص الكتاب قال الله تعالى
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما
نزل اليهم وقال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فاجمل في هذه الاية واية
النحل ما لم ينص عليه مما لم يذكره فصدق خبر الله بانه ما فرط في الكتاب من شيء الا ذكره اما تفصيلا
واما تاصيلا وقال اليوم اكملت لكم دينكم قوله تعالى ثم الى ربهم يحشرون اي للجزاء كما سبق
في خبر ابي هريرة وفي صحيح مسلم عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق الى
اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ودل بهذا على ان البهايم يحشر

يوم القيمة هذا قول ابي ذر وابي هريرة والحسن وغيرهم وروي عن ابن عباس قال ابن عباس في حشر
الدواب والطير موتها وقاله الضحاك والاول اصح لظاهر الاية والخبر الصحيح وفي التنزيل واذا الوحوش
حشرت وقال ابو هريرة فيما روى جعفر بن برقان عن يزيد بن الاصم عنه يحشر الله الخلق كلهم يوم
القيمة البهايم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى يومئذ ان ياخذ للجماء من
القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال عطا فاذا راوا
بني ادم وما هم عليه من الجزع قلن الحمد لله الذي لم يجعلنا مثلكم فلا جنة نرجوا ولا نار نخاف فيقول
الله تعالى لهن كن ترابا فحينئذ يتمنى الكافر وقالت جماعة هذا الحشر الذي في الاية راجع للكفار
وما تخلل كلام معترض واقامة حجج واما الحديث فالمقصود منه التمثيل على جهة تعظيم امر الحساب
والقصاص والاعتنا فيه حتى يفهم منه انه لا بد لكل احد منه وانه لا محيص له عنه وعضدوا
هذا بما في الحديث في غير الصحيح عن بعض رواته من الزيادة قال حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء
وللحجر لما ركب على الحجر والعود لما خدش العود قالوا فظهر من هذا ان المقصود منه التمثيل المفيد
للتهويل والاعتبار لان الجمادات لا يعقل خطابها ولا ثوابها ولا عقابها ولم يصر اليه احد من العقلا
ومتخيله من جملة المعتوهين الاغبياء قالوا ولان القلم لا يجري عليهم فلا يجوز ان يواخذوا قلت الصحيح
القول الاول لما ذكرناه من حديث ابي هريرة وان كان القلم لا يجري عليهم في الاحكام ولكن فيما بينهم
يواخذون به وروي عن ابي ذر قال انتطحت شاتان عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر هل
تدري فيما انتطحتا قلت لا قال لكن الله يدري وسيقضي بينهما وهذا نص وقد زدنا بيانا في كتاب
التذكرة واحوال الموتى وامور الاخرة والله اعلم قوله تعالى والذين كذبوا باياتنا صم وبكم ابتدا
وخبر اي عدموا الانتفاع باسماعهم وابصارهم وكل امة من الدواب وغيرها تهتدي لمصالحها
والكفار لا يهتدون وقد تقدم في البقرة في الظلمات اي ظلمات الكفر وقال ابو علي يجوز ان يكون
المعنى صم وبكم في الاخرة فيكون حقيقة دون مجاز اللغة من يشاء يضلله دل على انه شاء ضلال
الكافر واراده لينفذ فيه عدله الا ترى انه قال من يشاء يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم
اي على دين الاسلام لينفذ فيه فضله وفيه ابطال لمذهب القدرية والمشيئة راجعة الى
الذين كذبوا فمنهم من يضلله ومنهم من يهديه قوله تعالى قل ارايتكم قرا نافع بتخفيف الهمزتين
يلقي حركة الاولى على ما قبلها وياتي بالثانية بين بين وحكى ابو عبيد عنه انه يسقط الهمزة ويعوض
منها الفا قال النحاس وهذا عند اهل العربية غلط عليه لان الياء ساكنة والالف ساكنة ولا يجتمع
ساكنان قال مكي وقد روي عن ورش انه ابدل من الهمزة الفا لان الرواية عنه انه يمد
الثانية والمد لا يتمكن الا مع البدل والبدل فرع عن الاصول والاصل ان يجعل الهمزة بين الهمزتين
المفتوحتين والالف وعليه كل من خفف الثانية غير ورش وحسن جواز البدل في الهمزة وبعدها
ساكن لان الاول حرف مد ولين فالمد الذي يحدث مع الساكن يقوم مقام حركة يوصل بها الى
النطق بالساكن الثاني وقرا ابو عمرو وعاصم وحمزة ارايتكم بتحقيق الهمزتين واتوا بالكلمة على
اصلها والاصل الهمزة لان همزة الاستفهام دخلت على رايت فالهمزة عين الفعل والياء ساكنة
لاتصال المضمر المرفوع بها وقرا عيسى بن عمر والكسائي اريتكم بحذف الهمزة الثانية قال النحاس
وهذا بعيد في العربية وانما يجوز في الشعر والعرب تقول ارايتك زيدا ما شانه ومذهب البصريين
ان الكاف والميم للخطاب لا حظ لهما في الاعراب وهو اختيار الزجاج ومذهب الكسائي والفراء وغيرهما
ان الكاف والميم نصب بوقوع الرؤية عليهما والمعنى ارايتم انفسكم فاذا كانت للخطاب زائدة للتاكيد

كان ان اتاكم في موضع نصب على المفعول لرايت الثاني فالاولى من رؤية العين لتعديها الى مفعول واحد
وبمعنى العلم يتعدى الى مفعولين وقوله او اتتكم الساعة المعنى ارايتكم الساعة التي تبعثون فيها ثم قال
اغير الله تدعون ان كنتم صادقين والاية في محاجة المشركين ممن اعترف ان له صانعا اي انتم عند الشدايد
ترجعون الى الله وسترجعون يوم القيمة اليه ايضا فلم تصرون على الشرك في حال الرفاهية وكانوا
يعبدون الاصنام وتدعون في صرف العذاب قوله تعالى بل اياه تدعون بل اضراب عن الاول وايجاب
للثاني ايا نصب بتدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء اي كشف الضر الذي تدعون الى كشفه ان
شاء كشفه وتنسون ما تشركون قيل عند نزول العذاب الحسن اي يعرضون عنه اعراض الناسي وذلك
لليأس من النجاة من قبله اذ لا ضر فيه ولا نفع الزجاج يجوز ان يكون المعنى ويتركون النحاس مثل قوله
ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي قوله تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء
والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم
الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما
اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف
الايات ثم هم يصدفون قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون
قوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اضمار اي ارسلنا الى
امم من قبلك رسلا وفيه اضمار اخر يدل عليه الظاهر تقديره فكذبوا فاخذناهم وهذه الاية
متصلة بما قبل اتصال الحال بالحال قريبة منها وذلك ان هؤلاء سلكوا في مخالفة نبيهم مسلك
من كان قبلهم في مخالفة انبيائهم فكانوا بعرض ان ينزل بهم من البلاء ما نزل بمن كان قبلهم
ومعنى الباساء بالمصايب في الاموال والضراء في الابدان هذا قول الاكثر وقد يوضع كل واحد منهما موضع
الاخر ويؤدب الله عباده بالباساء والضراء وبما شاء لا يسأل عما يفعل قال ابن عطية استدل العباد
في تاديب انفسهم بالباساء في تفريق الاموال والضراء في الحمل على الابدان من جوع وعري بهذه الاية
قلت هذه جهالة ممن فعلها وجعل هذه الاية اصلا لها هذه عقوبة من الله لمن شاء من عباده
ان يمتحنهم بها ولا يجوز لنا ان نمتحن انفسنا ونكافيها قياسا عليها فانها المطية التي نبلغ عليها دار
الكرامة ونفوز بها من اهوال يوم القيمة وفي التنزيل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
وقال يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم فامر
المؤمنين بما خاطب به المرسلين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ياكلون الطيبات
ويلبسون احسن الثياب ويتجملون بها وكذلك التابعون بعدهم الى هلم جرا على ما تقدم بيانه
في المائدة وياتي في الاعراف من حكم اللباس وغيره ولو كان كما زعموا واستدلوا لما كان من امتنان
الله تعالى بالزرع والجنات وجميع الثمار والنبات والانعام التي سخرها واباح لنا اكلها وشرب
البانها والدفء باصوافها الى غير ذلك مما امتن به كبير فايدة فلو كان ما ذهبوا اليه فيه الفضل
لكان اولى به رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ومن بعدهم من التابعين والعلماء وقد تقدم
في اخر البقرة بيان فضل المال ومنفعته والرد على من ابى جمعه وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الوصال
مخافة الضعف على الابدان ونهى عن اضاعة المال ردا على الاغنياء الجهال قوله تعالى لعلهم يتضرعون
اي يذلون ماخوذ من الضراعة وهي الذلة يقال ضرع فهو ضارع قوله تعالى فلولا اذ جاءهم
باسنا تضرعوا لولا تحضيض وهي التي تلي الفعل بمعنى هلا وهذا عتاب على ترك الدعاء واخبار

عنهم

عنهم انهم لم يتضرعوا حين نزول العذاب ويجوز ان يكونوا تضرعوا تضرع من لم يخلص وتضرعوا
حين لابسهم العذاب والتضرع على هذه الوجوه غير نافع والدعاء مامور به حال الرخاء والشدة قال
الله تعالى ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وهذا
وعيد شديد ولكن قست قلوبهم اي صلبت وغلظت وهي عبارة عن الكفر والاصرار على المعصية نسال
الله العافية وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون اي اغراهم بالمعاصي وحملهم عليها قوله تعالى فلما نسوا
ما ذكروا به يقال لم ذموا على النسيان وليس من فعلهم فالجواب ان نسوا بمعنى تركوا ما ذكروا به
من ابن عباس وابن جريج وهو قول ابي علي وذلك لان التارك للشيء اعراضا عنه قد صيره بمنزلة ما
قد نسي كما يقال تركه في المنسي جواب اخر وهو انهم تعرضوا للنسيان فجاز الذم لذلك كما جاز الذم
على التعرض لسخط الله عز وجل وعقابه ومعنى فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي من النعم والخيرات
اي كثرنا لهم ذلك والتقدير عند اهل العربية فتحنا عليهم ابواب كل شيء كان مغلقا عنهم حتى
اذا فرحوا بما اوتوا معناه بطروا واشروا واعجبوا وظنوا ان ذلك العطاء لا يبيد وانه دال على رضى
الله عز وجل عنهم اخذناهم بغتة اي استاصلناهم وسطونا بهم وبغتة معناه فجاة وهي الاخذ على
غرة من غير تقدمة امان فاذا اخذ الانسان وهو غار غافل فقد اخذ بغتة وانكى شيء ما يفجا من البغت
وقد قيل ان التذكر الذي سلف فاعرضوا عنه قام مقام الامارة والله اعلم وبغتة مصدر في موضع
الحال لا يقاس عليه عند سيبويه كما تقدم وكان استدراج من الله تعالى كما قال واملي لهم ان كيدي
متين نعوذ بالله من سخطه ومكره قال بعض العلماء رحم الله عبدا تدبر هذه الاية حتى اذا فرحوا بما
اوتوا وقال محمد بن النضر الحارثي امهل هؤلاء القوم عشرين سنة وروى عقبة بن عامر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الله تعالى يعطي العباد ما يشاؤن على معاصيهم فانما ذلك استدراج
منه لهم ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به قال الحسن والله ما احد من الناس بسط الله له في الدنيا
فلم يخف ان يكون قد مكر له فيها الا كان قد نقص عمله وعجز رايه وما امسكها الله عن عبد فلم يظن
انه خير له فيها الا كان قد نقص عمله وعجز رايه وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام
اذا رايت الفقر مقبلا اليك فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا اليك فقل ذنب
عجلت عقوبته قوله تعالى فاذا هم مبلسون المبلس الباهت والحزين الايس الذي لا يحير جوابا لشدة
ما نزل به من سوء الحال قال العجاج صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه وابلسا اي تحير لهول
ما راى ومن ذلك اشتق اسم ابليس ابلس الرجل سكت وابلست الناقة وهي مبلاس اذا لم ترغ من شدة
الضبعة ضبعت الناقة تضبع ضبعة وضبعا اذا ارادت الفحل قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين
ظلموا الدابر الاخر يقال دبر القوم يدبرهم دبرا اذا كان اخرهم في المجيء وفي الحديث عن عبد الله بن
مسعود من الناس من لا ياتي الصلاة الا دبريا اي في اخر الوقت والمعنى هنا قطع خلفهم من نسلهم
وغيرهم فلم يبق لهم باقية قال قطرب يعني انهم استوصلوا واهلكوا قال امية بن ابي الصلت
فاهلكوا بعذاب حص دابرهم فما استطاعوا له صرفا ولا انتصروا ومنه التدبير لانه احكام عواقب
الامور والحمد لله رب العالمين قيل على هلاكهم وقيل تعليم للمؤمنين كيف يحمدونه وتضمنت هذه الاية
الحجة على وجوب ترك الظلم لما يعقب من قطع الدابر الى العذاب الدايم مع استحقاق القاطع
الحمد من كل حامد قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله اي اذهب سمعكم ووحده لانه مصدر يدل على الجمع
وابصاركم وختم اي طبع وقد تقدم في البقرة وجواب ان محذوف تقديره فمن ياتيكم به وموضعه نصب
لانها في موضع الحال كقولك اضربه ان خرج اي خارجا ثم قيل المراد المعاني القايمة بهذه

الجوارح والامراض جميعا فلا يبقى شيئا قال الله تعالى من قبل ان نطمس وجوها والاية احتجاج على الكفار
من اله غير الله ياتيكم به من رفع بالابتدا وخبرها اله وغير صفة له وكذلك ياتيكم موضعه دفع
بانه صفة الاله ومخرجها مخرج الاستفهام والجملة التي هي منها في موضع مفعول ومعنى ارايتم علمتم
ووحد الضمير في به وقد تقدم الذكر بالجمع لان المعنى اي بالماخوذ فالهاء راجعة الى المذكور وقيل
على السمع بالتصريح مثل والله ورسوله احق ان يرضوه ودخلت الابصار والقلوب بدلالة التضمين
وقيل من اله غير الله ياتيكم بلجد هذه المذكورات وقيل على الهدى الذي يتضمنه المعنى وقال
عبد الله الاعرج به انظر بضم الهاء على الاصل ان تكون الهاء مضمومة كما تقول جيت معه كما قال
النقاش في هذه الاية دليل على تفضيل السمع على البصر لتقدمه هنا وفي غير اية وقد مضى هذا في
اول البقرة مستوفى وتصريف الايات الاتيان بها من جهات من اعذار وانذار وترغيب وترهيب
ونحو ذلك ثم هم يصدفون اي يعرضون عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي يقال
صدف عن الشي اذا اعرض عنه صدفا وصدوفا وصادفته مصادفة والصدف في البعير ميل جهة قال
ابن الرقاع اذا ذكرن حديثا قلن احسنه وهن عن كل سوء يتقى صُدُف والصدف في البعير ان يميل
خفه عن اليد والرجل الى الجانب الوحشي فهم ما يلون معرضين عن الحجج والدلالات قوله تعالى
قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة الحسن بغتة ليلا او جهرة نهارا وقيل بغتة فجاة
قال الكسائي يقال بغتهم الامر يبغتهم بغتا وبغتة اذا اتاهم فجاة وقد تقدم هل يهلك الا القوم
الظالمون نظيره هل يهلك الا القوم الفاسقون اي هل يهلك الا انتم بشرككم والظلم هنا بمعنى
الشرك كما قال لقمن لابنه يا بني ان الشرك لظلم عظيم قوله تعالى **وما نرسل المرسلين الا مبشرين
ومنذرين فمن امن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب
بما كانوا يفسقون قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك
ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون وانذر به الذين
يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شي وما من
حسابك عليهم من شي فتطردهم فتكون من الظالمين** قوله وما نرسل المرسلين الا مبشرين
ومنذرين اي بالترغيب والترهيب قال الحسن مبشرين لسعة الرزق في الدنيا والثواب في الاخرة
يدل على ذلك قوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والارض ومعنى منذرين مخوفين عقاب الله فالمعنى انما ارسلنا المرسلين لهذا لا لما يقترح
عليهم من الايات وانما ياتون من الايات ما يظهر معه براهينهم وصدقهم وقوله فمن امن
واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم القول فيه قوله تعالى والذين كذبوا باياتنا اي
بالقران والمعجزات وقيل بمحمد عليه الصلاة والسلام يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون اي يكفرون
قوله تعالى قل لا اقول لكم عندي خزائن الله هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه اية من
ربه فالمعنى ليس عندي خزائن قدرته فانزل ما اقترحتموه من الايات ولا اعلم الغيب فاخبركم
به والخزانة ما يخزن فيه الشي ومنه الحديث فانما تخزن لهم ضروع مواشيهم اطعماتهم
ايحب احدكم ان يؤتى مشربته فيكسر خزانته وخزائن الله مقدوراته اي لا املك ان افعل
كلما اريد مما تقترحون ولا اعلم الغيب ايضا ولا اقول لكم اني ملك وكان القوم يتوهمون
ان الملائكة افضل اي لست بملك فاشاهد من امور الله ما لا يشهده البشر واستدل بهذا

القايلون

القايلون بان الملائكة افضل من الانبياء وقد مضى في البقرة القول فيه فتامله هناك قوله تعالى ان
اتبع الا ما يوحى الي ظاهره انه لا يقطع امرا الا اذا كان فيه وحي والصحيح ان الانبياء يجوز منهم الاجتهاد
والقياس على المنصوص والقياس احد ادلة الشرع وسياتي بيان هذا في الاعراف وجواز اجتهاد الانبيا
في الانبيا ان شاء الله تعالى قوله تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير اي الكافر والمؤمن عن مجاهد وغيره
وقيل الجاهل والعالم افلا تتفكرون انهما لا يستويان قوله تعالى وانذر به اي بالقران والانذار الاعلام
وقد تقدم في البقرة وقيل به اي بالله وقيل باليوم الاخر وخص الذين يخافون ان يحشروا لان الحجة
عليهم اوجب فهم خايفون من عذابه لا انهم يترددون في الحشر فالمعنى يخافون يتوقعون عذاب الحشر
وقيل يخافون يعلمون فان كان مسلما انذر ليترك المعاصي وان كان من اهل الكتاب انذر ليتبع الحق
وقال الحسن المراد المؤمنون الزجاج كل من اقر بالبعث من مؤمن وكافر وقيل الاية في المشركين اي
انذرهم بيوم القيمة والاول اظهر ليس لهم من دونه اي من غير الله شفيع هذا رد على اليهود
والنصارى في زعمها ان اباها يشفع لها حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والمشركون حيث
جعلوا اصنامهم شفعاء لهم عند الله فاعلم الله ان الشفاعة لا تكون للكفار ومن قال الاية في
المؤمنين قال شفاعة الرسول لهم باذن الله تعالى فهو الشفيع حقيقة اذا وفي التنزيل
ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
لعلهم يتقون اي في المستقبل وهو الثبات على الايمان قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون
ربهم الاية قال المشركون لا نرضى بمجالسة امثال هؤلاء يعنون سلمان وصهيبا وبلالا
وخبابا فاطردهم عنك وطلبوا ان يكتب لهم بذلك فهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ودعا
عليا ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية فانزل الله الاية ولهذا اشار سعد بقوله في الحديث
الصحيح فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ان يقع وسياتي ذكره وكان النبي
صلى الله عليه وسلم انما مال الى ذلك طمعا في اسلامهم واسلام قومهم ورأى ان ذلك لا يفوت
اصحابه شيئا ولا ينقص لهم قدرا فمال اليه فانزل الله الاية فنهاه عما هم به من الطرد لا انه
وقع الطرد روى مسلم عن سعد بن ابي وقاص قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال
المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء عنك لا يجترون علينا قال وكنت انا وابن مسعود
ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست اسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
شاء الله ان يقع فحدث في نفسه فانزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي قيل المراد بالدعاء المحافظة على الصلاة المكتوبة في الجماعة قاله ابن عباس ومجاهد
والحسن وقيل الذكر وقراءة القران ويحتمل ان يريد الدعاء في اول النهار واخره ليستفتحوا يومهم
بالدعاء رغبة في التوفيق ويختموا في الدعا طلب المغفرة يريدون وجهه اي طاعته والاخلاص
فيها اي يخلصون في عبادتهم واعمالهم لله ويتوجهون بذلك اليه لا لغيره وقيل يريدون الله
الموصوف بان له الوجه كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وهو كقوله والذين صبروا
ابتغاء وجه ربهم وخص الغداة والعشي بالذكر لان الشغل غالب فيهما على الناس ومن كان
في وقت الشغل مقبلا على العبادة كان في وقت الفراغ من الشغل اعمل فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يصبر نفسه معهم كما امره في قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم فكان لا يقوم حتى يكونوا هم الذين
يبتدون القيام وقد اخرج المعنى مبينا مكملا ابن ماجة في سننه عن خباب في قول الله تعالى

وجل ولا تطردوا الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الى قوله فتكون من الظالمين قال جاء الاقرع
بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال
وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من المومنين فلما راوهم حول النبي صلى الله عليه وسلم حقروهم
فاتوه فخلوا به وقالوا انا نريد ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب
تاتيك فنستحي ان ترانا العرب مع هذه الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنك فاذا نحن فرغنا
فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك كتابا فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب
ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام فقال ولا تطردوا الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم
فتكون من الظالمين ثم ذكر الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال وكذلك فتنا بعضهم
ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين ثم قال واذا جاءك
الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة قال فدنونا منه حتى وضعنا
ركبتنا على ركبتيه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا
فانزل الله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تجالس الاشراف ولا تطع من اغفلنا قلبه عن
ذكرنا يعني عيينة والاقرع واتبع هواه وكان امره فرطا قال هلاكا قال امر عيينة والاقرع
ثم ضرب لهم مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا قال خباب وكنا نقعد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا بلغنا الساعة التي يقوم قمنا وتركناه حتى يقوم ورواه عن احمد بن محمد بن يحيي
بن سعيد القطان حدثنا عمرو بن محمد العنقزي حدثنا اسباط عن السدي عن ابي سعيد الازدي
قال وكان قارئ الازد عن ابي الكنود عن خباب واخرجه ايضا عن سعد قال نزلت هذه الاية
فينا ستة في وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال قال قالت قريش لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انا لا نرضى ان نكون اتباعا لهم فاطردهم قال فدخل قلب رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ذلك ما شاء الله ان يدخل فانزل الله عز وجل ولا تطردوا الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه الاية وقرئ بالغدوة وسياتي بيانه في الكهف ان شاء
الله قوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي من جزائهم
ولا كفاية ارزاقهم اي جزاؤهم ورزقهم وجزاؤك ورزقك على الله لا على غيره من الاولى
للتبعيض والثانية زائدة للتوكيد وكذا وما من حسابك عليهم من شيء المعنى واذا كان الامر
كذلك فاقبل عليهم وجالسهم ولا تطردهم مراعاة لحق من ليس على مثل حالهم في الدين والفضل
فان فعلت كنت ظالما وحاشاه عن وقوع ذلك منه وانما هذا بيان للاحكام ولئلا يقع مثل ذلك
من غيره من اهل الاسلام وهذا مثل قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وقد علم الله منه انه لا
يشرك ولا يحبط عمله فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين نصب بالفاء في جواب النهي
والمعنى ولا تطرد الذين يدعون ربهم فتكون من الظالمين وما من حسابك عليهم من شيء
فتطردهم على التقديم والتاخير والظلم اصله وضع الشيء في غير موضعه وقد مضى في البقرة
وقد حصل من قوة الاية والحديث النهي ان يعظم احد لجاهه ولثوبه وان يحتقر احد
لخموله ولرثاثة ثوبه قوله تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل

سلام

سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده واصلح
فانه غفور رحيم وكذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين قل اني نهيت ان اعبد
الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين قل اني
على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير
الفاصلين قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين
قوله وكذلك فتنا بعضهم ببعض اي كما فتنا من قبلك كذلك فتنا هؤلاء والفتنة الاختبار اي
عاملناهم معاملة المختبرين ليقولوا نصب بلام كي يعني الاشراف والاغنياء اهؤلاء يعني الضعفاء
والفقراء من الله عليهم من بيننا قال النحاس وهذا من المشكل لانه يقال كيف فتنوا ليقولوا
هذه لانه ان كان انكارا فهو كفر منهم وفي هذا جوابان احدهما ان المعنى اختبر الاغنياء
بالفقراء ان تكون مرتبتهم واحدة عند النبي صلى الله عليه وسلم ليقولوا على سبيل الاستفهام لا
على سبيل الانكار اهؤلاء من الله عليهم من بيننا والجواب الاخر لما اختبروا بهذا قال عاقبته
الى ان قالوا هذا على سبيل الانكار وصار مثل قوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
اليس الله باعلم بالشاكرين فيمن عليهم بالايمان دون الرؤساء الذين علم الله منهم الكفر وهذا
استفهام تقرير وهو جواب لقولهم اهؤلاء من الله عليهم من بيننا وقيل المعنى اليس الله باعلم
من يشكر الاسلام اذا هديته له قوله تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام
عليكم السلام والسلامة بمعنى واحد ومعنى سلام عليكم سلمكم الله في دينكم وانفسكم نزلت في
الذين نهى الله نبيه عليه الصلاة والسلام عن طردهم فكان اذا راهم بداهم بالسلام وقال الحمد
لله الذي جعل من امتي من امرني ان ابداهم بالسلام فعلى هذا كان السلام من جهة النبي صلى
الله عليه وسلم وقيل انه كان من جهة الله تعالى اي ابلغهم منا السلام وعلى الوجهين فيه دليل
على فضلهم ومكانتهم عند الله وفي صحيح مسلم عن عائذ بن عمرو ان ابا سفيان اتى على سلمان و
صهيب وبلال ونفر فقالوا اما اخذت سيوف الله من عنق عدو الله ماخذها فقال ابو بكر
تقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال يا ابا بكر لعلك
اغضبتهم لان كنت اغضبتهم لقد اغضبت ربك فاتاهم فقال يا اخوتاه اغضبتكم قالوا لا يغفر
الله لك يا اخي فهذا دليل على رفعة منازلهم وحرمتهم كما بيناه في معنى الاية ويستفاد من هذا
احترام الصالحين واجتناب ما يغضبهم او يؤذيهم فان في ذلك غضب الله اي حلول عقابه بمن
اذى احدا من اوليائه وقال الفضيل بن عياض جاء قوم من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا انا اصبنا من الذنوب فاستغفر لنا فاعرض عنهم فنزلت الاية وروي عن انس بن
مالك مثله سواء قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة اي اوجب ذلك بخبره الصدق ووعده
الحق فخوطب العباد على ما يعرفون من انه من كتب شيئا فقد اوجبه على نفسه وقيل كتب ذلك
في اللوح المحفوظ انه من عمل منكم سوءا بجهالة اي خطيئة من غير قصد قال مجاهد لا يعلم حلالا
من حرام ومن جهالته ركب الامر وكل من عمل خطيئة فهو بها جاهل وقد مضى هذا المعنى في النساء
وقيل من اثر العاجلة على الاخرة فهو الجاهل فانه غفور رحيم قرئ بفتح ان من فانه ابن عامر
وكذلك انه من عمل صالحا ووافقهما نافع في انه من عمل وابا القون بالكسر فيهما فمن كسر فعلى الاستئناف
والجملة مفسرة للرحمة وان اذا دخلت على الجمل كسرت وكم ما بعد الفاء الابتداء والاستئناف
وكسرت كذلك ومن فتحهما فالاولى في موضع نصب على البدل من الرحمة بدل الشيء من الشيء

وهو موضع فاعمل فيها كتب كانه قال كتب ربكم على نفسه انه من عمل واما فانه غفور بالفتح ففيه
وجهان احدهما ان يكون في موضع رفع بالابتدا والخبر مضمر كانه قال فله انه غفور رحيم لان ما
بعد الفاء مبتدا اي فله غفران الله الوجه الثاني ان يضمر مبتدا تكون ان وما عملت فيه خبره تقديره
فامره غفران الله له وهذا اختيار سيبويه ولم يجز الاول واختاره ابو حاتم وقيل ان كتب عمل
فيها اي كتب ربكم انه غفور رحيم وروي عن علي بن صالح وابن هرمز كسر الاول على الاستيناف وفتح
الثانية على ان تكون مبتداة او خبر المبتدا او معمولة الكتب على ما تقدم ومن فتح الاولى وهو
نافع جعلها بدلا من الرحمة واستانف الثانية لانها بعد الفا وهي قراءة بينة قوله تعالى
وكذلك نفصل الآيات التفصيل التبيين الذي تظهر به المعاني والمعنى كما فصلنا لك في
هذه السورة دلايلنا ومحاجتنا مع المشركين كذلك نفصل لكم الايات في كل ما تحتاجون
اليه من امر الدين ونبين لكم ادلتنا وحجتنا في كل حق ينكره اهل الباطل وقال القتبي نفصل
الآيات ناتي بها شيئا بعد شي ولا ننزلها جملة ولتستبين سبيل المجرمين يقال هذه اللام
تتعلق بالفعل فاين الفعل الذي تتعلق به فقال الكوفيون هو مقدر اي وكذلك نفصل الايات
لنبين لكم ولتستبين قال النحاس وهذا الحذف كله لا يحتاج اليه والتقدير وكذلك نفصل
الآيات فصلناها وقيل ان دخول الواو للعطف على المعنى اي ليظهر ولتستبين قرئ بالياء
والتاء سبيل برفع اللام ونصبها وقراءة التاء خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي ولتستبين يا
محمد سبيل المجرمين فان قيل فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم خطاب لامته فالمعنى ولتستبينوا
سبيل المجرمين فان قيل فلم تذكر سبيل المومنين ففي هذا جوابان احدهما ان يكون مثل قوله
سرابيل تقيكم الحر فالمعنى وتقيكم البرد ثم حذف وكذلك هذا يكون المعنى ولتستبين سبيل
المومنين ثم حذف والجواب الاخر ان يقال استبان الشي واستبنته واذا بان سبيل المجرمين
فقد بان سبيل المومنين والسبيل يذكر ويونث فتميم تذكره واهل الحجاز تونثه وفي التنزيل
وان يروا سبيل الرشد مذكر لم تصدون عن سبيل الله مونث ولذلك قرئ لتستبين بالياء
والتاء خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته قوله تعالى قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون
من دون الله قيل تدعون بمعنى تعبدون وقيل تدعونهم في مهمات اموركم على جهة العبادة يريد
الاصنام قل لا اتبع اهواءكم فيما طلبتموه من عبادة هذه الاشياء وفي طرد من اردتم طرده قد
ضللت اذا اي قد ضللت ان اتبعت اهواءكم وما انا من المهتدين اي على طريق رشد وهدى
وقرئ ضللت بفتح اللام وكسرها وهما لغتان قال ابو عمرو بن العلا ضللت بكسر اللام لغة تميم
وهي قراءة ابن وثاب وطلحة بن مصرف والاولى هي الاصح والافصح لانها لغة اهل الحجاز وهي
قراءة الجمهور قال الجوهري والضلال والضلالة ضد الرشاد وقد ضللت اضل قال الله تعالى
قل ان ضللت فانما اضل على نفسي فهذه لغة نجد وهي الفصيحة واهل العالية يقولون
ضللت بالكسر اضل قوله تعالى قل اني على بينة من ربي اي دلالة ويقين وحجة وبرهان لا على
هوى ومنه البينة لانها في معنى البيان كما قال واذا حضر اولوا القربى واليتامى والمساكين
فاذ قوم منه على ما بيناه هناك وقيل تعود على الرب اي كذبتم بربي لانه جرى ذكره وقيل
بالعذاب وقيل بالقران وفي معنى هذه الاية والتي قبلها ما انشده مصعب ابن الزبير لنفسه
وكان شاعرا محسنا   اقعد بعد ما رجفت عظامي   وكان الموت اقرب ما يليني   اجادل
كل معترض خصيم   واجعل دينه غرضا لديني   فاترك ما علمت لراي غيري   وليس الراي كالعلم

اليقين

اليقين   وما انا والخصومة وهي لبس   يصرف في الشمال وفي اليمين   وقد سنت لنا سنن قوام   يلحن
بكل فج او وجين   وكان الحق ليس به خفاء   اغر كغرة الفلق المبين   وما عوض لنا منهاج جهم بمنهاج
ابن امنة الامين   فاما ما علمت فقد كفاني   واما ما جهلت فجنبوني   قوله تعالى ما عندي ما تستعجلون
به اي العذاب فانهم كانوا لفرط تكذيبهم يستعجلون نزوله استهزاء نحو قولهم او تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقيل ما عندي من
الايات التي تقترحونها ان الحكم الا لله اي ما الحكم الا لله في تاخير العذاب وتعجيله وقيل الحكم الفاصل
بين الحق والباطل لله يقص الحق اي يقص القصص الحق وبه استدل من منع المجاز في القران وهي قراءة
نافع وابن كثير وعاصم والباقون يقضي الحق بالضاد معجمة وكذا قرا علي وابو عبد الرحمن السلمي وسعيد بن
المسيب وهو مكتوب في المصحف بغير ياء ولا ينبغي الوقف عليه وهو من القضاء ودل على ذلك ان بعده
خير الفاصلين والفصل لا يكون الا قضاء دون قصص ويقوي ذلك قوله قبله ان الحكم الا لله
ويقوي ذلك ايضا قراءة ابن مسعود ان الحكم الا لله يقضي بالحق فدخول الباء يوكد معنى القضا النحاس
هذا لا يلزم لان معنى يقضي ياتي ويصنع فالمعنى ياتي الحق ويجوز ان يكون المعنى يقضي القضا الحق قال
مكي وقراءة الصاد احب الي لاتفاق الحرميين وعاصم على ذلك ولانه لو كان من القضا للزمت
الياء فيه كما اتت في قراءة ابن مسعود النحاس وهذا الاحتجاج لا يلزم لان مثل هذه الياء تحذف كثيرا
قوله تعالى قل لو ان عندي ما تستعجلون به اي من العذاب لانزلته بكم حتى ينفصل الامر الى اخره
والاستعجال طلب الشي قبل وقته والله اعلم بالظالمين اي بالمشركين وبوقت عقوبتهم قوله تعالى
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا
حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين   وهو الذي يتوفاكم بالليل
ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم ينبئكم بما كنتم تعملون   وهو القاهر
فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون
ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين   قل من ينجيكم من ظلمات البر
والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قوله وعنده
مفاتح الغيب فيه ثلاث مسائل الاولى جاء في الخبر ان هذه الاية لما نزلت نزل معها اثنا عشر
الف ملك وروى البخاري عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس لا يعلمها
الا الله لا يعلم ما تغيض الارحام الا الله ولا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم متى ياتي المطر الا الله
ولا نفس باي ارض تموت الا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة وفي صحيح مسلم عن عايشة قالت من
زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر بما يكون في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى
يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ومفاتح جمع مفتح هذه اللغة الفصيحة
ويقال مفتاح ويجمع مفاتيح وهي قراءة ابن السميقع مفاتيح والمفتح عبارة عن كل ما يحل غلقا
محسوسا كان كالقفل على البيت او معقولا كالنظر وروى ابن ماجة في سننه وابو حاتم البستي
في صحيحه عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الناس مفاتيح للخير
مغاليق للشر وان من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على
يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه وهو في الاية استعارة عن التوصل الى الغيوب
كما يتوصل في الشاهد بالمفتاح الى المغيب عن الانسان ولذلك قال بعضهم هو ماخوذ من قول
الناس افتح علي كذا اي اعطني او علمني ما اتوصل اليه به فالله تعالى عنده علم الغيب وبيده الطرق

للوصلة اليه لا يملكها الا هو فمن شاء اطلعه عليها ومن شاء حجبه عنها ولا يكون ذلك الا من افاضته
على رسله بدليل قوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وقال عالم
الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وقيل المراد بالمفاتح خزائن الرزق عن السدي
والحسن مقاتل والضحاك خزائن الارض وهذا مجاز عبر عنها بما يتوصل اليه بها وقيل غير هذا مما
تضمنه معنى الحديث اي عنده الاجال ووقت انقضائها وقيل عواقب الاعمار وخواتم الاعمال الى غير
هذا من الاقوال والاول المختار والله اعلم الثانيــــة قال علماؤنا وما اضاف سبحانه علم الغيب الى
نفسه في غير ما اية من كتابه الا من اصطفى من عباده فمن قال انه يمطر يقول غدا وجزم فهو كافر
اخبر عنه بامارة ادعاها ام لا وكذلك من قال انه يعلم ما في الرحم فهو كافر وان لم يجزم ومن قال
ان النوء ينزل به الماء عادة وانه سبب الماء على ما قدره الله وسبق في علمه لم يكفر الا انه يستحب
له ان لا يتكلم به فان فيه تشبيها بكلمة اهل الكفر وجهلا بلطيف حكمته لانه ينزل متى شاء مرة
بنوء كذا ومرة بغير نوء قال الله تعالى اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر على ما ياتي بيانه في الواقعة
ان شاء الله تعالى قال ابن العربي وكذلك قول الطبيب اذا كان الثدي الايمن مسود الحلمة فهو
ذكر وان كان في الثدي الايسر فهو انثى وان كانت المراة تجد الجنب الايمن اثقل فالولد انثى وادعى
ذلك عادة لا واجبا في الخلقة لم يكفر ولم يفسق واما من ادعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر او اخبر
عن الكوائن المجملة او المفصلة في ان يكون قبل ان يكون فلا ريبة في كفره ايضا فاما من اخبر عن
كسوف الشمس والقمر فقد قال علماؤنا يؤدب ولا يسجن اما عدم تكفيره فلان جماعة قالوا انه امر
يدرك بالحساب وتقدير المنازل حسب ما اخبر الله عنه من قوله والقمر قدرناه منازل واما
ادبهم فانهم يدخلون الشك على العامة اذ لا يدرون الفرق بين هذا وبين غيره فيشوشون عقايدهم
ويتركون قواعدهم في اليقين فادبوا حتى يسروا من ذلك اذا عرفوه ولم يعلنوا بذلك قلت
ومن هذا الباب ما جاء في صحيح مسلم عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من اتى عرافا لم تقبل له صلاة اربعين ليلة والعراف هو الحازي والمنجم هو الذي يدعي
علم الغيب وهي العرافة وصاحبها عراف وهو الذي يستدل على الامور باسباب ومقدمات يدعي
معرفتها وقد يعتضد بعض اهل الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم واسباب معتادة في
ذلك وهذا الفن هي العيافة بالياء وكلها ينطلق عليها اسم الكهانة قاله القاضي عياض والكهانة
ادعاء علم الغيب قاله ابو عمر بن عبد البر في كتاب الكافي من المكاسب المجتمع على تحريمها ومهور البغايا
والسحر والرشا واخذ الاجرة على النياحة والغنا وعلى الكهانة وادعا الغيب واخبار السما وعلى
الزمر واللعب والباطل كله قال علماؤنا وقد انقلبت الاحوال في هذه الازمان باتيان الكهان
والمنجمين لا سيما بالديار المصرية فقد شاع في رؤسائهم واتباعهم وامرائهم اتخاذ المنجمين بل لقد
انخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين فجاؤا الى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال
واستخرجوا منهم الاموال فحصلوا من اقوالهم على السراب والال ومن اديانهم على الفساد والضلال
وكل ذلك من الكبائر لقوله عليه الصلاة والسلام لم يقبل الله له صلاة اربعين ليلة فكيف
بمن اتخذهم وانفق عليهم معتمدا على اقوالهم روى مسلم عن عايشة قالت سال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ناس عن الكهان فقال ليس بشي فقالوا يا رسول الله انهم يحدثونا احيانا بشي فيكون حقا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيخلطون
معها مائة كذبة قال الحميدي ليس ليحيى بن عروة عن ابيه عن عايشة في الصحيح غير هذا واخرجه البخاري

من

من حديث ابي الاسود محمد بن عبد الرحمن عن عروة عن عايشة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الملائكة تنزل في العيان وهي السحاب فتذكر الامر في السماء فتسترق الشياطين السمع
فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون مائة كذبة من عند انفسهم وسياتي هذا المعنى في سبا
ان شا الله تعالى الثالثة قوله تعالى ويعلم ما في البر والبحر خصهما بالذكر لانهما اعظم المخلوقات
المجاورة للبشر اي يعلم ما يهلك في بر او بحر ويقال يعلم ما في البر من النبات والحب والنوى
وما في البحر من الدواب ورزق ما فيها وما يسقط من ورقة الا يعلمها روى يزيد بن هارون
عن محمد بن اسحق عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من زرع على الارض ولا
ثمار على الاشجار ولا حبة في ظلمات الارض الا عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم رزق فلان بن
فلان وذلك قوله في محكم كتابه وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب
ولا يابس الا في كتاب مبين وحكى النقاش عن جعفر بن محمد ان الورقة يراد به السقط من اولاد بني
ادم والحبة يراد بها الذي يسقط والرطب يراد به الحي واليابس يراد به الميت قال ابن عطية وهذا
قول جار على طريقة الرموز ولا يصح عن جعفر بن محمد ولا ينبغي ان يلتفت اليه وقيل المعنى وما تسقط
من ورقة الا يعلمها اي من ورق الشجر الا يعلم متى تسقط واين تسقط وكم تدور في الهوى ولا حبة الا
يعلم متى تنبت وكم تنبت ومن ياكلها في ظلمات الارض بطونها وهذا اصح فانه موافق للحديث و
مقتضى الاية والله الموفق للهداية وقيل في ظلمات الارض يعني الصخرة التي هي اسفل الارضين السابعة
ولا رطب ولا يابس الا بالخفض عطفا على اللفظ وقرا ابن السميقع والحسن وغيرهما بالرفع فيهما عطفا
على موضع من ورقة ومن على هذا للتوكيد في كتاب مبين اي في اللوح المحفوظ لتعتبر الملائكة بذلك
لانه سبحانه كتب ذلك لا لنسيان يلحقه تعالى عن ذلك وقيل كتبه وهو يعلمه لتعظيم الامر
اي اعلموا ان هذا الذي ليس فيه ثواب ولا عقاب مكتوب فكيف بما فيه ثواب وعقاب قوله تعالى
وهو الذي يتوفاكم اي ينيمكم فيقبض نفوسكم التي بها تميزون وليس ذلك موتا حقيقة بل هو
قبض الارواح عن التصرف بالنوم كما يقبضها بالموت والتوفي استيفاء الشي وتوفي الميت استوفى
عدد ايام عمره والذي ينام كانه استوفى حركاته في اليقظة والوفاة الموت واوفيتك المال
وتوفيت المال واستوفيته اذا اخذته اجمع وقال الشاعر ان بني الادرم ليسوا في العدد
ولا توفاهم قريش في العدد ويقال ان الروح اذا خرج من البدن في المنام يبقى فيه الحياة فلهذا تكون
فيه الحركة والتنفس فاذا انقضى عمره خرج روحه وتنقطع حياته وصار ميتا لا يتحرك ولا يتنفس
وقال بعضهم لا يخرج منه الروح ولكن يخرج منه الذهن ويقال هذا امر لا تعرف حقيقته الا الله
تعالى وهذا اصح الاقاويل والله اعلم ثم يبعثكم فيه اي في النهار يعني اليقظة ليقضى اجل مسمى اي يستوفي
كل انسان اجلا ضرب له وقال ابو رجا وطلحة بن مصرف ثم يبعثكم فيه ليقضي اجلا مسمى اي عنده
وجرحتم اي كسبتم وقد تقدم في المائدة وفي الاية تقديم وتاخير والتقدير وهو الذي يتوفاكم
بالليل ثم يبعثكم بالنهار ويعلم ما جرحتم فيه فقدم الاهم الذي من اجله وقع البعث في النهار
وقال ابن جريج ثم يبعثكم فيه اي في المنام ومعنى الاية ان امهاله تعالى للكفار ليس لغفلة عن
كفرهم فانه احصى كل شي عددا وعلمه واثبته ولكن ليقضي اجلا مسمى من رزق وحياة ثم
يرجعون اليه فيجازيهم وقد دل على الحشر والنشر بالبعث لان النشاة الثانية منزلتها بعد
الاولى كمنزلة اليقظة بعد النوم من ان من قدر على احدهما فهو قادر على الاخر قوله تعالى
وهو القاهر فوق عباده يعني فوقية المكانة والرتبة لا فوقية المكان والجهة على ما تقدم

بيانه اول السورة ويرسل عليكم حفظة اي من الملائكة والارسال حقيقة اطلاق الشيء بما حمل من الرسالة
فارسال الملائكة بما حملوا من الحفظ الذي امروا به كما قال وان عليكم لحافظين اي ملائكة تحفظ
اعمال العباد وتحفظهم من الافات وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن الناس من يعيش شقيا
جاهل القلب غافل اليقظه فاذا كان ذا وقال وراي حذر الموت واتقى الحفظه انما الناس راحل
ومقيم فالذي بان المقيم عظه الحفظة جمع حافظ مثل الكتبة والكاتب قيل انهما ملكان بالليل
وملكان بالنهار يكتب احدهما الخير والاخر الشر فاذا مشى الانسان يكون احدهما بين يديه والاخر
وراءه واذا جلس يكون احدهما عن يمينه والاخر عن شماله كقوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد
الاية ويقال لكل انسان خمسة من الملائكة اثنان بالليل واثنان بالنهار والخامس لا يفارقه ليلا
ولا نهارا والله اعلم قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت يريد اسبابه كما تقدم في البقرة توفته
رسلنا على تانيث الجماعة كما قال فلما جاءتهم رسلنا بالبينات وكذبت رسل وقرء حمزة توفاه
رسلنا على تذكير الجمع وقرء الاعمش تتوفاه رسلنا بزيادة تاء والتذكير والمراد اعوان ملك الموت وقال الكلبي
يقبض ملك الموت الروح من الجسد ثم يسلمها الى ملائكة الرحمة ان كان مؤمنا او الى ملائكة
العذاب ان كان كافرا ويقال معه سبعة من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب فاذا
قبض نفسا مؤمنة دفعها الى ملائكة الرحمة فيبشرونها بالثواب ويصعدون بها الى السماء واذا قبض
نفسا كافرة دفعها الى ملائكة العذاب فيبشرونها بالعذاب ويفزعونها ثم يصعدون بها الى
السماء ثم ترد الى سجين وروح المؤمن الى عليين والتوفي تارة يضاف الى ملك الموت كما قال
قل يتوفاكم ملك الموت وتارة الى الملائكة لانهم يتولون ذلك كما في هذه الاية وغيرها وتارة
الى الله وهو المتوفي على الحقيقة كما قال الله يتوفى الانفس حين موتها وهو الذي يحييكم ثم يميتكم
الذي خلق الموت والحياة فكل مامور من الملائكة فانما يفعل ما يفعل بامره وهم لا يفرطون اي
يضيعون ويقصرون اي يطيعون امر الله واصله من التقدم كما تقدم فمعنى فرط قدم العجز
وقال ابو عبيدة لا يتوانون وقرا عبيد بن عمير لا يفرطون بالتخفيف اي لا يجاوزون الحد فيما
امروا به من الاكرام والاهانة ثم ردوا الى الله اي ردهم الله بالبعث للحساب مولاهم الحق خالقهم
ورازقهم وباعثهم ومالكهم الحق بالخفض قراءة الجمهور على البعث والصفة لاسم الله تعالى
وقرء الحسن بالنصب على اضمار اعني او على المصدر اي حقا الا له الحكم اي اعلموا وقوله له الحكم
وحده يوم القيمة اي القضاء والفصل وهو اسرع الحاسبين اي لا يحتاج الى فكرة وروية ولا
عقد بيد وقد تقدم قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي شدائدهما يقال يوم
مظلم اي شديد قال النحاس والعرب تقول يوم مظلم اذا كان شديدا فاذا عظمت ذلك قالت
يوم ذو كواكب وانشد سيبويه بني اسد هل تعلمون فلاننا اذا كان يوم ذو كواكب اشنعا
وجمع الظلمات على انه يعني ظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة الغيم اذا اخطاتم الطريق وخفتم
الهلاك دعوتموني لئن انجيتنا من هذه اي من هذه الشدائد لنكونن من الشاكرين
اي من الطائعين فوبخهم الله في دعائهم اياه عند الشدائد وهم يدعون معه في الرخاء
غيره بقوله ثم انتم تشركون وقرء الاعمش وخيفة من الخوف وابو بكر عن عاصم خفية بكسر
الخاء والباقون بضمها لغتان وزاد الفراء خفوة وخفوة قال ونظيره حبيه وحبيه وقرء
الاعمش بعده لانه معنى تضرعا ان تظهروا التذلل وخفية ان تبطنوا مثل ذلك وقرا الكوفيون
لئن انجانا والساق المعنى بالياء كما قرء اهل المدينة واهل الشام رحمهم الله قوله تعالى

قل

قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من
فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض انظر كيف نصرف الايات
لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبا مستقر وسوف
تعلمون واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره
واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون
من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم
الحياة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع
وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون قوله قل الله ينجيكم بالتشديد والباقون بالتخفيف قيل معناهما واحد مثل
نجا ونجيته وانجيته وقيل التشديد للتكثير والكرب الغم ياخذ بالنفس يقال رجل مكروب
قال عنترة ومكروب كشفت الكرب عنه بطعنة فيصل لما دعاني والكربة مشتقة من ذلك
وقوله ثم انتم تشركون تقريع وتوبيخ مثل قوله في اول السورة ثم انتم تمترون لان الحجة
اذا قامت بعد المعرفة وجب الاخلاص وهم قد جعلوا بدلا منه وهو الاشراك فحسن ان
يقرعوا ويوبخوا على هذه الجهالة وان كانوا مشركين قبل النجاة قوله تعالى قل هو القادر على
ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم الاية اي القادر على انجائكم من الكرب قادر على تعذيبكم ومعنى
من فوقكم الرجم بالحجارة والطوفان والصيحة والريح كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم
لوط وقوم نوح وعن مجاهد وابن جبير وغيرهما ومن تحت ارجلكم الخسف والرجفة كما
فعل بقارون واصحاب مدين وقيل من فوقكم يعني الامراء الظلمة ومن تحت ارجلكم يعني
السفلة وعبيد السوء عن ابن عباس ومجاهد ايضا او يلبسكم شيعا وروي عن ابي عبد الله المدني
او يلبسكم بضم الياء اي يجللكم العذاب ويعمكم به وهذا من اللبس بضم الاول وقراءة الفتح من اللبس
وهو موضع مشكل والاعراب يبينه اي يلبس عليكم امركم فحذف احد المفعولين وحرف الجر كما قال
واذا كالوهم او وزنوهم وهذا اللبس بان يخلط امرهم فيجعلهم مختلفي الاهواء عن ابن عباس وقيل معنى
يلبسكم شيعا يقوي عدوكم حتى يخالطكم واذا خالطكم فقد لبسكم شيعا معناه فرقا وقيل يجعلكم فرقا
يقاتل بعضكم بعضا وذلك بتخليط امرهم وافتراق امرائهم على طلب الدنيا ويذيق بعضكم باس بعض
اي بالحرب والقتل في الفتنة عن مجاهد والاية عامة في المسلمين والكفار وقيل هي في الكفار
خاصة وقال الحسن هي في اهل الصلاة قلت وهو الصحيح فانه المشاهد فقد لبسنا العدو
في ديارنا واستولى على انفسنا واموالنا مع الفتنة المستولية علينا بقتل بعضنا بعضا واستباحة
بعضنا اموال بعض نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن وعن الحسن ايضا انه تاول ذلك
فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم روى مسلم عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله تعالى زوى لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وان امتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها و
اعطيت الكنزين الاحمر والابيض واني سالت ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط
عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي قال يا محمد اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد
واني قد اعطيتك لامتك ان لا اهلكهم بسنة عامة وان لا اسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم
فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من باقطارها او قال من بين اقطارها حتى يكون بعضهم يهلك
بعضا وروى النسائي عن خباب بن الارت وكان قد شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

الملائكة كلها حتى كان مع الفجر فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته جاء خباب فقال يا رسول
الله لقد صليت الليلة صلاة ما رايتك صليت نحوها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل انها
صلاة رغب ورهب سالت الله عز وجل فيها ثلاث خصال فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة
سالت ربي عز وجل ان لا يهلكنا بما اهلك به الامم فاعطانيها وسالت ربي عز وجل ان لا يلبسنا
شيعا فمنعنيها وقد اتينا على هذه الاخبار في كتاب التذكرة والحمد لله وروي انه لما نزلت هذه
الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل يا جبريل ما بقاء امتي على ذلك فقال له جبريل انما انا عبد
مثلك فادع ربك وسله لامتك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضا واسبغ الوضوء وصلى
واحسن الصلاة ثم دعا فنزل جبريل وقال يا محمد ان الله سمع مقالتك واجارهم من خصلتين وهو
العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم فقال يا جبريل ما بقاء امتي اذا كان فيهم اهواء مختلفة
ويذيق بعضهم باس بعض فنزل جبريل بهذه الاية وروى عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله
قال لما نزلت هذه الاية قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجه الله فنزلت او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض
قال هاتان اهون وفي سنن ابن ماجة عن ابن عمر قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح اللهم استر عوراتي وامن روعاتي واحفظني من بين
يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي قال وكيع
يعني الخسف قوله تعالى انظر كيف نصرف الايات اي نبين لهم الحجج والدلالات لعلهم يفقهون
يريد بطلان ما هم عليه من الشرك والمعاصي قوله تعالى وكذب به قومك اي بالقران وقرا ابن ابي
عبلة وكذبت بالتاء وهو الحق اي القصص الحق قل لست عليكم بوكيل قال الحسن لست بحافظ اعمالكم
حتى اجازيكم عليها انما انا منذر وقد بلغت نظيره وما انا عليكم بحفيظ اي احفظ عليكم اعمالكم ثم قيل هذا
منسوخ باية القتال وقيل ليس بمنسوخ اذ لم يكن في وسعه ايمانهم لكل نبا مستقر لكل خبر
حقيقة اي لكل شيء وقت يقع فيه من غير تقديم وتاخير وقيل اي لكل عمل جزاء وقال الحسن هذا
وعيد من الله تعالى للكفار لانهم كانوا لا يقرون بالبعث الزجاج يجوز ان يكون وعيدا بما
ينزل بهم في الدنيا استقر يوم بدر ما كان يعدهم من العذاب وذكر الثعلبي انه راى في بعض
التفاسير ان هذه الاية نافعة من وجع الضرس اذا كتبت على كاغد ووضع على السن قوله تعالى
واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم فيه مسالتان الاولى قوله واذا رايت الذين
يخوضون في اياتنا بالتكذيب والرد والاستهزاء فاعرض عنهم والخطاب مجرد للنبي صلى الله عليه وسلم
وقيل ان المؤمنين داخلون في الخطاب معه وهو الصحيح فان العلة سماع الخوض في ايات الله
وذلك يشملهم واياه وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وحده لان قيامه على المشركين كان
يشق عليهم ولم يكن المؤمنون عندهم كذلك فامر ان ينابذهم بالقيام عنهم اذا استهزؤوا وخاضوا
ليتادبوا بذلك ويدعوا الخوض والاستهزاء والخوض اصله في الماء ثم استعمل بعد في غمرات
الاشياء التي هي مجاهل تشبيها بغمرات الماء فاستعير من المحسوس للمعقول وقيل هو ماخوذ من
الخلط وكل شيء خضته فقد خلطته ومنه خاض الماء بالعسل خلطه فادب الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الاية كان يقعد الى قوم من المشركين يعظهم ويدعوهم فيستهزؤون
بالقران فامره الله عز وجل ان يعرض عنهم اعراض منكر ودل بهذا على ان الرجل اذا علم من
الاخر منكرا وعلم انه لا يقبل منه فعليه ان يعرض عنه اعراض منكر ولا يقبل عليه روى ابن ابي

يخج عن مجاهد في قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا قال هم الذين يستهزؤون بكتاب الله نهاه
ان يجلس معهم الا ان ينسى فاذا ذكر قام وروى ورقاء عن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال هم الذين
يقولون في القران غير الحق الثانية في هذه الاية رد من كتاب الله عز وجل على من زعم ان
الائمة الذين هم حجج واتباعهم لهم ان يخالطوا الفاسقين ويصوبوا اراءهم تقية وذكر الطبري عن
ابي جعفر محمد بن علي رضي الله عنهم قال لا تجالسوا اهل الخصومات فانهم الذين يخوضون في ايات
الله ابن العربي وهذا دليل على ان مجالسة اهل الكباير لا تحل قال ابن خويز منداد من خاض في ايات
الله تركت مجالسته وهجر مؤمنا كان او كافرا قال ولذلك منع اصحابنا الدخول الى ارض العدو
ودخول كنايسهم والبيع ومجالسة الكفار واهل البدع وان لا يعتقد مودتهم ولا يسمع كلامهم ولا
مناظرتهم وقد قال بعض اهل البدع لابي عمران النخعي اسمع مني كلمة فاعرض عنه وقال ولا
نصف كلمة ومثله عن ايوب السختياني وقال الفضيل بن عياض من احب صاحب بدعة احبط
الله عمله واخرج نور الاسلام من قلبه ومن زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها ومن جلس
مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة واذا علم الله من رجل انه مبغض لصاحب بدعة رجوت ان
يغفر الله له وروى ابو عبد الله الحاكم عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقر
صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام فبطل بهذا كله قول من زعم ان مجالستهم جايزة اذا
صانوا اسماعهم قوله تعالى واما ينسينك الشيطان الاية فيه مسالتان الاولى قوله واما
ينسينك اما شرط ويلزمها النون الثقيلة في الاغلب وقد لا يلزم كما قال اما يصبك عدو في
مناواه يوما فقد كنت تستعلي وتنتصر وقرا ابن عباس وابن عامر ينسينك بتشديد السين
على التكثير يقال نسي وانسى بمعنى واحد لغتان قال الشاعر قالت سليمى اسر لي اليوم ام تقل وقد
ينسينك بعض الحاجة الكسل امرؤ القيس تنسي اذا قمت سربال المعنى يا محمد ان انساك الشيطان
ان تقوم عنهم فجالستهم بعد النهي فلا تقعد بعد الذكرى اذا ذكرت فلا تقعد مع القوم الظالمين
يعني المشركين والذكرى اسم للتذكر الثانية قيل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
امته ذهبوا الى تنزيهه عليه السلام من النسيان وقيل هو خاص به والنسيان جايز عليه
قال ابن العربي وان عذرنا اصحابنا في قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك انه خطاب للامة
باسم النبي صلى الله عليه وسلم لاستحالة الشرك عليه فلا عذر لهم في هذا لجواز النسيان عليه قال
صلى الله عليه وسلم نسي ادم فنسيت ذريته خرجه الترمذي وصححه وقال مخبرا عن نفسه انما
انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني خرجه الصحيح فاضاف النسيان اليه وقال
وقد سمع قراءة رجل لقد ذكرني اية كذا وكذا كنت انسيتها واختلفوا بعد جواز النسيان عليه
هل يكون فيما طريقه البلاغ من الافعال واحكام الشرع ام لا فذهب الى الاول فيما ذكره القاضي
عياض وعامة العلماء والائمة النظار كما هو ظاهر القران والاحاديث لكن شرط الاية ان الله تعالى
ينبهه على ذلك ولا يقره عليه ثم اختلفوا هل من شرط التنبيه اتصاله بالحادثة على الفور وهو
مذهب القاضي ابو بكر والاكثر من العلماء او يجوز التراخي في ذلك ما لم ينخرم عمره وينقطع تبليغه
واليه نحا ابو المعالي ومنعت طايفة من العلماء السهو عليه في الافعال البلاغية واعتذروا
عن الظواهر الواردة في ذلك واليه مال الاستاذ ابو اسحق وشذت الباطنية وطايفة من
ارباب علم القلوب فقالوا لا يجوز النسيان عليه وانما ينسى قصدا ويتعمد صورة النسيان ليسن
ونحا الى هذا عظيم من ائمة التحقيق وهو ابو المظفر الاسفرايني في كتابه الاوسط وهو منحى غير

سديد وجمع الضد مع الضد مستحيل بعيد قوله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء قال ابن عباس لما نزلت لا تقعدوا مع المشركين وهو المراد بقوله فاعرض عنهم قال المسلمون لا يمكننا دخول المسجد والطواف فنزلت هذه الاية ولكن ذكرى اي فاقعدوا يعني المؤمنين فليذكروهم لعلهم يتقون الله في ترك ما هم فيه ثم قيل نسخ هذا بقوله وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزء بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وانما كانت الرخصة قبل الفتح وكان الوقت وقت تقية واشار بقوله وقد نزل عليكم في الكتاب الى قوله وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا قال القشيري والاظهر ان الاية ليست منسوخة والمعنى ما عليكم شيء من حساب المشركين فعليكم بتذكيرهم وزجرهم فان ابوا فحسابهم على الله وذكرى في موضع نصب على المصدر ويجوز ان تكون في موضع رفع اي ولكن الذي يفعلونه ذكرى او ولكن عليهم ذكرى قال الكسائي المعنى ولكن هذه ذكرى قوله تعالى وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي لا تعلق قلبك بهم فانهم اهل تعنت وان كنت مأمورا بوعظهم قال قتادة هذا منسوخ نسخه فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ومعنى لعبا ولهوا اي استهزاء بالدين الذي دعوتهم اليه وقيل استهزؤا بالدين الذي هم عليه فلم يعملوا به والاستهزاء ليس مسوغا في دين وقيل لعبا ولهوا باطلا وفرحا وقد تقدم هذا وقد جاء اللعب مقدما في اربعة مواضع وقد نظمت اذا اتى لعب ولهو وكم من موضع هو في القران، فحرف في الحديد وفي القتال، وفي الانعام منها موضعان وقيل المراد بالدين هنا العيد قال الكلبي ان الله تعالى جعل لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه لله تعالى وكل قوم اتخذوا عيدهم لعبا ولهوا الا امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم اتخذوه صلاة وذكرا وحضورا بالصدقة مثل الجمعة والفطر والنحر قوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا اي لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا وقوله تعالى وذكر به اي بالقران وبالحساب ان تبسل نفس بما كسبت اي ترتهن وتسلم للهلكة وعن مجاهد وقتادة والحسن وعكرمة والسدي والابسال تسليم المرء للهلاك هذا المعروف في اللغة ابسلت ولدي ارهنته قال عوف بن الاحوص بن جعفر شعر، وابسالي بني بغير جرم، بعوناه ولا بدم مراق، بعوناه بالعين المهملة معناه جنيناه والبعو الجناية وكان حمل عن غنى لبني قشير دم ابني السجيفة فقالوا لا نرضى بك فرهنهم بنيه طلبا للصلح وانشد النابغة الجعدي، ونحن رهنا بالافاقة عامرا، بما كان في الدرداء رهنا فابسلا، الدرداء كتيبة كانت لهم ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع تقدم معناه قوله تعالى وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها العدل الفدية وقد تقدم في البقرة والحميم الماء الحار وفي التنزيل يصب من فوق رؤسهم الحميم الاية يطوفون بينها وبين حميم ان والاية منسوخة باية القتال وليست بمنسوخة لان قوله وذر الذين اتخذوا دينهم تهديد كقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا اذ معناه لا تحزن عليهم فانما عليك التبليغ والتذكير بابسال النفوس فمن ابسل فقد اسلم وارتهن وقيل اصله التحريم من قولهم هذا بسل عليك اي حرام فكانهم حرموا الجنة وحرمت عليهم الجنة قال الشاعر، اجارتكم بسل علينا محرم، وجارتنا حل لكم وحليلها، والابسال التحريم قوله تعالى قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين قوله قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ان دعوناه ولا يضرنا ان تركناه يريد الاصنام ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا

الله اي نرجع الى الضلال بعد الهدى وواحد الاعقاب عقب وهي مؤنثة وتصغر عقيبة يقال رجع فلان على عقبيه اذا ادبر قال ابو عبيدة يقال لمن رد عن حاجته ولم يظفر بها قد رد على عقبيه وقال المبرد معناه نعقب بالشر بعد الخير واصله من العاقبة والعقبى وهما ما كان تاليا للشيء واجبا ان يتبعه ومنه والعاقبة للمتقين ومنه عقب الرجل ومنه العقوبة لانها تالية للذنب وعنه تكون قوله تعالى كالذي الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف استهوته الشياطين في الارض حيران اي استغوته وزينت له هواه ودعته اليه يقال هوى يهوى الى الشيء اسرع اليه وقال الزجاج هو من هوى من هوى النفس اي زين لهم الشيطان هواه وقراءة الجماعة استهوته اي هوت به على تانيث الجماعة وقرء حمزة استهواه الشياطين على تذكير الجمع وروي عن ابن مسعود استهواه الشيطان وروي عن الحسن وهو كذلك في حرف ابي ومعنى ايتنا وفي قراءة عبد الله ايضا يدعونه الى الهدى بينا وعن الحسن استهوته الشياطين حيران نصب على الحال ولم ينصرف لان انثاه حيرى كسكران وسكرى وغضبان وغضبى والحيران هو الذي لا يهتدي لجهة امره وقد حار يحار حيرا وحيرة وحيرورة اي تردد وبه سمي الماء المستنقع الذي لا منفذ له حائرا والجمع حوران والحائر الموضع يتحير فيه الماء قال الشاعر، يخطو على بردتين عداهما، غرق بساحة حائر يعبوب، قال ابن عباس اي مثل عابد الصنم من قو دعاه الغول فيتبعه فيصبح وقد القته في مضلة او مهلكة فهو حائر في المهامه وقال في رواية ابي صالح نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق كان يدعو اباه الى الكفر وابواه يدعوانه الى الاسلام والمسلمون وهو معنى قوله له اصحاب يدعونه الى الهدى فيابى قال ابو عمر امه ام رومان بنت الحارث بن غنم الكنانية فهو شقيق عائشة وشهد عبد الرحمن بن ابي بكر بدرا واحدا مع قومه كافرا ودعا الى البراز فقام اليه ابوه ليبارزه فذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال متعني بنفسك ثم اسلم وحسن اسلامه وصحب النبي صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية وهذا قول اهل السير قالوا كان اسمه عبد الكعبة فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه عبد الرحمن وكان اسن ولد ابي بكر ويقال انه لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم اربعة ولاء اب وبنوه الا ابا قحافة وابنه ابو بكر وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابنه ابو عتيق محمد بن عبد الرحمن فالله اعلم وان اقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير واذ قال ابراهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة اني اراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين قوله وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا الصلاة اللام لام كي اي امرنا كي نسلم وبان اقيموا الصلاة لان حروف الاضافة يعطف بعضها على بعض قال الفراء المعنى امرنا ان نسلم لان العرب تقول امرتك لتذهب وبان تذهب بمعنى قال النحاس سمعت ابا الحسن بن كيسان يقول هي لام الخفض واللامات كلها ثلاث لام خفض ولام امر ولام توكيد لا يخرج شيء عنها والاسلام الاخلاص واقامة الصلاة الاتيان بها والدوام عليها ويجوز ان يكون وان اقيموا الصلاة عطفا على المعنى اي يدعونه

الى الهدى ويدعونه ان اقيموا الصلاة لان معنى ايتنا ان ايتنا قوله تعالى وهو الذى اليه تحشرون ابتدا وخبر وهو الذى خلق السموات والارض اي فهو الذى يجب ان يعبد لا الاصنام ومعنى بالحق اي بكلمة الحق يعنى قوله كن قوله تعالى ويوم يقول كن فيكون اي واذكر يوم يقول او اتقوا يوم يقول كن او قدر يوم يقول كن وقيل هو عطف على الهاء فى واتقوه قال الفرا وكن فيكون وقيل المعنى فيكون جميع ما اراد من موت الناس وحياتهم وعلى هذين التاويلين يكون قوله الحق ابتدا وخبر وقيل ان قوله رفع بيكون اي فيكون ما يامر به والحق من نعته ويكون التمام على هذا قوله الحق وقرء ابن عامر فيكون بالنون وهو اشارة الى سرعة الحساب والبعث وقد تقدم فى البقرة القول فيه مستوفى قوله تعالى يوم ينفخ فى الصور اي وله الملك يوم ينفخ فى الصور او وله الحق يوم ينفخ فى الصور وقيل هو بدل من يوم يقول والصور قرن من نور ينفخ فيه النفخة الاولى للفنا والثانية للانشا وليس جمع صورة كما زعم بعضهم اي ينفخ فى صور الموتى على ما نبينه وروي من حديث عبد الله بن عمرو ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه احدا لا اصغى ليتا ورفع ليتا قال واول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله او قال ينزل الله مطرا كانه الطل فينبت منه اجساد الناس ثم ينفخ اخرى فاذا هم قيام ينظرون وذكر الحديث وكذا فى التنزيل ثم نفخ فيه اخرى ولم يقل فيها فعلم انه ليس جمع الصورة والامم مجمعة على ان الذى ينفخ فى الصور اسرافيل عليه السلام قال ابو الهيثم من انكر ان يكون الصور قرنا فهو كمن ينكر العرش والصراط والميزان وطلب لها تاويلات قال ابن فارس الصور الذى فى الحديث كالقرن ينفخ فيه والصور جمع صورة قال الجوهري الصور القرن قال الراجز لقد نطحناهم غداة الجمعين نطحا شديدا لا كنطح الصورين ومنه قوله ويوم ينفخ فى الصور وقال الكلبي لا ادري ما الصور ويقال هو جمع صورة مثل بسرة وبسر اي ينفخ فى صور الموتى الارواح وقرء الحسن يوم ينفخ فى الصور والصور بكسر الصاد لغة فى الصور جمع صورة والجمع صوار وصيار بالياء لغة فيه وقال عمرو بن عبيد قرا عياض يوم ينفخ فى الصور فهذا يعنى به الخلق والله اعلم قلت وممن قال ان المراد بالصور فى هذه الاية جمع صورة ابو عبيدة وهذا وان كان محتملا فهو مردود بما ذكرناه من الكتاب والسنة وايضا لا ينفخ فى الصور للبعث مرتين بل ينفخ مرة واحدة فاسرافيل عليه السلام ينفخ فى الصور الذى هو القرن والله تعالى يحيي الصور وفى التنزيل فنفخنا فيه من روحنا قوله تعالى عالم الغيب والشهادة رفع عالم صفة للذى اي وهو الذى خلق السموات والارض عالم الغيب ويجوز ان يرتفع على اضمار المبتدى وقد روي عن بعضهم انه قرا ينفخ فيكون فيجوز ان يكون الفاعل عالم الغيب لانه اذا كان النفخ بامر الله تعالى كان منسوبا الى الله عز وجل ويجوز ان يكون ارتفع عالم حملا على المعنى كما انشد سيبويه ليبك يزيد ضارع لخصومه وقرا الحسن والاعمش عالم بالخفض على البدل من الهاء التى فى له قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه ازر تكلم العلماء فى هذا فقال ابو بكر محمد بن محمد بن الحسن الجويني الشافعي الاشعري فى النكت من التفسير له وليس بين الناس اختلاف فى ان اسم والد ابراهيم تارخ والذى فى القران يدل على ان اسمه ازر وقيل ازر عندهم ذم فى لغتهم كانه قال واذ قال ابراهيم لابيه يا مخطئ اتتخذ اصناما الهة واذا كان كذلك فموضعه نصب على اضمار الفعل كانه قال واذ قال ابراهيم لابيه اتتخذ ازر اتتخذ اصناما الهة قلت ما ادعاه من الاتفاق ليس عليه وفاق فقد قال محمد بن اسحق والضحاك والكلبي ان ازر ابو ابراهيم عليه السلام

هو تارخ مثل اسرائيل ويعقوب قلت فيكون له اسمان كما تقدم وقال مقاتل ازر لقب وتارخ اسم وحكاه الثعلبي عن ابن اسحاق القشيري ويجوز ان يكون على العكس قال الحسن كان اسم ابيه ازر وقال سليمان التيمي هو سب وعيب ومعناه فى كلامهم المعوج روي المعتمر ابن سليمان عن ابيه قال بلغني انها اعوج قال وهي اشد كلمة قالها ابراهيم لابيه وقال الضحاك معنى ازر الشيخ الهم بالفارسية الفراء هي صفة ذم بلغتهم كانه قال يا مخطئ فيمن رفعه او كانه قال واذ قال ابراهيم لابيه المخطئ فيمن خفض ولا ينصرف لانه على افعل قاله النحاس الجوهري ازر اسم اعجمي وهو مشتق من ازر فلان فلانا اذا عاونه فهو موازر قومه على عبادة الاصنام وقيل هو مشتق من القوة والازر القوة عن ابن فارس وقال مجاهد ويمان ازر اسم صنم وهو فى هذا التاويل فى موضع نصب التقدير اتتخذ ازر الها اتتخذ اصناما وقيل فى الكلام تقديم وتاخير التقدير اصناما ازر قلت فعلى هذا ازر اسم جنس والله اعلم الثعلبي فى كتاب العرايس ان اسم ابي ابراهيم الذى سماه به ابوه تارخ فلما صار مع النمرود قيما على خزانة الهته سماه ازر قال مجاهد ان ازر ليس باسم ابيه وانما هو اسم صنم وهو ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروع بن ارغو بن فالغ بن عابر بن سالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وازر فيه قراات ءازر بهمزتين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة عن ابن عباس وعنه ءازر بهمزتين مفتوحتين وقرئ بالرفع وروي ذلك عن ابن عباس وعلى القراءتين الاولتين عنه تتخذ بغير همزة قال المهدوي ءازرا ويجوز ان يجعل ازرا على انه مشتق من الازر وهو الظهر فيكون مفعولا من اجله كانه قال اللقوة تتخذ اصناما ويجوز ان يكون ازر بمعنى وزر ابدلت الواو همزة قال القشيري ذكر فى الاحتجاج على المشركين قصة ابراهيم ورده على ابيه فى عبادة الاصنام واولى الناس باتباع ابراهيم العرب فانهم ذريته اي واذكر اذ قال ابراهيم او ذكرهم اذ قال ابراهيم وقرئ ازر اي يا ازر على النداء المفرد وهي قراءة ابي ويعقوب وغيرهما وهو يقوي قول من يقول ان ازر اسم اب ابراهيم اتتخذ اصناما الهة مفعولان وفيه معنى الانكار قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض اي ملك وزيدت الواو والتاء للمبالغة فى الصفة ومثله الرغبوت والرهبوت والجبروت وقال ابن السماك العدوي ملكوت باسكان اللام ولا يجوز عند سيبويه حذف الفتحة لخفتها ولعلها لغة ونري بمعنى اريناه فهو بمعنى المضي فقيل اراد به ما فى السموات من عبادة الملائكة والعجايب وما فى الارض من عصيان بني ادم فكان يدعو على من يراه يعصي فيهلكه الله فاوحى الله اليه يا ابراهيم امسك عن عبادي اما علمت ان من اسماء الصبور روي معناه علي عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كشف الله له عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين روي ابن جريج عن القاسم عن ابراهيم النخعي قال فرجت له السموات السبع فنظر اليهن حتى انتهى الى العرش وفرجت له الارضون فنظر اليهن وراى مكانه فى الجنة فذلك قوله واتيناه اجره فى الدنيا عن السدي عن الضحاك اراه من ملكوت السموات ما قصه من الكواكب ومن ملكوت الارضين البحار والجبال والاشجار ونحو ذلك مما استدل بها وقال بنحوه ابن عباس وقال جعل حين ولد فى سرب وجعل رزقه فى اطراف اصابعه وكان يمصها وكان نمرود اللعين راى رؤيا فعبرت له انه يذهب ملكه على يدي مولود يولد فامر بعزل الرجال عن النساء وقيل امر بقتل كل مولود ذكر وكان ازر من المقربين عند نمرود فارسله يوما فى بعض حوايجه فواقع امراته فحبلت بابراهيم وقيل بل واقعها فى بيت الاصنام فحملت وخرت الاصنام على وجوهها

حينئذ فحملها الى بعض الشعاب فولدت ابراهيم وحفر لابراهيم سربا فى الارض ووضع على بابه صخرة
لئلا يفترسه سبع وكانت امه تختلف اليه فترضعه وكانت تجده يمص اصابعه من احدها
عسل ومن الاخر لبن وشب فكان على سنة مثل ابن ثلاث سنين فلما اخرجه من السرب توهم
الناس انه ولد منذ سنين فقال لامه من ربي فقالت انا فقال ومن ربك قالت ابوك قال ومن
ربه قالت نمرود فقال ومن ربه فلطمته وعلمت انه الذى يذهب ملكهم على يده والقصص
فى هذا تام فى قصص الانبياء للكسائي وهو كتاب حسن ظريف نظيف مما يفترى وقال بعضهم
كان مولده بحران ولكن ابوه نقله الى ارض بابل وقال عامة السلف من اهل العلم ولد ابراهيم
فى زمن النمرود بن كنعان بن سنحاريب بن كوش بن سام بن نوح وقد مضى ذكره فى البقرة و
كان بين الطوفان وبين مولد ابراهيم الف ومائتا سنة وثلاث وستون سنة وذلك
بعد خلق ادم بثلاثة الاف سنة وثلاثمائة سنة وثلاثين سنة قوله تعالى وليكون من
الموقنين اي وليكون من الموقنين اريناه ذلك اي الملكوت قوله تعالى فلما جن عليه الليل
اي ستره بظلمته ومنه الجنة والجنة والجنين والمجن والجن كله بمعنى الستر وجنان الليل
ادلهمامه وستره قال الشاعر ولولا جنان الليل ادرك ركضنا بذي الرمث والارطى عياض
بن ناشب ويقال جنون الليل ايضا ويقال جن الليل واجنه لغتان راى كوكبا هذه قصة
اخرى غير قصة عرض الملكوت عليه فقيل راى ذلك من شق الصخرة الموضوعة على راس
السرب وقيل لما اخرجه ابوه من السرب وكان وقت غيبوبة الشمس فراى الابل والخيل والغنم فقال
لا بد لها من رب فراى المشتري والزهرة والقمر والشمس وكان هذا فى اخر الشهر قال محمد بن اسحق
كان ابن خمس عشرة سنة وقيل ابن سبع سنين وقيل لما حاج نمرود كان ابن سبع عشرة سنة
قوله تعالى قال هذا ربي اختلف فى معناه على اقوال فقيل كان هذا منه فى مهلة النظر وحال
الطفولية وقيل قيام الحجة وفى تلك الحال لا يكون كفر ولا ايمان استدل قائلو هذه المقالة بما
روي عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فعبده
حتى غاب عنه وكذلك الشمس والقمر فلما تم نظره قال اني بريء مما تشركون واستدل بالافول
لانه اظهر الايات على الحدوث وقال قوم هذا لا يصح وقالوا غير جائز ان يكون لله تعالى رسول
ياتي عليه وقت من الاوقات الا وهو لله تعالى موحد وبه عارف ومن كل معبود سواه بريء
قالوا وكيف يصح ان يتوهم هذا على من عصمه الله واتاه رشده من قبل واراه ملكوته ليكون من
الموقنين ولا يجوز ان يوصف بالخلو عن المعرفة بل عرف الرب اول النظر قال الزجاج هذا
الجواب عندي خطأ وغلط ممن قاله وقد اخبر الله تعالى عن ابراهيم انه قال واجنبني وبني
ان نعبد الاصنام وقال عز وجل بقلب سليم اي لم يشرك قط قال والجواب عندي انه قال
هذا ربي على قولكم لانهم كانوا يعبدون الاصنام والشمس والقمر ونظير هذا قوله تعالى اين
شركائي وهو عز وجل واحد لا شريك له والمعنى اين شركائي على قولكم وقيل لما خرج ابراهيم من
السرب رأى ضوء الكواكب وهو طالب لربه فظن انه ضوءه فقال هذا ربي اي بانه يتراءى
لي نوره فلما افل علم انه ليس بربه فلما راى القمر بازغا ونظر الى ضوئه قال هذا ربي فلما افل
قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما راى الشمس بازغة قال مثل ذلك وليس
هذا شركا انما نسب ذلك الضوء الى ربه فلما راه زائلا دله العلم انه غير مستحق لذلك فنفاه
بقلبه وعلم انه هذا مربوب وليس برب وقيل انما قال هذا ربي لتقرير الحجة على قومه فاظهر

موافقتهم فلما افل النجم قرر الحجة وقال ما تغير لا يجوز ان يكون ربا وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها
ويحكمون بها وقال النحاس من احسن ما قيل فى هذا ما صح عن ابن عباس انه قال فى قول الله عز وجل
نور على نور كذا قلب المؤمن يعرف الله ويستدل عليه بقلبه فاذا عرفه ازداد نورا على نور وكذا
ابراهيم عليه السلام عرف الله بقلبه واستدل عليه بدلائله نعلم ان له ربا وخالقا فلما عرفه الله
عز وجل بنفسه ازداد معرفة فقال اتحاجوني فى الله وقد هدان وقيل هو معنى الاستفهام والتوبيخ منكرا
لفعلهم والمعنى اهذا ربي او مثل هذا يكون ربا فحذف الهمزة وفى التنزيل افان مت فهم الخالدون
اي افهم وقال الهذلي رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم واخر لعمرك
لا ادري وان كنت داريا بسبع رمين الجمر ام بثمان وقيل المعنى هذا ربي على زعمكم كما قال اين
شركائي الذين كنتم تزعمون وقال ذق انك انت العزيز الكريم اي عند نفسك وقيل المعنى اي وانتم
تقولون هذا ربي فاضمر القول واضماره فى القران كثير وقيل المعنى هذا ربي اي هذا دليل على ربي
قوله تعالى فلما راى القمر بازغا اي طالعا يقال بزغ القمر اذا ابتدا فى الطلوع والبزغ الشق كانه يشق
بنوره الظلمة ومنه بزغ البيطار الدابة اذا اسال دمه لئن لم يهدني ربي اي لئن لم يثبتني على
الهداية وقد كان مهتديا فيكون هذا فى مهلة النظر او سال التثبيت لامكان الجواز العقلي كما قال
شعيب وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله وفى التنزيل اهدنا الصراط المستقيم اي ثبتنا
على الهداية وقد تقدم قوله تعالى فلما راى الشمس بازغة نصب على الحال لان هذا من رؤية العين
بزغ يبزغ بزوغا اذا طلع وافل يافل افولا اذا غاب وقال هذا والشمس مؤنثة لقوله فلما افلت فقيل
ان تانيث الشمس لتفخيمها وعظمها فهو كقولهم رجل نسابة وعلامة وانما قال هذا ربي على معنى هذا الطالع
ربي قاله الكسائي والاخفش وقال غيرهما اي هذا الضوء قال ابو الحسن علي بن سليمان اي هذا الشخص
كما قال الاعشى قامت تبكيه على قبره من لي بعدك يا عامر تركتني فى الدار ذا غربة قد ذل من ليس له ناصر
قوله تعالى اني وجهت وجهي اي قصدت بعبادتي وتوحيدي لله عز وجل وحده وذكر الوجه لانه
اظهر ما يعرف به صاحبه حنيفا مائلا الى الحق وما انا من المشركين اسم ما وخبرها واذا وقفت قلت انا
زدت الالف لبيان الحركة فى الوقف ومن العرب من يثبت الالف فى الوصل كما قال الشاعر
انا سيف العشيرة فاعرفوني وهي لغة بعض بني قيس وربيعة عن الفراء ومن العرب من يقول
فى الوصل ان فعلت مثل عات فعلت حكاه الكسائي عن بعض قضاعة قوله تعالى وحاجه
قومه قال اتحاجوني فى الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع
ربي كل شيء علما افلا تتذكرون وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم
ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع
درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا
هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك
نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع
ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم
وهديناهم الى صراط مستقيم قوله تعالى وحاجه قومه دليل على الحجاج والجدال حاجوه فى توحيد
الله قال اتحاجوني فى الله قرا نافع بتخفيف النون وشدد النون الباقون وفيه عن ابن عامر من
رواية هشام عنه خلاف فمن شدد قال الاصل فيه نونان الاولى علامة الرفع والثانية

واصلة بين الفعل ثانياً فلما اجتمع مثلان فى فعل وذلك ثقيل ادغم النون فى الاخرى فوقع التشديد
ولابد من مدّ الواو لئلا يلتقى الساكنان الواو واول المشدد فصارت المدة فاصلة بين الساكنين
ومن خفف حذف النون الثانية استخفافا لاجتماع المثلين ولم يحذف الاولى لانها علامة الرفع
فلو حذفت لاشتبه المرفوع بالمجزوم والمنصوب وحكى عن ابى عمرو بن العلاء ان هذه القراءة
لحن واجاز سيبويه ذلك وقال استثقلوا التضعيف وانشد تراه كالثغام يعل مسكا يسوء
الفاليات اذا فلينا قوله تعالى ولا اخاف ما تشركون به اي لانه لا ينفع ولا يضر وكانوا خوفوه بكثرة
الهمم الا ان يجيبه ويقدره فيخاف ضرره حينئذ وهو معنى قوله الا ان يشاء ربى شيئا اي الحين
فيئ من المكروه بذنب عملته فتتم مشيئته وهذا استثناء ليس من الاول والهاء فى به يجوز ان
تكون لله عز وجل ويجوز ان تكون للمعبود ويقال الا ان يشاء ربى يعنى ان الله تعالى لا يشاء ان
اخافهم ثم قال وسع ربى كل شيء علما اي وسع علمه كل شيء وقد تقدم قوله تعالى وكيف اخاف ما اشركتم
معنى كيف للانكار انكر عليهم تخويفهم اياه بالاصنام وهم لا يخافون الله عز وجل اي كيف اخاف
امواتا وانتم لا تخافون الله القادر على كل شيء ما لم ينزل به عليكم سلطانا اي حجة وقد تقدم فاي
الفريقين احق بالامن اي من عذاب الله الموحد او المشرك فقال الله قاضيا بينهم الذين امنوا ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم قال هم ابو بكر الصديق وعلي وسلمان وحذيفة رضى الله عنهم وقال ابن عباس
هو من قول ابراهيم كما يسال العالم ويجيب عن نفسه وقيل هو من قول قوم ابراهيم اي اجابوا بما هو
حجة عليهم قاله ابن جريج وفى الصحيحين عن ابن مسعود لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم شق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان
لابنه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وهم مهتدون اي فى الدنيا قوله تعالى وتلك
حجتنا اتيناها ابراهيم اشارة الى جميع احتجاجاته حتى خاصمهم وغلبهم بالحجة وقال هى قوله الذين
امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقيل حجته عليهم انهم لما قالوا له اما تخاف ان تخبلك الهتنا
لسبك اياها قال لهم افلا تخافون انتم منها اذ سويتم بين الصغير والكبير فى العبادة والتعظيم
فيغضب الكبير فيخبلكم نرفع درجات من نشاء اي بالعلم والفهم والامامة والملك وقرا الكوفيون
درجات بالتنوين ومثله فى سورة يوسف اوقعوا الفعل على من لانه المرفوع فى الحقيقة التقدير
ونرفع من نشاء اي درجات ثم حذفت الى وقرء اهل الحرمين وابو عمرو بغير تنوين على الاضافة
والفعل واقع على الدرجات واذا رفعت فقد رفع صاحبها يقوى هذه القراءة قوله رفيع الدرجات
وقوله عليه الصلاة والسلام اللهم ارفع درجته فاضاف الرفع الى الدرجات وهو لا اله الا
هو الرفيع المتعال فى شرفه وفضله فالقراءتان متقاربتان لان من رفعت درجاته فقد رفع
ومن رفع فقد رفعت درجاته فاعلم ان ربك حكيم عليم يضع كل شيء موضعه قوله تعالى ووهبنا
له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى ووهبنا
له اسحق ويعقوب اي جزاء له على الاحتجاج فى الدين وبذل النفس فيه كلا هديناه اي كل واحد
منهم مهتد وكلا نصب بهدينا ونوحا نصب بهدينا الثانى ومن ذريته اي من ذرية ابراهيم
وقيل من ذرية نوح قاله الفراء واختاره الطبرى وغير واحد من المفسرين كالقشيرى وابن
عطية وغيرهما والاول مقالة الزجاج واعترض بانه عد من هذه الذرية يونس ولوطا وما
كانا من ذرية ابراهيم فكان لوط ابن اخيه وقيل ابن اخته وقال ابن عباس هؤلاء الانبياء
جميعا مضافون الى ذرية ابراهيم وان كان فيهم من لم يلحقه ولادة من جهته من قبل اب ولا

ام

ام لان لوطا ابن اخى ابراهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله عن ولد يعقوب انهم قالوا نعبد
الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحاق واسمعيل عم يعقوب وعد عيسى من ذرية ابراهيم وانما
هو ابن البنت فاولاد فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ذرية النبى صلى الله عليه وسلم وبهذا تمسك
من راى ان ولد البنات يدخلون فى اسم الولد وهى الثانية قال ابو حنيفة والشافعى من وقف وقفا
على ولده وولد ولده انه يدخل فيه ولد ولده بناته ما تناسلوا وكذلك اذا اوصى لقرابته يدخل
فيه ولد البنات والقرابة عند ابى حنيفة كل ذى رحم محرم ويسقط عنده ابن العم والعمة وابن الخال
والخالة لانهم ليسوا بمحرمين وقال الشافعى القرابة كل ذى رحم محرم وغيره فلم يسقط عنده ابن العم
ولا غيره وقال مالك لا يدخل فى ذلك ولد البنات وقوله لقرابتى وعقبى كقوله لولدى وولد
ولدى يدخل فى ذلك ولد البنين ومن يرجع الى عصبة الاب وصلبه ولا يدخل فى ذلك ولد
البنات وقد تقدم نحو هذا عن الشافعى فى ال عمران والحجة لهما قوله تعالى يوصيكم الله فى اولادكم
فلم يعقل المسلمون من ظاهر الايمان الا ولد الصلب وولد الابن خاصة وقال تعالى وللرسول ولذى القربى
فاعطى عليه السلام القرابة منهم بنى اعمامه دون بنى اخواله فكذلك ولد البنات لا ينتمون اليه
بالنسب ولا يلتقون معه فى اب قال ابن القصار وحجة من ادخل اولاد البنات فى الاقارب قوله
عليه الصلاة والسلام للحسن بن علي ان ابنى هذا سيد ولا نعلم احدا يمنع ان يقول فى ولد البنات
انهم ولد لابى امهم والمعنى يقتضى ذلك لان الولد مشتق من التولد وهم متولدون من ابى امهم
لا محالة والتولد من جهة الام كالتولد من جهة الاب وقد دل القران على ذلك قال الله تعالى
ومن ذريته داود وسليمان الى قوله من الصالحين فجعل عيسى من ذريته وهو ابن ابنته الثالثة
قد تقدم فى النساء ما لا ينصرف من هذه الاسماء ولم ينصرف داود لانه اسم اعجمى ولما كان على
فاعول لا يحسن فيه الالف واللام لم ينصرف والياس اعجمى قال الضحاك كان الياس من ولد
اسمعيل وذكر القتبى قال كان من سبط يوشع بن نون وقرء الاعرج والحسن وقتادة والياس بوصل
الالف وقرء اهل الحرمين وابو عمرو وعاصم واليسع مخففة اللام وقرء الكوفيون الا عاصما والليسع
وكذا قرء الكسائى ورد قراءة من قرء اليسع قال لانه لا يقال اليفعل مثل اليحيى قال النحاس هذا
الرد لا يلزم والعرب تقول اليعمل واليحمد ولو نكرت الحى لقلت اليحيى ورد ابو حاتم على من قرء
الليسع وقال لا يوجد ليسع قال النحاس وهذا الرد لا يلزم فقد جاء فى كلام العرب حيدر وزينب
والحق انه اسم اعجمى والعجمة لا تؤخذ بالقياس انما تؤدى سماعا والعرب تغيرها كثيرا فلا ينكر
ان ياتى الاسم بلغتين قال مكى من قرء بلامين فاصل الاسم ليسع ثم دخلت الالف واللام للتعريف
ولو كان اصله يسع ما دخلت الالف واللام اذ لا يدخلان على يزيد ويشكر اسمان لرجلين لانهما
معرفتان علمان فاما ليسع نكرة فدخلته الالف واللام للتعريف والقراءة بلام واحدة احب
الى لان اكثر القراء عليه قال المهدوى من قرء اليسع بلام واحدة فالاسم يسع ودخلت عليه
والالف واللام زائدتين كزيادتهما فى نحو الخمسة عشر وفى نحو وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا شديدا
باحياء الخلافة كاهله وقد زادوها فى الفعل المضارع نحو فيستخرج اليربوع من نافقائها
ومن بيته ذى الشيخة اليتقصع يريد الذى يتقصع ولوطا اعجمى انصرف لخفته وسياتى
اشتقاقه فى الاعراف القشيرى وقرء بتخفيف اللام والتشديد والمعنى واحد فى انه اسم لنبى
معروف مثل اسمعيل وابراهيم ولكن خرج عما عليه الاسماء الاعجمية بادخال الالف واللام وتوهم
قوم ان اليسع الياس وليس كذلك لان الله تعالى افرد كل واحد بالذكر وقال وهب اليسع صاحب

الياس وكانوا قبل زكريا ويحيى وعيسى وقيل الياس هو ادريس وهذا غير صحيح لان ادريس جد نوح
والياس من ذريته وقيل الياس هو الخضر وقيل لا بل اليسع هو الخضر قوله تعالى ومن اباءهم
وذرياتهم من للتبعيض اي هدينا بعض ابائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم قال مجاهد
خلصناهم وهو عند اهل اللغة بمعنى اخترناهم مشتق من جبيت الماء في الحوض فالاجتباء ضم الذي
تجتبيه الى خاصتك قال الكسائي جبيت الماء في الحوض جبى مقصور والجابية الحوض قال
كجابية الشيخ العراقي تفهق وقد تقدم معنى الاصطفا والهداية قوله تعالى ذلك هدى الله
يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون اولئك الذين اتيناهم الكتاب
والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اولئك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسالكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين وما قدروا الله
حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا
وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا
اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي
بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم
يحافظون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن
قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم
اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته
تستكبرون قوله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا اي ولو عبدوا غيري لحبطت
اعمالهم ولكني عصمتهم والحبوط البطلان وقد تقدم في البقرة اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم
والنبوة ابتدا وخبر والحكم العلم والفقه فان يكفر بها اي باياتنا هؤلاء اي كفار عصرك يا محمد فقد
وكلنا بها جواب الشرط وكلنا بالايمان بها قوما ليسوا بها بكافرين يريد الانصار من اهل المدينة
والمهاجرين من اهل مكة وقال قتادة يعني النبيين الذين قص الله عز وجل عليهم النحاس وهذا
القول اشبه بالمعنى لانه قال بعد اولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده وقال ابو رجاء هم
الملائكة وقيل هو عام في كل مؤمن من الجن والانس والملائكة والباء في بكافرين زائدة على
جهة التاكيد قوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فيه مسئلتان الاولى قوله
فبهداهم اقتده الاقتداء طلب موافقة الغير في فعله فقيل المعنى اصبر كما صبروا وقيل معنى فبهداهم
اقتده التوحيد والشرايع مختلفة وقد احتج بعض العلماء بهذه الاية على وجوب اتباع
شرايع الانبياء فيما عدم فيه النص كما في صحيح مسلم وغيره ان اخت الربيع ام حارثة جرحت
انسانا فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم القصاص القصاص فقالت ام الربيع يا رسول الله ايقتص
من فلانة والله لا يقتص منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله يا ام الربيع القصاص
كتاب الله فقالت والله لا يقتص منها ابدا قال فما زالوا حتى قبلوا الدية فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان من عباد الله من لو اقسم على الله لابره فاحال رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوله وكتبنا
عليهم فيها ان النفس بالنفس الاية وليس في كتاب الله تعالى نص على القصاص في السن الا في
هذه الاية وهي خبر عن شرع التورية ومع ذلك فحكم بها واحال عليها والى هذا ذهب معظم اصحاب
مالك واصحاب الشافعي وانه يجب العمل بما وجد منها قال ابن بكير وهو الذي تقتضيه اصول
مالك وخالف في ذلك كثير من اصحاب مالك واصحاب الشافعي والمعتزلة لقوله تعالى لكل جعلنا

منكم شرعة ومنهاجا وهذا لا حجة فيه لانه يحتمل التقييد الا فيما قص عليكم من الاخبار عنهم فيما لم يات
في كتابكم وفي صحيح البخاري عن العوام قال سالت مجاهدا عن سجدة ص فقال سالت ابن عباس
عن سجدة ص فقال او تقرا ومن ذريته داود وسليمان الى قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وكان داود عليه السلام ممن امر نبيكم صلى الله عليه وسلم بالاقتداء به الثانية قرا حمزة
والكسائي اقتد قل بغير ها في الوصل وابن عامر اقتدهي قل قال النحاس وهذا لحن لان الهاء لبيان
الحركة في الوقف وليست بهاء اضمار ولا بعدها واو ولا ياء وكذلك ايضا لا يجوز فبهداهم اقتده قل
ومن اجتنب اللحن واتبع السواد قرا فبهداهم اقتده فوقف ولم يصل لانه ان وصل بالهاء لحن وان
حذفها خالف السواد وقرا الجمهور بالهاء في الوصل على نية الوقف على نية الادراج اتباعا لثبوتها
في الخط وقرا ابن عباس وهشام اقتده بكسر الهاء وهو غلط لا يجوز في العربية قوله تعالى قل لا
اسالكم عليه اجرا اي جعلا على القران ان هو اي القران الا ذكرى للعالمين اي موعظة للخلق واضاف
الهداية اليهم فقال فبهداهم اقتده لوقوع الهداية بهم وقال ذلك هدى الله لانه الخالق للهداية
قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره اي فيما وجب له واستحال عليه وجاز قال ابن عباس ما امنوا
انه على كل شيء قدير الحسن ما عظموه حق عظمته وهذا يكون من قولهم لفلان قدر وشرح هذا
انهم لما قالوا ما انزل الله على بشر من شيء فنسبوا الله عز وجل انه لا يقيم الحجة على عباده ولا يامرهم
بما لهم فيه الصلاح فلم يعظموه حق عظمته ولا عرفوه حق معرفته النحاس وهذا قول حسن
لان معنى قولهم قدرت الشيء وقدرته عرفت مقداره ويدل عليه قوله جل وعلا اذ قالوا ما انزل الله
على بشر من شيء اي لم يعرفوه حق معرفته اذ انكروا ان يرسل رسولا والمعنيان متقاربان وقد قيل
وما قدروا نعم الله حق تقديرها وقرا ابو حيوة وما قدروا الله حق قدره بفتح الدال وهي لغة
اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قال ابن عباس وغيره يعني مشركي قريش وقال الحسن وسعيد
بن جبير الذي قاله احد اليهود قال لم ينزل الله كتابا من السماء السدي اسمه فنحاص وعن
سعيد بن جبير ايضا هو مالك بن الصيف جاء يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم انشدك بالذي انزل التورية على موسى اما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين
وكان حبرا سمينا فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شيء فقال له اصحابه الذين
معه ويحك ولا على موسى فقال والله ما انزل الله على بشر من شيء فنزلت الاية ثم قال
نقضا لقولهم وردا عليهم قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى يجعلونه
قراطيس اي في قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا هذا لليهود الذين اخفوا صفة محمد صلى الله
عليه وسلم وغيرها من الاحكام وقال مجاهد قوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى خطابا
للمشركين وقوله يجعلونه قراطيس لليهود وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم للمسلمين وهذا يصح
على قراءة من قرا يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا والوجه على قراءة التاء ان يكون
كله لليهود ويكون معنى وعلمتم ما لم تعلموا اي وعلمتم ما لم تكونوا تعلمونه انتم ولا اباؤكم على
وجه المن عليهم بانزال التورية وجعلت التورية صحفا فلذلك قال قراطيس تبدونها اي
القراطيس وهذا ذم لهم ولذلك كره العلماء كتب القران اجزا قل الله اي قل يا محمد الله
الذي انزل الكتاب على موسى وهذا الكتاب علي وقيل الله علمكم الكتاب ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
اي لاعبين ولو كان جوابا للامر لقال يلعبوا ومعنى الكلام التهديد وقيل هو منسوخ
بالقتال ثم قيل يجعلونه في موضع الصفة لقوله نورا وهدى فيكون في الصلة ويحتمل ان

يكون مستانفا والتقدير ويجعلونه ذا قراطيس وقوله يبدونها ويخفون كثيرا يحتمل ان يكون صفة لقراطيس
لان النكرة توصف بالجمل ويحتمل ان يكون مستانفا حسب ما تقدم قوله تعالى وهذا كتاب يعني
القران انزلناه صفة مبارك بورك فيه والبركة الزيادة ويجوز نصبه في غير القران على الحال
وكذا مصدق الذي بين يديه اي من الكتب المنزلة قبله فانه يوافقها في نفي الشرك واثبات
التوحيد ولتنذر ام القرى يريد مكة وقد تقدم معنى تسميتها بذلك والمراد اهلها فحذف المضاف
اي انزلناه للبركة والانذار ومن حولها يعني جميع الافاق والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به
يريد اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله وهم على صلاتهم يحافظون وايمان من امن بالاخرة
ولم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا بكتابه غير معتد به قوله تعالى ومن اظلم ابتدا وخبر اي لا
احد اظلم ممن افترى اي اختلق على الله كذبا او قال اوحي الي فزعم انه نبي ولم يوح اليه شيء
نزلت في رحمان اليمامة والاسود العنسي وسجاح زوج مسيلمة كلهم تنبا وزعم ان الله قد اوحي
اليه قال قتادة بلغنا ان هذا انزل في مسيلمة وقاله ابن عباس قلت ——— ومن هذا النمط
من اعرض عن الفقه والسنن وما كان عليه السلف من السنن فيقول وقع في خاطري كذا
واخبرني قلبي بكذا فيحكمون بما وقع في قلوبهم ويغلب عليهم من خواطرهم ويزعمون ان ذلك لصفائها
عن الاكدار وخلوها عن الاغيار فتتجلى لهم العلوم الالهية والحقايق الربانية فيقفون على اسرار
الكليات ويعلمون احكام الجزئيات فيستغنون بها عن احكام الشرايع الكليات ويقولون
هذه الاحكام الشرعية العامة انما يحكم بها على الاغبياء والعامة واما الاولياء واهل الخصوص فلا
يحتاجون الى تلك النصوص وقد جاء فيما ينقلون استفت قلبك وان افتاك المفتون ويستدلون
على هذا بالخضر وانه استغنى بما تجلى له من تلك العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم وهذا
القول زندقة وكفر يقتل قايله ولا يستتاب ولا يحتاج معه الى سؤال وجواب فانه يلزم منه
هدم الاحكام واثبات نبيا بعد نبينا عليه الصلاة والسلام وسياتي لهذا المعنى في الكهف
ان شاء الله مزيد بيان قوله تعالى ومن قال ساانزل مثل ما انزل الله في موضع خفض ومن اظلم
ممن قال سانزل والمراد عبد الله بن ابي سرح الذي كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ارتد ولحق بالمشركين وسبب ذلك فيما ذكر المفسرون انه لما نزلت الاية التي في المؤمنين
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فاملاها عليه فلما انتهى الى
قوله ثم انشاناه خلقا اخر عجب عبد الله في تفصيل خلق الانسان فقال عبد الله بن ابي سرح
تبارك الله احسن الخالقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت علي فشك عبد الله
حينئذ وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت
كما قال فارتد ولحق بالمشركين فذلك قوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله رواه الكلبي
عن ابن عباس وذكره محمد بن اسحق قال حدثني شرحبيل قال نزلت في عبد الله بن سعد بن
ابي سرح ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ارتد عن الاسلام فلما دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكة امر بقتله وقتل عبد الله بن خطل ومقيس بن صبابة ولو وجدوا تحت استار الكعبة
ففر عبد الله بن ابي سرح الى عثمان رضي الله عنه وكان اخاه من الرضاعة ارضعت امه عثمان
فغيبه عثمان حتى اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما اطمان فاستامنه له فصمت رسول
الله صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال نعم فلما انصرف عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن حوله ما صمت الا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل من الانصار فهلا اومات الي

يارسول الله فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي ان تكون له خائنة الاعين قال ابو عمر واسلم
عبد الله بن سعد بن ابي سرح ايام الفتح فحسن اسلامه ولم يظهر منه شيء ينكر عليه بعد ذلك
وهو احد النجبا العقلا الكرما من قريش وفارس بني عامر بن لوي المعدود فيهم ثم ولاه عثمان
بعد ذلك مصر في سنة خمس وعشرين وفتح على يديه افريقية سنة سبع وعشرين وغزا منها الاساود
من ارض النوبة سنة احدى وثلاثين وهو هادنهم الهدنة الباقية الى اليوم وغزا الصواري من ارض
الروم سنة اربع وثلاثين فلما رجع من وفاداته منعه ابن ابي حذيفة من دخول الفسطاط فمضى
الى عسقلان فاقام بها حتى قتل عثمان رضي الله عنه وقيل بل اقام بالرملة حتى مات فارا من الفتنة
ودعا ربه فقال اللهم اجعل خاتمة عملي صلاة الصبح فتوضا ثم صلى فقرا في الركعة الاولى بام
القران والعاديات وفي الثانية بام القران وسورة ثم سلم عن يمينه وذهب يسلم عن يساره فقبض
الله روحه ذكر ذلك كله يزيد بن حبيب وغيره ولم يبايع لعلي ولا لمعاوية رضي الله عنهما وكانت
وفاته قبل اجتماع الناس على معاوية وقيل انه توفي بافريقية والصحيح انه توفي بعسقلان سنة
ست او سبع وثلاثين وروى حفص بن عمر عن الحكم بن ابان عن عكرمة ان هذه الاية نزلت في
النضر بن الحارث لانه عارض القران فقال والطاحنات طحنا فالعاجنات عجنا فالخابزات خبزا
فاللاقمات لقما قوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت اي شدايده وسكراته والغمرة
الشدة واصلها الشيء الذي يغمر الاشياء فيغطيها ومنه غمره الماء ثم وضعت في معنى الشدايد والمكاره
ومنه غمرة الحرب قال الجوهري والغمرة الشدة والجمع غمر مثل نوبة ونوب قال القطامي يصف سفينة
نوح عليه السلام وحان لتلك الغمر انحسار وغمرات شديدة والملائكة باسطوا ايديهم ابتدا
وخبر والاصل باسطون قيل بالعذاب ومطارق الحديد عن الحسن والضحاك وقيل لقبض ارواحهم
وفي التنزيل ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم فجمعت هذه الاية
القولين يقال بسط اليه يده بالمكروه اخرجوا انفسكم اي خلصوها من العذاب ان امكنكم وهو
توبيخ وقيل اخرجوها كرها لان نفس المؤمن تنشط للخروج للقاء ربه وروح الكافر تنتزع انتزاعا
شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطا عليك الى عذاب الله وهوانه
كذا جاء في حديث ابي هريرة وغيره وقد اتينا عليه في كتاب التذكرة والحمد لله وقيل هو بمنزلة
القايل لمن يعذبه لاذيقنك العذاب ولاخرجن نفسك وهذا لانهم لا يخرجون انفسهم بل
يقبضها ملك الموت واعوانه وقيل يقال هذا للكفار وهم في النار والجواب لعظم محذوف
الامر اي ولو رايت الظالمين في هذه الحالة لرايت عذابا عظيما والهون والهوان سواء وتستكبرون
اي تتعظمون وتانفون عن قبول اياته قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة
وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد
تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج
الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا
ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر
قد فصلنا الايات لقوم يعلمون وهو الذي انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد
فصلنا الايات لقوم يفقهون قوله ولقد جئتمونا فرادى هذا عبارة عن الحشر وفرادى في موضع
نصب على الحال ولم ينصرف لان فيه الف تانيث وقرا ابو حيوة فرادا بالتنوين وهي لغة تميم
ولا يقولون في موضع الرفع فراد وحكى احمد بن يحيى فراد بلا تنوين قال مثل ثلاث ورباع وفرادى

جمع فردان كسكارى جمع سكران وكسالى جمع كسلان وقيل واحده فرد بسكون الراء وفرد بكسرها وفرد
بفتحها وفريد والمعنى جئتمونا واحدا واحدا كل واحد منكم منفردا بلا اهل ولا مال ولا ولد ولا ناصر
ممن كان يصاحبكم في الغي ولم ينفعكم ما عبدتم من دون الله وقرء الاعرج فردى مثل سكرى وكسلى بغير
الف كما خلقناكم اول مرة اي منفردين كما خلقتم وقيل عراة كما خرجتم من بطون امهاتكم حفاة غرلا
بهما ليس معهم وقال العلماء يحشر العبد غدا وله من الاعضا ما كان له في يوم ولد فمن قطع منه
عضو يرد في يوم القيمة عليه وهذا معنى قوله غرلا اي غير مختونين اي يرد عليه ما قطع منه عند
الختان قوله تعالى وتركتم ما خولناكم اي اعطيناكم وملكناكم والخول ما اعطاه الله للانسان من
العبيد والغنم وداء ظهوركم اي خلفكم وما نرى معكم شفعاءكم الذين عبدتم وجعلتموهم شركا يريد
الاصنام اي شركائي وكان المشركون يقولون الاصنام شركاء الله وشفعاؤنا عنده لقد تقطع بينكم
قرا نافع والكسائي وحفص بالنصب على الظرف على معنى لقد تقطع وصلكم بينكم ودل على حذف الوصل
قوله وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم فدل هذا على التقاطع والتهاجر بينهم وبين شركائهم
اذ تبرؤا منهم ولم يكونوا معهم وتقاطعهم لهم هو تركهم وصلهم فحسن وصلهم صل بعد تقطع
لدلالة الكلام عليه وفي حرف ابن مسعود ما يدل على النصب فيه لقد تقطع ما بينكم وقيل المعنى
لقد تقطع الامر بينكم والمعنى متقارب وقرء الباقون بينكم بالرفع على انه اسم غير ظرف فاسند
الفعل فرفع ويقوى جعل بين اسما من جهة دخول حرف الجر عليه في قوله تعالى ومن بيننا وبينك
حجاب وهذا فراق بيني وبينك ويجوز ان تكون قراءة النصب على معنى قراءة الرفع وانما
نصب لكثرة استعماله ظرفا منصوبا وهو في موضع رفع وهو مذهب الاخفش فالقراءتان على
هذا بمعنى واحد فاقرا بايهما شئت وضل عنكم ما كنتم تزعمون اي تكذبون في الدنيا وروي ان
الاية نزلت في النضر بن الحارث وروي ان عايشة رضي الله عنها قرات قول الله تعالى
ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة فقالت يا رسول الله واسوتاه الرجال والنساء
يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سوءة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم
يومئذ شان يغنيه لا ينظر الرجال ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض وهذا حديث
ثابت صحيح لم خرجه مسلم بمعناه قوله تعالى ان الله فالق الحب والنوى عد من عجايب صنعه
ما يعجز عن ادنى شيء منه الهتهم والفلق الشق اي يشق النواة الميتة فيخرج منها ورقا
اخضر وكذلك الحبة ويخرج من الورق الاخضر نواة ميتة وحبة وهذا معنى يخرج الحي
من الميت ومخرج الميت من الحي عن الحسن وقتادة ابن عباس والضحاك معنى فالق الحب
مجاهد عنى بالفالق الشق الذي في الحب والنوى جمع نواة ويجري في كلها له عجم كالمشمش
والخوخ يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي يخرج البشر الحي من النطفة الميتة والنطفة
الميتة من البشر الحي عن ابن عباس وقد تقدم قول قتادة والحسن وقد مضى ذلك في ال
عمران وفي صحيح مسلم عن علي والذي فلق الحبة وبرا النسمة انه لعهد النبي الامي صلى الله عليه
وسلم الي ان لا يحبني الا مومن ولا يبغضني الا منافق ذلكم الله فانى تؤفكون فمن اين تصرفون
عن الحق مع ما ترون من قدرة الله عز وجل قوله تعالى فالق الاصباح نعت لاسم الله تعالى
اي ذلكم فالق الاصباح وقيل المعنى ان الله فالق الاصباح والصبح والصباح اول النهار وكذلك
الاصباح اي فالق الصبح كل يوم يريد الفجر والاصباح مصدر اصبح والمعنى شاق الضيا عن الظلام
وكاشفه وقال الضحاك فالق الاصباح خالق النهار وهو معرفة لا يجوز فيه التنوين عند احد

من النحويين وقرء الحسن وعيسى بن عمر فالق الاَصباح بفتح الهمزة وهو جمع صبح وروي الاعمش عن
ابراهيم النخعي انه قرا فلق الاصباح على فعل والهمزة مكسورة والحاء منصوبة وقرء الحسن وعيسى بن
عمر وحمزة والكسائي وجعل الليل سكنا على الفعل ونصب الليل حملا على معنى فالق في الموضعين لان معنى
فلق لانه امر قد كان فحمل على المعنى وايضا فان بعده افعالا ماضية وهو قوله جعل لكم النجوم انزل
من السماء ماء فحمل اول الكلام على اخره يقوى ذلك اجماعهم على نصب الشمس والقمر على اضمار فعل ولم يحملوه
على فاعل فيخفضوه قاله مكي قال النحاس وقد قرء يزيد ابن قطيب السكوني وجاعل الليل سكنا
والشمس والقمر حسبانا بالخفض عطفا على اللفظ قلت فيزيد مكي والمهدوي وغيرهما اجماع القرا
السبع والله اعلم وقرء يعقوب في رواية رويس عنه وجاعل الليل ساكنا واهل المدينة وجاعل
الليل سكنا اي محلا للسكون وفي الموطا عن يحيى بن سعيد انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعو فيقول اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين واغنني
من الفقر ومتعني بسمعي وبصري وقوتي في سبيلك وفي كتاب النسائي والترمذي وغيرهما واجعله
الوارث مني وذلك يفنى مع البدن قيل له في الكلام تجوز والمعنى اللهم لا تعدمه قبلي وقد قيل ان
المراد بالسمع والبصر ابو بكر وعمر لقوله عليه الصلاة والسلام فيهما هما السمع والبصر وهذا تاويل
بعيد انما المراد بهما الجارحتان ومعنى حسبانا اي بحساب يتعلق بمصالح العباد وقال ابن عباس
في قوله عز وجل الشمس والقمر بحسبان اي بحساب الاخفش حسبان جمع حساب مثل شهاب وشهبا
وقال يعقوب حسبان مصدر حسبت الشيء احسبه حسبا وحسبانا وحسبه والحساب الاسم
وقال غيره جعل الله سير الشمس والقمر بحساب لا يزيد ولا ينقص فدلهم الله عز وجل بذلك على
قدرته ووحدانيته وقيل حسبانا اي ضياء والحسبان النار في لغة وقد قال الله تعالى او
يرسل عليها حسبانا من السماء قال ابن عباس نارا والحسبانة الوسادة الصغيرة قوله تعالى
وهو الذي جعل لكم النجوم بين كمال قدرته وفي النجوم منافع جمة ذكر في هذه الاية بعض منافعها
وهي التي ندب الشرع اليها وفي التنزيل وحفظا من كل شيطان مارد وجعلناها رجوما للشياطين
وجعل هنا بمعنى خلق وقد فصلنا الايات اي بيناها مفصلة لتكون ابلغ في الاعتبار لقوم يعلمون
خصهم لانهم المنتفعون بها قوله تعالى وهو الذي انشاكم من نفس واحدة يريد ادم عليه السلام
وقد تقدم اول السورة فمستقر قرا ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وابو عمرو وعيسى والاعرج و
شيبة والنخعي بكسر القاف والباقون بفتحها وهي في موضع رفع بالابتدا الا ان التقدير فمنكم من كسر
القاف فمنها مستقر والفتح كلها قال عبد الله بن مسعود فلها مستقر في الرحم ومستودع في الارض التي
يموت فيها وهذا التفسير يدل على الفتح وقال الحسن فمستقر في القبر واكثر اهل التفسير يقولون المستقر
ما كان في الرحم والمستودع ما كان في الصلب رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وقال النخعي
وعن ابن عباس ايضا مستقر في الارض ومستودع في الاصلاب قال سعيد بن جبير قال لي ابن عباس
هل تزوجت فقلت لا فقال ان الله عز وجل يستخرج من ظهرك ما استودعه فيه وروي عن ابن
عباس ايضا قال المستقر من خلق والمستودع من لم يخلق وعن ابن عباس ايضا ومستودع عند
الله قلت وفي التنزيل ولكم في الارض مستقر ومستودع والاستيداع اشارة الى كونهم في
القبر الى ان يبعثوا للحساب وقد تقدم في البقرة قد فصلنا الايات لقوم يفقهون قال قتادة
فصلنا بينا قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا
منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب

والزيتون والرمان مشتبهًا وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لايات
لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه
وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق
كل شئ وهو بكل شئ عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ
وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم
فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ قوله وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا
به نبات كل شئ الى قوله يؤمنون فيه سبع مسائل الاولى قوله وهو الذى انزل من السماء ماء اي
المطر فاخرجنا به نبات كل شئ اي كل صنف من النبات وقيل رزق كل حيوان فاخرجنا منه
خضرا قال الاخفش اي اخضر كما تقول العرب ارينها نمرة ارنكها مطرة والخضر رطب البقول وقال
ابن عباس يريد القمح والشعير والسلت والذرة والارز وساير الحبوب نخرج منه حبا متراكبا اي يركب
بعضه على بعض كالسنبلة الثانية ومن النخل من طلعها قنوان ابتدا وخبر واجاز الفرا في غير
القران قنوانا دانية على العطف على ما قبله قال سيبويه ومن العرب من يقول قنوان قال الفراء
هي لغة قيس واهل الحجاز يقولون قنيان ثم يجتمعون في الواحد فيقولون قنو وقنو والطلع الكفرى
قبل ان ينشق عن الاغريض والاغريض يسمى طلعا ايضا والطلع ما يرى من عذق النخلة والقنوان
جمع قنو وتثنيته قنوان كصنو وصنوان بكسر وجاء الجمع على لفظ الاثنين قال الجوهري وغيره
الاثنان صنوان والجمع صنوان برفع النون والقنو العذق والجمع القنوان والاقنيا قال
لطايلة الاقنا والاناكل غيره اقنا جمع القلة المهدوي قرا ابن هرمز قنوان بفتح القاف وروي
عنه ضمها فعلى الفتح هو اسم للجمع غير مكسر بمنزلة ركب عند سيبويه وبمنزلة الباقر والحامل لان
فعلان ليس من امثلة الجمع وضم القاف على انه جمع قنو وهو العذق بكسر العين وهي الكباسة وهي
عنقود النخلة والعذق بفتح العين النخلة نفسها وقيل القنوان الجماد دانية قريبة ينالها
القايم والقاعد عن ابن عباس والبرا بن عازب وغيرهما الزجاج منها دانية ومنها بعيدة
فحذف ومثله سرابيل تقيكم الحر وخص الدانية بالذكر لان من الغرض في الاية ذكر القدرة
والامتنان بالنعمة والامتنان فيما يقرب تناوله اكثر الثالثة وجنات من اعناب اي اخرجنا
جنات وقرا محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى والاعمش وهو الصحيح من قراءة عاصم وجنات بالرفع
وانكر هذه القراءة ابو عبيد وابو حاتم حتى قال ابو حاتم هي محال لان الجنات لا تكون من النخل
قال النحاس والقراءة جايزة وليس التاويل على هذا ولكنه رفع بالابتداء والخبر محذوف اي
ولهم جنات كما قرا جماعة من القراء وحور عين واجاز مثل هذا سيبويه والكسائي والفرا ومثله
كثير وعلى هذا ايضا وحورا عينا حكاه سيبويه وانشد جئني بمثل بني بدر لقومهم او مثل
اسرة منظور بن سيار وقيل التقدير وجنات من اعناب اخرجناها كقولك اكرمت عبد الله
واخوه اي واخوه اكرمت ايضا فاما الزيتون والرمان فليس فيه الا النصب للاجماع على ذلك
وقيل وجنات بالرفع عطف على قنوان لفظا وان لم يكن في المعنى من جنسها والزيتون والرمان
مشتبها وغير متشابه اي متشابها في الاوراق اي ورق الزيتون يشبه ورق الرمان في اشتماله
على جميع الغصن وفي حجم الورق وغير متشابه في الذوق عن قتادة وغيره ابن جريج متشابها
في النظر وغير متشابه في الطعم مثل الرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف وخص الرمان والزيتون
بالذكر لقربهما منهم ومكانهما عندهم وهو كقوله افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ردهم الى الابل لانها

اغلب

اغلب ما يعرفونه الرابعة انظروا الى ثمره يعني نظر الاعتبار لا نظر الابصار المجرد عن التفكر والثمر في
اللغة جنى الشجر وقرا حمزة والكسائي ثمره بضم الثاء والميم والباقون بالفتح فيهما جمع ثمرة مثل بقرة
وبقر وشجرة وشجر قال مجاهد الثمر اصناف المال والثمر ثمر النخل فكان المعنى على قول مجاهد انظروا
الى الاموال التى تتحصل منها الثمرة فالثمر بضمتين جمع ثمار وهو المال المثمر وروي عن الاعمش ثمره بضم
الثاء وسكون الميم حذف الضمة لثقلها طلبا للخفة ويجوز ان يكون جمع ثمرة مثل بدنة وبدن
ويجوز ان يكون ثمر جمع جمع فيقول ثمرة وثمار وثمر مثل حمار وحمر ويجوز ان تكون ثمرة كخشبة وخشب
لا جمع الجمع الخامسة قوله تعالى وينعه قرا محمد بن السميقع ويانعه وابن محيصن وابن ابي اسحق
ويُنعه بضم الياء قال الفراء هي لغة يقال ينع الثمر ينيع والثمر يانع واينع يونع والثمر مونع ونضجه
ينع ويُنع وينع واينع اذا نضج وادرك وقال الحجاج في خطبته ادى رؤسا قد اينعت وحان
قطافها قال ابن الانباري الينع جمع يانع كركب وراكب وتجر وتاجر وهو المدرك البالغ وقال
الفرا اينع اكثر من ينع ومعناه احمر ومنه ما روى في حديث الملاعنة ان ولدته احمر مثل الينعة
وهي خرزة حمراء يقال انه العقيق او نوع منه فدلت الاية لمن تدبر ونظر ببصره وقلبه
نظر من تفكر ان المتغيرات لا بد لها من مغير وذلك انه تعالى قال انظروا الى ثمره اذا اثمر
وينعه فتراه اولا طلعا ثم اغريضا اذا انشق عنه الطلع والاغريض يسمى ضحكا ايضا ثم بلحا ثم
سيابا ثم خيلا اذا اخضر واستدار قبل ان يشتد ثم بسرا اذا عظم ثم زهوا اذا احمر يقال زهى
يزهى ثم موكتا اذا بدت فيه نقط من الارطاب فان كان ذلك من قبل الذنب فهي مذنبة وهو
التذنوب فاذا لانت فهي ثعدة فاذا بلغ الارطاب نصفها فهي مجزعة فاذا بلغ ثلثيها فهي حلقانة
فاذا عمها الارطاب فهي منسبة يقال رطب منسبت ثم ييبس فيصير تمرا فنبه تعالى بانتقالها
من حال الى حال وتغيرها ووجودها بعد ان لم تكن على وحدانيته وكمال قدرته وان لها صانعا
قادرا عالما ودل على جواز البعث لايجاد النبات بعد الجفاف قال الجوهري ينع الثمر ييْنَع وينيع
يَنعا ويُنعا وينوعا اي نضج السادسة قال ابن العربي قال مالك الايناع الطيب بغير فساد
ولا نقش قال مالك والنقش ان ينقش اهل البصرة التمر حتى يرطب يريد يثقب فيه بحيث يسرع
دخول الهوى اليه فيرطب معجلا فليس ذلك الينع المراد في القران ولا هو الذى ربط رسول الله
صلى الله عليه وسلم البيع عليه وانما هو ما يكون من ذاته بغير محاولة وفي بعض بلاد التين وهي
البلاد الباردة لا ينضج حتى يدخل في فمه عود قد دهن زيتا فاذا طاب حل بيعه لان ذلك ضرورة
الهوا وعادة البلاد ولو لا ذلك ما طاب في وقت الطيب قلت وهذا البيع الذى يجوز
بيع الثمر به يطيب اكلها وتامن من العاهة هو عند طلوع الثريا بما اجرى الله سبحانه من
العادة واحكمه من العلم والقدرة ذكر المعلى بن اسد عن وهيب عن عسل بن سفيان عن عطا
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلعت النجم صباحا رفعت العاهة عن
اهل البلد والنجم الثريا لا خلاف في ذلك وطلوعها صباحا لاثنتي عشرة ليلة تمضي من شهر
ايار وهو شهر مايو وفي البخاري واخبرني خارجة ابن زيد بن ثابت لم يكن يبيع ثمارا رضه
حتى تطلع الثريا فيتبين الاصفر والاحمر السابعة وقد استدل من اسقط الجوايح في الثمار
بهذه الاثار وما كان مثلها من نهيه عليه الصلاة والسلام عن بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها
وعن بيع الثمار حتى يذهب العاهة قال عثمان بن سراقة فسالت ابن عمر متى ذلك فقال طلوع
الثريا قال الشافعي لم يثبت عندى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بوضع الجوايح ولو ثبت

عندي لو اعاده والاصل المجمع عليه ان كل من ابتاع ما يجوز بيعه وقبضه كانت المصيبة منه قال ولو
كنت قايلا بوضع الجوايح لوضعتها في القليل والكثير وهو قول الثوري والكوفيين وذهب مالك واكثر
اهل المدينة الى وضعها لحديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بوضع الجوايح اخرجه مسلم
وبه كان يقضي عمر بن عبد العزيز وهو قول احمد بن حنبل واكثر اصحاب الحديث واهل الظاهر وضعوها
عن المبتاع في القليل والكثير على عموم الحديث الا ان مالكا واصحابه اعتبروا ان تبلغ الجايحة ثلث
الثمرة فصاعدا وما كان دون الثلث الغوه وجعلوه تبعا اذ لا تخلو ثمرة من ان يتعذر القليل
من طيبها وان يلحقها في اليسير منها فساد وكان اشهب واصبغ لا ينظران الى الثمرة ولكن الى
القيمة فاذا كانت القيمة الثلث فصاعدا وضع عنه والجايحة ما لا يمكن دفعه عند ابن القاسم
وعليه فلا تكون السرقة جايحة وكذا في كتاب محمد وفي الكتاب انه جايحة وروي عن ابن القاسم
وخالفه اصحابه والناس قال مطرف وابن الماجشون ما اصاب الثمرة من السماء من عفن او برد او
عطش او حر او كسر الشجر بما ليس بصنع ادمي فهو جايحة واختلف في العطش ففي رواية ابن القاسم
هو جايحة والصحيح في البقول انها كالثمرة ومن باع ثمرا قبل بدو صلاحه بشرط التبعية فسخ
بيعه ورد للنهي عنه ولانه من اكل المال بالباطل لقوله عليه الصلاة والسلام ارايت ان
منع الله الثمرة فبم ياخذ احدكم مال اخيه بغير حق هذا قول الجمهور وصححه ابو حنيفة واصحابه
وحملوا النهي على الكراهية وذهب الجمهور الى جواز بيعها قبل بدو الصلاح بشرط القطع ومنعه الثوري
وابن ابي ليلى تمسكا بالنهي الوارد عن ذلك وخصصه الجمهور بالقياس الجلي لانه مبيع معلوم
يصح قبضه حالة العقد فصح بيعه كساير المبيعات قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن هذا
ذكر نوع اخر من جهلهم اي فيهم من اعتقد لله شركا من الجن النحاس الجن مفعول اول وشركاء
مفعول ثان مثل وجعلكم ملوكا وجعلت له مالا ممدودا وهو في القران كثير والتقدير وجعلوا لله
الجن شركاء ويجوز ان يكون الجن بدلا من شركاء والمفعول الثاني لله واجاز الكسائي رفع الجن
بمعنى هم الجن وخلقهم كذا قراءة الجمهور اي خلق الجاعلين له شركا وقيل خلق الجن الشركا وقرء
ابن مسعود وهو خلقهم بزيادة هو وقرء يحيى بن يعمر وخلقهم بسكون اللام وقال اي وجعلوا
خلقهم لله شركا لانهم يخلقون الشيء ثم يعبدونه والاية نزلت في مشركي العرب ومعنى اشراكهم
بالجن انهم اطاعوهم كطاعة الله عز وجل روي ذلك عن الحسن وغيره قتادة والسدي هم
الذين قالوا الملائكة بنات الله الكلبي نزلت في الزنادقة قالوا ان الله وابليس اخوان فالله
خالق الناس والدواب وابليس خالق الحيات والسباع والعقارب ويقرب من هذا قول
المجوس فانهم قالوا للعالم صانعان اله قديم والثاني شيطان حادث من فكرة الاله القديم
وزعموا ان حادث الشر حادث وكذلك الخايطية من المعتزلة من اصحاب احمد بن حايط
وزعموا ان للعالم صانعين الاله القديم والاخر محدث خلقه الله عز وجل اولا ثم فوض
اليه تدبير العالم وهو الذي يحاسب الخلق في الاخرة تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون
علوا وخرقوا قراءة نافع بالتشديد على التكثير لان المشركين ادعوا ان لله بنات وهم الملائكة
وسموهم جنا لاجتنانهم والنصارى ادعت المسيح ابن الله واليهود قالت عزير ابن الله فكثر
ذلك من فعلهم فشدد الفعل لمطابقة المعنى تعالى الله عما يقولون وقرء الباقون بالتخفيف
على التقليل وسئل الحسن البصري عن معنى وخرقوا له بالتشديد فقال انما هو بالتخفيف كلمة
عربية كان الرجل اذا كذب في النادي قيل خرقها ورب الكعبة وقال اهل اللغة معنى خرقوا

اختلقوا

اختلقوا وافتعلوا وخرقوا على التكثير قال مجاهد وقتادة وابن زيد وابن جريج خرقوا كذبوا
ويقال ان معنى واحترق واختلق سواء اي احدث قوله تعالى بديع السموات اي مبدعهما فكيف يجوز
ان يكون له ولد وبديع خبر ابتدا مضمر اي هو بديع واجاز الكسائي خفضه على النعت لله عز وجل
ونصبه بمعنى بديعا السموات والارض وذا خطا عند البصريين لانه لما مضى اني يكون له ولد اي
من اين يكون ولد وولد كل شيء شبيهه ولا شبيه له ولم تكن له صاحبة اي زوجة وخلق كل
شيء عموم معناه الخصوص اي خلق العالم ولا يدخل في ذلك كلام ولا غيره من صفات ذاته ومثله
ورحمتي وسعت كل شيء ولم تسع ابليس ولا من مات كافرا ومثله تدمر كل شيء ولم تدمر السموات
والارض قوله تعالى ذلكم الله ربكم لا اله الا هو ذلكم في موضع رفع بالابتدا الله ربكم على البدل
خالق كل شيء خبر الابتدا ويجوز ان يكون ذلكم الخبر خالق خبرا ثانيا او على اضمار مبتدا هو خالق
واختار الكسائي والفراء النصب قوله تعالى لا تدركه الابصار بين انه سبحانه منزه عن
سمات الحدوث ومنها الادراك بمعنى الاحاطة والتحديد كما تدرك ساير المخلوقات والرؤية
ثابتة وقال الزجاج اي لا يبلغ كنه حقيقته كما تقول ادركت كذا وكذا لانه صح عن النبي صلى
الله عليه وسلم الاحاديث يوم القيمة وقال ابن عباس لا تدركه الابصار في الدنيا ويراه المومنون
في الاخرة لاخبار الله بها في قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقاله السدي وهو
احسن ما قيل لدلالة التنزيل والاخبار الواردة برؤية الله في الجنة وسياتي بيانه في يونس
وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو يحيط بها عن ابن عباس ايضا وقيل المعنى لا تدركه
ابصار القلوب اي لا تدركه العقول فتتوهمه اذ ليس كمثله شيء وقيل المعنى لا تدركه الابصار
المخلوقة في الدنيا لكنه يخلق لمن يريد كرامته بصرا وادراكا يراه به كمحمد صلى الله عليه وسلم
اذ رؤيته في الدنيا جايزة عقلا اذ لو لم تكن جايزة لكان سؤال موسى عليه السلام مستحيلا
ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز بل لم يسال الا جايزا غير مستحيل واختلف السلف
في رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ففي صحيح مسلم عن مسروق قال كنت متكئا عند عايشة
رضي الله عنها فقالت يا ابا عايشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله الفرية
قلت ما هن قالت من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية قال وكنت متكئا
فجلست فقلت يا ام المومنين انظريني ولا تعجليني الم يقل الله عز وجل ولقد راه بالافق المبين
ولقد راه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال انما هو جبريل لم اره على صورته التي خلق عليها الا هاتين المرتين رايته منهبطا
من السماء واعظم خلقه ما بين السماء والارض فقالت او لم تسمع ان الله عز وجل يقول لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير او لم تسمع ان الله عز وجل يقول وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا الى قوله علي حكيم قالت ومن زعم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من كتاب الله فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى
يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته قالت ومن
زعم انه يخبر بما يكون في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في
السموات والارض الغيب الا الله وذهب الى ما ذهبت اليه عايشة من عدم الرؤية وانه انما راى
جبريل ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه انما راى جبريل واختلف عنهما وقال بانكار هذا
وامتناع رؤيته جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس انه راه بعينيه

هذا هو المشهور عنه وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقال عبد الله بن الحارث اجتمع ابن
عباس وابي بن كعب فقال ابن عباس انما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا راى ربه مرتين ثم
قال ابن عباس اتعجبون ان الخلة تكون لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم
وعليهم اجمعين قال فكبر كعب حتى جاوبته الجبال ثم قال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما
السلام فكلم موسى وراه محمد صلى الله عليه وسلم وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد راى
محمد ربه وحكاه ابو عمرو الطلمنكي عن عكرمة وحكاه بعض المتكلمين عن ابن مسعود والاول اشهر
وحكى ابن اسحق ان مروان سال ابا هريرة هل راى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل
انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه راه راه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد والى هذا
ذهب الشيخ ابو الحسن الاشعري وجماعة من اصحابه انه راى ببصره وعيني راسه وقال ابن عباس
وعكرمة والربيع والحسن وكان الحسن يحلف بالذي لا اله الا هو لقد راى محمد ربه وقال جماعة
منهم ابو العالية والقرظي والربيع بن انس انما راى ربه بقلبه وفؤاده وحكي عن ابن عباس
وعكرمة وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل راه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار
وعن مالك بن انس انه قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الاخرة
ورزقوا ابصارا باقية راوا الباقي بالباقي قال القاضي عياض وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل
على الاستحالة الا من حيث ضعف القوة فاذا قوى الله تعالى من يشاء من عباده واقدره على حمل
اعباء الرؤية لم يمتنع في حقه وسياتي شيء من هذا في حق موسى عليه السلام في الاعراف ان شاء الله
قوله تعالى وهو يدرك الابصار اي لا يخفى عليه شيء الا يراه ويعلمه وانما خص الابصار لتجنيس
الكلام وقال الزجاج وفي هذا الكلام دليل ان الخلق لا يدركون الابصار اي لا يعرفون كيفية
حقيقة البصر وما الشيء الذي صار به الانسان يبصر من عينيه دون ان يبصر من غيرهما من ساير
اعضائه ثم قال وهو اللطيف الخبير اي الرفيق بعباده يقال لطف فلان بفلان يلطف اي
رفق به واللطف في العمل الرفق فيه واللطف من الله التوفيق والعصمة والطفه بكذا اي بره
به والاسم اللطف بالتحريك يقال جاءتنا من فلان لطفة اي هدية والملاطفة المبارة عن
الجوهري وابن فارس ابو العالية المعنى لطيف باستخراج الاشياء خبير بمكانها وقال الجنيد اللطيف
من نور قلبك بالهدى وربى جسمك بالغذى وجعل لك الولاية في البلوى ويحرسك وانت
في لظى ويدخلك جنة الماوى وقيل غير هذا مما معناه راجع الى معنى الرفق وغيره وسياتي ما
للعلماء من الاقوال في ذلك في الشورى ان شاء الله تعالى قوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم
اي ايات وبراهين يبصر بها ويستدل لجمع بصيرة وهي الدلالة قال الشاعر جاءوا بصائرهم
على اكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد واي يعني بالبصيرة الحجة البينة الظاهرة ووصف
الدلالة بالمجي لتفخيم شانها اذ كانت بمنزلة الغايب المتوقع حضوره للنفس كما يقال جاءت القافلة
وقد انصرف المرض واقبل السعود وادبر النحوس فمن ابصر فلنفسه الابصار هو الادراك بحاسة
البصر فمن استدل فلنفسه نفع ومن عمي لم يستدل فصار بمنزلة الاعمى فعلى نفسه يعود ضرر
عماه وما انا عليكم بحفيظ اي لم او مر بحفظكم على ان تهلكوا انفسكم وقيل اي لا احفظكم من عذاب
الله وقيل بحفيظ برقيب احصي عليكم اعمالكم وانما انا رسول ابلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم
لا يخفى عليه شيء من افعالكم الزجاج نزل هذا قبل فرض القتال ثم امر ان يمنعهم بالسيف من
عبادة الاوثان قوله تعالى وكذلك نصرف الايات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون

اتبع

اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك
عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير
علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون واقسموا بالله
جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت
لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان
يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن
يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون
قوله تعالى وكذلك نصرف الايات الكاف في موضع نصب اي نصرف الايات مثل ما تلونا عليك
اي كما صرفنا الايات في الوعد والوعيد والوعظ والتنبيه في هذه السورة نصرف في غيرها
وليقولوا دارست الواو للعطف على مضمر اي نصرف الايات ليقوم الحجة وليقولوا دارست وقيل
اي وليقولوا درست صرفناها فهي لام الصيرورة قال الزجاج كما تقول كتب فلان هذا الكتاب لحتفه
اي الامر الى ذلك وكذا لما صرفت الايات ال امرهم الى ان قالوا دارست وتعلمت من جبر ويسار وكانا
غلامين نصرانيين بمكة فقال اهل مكة انما يتعلم منهما قال النحاس وفي المعنى قول اخر حسن وهو
ان يكون معنى نصرف الايات ناتي بها اية بعد اية ليقولوا درست علينا فيذكرون الاول بالاخر
فهذا حقيقة والذي قاله ابو اسحاق مجاز وفي درست سبع قراءات قرا ابو عمرو وابن كثير
دارست بالف بين الدال والراء كفاعلت وهي قراءة علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد
وعكرمة واهل مكة قال ابن عباس معنى دارست تاليت وقرا ابن عامر درست بفتح السين واسكان
التاء من غير الف كخرجت وهي قراءة الحسن وقرء الباقون درست كخرجت فعلى الاول دارست
اهل الكتاب ودارسوك اي ذاكرتهم وذاكروك قاله سعيد بن جبير ودل على هذا المعنى
قوله اخبارا عنهم واعانه عليه قوم اخرون اي اعان اليهود النبي صلى الله عليه وسلم على
القران وذاكروه فيه وهذا كله قول المشركين ومثله قولهم اساطير الاولين اكتتبها فهي
تملى عليه بكرة واصيلا واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين وقيل المعنى
دارست معناه كمعنى درست ذكره النحاس واختاره والاول ذكره مكي وزعم الناس انه
مجاز قال فللموت ما تلد الوالدة ومن قرا درست فاحسن ما قيل في قراءته ان المعنى ولئلا
تقولوا انقطعت وامحت وليس ياتي محمد صلى الله عليه وسلم بغيرها وقرء قتادة درست اي
قرئت وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن عبيد عن الحسن انه قرء دارست وكان ابو حاتم
يذهب الى ان هذه القراءة لا تجوز قال لان الايات لا تدارس وقال غيره القراءة بهذا تجوز
وليس المعنى على ما ذهب اليه ابو حاتم ولكن معناه دارست امتك اي دارستك امتك وان
كان لم يتقدم لها ذكر مثل قوله حتى توارت بالحجاب وحكى الاخفش وليقولوا درست وهو
معنى درست الا انه ابلغ وحكى ابو العباس انه قرئ وليقولوا درست باسكان اللام على
الامر وفيه معنى التهديد اي فليقولوا ما شاءوا فان الحق بين كما قال عز وجل فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا فاما من كسر اللام فانها عنده لام كي وهذه القراءة كلها ترجع اشتقاقها
الى شيء واحد الى التليين والتذليل ودرست من درس يدرس دراسة وهي القراءة على
الغير وقيل درسته اي ذللته بكثرة القراءة واصله درس الطعام اي داسه والدياس الدراس

بلغة اهل الشام وقيل اصله من درست الثوب ادرسه درسا اي خلقته وقد درس الثوب درسا
اي اخلق ويرجع هذا الى التذليل ايضا ويقال سمي ادريس لكثرة دراسته كتاب الله ودراسته
الكتب ودراستها وادارستها اي درستها ودرست الكتاب درسا ودراسة ودرست المراة درسا
اي حاضت ويقال ان فرج المراة يكنى ابا ادريس وهو من الدار والدراس ايضا الطريق الخفي
وحكي الاصمعي بعير لم يدرس اي لم يركب ودرست من درس المنزل اذا عفى وقال ابن مسعود
واصحابه وابو طلحة والاعمش وليقولوا درس محمد الايات ولنبينه يعني القول والتصريف او
القران لقوم يعلمون قوله تعالى اتبع ما اوحي اليك اي القران اي لا تشغل قلبك وخاطرك بهم
بل اشتغل بعبادة الله لا اله الا هو واعرض عن المشركين منسوخ قوله تعالى ولو شاء الله ما
اشركوا نص على ان الشرك بمشيئته وهو ابطال لمذهب القدرية كما تقدم وما جعلناك عليهم
حفيظا اي لا يمكنك حفظهم من عذاب الله وما انت عليهم بوكيل اي قيم بامورهم في مصالحهم
لدينهم او دنياهم حتى تلطف لهم في تناول ما يجب عليهم فلست بحفيظ في ذلك ولا وكيل في هذا
انما انت مبلغ وهذا قبل ان يومر بالقتال قوله تعالى ولا تسبوا الذين الاية فيه خمس مسائل
الاولى قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله نهي فيسبوا جواب النهي فنهي سبحانه المومنين
ان يسبوا اوثانهم لانه علم اذا سبوها نفر الكفار وازدادوا كفرا قال ابن عباس قالت كفار قريش
لابي طالب اما ان تنهى محمدا واصحابه عن سب الهتنا والغض منها واما ان نسب الهه ونهجوه فنزلت
الاية الثانية قال العلماء حكمها باق في هذه الامة على كل حال فمتى كان الكافر في منعة
وخيف ان يسب الاسلام او النبي عليه السلام او الله عز وجل فلا يحل لمسلم ان يسب دينهم وصلبانهم
ولا كنايسهم ولا يتعرض الى ما يودي الى ذلك لانه بمنزلة البعث على المعصية وعبر عن الاصنام
وهي لا تعقل بالذين على معتقد الكفرة فيها الثالثة وفي هذه الاية ايضا ضرب من الموادعة
ودليل على وجوب الحكم بسد الذرايع حسب ما تقدم في البقرة وفيها دليل على ان المحق قد يكف عن
حق له اذا ادى الى ضرر يكون في الدين ومن هذا المعنى ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه قال لا تبتوا الحكم بين ذوي القرابات مخافة القطيعة قال ابن العربي ان كان الحق واجبا
فلياخذه بكل حال وان كان جايزا ففيه يكون هذا القول الرابعة قوله تعالى عدوا اي جهلا
واعتداء وروي عن اهل مكة انهم قروا عدوا بضم العين والدال وتشديد الواو وهي قراءة الحسن
وابي رجا وقتادة وهي راجعة الى القراءة الاولى وهما جميعا بمعنى الظلم وقرا اهل مكة عدوا بفتح
العين وضم الدال بمعنى عدو وهو واحد يودي عن جمع كما قال فانهم عدو لي الا رب العالمين
وقال تعالى هم العدو فاحذرهم وهو منصوب على المصدر او على المفعول من اجله الخامسة قوله
تعالى كذلك زينا لكل امة عملهم اي كما زينا لهولاء اعمالهم كذلك زينا لكل امة عملهم قال
ابن عباس زينا الطاعة لاهل الطاعة ولاهل الكفر الكفر وهو كقوله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء وفي هذا رد على القدرية قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليومنن
بها فيه مسيلتان الاولى قوله واقسموا حلفوا وجهد اليمين اشدها وهو بالله فقوله جهد
ايمانهم اي غاية ايمانهم التي بلغها علمهم وانتهت اليها قدرتهم وذلك انهم كانوا يعتقدون ان
الله هو الاله الاعظم وان هذه الالهة انما يعبدونها ظنا منهم انها تقربهم الى الله زلفى كما قال
مخبرا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكانوا يحلفون باباىهم وبالاصنام وبغير ذلك وكانوا
يحلفون بالله تعالى وكانوا يسمون جهد اليمين اذا كانت اليمين بالله وجهد منصوب على المصدر

والعامل فيه اقسموا على مذهب سيبويه لانه في معناه والجهد بفتح الجيم المشقة يقال فعلت ذلك بجهد
والجهد بضمها الطاقة يقال هذا جهدي اي طاقتي ومنهم من يجعلهما واحدا ويحتج بقوله والذين لا يجدون
الا جهدهم وقرئ جهدهم بالفتح عن ابن قتيبة وسبب الاية فيما ذكر المفسرون القرظي والكلبي وغيرهما
ان قريشا قالت يا محمد تخبرنا بان موسى ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وان عيسى كان
يحيي الموتى وان ثمود كانت لهم ناقة فاتنا ببعض هذه الايات حتى نصدقك فقال اي شي تحبون
قالوا اجعل لنا الصفا ذهبا فوالله ان فعلته لنتبعنك اجمعون فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال ان شئت اصبح ذهبا ولئن ارسل الله اية ولم يصدقوا عندها
ليعذبنهم فاتركهم حتى يتوب تايبهم فنزلت هذه الاية وبين الرب ان من سبق العلم الازلي بانه
لا يومن وان اقسم ليومنن الثانية قوله تعالى جهد ايمانهم معناه باغلظ الايمان عندهم وتعرض
هنا مسيلة من الاحكام عظمى وهو قول الرجل الايمان تلزمه ان كان كذا وكذا قال ابن العربي وقد
كانت هذه اليمين في صدر الاسلام معروفة بغير هذه الصورة كما يقولون على اشد ما اخذه
احد على احد فقال مالك تطلق نساوه ثم تكاثرت الصور حتى آلت بين الناس الى صورة هذه امها
وكان شيخنا الفهري الطرطوشي يقول يلزم اطعام ثلاثين مسكينا اذا حنث فيها لان الايمان جمع يمين
وهو لو قال علي يمين وحنث الزمناه كفارة ولو قال علي يمينان الزمناه كفارتين اذا حنث والايمان
جمع يمين فيلزمه فيها ثلاث كفارات قلت وذكر احمد بن محمد ابن مغيث في وثايقه اختلف
شيوخ القيروان فيها فقال ابو محمد ابن ابي زيد يلزمه في زوجته ثلاث تطليقات والمشي الى مكة
وتفريق ثلث ماله وكفارة يمين وعتق رقبة قال ابن مغيث وبه قال ابن رافع راس وابن
بدر من فقهاء طليطلة وقال الشيخ ابو عمران الفاسي وابو الحسن القابسي وابو بكر بن عبد الرحمن
القروي تلزمه طلقة واحدة اذا لم تكن له نية ومن حجتهم في ذلك رواية ابن الحسن في سماعه
من وهب في قوله واشد ما اخذه احد على احد ان عليه في ذلك كفارة يمين قال ابن مغيث
فجعل من سميناه على القايل الايمان تلزمه طلقة واحدة لانه لا يكون اسوء حالا من قوله
اشد ما اخذه احد على احد عليه كفارة يمين قال وبه نقول قال واحتج الاولون بقول ابن القاسم
فمن قال عليه عهد الله وغليظ ميثاقه وكفالته واشد ما اخذه احد على احد على امر ان لا يفعله ثم
فعله فقال ان لم يرد الطلاق والعتاق وعزلهما عن ذلك فلتكن ثلاث كفارات وان لم تكن له
نية حين حلف فليكفر كفارتين في قوله علي عهد الله وغليظ ميثاقه ويعتق رقبة ويطلق نساءه
ويمشي الى مكة ويتصدق بثلث ماله في قوله واشد ما اخذ احد على احد قال ابن العربي اما طريق
الادلة فان الالف واللام في الايمان لا يخلوا ان يراد بها الجنس او العهد فان دخلت للعهد فالمعهود قولك
بالله فيكون ما قاله الفهري وان دخلت للجنس فالطلاق جنس فيدخل فيها ولا يستوفى عدده
فان الذي يكفي ان يدخل من كل جنس معنى واحد فانه لو دخل في الجنس المعنى كله للزمه ان يتصدق
بجميع ماله اذ قد تكون الصدقة بالمال يمينا فالله اعلم قوله تعالى قل انما الايات عند الله اي قل
يا محمد الله القادر على الاتيان بها وانما ياتي بها اذا شاء وما يشعركم اي وما يدريكم ايمانكم فحذف المفعول
ثم استانف فقال انها اذا جاءت لا يومنون بكسر ان وهي قراءة مجاهد وابي عمرو وابن كثير ويشهد
لهذا قراءة ابن مسعود وما يشعركم اذا جاءت لا يومنون وقال مجاهد وابن زيد المخاطب بهذا المشركون
وتم الكلام حكم عليهم بانهم لا يومنون وقد اعلمنا في الاية بعد هذه انهم لا يومنون وهذا التاويل
يشبه قراءة من قرا لا تومنون بالتاء قال الفراء وغيره الخطاب للمومنين لان المومنين قالوا للنبي صلى

الله عليه وسلم لو نزلت الاية عليهم يومنون فقال الله تعالى وما يشعركم اي يعلمكم ويدريكم انها المومنون
انها بالفتح وهي قراءة اهل المدينة والاعمش وحمزة اي لعلها اذا جاءت لا يومنون قال الخليل انها
بمعنى لعلها حكاه عنه سيبويه وفي التنزيل وما يدريك لعله يزكى اي انه يزكى وحكي عن العرب
ايت السوق انك تشتري لنا شيئا اي لعلك وقال ابو النجم قلت لشيبان ادن من لقائه انى تغدى
القوم من شوايه وقال عدي بن زيد اعاذل ما يدريك ان منيتي الى ساعة في اليوم او في ضحى
الغد اي لعل وقال دريد بن الصمة اريني جوادا مات هزلا لانني ارى ما ترين او بخيلا مخلدا
اي لعلني وفي كلام العرب كثيران بمعنى لعل وحكى الكسائي انه كذلك في مصحف ابي بن كعب وما ادراكم
لعلها وقال الكسائي والفراء لا زائدة والمعنى وما يشعركم انها اي الايات اذا جاءت المشركين يومنون
فزيدت لا كما زيدت في قوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون لان المعنى وحرام على قرية
مهلكة رجوعهم وفي قوله ما منعك ان لا تسجد والمعنى ما منعك ان تسجد وضعف النحاس والزجاج
وغيرهما زيادة لا وقالوا هو غلط وخطا لانها انما تزاد فيما لا يشكل وقيل في الكلام حذف والمعنى وما
يشعركم انها اذا جاءت لا يومنون ثم حذف هذا لعلم السامع ذكره النحاس وغيره قوله تعالى ونقلب
افئدتهم وابصارهم يوم القيمة على لهب النار وحر الجمر كما لم يومنوا به في الدنيا ونذرهم في الدنيا
اي نمهلهم ولا نعاقبهم فبعض الاية في الاخرة وبعضها في الدنيا ونظيرها وجوه يومئذ خاشعة فهذه
في الاخرة عاملة ناصبة في الدنيا وقيل ونقلب في الدنيا اي نحول بينهم وبين الايمان لو جاءتهم تلك
الاية كما حلنا بينهم وبينه اول مرة لما دعوتهم واظهرت المعجزة وفي التنزيل واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه والمعنى كان ينبغي ان يومنوا اذا جاءتهم الاية فراوها بابصارهم وعرفوها بقلوبهم
فاذا لم يومنوا كان ذلك بتقليب الله قلوبهم وابصارهم كما لم يومنوا به اول مرة ودخلت الكاف
على محذوف اي فلا يومنون كما لم يومنوا به اول مرة اي اول مرة اتتهم الايات التي عجزوا عن معارضتها
مثل القران وغيره وقيل ونقلب افئدة هولاء كيلا يومنوا كما لم يومن كفار الامم السالفة لما
راوا ما اقترحوا من الايات وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي انها اذا جاءت لا يومنون كما لم يومنوا
به اول مرة ونقلب افئدتهم وابصارهم ونذرهم في طغيانهم يعمهون يتحيرون وقد مضى في البقرة قوله
تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة فراوهم عيانا وكلمهم الموتى باحيائنا اياهم وحشرنا عليهم كل
شي سالوه من الايات قبلا مقابلة عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وهي قراءة نافع وابن
عامر وقيل معاينة لما امنوا وقال محمد بن يزيد يكون قبلا بمعنى ناحية كما تقول لي قبل فلان مال
فقبلا منصوب على الظرف وقرا الباقون بضم القاف والباء ومعناه ضمنا فيكون جمع قبيل بمعنى
كفيل نحو رغيف ورغف كما قال او تاتي بالله والملائكة قبيلا اي يضمنون ذلك عن الفراء الاخفش
هو بمعنى قبيل قبيل اي جماعة جماعة وقاله مجاهد وهو نصب على الحال على القولين وقال محمد بن
يزيد قبلا اي مقابلة ومنه وان كان قميصه قد من قبل ومنه قبل الرجل ودبره لما كان من بين يديه
ومن ورائه ومنه قبل الحيض حكى ابو زيد لقيت فلانا قبلا ومقابلة وقُبُلا وقَبَلا كله بمعنى
المواجهة فيكون الضم كالكسر في المعنى وتستوي القراءتان قاله مكي وقرا الحسن قبلا بحذف الضمة
من الباء لثقلها وعلى قول الفراء يكون فيه نطق ما لا ينطق وفي كفالة ما لا يعقل اية عظيمة لهم
وعلى قول الاخفش يكون فيه اجتماع الاجناس الذي ليس بمعهود والحشر الجمع ما كانوا ليومنوا الا
ان يشاء الله ان في موضع استثنا وليس من الاول اي لكن ان شاء الله ذلك لهم وقيل الاستثنا
لاهل السعادة الذين سبق لهم في علم الله الايمان وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن

اكرهم

اكرهم يجهلون اي يجهلون الحق وقيل يجهلون انه لا يجوز اقتراح الايات بعد ان راوا اية واحدة قوله
تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا يعزي نبيه ويسليه اي كما ابتليناك بهولاء القوم فكذلك جعلنا
لكل نبي قبلك عدوا اي اعداء ثم نعتهم فقال شياطين الانس والجن حكى سيبويه جعل بمعنى وصف عدوا
مفعول اول لكل نبي في موضع المفعول الثاني شياطين الانس والجن بدل من عدو ويجوز ان يكون
شياطين مفعولا اول وعدوا مفعولا ثان كانه قيل شياطين الانس والجن وقرا الاعمش شياطين الجن
والانس بتقديم الجن والمعنى واحد يوحي بعضهم الى بعض عبارة عما يوسوس به شياطين الجن الى شياطين
الانس وسمي وحيا لانه انما يكون خفية وجعل تمويههم زخرفا لتزيينهم اياه ومنه سمي الذهب زخرفا
وكل شي حسن مموه فهو زخرف والمزخرف المزين وزخارف الماء طرائقه غرورا نصب على المصدر لان
معنى يوحي بعضهم الى بعض يغرونهم بذلك غرورا ويجوز في موضع الحال والغرور الباطل قال
النحاس وروي عن ابن عباس باسناد ضعيف انه قال في قوله عز وجل يوحي بعضهم الى بعض قال
مع كل جني شيطان ومع كل انسي شيطان فيلقى احدهما الاخر فيقول اني قد اضللت صاحبي بكذا فاضلل
صاحبك بمثله ويقول الاخر مثل ذلك فهذا وحي بعضهم الى بعض وقاله عكرمة والضحاك والسدي
والكلبي قال النحاس والقول الاول يدل عليه وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم فهذا
يبين معنى ذلك قلت ويدل عليه في صحيح السنة قوله عليه الصلاة والسلام ما منكم من احد الا وقد
وكل به قرينه من الجن قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامرني
الا بخير وروي فاسلم برفع الميم ونصبها فالرفع على معنى فاسلم من شره والنصب على معنى فاسلم هو فقال ما
منكم من احد ولم يقل ولا من الشياطين الا انه يحتمل ان يكون نبه على احد الجنسين بالاخر فيكون من
باب سرابيل تقيكم الحر وفيه بعد والله اعلم وروي عوف بن مالك عن ابي ذر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت يا رسول الله وهل
للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وقال مالك بن دينار ان شياطين الانس اشد
علي من شياطين الجن وذلك اني اذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني
فيجرني الى المعاصي عيانا وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه امراة تنشد ان النساء رياحين
خلقن لكم وكلكم يشتهي شم الرياحين فاجابها عمر ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله
من شر الشياطين قوله تعالى ولو شاء ربك ما فعلوه اي ما فعلوا ايحاء القول بالغرور فذرهم
امر فيه معنى التهديد قال سيبويه ولا يقال وذر ولا ودع استغنوا عنه بترك قلت هذا
انما خرج على الاكثر وفي التنزيل وذر الذين وذرهم وما ودعك وفي السنة لينتهين اقوام عن
ودعهم الجمعات وقوله اذا فعلوا يريد المعاصي فقد تودع منهم قال الزجاج الواو ثقيلة فلما
كان ترك ليس فيه واو بمعنى وهذا معنى قوله وليس بحته قوله تعالى ولتصغى اليه افئدة الذين
لا يومنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل
اليكم الكتاب مفصلا والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من
الممترين قوله ولتصغى اليه افئدة لتصغى تميل يقال صغوت اصغا صغوا وصغوا وصغيت اصغى
وصغيت بالكسر ايضا يقال منه صغي يصغى صغى وصغيا واصغيت اليه اصغاء بمعنى قال الشاعر
ترى السفيه به عن كل محكمة زيغ وفيه الى التشبيه اصغاء ويقال اصغيت الاناء اذا املته
ليجتمع ما فيه واصله الميل الى الشي لغرض من الاغراض ومنه صغت النجوم مالت للغروب وفي
التنزيل فقد صغت قلوبكما ابو زيد يقال صغوه معك وصغوه معك وصغاه معك اي ميله

وفي الحديث فاصغى لها الاناء يعني الهرة واكرموا فلانا في صغايته اي في قرابته الذين يميلون اليه
ويطلبون ما عنده واصغت الناقة اذا امالت راسها الى الرحل كانها تستمع شيئا حين يشد عليها الرحل
قال ذو الرمة مصغي اذا شدها بالكور جانحة حتى اذا ما استوى في رحلها تثبت واللام في ولتصغى
لام كي والعامل فيها يوحي تقديره يوحي بعضهم الى بعض ليغروهم ولتصغى زعم بعضهم انها لام الامر وهو
غلط لانه كان يجب ولتصغ اليه بحذف الالف وانما هي لام كي وكذلك وليرضوه وليقترفوا الا ان
الحسن قرا وليرضوه وليقترفوا باسكان اللام جعلها لام امر فيه معنى التهديد كما يقال افعل ما شئت
ومعنى وليقترفوا اي وليكتسبوا عن ابن عباس والسدي وابن زيد يقال خرج يقترف لاهله اي
يكتسب لهم وقارف فلان هذا الامر اذا واقعه وعمله وقرفتني بما ادعيت اي رميتني بالريبة وقرف
القرحة اذا قشر منها واقترف كذبا قال رؤبة اعيا اقتراف الكذب المقروف يتوى التقي وعنه
الضعيف واصله اقتطاع قطعة من الشيء قوله تعالى افغير الله ابتغي حكما غير نصب بابتغي حكما نصب
على البيان وان شئت على الحال والمعنى افغير الله اطلب لكم حاكما وهو الذي كفاكم مؤنة المسألة في
الايات بما انزله من الكتاب المفصل اي المبين ثم قيل الحكم ابلغ من الحاكم اذ لا يستحق التسمية بحكم
الا من يحكم بالحق لانها صفة تعظيم في مدح والحاكم صفة جارية على الفعل فقد يسمى بها من يحكم بغير الحق
والذين اتيناهم الكتاب يريد اليهود والنصارى وقيل من اسلم منهم سلمان الفارسي وصهيب وعبد
الله بن سلام يعلمون انه اي القران منزل من ربك بالحق اي ان كل اي فيه من الوعد والوعيد
لحق فلا تكونن من الممترين اي من الشاكين في انهم يعلمون انه منزل من الله وقال عطا الذين
اتيناهم الكتاب هم رؤسا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم قوله تعالى
وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وان تطع اكثر من في الارض
يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين وما لكم
الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا
ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين
يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون او من كان ميتا
فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك
زين للكافرين ما كانوا يعملون قوله تعالى وتمت كلمة ربك قراءة اهل الكوفة بالتوحيد
والباقون بالجمع قال ابن عباس مواعيد ربك فلا مغير لها والكلمات ترجع الى العبارات والى
المتعلقات من الوعد والوعيد وغيرهما قتادة الكلمات هي القران لا مبدل له لا يزيد فيه المفترون
ولا ينقصون صدقا وعدلا اي فيما وعد وحكم لا راد لقضائه ولا خلف في وعده وحكى الرماني
عن قتادة لا مبدل لها فيما حكم به اي وانه ان امكنه التغيير والتبديل في الالفاظ غير اهل الكتاب
التوراة والانجيل فانه لا يعتد بذلك ودلت الاية على وجوب اتباع دلالات القران لانه حق
لا يمكن تبديله بما يناقضه لانه حق لا من عند حكيم لا يخفى عليه شيء من الامور قوله تعالى وان تطع
اكثر من في الارض اي الكفار يضلوك عن سبيل الله اي عن الطريق الذي تؤدي الى ثواب الله ان
يتبعون الا الظن ان بمعنى ما وكذلك وان هم الا يخرصون اي يحدسون ويقدرون ومنه الخرص
واصله القطع قال الشاعر ترى قض المران فينا كانه تذرع خرصان بايدي الشواطب

يعني جريدا

يعني جريدا يقطع طويلا ويتخذ منه الحصر وهو جمع الخرص ومنه خرص يخرص النخل اذا حزره ليأخذ الخراج
منه فالخارص يقطع بما لا يجوز القطع به اذ لا تعين معه وسياتي لهذا مزيد بيان في والذاريات
ان شاء الله تعالى ان ربك هو اعلم قال بعض الناس ان اعلم هنا بمعنى يعلم وانشد حاتم الطائي
تحالفت طي من دوننا حلفا والله اعلم ما كنا لهم خذلا وقول الخنسا القوم اعلم ان جفنته تغدو
غداة الريح او تسري وهذا لا حجة فيه لانه لا يطابق وهو اعلم بالمهتدين ولانه يحتمل ان يكون على
اصله من يضل عن سبيله من بمعنى اي فهو في محل رفع والرافع له يضل وقيل في محل نصب باعلم اي ان
ربك اعلم اي الناس يضل عن سبيله وقيل في محل نصب بنزع الخافض اي بمن يضل قاله بعض البصريين
وهو حسن لقوله وهو اعلم بالمهتدين وقوله في اخر النحل ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم
بالمهتدين وقرئ يضل وهذا على حذف المفعول والاول احسن لانه قال وهو اعلم بالمهتدين
وقرئ يضل وهذا على حذف المفعول والاول احسن لانه قال وهو اعلم بالمهتدين ولو كان من
الاضلال لقال وهو اعلم بالهادين قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه نزلت بسبب ناس اتوا النبي
صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله انا ناكل ما نقتل ولا ناكل ما قتل الله فنزلت فكلوا الى قوله
وان اطعتموهم انكم لمشركون خرجه الترمذي وغيره قال عطا هذه الاية امر بذكر الله على الشراب
والذبح وكل مطعوم وقوله ان كنتم باياته مؤمنين اي باحكامه واوامره قوله تعالى وما لكم الا تاكلوا
مما ذكر اسم الله عليه المعنى ما المانع لكم من اكل ما سميتم عليه ربكم وان قتلتموه بايديكم وقد فصل
اي بين لكم الحلال من الحرام وازيل عنكم اللبس والشك فما استفهام يتضمن التقرير وتقدير الكلام
واي شيء لكم في ان لا تاكلوا فان في موضع خفض بتقدير حرف الجر ويصح ان يكون في موضع نصب على
ان لا يقدر حرف الجر ويكون الناصب معنى الفعل الذي في قوله ما لكم تقديره ما يمنعكم ثم استثنى فقال
الا ما اضطررتم اليه يريد من جميع ما حرم كالميتة وغيرها كما تقدم في البقرة وهو استثناء منقطع
وقرا نافع ويعقوب وقد فصل لكم ما حرم عليكم بفتح الفعلين وقرا ابو عمرو وابن عامر وابن كثير بالضم
فيهما الكوفيون فصل بالفتح حرم بالضم وقرا عطية العوفي فصل خفيفة ومعناه ابان وظهر كما
قرئ الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت اي استبانت واختار ابو عبيد قراءة اهل المدينة وقيل فصل
اي بين وهو ما ذكره في سورة المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الاية
قلت هذا فيه نظر فان الانعام مكية والمائدة مدنية فكيف يحيل بالبيان على ما لم ينزل بعد
الا ان يكون فصل بمعنى يفصل والله اعلم قوله تعالى وان كثيرا ليضلون وقرا الكوفيون يضلون من
اضل باهوائهم بغير علم يعني المشركين حيث قالوا ما ذبح الله بسكينه خير مما ذبحتم بسكاكينكم بغير
علم يعلمونه في امر الذبح اذ الحكمة فيه اخراج ما حرمه الله علينا من الدم بخلاف ما مات حتف
انفه ولذلك شرع الذكاة في محل مخصوص ليكون الذبح سببا لجذب كل دم في الحيوان بخلاف
غيره من الاعضاء والله اعلم قوله تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه للعلماء فيه اقوال كثيرة وحاصلها
راجع الى ان الظاهر ما كان عملا بالبدن مما نهى الله عنه وباطنه ما عقد بالقلب من مخالفة امر
الله تعالى فيما امر ونهى وهذه المرتبة لا يبلغها الا من اتقى واحسن كما قال ثم اتقوا واحسنوا وهي
المرتبة الثالثة حسب ما تقدم بيانه في المائدة وقيل هو ما كان عليه الجاهلية من الزنا
الظاهر واتخاذ الحلائل في الباطن وما قدمناه جامع لكل اثم قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه وانه لفسق فيه خمس مسائل الاولى روى ابو داود قال جاءت اليهود الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا ناكل مما قتلنا ولا ناكل مما قتل الله فانزل الله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه الى اخر

الاية وروي النسائي عن ابن عباس في قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال خاصمهم
المشركون فقالوا ما ذبح الله فلا تاكلوه وما ذبحتم انتم اكلتموه فقال الله سبحانه لهم لا تاكلوا
فانكم لم تذكروا اسم الله عليها وتنشا هنا المسئلة مسئلة اصولية وهي الثانية وذلك ان اللفظ
الوارد على سبب يقتصر عليه ام لا قال علماؤنا لا اشكال في صحة دعوى العموم فيما يذكره الشارع
ابتداء من صيغ الفاظ العموم اما ما ذكره جوابا لسؤال ففيه تفصيل على ما هو معروف في اصول الفقه
الا انه اتى بلفظ مستقل دون السؤال ولحق بالاول في صحة القصد الى التعميم فقوله لا تاكلوا
ظاهر في تناول الميتة ويدخل فيه ما ذكر عليه غير اسم الله بعمومه انه لم يذكر عليه اسم الله وبزيادة
ذكر غير الله سبحانه عليه الذي يقتضي تحريمه نصا بقوله وما اهل به لغير الله وهل يدخل فيه ما
ترك المسلم التسمية عمدا عليه من الذبح وعند ارسال الصيد اختلف العلماء في ذلك على اقوال خمسة
وهي الثالثة الاول ان تركها سهوا اكلا جميعا وهو قول اسحق ورواية عن احمد بن حنبل فان تركها
عمدا لم يوكلا وقاله في الكتاب مالك وابن القاسم وهو قول ابي حنيفة واصحابه والثوري والحسن
بن حي وعيسى واصبغ وقاله سعيد بن جبير وعطا واختاره النحاس وقال وهذا احسن لانه لا يسمى
فاسقا اذا كان ناسيا الثاني ان تركها عامدا او ناسيا ياكلها وهو قول الشافعي والحسن وروي
ذلك عن ابن عباس وابي هريرة وعطا وسعيد بن المسيب والحسن وجابر بن زيد وعكرمة
وابي عياض وابي رافع وطاوس وابراهيم النخعي وعبد الرحمن بن ابي ليلى وقتادة وحكى الزهراوي
عن مالك بن انس انه قال توكل الذبيحة التي تركت التسمية عليها عمدا او نسيانا وعن ربيعة
ايضا قال عبد الوهاب التسمية سنة فاذا تركها الذابح ناسيا اكلت الذبيحة في قول مالك واصحابه
الثالث ان تركها عامدا او ساهيا حرم اكلها قاله محمد بن سيرين وعبد الله بن عياش بن ابي
ربيعة وعبد الله بن عمر ونافع وعبد الله بن زيد الخطمي والشعبي وبه قال ابو ثور وداود بن
علي واحمد في رواية الرابع ان تركها عامدا كره اكلها قاله القاضي ابو الحسن والشيخ ابو بكر من
علمائنا الخامس قال اشهب توكل ذبيحة تارك التسمية عمدا الا ان يكون مستخفا وقال نحوه الطبري
ادلة قال الله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه فبين الحالين واوضح الحكمين فقوله لا تاكلوا
نهي على التحريم لا يجوز حمله على الكراهة لتناوله في بعض مقتضياته الحرام المحض ولا يجوز ان
يتبعض اي يراد به التحريم والكراهة معا وهذا من نفيس الاصول واما الناسي فلا خطاب يتوجه
اليه اذ يستحيل خطابه فالشرط ليس بواجب عليه واما التارك للتسمية عمدا فلا يخلو من ثلاثة
احوال اما ان يتركها اذا اضجع الذبيحة ويقول قلبي مملوء من اسماء الله تعالى وتوحيده فلا افتقر
الى ذكر بلساني فذلك يجزيه لانه ذكر الله جل جلاله او يقول هذا ليس بموضع تسمية صريحة
اذ ليست بقربة فهذا ايضا يجزيه او يقول لا اسمي واي قدر للتسمية فهذا متهاون فاسق لا
توكل ذبيحته قال ابن العربي واعجب لراس المحققين امام الحرمين حيث قال ذكر الله تعالى
انما شرع في القرب والذبح ليس بقربة وهذا يعارض القران والسنة قال صلى الله عليه وسلم في
الصحيح ما انهر الدم وذكر اسم الله فكل فان قيل المراد بذكر الله القلب لان الذكر يضاد النسيان
ومحل النسيان القلب فمحل الذكر القلب وقد روى البرا ابن عازب اسم الله على قلب كل مومن سمي
او لم يسم قلنا الذكر باللسان وبالقلب والذي كانت العرب تفعله تسمية الاصنام والنصب باللسان
فنسخ الله ذلك بذكره في الالسنة واشتهر ذلك في الشريعة حتى قيل لمالك هل يسمي الله اذا توضا
فقال ايريد ان يذبح واما الحديث الذي تعلقوا به من قوله اسم الله على كل قلب مومن فحديث ضعيف

وقد

وقد استدل جماعة من اهل العلم على ان التسمية على الذبيحة ليست بواجبة بقوله صلى الله عليه وسلم
لاناس سالوه قالوا يا رسول الله ان قوما ياتوننا باللحم لا ندري اذكروا اسم الله عليه ام لا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سموا عليه وكلوا اخرجه الدارقطني عن عايشة ومالك مرسلا عن هشام بن
عروة عن ابيه لم يختلف عليه في ارساله وتاول بان قال في اخره وذلك في اول الاسلام يريد قبل
ان ينزل عليه ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ابو عمر وهذا ضعيف وفي الحديث نفسه ما
يرده وذلك انه امرهم فيه بتسمية الله تعالى على الاكل فدل على ان الاية قد كانت نزلت عليه ومما
يدل على صحة ما قلناه ان هذا الحديث كان بالمدينة ولا يختلف العلماء ان قوله عز وجل ولا تاكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه نزل في سورة الانعام بمكة ومعنى وانه لفسق لمعصية عن ابن عباس والفسق
الخروج وقد تقدم الرابعة قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون فيلقون
في قلوبهم الجدال بالباطل روى ابو داود عن ابن عباس في قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم
يقولون ما ذبح الله فلا تاكلوه وما ذبحتم انتم فكلوه فانزل الله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
قال عكرمة عنى بالشياطين في هذه الاية من مجوس فارس وقال ابن عباس وعبد الله بن كثير بل الشياطين
الجن وكفرة الجن اولياء قريش وروى عبد الله بن الزبير انه قيل له ان المختار يقول يوحى الي فقال
صدق ان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم يريد ما قتل الله لم تاكلوه وما قتلتموه اكلتموه
والمجادلة دفع القول على طريق الحجة بالقوة ماخوذ من الاجدل طاير قوي وقيل هو ماخوذ من
الجدالة وهي الارض فكانه يغلبه بالحجة ويقهره حتى يصير كالمجدول بالارض وقيل هو ماخوذ من
الجدل وهو شدة الفتل فكان كل واحد منهما يفتل حجة صاحبه حتى يقطعها ويكون حقا في نصرة
الحق وباطلا في نصرة الباطل الخامسة قوله تعالى وان اطعتموهم اي في تحليل الميتة انكم لمشركون
فدلت الاية على ان من استحل شيئا مما حرم الله تعالى صار به مشركا وقد حرم الله سبحانه الميتة نصا
فاذا قبل تحليلها من غيره فقد اشرك ابن العربي انما يكون المومن بطاعة المشرك مشركا اذا اطاعه في
الاعتقاد فاما اذا اطاعه في الفعل وعقده سليم مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاص فافهموه
وقد مضى في المائدة قوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه قراءة الجمهور بفتح الواو ودخلت عليها
همزة الاستفهام وروى المسيبي عن نافع بن ابي نعيم اومن كان باسكان الواو وقال النحاس يجوز ان يكون
محمولا على المعنى اي انظروا وتدبروا اغير الله ابتغي حكما اومن كان ميتا فاحييناه قيل معناه كان
ميتا حين كان نطفة فاحييناه بنفخ الروح حكاه ابن بحر وقال ابن عباس اومن كان كافرا فهديناه
نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وابي جهل لعنه الله وقال زيد بن اسلم والسدي فاحييناه
في العلم وانشد بعض اهل العلم ما يدل على صحة هذا التاويل لبعض شعراء البصرة ، وفي الجهل
قبل الموت موت لاهله ، فاجسامهم قبل القبور قبور ، وان امرءا لم يحي بالعلم ميت ، فليس له حتى النشور
نشور ، والنور عبارة عن الهدى والايمان الحسن القران وقيل الحكمة وقيل هو النور المذكور في قوله
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقوله انظرونا نقتبس من نوركم يمشي به اي بالنور في الناس كمن
مثله في الظلمات اي كمن هو فمثل زائدة تقول انا اكرم مثلك اي انا اكرم منك ومثله فجزاء مثل ما
قتل من النعم ليس كمثله شيء وقيل المعنى كمن مثله من هو في الظلمات والمثل والمثل واحد كذلك
زين للكافرين ما كانوا يعملون اي زين لهم الشياطين عبادة الاصنام واوهموهم انهم افضل من
المسلمين قوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم
وما يشعرون واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث

يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد
في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا
الايات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ويوم يحشرهم
جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا
ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك
حكيم عليم قوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها المعنى وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون
كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها مفعول اول يجعل اكابر الثاني على التقديم والتاخير وجعل
بمعنى صير والاكابر جمع الاكبر قال مجاهد يريد العلماء وقيل الرؤسا والعظماء وخصهم بالذكر لانهم اقدر
على العناد والمكر والحيلة في مخالفة الاستقامة واصله الفتل فالماكر يفتل عن الاستقامة اي
يصرف عنها قال مجاهد كانوا جلسوا على عقبة اربعة ينفرون الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
كما فعل قبلهم من الامم السالفة بانبيائهم وما يمكرون الا بانفسهم اي وبال المكر راجع اليهم وهو
من الله عز وجل الجزاء على مكر الماكرين بالعذاب الاليم وما يشعرون في الحال لفرط جهلهم ان وبال
مكرهم عايد عليهم قوله تعالى واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نكون انبيا فنؤتى مثل ما اوتي موسى
وعيسى من الايات ونظيره بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة والكناية في جاءتهم ترجع الى
الاكابر الذين جرى ذكرهم قال الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني
اكبر منك سنا واكثر منك ولدا ومالا وقال ابو جهل والله لا نرضى به ولا نتبعه الا ان يأتينا
وحي كما ياتيه فنزلت الاية وقيل لم يطلبوا النبوة وقالوا لا نصدقك حتى يأتينا جبريل والملائكة
يخبرونا بصدقك والاول اصح لان الله تعالى قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته اي بمن هو مأمون
عليها وموضع لها وحيث ليس ظرف هنا بل هو اسم نصب نصب المفعول به على الاتساع اي الله اعلم
اهل الرسالة وكان الاصل الله اعلم بمواضع الرسالة ثم حذف الحرف ولا يجوز ان يعمل العلم في
هذا الموضع وذلك لا يجوز ان يوصف به الباري تعالى وانما موضعها نصب بفعل مضمر دل عليه
اعلم وهي اسم كما ذكرنا والصغار الضيم والذل والهوان فكذلك الصغر بالضم والمصدر الصغر
بالتحريك واصله من الصغر دون الكبر فكان الذي يصغر الى المرء نفسه وقيل اصله من الصغر
وهو الرضى بالذل يقال صغر يصغر بفتح الغين في الماضي وضمها في المستقبل وصغر بالكسر يصغر بالفتح
لغتان صغرا وصغارا واسم الفاعل صاغر وصغير والصاغر الراضي بالضيم والمصغوراء الصغار ارض
مصغرة نبتها لم يطل عن ابن السكيت عند الله اي من عند الله فحذف وقيل فيه تقديم وتاخير
اي سيصيب الذين اجرموا صغار من الله وقيل المعنى سيصيب الذين اجرموا صغار ثابت عند الله
قال النحاس وهذا احسن الاقوال لان عند في موضعها فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام اي يوسعه له ويوفقه ويزين عنده ويقال شرح شق واصله التوسعة
وشرح الله صدره وسعه بالبيان لذلك وشرحت الامر بينته واوضحته وكانت قريش تشرح
النساء شرحا وهو كما تقدم من التوسعة والبسط وهو وطي المراة مستلقية على قفاها فالشرح الكشف
تقول شرحت الغامض ومنه تشريح اللحم وكم اكلت كبدا وانفحه ثم ادخرت الية
مشرحه والقطعة منه شريحة وكل سمين من اللحم ممتد فهو شريحة ومن يرد ان يضله يغويه
يجعل صدره ضيقا حرجا وهذا دال على القدرية ونظير هذه الاية من السنة قوله عليه السلام من يرد الله

به خيرا يفقهه في الدين اخرجه الصحيحان ولا يكون ذلك الا بشرح الصدر وتنويره والدين العبادات
كما قال ان الدين عند الله الاسلام ودليل خطابه انه من لم يرد الله به خيرا ضيق صدره وابعد فهمه
فلم يفقهه والله اعلم وروي ان عبد الله بن مسعود قال يا رسول الله وهل ينشرح الصدر فقال نعم يدخل
القلب نور فقال وهل لذلك من علامة فقال النبي صلى الله عليه وسلم التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت وقرء ابن كثير ضيقا بالتخفيف مثل هين ولين لغتان
ونافع وابو بكر حرجا بالكسر ومعناه الضيق كرر المعنى وحسن ذلك لاختلاف اللفظ الباقون بالفتح
جمع حرجه وهو شدة الضيق ايضا والحرجة الغليظة والجمع حرج وحرجات ومنه فلان يتحرج اي
يضيق على نفسه في تركه هواه للمعاصي قاله الهروي وقال ابن عباس الحرج موضع الشجر الملتف فكان
قلب الكافر لا تصل اليه الحكمة كما لا تصل الراعية الى الموضع الذي التف شجره وروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه هذا المعنى ذكره مكي والثعلبي وغيرهما وكل ضيق حرج وحرج الجوهري مكان حرج
وحرج اي ضيق كثير الشجر لا تصل اليه الراعية وقرئ يجعل صدره ضيقا حرجا وحرجا وهو بمنزلة الوحد
والوحد والفرد والفرد والدنف والدنف في معنى واحد وحكاه عن الفرا وقد حرج صدره يحرج
حرجا والحرج الاثم والحرج ايضا الناقة الضامرة ويقال الطويلة على وجه الارض عن ابي زيد فهو
لفظ مشترك والحرج خشب يشد بعضه الى بعض يحمل فيه الموتى عن الاصمعي وهو فاما تريني في رحالة
جابر على حرج كالقر تخفق اكفاني وربما وضع فوق نعش النسا يتبعن قلة رأسه وكانه حرج
على نعش لهن مخيم وقال الزجاج الحرج اضيق الضيق فاذا قيل فلان حرج الصدر فالمعنى ذو حرج
في صدره فاذا قيل حرج فهو فاعل النحاس حرج اسم الفاعل وحرج مصدر وصف به كما يقال رجل عدل
ورضي كانما يصعد في السماء قراه ابن كثير باسكان الصاد مخففا من الصعود وهو
الطلوع شبه الله تعالى الكافر في نفوره من الايمان وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا
يطيقه كما ان صعود السماء لا يطاق وكذلك يصاعد ادغمت التاء في الصاد وهي قراءة ابي بكر
والنخعي الا ان فيه معنى فعل شيء بعد شيء وذلك اثقل على فاعله وقرء الباقون بالتشديد من غير الف
وهو كالذي قبله معناه يتكلف ما لا يطيق شيئا بعد شيء كقوله يتجرع ويتفوق وروي عن
عبد الله بن مسعود انه قرء كانما يتصعد النحاس ومعنى هذه القراءة وقراءة من قرء
يصعد ويصاعد واحد والمعنى فيها ان الكافر من ضيق صدره يريد ان يصعد الى السماء وهو
لا يقدر على ذلك كانه يستدعي ذلك والمعنى كاد قلبه يصعد الى السماء نبوا عن الاسلام كذلك
يجعل الله الرجس عليهم كجعله ضيق الصدر في اجسادهم والرجس في اللغة النتن ابن زيد
هو العذاب ابن عباس الرجس الشيطان يسلطه عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وكذلك
الرجز وعند اهل اللغة هو النتن فمعنى الاية والله اعلم ويجعل اللعنة في الدنيا والعذاب في
الاخرة على الذين لا يؤمنون قوله تعالى وهذا صراط ربك مستقيما اي هذا الذي انت عليه
يا محمد والمؤمنون دين ربك لا اعوجاج فيه قد فصلنا الايات اي بيناها لقوم يذكرون قوله
تعالى لهم اي للمتذكرين دار السلام اي الجنة فالجنة دار الله كما يقال الكعبة بيت الله ويجوز ان
يكون المعنى دار السلامة اي التي يسلم فيها من الافات ومعنى عند ربهم اي مضمونة لهم عنده
يوصلهم اليها بفضله وهو وليهم اي ناصرهم ومعينهم قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا نصب على
الفعل المحذوف اي ويوم نحشرهم نقول لجميعا نصب على الحال والمراد حشر جميع الخلق في موقف
القيمة يا معشر الجن نداء مضاف قد استكثرتم من الانس اي من الاستمتاع بالانس فحذف المصدر

المضاف الى المفعول وحرف الجر يدل على ذلك قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض وهذا يرد قول من قال ان الجن هم الذين استمتعوا من الانس لان الانس هم الذين قبلوا منهم والصحيح ان كل واحد مستمتع بصاحبه والتقدير في العربية استمتع بعضنا ببعضا فاستمتاع الجن من الانس انهم تلذذوا بطاعة الانس اياهم وتلذذ الانس بقبولهم من الجن حتى زنوا وشربوا الخمر باغواء الجن اياهم وقيل كان الرجل اذا مر بواد في سفره وخاف على نفسه قال اعوذ برب هذا الوادي من جميع ما احذر وفي التنزيل وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا فهذا استمتاع الانس من الجن واما استمتاع الجن بالانس فيما كانوا يلقون اليهم الاراجيف والكهانة والسحر وقيل استمتاع الجن بالانس انهم يعترفون انهم يقدرون ان يدفعوا عنهم ما يحذرون ومعنى الاية تقريع الضالين والمضلين وتوبيخهم في الاخرة على اعين العالمين وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني الموت والقبر ووافينا نادمين قال النار مثواكم اي موضع مقامكم والمثوى المقام خالدين فيها الا ما شاء الله استثناء ليس من الاول قال الزجاج يرجع الى يوم القيمة اي خالدين في النار الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في الحساب فالاستثناء منقطع وقيل يرجع الاستثناء الى النار اي الا ما شاء الله من تعذيبكم بغير النار في بعض الاوقات وقال ابن عباس الاستثناء لاهل الايمان فما هنا بمعنى من وعنه ايضا انه قال هذه الاية توجب الوقف في جميع الكفار ومعنى ذلك انها توجب الوقف فيمن لم يمت اذ قد يسلم وقيل الا ما شاء الله من كونهم في الدنيا بغير عذاب ومعنى هذه الاية التي في هود قوله واما الذين شقوا ففي النار وهناك ياتي مستوفى ان شاء الله ان ربك حكيم اي في عقوبتهم وفي جميع افعاله عليم بمقدار مجازاتهم قوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك الغني ذو الرحمة ان يشا يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشاكم من ذرية قوم اخرين انما توعدون لات وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون قوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا المعنى وكما فعلنا بهؤلاء مما وصفته لكم من استمتاع بعضهم ببعض اجعل بعض الظالمين اولياء بعض ثم يتبرء بعضهم من بعض غدا ومعنى نولي على هذا نجعل وليا ابن زيد نسلط ظلمة الجن على ظلمة الانس وعنه ايضا نسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذله وهذا تهديد للظالم ان لم يمتنع من ظلمه سلط الله عليه ظالما اخر ويدل في الاية جميع من يظلم او يظلم الرعية او التاجر يظلم الناس في تجارته او السارق وغيرهم وقال فضيل بن عياض اذا رايت ظالما ينتقم من ظالم فقف وانظر فيه متعجبا وقال ابن عباس اذا رضي الله عن قوم ولى امرهم خيارهم واذا سخط على قوم ولى امرهم شرارهم وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم من اعان ظالما سلطه الله عليه وقيل المعنى نوكل بعضهم الى بعض فيما يختارونه من الكفر كما نكلهم غدا الى رؤسائهم الذين لا يقدرون على تخليصهم من العذاب اي كما فعلنا بهم ذلك في الاخرة كذلك نفعل بهم في الدنيا وقد قيل في قوله تعالى نوليه ما تولى نكله الى ما وكل اليه نفسه

ابن

ابن عباس تفسيرها ان الله هو اذا اراد بقوم شرا ولى امرهم شرارهم يدل عليه قوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم قوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم اي يوم نحشرهم نقول الم ياتكم فحذف فيعترفون بما فيه افتضاحهم ومعنى منكم في الخلق والتكليف والمخاطبة ولما كانت الجن ممن يخاطب ويعقل قال منكم وان كانت الرسل من الانس وغلب الانس في الخطاب كما يغلب المذكر على المونث و قال ابن عباس رسل الجن هم الذين بلغوا قومهم ما سمعوه من الوحي كما قال ولوا الى قومهم منذرين وقال مقاتل والضحاك ارسل الله رسلا من الجن كما ارسل من الانس مجاهد الرسل من الانس والنذر من الجن ثم قرا الى قومهم منذرين وهو معنى قول ابن عباس وهو الصحيح على ما ياتي بيانه في الاحقاف وقال الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون الى الانس والجن قلت وهذا لا يصح بل في صحيح مسلم من حديث جابر ابن عبد الله الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود الحديث على ما ياتي بيانه في الاحقاف وقال ابن عباس كانت الرسل تبعث الى الانس وان محمدا صلى الله عليه وسلم بعث الى الجن والانس ذكره ابو الليث السمرقندي وقيل كان قوم من الجن استمعوا الى الانبياء ثم عادوا الى قومهم واخبروهم كالحال مع نبينا عليه الصلاة والسلام فيقال لهم رسل الله وان لم ينص على ارسالهم وفي التنزيل يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اي من احدهما وانما يخرج من الملح دون العذب فكذلك الرسل من الانس دون الجن فمعنى منكم اي من احدكم وكان هذا جائزا لان ذكرهما سبق وقيل انما صير الرسل في مخرج اللفظ من الجميع لان الثقلين قد ضمتهما عرصة القيمة والحساب عليهم دون الخلق فلما صاروا في تلك العرصة في حساب واحد في شان الثواب والعقاب خوطبوا يومئذ بمخاطبة واحدة كانهم جماعة واحدة لان بدء خلقهم للعبودية والثواب والعقاب على العبودية ولان الجن اصلهم من مارج من نار واصلنا من تراب وخلقهم غير خلقنا ومنهم مؤمن وكافر وعدونا ابليس عدو لهم يعادي مؤمنهم ويوالي كافرهم وفيهم اهواء شيعة وقدرية ومرجية يتلون كتابنا وقد وصف الله تعالى عنهم في سورة الجن في قوله وانا منا المسلمون ومنا القاسطون وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا على ما ياتي بيانه هناك يقصون في موضع رفع نعت لرسل قالوا شهدنا على انفسنا اي شهدنا انهم بلغوا وغرتهم الحياة الدنيا قيل هو خطاب من الله تعالى للمؤمنين اي ان هؤلاء غرتهم الحياة الدنيا اي خدعتهم وظنوا انها تدوم وخافوا زوالها عنهم ان امنوا وشهدوا على انفسهم اي اعترفوا بكفرهم قال مقاتل هذا حين شهدت عليهم الجوارح بالشرك قوله تعالى ذلك في موضع رفع عند سيبويه اي الامر ذلك وان مخففة من الثقيلة اي انما فعلنا هذا بهم لاني لم اكن اهلك القرى بظلم اي بشركهم قبل ارسال الرسل اليهم فيقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير وقيل لم اكن اهلك القرى بشرك من اشرك منهم فهو مثل ولا تزر وازرة وزر اخرى ولو اهلكهم قبل بعثة الرسل فله ان يفعل ما يريد وقد قال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وقد تقدم واجاز الفراء ان يكون ذلك في موضع نصب المعنى فعل ذلك بهم لانه لم يكن يهلك القرى بظلم قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا اي من الجن والانس كما قال في اية اخرى اولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ثم قال ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون وفي هذا ما يدل على ان المطيع من الجن في الجنة والعاصي منهم في النار كالانس سواء وهو اصح ما قيل في ذلك فاعلمه ومعنى ولكل درجات اي ولكل عامل بطاعة درجات في الثواب ولكل عامل معصية درجات في العقاب وما ربك بغافل اي ليس

بلاءٍ ولا ساهٍ والغفلة ان يذهب الشيء عنك لاشتغالك بغيره عما تعملون قراءة ابن عامر والباقون
بالياء قوله تعالى وربك الغني اي عن خلقه وعن اعمالهم ذو الرحمة اي باوليائه واهل طاعته
ان يشاء يذهبكم ايها الناس ويأت باخرين وان تتولوا يستبدل قوما غيركم فالمعنى يبدل غيركم
مكانكم كما تقول اعطيتك من دنياك ثوبا قوله تعالى انما توعدون لآت يحتمل ان يكون من
اوعدت في الشر والمصدر الايعاد والمراد عذاب الاخرة ويحتمل ان يكون من وعدت على ان يكون المراد
الساعة التي في مجيئها الخير والشر فغلب الخير يروى معناه عن الحسن وما انتم بمعجزين اي فائتين
يقال اعجزني فلان اي فاتني وغلبني قوله تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم وقرء ابو بكر بالجمع مكاناتكم
والمكانة الطريقة والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه فانا اثبت على ما انا عليه فان قيل كيف يجوز ان
يؤمروا بالثبات على ما هم عليه وهم كفار فالجواب ان هذا تهدد كما قال عز وجل فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا ودل عليه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار اي العاقبة المحمودة التي يحمد
عليها صاحبها اي من له النصر في دار الاسلام ومن له وراثة الارض ومن له الدار الاخرة
اي الجنة الزجاج مكانتكم تمكنكم في الدنيا ابن عباس والحسن والنخعي على ناحيتكم العتبي على موضعكم
اني عامل على مكانتي فحذف لدلالة الحال عليه ومن في قوله من تكون في موضع نصب الذي لم يقع
العلم عليه ويجوز ان تكون في موضع رفع لانها لاستفهام لا يعمل فيه ما قبله فيكون الفعل
معلقا اي تعلمون اينا تكون له عاقبة الدار كقوله تعالى لنعلم اي الحزبين احصى وقرء
حمزة والكسائي من يكون بالياء قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرء من الحرث والانعام نصيبا فيه
مسئلة واحدة ويقال ذرء يذرء اذا اي خلق وفي الكلام حذف واختصار وهو وجعلوا لاصنامهم
نصيبا دل عليه ما بعده وكان هذا مما زينه الشيطان وسوله لهم صرفوا من مالهم طائفة
الى الله بزعمهم وطائفة الى اصنامهم قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والمعنى متقارب
جعلوا لله جزءا ولشركائهم جزءا فاذا ذهب ما لشركائهم بالانفاق عليها وعلى سدنتها عوضوا منه
ما لله واذا ذهب ما لله بالانفاق على الضيفان والمساكين لم يعوضوا منه شيئا وقالوا الله
مستغن عنه وهم كانوا فقراء فكان هذا من جهالتهم وبزعمهم والزعم الكذب قال شريح القاضي
ان لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا فكانوا يكذبون في هذه الاشياء لانه لم ينزل بذلك
شرع وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال من اراد ان يعلم جهل العرب فليقرأ ما فوق
الثلاثين ومائة من سورة الانعام الى قوله قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم قال ابن
العربي وهذا الذي قاله كلام صحيح فانها تصرفت بعقولها العاجزة عن تنويع الحلال والحرام
سفاهة بغير معرفة ولا عدل والذي تصرفت بالجهل فيه من اتخاذ الالهة اعظم جهلا واكبر
جرما فان الاعتداء على الله تعالى اعظم من الاعتداء على المخلوقات والدليل في ان الله تعالى
واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في مخلوقاته ابين واوضح من الدليل على ان هذا حلال
وهذا حرام وقد روي ان رجلا قال لعمرو بن العاص انكم على كمال عقولكم ووفور احلامكم عبدتم
الحجر فقال عمرو تلك عقول كادها باريها فهذا الذي اخبر الله تعالى من سخافة العرب وجهلها
امر اذهبه الاسلام وابطله الله ببعثة الرسول عليه الصلاة والسلام فكان من الظاهر لنا ان نميته
حتى لا يظهر وننساه حتى لا يذكر الا ان ربنا تعالى ذكره بنصه واورده بشرحه كما ذكر كفر الكافرين
به وكانت الحكمة في ذلك والله اعلم ان قضاءه قد سبق وحكمه قد نفذ بان الكفر والتخليط
لا ينقطعان الى يوم القيمة وقرء يحيى بن وثاب والسلمي والاعمش والكسائي بزعمهم بضم الزاي والباقون

بنتجها

بفتحها وهما لغتان فما لشركائهم فلا يصل الى الله اي الى المساكين ساء ما يحكمون اي ساء الحكم حكمهم ابن
ابن زيد كانوا اذا ذبحوا ذكروا اسم الاوثان واذا ذبحوا للاوثان لم يذكروا عليه اسم الله فهذا معنى فما
كان لشركائهم فلا يصل الى الله فكان تركهم لذكر الله مذموما منهم وكان داخلا في ترك الكل ما لم يذكر اسم
الله عليه قوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم
دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها
الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه
سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على
ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا
اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين
وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون
والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا
انه لا يحب المسرفين قوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم المعنى كما زين
لهؤلاء ان جعلوا لله نصيبا ولاصنامهم نصيبا كذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم
مجاهد وغيره زينت لهم قتل البنات مخافة العيلة الفراء والزجاج شركاؤهم ههنا الذين
كانوا يخدمون الاوثان وقيل هم الغواة من الناس وقيل هم الشياطين واشار بهذا الى الوأد
الخفي وهو دفن البنت حية مخافة السبا والحاجة وعدم ما هو من النصرة وسمى الشياطين
شركاء لانهم اطاعوهم في معصية الله فاشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم وقيل كان الرجل في الجاهلية
يحلف بالله لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما فعله عبد المطلب حين نذر ذبح ولده
عبد الله ثم قيل في الاية اربع قراءات اصحها قراءة الجمهور وكذلك زين لكثير من المشركين قتل
اولادهم شركاؤهم هذه قراءة اهل الحرمين واهل الكوفة واهل البصرة شركاؤهم رفع بزين لانهم
زينوا ولم يقتلوا قتل نصب بزين واولادهم مضاف الى المفعول والاصل في المصدر ان يضاف الى الفاعل
لانه احدثه ولانه لا يستغنى عنه ويستغنى عن المفعول فهو هنا مضاف الى المفعول لفظا مضاف
الى الفاعل معنى لان التقدير زين لكثير من المشركين قتلهم اولادهم شركاؤهم ثم حذف المضاف
وهو الفاعل كما حذف من قوله تعالى لا يسأم الانسان من دعاء الخير اي من دعائه الخير فالهاء
فاعلة الدعاء اي لا يسأم الانسان من ان يدعو بالخير وكذلك قوله زين لكثير من المشركين
في ان يقتلوا اولادهم شركاؤهم قال مكي وهذه القراءة هي الاختيار لصحة الاعراب فيها ولان
عليه الجماعة القراءة الثانية زين بضم الزاي لكثير من المشركين قتل بالرفع اولادهم بالخفض
شركاؤهم بالرفع قراءة الحسن ابن عامر واهل الشام زين بضم الزاي لكثير من المشركين قتل اولادهم
برفع قتل ونصب اولادهم شركائهم بالخفض فيما حكى غيره عن اهل الشام انهم قرءوا وكذلك
زين بضم الزاي لكثير من المشركين قتل بالرفع اولادهم بالخفض شركائهم بالخفض ايضا فالقراءة
الثانية قراءة الحسن جائزة يكون قتل اسم ما لم يسم فاعله شركاؤهم رفع باضمار فعل يدل عليه
زين اي زينه شركاؤهم ويجوز على هذا ضرب زيد عمرو بمعنى ضربه عمرو وانشد سيبويه
ليبك يزيد ضارع لخصومة اي يبكيه ضارع وقرء ابن عامر وعاصم من رواية ابي بكر يسبح
فيها بالغدو والاصال رجال التقدير يسبحه رجال وقرا ابراهيم بن ابي عبلة قتل اصحاب
الاخدود النار ذات الوقود بمعنى قتلهم النار قال النحاس فاما ما حكاه ابو عبيد عن ابن عامر

واهل الشام فلا يجوز في كلام ولا شعر وانما اجاز النحويون التفريق بين المضاف والمضاف اليه بالظرف
لانه لا يفصل فاما بالاسماء غير الظروف فلحن وقال المكي وهذه القراءة فيها ضعف للتفريق بين
المضاف والمضاف اليه لانه انما يجوز مثل هذا التفريق في الشعر مع الظروف لاتساعهم فيها وهو
في المفعول به في الشعر بعيد فاجازته في القران ابعد وقال المهدوي قراءة ابن عامر هذه على التفرقة
بين الصفة والمضاف اليه ومثله قال الشاعر فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزاده يريد زج ابي مزادة
القلوص وانشد تمر على ما تستمر وقد شفت غلائل عبد القيس منها صدورها يريد شفت عبد
القيس غلائل صدورها وقال ابو غانم احمد بن حمدان النحوي قراءة ابن عامر لا تجوز في العربية وهي
زلة عالم واذا زل العالم لم يجز اتباعه ورد قوله الى الاجماع وكذلك يجب ان يرد من زل منهم او
سها الى الاجماع فهو اولى من الاصرار على غير الصواب وانما اجازوا في الضرورة للشاعر ان يفرق
بين المضاف والمضاف اليه بالظرف لانه لا يفصل كما قال كما خط الكتاب بكف يوما يهودي
يقارب او يزيل وقال اخر كان اصوات من ايغالهن بنا اواخر الميس اصوات الفراريج وقال
اخر لما رأت ساتيدما استعبرت لله در اليوم من لامها قال القشيري وقال قوم هذا قبيح وهذا
محال لانه اذا ثبت بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو الفصيح لا القبيح وقد ورد ذلك في كلام
العرب وفي مصحف عثمان شركائهم بالياء وهذا يدل على قراءة ابن عامر واضيف القتل في هذه
القراءة الى الشركاء لان الشركاء هم الذين زينوا ذلك ودعوا اليه فالفعل مضاف الى فاعله على ما
يجب في الاصل لكنه فرق بين المضاف والمضاف اليه وقدم المفعول وتركه منصوبا على حاله
اذ كان متاخرا في المعنى واخر المضاف وتركه مخفوضا على حاله اذ كان متقدما بعد القتل والتقدير
وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم اولادهم اي ان قتل شركاؤهم اولادهم فاما ما حكاه
غير ابي عبيد وهي القراءة الرابعة فهو جائز على ان تبدل شركاؤهم من اولادهم لانهم شركاؤهم
في النسب والميراث ليردوهم اللام لام كي والارداء الاهلاك وليلبسوا عليهم دينهم اي
يامرونهم بالباطل ويشككونهم في دينهم وكانوا على دين اسمعيل وما كان فيه قتل الولد فيصير
الحق مغطى عليه فبهذا يلبسون ولو شاء الله ما فعلوه بين ان كفرهم بمشيئة الله وهو رد
على القدرية فذرهم وما يفترون يريد قولهم ان لله شركاء قوله تعالى وقالوا هذه انعام
وحرث حجر ذكر نوعا اخر من جهالاتهم وقرء ابان بن عثمان حجر بضم الحاء والجيم وقرء الحسن و
قتادة حجر بفتح الحاء واسكان الجيم لغات بمعنى وعن الحسن ايضا حجر بضم الحاء قال ابو عبيد
عن هرون قال كان الحسن يضم الحاء في جميع القران الا في قوله برزخا وحجرا محجورا فانه كان يكسرها
وروي عن ابن عباس وابن الزبير وحارث حرج الراء قبل الجيم وكذا في مصحف ابي وفيه قولان
احدهما انه مثل جبذ وجذب والقول الاخر وهو اصح انه من الحرج بكسر الحاء لغة في الحرج بفتح
الحاء وهو الضيق والاثم فيكون معناه الحرام ومنه فلان يتحرج اي يضيق على نفسه الدخول
فيما يشتبه عليه من الحرام والحجر لفظ مشترك وهو هنا بمعنى الحرام واصله المنع وسمي العقل
حجرا لمنعه عن القبايح وفلان في حجر القاضي اي منعه حجرت على الصبي حجرا والحجر العقل قال
الله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر والحجر الفرس الانثى والحجر القرابة قال يريدون ان
يقصوه عني وانه لذو حسب دان الي وذو حجر وحجر الانسان وحجره لغتان والفتح اكثر اي
حرموا انعاما وحرثا وجعلوها لاصنامهم وقالوا لا يطعمها الا من نشاء وهم خدام الاصنام ثم بين
ان هذا تحكم لم يرد به شرع ولهذا قال بزعمهم وانعام حرمت ظهورها يريد ما يسيبونه لالهتهم

ابو وايل

ابو وايل لا يحجون عليها افتراء اي للافتراء على الله لانهم كانوا يقولون الله امرنا بهذا فهو نصب على
المفعول له وقيل اي يفترون افتراء وانتصابه لكونه مصدرا قوله تعالى وقالوا ما في بطون هذه
الانعام خالصة لذكورنا هذا نوع اخر من جهلهم قال ابن عباس هو اللبن جعلوه حلالا للذكور وحراما
على الاناث وقيل الاجنة قالوا انها لذكورنا ثم ان مات منها شيء اكله الرجال والنساء والهاء
في خالصة للمبالغة في الخلوص ومثله رجل علامة ونسابة من الكسائي وخالصة بالرفع خبر المبتدا
الذي هو ما وقال الفراء تانيثها لتانيث الانعام وهذا القول عند قوم خطا لان ما في بطونها ليس
منها فلا يشبه يلتقطه بعض السيارة لان بعض السيارة سيارة وهذا لا يلزم الفراء فان ما في بطون
الانعام انعام مثلها فانث لتانيثها اي الانعام التي في بطون الانعام خالصة لذكورنا وقيل اي
جماعة ما في البطون وقيل انما يرجع الى الالبان او الاجنة فجاء التانيث على المعنى والتذكير على
اللفظ ولهذا قال ومحرم على ازواجنا على اللفظ ولو راعى المعنى لقال ومحرمة ويعضد هذا قراءة
الاعمش خالص بغير ها قال الكسائي معنى خالص وخالصة واحد الا ان الهاء للمبالغة كما يقال رجل
داهية وعلامة كما تقدم وقراءة قتادة خالصة بالنصب على الحال من الضمير الذي هو صلة لما
وخبر المبتدا محذوف كقولك الذي في الدار قائما زيد هذا مذهب البصريين وانتصب عند
الفراء على القطع وكذا القول في قراءة سعيد بن جبير خالصا وقرا ابن عباس خالصة على الاضافة
تكون ابتداء ثانيا والخبر لذكورنا والجملة خبر ما ويجوز ان يكون خالصة بدلا من ما فهذه
خمس قراءات ومحرم على ازواجنا اي بناتنا عن ابن زيد وغيره نساؤهم وان يكن ميتة قرئ
بالياء والتاء اي ان يكن ما في البطون ميتة فهم فيه شركاء اي الرجال والنساء وقال فيه لان
المراد بالميتة الحيوان وهو يقوي قراءة الياء ولم يقل فيها ميتة بالرفع بمعنى تقع او تحدث
ميتة بالنصب اي وان لم تكن النسمة ميتة سيجزيهم وصفهم اي كذبهم وافتراهم اي يعذبهم
على ذلك وانتصب وصفهم بنزع الخافض اي بوصفهم وفي الاية دليل على ان العالم ينبغي له ان
يتعلم قول من خالفه وان لم يأخذه حتى يعرف فساد قولهم قوله تعالى قد خسر الذين قتلوا اولادهم
اخبر بخسرانهم لوادهم البنات وتحريمهم البحيرة وغيرها بعقولهم فقتلوا اولادهم سفها خوف
الاملاق وحجروا على انفسهم في اموالهم ولم يخشوا الاملاق فابان ذلك عن تناقض رايهم قلت
كان من العرب من يقتل ولده خشية الاملاق كما ذكر الله في غير هذا الموضع وكان منهم من يقتله
سفها بغير حجة منهم في قتلهم وهم ربيعة ومضر كانوا يقتلون بناتهم لاجل الحمية ومنهم من
يقول الملائكة بنات الله فالحقوا البنات بالبنات روي ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم كان لا يزال مغتما بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما لي اراك محزونا فقال يا رسول الله اذنبت في الجاهلية ذنبا فاخاف ان لا يغفره الله
وان اسلمت فقال له اخبرني عن ذنبك فقال يا رسول الله اني كنت من الذين يقتلون بناتهم
فولدت لي بنت فتشفعت الي امراتي ان اتركها فتركتها حتى كبرت وادركت فصارت من
اجمل النساء فخطبوها فدخلتني الحمية ولم يحتمل قلبي ان ازوجها واتركها في البيت بغير زوج فقلت
للمراة اني اريد ان اذهب الى قبيلة كذا وكذا في زيارة اقربائي فسرت بذلك وزينتها بالثياب
والحلي واخذت علي المواثيق باني لا اخونها فذهبت بها الى راس بئر فنظرت في البئر ففطنت
الجارية اني اريد ان القيها في البئر فالتزمتني وجعلت تبكي وتقول يا ابت ايش تريد ان تفعل
بي فرحمتها ثم نظرت في البئر فدخلت علي الحمية ثم التزمتني وجعلت تقول يا ابت لا تضيع امانته

اني فجعلت مرة انظر في البير ومرة انظر اليها وارحمها حتى غلبني الشيطان فاخذتها والقيتها في
البير منكوسة وهي تنادي في البير يا ابت قتلتني فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت فبكى رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال لو امرت ان اعاقب احدا بما فعل في الجاهلية لعاقبتك
قوله تعالى وهو الذي انشا جنات الى قوله المسرفين فيه ثلاثة وعشرون مسئلة الاولى
قوله تعالى انشا اي خلق جنات معروشات بساتين ممسوكات مرفوعات وغير معروشات غير
مرفوعات ابن عباس معروشات ما انبسط على الارض مما يعترش مثل الكرم والزرع والبطيخ
وغير معروشات ما قام على ساق مثل النخيل وساير الاشجار وقيل المعروشات ما ارتفعت اشجارها
واصل التعريش الرفع وعن ابن عباس ايضا المعروش ما انبته ورفعه الناس وغير معروشات
ما خرج في البوادي والجبال من الثمار يدل عليه قراءة علي مغروسات وغير مغروسات بالغين
المعجمة والسين المهملة الثانية قوله تعالى والنخل والزرع افردهما بالذكر وهما داخلان في
الجنات لما فيهما من الفضيلة على ما تقدم بيانه في البقرة عند قوله من كان عدوا لله الاية
مختلفا اكله يعني طعمه منه الجيد والدون وسماه اكلا لانه يوكل واكله مرفوع بالابتدا ومختلفا
نعته لكنه لما تقدم عليه وولي منصوبا نصب كما تقول عندي طباخا غلام قال الشاعر متنشر
يلقاك عن عرض والصالحات عليها مغلقا باب وقيل مختلفا نصب على الحال قال ابو اسحق
الزجاج وهذه مسئلة مشكلة من النحو لانه يقال قد انشاها ولم يختلف اكلها وهو ثمرها
فالجواب ان الله سبحانه وتعالى انشاها بقوله خالق كل فاعلم انه انشاها مختلفا اكلها
اي انه انشاها مقدار فيها الاختلاف وقد بين هذا سيبويه بقوله مررت برجل معه صقر
صايدا به غدا على الحال كما تقول لتدخلن الدار اكلين شاربين اي مقدرين ذلك جواب ثالث
اي انشاه كان مختلفا اكله على معنى انه لو كان له اكل لكان مختلفا اكله ولم يقل اكلهما
لانه اكتفى باعادة الذكر على احدهما كقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها اي اليهما وقد
تقدم هذا المعنى الثالثة والزيتون والرمان عطف متشابها وغير متشابه نصب على الحال
وقد تقدم القول فيه وفي هذا ادلة ثلاثة احدها ما تقدم من قيام الدليل على ان المتغيرات
لا بد لها من مغير الثاني على المنة منه سبحانه وتعالى علينا فلو شاء اذ خلقنا ان لا يخلق لنا
غذا واذا خلقه على ان لا يكون جميل المنظر طيب الطعم واذا خلقه كذلك ان لا يكون سهل الجنا
فلم يكن عليه ان يفعل ذلك ابتداء لانه لا يجب عليه شي الثالث على القدرة في ان يكون الماء
الذي من شانه الرسوب يصعد بقدرة الواحد علام الغيوب من اسافل الشجر الى اعاليها حتى
اذا انتهى الى اخرها نشا فيها اوراق ليست من جنسها وثمر خارج من صفته الجرم الوافر واللون
الزاهر والجنا الجديد والطعم اللذيذ فاين الطبايع واجناسها واين الفلاسفة واناسها هل في
قدرة الطبيعة ان تتقن هذا الاتقان او ترتب هذا الترتيب العجيب كلا لا يتم ذلك في العقول
الا لحي عالم قدير مريد فسبحان من له في كل شي اية ونهاية ووجه اتصال هذا بما قبله ان
الكفار لما افتروا على الله الكذب واشركوا معه وحرموا وحللوا دلهم على وحدانيته انه خالق
الاشياء وانه جعل هذه الاشياء ارزاقا لهم الرابعة قوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر
واتوا حقه يوم حصاده فهذان بناءان جاءا بصيغة افعل احدهما مباح كقوله تعالى فانتشروا
في الارض والثاني واجب وليس يمتنع في الشريعة اقتران المباح والواجب وبدء بذكر نعمة الاكل
قبل الامر بايتاء الحق ليبين ان الابتدا بالنعمة كان من فضله قبل التكليف الخامسة قوله

واتوا

واتوا حقه يوم حصاده اختلف الناس في تفسير هذا الحق ما هو فقال انس بن مالك وابن عباس وطاوس
والحسن وابن زيد وابن الحنفية والضحاك وسعيد بن المسيب هي الزكاة المفروضة العشر ونصف
العشر ورواه ابن وهب وابن القاسم عن مالك في تفسير الاية وبه قال بعض اصحاب الشافعي وحكى
الزجاج ان هذه الاية قيل فيها انها نزلت بالمدينة وقال علي بن الحسين وعطا والحكم وحماد و
سعيد بن جبير ومجاهد هو حق في المال سوى الزكاة امر الله به ندبا وروي عن ابن عمر ومحمد بن
الحنفية ايضا ورواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مجاهد اذا حصدت فحضرك
المساكين فاخرج لهم السنبل واذا جذذت فالق لهم من الشماريخ واذا درسته ودسترد ونسته
فاطرح لهم منه واذا عرفت كيله فاخرج زكاته وقول ثالث هو منسوخ بالزكاة لان هذه السورة
مكية واية الزكاة لم تنزل الا بالمدينة خذ من اموالهم صدقة واقيموا الصلاة واتوا الزكاة روي
عن ابن عباس وابن الحنفية والحسن وعطية العوفي والنخعي وسعيد بن جبير وقال سفيان سالت
السدي عن هذه الاية فقال نسخها العشر ونصف العشر فقلت عمن فقال عن العلماء السادسة
وقد تعلق ابو حنيفة بهذه الاية وبعموم ما في قوله عليه الصلاة والسلام فيما سقت السماء العشر
وفيما سقي بنضح او دالية نصف العشر في ايجاب الزكاة في كل ما تنبت الارض طعاما كان او غيره
وقال ابو يوسف عنه الا الحطب والحشيش والقصب والتين وقصب الذريرة وقصب السكر
واباه الجمهور معولين على ان المقصود من الحديث بيان ما يوخذ منه العشر وما يوخذ منه
نصف العشر قال ابو عمر لا خلاف بين العلماء فيما علمت ان الزكاة واجبة في الحنطة والشعير
والتمر والزبيب وقالت طائفة لا زكاة في غيرها روي ذلك عن الحسن وابن سيرين والشعبي
وقال بعض الكوفيين ابن ابي ليلى والثوري والحسن بن صالح وابن المبارك ويحيى بن ادم واليه
ذهب ابو عبيد وروي ذلك عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مذهب ابي موسى فانه
كان لا ياخذ الزكاة الا من الحنطة والشعير والتمر والزبيب ذكره وكيع عن طلحة بن يحيى عن ابي
بردة عن ابيه وقال مالك واصحابه الزكاة واجبة في كل مقتات مدخر وبه قال الشافعي
انما تجب الزكاة فيما ييبس ويدخر ويقتات ماكولا ولا شي في الزيتون لانه ادام وقال ابو
ثور مثله وقال احمد اقوال اظهرها ان الزكاة انما تجب في كلها قال ابو حنيفة اذا كان يوسق
فاوجبها في اللوز لانه مكيل دون الجوز لانه معدود واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام ليس
فيما دون خمسة اوسق من تمر او حب صدقة قال فبين النبي صلى الله عليه وسلم ان محل الواجب
هو الوسق وبين المقدار الذي يجب اخراج الحق منه وذهب النخعي الى ان الزكاة واجبة في كل ما اخرجته
الارض حتى في عشرة دساتج من بقل دستجة بقل وقد اختلف عنه في ذلك وهو قول عمر بن عبد العزيز
فانه كتب ان يوخذ مما تنبت الارض من قليل او كثير العشر ذكره عبد الرزاق عن معمر عن سماك بن
الفضل قال كتب فذكره وهو قول حماد بن ابي سليمان وتلميذه والى هذا مال ابن العربي في احكامه
فقال واما ابو حنيفة فجعل الاية مراته فابصر الحق واخذ يعضد مذهب الحنفي ويقويه قال
في كتاب القبس بما اطيه مالك بن انس فقال قال الله تعالى والزيتون والرمان متشابها
وغير متشابه واختلف الناس في وجوب الزكاة في جميع ما تضمنته او بعضه وقد بينا ذلك
في الاحكام ان الزكاة انما تتعلق بالمقتات كما قدمنا دون الخضراوات وقد كان بالطايف
الرمان والفرسك والاترج فما اعترضه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ذكره ولا احد من
خلفائه قلت هذا وان لم يذكره في الاحكام هو الصحيح في المسئلة وان الخضراوات ليس فيها وانما

الاية فقد اختلف فيها هل هي محكمة او منسوخة او محمولة على الندب ولا قاطع يبين احد محاملها بل القاطع
للعلوم ما ذكره ابن بكير فى احكامه ان الكوفة افتتحت بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بعد استقرار
الاحكام بالمدينة افيجوز ان يتوهم متوهم او من له ادنى بصيرة ان تكون شريعة مثل هذه عطلت فلم
يعمل بها فى دار الهجرة ومستقر الخلافة ابي بكر حتى عمل بذلك الكوفيون ان هذه لمصيبة فيمن ظن
هذا وقال به قلت ومما يدل على هذا من جهة التنزيل يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
وان لم تفعل فما بلغت رسالته اتراه يكتم شيئا امر بتبليغه او بيانه حاشاه عن ذلك وقال
تعالى اليوم اكملت لكم دينكم ومن كمال الدين كونه لم ياخذ من الخضر شيئا وقال جابر بن عبد الله
فيما رواه الدارقطني ان المقاثي كانت تكون عندنا تخرج عشرة الاف فلا يكون فيها شيء وقال
الزهري والحسن تزكى اثمان الخضر اذا ابيعت وبلغ ثمنها مائتي درهم وقاله الاوزاعي فى ثمن الفواكه
ولا حجة فى قولهما لما ذكرناه وقد روي الترمذي عن معاذ انه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم
يسأله من الخضراوات وهي البقول فقال ليس فيها شيء وقد روى هذا المعنى عن جابر وانس وعلي
ومحمد بن عبد الله بن جحش وابي موسى وعايشة ذكر احاديثهم الدارقطني قال الترمذي ليس يصح في
هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم واحتج بعض اصحاب ابي حنيفة بحديث صالح بن موسى عن
منصور عن ابراهيم عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما انبتت الارض من
الخضر زكاة قال ابو عمر وهذا الحديث لم يروه من ثقاة اصحاب منصور احد هكذا وانما هو
من قول ابراهيم قلت واذا سقط الاستدلال من جهة السنة لضعف اسانيدها فلم يبق الا ما
ذكرناه من تخصيص عموم الاية وعموم قوله عليه الصلاة والسلام فيما سقت السماء العشر بما ذكرنا
وقال ابو يوسف ومحمد ليس فى شيء من الخضر زكاة الا ما كانت له ثمرة باقية سوى الزعفران ونحوه
مما يوزن فيه الزكاة وكان محمد يعتبر فى العصفر والكتان البزر فاذا بلغ بزرهما من القرطم والكتان
خمسة اوسق كان العصفر والكتان تبعا للبزر واخذ منه العشر واما القطن فليس عنده فى دون
خمسة احمال شيء والحمل ثلثمائة من والورس والزعفران ليس فيما دون خمسة امنان منها شيء فاذا
بلغ احدهما خمسة امنان كانت فيه الصدقة عشرا او نصف عشر وقال ابو يوسف وكذلك قصب
السكر الذي يكون منه السكر ويكون فى ارض العشر دون ارض الخراج فيه ما فى الزعفران واوجب
عبد الملك وابن الماجشون الزكاة فى اصول الثمار دون البقول وهذا خلاف ما عليه مالك واصحابه
لا زكاة عندهم فى الجوز ولا فى اللوز ولا فى الجلوز وما كان مثلها وان كان ذلك يدخر كما انه لا
زكاة عندهم فى الاجاص ولا فى التفاح ولا فى الكمثرى ولا ما كان مثل ذلك كله مما لا ييبس ولا يدخر
واختلفوا فى التين والاشهر عند اهل المغرب ممن يذهب مذهب مالك انه لا زكاة عندهم فى التين
الا عبد الملك وابن حبيب فانه كان يرى فيه الزكاة على مذهب مالك قياسا على التمر والزبيب
والى هذا ذهب جماعة من اهل العلم البغداديين المالكيين اسمعيل بن ابراهيم ومن اتبعه قال
مالك فى الموطا السنة التي لا اختلاف فيها عندنا والذي سمعت من اهل العلم انه ليس فى شيء
من الفواكه كلها صدقة الرمان والفرسك والتين وما اشبه ذلك اذا كان من الفواكه قال ابو عمر
فاذا دخل التين فى هذا الباب واظنه والله اعلم لم يعلم بانه ييبس ويدخر ويقتات ولو علم
ذلك ما ادخله فى هذا الباب لانه اشبه بالتمر والزبيب منه بالرمان وقد بلغني عن الابهري
وجماعة من اصحابه انهم كانوا يفتون بالزكاة فيه ويرون مذهب مالك على اصولهم عندهم والتين
مكيل يراعى فيه الخمسة الاوسق وما كان مثلها وزنا ويحكم فى التين عندهم بحكم التمر والزبيب المجتمع

عليهما وقال الشافعي لا زكاة فى شيء من الثمار غير التين والعنب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ
الصدقة منهما وكانا بالحجاز قوتا يدخر قال وقد يدخر الجوز واللوز ولا زكاة فيهما لانهما لم يكونا
بالحجاز قوتا فيما علمت وانما كانا فاكهة ولا زكاة فى الزيتون لقوله تعالى والزيتون والرمان فقرنه
مع الرمان ولا زكاة فيه ايضا فان التين انفع منه فى القوت ولا زكاة فيه وللشافعي قول بزكاة
الزيتون قاله بالعراق والاول قاله بمصر فاضطرب قول الشافعي فى الزيتون ولم يختلف فيه قول
مالك فدل على ان الاية محكمة عندنا غير منسوخة واتفقا جميعا على ان لا زكاة فى الرمان وكان
يلزمهما ايجاب الزكاة فيه قال ابو عمر فان كان الرمان خرج باتفاق فقد بان بذلك المراد بان
الاية ليست على عمومها وكان الضمير عايدا على بعض المذكور دون بعض والله اعلم قلت بهذا
استدل من اوجب العشر فى الخضراوات فانه تعالى واتوا حقه يوم حصاده والمذكور قبله الزيتون
والرمان والمذكور عقب جملة ينصرف الى الاخير بلا خلاف قاله الكيا الطبري وروي عن ابن عباس
انه قال ما لقحت رمانة قط الا بقطرة من ماء الجنة وروي عن علي كرم الله وجهه انه قال اذا
اكلتم الرمانة من رأسها فان فيها دودة يعتري منها الجذام وتاتي منافع زيت الزيتون فى سورة
المؤمنين ان شاء الله تعالى وممن قال بوجوب زكاة الزيتون الزهري والاوزاعي والليث والثوري
وابو حنيفة واصحابه وابو ثور قال الزهري والاوزاعي والليث يخرص زيتونا ويؤخذ زيتا صافيا
وقال ابو حنيفة العشر بعد ان يعصر ويبلغ كيله خمسة اوسق وقال ابو حنيفة والثوري يؤخذ
من حبه التاسعة قوله تعالى يوم حصاده قرا ابو عمرو وابن عامر وعاصم حصاده بفتح الحاء و
الباقون بكسرها وهما لغتان مشهورتان ومثله الصرام والصرام والجذاذ والجذاذ والقطاف والقطاف
واختلف العلماء فى وقت الوجوب على ثلاثة اقوال الاول انه وقت الجذاذ قاله محمد بن مسلمة
لقوله تعالى يوم حصاده الثاني يوم الطيب لان ما قبل الطيب يكون علفا لا قوتا ولا طعاما
فاذا طاب وكان الاكل الذي انعم الله به وجب الحق الذي امر الله به اذ بتمام النعمة يجب شكر
النعمة ويكون الايتاء يوم الحصاد لما قد وجب يوم الطيب الثالث ان يكون بعد تمام الخرص
لانه حينئذ يتحقق الواجب فيه من الزكاة فيكون شرطا لوجوبها اصله مجيء الساعي فى الغنم وبه
قال المغيرة والصحيح الاول لنص التنزيل والمشهور من المذهب الثاني وبه قال الشافعي وفايدة
الخلاف اذا مات بعد الطيب زكيت على ملكه وقبل الخرص على ورثته وقال محمد بن مسلمة انما قدم
الخرص توسعة على ارباب الثمار ولو قدم رجل زكاته بعد الخرص وقبل الجذاذ لم يجزه لانه اخرجها
قبل وجوبها وقد اختلف العلماء فى القول بالخرص وهي الثامنة فكرهه الثوري ولم يجزه بحال وقال
الخرص غير مستعمل قال وانما على رب الحايط ان يؤدي عشر ما يصير فى يده للمساكين اذا بلغ خمسة
اوسق وروي الشيباني عن الشعبي انه قال الخرص اليوم بدعة والجمهور على خلافه ثم اختلفوا
فالمعظم على جوازه فى النخل والعنب لحديث عتاب بن اسيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه
وامره ان يخرص العنب كما يخرص النخل ويوخذ زكاته زبيبا كما توخذ زكاة النخل تمرا رواه ابو
داود وقال داود بن علي الخرص للزكاة جايز فى النخل وغير جايز فى العنب ودفع حديث عتاب
بن اسيد لانه منقطع ولا يتصل من طريق صحيح قاله ابو محمد عبد الحق التاسعة وصفة الخرص
ان يقدر ما على نخلة رطبا ويقدر ما ينقص لو تتمر ثم يعتد بما يبقى بعد النقص ويضيف بعض
ذلك الى بعض حتى يكمل الحايط وكذلك فى العنب العاشرة ويكفي فى الخرص الواحد كالحاكم
فاذا كان فى التمر زيادة على ما خرص لم يلزم رب الحايط الاخراج عنه لانه حكم قد نفذ قاله

عبد الوهاب وكذلك اذا نقص لم تنقص الزكاة قال الحسن كان المسلمون يخرص عليهم ثم يؤخذ منهم
على ذلك الخرص الحادية عشر فان استكثر رب الحايط الخرص خيره الخارص في ان يعطيه ما خرص
واخذ خرصه ذكره عبد الرزاق انا ابن جريج عن ابي الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول خرص
ابن رواحة اربعين الف وسق وزعم ان اليهود لما خيرهم اخذوا التمر واعطوا عشرين الف وسق
قال ابن جريج قلت لعطا فحق على الخارص اذا استكثر سيد المال الخرص ان يخيره كما خير ابن رواحة
اليهود قال اي لعمري واي سنة خير من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية عشر ولا يكون
الخرص الا بعد الطيب لحديث عايشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث ابن رواحة
الى اليهود فيخرص عليهم النخل حين يطيب اول الثمرة قبل ان يوكل منها ثم يخير يهودا ياخذونها بذلك
الخرص او يدفعونها اليه وانما كان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخرص لكي يحصي الزكاة قبل
ان توكل الثمار وتفرق اخرجه الدارقطني من حديث ابن جريج عن الزهري عن عروة عن عايشة قال
ورواه صالح بن ابي الاخضر عن الزهري عن سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم الثالثة عشر فاذا
خرص الخارص فحكمه ان يسقط من خرصه مقدارا لما رواه ابو داود والترمذي والبستي في صحيحه
عن سهل بن ابي حثمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا خرصتم فخذوا ودعوا الثلث فان
لم تدعوا الثلث فدعوا الربع لفظ الترمذي قال ابو داود الخارص يدع الثلث للخرفة وكذلك
قال يحيى القطان وقال ابو حاتم البستي لهذا الخبر صيغتان احداهما ان يترك الثلث او الربع من العشر
والثاني ان يترك ذلك من نفس التمر قبل ان يعشر اذا كان ذلك حايطا كبيرا يحتمله الخرفة بضم الخا
ما يخترف من النخل حين يدرك ثمره اي يجتنى يقال التمر خرفة الصايم عن الجوهري والهروي والمشهور
من مذهب مالك انه لا يترك شيئا في خرصه من تمر النخل والعنب الا خرصه وقد روى
بعض المدنيين انه يخفف في الخرص للعرايا والصلة ونحوها الرابعة عشر فان لحقت التمرة
جايحة بعد الخرص وقبل الجذاذ سقطت الزكاة عنه باجماع من اهل العلم الا ان يكون فيما بقي
خمسة اوسق فصاعدا الخامسة عشر ولا زكاة في اقل من خمسة اوسق كذا جاء مبينا عن النبي صلى
الله عليه وسلم وهو في الكتاب مجمل قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم
ومما اخرجنا لكم من الارض وقال واتوا حقه يوم حصاده ثم وقع البيان بالعشر ونصف
العشر ثم لما كان المقدار الذي اذا بلغه المال اخذ منه الحق مجملا بينه ايضا فقال ليس فيما
دون خمسة اوسق من تمر او حب صدقة وهو ينفي الصدقة في الخضراوات اذ ليس مما يوسق
فمن حصل له خمسة اوسق من نصيبه من تمر او حب وجبت عليه الزكاة وكذلك من زبيب وهو
المسمى بالنصاب عند العلما ويقال وسق ووسق بكسر الواو وفتحها وهو ستون صاعا والصاع
اربعة امداد والمد رطل وثلث بالبغدادي ومبلغ الخمسة اوسق من الامداد الف مد ومايتا
مد وهو بالوزن الف رطل وستمائة رطل السادسة عشر ومن حصل له من تمر وزبيب معا
خمسة اوسق لم تلزمه الزكاة اجماعا لانهما صنفان مختلفان وكذلك اجمعوا على انه لا يضاف
التمر الى البر ولا البر الى الزبيب ولا الابل الى البقر ولا البقر الى الغنم ويضاف الضان الى المعز
باجماع واختلفوا في ضم البر الى الشعير والسلت وهي السابعة عشر فاجازه مالك في هذه الثلاثة
خاصة فقط لانها في معنى الصنف الواحد لتقاربها في المنفعة واجتماعها في المنبت والمحصد و
افتراقها في الاسم لا يوجب افتراقها في الحكم كالجواميس والبقر والمعز والغنم وقال الشافعي وغيره
لا يجمع بينها لانها اصناف مختلفة وصفاتها متباينة واسماؤها متغايرة وطعمها مختلف

وذكر

وذلك يوجب افتراقها والله اعلم قال مالك والقطاني كلها صنف واحد يضم بعضها الى بعض وقال
الشافعي لا تضم حبة عرفت باسم منفرد دون صاحبتها وهي خلافها مباينة في الخلقة والطعم الى غيرها
ويضم كل صنف بعضه الى بعض رديه الى جيده كالتمر وانواعه والزبيب احمره واسوده والحنطة
وانواعها من السمرا وغيرها وهو قول الثوري وابي حنيفة وصاحبيه ابي يوسف ومحمد وقال الليث
تضم الحبوب كلها القطنية وغيرها بعضها الى بعض في الزكاة وكان احمد بن حنبل يجبن عن ضم
الذهب الى الورق وضم الحبوب بعضها الى بعض ثم كان في اخر مرة يقول فيها بقول الشافعي والله اعلم
الثامنة عشر قال مالك وما استهلكه من ربه بعد بدو صلاحه او بعد ما افرك حسب عليه وما
اعطاه ربه من حصاده وجذاذه ومن الزيتون في التقاطه تحرى ذلك وحسب عليه واكثر الفقها
يخالفونه في ذلك ولا يوجبون الزكاة الا فيما حصل في يده بعد الدرس قال الليث في زكاة الحبوب
يبدا بها قبل النفقة وما اكل من فريك هو واهله فلا يحسب بمنزلة الرطب الذي يترك لاهل
الحايط ياكلونه ولا يخرص عليهم وقال الشافعي يترك الخارص لرب الحايط ما ياكله هو واهله رطبا
لا يخرصه عليهم وما اكله وهو رطب لم يحسب عليه قال ابو عمر احتج الشافعي ومن وافقه بقول
الله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده واستدلوا على انه لا يحتسب بالماكول
قبل الحصاد بهذه الاية واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام اذا خرصتم فدعوا الثلث فان لم
تدعوا الثلث فدعوا الربع وما اكلت الدواب والبقر منه عند الدرس لم يحسب شيء من ذلك
على صاحبه عند مالك ولا غيره التاسعة عشر وما بيع من الفول والحمص والجلبان اخضر تحرى
مقدار ذلك يابسا واخرجت زكاته على ذلك الخرص زبيبا وتمرا وقيل يخرج من ثمنه الموفية عشرون
واما ما لا يتمر من ثمر النخل ولا يتزبب من العنب كعنب مصر ونخيلها وكذلك زيتونها الذي لا يعصر
فقال مالك تخرج زكاته من ثمنه لا يكلف غير ذلك صاحبه ولا يراعى فيه بلوغ ثمنه عشرين
مثقالا او مايتي درهم وانما ينظر الى ما يرى انه يبلغه خمسة اوسق فاكثر وقال الشافعي عشره
او نصف عشره من وسطه تمرا اذا اكله اهله رطبا او اطعموه الحادية والعشرون روى ابو
داود عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سقت السماء والانهار والعيون
او كان بعلا العشر وفيما سقي بالسواني والنضح نصف العشر وكذلك ان كان يشرب سيحا ففيه العشر
وهو الماء الجاري على وجه الارض قاله ابن السكيت ولفظ السيح مذكور في الحديث خرجه
النسائي فان كان يشرب بالسيح لكون الارض لا يملك ماءها وانما يكتريه له فهو كالسماء على المشهور
من المذهب وراى ابو الحسن اللخمي انه كالنضح فلو سقي مرة بماء السماء ومرة بدالية فقال مالك
الى ما تم به الزرع وحيي وكان اكثر فيتعلق الحكم عليه هذه رواية ابن القاسم عنه وروى عنه
ابن وهب اذا سقي نصف سنة بالعيون ثم انقطع فسقي بقية السنة بالناضح فان عليه نصف
زكاته والنصف الاخر نصف العشر وقال مرة زكاته بالذي تمت به حياته وقال الشافعي يزكي
كل واحد منهما بحسابه مثاله ان يشرب شهرين واربعة بالسماء فيكون فيه ثلثا العشر للسماء
وسدس العشر للنضح وهكذا ما زاد ونقص بحسابه وبهذا كان يفتي بكار بن قتيبة وقال
ابو حنيفة وابو يوسف ينظر الى الاغلب فيزكي ولا يلتفت الى ما سوى ذلك وروي عن الشافعي
قال الطحاوي قد اتفق الجميع على انه لو سقاه بماء المطر يوما او يومين انه لا اعتبار به ولا يجعل
لذلك حصة فدل على ان الاعتبار بالاغلب والله اعلم قلت فهذه جملة من احكام هذه
الاية ولعل غيرنا ياتي باكثر من هذا على ما يفتح الله له وقد مضى في البقرة جملة من معنى هذه الاية

والحمد لله الثانية والعشرون واما قوله صلى الله عليه وسلم ليس في حب ولا تمر صدقة فخرجه النسائي
قال حمزة الكناني لم يذكر في هذا الحديث من حب غير اسمعيل بن امية وهو ثقة قرشي من ولد سعيد
بن العاصي قال وهذه السنة لم يروها واحد عن النبي صلى الله عليه وسلم من اصحابه غير ابي سعيد الخدري
قال ابو عمر هو كما قال حمزة وهذه سنة جليلة تلقاها الجميع بالقبول ولم يروها احد عن النبي صلى
الله عليه وسلم من وجه ثابت محفوظ غير ابي سعيد وقد روي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل
ذلك ولكنه غريب وقد وجدناه من حديث ابي هريرة باسناد حسن الثالثة والعشرون قوله تعالى
ولا تسرفوا الاسراف الخطا وقال اعرابي اراد قوم طلبتكم فسرفتكم اي اخطات موضعكم وقال الشاعر
وقال قايلهم والخيل تخبطهم اسرفتم فاجبنا انا سرف والاسراف في النفقة التبذير ومسرف لقب
مسلم بن عقبة المري صاحب وقعة الحرة لانه قد اسرف فيها قال علي بن عبد الله بن العباس
هم منعوا ذماري يوم جاءت كتايب مسرف وبني اللكيعة والمعنى المقصود من الاية لا تاخذوا
الشي بغير حقه وتضعوه في غير مستحقه قاله اصبغ بن الفرج ونحوه قول اياس بن معاوية
ما جاوزت به امر الله فهو سرف واسراف وقال ابن زيد هو خطاب للولاة يقول لا تاخذوا فوق
حقكم وما لا يجب على الناس والمعنيان يحتملهما قوله صلى الله عليه وسلم المعتدي في الصدقة كمانعها
وقال مجاهد لو كان ابو قبيس ذهبا لرجل فانفقه في طاعة الله لم يكن مسرفا وفي هذا المعنى قيل
لحاتم لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير قلت وهذا ضعيف يرده ما روي ابن عباس ان
ثابت بن قيس بن شماس عمد الى خمسماية نخلة فجذها ثم قسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيئا
فنزلت ولا تسرفوا اي لا تعطوا كله وروي عبد الرزاق عن ابن جريج قال جذ معاذ بن جبل
نخله فلم يزل يتصدق حتى لم يبق منه شي فنزل ولا تسرفوا اي لا تعطوا اموالكم فتقعدوا فقرا
وروي عن معاوية بن ابي سفيان انه سيل عن قوله تعالى ولا تسرفوا قال الاسراف ما قصرت
عن حق الله قلت فعلى هذا تكون الصدقة بجميع المال ومنع اخراج حق المساكين داخلين في
حكم السرف والعدل خلاف هذا فيتصدق ويبقي كما قال عليه الصلاة والسلام خير الصدقة ما
كان عن ظهر غنى الا ان يكون قوي النفس غنيا بالله تعالى متوكلا عليه منفردا لا عيال له فله ان يتصدق
بجميع ماله وكذلك يخرج الحق الواجب عليه من زكاة وما يعن في بعض الاحوال من الحقوق المتعينة
في المال وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم الاسراف ما لا يقدر على رده الى الصلاح وقال النضر بن
شميل الاسراف التبذير والافراط والسرف الغفلة والجهل قال جرير اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية
ما في عطايهم من ولا سرف اي اغفال ويقال خطا ورجل سرف الفواد اي مخطي الفواد غافله قال طرفة
ان امرءا سرف الفواد يرى عسلا بماء سحابة شتمي قوله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم
الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضان اثنين
ومن المعز اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبيوني
بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين
ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله
لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او
دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا
عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا

لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد باسه عن القوم المجرمين قوله تعالى
ومن الانعام حمولة وفرشا عطف اي وانشا حمولة وفرشا من الانعام وللعلماء في الانعام ثلاثة
اقوال احدها ان الانعام الابل خاصة وسياتي في النحل بيانه الثاني الانعام للابل وحدها واذا
كان معها بقر او غنم فهي انعام ايضا الثالث وهو اصحها قال احمد بن يحيى الانعام كلما احله الله عز وجل
من الحيوان ويدل على صحة هذا قوله تعالى احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم وقد تقدم والحمولة
ما اطاق الحمل والعمل عن ابن مسعود وغيره ثم قيل يختص بالابل وقيل كلما احتمل عليه الحي من حمار
او بغل او بعير عن ابي زيد سواء كانت عليه الاحمال او لم تكن قال عنترة ما راعني الا حمولة اهلها
وسط الديار تسف حب الخمخم وفعولة بفتح الفاء اذا كان بمعنى الفاعل استوى فيها المذكر والمونث
نحو قولك رجل فروقة وامراة فروقة للجبان والخايف ورجل صرورة وامراة صرورة اذا لم يحجا ولا
جمع له فاذا كانت بمعنى المفعول بها فرق بين المذكر والمونث بالهاء كالحلوبة والركوبة والحمولة
بضم الحاء الاحمال واما الحمول بالضم بلا هاء فهي الابل التي عليها الهوادج كان فيها نساء او لم يكن عن
ابي زيد وفرشا قال الضحاك الحمولة من الابل والبقر والفرش الغنم النحاس واستشهد لصاحب
هذا القول بقوله ثمانية ازواج قال فقوله ثمانية بدل من قوله حمولة وفرشا وقال الحسن الحمولة
الابل والفرش الغنم وقال ابن عباس الحمولة كل ما حمل من الابل والبقر والخيل والبغال والحمير والفرش
الغنم ابن زيد الحمولة ما يركب والفرش ما يوكل لحمه ويحلب مثل الغنم والفصلان والعجاجيل
سميت فرشا للطافة اجسامها وقربها من الفرش وهي الارض المستوية التي يتوطاها الناس قال
الراجز اورثني حمولة وفرشا امشها في كل يوم مشا وقال اخر وحوينا الفرش من انعامكم
والحمولات وربات الحجل قال الاصمعي لم اسمع له بجمع قال ويحتمل ان يكون مصدرا سمي به من قولهم
فرشها الله اي بثها بثا والفرش المفروش من متاع البيت والفرش الزرع اذا فرش والفرش
الفضاء الواسع والفرش في رجل البعير اتساع قليل وهو محمود وافترش الشي انبسط فهو لفظ مشترك
وقد يرجع قوله تعالى وفرشا الى هذا قال النحاس ومن احسن ما قيل فيهما ان الحمولة المسخرة المذللة
للحمل والفرش ما خلقه الله تعالى من الجلود والصوف مما يجلس عليه ويتمهد وباقي الاية قد
تقدم قوله تعالى ثمانية ازواج الى قوله الظالمين فيه ثلاث مسايل الاولى ثمانية ازواج
ثمانية منصوب بفعل مضمر اي وانشا ثمانية ازواج عن الكسائي وقال الاخفش بن سعيد
هو منصوب على البدل من حمولة وفرشا وقال الاخفش علي بن سليمان يكون منصوبا بكلوا اي
كلوا لحم ثمانية ازواج من الضان اثنين ونزلت الاية في مالك بن عوف واصحابه حيث قالوا
ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا فنبه الله تعالى نبيه والمومنين
بهذه الاية على ما احله الله لهم لئلا يكونوا بمنزلة من حرم ما احل الله فالزوج خلاف الفرد
يقال زوج او فرد كما يقال خسا او زكا شفع او وتر فقوله ثمانية ازواج يعني ثمانية افراد
وكل فرد عند كذا يحتاج الى اخر يسمى زوجا فيقال للذكر زوج وللانثى زوج ويقع لفظ
الزوج للواحد وللاثنين يقال هما زوجان وهما زوج كما يقال هما سيان وهما سواء يقال
اشتريت زوجي حمام وانت تعني ذكرا وانثى الثانية قوله تعالى من الضان اثنين اي الذكر
والانثى والضان ذوات الصوف من الغنم وهي جمع ضاين والانثى ضاينة والجمع ضواين وقيل
هو جمع لا واحد له وقيل جمعه ضيين كعبد وعبيد ويقال فيه ضين كما يقال في شعير كسرت الضاد
اتباعا وقرا طلحة بن مصرف من الضان اثنين بفتح الهمزة وهي لغة مسموعة عند البصريين

وهو مطرد عند الكوفيين في كل ما ثانيه حرف حلق وكذلك الفتح والاسكان في المعز وقرا ابان بن
عثمان من الضان اثنان ومن المعز اثنان رفعا بالابتدا وفي حرف ابي ومن المعز وهي قراءة الاكثر
وقرء ابن عامر وابو عمرو بالفتح قال النحاس الاكثر في كلام العرب المعز والضان بالاسكان ويدل على
هذا قولهم في الجمع معيز فهذا جمع معز كما يقال عبد وعبيد قال امرؤ القيس ويمنحها بنو اسحق بن
حرم معيزهم حنانك ذا الحنان ومثله ضان وضنين والمعز من الغنم خلاف الضان وهي ذوات
الاشعار والاذناب القصار وهو اسم جنس وكذلك المعز والمعيز والامعوز والمعزى وواحد المعز
ماعز مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر والانثى ماعزة وهي العنز والجمع مواعز وامعز القوم كثرت
معزاهم والمعاز صاحب معزى قال ابو محمد الفقعسي يصف ابلا بكثرة اللبن ويفضلها على الغنم في
شدة الزمان يكلن كيلا ليس بالمحوق اذ رضي المعاز باللعوق والمعز الصلابة من الارض
والامعز المكان الصلب الكثير الحصا والمعزا ايضا واستمعز الرجل في امره جد قل آلذكرين منصوب
بحرم اما الانثيين عطف عليه وكذا ما اشتملت عليه وددت مع الف الوصل مدة لتفرق بين
الاستفهام والخبر ويجوز حذف الهمزة لان ام تدل على الاستفهام كما قال تروح من الحي ام
تبتكر الثالثة قال العلماء في الاية احتجاج على البحيرة وما ذكر معها وقولهم ما في بطون هذه
الانعام خالصة لذكورنا ودلت على اثبات المناظرة في العلم لان الله تعالى امر نبيه عليه الصلاة
والسلام بان يناظرهم ويبين فساد قولهم وفيها اثبات القول بالنظر والقياس وفيها دليل بان
القياس اذا ورد عليه النص بطل القول به ويروى اذا رد عليه النص لان الله تعالى امرهم
بالمقايسة الصحيحة وامرهم بطرد علتهم والمعنى قل لهم ان كان حرم الذكور فكل ذكر حرام وان كان
حرم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين يعني من الضان والمعز فكل مولود حرام ذكرا كان او انثى وكلها
مولود اذا حرام لوجوب العلة فيها فبين انتقاض علتهم وفساد قولهم فاعلم الله سبحانه ان ما فعلوه
من ذلك افتراء عليه نبئوني بعلم اي ان كان عندكم من اين هذا التحريم الذي فعلتموه ولا علم عندهم
لانهم لا يقرؤن الكتب والقول في ومن الابل اثنين وما بعده كما سبق ام كنتم شهداء اي اهل شاهدتم
الله قد حرم هذا ولما لزمتهم الحجة اخذوا في الافتراء فقالوا كذا امر الله فقال الله تعالى فمن
اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم بين انهم كذبوا اذ قالوا ما لم يدل عليه دليل
قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى قوله رحيم فيه اربع مسائل الاولى قل لا اجد فيما اوحي
الي الاية هذه الاشياء لا ما يحرمونه بشهوتهم والاية مكية ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت محرم
غير هذه الاشياء ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة وزيد في المحرمات كالمنخنقة والموقوذة
والمتردية والنطيحة وغير ذلك وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اكل كل ذي ناب من السباع
وكل ذي مخلب من الطير واختلف العلماء في حكم هذه الاية وتاويلها على اقوال الاول ما اشرنا اليه
من ان هذه مكية وكل محرم حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم او جاء في الكتاب مضموم اليها وهو
زيادة حكم من الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم على هذا اكثر اهل العلم من اهل النظر والفقه
والاثر ونظيره نكاح المراة على عمتها او خالتها مع قوله واحل لكم ما وراء ذلكم وكحكمه باليمين
مع الشاهد مع قوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان وقد تقدم وقد قيل انها منسوخة بقوله
صلى الله عليه وسلم اكل كل ذي ناب من السباع حرام اخرجه مالك وهو حديث صحيح وقيل الاية
محكمة ولا يحرم الا ما فيها وهو قول من يروى عن ابن عباس وابن عمر وعايشة وروي عنهم خلافه
قال مالك لا حرام بين الا ما ذكر في هذه الاية قال ابن خوازمنداد تضمنت هذه الاية تحليل

كل شيء من الحيوان وغيره في الاية من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير ولهذا قلنا ان تحريم السباع
وساير الحيوان ما سوى الانسان والخنزير مباح وقال الكيا الطبري وعليها بنى الشافعي تحليل كل مسكوت عنه
اخذا من هذه الاية الا ما دل عليه الدليل وقيل ان الاية جواب لمن سال عن شيء بعينه فوقع الجواب
مخصوصا وهذا مذهب الشافعي وقد روي الشافعي عن سعيد بن جبير انه قال في هذه الاشياء سالوا
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابهم عن المحرمات من تلك الاشياء وقيل لا اجد فيما اوحي الي
اي في هذه الحال حال الوحي ووقت نزوله ثم لا يمتنع حدوث وحي بعد ذلك حرم اشياء اخر وزعم
ابن العربي ان هذه الاية مدنية مكية في قول الاكثر نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم نزل عليه
اليوم اكملت لكم دينكم ولم ينزل بعدها ناسخ فهي محكمة فلا محرم الا ما فيها واليه اميل قلت وهذا ما
رايته قاله غيره وقد ذكر ابو عمر بن عبد البر الاجماع ان سورة الانعام مكية الا قوله تعالى قل تعالوا
اتل ما حرم الثلاث الايات وقد نزل بعدها قران كثير وسنن جمة فنزل تحريم الخمر بالمدينة قال
اسمعيل بن اسحق وهذا كله امر كان بالمدينة بعد نزول قوله قل لا اجد لان ذلك مكي قلت وهذا
مثار الخلاف بين العلماء فعدل جماعة عن ظاهر الاحاديث الواردة بالنهي عن اكل كل ذي ناب من
السباع لانها متاخرة عنها والحصر فيها ظاهر فالاخذ بها اولى لانها اما ناسخة لما تقدمها او راجحة
على تلك الاحاديث واما القايلون بالتحريم فظهر لهم وثبت عندهم ان سورة الانعام مكية نزلت
قبل الهجرة وان هذه الاية قصد بها الرد على الجاهلية في تحريم البحيرة والسايبة والوصيلة والحام
ثم بعد ذلك حرم امورا كثيرة كالحمر الانسية ولحوم البغال يقال هي محرمة لما ورد من نهيه صلى
الله عليه وسلم عن ذلك وهو الصحيح من قول مالك في الموطاء وقال مرة هي مكروهة وهو ظاهر كلام
المدونة لظاهر الاية ولما روي عن ابن عمر وابن عباس وعايشة من اباحة اكلها وهو قول الاوزاعي
روي البخاري من رواية عمرو بن دينار قال قلت لجابر بن زيد انهم يزعمون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية فقال قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو الغفاري
عندنا بالبصرة ولكن ابى ذلك البحر ابن عباس وقرا قل لا اجد الاية وروي عن ابن عمر انه
سئل عن لحوم السباع فقال لا باس بها فقال حديث ابي ثعلبة الخشني فقال لا ندع كتاب ربنا
بقول اعرابي يبول على ساقيه وسئل الشعبي عن لحم الفيل والاسد فتلى هذه الاية وقال القاسم
كانت عايشة رضي الله عنها تقول لما سمعت الناس تقول حرم كل ذي ناب من السباع ذلك حلال
وتتلوا هذه الاية قل لا اجد ثم قالت ان كانت البرمة ليكون ماؤها اصفر من الدم ثم يراها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلا يحرمها والصحيح في هذا الباب ما بدانا بذكره وان ما ورد من المحرمات بعد
الاية مضموم اليها معطوف عليها وقد اشار القاضي ابو بكر بن العربي الى هذا في قبسه بخلاف ما ذكر
في احكامه قال وروي عن ابن عباس ان هذه الاية من اخر ما نزل فقال البغداديون من اصحابنا
ان كل ما عدا هذا حلال لكنه يكره اكل السباع وعند فقهاء الامصار منهم مالك والشافعي وابو حنيفة
وعبد الملك ان اكل كل ذي ناب من السباع حرام وليس يمتنع ان تقع الزيادة بعد قوله قل لا اجد
فيما اوحي الي محرما بما يرد من الدليل فيها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى
ثلاث فذكر الكفر والقتل ثم قال علماؤنا اسباب القتل عشرة بما ورد من الادلة اذ النبي صلى الله
عليه وسلم انما اخبر عما وصل اليه من العلم من الباري جل وعلا وتقدست اسماؤه وهو يمحو ما يشاء
ويثبت وينسخ ويقدر وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اكل كل ذي ناب من السباع
حرام وروي انه نهى عن اكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وروى مسلم عن معن

مالك النهي عن اكل كل ذي ناب من الطير والاول اصح وتحريم كل ذي ناب من السباع هو صريح المذهب
وبه ترجم مالك في الموطا بان قال تحريم كل ذي ناب من السباع حرام ثم ذكر الحديث وعقبه بعد
ذلك بان قال وهو الامر عندنا فاخبر ان العمل اطرد مع الاثر قال القشيري قال مالك هذه الاية
من اواخر ما نزل لا يمنعنا بان نقول ثبت تحريم هذه الاشياء بعد هذه الايات وقد احل الله تعالى
الطيبات وحرم الله الخبائث ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل كل ذي ناب من السباع وعن
اكل كل ذي مخلب من الطير ونهى عن لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر والذي يدل على صحة هذا التاويل
الاجماع على تحريم القذرة والبول والحشرات المستقذرة والخمر مما ليس مذكورا في هذه الاية التاسع
قوله تعالى محرما قال ابن عطية لفظة التحريم اذا وردت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها
صالحة ان تاتي بالشيء المذكور الى غاية الحظر والمنع وصالحة بحسب اللغة ان تقف دون الغاية في حيز الكراهة
ونحوها فما اقترنت به قرينة التسليم من الصحابة والتابعين واجمع الكل منهم ولم يضطرب فيه
الفاظ الاحاديث وجب بالشرع بان يكون تحريمه قد وصل الغاية من الحظر والمنع ولحق بالخنزير والميتة
والدم وهذه صفة تحريم الخمر وما اقترنت به قرينة اضطراب الفاظ من الاحاديث واختلفت
الامة مع علمهم بالاحاديث كقوله اكل كل ذي ناب من السباع حرام وقد روي نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن اكل كل ذي ناب من السباع ثم اختلفت الصحابة ومن بعدهم في تحريم ذلك فجاز لهذه
الوجوه ان ينظر ان يحمل لفظ التحريم على المنع والذي هو الكراهة ونحوها وما اقترنت به قرينة
التاويل كتحريمه صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الاهلية فتاول بعض الصحابة الحاضرين ذلك لانها
نجس وتاول بعضهم ذلك لئلا تفنى حمولة الناس وتاول بعضهم التحريم المحض وثبت في الامة الاختلاف
في تحريم لحمها فجائز لمن ينظر من العلماء ان يحمل لفظ التحريم بحسب اجتهاده وقياسه على كراهة
او نحوها قلت وهذا عقد حسن في الباب وسبب الخلاف مع ما تقدم وقد قيل ان الحمار لا يوكل
لانه ابدى جوهره الخبيث حيث نزى على ذكره ويلوط فسمي رجسا قال محمد بن سيرين ليس شيء من
الدواب يعمل عمل قوم لوط الا الخنزير والحمار ذكره الترمذي في نوادر الاصول الثالثة روى
عمرو بن دينار عن ابي الشعثا عن ابن عباس قال كانوا في الجاهلية ياكلون اشياء فبعث الله
نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل كتابه واحل حلاله وحرم حرامه فما احل فهو حلال وما حرم فهو
حرام وما سكت عنه فهو عفو وتلا هذه الاية قل لا اجد الاية يعني ما لم يبين تحريمه فهو مباح
بظاهر الاية وروى الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس انه قرا قل لا اجد الاية قال انما حرم
من الميتة اكلها ما يوكل منها وهو اللحم فاما الجلد والعظم والصوف والشعر فحلال وروى ابو داود
عن ملقام بن تلب عن ابيه قال صحبت النبي صلى الله عليه وسلم فلم اسمع لحشرة الارض تحريما الحشرة
صغار دواب الارض كاليرابيع والضباب والقنافذ ونحوها قال الشاعر اكلنا الربى يا ام
عمرو ومن يكن غريبا لديكم ياكل الحشرات اي ما دب ودرج والربا جمع ربيه وهي الفارة قال
الخطابي وليس في قوله لم اسمع لها تحريما دليل على انها مباحة فيجوز ان يكون غيره قد سمعه وقد
اختلف الناس في اليربوع والوبر والجمع وبار ونحوهما من الحشرات فرخص في اليربوع عروة وعطا
والشافعي وابو ثور وقال الشافعي لا باس بالوبر وكرهه ابن سيرين والحكم وحماد واصحاب الراي
وكره اصحاب الراي القنفذ وسيل عنه مالك فقال لا ادري وحكى ابو عمر قال مالك لا باس
باكل القنفذ وكان ابو ثور لا يرى به باسا وحكاه عن الشافعي وسيل ابن عمر عنه فتلى قل لا
اجد الاية قال شيخ عنده سمعت ابا هريرة يقول ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال خبيثة من

الخبائث

الخبائث فقال ابن عمر ان كان هذا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما قال ذكره ابو داود
وقال مالك لا باس باكل الضب واليربوع والورل وجائز عنده اكل الحيات اذا ذكيت وهو قول ابن
ابي ليلى والاوزاعي وكذلك الافاعي والعقارب والفار والعضاية والقنفذ والضفدع وقال ابن
القاسم ولا باس باكل خشاش الارض وعقاربها ودودها في قول مالك لانه قال موته في الماء لا يفسده
وقال مالك لا باس باكل فراخ النحل ودود الجبن والتمر ونحوه والحجة له حديث ملقام بن تلب
وقول ابن عباس وابي الدرداء ما احل الله فهو حلال وما حرم الله فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو وقالت
عائشة في الفار ما هي بحرام وقرات قل لا اجد فيما اوحي الي الى اخر الاية ومن علماء المدينة جماعة لا يجيزون
اكل شيء من ذلك من خشاش الارض وهوامها مثل الحيات والفار والاوزاغ وما اشبهه وكل ما
يجوز قتله فلا يجوز عند هؤلاء ولا تعمل الزكاة عندهم فيه وهو قول ابن شهاب وعروة والشافعي وابي
حنيفة وغيرهم ولا يوكل عند مالك واصحابه شيء من سباع الوحوش كلها الا الرخم والنسور والعقبان
وغيرها مما اكل الجيف منها وما لم ياكل وقال الاوزاعي الطير كلها حلال الا انهم يكرهون الرخم وحجة مالك
قال ولا يوكل الضبع ولا الثعلب ولا باس باكل سباع الطير كلها حلال الا انهم يكرهون الرخم وحجة مالك
انه لم يجد احدا من اهل العلم يكره اكل سباع الطير وانكر الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى
عن اكل كل ذي مخلب من الطير وروي عن اشهب انه قال لا باس باكل الفيل اذا ذكي وهو قول الشعبي
ومنع منه الشافعي وكره النعمان واصحابه اكل الضبع والثعلب ورخص في ذلك الشافعي وروي عن
سعد بن ابي وقاص انه كان ياكل الضباع وحجة مالك عموم النهي عن اكل كل ذي ناب من السباع ولم
يخص سبعا من سبع وليس حديث الضبع الذي خرجه النسائي في اباحة اكلها مما يعارض به حديث
النهي لانه حديث انفرد به عبد الرحمن بن ابي عمار وليس مشهورا بنقل العلم ولا ممن يحتج به اذا خالفه
من هو اثبت منه وقال ابو عمر وقد نهى عن اكل كل ذي ناب من السباع من طرق متواترة وروى ذلك
جماعة من الائمة الثقات الاثبات ومحال ان يعارضوا بمثل حديث ابن ابي عمار قال ابو عمر اجمع
المسلمون على انه لا يجوز اكل القرد لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكله ولا يجوز بيعه لانه لا منفعة
فيه قال وما علمت احدا رخص في اكله الا ما ذكره عبد الرزاق عن معمر عن ايوب سيل مجاهد عن اكل
القرد قال ليس من بهيمة الانعام قلت ذكر ابن المنذر انه قال روينا عن عطا انه سيل عن القرد
تقتل في الحرم فقال يحكم به ذوا عدل قال فعلى مذهب عطا يجوز اكل لحمه لان الجزاء لا يجب على من
قتل غير الصيد وفي بحر المذهب للروياني على مذهب الشافعي وقال الشافعي يجوز بيع القرد لانه
يعلم وينتفع به لحفظ المتاع وحكى الكشعلي عن ابن شريح يجوز بيعه لانه ينتفع به فقيل وما وجه
الانتفاع به قال تفرح الصبيان قال ابو عمر والكلب والفيل وذو الناب كله عندي مثل القرد
والحجة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في قول غيره وقد زعم ناس انه لم يكن في العرب من
ياكل لحم الكلب الا قوم من فقعس وروى ابو داود عن ابن عمر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
اكل الجلالة والبانها في رواية عن الجلالة في الابل ان يركب عليها او يشرب من البانها قال الحليمي
ابو عبد الله فاما الجلالة فهي التي تاكل العذرة من الدواب والدجاج المخلاة ونهى النبي صلى الله عليه
وسلم عن لحومها وقال العلماء كلما ظهر منها ريح العذرة في لحمه او طعمه فهو حرام وما لم يظهر فهو
حلال وقال الخطابي هذا نهي تنزه وتنظف وذلك انها اذا اغتذت الجلة وهي العذرة وجد نتن
رايحتها في لحومها وهذا اذا كان غالب علفها منها فاما اذا رعت الكلا واعتلفت الحب وكانت تنال
مع ذلك شيئا من الجلة فليست بجلالة وانما هي كالدجاج المخلاة ونحوها من الحيوان الذي ربما

نال الشيء منها وغالب غذائه وعلفه من غيره فلا يكره اكلها وقال اصحاب الراي والشافعي واحمد لا توكل
حتى تحبس اياما وتعلف علفا غيرها فاذا طاب لحمها اكلت وقد روي في حديث ان البقر تعلف اربعين
يوما ثم يوكل لحمها وقال ابن عمر يحبس ثلاثا ثم تذبح وقال اسحق لا باس باكلها بعد ان يغسل لحمها
غسلا جيدا وكان الحسن لا يرى باسا باكل لحوم الجلالة وكذلك مالك بن انس ومن هذا الباب
ان يلقى في الارض العذرة روي عن بعضهم قال كنا نكري ارض رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشترط
على من يكريها ان يلقى فيها العذرة وعن ابن عمر انه كان يكري ارضه ويشترط ان لا يدمن العذرة
وروي ان رجلا كان يزرع ارضه بالعذرة فقال له عمر انت الذي تطعم الناس ما يخرج منهم واختلفوا
في اكل الخيل فاباحها الشافعي وهو الصحيح وكرهه مالك واما البغل فهو متولد بين الحمار والفرس واحد
ماكول ومكروه وهو الفرس والاخر محرم وهو الحمار فغلب جانب التحريم لان التحريم والتحليل اذا
اجتمعا في عين واحدة غلب حكم التحريم وسياتي بيان هذه المسئلة في النحل ان شاء الله باوعب
من هذا وسياتي حكم الجراد في الاعراف والجمهور من الخلف والسلف على جواز اكل الارنب وقد حكي
عن عبد الله بن عمرو بن العاص تحريمه وعن ابن ابي ليلى كراهته قال عبد الله بن عمرو جيء بها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا جالس فلم ياكلها ولم ينه عن اكلها وزعم انها تحيض ذكره ابو
داود وروي النسائي مرسلا عن موسى بن طلحة قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم بارنب قد شواها
رجل وقال يا رسول الله اني رايت بها دما فتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ياكلها وقال
لمن عنده كلوا فاني لو اشتهيتها اكلتها قلت وليس في هذا ما يدل على تحريمه وانما هو نحو
قوله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن بارض قومي فاجدني اعافه وقد روى مسلم في صحيحه عن انس
بن مالك قال مررنا بمر الظهران فاستنفجنا ارنبا فسعوا عليه فلغبوا قال فسعيت حتى ادركتها
فاتيت بها ابا طلحة فذبحها فبعث بوركها وفخذيها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله
الرابعة قوله تعالى طاعم يطعمه اي اكل ياكله وروي عن ابن عامر انه قرء اوحى بفتح الهمزة وقرا
علي ابن ابي طالب يطعمه مثقل الطاء واراد يتطعمه فادغم التاء وقرات عائشة ومحمد بن
الحنفية على طاعم طعمه بفعل ماضي الا ان يكون ميتة قرئ بالياء والتاء الا ان تكون العين
او الجثة او النفس ميتة وقرئ يكون بالياء بالرفع بمعنى تقع وتحدث ميتة والمسفوح الجاري
الذي يسيل وهو المحرم وغيره معفو عنه وحكى الماوردي ان الدم غير المسفوح انه اذا كان ذا
عروق يجمد عليها كالكبد والطحال فهو حلال لقوله صلى الله عليه وسلم احل لنا ميتتان ودمان
وان كان غير ذي عروق يجمد عليها وانما هو مع اللحم ففي تحريمه قولان لانه من جملة المسفوح او
بعضه وانما ذكر المسفوح لاستثناء الكبد والطحال منه والثاني انه لا يحرم لتخصيص التحريم
بالمسفوح قلت وهو الصحيح قال عمران بن جدير سالت ابا مجلز عما يتلطخ من اللحم بالدم وعن
القدر يعلوها الحمرة من الدم فقال لا باس به انما حرم الله المسفوح وقالت نحوه عائشة وغيرها
وعليه اجماع العلماء وقال عكرمة لولا هذه الاية لاتبع المسلمون من العروق ما اتبع اليهود وقال
ابراهيم النخعي لا باس بالدم في عرق او مخ وقد تقدم هذا وحكم المضطر في البقرة قوله تعالى وعلى
الذين هادوا الاية فيه ست مسائل الاولى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر لما ذكر سبحانه
ما حرم على امة محمد صلى الله عليه وسلم عقب ذلك بذكر ما حرم على اليهود لما في ذلك في تكذيبهم في قولهم
ان الله لم يحرم علينا شيئا وانما حرمنا على انفسنا ما حرم اسرائيل على نفسه وقد تقدم في البقرة
معنى هادوا وهذا التحريم على الذين هادوا انما هو تكليف بلوى وعقوبة فاول ما ذكر من المحرمات

عليهم

عليهم كل ذي ظفر وقرا الحسن ظفر باسكان الفاء وكسر الظاء وانكر ابو حاتم كسر الظاء واسكان الفاء ولم يذكر
هذه القراءة والجمع اظفار واظفر واظافير قاله الجوهري زاد النحاس عن الفراء اظافر واظافرة مثل
ضارب وضوارب قال ابن السكيت يقال رجل اظفر بين الظفر اذا كان طويل الاظفار كما يقال رجل
اشعر للطويل الشعر قال مجاهد وقتادة ذي ظفر ما ليس بمنفوخ الاصابع من البهايم والطير مثل الابل
والنعام والاوز والبط وقال ابن زيد الابل فقط ابن عباس ذو الظفر البعير والنعامة لان النعامة
ذات ظفر كالابل وقيل يعني كل ذي مخلب من الطير وذي حافر من الدواب ويسمى الحافر ظفرا استعارة
وقال الترمذي الحكيم الحافر ظفر والمخلب ظفر الا ان هذا على قدره وذاك على قدره وليس ههنا استعا
الا ترى كلاهما يقص ويؤخذ منهما وكلاهما جنس واحد عظم لين رخو اصله من غذا ينبت فيقص مثل ظفر الانسان
وانما سمي حافرا لانه يحفر الارض بوقع الحافر عليها وسمي مخلبا لانه يخلب الطير برؤس تلك الابر منها
وسمي ظفرا لانه ياخذ الانسان بظفره اي يظفر به الادمي والطير الثانية قوله تعالى ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما قال قتادة يعني الثروب وشحم الكليتين وقاله السدي والثرب جمع الثروب
وهو الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش ابن جريج حرم عليهم كل شحم غير مختلط بعظم او على عظم
واحل لهم شحم الجنب والالية لانه على العصعص الثالثة قوله تعالى الا ما حملت ظهورهما ما في
موضع نصب على الاستثناء ظهورهما رفع بحملت والحوايا في موضع رفع عطف على الظهور اي وحملت
حواياهما والالف واللام بدل من الاضافة وعلى هذا يكون جملة يا من جملة ما احل وما اختلط
بعظم ما في موضع نصب عطف على ما حملت ايضا هذا اصح ما قيل فيه وهو قول الكسائي والفرا
واحمد بن يحيى والنظر يوجب ان يعطف الشيء على ما يليه الا ان لا يصح معناه او يدل دليل على غير
ذلك وقيل ان الاستثناء في التحليل هذا بما حملت الظهور خاصة وقوله او الحوايا او ما اختلط
بعظم معطوف على المحرم والمعنى حرمت عليهم شحومهما او الحوايا او ما اختلط الا ما حملت الظهور
فانه غير محرم وقد احتج الشافعي بهذه الاية في ان من حلف لا ياكل الشحم حنث باكل شحم
الظهر لاستثناء الله تعالى اياه من جملة الشحم الرابعة قوله او الحوايا المباعر عن ابن عباس
وغيره وهو جمع مبعر سمي بذلك لاجتماع البعر فيه وهو الزبل وواحد الحوايا حاوياء مثل قاصعاء وقواصع وقيل
حاوية مثل ضاربة وضوارب وقيل حوية كسفينة وسفاين ابو عبيدة الحوايا ما تحوي من البطن
اي استدار وهي محوية اي مستديرة وقيل الحوايا خزائن اللبن وتتصل بالمباعر وهي المصارين
وقيل الحوايا الامعاء التي عليها الشحوم والحوايا في غير هذا الموضع كسا يحوى حول سنام البعير
وقال امرؤ القيس حملن حوايا واقتعدن قواعدا   وحففن من حول العراق المنمق   فاخبر
سبحانه بكتب تحريم هذا عليهم في التوراة ردا لكذبهم ونصه فيها حرمت عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وكل دابة ليست مشقوقة الحافر وكل حوت ليس فيه سفاسف اي بياض ثم نسخ الله
ذلك كله بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم واباح لهم ما كان محرما عليهم من الحيوان وازال
الحرج بمحمد صلى الله عليه وسلم والزم الخليقة دين الاسلام بحله وامره ونهيه فلو ذبحوا انعامهم
وهي الخامسة فاكلوا ما احل الله لهم في التوراة وتركوا ما حرم عليهم فهل يحل لنا قال مالك في
كتاب محمد وقال في سماع المبسوط هي محللة وبه قال ابن نافع وقال ابن القاسم اكرهه ووجه
الاول انهم يدينون بتحريمها ولا يقصدونها عند الذكاة فكانت محرمة كالدم ووجه الثاني
وهو الصحيح ان الله رفع ذلك التحريم بالاسلام واعتقادهم لا يؤثر لانه اعتقاد فاسد قاله ابن
العربي قلت ويدل على صحته ما رواه الصحيحان عن عبد الله بن مغفل قال كنا محاصرين

تصرخيبر ورمى انسان بجراب فيه شحوم فدنوت لآخذه فالتفت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فاستحييت
منه لفظ البخاري ولفظ مسلم قال عبد الله بن معقل اصبت جرابا من شحم يوم خيبر فالتزمته فقلت
لا اعطي اليوم احدا من هذا شيئا قال فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متبسما قال علماؤنا
تبسمه صلى الله عليه وسلم انما كان لما راى من شدة حرص ابن مغفل على اخذ الجراب ومن ظنته به
به ولم يامره بطرحه ولا نهاه وعلى جواز الاكل مذهب ابي حنيفة والشافعي وعامة العلماء غير
ان مالكا كرهه للخلاف فيه وحكى ابن المنذر عن مالك تحريمها واليه ذهب اكثر اصحاب مالك
وتمسكهم ما تقدم والحديث حجة عليهم فلو ذبحوا كل ظفر فقال اصبغ ما كان محرما في كتاب الله
من ذبايحهم فلا يحل اكله لانهم يدينون بتحريمها وقال اشهب وابن القاسم واجازه ابن وهب
ابن حبيب ما كان محرما عليهم وعلمنا ذلك من كتابنا فلا يحل لنا من ذبايحهم وما لم نعلم بتحريمه
الا من اقوالهم واجتهادهم فهو غير محرم علينا من ذبايحهم انتهى السادسة قوله ذلك اي ذلك
التحريم فذلك في موضع رفع اي الامر ذلك جزيناهم ببغيهم اي بظلمهم عقوبة لهم بقتلهم الانبيا
وبصدهم عن سبيل الله واخذهم الربا واستحلالهم اموال الناس بالباطل وفي هذا دليل على ان التحريم
انما يكون بذنب لانه ضيق فلا يعدل عن السعة فلا يعدل اليه الا عند عدم المواخذة وانا لصادقون
في اخبارنا عن هؤلاء اليهود عما حرمنا عليهم من الشحوم واللحوم قوله تعالى فان كذبوك شرط والجواب
فقل ربكم ذو رحمة واسعة اي من سعة رحمته حلم عنكم فلم يعاقبكم في الدنيا ثم اخبر بما اعد لهم من
العذاب في الاخرة فقال ولا يرد باسه عن القوم المجرمين اذا اراد حلوله في الدنيا قوله تعالى
سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من
قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا
تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون
ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا والذين
لا يؤمنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا
وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف
نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم
تذكرون وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم
وصاكم به لعلكم تتقون قوله سيقول الذين اشركوا قال مجاهد يعني كفار قريش لو شاء الله
ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء يريد البحيرة والسايبة اخبر سبحانه بالغيب بما سيقولون
وظنوا ان هذا متمسك لما لزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ما كانوا عليه والمعنى لو شاء الله لارسل الى ابائنا
رسولا فنهاهم عن الشرك وعن تحريم ما احل فينتهوا فاتبعناهم على ذلك فرد الله عليهم ذلك فقال
هل عندكم من علم فتخرجوه لنا اي عندكم دليل على ان هذا كذا ان تتبعون الا الظن في هذا القول وان
انتم الا تخرصون لتوهموا ضعفتكم ان لكم حجة ولا اباؤنا عطف على النون في اشركنا ولم يقل نحن ولا اباؤنا
لان قوله ولا قام مقام توكيد المضمر ولهذا حسن ان يقال ما قمت ولا زيد قوله تعالى قل فلله الحجة
الحجة البالغة التي تقطع عذر المحجوج وتزيل الشك عن نظر فيها فحجته البالغة تبيينه انه الواحد
وارساله الرسل والانبيا بينوا التوحيد بالنظر في المخلوقات وايد الرسل بالمعجزات ولزم امر كل مكلف

فاما علمه وارادته وكلامه فغيب لا يطلع عليه العبد الا من ارتضى من رسول ويكفي في التكليف ان يكون
العبد بحيث لو اراد ان يفعل ما امر به امكنه وقد لبست المعتزلة بقوله لو شاء الله ما اشركنا فقالوا
قد ذم الله هؤلاء الذين جعلوا شركهم عن مشيئته وتعلقهم بذلك باطل لان الله سبحانه انما ذمهم
على ترك اجتهادهم في طلب الحق وانما قالوا ذلك على جهة الهزو واللعب نظيره وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم ولو قالوا على جهة التعظيم والاجلال والمعرفة لما عاتبهم لان الله تعالى يقول ولو شاء الله
ما اشركوا وما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولو شاء لهداكم اجمعين ومثله كثير والمؤمنون يقولونه
بعلم منهم بالله تعالى قل هلم شهداءكم اي قل لهؤلاء المشركين احضروا شهداءكم على ان الله حرم ما
حرمتم وهلم كلمة دعوة الى شيء ويستوي فيه الواحد والجماعة والذكر والانثى عند اهل الحجاز الا
في لغة نجد فانهم يقولون هلما هلموا هلمي ياتون بالعلامة كما يكون في ساير الافعال وعلى لغة اهل
الحجاز جاء القران قال الله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا يقول هلم اي احضروا ادن وهلم
الطعام اي هات الطعام والمعنى ههنا هاتوا شهداءكم وفتحت الميم لالتقاء الساكنين كما يقول ردنا
هذا فلا يجوز ضمها ولا كسرها والاصل عند الخليل ها ضمت اليها لم ثم حذفت الالف لكثرة الاستعمال
وقال الخليل هل زيدت عليها لم وقيل على لفظها تدل على معنى هات وفي كتاب العين للخليل اصلها
هل ام اي هل قصدك ثم كثر استعمالهم اياها حتى صار المستاقل يقول لما المتعالي قوله تعالى قل
تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله تتقون فيه اربع مسائل الاولى قوله قل تعالوا اي تقدموا
واقربوا واحضروا يقينا كما اوحى الى ربي لا ظنا ولا كذبا كما زعمتم ثم بين ذلك فقال الا تشركوا به شيئا
يقال للرجل تعال اي تقدم وللمراة تعالي وللاثنين والاثنتين تعاليا ولجماعة الرجال تعالوا
ولجماعة النساء تعالين قال الله تعالى فتعالين امتعكن وجعلوا التقدم ضربا من التعالي
والارتفاع لان المامور بالتقدم في اصل وضع هذا الفعل كانه قاعد فقيل له تعال اي ارتفع
شخصك بالقيام وتقدم واتسعوا فيه فجعلوه للواقف والماشي قاله ابن الشجري الثانية ما حرم
الوجه فيما حرم ان تكون خبرية في موضع نصب باتلوا والمعنى تعالوا اتل الذي حرمه ربكم عليكم
فان علقت عليكم بحرم فهو الوجه لانه الاقرب وهو اختيار البصريين وان علقته باتل فجيد لانه
الاسبق وهو اختيار الكوفيين فالتقدير في هذا القول اتل عليكم الذي حرم ربكم الا تشركوا في موضع نصب
بتقدير فعل من لفظ الاول اي اتل عليكم تحريم الاشراك ويحتمل ان يكون منصوبا بما في عليكم من الاغراء
ويكون المعنى منقطعة مما قبلها اي عليكم ترك الاشراك وعليكم احسانا بالوالدين وان لا تقتلوا اولادكم
وان لا تقربوا الفواحش كما تقول عليك شانك اي الزم شانك وكما تقول عليكم انفسكم قاله محيسن
بن الشجري النحاس يجوز ان يكون في موضع نصب بدلا من ما اي اتل عليكم تحريم الاشراك واختار الفرا
ان تكون لا للنهي لان بعده ولا الثالثة هذه الاية امر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
بان يدعو جميع الخلق الى سماع تلاوة وحي الله وهكذا يجب على من بعده من العلماء ان يبلغوا الناس
ويبينوا لهم ما حرم عليهم مما حل قال الله تعالى لتبيننه للناس ولا تكتمونه وذكر ابن المبارك
اخبرنا عيسى بن عمرو بن مرة انه حدثهم قال قال ربيع بن خيثم لجليس له ايسرك ان تؤتى
بصحيفة من النبي صلى الله عليه وسلم لم يفك خاتمها قال نعم قال فاقرأ قل تعالوا اتل ما
حرم ربكم عليكم الاية وقال ابن عباس هذه الايات محكمات التي ذكرها الله في سورة ال عمران
جمعت شرايع الامم ولم تنسخ قط في ملة وقد قيل انها العشر كلمات المنزلة على موسى الرابعة
وبالوالدين احسانا الاحسان الى الوالدين برهما وحفظهما وصيانتهما وامتثال امرهما وازالة

الرق عنهما وترك السلطنة عليهما واحسانا نصب على المصدر وناصبه فعل مضمر من لفظه تقديره
واحسنوا بالوالدين احسانا الخامسة ولا تقتلوا اولادكم من املاق الاملاق الفقر اي لا تودوا
من الموؤدة فتيانكم خشية العيلة فاني رازقكم واياهم وقد كان منهم من يفعل ذلك بالاناث
والذكور خشية الفقر كما هو ظاهر الاية املق اي افتقر واملقه اي افقره فهو لازم ومتعد وحكى
النقاش عن مورج انه قال الاملاق الجوع بلغة لخم وذكر منذر بن سعيد ان الاملاق الانفاق
يقال املق ماله بمعنى انفقه وذكر ان عليا قال لامراة املقي من مالك ما شئت ورجل ملق
يعطي من لسانه ما ليس في قلبه والملق لفظ مشترك بيانه في موضعه السادسة وقد يستدل
بهذا من يمنع العزل لان الواد دفع الوجود والنسل والعزل منع اصل النسل فتشابها الا ان
قتل النفس اعظم قدرا واقبح فعلا ولذلك قال بعض علمائنا انه يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم
في العزل ذلك الواد الخفي الكراهة لا التحريم وقال به جماعة من الصحابة والتابعين والفقهاء لقوله
صلى الله عليه وسلم لا عليكم ان تفعلوا فانما هو القدر اي ليس عليكم جناح في ان لا تفعلوا وقد فهم منه
الحسن ومحمد بن المثنى النهي والزجر عن العزل والتاويل الاول اولى لقوله صلى الله عليه وسلم واذا
اراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء قال مالك والشافعي لا يجوز العزل عن الحرة الا باذنها وكانهم
راوا الانزال من تمام لذتها ومن حقها في الولد ولم يروا ذلك في الموطوة بملك اليمين اذ له ان يعزل
عنها بغير اذنها اذ لا حق لها في شيء مما ذكر السابعة ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن
نظيره وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما ظهر نهي عن جميع انواع الفواحش وهي المعاصي وما بطن ما
عقد عليه القلب من المخالفة وظهر وبطن حالتان يستوفيان اقسام ما جعلت له من الاشياء وما
ظهر نصب على البدل من الفواحش وما بطن عطف عليه الثامنة ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
الا بالحق الالف واللام في النفس لتعريف الجنس كقولهم اهلك الناس الدرهم والدينار ولقوله
ان الانسان خلق هلوعا الا ترى انه قال الا المصلين وكذلك قوله والعصر ان الانسان لفي خسر
الا الذين امنوا التاسعة وهذه الاية نهي عن قتل النفس المحرمة مؤمنة كانت او معاهدة
الا بالحق الذي يوجب قتلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم ماله ونفسه الا بحقه وحسابهم على الله وهذا الحق امور
منها منع الزكاة وترك الصلاة وقد قاتل الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة وفي التنزيل
فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وهذا بين وقال صلى الله عليه وسلم
لا يحل دم امرء مسلم الا باحدى ثلاث رجل زنا بعد احصانه فعليه الرجم او قتل عمدا فعليه
القود او ارتد بعد اسلامه فعليه القتل فوالله ما زنيت في جاهلية ولا اسلام ولا قتلت نفسا
فاقيد نفسي به ولا ارتددت منذ اسلمت اذ اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ذلكم
الذي ذكرت وصاكم به لعلكم تعقلون العاشرة ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن اي بما
فيه صلاحه وتثميره وذلك بحفظ اصوله وتثمير فروعه وهذا احسن الاقوال في هذا فانه
جامع ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن التجارة فيه ولا تشتر منه ولا يستقرض الحادية عشر
قوله تعالى حتى يبلغ اشده يعني قوته وقد يكون في البدن وقد يكون في المعرفة بالتجربة ولا بد من
حصول الوجهين فان الاشد هنا وقعت مطلقة وقد جاء بيان اليتيم في سورة النساء مفسرة
فقال وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا فجمع بين قوة البدن وهو
بلوغ النكاح وبين قوة المعرفة بايناس الرشد فلو مكن اليتيم من ماله قبل حصول المعرفة

وبعد حصول القوة لاذهبه في شهواته وبقي صعلوكا لا مال له وخص اليتيم بهذا الشرط لغفلة الناس
عنه وافتقاد الاباء لابنائهم فكان الاهتمام بفقير الاب اولى وليس بلوغ الاشد مما يبيح قرب ماله
بغير الاحسن لان الحرمة في حق البالغ ثابتة وخص اليتيم بالذكر لانه خصه الله والمعنى ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى الابد حتى يبلغ اشده وفي الكلام حذف فاذا بلغ اشده واونس منه
الرشد فادفعوا اليه ماله واختلف العلماء في اشد اليتيم فقال ابن زيد بلوغه اهل المدينة بلوغه
وايناس رشده وعند ابي حنيفة خمس وعشرون سنة قال ابن العربي وعجبا من ابي حنيفة فانه
يرى المقدرات لا تثبت قياسا ولا نظرا وانما تثبت نقلا وهو يثبتها بالاحاديث الضعيفة ولكنه سكن
دار الضرب وكثر عنده المدلس ولو سكن المعدن كما قيض الله لمالك لما صدر عنه الا ابريز الدين
وقد قيل ان انتهاء الكهولة فيها مجتمع الاشد كما قال سحيم بن وثيل اخو خمسين مجتمع اشدي ويحذيني
مداورة الشؤون يروى يحذيني بالذال والدال والاشد واحد لا جمع له بمنزلة الانك وهو الرصاص
وقيل واحده شد كفلس وافلس واصله من شد النهار اذا ارتفع يقال اتيته شد النهار ومد النهار
وكان محمد بن محمد الضبي ينشد لعنترة عهدي بها شد النهار كانما خضب البنان وراسه
بالعظلم اخر نظيف به شد النهار ظعينة طويلة انقاء اليدين سحوق وكان سيبويه يقول
واحده شدة قال الجوهري وهو حسن في المعنى لانه يقال بلغ الغلام شدته ولكن لا يجمع فعله
على افعل وما انعم فانما هي جمع نعمة من قولهم يوم بؤس ويوم نعم واما قول من قال واحده شد
مثل كلب واكلب وشد مثل ذيب واذوب فانما هو قياس كما يقولون في واحد الابابيل ابول قياس
على عجول وليس هو شيء سمع من العرب ابو زيد اصابتني شدي على فعلى اي شدة واشد الرجل
اذا كان معه شديدة الثانية عشر قوله تعالى واوفوا الكيل والميزان بالقسط اي بالاعتدال
في الاخذ والعطا عند البيع والشرا والقسط العدل لا نكلف نفسا الا وسعها اي طاقتها في ايفا
الكيل والوزن وهذا يقتضي ان هذه الاوامر انما هي فيما يقع تحت قدرة البشر من التحفظ والتحرز
وما لا يمكن الاحتراز منه من تفاوت ما بين الكيلين ولا يدخل تحت قدرة البشر فمعفو عنه
وقيل الكيل بمعنى المكيال ويقال هذا كذا وكذا كيلا ولهذا عطف عليه بالميزان ولهذا قال بعض
علمائنا لما علم الله سبحانه من عباده ان كثيرا منهم تضيق نفسه عن ان تطيب للغير بما يجب عليها
له امر المعطي بايفاء رب الحق حقه الذي هو له ولم يكلفه الزيادة لما في الزيادة عليه من ضيق
نفسه بها وامر صاحب الحق باخذ حقه ولم يكلفه الرضا باقل منه لما في النقصان من ضيق نفسه
وفي موطا مالك عن يحيي بن سعيد انه بلغه عن عبد الله بن عباس انه ما ظهر الغلول في قوم
قط الا القي في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنا في قوم قط الا كثر فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال
والميزان الا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير الحق الا فشا فيهم الدم ولا ختر قوم بالعهد الا
سلط عليهم العدو وقال ابن عباس ايضا انكم معشر الاعاجم قد وليتم امرين بها هلك من كان قبلكم
الثالثة عشر واذا قلتم فاعدلوا يتضمن الاحكام والشهادات ولو كان ذا قربى ولو كان الحق
على قرابتكم كما تقدم في النساء وبعهد الله اوفوا عام في جميع ما عهده الله الى عباده ويحتمل ان
يراد به جميع ما انعقد بين انسانين واضيف ذلك العهد الى الله من حيث انه امر بحفظه
والوفاء به لعلكم تذكرون تتعظون الرابعة عشر قوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه هذه الاية العظيمة عطف بها على ما تقدم فانه لما امر ونهى حذر هنا عن اتباع غير
سبيله فامر فيها باتباع طريقه على ما بينته بالاحاديث الصحيحة واقاويل السلف فان في

موضع نصب اي قايلوا ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه عن الفراء والكسائي قال الفرا يجوز ان يكون خفضا
اي وصيكم به وبان هذا صراطي وتقديرها عند الخليل وسيبويه ولان هذا صراطي كما قال وان
المساجد لله وقرا الاعمش وحمزة والكسائي وان بكسر الهمزة على الاستيناف اي الذي ذكر في هذه
الايات صراطي مستقيما وقرا ابن ابي اسحاق ويعقوب وان هذا بالتخفيف والمخففة مثل المشددة
الا ان فيه ضمير القصة والشان اي وانه هذا فهي في موضع رفع ويجوز النصب ويجوز ان تكون زائدة
للتوكيد كما قال عز وجل فلما ان جاء البشير والصراط الطريق الذي هو دين الاسلام مستقيما نصب
على الحال مستويا قويما لا اعوجاج فيه يامر باتباع طريقه الذي طرقه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
وشرعه ونهايته الجنة وتشعبت منه طرق فمن سلك الجادة نجا ومن خرج الى تلك الطرق افضت
به الى النار قال الله تعالى ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله اي تميل روى الدارمي ابو محمد
في مسنده باسناد صحيح انا عثمان ثنا حماد بن زيد ثنا عاصم بن بهدلة عن ابي وائل عن عبد الله بن
مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا
عن يمينه وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها ثم قرا هذه الاية
واخرجه ابن ماجة في سننه عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطا
وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن شماله ثم وضع يده في الخط الاوسط فقال هذا سبيل
الله ثم تلا هذه الاية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
وهذه السبل تعم اليهودية والمجوسية والنصرانية وساير اهل الملل واهل البدع واهل الضلالات
من اهل الاهواء والشذوذ في الفروع وغير ذلك من اهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام هذه
كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد قاله ابن عطية قلت وهو الصحيح ذكره الطبري في كتاب
اداب النفوس ثنا محمد بن عبد الاعلى الصنعاني قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابان ان رجلا
قال لابن مسعود ما الصراط المستقيم فقال خط لنا محمد صلى الله عليه وسلم خطا وقال هذا الصراط
المستقيم وعن يمينه جواد وعن يساره جواد وثم رجال يدعون من دنهم فمن اخذ في تلك الجواد
انتهت به الى النار ومن اخذ على الصراط انتهى به الى الجنة ثم قرا ابن مسعود وان هذا
صراطي مستقيما وقال ابن مسعود تعلموا العلم قبل ان يقبض وقبضه ان يذهب اهله الا
واياكم والتنطع والتعمق والبدع وعليكم بالعتيق اخرجه الدارمي وقال مجاهد في قوله ولا تتبعوا
السبل قال البدع ابن شهاب وهذا كقوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم الاية فالهرب الهرب
والنجا النجا والتمسك بالطريق المستقيم والسنن القويم الذي سلكه السلف الصالح وفيه المتجر
الرابح روى الائمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرتكم بامر فخذوه وما نهيتكم
عنه فانتهوا وروى ابن ماجة وغيره عن العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا يا رسول الله ان هذه لموعظة
مودع فما تعهد الينا فقال قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك ومن
يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من
بعدي عضوا عليها بالنواجذ واياكم والامور المحدثات فان كل بدعة ضلالة وعليكم بالطاعة وان
كان عبدا حبشيا فانما المؤمن كالجمل الانف اذا ما قيد انقاد اخرجه الترمذي بمعناه وصححه
وروى ابو داود قال ابن كثير انا سفيان قال كتب عمر بن عبد العزيز الى رجل يساله على القدر
اما بعد اوصيك بتقوى الله والاقتصاد في امره واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وترك

ما احدث المحدثون بعده اجرت سنته وكفوا مؤنته وعليك بلزوم الجماعة فانها باذن الله لك
عصمة ثم اعلم انه لم يبتدع الناس بدعة الا قد مضى قبلها ما هو دليل او عبرة فيها فان السنة انما
سنها من قد علم ما في خلافها من الخطا والزلل والحمق والتعمق فارض لنفسك ما رضي به القوم لانفسهم
فانهم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا وانهم على كشف الامور كانوا اقوى وبفضل ما كانوا فيه اولى
فان كان الهدى ما انتم عليه لقد سبقتموهم اليه ولئن قلتم انما حدث بعدهم ما احدثه الا من اتبع
غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم فانهم والله هم السابقون وقد تكلموا فيه بما يكفي ووصفوا منه ما يشفي
فما دونهم من مقصر وما فوقهم من محسر قد قصر قوم دونهم فجفوا وطمح اقوام دونهم فغلوا وانهم
بين ذلك هدى مستقيم وذكر الحديث وقال سهل بن عبد الله التستري عليكم بالاقتداء بالاثر
والسنة فاني اخاف انه سياتي عن قليل زمان اذا ذكر انسان النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء
به في جميع احواله ذموه ونفروا عنه وتبرؤوا منه واذلوه واهانوه قال سهل انما ظهرت البدعة
على يدي اهل السنة لانهم ظاهروهم وناولوهم وظهرت اقاويلهم وفشت في العامة فسمعه من لم يكن
يسمعه ولو تركوهم ولم يكلموهم لمات كل واحد على ما في صدره ولم يظهر منه شيء وحمله معه الى
قبره قال سهل لا يحدث احدكم بدعة حتى يحدث له ابليس عبادة فيتعبد بها ثم يحدث له
بدعة فاذا نطق بالبدعة ودعا الناس اليها نزع منه تلك الخدمة قال سهل لا اعلم حديثا جاء
في المبتدعة اشد من هذا الحديث حجب الله الجنة عن صاحب بدعة قال فاليهود والنصارى
ارجى منهم قال سهل من اراد ان يكرم دينه فلا يدخل على السلطان ولا يخلون بالنسوان ولا يخاصمن
اهل الاهواء وقال ايضا اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم في مسند الدارمي ان ابا موسى الاشعري
جاء الى عبد الله بن مسعود فقال يا ابا عبد الرحمن اني رايت في المسجد حلقا حلقا ينتظرون
الصلاة في كل حلقة رجل وفي ايديهم حصا فيقول كبروا مائة فيكبرون مائة فيقول هللوا
مائة فيهللون مائة ويقول سبحوا مائة فيسبحون مائة قال فماذا قلت لهم قال ما قلت
لهم شيئا انتظار رايك وانتظار امرك قال افلا امرتهم ان يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم
ان لا يضيع من حسناتهم ثم مضى ومضينا معه حتى اتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليها
فقال ما هذا الذي تصنعون قالوا يا ابا عبد الرحمن حصا نعد به التكبير والتهليل والتسبيح قال
فعدوا سيئاتكم وانا ضامن ان لا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا امة محمد ما اسرع هلكتكم
او مفتتحي باب ضلالة قالوا والله يا ابا عبد الرحمن ما اردنا الا الخير فقال وكم من مريد
للخير لن يصيبه وعن عمر بن عبد العزيز وساله رجل عن شيء من اهل الاهواء والبدع فقال
عليك بدين الاعراب والغلام في الكتاب واله عما سوى ذلك وقال الاوزاعي قال ابليس
لاوليائه من اي شيء تاتون بني ادم فقالوا من كل شيء قال فهل تاتونهم من قبل الاستغفار قالوا
هيهات ذلك شيء قرن بالتوحيد قال لابثن فيهم شيئا لا يستغفرون الله منه قال فبث
فيهم الاهواء وقال مجاهد ما ادري اي النعمتين علي اعظم ان هداني للاسلام او عافاني من
هذه الاهواء وقال الشعبي انما سموا اصحاب الاهواء لانهم يهوون في النار كلهم ذكرهن الدارمي
وسئل سهل بن عبد الله عن الصلاة خلف المعتزلة والنكاح بينهم وتزويجهم فقال لا ولا كرامة
هم كفار كيف يؤمن من يقول القران مخلوق ولا جنة مخلوقة ولا نار ولا صراط ولا شفاعة
ولا واحد من المؤمنين يدخل النار ولا يخرج من النار من مذنبي امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا
عذاب القبر ولا منكر ونكير ولا رؤية ربنا في الاخرة ولا الزيادة وان علم الله تعالى مخلوق

ولا يرون السلطان ولا جمعه ويكفرون من يؤمن بهذا وقال الفضيل بن عياض من احب صاحب بدعة
احبط الله عمله واخرج نور الاسلام من قلبه وقد تقدم هذا من كلامه وزيادة وقال سفيان
الثوري البدعة احب الى ابليس من المعصية المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها وقال
ابن عباس النظر الى الرجل من اهل السنة يدعوا الى السنة وينهى عن البدعة هو عبادة وقال
ابو العالية عليكم بالامر الاول الذي كانوا عليه قبل ان يفترقوا قال عاصم الاحول فحدثت به الحسن
فقال من نصحك والله صدقك وقد مضى في ال عمران معنى قوله صلى الله عليه وسلم تفرقت بنو
اسرائيل على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين الحديث وقد
قال بعض العلماء العارفين هذه الفرقة التي زادت في امة محمد صلى الله عليه وسلم هم قوم يبغضون
العلماء ويعادون الفقهاء ولم يكن قط في الامم السالفة وقد روي رافع بن خديج انه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كيف يكون في امتي قوم يكفرون بالله وبالقران وهم لا
يشعرون كما كفرت اليهود والنصارى قال فقلت جعلت فداك يا رسول الله كيف ذاك قال
يقرون ببعض ويكفرون ببعض قال قلت جعلت فداك يا رسول الله كيف يقولون قال يجعلون
ابليس عدلا لله في خلقه وقوته ورزقه ويقولون الخير من الله والشر من ابليس فيكفرون بالله
ثم يقرون على ذلك كتاب الله فيكفرون بالقران بعد الايمان والمعرفة قال من العداوة والبغضاء
والجدال اولئك زنادقة هذه الامة وذكر الحديث وقد مضى في النساء وهذه السورة فيها
النهي عن مجالسة اهل البدع والاهواء وان من جالسهم حكمه حكمهم قال تعالى واذا رايت الذين
يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم الاية ثم بين في النساء عقوبة من فعل ذلك لانها سورة مدنية
ومن خالف ما امر الله به فقال وقد نزل عليكم في الكتاب الاية فالحق من جالسهم بهم وقد ذهب
الى هذا جماعة من ائمة هذه الامة وحكم بموجب هذه الايات في مجالسة اهل البدع على المعاشرة
والمخالطة منهم الامام احمد بن حنبل والاوزاعي وابن المبارك فانهم قالوا في رجل شانه مجالسة
اهل البدع قالوا ينهى عن مجالستهم فان انتهى والا الحق بهم يعنون في الحكم وقد حمل عمر بن عبد
العزيز الحد على مجالس شربة الخمر وتلا انكم اذا مثلهم قيل له فانه يقول اني اجالسهم لاباينهم
وارد عليهم قال ينهى عن مجالستهم فان انتهى والا الحق بهم قوله تعالى ثم اتينا موسى الكتاب
تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا
كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين
من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى
منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها
سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون الا ان
تأتيهم الملائكة او ياتي ربك او ياتي بعض ايات ربك يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع
نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون
ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا
يفعلون قوله تعالى ثم اتينا موسى الكتاب مفعولان تماما مفعول من اجله او مصدر على الذي
احسن قرئ بالنصب والرفع فمن رفع وهي قراءة يحيى بن يعمر وابن ابي اسحق فعلى تقدير تماما على
الذي هو احسن قال المهدوي وفيه بعد من اجل حذف المبتدا العايد على الذي وحكى سيبويه
عن الخليل انه سمع ما انا بالذي قايل لك شيئا ومن خفض فعلى انه فعل ماض داخل في الصلة

هذا قول البصريين واجاز الكسائي والفراء ان يكون اسما نعتا للذي واجاز مررت بالذي اخيك
ينعتان الذي بالمعرفة وما قاربها قال النحاس وهذا محال عند البصريين لانه نعت للاسم قبل ان يتم
والمعنى عندهم على المحسن قال مجاهد تماما على المحسن المؤمن قال الحسن في معنى قوله تماما على الذي احسن
كان فيهم محسن وغير محسن فانزل الله الكتاب تماما على المحسن والدليل على صحة هذا القول ان ابن مسعود
قرء تماما على الذين احسنوا وقيل المعنى اعطينا موسى التورية زيادة على ما كان يحسنه موسى مما كان
علمه الله قبل نزول التورية عليه قال محمد بن زيد والمعنى تماما على الذي احسن اي تماما على الذي
احسنه الله سبحانه الى موسى عليه السلام من الرسالة وغيرها وقال عبد الله بن زيد معناه على
احسان الله سبحانه الى انبيائه صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقال الربيع بن انس تماما
على احسان موسى من طاعته لله سبحانه وقال الفراء ثم قيل ثم يدل على ان الثاني بعد الاول وقصة
موسى واتيانه الكتاب قبل هذا فقيل ثم بمعنى الواو واتينا موسى الكتاب لانهما حرفا عطف وقيل تقدير
الكلام ثم كنا قد اتينا موسى الكتاب قبل انزالنا القران على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى قل تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم ثم اتل ما اتينا موسى تماما وتفصيلا عطف عليه وكذا وهدى ورحمة وهذا كتاب
ابتدا وخبر انزلناه مبارك نعت اي كثير الخيرات ويجوز في غير القران مباركا على الحال فاتبعوه اي اعملوا
بما فيه واتقوا اي اتقوا تحريفه لعلكم ترحمون اي لتكونوا راجين للرحمة فلا تعذبون قوله تعالى
ان تقولوا في موضع نصب قال الكوفيون لئلا تقولوا وقال البصريون انزلناه كراهية ان تقولوا
وقال الفراء والكسائي المعنى فاتقوا يا اهل مكة انما انزل الكتاب اي التورية والانجيل على طائفتين
من قبلنا اي على اليهود والنصارى ولم ينزل علينا كتاب وان كنا عن دراستهم لغافلين اي عن
تلاوة كتبهم وعن لغاتهم ولم يقل عن دراستهما لان كل طائفة جماعة او تقولوا عطف على ان تقولوا
فقد جاءكم بينة قد زال العذر بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم والبينة والبينات واحد والمراد محمد
صلى الله عليه وسلم سماه الله سبحانه بينة وهدى ورحمة اي لمن اتبعه ثم قال فمن اظلم اي فان
كذبتم فلا احد اظلم منكم وصدف اعرض ويصدفون يعرضون وقد تقدم قوله تعالى هل ينظرون
الا ان تأتيهم الملائكة عند الموت لقبض ارواحهم او ياتي ربك قال ابن عباس والضحاك
امر ربك فيهم بالقتل او غيره وقد يذكر المضاف اليه والمراد المضاف كقوله تعالى واسئل القرية
وقوله واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم كذلك هنا ياتي امر ربك يعني عقوبة ربك وعذاب
ربك يقال هذا من المتشابه الذي لا يعلم تاويله الا الله وقد تقدم القول في مثله في البقرة
وغيرها او ياتي بعض ايات ربك هو طلوع الشمس من مغربها بين هذا انهم يمهلون في الدنيا
فاذا ظهرت الساعة فلا امهال وقيل ايات الله مجيئه لفصل القضا بين خلقه في موقف القيمة
كما قال وجاء ربك والملك صفا صفا وليس لمجيئه حركة ولا انتقال ولا زوال لان ذلك لا
يكون الا اذا كان الجاي جسما او جوهرا والذي عليه جمهور ائمة السنة انهم يقولون يجي وينزل
وياتي ولا يكيفون لانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت
في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض وعن صفوان بن عسال المرادي
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين
سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها اخرجه الدارقطني والترمذي وقال هذا حديث حسن
صحيح وقال سفيان قبل الشام خلقه الله يوم خلق السموات والارض مفتوحا للتوبة لا يغلق

حتى تطلع الشمس منه قال الحديث حسن صحيح قلت وكذب بهذا كله الخوارج والمعتزلة كما تقدم وروي ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب خطب فقال ايها الناس ان الرجم حق فلا تخدعن عنه وان اية ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم وان ابا بكر قد رجم وانا قد رجمنا بعدهما وسيكون قوم من هذه الامة يكذبون بالرجم ويكذبون بالدجال ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا ذكره ابو عمرو ذكر الثعلبي في حديث فيه طول عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما معناه ان الشمس تحبس عن الناس حين يكثر المعاصي في الارض ويذهب المعروف فلا يامر به احد ويفشوا المنكر فلا ينهى عنه احد مقدار ليلة تحت العرش كلما سجدت واستاذنت ربها من اين تطلع لم يحد اليها جوابا حتى يوافيها القمر فلا يعرف طول تلك الليلة الا المتهجدون في الارض هم يومئذ عصابة قليلة في كل بلدة من بلاد المسلمين فاذا تم مقدار ثلاث ليال ارسل الله تعالى اليهما جبريل فيقول ان الرب سبحانه وتعالى يامركما ان ترجعا الى مغاربكما فتطلعان منه وانه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيطلعان من مغاربهما اسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما في كسوفهما قبل ذلك قوله وجمع الشمس والقمر وقوله اذا الشمس كورت فيرتفعان كذلك مثل البعيرين والبقرتين فاذا بلغ الشمس والقمر صرة السماء وهو منتصفها جاءهما جبريل عليه السلام فاخذ بقرونهما وردهما الى المغرب فلا يغربهما من مغربهما ولكن مغربهما من باب التوبة ثم يرد المصراعين ثم يلتئم ما بينهما فيصير كانه لم يكن صدع فاذا اغلق باب التوبة لم يقبل للعبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها الا من كان قبل ذلك محسنا فانه يجري ما كان عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ثم ان الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك الضوء والنور ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك يطلعان ويغربان قال العلماء وانما لا ينفع نفسا ايمانها عند طلوعهما من مغربهما لانه خلص الى قلوبهم من الفزع ما يخمد معه كل شهوة من شهوات النفس وتفتر كل قوة من قوى البدن فيصير الناس كلهم لايقانهم بدنو يوم القيمة في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي الى انواع المعاصي عنهم وبطلانها من ابدانهم فمن تاب في مثل هذا الحال لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت قال صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اي تبلغ روحه راس حلقه وذلك وقت المعاينة الذي يرى فيه مقعده من الجنة ومقعده من النار فالمشاهد لطلوع الشمس من مغربها مثله وعلى هذا ينبغي ان تكون توبة كل من كان شاهد ذلك او كان كالمشاهد له مردودة ما عاش لان علمه بالله سبحانه وبنبيه صلى الله عليه وسلم قد صار ضرورة فان امتدت ايام الدنيا الى ان ينسى الناس من هذا الامر العظيم ما كان ولا يتحدثوا عنه الا قليلا فيصير الخبر عنه خاصا وينقطع التواتر عنه فمن اسلم في ذلك الوقت او تاب قبل منه والله اعلم وفي صحيح مسلم عن عبد الله قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم انسه بعد ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايتهما ما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا وفيه عن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرفة ونحن اسفل منه فاطلع علينا فقال ما تذكرون قلنا الساعة قال ان الساعة لا تكون حتى تكون عشر ايات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال ودابة الارض وياجوج وماجوج ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس قال

شعبة وحدثني عبد العزيز بن رفيع عن ابي الطفيل عن ابي سريحة مثل ذلك لا يذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقال احدهما في العاشرة نزول عيسى بن مريم وقال الاخر وريح تلقي الناس في البحر قلت وهذا حديث متفق عليه في ترتيب العلامات وقد وقع بعضها وهي الخسوفات على ما ذكر ابو الفرج الجوزي من وقوعها بعراق العجم وهلك بسببها خلق كثير ذكره في كتاب فهوم الاثار وغيره وياتي ذكر الدابة في النمل وياجوج وماجوج في الكهف ويقال ان الايات تتابع كالنظم في الخيط عاما فعاما وقيل ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال للنمرود فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وان الملحدة والمنجمة عن اخرهم ينكرون ذلك ويقولون هو غير كائن فيطلعها الله سبحانه يوما من المغرب ليرى المنكرون قدرته ان الشمس في ملكه ان شاء اطلعها من المشرق وان شاء اطلعها من المغرب وعلى هذا يحتمل ان تكون رد التوبة والايمان على من امن وتاب من المشركين كذلك المكذبين في خبر النبي صلى الله عليه وسلم بطلوعها فاما المصدقين بذلك فانه تقبل توبتهم وينفعه ايمانه قبل ذلك وروي عن عبد الله بن عباس انه قال لا يقبل من كافر عمل ولا توبة اذا اسلم حين يراها الا من كان صغيرا يومئذ فانه لو اسلم بعد ذلك قبل ذلك منه ومن كان مؤمنا مذنبا فتاب من الذنب قبل منه وروي عن عمران بن حصين انه قال انما لم يقبل وقت الطلوع حتى يكون صيحة فيهلك فيها كثير من الناس فمن اسلم او من تاب في ذلك الوقت وهلك لم تقبل توبته ومن تاب بعد ذلك قبل منه ذكره ابو الليث السمرقندي في تفسيره وقال عبد الله بن عمر يبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة حتى يغرسوا النخل قرا ابن عمر وابن الزبير يوم تاتي بالتاء مثل تلتقطه بعض السيارة او ذهبت بعض اصابعه وقال جرير لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع قال المبرد التانيث على المجاورة مؤنث لا على الاصل وقرا ابن سيرين لا تنفع بالتاء قال ابو حاتم ويذكرون ان هذا غلط عن ابن سيرين قال النحاس في هذا شيء دقيق من النحو ذكره سيبويه وذلك ان الايمان والنفس كل واحد منهما مشتمل على الاخر فانث الايمان لحض من النفس وبهما وانشد سيبويه مشين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم قال المهدوي وكثيرا ما يؤنثون فعل المضاف المذكر اذا كانت اضافته الى المؤنث وكان المضاف بعض المضاف اليه او منه او به وعليه قول ذي الرمة مشين فانث لاضافته الى الرياح وهي مؤنثة اذ كان المرور من الرياح قال النحاس ومنه قول اخر وهو ان يؤنث الايمان لانه مصدر كما يذكر المصدر المؤنث مثل فمن جاءه موعظة من ربه كما قال فقد عذرتنا في صحابته العذر ففي احد الاقوال انث العذر لانه بمعنى المعذرة قل انتظروا انا منتظرون بكم العذاب قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم قرء حمزة والكسائي بالالف وهي قراءة علي بن ابي طالب من المفارقة والفراق على معنى انهم تركوا دينهم وخرجوا عنه وكان علي يقول والله ما فرقوه ولكن فارقوه وقرا الباقون بالتشديد الا النخعي فانه قرا فرقوا مخففا اي امنوا ببعض وكفروا ببعض والمراد اليهود والنصارى في قول مجاهد والسدي وقتادة والضحاك وقد وصفوا بالتفرق قال الله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وقال ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله وقيل عنى المشركين عبد بعضهم الصنم وبعضهم الملائكة وقيل الاية عامة في جميع الكفار وكل من ابتدع وجاء بما لم يامر الله به فقد فرق دينه وروي ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية ان الذين فرقوا دينهم هم اهل البدع والشبهات واهل الضلالة من هذه الامة وروى بقية بن الوليد نا شعبة بن الحجاج نا مجالد عن الشعبي عن شريح عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال لعايشة رضي الله عنها ان الذين فارقوا دينهم انما هم اصحاب البدع واصحاب الاهواء
واصحاب الضلالة من هذه الامة يا عايشة ان لكل صاحب ذنب توبة غير اصحاب البدع والاهواء
ليس لهم توبة وانا بريء منهم وهم منا برآء وروي ليث بن ابي سليم عن طاوس عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قرء ان الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا ومعنى شيعا فرقا واحزابا وكل قوم
امرهم واحد شيع بعضهم راى بعض فهم شيع لست منهم في شيء فاوجب براته منهم وهو كقوله صلى الله
عليه وسلم من غشنا فليس منا اي نحن برآء منه قال الشاعر اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست
منك ولست مني اي ابرء منك موضع في عي نصب على الحال من المضمر الذي في الخبر قال ابو علي الفراء
هو على حذف مضاف المعنى لست من عقابهم في شيء انما عليك الانذار وانما امرهم الى الله تعزية للنبي
صلى الله عليه وسلم قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها
وهم لا يظلمون قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من
المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك
امرت وانا اول المسلمين قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها
ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم
خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب
وانه لغفور رحيم قوله تعالى من جاء بالحسنة ابتداء وهو شرط والجواب فله عشر امثالها اي فله
عشر حسنات امثالها فحذفت الحسنات واقيمت الامثال التي هي صفتها مقامها جمع مثل وحكى سيبويه
عندي عشر شابات اي عندي عشر رجال شابات وقال ابو علي حسن التانيث في عشر امثالها لما كان
الامثال مضافا الى مؤنث والاضافة الى المؤنث اذا كان اياه في المعنى يحسن منه ذلك نحو تلتقطه
بعض السيارة وذهبت بعض اصابعه وقرء الحسن وسعيد بن جبير والاعمش فله عشر امثالها وتقديرها
فله عشر حسنات امثالها اي له من الجزاء عشرة اضعاف مما يجب له ويجوز ان يكون له مثله ويضاعف
المثل فيصير عشرة والحسنة هنا الايمان اي من جاء بشهادة ان لا اله الا الله فله بكل عمل عمله في
الدنيا من الخير عشرة امثالها من الثواب ومن جاء بالسيئة يعني الشرك فلا يجزى الا مثلها وهو
الخلود في النار لان الشرك اعظم الذنوب والنار اعظم العقوبة فذلك قوله جزاء وفاقا يعني جزاء
وافق العمل واما الحسنة بخلاف ذلك لنص الله على ذلك وفي الخبر الحسنة بعشر امثالها وازيد
والسيئة واحدة واعفو فالويل لمن غلبت احاده اعشاره وروي الاعمش عن ابي صالح قال الحسنة
لا اله الا الله والسيئة الشرك وهم لا يظلمون اذ لا ينقص ثواب اعمالهم وقد مضى في البقرة بيان
هذه الاية وانها مخالفة للانفاق في سبيل الله ولهذا قال بعض العلماء العشرة لساير الحسنات
والسبعماية للنفقة في سبيل الله والخاص والعام فيه سواء وقال بعضهم يكون للعوام عشرة
وللخواص سبعماية واكثر الى ما لا يحصى وهذا يحتاج الى توقيف والاول اصح لحديث خريم بن فاتك عن
النبي صلى الله عليه وسلم وفيه واما حسنة بعشر فمن عمل حسنة فله عشر امثالها واما حسنة بسبع
مائة فالنفقة في سبيل الله قوله تعالى قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم الى قوله المسلمين فيه
اربع مسائل الاولى قوله قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم لما بين ان الكفار تفرقوا بين ان
الله هداه الى الصراط مستقيم اي الى الدين المستقيم دين ابراهيم دينا نصب على الحال عن قطرب
وقيل نصب بهداني عن الاخفش وغيره انتصب حملا على المعنى لان معنى هداني عرفني دينا ويجوز
ان يكون بدلا عن الصراط اي هداني صراطا مستقيما دينا وقيل منصوب باضمار فعل كانه قال اتبعوا

دينا

دينا قيما قراءة الكوفيين وابن عامر بكسر القاف والتخفيف وفتح الياء مصدر كالشبع فوصف به والباقون
بفتح القاف وكسر الياء وشدها وهما لغتان واصل الياء الواو قيوم ثم ادغمت الياء في الواو كميت ومعناه
مستقيما لا عوج فيه ملة ابراهيم بدل حنيفا قال الزجاج هو حال من ابراهيم وقال علي بن سليمان هو نصب
باضمار اعني الثانية قوله تعالى قل ان صلاتي ونسكي تقدم اشتقاق لفظ الصلاة وقيل المراد بها هنا
صلاة الليل وقيل صلاة العيد والنسك جمع نسيكة وهو الذبيحة وكذلك قال مجاهد والضحاك
وسعيد بن جبير وغيرهم والمعنى ذبيحتي في الحج والعمرة الحسن نسكي ديني الزجاج عبادتي ومنه الناسك
الذي يتقرب الى الله بالعبادة وقال قوم النسك في هذه الاية جميع اعمال الطاعات من قولك نسك فلان
فهو ناسك اذا تعبد ومحياي اي ما اعمله في حياتي ومماتي اي ما اوصي به بعد وفاتي لله رب العالمين
اي افرده بالتقرب بها اليه وقيل ومحياي ومماتي لله اي حياتي ومماتي له وقرا الحسن نسكي باسكان السين
واهل المدينة ومحياي بسكون الياء في الادراج والعامة بفتحها لانه يجتمع ساكنان قال النحاس لم يجزه
احد من النحاة الا يونس وانما اجازه لان قبله الفا والالف المدة التي فيها تقوم مقام الحركة واجاز يونس
اضربان زيدا وانما منع النحويون هذا لانه جمع بين ساكنين وليس في الثاني ادغام ومن قرا بقراءة
اهل المدينة واراد ان يسلم من اللحن وقف على محياي فيكون غير لاحن عند النحويين
وقرء ابن ابي اسحق وعيسى بن عمر وعاصم الجحدري ومحي بتشديد الياء الثانية من غير الف وهي لغة عليا
مصر يقولون قفي وعصي وانشد اهل اللغة سبقوا هوي واعتنقوا لهواهم وقد تقدم الثالثة قال
الكيا الطبري قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم الى قوله رب العالمين استدل به الشافعي
على افتتاح الصلاة بهذا الذكر فان الله سبحانه امر نبيه صلى الله عليه وسلم به وانزله في كتابه
ثم ذكر حديث علي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا افتتح الصلاة قال وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين روي مسلم في صحيحه عن علي ابن ابي طالب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام الى الصلاة قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا
وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت
وانا اول المسلمين اللهم انت الملك لا اله الا انت انت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي
فاغفر لي ذنوبي جميعا انه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت
واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس اليك
تباركت وتعاليت استغفرك واتوب اليك الحديث اخرجه الدارقطني وقال في اخره بلغنا عن
النضر بن شميل وكان من العلماء باللغة وغير ذلك قال معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
والشر ليس اليك الشر ليس مما يتقرب به اليك قال مالك ليس التوجيه في الصلاة ليس بواجب على
الناس والواجب عليهم التكبير ثم القراءة قال ابن القاسم لم ير مالك هذا الذي يقول الناس قبل القراءة
سبحانك اللهم وبحمدك وفي مختصر ما ليس في المختصر ان مالكا كان يقوله في خاصة نفسه لصحة الحديث
به وكان لا يراه للناس مخافة ان يعتقدوا وجوبه قال ابو الفرج الجوزي وقد كنت اصلي وراء شيخنا
ابي بكر الدينوري الفقيه في زمن الصبا فراني مرة افعل هذا فقال يا بني ان الفقهاء قد اختلفوا في
وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يختلفوا ان الاستفتاح سنة فاشتغل بالواجب ودع
السنة والحجة لمالك قوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي الذي علمه الصلاة اذا قمت الى الصلاة فكبر
ثم اقرا ولم يقل له سبح كما يقول ابو حنيفة ولا قل وجهت وجهي كما يقول الشافعي وقال لابي كعب

ثم اذا افتتح الصلاة قال قلت الله اكبر الحمد لله رب العالمين فلم يذكر توجيها ولا تسبيحا فان قيل
ان عليا رضي الله عنه قد اخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول قلت يحتمل ان يكون قاله قبل
التكبير ثم كبر وذلك حسن عندنا فان قيل فقد روى النسائي والدارقطني ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا استفتح الصلاة كبر ثم يقول ان صلاتي الحديث قلنا هذا نحمله على النافلة في صلاة
الليل كما جاء في كتاب النسائي عن ابي سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استفتح الصلاة
بالليل قال سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك او في النافلة
مطلقا فان النافلة اخف من الفرض لانه يجوز ان يصليها قايما وقاعدا وراكبا والى القبلة وغيرها
في السفر فامرها ايسر وقد روى النسائي عن محمد بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام
يصلي تطوعا قال الله اكبر وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ان
صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين اللهم
انت الملك لا اله الا انت سبحانك وبحمدك ثم يقرا وهذا نص في التطوع لا في الواجب وان صح
ان ذلك كان في الفريضة بعد التكبير فيحمل على الجواز لا الاستحباب واما المسنون فالقراءة بعد
التكبير والله بحقائق الامور اعلم ثم اذا قاله فلا يقل وانا اول المسلمين وهي الرابعة اذ ليس احد
باولهم الا محمد صلى الله عليه وسلم فان قيل او ليس ابراهيم والنبيون قبله قلنا عنه ثلاثة اجوبة
الاول انه اول الخلق اجمع معنى كما في حديث ابي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون
الاولون يوم القيمة ونحن اول من يدخل الجنة ومن حديث حذيفة نحن الاخرون من اهل الدنيا
والاولون يوم القيمة ونحن اول من يدخل الجنة المقضي لهم قبل الخلايق الثاني انه اولهم
لكونه مقدما في الخلق عليهم قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
قال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث فلذلك وقع
ذكره هنا مقدما قبل نوح وغيره الثالث اول المسلمين من اهل ملته قاله ابن العربي وقول قتادة
وغيره وقد اختلفت الروايات في اول في بعضها بثبوتها وبعضها لا على ما ذكرنا وروى عمران بن
حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة قومي فاشهدي اضحيتك فانه يغفر لك
في اول قطرة من دمها كل ذنب عملتيه ثم قولي ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين قال عمران يا رسول الله هذا لك ولاهل بيتك خاصة
ام للمؤمنين عامة قال بل للمسلمين عامة قوله تعالى قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء اي مالكه
روي ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد ارجع واعبد الهتنا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل
لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك واخرتك فنزلت الاية وهي استفهام يقتضي التقرير والتوبيخ
وغير نصب بابغي وربا تمييز قوله تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها فيه مسئلتان الاولى
قوله ولا تكسب كل نفس الا عليها اي لا ينفعني في ابتغاء رب غير الله كونكم على ذلك اذ لا تكسب كل
نفس الا عليها اي لا يؤخذ بما اتت من المعصية وركبت من الخطيئة سواها الثانية فقد استدل
بعض العلماء المخالفين بهذه الاية على ان بيع الفضولي لا يصح وهو قول الشافعي وقال علماؤنا
المراد من الاية تحمل الثواب والعقاب دون احكام الدنيا بدليل قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى
على ما ياتي وبيع الفضولي عندنا موقوف على اجازة المالك فان اجازه جاز هذا عروة البارقي
قد باع للنبي صلى الله عليه وسلم واشترى وتصرف بغير امره فاجازه النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال
ابو حنيفة وروى البخاري والدارقطني عن عروة بن ابي الجعد قال عرض للنبي صلى الله عليه وسلم

جلب فاعطاني دينارا وقال اي عروة ائت الجلب فاشتر لنا شاة بهذا الدينار فاتيت الجلب فساومت فاشتريت
شاتين بدينار فجئت اسوقهما او قال اقودهما فلقيني رجل في الطريق فساومني فبعته احدى الشاتين بدينار
وجئت بالشاة الاخرى وبدينار فقلت يا رسول الله هذه الشاة وهذا ديناركم قال كيف صنعت فحدثته
الحديث قال اللهم بارك في صفقة يمينه قال فلقد رايتني اقف في كناسة الكوفة فاربح اربعين الفا
قبل ان اصل الى اهلي لفظ الدارقطني قال ابو عمر وهو حديث جيد وفيه صحة ثبوت النبي صلى الله عليه وسلم
للشاتين ولولا ذلك ما اخذ منه الدينار ولا امضى له البيع وفيه دليل على جواز الوكالة ولا خلاف فيها
بين العلماء فاذا قال الموكل لوكيله اشتر كذا فاشترى زيادة على ما وكل به فهل يلزمه ذلك ام لا
كرجل قال لرجل اشتر بهذا الدرهم رطل لحم صفته كذا فاشترى له اربعة ارطال من تلك الصفة بذلك
الدرهم والذي عليه مالك واصحابه ان الجميع يلزمه اذا وافق الصفة ومن جنسها لانه محسن وهو قول
ابي يوسف ومحمد بن الحسن وقال ابو حنيفة الزيادة للمشتري وهذا الحديث حجة عليه قوله تعالى ولا
تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل حاملة ثقل اخرى اي لا تؤخذ نفس بذنب غيرها بل كل نفس ماخوذة
بجرمها ومعاقبة باثمها واصل الوزر الثقل ومنه قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وهو هنا الذنب
كما قال وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقد تقدم قال الاخفش يقال وَزِرَ يَوْزَرُ ووَزَرَ يَوْزُرُ وِزْرًا
ويجوز ازرا كما يقال اسادة والاية نزلت في الوليد بن المغيرة كان يقول اتبعوا سبيلي احمل اوزاركم
ذكره ابن عباس وقيل انها نزلت ردا على العرب في الجاهلية من مؤاخذة الرجل بابيه وبابنه وبجريرة
حليفه قلت ويحتمل ان يكون المراد بهذه الاية في الاخرة وكذلك التي قبلها فاما في الدنيا فقد
يؤاخذ فيها بعضهم بجرم بعض لا سيما اذا لم ينه الطايعون العاصين كما تقدم في حديث ابي بكر في قوله
عليكم انفسكم وقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ان الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم وقالت زينب بنت جحش يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر
الخبث قال العلماء معناه اولاد الزنا والخبث بفتح الخاء والباء اسم للزنا واوجب الله سبحانه على
لسان رسوله صلى الله عليه وسلم دية الخطا على العاقلة حتى لا يبطل دم المرء المسلم تعظيما للدم واجمع
اهل العلم على ذلك من غير خلاف بينهم في ذلك فدل على ما قلنا وقد يحتمل ان يكون هذا في الدنيا
في انه لا يؤاخذ زيد بفعل عمرو وان كل مباشر لجريمة فعليه مغبتها وروى ابو داود عن ابي رمثة قال
انطلقت مع ابي نحو النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي ابنك هذا قال اي ورب
الكعبة حقا اشهد به قال فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ضاحكا من ثبت شبهي في ابي ومن حلف ابي علي
ثم قال اما انه لا يجني عليك ولا تجني عليه وقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تزر وازرة وزر اخرى
ولا يعارض ما قلناه قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فان هذا مبين في الاية الاخرى في
قوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم فمن كان اماما في الضلالة
ودعى اليها واتبع عليها فانه يحمل وزر من اضله من غير ان ينقص من وزر المضل شي على ما ياتي بيانه
ان شاء الله قوله تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض جمع خليفة ككرايم جمع كريمة وكل من جاء بعد
من مضى فهو خليفة اي جعلكم خلفاء الامم الماضية والقرون السالفة قال الشماخ تصيبهم وتخطيني
المنايا واخلف في ربوع عن ربوع ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الخلق والرزق والقوة والبسطة
والفضل والعلم درجات نصب باسقاط الخافض اي الى درجات ليبلوكم نصب بلام كي والابتلاء الاختبار
اي ليظهر منكم ما يكون عاقبة الثواب والعقاب ولم يزل بعلمه غنيا فابتلى الغني بالغنى وطلب منه الشكر
وابتلى المعسر بالفقر وطلب منه الصبر وقيل ليبلوكم اي ليبلو بعضكم ببعض كما قال وجعلنا بعضكم لبعض فتنة

على ما ياتي بيانه ثم خوفهم فقال ان ربك سريع العقاب لمن عصاه وانه لغفور رحيم لمن اطاعه وقال
سريع العقاب مع وصفه سبحانه بالامهال ومع ان عقاب النار في الاخرة لان كل آت قريب فهو سريع
على هذا كما قال وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ونراه قريبا ويكون ايضا سريع العقاب لمن
استحقه في دار الدنيا فيكون تحذيرا لموقع الخطيئة على هذه الجهة والله تعالى اعلم بالصواب

سورة الاعراف وهي مكية الا ثمان ايات

وهي قوله تعالى واذ نتقنا الجبل وروى النسائي عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرء في
المغرب بسورة الاعراف فرقها في ركعتين صححه ابو محمد عبد الحق رحمه الله قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا
ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية اهلكناها
فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين
فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن
يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين
خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما
تشكرون قوله المص تقدم في اول البقرة وموضعه رفع بالابتداء وكتاب خبره كانه قال المص حروف
كتاب انزل اليك وقال الكسائي اي هذا كتاب فلا يكن في صدرك حرج منه فيه مسئلتان الاولى
قوله تعالى حرج اي ضيق اي لا يضيق صدرك بالابلاغ لانه روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال
اني اخاف ان تبلغوا راسي فتدعوه خبزة الحديث خرجه مسلم قال الكيا الطبري فظاهره النهي ومعناه رفع
الحرج عنه اي لا يضيق صدرك ان لا يؤمنوا به فانما عليك البلاغ وليس عليك سوى الانذار به في
شي من ايمانهم او كفرهم ومثله قوله تعالى فلعلك باخع نفسك الاية وقال لعلك باخع نفسك
الا يكونوا مؤمنين ومذهب مجاهد وقتادة ان الحرج هنا الشك وليس هذا بشك الكفر انما هو شك
الضيق وكذلك قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد امته وفيه بعد والها في منه للقران وقيل للانذار اي انزل اليك الكتاب لتنذر به فلا
يكن في صدرك حرج منه فالكلام فيه تقديم وتاخير وقيل للتكذيب الذي يعطيه قوة الكلام اي
فلا يكن في صدرك ضيق من تكذيب المكذبين الثانية قوله تعالى وذكرى يجوز ان يكون في موضع
نصب ورفع وخفض فالرفع من وجهين قال البصريون هي رفع على اضمار مبتدا الكسائي عطف على
كتاب والنصب من وجهين على المصدر اي وذكره ذكرى قاله البصريون الكسائي عطف على الهاء
في انزلناه والخفض حملا على موضع لتنذر به والانذار للكافرين والذكرى للمؤمنين لانهم المنتفعون
قوله تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم فيه مسئلتان الاولى قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم
يعني الكتاب والسنة قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقالت فرقة
هذا امر يعم النبي صلى الله عليه وسلم وامته والظاهر انه امر لجميع الناس دونه اي اتبعوا ملة
الاسلام والقران واحلوا حلاله وحرموا حرامه وامتثلوا امره واجتنبوا نهيه ودلت الاية على ترك اتباع
الاراء مع وجود النص الثانية قوله ولا تتبعوا من دونه اولياء من دون من غيره والها يعود على
الرب سبحانه والمعنى لا تعبدوا معه غيره ولا تتخذوا من عدل عن دين الله اولياء وكل من رضي
مذهبا فاهل ذلك المذهب اولياؤه وروي عن مالك بن دينار انه قرا ولا تبتغوا من دونه

اولياء اي ولا تطلبوا ولم ينصرف اولياء لان فيه الف التانيث وقيل يعود على ما من قوله تعالى اتبعوا ما
انزل اليكم من ربكم قليلا ما زائدة وقيل تكون مع الفعل مصدرا قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها
كم للتكثير كما ان رب للتقليل وهي في موضع رفع بالابتداء واهلكنا الخبر اي وكثير من القرى وهي موضع
اجتماع الناس ويجوز النصب باضمار فعل بعدها ولا يقدر قبلها لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ويقوى
الاول قوله تعالى وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح ولولا اشتغال اهلكنا بالضمير لانتصب به
موضع كم ويجوز ان يكون اهلكنا صفة للقرية وكم في معنى هي للقرية فاذا وصفت القرية فكانك قد
وصفت كم يدل على ذلك وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا فعاد الضمير على كم على المعنى
اذ كانت الملائكة في المعنى فلا يصح على هذا التقدير ان تكون كم في موضع نصب باضمار فعل بعدها فجاءها
باسنا فيه اشكال للعطف بالفاء فقال الفراء الفاء بمعنى الواو فلا يلزم الترتيب وقيل اي وكم من
قرية اردنا اهلاكها فجاءها باسنا كقوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله وقيل ان الهلاك
واقع ببعض القوم فيكون التقدير وكم من قرية اهلكنا بعضها فجاءها باسنا فاهلكنا الجميع وقيل
المعنى وكم من قرية اهلكناها في حكمنا فجاءها باسنا وقيل اهلكناها بارسالنا ملائكة العذاب
فجاءها باسنا وهو الاستيصال والباس العذاب الاتي على النفس وقيل المعنى اهلكناها فكان اهلاكنا
اياهم في وقت كذا فجاءها الباس على هذا هو الاهلاك وقيل الباس غير الاهلاك كما ذكرنا وحكى الفراء
ايضا انه كان معنى الفعلين واحدا او كالواحد قدمت ايهما شئت فيكون المعنى وكم من قرية جاءها
باسنا فاهلكناها مثل دنى فقرب وقرب فدنى وشتمني فاساء واساء فشتمني لان الاساءة والشتم شي
واحد وكذلك قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر المعنى والله اعلم انشق القمر واقتربت الساعة
والمعنى واحد بياتا اي ليلا ومنه البيت لانه يبات فيه يقال بات يبيت بيتا وبياتا او هم قائلون
اي وقائلون فاستثقلوا فحذفوا الواو وقاله الفراء وقال الزجاج هذا خطأ اذا عاد الذكر استغني عن
الواو تقول جاءني زيد راكبا او هو ماش لا يحتاج الى الواو المهدوي ولم يقل بياتا وهم قائلون لان
في الجملة ضميرا يرجع الى الواو فاستغنى عن الواو وهو معنى قول الزجاج سواء وليس او للشك بل للتفصيل
كقوله لا ترمتك منصفا لي او ظالما وهذه الواو تسمى عند النحويين واو الوقت وقايلون من القايلة
وهي القيلولة وهي نوم نصف النهار وقيل الاستراحة نصف النهار اذا اشتد الحر وان لم يكن معها
نوم والمعنى جاءهم عذابنا وهم غافلون اما ليلا واما نهارا والدعوى الدعاء ومنه قوله واخر دعواهم
وحكى النحويون اللهم اشركنا في صالح دعوى من دعاك وقد يكون للدعوى بمعنى الادعاء والمعنى انهم
لم يخلصوا عند الاهلاك الا على الاقرار بانهم كانوا ظالمين ودعواهم في موضع نصب خبر كان واسمها
الا ان قالوا ونظيره فما كان جواب قومه الا ان قالوا ويجوز ان يكون للدعوى رفعا وان يكون
نصبا كقوله تعالى ليس البر ان تولوا برفع البر وقوله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤوا السوء
اي برفع عاقبة قوله تعالى فلنسئلن الذين ارسل اليهم دليل على ان الكفار يحاسبون وفي التنزيل
ثم ان علينا حسابهم وفي القصص ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون يعني اذا استقروا في العذاب
فالاخرة مواطن موطن يسالون للحساب وموطن لا يسالون وسؤالهم سؤال تقرير وتوبيخ
افضاح وسؤال الرسل سؤال استشهاد بهم وافصاح اي جواب القوم لهم وهو معنى قوله تعالى
ليسال الصادقين عن صدقهم على ما ياتي وقيل المعنى فلنسئلن الذين ارسل اليهم اي الانبياء ولنسئلن
المرسلين اي الملائكة الذين ارسل اليهم واللام في فلنسئلن لام القسم وحقيقتها التوكيد وكذا
فلنقصن عليهم بعلم ابن عباس ينطق عليهم وما كنا غائبين اي كنا شاهدين لاعمالهم ودلت الاية

على ان الله تعالى عالم بعلم قوله تعالى والوزن يومئذ الحق ابتداء وخبر ويجوز ان يكون الحق نعته
والخبر يومئذ ويجوز نصب الحق على المصدر والمراد بالوزن وزن اعمال العباد بالميزان قال ابن عمر
يوزن صحايف اعمال العباد وهذا هو الصحيح وهو الذى ورد به الخبر على ما ياتى وقيل الميزان الكتاب
الذى فيه اعمال الخلق مجاهد الميزان الحسنات باعيانها وعنه ايضا والضحاك والاعمش الوزن
والميزان بمعنى العدل والقضا ذكر الوزن ضرب مثل كما تقول وزن هذا الكلام فى وزن هذا
وفى وزانه يعادله ويساويه وان لم يكن هناك وزن قال الزجاج هذا سايغ من جهة اللسان والاولى
ان يتبع ما جاء فى الاسانيد الصحاح من ذكر الميزان قال القشيرى وقد احسن فيما قال اذ لو حمل
الميزان على هذا فليحمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على ما يرد على الارواح دون الاجساد
والشياطين والجن على الاخلاق المذمومة والملائكة على القوى المحمودة وقد اجمعت الامة فى
الصدر الاول على الاخذ بهذه الظواهر بغير تاويل واذا اجمعوا على منع التاويل وجب الاخذ بالظاهر
وصارت هذه الظواهر نصوصا قال ابن فورك وقد انكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على ان الاعراض
يستحيل وزنها اذ لا تقوم بنفسها ومن المتكلمين من يقول ان الله تعالى يقلب الاعراض اجساما
فيزنها يوم القيمة وهذا ليس بصحيح عندنا والصحيح ان الموازين تثقل بالكتب التى فيها الاعمال
مكتوبة وبها تخف وقد روى فى الخبر ما يحقق ذلك وهو انه روى ان ميزان بعض بنى ادم
كان يخف بالحسنات فيوضع فيه رق فيه مكتوب لا اله الا الله فيثقل فقد علم ان ذلك يرجع
الى وزن ما كتب فيه الاعمال لا نفس الاعمال وان الله سبحانه يخفف الميزان اذا اراد ويثقله
اذا اراد بما يوضع فى كفتيه من الصحف التى فيها الاعمال وفى صحيح مسلم عن صفوان بن محرز قال قال
رجل لابن عمر كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى قال سمعته يقول يدنى
المؤمن من ربه يوم القيمة حتى يضع عليه كنفه فيقول هل تعرف فيقول رب اعرف قال فانى
قد سترتها عليك فى الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته واما الكفار و
المنافقون ينادى بهم على رؤس الخلايق هؤلاء الذين كذبوا على الله فقوله فيعطى صحيفة
حسناته دليل على ان الاعمال تكتب فى الصحف وتوزن وروى ابن ماجه من حديث عبد الله
بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصاح برجل من امتى يوم القيمة ينشر عليه تسعة وتسعين
سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول الرب تبارك وتعالى هل تنكر من هذا شيئا فيقول لا يا رب
فيقول اظلمتك كتبتى الحافظون فيقول لا ثم يقول الك عذر الك حسنة فيهاب الرجل فيقول
لا فيقول بل ان لك عندى حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا عبده ورسوله فيقال ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم
فيوضع السجلات فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة زاد الترمذى فلا يثقل مع اسم الله
شئ قال حديث حسن غريب وسيأتى لهذا الباب مزيد بيان فى الكهف والانبياء ان شاء الله
تعالى فمن ثقلت موازينه جمع ميزان واصله موزان قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وقيل يجوز
ان يكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من اعماله ويمكن ان يكون
ذلك ميزانا واحدا عبر عنه بلفظ الجمع كما تقول خرج فلان الى مكة على البغال وخرج الى البصرة
فى السفن وفى التنزيل كذبت قوم نوح المرسلين كذبت عاد المرسلين وانما هو رسول واحد فى
احد التاويلين وقيل الموازين جمع موزون لا جمع ميزان اراد بالموازين الاعمال الموزونة ومن
خفت موازينه مثله وقال ابن عباس توزن الحسنات والسيئات فى ميزان له لسان وكفتان

فاما

فاما المؤمن فيؤتى بعمله فى احسن صورة فيوضع فى الميزان فتثقل كفة حسناته على سيئاته فذلك
قوله فمن ثقلت موازينه ويؤتى بعمل الكافرين فى اقبح صورة فيوضع فى كفة الميزان فيخف وزنه
حتى يقع فى النار وما اشار اليه ابن عباس قريب مما قيل يخلق الله تعالى كل جزء من اعمال العباد
جواهر فيقع الوزن على تلك الجواهر ورده ابن فورك وغيره وفى الخبر اذا خفت حسنات المؤمن اخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالانملة فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته فترجح
الحسنات فيقول ذلك العبد بابى انت وامى ما احسن وجهك وما احسن خلقك فيقول من انت
فيقول من انت فيقول انا نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وهذه صلاتك التى كنت تصليها على قد
وفيتك احوج ما كنت اليها ذكره القشيرى فى تفسيره وذكر ان البطاقة بكسر الباء رقعة فيها رقم
المتاع بلغة اهل مصر وقال ابن ماجة قال محمد بن يحيى البطاقة الرقعة واهل مصر تقول للرقعة
بطاقة وقال حذيفة الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام يقول الله تعالى يا جبريل زن بينهم
فرد من بعضهم على بعض قال وليس ثم ذهب ولا فضة فان كان للظالم حسنات اخذ من حسناته
فرد على المظلوم وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات المظلوم فيحمل على الظالم فيرجع الرجل وعليه
مثل الجبال وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة يا ادم ابرز الى جانب
الكرسى عند الميزان وانظر ما يرفع اليك من اعمال بنيك فمن رجح خيره على شره مثقال حبة فله
الجنة ومن رجح شره على خيره مثقال حبة فله النار حتى تعلم انى لا اعذب الا ظالما قوله تعالى
ولقد مكناكم فى الارض اى جعلنا لكم فيها قرارا ومهادا وهيأنا لكم فيها اسباب المعيشة والمعايش
جمع معيشة ما يتعيش به من المطعم والمشرب وما تكون به الحياة يقال عاش يعيش عيشا و
معاشا ومعيشا ومعيشة فى قول الاخفش وكثير من النحويين مفعلة وقرء الاعرج معائش
بالهمز وكذا روى خارجة بن مصعب عن نافع قال النحاس والهمز لحن لا يجوز لان الواحدة
معيشة اصلها معيشة فزيدت الف الوصل وهى ساكنة والياء ساكنة فلا بد من تحريك اذ لا
سبيل الى الحذف والالف لا تحرك فحركت الياء بما كان يجب لها فى الواحد ونظيره من الواو مناره
ومناور ومقام ومقاوم كما قال الشاعر وانى لقوام مقاوم لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها وكذا
مصيبة ومصاوب هذا الجيد ولغة شاذة مصائب قال الاخفش انما جاز مصائب لان الواحدة معتلة
قال الزجاج هذا خطأ يلزمه عليه ان يقول مقائم ولكن القول انه مثل وسادة واسائدة وقيل
لم يجز الهمز فى معايش لان المعيشة مفعلة فالياء اصلية وانما يهمز اذا كانت الياء زائدة
مثل مدينة ومداين وصحيفة وصحائف وكريمة وكرائم ووصيفة ووصايف قوله تعالى
ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من
الساجدين قال ما منعك ان تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته
من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال
انظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك
المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم
شاكرين قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين قوله تعالى
ولقد خلقناكم ثم صورناكم لما ذكر نعمه ذكر ابتداء خلقه وقد تقدم معنى الخلق فى غير موضع ثم
صورناكم اى خلقناكم نطفا ثم صورناكم ثم انا نخبركم انا قلنا للملائكة اسجدوا لادم وعن ابن
عباس والضحاك المعنى خلقنا ادم ثم صورناكم فى ظهره الاخفش ثم بمعنى الواو وقيل المعنى لقد

خلقناكم يعني ادم عليه السلام ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم وعلى هذا لا تقديم ولا تاخير عن ابن عباس
ايضا وقيل المعنى ولقد خلقناكم يريد ادم وحوى فادم من التراب وحوى من ضلع من اضلاعه ثم وقع
التصوير بعد ذلك فالمعنى ولقد خلقنا ابويكم ثم صورناهما قاله الحسن وقيل المعنى خلقناكم في ظهر
ادم ثم صورناكم حين اخذنا عليكم الميثاق هذا قول مجاهد رواه عنه ابن جريج وابي نجيح النحاس وهذا
احسن الاقوال فذهب مجاهد الى انه خلقهم في ظهر ادم ثم صورهم حين اخذ عليهم الميثاق ثم كان
السجود بعد ويقوي هذا واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم والحديث انه اخرجهم امثال
الذر وقيل عليهم الميثاق وقيل هم الاخبار ولقد خلقناكم يعني في ظهر ادم صلى الله عليه وسلم ثم
صورناكم اي في الارحام قاله النحاس هذا صحيح عن ابن عباس قلت كل هذه الاقوال محتمل
والصحيح منها ما يعضده التنزيل قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين يعني
ادم وقال وخلق منها زوجها ثم قال ثم جعلناه اي جعلنا نسله وذريته نطفة في قرار مكين
الايات فادم خلق من طين ثم صور واكرم بالسجود وذريته صوروا في ارحام الامهات بعد
ان خلقوا فيها وفي اصلاب الاباء وقد تقدم في سورة الانعام ان كل انسان مخلوق من نطفة وتربة
فتامله وقال هنا خلقناكم ثم صورناكم وقال في اخر الحشر هو الله الخالق البارئ المصور فذكر
التصوير بعد البرء وسياتي بيان ذلك ان شاء الله تعالى ثم قيل معنى ولقد خلقناكم الارواح
ثم صورنا الاشباح قوله تعالى الا ابليس استثناء من غير الجنس وقد اختلف العلماء هل كان من
الملائكة ام لا كما سبق بيانه في البقرة قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك قال انا خير
منه فيه اربع مسائل الاولى قوله ما منعك في موضع رفع بالابتدا اي اي شيء منعك وهذا سؤال
توبيخ ان لا تسجد في موضع نصب اي من ان تسجد ولا زايدة وفي ص ما منعك ان تسجد قال
الشاعر ابى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود نايله اراد ابى جوده البخل
فزاد لا وقيل ليست زايدة فان المنع فيه طرف من القول والدعاء فكانه قال من قال لك ان لا
تسجد او من دعاك الى ان لا تسجد كما تقول قد قلت لك ان لا تفعل كذا وقيل في الكلام حذف
والتقدير ما منعك من الطاعة واحوجك الى ان لا تسجد الثانية قوله اذ امرتك يدل
على ما يقوله الفقها من ان الامر يقتضي الوجوب بمطلقه من غير قرينة لان الامر علق على ترك
الامر المطلق الذي هو قوله عز وجل للملائكة اسجدوا وهذا بين قوله تعالى انا خير منه اي منعني
من السجود فضلي عليه فهذا من ابليس جواب بالمعنى كما تقول لمن هذه الدار فيقول المخاطب
مالكها زيد فليس هذا عين الجواب بل هو كلام يرجع الى معنى الجواب خلقتني من نار وخلقته
من طين فراى ان النار اشرف من الطين لعلوها وصعودها وخفتها ولانها جوهر مضي
قال ابن عباس والحسن وابن سيرين اول من قاس ابليس فاخطا القياس فمن قاس
الدين برايه قرنه الله مع ابليس ابن سيرين وما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس وقالت
الحكماء اخطا عدو الله من حيث فضل النار على الطين وان كانا في درجة واحدة من
حيث هي جماد مخلوق فان الطين افضل من النار من وجوه اربعة احدها ان من
جوهر الطين الرزانة والسكون والوقار والاناة والحلم والحيا والصبر وذلك هو الداعي
لادم عليه السلام بعد السعادة التي سبقت له الى التوبة والتواضع والتضرع فاورثه
المغفرة والاجتباء والهداية ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع والاضطراب
وذلك هو الداعي لابليس بعد الشقاوة الى الاستكبار والاصرار فاورثه الهلاك والعذاب

واللعنة قاله القفال الثاني ان الخبر ناطق بان تراب الجنة مسك اذفر ولم ينطق الخبر بان
في الجنة نارا وان في النار ترابا الثالث ان النار سبب العذاب وهي عذاب الله لاعدائه وليس التراب
سببا للعذاب الرابع ان الطين مستغن عن النار والنار محتاجة الى المكان ومكانها التراب قلت
ويحتمل قولا خامسا وهو ان التراب مسجد وطهور كما جاء في صحيح الحديث والنار تخويف وعذاب كما قال تعالى
ذلك يخوف الله به عباده وقال ابن عباس كانت الطاعة اولى بابليس من القياس فعصى ربه وهو اول
من قاس برايه والقياس في مخالفة النص مردود الرابعة واختلف الناس في القياس الى قايل به
وراد له فاما القايلون به فهم الصحابة والتابعون وجمهور من بعدهم وان التعبد به جايز عقلا
واقع شرعا وذهب القفال من الشافعية وابو الحسن البصري الى وجوب التعبد به عقلا وشرعا ورده
اهل الظاهر والاول الصحيح قال البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة المعنى لا عصمة لاحد
الا في كتاب الله او سنة نبيه او في اجماع العلماء اذا وجد فيها الحكم فان لم يوجد فالقياس وقد
ترجم على هذا باب من شبه اصلا معلوما باصل مبين قد بين الله حكمها ليفهم السايل وترجم
بعدها باب الاحكام التي تعرف بالدلايل وكيف معنى الدلالة وتفسيرها وقال الطبري الاجتهاد
والاستنباط من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع الامة هو الحق الواجب والفرض
اللازم لاهل العلم وبذلك جاءت الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن جماعة الصحابة والتابعين
وقال ابو تمام المالكي اجمعت الامة على القياس فمن ذلك انهم اجمعوا على قياس الذهب والورق
في الزكاة وقال ابو بكر اقيلوني بيعتي فقال علي والله لا نقيلك رضيك رسول الله صلى الله عليه وسلم
لديننا افلا نرضاك لدنيانا فقاس الامامة على الصلاة وقاس الصديق الزكاة على الصلاة و
قال والله لا افرق بين ما جمع الله وصرح علي بالقياس في شرب الخمر بمحضر الصحابة وقال
انه اذا سكر هذى واذا هذى افترى فحده حد القاذف وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري
كتابا فيه الفهم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك في الكتاب والسنة اعرف الامثال والاشباه
وقس الامور عند ذلك فاعمد الى احبها الى الله واشبهها بالحق فيما ترى الحديث بطوله ذكره الدار
قطني وقال ابو عبيدة لعمر في حديث الوباء حين رجع عمر من سرغ افرارا من قدر الله وقال عمر
نعم من قدر الله الى قدر الله ثم قال له عمر ارايت فقايسه وناظره بما يشبه في مسئلة بمحضر
المهاجرين والانصار وحسبك واما الاثار وايي القران في هذا المعنى فكثير وهو يدل على ان القياس
اصل من اصول الدين وعصمة من عصم المسلمين يرجع الى المجتهدين ويفزع اليه العلماء العاملون
فيستنبطون به الاحكام وهو قول الجماعة الذين هم الحجة ولا يلتفت الى من شذ عنها واما
الراي المذموم والقياس المتكلف المنهي عنه فهو لم يكن على هذه الاصول المذكورة فان ذلك ظن
ونزغ من الشيطان قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وعلى ما يورده المخالف من الاحاديث
الضعيفة والاخبار الواهية في ذم القياس فهي محمولة على هذا النوع من القياس المذموم الذي
ليس له في الشرع اصل معلوم وتتميم هذا الباب في كتب الاصول قوله تعالى قال فاهبط منها اي
من السماء فما يكون لك ان تتكبر فيها لان اهلها الملائكة المتواضعون فاخرج انك من الصاغرين
اي من الاذلين ودل هذا على ان من عصى مولاه فهو ذليل وقال ابو روق والبجلي فاهبط منها
اي من صورتك التي انت فيها لانه افتخر بانه من النار فشوهت صورته بالاظلام وذهاب اشراقه
وقيل فاهبط منها اي انتقل من الارض الى جزيرة البحار كما يقال هبطنا الارض كذا اي فكانه
اخرج من الارض الى جزاير البحار فسلطانه فيها فلا يدخل الارض الا كهيئة السارق يخاف فيها

حتى يخرج منها والقول الاول اظهر وقد تقدم في البقرة قوله تعالى قال انظرني الى يوم يبعثون
سأل النظرة والامهال الى يوم البعث والحساب طلب ان لا يموت لان يوم البعث لا موت بعده فقال
الله انك من المنظرين قال ابن عباس والسدي وغيرهما انظره الى النفخة الاولى حيث يموت الخلق
كلهم وكان طلب الانظار الى النفخة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين قال الله تعالى
ذلك عليه وقال الى يوم يبعثون ولم يتقدم ذكر من يبعث لان القصة في ادم وذريته فدلت
القرينة على انهم هم المبعوثون قوله تعالى قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم فيه
ثلاثة مسائل الاولى قوله فبما اغويتني الاغواء ايقاع البغي في القلب اي فبما اوقعت في قلبي من البغي و
العناد والاستكبار وقد تقدم في البقرة قيل معنى الكلام القسم اي باغوائك اياي لاقعدن لهم صراطك
اي في صراطك فحذف دليل هذا القول قوله في ص فبعزتك لاغوينهم اجمعين وكان ابليس
اعظم قدر اغواء الله اياه لما فيه من التسليط على العباد فاقسم به اعظاما لقدره عنده وقيل الباء
بمعنى اللام كانه قال فلاغوائك اياي وقيل هو بمعنى مع والمعنى فمع اغوائك اياي وقيل هو استفهام
كانه سأل باي شيء اغويتني قال فلاغوائك على هذا ان يكون فبم اغويتني وقيل المعنى فبما اهلكتني بلعنك
انك اياي والاغواء الاهلاك قال الله تعالى فسوف يلقون غيا اي هلاكا وقيل فبما اضللتني
والاغواء الاضلال والابعاد قاله ابن عباس وقيل خيبتني من رحمتك ومنه قول الشاعر
ومن يغو لا يعدم على الغي لائما اي من يخب وقال ابن الاعرابي يقال غوى الرجل يغوي غيا اذا فسد
عليه او فسد هو في نفسه وهو احد معاني قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى اي فسد عيشه في الجنة
ويقال غوى الفصيل اذا اكثر من لبن امه الثانية مذهب اهل السنة ان الله تعالى اضله وخلق
الكفر ولذلك نسب الاغواء في هذا الى الله تعالى وهو الحقيقة فلا شيء في الوجود الا وهو مخلوق
له صادر عن ارادته تعالى وخالف الامامية والقدرية وغيرهما شيخهم ابليس في كل ما زينه
لهم ولم يطاوعوه في هذه المسألة ويقولون اخطأ ابليس وهو اهل للخطأ اذ نسب الغواية الى ربه
تعالى الله عن ذلك فيقال لهم وابليس وان كان اهلا للخطأ فما تصنعون في نبي مكرم معصوم
وهو نوح عليه السلام حيث قال ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد
ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون وقد روي ان طاووسا جاءه رجل في المسجد الحرام وكان متهما
بالقدر وكان من الفقهاء الكبار فجلس اليه فقال له طاووس تقوم او تقام فقيل لطاووس
هذا الرجل فقيه فقال ابليس افقه منه يقول ابليس رب بما اغويتني ويقول هذا انا اغوي نفسي
الثالثة قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم اي بالطرد عنه وتزيين الباطل حتى يهلكوا كما
هلك او يضلوا كما ضل او يخيبوا كما خيب حسب ما تقدم المعاني الثلاثة في اغويتني والصراط
المستقيم هو الطريق الموصل الى الجنة وصراطك منصوب على حذف على او في من قوله صراطك
المستقيم كما حكى سيبويه ضرب زيد الظهر والبطن وانشد لدن بهز الكف يعسل متنه فيه
كما عسل الطريق الثعلب ومن احسن ما قيل في تاويل ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي لاضلنهم عن الحق وارغبنهم في الدنيا واشككهم في الاخرة وهذا غاية
في الضلال ولاضلنهم حسب ما تقدم وروى سفيان عن منصور عن الحكم بن عيينة قال من بين
ايديهم من دنياهم ومن خلفهم من اخرتهم وعن ايمانهم يعني حسناتهم وعن شمائلهم يعني سيئاتهم
النحاس وهذا الحسن وشرحه ولآتينهم من بين ايديهم من ذنوبهم حتى يكذبوا بما قبلها
من الايات واخبار الامم السالفة ومن خلفهم من اخرتهم حتى يكذبوا بها وعن ايمانهم من حسناتهم

ولم

وامور دينهم ويدل على هذا قوله انكم كنتم تاتوننا عن اليمين وعن شمائلهم يعني من سيئاتهم اي يتبعون
الشهوات لانه يزينها لهم ولا تجد اكثرهم شاكرين اي موحدين طايعين مظهرين الشكر قوله تعالى
قال اخرج منها اي من الجنة مذؤوما مدحورا اي مذموما والذام العيب بتخفيف الميم قال ابن زيد
مذؤوما ومذموما سواء يقال ذامته وذاممته وذممته بمعنى واحد وقرء الاعمش مذوما والمعنى
واحد الا انه خفف الهمزة وقال مجاهد المذموم المنفي والمعنيان متقاربان والمدحور المبعد
المطرود عن مجاهد وغيره واصله الدفع لمن تبعك منهم اللام لام القسم والجواب لاملان جهنم وقيل
لمن تبعك لام توكيد لاملان لام قسم والدليل على هذا انه يجوز في غير القران حذف اللام الاولى
ولا يجوز حذف الثانية وفي الكلام معنى والمجازاة اي من تبعك عذبته ولو قلت من
تبعك اعذبه لم يجز الا ان تريد لاعذبه وقرء عاصم من رواية ابي بكر بن عياش لمن تبعك بكسر
اللام وانكره بعض النحويين قال النحاس وتقديره والله اعلم من اجل من تبعك كما يقال اكرمت
فلانا لك وقد يكون المعنى الدحر لمن تبعك ومعنى منكم اجمعين اي منكم ومن بني ادم لان ذكرهم
قد جرى اذ قال ولقد خلقناكم يخاطب ولد ادم قوله تعالى ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة
فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان
ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت
لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة
واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين
قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون قوله تعالى ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة
قال لادم بعد اخراج ابليس من موضعه من السماء اسكن الجنة انت وحواء وقد تقدم في البقرة
معنى الاسكان فاغنى عن اعادته وتقدم معنى ولا تقربا هذه الشجرة هناك والحمد لله قوله تعالى
فوسوس لهما الشيطان اي اليهما قيل دخل الجنة بادخال الحية اياه وقيل من خارج بالسلطنة التي
جعلت له وقد مضى هذا في البقرة والوسوسة الصوت الخفي والوسوسة حديث النفس يقال
وسوست اليه نفسه وسوسة ووسواسا بكسر الواو والوسوسة بالفتح الاسم مثل الزلزلة والزلزال
ويقال لهمس الصايد والكلاب ولصوت الحلي وساوس قال الاعشى تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت
كما استعان بريح عشرق زجل والوسواس اسم الشيطان قال الله تعالى من شر الوسواس الخناس
ليبدي لهما اي ليظهر لهما واللام لام العاقبة كما قال تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وقيل لام كي
ووري اي ستر وغطي عنهما ويجوز في غير القران اوري مثل اقتت من سوآتهما من عوراتهما وسمي الفرج
سوءة لان اظهاره يسوء صاحبه ودل على هذا قبح كشفها فقيل انما بدت سوآتهما لهما لا لغيرهما
كان عليهما نور لا ترى عوراتهما فزال النور وقيل ثوب فتهافت والله اعلم الا ان تكونا ملكين ان
في موضع نصب بمعنى الا كراهة اي فحذف المضاف هذا قول البصريين والكوفيون يقولون
لئلا تكونا وقيل اي الا ان تكونا ملكين تعلمان الخير والشر وقيل طمع ادم في الخلود لانه علم
ان الملائكة لا يموتون الى يوم القيمة قال النحاس وبين الله عز وجل فضل الملائكة على جميع الخلق
في غير موضع من القران فمنها هذا الا ان تكونا ملكين ومنه ولا اقول اني ملك ومنه ولا
الملائكة المقربون وقال الحسن فضل الله الملائكة بالصور والاجنحة والكرامة وقال غيره

فضلهم عز وجل بالطاعة وترك المعصية فبهذا يقع التفضيل في كل شيء وقال ابن فورك لا حجة في
هذه الاية لانه يحتمل ان يريد ملكين في ان لا يكون لهما شهوة في طعام واختيار ابن عباس والزجاج
وكثير من العلماء تفضيل المؤمنين على الملائكة وقد مضى في البقرة وقال الكلبي فضلوا على الخلائق كلهم
غير طائفة من الملائكة جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت لانهم من جملة رسل الله وتمسك
كل فريق بظواهر من الشريعة والفضل بيد الله وقرء ابن عباس ملكين بكسر اللام وهي قراءة يحيى
بن ابي كثير والضحاك وانكر ابو عمرو بن العلا كسر اللام وقال لم يكن قبل ادم عليه السلام ملك
فيصيرا ملكين النحاس ويجوز على هذه القراءة اسكان اللام ولا يجوز على القراءة الاولى لخفة الفتحة
قال ابن عباس اتاهما الملعون من جهة الملك لهذا قال هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى
وزعم ابو عبيد ان احتجاج يحيى بن ابي كثير بقوله وملك لا يبلى حجة بينة ولكن الناس على تركها
فلهذا تركناها قال النحاس الا ان تكونا ملكين قراءة شاذة وقد انكر على ابي عبيد هذا الكلام
وجعل من الخطا الفاحش وهل يجوز ان يتوهم ادم عليه السلام انه يصل الى اكثر من ملك الجنة
وهي غاية الطالبين وانما معنى وملك لا يبلى المقام في ملك الجنة والخلود فيه قوله تعالى وقاسمهما
اني لكما لمن الناصحين اي حلف لهما يقال اقسم اقساما اي حلف قال الشاعر وقاسمها بالله جهدا
لانتم الذ من السلوى اذا ما نشورها وجاء فاعلت من واحد وهو يرد على من قال ان المفاعلة
لا تكون الا من اثنين وقد تقدم في المائدة اني لكما لمن الناصحين قاله ابن مسلم النحوي وقد
مثله في البقرة ومعنى الكلام اتبعاني ارشدكما قاله قتادة قوله تعالى فدلاهما بغرور اوقعهما
في الهلاك قال ابن عباس غرهما باليمين وكان يظن ادم انه لا يحلف احد بالله كاذبا فغرهما
بوسوسة وقسمه لهما وقال قتادة حلف بالله لهما حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله كان بعض
العلماء يقول من خادعنا بالله خدعنا وفي الحديث عنه عليه السلام المؤمن غر كريم والفاجر
خب لئيم وانشد نفطويه ان الكريم اذا تشاء خدعته وترى اللئيم مجربا لا يخدع فدلاهما
يقال دلى دلوه ارسلها ودلاها اخرجها وقيل دلاهما اي دلاهما من الدالة وهي الجراة اي جراهما
على المعصية فخرجا من الجنة قوله تعالى فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما فيه ثلاث مسائل
الاولى قوله فلما ذاقا الشجرة اي اكلا منها وقد مضى في البقرة الخلاف في هذه الشجرة وكيف
اكل ادم منها بدت لهما سوآتهما اكلت حوا اول ولم يصبها شيء فلما اكل ادم حلت العقوبة لان
النهي ورد عليهما كما تقدم في البقرة قال ابن عباس تقلص النور الذي كان لباسهما فصار اظفارا في
الايدي والارجل الثانية وطفقا ويجوز اسكان الفاء حكى الاخفش طفق يطفق مثل ضرب
يضرب اي اخذ في الفعل يخصفان وقرء الحسن بكسر الخاء وشد الصاد والاصل يختصفان فكسرت
وادغم وكسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرا ابن بريدة ويعقوب بفتح الخاء القى حركة التاء
عليها ويجوز يخصفان بضم الياء من خصف يخصف وقرء الزهري يخصفان من اخصف وكلاهما
منقول بالهمزة او التضعيف والمعنى يقطعان الورق ويلزقانه ليستترا به ومنه خصف النعل
والخصاف الذي يرقعها والمخصف المثقب قال ابن عباس هو ورق التين وروي ان ادم عليه
السلام لما بدت سوءته وظهرت عورته طاف على ورق الجنة يسال منها ورقا يغطي بها عورته
فزجرته اشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فاعطته ورقا فطفقا يعني ادم وحوا يخصفان
عليهما من ورق الجنة فكافا الله التين بان سوى ظاهره وباطنه في الحلاوة والمنفعة واعطاه
ثمرتين في عام واحد مرتين وفي الاية دليل على قبح كشف العورة وان الله اوجب عليهما الستر

ولذلك

ولذلك ابتدرا الى سترها ولا يمتنع ان يؤمرا بذلك في الجنة كما قيل لهما ولا تقربا وقد حكى صاحب البيان
عن الشافعي ان من لم يجد ما يستر به عورته الا ورق الشجر لزمه ان يستتر بذلك لانه سترة
ظاهرة يمكنه التستر بها كما فعل ادم في الجنة والله اعلم انتهى الثالثة وناداهما ربهما اي قال لهما الم
انهكما قالا ربنا نداء مضاف والاصل يا ربنا وقيل ان حذف يا معنى التعظيم فاعترفا بالخطيئة و
تابا وقد مضى في البقرة ومعنى قوله قال اهبطوا تقدم الى اخر الاية قوله تعالى قال فيها تحيون
الضماير كلها الى الارض ولم يذكر الواو في وقال ولو ذكرها لجاز ايضا وهو كقولك قال زيد لعمرو
قال له كذا قوله تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك
خير ذلك من ايات الله لعلهم يذكرون يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم
من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا
الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا
بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم
عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم
الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون قوله
يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير فيه اربع مسائل
الاولى قوله لباسا يواري سوآتكم قال كثير من العلماء هذا دليل على وجوب ستر العورة لانه قال
يواري سوآتكم وقال قوم انه ليس فيها دليل على ما ذكروه بل فيها دلالة على الانعام فقط قلت
القول الاول اصح ومن جملة الانعام ستر العورة بين انه جعل لذريته ما يسترون به عوراتهم
ودل على الامر بالستر ولا خلاف في بين العلماء في وجوب ستر العورة عن اعين الناس واختلفوا
في العورة ما هي فقال ابن ابي ذويب هي فرج الرجل نفسه القبل والدبر دون غيرهما وهو قول
داود واهل الظاهر وابن عيلة والطبري لقوله تعالى لباسا يواري سوآتكم بدت لهما سوآتهما
وفي البخاري عن انس فاجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وفيه ثم حسر الازار عن
فخذه حتى اني انظر الى بياض فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك السرة ليست بعورة
واكره للرجل ان يكشف فخذه بحضرة زوجته وقال ابو حنيفة الركبة عورة وهو قول عطا
وقال الشافعي ليست السرة ولا الركبتان من العورة على الصحيح وحكى ابو حامد الترمذي ان للشافعي
في المراة قولين وحجة مالك قوله عليه الصلاة والسلام لجرهد غط فخذك فان الفخذ عورة خرجه
البخاري تعليقا وقال حديث انس اسند وحديث جرهد احوط حتى يخرج من اختلافهم وحديث جرهد
هذا يدل على خلاف ما قاله ابو حنيفة وروي ان ابا هريرة قبل سرة الحسن بن علي وقال قبل
منك ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل منك ما كان فلو كانت السرة عورة ما قبلها ابو
هريرة ولا مكنه الحسن منها واما المراة الحرة فعورة كلها الا الوجه والكفين على هذا اكثر اهل العلم
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من اراد ان يتزوج امراة فلينظر الى وجهها وكفيها ولان ذلك
واجب كشفه في الاحرام وقال ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كل شيء من المراة عورة
حتى ظفرها وروي عن احمد بن حنبل واما ام الولد فقال الاثرم سمعته يعني احمد يسال عن ام الولد
كيف تصلي فقال تغطي راسها وقدميها لانها لا تباع وتصلي كما تصلي الحرة واما الامة فالعورة
منها ما تحت ثدييها ولها ان تبدي راسها ومعصمها وقيل حكمها حكم الرجل وقيل يكره لها كشف
راسها وصدرها وكان عمر يضرب الاماء على تغطيتهن رؤسهن ويقول لا تتشبهن بالحراير وقال

اصبغ ان انكشف فخذها اعادت الصلاة في الوقت وقال ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام
كل شي من الامة عورة حتى ظفرها وهذا خارج عن اقوال الفقهاء لاجماعهم على ان المراة الحرة
لها ان تصلي المكتوبة ويداها ووجهها مكشوف ذلك كله تباشر الارض به فالامة اولى وام الولد
احط حالا والصبي الصغير لا حرمة لعورته فاذا بلغت الجارية الحد تاخذها العين وتشتهي سترت
عورتها وحجة ابي بكر بن عبد الرحمن قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين
يدنين عليهن من جلابيبهن وحديث ام سلمة انها سئلت ماذا تصلي فيه المراة من الثياب فقالت
تصلي في الدرع والخمار السابغ الذي يغيب ظهور قدميها وقد روي مرفوعا والذين وقفوه على
ام سلمة اكثر واحفظ منهم مالك وابن اسحق وغيرهما قال ابو داود ورفعه عبد الرحمن بن عبد
الله بن دينار عن محمد بن زيد عن امه عن ام سلمة انها سالت النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو
عمر عبد الرحمن هذا ضعيف عندهم الا انه قد خرج البخاري بعض حديثه والاجماع في هذا الباب
اقوى من الخبر الثالثة قوله تعالى وريشا قرء ابو عبد الرحمن والحسن وعاصم من رواية المفضل
الضبي وابو عمرو من رواية الحسن بن علي الجعفي ورياشا ولم يحكه ابو عبيد الا عن الحسن ولم يفسر
معناه وهو جمع ريش وهو ما كان من اللباس والمال وقال الفراء ريش ورياش كما يقال لبس ولباس
وريش الطاير ما ستره الله به وقيل هو الخصب ورفاهية العيش والذي عليه اكثر اهل اللغة
ان الريش ما ستر من لباس ومعيشة وانشد سيبويه   ريشي منكم وهواي معكم   وان كانت زيارتكم
لماما   وحكى ابو حاتم عن ابي عبيدة وهبت له دابة بريشها اي بكسوتها وما عليها من اللباس الرابعة
قوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير بين ان التقوى خير لباس كما قال   اذا المرء لم يلبس ثيابا
من التقى   تقلب عريانا وان كان كاسيا   وخير لباس المرء طاعة ربه   ولا خير فيمن كان لله عاصيا
وروى قاسم ابن مالك عن عوف عن معبد الجهني قال لباس التقوى الحياء قال ابن عباس لباس التقوى
العمل وعنه ايضا السمت الحسن في الوجه وقيل ما علمه عز وجل وهدى به وقيل لباس التقوى لبس الصوف
والخشن من الثياب مما يتواضع لله تعالى به ويتعبد له خير من غيره وقال زيد بن علي لباس
التقوى الدرع والمغفر والساعدان والساقان يتقى بهما في الحرب عروة بن الزبير هو الخشية
لله وقيل هو استشعار تقوى الله فيما امر به ونهى عنه قلت وهو الصحيح واليه يرجع قول ابن
عباس وعروة وقول زيد بن علي حسن فانه حض على الجهاد وقال ابن زيد هو ستر العورة وهذا
فيه تكرار قال اولا قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم ومن قال لبس الخشن من الثياب فانه
اقرب الى التواضع وترك الرعونات فدعوى وقد كان الفضلاء من العلماء يلبسون الرفيع من
الثياب مع حصول التقوى على ما ياتي مبينا ان شاء الله تعالى وقراءة اهل المدينة والكسائي ولباس
بالنصب عطفا على لباس الاول وقيل انتصب بفعل مضمر اي وانزلنا لباس التقوى والباقون بالرفع
على الابتدا وذلك نعته وخير خبر الابتدا والمعنى ولباس التقوى المشار اليه الذي علمتموه خير لكم
من لباس الثياب التي تواري سواتكم ومن الرياش الذي انزلنا عليكم فالبسوه وقيل ارتفع باضمار
هذا اي وهو لباس التقوى اي وهو ستر العورة وعليه يخرج قول ابن زيد وقيل المعنى ولباس
التقوى هو خير ولم يعد ذلك وهو خلاف المصحف ذلك من ايات الله اي مما يدل على ان
له خالقا وذلك رفع على الصفة او البدل او عطف بيان قوله تعالى يا بني ادم لا يفتننكم
الشيطان فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى لا يفتننكم اي لا يصرفنكم الشيطان عن الدين كما فتن
ابويكم بالاخراج من الجنة اب للمذكر وابة للمونث فعلى هذا قيل ابوان ينزع عنهما لباسهما في موضع

نصب على الحال ويكون مستانفا فيوقف على من الجنة ليريهما نصب بلام كي انه يراكم هو وقبيله الاصل
يرءاكم ثم خففت الهمزة وقبيله عطف على المضمر وهو توكيد ليحسن العطف كقوله اسكن انت وزوجك
الجنة وهذا يدل على انه يقبح رايتك وعمرو وان المضمر كالمظهر وفي هذا ايضا دليل على وجوب
ستر العورة لقوله ينزع عنهما لباسهما قال الاخرون انما فيه التحذير من زوال النعمة كما نزل بادم
عليه السلام وهذا ان لو ثبت ان شرع ادم يلزمنا والامر بخلاف ذلك الثانية قوله تعالى انه
يراكم هو وقبيله جنده قال مجاهد الجن والشياطين ابن زيد قبيله نسله وقيل جيله من حيث
لا ترونهم وقيل جايز ان يروا لان الله تعالى اذا شاء ان يريهم كشف اجسامهم حتى ترى قال النحاس
من حيث لا ترونهم يدل على ان الجن لا يرون الا في وقت نبي ليكون ذلك دلالة على نبوته لان الله
عز وجل خلقهم خلقا لا يرون فيه وانما يرون اذا نقلوا عن صورهم وذلك من المعجزات التي لا تكون الا
في وقت الانبياء صلوات الله عليهم القشيري اجرى الله العادة بان بني ادم لا يرون الشياطين اليوم
وفي الخبر ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وقال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس وقال عليه
السلام ان للملك لمة وللشيطان لمة يعني بالقلب فاما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق
واما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وقد جاءت في رؤيتهم اخبار صحيحة وقد خرج البخاري
عن ابي هريرة قال وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان وذكر قصة طويلة ذكر
فيها انه اخذ الجني الذي كان ياخذ التمر وان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما فعل اسيرك البارحة
وقد تقدم في البقرة وفي صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لولا دعوة اخي سليمان لاصبح
موثقا يلعب به ولدان اهل المدينة في العفريت الذي تفلت عليه وسياتي في ص ان شاء الله تعالى
انا جعلنا الشياطين اوليا للذين لا يؤمنون اي زيادة في عقوبتهم وسوينا بينهم في الذهاب عن
الحق قوله تعالى قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها الفاحشة هنا في قول اكثر المفسرين
طوافهم بالبيت عراة وقال الحسن هي الشرك والكفر واحتجوا على ذلك بتقليدهم اسلافهم وبان
الله امرهم بها الحسن والله امرنا بها قالوا لو كره الله ما نحن عليه شغلنا عنه قل ان الله لا يامر
بالفحشاء بين انهم متحكمون ولا دليل لهم على ان الله امرهم بما ادعوا وقد مضى ذم التقليد
وكثير من جهالاتهم وهذا منها قوله تعالى قل امر ربي بالقسط قال ابن عباس لا اله الا الله وقيل
القسط العدل امر بالعدل فاطيعوه ففي الكلام حذف واقيموا وجوهكم اي توجهوا اليه في كل
صلاة الى القبلة عند كل مسجد اي في اي مسجد كنتم وادعوه مخلصين له الدين اي وحدوه ولا
تشركوا به كما بداكم تعودون نظيره ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقد تقدم والكاف
في موضع نصب اي تعودون كما بداكم اي كما خلقكم اول مرة يعيدكم وقال الزجاج هو متعلق بما
قبله اي ومنها تخرجون كما بداكم تعودون اي تعودون فريقا هدى فريقا نصب على الحال من
المضمر في تعودون اي فريقين فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة عن الكسائي وقال كعب
القرظي في قوله تعالى فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة قال من ابتدا الله خلقه للضلالة
صيره الى الضلالة وان عمل باعمال الهدى ومن ابتدا خلقه على الهدى صيره الى الهدى وان
عمل باعمال الضلالة ابتدا الله ابليس على الضلالة وعمل بعمل السعادة مع الملائكة ثم رده الله
الى ما ابتدا عليه خلقه قال وكان من الكافرين وفي هذا رد واضح على القدرية ومن تابعهم
وقيل فريقا نصب بهدى وفريقا الثاني نصب باضمار فعل اي واضل فريقا وانشد سيبويه
اصبحت لا احمل السلاح ولا   املك راس البعير ان نفرا   والذيب اخشاه ان مررت به وحدي

واخشى الزياح والمطر قال الفراء ولو كان مرفوعا لجاز انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله
وقرء عيسى بن عمر انهم بفتح الهمزة بمعنى لانهم قوله تعالى يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل
مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده و
الطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل
الايات لقوم يعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق
وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل امة اجل فاذا
جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قوله تعالى يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل
مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فيه سبع مسائل الاولى قوله يا بني ادم هو خطاب لجميع العالم
وان كان المقصود به من كان يطوف من العرب بالبيت عريانا فانه عام في كل مسجد للصلاة
لان العبرة للعموم لا للسبب ومن العلماء من انكر ان المراد به الطواف لان الطواف لا يكون الا
في مسجد واحد والذي يعم كل مسجد هو الصلاة وهذا قول من خفي عليه مقاصد الشريعة وفي صحيح
مسلم عن ابن عباس قال كانت امراة تطوف بالبيت وهي عريانة وهي تقول من يعيرني تطوافا تجعل
على فرجها وتقول اليوم يبدو بعضه او كله فما بدا منه فلا احله فنزلت هذه الاية خذوا
زينتكم التطواف بكسر التاء وهذه المراة هي ضباعة بنت عامر بن قرط قاله القاضي عياض وفي
صحيح مسلم ايضا عن هشام بن عروة عن ابيه قال كانت العرب تطوف بالبيت عراة الا الحمس
والحمس قريش وما ولدت كانوا يطوفون عراة الا ان تعطيهم الحمس ثيابا فيعطي الرجال الرجال
والنساء النساء وكان الحمس لا يخرجون من المزدلفة وكان الناس كلهم يقفون بعرفات في غير
مسلم ويقولون نحن اهل الحرم فلا ينبغي لاحد ان يطوف الا في ثيابنا ولا ياكل اذا دخل ارضنا الا
من طعامنا فمن لم يكن من العرب له صديق بمكة يعيره ثوبا ولا يسار يستاجره كان من احد
امرين اما ان يطوف بالبيت عريانا واما ان يطوف في ثيابه فاذا فرغ من طوافه القى ثوبه عنه
فلم يمسه احد فكان ذلك الثوب يسمى اللقا قال قايل العرب كفى حزنا كري عليه كانه لقى
بين ايدي الطايفين حريم فكانوا على ذلك من الجهالة والبدعة والضلالة حتى بعث الله
نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل الله يا بني ادم خذوا زينتكم واذن مؤذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا لا يطوف بالبيت عريان قلت ومن قال ان المراد الصلاة فزينتها النعال لما
رواه كرز بن وبرة عن عطا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذات يوم خذوا
زينة الصلاة فقيل وما زينة الصلاة قال البسوا نعالكم فصلوا فيها الثانية دلت الاية
على وجوب ستر العورة كما تقدم وذهب جمهور اهل العلم الى انها فرض من فروض الصلاة وقال
الابهري هي فرض في الجملة وعلى الانسان ان يسترها عن اعين المخلوقين في الصلاة وغيرها
وهو الصحيح لقوله عليه الصلاة والسلام للمسور بن مخرمة ارجع الى ثوبك فخذه ولا تمشوا
عراة اخرجه مسلم وذهب اسمعيل القاضي الى ان ستر العورة من سنن الصلاة واحتج بانه
لو كان فرضا في الصلاة لما كان العريان لا يجوز له ان يصلي لان كل شيء من فروض الصلاة يجب
الاتيان به مع القدرة عليه او بدله مع عدمه او تسقط الصلاة جملة وليس كذلك ابن العربي
واذا قلنا ان ستر العورة فرض في الصلاة فسقط ثوب امام فانكشف دبره وهو راكع فرفع
راسه فغطاه اجزاه قاله ابن القاسم وقال سحنون وكل من نظر اليه من المامومين اعاد
وروي عن سحنون ايضا انه يعيد ويعيدون لان ستر العورة شرط من شروط الصلاة فاذا

ظهرت بطلت الصلاة اصله الطهارة قال القاضي ابن العربي اما من قال ان صلاتهم لا تبطل فانهم
لم يفقدوا شرطا واما من قال ان اخذه مكانه صحت صلاته وتبطل صلاة من نظر اليه فصحيفة يجب
محوها ولا يجب الاشتغال بها وفي البخاري والنسائي عن عمرو بن سلمة قال لما رجع قومي من عند النبي
صلى الله عليه وسلم قالوا قال ليؤمكم اكثركم قراءة للقران قال فدعوني فعلموني الركوع والسجود فكنت
اصلي بهم وكانت علي بردة مفتوقة وكانوا يقولون لابي الا تغطي عنا است ابنك لفظ النسائي و
ثبت عن سهل بن سعد قال لقد كان الرجال عاقدي ازرهم في اعناقهم من ضيق الازر خلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة كامثال الصبيان فقال قايل يا معشر النساء لا ترفعن رؤسكن حتى
يرفع الرجال اخرجه البخاري والنسائي وابو داود الثالثة واختلفوا اذا راى عورة نفسه فقال
الشافعي اذا كان الثوب ضيقا يزره او يخله بشيء لئلا يتجافى القميص فيرى من الجيب العورة فان لم
يفعل وراى عورة نفسه اعاد الصلاة وهو قول احمد ورخص مالك في الصلاة في القميص محلول
الازرار ليس عليه سراويل وهو قول ابي حنيفة وابي ثور وكان سالم يصلي محلول الازرار وقال داود
الطائي اذا كان عظيم اللحية فلا باس به وحكى معناه الاثرم عن احمد فان كان اماما فلا يصلي الا برداء
لانه من الزينة وقيل من الزينة الصلاة في النعلين رواه انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم
يصح وقيل زينة الصلاة رفع الايدي في الركوع والرفع منه قال ابن عمر لكل شيء زينة وزينة
الصلاة التكبير ورفع الايدي وقال عمر رضي الله عنه اذا وسع الله عليكم فاوسعوا على انفسكم
جمع رجل عليه ثيابه صلى في ازار ورداء في ازار وقميص في ازار وقبا في سراويل وقميص في سراويل
وقبا واحسبه قال في تبان وقميص في تبان ورداء في تبان وقبا رواه البخاري والدار
قطني الرابعة قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا قال ابن عباس احل الله الاكل والشرب في هذه
الاية ما لم يكن سرفا او مخيلة فاما ما تدعو الحاجة اليه وهو ما سد الجوعة وسكن الظما فمندوب
اليه عقلا وشرعا لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس ولذلك ورد الشرع بالنهي عن الوصال
لانه يضعف الجسد ويميت النفس ويضعف عن العبادة وذلك يمنع منه الشرع ويدفعه العقل
وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظ من بر ولا نصيب من زهد لان ما حرمها من فعل الطاعة
بالعجز والضعف اكثر ثوابا واعظم اجرا وقد اختلف في الزايد على قدر الحاجة على قولين فقيل
حرام وقيل مكروه ابن العربي وهو الصحيح فان قدر الشبع يختلف باختلاف البلدان والازمان
والاسنان ثم قيل في قلة الاكل منافع كثيرة منها ان يكون الرجل اصح جسما واجود حفظا واذكى فهما
واقل نوما واخف نفسا وفي كثرة الاكل كظ المعدة وهي التخمة ويتولد منه الامراض المختلفة
فيحتاج من العلاج اكثر مما يحتاج اليه القليل الاكل وقال بعض العلماء اكبر الدوا تقدير
الغذا وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بيانا شافيا يغني عن كلام الاطباء فقال ما
ملا ادمي وعاء شرا من بطنه بحسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه
وثلث لشرابه وثلث لنفسه خرجه الترمذي من حديث المقدام بن معدي كرب قال علماؤنا لو
سمع بقراط هذه القسمة لعجب من هذه الحكمة يذكر ان الرشيد كان له طبيب نصراني
حاذق فقال لعلي بن حسين ما في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان
فقال له علي قد جمع الله الطب كله في نصف اية فقال ما هي قال قوله عز وجل كلوا واشربوا ولا
تسرفوا فقال النصراني ولا يذكر عن نبيكم شيء من الطب فقال علي جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الطب في الفاظ يسيرة فقال المعدة بيت الادوا والحمية راس كل دواء واعط كل جسد ما

عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قلت ويقال ان معالجة المريض نصف دواء ونصف حمية فان اجتمعا فكانك بالمريض قد برأ وصح باذن الله تعالى والا فالحمية به اولى اذ لا ينفع دواء مع ترك الحمية وقد تنفع الحمية مع ترك الدواء ولقد قال صلى الله عليه وسلم اصل كل دواء الحمية والمعنى بها والله اعلم انها تغني عن كل دواء وكذلك ان الهند جل معالجتهم الحمية يمنع المريض من الاكل والشرب والكلام عدة ايام فيبرأ ويصح الخامسة روي عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الكافر ياكل في سبعة امعاء والمؤمن ياكل في معاء واحد وهذا منه صلى الله عليه وسلم حض على التقليل من الدنيا والزهد فيها والقناعة بالبلغة وقد كانت العرب تمدح بقلة الاكل وتذم بكثرته كما قال قايلهم تكفيه فلذة ان الم بها من الشواء ويروي شربه الغمر وقالت ام زرع في ابن ابي زرع ويشبعه ذراع الجفرة وقال حاتم الطائي يذم بكثرة الاكل فانك ان اعطيت بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا وقال الخطابي معنى قوله المؤمن ياكل في معاء واحد اي يتناول دون شبعه ويؤثر على نفسه ويبقي من زاده لغيره فيقنعه ما اكل والتاويل الاول اولى والله اعلم وقيل في قوله عليه السلام الكافر ياكل في سبعة امعاء ليس على عمومه لان المشاهد يمنعه فانه قد يوجد كافر اقل اكلا من مؤمن ويسلم الكافر فلا يقل اكله ولا يزيد وقيل هو اشارة الى معين ضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيف كافر يقال انه الجهجاه الغفاري وقيل ثمامة بن اثال وقيل نضلة بن عمرو الغفاري وقيل نضرة بن ابي نضرة الغفاري فشرب حلاب سبع شياه ثم انه اصبح فاسلم فشرب حلاب شاة فلم يستتمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فكانه قال هذا الكافر والله اعلم وقيل ان القلب لما تنور بنور التوحيد نظر الى الطعام بعين التقوي على الطاعة فاخذ منه قدر الحاجة وحين كان مظلما بالكفر كان اكله كالبهيمة ترتع حتى تثلط واختلف في هذه الامعاء هل هي حقيقة ام لا فقيل حقيقة ولها اسماء معروفة عند اهل العلم بالطب والتشريح وقيل هي كنايات عن اسباب سبعة ياكل بها النهم ياكل للحاجة والخبر والنظر والشم واللمس والذوق ويزيد استغناما وقيل المعنى ياكل اكل من له سبعة امعاء والمؤمن لخفة اكله ياكل اكل من له معاء واحد فيشارك الكافر بجزء من اجزاء اكله ويزيد الكافر عليه بسبعة امثاله والمعاء في هذا الحديث هو المعدة السادسة واذا تقرر هذا فاعلم انه يستحب للانسان غسل اليد قبل الطعام وبعده لقوله عليه الصلاة والسلام الوضوء قبل الطعام وبعده بركة وكذا في التوراة رواه زاذان عن سلمان وكان مالك يكره غسل اليد النظيفة والاقتداء بالحديث اولى ولا ياكل طعاما حتى يعرف احار هو ام بارد فان كان حارا فقد يتاذى وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ابردوا بالطعام فان الحار غير ذي بركة حديث صحيح قد تقدم في البقرة ولا يشمه فان ذلك من عمل البهائم بل ان اشتهاه وان كرهه تركه ويصغر اللقمة ويكثر مضغها لئلا يعد شرها ويسمي الله تعالى في اوله ويحمده في اخره ولا ينبغي ان يرفع صوته بالحمد الا ان يكون جلساؤه قد فرغوا من الاكل لان في رفع الصوت منعا لهم من الاكل وآداب الاكل كثيرة هذه جملة منها وسياتي بعضها في سورة هود ان شاء الله تعالى وللشرب ايضا اداب مذكورة تركنا ذكرها لشهرتها وفي صحيح مسلم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اكل احدكم فلياكل بيمينه فان الشيطان ياكل بشماله ويشرب بشماله السابعة قوله ولا تسرفوا اي في كثرة الاكل وعنه يكون كثرة الشرب وذلك يثقل المعدة ويثبط الانسان عن خدمة ربه والاخذ بحظه من نوافل الخير فان تعدى ذلك الى ما فوقه مما يمنعه القيام بالواجب حرم عليه وكان قد اسرف في طعمه ومشربه

روي

روي اسد بن موسى من حديث عون بن ابي جحيفة عن ابيه قال اكلت ثريدا بلحم سمين فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا اتجشا فقال اكفف عليك من جشائك ابا جحيفة فان اكثر الناس شبعا في الدنيا اطولهم جوعا يوم القيامة فما اكل ابو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا كان اذا تغدى لا يتعشى واذا تعشى لا يتغدى قلت وقد يكون هذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن ياكل في معاء واحد اي التام الايمان لان من حسن اسلامه وكمل ايمانه كابي جحيفة تفكر فيما يصير اليه من الموت وما بعده فيمنعه الخوف والاشفاق من تلك الاهوال من استيفاء شهواته والله اعلم وقال ابن زيد ولا تسرفوا لا تاكلوا حراما وقيل من السرف ان تاكل كلما اشتهيت رواه انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم خرجه ابن ماجه في سننه وقيل من الاسراف الاكل بعد الشبع وقال لقمان لابنه يا بني لا تاكل شبعا فوق شبع فانك ان تنبذه للكلب خير من ان تاكله وسئل سمرة بن جندب عن ابنه ما فعل فقالوا بشم البارحة قال بشم فقالوا نعم قال اما انه لو مات ما صليت عليه وقيل ان العرب في الجاهلية كانوا لا ياكلون دسما في ايام حجهم ويكتفون باليسير من الطعام ويطوفون عراة فقيل لهم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا اي في تحريم ما لم يحرم عليكم قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق فيه اربع مسائل الاولى قوله قل من حرم زينة الله بين انهم حرموا من تلقاء انفسهم ما لم يحرمه الله عليهم والزينة هنا الملبس الحسن اذا قدر عليه صاحبه وقيل جميع الثياب كما روي عن عمر اذا وسع الله عليكم فاوسعوا وقد تقدم وروي عن علي بن الحسين بن ابي طالب شيخ مالك رضي الله عنه انه كان يلبس كساء خز بخمسين دينارا يلبسه في الشتاء فاذا كان في الصيف تصدق به او باعه وتصدق بثمنه وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر ممشقين ويقول من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الثانية واذا كان هذا فقد دلت الاية على لباس الرفيع من الثياب والتجمل بها في الجمع والاعياد وعند لقاء الناس ومزاورة الاخوان قال ابو العالية كان المسلمون اذا تزاوروا تجملوا وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب انه راى حلة سيراء تباع عند باب المسجد فقال يا رسول الله لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود اذا قدموا عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يلبس هذا من لا خلاق له في الاخرة فما انكر عليه ذكر التجمل وانما انكر عليه كونها سيراء وقد اشترى تميم الداري حلة بالف درهم كان يصلي فيها وكان مالك بن دينار يلبس الثياب العدنية الجياد وكان ثوب احمد بن حنبل يشترى بنحو الدينار اين هذا ممن يرغب عنه ويؤثر لبس الخشن من الكتان والصوف من الثياب ويقول ولباس التقوى ذلك خير هيهات اترى من ذكرنا تركوا لباس التقوى لا والله بل هم اهل التقوى واولو المعرفة والنهى وغيرهم اهل دعوى وقلوبهم خالية من التقوى قال ابن شوذب شهدت الحسن واتاه فرقد فاخذ بكسائه فجذبه اليه وقال له يا فرقد يا ابن ام فرقد ان البر ليس في هذا الكساء انما البر ما وقر في الصدر وصدقه العمل ودخل ابو محمد ابن اخي معروف الكرخي على ابي الحسن بن بشار وعليه جبة صوف فقال له ابو الحسن يا ابا محمد صوفت قلبك او جسمك صوف قلبك والبس القوهي على القوهي وقال رجل للشبلي قد ورد جماعة من اصحابك وهم في الجامع فمضى فراى عليهم المرقعات والفوط فانشا يقول اما الخيام فانها كخيامهم وارى نساء الحي غير نسائهم قال الفرج الجوزي وانا اكره لبس الفوط والمرقعات لاربعة اوجه احدها انه ليس من لبس السلف وانما كانوا يرقعون ضرورة الثاني انه يتضمن ادعاء الفقر وقد امر الانسان ان يظهر نعم الله عليه والثالث اظهار التزهد وقد امرنا بستره والرابع انه تشبه بهؤلاء المتزحزحين عن

الشريعة ومن تشبه بقوم فهو منهم وقال الطبري ولقد اخطا من اثر لبس الشعر والصوف على لباس القطن
والكتان مع وجود السبيل اليه من حله ومن اكل البقول والعدس واختاره على خبز البر ومن ترك اللحم
خوفا من عارض شهوة النساء وسئل بشر بن الحارث عن لبس الصوف فشق عليه وتبينت الكراهة
في وجهه قال لبس الخز والمعصفر احب الي من لبس الصوف في الامصار قال ابو الفرج وقد كان
السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون ويتخيرون اجودها للجمعة والعيد و
للقاء الاخوان وان لم يكن يتخير الاجود عندهم قبيحا واما اللباس الذي يزري بصاحبه فانه يتضمن
اظهار التزهد واظهار الفقر وكانه لسان شكوى من الله تعالى ويوجب احتقار اللابس وكل ذلك
مكروه منهي عنه فان قال قائل تجويد اللباس هوى النفس وقد امرنا بمجاهدتها وتزين للخلق
وقد امرنا ان تكون افعالنا لله لا للخلق فالجواب انه ليس كل ما تهواه النفس يذم ولا كل ما
يتزين له للناس يكره وانما ينهى عن ذلك اذا كان الشرع قد نهى عنه او على وجه الريا في باب
الدين فان الانسان يحب ان يرى جميلا وذلك حظ للنفس لا يلام فيه ولهذا يسرح شعره
وينظر في المراة ويسوي عمامته ويلبس بطانة الثوب الخشنة الى داخل وظهارته الحسنة الى
خارج وليس في شي من هذا ما يكره ولا يذم وقد روى مكحول عن عايشة قالت كان نفر من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم وفي الدار ركوة فيها ماء فجعل ينظر
في الماء ويسوي شعره فقلت يا رسول الله وانت تفعل هذا قال نعم اذا خرج الرجل الى اخوانه فليهي
من نفسه فان الله تعالى جميل يحب الجمال وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة
من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا
قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس والاحاديث في هذا المعنى كثيرة تدل كلها
على النظافة وحسن الهيئة وقد روى محمد بن سعد انا الفضل بن دكين قال نا مندل عن
ثور عن خالد بن معدان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسافر بالمشط والمراة والدهن
والسواك والكحل عن ابن جريج مشط عاج يمتشط به قال ابن سعد وانا قبيصة ابن عقبة قال
نا سفيان عن ربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكثر دهن راسه ويسرح لحيته بالماء انا يزيد بن هارون انا عباد بن منصور عن
عكرمة عن ابن عباس قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مكحلة يكتحل بها عند النوم ثلاثا
في كل عين الثالثة قوله تعالى والطيبات من الرزق اسم عام لما طاب كسبا وطعما ابن عباس
وقتادة يعني بالطيبات من الرزق ما حرم اهل الجاهلية من البحاير والسوايب والوصايل
والحوامي وقيل هي كل مستلذ من الطعام وقد اختلف في ترك الطيبات والاعراض عن اللذات
فقال قوم ليس ذلك من القربات والفعل والترك يستوي في المباحات وقال اخرون ليس
قربة في ذاته وانما هو سبيل الى الزهد في الدنيا وقصر الامل فيها وترك التكلف لاجلها وذلك
مندوب اليه والمندوب قربة وقال اخرون ونقل اخرون عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لو
شئنا لاتخذنا صلا وصلايق وصنابا ولكن سمعت الله تعالى يذم اقواما فقال اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا ويروى صرايق بالراء وهما جميعا الجرادق وقيل الصلايق باللام ما يلق من اللحم
والبقول والصلا بكسر الصاد والمد الشوا والصناب الخردل بالزبيب وفرق اخرون بين حصول
ذلك بكلفة وبغير كلفة قال ابو الحسن علي بن المفضل المقدسي شيخ اشياخنا وهو الصحيح ان شاء
الله تعالى فانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لم يمتنع من طعام لاجل طيبه قط بل كان

ياكل الحلوا والعسل والبطيخ والرطب وانما يكره التكلف لما فيه من التشاغل بشهوات الدنيا عن مهمات
الاخرة والله اعلم قلت وقد كره بعض الصوفية اكل الطيبات واحتج بقول عمر رضي الله عنه اياكم
واللحم فان له ضراوة كضراوة الخمر والجواب ان هذا من عمر قول خرج على من خشي منه ايثار التنعم
في الدنيا والمداومة على الشهوات وشفاء النفس من اللذات ونسيان الاخرة والاقبال على الدنيا
وكذلك كان يكتب لعماله اياكم والتنعم وزي اهل العجم واخشوشنوا ولم يرد رحمه الله تحريم شي
احله الله ولا يحظر ما اباحه تبارك اسمه وقول الله عز وجل احق ما امتثل واعتمد عليه قال الله عز
وجل قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال عليه الصلاة والسلام
سيد ادام الدنيا والاخرة اللحم وقد روى هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان ياكل البطيخ بالرطب ويقول يكسر حر هذا برد هذا وبرد هذا حر هذا والبطيخ لغة في البطيخ وهو
من المقلوب وقد مضى في البقرة الرد على من اثر اكل الخشن من الطعام وهذه الاية وغيرها رد والحمد
لله الرابعة قوله تعالى قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا يعني بحقها من توحيد الله تعالى
والتصديق به فان الله ينعم ويرزق فان وحده المنعم عليه وصدقه فقد قام بحق النعمة
وان كفر فقد امكن الشيطان من نفسه وفي صحيح الحديث لا احد اصبر على اذى من الله تعالى يعافيهم
ويرزقهم وهم يدعون له الصاحبة والولد وتم الكلام على الحياة الدنيا ثم خالصة بالرفع وهي
قراءة ابن عباس ونافع خالصة يوم القيامة اي يخص الله الطيبات في الاخرة للذين امنوا وليس
للمشركين فيها شي كما كان لهم في الدنيا من الاشتراك فيها ومجاز الاية قل هي للذين امنوا مشتركة في
الدنيا مع غيرهم وهي للمومنين خالصة فخالصة مستانف على خبر مبتدا مضمر وهذا قول ابن عباس
والحسن والضحاك وقتادة والسدي وابن جريج وابن زيد وقيل المعنى ان هذه الطيبات
الموجودات في الدنيا هي خالصة يوم القيمة للمومنين في الدنيا وخلوصها انهم لا يعاقبون عليها
ولا يعذبون فقوله في الحياة الدنيا متعلق بامنوا والى هذا يشير تفسير سعيد بن جبير وقرا
الباقون بالنصب على الحال والقطع لان الكلام قد تم دونه ولا يجوز الوقف على هذه القراءة
على الدنيا لان ما بعده متعلق بقوله للذين امنوا حالا منه بتقدير قل هي للذين امنوا في الحياة
الدنيا في حال خلوصها لهم يوم القيمة قاله ابو علي وخبر الابتدا للذين امنوا واختار سيبويه
النصب لتقدم الظرف كذلك نفصل الايات اي كالذي فصلت لكم الحلال والحرام افصل لكم ما
تحتاجون اليه قوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن فيه مسئلة واحدة
قال الكلبي لما لبس الثياب عيرهم المشركون فنزلت هذه الاية والفواحش الاعمال المفرطة في القبح
روى روح عن عبادة عن زكريا عن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال ما ظهر منها نكاح الامهات في
الجاهلية وما بطن الزنا وقال قتادة سرها وعلانيتها وهذا فيه نظر فان ذكر الاثم والبغي
يدل على ان المراد بالفواحش بعضها واذا كان كذلك فالظاهر من الفواحش الزنا والله اعلم
والاثم قال الحسن الخمر قال الشاعر شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يلعب بالعقول
وقال الاخر نشرب الاثم بالصواع جهارا وترى المتك بيننا مستعارا والبغي الظلم وتجاوز الحد
فيه وقال ثعلب البغي ان يقع الرجل في الرجل فيتكلم فيه ويبغي عليه بغير الحق الا ان ينتصر منه
بحق واخرج الاثم والبغي من الفواحش وهما منها لعظمهما وفحشهما فنص على ذكرهما تاكيدا لامرهما
وقصد الزجر عنهما وكذا وان تشركوا وان تقولوا وهما في موضع نصب عطفا على ما وقد انكر جماعة
ان يكون الاثم بمعنى الخمر قال الفرا الاثم ما دون الحد والاستطالة على الناس قال النحاس

فاما ان يكون الخمر فلا يعلم ذلك وحقيقة الاثم انه جميع المعاصي كما قال الشاعر اني وجدت الاثم شر سوى الاثم شرب الاثم قلت وانكره ابن العربي ايضا وقال لا حجة في الاثم لانه لو قال شربت الذنب او شربت الوزر لكان كذلك ولم يوجب قوله ان يكون الوزر والذنب اسما من اسماء الخمر كذلك الاثم والذي اوجب اثم التكلم بمثل هذا الجهل باللغة وبطريق المعاني قلت قد ذكرنا عن الحسن وقال الجوهري في الصحاح وقد تسمى الخمر اثما وانشد شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم تلعب بالعقول وانشده الهروي في غريبيه فلا يبعد ان يكون الاثم يقع على جميع المعاصي وعلى الخمر ايضا فلا تناقض والبغي التجاوز في الظلم وقيل الفساد قوله تعالى ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فيه مسئلة واحدة قوله ولكل امة اجل اي وقت موقت فاذا جاء اجلهم اي الوقت المعلوم عند الله عز وجل وقرا ابن سيرين جاء اجالهم بالجمع لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اقل من ساعة الا ان الساعة خصت بالذكر لانها اقل اسماء الاوقات وهي ظرف زمان فدل بهذا على ان المقتول انما يقتل باجله واجل الموت هو وقت الموت كما ان اجل الدين هو وقت حلوله وكل شي وقت به شي فهو اجل له واجل الانسان هو الوقت الذي يعلم الله انه يموت الحي فيه لا محالة وهو وقت لا يجوز تاخير موته عنه لا من حيث انه ليس مقدورا تاخيره وقال كثير من المعتزلة الا من شذ منهم ان المقتول مات بغير اجله الذي ضرب له وانه لو لم يقتل لحيي وهذا غلط لان المقتول لم يمت من قبل اجل غيره له بل من اجل ما فعل الله من ازهاق نفسه عند الضرب فان قيل فان مات باجله فلم يقتلون ضاربه ويقتصون منه قيل نقتله لتعديه وتصرفه فيما ليس له ان يتصرف فيه الا لموته وخروج الروح اذ ليس ذلك من فعله ولو ترك الناس التعدي من غير قصاص لادى ذلك الى الفساد ودمار العباد وهذا واضح قوله تعالى

يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين قوله يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم شرط ودخلت النون توكيدا لدخول ما وقيل ما صلة اي ان يأتيكم اخبرانه يرسل اليهم الرسل منهم لتكون اجابتهم اقرب والقصص اتباع الحديث بعضه بعضا آياتي فرايضي واحكامي فمن اتقى واصلح شرط وما بعده جوابه وهو جواب الاول اي اصلح ما بيني وبينه فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون دليل على ان المؤمنين يوم القيمة لا يخافون ولا يحزنون ولا يلحقهم خوف ولا فزع وقيل قد يلحقهم اهوال القيمة ولكن مالهم الامن وقيل جواب اما يأتينكم ما دل عليه الكلام اي فاطيعوهم فمن اتقى واصلح والاول قول الزجاج قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته المعنى اي شي اظلم واشنع من الافتراء على الله والتكذيب بآياته ثم قال اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب

اي ما ثبت لهم من رزق وعمر وعمل عن ابن زيد ابن جبير من شقاء وسعادة ابن عباس من خير وشر وابو صالح من العذاب بقدر كفرهم واختيار الطبري ان يكون المعنى ما كتب لهم من خير وشر ورزق وعمل واجل على ما تقدم عن ابن زيد وابن عباس وابن جبير وقال الاتري انه اتبع ذلك بقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم يعني رسل ملك الموت وقيل الكتاب هنا القرآن لان عذاب الكفار مذكور فيه وقيل الكتاب اللوح المحفوظ ذكر الحسن بن علي الحلواني قال املى علي علي بن المديني قال سالت عبد الرحمن بن مهدي عن القدر فقال لي كل شي بقدر قال وقد اعظم الفرية من قال ان المعاصي ليست بقدر قال علي وقال لي عبد الرحمن بن مهدي العلم والقدر والكتاب سواء ثم عرضت كلام عبد الرحمن بن مهدي على يحيى بن سعيد فقال لم يبق بعد هذا قليل ولا كثير وروى يحيى بن معين حدثنا مروان الفزاري نا اسمعيل بن سميع عن بكير الطويل عن مجاهد عن ابن عباس اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال قوم يعملون اعمالا لا بد لهم من ان يعملوها وحتى ليس غاية بل هو ابتداء خبر عنهم قال الخليل وسيبويه حتى واما والا لا يمكن لانهن حروف لا نفرق بينها وبين الاسماء مثل حبلى وسكرى قال الزجاج تكتب حتى بالياء لانها اشبهت سكرى ولو كتبت الا بالياء لاشبهت الى ولم تكتب اما بالياء لانها انضمت اليها ما قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله سؤال توبيخ ومعنى تدعون تعبدون قالوا ضلوا عنا اي بطلوا وذهبوا قيل هذا يكون في الاخرة وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اي اقروا بالكفر على انفسهم قوله تعالى قال ادخلوا في امم اي مع امم ففي بمعنى مع وهذا لا يمتنع لانك تقول زيد في القوم اي مع القوم وقيل هي على بابها ادخلوا في جملتهم والقايل قيل هو الله عز وجل اي قال الله ادخلوا وقيل هو مالك خازن النار كلما دخلت امة لعنت اختها اي التي سبقتها الى النار وهي اختها في الدين والملة حتى اذا اداركوا اي اجتمعوا وقرء الاعمش تداركوا وهو الاصل ثم وقع الادغام فاحتيج الى الف الوصل وحكاها المهدوي عن ابن مسعود النحاس وقرء ابن مسعود حتى اذا اداركوا اي ادرك بعضهم بعضا وعصمة عن ابي عمرو حتى اذا اداركوا باثبات الالف على الجمع بين الساكنين وحكى هذان عبد الله وله ثلثا المال وعن ابي عمرو ايضا اذا اداركوا بقطع الف الوصل فكانه سكت على اذا للتذكر فلما طال سكوته قطع الف الوصل كالمبتدي بها وقد جاء في الشعر قطع الف الوصل نحو قوله يا نفس صبرا كل حي لاق وكل اثنين الى افتراق وعن مجاهد وحميد بن قيس حتى اذا اداركوا بحذف الف اذا لالتقاء الساكنين وحذف الالف التي بعد الدال جميعا نصب على الحال قالت اخراهم لاولاهم اي اخرهم دخولا وهم الاتباع لاولاهم وهم القادة ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار فاللام في لاولاهم لام اجل لانهم لم يخاطبوا اولاهم ولكن قالوا في حق اولاهم ربنا هؤلاء اضلونا والضعف المثل الزائد على مثله مرة او مرات وعن ابن مسعود ان الضعف ههنا الافاعي والحيات ونظير هذه الاية ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا وهناك ياتي ذكر الضعف باشبع من هذا وما يترتب عليه من الاحكام ان شاء الله قال لكل ضعف اي للتابع والمتبوع ولكن لا تعلمون على قراءة من قرا بالياء اي لا يعلم كل فريق بالفريق الاخر اذ لو علم بعض من في النار ان عذاب احد فوق عذابه لكان نوع سلوة له وقيل المعنى ولكن لا تعلمون بالتاء اي ولكن لا تعلمون ايها المخاطبون ما يجدون من العذاب ويجوز ان يكون المعنى ولكن لا تعلمون يا اهل الدنيا مقدار ما هم فيه وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل اي كفرتم وفعلتم كما فعلنا فليس تستحقون تخفيفا من العذاب قوله تعالى لا تفتح لهم ابواب السماء اي لارواحهم جاءت بذلك اخبار صحاح ذكرناها في كتاب التذكرة منها حديث البراء بن عازب وفيه

فى قبض روح الكافر قال ويخرج معها ريح كانتن جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا
يمرون على ملاء من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان باقبح اسمائه
التى يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح لهم ثم قرا رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السماء اذا دعوا قاله مجاهد والنخعى وقيل المعنى لا تفتح لهم ابواب
الجنة لان الجنة فى السماء ودل على ذلك قوله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط والجمل
لا يلج فلا يدخلون البتة وهذا دليل قطعى لا يجوز العفو عنهم وعلى هذا اجماع المسلمين الذين لا يجوز
عليهم الخطا ان الله لا يغفر لهم ولا لاحد منهم قال القاضى ابو بكر بن الطيب فان قال قايل وكيف
يكون هذا اجماعا من الامة وقد زعم قوم من المتكلمين بان مقلدة اليهود والنصارى وغيرهم
من اهل الكفر ليسوا فى النار قيل له هؤلاء قوم انكروا ان يكون المقلد كافرا الشبهة دخلت عليهم ولم
يزعموا ان المقلد كافر وغيره كافر طريقه النظر دون التوقيف والخبر لا يفتح بالياء مضمومة على
تذكير الجمع وقرء الباقون بالتاء على تانيث الجماعة كما قال مفتحة لهم الابواب فانث ولما كان التانيث
فى الابواب غير حقيقى جاز تذكير الجمع وهى قراءة ابن عباس بالتاء وخفف ابو عمرو وحمزة والكسائى على
معنى ان التخفيف يكون للقليل والكثير والتشديد للكثير والتكثير مرة بعد مرة لا غير والتشديد
هنا اولى لانه على الكثير ادل والجمل من الابل قال الفراء الجمل زوج الناقة وكذا قال عبد الله بن
مسعود لما سئل عن الجمل فقال هو زوج الناقة كانه استجهل من ساله عما يعرفه الناس جميعا والجمع
جمال واجمال وجمالات وانما يسمى جملا اذا اربع وفى قراءة عبد الله حتى يلج الجمل الاصفر فى سم الخياط
ذكره ابو بكر الانبارى نا ابى نا نصر بن داود نا عبيد نا حجاج عن ابن جريج عن ابن كثير عن مجاهد
قال فى قراءة عبد الله فذكره وقرا ابن عباس الجمل بضم الجيم وفتح الميم وتشديدها وهو حبل السفينة
التى يقال له القلس وهو حبال مجموعة مع جملة قاله احمد بن يحيى ثعلب وقيل الحبل الغليظ من
القنب وقيل الحبل الذى يصعد به فى النخل وروى عنه ايضا عن سعيد بن جبير الجمل بضم الجيم
وتخفيف الميم قيل هو القلس ايضا وقيل على ما ذكرنا انفا وروى عنه ايضا بضمتين جمع جمل كاسد و
اسد وعن ابى السمال الجمل بفتح الجيم وسكون الميم تخفيف جمل وسم الخياط ثقب الابرة عن ابن عباس وغيره
وكل ثقب لطيف فى البدن يسمى سما وسما وجمعه سموم وجمع السم القاتل سمام وقرا ابن سيرين
فى سم بضم السين والخياط ما يخاط به يقال خياط ومخيط مثل ازار ومئزر وقناع ومقنع والمهاد
الفراش وغواش وغاشية اى نيران تغشاهم وكذلك نجزى الظالمين يعنى الكفار والله اعلم قوله تعالى
والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما
كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها
بما كنتم تعملون ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة كافرون وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون
كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون قوله تعالى لا نكلف
نفسا الا وسعها كلام معترض اى والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة ومعنى لا
نكلف نفسا الا وسعها اى لم يكلف احد من نفقات الزوجات الا ما وجد وتمكن منه دون ما لا
تناله يده ولم يرد اثبات الاستطاعة قبل الفعال قاله ابن الطيب نظيره لا يكلف الله نفسا

الاما انا ما قوله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل ذكر الله عز وجل فيما ينعم به على اهل الجنة نزع الغل
من صدورهم والنزع الاستخراج والغل الحقد الكامن فى الصدر والجمع غلال اى اذهب فى الجنة ما كان
فى قلوبهم من الغل فى الدنيا قال النبى صلى الله عليه وسلم الغل على باب الجنة كمبارك الابل قد نزعه الله
من قلوب المؤمنين وروى عن على رضى الله عنه انه قال ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير
ممن قال الله فيهم ونزعنا ما فى صدورهم من غل وقيل نزع الغل فى الجنة ان لا يحسد بعضهم بعضا فى
تفاضل منازلهم وقد قيل ان ذلك يكون عن شراب الجنة ولهذا قال وسقاهم ربهم شرابا طهورا اى
يطهر الاوصال من الغدر وعلى ما ياتى بيانه فى سورة الانسان والزمر ان شاء الله وقالوا الحمد لله الذى
هدانا لهذا اى لهذا الثواب بان ارشدنا وخلق لنا الهداية وهذا رد على القدرية وما كنا لنهتدى
قراءة ابن عامر باسقاط الواو والباقون باثباتها لنهتدى لولا ان هدانا الله فى موضع رفع ونودوا
ان فى موضع نصب مخففة من الثقيلة اى بانه تلكم الجنة وقد يكون تفسير المانودوا به لان النداء قول
فلا يكون لها موضع اى قيل لهم تلكم الجنة لانهم وعدوا بها فى الدنيا او يقال لهم ذلك قبل الدخول
حتى عاينوها من بعد قيل تلكم بمعنى هذه ومعنى اورثتموها بما كنتم تعملون اى ورثتم منازلها بعملكم ودخولكم
اياها برحمة الله كما قال ذلك الفضل من الله وقال فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل وفى صحيح مسلم لن
يدخل احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمة منه وفضل
وفى غير الصحيح ليس من كافر ولا مؤمن الا وله فى الجنة والنار منزل فاذا دخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار رفعت الجنة لاهل النار فنظروا الى منازلهم فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة
الله ثم قيل يا اهل الجنة اورثوها بما كنتم تعملون فيقسم بين اهل الجنة منازلهم انتهى قلت وفى صحيح
مسلم لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله مكانه النار يهوديا او نصرانيا فهذا ايضا ميراث نعم بفضله
من شاء وعذب بعدله من شاء وبالجملة فالجنة ومنازلها لا تنال الا برحمته فاذا دخلوها باعمالهم
فقد ورثوها برحمته ودخلوها برحمته اذا عمالهم رحمة منه لهم وتفضل عليهم وقرئ اورثتموها
من غير ادغام وقرئ بادغام التاء فى الثاء قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة هذا سؤال تقريع وتعيير
ان قد وجدنا مثل ان تلكم الجنة اى انه قد وجدنا وقيل هو نفس النداء فاذن مؤذن بينهم اى نادى
وصوت يعنى من الملائكة بينهم ظرف كما تقول اعلم وسطهم وقرء الاعمش والكسائى نعم بكسر العين
ويجوز على هذه اللغة باسكان العين قال المكى من قال نعم بكسر العين اراد ان يفرق بين نعم
التى هى جواب وبين نعم التى هى اسم للبقر والغنم وقد روى عن عمر انكار نعم فى الجواب وقال قل نعم ونعم
لغتان بمعنى العدة والتصديق فالعدة اذا استفهمت عن موجب نحو قولك ايقوم زيد فتقول
نعم والتصديق اذا اخبرت عما وقع تقول قد كان وكذا فتقول نعم فاذا استفهمت عن منفى فالجواب بلى
نحو قولك الم اكرمك فتقول بلى فنعم لجواب الاستفهام الداخل على الايجاب كما فى هذه الاية وبلى
جواب الاستفهام الداخل على النفى كما قال الست بربكم قالوا بلى وقرء البزى وابن عامر وحمزة والكسائى
ان لعنة الله وهو الاصل وقرء الباقون بتخفيف ورفع اللعنة على الابتداء فان فى موضع نصب
على القرائتين على اسقاط الخافض ويجوز فى المخففة ان لا يكون لها موضع من الاعراب وتكون
مفسرة كما تقدم وحكى عن الاعمش انه قرء ان لعنة بكسر الهمزة فهذا على اضمار القول كما قرء الكوفيون
فناداه الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يروى ان طاوسا دخل على هشام بن عبد الملك بن
مروان فقال له اتق الله واحذر يوم الاذان فقال وما يوم الاذان قال قوله تعالى فاذن مؤذن
بينهم ان لعنة الله على الظالمين فصعق هشام فقال طاوس فهذا ذل الصفة فكيف ذل

المعاينة قوله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله في موضع خفض للظالمين على النعت ويجوز الرفع والنصب على اضمارهم او اعني اي الذين كانوا يصدون في الدنيا الناس عن الاسلام فهو من الصد الذي هو المنع او يصدون بانفسهم عن سبيل الله اي يعرضون وهذا من الصدود ويبغونها عوجا يطلبون اعوجاجها ويذمونها وقد مضى هذا المعنى وهم بالاخرة كافرون اي كانوا بها كافرين فحذف وهو كثير في الكلام قوله تعالى وبينهما حجاب اي بين النار والجنة لانه ذكرهما حجاب اي سور وهو السور الذي ذكره الله تعالى في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف رجال اي وعلى اعراف السور وهي شرفه ومنه عرف الفرس وعرف الديك روى عبد الله بن ابي يزيد عن ابن عباس انه قال الاعراف سور له عرف كعرف الديك والاعراف في اللغة المكان المرتفع جمع عرف قاله يحيى بن ادم سالت الكسائي عن واحد الاعراف فسكت فقلت ثنا اسرائيل عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الاعراف سور له عرف مثل عرف الديك فقال نعم والله واحده وجماعته اعراف يا غلام القرطاس فكتبه وهذا الكلام خرج مخرج المدح كما قال فيه رجال لا تلهيهم تجارة وقد تكلم العلماء في اصحاب الاعراف على عشرة اقوال فقال عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وابن عباس والشعبي والضحاك وابن جبير هم قوم قد استوت حسناتهم وسيئاتهم قال ابن عطية وفي مسند خيثمة بن سليمان في اخر الجزء الخامس عشر حديث عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صوابه دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صوابه دخل النار قيل يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته قال اولئك اصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون وقال مجاهد هم قوم صالحون فقهاء علماء وقيل هم الشهداء ذكره المهدوي والقشيري وقيل هم فضلاء المؤمنين والشهداء ولم   من شغل انفسهم وتفرغوا لمطالعة حال الناس فاذا راوا اصحاب النار تعوذوا بالله ان يردوا الى النار فان في قدرة الله كل شيء وخلاف المعلوم مقدور فاذا راوا اهل الجنة ولم يدخلوها بعد يرجون لهم دخولها وقال شرحبيل هم المستشهدون في سبيل الله الذين خرجوا عصاة لابائهم وذكر الطبري في ذلك حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم وانه تعادل عقوقهم استشهادهم وذكر الثعلبي باسناده عن ابن عباس في قوله عز وجل وعلى الاعراف رجال قال الاعراف موضع عال على الصراط عليه العباس وحمزة وعلي بن ابي طالب وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه وحكى الزهراوي انهم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس باعمالهم وهم في كل امة واختار هذا القول النحاس وقال وهو من احسن ما قيل فيه فهم على السور بين الجنة والنار وقال الزجاج هم قوم انبياء وقيل هم قوم كانت لهم صغاير لم تكفر عنهم بالالام والمصايب في الدنيا وليست لهم كباير فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غم فيقع في مقابلة صغايرهم وتمنى سالم مولى ابي حذيفة ان يكون من اصحاب الاعراف لان مذهبه انهم مذنبون وقيل هم اولاد الزنا ذكره القشيري عن ابن عباس وقيل هم ملائكة موكلون بهذا السور يميزون الكافرين من المؤمنين قبل ادخالهم الجنة والنار ذكره ابو   فقيل لهم لا يقال للملائكة رجال فقال انهم ذكور وليسوا باناث فلا يبعد ايقاع لفظ الرجال عليهم كما وقع على الجن في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فهؤلاء الملائكة يعرفون المؤمنين بعلاماتهم والكفار بعلاماتهم فيبشرون المؤمنين بدخولهم الجنة وهم لم يدخلوها بعد فيطمعون فيها واذا راوا اهل النار دعوا لانفسهم بالسلامة من العذاب قال ابن عطية واللازم من الاية ان على الاعراف من اهل الجنة تاخر دخولهم

ويقع

ويقع لهم وصف من الاعتبار في الفريقين ويعرفون كلا بسيماهم اي بعلاماتهم وهي بياض الوجوه وحسنها في اهل الجنة وسوادها وقبحها في اهل النار الى غير ذلك من معرفة حيز هؤلاء وحيز هؤلاء قلت فوقف على التعيين لاضطراب الاثر والتفصيل والله بالامور عليم ثم الاعراف جمع عرف وهو كل عال مرتفع لانه بظهوره اعرف من المنخفض قال ابن عباس الاعراف شرف الصراط وقيل هو جبل احد يوضع هناك قال ابن عطية وذكر الزهراوي حديثا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدا جبل يحبنا ونحبه وانه يوم القيمة يمثل بين الجنة والنار يحبس عليه اقوام يعرفون كلا بسيماهم هم ان شاء الله اهل الجنة وذكر حديثا اخر عن صفوان بن سليم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان احدا على ركن من اركان الجنة قلت وذكر ابو عمر وعن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال احد جبل يحبنا ونحبه وانه على ترعة من ترع الجنة قوله تعالى ونادوا اصحاب الجنة اي نادى اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي قالوا لهم سلام عليكم وقيل المعنى سلمتم من العقوبة لم يدخلوها وهم يطمعون اي لم يدخلوا الجنة اصحاب الاعراف وهم يطمعون على هذا التاويل بمعنى وهم يعلمون انهم يدخلونها وذلك معروف في اللغة ان يكون طمع بمعنى علم ذكره النحاس وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ان المراد اصحاب الاعراف سلام عليكم لم يدخلوها بعد وهم يطمعون في دخولها لاهل الجنة المارين على اصحاب الاعراف والوقوف على قوله سلام عليكم وعلى قوله لم يدخلوها ثم يبتدى وهم يطمعون على معنى وهم يطمعون في دخولها ويجوز ان يكون وهم يطمعون حالا والمعنى لم يدخلها المؤمنون المارون على اصحاب الاعراف طامعين وانما دخلوها غير طامعين فلا يوقف على لم يدخلوها قوله تعالى واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون

قوله واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اي جهة اللقاء وهي جهة المقابلة ولم يات مصدر على تفعال غير حرفين تلقاء وتبيان والباقي بالفتح مثل تسيار وتهمام وتذكار واما الاسم بالكسر فيه فكثير مثل تقصار وتمثال قالوا اي قال اصحاب الاعراف ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين سالوا الله ان لا يجعلهم منهم وقد علموا انه لا يجعلهم معهم فهذا على سبيل التذلل كما يقول اهل الجنة ربنا اتمم لنا نورنا ويقولون الحمد لله على سبيل الشكر لله عز وجل ولهم في ذلك لذة قوله تعالى ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم اي من اهل النار قالوا ما اغنى عنكم جمعكم اي للدنيا واستكباركم عن الايمان اهؤلاء الذين اشارة الى قوم من المؤمنين الفقراء كبلال وسلمان وخباب وغيرهم اقسمتم في الدنيا لا ينالهم الله برحمة يوبخونهم بذلك ويزيدونهم غما وحسرة بان قالوا لهم ادخلوا الجنة وقرا عكرمة دخلوا الجنة بغير الف والدال مفتوحة وقرا طلحة بن مصرف ادخلوا الجنة بكسر الخاء على انه فعل ماض ودلت الاية على ان اصحاب الاعراف ملائكة او انبياء فان قولهم ذلك اخبار عن الله عز وجل ومن جعل اصحاب الاعراف المذنبين كان اخر قولهم لاصحاب

النار وما كنتم تستكبرون ويكون اهؤلاء الذين الى اخر الاية من قول الله تعالى لاهل النار توبيخا لهم على
ما كان من قولهم في الدنيا وروي عن ابن عباس والاول عن الحسن وقيل هو من كلام الملائكة الموكلين
باصحاب الاعراف يدخلون معهم النار فتقول الملائكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة قوله تعالى
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله فيها ثلاث مسائل الاولى
قوله ونادى قيل اذا صار اهل الاعراف الى الجنة طمع اهل النار فقالوا يا ربنا ان لنا قرابات في الجنة
فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فاهل الجنة لا يعرفونهم لسواد وجوههم فيقولون افيضوا علينا
من الماء او مما رزقكم الله فبين ان ابن ادم لا يستغني عن الطعام والشراب وان كان في العذاب
قالوا ان الله حرمهما على الكافرين يعني طعام الجنة وشرابها والافاضة التوسعة يقال افاض
عليه نعمة الثانية في هذه الاية دليل على ان سقي الماء من افضل الاعمال وقد سئل ابن عباس
اي الصدقة افضل قال الماء الم تروا الى اهل النار حين استغاثوا باهل الجنة ان افيضوا علينا
من الماء او مما رزقكم الله وروى ابو داود ان سعدا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اي الصدقة
اعجب اليك قال الماء في رواية فحفر بيرا فقال هذه لام سعد وعن انس قال قال سعد لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ان ام سعد كانت تحب الصدقة افينفعها ان اتصدق عنها
قال نعم وعليك بالماء في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم امر سعد بن عبادة ان يسقي عنها الماء
فدل ان سقي الماء من اعظم القربات عند الله وقد قال بعض التابعين من كثرت ذنوبه
فعليه بسقي الماء وقد غفر الله ذنوب الذي سقى الكلب فكيف بمن سقى رجلا مؤمنا موحدا واحياه
وروى البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي بطريق اشتد
عليه الحر فنزل بيرا فشرب منها ثم خرج فاذا كلب ياكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ
هذا الكلب مثل الذي بلغ بي فملا خفه ثم امسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب فشكر الله له
فغفر له قالوا يا رسول الله وان لنا في البهايم اجرا قال في كل كبد رطبة اجر وعكس هذا ما رواه
مسلم عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عذبت امراة في هرة سجنتها حتى
ماتت فدخلت فيها النار لا هي اطعمتها وسقتها اذ هي حبستها ولا هي تركتها تاكل من خشاش الارض
ومن حديث عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن سقى مسلما شربة من ماء حيث يوجد فكانما اعتق
رقبة ومن سقى مسلما شربة من ماء حيث لا يوجد الماء فكانما احياها اخرجه ابن ماجة في السنن
الثالثة وقد استدل بهذه الاية من قال ان صاحب الحوض والقربة احق بمائه وان له
منعه ممن اراده لان معنى قول اهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين لا حق لكم فيها وقد بوب
البخاري رحمه الله على هذا المعنى باب من راى ان صاحب الحوض والقربة احق بمائه وادخل
في الباب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لاذودن رجالا عن حوضي
كما تذاد الغريبة من الابل عن الحوض قال المهلب لا خلاف ان صاحب الحوض احق بمائه لقوله عليه
الصلاة والسلام لاذودن رجالا عن حوضي قوله تعالى الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا الذين
في موضع خفض نعت للكافرين وقد يكون رفعا ونصبا باضمار قيل هو من قول اهل الجنة فاليوم
ننسيهم اي نتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا اي تركوا العمل له وكذبوا به وما مصدرية اي
كنسيهم وما كانوا باياتنا يجحدون عطف عليه اي وجحدهم قوله تعالى ولقد جيناهم بكتاب يعني
القران فصلناه اي بيناه حتى يعرفه من تدبره وقيل فصلناه انزلناه متفرقا على علم منا به لم يقع
فيه سهو ولا غلط هدى ورحمة قال الزجاج اي هاديا وذا رحمة بمعنى هو هدى ورحمة وقيل

يجوز

يجوز هدى ورحمة بالخفض على البدل من كتاب وقال الكسائي والفراء يجوز هدى ورحمة بالخفض
على النعت لكتاب قال الفراء مثل وهذا كتاب انزلناه مبارك لقوم يومنون خص المومنون لانهم المنتفعون
به قوله تعالى هل ينظرون الا تاويله بالهمز من ال واهل المدينة يخففون الهمزة والنظر
الانتظار اي هل ينتظرون الا ما وعدوا به في القران من العقاب والحساب وقيل ينظرون من
النظر الى يوم القيمة فالكناية في تاويله ترجع الى الكتاب وعاقبة الكتاب ما وعد الله فيه من البعث
والحساب وقال مجاهد تاويله جزاؤه اي جزاء تكذيبهم بالكتاب قال قتادة تاويله عاقبته والمعنى
متقارب يوم ياتي تاويله اي تبدو عواقبه يوم القيمة ويوم نصب بيقول اي يقول الذين نسوه من
قبل يوم ياتي تاويله قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء استفهام فيه معنى التمني فيشفعوا
نصب لانه جواب الاستفهام لنا او نرد قال الفراء المعنى وهل نرد فنعمل قال الزجاج نرد عطف على
المعنى هل يشفع لنا احد او نرد وقرا ابن اسحق او نرد فنعمل بالنصب فيهما والمعنى الا ان نرد فنعمل كما
قال فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا وقرا الحسن او نرد فنعمل برفعهما
جميعا قد خسروا انفسهم ولم ينتفعوا بها وكل من لم ينتفع بنفسه فقد خسرها وقيل خسروا النعم وحظ
انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون اي بطل ما كانوا يقولون من ان مع الله الهة اخرى قوله تعالى
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار
يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب
العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين
يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من
كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي
خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون قوله تعالى ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام بين انه المنفرد بقدرة الايجاد فهو الذي يجب ان يعبد
واصل ستة سدسة فارادوا ادغام الدال في السين فالتقيا عند مخرج الدال فغلبت عليهما
وان شئت قلت ابدل من احدى السينين تاء وادغم في الدال لانك تقول في تصغيرها سديسة
وفي الجمع اسداس والجمع والتصغير يردان الاسماء الى اصولها ويقولون جاء فلان سادسا وسادتا
وساتا ابدل من السين تاء واليوم من طلوع الشمس الى غروبها فان لم يكن شمس فلا يوم قاله القشيري
قال ومعنى في ستة ايام اي من ايام الاخرة كل يوم الف سنة لتفخيم الامر في خلق السموات والارض
وقيل من ايام الدنيا قال مجاهد وغيره اولها الاحد واخرها الجمعة وذكر هذه المدة ولو اراد
خلقها في لحظة لفعل اذ هو قادر على ان يقول لها كوني فتكون ولكنه اراد ان يعلم عباده الرفق
والتثبت في الامور ولتظهر قدرته للملائكة شيئا بعد شيء وهذا عند من يقول خلق الملائكة
قبل السموات والارض وحكمة اخرى خلقها في ستة ايام لان لكل شيء عنده اجلا كقوله ولقد
خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون
بعد ان قال وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا قوله تعالى ثم استوى على العرش
هذه مسئلة الاستواء وللعلماء فيها كلام واجرا وقد بينا اقوال العلماء فيها في الكتاب الاسنى
في شرح اسماء الله الحسنى وصفاته العليا وذكرنا هناك فيها اربعة عشر قولا والاكثر من المتقدمين
والمتاخرين انه اذا وجب تنزيه الباري سبحانه وتعالى عن الجهة والتحيز فمن ضرورة ذلك

ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم من المتاخرين تنزيهه تبارك وتعالى
عن الجهة فليس بجهة فوق عندهم لانه يلزم من ذلك عندهم متى اختص بجهة ان يكون في مكان وحيز
ويلزم على المكان والحيز الحركة والسكون للمتحيز والتغير والحدوث وهذا قول المتكلمين وقد كان
السلف الاول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة باثباتها
لله تعالى كما نطق كتابه واخبرت رسله ولم ينكر احد من السلف الصالح انه استوى على عرشه حقيقة
وخص العرش بذلك لانه اعظم مخلوقاته وانما جهلوا كيفية الاستواء فانه لا تعلم حقيقته كما قال
مالك رحمه الله الاستواء معلوم يعني في اللغة والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة وكذا
قالت ام سلمة رضوان الله عليها وهذا القدر كاف ومن اراد الزيادة عليه فليقف عليه في موضعه
من كتب العلماء والاستواء في كلام العرب هو العلو والاستقرار قال الجوهري واستوى من اعوجاج
واستوى على ظهر دابته اي استقر واستوى الى السماء اي قصد واستوى اي استولى وظهر قال
قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق واستوى الرجل اي انتهى شبابه واستوى
الشيء اي اعتدل وحكى ابو عمر بن عبد البر عن ابي عبيدة في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى
قال علا وقال الشاعر فاوردتهم ماء بفيفاء قفرة وقد حلق النجم اليماني فاستوى اي علا وارتفع
قلت فعلو الله تعالى وارتفاعه عبارة عن علو مجده وصفاته وملكوته اي ليس فوقه فيما يجب له
من معاني الجلال احد ولا معه من يكون العلو مشتركا بينه وبينه لكنه العلي بالاطلاق سبحانه
وتعالى قوله تعالى على العرش العرش لفظ مشترك يطلق على اكثر من واحد قال الجوهري وغيره
العرش سرير الملك وفي التنزيل نكروا لها عرشها ورفع ابويه على العرش والعرش سقف البيت
وعرش القدم ما نتأ في ظهرها وفيه الاصابع وعرش السماك اربعة كواكب صغار اسفل من العوا
يقال انها عجز الاسد وعرش البئر طيها بالخشب بعد ان يطوى اسفلها بالحجارة قدر قامة فذلك
الخشب هو العرش والجمع عروش والعرش اسم للملك والعرش الملك والسلطان فيقال ثل
عرش فلان اذا ذهب ملكه وسلطانه وعزه قال زهير تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان
اذ ذلت باقدامها النعل وقد تاول العرش في الاية بمعنى الملك اي ما استوى الملك الا له عز وجل
وهو قول حسن وفيه نظر وقد بيناه في جملة الاقوال في كتابنا الاسنى والحمد لله قوله تعالى يغشي
الليل النهار اي يجعله كالغشاء اي يذهب نور النهار ليتم قوام الحياة الدنيا بمجيء الليل فالليل
للسكون والنهار للمعاش وقرئ يغشي بالتشديد ومثله في الرعد وهي قراءة ابي بكر عن عاصم
وحمزة والكسائي وخفف الباقون وهما لغتان اغشى وغشى وقد اجمعوا على فغشاها ما غشى مشددا واجمعوا
على فاغشيناهم فالقراءتان متساويتان وفي التشديد معنى التكرير والتكثير والتغشية والاغشاء
الباس الشيء ولم يذكر في هذه الاية دخول النهار على الليل فاكتفى باحدهما عن الاخر مثل سرابيل تقيكم
الحر وبيده الخير وقرئ حميد بن قيس يغشى الليل النهار ومعناه ان النهار يغشى الليل يطلبه حثيثا
اي يطلبه حثيثا دائما من غير فتور ويغشى الليل النهار وكذا يطلبه حالا عن الليل والتقدير استوى
على العرش يغشي الليل النهار وكذا يطلبه حال من الليل اي يغشي الليل النهار ويحتمل ان تكون الجملة
مستانفة ليست بحال حثيثا بدل من طالب المقدر او نعت لمصدر محذوف اي يطلبه طلبا سريعا
والحث الاعجال والسرعة اي سريعا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره قال الاخفش هي معطوفة على السموات
اي وخلق الشمس وروي عن عبد الله بن عامر بالرفع فيها كلها على الابتداء والخبر قوله تعالى الا له
الخلق والامر فيه مسئلتان الاولى صدق الله في خبره فله الخلق والامر خلقهم وامرهم بما احب وهذا

الامر

الامر يقتضي النهي قال ابن عيينة فرق بين الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر فالخلق المخلوق والامر كلامه
الذي هو غير مخلوق وهو قوله كن انما امرنا اي قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وفي تفرقته
بين الخلق والامر دليل بين على فساد من قال بخلق القران اذ لو كان كلامه الذي هو امر مخلوقا لكان قد
قال الا له الخلق والخلق وذلك عي من الكلام ومستهجن ومستغث والله منزه عن التكلم بما لا فائدة
فيه ويدل عليه قوله سبحانه ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره فاخبر سبحانه ان المخلوقات فلو كان الامر مخلوقا لافتقر الى امر اخر الى ما لا نهاية له وذلك
محال فثبت ان امره الذي هو كلامه قديم ازلي غير مخلوق ليصح قيام المخلوقات به ويدل عليه
ايضا قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق فاخبر تعالى انه خلقهما بالحق يعني
القول وهذا قول للمكونات فلو كان الخلق مخلوقا لما صح ان يخلق المخلوقات لان الخلق لا يخلق المخلوق
ويدل عليه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك
عنها مبعدون ولكن حق القول مني وهذا كله اشارة الى السبق في القول في القدم وذلك يوجب الازل
في الوجود وهذه النكتة كافية في الرد عليهم ولهم ايات احتجوا بها على مذهبهم مثل قوله ما ياتيهم من
ذكر من ربهم محدث الاية ومثل قوله وكان امر الله قدرا مقدورا ومفعولا وما كان مثله قال القاضي
ابو بكر معنى ما ياتيهم من ذكر اي من وعظ من النبي صلى الله عليه وسلم ووعد وتخويف الا استمعوه وهم
يلعبون لان وعظ الرسل عليهم السلام وتحذيرهم ذكر قال الله تعالى وذكر انما انت مذكر ويقال فلان
في مجلس الذكر ومعنى وكان امر الله قدرا مقدورا ومفعولا اراد سبحانه عقابه وانتقامه من الكافرين
ونصره للمؤمنين وما حكم به وقدره من افعاله ومن ذلك قوله حتى اذا جاء امرنا وقال عز وجل وما امر
فرعون برشيد يعني بشانه وافعاله وطريقه قال الشاعر لها امرها حتى اذا ما تبوأت باخفافها
مرعى تبوا مضجعها الثانية واذا تقرر هذا فاعلم ان الامر ليس من الارادة وليس بصحيح بل يامر بما لا
يريد وينهى عما يريد الا ترى انه امر ابراهيم بذبح ابنه اسماعيل ولم يرده منه وامر نبيه عليه الصلاة
والسلام ان يصلي مع امته خمسين صلاة ولم يرد منه الا خمس صلوات وقد اراد شهادة حمزة حيث يقول
ويتخذ منكم شهداء وقد نهى الكفار عن قتله ولم يامرهم به وهذا صحيح نفيس في بابه فتامله قوله
تعالى تبارك الله رب العالمين تبارك تفاعل من البركة وهي الكثرة والاتساع يقال بورك الشيء
وبورك فيه قاله ابن عرفة وقال الازهري تبارك وتعالى وتعاظم وقيل اي باسمه يتبارك ويتيمن
وقد مضى في الفاتحة رب العالمين قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية فيه ثلاث مسائل الاولى
قوله ادعوا ربكم هذا امر بالدعاء وتعبد به ثم قرن عز وجل بالامر صفات تحسن معه وهي الخشوع
والاستكانة والتضرع ومعنى خفية اي سرا في النفس ليبعد عن الرياء وبذلك اثنى على نبيه زكريا
عليه السلام اذ قال مخبرا عنه اذ نادى ربه نداء خفيا ونحوه قول النبي صلى الله عليه وسلم خير الذكر
الخفي وخير الرزق ما يكفي والشريعة مقررة ان السر فيما لم يفترض من اعمال البر اعظم اجرا من الجهر وقد
تقدم هذا المعنى في البقرة قال الحسن بن ابي الحسن لقد ادركنا اقواما ما كان على الارض عمل يقدرون
على ان يكون سرا فيكون جهرا ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء فلا يسمع لهم صوت ان هو
الا الهمس بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وذكر عبدا
صالحا رضي فعله فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وقد استدل اصحاب ابي حنيفة بهذا على ان
اخفاء امين اولى من الجهر بها لانه دعاء وقد مضى القول فيه في الفاتحة وروى مسلم عن ابي موسى
قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر وفي رواية في غزاة فجعل الناس يجهرون بالتكبير وفي

رواية فجعل رجل كلما علا ثنية قال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس
اربعوا على انفسكم انكم لستم تدعون اصم ولا غايبا انكم تدعونه سميعا قريبا وهو معكم الحديث الثانية
واختلف العلماء في رفع اليدين في الدعا فكرهه جماعة منهم جبير بن مطعم وسعيد بن جبير وسعيد بن
المسيب وراى شريح رجلا رافعا يديه فقال من تتناول بهما لا ام لك وقال مسروق لقوم رفعوا
ايديهم قطعها الله واختاروا اذا دعا الله في حاجة ان يشير باصبعه السبابة ويقولون ذلك الاخلاص
وكان قتادة يشير باصبعه ولا يرفع يديه وكره رفع الايدي عطا وطاوس ومجاهد وروي جواز
الرفع عن جماعة من الصحابة والتابعين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره البخاري قال ابو موسى
الاشعري دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه ورايت بياض ابطيه ومثله عن انس وقال ابن عمر
رفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اني ابرا اليك مما صنع خالد وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن
الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلثمائة
وسبعة رجال فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه وذكر الحديث
وروى الترمذي عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رفع يديه لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه قال
هذا حديث صحيح غريب وروى ابن ماجة عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ربكم حيي كريم يستحي
من عبده ان يرفع يديه اليه فيردهما صفرا خايبتين احتج الاولون بما رواه مسلم عن عمارة بن رويبة
وروى بشر بن مروان رافعا يديه فقال قبح الله هاتين اليدين لقد رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما يزيد على ان يقول بيده هكذا واشار باصبعه المسبحة وبما روى سعيد بن ابي عروبة
عن قتادة ان انس بن مالك حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرفع يديه في شيء من
الدعا الا عند الاستسقاء فانه كان يرفعهما حتى يرى بياض ابطيه والاول اصح طرقا واثبت من
حديث سعيد بن ابي عروبة فان سعيدا كان تغير عقله في اخر عمره وقد خالفه شعبة في روايته
عن قتادة عن انس فقال فيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه
وقد قيل انه اذا نزل بالمسلمين نازلة ان الرفع عند ذلك جميل حسن كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم
في الاستسقاء ويوم بدر قلت والدعاء حسن كيف ما تيسر وهو المطلوب من الانسان لاظهار
موضع الفقر والحاجة الى الله عز وجل والتذلل والخضوع فان شاء استقبل القبلة ورفع يديه
فحسن وان شاء لا فقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم حسب ما ورد في الاحاديث وقد قال تعالى
ادعوا ربكم تضرعا وخفية ولم يرد صفة من رفع يدين وغيرها وقال الذين يذكرون الله قياما
وقعودا فمدحهم ولم يشترط حالة غير ما ذكر وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم الجمعة
وهو غير مستقبل القبلة الرابعة قوله تعالى انه لا يحب المعتدين يريد في الدعا وان كان
اللفظ عاما الى هذا هي اشارة والمعتدي هو المجاوز للحد ومرتكب الحظر وقد يتفاضل بحسب ما اعتدى
به وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون قوم يعتدون في الدعاء خرجه ابن ماجة عن
ابي بكر بن ابي شيبة نا عفان نا حماد بن سلمة نا سعيد الجريري عن ابي نعامة ان عبد الله بن
مغفل سمع اباه يقول اللهم اني اسالك القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها فقال اي بني
سل الله الجنة وعذ به من النار فاني سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون قوم
يعتدون في الدعاء والاعتداء في الدعاء على وجوه منها الجهر الكثير والصياح كما تقدم ومنها ان يدعو
الانسان في ان يكون له منزلة نبي ويدعوا في محال ونحو هذا من الشطط ومنها ان يدعو طالبا
معصية وغير ذلك ومنها ان يدعوا بما ليس في الكتاب والسنة فيتخذ الفاظا مفقرة وكلمات مسجعة

قد وجدها في كراريس لا اصل لها ولا معول عليها فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء كما تقدم بيانه في البقرة قوله تعالى ولا تفسدوا في الارض
بعد اصلاحها فيه مسئلة واحدة وهو انه سبحانه نهى عن كل فساد قل او كثر بعد صلاح قل او كثر فهو على
العموم على الصحيح من الاقوال وقال الضحاك معناه لا تغوروا الماء المعين ولا تقطعوا الشجر المثمر ضرارا وقد
ورد قطع الدنانير من الفساد في الارض وقال القشيري المراد ولا تشركوا فهو نهي عن الشرك وسفك الدماء
والهرج في الارض وامر بلزوم الشرايع بعد اصلاحها بعد ان اصلحها الله ببعثة الرسل وتقرير الشرايع
ووضوح ملة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عطية هذه المقالة قصد الى اكبر فساد بعد اعظم صلاح
فخصه بالذكر قلت واما ما ذكره الضحاك فليس على عمومه وانما ذلك اذا كان فيه ضرر على
المؤمنين واما ما يعود ضرره على المشركين فذلك جايز فان النبي صلى الله عليه وسلم قد غور ماء قليب
بدر وقطع شجر الكافرين وسياتي الكلام على قطع الدنانير في هود ان شاء الله تعالى قوله تعالى
وادعوه خوفا وطمعا امرنا بان يكون الانسان في حالة ترقب وتخويف وتامل لله عز وجل حتى
يكون الخوف والرجاء للانسان كالجناحين للطاير يحملانه في طريق استقامته وان انفرد احدهما
هلك الانسان قال الله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فرجا
وخوف فيدعوا الانسان خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وسيأتي
القول فيه والخوف الانزعاج لما لا يؤمن من المضار والطمع توقع المحبوب قاله القشيري وقال بعض
اهل العلم ينبغي ان يغلب الخوف الرجا طول الحياة فاذا جاء الموت غلب الرجا قال صلى الله عليه وسلم
لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله اخرجه مسلم قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين
ولم يقل قريبة ففيه سبعة اوجه اولها ان الرحمة والرحم واحد وهي بمعنى العفو والغفران قاله
الزجاج واختاره النحاس وقال النضر بن شميل الرحمة مصدر وحق المصدر التذكير كقوله فمن جاءه
موعظة وهذا قريب من قول الزجاج لان الموعظة بمعنى الوعظ وقيل اراد بالرحمة الاحسان ولان
ما لا يكون تانيثه حقيقيا جاز تذكيره ذكره الجوهري وقيل اراد بالرحمة هنا المطر قاله الاخفش
قال ويجوز ان يذكر كما يذكر بعض المونث وانشد فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل
ابقالها وقال ابو عبيدة ذكر قريب على تذكير المكان اي مكانا قريبا قال علي بن سليمان وهذا
خطا ولو كان كما قال لكان قريب منصوبا في القران كما يقول ان زيدا قريبا منك وقيل ذكر على
النسب كانه قال ان رحمة الله ذات قرب كما يقال امراة طالق وحايض وقال الفرا اذا كان
القرب في معنى المسافة يذكر ويؤنث واذا كان في معنى النسب يؤنث بلا اختلاف بينهم تقول هذه
المراة قريبتي اي ذات قرابتي ذكره الجوهري وذكر غيره عن الفراء يقال في النسب قريبة فلان وفي
غير النسب يجوز التذكير والتانيث يقال دارك منا قريب وفلانة منا قريب قال الله تعالى وما
يدريك لعل الساعة تكون قريبا وقال من احتج له كذا كلام العرب قال امرؤ القيس له الويل
ان امسي لا ام هاشم قريب ولا البسباسة ابنة يشكرا قال الزجاج وهذا خطا لان سبيل المذكر
والمونث ان يجريا على افعالهما قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح عطف على قوله يغشي الليل
النهار ذكر شيئا اخر من نعمه ودل على وحدانيته وثبوت الالهية وقد مضى الكلام في الريح
في البقرة ورياح جمع كثرة وارياح جمع قلة واصل ريح روح وقد خطي من قال في جمع القلة ارياح نشرا
فيه سبع قراات قرا اهل الحرمين وابو عمرو نشرا بضم النون والشين جمع ناشر على معنى النسب اي
ذات نشر مثل شاهد وشهد ويجوز ان يكون جمع نشور كرسول ورسل يقال ريح النشور اذا اتت

من ههنا وههنا والنشور بمعنى المنشور كالركوب بمعنى المركوب اي وهو الذي يرسل الرياح منشرة وقرء
الحسن وقتادة نشرا بضم النون واسكان الشين مخففا من نشر كما يقال كتب ورسل وقرء الاعمش
وحمزة نشرا بفتح النون واسكان الشين على المصدر واعمل فيه معنى ما قبله وهو الذي ينشر الرياح نشرا
نشرت الشيء فانتشر فكانها كانت مطوية فنشرت عند الهبوب ويجوز ان يكون مصدرا في موضع الحال
من الرياح كانه قال يرسل الرياح منتشرة اي محيية من انشر الله الميت فنشر كما تقول اتانا ركضا اي
راكضا وقد قيل ان نشرا بالفتح من النشر الذي هو خلاف الطي على ما ذكرنا كان الريح في سكونها المطوية
ثم ترسل من طيها ذلك فتصير كالمنفتحة وقد فسره ابو عبيد بمعنى متفرقة في وجوهها على معنى ينشرها
ههنا وههنا وقرا عاصم بشرا بالباء واسكان الشين والتنوين جمع بشير اي الرياح تبشر بالمطر وهو هذه
قوله وهو الذي يرسل الرياح مبشرات واصل الشين الضم لكن اسكنت تخفيفا كرسول ورسل وروي
عنه بشرا بفتح الباء النحاس ويقرا بشرا وبشرا مصدر بشره يبشره بمعنى نشره فهذه خمس قراءات وقرء
محمد اليماني نشرا على وزن حبلى وقراءة سابعة بشرا بضم الباء والشين قوله تعالى حتى اذا اقلت
سحابا ثقالا السحاب يذكر ويؤنث وكذا كل جمع بينه وبين واحده ها ويجوز نعته بواحد فيقول
سحاب ثقيلة وثقيل والمعنى حملت الريح سحابا ثقالا بالماء اي استقلت تحمله يقال اقل فلان الشيء
اي حمله سقناه اي السحاب لبلد ميت اي ليس فيه نبات يقال سقته لبلد كذا والى بلد كذا وقيل
لاجل بلد ميت فاللام لام لاجل والبلد الطيب واحد البلاد والبلد كل موضع من الارض عامر او غير عامر
خال او مسكون والبلدة والبلد واحد البلاد والبلدان والبلد الاثر وجمعه ابلاد قال الشاعر
من بعد ما شمل البلا ابلادها والبلد ادحي النعام يقال هو اذل من بيضة البلد اي من بيضة النعام
التي تتركها والبلدة الارض يقال هذه بلدتنا كما يقال بحرتنا والبلدة من منازل القمر وهي
ستة انجم من القوس تتركها الشمس في اقصر يوم من السنة والبلدة الصدر يقال فلان
واسع البلدة اي واسع الصدر قال الشاعر انيخت فالقت بلدة بعد بلدة قليل بها الاصوات
الا بغامها يقال بركت الناقة فالقت صدرها على الارض والبلدة بضم الباء وفتحها تفاوت ما بين
الحاجبين فهما من الالفاظ المشتركة فانزلنا به الماء اي بالبلد وقيل انزلنا بالسحاب الماء لان السحاب
آلة لانزال الماء ويحتمل ان يكون المعنى فانزلنا منه الماء كقوله يشرب بها عباد الله اي منها فاخرجنا
به من كل الثمرات كذلك الكاف في موضع نصب اي مثل ذلك الاخراج نحيي الموتى وخرج البيهقي
وغيره عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما اية ذلك في خلقه
قال اما مررت بوادي قومك جدبا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال فتلك اية الله في خلقه
وقيل وجه التشبيه ان احياهم من قبورهم يكون بمطر يبعثه الله على قبورهم فتنشق عنهم القبور ثم تعود
اليهم الارواح وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرسل الله مطرا
كانه الطل فتنبت منه اجساد الناس ثم يقال يا ايها الناس هلموا الى ربكم وقفوهم انهم مسئولون وذكر
الحديث وقد كتبناه بكماله في التذكرة والحمد لله فدل على البعث والنشور والى الله ترجع الامور
قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه اي التربة الطيبة والخبيث الذي في تربته
حجارة او شوك عن الحسن وقيل معناه التشبيه شبه تعالى السريع الفهم بالبلد الطيب والبليد
بالذي خبث عن النحاس وقيل هذا مثل للقلوب فقلب يقبل الوعظ والذكرى وقلب فاسق ينبو عن
ذلك قاله الحسن ايضا وقتادة مثل المؤمن يعمل محتسبا متطوعا والمنافق غير محتسب قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو يعلم احدهم انه يجد عظما سمينا او مرماتين حسنتين

اشهد

اشهد العشاء نكدا نصب على الحال وهو العسر الممتنع من اعطاء الخير وهذا تمثيل قال مجاهد يعني ان في بني
ادم الطيب والخبيث وقرء طلحة الا نكدا حذف الكسرة لثقلها وقرء ابن القعقاع نكدا بفتح الكاف فهو
مصدر ذا نكد كما قال فانما هي اقبال وادبار وقيل نكدا بنصب الكاف وخفضها بمعنى كالدنف والدنف
لغتان كذلك نصرف الايات اي كما صرفنا من الايات والحجج والدلالات في ابطال الشرك كذلك نصرف
كلما يحتاج اليه الناس وخص الشاكرين لانهم المنتفعون بذلك قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى
قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من
قومه انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين
ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل
منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين
كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره افلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من
الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات
ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون قالوا
اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من
الصادقين قوله لقد ارسلنا نوحا الى قومه لما بين انه الخالق القادر على الكمال ذكر اقاصيص
الامم وما فيها من تحذير الكفار واللام في لقد للتاكيد المشبه للقسم والفاء دالة على ان الثاني بعد
الاول يا قوم نداء مضاف ويجوز يا قومي على الاصل ونوح اول الرسل الى الارض بعد ادم عليهما السلام
بتحريم البنات والاخوات والعمات والخالات قال النحاس وانصرف لانه على ثلاثة احرف
وقد يجوز ان يشتق من ناح ينوح وقد تقدم في ال عمران هذا المعنى وغيره فاغنى عن اعادته
قال ابن العربي ومن قال ان ادريس كان قبله من المؤرخين فقد وهم والدليل على صحة وهمه
الحديث الصحيح في الاسراء حين لقي النبي صلى الله عليه وسلم ادم وادريس فقال له ادم مرحبا بالنبي
الصالح والابن الصالح وقال له ادريس مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح فلما قال له والاخ
الصالح ولو كان ادريس ابا لنوح لقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فلما قال له والاخ
الصالح دل ذلك على انه يجتمع معه في نوح صلوات الله عليهم اجمعين ولا كلام لمنصفه بعد هذا
قال القاضي عياض وجاء جواب الاباء ههنا كنوح وابراهيم وادم مرحبا بالابن الصالح وقال عن
ادريس بالاخ الصالح كما قال عن موسى وعيسى ويوسف وهارون ويحيى ممن ليس له اب باتفاق
به النبي صلى الله عليه وسلم وقال المازري قد ذكر المؤرخون ان ادريس جد نوح عليهما السلام فان
قام الدليل على ان ادريس بعث ايضا لم يصح قول النسابين انه قبل نوح لما اخبر عليه السلام
من قوله ان نوحا اول رسول بعث وان لم يقم دليل جاز ما قالوا وصح ان يحمل ان ادريس كان
نبيا غير مرسل قال القاضي عياض قد يجمع بين هذا بان يقال اختص بعث نوح لاهل الارض كما
قال في الحديث كافة كنبينا عليه السلام ويكون ادريس لقومه كموسى وهود وصالح وغيرهم
وقد استدل بعضهم على هذا بقوله تعالى وان الياس لمن المرسلين وقد قيل ان الياس هو ادريس
وقد قرئ سلام على ادراسين قال عياض وقد رايت ابا الحسن بن بطال ذهب الى ان ادم ليس برسول
ليسلم من هذا الاعتراض وحديث ابي ذر الطويل يدل على ان ادم وادريس رسولان قال ابن

عطية ويجمع بان تكون بعثة نوح مشهورة لاصلاح الناس وحملهم بالعذاب والاهلاك على الايمان فالمراد
انه اول نبي بعث على هذه الصفة والله اعلم وروي عن ابن عباس ان نوحا عليه السلام بعث ابن
اربعين سنة قال الكلبي بعد ادم بثمانماية سنة ابن عباس وبقي في قومه يدعوهم الف سنة الا خمسين
عاما كما اخبر التنزيل ثم عاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وقال وهب بعث
نوح وهو ابن خمسين سنة وقال عروة بن شداد بعث نوح وهو ابن ثلاثمائة سنة وخمسين سنة
وفي كثير من كتب الحديث الترمذي وغيره ان جميع الخلق الان من ذرية نوح عليه السلام وذكر
النقاش عن سليمان بن ارقم عن الزهري ان العرب وفارس والروم واهل الشام واهل اليمن من اولاد
سام بن نوح والهند والسند والزنج والحبشة والبربر والنوبة وكل جلد اسود من ولد حام والترك
والبلغار والصين وياجوج وماجوج والصقالبة كلهم من ولد يافث والخلق كلهم ذرية نوح عليه
السلام انتهى قوله تعالى ما لكم من اله غيره برفع غيره قراءة نافع وابي عمرو وحمزة ما لكم من اله
غيره نعتا على الموضع وقيل غير بمعنى الا اي ما لكم من اله الا الله قال ابو عمرو وما اعرف الجر ولا
النصب وقرء الكسائي بالخفض على الموضع ويجوز النصب على الاستثناء وليس بكثير غير ان الكسائي
والفراء اجاز نصب غير في كل موضع يحسن فيه الا تم الكلام او لم يتم فاجاز ما جاءني غيرك قال
الفراء هي لغة بعض بني اسد وقضاعة وانشد لم يمنع الشرب منها غير ان هتفت حمامة في
سحوق ذات اوقال قال الكسائي ولا يجوز جاءني غيرك في الايجاب لان الا لا تقع هنا قال النحاس
لا يجوز عند البصريين نصب غير اذا لم يتم الكلام وذلك عندهم من اقبح اللحن قوله تعالى قال الملاء
اشراف القوم ورؤساؤهم وقد تقدم في البقرة بيانه والضلال والضلالة العدول عن طريق الحق
والذهاب عنه اي انا لنريك في دعائنا الى اله واحد في ضلال عن الحق ابلغكم بالتشديد من التبليغ
والتخفيف من الابلاغ وقيل هما لغتان بمعنى واحد مثل كرمته واكرمته وانصح لكم والنصح لخلاص
النية من شوايب الفساد في المعاملة بخلاف الغش يقال نصحته ونصحت له نصيحة وهو باللام
افصح قال الله تعالى وانصح لكم والاسم النصيحة والنصح الناصح وقوم نصحاء ورجل ناصح الجيب
اي نقي القلب الناصح الخالص من الغل وغيره مثل الناصع وكل شيء خلص فقد نصح وانتصح فلان
اقبل على النصيحة ويقال انتصحني انني لك ناصح والناصح الخياط والنصاح السلك يخاط به
والنصاحات ايضا الجلود قال الاعشى فترى الشرب نشاوى كلهم مثل ما مدت نصاحات
الربح ما الربح لغة في الربع وهو الفصيل والربح ايضا طائر وسياتي لهذا مزيد بيان في براءة ان
شاء الله تعالى قوله تعالى اوعجبتم فتح الواو لانها واو عطف دخلت عليها الف الاستفهام
للتقرير وسبيل الواو ان تدخل على حروف الاستفهام الا الالف لقوتها ان جاءكم ذكر اي وعظ
من ربكم على رجل منكم اي على لسان رجل منكم وقيل على بمعنى مع اي مع رجل وقيل المعنى ان جاءكم ذكر من
ربكم منزل على رجل منكم تعرفون نسبه او نفر رجل من جنسكم ولو كان ملكا لربما كان في اختلاف
الجنس تنافر الطبع والملك يكون واحدا وجمعا وقد تقدم في البقرة وعمين اي عن الحق قاله
قتادة وقيل عن معرفة الله وقدرته يقال رجل عم بكذا اي جاهل قوله تعالى والى عاد اخاهم
هودا اي وارسلنا الى عاد اخاهم هودا قال ابن عباس اي ابن ابيهم وعاد من ولد سام بن نوح
قال ابن اسحق وعاد هو ابن ابي عوص بن ارم بن شالخ ابن ارفخشد بن سام بن نوح عليهم السلام
وهود هو هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح بعثه
الله تعالى الى عاد نبيا وكان من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا وعاد من لم يصرفه جعله

اسما للقبيلة ومن صرفه جعله اسما للحي قال ابو حاتم وفي حرف ابي وابن مسعود عادا الاولى بغير الف
وهود اعجمي وانصرف لخفته لانه على ثلاثة احرف وقد يجوز ان يكون عربيا مشتقا من هاد
يهود وانتصب على البدل وكان بين هود ونوح فيما ذكر المفسرون سبعة اباء وكانت عاد فيما روي
ثلاث عشرة قبيلة ينزلون الرمال رمل عالج وكانوا اهل بساتين وزرع وعمارة وكانت بلادهم
اخصب البلاد فسخط الله عليهم فجعلها مفاوز وكانت فيما روي بنواحي حضرموت الى اليمن وكانوا
يعبدون الاصنام ولحق هود حين اهلك قومه بمن امن معه فلم يزالوا بها حتى ماتوا انا لنريك
في سفاهة اي حماقة وخفة عقل قال مشين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم
وقد تقدم هذا المعنى في البقرة والرؤية هنا وفي قصة نوح قيل هي من رؤية البصر وقيل يجوز ان
يراد بها الراي الذي هو اغلب على الظن قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم
في الخلق بسطة ويجوز بصطة بالصاد لان بعدها طاء اي طولا في الخلق وعظم الجسم قال ابن عباس
كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين ذراعا وهذه الزيادة كانت على خلق ابائهم وقيل على خلق
نوح قال وهب كان راس احدهم مثل قبة عظيمة وكان عين الرجل تفرخ فيها السباع وكذلك
مناخرهم وروى شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال ان كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراعين من
حجارة لو اجتمع عليها خمسمائة من هذه الامة لم يطيقوه وان كان احدهم ليغمز بقدمه الارض فيدخل
فيها فاذكروا الاء الله اي نعم الله واحدها الى والو والى كالانا واحد اناء وانى وانو وانى لعلكم
تفلحون تقدم قوله تعالى قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده الاية طلبوا العذاب الذي خوفهم به
وحذرهم منه فقال لهم قد وقع ومعنى وقع اي وجب يقال وقع القول والحكم اي وجب ومثله
ولما وقع عليهم الرجس اي نزل بهم ومثل واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم
والرجس العذاب وقيل عني بالرجس الرين على القلب بزيادة الكفر اتجادلونني في اسماء مختلفة ما
نزل الله بها من سلطان اي من حجة لكم في عبادتها فالاسم هنا بمعنى المسمى نظيره ما تعبدون
من دونه الا اسماء سميتموها وهذه الاسماء مثل العزى من العز والاعز واللات وليس لها من
العز والالهية شيء دابر اخر اي لم يبق لهم بقية قوله تعالى قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب
اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من
المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا وما
كانوا مومنين والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة
من ربكم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب
اليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا
وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا الاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملاء الذين استكبروا
من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل
به مومنون قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن
امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا
في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون
الناصحين ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا
ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته كانت من

الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا
وهو ثمود بن عاد بن ادم وهو اخو جديس وكانوا في سعة من معايشهم فخالفوا امر الله وعبدوا غيره
وفسدوا في الارض فبعث الله اليهم صالحا نبيا وهو صالح ابن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد
بن حاذر بن ثمود وكانوا قوما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا فدعاهم الى الله
تعالى حتى شمط ولا يتبعه منهم الا قليل مستضعفون ولم ينصرف ثمود لانه جعل اسما للقبيلة وقال
ابو حاتم لم ينصرف لانه اعجمي قال النحاس وهذا غلط لانه مشتق من الثمد وهو الماء القليل وقد
قرء القراء الا ان ثمودا كفروا ربهم على انه اسم للحي وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام الى
وادي القرى وهم من ولد سام بن نوح وسميت ثمود لقلة مائها وسياتي بيانه في الحجر ان شاء الله
تعالى هذه ناقة الله لكم اخرج الناقة حين سالوه من حجر صلد فكان لها يوم تشرب فيه ماء
الوادي كله وتسقيهم مثله لبنا لم يشرب الذ منه واحلا وكان بقدر حاجتهم على كثرتهم قال الله
تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم واضيفت الناقة الى الله عز وجل على جهة اضافة الخلق
الى الخالق وفيه معنى التشريف والتخصيص فذروها تاكل في ارض الله اي ليس عليكم رزقها ومؤنتها
قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى
وبواكم في الارض فيه محذوف اي بواكم في الارض منازل تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون
القصور بكل موضع وتنحتون الجبال بيوتا اتخذوا البيوت في الجبال لطول اعمارهم فان السقوف
والابنية كانت تبلى قبل فناء اعمارهم وقرء الحسن بفتح الحاء وهي لغة وفيه حرف من حروف الحلق
فلذلك جاز عليه فعل يفعل الثانية استدل بهذه الاية من اجاز البناء الرفيع كالقصور
ونحوها وقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ذكر ان ابنا لمحمد
بن سيرين بنى دارا وانفق فيها مالا كثيرا فذكر ذلك لمحمد بن سيرين فقال ما ارى باسا ان يبني
الرجل بناء ينفعه وروي عنه عليه السلام انه قال اذا انعم الله على عبد احب ان يرى اثر
النعمة عليه ومن اثار النعمة البناء الحسن والثياب الحسنة الا ترى انه لو اشترى جارية
جميلة بمال عظيم فانه يجوز وقد يكفيه دون ذلك فكذلك البناء وكره ذلك اخرون منهم
الحسن البصري وغيره واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام اذا اراد الله بعبد شرا اهلك
ماله في الطين واللبن وفي خبر اخر عنه عليه السلام من بنى فوق ما يكفيه جاء به يوم القيمة
يحمله على عنقه قلت بهذا اقول لقوله عليه الصلاة والسلام وما انفق المرء من نفقة فان
خلفها على الله ضامن الا ما كان من بنيان او معصية رواه جابر بن عبد الله خرجه الدارقطني
وقوله عليه السلام ليس لابن ادم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته
وجلف الخبز والماء خرجه الترمذي الثالثة قوله تعالى فاذكروا الاء الله اي نعمه وهذا يدل
على ان الكفار منعم عليهم وتقدم القول في ال عمران ولا تعثوا في الارض مفسدين تقدم في البقرة
والعثي والعثو لغتان وقرء الاعمش تعثوا بكسر التاء اخذه من عثي يعثى لا من عثا يعثو قوله
تعالى قال الملاء الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم الثاني بدل من
الاول لان المستضعفين هم المومنون وهو بدل البعض من الكل قوله تعالى فعقروا الناقة
العقر الجرح وقيل قطع عضو يوثر في النفس وعقرت الفرس اذا ضربت قوائمه بالسيف
وخيل عقرى وعقرت ظهر الدابة اذا ادبرته قال امرؤ القيس تقول وقد مال الغبيط بنا
معا عقرت بعيري يا امرء القيس فانزل اي جرحته وادبرته قال القشيري العقر كشف عرقوب

البعير ثم قيل للنحر عقر لان العقر سبب النحر في الغالب وقد اختلف في عاقر الناقة على اقوال اصحها ما في صحيح مسلم
من حديث عبد الله بن زمعة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها
فقال اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في اهله مثل ابي زمعة وذكر الحديث وقيل
في اسمه قدار بن سالف وقيل ان ملكهم كان الى امراة يقال لها ملكا فحسدت صالحا لما مال اليه الناس
وقالت لامراتين كان لهما خليلان يعشقانهما لا تطيقاهما وسلا لاهما عقر الناقة ففعلنا وخرج الرجلان
والجا الناقة الى مضيق ورماها احدهما بسهم وقتلاها وجاء السقب وهو ولدها الى الصخرة التي خرجت
الناقة منها فرغا ثلاثا وانفجرت الصخرة فدخل فيها فيقال انه الدابة التي تخرج في اخر الزمان على الناس
على ما ياتي بيانه في النمل وقال ابن اسحق اتبع السقب اربعة نفر ممن كان عقر الناقة مصدع واخوه
ذواب فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فالحقه بامه واكلوه معها والاول اصح وان صالحا
قال لهم انه بقي من عمركم ثلاثة ايام ولهذا رغا ثلاثا وقيل عقرها عاقرها ومعه ثمانية رجال وهم
الذين قال الله فيهم وكان في المدينة تسعة رهط على ما ياتي بيانه في النمل وهو معنى قوله فنادوا
صاحبهم فتعاطى فعقر وكانوا يشربون فاعوزهم الماء ليمزجوا شرابهم وكان يوم لبن الناقة فقام احدهم
ورصد الناقة وقال لاريحن الناس منها فعقرها قوله تعالى وعتوا عن امر ربهم اي استكبروا عتا يعتو
عتوا اي استكبر وتعتى فلان اذا لم يطع والليل العاتي الشديد الظلمة عن الخليل وقالوا يا صالح ائتنا بما
تعدنا فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة الشديدة وقيل كانت صيحة عظيمة خلعت قلوبهم يقال رجف
الشيء يرجف رجفا ورجفانا وارجفت الريح الشجر حركته واصله حركة مع صوت ومنه قوله تعالى
يوم ترجف الراجفة قال الشاعر ولما رايت الحج قد ان وقته وظلت مطايا القوم بالقوم ترجف
فاصبحوا في دارهم اي في بلدهم وقيل وحده على طريق الجنس والمعنى في دورهم وقال في موضع اخر في ديارهم
اي في منازلهم جاثمين اي لاصقين بالارض على ركبهم كما يجثم الطائر اي صاروا خامدين من شدة العذاب
واصل الجثوم للارنب شبهها والموضع مجثم قال زهير في اخر البيت والارام يمشين خلفة واطلاؤها
ينهضن من كل مجثم وقيل احترقوا بالصاعقة فاصبحوا ميتين الا واحدا منهم كان في حرم الله فلما
خرج من الحرم فاصابه ما اصاب قومه فتولى عنهم اي عند الياس منهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة
ربي يحتمل انه قال ذلك قبل موتهم ويحتمل انه قاله بعد موتهم كقوله عليه الصلاة والسلام لقتلى
بدر هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل اتكلم هؤلاء الجيف فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون
على الجواب والاول اظهر يدل عليه ولكن لا تحبون الناصحين اي لم تقبلوا نصحي قوله تعالى ولوطا
اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين فيه اربع مسايل الاولى
قوله ولوطا اذ قال لقومه قال الفراء لوطا مشتق من قولهم هذا اليط بقلبي اي الصق وقال النحاس
قال الزجاج زعم بعض النحويين يعني الفراء ان لوطا يجوز ان يكون مشتقا من لطت الحوض اي ملسته
بالطين قال وهذا غلط لان الاسماء الاعجمية لا تشتق كاسحق فلا يقال انه مشتق من السحق
وهو البعد وانما صرف لوط لخفته لانه على ثلاثة احرف وهو ساكن الوسط قال النقاش لوط
من الاسماء الاعجمية وليس من العربية فاما لطت الحوض وهذا اليط بقلبي من هذا فصحيح ولكن
الاسم اعجمي كابراهيم واسحق وقال سيبويه نوح ولوط اسما اعجمية الا انها خفيفة فلذلك
صرفت بعثه الله الى امة تسمى سدوم وكان ابن اخي ابراهيم ونصبه اما بارسلنا المتقدمة فيكون
معطوفا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى واذكر الثانية قوله تعالى اتاتون الفاحشة يعني اتيان
الذكور ذكرها الله باسم الفاحشة ليبين انه زنى كما قال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة

ولختلف العلماء فيما يجب على من فعل بعد اجماعهم على تحريمه فقال مالك يرجم احصن او لم يحصن و
كذلك يرجم المفعول به ان كان محتلما وروي عنه ايضا يرجم ان كان محصنا ويحبس ويؤدب ان كان
غير محصن وهو مذهب عطا والنخعي وابن المسيب وغيرهم وقال ابو حنيفة يعزر المحصن وغيره وروي
عن مالك وقال الشافعي يحد حد الزنا قياسا عليه احتج مالك بقوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من
سجيل فكان ذلك عقوبة لهم وجزاء على فعلهم فان قيل لا حجة فيه لوجهين احدهما ان قوم لوط
انما عوقبوا على الكفر والتكذيب كساير الامم الثاني ان صغيرهم وكبيرهم دخل فيها فدل على خروجها
من باب الحدود قيل اما الاول فغلط فان الله سبحانه اخبر عنهم انهم كانوا على معاصي فاخذهم بها
منها هذه واما الثاني فكان منهم فاعل وكان منهم راض فعوقب الجميع لسكوت الجماهير عليه وهي حكمة
الله وسنته في عباده وبقي امر العقوبة على الفاعلين مستمرا والله اعلم وقد روي ابو داود وابن ماجة
والترمذي والنسائي والدارقطني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من وجدتموه يعمل عمل قوم
لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به لفظ ابي داود وابن ماجة وعند الترمذي احصنا او لم يحصنا وروي
ابو داود والدارقطني عن ابن عباس في البكر يوجد على اللوطية قال يرجم وقد روي عن ابي بكر الصديق
انه حرق رجلا يقال له الفجاة حين عمل عمل قوم لوط بالنار وهو راي علي ابن ابي طالب انه لما كتب
خالد بن الوليد الى ابي بكر في ذلك جمع ابو بكر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واستشارهم فيه فقال علي
ان هذا الذنب لم يعص به امة من الامم الا امة واحدة فصنع الله بها ما علمتم ارى ان يحرقهم
بالنار فكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد ان يحرقه بالنار فاحرقه ثم احرقهم ابن الزبير في زمانه ثم
احرقهم هشام بن الوليد ثم احرقهم خالد القسري بالعراق وروي ان سبعة اخذوا في زمان
الزبير في لواط فسال عنهم فوجد اربعة قد احصنوا فخرج بهم فرجموا بالحجارة حتى ماتوا وحد الثلاثة
قال وعنده ابن عباس وابن عمر فلم ينكرا عليه والى هذا ذهب الشافعي قال ابن العربي والذي صار
اليه مالك احق وهو اصح سندا واقوى معتمدا وتعلق الحنفيون بان قالوا عقوبة الزنا معلومة
فلما كانت هذه المعصية غيرها وجب ان لا تشاركها في حدها ويأثرون في ذلك حديثا من
وضع حدا في غير حد فقد تعدى وظلم وايضا فانه وطي في فرج لا يتعلق به احلال ولا احصان
ولا وجوب مهر ولا ثبوت نسب فلم يتعلق به حد الثالثة فان اتى بهيمة فقد قيل لا يقتل هو
ولا البهيمة وقيل يقتلان حكاه ابن المنذر عن ابي سلمة بن عبد الرحمن وفي الباب حديث رواه
ابو داود والدارقطني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقع على بهيمة فاقتلوه
واقتلوا البهيمة معه فقلت لابن عباس ما شان البهيمة قال ما اراه قال ذلك الا انه كره ان يوكل
لحمها وقد عمل بها ذلك العمل قال ابن المنذر ان يكن الحديث ثابتا فالعمل به يجب وان لم يثبت
فليستغفر الله من فعل ذلك كثيرا وان عزره الحاكم كان حسنا والله اعلم وقد قيل ان قتل البهيمة لئلا
تلقي خلقا مشوها فيكون قتلها مصلحة لهذا المعنى مع ما جاء من السنة والله اعلم وقد روي ابو داود
عن ابن عباس قال ليس على الذي زنا بالبهيمة حد قال ابو داود وكذا قاله عطا وقال الحكم ارى ان
يجلد ولا يبلغ به الحد وقال الحسن هو بمنزلة الزاني وقال الزهري يجلد ماية احصن او لم يحصن
وقال مالك والثوري واحمد واصحاب الراي يعزر وروي عن عطا والنخعي والحكم واختلفت الروايات
عن الشافعي وهذا اشبه على مذهبه في هذا الباب وقال جابر بن زيد يقام الحد عليه الا ان تكون
البهيمة له الرابعة قوله تعالى ما سبقكم بها من احد من العالمين من لاستغراق الجنس اي لم
يكن اللواط في امة غير قوم لوط والملحدون يزعمون ان ذلك كان قبلهم والصدق ما ورد به القرآن

وحكى

وحكي النقاش ان ابليس كان اصل عملهم بان دعاهم الى نفسه لعنه الله فكان ينكح بعضهم بعضا الحسن
كانوا يفعلون ذلك بالغربا ولم يكن يفعله بعضهم ببعض وروي ابن ماجة عن جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي عمل قوم لوط وقال محمد بن سيرين ليس
شي من الدواب يعمل عمل قوم لوط الا الخنزير والحمار قوله تعالى ائنكم لتاتون قرا نافع وحفص على
الخبر بهمزة واحدة مكسورة تفسير الفاحشة المذكورة فلم يحسن ادخال الاستفهام عليه لانه
يقطع ما بعده مما قبله وقرا الباقون بهمزتين على لفظ الاستفهام الذي معناه التوبيخ وحسن
ذلك لان ما قبله وبعده كلام مستقل واختار الاول ابو عبيد والكسائي وغيرهما واحتجا بقوله
تعالى افائن مت فهم الخالدون ولم يقل افهم وقال افائن مات او قتل انقلبتم وهذا من
اقبح الغلط لانهما شبها شيئين بما لا يشتبهان لان الشرط وجوابه بمنزلة شي واحد كالمبتدا والخبر
فلا يجوز افائن مت افهم كما لا يجوز ازيد امنطلق وقصة لوط عليه السلام فيها جملتان فلك ان
تستفهم عن كل واحدة منهما هذا قول الخليل وسيبويه واختاره النحاس ومكي وغيرهما شهوة نصب
على المصدر اي تشتهونهم شهوة ويجوز ان يكون مصدرا في موضع الحال بل انتم قوم مسرفون نظيره
بل انتم قوم عادون في جمعكم الى الشرك هذه الفاحشة قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا
اخرجوهم اي لوطا واتباعه ومعنى يتطهرون عن الاتيان في هذه الماتي يقال تطهر الرجل اي تنزه عن
الاثم قال قتادة عابوهم والله بغير عيب من الغابرين اي من الباقين في عذاب الله قاله ابن
عباس وقتادة غبر الشي اذا مضى وغبر اذا بقي وهو من الاضداد وقال قوم الماضي عابر بالعين
غير معجمة والباقي غابر بالغين معجمة حكاه ابن فارس في المجمل النحاس من الغابرين اي من الغائبين
عن النجاة وقيل لطول عمرها قال النحاس وابو عبيدة يذهب الى ان المعنى من المعمرين اي انها قد هرمت
والاكثر في اللغة ان يكون الغابر الباقي قال الراجز فما ونا محمد ان قد غفر له الاله ما مضى
وما غبر قوله تعالى وامطرنا عليهم مطرا اسرى لوط باهله كما وصف الله بقطع من الليل ثم امر جبرائيل
عليه السلام فادخل جناحه تحت مداينهم فاقتلعها ورفعها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة
ونباح الكلاب ثم جعل عاليها سافلها وامطرت عليها حجارة من سجيل قيل على من غاب منهم وادرك امرأة
لوط وكانت معه حجر فقتلها وكانت فيما ذكر اربع قرى فيها اربعماية الف وسياتي في هود قصص لوط
باسنى من هذا ان شاء الله قوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا
تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط
توعدون وتصدون عن سبيل الله من امن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة
لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قوله والى مدين اخاهم شعيبا فيه اربع
مسائل الاولى قوله والى مدين قيل في مدين اسم بلد وقطر وقيل اسم قبيلة كما يقال بكر وتميم
وقيل هم من ولد مدين بن ابراهيم الخليل عليه السلام فمن راى ان مدين اسم رجل لم يصرفه لانه
معرفة اعجمي ومن راه اسما للقبيلة او الارض فهو احرى ان لا يصرفه المهدوي ويروى انه كان
ابن بنت لوط مكي كان زوج بنت لوط واختلف في نسبه فقال عطا ابن اسحق وغيرهما هو شعيب
بن ميكيل بن يشجر بن مدين ابن ابراهيم واسمه بالسريانية بيرون وامه ميكائيل بنت لوط وزعم
الشرقي بن قطامي ان شعيبا بن عيفا بن يوبب بن مدين بن ابراهيم وزعم ابن سمعان ان

شعيبا بن حرفي بن يسجر بن لاوي بن يعقوب بن اسحق وشعيب تصغير شعب او شعب وقال قتادة
هو شعيب بن يوثب وقيل شعيب بن صفوان بن عنفا بن ثابت بن مدين بن ابراهيم فالله اعلم وكان
اعمى فلذلك قال قومه وانا لنريك فينا ضعيفا وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته
قومه وكان قومه اهل كفر بالله وبخس للكيال والميزان قد جاءتكم بينة من ربكم اي بيان وهو مجيء
شعيب بالرسالة ولم يذكر له معجزة في القران وقيل معجزته فيما ذكر الكسائي في قصص الانبياء والله
اعلم الثالثة قوله ولا تبخسوا البخس النقص وهو يكون في السلعة بالتعييب والتزهيد فيها او
المخادعة عن القيمة والاحتيال في التزيد في الكيل والنقصان منه وكل ذلك من اكل المال بالباطل
وذلك منهي عنه في الامم المتقدمة والسالفة على السنة الرسل وحسبنا الله ونعم الوكيل الثالثة
ولا تفسدوا عطف على ولا تبخسوا وهو لفظ يعم دقيق الفساد وجليله قال ابن عباس كانت الارض
قبل ان يبعث الله شعيبا رسولا يعمل فيها بالمعاصي ويستحل فيها المحارم ويسفك فيها الدماء قال فذلك
فسادها فلما بعث الله شعيبا ودعاهم الى الله صلحت الارض وكل نبي بعث الى قومه فهو صلاحهم
الرابعة قوله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون نهاهم عن القعود بالطرق والصد عن
الطريق الذي يؤدي الى طاعة الله وكانوا يوعدون العذاب من امن واختلف العلماء في معنى
قعودهم على الطرق على ثلاث معان فقال ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي كانوا يقعدون
على الطرقات المفضية الى شعيب فيتوعدون من اراد المجيء اليه ويصدونه ويقولون انه كذاب
فلا تذهب اليه كما كانت قريش تفعله مع النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ظاهر الاية وقال ابو هريرة
هذا نهي عن قطع الطريق واخذ السلب وكان ذلك من فعلهم واخذ وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ليلة اسري بي خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شيء الا خرقته
فقلت ما هذا يا جبريل فقال هذا مثل لقوم من امتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلى ولا
تقعدوا بكل صراط توعدون الاية وقد مضى القول في اللصوص والمحاربين وقال السدي ايضا
كانوا عشارين متقلين قال علماؤنا ومثلهم اليوم المكاسبون الذين ياخذون من الناس ما لا
يلزمهم شرعا من الوظايف المالية بالقهر والجبر فضمنوا ما لا يجوز ضمانه اصله من الزكوات
والمواريث والملاهي والمرتبون في الطرق الى غير ذلك مما قد كثر في الوجود وعمل به في ساير
البلاد وهو من اعظم الذنوب واكبرها وافحشها فانه غصب وظلم وعسف على الناس واذاعة للمنكر
وبه عمل ودوام عليه واقرار له واعظمه نصبن الشرع والحكم للقضا فانا لله وانا اليه راجعون
لم يبق من الاسلام الا رسمه ولا من الدين الا اسمه يعضد هذا التاويل ما تقدم من النهي في
شان المال في الموازين والاكيال والبخس قوله تعالى من امن الضمير في به يحتمل ان يعود على اسم
الله وان يعود على شعيب في قول من راى القعود على الطريق للصد وان يعود على السبيل عوجا
قال ابو عبيد والزجاج بكسر العين في المعاني وفتحها في الاجرام واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم
اي كثر عددكم او كثركم بالغنا بعد الفقر فكنتم فقراء اغناكم فاصبروا ليس هذا امرا بالمقام على
الكفر ولكنه وعيد وتهديد وقال وان كان طايفة فذكر على المعنى ولو راعى اللفظ لقال
كانت قوله تعالى قال الملاء الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا
معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا
ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا
وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين

وقال

وقال الملاء الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة
فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا
هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف اسى على قوم
كافرين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء لعلهم يضرعون
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء فاخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون قوله تعالى قال الملاء الذين استكبروا من قومه
لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا تقدم معناه ومعنى ولتعودن في ملتنا اي
لتصيرن الى ملتنا وقيل كان اتباع شعيب قبل الايمان على الكفر اي لتعودن الينا كما كنتم من قبل الزجاج
يجوز ان يكون العود بمعنى الابتداء يقال عاد الي من فلان مكروه اي صار وان لم يكن سبقه مكروه
قبل ذلك اي لحقني ذلك منه فقال لهم شعيب اولو كنا كارهين تجبروننا عليه اي على الخروج
من الوطن او العود في ملتكم اي ان فعلتم هذا اتيتم عظيما قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم
اياس من العود الى ملتهم وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله قال ابن اسحق الزجاج الا
بمشيئة الله عز وجل وهذا قول اهل السنة اي وما يقع منا العود الى الكفر الا ان يشاء الله ذلك
فالاستثناء منقطع وقيل الاستثنا هنا على جهة التسليم لله عز وجل كما قال وما توفيقي الا بالله
والدليل على هذا ان بعده وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا وقيل هو كقولك لا اكلمك حتى
يبيض الغراب وحتى يلج الجمل في سم الخياط والغراب لا يبيض ابدا والجمل لا يلج قوله تعالى وسع ربنا
كل شيء علما اي علم ما كان وما يكون علما نصب على التمييز وقيل المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها
اي في القرية بعد ان كرهتم مجاورتنا بل نخرج من قريتكم مهاجرين الى غيرها الا ان يشاء الله
ردنا اليها وفيه بعد لانه يقال عاد للقرية ولا يقال عاد في القرية قوله تعالى على الله توكلنا
اي اعتمدنا وقد تقدم في غير موضع ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قال قتادة بعثه الله
الى امتين اهل مدين واصحاب الايكة قال ابن عباس وكان شعيب كثير الصلاة فلما طال
تمادي قومه في غيهم وكفرهم ويئس من صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق وانت خير الفاتحين فاستجاب الله تعالى دعاءه فاهلكهم بالرجفة اي الزلزلة وقيل
الصيحة واصحاب الايكة اهلكوا بالظلة على ما ياتي قوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها
قال الجرجاني قيل هذا الكلام مستانف اي الذين كذبوا شعيبا صاروا كانهم لم يزالوا موتى ويغنوا
يقيموا يقال غنيت بالمكان اذا اقمت به وغني القوم في دارهم اي طال مقامهم فيها والمغنى المنزل
والجمع المغاني قال لبيد وغنيت سبتا قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود وقال حاتم
الطائي غنينا زمانا بالتصعلك والغنى فكلا سقيناه بكاسيهما الدهر فما زادنا بغيا على ذي
قرابة غنانا ولا ازرى باحسابنا الفقر الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ابتدا خطاب
وهو مبالغة في الذم والتوبيخ واعاده لتعظيم الامر وتفخيمه ولما قالوا من اتبع شعيبا خاسر
قال الله تعالى الخاسرون هم الذين قالوا هذا القول فكيف اسى على قوم اي احزن اسيت على
الشيء اسى وانا اس قوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نبي فيه اضمار نكذب اهلها الا اخذناهم
بالباساء والضراء لعلهم يضرعون تقدم القول فيه ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي
ابدلنا بالجدب خصبا حتى عفوا اي كثروا وعفا درس اعلم الله تعالى انه اخذهم بالشدة والرخا

فلم يزدجروا ولم يشكروا وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء نحن مثلهم فاخذناهم بغتة اي فجاة ليكون
اكثر حسرة قوله تعالى ولو ان اهل القرى يقال للمدينة قرية لاجتماع الناس فيها قريب لمآ اذ اجمعته
وقد مضى في البقرة مستوفى امنوا اي صدقوا واتقوا الشرك لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
يعني المطر والنبات وهذا في اقوام على الخصوص جرى ذكرهم اذ قد يمتحن المومنون بضيق العيش ويكون
تكفيرا لذنوبهم الا ترى انه اخبر عن نوح قال لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم
مدرارا فوعدهم المطر والخصب على الخصب يدل عليه ولكن كذبوا الرسل والمومنون صدقوا ولم يكذبوا
قوله تعالى افامن اهل القرى الاستفهام للانكار والفا للعطف نظيره افحكم الجاهلية والمراد بالقرى
مكة وما حولها لانهم كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام في جميع القرى بأسنا عذابنا بياتا ليلا
وهم نايمون اوامن قراه ابن عامر والحرميان باسكان الواو للعطف على معنى الاباحة مثل لا تطع منهم
اثما او كفورا وكقولك جالس الحسن اوابن سيرين والمعنى اوامنوا هذه الضروب من العقوبات
اي ان امنتم ضربا منها لم تأمنوا الاخر وجوز ان يكون او لاحد الشيئين كقولك ضربت زيدا او عمرا
وقرء الباقون بفتحها وهمزة بعدها جعلها واو العطف دخلت عليها الف الاستفهام نظيره اوكلما
عاهدوا عهدا ومعنى ضحى وهم يلعبون اي وهم فيما لا يجدي عليهم يقال لكل من كان فيما يضره ولا يجدي
عليه لاعب ذكره النحاس وفي الصحاح اللعب معروف واللعب مثله وقد لعب يلعب وتلعب مرة
بعد اخرى ورجل تلعابة كثير اللعب والتلعاب بالفتح المصدر وجارية لعوب قوله تعالى افامنوا
مكر الله اي عذابه وجزاءه على مكرهم وقيل مكره استدراجه بالنعمة والصحة قوله تعالى افامن اهل القرى
ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نايمون اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون افامنوا مكر
الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها
ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من
انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله
على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ثم بعثنا
من بعدهم موسى باياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد
جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت باية فأت بها ان كنت من
الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قوله تعالى
افامن اهل القرى الى قوله الخاسرون تقدم معناه قوله تعالى اولم يهد للذين يرثون الارض يريد
كفار مكة ومن حولهم اصبناهم اي اخذناهم بذنوبهم اي بكفرهم وتكذيبهم ونطبع اي ونحن نطبع فهو
مستانف وقيل هو معطوف على اصبنا اي نصيبهم ونطبع فوقع الماضي موقع المستقبل قوله تعالى
تلك القرى اي هذه القرى التي اهلكناها وهي قرى نوح وعاد وهود وصالح ولوط وشعيب المتقدمة
الذكر نقص اي نتلوا عليك من انبائها اي من اخبارها وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين
فما كانوا ليؤمنوا اي فما كان اولئك الكفار ليؤمنوا بعد هلاكهم لو احييناهم قاله مجاهد نظيره
ولو ردوا لعادوا وقال ابن عباس والربيع كان في علم الله يوم اخذ عليهم الميثاق انهم لا يؤمنوا بالرسل
بما كذبوا من قبل يريد يوم الميثاق حين اخرجهم من ظهر ادم فامنوا كرها لا طوعا السدي امنوا به
يوم اخذ عليهم الميثاق كرها فلم يكونوا ليؤمنوا الان حقيقة وقيل سالوا المعجزات فلما راوها ما كانوا
ليؤمنوا بما كذبوا من قبل روية المعجزات نظيره كما لم يؤمنوا به اول مرة كذلك يطبع الله على قلوب

الكافرين بمحمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وما وجدنا لاكثرهم من عهد من زائدة وهي تدل على معنى الجنس
ولولا من لجاز ان يتوهم انه واحد في المعنى قال ابن عباس يريد العهد الماخوذ عليهم وقت الذر ومن
نقض العهد قيل انه لا عهد له اي كانه لم يعهد الحسن العهد الذي عهد اليهم مع الانبياء ان يعبدوه ولا
يشركوا به شيئا وقيل اراد الله الكفار منقسمون فالاكثرون منهم لا امانة لهم ولا وفاء ومنهم من له امانة
مع كفره وان قلوا روي عن ابي عبيدة قوله تعالى ثم بعثنا من بعدهم اي من بعد نوح وثمود وصالح ولوط
وشعيب موسى اي موسى بن عمران باياتنا اي بمعجزاتنا فظلموا اي كفروا ولم يصدقوا بالايات والظلم
وضع الشي غير موضعه قوله تعالى وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق اي
واجب ومن قرء على ان لا فالمعنى حريص على وقيل على بمعنى الباء اي حقيق بان لا اقول وكذا في قراءة
ابي والاعمش بان لا اقول كما تقول رميت بالقوس وعلى القوس فحقيق على هذا بمعنى محقوق ومعنى فارسل
معي بني اسرائيل اي خلهم وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة فالقى عصاه تستعمل في الاجسام والمعاني
وقد تقدم والثعبان الحية الضخم الذكر وهو اعظم الحيات مبين اي حية لا لبس فيها ونزع يده اي
اخرجها واظهرها قيل من جيبه او من جناحه كما في التنزيل وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من
غير سوء اي من برص وكان موسى اسمر شديد السمرة ثم اعاد يده الى جيبه فعادت الى لونها قال ابن
عباس كان ليده نور ساطع يضي ما بين السماء والارض وقيل كانت تخرج يده بيضاء كالثلج تلوح
فاذا ردها عادت الى مثل ساير بدنه ومعنى عليم اي بالسحر من ارضكم اي من ملككم معاشر القبط بتقدمه
بني اسرائيل عليكم فماذا تامرون اي قال فرعون فماذا تامرون وقيل هو من قول الملاء اي قالوا لفرعون
وحده فماذا تامرون كما يخاطب الجبارون والرؤساء ما تامرون في كذا ويجوز ان يكون قالوا له ولاصحابه
وما في موضع رفع على ان ذا الذي او في موضع نصب على ان ما وذا شيء واحد قالوا ارجه قرا اهل
المدينة وعاصم والكسائي بغير همز الا ان ورشا والكسائي اشبعا كسرة الهاء وقرء ابو عمرو بهمزة ساكنة
والهاء مضمومة وهما لغتان يقال ارجاته اي اخرته وكذلك قرء ابن كثير وابن محيصن وهشام
الا انهم اشبعوا ضمة الهاء وقرء ساير اهل الكوفة باسكان الهاء قال الفراء هي لغة العرب يقفون
على الهاء المكني عنها في الوصل اذا تحرك ما قبلها وهذه قد قبلت وانكر البصريون هذا قال قتادة
معنى ارجه احبسه ابن عباس اخره وقيل ارجه ماخوذ من رجا يرجو اي اطمعه ودعه يرجو حكاه
النحاس عن محمد بن يزيد وكسر الهاء على الاتباع ويجوز ضمها على الاصل واسكانها لحن لا يجوز الا في
شذوذ من الشعر واخاه عطف على الهاء حاشرين نصب على الحال ياتوك جزم لانه جواب الامر فلذلك
حذفت منه النون قرا اهل الكوفة الا عاصما بكل سحار وقرا سائر الناس ساحر وهما متقاربان
الا ان فعالا اشد مبالغة قوله تعالى قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان
يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك
بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم
وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما
القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان الق عصاك
فاذا هي تلقف ما يافكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا
صاغرين والقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون قال
فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها
فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين قوله قال الملاء من

قوم فرعون الى قوله يأتوك بكل ساحر عليم تقدم معناه قبل هذا قوله تعالى وجاء السحرة فرعون
وحذف ذكر الارسال لعلم السامع قال ابن عبد الحكم كانوا اثني عشر نقيبا مع كل نقيب عشرون عريفا
تحت كل عريف الف ساحر وكان رئيسهم شمعون في قول مقاتل بن سليمان ابن جريج كانوا
سبعمائة من العريش والفيوم والاسكندرية اثلاثا ابن اسحق كانوا خمسة عشر الف ساحر
وروي عن ابن وهب وقيل كانوا اثني عشر الفا ابن المنذر ثمانين الفا وقيل اربعة عشر الفا وقيل
كانوا ثلثماية الف ساحر من الصعيد وثلاثمائة الف ساحر من الفيوم وما والاها وقيل كانوا
سبعين رجلا وقيل ثلاث وسبعين والله اعلم وكان معهم فيما روي حبال وعصي يحملها ثلاث
مائة بعير فالتقمت الحية ذلك كله قال ابن عباس والسدي كانت اذا فتحت فاها صار شدقها
ثمانين ذراعا واضعة فكها الاسفل على الارض وفكها الاعلى على سور القصر وقيل كان سعة
فمها اربعين ذراعا فالله اعلم فقصدت فرعون لتبتلعه فوثب من سريره فهرب منها واستغاث
بموسى فاخذها فاذا هي عصا كما كانت قال وهب مات من خوف العصا خمسة وعشرون الفا
قالوا أين لنا لاجرا اي جايزة ومالا ولم يقل فقالوا بالفا لانه اراد لما جاؤوا قالوا وقرئ انا لنا على
الخبر وهي قراءة نافع وابن كثير الزموا فرعون ان يجعل لهم مالا ان غلبوا فقال لهم فرعون نعم
وانكم لمن المقربين اي لمن اهل المنزلة الرفيعة لدينا فزادهم على ما طلبوا وقيل انهم انما قطعوا
ذلك لانفسهم في حكمهم ان غلبوا اي قالوا يجب لنا الاجر ان غلبنا وقرأ الباقون بالاستفهام على جهة
الاستخبار استخبروا فرعون هل يجعل لهم اجرا ان غلبوا او لا فلم يقطعوا على فرعون بذلك انما
استخبروه هل يفعل ذلك فقال لهم نعم لكم الاجر والقرب ان غلبتم قوله تعالى قالوا يا موسى
اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين تادبوا مع موسى عليه السلام فكان ذلك سبب ايمانهم
وان في موضع نصب عند الكسائي والفراء على معنى اما ان تفعل الالقا ومثله قول الشاعر
قالوا الركوب فقلنا تلك عادتنا قال الفراء في الكلام حذف والمعنى قال لهم موسى انكم لن
تغلبوا ربكم ولن تبطلوا اياته وهذا من معجزات القران الذي لا ياتي مثله في كلام الناس
ولا يقدرون عليه ياتي باللفظ اليسير بجمع المعاني الكثيرة وقيل هو تهديد اي ابتدوا بالالقا
فسترون ما يحل بكم من الافتضاح اذ لا يجوز على موسى ان يامرهم بالسحر وقيل امرهم بذلك
ليتبين كذبهم وتمويههم فلما القوا الحبال والعصي سحروا اعين الناس اي خيلوا لهم وقلبوها
عن صحة ادراكها بما يتخيل من التمويه الذي جرى مجرى الشعوذة وخفة اليد كما تقدم في
البقرة بيانه ومعنى عظيم اي عندهم لانه كان كثيرا وليس بعظيم على الحقيقة قال ابن زيد كان
الاجتماع بالاسكندرية فبلغ ذنب الحية وراء الجيزة وقال غيره افتحت فاها فجعلت تلقف
ما القوا من حبالهم وعصيهم وقيل كان ما القوا حبالا من ادم فيها زيبق فتحركت وقالوا هذه
حيات وقرأ حفص تلقف باسكان اللام والتخفيف جعله مستقبل لقف يلقف لقف النحاس
ويجوز على هذه القراءة تلقف لانه من لقف وقرأ الباقون بالتشديد وفتح اللام جعلوه
مستقبل تلقف فهي تتلقف وتلقم وتلهم بمعنى واحد قال ابو حاتم وبلغني في بعض القراءات
تلقم بالميم والتشديد قال انت عصا موسى التي لم تزل تلقم ما يافكه الساحر ويروى
تلقف ما يافكون اي ما يكذبون لانهم جاؤوا بحبال وجعلوا فيها زيبقا حتى تحركت قوله تعالى
فوقع الحق قال مجاهد اي ظهر الحق وانقلبوا صاغرين نصب على الحال والفعل منه صغر يصغر
وصغرا وصغارا اي انقلب قوم فرعون وفرعون معهم اذلاء مقهورين مغلوبين فاما السحرة

فقد امنوا قوله تعالى قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم انكار منه عليهم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة
اي جرت بينكم وبينه مواطاة في هذا لتستولوا على مصر اي كان هذا منكم في مدينة مصر قبل ان
تبرزوا الى هذه الصحرا فسوف تعلمون تهديد لهم قال ابن عباس كان فرعون اول من صلب وقطع
الايدي والارجل من خلاف الرجل اليمنى واليد اليسرى والرجل اليسرى عن الحسن وما تنقم وقرأ الحسن
بفتح القاف قال الاخفش هي لغة يقال نقمت الامر ونقمته انكرته اي لست تكره منا الا انا امنا بالله
وهو الحق لما جاءتنا اياته وبيناته ربنا افرغ علينا صبرا الافراغ الصب اي اصببه علينا عند
القطع والصلب وتوفنا مسلمين فقيل ان فرعون اخذ السحرة وقطعهم على شاطي النهر وانه امن بموسى
عند ايمان السحرة ستمائة الف قوله تعالى قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان امنا
بايات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون اتذر
موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا
فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء
من عباده والعاقبة للمتقين قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم
ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص
من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى
ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تاتنا به من اية لتسحرنا
بها فما نحن لك بمؤمنين قوله قالوا انا الى ربنا منقلبون الى قوله وتوفنا مسلمين تقدم بيانه
قوله تعالى وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض اي بايقاع الفرقة
وتشتيت الشمل ويذرك بنصب الراء جواب الاستفهام والواو نايبة عن الفاء والهتك قال الحسن
كان فرعون يعبد الاصنام فكان يَعبُد ويُعبَد قال سليمان التيمي بلغني ان فرعون يعبد البقر قال
التيمي فقلت للحسن هل كان فرعون يعبد شيئا قال نعم انه كان ليعبد شيئا قد جعله في عنقه وقيل
معنى والهتك اي وطاعتك كما قيل في قول الله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
انهم ما عبدوهم ولكن اطاعوهم فصار تمثيلا وقرأ نعيم بن ميسرة ويذرك بالرفع على تقدير وهو
يذرك وقرأ الاشهب العقيلي ويذرك الحسن وما مخفف يذرك لتثقل الضمة وقرأ انس بن مالك
ونذرك بالنون والرفع اخبروا عن انفسهم انهم يتركوا عبادته ان ترك موسى حيا وقرأ علي بن ابي
طالب رضي الله عنه وابن عباس والضحاك والاهتك ومعناه وعبادتك على هذه القراءة كان يعبد
ولا يعبد اي ويترك عبادته لك قال ابو بكر بن الانباري فمن مذهب اصحاب هذه القراءات
فرعون لما قال انا ربكم الاعلى وما علمت لكم من اله غيري نفى ان يكون له رب والهة فقيل له
ويذرك والاهتك بمعنى ويتركك وعبادة الناس لك وقراءة العامة والهتك كما تقدم وهي
مبنية على ان فرعون ادعى الربوبية في ظاهر امره وكان يعلم انه مربوب دليله قوله عند
حضور الحمام انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل فلم يقبل منه هذا القول لما اتى به
بعد اغلاق باب التوبة وكان قبل هذه الحال له اله يعبده سرا دون رب العالمين قاله الحسن
وغيره وفي حرف ابي اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض وقد تركوك ان يعبدوك وقيل
والهتك قيل كان يعبد بقرة وكان اذا استحسن بقرة امر بعبادتها وقال انا ربكم ورب هذه
ولهذا قال فاخرج لهم عجلا ذكره ابن عباس والسدي الزجاج كان لهم اصنام يعبدها قومه تقربا
اليه فنسبت اليه ولهذا قال انا ربكم الاعلى قال اسمعيل بن اسحق قول فرعون انا ربكم الاعلى يدل

على انهم كانوا يعبدون شيئا غيره وقد قيل ان المراد بالالهة على قراءة ابن عباس البقرة التي كان يعبدها
وقيل ارادوا بها الشمس وكانوا يعبدونها قال الشاعر الالهة ان توبا ماتم أبتي قوم فقال
سنقتل ابناءهم بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وقرء الباقون بالتشديد على التكثير ونستحيي
نساءهم اي لا نتخافونهم وانا فوقهم قاهرون انهم بهذا الكلام ولم يقل سنقتل موسى لعلمه انه
لا يقدر عليه وعن سعيد بن المسيب قال كان فرعون قد ملئ من موسى رعبا فكان اذا راه بال كما
يبول الحمار ولما بلغ قوم موسى عن فرعون هذا قال لهم موسى استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله
يورثها من يشاء الطعم في ان يورثهم الله ارض مصر والعاقبة للمتقين اي الجنة لمن اتقى وعاقبة
كل شيء آخره ولكنها اذا اطلقت فقيل العاقبة لفلان فهم منه في العرف الخير قوله تعالى قالوا
اوذينا من قبل ان تأتينا اي في ابتداء ولادتك بقتل الابناء واسترقاق النساء ومن بعد ما جئتنا
والان اعيد علينا ذلك يعنون الوعيد الذي كان من فرعون وقيل الاذى من قبل تسخير بني اسرائيل
في اعمالهم الى نصف النهار وارسالهم بقيته ليتكسبوا لانفسهم والاذى من بعد تسخيرهم جميع النهار
كله بلا طعام ولا شراب قاله جويبر وقال الحسن الاذى من قبل ومن بعد واحد وهو اخذ الجزية
قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم عسى من الله واجب جد ولهم الوعد وحققه وقد استخلفوا
في مصر في زمان داود وسليمان وفتحوا بيت المقدس مع يوشع بن نون كما تقدم وروي انهم قالوا
ذلك حين خرج بهم موسى وتبعهم فرعون وكان وراءهم والبحر امامهم فحقق الله الوعد بان قال
فرعون وقومه وانجاهم فينظر كيف تعملون تقدم نظايره اي يرى ذلك العمل الذي يجب به الجزاء
لان الله لا يجازيهم على ما يعلمه منهم انما يجازيهم على ما يقع منهم قوله تعالى ولقد اخذنا ال فرعون
بالسنين يعني بالجذوب وهذا معروف في اللغة يقال اصابتهم سنة اي جدب وتقديره جدب
سنة وفي الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ومن العرب من يعرب النون في السنين
وانشد الفراء ارى السنين اخذن مني كما اخذ السرار من الهلال قال النحاس وانشد سيبويه
هذا البيت بفتح النون ولكن انشد في هذا ما لا يجوز غيره وهو قوله وقد جاوزت حد الاربعين
وحكى الفراء عن بني عامر انهم يقولون اقمت عنده سنينا يا هذا مصروفا قال وبنو تميم لا يصرفون
ويقولون تنصب له سنين يا هذا وسنين جمع سنة والسنة هنا بمعنى الجدب لا بمعنى الحول
ومنه اسنت القوم اي اجدبوا قال عبد الله بن الزبعرى عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال
مكة مسنتون عجاف لعلهم يذكرون اي ليتعظوا وترق قلوبهم قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة
قالوا لنا هذه الاية فيه مسئلتان الاولى قوله فاذا جاءتهم الحسنة اي الخصب والسعة قالوا لنا
هذه اي اعطيناها باستحقاق وان تصبهم سيئة قحط وامراض وهي الثانية يطيروا بموسى اي
يتشاءموا به نظيره وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك والاصل يتطيروا وعلى انه فعل ماض
والاصل في هذا الطيرة وزجر الطير ثم كثر استعمالهم حتى قيل لكل من تشاءم تطير وكانت العرب
تتيمن بالسانح وهو الذي ياتي من جهة اليمين وتتشاءم بالبارح وهو الذي ياتي من جهة الشمال
وكانوا يتطيرون ايضا بصوت الغراب ويتاولونه البين وكانوا يستدلون بمجاوبات الطيور بعضها
بعضا على امور وباصواتها في غير اوقاتها المعهودة على مثل ذلك وكذلك الظبا اذا مضت
سانحة او بارحة وتقول اذا برحت من لي بالسانح بعد البارح الا ان اقوى ما عندهم كان يقع
من جميع الطير وسموا الجميع تطيرا من هذا الوجه وتطيروا اذا راوا صبيا يذهب به الى المعلم
بالغداة وتيمنوا برؤيته حين يرجع به من عند المعلم الى بيته ويتشاءمون برؤية السقا على ظهره

قربة

قربة مملوءة مشدودة ويتيمنون برؤية فارغ السقاء مفتوحة ويتشاءمون بالجمال وضع حمله وبالدابة
يحط عنها ثقلها فجاء الاسلام بالنهي عن التطير والتشاؤم بما يسمع من صوت طاير ما كان وعلى اي حال
كان فقال عليه الصلاة والسلام اقروا الطير على مكناتها وذلك ان كثيرا من الجاهلية كان اذا اراد
الحاجة اتى الطير في وكرها فنفرها فان مضت ذات اليمين مضى لحاجته وهذا هو السانح عندهم وان
اخذت ذات الشمال رجع هذا هو البارح عندهم فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا بقوله اقروا الطير
على مكناتها هكذا في الحديث واهل العربية يقولون وكناتها قال امرؤ القيس وقد اغتدي والطير
في وكناتها والوكنة اسم لكل وكر وعش والوكن موضع الطائر الذي يبيض فيه ويفرخ وهو الخرق
في الحيطان والشجر ويقال وكر الطائر يكر وكرا ووكونا اذا حضن على بيضه وكان من العرب من لا يرى
التطير شيئا ويمدحون من كذب به قال المرقش ولقد غدوت وكنت لا اغدو على واق وحاتم
فاذا الاشائم كالايامن والايامن كالاشائم قال عكرمة كنت عند ابن عباس فمر علينا طائر يصيح
فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن عباس ما عند هذا لا خير ولا شر قال علماؤنا واما اقوال
الطير فلا تعلق بها بما يجعل دلالة عليه ولا لها علم بكائن فضلا عن مستقبل فتخبر به ولا في
الناس من يعلم منطق الطير الا ما كان الله تعالى خص به سليمان عليه السلام من ذلك فالتحق
التطير بجملة الباطل والله اعلم وقال عليه الصلاة والسلام ليس منا من تحلم او تكهن او رده عن
سفره تطير وروى ابو داود عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم الطيرة شرك ثلاثا
وما منا ولكن الله يذهبه بالتوكل وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من رجعته الطيرة عن حاجته فقد اشرك قيل وما كفارة ذلك يا رسول الله قال ان يقول
احدهم اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم يمضي لحاجته وفي خبر اخر اذا
وجد ذلك احدكم فليقل اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت ولا حول ولا
قوة الا بك ثم يذهب متوكلا على الله فان الله يكفيه ما وجد في نفسه وقد تقدم في المائدة
الفرق بين الفال والطيرة الا انما طائرهم عند الله وقرء الحسن طيرهم جمع طاير اي ما قدر لهم
وعليهم ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما لحقهم من القحط والشدائد انما هو من عند الله عز وجل بذنوبهم
لا من عند موسى وقومه قوله تعالى وقالوا مهما تاتنا به من اية اي قال قوم فرعون لموسى مهما
قال الخليل الاصل ماما الاولى للشرط والثانية زائدة توكيد الجزاء كما تزاد في ساير الحروف مثل
حيثما واينما وكيفما فكرهوا حرفين لفظهما واحد فابدلوا من الالف الاولى ها فقالوا مهما وقال
الكسائي اصله مه اي اكفف ما تاتنا به من اية وقيل هي كلمة مفردة يجازى بها ليجزم ما بعدها
على تقدير ان والجواب فما نحن لك بمؤمنين لتسحرنا لتصرفنا عما نحن عليه وقد مضى في البقرة
بيان هذه اللفظة قيل بقي موسى في القبط بعد القاء السحرة سجدا عشرين سنة يريهم الايات
حتى اغرق الله فرعون فكان ذلك قولهم انتهى قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز
قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك
بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم في
اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا
ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا

على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الٰهًا كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون
ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الٰهًا وهو فضلكم
على العالمين قوله فارسلنا عليهم الطوفان الى قوله مجرمين فيه خمس مسايل الاولى روي اسرائيل
عن سماك عن نوف الشامي قال مكث موسى عليه السلام في آل فرعون بعد ما غلب السحرة اربعين
عاما وقال محمد بن عثمان بن ابي شيبة عن منجاب عشرين سنة يريهم الايات الجراد والقمل
والضفادع والدم الثانية قوله الطوفان اي المطر الشديد حتى عاموا فيه مجاهد وعطا الطوفان
الموت الاخفش واحدته طوفانة وقيل هو مصدر كالرجحان والنقصان فلا يطلب له واحد قال
النحاس الطوفان في اللغة ما كان مهلكا من موت او سيل اي ما يطيف بهم فيهلكهم السدي ولم
يصب بني اسرائيل قطرة من ماء بل دخل بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم ودام عليهم
سبعة ايام وقيل اربعين يوما فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا فنؤمن لك فدعا ربه فرفع
عنهم الطوفان فلم يؤمنوا فانبت الله لهم في تلك السنة ما لم ينبته قبل ذلك من الكلاء والزرع
فقالوا كان ذلك الماء نعمة فبعث الله عليهم الجراد وهو الحيوان المعروف جمع جرادة في الذكر
والمونث فان اردت الفصل نعت فقلت جرادة ذكر فاكل زرعهم وثمارهم حتى انها كانت تاكل
السقوف والابواب حتى تنهدم ديارهم ولم يدخل دور بني اسرائيل منها شيء الثالثة واختلف العلما
في قتل الجراد اذا حل بارض فافسد فقيل لا يقتل وقال اهل الفقه كلهم يقتل احتج الاولون بانه خلق
عظيم من خلق الله ياكل من رزق الله ولا يجري عليه القلم وبما روي لا تقتلوا الجراد فانه جند الله
الاعظم احتج الجمهور بان في تركها فساد الاموال كانت اولى ان يجوز قتلها الا ترى انهم قد اتفقوا
على انه يجوز قتل الحية والعقرب لانهما يؤذيان الناس فكذلك الجراد وروى ابن ماجة عن
جابر وانس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دعا على الجراد قال اللهم اهلك كباره
واقتل صغاره وافسد بيضه واقطع دابره وخذ بافواهه عن معايشنا وارزاقنا انك سميع
الدعاء قال رجل يا رسول الله تدعوا على جند من اجناد الله بقطع دابره قال الجراد نثرة
حوت في البحر الرابعة ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن ابي اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبع غزوات كنا ناكل الجراد معه ولم يختلف العلما في اكله على الجملة وانه
اذا اخذ حيا وقطعت راسه انه حلال باتفاق وان ذلك ينزل منزل الذكاة فيه وانما
اختلفوا هل يحتاج الى سبب يموت به اذا صيد ام لا فعامتهم على انه لا يحتاج الى ذلك ويوكل
حيث ما مات وحكمه عندهم حكم الحيتان واليه ذهب ابن نافع ومطرف وذهب مالك الى انه
لا بد له من سبب يموت به كقطع راسه او اجنحته او رجليه اذا مات من ذلك او يصلق او
يطرح في النار لانه عنده من حيوان البر فميتته محرمة وكان الليث يكره اكل ميت الجراد
الا ما اخذ حيا ثم مات فان اخذه ذكاة واليه ذهب سعيد بن المسيب روى الدار قطني
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احل لنا ميتتان الحوت والجراد ودمان
الكبد والطحال وقال ابن ماجة نا احمد بن منيع نا سفيان بن عيينة عن ابي سعيد سمع
انس بن مالك يقول كن ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يتهادين الجراد على الاطباق ذكره ابن
المنذر ايضا الخامسة روى محمد بن المنكدر عن جابر ابن عبد الله عن عمر بن الخطاب قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق الف امة ستماية منها في البحر واربعماية
في البر وان اول هلاك هذه الامة الجراد فاذا هلكت الجراد تتابعت الامم مثل نظام السلك اذا

انقطع

انقطع ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الاصول وقال انما صار الجراد اول هذه الامم هلاكا لانه
خلق من الطينة التي فضلت من طينة ادم وانما تهلك الامم بهلاك الادميين لانها مسخرة لهم
رجعنا الى قصة القبط فعاهدوا ان يؤمنوا لو كشف عنهم الجراد فدعا فكشف وكان قد بقي من
زرعهم شيء فقالوا يكفينا ما بقي ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم القمل وهو صغار الدبا قاله قتادة و
الدباء الجراد قبل ان يطير الواحدة دباة وارض مدبية اذا اكل الدبا نباتها ابن عباس القمل
السوس الذي في الحنطة ابن زيد البراغيث الحسن دواب سود صغار ابو عبيدة الحمنان وهو
ضرب من القراد واحدها حمنانة فاكلت دوابهم وزرعهم فلزمت جلودهم كانها الجدري عليهم
ومنعتهم النوم والقرار وقال حبيب بن ابي ثابت القمل الجعلان والقمل عند اهل اللغة ضرب من
النحاس قال ابو الحسن الاعرابي العدوي القمل دواب صغار من جنس القراد الا انها اصغر منها
واحدتها قملة النحاس وليس هذا بناقض لما قاله اهل التفسير لانه يجوز ان تكون هذه الاشياء
كلها ارسلت عليهم وكلها تجتمع في انها تؤذيهم وذكر بعض المفسرين انه كان بعين شمس كثيب من رمل
فضربه موسى بعصاه فصار قملا وواحد القمل قملة وقيل القمل القمل قاله عطا الخراساني وفي
قراءة الحسن القمل بفتح القاف واسكان الميم فتضرعوا فلما كشف عنهم لم يؤمنوا فارسل الله
عليهم الضفادع جمع ضفدع وهي البعوضة التي تكون في الماء وفيه مسئلة واحدة وهي ان النهي
ورد عن قتلها اخرجه ابو داود وابن ماجة باسناد صحيح اخرجه ابو داود عن احمد بن حنبل
عن عبد الرزاق وابن ماجة عن محمد بن يحيى النيسابوري الذهلي عن ابي هريرة قال نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الصرد والضفدع والنملة والهدهد وخرج النسائي عن
عبد الرحمن بن عثمان ان طبيبا ذكر ضفدعا في دواء عند النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه النبي
صلى الله عليه وسلم عن قتله صححه ابو محمد عبد الحق وعن ابي هريرة قال الصرد اول طير
صام ولما خرج ابراهيم عليه السلام من الشام الى الحرم في بناء البيت كانت السكينة معه
والصرد فكان الصرد دليله الى المواضع والسكينة مقداره فلما صار الى البقعة وقعت
السكينة على موضع البيت ونادت ابن يا ابراهيم على مقدار ظلي فنهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن قتل الصرد لانه كان دليل ابراهيم على البيت وعن الضفدع لانها كانت تصب الماء على نار
ابراهيم ولما سلطت على فرعون جاءت فاخذت الامكنة كلها فلما صارت الى التنور وثبت
فيها وهي نار تسعر طاعة لله فجعلها نقيقها تسبيحا ويقال انها اكثر الدواب تسبيحا وقال
عبد الله بن عمر لا تقتلوا الضفدع فان نقيقه الذي تسمعون تسبيح فروي انها ملات فرشهم
واوعيتهم وطعامهم وشرابهم فكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفدع واذا تكلم وثب الضفدع
في فيه فشكوا الى موسى وقالوا نتوب فكشف عنهم ذلك فعادوا لكفرهم فارسل الله عليهم
الدم فسال النيل عليهم دما وكان الاسرائيلي يغترف منه الماء والقبطي الدم في فم الاسرائيلي
فيصير ماء ذلا الايات مفصلات اي مبينات ظاهرات عن مجاهد والزجاج ايات مفصلات
نصب على الحال ويروى انه كان بين الاية والاية ثمانية ايام وقيل شهرا فلهذا قال مفصلات
فاستكبروا اي ترفعوا عن الايمان بالله قوله تعالى ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب وقرئ بضم
الراء لغتان ابن جبير كان طاعونا مات به من القبط في يوم واحد سبعون الفا وقيل المراد
بالرجز ما تقدم ذكره من الايات بما عهد عندك ما بمعنى الذي اي بما استودعك من العلم
او بما اختصك فنباك وقيل هذا قسم اي بعهده عندك الا ما تكشف عنا نؤمن لك اي

نصدقك بما جئت به ولنرسلن معك بني اسرائيل وكانوا يستخدمونهم على ما تقدم الى اجل هم بالغوه
اي اجلهم الذي ضرب لهم في التغريق ينكثون ينقضون ما عقدوا على انفسهم واليم البحر وكانوا
عنها غافلين اي عن النقمة يدل عليه فانتقمنا وقيل عن الآيات اي لم يعتبروا بها حتى صاروا كالغافلين
عنها قوله تعالى واورثنا القوم يريد بني اسرائيل الذين كانوا يستضعفون اي يذلون بالخدمة
مشارق الارض ومغاربها زعم الكسائي والفراء ان الاصل في مشارق الارض ومغاربها فحذف
في فنصب والظاهر انهم ورثوا ارض القبط فيها نصب على المفعولين والارض هي ارض الشام ومصر
ومشارقها ومغاربها جهات المشرق والمغرب بها والارض مخصوصة عن الحسن وقتادة وغيرهما
وقيل اراد جميع الارض لان من بني اسرائيل داود وسليمان وقد ملكا الارض التي باركنا فيها اي بالخراج
والزرع والثمار والانهار وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل هي قوله تعالى ونريد ان نمن على
الذين استضعفوا في الارض الى قوله الوارثين بما صبروا اي بصبرهم على اذى فرعون وعلى امر الله
بعد ان آمنوا بموسى يعرشون يبنون يقال عرش يعرش اي بنى قال ابن عباس ومجاهد اي ما كانوا
يبنون من القصور وغيرها الحسن هو تعريش الكرم وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم يعرشون بضم
الراء قال الكسائي هي لغة تميم وقرأ ابراهيم بن ابي عبلة يعرّشون بتشديد الراء وضم الياء قوله
تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون قرأ حمزة والكسائي بكسر الكاف
والباقون بضمها يقال عكف يعكف ويعكف بمعنى اقام على الشيء ولزمه والمقدر منهما على فعول
قال قتادة اولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة وقيل كانت اصنامهم تماثيل بقر ولهذا
اخرج لهم السامري عجلا قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة نظيره قول جهال الاعراب
وقد رأوا شجرة خضراء للكفار تسمى ذات انواط في كل سنة يوم يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط
فقال عليه الصلاة والسلام الله اكبر قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى اجعل لنا الها
كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى انهم لو
دخلوا جحر ضب لدخلتموه وهذا كان في مخرجه الى حنين على ما ياتي بيانه في براءة ان
شاء الله تعالى قوله تعالى ان هؤلاء متبر ما هم فيه اي مهلك والتبار الهلاك وكل اناء
منكسر متبر وامر متبر اي ان العابد والمعبود مهلكان وقوله وباطل اي ذاهب ومضمحل ما
كانوا يعملون كانوا مثله زائدة قال اغير الله ابغيكم الها غير الله يقال بغيته وبغيت له
وهو فضلكم على العالمين اي على عالمي زمانكم وقيل فضلكم باهلاك عدوكم وبما خصكم به
قوله تعالى **واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون
نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات
ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين
ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى
الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما
افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس
برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة
وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا باحسنها سأريكم دار الفاسقين
ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان
يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا**

بآياتنا وكانوا عنها غافلين قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون ذكرهم منته وقيل هو خطاب ليهود
عصر النبي صلى الله عليه وسلم اي واذكروا اذ انجينا اسلافكم حسب ما تقدم بيانه في البقرة قوله تعالى
وواعدنا موسى ثلاثين ليلة فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذكر
ان مما كرم به موسى عليه السلام هذا فكان وعده المناجاة اكراما له واتممناها بعشر قال ابن عباس
ومجاهد ومسروق هي ذو القعدة وعشر ذي الحجة امره ان يصوم الشهر وينفرد فيه بالعبادة فلما
صامه انكر خلوف فمه فاستاك قيل بعود خروب فقالت الملائكة انا كنا نستنشق من فيك رائحة
المسك فافسدته بالسواك فزيد عليه عشر ليال من ذي الحجة وقيل ان الله اوحى اليه لما استاك يا
موسى لا اكلمك حتى يعود فوك الى ما كان عليه قبل اما علمت ان رائحة الصائم احب الي من ريح
المسك وامره بصيام عشرة ايام وكان كلام الله تعالى لموسى عليه السلام غداة النحر حين فدى اسمعيل
من الذبح واكمل لمحمد صلى الله عليه وسلم الحج وحذفت الهاء من عشر لان المعدود مؤنث والفائدة في قوله
فتم ميقات ربه اربعين ليلة لئلا يتوهم ان تممنا الثلاثين بعشر منها فبين ان العشر سوى الثلاثين
فان قيل فقد قال في البقرة اربعين وقال هنا ثلاثين فيكون ذلك من البداء قيل ليس كذلك فقد
قال واتممناها بعشر قول واحد ليس بمختلف وانما قال القولين على تفصيل وتاليف قال اربعين في
قول مؤلف وقال ثلاثين يعني شهرا متتابعا وعشرا وكل ذلك اربعون قال الشاعر عشر واربع
ليلة البدر يعني اربع عشرة وهذا جائز في كلام العرب الثانية قال علماؤنا دلت هذه الآية
على ان ضرب الاجل للمواعدة سنة ماضية ومعنى قديم اسسه الله في القضايا وحكم به للامم وعرفهم
به مقادير التاني في الاعمال واول اجل ضربه الله الايام الستة التي خلق فيها جميع المخلوقات
ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام قال ابن العربي فاذا ضرب الاجل لمعنى يحاول
فيه تحصيل الموجل فجاء الاجل ولم يتيسر زيد فيه تبصرة ومعذرة وقد بين الله تعالى ذلك
لموسى فضرب له اجلا ثلاثين ثم زاده عشرا تتمة اربعين وابطا موسى على قومه في هذا العشر
فما عقلوا جواز التاني والتاخر حتى قالوا ان موسى ضل ونسي ونكثوا عهده وبدلوا بعده وعبدوا
الها غير الله قال ابن عباس ان موسى قال لقومه ان ربي وعدني ثلاثين ليلة ان القاه واخلف
فيكم هارون فلما فصل موسى الى ربه زاده الله عشرا فكانت فتنتهم في العشر الذي زاده الله بما فعلوه
من عبادة العجل على ما ياتي بيانه ثم الزيادة التي تكون على الاجل تكون مقدرة كما ان الاجل مقدر
ولا تكون الا باجتهاد من الحاكم بعد النظر الى المعاني المتعلقة بالامر من وقت وحال وعمل فتكون
مثل ثلث المدة السالفة كما اجل الله لموسى فان راى الحاكم ان يجمع له الاجل والزيادة في مدة
واحدة جاز ولكن لا بد من التربص بعدها لما يطرا من القدر على البشر قاله ابن العربي روى
البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغه ستين
قلت وهذا ايضا اعذار الحاكم الى المحكوم عليه مرة بعد اخرى وكان هذا لطفا بالخلق ولينفذ
القيام عليهم بالحق يقال اعذر في الامر اي بالغ فيه اي اعذر غاية الاعذار الذي لا اعذار بعده
واكبر الاعذار الى بني آدم بعثة الرسل لتتم حجته عليهم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال
وجاءكم النذير قيل هم الرسل ابن عباس هو الشيب فانه ياتي في سن الاكتهال فهو علامة لمفارقة
سن الصبا وجعل الستين غاية الاعذار لان الستين قريب من معترك العباد وهو سن الانابة
والخشوع والاستسلام لله وترقب المنية ولقاء الله ففيه اعذار بعد اعذار الاول بالنبي
صلى الله عليه وسلم والثاني بالشيب وذلك عند كمال الاربعين قال الله تعالى وبلغ اربعين

سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك فذكر عز وجل ان من بلغ الاربعين فقد ان له ان يعلم
مقدار نعم الله عليه وعلى والديه ويشكرها قال مالك رحمه الله ادركت اهل العلم ببلدنا يطلبون
الدنيا ويخالطون الناس حتى ياتي لاحدهم اربعون سنة فاذا اتت عليهم اعتزلوا الناس الثالثة
ودلت الاية ايضا على ان التاريخ يكون بالليالي دون الايام لقوله ثلاثين ليلة لان الليل اوايل
الشهور وبها كانت الصحابة تخبر عن الايام حتى روي انها كانت تقول صمنا خمسا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم والعجم تخالف ذلك فتحسب الايام لان معولها على الشمس ابن العربي وحساب
الشمس للمنافع وحساب القمر للمناسك ولهذا قال وواعدنا موسى ثلاثين ليلة يقال ارخت تاريخا
وورخت توريخا لغتان قوله تعالى وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي واصلح المعنى
وقال موسى حين اراد المضي للمناجاة والمغيب فيها لاخيه هارون كن خليفتي فدل على النيابة
وفي صحيح مسلم عن سعد بن ابي وقاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي حين
خلفه في بعض مغازيه اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي فاستدل
بهذا الروافض والامامية وساير فرق الشيعة على ان النبي صلى الله عليه وسلم استخلف عليا على
جميع الامة حتى كفر الصحابة الامامية قبحهم الله لانهم عندهم تركوا العمل الذي هو النص
على استخلاف علي واستخلفوا غيره بالاجتهاد ومنهم من كفر عليا اذ لم يقم بطلب حقه وهؤلاء لا شك
في كفرهم وكفر من تبعهم على مقالتهم ولم يعلموا ان هذا استخلاف في حياة كالوكالة التي تنقضي
بعزل الموكل او موته لا يقتضي انه متماد بعد وفاة فينحل على هذا ما يتعلق به الامامية وغيرهم
وقد استخلف النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن ام مكتوم وغيره ولم يلزم من ذلك استخلافه
دايما بالاتفاق على انه قد كان هارون شريك مع موسى في اصل الرسالة فلا يكون لهم فيه على
ما راموه دلالة والله الموفق للهداية قوله تعالى واصلح امر بالاصلاح قال ابن جريج كان من
الاصلاح ان يزجر السامري ويغير عليه وقيل اي ارفق بهم واصلح امرهم واصلح نفسك اي كن
مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين لا تسلك سبيل العاصين ولا تكن عونا للظالمين قوله تعالى
ولما جاء موسى لميقاتنا اي في الوقت الموعود وكلمه ربه اي اسمعه كلامه من غير واسطة قال
رب ارني انظر اليك سال النظر اليه واشتاق الى رؤيته لما اسمعه كلامه فقال لن تراني
في الدنيا ولا يجوز الحمل على اراد اية عظيمة لانظر الى قدرتك لانه قال اليك وقال لن تراني
ولو سال اية لاعطاه الله ما سال كما اعطاه ساير الايات وقد كان لموسى فيها مقنع عن طلب اية
اخرى فيبطل هذا التاويل ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ضرب له مثلا بما
هو اقوى من بنيته واثبت اي فان ثبت الجبل وسكن فسوف تراني وان لم يسكن فانك لا تطيق
رؤيتي وذكر القاضي عياض عن القاضي ابي بكر بن الطيب ما معناه ان موسى عليه السلام راى الله
فلذلك خر صعقا وان الجبل راى ربه فصار دكا بادراك خلقه الله له واستنبط ذلك من
قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا
وخر موسى صعقا وتجلى بمعنى ظهر من قولك جلوت العروس اي ابرزتها وجلوت السيف ابرزته
من الواجلا فيهما وتجلى الشيء انكشف وقيل تجلى امره وقدرته قاله قطرب وغيره وقراة اهل
المدينة واهل البصرة دكا يدل على صحتها دكت الارض دكا وان الجبل مذكر وقراة اهل الكوفة
دكا اي جعله مثل الارض دكاء وهي الناقة لا تبلغ ان تكون جبلا والمذكر ادك وجمع دكاوات
ودك مثل حمراوات وحمر قال الكسائي الدك من الجبال العراض واحدها ادك غيره والدكاوات

جمع دكاء دابة من طين ليست بالغلاظ والدكاك كذلك من الرمل ما التبد بالارض فلم يرتفع وناقة
دكا لا سنام لها وفي التفسير فساخ الجبل في الارض فهو يذهب فيها حتى الان وقال ابن عباس جعله ترابا
عطية العوفي رملا هايلا وخر موسى صعقا اي مغشيا عليه عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل ميتا
يقال صعق الرجل فهو صَعِقٌ وصُعِقَ فهو مصعوق قال قتادة والكلبي خر موسى صعقا يوم الخميس يوم
عرفة واعطي التورية يوم الجمعة يوم النحر فلما افاق قال سبحانك تبت اليك قال مجاهد من
مسئلة الرؤية في الدنيا وقيل سال من غير استيذان وقيل قاله على جهة الانابة الى الله تعالى
والخشوع له عند ظهور الايات واجمعت الامة على ان هذه التوبة ما كانت عن معصية فان الانبيا
معصومون وايضا عند اهل السنة والجماعة الرؤية جايزة وعند المبتدعة سال لاجل القوم ليتبين
لهم انها غير جايزة وهذا لا يقتضي التوبة فقيل اني تبت اليك من قتل القبطي ذكره القشيري وقد
مضى في الانعام بيان ان الرؤية جايزة قال علي بن مهدي الطبري لو كان سؤال موسى مستحيلا ما
اقدم عليه مع معرفته بالله كما لم يجز ان يقول له يا رب الك صاحبة وولد وسياتي في القيمة مذهب
المعتزلة والرد عليها ان شاء الله قوله تعالى وانا اول المؤمنين قيل من قومي وقيل من بني اسرائيل في
هذا العصر وقيل بانك لا ترى في الدنيا بوعدك السابق بذلك وفي الحديث الصحيح من حديث
ابي هريرة وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا بين الانبياء فان الناس يصعقون
يوم القيمة فارفع راسي فاذا انا بموسى اخذ بقايمة من قوايم العرش فلا ادري اصعق فيمن صعق
فافاق قبلي او حوسب بصعقته الاولى او قال كفته صعقته الاولى وقال ابو بكر بن ابي
شيبة عن كعب قال ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين محمد وموسى صلى الله وسلم عليهما
فكلمه موسى مرتين وراه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين قوله تعالى قال يا موسى اني اصطفيتك على
الناس الاصطفاء الاجتباء اي فضلتك ولم يقل على الخلق لان من هذا الاصطفاء انه كلمه وقد
كلم الملايكة وارسله وارسل غيره فالمراد على الناس المرسلين اليهم وقرء برسالتي على الافراد نافع
وابن كثير والباقون بالجمع والرسالة مصدر فيجوز افرادها ومن جمع على انه ارسل بضروب من
الرسالات فاختلفت انواعها فجمع المصدر لاختلاف انواعه كما قال ان انكر الاصوات لصوت
الحمير فجمع ووحد في قوله لصوت لما اراد به جنسا واحدا من الاصوات ودل هذا على ان قومه
لم تشاركه في التكليم ولا واحد من السبعين كما بيناه في البقرة فخذ ما اتيتك اشارة الى
القناعة اي اقنع بما اتيتك وكن من الشاكرين اي من المظهرين لاحساني اليك وفضلي عليك
يقال دابة شكور اذا ظهر عليها من السمن فوق ما تعطى من العلف والشاكر معرض للمزيد كما قال
لئن شكرتم لازيدنكم ويروى ان موسى عليه السلام مكث بعد ان كلمه الله اربعين ليلة لا يراه
احد الا مات من نور الله عز وجل قوله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء يريد التورية وروي
في الخبر انه قبض عليه جبريل بجناحه فمر به في العلى حتى ادناه حتى سمع صريف الاقلام حين
كتب الله له الالواح ذكره الترمذي الحكيم وقال مجاهد كانت الالواح من زمردة خضراء
ابن جبير من ياقوتة حمراء ابو العالية من زبرجد من خشب نزلت من السماء وقيل من صخرة
صماء لينها الله لموسى عليه السلام فقطعها بيده ثم شققها باصابعه فاطاعته كالحديد لداود
قال مقاتل اي كتبنا له في الالواح كنقش الخاتم وعن ابن انس نزلت التورية وهي سبعون وقر
بعير واضافة الكتابة الى نفسه على جهة التشريف اذ هي مكتوبة بامره كتبها جبريل بالقلم الذي
كتب به الذكر واستمد من نهر النور وقيل هي كتابة اظهرها الله وخلقها في الالواح واصل اللوح

اللمع بفتح اللام قال الله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ فكان اللوح تلوح فيه المعاني ويروى
انها لوحان وجاء بالجمع لان الاثنين جمع ويقال رجل عظيم الالواح حين القاها فرفعت الا سدسها
وقيل بقي سبعها ورفعت ستة اسباعها فكان في الذي رفع تفصيل كل شيء وفي الذي بقي الهدى
والرحمة واسند ابو نعيم الحافظ عن عمرو بن جبير قال بلغني ان موسى بن عمران عليه السلام صام اربعين
ليلة فلما القى الالواح تكسرت فصام مثلها فردت اليه ومعنى من كل شيء مما يحتاج اليه في دينه من
الاحكام وتبيين الحلال والحرام عن الثوري وغيره وقيل هو لفظ يذكر تفخيما ولا يراد به التعميم تقول
دخلت السوق واوتيت من كل شيء وعند فلان كل شيء وتدمر كل شيء واوتيت من كل شيء وقد
تقدم موعظة وتفصيلا لكل شيء امروا به من الاحكام فانه اذا لم يكن عندهم اجتهاد وانما خص
بذلك امة محمد صلى الله عليه وسلم فخذها بقوة في الكلام حذف اي فقلنا له فخذها بقوة اي
بجد ونشاط نظيره خذوا ما اتيناكم بقوة وقد تقدم وأمر قومك يأخذوا باحسنها اي يعملوا بالاوامر
ويتركوا النواهي ويتدبروا الامثال والمواعظ واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وقال فيتبعون احسنه
والعفو احسن من الاقتصاص والصبر احسن من الانتصار وقيل احسنها الفرائض والنوافل وادونها
المباح ساريكم دار الفاسقين قال الكلبي دار الفاسقين ما مروا عليه اذا مروا من منازل عاد وثمود
والقرون الذين اهلكوا وقيل هي جهنم عن الحسن ومجاهد اي فلتكن منكم على ذكر فاحذروا ان تكونوا
منها وقيل اراد به مصر اي ساريكم دار القبط ومساكن فرعون خالية عنهم عن ابن جبير قتادة المعنى
ساريكم منازل الكفار التي سكنوها قبلكم من الجبابرة والعمالقة لتعتبروا بها يعني الشام وهذان
القولان يدل عليهما واورثنا القوم الاية ونريد ان نمن الاية وقد تقدم وقرء ابن عباس وقسامة
بن زهير ساورثكم من ورث وهذا ظاهر وقيل الدار الهلاك والجمع ادوار وذلك ان الله تعالى لما
اغرق فرعون اوحى الى البحر ان اقذف باجسامهم الى الساحل قال ففعل فنظر اليهم بنو اسرائيل فاراهم
هلاك الفاسقين قوله تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون قال قتادة سامنعهم فهم كتابي
وقاله سفيان بن عيينة وقيل ساصرفهم عن الايمان بها وقيل ساصرفهم عن نفعها وذلك مجازاة
على تكبرهم نظيره فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والايات على هذا المعجزات او الكتب المنزلة وقيل
خلق السموات والارض اي اصرفهم عن الاعتبار بها اي يتكبرون يرون انهم افضل الخلق وهذا
ظن باطل فلهذا قال بغير الحق فلا يتبعون نبيا ولا يصغون اليه لتكذيبهم قوله تعالى وان يروا
يعني هؤلاء المتكبرون اخبر عنهم انهم يتركون طريق الرشاد ويتبعون سبيل الغي والضلال اي الكفر
يتخذوه دينا ثم علل فقال ذلك بانهم كذبوا باياتنا اي ذلك الفعل الذي فعلته بهم بتكذيبهم
وكانوا عنها غافلين اي كانوا في تركهم تدبر الحق كالغافلين ويحتمل ان يكونوا غافلين عما يجازون
به وقرا مالك بن دينار وان يروا بضم الياء في الحرفين اي يفعل ذلك بهم وقرء اهل المدينة
واهل البصرة سبيل الرشد بضم الراء واسكان الشين واهل الكوفة الا عاصما الرشد بفتح الراء والشين
قال ابو عبيد فرق ابو عمرو بين الرشد والرشد فقال الرشد الصلاح والرشد في الدين قال
النحاس وسيبويه يذهب الى ان الرشد والرشد مثل السخط والسخط وكذا قال الكسائي والصحيح
عن ابي عمرو وغيره قال ابو عبيد قال اسمعيل بن اسحق حدثنا نصر بن علي عن ابيه عن ابي عمرو
بن العلا قال اذا كان الرشد وسط الاية فهو مسكن واذا كان راس الاية فهو محرك قال
النحاس يعني براس الاية نحو وهيئ لنا من امرنا رشدا فهما عنده لغتان بمعنى واحد الا انه فتح هذا لتتفق
الايات ويقال رشد يرشد ورشد يرشد وحكى سيبويه رشد يرشد وحقيقة الرشد والرشد

في اللغة ان يظفر الانسان وهو ضد الغي قوله تعالى والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة حبطت
اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار
الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في ايديهم وراوا
انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه
غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه
يجره اليه قال يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء
ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم
الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك
نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها
لغفور رحيم قوله واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد خروجه الى الطور من حليهم هذه قراءة
اهل المدينة واهل البصرة وقرء اهل الكوفة الا عاصما من حليهم بكسر الحاء وقرا يعقوب من حليهم بفتح
الحاء والتخفيف قال النحاس جمع حلي وحلي مثل ثدي وثدي والاصل حلوي ثم ادغمت الواو في الياء
فانكسرت اللام لمجاورتها الياء وتكسر الحاء لكسرة اللام وضمها على الاصل عجلا مفعول جسدا نعت او
بدل له خوار رفع بالابتدا يقال خار يخور خوارا اذا صاح وكذلك خار يخور خورا ويقال خور
يخور خورا اذا جبن وضعف وروي في قصص العجل ان السامري اسمه موسى بن ظفر ينسب الى قرية
تدعى سامرة ولد في عام قتل الابناء واخفته امه في كهف فغذاه جبريل فعرفه لذلك فاخذ
حين عبر البحر على فرس وديق ليتقدم فرعون في البحر قبضة من اثر حافر الفرس وهو
معنى قوله فقبضت قبضة من اثر الرسول وكان موسى وعد قومه ثلاثين يوما فلما ابطا
في العشر الزايد ومضت ثلاثون ليلة قال لبني اسرائيل وكان مطاعا فيهم ان معكم حليا من حلي
الفرعون وكان لهم عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلي فاستعاروا لذلك فلما
اخرجهم الله من مصر وغرق القبط بقي ذلك الحلي في ايديهم فقال لهم السامري انه حرام
عليكم فهاتوا ما عندكم فنحرقه وقيل هذا الحلي ما اخذه بنو اسرائيل من قوم فرعون بعد
الغرق وان هرون قال لهم ان الحلي غنيمة وهي لا تحل لكم فجمعها في حفرة حفرها فاخذها السامري
وقيل استعاروا الحلي ليلة ارادوا الخروج من مصر واوهموا القبط ان لهم عرسا او مجتمعا وكان
السامري سمع قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وكانت تلك الالهة على هيئة البقر فصاغ
لهم عجلا جسدا اي مصمتا غير انهم كانوا يسمعون منه خوارا وقيل قلبه الله لحما ودما وقيل انه
لما القى تلك القبضة من التراب في النار على الحلي صار عجلا له خوار فخار خورة واحدة ولم يثن
ثم قال للقوم هذا الهكم واله موسى فنسي يقول نسيه هاهنا وذهب يطلبه فضل عنه فتعالوا
نعبد هذا العجل فقال الله لموسى وهو يناجيه انا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري فقال
موسى يا رب هذا السامري اخرج لهم عجلا من حليهم فمن جعل له جسدا يريد اللحم والدم ومن جعل له
خوارا فقال الله انا فقال وعزتك وجلالك ما اضلهم غيرك قال صدقت يا حكيم الحكماء
وهو معنى قوله ان هي الا فتنتك وكان القفال كان السامري احتال بان جوف العجل وكان
قابل به الريح حتى جاء من ذلك ما حاكى الخوار واوهمهم ان ذلك انما صار كذلك لما طرح في
الجسد من التراب الذي كان اخذه من تراب قوايم فرس جبريل وهذا كلام متهافت قاله
القشيري قوله تعالى الم يروا انه لا يكلمهم بين ان المعبود يجب ان يتصف بالكلام ولا يهديهم

سبيلا اي طريقا الى حجة اتخذوه اي الها وكانوا ظالمين اي لانفسهم فيما فعلوا من اتخاذه وكانوا ظالمين اي مشركين لجعلهم العجل الها قوله تعالى ولما سقط في ايديهم اي بعد وعد موسى من الميقات يقال للنادم المتحير قد سقط في يده قال الاخفش يقال سقط في يده واسقط ومن قرء سقط في ايديهم على بناء الفاعل فالمعنى عنده سقط الندم قاله الازهري والنحاس وغيرهما والندم يكون في القلب ولكنه ذكر اليد لانه يقال لمن تحصل على شي قد حصل في يده امر كذا لان مباشرة الاشياء في الغالب باليد قال الله تعالى ذلك بما قدمت يداك وايضا الندم وان حل القلب فاثره يظهر في البدن لان النادم يعض يده ويضرب احدى يديه على الاخرى قال الله تعالى فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها اي ندم ويوم يعض الظالم على يديه اي من الندم والنادم يضع ذقنه في يده وقيل اصله من الاستيسار وهو ان يضرب الرجل الرجل او يصرعه فيرمي به من يديه الى الارض ليأسره او يكتفه فالمرمي به مسقوط في يدي الساقط ورأوا انهم قد ضلوا اي ابتلوا بمعصية الله قالوا لئن لم يرحمنا ربنا اخذوا في الاقرار بالعبودية والاستغفار وقرء حمزة والكسائي لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء على الخطاب وفيه معنى الاستغاثة والتضرع والابتهال في السؤال والدعاء وربنا بالنصب على حذف النداء وهو ابلغ في الدعاء والخضوع فقراءتهما ابلغ في الاستكانة والتضرع فهي اولى قوله تعالى فلما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا لم ينصرف غضبان لان مؤنثه غضبى ولان الالف والنون فيه بمنزلة الف التانيث في قولك حمراء وهو نصب على الحال واسفا شديد الغضب قال ابو الدرداء الاسف منزلة وراء الغضب اشد من ذلك وهو اسف واسيف واسفان واسوف والاسيف ايضا الحزين ابن عباس والسدي رجع حزينا من صنيع قومه قال الطبري اخبر الله تعالى قبل رجوعه انهم قد فتنوا بالعجل فلذلك رجع وهو غضبان ابن العربي وكان موسى عليه السلام من اعظم الناس غضبا لكنه كان سريع الفيئة فتلك بتلك قال ابن القاسم سمعت مالكا يقول كان موسى اذا غضب طلع الدخان من قلنسوته ورفع شعر بدنه جبته وذلك ان الغضب جمرة تتوقد في القلب ولاجله امر النبي صلى الله عليه وسلم من غضب ان يضطجع فان لم يذهب غضبه يغتسل فيخمدها اضطجاعه ويطفيها اغتساله وسرعة غضبه كان سببا لصكه ملك الموت ففقأ عينه وقد تقدم في المائدة ما للعلماء في هذا وقال الترمذي الحكيم وانما استجاز موسى عليه السلام ذلك لانه كليم الله كانه راى ان من اجترأ عليه او مد اليه يدا باذى فقد عظم الخطب فيه الا انه احتج عليه فقال من اين تنزع روحي امن فمي وقد ناجيت به ربي ام من سمعي وقد سمعت به كلام ربي ام من يدي وقد قبضت منه الالواح ام من قدمي وقد قمت بين يديه اكلمه بالطور ام من عيني وقد اشرق وجهي لنوره فرجع الى ربه مفحما وفي مصنف ابي داود عن ابي ذر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا اذا غضب احدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع وروي ايضا عن ابي وائل القاص قال دخلنا على عروة بن محمد السعدي فكلمه رجل فاغضبه فقام ثم رجع وقد توضأ فقال حدثني ابي عن جدي عطية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ قوله تعالى بئس ما خلفتموني من بعدي ذم منه لهم اي بئس العمل عملتم بعدي يقال خلفه بما يكره ويقال في الخير ايضا يقال منه خلفه بخير او بشر في اهله وقومه بعد شخوصه اعجلتم امر ربكم اي سبقتموه والعجلة التقدم بالشيء قبل وقته وهي مذمومة والسرعة عمل الشيء في اول اوقاته وهي محمودة قال يعقوب يقال عجلت الشيء سبقته واعجلت الرجل

استعجلته اي حملته على العجلة ومعنى امر ربكم اي ميعاد ربكم اي وعد اربعين ليلة وقيل تعجلتم سخط ربكم وقيل اعجلتم بعبادة العجل قبل ان يأتيكم امر من ربكم قوله تعالى والقى الالواح فيه مسألتان الاولى قوله والقى الالواح اي مما اعتراه من الغضب والاسف حين اشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل وعلى اخيه في اهمال امرهم قاله سعيد بن جبير ولهذا قيل ليس الخبر كالمعاينة ولا التفات لما روي عن قتادة ان صح عنه ولا يصح ان القاءه الالواح انما كان لما رأى فيها من فضيلة امة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لامته وهذا قول رديء لا ينبغي ان يوصف به موسى عليه السلام وقد تقدم عن ابن عباس ان الالواح تكسرت وانه رفع منها التفصيل وبقي الهدى والرحمة الثانية وقد استدل بعض جهال المتصوفة بهذا على جواز رمي الثياب اذا اشتد طربهم على المغني ثم منهم من يرمي بها صحاحا ومنهم من يخرقها ثم يرمي بها قال هؤلاء في غيبة فلا يلامون فان موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الالواح فكسرها ولم يدر ما صنع قال ابو الفرج الجوزي من يصحح عن موسى عليه السلام انه رماها رمي كاسر والذي ذكر في القران القاها فمن اين لنا انها تكسرت ثم لو قيل تكسرت فمن اين لنا انه قصد كسرها ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا كان في غيبة حتى لو كان بين يديه بحر من نار لخاضه ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغني من غيره ويحذرون من بير لو كانت عندهم ثم كيف يقاس احوال الانبياء على احوال هؤلاء السفهاء وقد سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم فقال الخطا حرام وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اضاعة المال فقال له قايل فانهم لا يعقلون ما يفعلون فقال ان حضروا هذه الامكنة مع علمهم ان الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم اثموا بما ادخلوه على انفسهم من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنه خطاب الشرع لانهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذا الموضع الذي يفضي الى ذلك كما هم منهيون عن شرب المنكر كذلك هذا الطرب الذي يسميه اهل التصوف وجدا ان صدقوا ان فيه سكر طبع وان كذبوا فسد وامع الصحو فلا سلامة فيه مع الحالين وتجنب مواضع الريب واجب قوله تعالى واخذ براس اخيه يجره اليه اي بلحيته وذوائبه وكان هارون اكبر من موسى بثلاث سنين واحب الى بني اسرائيل من موسى لانه كان لين الغضب وللعلماء في اخذ موسى براس اخيه اربع تاويلات الاول ان ذلك كان متعارفا عندهم كما كانت العرب تفعله من قبض الرجل على لحية اخيه وصاحبه اكراما وتعظيما فلم يكن ذلك على طريق الاذلال الثاني ان ذلك انما كان ليسر اليه نزول الالواح لانها نزلت عليه في مناجاته هذه واراد ان يخفيها عن بني اسرائيل قبل التورية قال له هارون لا تاخذ بلحيتي ولا براسي لئلا يشتبه سراره على بني اسرائيل باذلاله الثالث انما فعل ذلك لانه وقع في نفسه ان هارون مايل بني اسرائيل فيما فعلوه من امر العجل ومثل هذا لا يجوز على الانبياء الرابع ضم اليه اخاه ليكرمه لديه فكره ذلك هارون لئلا يظن بنو اسرائيل انه اهانه فبين له اخوه انهم استضعفوه يعني عبدة العجل وكادوا اي قاربوا يقتلونني اي قاربوا فلما سمع عذره قال رب اغفر لي ولاخي اي اغفر لي ما كان من الغضب الذي القيت من اجله الالواح ولاخي لانه ظنه مقصرا في الانكار عليهم وان لم يقع منه تقصير اي اغفر لاخي ان قصر قال الحسن عبد كلهم العجل الا غير هارون اذ لو كان ثم مؤمن غير موسى وهارون لما اقتصر على قوله اغفر لي ولاخي والدعاء لذلك المؤمن ايضا وقيل استغفر لنفسه من فعله باخيه ذلك لموجدته عليه اذ لم يلحق به فيعرفه ما جرى ليرجع فيتلافاهم ولذلك قال لهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعني الاية فبين هارون انه انما اقام خوفا على نفسه من

العمل فدلت الاية ان لمن خشي القتل على نفسه عند تغيير المنكر ان يسكت وقد تقدم بيان هذا في آل
عمران ابن العربي وفيها دليل على ان الغضب لا يغير الاحكام كما زعم بعض الناس فان موسى عليه
السلام لم يغير غضبه شيئا من افعاله بل اطردت على مجراها من القاء الالواح وعتاب اخ وصك
ملك المهدوي لان غضبه كان لله عز وجل وسكوته عن بني اسرائيل خوفا ان يتحاربوا ويتفرقوا قوله
تعالى قال ابن وكان ابن امه وابيه ولكنها كلمة لين وعطف وقال الزجاج قيل كان هارون
اخا موسى لامه وقرى بفتح الميم وكسرها فمن فتح جعل ابن ام اسما واحدا كخمسة عشر فصار كقولك يا
خمسة عشر اقبلوا ومن كسر الميم جعله مضافا الى الضمير المتكلم ثم حذف الاضافة لان مبنى النداء على
الحرف وابقى الكسرة في الميم لتدل على الاضافة كقوله يا عبادي يدل عليه قراءة ابن السميقع يا ابن
امي باثبات الياء على الاصل وقال الكسائي والفراء وابو عبيد يا ابن ام بالفتح تقديره يا ابن اما
وقال البصريون هذا القول خطأ لان الالف خفيفة لا تحذف ولكن جعل الاسمين اسما واحدا
وقال الاخفش وابو حاتم يا ابن ام بالكسر كما تقول يا غلام غلام اقبل وقيل هي قراءة شاذة والقراءة
بها بعيدة وانما هذا فيما يكون مضافا اليك فاما المضاف الى مضاف اليك فالوجه ان تقول
يا غلام غلامي ويا ابن اخي وجوزوا يا ابن ام يا ابن عم لكثرتها في الكلام قال الزجاج والنحاس
ولكن لها وجه حسن جيد يجعل الابن مع الام ومع العم اسما واحدا بمنزلة قولك يا خمسة عشر اقبلوا
فحذفت الياء كما حذفت في يا غلام استضعفوني استذلوني وعدوني ضعيفا وكادوا اي قاربوا
يقتلونني بنونين لانه فعل مستقبل ويجوز الادغام في غير القرآن فلا تشمت بي الاعداء اي لا تسرهم
والشماتة السرور بما يصيب اخاك من المصايب في الدين والدنيا وهي محرمة منهي عنها وفي الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتعوذ منها ويقول اللهم اني اعوذ بك من سوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء
خرجه البخاري وغيره وقال الشاعر اذا ما الدهر جار على اناس كلاكله اناخ باخرينا فقل
للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا وقرا مجاهد ومالك بن دينار تشمت بالنصب
في التاء وفتح الميم الاعداء بالرفع والمعنى لا تفعل بي ما يشمت بي لاجله الاعداء اي لا يكون ذلك
منهم لفعل تفعله انت بي وعن مجاهد ايضا تشمت بالفتح فيهما الاعداء بالنصب قال ابن جني المعنى
فلا تشمت بي انت يا رب وجاز هذا كما قال الله يستهزئ بهم ونحوه ثم عاد الى المراد فاضمر
فعلا نصب به الاعداء كانه قال ولا تشمت بي الاعداء قال ابو عبيد وحكيت عن حميد فلا
تشمت بكسر الميم قال النحاس لا وجه لهذه القراءة لانه ان كان من شمت وجب ان يقول
تشمت وان كان من شمت وجب ان يقول تشمت وقوله ولا تجعلني في القوم الظالمين قال
مجاهد يعني الذين عبدوا العجل قال رب اغفر لي ولاخي تقدم قوله تعالى ان الذين اتخذوا
العجل سينالهم غضب من ربهم الغضب من الله العقوبة وذلة في الحياة الدنيا لانهم امروا
بقتل بعضهم بعضا وقيل الذلة الجزية وفيه بعد لان الجزية لم تؤخذ منهم وانما اخذت من
ذرياتهم ثم قيل هذا من كلام موسى عليه السلام اخبر الله عز وجل به عنه وتم الكلام ثم قال
الله تعالى وكذلك نجزي المفترين وكان هذا القول من موسى قبل ان يتوب القوم بقتلهم
انفسهم فانهم لما تابوا وعفا الله عنهم بعد ان جرى القتل العظيم كما تقدم بيانه في البقرة اخبرهم
ان من مات منهم قتيلا فهو شهيد ومن بقي حيا فهو مغفور له وقيل كان ثم طائفة اشربوا
في قلوبهم العجل فلم يتوبوا فهم المعنيون بقوله ان الذين اتخذوا العجل وقيل اراد من مات منهم قبل

رجوع

رجوع موسى الى الميقات وقيل اراد اولادهم وهو ما جرى على قريظة والنضير اي سينال اولادهم والله
اعلم وكذلك نجزي المفترين اي مثل ما فعلنا بهؤلاء نفعل بالمفترين وقال مالك بن انس ما من
مبتدع الا ويجد فوق راسه ذلة ثم قرا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم حتى قال
وكذلك نجزي المفترين اي المبتدعين وقيل ان موسى امر بذبح العجل فجرى منه دم وبرده بالمبرد والقاه
مع الدم في اليم وامرهم بالشرب من ذلك الماء فمن عبد العجل واشربه ظهر ذلك على اطرافه فبذلك
عرف عبدة العجل وقد مضى هذا في البقرة ثم اخبر تعالى ان الله تقبل توبة التائب من الشرك وغيره
وقد مضى هذا في غير موضع والذين عملوا السيئات اي الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك
من بعدها اي بعد التوبة لغفور رحيم قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي
نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما
اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي
الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير
الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة انا هدنا اليك قال عذابي
اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين
هم باياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه
واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون قوله ولما سكت عن موسى الغضب اي سكن
وكذلك قراها معاوية بن قرة سكن بالنون واصل السكوت السكون والامساك يقال جرى
الوادي ثلاثا ثم سكن اي امسك عن الجري وقال عكرمة سكت موسى عن الغضب فهو من المقلوب
كقولك ادخلت الاصبع الخاتم والخاتم الاصبع وادخلت القلنسوة في راسي وراسي في القلنسوة
واخذ الالواح التي القاها وفي نسختها هدى اي من الضلالة ورحمة اي من العذاب والنسخ نقل
ما في كتاب الى كتاب اخر ويقال للاصل الذي كتبت منه نسخة وللفرع نسخة فقيل لما تكسرت
الالواح صام موسى اربعين يوما فردت عليه واعيدت له تلك الالواح في لوحين ولم يفقد منها
شيء ذكره ابن عباس قال القشيري فعلى هذا وفي نسختها اي وفيما نسخ من الالواح المتكسرة ونقل
الى الالواح الجديدة هدى ورحمة وقال عطاء وفيما بقي منها وذلك انه لم يبق منها الا سبعها وذهب
ستة اسباعها ولكن لم يذهب من الحدود والاحكام شيء وقيل المعنى وفي نسختها اي وفيما نسخ له
منها من اللوح المحفوظ هدى وقيل المعنى وفيما كتب له فيها هدى ورحمة فلا يحتاج الى اصل ينقل
عنه وهذا كما يقال انسخ ما يقول فلان اي اثبته في كتابك قوله تعالى للذين هم لربهم يرهبون اي
يخافون وفي اللام ثلاثة اقوال قول الكوفيين هي زائدة قال الكسائي حدثني من سمع الفرزدق
يقول نقدت لها مائة درهم يعني نقدتها وقيل هي لام اجل والذين هم من اجل ربهم يرهبون لا
رياء ولا سمعة عن الاخفش وقال محمد بن يزيد هي متعلقة بمصدر للذين هم رهبتهم لربهم
وقيل لما تقدم المفعول حسن دخول اللام كقوله ان كنتم للرؤيا تعبرون فلما تقدم المعمول وهو
المفعول ضعف عمل الفعل فصار بمنزلة ما لا يتعدى قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين
رجلا لميقاتنا سبعين رجلا مفعولان لان احدهما حذفت منه من وانشد سيبويه منا الذي اختير
الرجال سماحة وبرا اذا هب الرياح الزعازع وقال الراعي يمدح رجلا اخترتك الناس اذ رثت

خلا بيتهم واختل من كان برجع عنده السول يريد اخترتك من الناس واصل اختار اختبر فلما تحركت الياء وقبلها فتحة قلبت الفاء نحو قال وباع فلما اخذتهم الرجفة اي ماتوا قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل اي اماتهم كما قال عز وجل ان امرؤ هلك واياي عطف والمعنى لو شئت امتنا من قبل ان تخرج الى الميقات بمحضر بني اسرائيل حتى لا يتهموني ابو بكر بن ابي شيبة نا يحيى بن سعيد القطان عن سفيان عن ابي اسحق عن عمارة بن عبيد عن علي رضي الله عنه قال انطلق موسى وهرون عليهما السلام وانطلق شبر وشبير فانتهوا الى الجبل فيه سرير فقام عليه هارون فقبض روحه فرجع موسى الى قومه فقالوا انت قتلته حسدتنا على لينه وعلى خلقه او كلمة نحوها الشك من سفيان فقال كيف اقتله ومعي ابناه قال فاختاروا من شئتم فاختاروا من كل سبط عشرة قال فكذلك قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا فانتهوا اليه فقالوا من قتلك يا هارون قال ما قتلني احد ولكن الله توفاني قالوا يا موسى ما تعصى فاخذتهم الرجفة فجعلوا يترددون يمينا وشمالا ويقول لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك قال فدعا الله فاحياهم وجعلهم انبياء كلهم وقيل اخذتهم الرجفة لقولهم ارنا الله جهرة كما قال واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة على ما تقدم في البقرة بيانه وقال ابن عباس انما اخذتهم الرجفة لانهم لم ينهوا من عبد العجل ولم يرضوا عبادته وقيل هؤلاء السبعون غير من قالوا ارنا الله جهرة وقال وهب ما ماتوا ولكن اخذتهم من الهيبة الرجفة حتى كادت ان تبين مفاصلهم وخاف موسى عليهم الموت وقد تقدم في البقرة عن وهب انهم ماتوا يوما وليلة وقيل غير هذا في معنى سبب اخذهم بالرجفة والله اعلم بصحة ذلك ومقصود الاستفهام في قوله اتهلكنا الجحد اي لست تفعل ذلك وهو كثير في كلام العرب واذا كان نفيا كان بمعنى الايجاب كما قال الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح وقيل معناه الدعاء والطلب اي لا تهلكنا واضاف الى نفسه والمراد القوم الذين ماتوا من الرجفة وقال المبرد المراد بالاستفهام استفهام استعظام كانه يقول لا تهلكنا وقد علم موسى ان الله لا يهلك احدا بذنب غيره ولكنه كقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وقيل المراد بالسفهاء السبعون والمعنى اتهلك بني اسرائيل بما فعل هؤلاء السفهاء في قولهم ارنا الله جهرة ان هي الا فتنتك انما هذا لاختبارك وامتحانك واضاف الفتنة الى الله عز وجل ولم يضفها الى نفسه كما قال ابراهيم واذا مرضت فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه والشفا الى الله تعالى وقال يوشع وما انسانيه الا الشيطان وانما استفاد ذلك موسى عليه السلام من قوله انا قد فتنا قومك من بعدك فلما رجع الى قومه وراى العجل منصوبا للعبادة له خوار قال ان هي الا فتنتك تضل بها اي بالفتنة من تشاء وتهدي من تشاء وهذا رد على القدرية قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي وفقنا للاعمال الصالحة التي تكتب لنا بها الحسنات وفي الاخرة اي جزاء عليها انا هدنا اليك اي تبنا قاله مجاهد وابو العالية وقتادة والهود التوبة وقد تقدم في البقرة قال عذابي اصيب به من اشاء اي من اشاء ان اضله ورحمتي وسعت كل شيء عموم اي لا نهاية لها اي من دخل فيها لم تعجز عنه وقيل وسعت كل شيء من الخلق حتى ان البهيمة لها عطف ورحمة على ولدها قال بعض المفسرين طمع في هذه الاية كل شيء حتى ابليس فقال انا شيء فقال الله تعالى فساكتبها للذين يتقون فقالت اليهود والنصارى نحن متقون فقال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية فخرجت الاية عن العموم والحمد لله روى حماد بن سلمة عن عطاء بن السايب عن سعيد

بن جبير عن ابن عباس قال كتبها الله عز وجل لهذه الامة قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الى قوله المفلحون فيه عشر مسائل الاولى روى يحيى بن ابي كثير عن نوف البكالي الحميري لما اختار موسى قومه سبعين رجلا لميقات ربه قال الله تعالى لموسى ان اجعل لكم الارض مسجدا وطهورا تصلون حيث ادركتكم الصلاة الا عند مرحاض او حمام او قبر واجعل السكينة في قلوبكم واجعلكم تقرؤن التورية عن ظهر قلوبكم يقرؤها الرجل منكم والمراة والحر والعبد والصغير والكبير فقال ذلك موسى لقومه فقالوا لا نريد ان نصلي الا في الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا ونريد ان تكون كما كانت في التابوت ولا نستطيع ان نقرا التورية عن ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقراها الا نظرا فقال الله تعالى فساكتبها للذين يتقون الى قوله المفلحون فجعلها لهذه الامة فقال موسى يا رب اجعلني نبيهم فقال نبيهم منهم فقال رب اجعلني منهم قال انك لن تدركهم فقال موسى يا رب اتيتك بوفد بني اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فانزل الله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضي موسى قال نوف فاحمدوا الله الذي جعلنا وفادة بني اسرائيل وذكر ابو نعيم ايضا هذه القصة من حديث الاوزاعي قال حدثنا يحيى بن ابي عمرو الشيباني قال حدثني نوف البكالي قال كان نوف البكالي اذا افتتح موعظة قال الا تحمدون ربكم الذي حفظ غيبتكم واخذ بسهمكم وجعل وفادة القوم لكم وذلك ان موسى عليه الصلاة والسلام وفد ببني اسرائيل فقال الله لهم اني جعلت لكم الارض مسجدا حيث ما صليتم منها تقبلت صلاتكم الا في ثلاثة مواطن من صلى فيهن لم اقبل صلاته المقبرة والحمام والمرحاض قالوا لا الا في كنيسة قال وجعلت لكم التراب طهورا اذا لم تجدوا الماء قالوا لا الا بالماء قال وجعلت لكم حيث ما صلى الرجل فكان وحده تقبلت صلاته قالوا لا الا في جماعة الثانية قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي هذه الالفاظ كما ذكرنا اخرجت اليهود والنصارى من الاشتراك الذي يظهر في قوله فساكتبها للذين يتقون وخلصت هذه العدة لامة محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وابن جبير وغيرهما ويتبعون يعني في شرعه ودينه وما جاء به والرسول والنبي اسمان لمعنيين فان الرسول اخص من النبي وقدم الرسول اهتماما بمعنى الرسالة والا فمعنى النبوة هو المتقدم ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على البراء حين قال وبرسولك الذي ارسلت فقال له قل امنت بنبيك الذي ارسلت خرجه في الصحيح وايضا فان في قوله وبرسولك الذي ارسلت تكرير الرسالة وهو معنى واحد فيكون كالحشو الذي لا فائدة فيه بخلاف قوله ونبيك الذي ارسلت فانهما لا تكرار فيهما وعلى هذا فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول لان الرسول والنبي قد اشتركا في امر عام وهو النبا وافترقا في الرسالة فاذا قلت محمد رسول من عند الله تضمن انه نبي رسول وكذلك غيره من الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين الثالثة قوله تعالى الامي هو منسوب الى الامة الامية التي هي على اصل ولادتها لم تتعلم الكتابة ولا قراءتها قاله ابن عزيز وقال ابن عباس كان نبيكم صلى الله عليه وسلم اميا لا يكتب ولا يقرا ولا يحسب قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وروى في الصحيح عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انا امة امية لا نكتب ولا نحسب الحديث وقيل نسب النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة ام القرى ذكره النحاس الرابعة قوله الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل روى البخاري قال حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا فليح قال حدثنا هلال عن عطاء بن يسار لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية فقال اجل والله انه لموصوف في التورية ببعض صفته في القران يا ايها

النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ
ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا تدفع بالسيئة السيئة ولكن تعفو وتغفر ولن يقبضه الله حتى
يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا في
غير البخاري قال عطا ثم لقيت كعبا فسالته عن ذلك فما اختلفا حرفا الا ان كعبا قال بلغته
قلوبا غلوفيا واذانا صموميا واعينا عموميا قال الطبري هي لغة حميرية وزاد كعب في صفة النبي
صلى الله عليه وسلم قال مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام وامته الحامدون يحمدون
الله على كل حال في كل منزل يوضون اطرافهم وياتزرون الى انصاف ساقهم رعاة الشمس يصلون
الصلوات حيث ما ادركتهم ولو على ظهر الكناسة صفهم في القتال مثل صفهم في الصلاة ثم قرء
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص انتهى الخامسة قوله تعالى
يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر قال عطا يامرهم بالمعروف بخلع الانداد ومكارم الاخلاق وصلة
الارحام وينهاهم عن المنكر عبادة الاصنام وقطع الارحام السادسة قوله تعالى ويحل لهم الطيبات
مذهب مالك ان الطيبات هي المحللات فكانه وصفها بالطيب اذ هي لفظة تتضمن مدحا وتشريفا
ويحسب هذا بقوله في الخبائث انها المحرمات وكذلك قاله ابن عباس الخبائث هي لحم الخنزير والربا
وغيره وعلى هذا حلل مالك المستقذرات كالحيات والخنافس والعقارب ونحوها ومذهب الشافعي
ان الطيبات هي من جهة الطعم لان اللفظة عنده ليست على عمومها لان عمومها بهذا الوجه من
الطعم يقتضي تحريم الخمر والخنزير بل يراها مختصة فيما حلله الشرع ويرى الخبائث لفظا عاما
في المحرمات بالشرع وفي المستقذرات فيحرم العقارب والخنافس والوزغ وما جرى هذا المجرى والناس
على هذين القولين وقد تقدم في البقرة هذا المعنى السابعة قوله تعالى ويضع عنهم اصرهم الاصر
الثقل قاله قتادة ومجاهد وابن جبير والاصر ايضا العهد قاله ابن عباس والضحاك والحسن
وقد جمعت هذه الاية المعنيين فان بني اسرائيل قد كان اخذ عليهم عهد ان يقوموا اثقالا فوضع
عنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك وثقل تلك الاعمال كغسل البول وتحليل الغنايم ومجالسة الحايض
ومواكلتها ومضاجعتها فانهم كانوا اذا اصاب ثوب احدهم بول قرضه وروي جلد احدهم واذا جمعوا
الغنايم نزلت نار من السماء فاكلته واذا حاضت المراة فلم يقربوها الى غير ذلك مما ثبت في
الصحيح وغيره قوله تعالى والاغلال التي كانت عليهم فالاغلال عبارة مستعارة لتلك الاثقال
ومن الاثقال ترك الاشتغال في يوم السبت فانه يروى ان موسى عليه السلام راى يوم السبت
رجلا يحمل قصبا فضرب عنقه هذا قول جمهور المفسرين ولم يكن فيهم الدية وانما كان القصاص
وامروا بقتل انفسهم علامة لتوبتهم الى غير ذلك فشبه ذلك بالاغلال كما قال الشاعر فليس
كعهد الدار يا ام مالك ۝ ولكن احاطت بالرقاب السلاسل ۝ وعاد الفتى كالكهل ليس بقابل ۝
سوى العدل شيئا فاستراح العواذل ۝ فشبه حدود الاسلام وموانعه عن التخطي الى المحظورات
بالسلاسل المحيطات بالرقاب ومن هذا المعنى قول ابي احمد بن جحش لابي سفيان ۝ اذهب بها اذهب
بها ۝ طوقتها طوق الحمامه ۝ اي لزمك عارها يقال طوق فلان كذا اذا لزمه التاسعة ان قيل
كيف عطف الاغلال وهي جمع على الاصر وهو مفرد فالجواب ان الاصر مصدر يقع على الكثرة
وقرا ابن عامر اصارهم بالجمع مثل اعمالهم فجمعه لاختلاف ضروب الماثم والباقون بالتوحيد
لانه مصدر يقع على القليل والكثير من جنسه مع افراد لفظه وقد اجمعوا على التوحيد في قوله
ولا تحمل علينا اصرا وهكذا كلما يرد عليك من هذا مثل وعلى سمعهم لا يرتد اليهم طرفهم ومن طرف

خفي كله بمعنى الجمع العاشرة قوله تعالى فالذين امنوا به وعزروه اي وقروه ونصروه قال الاخفش
وقرء الجحدري وعيسى وعزروه بالتخفيف يقال عزره يعزره ويعزره والنور القران والفلاح
الظفر بالمطلوب وقد تقدم هذا قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي
له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي
يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون
وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك
الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم
المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون واذ قيل لهم
اسكنوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون
واسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم
شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون قوله تعالى قل يا ايها الناس
اني رسول الله اليكم جميعا ذكر ان موسى بشر به ثم امره ان يقول بنفسه اني رسول الله اليكم وكلماته
كلمات الله تعالى كتبه من التورية والانجيل والقران قوله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق
اي يهدون الناس الى الهداية ويعدلون معناه في الحكم وفي التفسير ان هؤلاء قوم وراء الصين
من وراء نهر الرمل يعبدون الله بالحق والعدل امنوا بمحمد وتركوا السبت يستقبلون قبلتنا لا
يصل الينا منهم احد ولا اليهم منا احد فروي انه لما وقع الاختلاف بعد موسى كانت منهم امة
يهدون بالحق ولم يقدروا ان يكونوا بين ظهراني بني اسرائيل حتى اخرجهم الله الى ناحية من ارضه
في عزلة من الخلق فصار لهم سرب في الارض فمشوا فيه سنة ونصف حتى خرجوا وراء الصين
فهم على الحق الى الان وبين الناس وبينهم بحر لا يوصل اليهم بسببه ذهب جبريل بالنبي صلى
الله عليه وسلم ليلة المعراج وعلمهم سورا من القران وقال لهم هل لكم مكيال وميزان قالوا لا
قال فاين معاشكم قالوا نخرج الى البرية فنزرع فاذا حصدنا وضعناه هناك فاذا احتاج احدنا
اليه ياخذ حاجته قال واين نساؤكم قالوا في ناحية منا فاذا احتاج احدنا لزوجته صار اليها
في وقت الحاجة قال افيكذب احدكم في حديثه قالوا لو فعل ذلك احدنا اخذته لظى اي النار
تنزل فتحرقه قال فما بال بيوتكم مستوية قالوا لئلا يعلو بعضنا بعضا قال فما قبوركم على ابوابكم
قالوا لئلا نغفل عن ذكر الموت ثم لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدنيا ليلة الاسرى
انزل عليه وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم يعلمه ان
الذي اعطيت موسى في قومه اعطيتك في امتك وقيل هم الذين امنوا بنبينا عليه الصلاة
والسلام من اهل الكتاب وقيل هم قوم من بني اسرائيل تمسكوا بشرع موسى قبل نسخه ولم يبدلوا ولم يقتلوا
الانبياء قوله تعالى وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما عدد نعمه على بني اسرائيل وجعلهم اسباطا
ليكون امر كل سبط معروف من جهة رئيسهم فيخف الامر على موسى وفي التنزيل وبعثنا منهم اثني
عشر نقيبا وقد تقدم وقوله اثنتي عشرة والسبط مذكر لان بعده امما فذهب التانيث الى
الامم ولو قال اثني عشر لتذكير السبط جاز عن الفرا وقيل اراد بالاسباط القبايل والفرق ولذلك
انث العدد وقال الشاعر وان قريشا كلها عشر ابطن ۝ وانت بريء من قبايلها العشر ۝ فذهب
بالبطن الى القبيلة والفصيلة فلذلك انثها والبطن مذكر كما ان الاسباط جمع مذكر الزجاج

المعنى قطعناهم اثنتي عشرة فرقة اسباطا بدل من اثنتي عشرة امما نعت لاسباط وروي المفضل عن عاصم وقطعناهم مخففا اسباطا كالاسباط في ولد اسحق بمنزلة القبايل في ولد اسمعيل عليهما السلام والاسباط ماخوذ من السبط وهو شجر يعلفه الابل وقد مضى في البقرة مستوفى وروي معمر عن همام بن منبه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم قالوا حبة في شعرة وقيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوا متوركين على استاههم بما كانوا يظلمون مرفوع لانه فعل مستقبل وموضعه نصب وما بمعنى المصدر اي بظلمهم وقد مضى في البقرة ما في الاية من المعاني والاحكام والحمد لله قوله تعالى واسئلهم عن القرية اي عن اهل القرية فعبر عنهم بها لما كانت مستقرا لهم او سبب اجتماعهم ونظيره واسال القرية التي كنا فيها وقوله عليه الصلاة والسلام اهتز العرش لموت سعد بن معاذ يعني اهل العرش من الملائكة فرحا واستبشارا به اي بقدومه رضي الله عنه اي واسال اليهود الذين هم جيرانك عن اخبار اسلافهم وما مسخ الله منهم قردة وخنازير وهذا سؤال تقرير وتوبيخ وكان ذلك علامة لصدق النبي صلى الله عليه وسلم اذ اطلعه الله على تلك الامور من غير تعلم وكانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لانا من سبط خليله ابراهيم ومن سبط اسرائيل وهو بكر الله ومن سبط موسى كليم الله ومن سبط ولده عزير فنحن من اولادهم فقال الله عز وجل لنبيه سلهم يا محمد عن القرية اما عذبتهم بذنوبهم وذلك بتغيير فرع من فروع الشريعة واختلف في تعيين هذه القرية فقال ابن عباس وعكرمة والسدي هي ايلة وعن ابن عباس ايضا انها مدين بين ايلة والطور الزهري طبرية قتادة وزيد بن اسلم هي ساحل من سواحل الشام بين مدين وعينونة يقال لها معناه وكان اليهود يكتمون هذه القصة لما فيها من السبة عليهم التي كانت حاضرة البحر اي كانت بقرب البحر تقول كنت بحضرة الدار اي بقربها اذ يعدون في السبت اي يصيدون الحيتان وقد نهوا عنه يقال سبت اليهود تركوا العمل في سبتهم وسبت الرجل للمفعول سباتا اخذه ذلك مثل الخرس واسبت سكن فلم يتحرك والقوم صاروا في السبت واليهود دخلوا في السبت فهو اليوم المعروف وهو من الراحة والقطع ويجمع اسبت وسبوت واسبات وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتجم يوم السبت فاصابه برص فلا يلومن الا نفسه قال علماؤنا وذلك لان الدم يجمد يوم السبت فاذا مددته لتستخرجه لم يجر وعاد برصا وقراءة الجماعة يعدون وقرا ابو نهيك يُعِدّون بضم الياء وكسر العين وشد الدال الاولى من الاعتداء والثانية من الاعداد اي يهيئون الالة لاخذها وقرا ابن السميقع في الاسبات على جمع السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم وقرئ اسباتهم شرعا اي شوارع ظاهرة على الماء كثيرة وقال الليث حيتان شرع رافعة رؤوسها وقيل معناه ان حيتان البحر كانت ترد يوم السبت عنقا من البحر تزاحم ايلة الهمها الله تعالى انها لا تصاد يوم السبت لنهيه تعالى اليهود عن صيدها وقيل انها كانت تسرح على ابوابهم كالكباش البيض رافعة رؤوسها حكاه بعض المتاخرين فتعدوا فاخذوها في السبت قاله الحسن وقيل يوم الاحد وهو الاصح على ما ياتي بيانه ويوم لا يسبتون لا تاتيهم اي لا يفعلون السبت يقال سبت يسبت اذا عظم السبت وقرا الحسن يسبتون بضم الباء اي يدخلون في السبت كما يقال اجمعنا واظهرنا واشهرنا اي دخلنا في الجمعة والظهر والشهر لا تاتيهم حيتانهم كذلك نبلوهم اي نشدد عليهم في العبادة ونختبرهم والكاف في موضع نصب بما كانوا يفسقون اي بفسقهم وسئل الحسين بن الفضل هل تجد في كتاب الله الحلال لا ياتيك الا يوما والحرام ياتيك حرفا حرفا قال نعم في قصة داود وايلة اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وروي في قصص هذه الاية انها كانت في زمن داود عليه السلام وان

ابليس

ابليس في اليم فقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم الجمعة فتبقى فيها فلا يمكنها الخروج منها لقلة الماء فياخذونها يوم الاحد وروى اشهب عن مالك قال زعم ابن رومان انهم كانوا ياخذون الرجل خيطا ويضع فيه وهقة والقاها في ذنب الحوت وفي الطرف الاخر من الخيط وتد وتركه كذلك الى الاحد ثم تطرق الناس حين راوا من صنع هذا لا يبتلى حتى كثر صيد الحوت ومشي به الاسواق واعلن الفسقة بصيده فقامت فرقة من بني اسرائيل ونهت وجاهرت بالنهي واعتزلت ويقال ان الناهين قالوا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس لشانا فعلوا على الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابها من الانس ولم يعرف الانس انسابهم من القردة فجعلت القردة تاتي نسيبها من الانس فتشم ثيابه وتبكي فيقول الم ننهكم فتقول براسها نعم قال قتادة صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سايرهم فعلى هذا القول ان بني اسرائيل لم تفترق الا فرقتين ويكون المعنى في قوله واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اي قالوا الفاعلون للواعظين حين وعظوهم اذا علمتم ان الله مهلكنا فلم تعظوننا فمسخهم الله قردة قالوا معذرة الى ربكم اي قال الواعظون موعظتنا اياكم معذرة الى ربكم اي انما يجب علينا ان نعظكم لعلكم تتقون اسند هذا القول الطبري عن ابن الكلبي وقال جمهور المفسرين ان بني اسرائيل افترقت ثلاث فرق وهو الظاهر من الضماير في الاية فرقة عصت وفرقة نهت واعتزلت وكانوا اثني عشر الفا وفرقة اعتزلت ولم تنه ولم تعص وان هذه الطائفة قالت للناهية لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم على غلبة الظن وما عهد من فعل الله تعالى حينئذ بالامم العاصية فقالت الناهية موعظتنا معذرة الى الله لعلهم يتقون ولو كانوا فرقتين لقالت الناهية للعاصية ولعلكم تتقون بالكاف ثم اختلف بعد هذا فقالت فرقة ان الطايفة التي لم تنه ولم تعص هلكت مع العاصية عقوبة على ترك النهي قاله ابن عباس وقال ايضا ما ادري ما فعل بهم وهو الظاهر من الاية وقال عكرمة قلت لابن عباس لما قال ما ادري ما فعل بهم الا ترى انهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم فقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا فكساني حلة هذا مذهب الحسن ومما يدل على انه انما هلكت الفرقة العادية لا غير قوله واخذنا الذين ظلموا وقوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت الاية وقرا عيسى وطلحة معذرة بالنصب ونصبه عند الكسائي من وجهين احدهما على المصدر والثاني على تقدير فعلنا ذلك معذرة وهي قراءة حفص عن عاصم والباقون بالرفع وهو الاختيار لانهم لم يريدوا ان يعتذروا اعتذارا مستانفا من امر ليموا عليه ولكنهم قيل لهم لم تعظون فقالوا موعظتنا معذرة ولو قال رجل لرجل معذرة الى الله واليك من كذا اعتذار النصب هذا ودلت الاية على القول بسد الذرائع وقد مضى في البقرة ومضى فيها الكلام في الممسوخ هل ينسل ام لا مبينا وقد مضى في ال عمران والمائدة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومضى في النساء اعتزال اهل الفساد ومجانبتهم وان من جالسهم كان مثلهم فلا معنى للاعادة والنسيان يطلق على الساهي والعامد التارك لقوله فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوه عن قصد ومنه نسوا الله فنسيهم ومعنى بعذاب بئيس اي شديد وفيه احدى عشرة قراءة الاولى قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بئيس على وزن فعيل الثانية قراءة اهل المدينة بيس مكسورة بعدها ياء ساكنة مكسورة منونة وفيها قولان قال الكسائي الاصل فيه بئس خفيفة الهمزة فالتقت ياءان فحذفت احداهما وكسر اوله كما يقال رغيف وشهيد وقيل اراد بئس على فعل قراءة الحسن بيس الباء مفتوحة بعدها سين مفتوحة

الخامسة قراءة ابو عبد الرحمن المقرئ بئس الباء مفتوحة والهمزة مكسورة والسين مكسورة السادسة
قال يعقوب القارئ وجاء عن بعض القراء بعذاب بيس على وزن فيعل وروي عنه بياس على وزن
فيعل وقد روي بيس بباء مفتوحة وهمزة مشددة مكسورة والسين في كله مكسورة منونة اعني
قراءة الاعمش العاشرة قراءة نصر بن عاصم بعذاب بيس الباء مفتوحة والياء مشددة بغير همزة قال
يعقوب القارئ وجاء عن بعض القراء بئس الباء مكسورة وبعدها همزة ساكنة وبعدها يا مفتوحة
فهذه احدى عشرة قراءة ذكرها النحاس قال علي بن سليمان العرب تقول جاءني بنيات بيس اي بشي
روي فمعنى بعذاب بيس بعذاب روي واما قراءة الحسن فزعم ابو حاتم لا وجه لها قال لانه لا يقال
مررت برجل بيس الرجل وبيس رجلا قال النحاس وهذا مردود من كلام ابي حاتم حكى النحويون ان
فعلت كذا وكذا فبها ونعمت يريد فبها ونعمت الخصلة والتقدير على قراءة الحسن بيس العذاب في دفعه
واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم
ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين
ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين
واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع
العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك
وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب
ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم
يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير
للذين يتقون افلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة انا لا نضيع
اجر المصلحين قوله واذ قالت امة منهم الى قوله بما كانوا يفسقون تقدم بيانه قوله تعالى فلما
عتوا عما نهوا عنه اي فلما تجاوزوا في معصية الله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين يقال خسأته
فخسأ اي باعدته وطردته وقد تقدم في البقرة ودل على ان المعاصي سبب النقمة وهذا لا خفا
به فقيل قال لهم ذلك بكلام يسمع فكانوا كذلك وقيل المعنى كوناهم قردة قوله تعالى واذ تاذن
ربك اي اعلم اسلافهم انهم ان غيروا ولم يؤمنوا بالنبي الامي بعث الله عليهم من يعذبهم وقال
ابو علي اذن بالمد واذن بالتشديد نادى وقال قوم اذن واذن بمعنى اعلم كما قال ايقن وتيقن
وقال فقلت تعلم ان للصيد غرة فان لا تضيعها فانك قاتله وقال اخر تعلم ان شر الناس
حي ينادي في شعارهم يسار اي اعلم ومعنى يسومهم يذيقهم وقد تقدم في البقرة قيل المراد بخت نصر
وقيل العرب وقيل امة محمد صلى الله عليه وسلم وهو اظهر فانهم الباقون الى يوم القيمة قال ابن
عباس سوء العذاب هنا اخذ الجزية فان قيل فقد مسخوا فكيف تؤخذ منهم الجزية فالجواب
انها تؤخذ من ابنائهم واولادهم ولم يجب نبي قط الا موسى هو اول من وضع الخراج فجباه ثلاث
عشرة سنة ثم امسك ونبينا عليهما السلام قوله تعالى وقطعناهم في الارض امما اي فرقناهم
في البلاد اراد تشتيت امرهم فلم تجتمع لهم كلمة منهم الصالحون رفع على الابتداء والمراد من امن
بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن لم يبدل منهم ومات قبل نسخ شرع موسى او هم الذين وراء الصين كما
سبق ومنهم دون ذلك منصوب على الظرف قال النحاس ولا نعلم احدا رفعه والمراد الكفار
منهم وبلوناهم اي اختبرناهم بالحسنات اي بالخصب والعافية والسيئات اي الجدب والشدايد
ليرجعوا عن كفرهم قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف يعني اولاد الذين فرقهم في الارض قال

ابو حاتم الخلف بسكون اللام الاولاد الواحد والجمع فيه سواء والخلف بفتح اللام الصالح وبالجزم الطالح
قال لبيد ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب ومنه قيل للردي من
الكلام خلف ومنه المثل السائر سكت الفا ونطق خلفا فخلف في الذم بالاسكان وخلف بالفتح في
المدح هذا هو المستعمل المشهور قال صلى الله عليه وسلم من كل خلف عدوله وقد يستعمل كل واحد منهما
موضع الاخر قال حسان بن ثابت لنا القدم الاولى اليك وخلفنا في طاعة الله تابع وقال اخر
انا وجدنا خلفا بئس الخلف اغلق عنا بابه ثم حلف لا يدخل البواب الا من عرف عبدا اذا ما ناء
بالحمل وقف ويروى خضف والمقصود من الاية الذم ورثوا الكتاب قال المفسرون هم اليهود ورثوا
كتاب الله فقروه وعلموه وخالفوا احكامه واتوا محارمه مع دراستهم له فكان هذا توبيخا لهم وتقريعا
ثم اخبر عنهم انهم ياخذون ما يعرض لهم من متاع الدنيا لشدة حرصهم ونهمتهم ويقولون
سيغفر لنا وهم لا يتوبون ودل على انهم لا يتوبون قوله وان ياتهم عرض مثله ياخذوه والعرض
متاع الدنيا بفتح الراء وباسكانها في الاتري اي الرشا والمكاسب الخبيثة ثم ذمهم باغترارهم في قولهم
سيغفر لنا وانه لا محال اذا امكنتهم ثانية ارتكبوها فقطعوا باغترارهم بالمغفرة وهم مصرون وانما
يقول سيغفر لنا من اقلع وندم قلت وهذا الوصف الذي ذم الله به هؤلاء موجود فينا اسند
الدارمي ابو محمد انا محمد بن المبارك نا صدقة بن خالد عن ابن جابر عن شيخ يكنى ابا عمرو عن معاذ
بن جبل قال سيبلى القران في صدور اقوام كما يبلى الثوب فيتهافت يقرونه لا يجدون له شهوة
ولا لذة يلبسون جلود الضان على قلوب الذئاب اعمالهم طمع لا يخالطه خوف ان قصروا قالوا
سنبلغ وان اساؤوا قالوا سيغفر لنا انا لا نشرك بالله شيئا وقيل ان الضمير في ياتهم ليهود المدينة اي
وان يات يهود يثرب الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم عرض مثله ياخذوه كما اخذه
اسلافهم قوله تعالى الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق فيه مسئلتان
الاولى قوله الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يريد التورية وهذا تشديد في لزوم قول الحق في الشرع
والاحكام وان لا يميل الحكام بالرشا الى الباطل قلت وهذا الذي لزم هؤلاء واخذ عليهم به
الميثاق في قول الحق لازم لنا على لسان نبينا وكتاب ربنا على ما تقدم بيانه في النساء لا خلاف فيه
في جميع الشرايع والحمد لله الثانية قوله تعالى ودرسوا ما فيه اي قروه وهم قريبو عهد به وقرا
ابو عبد الرحمن وادارسوا ما فيه فادغم التاء في الدال قال ابن زيد كان ياتيهم المحق برشوة فيخرجوا
له كتاب الله فيحكمون له فاذا جاء المبطل اخذوا منه الرشوة واخرجوا له كتابهم الذي كتبوه
بايديهم وحكموا له وقال ابن عباس ان لا يقولوا على الله الا الحق وقد قالوا الباطل في غفران ذنوبهم
الذي يوجبونه ويقطعون به وقال ابن زيد يعني في الاحكام التي يحكمون بها كما ذكرنا وقال بعض العلماء
ان معنى ودرسوا ما فيه اي محوه بترك العمل به والفهم له من قولك درست الريح الاثار اذا محتها
وخط دارس وربع دارس اذا محي وعفا اثره وهذا المعنى مواطئ اي موافق لقوله تعالى نبذ فريق
من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم وقوله فنبذوه وراء ظهورهم حسب ما تقدم
بيانه في البقرة قوله تعالى والذين يمسكون بالكتاب اي بالتورية اي بالعمل بها يقال مسك
به وتمسك به اي استمسك وقرا ابو العالية وعاصم في رواية ابي بكر يمسكون بالتخفيف من امسك
يمسك والقراءة الاولى اولى لان فيها معنى التكرير والتكثير للتمسك بكتاب الله وبدينه والذي يحتاج
اليه من الملازمة والتكرير لفعل ذلك وقال كعب بن زهير فجابه على طبعه يوم تكنزه
نقض العهد فما تمسك بالعهد الذي زعمت الا كما يمسك الماء الغرابيل قوله تعالى

واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه
لعلكم تتقون واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا
من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الايات ولعلهم
يرجعون واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين
ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه
يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون
ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن
يضلل فاولئك هم الخاسرون قوله واذ نتقنا الجبل نتقنا معناه رفعنا وقد تقدم بيانه في البقرة
كانه ظلة اي كانه لارتفاعه سحابة تظل خذوا ما اتيناكم بقوة اي بجد وقد مضى في البقرة الى اخر
الاية قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم الى قوله غافلين فيه ست مسائل الاولى قوله
واذ اخذ ربك اي واذكر لهم ما سبق من تذكر المواثيق في كتابهم كما اخذت من الميثاق على العباد
يوم الذر وهذه اية مشكلة وقد تكلم العلماء في تاويلها واحكامها فنذكر ما ذكروه من ذلك حسب
ما وقفنا عليه فقال قوم معنى الاية ان الله اخرج من ظهور بني آدم بعضهم من بعض قالوا ومعنى
اشهدهم على انفسهم الست بربكم دلهم بخلقه على توحيده لان كل بالغ يعلم ضرورة ان له ربا
واحدا الست بربكم اي قال فقام ذلك مقام الاشهاد عليهم والاقرار منهم كما قال تعالى في السموات
والارض قالتا اتينا طائعين ذهب الى هذا القفال واطنب وقيل انه سبحانه اخرج الارواح
قبل خلق الاجساد وانه جعل فيها من المعرفة ما علمت به من خاطبها قلت وفي الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم غير هذين القولين وانه سبحانه اخرج الاشباح فيها الارواح من ظهر ادم عليه السلام روى
مالك في موطائه ان عمر بن الخطاب سئل عن هذه الاية واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
الى قوله غافلين فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسال عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل
اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار
يعملون فقال رجل ففيم العمل اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة فيدخله الجنة حتى يموت
على عمل اهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل
من اعمال اهل النار فيدخله النار فقال ابو عمر هذا حديث منقطع الاسناد لان مسلم بن يسار لم يلق
عمر وقال فيه يحيى ابن معين مسلم بن يسار لا يعرف بينه وبين عمر نعيم بن ربيعة ذكره النسائي
ونعيم غير معروف بحمل العلم لكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه ثابتة كثيرة
من حديث عمر بن الخطاب وعبد الله ابن مسعود وعلي ابن ابي طالب وابي هريرة وغيرهم روى
الترمذي وصححه عن ابي هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله ادم مسح ظهره
فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة وجعل بين عيني كل رجل منهم وبيصا من نور
ثم عرضهم على آدم فقال يا رب من هؤلاء فقال هؤلاء ذريتك فراى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما
بين عينيه قال اي رب من هذا قال رجل من اخر الامم من ذريتك يقال له داود قال رب كم
جعلت عمره قال ستين سنة قال اي رب زده من عمري اربعين سنة فلما انقضى عمر ادم
عليه السلام جاءه ملك الموت فقال اولم يبق من عمري اربعون سنة قال اولم تعطها ابنك

داود قال فجحد ادم فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته في غير الترمذي فحينئذ امر بالكتاب والشهود
وفي رواية فيهم الضعيف والغني والفقير والذليل والمبتلى والصحيح فقال ادم يا رب هلا سويت بينهم
قال اردت ان اشكر وروى عبد الله ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخذ من ظهره كما يوخذ
بالمشط من الرأس وجعل الله لهم عقولا كنملة سليمان واخذ عليهم العهد واختلف في الموضع الذي
اخذ فيه الميثاق حين اخرجوا على اربعة اقوال فقال ابن عباس ببطن نعمان واد الى جنب عرفة وعنه
ان ذلك برهبا ارض بالهند الذي هبط فيه ادم عليه السلام وقال يحيى بن سلام قال ابن عباس
في هذه الاية اهبط الله ادم بالهند ثم مسح على ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة
ثم قال الست بربكم قالوا بلى شهدنا قال يحيى قال الحسن ثم اعادهم في صلب ادم وقال الكلبي بين مكة
والطايف وقال السدي في السماء الدنيا حين اهبط من الجنة اليها مسح ظهره فاخرج من صفحة
ظهره اليمنى ذرية بيضا مثل اللؤلؤ فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي واخرج من صفحة ظهره اليسرى
ذرية سودا وقال لهم ادخلوا النار ولا ابالي قال ابن جريج خرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضا وكل
نفس مخلوقة للنار سودا الثانية قال ابن العربي ان قيل كيف يجوز ان يعذب الخلق وهم لم يذنبوا او
يعاقبهم على ما اراده منهم وكتبه عليهم وساقه اليهم قلنا ومن اين يمتنع ذلك عقلا ام شرعا فان قيل لان
الرحيم الحكيم منا لا يجوز له ان يفعل ذلك قلنا لان فوقه امرا امره وناهيا نهاه وربنا تعالى لا
يسال عما يفعل وهم يسالون ولا يجوز ان يقاس الخلق بالخالق ولا يحمل افعال العباد على افعال الاله
وبالحقيقة الافعال كلها لله جل جلاله والخلق باجمعهم صرفهم كيف شاء وحكم بينهم بما اراد وهذا
الذي يجوز للادمي انما يبعث عليه رقة الجبلة وشفقة الجنسية وحب الثنا والمدح لما يتوقع في
ذلك من الانتفاع والباري تعالى متقدس عن ذلك فلا يجوز ان يعتبر به الثالثة واختلف في
هذه الاية هل هي خاصة او عامة فقيل الاية خاصة فانه تعالى قال من بني آدم من ظهورهم فخرج
من هذا من كان من ولد آدم لصلبه وقال عز وجل او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل فخرج منها كل
من لم يكن له اباء مشركون وقيل هي مخصوصة فيمن اخذ عليهم العهد على السنة الانبياء وقيل بل هي عامة
لجميع الناس لان كل احد يعلم انه كان طفلا فغذي وربي وان له مدبرا وخالقا فهذا معنى واشهدهم
على انفسهم ومعنى قالوا بلى ان ذلك واجب عليهم فلما اعترف الخلق لله سبحانه بانه الرب ثم ذهلوا
عنه ذكرهم بانبيائه وختم الذكر بافضل اصفيائه لتقوم حجته عليهم فقال له فذكر انما انت مذكر
لست عليهم بمسيطر ثم مكنه من السيطرة واتاه السلطنة ومكن له دينه في الارض قال الطرطوشي
ان هذا العهد يلزم البشر وان كانوا لا يذكرونه في هذه الحياة الدنيا كما يلزم الطلاق من شهد عليه
به وقد نسيه الرابعة وقد استدل بهذه الاية من قال ان من مات صغيرا دخل الجنة لاقراره في الميثاق
الاول ومن بلغ العقل لم يغنه الميثاق الاول وهذا القايل يقول اطفال المشركين في الجنة وهو
الصحيح في الباب وهذه مسئلة اختلف فيها لاختلاف الاثار والصحيح ما ذكرناه وسياتي الكلام في
هذا في الروم ان شاء الله وقد اتينا عليها في كتاب التذكرة والحمد لله الخامسة قوله تعالى من
ظهورهم بدل اشتمال من قوله من بني ادم والفاظ الاية تقتضي ان الاخذ انما كان من بني
ادم وليس لادم في الاية ذكر بحسب اللفظ ووجه النظر على هذا واذ اخذ ربك من ظهور بني
ادم وان لم يذكر ظهر ادم لان المعلوم انهم كلهم بنوه وانهم اخرجوا يوم الميثاق من ظهره
فاستغنى عن ذكره لقوله من بني آدم ذريتهم قرا الكوفيون وابن كثير بالتوحيد وفتح التاء للواحد
والجمع قال الله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة فهذا للواحد فانه انما سال هبة ولد

فبشر بيحيى واجمع القراء على التوحيد في قوله من ذرية ادم ولا يثنى من ذرية ادم قال وكنا ذرية من
بعدهم وهذا الجمع وقرا الباقون ذرياتهم بالجمع لان الذرية لما كانت تقع للواحد اتى بلفظ لا يقع
للواحد فجمع لتخلص الكلمة الى معناها المقصود اليه كما فيه يثنى وهو الجمع لان ظهور بني ادم استخرج
منها ذريات كثيرة متناسبة اعقاب بعد اعقاب لا يعلم عددهم الا الله فجمع لهذا المعنى السادسة
قوله تعالى بلى تقدم القول فيها في البقرة عند قوله بلى من كسب سيئة مستوفى فتامله هناك
ان يقولوا او تقولوا قرا ابو عمرو بالياء فيهما ردهما على لفظ الغيبة المتكرر قبله وهو قوله من بني ادم
من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم وقوله قالوا بلى ايضا لفظ غيبة وكذا وكنا ذرية من
بعدهم ولعلهم يحمله على ما قبله وما بعده امن لفظ الغيبة وقرا الباقون بالتاء فيهما رده على لفظ
الخطاب المتقدم في قوله الست بربكم قالوا بلى ويكون شهدنا ان تقولوا اي لئلا تقولوا وقيل معنى ذلك
انهم لما قالوا بلى فاقروا له بالربوبية قال الله تعالى للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا باقراركم
لئلا تقولوا او تقولوا وهذا قول مجاهد والضحاك والسدي وقال ابن عباس اشهد بعضهم على
بعض فالمعنى على هذا قالوا بلى شهدنا بعضنا على بعض فاذا كان ذلك من قول الملائكة فيوقف على
بلى ولا يحسن الوقف اذا كان من قول بني ادم لان متعلقه بما قبل بلى من قوله واشهدهم على انفسهم
لئلا يقولوا وقد روى مجاهد عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخذ ربك من بني ادم من
ظهورهم ذرياتهم كما يؤخذ بالمشط من الراس فقال لهم الست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة
شهدنا ان تقولوا اي شهدنا عليكم بالاقرار بالربوبية لئلا تقولوا فهذا يدل على التاء قال المكي وهذا
الاختيار لصحة معناه ولان الجماعة عليه وقد قيل ان قوله شهدنا من قول الله تعالى والملائكة
والمعنى شهدنا على اقراركم قاله ابن مالك وروي عن السدي ايضا فكنا ذرية من بعدهم
اي اقتدينا بهم افتهلكنا بما فعل المبطلون بمعنى است تفعل هذا ولا عذر للمقلد في التوحيد
قوله تعالى واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا ذكر اهل الكتاب قصة عرفوها في التورية واختلف
في تعيين الذي اوتي الايات فقال ابن مسعود وابن عباس هو بلعم بن باعورا ويقال باعم من
بني اسرائيل في زمن موسى عليه السلام وكان بحيث اذا نظر راى العرش وهو المعني بقوله واتل عليهم
نبا الذي اتيناه اياتنا ولم يقل اية وكان في مجلسه اثنا عشر الف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون
عنه ثم صار بحيث كان اول من صنف كتابا ان ليس للعالم صانع قال مالك بن دينار بعث بلعم
ابن باعورا الى ملك مدين ليدعوه الى الايمان فاعطاه واقطعه فاتبع دينه وترك دين موسى
ففيه نزلت هذه الايات المعتمر بن سليمان عن ابيه كان بلعم قد اوتي النبوة وكان مجاب
الدعوة فلما اقبل موسى عليه السلام في بني اسرائيل يريد قتال الجبارين سال الجبارون بلعم
بن باعورا ان يدعو على موسى فقام ليدعو فتحول لسانه بالدعا على اصحابه فقيل له في ذلك
فقال لا اقدر على اكثر مما تسمعون واندلع لسانه على صدره فقال قد ذهب مني الان الدنيا
والاخرة فلم يبق الا المكر والخديعة وسامكر لكم واني ارى ان تخرجوا اليهم فتياتكم فان
الله يبغض الزنا فان وقعوا فيه هلكوا ففعلوا فوقع بنو اسرائيل في الزنا فارسل عليهم الطاعون
فمات منهم سبعون الفا وقد ذكر هذا الخبر بكماله الثعلبي وغيره وروي ان بلعم بن باعورا
دعا ان لا يدخل موسى مدينة الجبارين فاستجيب له وبقي في التيه فقال موسى يا رب باي ذنب
بقينا في التيه فقال بدعا بلعام قال فكما سمعت دعاه علي فاسمع دعاي عليه فدعا موسى ان
ينزع الله عنه الاسم الاعظم فانسلخ الله مما كان عليه وقال ابو حامد اخر كتاب منهاج العارفين

سمعت بعض العارفين يقول ان بعض الانبياء سال الله تعالى عن امر بلعام وطرده بعد تلك الايات و
الكرامات فقال الله لم يشكرني يوما من الايام على ما اعطيته ولو شكرني على ذلك لما سلبته وقال عكرمة
كان بلعم نبيا واوتي كتابا وقال مجاهد انه اوتي النبوة فرشاه قومه على ان يسكت ففعل وتركهم على
ما هم عليه قال الماوردي هذا غير صحيح لان الله تعالى لا يصطفي لامره الا من علم انه لا يخرج عن طاعته الى
معصيته وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن اسلم نزلت في امية بن ابي الصلت الثقفي وكان
قد قرء الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الوقت فلما ارسل محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به
وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم امن شعره وكفر قلبه وقال سعيد بن المسيب نزلت في ابي
عامر بن صيفي وكان يلبس المسوح في الجاهلية فكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ما هذا الذي
جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فاني عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست عليها لانك
ادخلت فيها ما ليس منها فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
نعم امات الله الكاذب منا كذلك وانما قال هذا يعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث خرج من مكة
فخرج ابو عامر الى الشام ومر الى قيصر وكتب الى المنافقين استعدوا فاني اتيكم من عند قيصر بجند لنخرج
محمدا من المدينة فمات بالشام وحيدا وفيه نزلت وارصادا لمن حارب الله ورسوله وسياتي في براءة
وقال ابن عباس في رواية نزلت في رجل كانت له ثلاث دعوات وكانت امراته يقال لها البسوس
وكان له منها ولد فقالت اجعل لي منها دعوة قال لك واحدة فما تامرين قالت ادع الله ان يجعلني
اجمل امراة في بني اسرائيل فلما علمت انه ليس فيهم مثلها رغبت عنه فدعا الله ان يجعلها كلبة نباحة
فذهب فيها دعوتان فجاء بنوها وقالوا لا صبر لنا على هذا وقد صارت امنا كلبة يعيرنا الناس بها فادع
الله يردها الى مثل ما كانت عليه فعادت كما كانت وذهبت الدعوات فيها والقول الاول اشهر وعليه
الاكثر قال عبادة بن الصامت نزلت في قريش اتاهم الله اياته التي انزلها على محمد صلى الله عليه وسلم
فانسلخوا منها ولم يقبلوها قال ابن عباس كان بلعم من مدينة الجبارين وقيل كان من اليمن فانسلخ
منها اي من معرفة الله تعالى اي نزع منه العلم الذي كان يعلمه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
العلم علمان علم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة على ابن ادم فهذا مثل علم
بلعام واشباهه نعوذ بالله منه ونساله التوفيق والممات على التحقيق والانسلاخ الخروج يقال
انسلخت الحية من جلدها اي خرجت منه وقيل هذا من المقلوب اي انسلخت الايات منه فاتبعه الشيطان
اي لحق به يقال اتبعت القوم اي لحقتهم وقيل نزلت في اليهود والنصارى انتظروا خروج محمد صلى الله
عليه وسلم فكفروا به قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها يريد بلعام اي لو شئنا لامتناه قبل ان يعصي
فرفعناه الى الجنة بها اي بالعمل ولكنه اخلد الى الارض اي ركن اليها عن ابن جبير والسدي ومجاهد
سكن اليها اي سكن الى لذاتها واصل الاخلاد اللزوم يقال اخلد فلان بالمكان اقام به ولزمه قال
زهير لمن الديار غشيتها بالفدفد كالوحي في حجر المسيل المخلد يعني المقيم فكان المعنى لزم لذات الارض
فعبر عنها بالارض لان متاع الدنيا على وجه الارض واتبع هواه اي ما زين له الشيطان وقيل كان
هواه مع الكفار وقيل اتبع رضى زوجته وكانت رغبت في اموال حتى حملته على الدعا على موسى
فمثله كمثل الكلب ابتدا وخبر ان تحمل عليه يلهث شرط وجوابه وهو في موضع الحال اي فمثله كمثل
الكلب لاهثا والمعنى انه على شيء واحد لا يرعوي عن المعصية كمثل الكلب لاهثا والمعنى انه على
مثل الذي هذه حالته فالمعنى انه لاهث على كل حال طردته او لم تطرده قال ابن جريج القلب
منقطع الفواد لا فواد له ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث كذلك الذي يترك الهدى لا فواد له

وانما فؤاده منقطع وقال القندي كل شي يلهث فانما يلهث من اعياء او عطش الا الكلب فانه يلهث في
حال الكلاب وحال الراحة وحال المرض وحال الصحة وحال المرض وحال الري وحال العطش فضرب
الله مثلا لمن كذب باياته فقال ان وعظته ضل فهو كالكلب ان تركته لهث وان طردته لهث لهث
الكلب بالفتح يلهث لهثا و لهاثا بالضم اذا اخرج لسانه من التعب او العطش وكذلك الرجل اذا اعيا
وقوله ان تحمل عليه يلهث لانك اذا حملت على الكلب نبح وولى هاربا وان تركته شد عليك ونبح فيتعب
نفسه مقبلا عليك ومدبرا عنك فيعتريه عند ذلك ما يعتريه عند العطش من اخراج اللسان
قال الترمذي الحكيم انما شبهه بالكلب من بين السباع لان الكلب ميت الفؤاد وانما لهاثه لموت
فؤاده وساير السباع ليسوا كذلك فلذلك لا يلهثوا وانما صار الكلب كذلك لان لما نزل ادم الى الارض
شمت به العدو فذهب الى السباع فاشلاهم على ادم فكان الكلب من اشدهم كلبا فنزل جبريل بالعصا
التي صرفت الى موسى بمدين وجعلها اية له الى فرعون وملائه وجعل فيها سلطانا عظيما وكانت
من اس الجنة فاعطاها ادم عليه السلام يومئذ يطرد بها السباع عن نفسه فامره فيما روي ان يدنوا
من الكلب ويضع يده على راسه فصار حارسا من حراس ولده وفاادب وعلم الاصطياد بادب وقبل
التعليم وذلك قوله تعلمونهن مما علمكم الله السدي كان يعلم بعد ذلك يلهث كما يلهث الكلب وهذا
الميل في قول كثير بالتاويل عام في كل من اوتي القران فلم يعمل به وقيل هو في كل منافق والاول اصح قال
مجاهد في قوله تعالى فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث وكذلك من يقرا الكتاب ولا
يعمل بما فيه وقال غيره هذا اتم تمثيل لانه مثله في انه قد غلب عليه هواه حتى صار لا يملك لنفسه
خيرا ولا نفعا بكلب لاهث ابدا حمل عليه او لم يحمل فهو لا يملك ترك اللهثان وقيل من اخلاق الكلب
الوقوع بمن لم يجنه على جهة الابتدا بالجفا ثم هذا المالينته ينيل كل عضو خسيس ضرب الله مثلا
للذي قبض الرشوة في الدين حتى انسلخ من كتاب ربه فدلت الاية لمن تدبرها على ان لا يغتر احد
بعلمه ولا بعمله اذ لا يدري بما يختم له ودلت على منع اخذ الرشوة لابطال الحق وتغيره وقد مضى بيانه
في المائدة ودلت ايضا على منع التقليد لعالم الا بحجة بينها لان الله عز وجل اخبر انه اعطى هذا
اياته فانسلخ منها فوجب ان يخاف مثل هذا على غيره وان لا يقبل منه الا بحجة قوله تعالى ذلك مثل
القوم الذين كذبوا باياتنا اي هو مثل جميع الكفار وقوله ساء مثلا القوم يقال ساء الشي قبح فهو لازم
وساء يسوء مساء فهو متعد اي قبح مثلهم وتقديره ساء مثلا القوم فحذف ونصب مثلا على التمييز
قال الاخفش فجعل المثل القوم مجازا والقوم مرفوع بالابتدا او على اضمار مبتدا التقدير ساء المثل مثلا
هو مثل القوم وقدره ابو علي ساء مثلا مثل القوم وقرا عاصم الجحدري والاعمش ساء مثل القوم رفع
مثلا بساء قوله تعالى من يهدي الله فهو المهتد تقدم معناه في غير موضع وهذه الاية ترد على
القدرية كما سبق وترد على من قال ان الله تعالى هدى جميع المكلفين ولا يجوز ان يضل احدا
قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون
بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ولله الاسماء
الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا
امة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
واملي لهم ان كيدي متين اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين اولم
ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شي وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم
فباي حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون يسألونك

عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض
لا تاتيكم الا بغتة يسألونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون
قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني
السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس الاية
اخبر تعالى انه خلق للنار اهلا بعدله ثم وصفهم فقال لهم قلوب لا يفقهون بها اي لا يعقلون بها اي
هم بمنزلة من لا يفقه لانهم لا ينتفعون بها لا يعقلون ثوابا ولا يخافون عقابا واعين لا يبصرون بها
الهدى واذان لا يسمعون بها المواعظ وليس الغرض نفي الادراكات عن حواسهم جملة كما بيناه في البقرة
اولئك كالانعام بل هم اضل لانهم لا يهتدون الى ثواب فهم كالانعام اي همتهم الاكل والشرب وهم اضل
لان الانعام تبصر منافعها ومضارها وتتبع مالكها وهم بخلاف ذلك كله وقال عطا الانعام تعرف
الله والكافر لا يعرفه وقيل الانعام مطيعة لله تعالى والكافر غير مطيع اولئك هم الغافلون اي تركوا
التدبر واعرضوا عن الجنة والنار قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها فيه ست مسائل الاولى
قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها امرنا باخلاص العبادة لله ومجانبة المشركين والملحدين
قال مقاتل وغيره من المفسرين نزلت الاية في رجل من المسلمين كان يقول في صلاته يا رحمن يا رحيم فقال رجل
من مشركي مكة اليس يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو اثنين فانزل
الله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها الثانية جاء في كتاب الترمذي وسنن ابن ماجة وغيرهما
حديث عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نص فيه تسعة وتسعين اسما وفي احدهما ليس في الاخر
وقد بينا ذلك في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى قال ابن عطية وذكر حديث الترمذي وذلك
الحديث ليس بالمتواتر وان كان قد قال فيه ابو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث صفوان
بن صالح وهو ثقة عند اهل الحديث وانما المتواتر منه قوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما
مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة ومعنى احصاها عدها وحفظها وقيل غير هذا مما قد بيناه في
كتابنا وذكرنا هناك تصحيح حديث الترمذي وذكرنا من الاسماء ما اجتمع عليه وما اختلف فيه في
كتب ائمتنا ما ينيف على مائتي اسم وذكرنا قبل تعيينها في مقدمة الكتاب اثنين وثلاثين فصلا
فيما يتعلق باحكامها فمن اراده وقف عليه هناك او في غيره من الكتب الموضوعة في الباب والله
الموفق للصواب لا رب سواه الثالثة واختلف العلماء من هذا الباب في الاسم والمسمى وقد ذكرنا
للعلماء من ذلك في الكتاب الاسنى قال ابن الحصار وفي هذه الاية وقوع الاسم على المسمى ووقوعه
على التسمية فقوله ولله واقع على المسمى وقوله الاسماء وهو جمع اسم واقع على التسميات يدل على صحة
ما قلناه قوله فادعوه بها والهاء في قوله فادعوه يعود على المسمى سبحانه وتعالى فهو المدعو
والهاء في قوله بها تعود على الاسماء وهي التسميات التي يدعى بها لا بغيرها هذا الذي يقتضيه
لسان العرب ومثل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما انا احمد وانا محمد الحديث
وقد تقدم في البقرة شي من هذا والذي يذهب اليه اهل الحق ان الاسم هو المسمى او صفة له تتعلق به
وانه غير التسمية قال ابن العربي عند كلامه على قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فيه ثلاثة
اقوال قال بعض علمائنا في ذلك دليل على ان الاسم المسمى لانه لو كان غيره لوجب ان تكون الاسماء
لغير الله تعالى الثاني قال اخرون المراد التسميات لانه سبحانه واحد والاسماء جمع قلت
ذكر ابن عطية في تفسيره ان الاسماء في الاية بمعنى التسميات اجماعا من المتاولين لا يجوز غيره
وقال القاضي ابو بكر في كتاب التمهيد وتاويل قول النبي صلى الله عليه وسلم لله تسعة وتسعون

اسما من احصاها دخل الجنة اي له تسعة وتسعون تسمية وهي عبارات عن كون الله تعالى على اوصاف
شتى منها ما يستحقه لنفسه ومنها ما يستحقه لصفة تتعلق به واسماؤه العايدة الى نفسه هي هو وما
يتعلق بصفة قول الله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها اي التسميات الحسنى الثالثة قال اخرون
منهم ولله الصفات الرابعة سمى الله سبحانه اسماءه بالحسنى لانها حسنة في الاسماع والقلوب لانها
تدل على توحيده وكرمه وجوده ورحمته وافضاله والحسنى مصدر وصف به ويجوز ان تقدر الحسنى
فعلى مؤنثا لاحسن كالكبرى تانيث الاكبر والحسن وعلى الاول فرد كما افرد وصف ما لا يعقل كما قال
مآرب اخرى ويا جبال اوبي معه الخامسة قوله تعالى فادعوه بها اي اطلبوا منه باسمائه فيطلب
بكل اسم ما يليق له تقول يا رحمن ارحمني يا حكيم احكم لي يا رزاق ارزقني يا هادي اهدني يا فتاح افتح
لي يا تواب تب علي هكذا فان دعوت باسم عام قلت يا مالك ارحمني يا عزيز احكم لي يا لطيف ارزقني
وان دعوت بالاعم الاعظم فقلت يا الله فهو يتضمن لكل اسم ولا تقول يا رزاق هدني الا ان تريد يا
رزاق ارزقني الخير قال ابن العربي وهكذا رتب دعاءك يكن وقد تقدم في البقرة شرايط الدعاء وفي
هذه ايضا والحمد لله السادسة ادخل القاضي ابو بكر بن العربي عدة من الاسماء في اسمائه مثل متم
نوره وخير الوارثين وخير الماكرين ورابع ثلاثة وسادس خمسة والطيب والمعلم وامثال ذلك
قال ابن الحصار واهتدى في ذلك ناس ابو حان اذ ذكر في الاسماء النظيف وغير ذلك مما لا يرد في
كتاب ولا سنة قلت اما ما ذكر في قوله مما لا يرد في كتاب ولا سنة فقد جاء في صحيح مسلم وخرج
الترمذي النظيف وخرج عن ابن عباس كان يقول في دعائه رب اعني ولا تعن علي والله اعلم وقد
ذكرنا الطيب والنظيف في كتابنا وغيره مما جاء ذكره في الاخبار ومما يجوز ان يسمى به ويدعى وما
يجوز ان يسمى به ولا يدعى وما لا يجوز ان يسمى به ولا يدعى حسب ما ذكره الشيخ ابو الحسن الاشعري
وهناك يتبين لك ذلك ان شاء الله تعالى قوله تعالى وذروا الذين يلحدون في اسمائه
فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى يلحدون الالحاد الميل وترك القصد يقال لحد الرجل في الدين والحد
اذا مال ومنه اللحد في القبر لانه في ناحيته وقرئ يلحدون لغتان والالحاد يكون في ثلاثة اوجه
احدها بالتغيير فيها وذلك انهم عدلوا بها عما هي عليه فسموا بها اوثانهم فاشتقوا اللات
من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان قاله ابن عباس وقتادة الثاني بالزيادة فيها
الثالث بالنقصان منها كما تفعله الجهال الذين يخترعون ادعية يسمون الله فيها بغير اسمائه
ويذكرون بغير ما يذكر من افعاله الى غير ذلك مما لا يليق به قال ابن العربي فحذار منها ولا
يدعون احدكم الا بما في كتاب الله والكتب الخمسة وهي البخاري ومسلم والترمذي وابو داود و
النسائي فهذه الكتب هي التي يدور الاسلام عليها وقد دخل فيها ما في الموطا الذي اصل التصانيف
وذروا ما سواها ولا يقول احدكم اختار دعا كذا فان الله قد اختار له وارسل بذلك الى الخلق
رسوله عليه السلام الثانية معنى الزيادة في الاسماء التشبيه والنقصان التعطيل فان المشبهة
وصفوه بما لم ياذن فيه والمعطلة سلبوه ما اتصف به قال اهل الحق ان طريقنا طريق بين
طريقين لا بتشبيه ولا بتعطيل وسئل الشيخ ابو الحسن البوشنجي عن التوحيد فقال اثبات ذات
غير مشبهة بالذوات ولا معطلة من الصفات وقد قيل في قوله وذروا الذين يلحدون معناه
اتركوهم ولا تحاجوهم ولا يعرضوا لهم فالاية على هذا منسوخة بالقتال قاله ابن زيد وقيل
معناه الوعيد كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا وهو الظاهر
من الاية لقوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون والله اعلم قوله تعالى وممن خلقنا امة يهدون

بالحق

بالحق وبه يعدلون في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم هذه الامة وروي انه قال هذه لكم وقد
اعطى الله قوم موسى مثلها وقرا هذه الاية وقال ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم فدلت
الاية على ان الله عز وجل لا يخلي الدنيا في وقت من الاوقات من داع يدعوا الى الحق قوله تعالى والذين
كذبوا باياتنا سنستدرجهم قال ابن عباس هم اهل مكة والاستدراج هو الاخذ بالتدريج منزلة بعد
منزلة والدرج لف الشيء يقال ادرجته ودرجته ومنه ادرج الميت في اكفانه وقيل هو من الدرجة
فالاستدراج ان يحط درجة الى المقصود قال الضحاك كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة
وقيل لذي النون ما اقصى ما يخدع به العبد قال بالالطاف والكرامات كذلك قال سبحانه وتعالى
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر وانشدوا احسنت ظنك بالايام
اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي
يحدث الكدر قوله تعالى واملي لهم اي اطل لهم المدة وامهلهم واوخر عقوبتهم ان كيدي متين اي
شديد قوي واصله من المتن وهو اللحم الغليظ الذي عند جانب الصلب قيل نزلت في المستهزئين
من قريش قتلهم الله في ليلة واحدة بعد ان امهلهم مدة نظيره حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم
بغتة وقد تقدم قوله تعالى اولم يتفكروا اي فيما جاء هو به محمد والوقف على يتفكروا حسن ثم
قال ما بصاحبهم من جنة رد لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وقيل نزلت بسبب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ليلة على الصفا يدعو قريشا فخذا فخذا فيقول يا بني فلان
يحذرهم باس الله وعقابه فقال قايل ان صاحبكم هذا المجنون بات يصوت حتى الصباح قوله تعالى
اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض فيه اربع مسائل الاولى قوله اولم ينظروا اي
واعجب من اعراضهم عن النظر في اياته ليعرفوا كمال قدرته حسبما بيناه في سورة البقرة والملكوت
من ابنية المبالغة ومعناه الملك العظيم وقد تقدم الثانية استدل بهذه الاية وما كان
مثلها من قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض وقوله افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف
بنيناها وقوله افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وقوله وفي انفسكم افلا تبصرون من قال بوجوب
النظر في اياته والاعتبار بمخلوقاته قالوا وقد ذم الله تعالى من لم ينظر وسلبهم الانتفاع بحواسهم
فقال لهم قلوب لا يفقهون بها الاية وقد اختلف العلماء في اول الواجبات هل هو النظر والاستدلال
او الايمان الذي هو التصديق الحاصل في القلب الذي ليس من شرط صحته المعرفة فذهب القاضي
وغيره الى ان اول الواجبات النظر والاستدلال بالادلة التي تفضي الى معرفته والى هذا ذهب البخاري
رحمه الله حيث بوب في كتابه باب العلم قبل القول والعمل لقول الله عز وجل فاعلم انه لا اله
الا الله قال القاضي من لم يكن عالما بالله فهو جاهل والجاهل به كافر قال ابن رشد في مقدماته
وليس هذا بالبين لان الايمان يصح باليقين الذي يحصل لمن هداه الله بالتقليد وباول وهلة
من الاعتبار وبما ارشد الله الى الاعتبار في غير ما اية قال وقد استدل الباجي على ان من قال
ان النظر والاستدلال اول الواجبات باجماع المسلمين في جميع الاعصار العامة والمقلد مؤمنين
قال فلو كان ما ذهبوا اليه صحيحا لما صح ان يسمى مؤمنا الا من عنده علم بالنظر والاستدلال
قال وايضا فلو كان الايمان لا يصح الا بعد النظر والاستدلال لجاز للكفار اذا غلب عليهم المسلمون
ان يقولوا لهم لا يحل لكم قتلنا لان من دينكم ان الايمان لا يصح الا بعد النظر والاستدلال فاخرونا حتى ننظر ونستدل قال وهذا يودي الى تركهم على كفرهم وان لا يقتلوا حتى ينظروا ويستدلوا
قلت هذا هو الصحيح في الباب حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس

حتى يقولوا لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
وحسابهم على الله وترجم ابن المنذر في كتاب الاشراف ذكر صفة كمال الايمان اجمع كل من يحفظ عنه من
اهل العلم ان الكافر اذا قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله وان كل ما جاء به محمد
حق وابرا من كل دين خالف دين الاسلام وهو بالغ صحيح العقل انه مسلم وان رجع بعد ذلك واظهر
الكفر كان مرتدا يجب عليه ما يجب على المرتد وقال ابو حفص الزنجاني وكان شيخنا القاضي ابو جعفر
احمد بن محمد السمناني يقول اول الواجبات الايمان بالله وبرسوله وبجميع ما جاء به ثم النظر والاستدلال
المؤديان الى معرفة الله تعالى فيتقدم عنده وجوب الايمان بالله على المعرفة بالله قال وهذا اقرب
الى الصواب وارفق بالخلق لان اكثرهم لا يعرفون حقيقة المعرفة بالله لادى الى تكفير الجم الغفير والعدد
الكثير وان لا يدخل الجنة الا احاد الناس وذلك بعيد لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع بان
اكثر اهل الجنة امته وان امم الانبياء كلهم صف واحد وامته ثمانون صفا وهذا بين لا اشكال
فيه والحمد لله الثالثة ذهب بعض المتاخرين والمتقدمين من المتكلمين الى ان من لم يعرف الله
بالطرق التي طرقوها والابحاث التي حرروها لم يصح ايمانه وهو كافر فيلزم على هذا تكفير اكثر المسلمين
واول من بدا بتكفيره اباه واسلافه وجيرانه وقد اورد على بعضهم هذا فقال تشنع على بكثرة
اهل النار او كما قال قلت وهذا القول لا يصدر الا من جاهل بكتاب الله وسنة نبيه لانه ضيق
رحمة الله الواسعة على شرذمة يسيرة من المتكلمين واقتحموا في تكفير عامة المسلمين اين هذا من
قول الاعرابي الذي كشف عن فرجه ليبول وانتهره اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحمني
ومحمدا ولا ترحم معنا احدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد حجرت واسعا خرجه البخاري
والترمذي وغيرهما من الائمة ترى هذا الاعرابي عرف الله بالدليل والبرهان والحجة والبيان
وان رحمته وسعت كل شيء وكم من مثله محكوم له بالايمان بل اكتفى صلى الله عليه وسلم من كثير ممن
اسلم بالنطق بالشهادتين وحتى انه اكتفى بالاشارة في ذلك الا تراه لما قال للسوداء اين الله قالت
في السماء قال من انا قالت انت رسول الله قال اعتقها فانها مؤمنة ولم يكن هناك نظر واستدلال
بل حكم بايمانهم من اول وهلة وان كان هناك عن النظر والمعرفة غفلة والله اعلم الرابعة ولا
يكون النظر ايضا الاعتبار في وجوه الحسان من المرد والنسوان قال ابو الفرج الجوزي قال ابو
الطيب طاهر بن عبد الله الطبري بلغني عن هذه الطايفة التي تسمع السماع انها تضيف اليه النظر
الى وجه الامرد وربما زينته بالحلي والمصبغات من الثياب وتزعم انها تقصد به الازدياد في
الايمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع وهذه النهاية في متابعة الهوى
ومخادعة العقل ومخالفة العلم قال ابو الفرج وقال الامام ابو الوفا ابن عقيل لم يحل الله بالنظر
الا على صور لا ميل للنفس اليها ولا حظ للهوى فيها بل عبرة لا يمازجها شهوة ولا يقارنها لذة وكذلك
ما بعث الله سبحانه امراة بالرسالة ولا جعلها قاضيا ولا اماما ولا مؤذنا كل ذلك لانها محل
شهوة وفتنة فمن قال انا اجد من الصور المستحسنة عبرا كذبناه وكل من ميز نفسه وطبيعته
بخروجه عن طباعنا كذبناه وانما هذه خدع الشيطان للمدعين وقال بعض الحكما في العالم الكبير
له نظير في العالم الصغير ولذلك قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال وفي
انفسكم افلا تبصرون وقد بينا وجه التمثيل في اول الانعام فعلى العاقل ان ينظر الى نفسه ويتفكر
في خلقه من حين كونه ماء دافقا الى كونه خلقا سويا يعان بالاغذية ويحفظ باللين حتى يكتسب
القوى ويبلغ الاشد واذ هو قال انا وانا ونسي حين اتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا

وسيعود

وسيعود مقبورا فيا ويحه ان كان محسورا قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى قوله تبعثون فينظر انه عبد مربوب مكلف مخوف بالعذاب
ان قصر مرجا بالثواب ان ايتمر فيقبل على عبادة مولاه وان كان لا يراه ويخشى الناس والله احق
ان تخشاه ولا يتكبر على احد من عباد الله فانه مؤلف من اقذار مايل الى جنة ان اطاع او الى نار ان عصا
قال ابن العربي وكان شيوخنا استحسنوا ان ينظر الرجل في الابيات الحكمية التي جمعت هذه الاوصاف
العلمية كيف يزهو من رجيعه ابدا الدهر ضجيعه فهو منه واليه واخوه وضجيعه وهو يدعوه
الى الحش بعض فيطيعه قوله تعالى ما خلق الله معطوف على ما قبله اي وفيما خلق الله من الاشياء
وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم اي وفي اجالهم التي عسى ان تكون قريب فهو في موضع خفض
معطوف على ما قبله وقال ابن عباس اراد باقتراب الاجل يوم بدر ويوم احد فباي حديث بعده
يؤمنون اي باي قران غير ما جاء به محمد يصدقون وقيل الهاء للاجل على معنى فباي حديث بعد
الاجل يؤمنون حين لا ينفع الايمان لان الاخرة ليست بدار تكليف قوله تعالى من يضلل الله فلا
هادي له يبين ان اعراضهم لان الله تعالى اضلهم وهذا رد على القدرية ويذرهم بالرفع على
الاستيناف وقرئ بالجزم حملا على موضع الفاء وما بعدها يعمهون اي يتحيرون وقيل يترددون
وقد مضى في اول البقرة مستوفى قوله تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها ايان سؤال عن الزمان
مثل متى قال الراجز ايان تقضي حاجتي ايانا اما ترى لنجحها اوانا وكانت اليهود تقول للنبي صلى
الله عليه وسلم ان كنت نبيا اخبرنا عن الساعة متى تقوم وروي ان المشركين قالوا ذلك لفرط
الانكار ومرساها في موضع رفع بالابتدا عند سيبويه والخبر ايان وهو ظرف مبني على الفتح
لان فيه معنى الاستفهام ومرساها بضم الميم من ارساها الله اي اثبتها ووقفت ومنه وقدور راسيات
قال قتادة اي ثابتات قل انما علمها عند ربي وخبر اي لم يبينها لاحد حتى يكون العبد ابدا على
حذر لا يجليها اي لا يظهرها لوقتها اي في وقتها الا هو والتجلية اظهار الشيء يقال جلى فلان
الخبر اذا اظهره واوضحه ومعنى ثقلت خفي علمها على اهل السموات وعن الحسن وغيره المعنى
لا تطيقها السموات والارض لعظمتها لان السماء تنشق تتناثر والبحار تنضب وقيل المعنى
ثقلت المسئلة عنها لا تاتيكم الا بغتة اي فجاة مصدر في موضع الحال يسالونك كانك حفي
عنها اي عالم بها كثير السؤال عنها قال ابن فارس الحفي العالم بالشيء والحفي المستقصي في السؤال
قال الاعشى فان تسالي عني فيا رب سايل حفي عن الاعشى به حيث اصعدا يقال احفى في
المسئلة وفي الطلب فهو محف وحفي على التكثير مثل مخصب وخصيب قال محمد بن يزيد المعنى
يسالونك كانك حفي بالمسئلة عنها اي ملح يذهب انه ليس في الكلام تقديم وتاخير وقال
ابن عباس وغيره هو على التقديم والتاخير والمعنى يسالونك عنها كانك حفي بهم اي حفي ببرهم
وفرح بسؤالهم وذلك لانهم قالوا بيننا وبينك قرابة فاسر الينا بوقت الساعة قال انما علمها
عند الله ليس هذا تكرير ولكن احد العلمين لوقوعها والاخر لكنهها قوله تعالى قل لا املك لنفسي
نفعا ولا ضرا لا املك ان اجلب الى نفسي خيرا ولا ادفع عنها شرا فكيف املك علم الساعة وقيل
لا املك الهدى والضلالة الا ما شاء الله في موضع نصب بالاستثناء والمعنى الا ما شاء الله
ان يملكني ويمكنني منه وانشد سيبويه مهما شاء بالناس يفعل ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير المعنى لو كنت اعلم ما يريد الله مني قبل ان يعرفنيه لفعلته وقيل لو كنت اعلم متى يكون لي
النصر في الحرب لقاتلت فلم اغلب وقال ابن عباس لو كنت اعلم سنة الجدب لهيات لها في زمن

الخصب ما يكفيني وقيل المعنى لو كنت اعلم التجارة التي تنفق لاشتريتها وقت كسادها وقيل المعنى لو كنت اعلم
متى اموت لاستكثرت من العمل الصالح عن الحسن وابن جريج وقيل المعنى لو كنت اعلم الغيب لاجبت عن كل
ما اسال عنه وكله مراد والله اعلم وما مسني السوء هذا استيناف كلام اي ليس بي جنون لانهم نسبوه الى
الجنون وهو متصل والمعنى لو علمت الغيب ما مسني سوء ولحذرت قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس ظ قيل
واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت
دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما
اتاهما فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا
ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين
الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان
يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ان وليي الله الذي نزل الكتاب
وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون
وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون قوله تعالى هو الذي
خلقكم من نفس واحدة الى قوله يشركون فيه سبع مسائل الاولى قوله هو الذي خلقكم من نفس
واحدة قال الجمهور المفسرين المراد بالنفس الواحدة ادم وجعل منها زوجها يعني حوا ليسكن اليها
ليانس بها ويطمئن وكان هذا كله في الجنة ثم ابتدا بحالة اخرى هي في الدنيا بعد هبوطهما فقال فلما
تغشاها كناية عن الوقاع حملت حملا خفيفا كلما كان في بطن او على راس شجرة فهو حمل بالفتح واذا
كان على ظهر او على راس فهو حمل بالكسر وقد حكى يعقوب في حمل النخلة الكسر وقال ابو سعيد السيرافي
يقال في حمل المراة حمل وحمل يشبه مرة لاستبطانه بحمل المراة ومرة لظهوره وبروزه بحمل الدابة
والحمل ايضا مصدر حمل عليه يحمل حملا اذا صال فمرت به يعني المني اذا استمرت بذلك الحمل الخفيف
تقول تقوم وتقعد وتقلب ولا تكترث بحمله الى ان ثقل عن الحسن ومجاهد وغيرهما وقيل المعنى
واستمر بها الحمل فهو من المقلوب كما تقول ادخلت القلنسوة في راسي وقرء عبد الله بن عمر
فمارت به بالف والتخفيف من مار يمور اذا ذهب وجاء وتصرف وقرا ابن عباس ويحيى بن يعمر فمرت
به خفيفة من المرية اي شكت فيما اصابها هل هو حمل او مرض او نحو ذلك الثانية قوله تعالى
فلما اثقلت صارت ذا ثقل كما تقول اثمر النخل وقيل دخلت في الثقل كما تقول اصبح وامسى دعوا الله
ربهما عايد على ادم وحوى وعلى هذا القول ما روي في قصص الاية ان حوى لما حملت اول حمل لم
تدر ما هو وهذا يقوي قراءة من قرا فمرت به بالتخفيف فجزعت لذلك فوجد ابليس السبيل اليها
قال الكلبي ان ابليس اتى حوا في صورة رجل لما اثقلت في اول ما حملت فقال ما هذا الذي في
بطنك قالت ما ادري قال اني اخاف ان تكون بهيمة فقالت ذلك لادم عليه السلام فلم يزالا
في هم من ذلك ثم عاد اليها فقال هو من الله بمنزلة فان دعوت الله فولدت انسانا افتسميه
بي قالت نعم قال فاني ادعوا الله فاتاها وقد ولدت فقال سميه باسمي فقالت وما اسمك
قال الحارث ولو سمى لها نفسه لعرفته فسمته عبد الحارث ونحو هذا مذكور من ضعيف الحديث
في الترمذي وفي الاسرائيليات كثير ليس لها ثبات فلا يعول عليها من له قلب فان ادم وحوا عليهما
السلام وان غرهما بالله الغرور فلا يلدغ المومن من جحر مرتين على انه قد سطر وكتب قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خدعهما مرتين في الجنة وخدعهما في الارض وعضد هذا بقراءة السلمي

اتشركون

اتشركون بالتاء ومعنى صالحا يريد ولدا سويا فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما واختلف العلماء
في تاويل الشرك المضاف الى ادم وحوى وهي الثالثة فقال المفسرون كان شركا في التسمية والصفة لا في
العبادة والربوبية وقال اهل المعاني انهما لم يذهبا الى ان الحارث ربهما بتسميتهما ولدهما عبد الحارث
لكنهما قصدا الى ان الحارث كان سبب نجاة الولد فسمياه به كما يسمي الرجل نفسه عبد ضيفه على جهة
الخضوع له لا على ان الضيف ربه وقال حاتم واني لعبد الضيف ما دام ثاويا وما فيّ الا تلك من شيمة
العبد وقال قوم ان هذا راجع الى الجنس الادميين والتبيين عن حال المشركين من ذرية ادم عليه
السلام وهو الذي يعول عليه فقوله جعلا له يعني الذكر والانثى الكافرين ويعنى به الجنسان ودل
على هذا فتعالى الله عما يشركون ولم يقل يشركان وهذا قول حسن وقيل المعنى هو الذي خلقكم من نفس
واحدة من هيئة واحدة وشكل واحد وجعل منها زوجها اي من جنسها فلما تغشاها يعني الجنسين
وعلى هذا القول لا يكون لادم وحوا ذكر في الاية فاذا اتاهما الولد صالحا سليما سويا كما ارادا صرفاه
عن الفطرة الى الشرك فهذا فعل المشركين قال صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا يولد على الفطرة
في رواية على هذه الملة ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال عكرمة لم يخص بها ادم ولكن
جعلها عامة لجميع الخلق بعد ادم وقال الحسين بن الفضل وهذا اعجب الى هذا النظر من القول
الاول لما في القول الاول من المضاف العظايم بنبي الله ادم وقرء اهل المدينة وعاصم شركا على التوحيد
وابو عمرو وساير اهل الكوفة بالجمع على مثل فعلا جمع شريك وانكر الاخفش سعيد هذه القراءة الاولى
وهي صحيحة على حذف اي جعلا له ذا شرك مثل وسئل القرية فيرجع المعنى الى انهم جعلوا له شركا
انتهى الرابعة ودلت الاية على ان الحمل مرض من الامراض روى ابن القاسم ويحيى عن مالك قال
اول الحمل يسر وسرور واخره مرض من الامراض وهذا الذي قاله مالك انه مرض من الامراض
يعطيه ظاهر قوله دعوا الله ربهما وهذه الحال مشاهدة في الحال ولاجل عظم الامر وشدة الخطب
جعلها موتها شهادة كما ورد في الحديث واذا ثبت هذا من ظاهر الاية فحال الحامل حال المريض في
افعاله ولا خلاف بين علماء الامصار ان فعل المريض فيما يهب او يحابي في ثلثه وقال ابو حنيفة
والشافعي انما يكون ذلك في الحامل بحال الطلق فاما قبل ذلك فلا واحتجوا بان الحمل عادة والغالب
فيه السلامة قلنا كذلك اكثر الامراض غالبه السلامة وقد يموت من لم يمرض الخامسة قال مالك
اذا مضت للحامل ستة اشهر من يوم حملت لم يجز لها قضاء في مالها الا في الثلث ومن طلق زوجته
وهي حامل طلاقا باينا فلما اتى عليها ستة اشهر فاراد ارتجاعها لم يكن له ذلك لانها مريضة ونكاح
المريضة لا يصح السادسة قال يحيى وسمعت مالكا يقول في الرجل يحضر القتال انه اذا زحف في
الصف للقتال لم يجز له ان يقضي في ماله شيئا الا في الثلث وانه بمنزلة الحامل والمريض المخوف
عليه ما كان بتلك الحال ويلتحق بهذا المحبوس للقتل في قصاص وخالف في هذا ابو حنيفة والشافعي
وغيرهما قال ابن العربي واذا استوعبت النظر لم ترتب في ان المحبوس على القتل اشد حالا من
المريض وانكار ذلك غفلة في النظر فان سبب الموت موجود عندهما كما ان المرض سبب الموت
قال الله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون وقال
رويشد الطائي يا ايها الراكب المزجي مطيته سائل بني اسد ما هذه الصوت وقل لهم بادروا
بالعذر والتمسوا قولا يبرئكم اني انا الموت وعلى هذا قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل
منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر فكيف يقول الشافعي وابو حنيفة الحال الشديدة
انما هي المبارزة وقد اخبر الله عز وجل عن مقاومة العدو وتداني الفريقين بهذه الحالة العظمى

وبلوغ القلوب الحناجر ومن سوء الظنون بالله ومن زلزلة القلوب واضطرابها هل هذه حالة ترتب على
المرض ام لا هذا ما لا يشك فيه منصف وهذا من ثبت في اعتقاده وجاهد في الله حق جهاده
وشاهد الرسول واياته فكيف بنا البابعة وقد اختلف علماؤنا في راكب البحر وقت الهول هل
حكمه حكم الصحيح او الحامل فقال ابن القاسم حكمه حكم الصحيح وقال ابن وهب واشهب حكمه حكم الحامل
اذا بلغت ستة اشهر قال القاضي ابو محمد وقولهما اقيس لانها حالة خوف على النفس كاثقال الحمل قال
ابن العربي وابن القاسم لم يركب البحر ولا راى دودا على عود ومن راى ان يوقن بان الله هو الفاعل
وحده ولا فاعل معه وان الاسباب ضعيفة لا تعلق لموقن بها ويحقق التوكل والتفويض فليركب
البحر قوله تعالى ايشركون ما لا يخلق شيئا اي يعبدون ما لا يقدر على خلق شيء وهم يخلقون اي
الاصنام مخلوقة وقال يخلقون بالواو والنون لانهم اعتقدوا ان الاصنام تضر وتنفع فاجريت مجرى
الناس كقوله تعالى في فلك يسبحون وقوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم ولا يستطيعون لهم نصرا
اي ان الاصنام لا تنصر ولا تنتصر قوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم قال الاخفش اي
وان تدعوا الاصنام الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ولم يقل ام صمتم وصامتون
وصمتم عند سيبويه واحد وقيل المراد من سبق في علم الله انه لا يؤمن وقرئ لا يتبعوكم مشددا ومخففا
لغتان بمعنى وقال بعض اهل اللغة اتبعه مخففا اذا مضى خلفه ولم يدركه واتبعه مشددا اذا
مضى خلفه وادركه قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم حاجهم في عبادة الاصنام
تدعون تعبدون وقيل يدعونها الهة من دون الله اي من غير الله وسميت الاوثان عبادا لانها
مملوكة لله مسخرة الحسن المعنى ان الاصنام مخلوقة امثالكم ولما اعتقد المشركون ان الاصنام تضر وتنفع
اجراها مجرى الناس فقال فادعوهم ولم يقل فادعوهن وقال عباد وقال ان الذين ولم يقل ان
التي ومعنى فادعوهم فاطلبوا منهم النفع والنصر ان كنتم صادقين ان عبادة الاصنام تنفع وقال
ابن عباس معنى فادعوهم فاعبدوهم ثم وبخهم الله وسفه عقولهم فقال الهم ارجل يمشون بها
الاية اي انتم افضل منهم فكيف تعبدونهم والغرض بيان جهلهم لان المعبود يتصف بالجوارح وقرا
سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا بالتنوين امثالكم بالنصب والمعنى ما الذين
تدعون من دون الله عبادا امثالكم اي هي حجارة وخشب فانتم تعبدون ما انتم اشرف منه قال
النحاس وهذه قراءة لا ينبغي ان يقرا بها من ثلاث جهات احدها انها مخالفة للسواد والثانية
ان سيبويه يختار الرفع في خبر ان اذا كانت بمعنى ما فتقول ان زيد منطلق لان عمل ما ضعيف وان
بمعناها فهي اضعف منها والثالثة ان الكسائي زعم ان لا تكاد تاتي في كلام العرب بمعنى ما
الا ان يكون بعدها ايجاب كما قال تعالى ان الكافرون الا في غرور فليستجيبوا لكم الاصل ان
تكون اللام مكسورة فحذفت الكسرة لثقلها ثم قيل في الكلام حذف المعنى فادعوهم الى ان يتبعوكم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم الهة وقرا ابو جعفر وشيبة ام لهم ايد يبطشون بها
بضم الطاء وهي لغة واليد والرجل والاذن مؤنثات يصغرن بالهاء وتزاد في اليد ياء في التصغير
ترد الى اصلها فيقال يدية بالتشديد لاجتماع اليائين قوله تعالى قل ادعوا شركاءكم اي الاصنام
ثم كيدون انتم وهي فلا تنظرون اي فلا تؤخرون والاصل كيدوني حذفت الياء لان الكسرة
تدل عليها وكذا فلا تنظرون والكيد المكر والكيد الحرب فقال غزا فلم تلق كيدا ان وليي الله
الذي نزل الكتاب اي الذي يتولى نصري وحفظي وولي الشيء الذي يحفظه ويمنع منه الضرر
والكتاب القران وهو يتولى الصالحين اي يحفظهم وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص قال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقول الا ان ال ابي يعني فلان ليسوا لي باولياء ان وليي الله
وصالح المؤمنين وقال الاخفش وقرئ ان ولي الله الذي نزل الكتاب يعني جبريل عليه السلام النحاس
هي قراءة عاصم الجحدري والقراءة الاولى ابين لقوله وهو يتولى الصالحين قوله تعالى والذين
تدعون من دون الله كرره ليبين ان ما يعبدونه لا يضر ولا ينفع وان تدعوهم الى الهدى شرط
والجواب لا يسمعوا وتراهم مستانف فينظرون اليك في موضع الحال يعني الاصنام ومعنى النظر فتح
العينين الى المنظور اليه اي وتراهم كالناظرين اليك وخبر عنهم بالواو وهي جماد لا تبصر لان الخبر
جرى على فعل من يعقل وقيل كانت لهم اعين من جواهر مصوغة فلذلك قال وتراهم ينظرون اليك
وقيل ان المراد بذلك المشركون اخبر عنهم بانهم لا يبصرون حين لم ينتفعوا بابصارهم قوله تعالى
خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل
انما اتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ
القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون
الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون قوله تعالى خذ العفو الاية فيه ثلاث مسائل الاولى
هذه الاية من ثلاث كلمات تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات فقوله خذ
العفو دخل فيه صلة القاطعين ودخل في قوله وامر بالعرف صلة الارحام وتقوى الله في
الحلال والحرام وغض الابصار والاستعداد لدار القرار وفي قوله واعرض عن الجاهلين
الحض على التخلق بالعلم والاعراض عن اهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة
الجهلة الاغبياء وغير ذلك من الاخلاق الحميدة والافعال الرشيدة قلت هذه الخصال
تحتاج الى بسط وقد جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر بن سليم قال جابر بن سليم ابو جري
ركبت قعودا ثم اتيت الى مكة فطلبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس عليه برد من
صوف فيه طرائق حمر فقلت السلام عليك يا رسول الله فقال وعليك السلام فقلت انا معشر
البادية قوم فينا الجفاء فعلمني كلمات ينفعني الله بها قال ادن ثلاثا فدنوت فقال اعد
علي فاعدت فقال اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا وان تلق اخاك بوجه منبسط وان
تفرغ من دلوك في اناء المستسقي وان امرؤ سبك بما لا يعلم منك فلا تسبه بما تعلم منه فان
الله جاعل لك اجرا وعليه وزرا ولا تسبن شيئا مما خولك الله قال ابو جري فوالذي نفسي
بيده ما سببت بعده شاة ولا بعيرا اخرجه ابو بكر البزار في مسنده بمعناه وروى ابو سعيد
المقبري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكم لا تسعون الناس باموالكم ولكن يسعهم منكم
بسط الوجه وحسن الخلق وروى البخاري من حديث هشام بن عروة عن ابيه عن عبد الله
بن الزبير في قوله خذ العفو وامر بالعرف قال ما انزل الله هذه الاية الا في اخلاق الناس
وروى سفيان بن عيينة عن الشعبي انه قال ان جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل فقال لا ادري حتى اسال العالم في رواية لا ادري
حتى اسال ربي فذهب فمكث ساعة ثم رجع فقال ان الله تعالى يامرك ان تعفو عمن ظلمك
وتعطي من حرمك وتصل من قطعك نظمه بعض الشعراء فقال مكارم الاخلاق في ثلاثة

من كملت فيه فذلك الفتى اعطاه من حرمه ووصل من يقطعه والعفو عمن اعتدى وقال جعفر الصادق
امر الله نبيه بمكارم الاخلاق في هذه الاية وليس في القران اية اجمع من لمكارم الاخلاق من هذه
الاية وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال الشاعر كل الامور تزول عنك
وتنقضي الا الثنا فانه لك باقي ولو انني خيرت كل فضيلة ما اخترت غير مكارم الاخلاق
وقال سهل ابن عبد الله كلم الله موسى بطور سينا قيل له باي شيء اوصاك قال بتسعة اشيا الخشية
في السر والعلانية وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى وامرني ان اصل من
قطعني واعطي من حرمني واعفو عمن ظلمني وان يكون صمتي تفكرا وقولي ذكرا ونظري عبرة قلت
وقد روي عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انه قال امرني ربي بتسع الاخلاص في السر والعلانية
والعدل في الرضى والغضب والقصد في الغنى والفقر وان اعفو عمن ظلمني واصل من قطعني واعطي
من حرمني وان يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة وقيل المراد بقوله خذ العفو اي الزكاة
لانها يسير من كثير وفيه بعد لانه من عفا اذا درس وقيل يقال اخذ العفو منه اي لا تنقص عليه وسامحه
وسبب النزول يرده والله اعلم فانه لما امره بمحاجة المشركين دله على مكارم الاخلاق فانها سبب
جر المشركين الى الايمان اي اقبل من الناس ما عفى لك من اخلاقهم وتيسر تقول اخذت حقي عفوا اي سهلا
الثانية قوله تعالى وامر بالعرف اي بالمعروف وقرا عيسى بن عمر بالعرف بضمتين مثل الحلم وهما
لغتان والعرف والمعروف والعارفة كل خصلة حسنة ترتضيها العقول وتطمئن اليها النفوس قال
الشاعر من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس وقال عطا وامر بالعرف
يعني بلا اله الا الله الثالثة قوله واعرض عن الجاهلين اي اذا اقمت عليهم الحجة وامرتهم بالمعروف
فجهلوا عليك فاعرض عنهم صيانة له ورفعا لقدره عن مجاوبتهم وهذا وان كان خطابا لنبيه
عليه السلام فهو تاديب لجميع خلقه وقال ابن زيد وعطا هي منسوخة باية السيف وقال مجاهد
وقتادة هي محكمة وهو الصحيح لما رواه البخاري عن عبد الله بن عباس قال قدم عيينة ابن حصن
بن حذيفة بن بدر فنزل على ابن اخيه الحر بن قيس بن حصن وكان من النفر الذين يدنيهم
عمر وكان القرا اصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا او شبابا فقال عيينة لابن اخيه يا ابن
اخي هل لك وجه عند الامير فتستاذن لي عليه قال ساستاذن لك عليه فاستاذن لعيينة فلما
دخل قال يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل وما تحكم بيننا بالعدل قال فغضب عمر حتى
هم ان يقع به فقال الحر يا امير المومنين ان الله قال لنبيه خذ العفو وأمر بالعرف واعرض
عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر رضي الله عنه حين تلاها عليه
وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل قلت فاستعمال عمر رضي الله عنه لهذه الاية واستدلال
الحر بها يدل على انها محكمة لا منسوخة وكذلك استعملها الحسن بن علي رضي الله عنهما على ما
ياتي بيانه واذا كان الجفا على السلطان تعمدا واستخفافا بحقه فله تعزيره واذا كان غير
ذلك فالاعراض والصفح كما فعل الخليفة العدل قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله فيه مسئلتان الاولى لما نزل قوله خذ العفو قال عليه الصلاة والسلام كيف
يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك ونزغ الشيطان وساوسه وفيه لغتان نزغ ونغز يقال
اياك والنزاغ والنغاز وهم المورشون الزجاج النزغ ادنى حركة تكون ومن الشيطان ادنى
وسوسة قال سعيد بن المسيب شهدت عثمان وعليا وكان بينهما نزغ من الشيطان فما ابقى
واحد منهما لصاحبه شيئا ثم لم يبرحا حتى استغفر كل واحد منهما لصاحبه واما ينزغنك يعنيك

ويعرض لك اي عند الغضب وسوسة بما لا يحل فاستعذ بالله اي اطلب النجاة من ذلك بالله فامر الله تعالى
ان يدفع الوسوسة بالالتجاء اليه والاستعاذة به ولله المثل الاعلى فلا استعاذة من الكلاب الا برب
الكلاب وقد حكي عن بعض السلف انه قال لتلميذه ما تصنع بالشيطان اذا وسوس لك الخطايا قال
اجاهده قال فان عاد قال اجاهده قال فان عاد قال اجاهده قال يطول ارايت لو مررت بغنم
فنبحك كلبها ومنعك من العبور ما تصنع قال اكابده واردّه جهدي قال هذا يطول عليك ولكن استغث
بصاحب الغنم يكفه عنك الثانية النزغ والنزغ والهمز والوسوسة سواء قال الله تعالى وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين وقال تعالى من شر الوسواس الخناس واصل النزغ الفساد يقال نزغ
بيننا اي افسد وقيل النزغ الاغواء والمعنى متقارب قلت ونظير هذه الاية ما في صحيح مسلم عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي الشيطان احدكم فيقول له من خلق كذا وكذا حتى
يقول من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته وفيه عن عبد الله قال سئل النبي صلى
الله عليه وسلم عن الوسوسة قال تلك محض الايمان وفي حديث ابي هريرة ذلك صريح الايمان والصريح
الخالص وهذا ليس على ظاهره ان تكون الوسوسة نفسها هي الايمان لان الايمان اليقين وانما
الاشارة الى ما وجدوه من الخوف من الله تعالى ان يعاقبوا على ما في انفسهم فكانه قال جزعكم
من هذا هو محض الايمان وخالصه لصحة ايمانكم وعلمكم بفسادها فسمى الوسوسة ايمانا لما كان
دفعها والاعراض عنها والرد لها وعدم قبولها والجزع منها صادرا عن الايمان وما امره الا بالاستعاذة
فتكون تلك الوسواس من اثار الشيطان واما الامر بالانتهاء فعن الركون اليها والالتفات نحوها
فمن كان صحيح الايمان واستعمل ما امره به نبيه وربه نفعه وانتفع به واما من خالجته الشبهة
وغلب عليه الحس ولم يقدر عن الانفكاك عنها فلا بد من مشافهته بالدليل العقلي كما قال
صلى الله عليه وسلم للذي خالطه شبهة الابل الجرب حين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا عدوى
وقال اعرابي فما بال الابل تكون في الرمل كانها الظبا فاذا دخل فيها البعير الاجرب اجربها
فقال صلى الله عليه وسلم فمن اعدى الاول فاستاصل الشبهة من اصلها فلما استياس الشيطان
من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بالاغواء والاضلال اخذ تشويش عليهم اوقاتهم بتلك الالتفات و
الوساوس المنزهات فنفرت عنها قلوبهم وعظم عليهم وقوعها عندهم فجاوا كما في الصحيح فقالوا
يا رسول الله انا نجد في انفسنا ما يتعاظم احدنا ان يتكلم به قال اوقد وجدتموه قالوا نعم قال
ذلك صريح الايمان رغما للشيطان حسبما نطق به القران في قوله ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان فالخواطر التي ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة فهي التي تدفع بالاعراض عنها وعلى مثلها
يطلق اسم الوسوسة والله اعلم في اخر البقرة هذا المعنى قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف
من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى ان الذين اتقوا يريد
الشرك والمعاصي اذا مسهم طيف من الشيطان هذه قراءة اهل البصرة واهل مكة وقرا اهل
المدينة واهل الكوفة طائف وروي عن سعيد بن جبير بتشديد الياء قال النحاس كلام
العرب في مثل هذا طيف بالتخفيف على انه مصدر من طاف يطيف قال الكسائي هو مخفف
من طيف مثل ميت وميت قال النحاس ومعنى طيف في اللغة ما يتخيل في القلب او يرى في النوم
وكذا معنى طائف وقال ابو حاتم سالت الاصمعي عن طيف فقال ليس في المصادر فعل قال النحاس
ليس هو بمصدر ولكن يكون بمعنى طايف والمعنى ان الذين اتقوا المعاصي اذا لحقهم شيء تفكروا
ان قدرة الله عز وجل وفي انعامه عليهم فتركوا المعصية وقيل الطيف والطايف وقيل معنيان

مختلفان فالاول للحل والثاني للشيطان نفسه فالاول مصدر طاف الخيل يطوف طيفا ولم يقولوا من هذا
طايف في اسم الفاعل قال السهيلي لانه تخييل لا حقيقة له فاما قوله فطاف عليها طائف من ربك
فلا يقال فيه طيف لانه اسم فاعل حقيقة ويقال انه جبريل الزجاج طفت عليهم اطوف وطاف الخيال
يطيف وقال حسان دع هذا ولكن من لطيف يورقني اذا ذهب العشاء مجاهد والطيف الغضب
ويسمى الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه لمة من الشيطان يشبه بلمة الخيال فاذاهم مبصرون اي
منتهون وقيل فاذاهم على بصيرة وقرا سعيد بن جبير تذكروا بتشديد الذال ولا وجه له في العربية ذكره
النحاس الثانية قال عصام بن المصطلق دخلت المدينة فرايت الحسن بن علي رضي الله عنهما فاعجبني
سمته وحسن روايه فاثار مني الحسد ما كان يجنه صدري لابيه من البغض فقلت انت ابن ابي
طالب قال نعم فبالغت في شتمه وشتم ابيه فنظر الي نظرة عاطف رؤف ثم قال اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم خذ العفو وامر بالعرف فقرا الى قوله فاذاهم مبصرون ثم قال خفض
عليك استغفر الله لي ولك انك لو استعنتنا اعناك ولو استرفدتنا ارفدناك ولو استرشدتنا
ارشدناك فتوسم فيّ الندم على ما فرط مني فقال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
امن اهل الشام انت فقلت نعم فقال شنشنة اعرفها من اخزم حياك الله وبياك وعافاك وادناك
انبسط الينا في حوايجك وما يعرض لك تجدنا عند افضل ظنك ان شاء الله قال عصام فضاقت
علي الدنيا بما رحبت ووددت انها ساخت بي ثم انسللت منه لواذا وما على الارض احب الي منه
ومن ابيه قوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي قيل المعنى واخوان الشياطين وهم الفجار من ضلال
الانس تمدهم الشياطين في الغي وقيل الفجار اخوان الشياطين لانهم يقبلون منهم وقد سبق
في هذه الاية ذكر الشيطان هذا احسن ما قيل فيه وهو قول قتادة والحسن والضحاك ومعنى
لا يقصرون اي لا يتوبون ولا يرجعون وقال الزجاج في الكلام تقديم وتاخير المعنى والذين تدعون
من دونه لا يستطيعون لكم نصرا ولا انفسهم ينصرون واخوانهم يمدونهم في الغي لان الكفار
اخوان الشياطين ومعنى الاية ان المؤمن اذا مسه طيف من الشيطان تنبه عن قرب فاما
المشركون فيمدهم الشيطان ولا يقصرون قيل يرجع الى الكفار على القولين جميعا وقيل يجوز ان
يرجع الى الشيطان قاله قتادة المعنى ثم لا يقصرون عنهم ولا يرحمونهم والاقصار الانتهاء عن
الشيء اي لا يقصر الشياطين في مدهم الكفار بالغي وقوله في الغي ان يكون متصلا بالاخوان والغي
الجهل وقرا نافع يمدونهم بضم الياء وكسر الميم والباقون بفتح الياء وضم الميم وهما لغتان مد وامد ومد
اكثر بغير الف قاله مكي النحاس وجماعة من اهل اللغة منهم ابو عبيد انه يقال اذا كثر الشيء
شيئا بنفسه مده واذا كثره بغيره قيل امده ونحو يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة وحكي
عن محمد بن يزيد انه احتج لقراءة اهل المدينة قال يقال مددته في كذا اي زينته واستدعيته
ان يفعله وامددته في كذا اي اعنته براي او غير ذلك قال مكي والاختيار الفتح لانه يقال
مددت في الشر وامددت في الخير او غير ذلك قال الله تعالى ويمدهم في طغيانهم فهذا يدل
على قوة الفتح في هذا الحرف لانه في الشر والغي هو الشر ولان الجماعة عليه وقرا عاصم الجحدري
يمادونهم في الغي وقرا عيسى بن عمر يقصرون بفتح الياء وضم الصاد وتخفيف القاف والباقون
يقصرون بضده وهما لغتان قال امرؤ القيس سما لك شوق بعد ما كان اقصرا قوله
تعالى واذا لم تاتهم باية اي تقراها عليهم قالوا لولا اجتبيتها لولا بمعنى هلا ولا يليها على هذا
المعنى الا الفعل ظاهرا او مضمرا وقد تقدم القول فيها في البقرة مستوفى وفي معنى اجتبيتها اختلقتها

من نفسك فاعلم ان الايات من قبل الله عز وجل وانه لا يقرا عليهم الا ما انزل عليه يقال اجتبيت الكلام
اي ارتجلته واختلقته واخترعته اذا جئت به من عند نفسك قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي
اي من عند الله لا من عند نفسي هذا بصائر من ربكم يعني القران جمع بصيرة وهي الدلالة والعبرة
اي هذا الذي دللتكم به على الله عز وجل واحد بصاير اي تستبصروا بها وقال الزجاج اي طرق والبصاير
طرائق الدم قال الجعفي راحوا بصايرهم على اكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وأى وهدى اي رشد وبيان
ورحمة اي ونعمة قوله تعالى واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا فيه مسالتان الاولى قوله تعالى
واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا قيل ان هذا نزل في الصلاة روي عن ابن مسعود وابي هريرة
وجابر والزهري وعبيد الله بن عمير وعطا بن ابي رباح وسعيد بن المسيب قال سعيد كان المشركون
ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى فيقول بعضهم لبعض بمكة لا تسمعوا لهذا القران والغوا
فيه فانزل الله عز وجل جوابا لهم واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا وقيل انها نزلت في
الخطبة قاله سعيد بن جبير ومجاهد وعطا وعمرو بن دينار وزيد بن اسلم والقاسم بن مخيمرة
ومسلم بن يسار وشهر بن حوشب وعبد الله بن المبارك وهذا ضعيف لان القران فيها قليل والانصات
يجب في جميعها قاله ابن العربي النقاش والاية مكية ولم يكن بمكة خطبة ولا جمعة وذكر
الطبري عن سعيد بن جبير ايضا ان هذا في الانصات يوم الاضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة وفيما
يجهر به الامام فهو عام وهو الصحيح لانه يجمع جميع ما اوجبته هذه الاية وغيرها من السنة
في الانصات قال النقاش اجمع اهل التفسير ان هذا الاستماع في الصلاة المكتوبة وغير المكتوبة
النحاس وفي اللغة يجب ان يكون في كل شي الا ان يدل دليل على اختصاص شي وقال الزجاج
يجوز ان يكون فاستمعوا له وانصتوا اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه والانصات السكوت للاستماع
والاصغاء والمراعاة انصت ينصت انصاتا ونصت ايضا قال الشاعر قال الامام عليكم امر
سيدكم فلم نخالفه وانصت كما قالا ويقال انصتوه وانصتوا له قال الشاعر اذا قالت
حذام فانصتوها فان القول ما قالت حذام وقال بعضهم في قوله فاستمعوا له وانصتوا كان
هذا للرسول صلى الله عليه وسلم خاصا ليعيه عنه اصحابه قلت هذا فيه بعد والصحيح
القول بالعموم لقوله لعلكم ترحمون والتخصيص يحتاج الى دليل وقال عبد الجبار بن احمد في
فوائد القران له ان المشركين كانوا يكثرون اللغط والشغب تعنتا وعنادا على ما حكاه
الله عنهم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون فقال واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القران الاية وقال محمد بن كعب القرظي كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا قرا في الصلاة اجابه من وراءه اذا قال بسم الله الرحمن الرحيم قالوا مثل قوله
حتى يقضي فاتحة الكتاب والسورة فلبث بذلك ما شاء الله ان يلبث فنزل واذا قرئ القران
فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون فانصتوا وهذا يدل على ان المعنى بالانصات ترك الجهر
على ما كانوا يفعلون من مجاوبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة في هذه الاية كان
الرجل ياتي وهم في الصلاة فيسالهم كم صليتم كم بقي فانزل الله تعالى واذا قرئ القران فاستمعوا
له وانصتوا وعن مجاهد ايضا كانوا يتكلمون في الصلاة بحاجتهم فنزل قوله تعالى واذا قرئ
القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون وقد مضى في الفاتحة الاختلاف في قراءة الماموم
خلف الامام وياتي في الجمعة حكم الخطبة ان شاء الله تعالى قوله تعالى واذكر ربك في نفسك
تضرعا وخيفة وقد تقدم قال ابو جعفر النحاس لم يختلف في معنى قوله واذكر ربك في نفسك

انه فى الدعا قلت قد روي عن ابن عباس انه يعني بالذكر القراءة فى الصلاة وقيل المعنى اقرء
القران بتامل وتدبر تضرعا مصدر وقد يكون فى موضع الحال وخيفة معطوف عليه وجمع خيفة
خوف لانه بمعنى الخوف ذكره النحاس واصل خيفة خوف قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها خاف
الرجل يخاف خوفا وخيفة ومخافة فهو خايف وقوم خوف على الاصل وخيف على اللفظ وحكي
الفرا انه يقال ايضا فى جمع خيفة خيف قال الجوهري والخيفة الخوف والجمع خيف واصلها الواو
ودون الجهر اي دون الرفع من القول اي اسمع نفسك كما قال وابتغ بين ذلك سبيلا اي
من الجهر والمخافتة ودل هذا على ان رفع الصوت بالذكر ممنوع على ما تقدم فى غير موضع بالغدو
والاصال قال قتادة وابن زيد الاصال العشيات والغدو جمع غدوة وقال الزمخشري بالغدو
والاصال وهو مصدر اصلنا اي دخلنا فى العشي والاصال جمع اصل مثل طنب واطناب فهو جمع
الجمع والواحد اصيل جمع على اصل عن الزجاج والاخفش الاصال جمع اصيل مثل يمين وايمان
الفرا اصل جمع اصيل وقد يكون اصل واحدا كما قال الشاعر ولا باحسن منها اذ دنا الاصل
الجوهري فى الوقت بعد العصر الى المغرب وجمعه اصل واصايل كانه جمع اصيلة قال الشاعر
لعمري لانت البيت اكرم اهله واقعد فى افنائه بالاصايل ويجمع ايضا على اصلان مثل بعير
وبعران ثم صغروا الجمع فقالوا اصيلان ثم ابدلوا من النون لاما فقالوا اصيلال ومنه قول الشاعر
وقفت فيها اصيلالا اسايلها اعيت جوابا وما بالربع من احد وحكي اللحياني لقيته اصيلالا
ولا تكن من الغافلين اي عن الذكر قوله تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه
وله يسجدون فيها ثمان مسائل الاولى ان الذين عند ربك يعني الملائكة باجماع وقال عند
ربك والله عز وجل بكل مكان لانهم قريبون من رحمته وكل قريب من رحمة الله عز وجل فهو
عنده عن الزجاج وقال غيره لانهم فى موضع لا ينفذ فيه الا حكم الله وقيل لانهم رسل الله كما يقال
عند الخليفة جيش كبير وقيل هذا على جهة التشريف لهم وانهم بالمكان المكرم فهو عبارة عن
قربهم فى الكرامة لا فى المسافة ويسبحونه اي يعظمونه وينزهونه عن كل سوء وله يسجدون قيل
يصلون وقيل يذلون خلاف اهل المعاصي الثانية والجمهور من العلماء على ان هذا موضع سجود
القارى وقد اختلفوا فى عدد سجود القران فاقصى ما قيل خمسة عشر اولها خاتمة الاعراف واخرها
خاتمة العلق وهو قول ابن حبيب وابن وهب فى رواية واسحق ومن العلماء من زاد الحجر قوله
تعالى وكن من الساجدين على ما ياتي ان شاء الله فعلى هذا تكون ستة عشر وقيل اربعة عشر
قاله ابن وهب فى الرواية الاخرى عنه واسقط ثانية الحج وهو قول اصحاب الراي والصحيح
سقوطها لان الحديث لم يصح بثبوتها رواه ابن ماجة وابو داود فى سننهما عن عبد الله بن
منين من بني عبد كلال عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقراه خمسة
عشر سجدة فى القران منها ثلاث فى المفصل وفى الحج سجدتان وعبد الله بن منين لا يحتج به
قاله ابو محمد عبد الحق وذكر ابو داود ايضا من حديث عقبة ابن عامر قال قلت يا رسول
الله فى سورة الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقراهما فى اسناده عبد الله بن لهيعة
وهو ضعيف جدا واثبتها الشافعي واسقط سجدة ص وقيل احدى عشرة سجدة واسقط
اخرة الحج وثلاث المفصل وهو مشهور مذهب مالك رضي الله عنه وروي عن ابن عمر وابن
عباس وغيرهم وفى سنن ابن ماجة عن ابي الدرداء قال سجدت مع النبي صلى الله عليه وسلم
احدى عشرة سجدة ليس فيها من المفصل شيء الاعراف والرعد والنحل وبني اسرائيل ومريم والحج

سجدة

سجدة والفرقان وسورة النمل واسقط اخرة الحج وص وثلاث المفصل ذكر عن ابن عباس وقيل انها اربع
سجدة الم تنزيل وحم تنزيل والنجم والعلق وسبب الخلاف اختلاف النقل فى الاحاديث والعمل واختلافهم
فى الامر المجرد بالسجود فى القران هل المراد به سجود التلاوة او سجود الفرض فى الصلاة الثالثة واختلفوا
فى وجوب سجود التلاوة فقال مالك والشافعي ليس بواجب وقال ابو حنيفة هو واجب وتعلق بان مطلق
الامر بالسجود فسجد له الجنة وامرت بالسجود فابيت فلي النار اخرجه مسلم ولان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يحافظ عليه وعول علماؤنا على حديث عمر الثابت خرجه البخاري انه قرء سجدة على المنبر فسجدا
وسجد الناس معه ثم قراها فى الجمعة الاخرى فتهيا الناس للسجود فقال ايها الناس على رسلكم ان الله
لم يكتبها علينا الا ان نشاء وذلك بحضر الصحابة اجمعين من الانصار والمهاجرين فلم ينكر عليه احد
فثبت الاجماع به فى ذلك واما قوله امر ابن ادم بالسجود فاخبار عن السجود الواجب ومواظبة النبي
صلى الله عليه وسلم يدل على الاستحباب والله اعلم الرابعة ولا خلاف فى ان سجود القران يحتاج الى
ما تحتاج اليه الصلاة من طهارة حدث ونجس ونية واستقبال قبلة ووقت الا ما ذكر البخاري عن
ابن عمر انه كان يسجد على غير طهارة وذكره ابن المنذر عن الشعبي وعلى قول الجمهور هل يحتاج الى تحريم
ورفع يدين عنده وتكبير وتسليم اختلفوا فى ذلك فذهب الشافعي واحمد واسحق الى انه يكبر ويرفع
التكبيرها وقد روي فى الاثر عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سجد كبر وكذلك اذا
رفع كبر ومشهور مذهب مالك انه يكبر لها فى الخفض والرفع فى الصلاة واختلف عنه فى التكبير لها
فى غير الصلاة وبالتكبير لذلك قال عامة الفقهاء ولا سلام لها عند الجمهور وذهب جماعة من السلف
واسحق الى انه يسلم منها وعلى هذا المذهب يتحقق ان التكبير فى اولها للاحرام وعلى قول من لا يسلم يكون السجود
مستحب والاول اولى لقوله عليه الصلاة والسلام مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير
وتحليلها التسليم وهذه عبادة لها تكبير فكان لها تحليل كصلاة الجنازة بل اولى لانها فعل
وصلاة الجنازة قول وهذا اختيار ابن العربي انتهى الخامسة واما وقته فقيل يسجد فى ساير الاوقات
مطلقا لانها صلاة لسبب وهو قول الشافعي وجماعة وقيل ما لم يسفر الصبح او ما لم تصفر الشمس بعد
العصر وقيل لا يسجد بعد العصر ولا بعد الصبح وقيل يسجد بعد الصبح ولا يسجد بعد العصر وهذه
الثلاثة اقوال فى مذهبنا وسبب الخلاف معارضة ما يقتضيه سبب قراءة السجدة من السجود
المرتب لعموم النهي عن الصلاة بعد العصر وبعد الصبح واختلافهم فى المعنى الذي لاجله نهي عن
الصلاة فى هذين الوقتين والله اعلم السادسة فاذا سجد يقول فى سجوده اللهم احطط عني
بها وزرا واكتب لي بها اجرا واجعلها لي عندك ذخرا رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
ذكره ابن ماجة السابعة فان قراها فى صلاة فان كان فى نافلة سجد ان كان منفردا او فى
جماعة يامن التخليط فيها فان كان فى جماعة لا يامن التخليط فيها فالمنصوص جوازه وقيل لا
يسجد فيها واما فى الفريضة فالمشهور عن مالك النهي عنه سواء كانت صلاة سر او جهر جماعة
او فرادى وهو معلل بكونها زيادة فى اعداد سجود الفريضة وقيل هو معلل لخوف التخليط على الجماعة
وهذا اشبه وعلى هذا لا يمنع من الفرادى ولا الجماعة التي يامن فيها التخليط الثامنة روى البخاري
عن ابي رافع قال صليت مع ابي هريرة العتمة فقرء اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذه
فقال سجدت بها خلف ابي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها حتى القاه انفرد
باخراجه وفيه وقيل لعمران بن الحصين الرجل يسمع السجدة ولم يجلس لها قال ارايت لو قعد لها
كان لا يوجبه عليه وقال سلمان ما لهذا غدونا وقال عثمان انما السجدة على من استمعها وقال

الزهري لا يسجد الا ان يكون طاهرا فاذا سجدت وانت في حضر فاستقبل القبلة فان كنت راكبا فلا عليك
حيث كان وجهك وكان السايب لا يسجد سجود القاري والله تعالى احكم واعلم بالصواب

سورة الانفال مدنية بدرية

في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطا ابن عباس مدنية الا سبع ايات من قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الى اخر سبع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون قوله تعالى يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فيه سبع مسايل الاولى روي عبادة بن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر فلقوا العدو فلما هزمهم الله تعالى اتبعهم طائفة من المؤمنين يقتلونهم على العسكر والنهب فلما نفى الله العدو ورجع الذين طلبوهم قالوا لنا النفل نحن طلبنا العدو وبنا نفلهم الله وهزمهم وقال الذين احدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتم باحق به منا بل هو لنا نحن احدقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا ينال العدو منه غرة وقال الذين استقبلوا العسكر والنهب ما انتم باحق به منا هو لنا نحن حويناه واستولينا عليه فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فواق بينهم قال ابو عمر هلل بلسان العرب استلوا وطافوا واحاطوا يقال مستلوا على العباد وقوله فقسمه عن فواق يعني عن سرعة قالوا والفواق ما بين حلبتي الناقة يقال انتظره فواق ناقة اي هذا المقدار ويقولونها بالضم والفتح فواق وفواق وكان هذا قبل ان ينزل واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه الاية وكان المعنى عند العلماء هو الى الله والى الرسول الحكم فيها والعمل بها بما يقرب من الله وذكر محمد بن اسحق قال حدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من اصحابنا عن سليمان بن موسى الاشدق عن مكحول عن ابي امامة الباهلي قال سالت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وثبت فيه اختلافنا فنزعه الله من ايدينا وجعله الى الرسول فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بواء يقول على السواء فكان ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وصلاح ذات البين وروى الصحيح عن سعد بن ابي وقاص قال غنم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة فاذا فيها سيف فاخذته فاتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت نفلني هذا السيف فانا من قد علمت حاله فقال رده من حيث اخذته فانطلقت حتى اردت ان القيه في القبض لامتني نفسي فرجعت اليه فقلت اعطنيه قال فشد لي صوته رده من حيث اخذته فانزل الله تعالى يسئلونك عن الانفال لفظ مسلم والروايات كثيرة وفيما ذكرنا كفاية والله اعلم الثانية الانفال واحدها نفل قال ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ريثي وعجل اي

خير غنيمة والنفل اليمين ومنه الحديث فتبريكم يهود بنفل خمسين منكم والنفل الانتفال ومنه الحديث فانتفل من ولدها والنفل نبت معروف والنفل الزيادة على الواجب وهو التطوع وولد الولد نافلة لانه زيادة على الولد والغنيمة نافلة لانها زيادة فيما احل الله لهذه الامة مما كان محرما على غيرها قال صلى الله عليه وسلم فضلت على الانبياء بست وفيها واحلت لي الغنايم والانفال الغنايم انفسها قال عنترة انا اذا احمر الوغا نروي القنا ونعف عند مقاسم الانفال اي الغنايم الثالثة واختلف العلماء في محل الانفال على اربعة اقوال اولها محلها فيما شذ عن الكافرين الى المسلمين او اخذ بغير حرب الثاني محلها الخمس الثالث خمس الخمس الرابع راس الغنيمة حسب ما يراه الامام ومذهب مالك رحمه الله ان الانفال مواهب الامام من الخمس على ما يرى من الاجتهاد وليس في الاربعة الاخماس نفل وانما لم ير النفل من راس الغنيمة لان اهلها معينون وهم الموجفون والخمس مردود قسمه الى اجتهاد الامام واهله معينين قال صلى الله عليه وسلم ما لي مما افاء الله عليكم الا الخمس والخمس مردود عليكم فلم يكن بعد هذا ان يكون النفل من حق احد وانما يكون من حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الخمس هذا هو المعروف من مذهبه وقد روي عنه ان ذلك من خمس الخمس وهو قول ابن المسيب والشافعي وابو حنيفة وسبب الخلاف حديث ابن عمر رواه مالك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية قبل نجد فغنموا ابلا كثيرة وكانت سهمانهم اثنى عشر بعيرا او احد عشر بعيرا ونفلوا بعيرا بعيرا هكذا رواه مالك على الشك في رواية يحيى عنه وتابعه على ذلك جماعة رواة الموطا الا الوليد بن مسلم فانه رواه عن مالك عن نافع عن ابن عمر فقال فيه فكانت سهمانهم اثنى عشر بعيرا ونفلوا بعيرا بعيرا ولم يشك وذكر الوليد بن مسلم والحكم بن نافع عن شعيب بن ابي حمزة عن نافع عن ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيش قبل نجد في رواية الوليد اربعة الاف وانبعثت سرية من الجيش في رواية الوليد فكنت ممن خرج فيها فكان سهمان الجيش اثنى عشر بعيرا ونفل اهل السرية بعيرا بعيرا ذكره ابو داود فاحتج بهذا من يقول ان النفل انما يكون من جملة الخمس وبيانه ان هذه السرية لو نزلت على ان اهلها كانوا عشرة مثلا اصابوا في غنيمتهم مائة وخمسين اخرج منها خمسها ثلاثين وصار لهم مائة وعشرون على عشرة انفرة واذا عرفت ما للمائة والالف وازيد واحتج من قال ان ذلك كان من خمس الخمس بان قالوا جايز ان يكون هناك ثياب تباع ومتاع غير الابل فاعطى من لم يبلغه البعير قيمة البعير من تلك العروض ومما يعضد هذا ما روي مسلم في بعض طرق هذا الحديث فاصبنا ابلا وغنما الحديث وقد ذكر محمد بن اسحق في هذا الحديث ان الامير نفلهم قبل القسم وهو يوجب ان يكون النفل من راس الغنيمة وهو خلاف قول مالك وهو قول الجمهور من العلماء قال الاوزاعي فان زادهم بلف لهم ويجعل ذلك من الخمس وقال الشافعي ليس في النفل حد لا يتجاوزه الامام الرابعة ودل حديث ابن عمر على ما ذكره الوليد والحكم عن شعيب عن نافع ان السرية اذا خرجت من العسكر فغنمت ان العسكر شركاؤهم وهذه مسئلة وحكم لم يذكره في الحديث غير شعيب عن نافع ولم يختلف العلماء فيه الخامسة واختلف العلماء في الامام يقول قبل القتال من هدم كذا من الحصن فله كذا ومن بلغ الى موضع كذا فله كذا ومن جاء براس فله كذا ومن جاء باسير فله كذا يغريهم فروي عن مالك انه كرهه وقال هو قتال على الدنيا وكان لا يجيزه وقال الثوري ذلك جايز ولا باس به قلت وقد جاء هذا المعنى مرفوعا من حديث ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا الحديث بطوله وفي رواية عكرمة عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من فعل كذا وكذا واتى مكان كذا وكذا فله كذا فتسارع الشبان وثبت الشيوخ مع الرايات فلما فتح لهم جاء الشبان يطلبون ما جعل لهم فقال لهم الاشياخ لا تذهبون به دوننا فقد كنا ردا لكم فانزل الله تعالى

واصلحوا ذات بينكم ذكره اسمعيل بن اسحق ايضا وروي عن عمر بن الخطاب انه قال لجرير بن عبد الله البجلي لما قدم عليه في قومه وهو يريد الشام هل لك ان تاتي الكوفة ولك الثلث بعد الخمس من من كل ارض وشي وقال بهذا جماعة من فقهاء الشام الاوزاعي ومكحول وابن حيوة وغيرهم ورواه الحسن من جملة الغنيمة والنفل بعد الخمس ثم الغنيمة بين اهل العسكر قاله احمد واسحق وابو عبيد قال ابو عبيد والناس اليوم على ان لا نفل من جملة الغنيمة حتى تخمس وقال مالك لا يجوز ان يقول الامام لسرية ما اخذتم فلكم ثلثه قال سحنون يريد ابتدا فان نزل مضى ولهم انصباؤهم في الباقي وقال سحنون اذا قال الامام ما اخذتم فلا خمس عليكم فيه فهو لا يجوز فان نزل رددته لان هذا حكم شاذ لا يجوز ولا يمضي لشادسته واستحب مالك رحمه الله ان لا ينفل الامام الا ما يظهر كالعمامة والفرس والسيف ومنع بعض العلماء ان ينفل الامام ذهبا او فضة او لؤلؤا او نحوه وقال بعضهم النفل جائز من كل شي وهو الصحيح لقول عمر ومقتضى الاية والله تعالى اعلم السابعة قوله تعالى فاتقوا الله واصلحوا امر بالتقوى والاصلاح اي كونوا مجتمعين على امر الله في الدعاء اللهم اصلح ذات البين اي الحال التي يقع بها الاجتماع فدل هذا التصريح بانه شجر بينهم اختلاف ومالت النفوس الى التشاح كما هو منصوص في الحديث وتقدم معنى التقوى اي اتقوا الله في اقوالكم وافعالكم واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله في الغنايم وغيرها ان كنتم مومنين اي ان سبيل المومن ان يمتثل ماذكرنا وقيل المعنى اذ قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فيه ثلاث مسائل الاولى قال العلما هذه الاية تحريض على الزام طاعة الرسول فيما امر به من قسمة تلك الغنيمة والوجل الخوف وفيه اربع لغات وجل يوجل وياجل وييجل حكاها سيبويه والمصدر وجل وجلا وموجلا بالفتح وهذا موجله بالكسر للموضع والاسم فمن قال ياجل في المستقبل جعل الواو الفا لفتح ما قبلها ولغة القران الواو قالوا لا توجل ومن قال ييجل بكسر الياء فهي على لغة بني اسد فانهم يقولون انا ايجل ونحن نيجل وانت تيجل كلها بالكسر ومن قال ييجل بناه على هذه اللغة ولكنه فتح الياء كما فتحوها في يعلم ولم تكسر الياء في يعلم لاستثقالهم الكسرة على الياء وكسرت في ييجل لتقوي احدى اليائين بالاخرى والامر فيه ايجل اي صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها وتقول انا منه لاوجل ولا يقال في المؤنث وجلاء ولكن وجلة وروي سفيان عن السدي في قوله عز وجل اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال اذا اراد ان يظلم مظلمة قيل له اتق الله كف ووجل قلبه الثانية وصف الله تعالى المومنين في هذه الاية بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوة ايمانهم ومراعاتهم لربهم وكانهم بين يديه ونظير هذه الاية وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال وتطمئن قلوبهم بذكر الله فهذا يرجع الى كمال المعرفة وثقة القلب والوجل الفزع من عذاب الله فلا تناقض وقد جمع الله بين المعنيين في قوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي تسكن نفوسهم من حيث اليقين الى الله وان كانوا يخافون الله فهذه حالة العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير والنهاق الذي يشبه نهاق الحمير فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم ان ذلك وجد وخشوع لم تبلغ ان تساوي حال الرسول ولا حال اصحابه في المعرفة بالله والخوف منه والتعظيم لجلاله ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكا خوفا من الله وكذلك وصف الله احوال اصحاب المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه فقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم

تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم فمن كان مستنا فليستن ومن تعاطى احوال المجانين فهو من اخسهم حالا والجنون فنون روي مسلم عن انس بن مالك ان الناس سالوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى احفوه في المسئلة فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال سلوني لا تسئلوني عن شي الا بينته لكم ما دمت في مقامي هذا فلما سمع ذلك القوم ارموا ورهبوا ان يكون ذلك من امر قد حضر قال انس فجعلت التفت يمينا وشمالا فاذا كل انسان لاف راسه في ثوبه يبكي وذكر الحديث وروي الترمذي وصححه عن العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ولم يقل زعقنا ولا رقصنا ولا زفنا انتهى الثالثة قوله تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا اي تصديقا فان ايمان هذه الساعة زيادة على ايمان امس فمن صدق ثانيا وثالثا زيادة تصديق بالنسبة الى ما تقدم وقيل هو زيادة انشراح الصدر بكثرة الايات والادلة وقد مضى هذا المعنى في ال عمران ايضا الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون تقدم في اول سورة البقرة اولئك هم المومنون حقا اي استوى في الايمان ظاهرهم وباطنهم فدل هذا على ان لكل حق حقيقة وقد قال عليه الصلاة والسلام لحارثة ان لكل حقيقة فما حقيقة ايمانك وسال رجل الحسن فقال يا ابا سعيد امومن انت فقال له الايمان ايمانان فان كنت تسالني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والبعث والحساب فانا به مومن وان كنت تسالني عن قول الله تبارك وتعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المومنون حقا فوالله ما ادري انا منهم ام لا وقال ابو بكر الواسطي من قال انا مومن بالله حقا قيل له الحقيقة تشير الى اشراف واطلاع واحاطة فمن فقده بطل دعواه فيها يريد بذلك ما قاله اهل السنة المومن الحقيقي من كان محكوما له بالجنة فمن يعلم ذلك من سر حكمة الله تعالى فدعواه بانه مومن حقا غير صحيح قوله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق قال الزجاج الكاف في موضع نصب اي الانفال ثابتة لك كما اخرجك ربك من بيتك بالحق والمعنى امض لامرك في الغنايم ونفل من شئت وان كرهوا لان بعض الصحابة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين جعل لكل من اتى باسير شيئا قال يبقى اكثر الناس بغير شي فموضع الكاف في كما نصب كما ذكرنا وقاله الفرا ايضا وقال ابو عبيدة هو قسم اي والذي اخرجك فالكاف بمعنى الواو وما بمعنى الذي وقال سعيد بن مسعدة المعنى اولئك هم المومنون حقا كما اخرجك ربك من بيتك بالحق فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وقال عكرمة اطيعوا الله ورسوله كما اخرجك ربك وقيل كما اخرجك متعلق بقوله لهم درجات المعنى لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم اي هذا الوعد للمومنين حق في الاخرة كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الواجب له فانجز وعدك واظفرك بعدوك واوفى لك لانه قال عز وجل واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم فكما انجز هذا الوعد في الدنيا كذا ينجز ما وعدكم به في الاخرة وهذا قول حسن ذكره النحاس واختاره وقيل الكاف في كما كاف التشبيه ومخرجه على سبيل المجازاة كقول القايل لعبده كما وجهتك الى اعدائي فاستضعفوك وسالت مددا فامددتك وقويتك وازحت علتك فخذهم الان فعاقبهم بكذا وكما كسوتك واجريت عليك الرزق فاعمل كذا وكذا وكما احسنت اليك فاشكرني عليه فقال كما اخرجك ربك من بيتك بالحق ويغشيكم النعاس امنة منه يعني به اياه ومن معه وانزل من السماء ماء ليطهركم به

وانزل عليكم من السماء ملائكة مسومين مردفين فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان
كانه يقول قد ازحت علتكم وامددتكم بالملائكة فاضربوا منهم هذه المواضع وهو المقتل لتبلغوا
مراد الله فى احقاق الحق وابطال الباطل والله اعلم وان فريقا من المؤمنين لكارهون اي لكارهون
ترك مكة وترك اموالهم وديارهم قوله تعالى يجادلونك فى الحق بعدما تبين مجادلتهم قولهم
لما قدم النفير وفات العير وامرهم بالقتال ولم يكن معهم كبير اهبة شق ذلك عليهم وقالوا لو
اخبرتنا بالقتال لاخذنا العدة ومعنى الحق اى فى القتال بعدما تبين لهم انك لا تامر بشيء
الا باذن الله وقيل بعدما تبين لهم ان الله وعدهم اما الظفر بالعير او الامكان لجادلتهم كانما يساقون
الى الموت كراهية للقاء القوم وهم ينظرون اي يعلمون ان ذلك واقع بهم قال الله تعالى يوم ينظر
المرء ما قدمت يداه اي يعلم قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم لحدى فى موضع
نصب مفعول ثان انها لكم فى موضع نصب ايضا بدل من احدى وتودون اي تحبون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم عبيدة اي غير ذات الحد والشوكة السلاح والشوكة النبت الذى له حد ومنه رجل
شاكى السلاح اي تودون ان تظفروا بالطايفة التي ليست معها سلاح ولا فيها حرب عن الزجاج
ويريد الله ان يحق الحق اي ان يظهر الاسلام والحق حق ابدا ولكن اظهاره تحقيق له من حيث انه
اذا لم يظهر اشبه الباطل بكلماته اي بوعده فانه وعد نبيه فى سورة الدخان فقال يوم نبطش
البطشة الكبرى انا منتقمون اي من ابي جهل واصحابه وقيل ليظهره على الدين كله وقيل بكلماته
اي بامره اياكم ان تجاهدوهم ويقطع دابر الكافرين اي يستاصلهم بالهلاك ليحق الحق اي يظهر
دين الله ويعزه ويبطل الباطل اي الكفر وابطاله اعدامه كما ان احقاق الحق اظهاره بل نقذف بالحق
على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف
من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند
الله ان الله عزيز حكيم اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم
به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحى ربك الى
الملائكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق
الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله
فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار يا ايها الذين امنوا اذا
لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا
الى فئة فقد باء بغضب من الله وماويه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم
ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين قوله اذ تستغيثون ربكم الاستغاثة طلب الغوث والنصر
غوث الرجل قال واغوثاه والاسم الغوث والغواث والغواث واستغاثني فلان فاغثته والاسم
الغياث عن الجوهري روى مسلم عن عمر ابن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلثمائة وسبعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم
القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم اتني ما وعدتني اللهم
ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام لا تعبد فى الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه
مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاتاه ابو بكر فاخذ رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه
من ورائه فقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله تعالى

اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين بفتح الدال قراءة نافع والباقون
بالكسر اسم فاعل اي متتابعين تاتى فرقة بعد فرقة وذلك اهيب فى العيون ومردفين بفتح الدال
على ما لم يسم فاعله لان الناس الذين قاتلوا يوم بدر اردفوا من الملائكة اي انزلوا اليهم لمعونتهم على
الكفار فمردفين نعت لالف وقيل هو حال من المضمر المنعوت فى ممدكم اي ممدكم فى حال اردافكم
من الملائكة وهذا مذهب مجاهد وحكى ابو عبيدة ان ردفني واردفني واحد وانكر ابو عبيدة ان
يكون اردف بمعنى ردف قال لقول الله عز وجل تتبعها الرادفة قال النحاس ومكي وغيرهما
وقراءة كسر الدال اولى لان اهل التاويل على هذه القراءة يفسرون اي اردف بعضهم بعضا ولان
فيها معنى الفتح على ما حكى ابو عبيدة ولان عليه اكثر القراء قال سيبويه وقرء بعضهم مردفين بفتح
الراء وشد الدال وبعضهم مردفين بكسر الراء وبعضهم مردفين بكسر الراء وبعضهم مردفين بضم الراء
والدال مكسورة مشددة فى القراءة الثلاثة فالقراءة الاولى تقديرها عند سيبويه مرتدفين ثم
ادغم التاء فى الدال والقى حركتها على الراء لئلا يلتقي ساكنان والثانية كسرت فيها الراء لالتقاء
الساكنين وضمت الراء فى الثالثة اتباعا لضمة الميم كما تقول رد ورد وردّ يا هذا وقرء جعفر بن
محمد وعاصم الجحدري بالف جمع الف مثل فلس وافلس وعنهما ايضا بالف وقد مضى فى ال عمران
ذكر نزول الملائكة وسيماهم وقتالهم وتقدم فيها القول فى معنى قوله وما جعله الا بشرى والمراد
الامداد ويجوز ان يكون الارداف وما النصر الا من عند الله نبه على ان النصر من عنده عز وجل
لا من الملائكة اي لولا نصره لما انتفع بكثرة العدد بالملائكة والنصر من عند الله يكون بالسيف ويكون
بالحجة قوله تعالى اذ يغشيكم النعاس مفعولان وهي قراءة اهل المدينة وهي حسنة لاضافة الفعل
الى الله عز وجل لتقدم ذكره فى قوله وما النصر الا من عند الله ولان بعده وينزل عليكم فاضاف
الفعل الى الله عز وجل فكذلك الاغشاء يضاف الى الله عز وجل لتشاكل الكلام وقرا ابن كثير وابو عمرو
يغشاكم النعاس باضافة الفعل الى النعاس دليله امنة نعاسا يغشى فى قراءة من قرء بالياء
او التاء فاضاف الفعل الى النعاس والى الامنة والامنة هي النعاس فاخبروا ان النعاس هو
الذى يغشى القوم وقرء الباقون يغشيكم بفتح الغين وشد الشين النعاس بالنصب على معنى قراءة
نافع لغتان بمعنى غشى واغشى قال الله تعالى فاغشيناهم وقال فغشاها ما غشى وقال كانما اغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما قال مكي والاختيار ضم الياء والتشديد ونصب النعاس لان
بعده امنة منه والهاء فى منه لله فهو الذى يغشاهم النعاس ولان الاكثر عليه وقيل امنة من
العدو وامنة مفعول من اجله او مصدر يقال امن امنة وامنا واما ناكلها سواء والنعاس حالة
الامن الذى لا يخاف وكان هذا النوم فى الليلة التى كان القتال من غدها فكان النوم عجيبا
مع ما كان بين ايديهم من الامر المهم ولكن الله ربط جاشهم وعن علي رضي الله عنه قال ما كان
فينا فارس يوم بدر غير المقداد على فرس ابلق ولقد رايتنا وما فينا الا نايم الا رسول الله
صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يصلي ويبكي حتى اصبح ذكره البيهقي والماوردي وفي امتنان الله عليهم
بالنوم فى هذه الليلة وجهان احدهما ان قواهم بالاستراحة على القتال من الغد الثاني ان
امنهم بزوال الرعب من قلوبهم كما يقال الامن منيم والخوف مسهر وقيل غشاهم فى حال التقاء الصفين
وقد مضى فى هذا فى يوم احد فى ال عمران قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب
عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام ظاهر القران يدل على ان النعاس كان
قبل المطر وقال ابن ابي نجيح كان المطر قبل النعاس وحكى الزجاج ان الكفار يوم بدر سبقوا

المؤمنين الى ماء بدر فنزلوا عليه وبقي المؤمنون لا ماء لهم فوجشت نفوسهم وعطشوا واجنبوا وصلوا
بذلك فقال بعضهم فى نفوسهم بالغا الشيطان اليهم نزعم انا اولياء الله وفينا رسوله وحالنا
هذه والمشركون على الماء فانزل الله المطر ليلة بدر السابعة عشر من رمضان حتى سالت الاودية
وشربوا وتطهروا وسقوا الظهر وتلبدت السبخا التى كانت بينهم وبين المشركين حتى ثبتت
فيها اقدام المؤمنين وقت القتال وقد قيل ان هذه الاحوال كانت قبل وصولهم الى بدر
وهو اصح وهو الذى ذكره ابن اسحق فى سيرته وغيره وهذا اختصاره قال ابن عباس لما اخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي سفيان انه مقبل من الشام ندب المسلمين اليهم وقال
هذه عير قريش فيها الاموال فاخرجوا اليهم لعل الله ان ينفلكموها قال فانبعث معه من
خف وثقل قوم وكرهوا الخروج واسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلوي على من يعذر ولا ينتظر
من غاب ظهره فسار فى ثلاثمائة وثلاثة عشر من اصحابه من مهاجري وانصاري فى البخاري
عن البراء بن عازب قال كان المهاجرون يوم بدر نيفا وثمانين وكانت الانصار نيفا واربعين
ومائتين وخرج قال كنا نتحدث ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر
على عدة اصحاب طالوت الذين جازوا النهر وما جاز معه الا مؤمن وذكر البيهقي عن ابي ايوب
الانصاري قال فخرجنا يعني الى بدر فلما سرنا يوما او يومين امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان نتعاد فعلنا فاذا نحن ثلثمائة وثلاث عشر رجلا فاخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بعدتنا
فسر بذلك وقال عدة اصحاب طالوت قال ابن اسحق وقد ظن الناس باجمعهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يلقى حربا فلم يكثر استعدادهم وكان ابو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس
الاخبار حتى اصاب خبرا من بعض الركبان ان محمدا استنفر لكم الناس فحذر عند ذلك واستاجر
ضمضم بن عمرو الغفاري وبعثه الى مكة وامره ان ياتي قريشا يستنفرهم الى اموالهم ويخبرهم
ان محمدا قد عرض لها فى اصحابه ففعل ضمضم فخرج اهل مكة فى الف رجل او نحو ذلك وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصحابه واتاه الخبر عن قريش لخروجهم ليمنعوا عيرهم فاستشار
النبي صلى الله عليه وسلم الناس فقام ابو بكر فاحسن وقام عمر فاحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال
يا رسول الله امض لما امرك الله فنحن معك لا نقول كما قالت بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا
انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معك مقاتلون والذى بعثك بالحق لو
سرت الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونها فسر بذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ودعا له بخير ثم قال اشيروا علي ايها الناس يريد الانصار وذلك انهم عدد الناس
وكانوا حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت
الينا فانت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع به انفسنا وابناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا بالمدينة وانه ليس عليهم ان يسير بهم
الى عدو بغير بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه سعد بن معاذ وقيل سعد
بن عبادة ويمكن انهما تكلما جميعا فى ذلك اليوم فقال يا رسول الله كانك تريدنا معشر الانصار
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل فقال انا قد امنا بك واتبعناك فامض لما امرك الله به
فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك فقال عليه الصلاة والسلام
امضوا على بركة الله فكانى انظر الى مصارع القوم وسبق قريشا الى ماء بدر ومنع قريشا من السبق
اليه مطر عظيم انزله الله عليهم ولم يصب منه المسلمون الا ما سد لهم دهس الوادي واعانهم على

المسير

المسير والدهش الرمل اللين الذى تسوخ فيه الارجل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ادنى ماء من
مياه بدر الى المدينة فاشار عليه الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح بعد ذلك وقال يا رسول الله
ارايت هذا الذى منزل انزلكه الله فليس لنا ان نتقدمه او نتاخر عنه ام هو الراي والحرب والمكيدة
فقال عليه الصلاة والسلام بل هو الراي والحرب والمكيدة فقال يا رسول الله ان هذا ليس لك بمنزل
فانهض بنا الى ادنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملاه فنشرب
ولا يشربون فاستحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك من رايه وفعله ثم التقوا فنصر الله نبيه
والمسلمين فقتل من المشركين سبعين واسر منهم سبعين وانتقم منهم للمؤمنين وشفى الله صدر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدر اصحابه من غيظهم وفى ذلك يقول
حسان ، عرفت ديار زينب بالكثيب ، كخط الوحي فى الورق القشيب ، تداولها الرياح وكل جون
من الوسمي منهمر سكوب ، فامسى ربعها خلقا وامست ، يبابا بعد ساكنها الحبيب ، فدع عنك التذكر
كل يوم ، ورد حرارة الصدر الكئيب ، وخبر بالذى لا عيب فيه ، بصدق غير اخبار الكذوب ،
بما صنع الاله غداة بدر ، لنا فى المشركين من النصيب ، غداة كان جمعهم حراء ، بدت اركانه جنح
الغروب ، بايديهم صوارم مرهفات ، وكل مجرب خاظي الكعوب ، بنو الاوس الغطارف وازرتها
بنو النجار فى الدين الصليب ، فغادرنا ابا جهل صريعا ، وعتبة قد تركنا بالجبوب ، وشيبة قد تركنا
فى رجال ، ذوي نسب اذا نسبوا حسيب ، يناديهم رسول الله لما ، قذفناهم كباكب فى القليب ، الم
تجدوا كلامي كان حقا ، وامر الله ياخذ بالقلوب ، فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا ، اصبت وكنت ذا راي
مصيب ، وهنا ثلاث مسائل ، قال مالك بلغني ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم
كيف اهل بدر فيكم قال خيارنا فقال انهم كذلك فينا هذا على ان شرف المخلوقات ليس بالذوات
وانما هو بالافعال فالملائكة افعالها الشريفة من المواظبة على التسبيح الدائم ولنا افعالنا بالاخلاص
بالطاعة وتتفاضل الطاعات بتفاضل الشرع لها وافضلها الجهاد وافضل الجهاد يوم بدر لان
بناء الاسلام كان عليه الثانية ودل خروج النبي صلى الله عليه وسلم ليلقى العير على جواز النفر
للغنيمة لانها كسب حلال وهو يرد ما ذكره مالك اذ قال ذلك قتال على الدنيا وما جاء ان
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو فى سبيل الله دون من يقاتل فى الغنيمة يراد به اذا
كان قصده وحده وليس للدين فيه روى عكرمة عن ابن عباس قال قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو فى الاسرى لا يصلح هذا فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم ولم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك الله ما وعدك
فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقت وعلم ذلك العباس بحديث اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبما
كان من شان بدر فسمع ذلك فى اثناء الحديث الثالثة روى مسلم عن انس بن مالك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثا ثم قام عليهم فناداهم فقال يا ابا جهل بن هشام يا امية
بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة اليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد
وجدت ما وعدني ربي حقا فسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون
وانى يجيبون وقد جيفوا قال والذى نفسي بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكن لا يقدرون
ان يجيبوا ثم امر بهم فسحبوا فالقوا فى القليب قليب بدر جيفوا بفتح الجيم والياء ومعناه انتنوا
فصاروا جيفا وقول عمر يسمعون استبعاد على ما جرت به حكم العادة فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم
بانهم يسمعون كسمع الاحياء وفى هذا ما يدل على ان الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وانما

هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحلوله بينهما وتبدل حال وانتقال من دار الى دار
قال صلى الله عليه وسلم ان الميت اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم
الحديث خرجه الصحيح قوله تعالى ويثبت به الاقدام عبارة عن النصر والمعونة في موضع الحرب
قوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة العامل في اذ يثبت اي يثبت به الاقدام ذلك الوقت وقيل
العامل ليربط اي ليربط اذ يوحي وقد يكون التقدير اذكر اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم في موضع
نصب والمعنى باني معكم بالنصر والمعونة معكم بفتح العين ظرف ومن اسكنها فهي عنده حرف
فثبتوا الذين امنوا اي بشروهم بالنصر والقتال معهم او الحضور معهم من غير قتال فكان الملك
يسير امام الصف في صورة الرجل ويقول سيروا فان الله ناصركم ويظن المسلمون انه منهم وقد
تقدم في ال عمران ان الملائكة قاتلت ذلك اليوم فكانوا يرون روسا تندر على الاعناق من غير
ضارب يرونه وسمع بعضهم قايلا يسمع قوله ولا يرى شخصه اقدم حيزوم وقيل كان هذا التثبيت
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين بنزول الملائكة مددا قوله تعالى سالقي في قلوب الذين
كفروا الرعب تقدم في ال عمران بيانه فاضربوا فوق الاعناق وهو الروس قاله عكرمة والضرب
على الراس ابلغ لان ادنى شي يوثر في الدماغ وقد مضى شي في هذا المعنى في النساء وان فوق ليس
بزايد عند قوله فوق اثنتين واضربوا منهم كل بنان قال الزجاج واحد البنان بنانة وهي هنا
الاصابع وغيرها من الاعضاء والبنان مشتق من قولهم ابن الرجل بالمكان اذا اقام به فالبنان
يعمل به ما يكون للاقامة والحياة وقيل المراد بالبنان هنا اطراف الاصابع من اليدين والرجلين
وهو عبارة عن الثبات في الحرب وموضع الضرب فاذا ضربت البنان تعطل من المضروب القتال
بخلاف ساير الاعضاء قال عنترة وكان فتى الهيجاء يحمي ذمارها ويضرب عند الكرب كل بنان
ومما جاء ان البنان الاصابع قول عنترة ايضا وان الموت طوع يدي اذا ما وصلت بنانها بالهندواني
وهو كثير في اشعار العرب البنان الاصابع قال ابن فارس البنان الاصابع قال ويقال الاطراف
وذكر بعضهم انها سميت بنانا لان بها صلاح الاحوال التي بها يستقر الانسان ويحسن وقال
الضحاك البنان كل مفصل قوله تعالى ذلك بانهم شاقوا الله ذلك في موضع رفع على الابتدا
والتقدير ذلك الامر او الامر ذلك شاقوا الله اي اولياءه والشقاق ذلك ان يصير كل
واحد في شق وقد تقدم ذلكم فذوقوه قال الزجاج ذلكم رفع باضمار الامر او القصة اي الامر ذلكم
فذوقوه ويجوز ان يكون في موضع نصب بذوقوا كقولك زيدا فاضربه ومعنى الكلام التوبيخ
للكافرين وان في موضع رفع عطف على ذلكم قال الفراء ويجوز ان تكون في موضع نصب بمعنى
وبان للكافرين قال ويجوز ان يضمر واعلموا ان الزجاج لو جاز اضمار واعلموا لجاز زيد منطلق وعمرا
جالسا بل كان يجوز في الابتدا زيدا منطلقا لان المخبر معلم وهذا لا يقوله احد من النحويين قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار فيه سبع مسائل
الاولى قوله زحفا الزحف الدنو قليلا قليلا واصله الاندفاع على الالية ثم سمي كل ماش في الحرب
الى اخر زاحفا والتزاحف التداني والتقارب يقال زحف الى العدو زحفا وازدحف القوم
اي مشى بعضهم الى بعض ومنه زحاف الشعر وهو ان يسقط ما بين الحرفين فيزحف احدهما الى
الاخر يقول اذا تدانيتم وتعاينتم فلا تفروا عنهم ولا تعطوهم ادباركم حرم الله ذلك على المؤمنين
حين فرض عليهم الجهاد وقتال الكفار قال ابن عطية والادبار جمع دبر والعبارة بالدبر في
هذه الاية متمكنة الفصاحة لانها بشعة على الفار ذامة له الثانية امر الله عز وجل في

هذه الاية ان لا يولي المؤمنون امام الكفار وهذا الامر مقيد بالشريطة المنصوصة في مثلي المؤمنين امام
الكفار فاذا لقيت من المؤمنين فية ضعف المؤمنة من المشركين فالفرض ان لا يفروا امامهم فمن فر
من اثنين فهو فار من الزحف ومن فر من ثلاثة فليس بفار من الزحف ولا يتوجه عليه
الوعيد والفرار كبيرة موبقة بظاهر القران واجماع الاكثر من الائمة وقالت فرقة ابن الماجشون
في الواضحة انه يراعى الضعف والقوة والعدة فيجوز على قولهم ان يفر مائة فارس امام مائة
فارس اذا علموا ان ما عند المشركين من النجدة والبسالة ضعف ما عندهم واما على قول الجمهور فلا
يحل فرار مائة الا مما زاد على مائتين فمهما كان في مقابلة مسلم اكثر من اثنين فيجوز الانهزام والصبر
احسن وقد وقف جيش مؤتة وهو ثلاثة الاف في مقابلة مايتي الف فيهم مائة الف من الروم
ومائة الف من المستعربة من لخم وجذام قلت ووقع في تاريخ فتح الاندلس ان طارقا مولى
موسى بن نصير سار في الف رجل وسبعماية رجل الى الاندلس وذلك في رجب سنة ثلاث
وتسعين من الهجرة فالتقى وملك الاندلس لذريق وكان في سبعين الف عنان فزحف اليه
طارق وصبر له فهزم الله الطاغية لذريق وكان الفتح قال ابن وهب سمعت مالكا يسال عن
القوم يلقون العدو او يكونوا في محرس يحرسون فياتيهم العدو وهم يسير ايقاتلون او ينصرفون
فيوذنون اصحابهم قالوا ان كانوا يقوون على قتالهم قاتلوهم والا انصرفوا الى اصحابهم فاذنوهم
الثالثة واختلف الناس هل الفرار يوم الزحف مخصوص بيوم بدر ام عام في الزحوف كلها
الى يوم القيامة فروي عن ابي سعيد الخدري ان ذلك مخصوص بيوم بدر وبه قال نافع والحسن
وقتادة ويزيد بن ابي حبيب والضحاك وبه قال ابو حنيفة وان ذلك خاص باهل بدر فلم
يكن لهم ان يتحاوزوا ولو تحاوزوا لانحازوا الى المشركين ولم يكن في الارض يوميذ مسلمون
غيرهم ولا للمسلمين فيه الا النبي صلى الله عليه وسلم فاما بعد ذلك فان بعضهم فيه لبعض
قال الكيا وهذا فيه نظر لانه كان بالمدينة خلق كثير من الانصار لم يامرهم النبي صلى الله عليه
وسلم بالخروج ولم يكونوا يرون انه قتال وانما ظنوا انه العير فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيمن خف معه ويروى عن ابن عباس وساير العلماء ان الاية باقية الى يوم القيمة احتج
الاولون بما ذكرنا وبقوله تعالى فقالوا هوا شادة الى يوم بدر وانه نسخ حكم الاية اية الضعف
وبقي الفرار من الزحف ليس بكبيرة وقد فر الناس يوم احد فعفى الله عنهم وقال الله فيهم يوم
حنين ثم وليتم مدبرين ولم يقع على ذلك تعنيف وقال الجمهور من العلماء انما ذلك اشارة
الى يوم الزحف الذي يتضمنه قوله تعالى اذا لقيتم وحكم الاية باق الى يوم القيمة بشرط الضعف
الذي بينه الله تعالى في اية اخرى وليس في الاية نسخ والدليل على ان الاية نزلت بعد القتال
وانقضاء الحرب وذهاب اليوم بما فيه والى هذا ذهب مالك والشافعي واكثر العلماء وفي
صحيح مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات وفيه والتولي
يوم الزحف وهذا نص في المسئلة واما يوم احد فانما فر الناس من اكثر من ضعفيهم ومع ذلك
عنفوا واما يوم حنين فكذلك من فر انما انكشف على الكثرة على ما ياتي بيانه الرابعة قال
ابن القاسم لا تجوز شهادة من فر يوم الزحف ولا يجوز لهم الفرار وان فر امامهم لقوله عز وجل
ومن يولهم يوميذ دبره الاية قال ويجوز الفرار من اكثر من ضعفيهم وهذا ما لم يبلغ عدد
المسلمين اثني عشر الفا فان بلغ اثني عشر الفا لم يحل لهم الفرار وان زاد عدد المشركين على الضعف
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولن يغلب اثنا عشر الفا من قلة فان اكثر اهل العلم خصصوا

هذا العدد بهذا الحديث من عموم الاية قلت رواه ابو بشر العاملي وهو الحكم بن عبد الله بن خطاف
وهو متروك قال ثنا الزهري عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا اكثم بن
الجون اغز مع غير قومك يحسن خلقك وتكرم على رفقائك يا اكثم بن الجون خير الرفقا اربعة وخير
الطلايع اربعون وخير السرايا اربعماية وخير الجيوش اربعة الاف ولن يوتى اثنى عشر الفا من قلة
وروي عن مالك ما يدل على هذا من مذهبه وهو قوله للعمري العايد اذ سأله هل لك سعة
في ترك مجاهدة من غير الاحكام وبدلها فقال ان كان معك اثنى عشر الفا فلا سعة لك في ذلك
الخامسة فان فر فليستغفر الله عز وجل وروي الترمذي عن ثلاث ابن سيار بن زيد قال حدثني
ابي عن جدي سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم
واتوب اليه غفر له وان كان قد فر من الزحف قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه
السادسة قوله تعالى الا متحرفا لقتال ومتحيزا الى فئة التحرف الزوال عن جهة الاستوا فالمتحرف
من جانب الى جانب لمكايد الحرب غير منهزم ايضا روي ابو داود عن عبد الله بن عمر انه كان في
سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فحاص الناس حيصة فيمن حاص فكنت فيمن حاص
فلما برزنا قلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبونا بالغضب فقلنا ندخل المدينة فنبيت فيها
نذهب ولا يرانا احد قال فقلنا لو عرضنا انفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان لنا
توبة تبنا وان كان غير ذلك ذهبنا قال فجلسنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل صلاة الفجر
فلما خرج قمنا اليه فقلنا نحن الفرارون فاقبل الينا فقال لا بل انتم العكارون قال فدنونا
فقبلنا يده فقال انا فئة المسلمين قال ثعلب العكارون هم العطافون قال غيره يقال للرجل
الذي يولي عند الحرب ثم يكر راجعا عكر واعتكر وروي جرير عن منصور بن ابراهيم قال انهزم
رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر فقال يا امير المومنين هلكت فررت من الزحف
فقال عمر انا فئتك وقال محمد بن سيرين لما قتل ابو عبيدة جاء الخبر الى عمر فقال لو انحاز الي
كنت له فئة فانا فئة كل مسلم وعلى هذه الاحاديث لا يكون الفرار كبيرة لان الفئة هنا المدينة
والامام وجماعة المسلمين حيث كانوا وعلى القول الاخر يكون كبيرة لان الفئة هناك الجماعة
الحاضرة للحرب من الناس هذا على قول الجمهور ان الفرار من الزحف كبيرة قالوا وانما كان
ذلك القول من النبي صلى الله عليه وسلم وعمر على جهة الحيطة على المومنين اذ كانوا في ذلك الزمان
يثبتون لاضعافهم مرارا والله اعلم وفي قوله والتولي يوم الزحف ما يكفي السابعة قوله
فقد باء بغضب من الله اي استحق الغضب واصل باء رجع وقد تقدم وماويه جهنم اي مقامه
وهذا لا يدل على الخلود كما تقدم في غير موضع وقد قال عليه الصلاة والسلام من قال استغفر
الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم غفر له وان كان قد فر من الزحف قوله تعالى فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم اي يوم بدر روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صدروا عن
بدر ذكر كل واحد منهم ما فعل قتلت كذا فعلت كذا فجاء من ذلك تفاخر ونحو ذلك فنزلت
الاية اعلاما بان الله تعالى هو المميت والمقدر لجميع الاشيا وان العبد انما يشارك بتكسبه
وقصده وهذه الاية ترد على من يقول بان افعال العباد خلق لهم فقيل المعنى فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم بسوقهم اليكم حتى امكنكم منهم وقيل ولكن الله قتلهم بالملائكة الذين امدكم بهم
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى واختلف العلما في هذا الرمي على اربعة اقوال الاول
ان هذا الرمي انما كان في حصب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين رواه ابن وهب عن مالك

قال مالك ولم يبق في ذلك اليوم احد الا وقد اصابه ذلك وكذلك روي عنه ابن القاسم ايضا
الثاني ان هذا كان يوم أُحُد حين رمى ابي بن خلف بالحربة في عنقه فكر ابي منهزما فقال
له المشركون والله ما بك من باس فقال والله لو بصق علي لقتلني اليس قد قال بل انا اقتله
وقد كان وعد ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرجعه الى مكة بموضع يقال له سرف قال
موسى بن عقبة عن ابن شهاب لما كان يوم احد اقبل ابي مقنعا في الحديد على فرس فقال لا نجوت
ان نجا محمد فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله قال موسى بن عقبة قال سعيد بن المسيب
فاعترض له رجال من المومنين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلوا طريقه واستقبله
مصعب بن عمير يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل مصعب بن عمير وابصر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ترقوة ابي بن خلف من فرجة بين سابغة البيضة والدرع فطعنه بحربته فوقع ابي
عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم قال سعيد فكسر ضلعا من اضلاعه قال ففي ذلك نزل وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهذا ضعيف لان الاية نزلت عقيب بدر الثالث ان المراد
السهم الذي رمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حصن خيبر فسار في الهوى حتى اصاب ابن ابي
الحقيق وهو على فراشه وهذا ايضا فاسد وخيبر وفتحها ابعد من احد بكثير والصحيح في صورة
ابن ابي الحقيق غير هذا الرابع انها كانت يوم بدر قاله ابن اسحق وهو اصح لان السورة بدرية
وذلك لان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم خذ قبضة من التراب فاخذ قبضة
من التراب فرمى بها وجوههم فما من المشركين من احد الا اصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب
من تلك القبضة قاله ابن عباس وسياتي قال ثعلب وما رميت الفزع والرعب في قلوبهم
اذ رميت بالحصبا فانهزموا ولكن الله رمى اي اعانك واظفرك والعرب تقول رمى الله لك
اي اعانك واظفرك وصنع لك حكى هذا ابو عبيدة في كتاب المجاز وقال محمد بن يزيد وما
رميت اذ رميت ولكنك بقوة الله رميت وليبلي المومنين منه بلاء حسنا البلاء ههنا
النعمة واللام تتعلق بمحذوف اي وليبلي المومنين فعل ذلك ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين
قراة اهل الحرمين وابي عمرو وقرا اهل الكوفة موهن كيد الكافرين وفي التشديد معنى المبالغة
وروي عن الحسن موهن كيد الكافرين بالاضافة والتخفيف والمعنى ان الله عز وجل يلقي
في قلوبهم الرعب حتى يتشتتوا ويتفرق جمعهم فيضعفوا والكيد المكر وقد تقدم قوله تعالى
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم
فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المومنين يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله
ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب
عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم
معرضون يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان
الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون
في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات
لعلكم تشكرون يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم
تعلمون واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم قوله ان تستفتحوا فقد
جاءكم الفتح شرط وجوابه وفيه ثلاثة اقوال يكون خطابا للكفار لانهم استفتحوا فقالوا اللهم

اقطعنا الرحم واظلمنا لصاحبه فانصره عليه قاله الحسن ومجاهد وغيرهما وكان هذا القول منهم وقت
خروجهم لنصرة العير وقيل قاله ابو جهل وقت القتال وقال النضر بن الحارث ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وهو ممن قتل ببدر والاستفتاح
طلب النصر اي قد جاءكم الفتح ولكنه كان للمسلمين عليكم فقد جاءكم ما بان الامر وانكشف لكم الحق
وان تنتهوا عن الكفر فهو خير لكم وان تعودوا الى هذا القول وقتال محمد نعد الى نصر المؤمنين
ولن تغني عنكم فئتكم اي جماعتكم شيئا ولو كثرت اي في العدد الثاني يكون خطابا للمؤمنين اي ان
تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا اي عن مثل ما فعلتموه من اخذ الغنائم والاسارى قبل
الاذن فهو خير لكم وان تعودوا الى مثله بعد ذلك نعد الى توبيخكم كما قال لولا كتاب من الله
سبق والقول الثالث ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطابا للمؤمنين وما بعده للكفار وان
تعودوا الى القتال نعد الى مثل وقعة بدر القشيري والصحيح انه خاطب الكفار فانهم لما
نفروا لنصرة العير تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اهدى الطائفتين وافضل
الدينين المهدي وروي ان المشركين خرجوا معهم باستار الكعبة يستفتحون بها اي يستنصرون
قلت ولا تعارض لاحتمال ان يكونوا فعلوا الحالتين وان الله مع المؤمنين بكسر الالف على الاستئناف
وبفتحها عطفا على قوله وان الله موهن وعلى قوله اني معكم والمعنى ولان الله والتقدير لكثرتها
وان الله اي من كان الله في نصره لم تغلبه فئة وان كثرت قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله ورسوله الخطاب للمؤمنين المصدقين افردهم بالخطاب دون المنافقين اجلالا
لهم جدد عليهم الامر بطاعة الله والرسول ونهاهم عن التولي عنه هذا قول الجمهور وقالت فرقة
الخطاب بهذه الاية انما هو للمنافقين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم فقط وقال ابن
عطية وهذا وان كان محتملا على بعد فهو ضعيف جدا لاجل ان الله تعالى وصف من خاطب
في هذه الاية بالايمان والايمان للتصديق والمنافقون لا يتصفون من التصديق بشيء وابعد
من هذا من قال ان الخطاب لبني اسرائيل فانه اجنبي من الاية قوله تعالى ولا تولوا عنه التولي
الاعراض وقال عنه ولم يقل عنهما لان طاعة الرسول طاعة لله وهو كقوله والله ورسوله
احق ان يرضوه وانتم تسمعون ابتدا وخبر في موضع الحال والمعنى انتم تسمعون ما يتلى من الحجج
والبراهين في القول قوله تعالى ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا يعني كاليهود والمنافقين
او المشركين وهو من سماع الاذن وهم لا يسمعون اي لا يتدبرون ما سمعوا ولا يفكرون فيه فهم
بمنزلة من لم يسمع واعرض عن الحق نهى المؤمنين ان يكونوا مثلهم فدلت الاية على ان قول المؤمن
سمعت واطعت لا فائدة له ما لم يظهر اثر ذلك عليه بامتثال فعله فاذا قصر في الاوامر فلم
ياتها واعتمد النواهي فاقتحمها فاي سمع عنده واي طاعة وانما يكون حينئذ بمنزلة المنافق
الذي يظهر الايمان ويسر الكفر وذلك هو المراد بقوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون
يعني بذلك المنافقين او اليهود او المشركين على ما تقدم ثم اخبر تعالى ان الكفار شر ما دب
على الارض وفي البخاري عن ابن عباس ان شر الدواب عند الله الصم البكم الاية قال هم نفر
من بني عبد الدار والاصل اشر حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال وكذا خير الاصل اخير قوله تعالى
ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم قيل الحجج والبراهين اسماع تفهم ولكن سبق علمه بشقاوتهم ولو
اسمعهم اي لو افهمهم لما امنوا بعد علمه الازلي بكفرهم وقيل المعنى لاسمعهم كلام الموتى الذين طلبوا
احياءهم لانهم طلبوا احيا قصي بن كلاب وغيره ليشهدوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الزجاج لاسمعهم

جواب كل ما سالوا عنه ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون اذ سبق في علمه انهم لا يؤمنون قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول فيه ثلاث مسائل الاولى قوله يا ايها الذين امنوا استجيبوا
لله هذا الخطاب للمؤمنين المصدقين بلا خلاف والاستجابة الاجابة ويحييكم اصله يحييكم حذفت
الضمة من الياء لثقلها ولا يجوز الادغام قال ابو عبيدة معنى استجيبوا ولكن عرف الكلام ان
تعدى استجاب بلام ويتعدى اجاب دون لام قال الله تعالى يا قومنا اجيبوا داعي الله وقد
يتعدى استجاب بغير لام والشاهد قول الشاعر وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه
عند ذاك مجيب تقول اجابه واجاب عن سؤاله والمصدر الاجابة والاسم الاجابة بمنزلة
الطاقة والطاعة تقول اسمعا واجابة هكذا يتكلم بهذا الحرف والمجاوبة والتجاوب
وتقول انه لحسن الجيبة بالكسر اي الجواب والتجاوب التحاور ومتعلق بقوله استجيبوا المعنى استجيبوا
لما يحييكم اي يحيي دينكم ويعلمكم وقيل الى ما يحيي به قلوبكم فتوحدوه وهذا احياء مستعار لانه من
موت الكفر والجهل وقال مجاهد والجمهور المعنى استجيبوا للطاعة وما تضمنه القران من اوامر
ونواهي ففيه الحياة الابدية والنعمة السرمدية وقيل المراد بقوله لما يحييكم الجهاد فانه سبب
الحياة في الظاهر لان العدو اذا لم يغز غزا وفي غزوه الموت وفي جهاده الحياة الابدية قال الله
تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء والصحيح العموم كما قال الجمهور الثانية
قال البخاري عن ابن سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي قال الم يقل الله تعالى
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم وذكر الحديث وقد تقدم في الفاتحة قال الشافعي رحمه
الله هذا دليل على ان الفرض او القول الفرض اذا اتى به في الصلاة لا تبطل لامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالاجابة وان كان في الصلاة قلت وفيه حجة لقول الاوزاعي لو ان رجلا
يصلي فابصر غلاما يريد ان يسقط في بئر فصاح به وانصرف اليه وانتهره لم يكن بذلك باس
والله اعلم الثالثة قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه قيل انه يقتضي النص منه على
خلقه بالكفر والايمان فيحول بين المرء الكافر وبين الايمان الذي امره به فلا يكتسبه اذ لم يقدره
عليه بل اقدره على ضده وهو الكفر وهكذا المؤمن يحول بينه وبين الكفر فبان بهذا النص انه
سبحانه خالق لجميع اكتساب العباد خيرها وشرها وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام لا
ومقلب القلوب وكان فعل الله ذلك عدلا فيمن اضله وخذله اذ لم يمنعهم حقا وجب عليه فتزول
صفة العدل وانما منعهم ما كان له ان يتفضل به عليهم لا ما وجب لهم قال السدي يحول بين
المرء وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن الا باذنه ولا يكفر ايضا الا باذنه اي بمشيئته والقلب موضع
الفكر وقد تقدم في البقرة بيانه وهو بيد الله متى شاء حال بين العبد وبينه بمرض او افة
كي لا يعقل اي بادروا الى الاستجابة قبل ان لا تتمكنوا منها بزوال العقل وقال مجاهد يحول
بين المرء وعقله حتى لا يدري اي عقل وقيل يحول بينه وبينه اي بالموت فلا يمكنه استدراك
ما فات وقيل خاف المسلمون يوم بدر كثرة العدو فاعلمهم الله انه يحول بين المرء وقلبه
بان يبدلهم بعد الخوف امنا ويبدل عدوهم من الامن خوفا وقيل المعنى يقلب الامور من حال
الى حال وهذا جامع واختيار الطبري ان يكون ذلك اخبارا من الله عز وجل بانه املك
لقلوب العباد وانه يحول بينهم وبينها اذا شاء حتى لا يدرك الانسان شيئا الا بمشيئته تعالى
وانه اليه تحشرون عطف قال الفراء ولو استونفت فكسرت وانه كان صوابا قوله تعالى

واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فيه مسئلتان الاولى قال ابن عباس امر الله المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم العذاب وكذلك تاول فيها الزبير بن العوام فانه قال يوم الجمل وكانت سنة ست وثلاثين ما علمنا انا اردنا بهذه الاية الا اليوم وما كنت اظنها الا فينا خوطب ذلك الوقت وكذلك تاول الحسن البصري والسدي وغيرهما قال السدي نزلت في اهل بدر خاصة فاصابتهم الفتنة يوم احد فاقتتلوا وقال ابن عباس نزلت هذه الاية في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال امر الله المؤمنين ان لا يقروا المنكر فيما بينهم فيعمهم الله بالعذاب وعن حذيفة ابن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون بين ناس من اصحابي فتنة يغفرها الله لهم بصحبتهم اياي يستن بهم فيها ناس بعدهم يدخلهم الله بها النار قلت وهذه التاويلات هي التي يعضدها الاحاديث الصحيحة ففي حديث مسلم عن زينب بنت جحش انها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث وفي صحيح الترمذي ان الناس اذا راوا الظالم ولم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب من عنده وقد تقدمت هذه الاحاديث وفي صحيح البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القايم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذي من اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نوذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا ففي الحديث تعذيب العامة بذنوب الخاصة وفيه استحقاق العقوبة بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال علماؤنا فالفتنة اذا عملت هلك الكل وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير واذا لم يغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها وهكذا كان الحكم فيمن كان قبلنا من الامم كما في قصة السبت حين هجروا العاصين وقالوا لا نساكنكم وبهذا قال السلف رضي الله عنهم وروى ابن وهب عن مالك انه قال تهجر الارض التي يصنع فيها المنكر جهارا ولا يستقر فيها واحتج بصنيع ابي الدرداء في خروجه من ارض معاوية حين اعلن بالربا فاجاز بيع سقاية الذهب باكثر من وزنها خرجه الصحيح وروى البخاري عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل الله بقوم عذابا اصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على اعمالهم فهذا يدل على ان الهلاك العام منه ما يكون طهرة للمؤمنين ومنه ما يكون نقمة للفاسقين وروى مسلم عن عبد الله بن الزبير ان عايشة رضي الله عنها قالت عبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه فقلت يا رسول الله صنعت شيئا في منامك لم تكن تفعله فقال العجب ان ناسا من امتي يومون هذا البيت برجل من قريش قد لجا بالبيت حتى اذا كانوا بالبيدا خسف بهم فقلت يا رسول الله ان الطريق قد يجمع الناس قال نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم فان قيل فقد قال الله عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى وكل نفس بما كسبت رهينة ولها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وهذا يوجب ان لا يواخذ احد بذنب احد وانما يتعلق العقوبة بصاحب الذنب فالجواب ان الناس اذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على كل من راه ان يغيره فاذا سكت عليه فكلهم عاص هذا بفعله وهذا برضاه وقد جعل الله في حكمه وحكمته الراضي بمنزلة العامل فانتظم في العقوبة قاله ابن العربي وهو

مضمون

مضمون الاحاديث كما ذكرناه ومقصود الاية اتقوا فتنة تتعدى الظالم فتصيب الصالح والطالح الثانية اختلف النحاة في النون في لا تصيبن فقال الفراء هو بمنزلة قولك انزل عن الدابة لا تطرحنك فهو جواب الامر بلفظ النهي اي ان تنزل عنها لا تطرحنك ومثله قوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم اي لا تدخلوا لا يحطمنكم فدخلت النون لما فيه من معنى الجزاء وقيل لانه خرج مخرج القسم والنون لا تدخل الا على فعل النهي او جواب القسم وقال ابو العباس المبرد انه نهي بعد امر ومعنى النهي للظالمين اي لا تقربن الظلم وحكى سيبويه لا ارينك ههنا اي لا تكن ههنا فانه من كان ههنا رايته وقال الجرجاني المعنى اتقوا فتنة تصيب الذين ظلموا خاصة فقوله لا تصيبن نهي في موضع وصف النكرة وتاويله الاخبار باصابتها الذين ظلموا وقرا علي وزيد بن ثابت وابي وابن مسعود لتصيبن بلا الف قال المهدي ومن قرا لتصيبن جاز ان يكون مقصورا من لا تصيبن حذفت الالف منها وهي اخت لا في نحو ام والله لا افعلن وشبهه ويجوز ان تكون مخالفة لقراءة الجماعة فيكون المعنى انها تصيب الظالم خاصة قوله تعالى واذكروا اذ انتم قليل قال الكلبي نزلت في المهاجرين يعني وصف حالهم قبل الهجرة وفي ابتداء الاسلام مستضعفون نعت في الارض اي ارض مكة تخافون نعت ان يتخطفكم في موضع نصب والخطف الاخذ بسرعة الناس رفع على الفاعل قتادة وعكرمة هم مشركو قريش وهب بن منبه فارس والروم فاواكم قال ابن عباس الى الانصار السدي الى المدينة والمعنى واحد اوى اليه بالمد ضم اليه بالقصر لجأ اليه وايدكم قواكم بنصره اي بعونه وقيل بالانصار وقيل بالملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات اي الغنائم لعلكم تشكرون قد تقدم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول روي انها نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر حين اشار الى بني قريظة بالذبح قال ابو لبابة ما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت هذه الاية فلما نزلت شد نفسه الى سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي الخبر مشهور وعن عكرمة قال لما كان شان قريظة بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فيمن كان عنده من الناس فلما انتهى اليهم وقعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء جبريل عليه السلام على فرس ابلق فقالت عايشة رضي الله عنها فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه جبريل عليه السلام فقلت هذا دحية يا رسول الله قال هذا جبريل قال يا رسول الله ما يمنعك من بني قريظة ان تاتيهم فقال كيف لي بحصنهم فقال جبريل فاني ادخل فرسي هذا عليهم فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا معرورا فلما راه علي رضي الله عنه قال يا رسول الله لا عليك ان لا تاتيهم فانهم يشتمونك فقال كلا انها تكون تحية فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا اخوة القردة والخنازير فقالوا يا ابا القاسم ما كنت فحاشا فقالوا لا ننزل على حكم محمد ولكنا ننزل على حكم سعد بن معاذ فنزل فحكم فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طرقني الملك سحرا فنزل فيهم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون نزلت في ابي لبابة اشار الى بني قريظة حين قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ لا تفعلوا فانه الذبح واشار الى حلقه وقيل نزلت الاية في انهم كانوا يسمعون الشيء من النبي صلى الله عليه وسلم فيلقونه ويفشونه وقيل المعنى بغلول الغنائم ونسبتها الى الله لانه هو الذي امر بقسمتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه المؤدي عن الله عز وجل والقيم بها والخيانة الغدر واخفاء الشيء ومنه يعلم خائنة الاعين وكان عليه الصلاة والسلام يقول اللهم اني اعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة اخرجه النسائي عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول فذكره وتخونوا اماناتكم في موضع جزم نسقا على الاول وقد يكون على الجواب كما يقال
لا تاكل السمك وتشرب اللبن والامانات الاعمال التي ائتمن الله عليها العباد وسميت امانة لانها
يومن معها من منع الحق ماخوذ من الامن وقد تقدم في النساء القول في اداء الامانات والودايع وغير
ذلك وانتم تعلمون اي ما في الخيانة من القبح والعار وقيل انها امانة قوله تعالى واعلموا انما اموالكم
واولادكم فتنة كان لابي لبابة اموال واولاد في بني قريظة وهو الذي حمله على ملاينتهم فهذه اشارة
الى ذلك فتنة اي اختبار امتحنهم الله بها وان الله عنده اجر عظيم فاثروا حقه على حقكم قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل
العظيم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله
خير الماكرين واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير
الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم
ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون
ولكن اكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون
عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون قل
للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين
قوله يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قد تقدم معنى التقوى وقد كان الله
عالما بانهم يتقون ام لا يتقون فذكر بلفظ الشرط لانه خاطب العباد بما يخاطب بعضهم بعضا فاذا
اتقى العبد ربه وذلك باتباع اوامره واجتناب نواهيه وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات
وشحن قلبه بالنية الخالصة وجوارحه بالاعمال الصالحة والتحفظ من شوايب الشرك الخفي والظاهر
بمراعاة غير الله في الاعمال والركون الى الدنيا بالعفة عن المال جعل له بين الحق والباطل فرقانا
ورزقه فيما يريد من الخير امكانا قال ابن وهب سالت مالكا عن قول الله تعالى ان تتقوا الله
يجعل لكم فرقانا قال مخرجا ثم قرا ومن يتق الله يجعل له مخرجا وحكى ابن القاسم واشهب عن
مالك مثله سواء وقال مجاهد قبله وقال الشاعر مالك من طول الاسى فرقان بعد قطين
رحلوا وبانوا وقال اخر وكيف ارجي الخلد والموت طالبي وما لي من كاس المنية فرقان ابن اسحق
فرقانا فصلا بين الحق والباطل وقاله ابن زيد السدي نجاة الفرا فتحا ونصرا وقيل في الاخرة فيدخلكم
الجنة ويدخل الكافرين النار قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية هذا اخبار بما اجتمع عليه
المشركون من المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة في دار الندوة فاجتمع رايهم على قتله فبيتوه ورصدوه
على باب منزله طول ليلتهم ليقتلوه اذا خرج فامر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب ان ينام على
فراشه ودعا الله عز وجل ان يعمي عليهم اثره فطمس الله على ابصارهم فخرج وقد غشيهم النوم فوضع على
رؤوسهم ترابا ونهض فلما اصبحوا خرج عليهم علي واخبرهم ان ليس في الدار احد فعلموا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد فات ونجا الخبر مشهور وغيرها ومعنى ليثبتوك ليحبسوك يقال اثبته
اذا حبسه وقال قتادة ليثبتوك وثاقا وعنه ايضا وعبد الله بن كثير ليسجنوك وقال ابان بن
تغلب وابو حاتم ليثخنوك بالجراحات والضرب الشديد قال الشاعر فقلت ويحكم ما في صحيفتكم

قالوا الخليفة امسى مثبتا وجعا او يقتلوك او يخرجوك عطف ويمكرون مستانف والمكر التدبير
في الامر في خفية والله خير الماكرين ابتدا وخبر والمكر من الله هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم من حيث
لا يشعرون قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا الاية نزلت في النضر بن الحرث كان خرج الى الحيرة
في التجارة فاشترى احاديث كليلة ودمنة كسرى وقيصر فلما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبار من مضى قال النضر لو شئت لقلت مثل هذا وكان هذا وقاحة وكذبا وقيل انهم توهموا انهم
ياتون بمثله كما توهمت سحرة موسى ثم راموا ذلك فعجزوا عنه وقالوا عنادا ان هذا الا اساطير الاولين
وقد تقدم قوله تعالى واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك القراءة على نصب الحق على
خبر كان ودخلت هو للفصل ويجوز هو الحق بالرفع من عندك قال الزجاج ولا اعلم احدا قرا بها ولا اختلاف
بين النحويين في اجازتها ولكن القراءة سنة لا يقرا فيها الا بقراءة مرضية واختلف فيمن قال هذه
المقالة فقال مجاهد وابن جبير قايل هذه النضر بن الحرث انس بن مالك قايله ابو جهل رواه
البخاري ومسلم ثم يجوز ان يقال قالوا لشبهة كانت في صدورهم او على وجه العناد والابهام على
الناس انهم على بصيرة ثم حل بهم يوم بدر ما سالوا وحكي ان ابن عباس لقيه رجل من اليهود فقال
اليهودي ممن انت قال من قريش فقال انت من القوم الذين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك الاية فهلا قالوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ان هؤلاء قوم يجهلون
قال ابن عباس وانت يا اسرائيلي من القوم الذين لم تجف ارجلهم من بلل البحر الذي اغرق
فيه فرعون وقومه حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة فقال لهم موسى انكم قوم تجهلون
فاطرق اليهودي مفحما قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لما قال ابو جهل اللهم ان
كان هذا هو الحق من عندك الاية نزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم كذا في صحيح مسلم
وقال ابن عباس لم يعذب اهل قرية حتى يخرج النبي منها والمؤمنون ويلحقوا بحيث امروا وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون ابن عباس كانوا يقولون في الطواف غفرانك والاستغفار وان
وقع من الفجار يدفع به ضرب من الشرور والاضرار وقيل ان الاستغفار هنا يراد به الاسلام
اي وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي يسلمون قاله مجاهد وعكرمة وقيل وهم يستغفرون
ان في اصلابهم من يستغفر الله روي عن مجاهد ايضا وقيل معنى يستغفرون اي لو استغفروا لم
يعذبوا استدعاهم الى الاستغفار قاله قتادة وابن زيد وقال المدايني عن بعض العلماء قال
كان رجل من العرب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مسرفا على نفسه لم يكن يتحرج فلما ان توفي
النبي صلى الله عليه وسلم لبس الصوف ورجع عما كان عليه واظهر الدين والنسك فقيل له لو
فعلت هذا والنبي صلى الله عليه وسلم حي لفرح قال كان لي امانان فمضى واحد وبقي الاخر قال الله
تبارك وتعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم والثاني وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
قوله تعالى وما لهم الا يعذبهم الله المعنى وما يمنعهم من ان يعذبوا اي انهم مستحقون العذاب
لما ارتكبوا من القبايح والاسباب ولكن لكل اجل كتاب يعذبهم الله بالسيف بعد خروج النبي
صلى الله عليه وسلم وفي ذلك نزلت سال سايل بعذاب واقع وقال الاخفش ان زايدة قال
النحاس لو كان كما قال لرفع يعذبهم ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ان المتقين اولياؤه قوله تعالى
وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال ابن عباس كانت قريش تطوف بالبيت
عراة يصفرون ويصفقون فكان ذلك عبادة في ظنهم فالمكاء الصفير والتصدية التصفيق
قاله مجاهد والسدي وابن عمر رضي الله عنهم ومنه قول عنترة وخليل غانية تركت مجدلا

تمكوا فويته كشدقا لاعلم اي تصوت ومنه مكت الدابة اذا نفخت بالذبح قال السدي المكاء الصفير على
لحن طاير ابيض بالحجاز يقال له المكا قال الشاعر اذا غرد المكاء في غير روضة فويل لاهل الشاء والحمرات
قتادة المكاء ضرب بالايدي والتصدية صياح وعلى التفسيرين ففيه رد على الجهال والصوفية
الذين يرقصون ويصفقون ويصعقون وذلك كله منكر تتنزه عن مثله العقلاء ويتشبه
فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلون عند البيت وروي ابن جريج وابن ابي نجيح عن مجاهد انه قال
المكاء ادخالهم اصابعهم في افواههم والتصدية الصفير يريدوا ان يشغلوا بذلك محمدا صلى
الله عليه وسلم عن الصلاة قال النحاس المعروف في اللغة ما روي عن ابن عمر حكى ابو عبيدة وغيره
انه قال مكا يمكوا مكوا ومكاء اذا صفر وصدى يصدى تصدية اذا صفق ومنه قول عمرو بن
الاطنابة وظلوا جميعا لهم ضجة مكاء لدى البيت بالتصدية اي بالتصفيق سعيد بن جبير وابن
زيد معنى التصدية صدهم عن البيت فالاصل على هذا تصددة فابدل من احدى الدالين ياء ومعنى
ليميز الله الخبيث من الطيب اي المؤمن من الكافر وقيل هو عام في كل شيء من الاعمال والنفقات
وغير ذلك قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فيه خمس مسائل الاولى
قوله تعالى قل للذين كفروا امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول للكفار هذا المعنى وسواء قاله
بهذه العبارة او غيرها قال ابن عطية ولو كان كما ذكر الكسائي انه في مصحف عبد الله بن مسعود
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لكم لما تادت الرسالة الا بتلك الالفاظ بعينها هذا بحسب ما تقتضيه
الالفاظ الثانية قوله تعالى ان ينتهوا يريد عن الكفر قال ابن عطية ولا بد والحامل على ذلك
جواب الشرط بيغفر لهم ما قد سلف ومغفرة ما قد سلف لا تكون الا لمنتهٍ عن الكفر ولقد احسن
القائل ابو سعيد احمد بن محمد الزبيري يستوجب العفو الفتى اذا اعترف ثم انتهى عما اتاه واقترف
لقوله سبحانه في المعترف ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف روى مسلم عن ابي شماسة المهري
قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت فبكى طويلا الحديث وفيه فقال النبي صلى
الله صلى الله عليه وسلم اما علمت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان
قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله الحديث قال ابن العربي هذه لطيفة من الله سبحانه
وتعالى بها على الخلق وذلك ان الكفار يقتحمون الكفر والجرايم ويرتكبون المعاصي والمآثم
فلو كان ذلك يوجب مواخذة لهم لما استدركوا ابدا توبة ولا نالتهم مغفرة فيسر الله عليهم
قبول التوبة عند الانابة وبذل بالمغفرة بالاسلام وهدم جميع ما تقدم يكون ذلك اقرب
لدخولهم في الدين وادعى الى قبولهم لكلمة المسلمين ولو علموا انهم يواخذون لما تابوا ولا
اسلموا وفي صحيح مسلم ان رجلا فيمن كان قبلكم قتل تسعة وتسعين نفسا ثم سال هل له من
توبة فجاء عابدا فساله هل له من توبة فقال لا توبة لك فقتله فكمل به ماية الحديث
فانظروا الى قول العابد لا توبة له فلما علم انه قد ايأسه قتله فعل الايس من الرحمة فالتنفير
مفسدة للخليقة والتيسير مصلحة لهم وروي عن ابن عباس انه كان اذا جاء اليه رجل لم
يقتل يسأله هل للقاتل من توبة فيقول لا توبة تخويفا وتحذيرا فاذا جاءه من قتل قال له
توبة تيسيرا وتاليفا وقد تقدم الثالثة قال ابن وهب وابن القاسم عن مالك فيمن طلق
في الشرك ثم اسلم فلا طلاق له وكذلك من حلف فاسلم فلا حنث عليه وكذلك من وجبت
عليه هذه الاشياء فذلك مغفور له فاما من افترى على مسلم ثم اسلم او سرق ثم اسلم اقيم
عليه الحد للفرية والسرقة ولو زنى واسلم او اغتصب مسلمة ثم اسلم سقط عنه الحد وروي

اشهب

اشهب عن مالك انه قال انما يعفى لله عز وجل ما قد مضى قبل الاسلام من مال او دم او شيء قال
ابن العربي وهذا هو الصواب لما قدمناه من عموم قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما
قد سلف وقوله الاسلام يهدم ما كان قبله وما بيناه في المعنى من التيسير وعدم التنفير قلت اما
الكافر الحربي فلا خلاف في اسقاط ما فعله في حال كفره في دار الحرب واما ان دخل الينا بامان مسلما
فانه يحد وان سرق قطع وكذلك الذمي اذا قذف حد ثمانين واذا سرق قطع وان قتل قتل ولا
يسقط الاسلام ذلك لنقضه العهد حال كفره على رواية ابن القاسم وغيره قال ابن المنذر واختلفوا
في النصراني يزني ثم يسلم وقد شهدت عليه بينة من المسلمين فحكي عن الشافعي اذ هو بالعراق لا حد عليه
ولا تغريب لقول الله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف قال ابن المنذر وهذا موافق لما روي عن مالك
وقال ابو ثور اذا اقر وهو مسلم انه زنى وهو كافر اقيم عليه الحد وحكي عن الكوفي انه قال لا يحد الرابعة
فاما المرتد اذا اسلم وقد فاتته صلوات واصاب جنايات واتلف اموالا فقيل حكمه حكم الكافر الاصلي
اذا اسلم لا يؤخذ بشيء مما احدثه في حال ارتداده وقال الشافعي في احد قوليه يلزمه كل حق لله عز وجل و
الادميين بدليل ان حقوق الادميين تلزمه فوجب ان تلزمه حقوق الله وقال ابو حنيفة ما كان لله
يسقط وما كان للادميين لا يسقط قال ابن العربي وهو قول علمائنا لان الله تعالى مستغن عن حقه
والادمي مفتقر اليه الا ترى ان حقوق الله لا تجب على الصبي وتلزمه حقوق الادميين قالوا وقوله تعالى
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف عام في الحقوق التي لله الخامسة قوله تعالى وان يعودوا
يعني الى القتال لان لفظة عاد اذا جاءت مطلقة فانما تتضمن الرجوع الى حالة كان الانسان عليها ثم
انتقل عنها قال ابن عطية ولسنا نجد في هذه الاية لهؤلاء الكفار حالة تشبه ما ذكرنا الا القتال ولا
يجوز ان يتاول الى الكفر لانهم لم ينفصلوا عنه وانما قلنا ذلك اذا كانت مطلقة لانها قد تجيء في
كلام العرب داخلة في الابتداء فعاد اذا كانت مطلقة والخبر يكون معناها معنى صار كما تقول
عاد زيد ملكا تريد صار ومنه قول ابي الصلت تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد
ابوالا وهذه لا تتضمن الرجوع الى حالة قد كان العايد عليها قبل فهي مقيدة بخبرها لا يجوز الاقتصار
دونها بحكمها حكم صار قوله تعالى مضت سنة الاولين عبارة تجمع الوعيد والتهديد والتمثيل بمن
هلك من الامم في سالف الدهر بعذاب الله تعالى قوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون
الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم
المولى ونعم النصير واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى
الجمعان والله على كل شيء قدير اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب
اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله في منامك قليلا
ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ
التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور
يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله
ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين قوله تعالى وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة اي كفر الى اخر الاية تقدم معناه وتفسير الفاظها في البقرة وغيرها والحمد لله تعالى
قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الى قوله امنتم بالله فيه ست وعشرون مسالة الاولى قوله

واعلموا انما غنمتم من شيء الغنيمة ما ناله الرجل والجماعة بسعي ومن ذلك قول الشاعر وقد طوفت في
الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب وقال اخر ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه انى توجه والمحروم
محروم والغنم والغنيمة بمعنى يقال غنم القوم غنما واعلم ان الاتفاق حاصل على ان المراد بقوله تعالى
غنمتم من شيء مال الكفار اذا ظفر بهم المسلمون على وجه الغلبة والقهر ولا تقتضي اللغة هذا التخصيص
على ما بيناه ولكن عرف الشرع قيد اللفظ بهذا النوع وسمى الشرع الواصل الينا من الكفار من الاموال
باسمين غنيمة وفيئا فالشيء الذي يناله المسلمون من عدوهم بالسيف وايجاف الخيل والركاب غنيمة
ولزم هذا الاسم هذا المعنى حتى صار عرفيا والفيء ماخوذ من فاء يفيء اذا رجع وهو كل مال دخل على المسلمين
من غير حرب ولا ايجاف كخراج الارضين وجزية الجماجم وخمس الغنيمة ونحو هذا قال سفيان الثوري
وعطا ابن السايب وقيل انهما واحد وفيهما الخمس قاله قتادة وقيل الفيء عبارة عن كل ما صار للمسلمين
من الاموال بغير قهر والمعنى متقارب الثانية هذه الاية ناسخة لاول السورة عند الجمهور وقد
ادعى ابن عبد البر الاجماع على ان هذه الاية نزلت بعد قوله يسالونك عن الانفال وان اربعة
اخماس الغنيمة مقسومة على الغانمين على ما ياتي بيانه وان قوله يسالونك عن الانفال نزلت
في حين تشاجر اهل بدر في غنايم بدر على ما تقدم في اول السورة قلت ويدل على صحة هذا ما
ذكره اسمعيل بن اسحق نا محمد بن كثير قال نا سفيان قال حدثني محمد بن السايب عن ابي صالح عن ابن
عباس قال لما كان يوم بدر قال النبي صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا
وكانوا قتلوا سبعين فجاء ابو اليسر بن عمير بن ياسر فقال يا رسول الله وعدتنا من قتل قتيلا فله كذا
وقد جيت باسيرين فقام سعد فقال يا رسول الله انما لم يمنعنا زيادة في الاجر ولا جبن عن العدو
ولكنا قمنا هذا المقام خشية ان يعطف المشركون فانك ان تعطي هولاء لا يبقى لاصحابك شيء قال
وجعل هولاء يقولون وهولاء يقولون فنزلت يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول
فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فسلموا الغنيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزلت واعلموا انما
غنمتم من شيء فان لله خمسه الاية وقيل انها محكمة غير منسوخة وان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وليست مقسومة بين الغانمين وكذلك لمن بعده من الايمة حكاه المازري عن كثير من اصحابنا
وان للامام ان يخرجها عنهم واحتجوا بفتح مكة وقصة حنين وكان ابو عبيدة يقول افتتح رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة ومن على اهلها فردها عليهم ولم يقسمها ولم يجعلها فيئا وراى بعض
الناس ان هذا جايز للايمة بعده قلت وعلى هذا يكون معنى قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان
لله خمسه والاربعة الاخماس للامام ان شاء حبسها وان شاء قسمها للغانمين وهذا ليس بشيء لما ذكرنا
ولان الله سبحانه اضاف الغنيمة للغانمين فقال واعلموا انما غنمتم ثم عين الخمس لمن سمى في كتابه
وسكت عن الاربعة الاخماس كما سكت عن الثلثين في قوله وورثه ابواه فلامه الثلث فكان
للاب الثلثان اتفاقا وكذلك الاربعة الاخماس للغانمين اتفاقا على ما ذكره ابن المنذر وابن عبد
البر والداودي والمازري ايضا والقاضي عياض وابن العربي والاخبار بهذا المعنى متظاهرة وسياتي
بعضها ويكون معنى قوله يسالونك عن الانفال الاية ما ينفله الامام لمن شاء لما يرى من المصلحة
قبل القسمة وقال عطا والحسن هي مخصوصة بما شذ من المشركين الى المسلمين من عبد او امة او دابة
يقضي فيها الامام ما احب وقيل المراد بها انفال السرايا اي غنايمها ان شاء خمسها الامام وان شاء
نفلها كلها قال ابراهيم النخعي في الامام يبعث السرية فيصيبوا المغنم ان شاء الامام خمسه وان شاء
نفله كله وحكاه ابو عمر عن مكحول وعطا على الامام ينفل القوم ما اصابوا قال ذلك لهم قال ابو عمر

من

من ذهب الى هذا تاول قول الله تعالى يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ان ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم يضعها حيث شاء ولم ير ان هذه الاية منسوخة بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم
من شيء فان لله خمسه وقيل غير هذا مما قد اتينا عليه في كتاب المقتبس في شرح موطا مالك بن انس
ولم يقل احد من العلماء فيما اعلم ان قوله تعالى يسالونك عن الانفال الاية ناسخ لقوله واعلموا انما
غنمتم من شيء فان لله خمسه بل قال الجمهور على ما ذكرنا ان قوله ما غنمتم ناسخ وهم الذين لا يجوز عليهم
التحريف ولا التبديل لكتاب الله واما قصة فتح مكة فلا حجة فيها لاختلاف العلماء في فتحها وقد قال
ابو عبيدة لا نعلم مكة يشبهها شيء من البلاد من جهتين احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان الله قد خصه من الانفال والغنايم ما لم يجعله لغيره وذلك لقوله يسالونك عن الانفال الاية
فنرى ان هذا كان خاصا له والجهة الاخرى انه سن لمكة سننا ليس لشيء من البلاد واما قصة حنين
فقد عرض الانصار لما قالوا يعطي الغنايم قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال لهم
اما ترضون ان يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله الى بيوتكم خرجه مسلم وغيره وليس لغيره
ان يقول هذا القول ان ذلك خاص به على ما قاله بعض علمائنا والله اعلم الثالثة لم يختلف
العلماء ان قوله واعلموا انما غنمتم من شيء ليس على عمومه وانه يدخله الخصوص فمما خصصه
باجماع ان قالوا سلب المقتول لقاتله اذا نادى به الامام بلا خلاف على ما ياتي بيانه ومما خص به
ايضا الارض والمعنى ما غنمتم من ذهب وفضة وساير الامتعة والسبي واما الارض فغير داخلة
في عموم هذه الاية لما روى ابو داود عن عمر بن الخطاب انه قال لولا اخر المسلمين ما فتحت قرية
الا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ومما يصحح هذا المذهب ما رواه الصحيح عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم منعت العراق قفيزها ودرهمها ومنعت الشام مدها قال
الطحاوي منعت بمعنى ستمنع فدل ذلك على انها لا تكون للغانمين لان ما ملكه الغانمون لا يكون
فيه قفيز ولا درهم ولو كانت الارض تقسم ما بقي لمن جاء بعد الغانمين شيء والله تعالى يقول
والذين جاو من بعدهم بالعطف على قوله للفقراء المهاجرين قال وانما يقسم ما ينقل من موضع
الى موضع وقال الشافعي كل ما حصل من الغنايم من اهل دار الحرب من شيء قل او كثر من دار او ارض
او متاع او غير ذلك قسم الا الرجال البالغون فان الامام مخير فيهم ان يمن او يقتل او يسبي
وينفل ما اخذ منهم وسن سبيل الغنيمة واحتج بعموم الاية قال والاية والارض مغنومة لا محالة
فوجب ان يقسم كساير الغنايم وقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما افتتح من خيبر قالوا ولو
جاز ان يدعي الخصوص في الارض جاز ان يدعى في غير الارض فيبطل حكم الاية واما اية الحشر
فلا حجة فيها لان ذلك انما هو في الفيء لا في الغنيمة وقوله والذين جاو من بعدهم استيناف
كلام بالدعاء لمن سبقهم بالايمان لا غير ذلك قالوا وليس يخلو فعل عمر في توقيفه الارض
من احد وجهين اما ان تكون غنيمة استطاب انفس اهلها فطابت بذلك فوقفها ولذلك روى
جرير ان عمر استطاب انفس اهلها وكذلك صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبي هوازن لما اتوه
استطاب انفس اصحابه عما كان في ايديهم واما ان يكون ما وقفه عمر فيئا فلم يحتج الى مراعاة احد
وذهب الكوفيون الى تخيير الامام في قسمها او اقرارها وتوظيف الخراج وتصير ملكا لهم كارض الصلح
قال شيخنا ابو العباس وكان هذا جمع بين الدليلين ووسط بين المذهبين وهو الذي فهمه
عمر قطعا ولذلك قال لولا اخر الناس فلم يخبر بنسخ فعل النبي صلى الله عليه وسلم ولا بتخصيصه غير
ان الكوفيين زادوا على ما فعل عمر فان عمر انما وقفها على مصالح المسلمين ولم يملكها لاهل الصلح

وهم قالوا للامام ان يملكهما اهل الصلح انتهى الرابعة ذهب مالك وابو حنيفة والثوري الى ان السلب
ليس للقاتل وان حكمه حكم الغنيمة الا ان يقول الامير من قتل قتيلا فله سلبه فيكون حينئذ له وقال
الليث والاوزاعي والشافعي واسحق وابو ثور وابو عبيد والطبري وابن المنذر السلب للقاتل على كل
حال قاله الامام او لم يقله الا ان الشافعي قال انما يكون السلب للقاتل اذا قتل قتيلا مقبلا واما اذا
قتله مدبرا عنه فلا قال ابو العباس بن شريح من اصحاب الشافعي ليس الحديث من قتل قتيلا فله
سلبه على عمومه لاجماع العلماء ان من قتل اسيرا او امراة او شيخا انه ليس له سلب واحد منهم
وكذلك من دفف على جريح ومن قتل من قطعت يداه ورجلاه قال وكذلك المنهزم لا يمتنع في
انهزامه وهذا كالمكتوف قال فعلم بذلك ان الحديث انما جعل السلب لمن تقتله معنى زايد او لمن
في قتله فضيلة وهو القاتل في الاقبال لما في ذلك من المؤونة واما من اثخن فلا وقال الطبري السلب
للقاتل مقبلا قتله او مدبرا هاربا او مبارزا اذا كان في المعركة وهذا يرده ما ذكره عبد الرزاق وبكر
بن محمد عن ابن جريج قال سمعت نافعا مولى ابن عمر يقول لم نزل نسمع اذا التقى المسلمون والكفار
فقتل رجل من المسلمين رجلا من المشركين فان سلبه له الا ان يكون في معمعة القتال لانه حينئذ لا
يدري من قتل قتيلا وظاهر هذا يرد قول الطبري لاشتراطه في السلب القتل في المعركة خاصة قال
ابو ثور وابن المنذر السلب للقاتل في معركة كان او غير معركة في الاقبال والادبار والهروب والانتهاد
على كل الوجوه لعموم قوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه قلت روى مسلم عن سلمة
بن الاكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هوازن فبينا نحن نتضحى مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجاء رجل على جمل احمر فاناخه ثم انتزع طلقا من حقبه فقيد به الجمل ثم تقدم
وجعل يتغدى مع القوم وفينا ضعفة ورقة في الظهر وبعضنا مشاة اذ خرج يشتد فاتى جمله
فاطلق قيده ثم اناخه وقعد عليه فاثاره فاشتد به الجمل فاتبعه رجل على ناقة ورقاء قال
سلمة وخرجت اشتد فكنت عند ورك الناقة ثم تقدمت حتى كنت عند ورك الجمل ثم تقدمت
حتى اخذت بخطام الجمل فانخته فلما وضع ركبته الارض اخترطت سيفي فضربت راس الرجل
فندر ثم جئت بالجمل اقوده عليه رحله وسلاحه فاستقبلني رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس
معه فقال من قتل الرجل قالوا ابن الاكوع قال له سلبه اجمع فهذا سلمة قتله هاربا غير مقبل
واعطاه سلبه وفيه حجة لمالك من ان السلب لا يستحقه القاتل الا باذن الامام اذ لو
كان واجبا له بنفس القول لما احتاج الى تكرير هذا القول ومن حجته ايضا ما ذكره ابو بكر بن
ابي شيبة قال نا ابو الاحوص عن الاسود بن قيس عن شبر بن علقمة قال بارزت رجلا يوم
القادسية فقتلته واخذت سلبه فاتيت به سعدا فخطب سعد اصحابه ثم قال هذا سلب
شبر بن علقمة لهو خير من اثني عشر الف درهم وانا قد نفلناه اياه فلو كان السلب للقاتل قضاء من
النبي صلى الله عليه وسلم ما احتاج الامراء ان يضيفوا ذلك الى انفسهم باجتهادهم ولاخذه القاتل
دون امرهم والله اعلم وفي الصحيح ان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء ضربا ابا جهل بسيفيهما
حتى قتلاه ثم اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال ايكما قتله فقال كل واحد منهما انا قتلته فنظر
في السيفين فقال كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح وهذا نص على ان السلب
ليس للقاتل اذ لو كان لقسمه النبي صلى الله عليه وسلم بينهما وفي الصحيح ايضا عن عوف بن مالك قال
خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة ورافقني مددي من اليمن وساق الحديث وفيه فقال
عوف يا خالد اما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالسلب للقاتل قال بلى ولكني استكثرته

واخرجه

واخرجه ابو بكر البرقاني باسناده الذي اخرجه مسلم وزاد فيه بيانا ان عوف بن مالك قال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يخمس السلب وان مدديا كان رفيقا لهم في غزوة موتة في طرف من
الشام قال فجعل رومي منهم يشد على المسلمين على فرس اشقر وسرج مذهب ومنطقة ملطخة وسيف
محلى بذهب قال فيغري بهم قال فتلطف له المددي حتى مر به فضرب عرقوب فرسه فوقع فعلاه
بالسيف فقتله واخذ سلاحه قال فاعطاه خالد بن الوليد وحبس منه قال عوف فقلت له اعطه
كله اليس قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول السلب للقاتل قال بلى ولكني استكثرته قال
فكان بيني وبينه كلام فقلت له لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول السلب للقاتل قال بلى
قال عوف فلما اجتمعنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لخالد لم لم تعطه قال فقال استكثرته
قال فادفعه اليه فقلت الم انجز لك ما وعدتك وقال يا خالد لا تدفعه اليه هل انتم تاركوا لي
امرائي فهذا يدل دلالة واضحة على ان السلب لا يستحقه القاتل بنفس القتل بل براي الامام ونظره
وقال احمد بن حنبل لا يكون السلب للقاتل الا في المبارزة خاصة الخامسة اختلف العلماء في
تخميس السلب فقال الشافعي لا يخمس وقال اسحق ان كان السلب يسيرا فهو للقاتل وان كان كثيرا خمس
وفعله عمر بن الخطاب مع البراء بن مالك انه قتل من المشركين ماية رجل الا رجلا مبارزة وانهم لما
غزوا الزارة خرج دهقان الزارة فقال رجل ورجل فبرز البراء فاختلفا بسيفيهما ثم اعتنقا فتوركه
فقعد على كبده ثم اخذ السيف فذبحه واخذ سلاحه ومنطقته واتى به عمر فنفله السلاح وقوم
المنطقة ثلاثين الفا فخمسها وقال انها مال وقال الاوزاعي ومكحول السلب مغنم وفيه الخمس وروي
نحوه عن عمر بن الخطاب والحجة للشافعي ما رواه ابو داود عن عوف بن مالك الاشجعي وخالد بن
الوليد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالسلب للقاتل ولم يخمس السلب السادسة ذهب جمهور
الفقهاء الى ان السلب لا يعطى للقاتل الا ان يقيم البينة على قتله قال اكثرهم ويجزي شاهد واحد
على حديث ابي قتادة وقيل شاهدين وقيل شاهد ويمين وقال الاوزاعي يعطاه بمجرد دعواه وليست
البينة شرطا في الاستحقاق بل اذا اتفق ذلك فهو الاولى دفعا للمنازعة الا ترى ان النبي صلى الله
عليه وسلم اعطى ابا قتادة سلب مقتوله من غير شهادة ولا يمين ولا يكفي شهادة واحد ولا ينا قض
بها حكم بمجردها وبه قال الليث بن سعد قلت سمعت شيخنا الحافظ المنذري الشافعي
ابا محمد بن عبد العظيم يقول انما اعطاه النبي صلى الله عليه وسلم السلب بشهادة الاسود بن خزاعي
وعبد الله بن انيس وعلى هذا يرتفع الانزاع ويزول الاشكال ويطرد الحكم واما المالكية فيخرج
على قولهم انه لا يحتاج الامام فيه الى بينة لانه من الامام ابتداء عطية فان شرط الشهادة كان له
وان لم يشترط جاز ان يعطيه من غير شهادة السابعة واختلفوا في السلب ما هو فاما السلاح
وكل ما يحتاج للقتال فلا خلاف انه من السلب وفرسه ان قاتل عليه وصرع عنه وقال احمد
في الفرس ليس من السلب وكذلك ان كان في هميانه او في منطقته دنانير او جواهر او نحو هذا
فلا خلاف انه ليس من السلب واختلفوا فيما يتزين به في الحرب فقال الاوزاعي ذلك كله من
السلب وقالت فرقة ليس من السلب وهذا مروي عن سحنون رحمه الله الا المنطقة فانه
عنده من السلب وقال ابن حبيب في الواضحة والسواران من السلب الثامنة قوله تعالى
فان لله خمسه قال ابو عبيد هذا ناسخ لقوله في اول السورة قل الانفال لله والرسول ولم
يخمس رسول الله صلى الله عليه وسلم غنايم بدر فنسخ حكمه في ترك التخميس بهذه الاية انه
يظهر من قول علي رضي الله عنه في صحيح مسلم كان لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني شارفا من الخمس يومئذ الحديث انه خمس فان كان هذا فقول ابي
عبيد مردود قال ابن عطية ويحتمل ان يكون الخمس الذي ذكر من احدى الغزوات التي كانت بين بدر
وغزوة المصطلق وغزوة ذي العشيرة وغزوة بحران ولم يحفظ فيهما قتال ولكن يمكن غنمت غنايم والله
اعلم قلت وهذا التاويل يرده قول علي يومئذ واشار الى يوم قسم غنايم بدر الا انه يحتمل ان يكون
من الخمس اذ كان لم يقع في بدر تخميس من خمس سرية عبد الله بن جحش فانها اول غنيمة غنمت في الاسلام
واول خمس كان في الاسلام ثم نزل القران واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وهذا اولى من التاويل
الاول والله اعلم التاسعة ما في قوله ما غنمتم بمعنى الذي والهاء محذوفة اي الذي غنمتموه و
دخلت الفاء لان في الكلام معنى المجازاة وان الثانية توكيد للاولى ويجوز كسرها وروي عن ابي
عمرو قال الحسن هذا مفتاح كلام الله في الدنيا والاخرة ذكره النسائي واستفتح عز وجل الكلام في
الفيء والخمس بذكر نفسه لانهما اشرف الكسب ولم ينسب الصدقة اليه لانها اوساخ الناس العاشرة
واختلف العلماء في كيفية قسم الخمس على اقوال ستة الاول قالت طائفة يقسم الخمس على ستة فيجعل
السدس للكعبة وهو الذي لله والثاني للرسول عليه الصلاة والسلام والثالث لذوي القربى
والرابع لليتامى والخامس للمساكين والسادس لابن السبيل وقال بعض اصحاب هذا القول يرد السهم
الذي لله على ذوي الحاجة الثاني قال ابو العالية والربيع تقسم الغنيمة على خمسة فيعزل منها سهم واحد
وتقسم الاربعة على الناس ثم يضرب بيده في السهم الذي عزله على خمسة اسهم سهم للنبي صلى الله عليه وسلم
وسهم لذوي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل الثالث قال المنهال بن عمرو سالت
عبد الله بن محمد بن علي وعلي بن الحسين عن الخمس فقال هو لنا قلت لعلي ان الله يقول واليتامى والمساكين
وابن السبيل فقال ايتامنا ومساكيننا الرابع قال الشافعي يقسم على خمسة وراى ان سهم الله ورسوله
واحد وانه يصرف في مصالح المؤمنين والاربعة الاخماس على الاربعة الاصناف المذكورين في
الاية الخامس قال ابو حنيفة يقسم على ثلاثة اليتامى والمساكين وابن السبيل وارتفع عنده حكم
قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم دونه كما ارتفع حكم سهمه قالوا ويبدا من الخمس باصلاح
القناطر وبناء المساجد وارزاق القضاة والجند وروي نحو هذا عن الشافعي ايضا السادس
قال مالك هو موكول الى نظر الامام فياخذ منه من غير تقدير ويعطي منه القرابة باجتهاد و
يصرف الباقي في مصالح المسلمين وبه قال الخلفاء الاربعة وبه عملوا وعليه يدل قوله عليه
الصلاة والسلام ما لي مما افاء الله عليكم الا الخمس والخمس مردود عليكم فانه لم يقسمه اخماسا ولا
اثلاثا وانما ذكر في الاية على وجه التنبيه عليهم من هم من يدفع اليهم قال الزجاج محتجا لمالك قال
الله تعالى يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين
وابن السبيل وللرجل جائز باجماع ان ينفق في غير هذه الاصناف اذا راى ذلك وذكر النسائي عن
عطا قال خمس الله وخمس الرسول واحد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل منه ويعطي منه ويضعه
به ما شاء الحادية عشر قوله تعالى ولذي القربى ليست اللام لبيان الاستحقاق والملك وانما
هي للمحل والدليل عليه ما رواه مسلم ان الفضل بن عباس وربيعة بن عبد المطلب اتيا النبي صلى
الله عليه وسلم فتكلم احدهما فقال يا رسول الله انت ابر الناس واوصل الناس وقد بلغنا النكاح
فجئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقة فنؤدي اليك كما يؤدي الناس ونصيب كما يصيبون
فسكت طويلا حتى اردنا ان نكلمه قال وجعلت زينب تلمع الينا من وراء الحجاب ان لا تكلما
ان الصدقة لا تحل لال محمد انما هي اوساخ الناس ادعوا لي محمية وكان على الخمس ونوفل بن الحارث

بن المطلب قال فجاءاه فقال لمحمية انكح هذا الغلام ابنتك للفضل بن عباس وقال لنوفل بن الحارث
انكح هذا الغلام ابنتك يعني ربيعة بن المطلب وقال لمحمية اصدق عنهما من الخمس كذا وكذا وقال
صلى الله عليه وسلم ما لي مما افاء الله عليكم الا الخمس والخمس مردود عليكم وقد اعطى جميعه وبعضه
واعطى منه المؤلفة قلوبهم وليس ممن ذكرهم الله في التقسيم فدل على ما ذكرنا والموفق الاله انتهى
الثانية عشر واختلف العلماء في ذوي القربى على ثلاثة اقوال قريش كلها قاله بعض السلف لان
النبي صلى الله عليه وسلم لما صعد الصفا جعل يهتف يا بني فلان يا بني عبد المطلب يا بني كعب يا بني
مرة يا بني عبد شمس انقذوا انفسكم من النار الحديث وسياتي في الشعراء وقال الشافعي واحمد وابو
ثور ومجاهد وقتادة وابن جريج ومسلم بن خالد بنو هاشم وبنو عبد المطلب لان النبي صلى الله عليه
وسلم لما قسم سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني عبد المطلب قال انهم لم يفارقوني في جاهلية ولا
اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه اخرجه النسائي والبخاري قال
البخاري قال الليث حدثني يونس وزاد ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني
نوفل شيئا قال ابن اسحق وعبد شمس وهاشم والمطلب اخوة لام امهم عاتكة بنت مرة وكان
نوفل اخاهم لابيهم قال النسائي واسهم النبي صلى الله عليه وسلم لذوي القربى وسهم بنو هاشم وبنو
المطلب بينهم الغني والفقير وقد قيل انه للفقير منهم دون الغني كاليتامى وابن السبيل وهو
اشبه القولين بالصواب عندي والله اعلم والصغير والكبير والانثى سواء لان الله جعل ذلك
لهم وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وليس في الحديث انه فضل بعضهم على بعض الثالث
بنو هاشم خاصة قاله مجاهد وعلي بن الحسين وهو قول مالك والثوري والاوزاعي وغيرهم
الثالثة عشر لما بين الله جل ذكره حكم الخمس وسكت عن الاربعة الاخماس دل ذلك على انها
ملك للغانمين وبين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله وايما قرية عصت الله ورسوله فان
خمسها لله ولرسوله ثم هي لكم وهذا مما لا خلاف فيه بين الامة ولا بين الائمة على ما حكاه ابن
العربي في احكامه وغيره بيد ان الامام ان راى ان يمن على الاسرى بالاطلاق فعل وبطلت حقوق
الغانمين فيهم كما فعل عليه الصلاة والسلام بثمامة بن اثال وغيره وقال لو كان المطعم بن
عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى يعني اسارى بدر لتركتهم له اخرجه البخاري مكافاة له لقيامه
في شان الصحيفة وله ان يقتل جميعهم وقد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن ابي معيط
من بين الاسرى صبرا وكذلك النضر بن الحرث بالصفراء صبرا وهذا ما لا خلاف فيه وكان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم سهم كسهم الغانمين حضر او غاب وسهم الصفي يصطفي سيفا او سهما او خادما
او دابة وكانت صفية بنت حيي من الصفي من غنايم خيبر وكذلك ذو الفقار من الصفي
وقد انقطع بموته الا عند ابي ثور فانه راه باقيا للامام يجعله مجعل سهم النبي صلى الله عليه
وسلم وكانت الحكمة في ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يرون للرئيس ربع الغنيمة قال الشاعر
لك المرباع منها والصفايا ٭ وحكمك والنشيطة والفضول ٭ وقال اخر ٭ منا الذي ربع الجيوش
لصلبه ٭ عشرون وهو يعد في الاحياء ٭ يقال ربع الجيش يربعه رباعة اذا اخذ ربع الغنيمة
قال الاصمعي ربع في الجاهلية وخمس في الاسلام فكان يؤخذ بغير شرع ولا دين الربع من الغنيمة
ويصطفي منها ثم يتحكم بعده الصفي في اي شيء اراد وكان ما شذ منها وما فضل من خرثي ومتاع له
فاحكم الله سبحانه الدين بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وابقى سهم الصفي لنبيه
عليه الصلاة والسلام واسقط حكم الجاهلية وقال عامر الشعبي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم

سهم يدعى الصفي ان شاء عبدا او امة او فرسا يختاره قبل الخمس اخرجه ابو داود وفي حديث ابي هريرة قال
فيلقى العبد فيقول اي فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس
وتربع الحديث اخرجه مسلم تربع بالبلد بواحدة منهما تاخذ المرباع اي الربع مما يحصل لقومك من
الغنايم والكسب وقد ذهب بعض اصحاب الشافعي الى ان خمس الخمس كان للنبي صلى الله عليه وسلم يصرف
في كفاية اولاده ونسائه ويدخر من ذلك قوت سنة ويصرف الباقي في الكراع والسلاح او هذا
كله يرده ما روا عمر قال كانت اموال بني النضير مما افاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه
المسلمون بخيل ولا ركاب فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق على نفسه منها
قوت سنة وما بقي جعله عدة في الكراع والسلاح وسبيل الله اخرجه مسلم وقال والخمس مردود
عليكم الرابعة عشر ليس في كتاب الله تعالى دلالة على تفضيل الفارس على الراجل بل فيه انهم سواء
لان الله تعالى جعل الاخماس لهم ولم يخص راجلا من فارس ولولا الاخبار الواردة عن النبي
صلى الله عليه وسلم لكان الفارس كالراجل والعبد كالحر والصبي كالبالغ واختلف العلماء في قسمة
الاربعة الاخماس فالذي عليه عوام اهل العلم فيما ذكر ابن المنذر انه يسهم للفارس سهمين وللراجل
سهم وممن قال ذلك مالك بن انس ومن تبعه من اهل المدينة وكذلك قال الاوزاعي ومن
وافقه من اهل الشام وكذلك قال الثوري ومن وافقه من اهل العراق وهو قول الليث ابن
سعد ومن تبعه من اهل مصر وهو ابو يوسف القاضي صاحب ابي حنيفة وكذلك قال الشافعي
واصحابه وبه قال احمد بن حنبل واسحق وابو ثور ويعقوب ومحمد قال ابن المنذر ولا نعلم احدا خالف
ذلك الا النعمان فانه خالف فيه السنن وما عليه جل اهل العلم في القديم والحديث قال
لا يسهم للفرس الا سهم واحد قلت ولعله شبه عليه بحديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جعل للفارس سهمين وللراجل سهما اخرجه الدارقطني وقال قال الرمادي كذا يقول
ابن نمير قال لنا النيسابوري هذا عندي وهم من ابن ابي شيبة او من الرمادي لان احمد بن
حنبل وعبد الرحمن بن بشر وغيرهما رووا عن ابن نمير بخلاف هذا وهو ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اسهم لرجل ولفرسه ثلاثة اسهم سهما له وسهمين لفرسه هكذا رواه عبد الرحمن بن بشر
عن عبد الله ابن عمر عن نافع عن ابن عمر وذكر الحديث وفي صحيح البخاري عن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جعل للفرس سهمين ولصاحبه سهما وهذا نص وقد روي الدارقطني
عن الزبير قال اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر اربعة اسهم سهمين لفرسي وسهما
لي وسهما لامي من ذوي القربى في رواية وسهما لامه سهم ذوي القربى وخرج عن بشر بن عمرو بن
محصن قال اسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لفرسي اربعة اسهم ولي سهما فاخذت خمسة اسهم
وقيل ان ذلك راجع الى اجتهاد الامام فينفذ ما راى والله اعلم الخامسة عشر لا تفاضل بين
الفارس والراجل باكثر من فرس واحد وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة يسهم لاكثر من فرس
واحد لانه اكثر عناء واعظم منفعة وبه قال ابن الجهم من اصحابنا ورواه سحنون عن ابن
وهب ودليلنا انه لم ترد رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم بان لا يسهم لاكثر من فرس واحد
وكذلك الائمة بعده ولان العدو لا يمكن ان يقاتل الا على فرس واحد وما زاد على ذلك فرفاهية
وزيادة عدة وكذلك لا يؤثر في زيادة السهمان كالذي معه زيادة سيوف او رماح واعتبارا
بالثالث والرابع وقد روي عن سليمان بن موسى انه يسهم لمن كان عنده افراس لكل فرس سهم
السادسة عشر لا يسهم الا للعتاق من الخيل لما فيها من الكر والفر وما كان من البراذين والهجن

بنا بتها في ذلك وما لم يكن كذلك لم يسهم له وقيل ان اجازها الامام اسهم لها لان الانتفاع بها يختلف بحسب
المواضع فالهجن والبراذين تصلح للمواضع الوعرة كالشعاب والجبال والعتاق تصلح للمواضع التي يتاتى
فيها الكر والفر فكان ذلك متعلقا براي الامام والعتاق خيل العرب والهجن والبراذين خيل الروم والله اعلم
السابعة عشر واختلف علماؤنا في الفرس الضعيف فقال اشهب وابن نافع لا يسهم له لانه لا يمكن عليه
القتال الان فاشبه الكبير وقيل يسهم له لانه يرجى برؤه ولا يسهم للاعجف اذا كان في حيز ما لا
ينتفع به كما لا يسهم للكبير فاما المريض مرضا خفيفا مثل الرهيص وما يجري مجراه مما لا يمنعه
المرض عن حصول المنفعة المقصودة منه فانه يسهم له ويعطى للفرس المستعار والمستاجر وكذلك المغصوب
وسهمه لصاحبه ويستحق السهم للخيل وان كان في السفن ووقعت الغنيمة في البحر لانها معدة للنزول
في البر الثامنة عشر لا حق في الغنائم للحشوة كالاجراء والصناع الذين يصحبون الجيش للمعاش لانهم لم
يقصدوا قتالا ولا خرجوا مجاهدين وقيل يسهم لهم لقوله صلى الله عليه وسلم الغنيمة لمن شهد الوقعة
اخرجه البخاري وهذا لا حجة فيه فانه جاء بيانا لمن باشر الحرب وخرج منه وكفى بيانا الله تعالى
القاتلين واهل المعاش من المسلمين حيث جعلهم فرقتين متميزتين لكل واحدة حالها في حكمها فقال
علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون
في سبيل الله الا ان هؤلاء اذا قاتلوا لا يضرهم كونهم على معاشهم لان سبب الاستحقاق قد وجد منهم
قال اشهب لا يستحق احد منهم وان قاتل وبه قال ابن القصار في الاجير لا يسهم له وان قاتل وهذا يرده
حديث سلمة بن الاكوع قال كنت تبيعا لطلحة بن عبيد الله اسقي فرسه واحسه واخدمه واكل من
طعامه الحديث وفيه ثم اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمين سهم الفارس والراجل فجمعهما
لي اخرجه مسلم واحتج ابن القصار ومن قال بقوله بحديث عبد الرحمن بن عوف ذكره عبد الرزاق
وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن هذه الثلاثة دنانير حظه ونصيبه
من غزوته في امر دنياه واخرته التاسعة عشر فاما العبيد والنساء فمذهب الكتاب انه لا
يسهم لهم ولا يرضخ وقيل يرضخ لهم قاله جمهور العلماء وقال الاوزاعي ان قاتلت المراة اسهم لها
وزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهم للنساء يوم خيبر قال واخذ المسلمون بذلك عندنا
والى هذا القول مال ابن حبيب من اصحابنا خرج مسلم عن ابن عباس انه كان في كتابه الى نجدة
تسالني هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بالنساء وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى
ويحذين من الغنيمة واما بسهم فلم يضرب لهن واما الصبيان فان كان مطيقا للقتال ففيه
عندنا ثلاثة اقوال الاسهام ونفيه حتى يبلغ لحديث ابن عمر وبه قال ابو حنيفة والشافعي
والتفرقة بين ان يقاتل فيسهم له او لا يقاتل فلا يسهم له والصحيح الاول لامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بني قريظة ان يقتل منهم من انبت ويخلى من لم ينبت وهذه مراعاة لاطاقة القتال
لا للبلوغ وقد روى ابو عمر في الاستيعاب عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعرض عليه الغلمان من الانصار فيلحق من ادرك منهم فعرضت عليه وغلاما فالحق غلاما وردني
فقلت يا رسول الله الحقته ورددتني ولو صارعني صرعته قال فصارعني فصرعته فالحقني فاما
العبيد فلا يسهم لهم ايضا ويرضخ لهم الموفية عشرون الكافر اذا حضر باذن الامام وقاتل ففي
الاسهام ونفيه وبه قال مالك وابن القاسم زاد ابن حبيب ولا نصيب لهم ويفرق في الثالث وهو
لسحنون بين ان يستقل المسلمون بانفسهم فلا يسهم لهم او لا يستقلون ويفتقر الى معونته فيسهم
له وان لم يقاتل فلا يستحق وكذلك العبيد مع الاحرار وقال الثوري والاوزاعي اذا استعين

باهل الذمة اسهم لهم وقال ابو حنيفة واصحابه لاسهم لهم ولكن يرضخ وقال الشافعي يستاجر الامام
من مال لا مالك له بعينه فان لم يفعل اعطاهم سهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال في موضع اخر يرضخ
للمشركين اذا قاتلوا مع المسلمين قال ابو عمر اتفق الجميع ان العبد وهو ممن يجوز امانه اذا قاتل لم يسهم له
ولكن يرضخ فالكافر بذلك اولى ان لا يسهم له الحادية والعشرون لو خرج العبيد واهل الذمة لصوصا
واخذوا اما لاهل الحرب فهو لهم ولا يخمس لانه لم يدخل في عموم قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء
اخذ منهم ولا من النساء فاما الكفار فلا مدخل لهم من غير خلاف وقال سحنون لا يخمس ما ينوب العبد
وقال ابن القاسم يخمس لانه يجوز ان ياذن له سيده في القتال ويقاتل على الدين بخلاف الكافر
وقال اشهب في كتاب محمد اذا خرج العبد والذمي من الجيش وغنما فالغنيمة للجيش دونهم والله اعلم
الثانية والعشرون سبب استحقاق السهم شهود الوقعة لنصر المسلمين على ما تقدم فلو حضر اخر الوقعة
استحق ولو حضر بعد انقضاء القتال فلا ولو غاب بانهزام فكذلك وان كان قصد التحيز الى فيه
فلا يسقط استحقاقه روى البخاري وابو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابان بن سعيد
على سرية من المدينة قبل نجد فقدم ابان بن سعيد واصحابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر
بعد ان فتحها وان حزم خيلهم ليف فقال ابان اقسم لنا يا رسول الله فقال ابان انت بها يا وبر تحدر
علينا من راس ضال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلس ابان ولم يقسم لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم انتهى الثالثة والعشرون واختلف العلماء فيمن خرج لشهود الوقعة فمنعه العذر منه
كمرض ففي ثبوت الاسهام له ونفيه ثلاثة اقوال يفرق في الثالث وهو المشهور فيثبته ان كان الضلال
قبل القتال وبعد الارداف وهو الاصح قاله ابن العربي وبنفيه ان كان قبله ولمن بعثه الامير من
الجيش في امر من مصلحة الجيش فشغله ذلك عن شهود الوقعة فانه يسهم له قاله ابن المواز ورواه
ابن وهب ونافع عن مالك وروي لا يسهم له بل يرضخ لعدم السبب الذي يستحق به السهم والله
اعلم وقال اشهب يسهم للاسير وان كان في الحديد والصحيح ان لا يسهم له لانه ملك مستحق
بالقتال فمن غاب او حضر مريضا كان لم يحضر الرابعة والعشرون الغائب المطلق لا سهم له لانه
ولم يسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لغائب قط الا يوم خيبر فانه اسهم لاهل الحديبية من
حضر منهم ومن غاب لقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها قاله موسى بن عقبة وروي
ذلك عن جماعة من السلف وقسم يوم بدر لعثمان ولسعيد بن زيد ولطلحة وكانوا غائبين فهم
كمن حضرها ان شاء الله تعالى فاما عثمان فانه تخلف على رقية ابنة رسول الله بامره من
اجل مرضها فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه واجره فكان كمن شهدها واما طلحة
بن عبيد الله فكان بالشام في تجارة فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه واجره فيعد
كذلك في اهل بدر واما سعيد بن زيد فكان غائبا بالشام ايضا فضرب له رسول الله صلى الله
عليه وسلم واجره فهو معدود في البدريين قال ابن العربي اما اهل الحديبية فكان ميعادا من الله
اختص به اولئك النفر فلا يشاركهم فيه غيرهم واما عثمان وسعيد وطلحة فيحتمل ان يكون
اسهم لهم من الخمس لان الامة مجمعة على ان من بقي لعذر فلا يسهم له قلت الظاهر ان ذلك مخصوص
بعثمان وطلحة وسعيد فلا يقاس عليهم غيرهم وان سهمهم كان من صلب الغنيمة كسائر من حضرها
لا من الخمس هذا الظاهر من الحديث والله اعلم وقد روى البخاري عن ابن عمر قال لما تغيب عثمان عن
بدر فانه كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم ان لك اجر رجل شهد بدرا وسهمه الخامسة والعشرون ان كنتم امنتم بالله قال

الزجاج

الزجاج عن فرقة المعنى فاعلموا ان الله مولاكم ان كنتم امنتم بالله فان متعلقة بهذا الوعد قالت فرقة ان
متعلقة بقوله واعلموا انما غنمتم قال ابن عطية وهذا هو الصحيح لان قوله واعلموا يتضمن الامر بالانقياد
والتسليم لامر الله تعالى في الغنائم فعلق ان بقوله واعلموا على هذا المعنى اي ان كنتم مؤمنين بالله
فانقادوا وسلموا لامر الله فيما اعلمكم من حال قسمة الغنيمة قوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم
الفرقان يوم التقى الجمعان ما في موضع خفض عطف على اسم الله تعالى يوم الفرقان اي اليوم الذي
فرقت فيه بين الحق والباطل وهو يوم بدر يوم التقى الجمعان حزب الله وحزب الشيطان قوله تعالى
اذ انتم بالعدوة الدنيا اي انزلنا اذ انتم على هذه الصفة او يكون المعنى واذكروا اذ انتم والعدوة
جانب الوادي وقرئ بضم العين وكسرها فعلى الضم يكون ما يجمع عدى وعلى الكسر عدى مثل لحية
ولحى وفرية وفرى والدنيا تانيث الادنى والقصوى تانيث الاقصى من دنا يدنو وقصا يقصو و
يقال القصيا والاصل الواو وهي لغة اهل الحجاز قصوى فالدنيا كانت مما يلي المدينة والقصوى
مما يلي مكة اي انتم نزول بشفير الوادي بالجانب الادنى من المدينة وعدوكم بالجانب الاقصى والركب
اسفل منكم يعني ركب ابي سفيان وغيره كانوا في موضع اسفل منهم اي ساحل البحر فيه الامتعة وقيل هي
الابل التي كانت تحمل امتعتهم وكانت في موضع يامنون عليها توفيقا من الله عز وجل لهم فذكرهم
نعمه عليهم الركب ابتدا اسفل منكم ظرف في موضع الخبر اي مكانا اسفل منكم واجاز الاخفش والكسائي
والفراء اي اشد سفلا منكم والركب جمع راكب ولا تقول العرب ركب الا للجماعة الراكبين الابل
وحكى ابن السكيت واكثر اهل اللغة انه لا يقال راكب وركب الا للذي على الابل ولا يقال لمن كان
على فرس او غيرها راكب والركب والاركب والركبان والراكبون لا يكونون الا على جمال عن ابن
فارس ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لم يقع الاتفاق لكثرتهم وقلتكم فانكم لو عرفتم كثرتهم
لتخلفتم فوفق الله عز وجل لكم ليقضي الله امرا كان مفعولا من نصر المؤمنين واظهار الدين واللام
في ليقضي متعلقة بمحذوف والمعنى جمعهم ليقضي الله امرا ثم كررها فقال ليهلك من هلك اي جمعهم
ليقضي امرا ليهلك من هلك في موضع رفع ويحيى في موضع نصب عطف على ليهلك والبينة اقامة
الحجة والبرهان اي ليموت من يموت عن بينة راها وعبرة عاينها وكذلك حياة من يحيى وقال
ابن اسحق ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه وقطعت عذره ويومن من امن على ذلك وقرئ
من حيي بيائين على الاصل وبياء واحدة مشددة الاولى قراءة اهل المدينة والبزي وابي بكر
والثانية قراءة الباقين وهي اختيار ابي عبيد لانها كذلك وقعت في المصحف قوله تعالى اذ يريكهم
الله في منامك قليلا قال مجاهد راهم النبي صلى الله عليه وسلم في منامه قليلا فقص ذلك على اصحابه
فثبتهم الله بذلك وقيل عني بالمنام محل النوم والعين اي في موضع منامك فحذف عن الحسن
قال الزجاج هذا مذهب حسن ولكن الاول اسوغ في العربية لانه قد جاء واذ يريكموهم اذ التقيتم
في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم فدل بهذا على ان هذه رؤية الالتقاء وان تلك رؤية النوم
ومعنى لفشلتم لجبنتم عن الحرب ولتنازعتم في الحرب اختلفتم ولكن الله سلم اي سلمكم من المخالفة ابن
عباس من الفشل ويحتمل منهما وقيل سلم اي اتم امر المسلمين بالظفر قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في
اعينكم قليلا هذا في اليقظة ويجوز حمل الاول على اليقظة ايضا اذا قلت المنام موضع النوم
وهو العين فيكون الاولى على هذا خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهذه للجميع قال ابن مسعود
قلت لانسان كان بجانبي يوم بدر اتراهم سبعين فقال هم نحو المائة فاسرنا رجلا فقلنا كم كنتم
قال الفا ويقللكم في اعينهم كان هذا في ابتداء القتال حتى قال ابو جهل في ذلك اليوم انما هم

اكلة جزور نخذوهم اخذا فلما اخذوا فى القتال عظم المسلمون فكثروا فى اعينهم كما قال يرونهم مثليهم
راي العين حسب ما تقدم فى ال عمران بيانه ليقضى الله امرا كان مفعولا تكرر هذا لان المعنى فى الاول
من اللقاء وفى الثانى من قتل المشركين واعزاز الدين وهو اتمام النعمة على المسلمين والى الله ترجع
الامور اي مصيرها ومردها اليه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا امر بالثبات
فى قتال الكفار كما فى الاية قبلها النهي عن الفرار عنهم فالتقى الامر والنهي على سواء وهذا تاكيد على
الوقوف على العدو والتجلد له قوله تعالى واذكروا الله كثيرا للعلماء فى هذا الذكر ثلاثة اقوال
الاول اذكروا الله عند جزع قلوبكم فان ذكره يعين على الثبات فى الشدايد الثانى اثبتوا بقلوبكم
واذكروا بالسنتكم فان القلب قد يسكن عند اللقا ويضطرب اللسان فامر بالذكر حتى يثبت القلب
على اليقين ويثبت اللسان على الذكر ويقول ما قاله اصحاب طالوت ربنا افرغ علينا صبرا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وهذه الحالة لا تكون الا عن قوة المعرفة واتقاد البصيرة
وهي الشجاعة المحمودة فى الناس الثالث اذكروا ما عندكم من وعد الله تعالى لكم فى ابتياعه
انفسكم ومثامنته لكم قلت والاظهر انه ذكر اللسان الموافق للجنان قال محمد بن كعب القرظي
لو رخص لاحد فى ترك الذكر لرخص لزكريا يقول الله عز وجل الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا
واذكر ربك كثيرا ورخص للرجل ان يكون فى الحرب يقول الله عز وجل اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا
الله كثيرا قال قتادة افترض الله عز وجل ذكره على عباده اشغل ما يكون عند الضراب بالسيوف
وحكم هذا الذكر ان يكون خفيا لان رفع الصوت فى موطن القتال ردي مكروه اذا كان الغالظا
فاما اذا كان من الجميع عند الحملة فحسن لانه يفت اعضاد العدو روى ابو داود عن قيس ابن
عباد قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون الصوت عند القتال وروى
ابو بردة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وقال ابن عباس يكره التلثم عند القتال
قال ابن عطية والله اعلم استن المرابطون بطرحه عند القتال على صيانتهم به قوله تعالى واطيعوا
الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا انتصب بالفاء فى جواب النهي ولا يجيز سيبويه حذف الفاء
والجزم واجازه الكسائي وقرئ تفشلون بكسر الشين وهو غير معروف وتذهب ريحكم اي قوتكم
ونصركم كما تقول الريح لفلان اذا كان غالبا فى الامر قال الشاعر اذا هبت رياحك فاغتنمها
فان لكل عاصفة سكون وقال قتادة وابن زيد انه لم يكن نصر قط الا بريح فتضرب فى
وجوه الكفار ومنه قوله عليه الصلاة والسلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور قال الحكم
وتذهب ريحكم يعني الصبا اذ بها نصر محمد صلى الله عليه وسلم وامته قال مجاهد وذهب ريح اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم احد قوله تعالى واصبروا امر بالصبر وهو محمود فى كل المواطن
وخاصة موطن الحرب كما قال اذا لقيتم فئة فاثبتوا قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من
ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم
الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص
على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب
اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله
عزيز حكيم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا
عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد كدأب ال فرعون
والذين من قبلهم كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب

ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم
كدأب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون
وكل كانوا ظالمين قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس يعني ابا جهل
واصحابه الخارجين يوم بدر لنصرة العير خرجوا بالقيان والمغنيات والمعازف فلما وردوا
الجحفة بعث خفاف الكناني وكان صديقا لابي جهل بهدايا اليه مع ابن له وقال ان شئت امددتك
بالرجال وان شئت امددتك بنفسي مع من خف من قومي فقال ابو جهل ان كنا نقاتل الله كما يزعم
محمد فوالله ما لنا بالله وان كنا نقاتل الناس فوالله ان بنا على الناس لقوة والله لا نرجع عن
قتال محمد حتى نرد بدرا فنشرب فيها الخمور وتعزف علينا القيان فان بدرا موسم من مواسم العرب
وسوق من اسواقهم حتى تسمع العرب بمخرجنا فتهابنا الى الابد فوردوا بدرا ولكن جرى ما جرى
من هلاكهم والبطر فى اللغة التقوية بنعم الله عز وجل وما البسه من العافية على المعاصي
وهو مصدر فى موضع الحال اي خرجوا بطرين مرائين مادين ومدهم اضلال الناس قوله تعالى
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم روي ان الشيطان تمثل لهم فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم
وهو من بني بكر بن كنانة وكانت قريش تخاف من بني بكران ياتوهم من ورائهم لانهم قتلوا
رجلا منهم فلما تمثل لهم قال ما اخبر الله عنه وقال الضحاك جاءهم ابليس يوم بدر برايته وجنوده
والقى فى قلوبهم انهم لم ينهزموا وهم يقاتلون على دين ابائهم وعن ابن عباس قال امد الله نبيه
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالف من الملائكة فكان جبريل عليه السلام فى خمسمائة مجنبة
وميكائيل بخمسمائة مجنبة وجاء ابليس فى جند من الشياطين ومعه رايته فى صورة رجال من
بني مدلج والشيطان فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم
اليوم من الناس واني جار لكم فلما اصطف القوم قال ابو جهل اللهم اولانا بالحق فانصره ورفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال يا رب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الارض
ابدا فقال جبريل خذ قبضة من التراب فاخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فما من المشركين
احد الا اصاب عينيه ومنخريه وفمه فولوا مدبرين واقبل جبريل عليه السلام الى ابليس فلما
راه كانت يده فى يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل
يا سراقة الم تزعم انك جار لنا قال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون ذكره البيهقي وغيره وفي
الموطا مالك عن ابراهيم ابن ابي عبلة عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما راي الشيطان يوما هو فيه اصغر ولا احقر ولا ادحر ولا اغيظ منه فى يوم
عرفة وما ذاك الا لما يرى من تنزل رحمة الله وتجاوزه عن الذنوب العظام الا ما راى
يوم بدر قيل وما راى يوم بدر يا رسول الله قال اما انه راى جبريل يزع الملائكة ومعنى
نكص رجع نقله سليم عن مؤرج وغيره وقال الشماخ، ليس النكوص على الادبار مكرمة، ان
المكارم اقدام على الاسل، وقال اخر، وما نفع المستاخرين نكوصهم، ولا ضر اهل السابقات التقدم،
وليس هاهنا قهقرى بل هو فرار كما قال اذا سمع الاذان ادبر وله ضراط اني اخاف الله قيل خاف
ابليس ان يكون يوم بدر اليوم الذي انظر اليه وقيل كذب ابليس فى قوله اني اخاف الله ولكن علم
انه لا قوة له ويجمع جار لكم اجوار وجيران وفى القليل جيرة قوله تعالى اذ يقول المنافقون
والذين فى قلوبهم مرض قيل المنافقون الذين اظهروا الايمان وابطنوا الكفر والذين فى
قلوبهم مرض الشاكون وهم دون المنافقين لانهم حديث عهد بالاسلام وفيهم بعض ضعف

نيته وقيل هما واحد وهو اولى الا ترى الى قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب ثم قال والذين يؤمنون
بما انزل اليك وهما كواحد قوله تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة قيل اراد من بقي ولم
يقتل يوم بدر وقيل هي فيمن قتل ببدر وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا عظيما يضربون في
موضع الحال وجوههم وادبارهم اي استاههم كنى عنها بالادبار وقاله مجاهد وسعيد بن جبير الحسن
ظهورهم وقال ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى رايت بظهر ابي جهل مثل الشراك
قال ذلك ضرب الملائكة وقيل هذا الضرب يكون عند الموت وقد يكون يوم القيمة حين يسيرون
بهم الى النار وذوقوا عذاب الحريق قال الفراء المعنى ويقولون ذوقوا فحذف وقال الحسن هذا يوم
القيمة تقول لهم خزنة جهنم ذوقوا عذاب الحريق وروي في بعض التفاسير انه كان مع الملائكة
مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار في الجراحات فذلك قوله وذوقوا عذاب الحريق وروي
في بعض التفاسير وقد يوضع موضع الابتلاء والاختبار تقول اركب هذا الفرس نذقه وانظر فلانا
نذوه عنده قال الشماخ يصف فرسا فذاق فاعطته من اللين جانبا كفى ولها ان يغرق السهم
حاجز واصله من الذوق بالفم ذلك في موضع رفع اي الامر ذلك او ذلك جزاؤكم بما قدمت
ايديكم اي اكتسبتم من الاثام وان الله ليس بظلام للعبيد اذ قد اوضح السبيل وبعث الرسل فلم خالفتم
وان في موضع خفض عطف على ما وان شئت نصبت بمعنى وبان وحذفت الباء او بمعنى ان الله
ويجوز ان يكون في موضع رفع نسقا على ذلك قوله تعالى كداب ال فرعون الداب العادة وقد
تقدم في ال عمران اي العادة في تعذيبهم عند قبض الارواح وفي القبور كعادة ال فرعون وقيل
المعنى جوزي هؤلاء بالقتل والسبي كما جوزي ال فرعون بالغرق اي دابهم كداب ال فرعون ذلك
بان الله لم يك مغيرا تعليل اي هذا العقاب لانهم غيروا وبدلوا ونعمة الله على قريش الخصب
والسعة والامن والعافية اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم الاية وقال
السدي نعمة الله عليهم محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به فنقل الى المدينة وحل بالمشركين العقاب
كداب ال فرعون ليس هذا بتكرير لان الاول للعادة في التكذيب والثاني للعادة في التغيير
وباقي الاية بين قوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت
منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من
خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا
يحب الخائنين ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون واعدوا لهم ما
استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم
لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون
وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا ان يخدعوك
فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت
ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم يا ايها النبي
حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان
يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين
كفروا بانهم قوم لا يفقهون الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة
يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين قوله تعالى
ان شر الدواب عند الله اي من يدب على وجه الارض في علم الله تعالى وحكمه الذين كفروا فهم

لا يؤمنون نظيره الصم البكم الذين لا يعقلون ثم وصفهم فقال الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم
في كل مرة وهم لا يتقون اي لا يخافون الانتقام ومن في قوله منهم للتبعيض لان العهد انما كان يجري
مع اشرافهم ثم ينقضونه والمعنى بهم قريظة والنضير في قول مجاهد وغيره نقضوا العهد فاعانوا
مشركي مكة بالسلاح ثم اعتذروا وقالوا نسينا فعاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانية فنقضوا
يوم الخندق قوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم شرط وجوابه ودخلت النون
توكيدا لما دخلت ما هذا قول البصريين وقال الكوفيون تدخل النون الثقيلة والخفيفة مع اما في
المجازاة والتخيير ومعنى تثقفنهم تاسرهم وتجعلهم في ثقاف وتلقاهم يقال ثقفته اثقفه ثقفا
اي وجدته وفلان ثقف لقف اي سريع الوجود لما يحاوله ويطلبه وثقف لقف وامراة ثقاف
والقول الاول اولى لارتباطه بالاية كما بينا والمصادمة قد يغلب فيمكن التثقيف وقد لا يغلب
والثقاف في اللغة ما تشد به القناة ونحوها ومنه قول النابغة تدعو قعينا وقد عض الحديد
بها عض الثقاف على صم الانابيب فشرد بهم من خلفهم قال سعيد بن جبير المعنى انذر بهم من خلفهم
قال ابو عبيد هي لغة قريش شرد بهم سمع بهم وقال الضحاك نكل بهم الزجاج افعل بهم من القتل
تفرق به من خلفهم والتشريد في اللغة التبديد والتفريق يقال شردت بني فلان قلعتهم عن
مواضعهم وطردتهم عنها حتى فارقوها وكذلك الواحد تقول تركته شريدا عن وطنه واهله قال
الشاعر بني مثل الحوف كل يوم مخافة ان يشرد بي حكيم ومنه شرد البعير والدابة اذا فارق صاحبه
ومن بمعنى الذي قاله الكسائي وروي عن ابن مسعود فشرذ بالذال معجمة وهما لغتان وقال قطرب
التشريذ بالذال المعجمة هو التنكيل وبالدال المهملة التفريق حكاه الثعلبي وقال المهدوي الذال
لا وجه لها الا ان تكون بدلا من الدال لتقاربهما ولا يعرف فشرذ في اللغة وقرئ من خلفهم بكسر الميم
والفاء لعلهم يذكرون اي يتذكرون بوعدك اياهم وقيل هذا راجع الى من خلفهم لان من قبل لا يتذكر
اي شرد بهم من خلفهم من عمل بمثل عملهم قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فيه ثلاث مسائل
الاولى قوله واما تخافن من قوم خيانة وهذه الاية نزلت في بني قريظة وحكاه الطبري عن
مجاهد قال ابن عطية والذي يظهر من الفاظ القران ان امر بني قريظة انقضى عند قوله فشرد
بهم من خلفهم ثم ابتدا تبارك وتعالى في هذه الاية يامره بما يصنعه في المستقبل مع من يخاف
خيانته فترتب فيهم هذه الاية وانما كانت خيانتهم ظاهرة انتهى الثانية قال ابن العربي
فان قيل كيف يجوز نقض العهد مع ظن الخيانة فالجواب من وجهين احدهما ان الخوف قد ياتي بمعنى
اليقين كما قد ياتي الرجا بمعنى العلم قال الله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا الثاني اذا ظهر
اثار الخيانة وثبتت دلائلها وجب نبذ العهد لئلا يوقع التمادي عليه في الهلكة وجاز اسقاط
اليقين هنا ضرورة واما اذا علم اليقين فيستغنى عن نبذ العهد اليهم وقد سار النبي صلى الله عليه
وسلم الى اهل مكة عام الفتح لما اشتهر منهم نقض العهد من غير ان ينبذ اليهم عهدهم والنبذ
الرمي والرفض قال الازهري معناه اذا عاهدت قوما فعلمت منهم النقض بالعهد فلا توقع بهم
سابقا الى النقض حتى تلقي اليهم انه قد نقضت العهد والموادعة فيكونوا في علم النقض مستوين
ثم اوقع بهم قال النحاس هذا من معجز ما جاء في القران مما لا يوجد في الكلام مثله على اختصاره
وكثرة معانيه والمعنى واما تخافن من قوم بينك وبينهم عهد خيانة فانبذ اليهم العهد
اي قل لهم قد نبذت اليكم عهدكم وانا مقاتلكم ليعلموا ذلك فيكونوا معك في العلم سواء ولا
تقاتلهم وبينك وبينهم عهد وهم يثقون بك فيكون ذلك خيانة وغدرا ثم بين هذا بقوله ان الله

لا يحب الخائنين قلت ما ذكره الازهري والنحاس من انباذ العهد مع العلم بنقضه فيرده فعل النبي
صلى الله عليه وسلم في فتح مكة فانهم لما نقضوا لم يوجه اليهم بل قال اللهم اقطع خبرنا عنهم وغزاهم وهو
ايضا معنى الاية لان في قطع العهد منهم ونكثه مع العلم به حصول نقض عهدهم والاستواء معهم فاما مع
غير العلم بنقض العهد منهم فلا يحل ولا يجوز روى الترمذي وابو داود عن سليم بن عامر قال كان بين
معاوية والروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى ينقضي العهد فغزاهم فجاءه رجل على فرس او برذون
وهو يقول الله اكبر فنظروا فاذا هو عمرو بن عبسة فارسل اليه معاوية فسأله فقال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي امدها او
ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية بالناس قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح والسواء المساوات
والاعتدال قال الراجز فاضرب وجوه الغدر للاعدا حتى يجيبون الى السواء قال الكسائي السواء
العدل وقد يكون بمعنى الوسط ومنه قوله في سواء الجحيم ومنه قول حسان يا ويح انصار النبي
ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد الفراء ويقال فانبذ اليهم على سواء جهرا لا سرا روى مسلم
عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيمة يعرف له بقدر
غدرته الا ولا غادر اعظم غدرا من امير عامة قال علماؤنا رحمهم الله انما كان الغدر في حق الامام
اعظم وافحش منه في غيره لما في ذلك من المفسدة فانهم اذا غدروا وعلم ذلك منهم ولم ينبذوا لم
يامنهم العدو على عهد ولا صلح فتشتد شوكته ويعظم ضرره ويكون ذلك منفرا عن الدخول في الدين
وموجبا لذم ائمة المسلمين فاما اذا لم يكن للعدو عهد فينبغي ان يتحيل عليه بكل حيلة ويدار
عليه كل خديعة وعليه يحمل قوله عليه الصلاة والسلام الحرب خدعة وقد اختلف العلماء هل
يجاهد مع الامام الغادر على قولين فذهب اكثرهم الى انه لا يقاتل معه بخلاف الخائن والفاسق
وذهب بعضهم الى الجهاد معه والقولان في مذهبنا قوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا اي
من افلت من وقعة بدر سبق الى الحياة ثم استانف فقال انهم لا يعجزون اي في الدنيا حتى يظفرك
الله بهم وقيل في الاخرة وهو قول الحسن وقرا ابن عامر وحفص وحمزة يحسبن بالياء والباقون
بالتاء على ان يكون في الفعل ضمير والذين كفروا مفعول اول سبقوا مفعول ثان واما قراءة الياء
فزعم جماعة من النحويين منهم ابو حاتم ان هذا لحن لا تحل القراءة به ولا تسع لمن عرف الاعراب
او عرفه قال ابو حاتم لانه لم يات يحسبن بمفعول وهو يحتاج الى مفعولين قال النحاس وهذا
تحامل شديد القراءة بالتاء ابين المهدوي ومن قرء بالياء احتمل ان يكون في الفعل ضمير النبي صلى الله
عليه وسلم ويكون الذين كفروا انفسهم سكنوا مكي ويجوز ان تضمر مع سبقوا فهو مثل احسب الناس ان
يتركوا في ان سد مسد المفعولين وقرء ابن عامر انهم لا يعجزون بفتح الهمزة واستبعد هذه
القراءة ابو حاتم وابو عبيد قال ابو عبيد وانما يجوز ان يكون المعنى ولا تحسبن الذين كفروا
سبقوا انهم لا يعجزون قال النحاس الذي ذكره ابو عبيد لا يجوز عند النحويين البصريين حسبت
زيدا انه خارج الا بكسر ان وانما لم يجز لانه في موضع المبتدا كما تقول حسبت زيدا ابوه خارج وهذا
محال وفيه ايضا من البعد انه لا وجه لتوجيه حرف في كتاب الله عز وجل الى الشذوذ بغير حجة
يجب التسليم لها والقراءة جيدة على ان يكون المعنى لانهم لا يعجزون اي لا يفوتون فان في موضع
نصب لحذف اللام او في موضع خفض على اعمال اللام لكثرة حذفها مع ان وهو يروى عن الخليل
والكسائي وقرا الباقون بكسر ان على الاستيناف والقطع مما قبله وهو الاختيار لما فيه من معنى
التاكيد ولان الجماعة عليه وروى عن ابن محيصن انه قرا لا يعجزون بالتشديد وكسر النون النحاس

وهذا خطأ من وجهين احدهما ان معنى عجزه ضعفه وضعف امره والاخر انه كان يجب ان يكون بنونين
ومعنى اعجزه سبقه وفاته حتى لم يقدر عليه قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن
رباط الخيل الى قوله تعلمون فيه خمس مسائل الاولى قوله واعدوا لهم امر الله سبحانه المؤمنين
باعداد الغزاة للاعداء بعد ان اكد تقدمة التقوى ولكنه اراد ان يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه
السابق وقضائه النافذ وكلما تعدد لصديقك من خير او لعدوك من شر فهو داخل في عدتك
قال ابن عباس القوة هنا السلاح والقسي وفي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم ارضون ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان يلهو باسهمه وقال صلى الله
عليه وسلم كل شيء يلهو به الرجل باطل الا رمية بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته اهله فانه من
الحق ومعنى هذا والله اعلم ان كل ما يتلهى به الرجل مما لا يفيده في العاجل ولا في الاجل فايدة فهو
باطل فالاعراض عنه اولى وهذه الامور الثلاثة فانه وان كان يفعلها على انه يتلهى بها وينشط
فانها حق لاتصالها بما قد يفيد فان الرمي بالقوس وتاديب الفرس جميعا من معاون القتال و
ملاعبة الاهل قد تودي الى ما يكون عنه ولد يوحد الله ويعبده فلهذا كانت الثلاثة من
الحق وفي سنن ابي داود والترمذي والنسائي عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله يدخل ثلاثة نفر الجنة بسهم واحد صانعه يحتسب في صنعه الخير والرامي ومنبله
وفضل الرمي عظيم ومنفعته عظيمة للمسلمين ونكايته شديدة على الكافرين قال صلى الله عليه
وسلم يا بني اسماعيل ارموا فان اباكم كان راميا وتعلموا الفروسية واستعمال الاسلحة فرض كفاية
وقد يتعين الثانية قوله تعالى ومن رباط الخيل وقرء الحسن وعمرو بن دينار وابو حيوة ومن
ربط الخيل بضم الراء والباء جمع رباط ككتاب وكتب قال ابو حاتم عن ابن زيد الرباط من الخيل
الخمس فما فوقها وجماعته ربط وهي التي ترتبط يقال منه ربط يربط ربطا وارتبط يرتبط ارتباطا
ومربط الخيل ومرابطها وهي ارتباطها بازاء العدو قال الشاعر امر الاله بربطها لعدوه
في الحرب ان الله خير موفق وقال مكحول بن عبد الله تلوم على ربط الجياد وحبسها واوصى
بها الله النبي محمدا ورباط الخيل فضل عظيم ومنزلة شريفة وكان لعروة البارقي سبعين فرسا
معدة للجهاد والمستحب منها الاناث قاله عكرمة وجماعة وهو الصحيح فان الانثى بطنها
كنز وظهرها عز وفرس جبريل كان انثى روى الائمة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الخيل ثلاثة لرجل اجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر ولم يخص ذكرا من انثى واجودها اعظمها
اجرا واكثرها نفعا وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الرقاب افضل فقال اغلاها
ثمنا واكثرها نفعا وانفسها عند اهلها روى النسائي عن ابي وهب الجشمي وكانت له صحبة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسموا باسماء الانبياء واحب الاسماء الى الله عبد الله
وعبد الرحمن وارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها واكفالها وقلدوها ولا تقلدوها الاوتار
وعليكم بكل كميت اغر محجل او اشقر اغر محجل او ادهم اغر محجل وروى الثوري عن ابي قتادة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الخيل الادهم الاقرح الارثم طلق اليمين فان لم يكن ادهم
فكميت على هذه الشية ورواه الدارمي عن ابي قتادة ايضا ان رجلا قال يا رسول الله اني اريد
ان اشتري فرسا فايما اشتري قال ادهم ارثم محجل طلق اليد اليمنى او من الكميت على هذه
الشية تغنم وتسلم وكان عليه الصلاة والسلام يكره الشكال من الخيل والشكال ان يكون
الفرس في رجله اليمنى بياض وفي يده اليسرى او في يده اليمنى ورجله اليسرى خرجه مسلم عن

ابي هريرة ويذكران الفرس الذى قتل عليه الحسين بن علي رضي الله عنهما كان اشكل الثالثة فان
قيل ان قوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة يكفي فلم خص الخيل والرمي بالذكر قيل له ان الخيل لما
كانت هي اصل الحروب واوزارها التي عقد الخير في نواصيها وهي اقوى القوة واشد العدة وحصون
الفرسان وبها يجال في الميدان خصها بالذكر تشريفا واقسم بغبارها تكريما فقال والعاديات ضبحا
الاية ولما كانت السهام من انجع ما يتعاطى في الحروب والنكاية في العدو واقربها تناولا للارواح
خصها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذكر لها والتنبيه عليها ونظير هذا في التنزيل جبريل
وميكائيل ومثله كثير الرابعة وقد استدل بعض علمائنا بهذه الاية على جواز وقف الخيل والسلاح
واتخاذ الخزائن والخزان للاعداء وقد اختلف عن مالك في جواز وقف الخيل والسلاح والحيوان
كالخيل والابل على قولين المنع وبه قال ابو حنيفة والصحة وبه قال الشافعي وهو اصح لهذه الاية
لحديث ابن عمر في الفرس الذى حمل عليها في سبيل الله وقوله عليه الصلاة والسلام في حق خالد
واما خالد فانكم تظلمون خالدا فانه قد احتبس ادراعه في سبيل الله الحديث وما روي ان امراة
جعلت بعيرا في سبيل الله واراد زوجها الحج فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادفعيه
اليه ليحج عليه فان الحج من سبيل الله ولانه قال ينتفع به في وجه قربة فجاز ان يوقف كالرباع
وقد ذكر السهيلي في هذه الاية تسمية خيل النبي صلى الله عليه وسلم والة حربه من ارادها
وجدها في كتاب الاعلام الخامسة قوله تعالى ترهبون به عدو الله وعدوكم من اليهود وقريشا
وكفار العرب واخرين من دونهم يعني فارس والروم قاله السدى وقيل الجن وهو اختيار الطبري
وقيل المراد بذلك كله من لا تعرف عداوته قال السهيلي قيل هم قريظة وقيل هم من الجن وقيل
غير ذلك ولا ينبغي ان يقال شيء فيهم لان الله سبحانه قال واخرين من دونهم لا تعلمونهم
الله يعلمهم فكيف يدعي احد علما بهم الا ان يصح حديث جاء في ذلك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو قوله في هذه الاية هم الجن ثم قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان لا يخبل
احدا في دار فيها فرس عتيق وانما سمي عتيقا لانه قد تخلص من الهجانة وهذا الحديث اسنده
الحارث بن ابي اسامة عن ابن المليكي عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروي ان الجن لا تقرب دارا فيها فرس وانها تنفر من صهيل الخيل السادسة قوله تعالى
وما تنفقوا من خير اي تتصدقوا وقيل تنفقوا على انفسكم او خيلكم في سبيل الله يوف اليكم في الاخرة
الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة وانتم لا تظلمون قوله تعالى وان
جنحوا للسلم فاجنح لها فيه مسئلتان الاولى قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها انما قال لها لان
السلم مؤنثة ويجوز ان يكون التانيث للفعلة والجنوح الميل يقول ان مالوا يعني الذين نبذ
اليهم عهدهم الى المسالمة اي الصلح فمل اليها وجنح الرجل الى اخر مال اليه ومنه قيل للاضالع
جوانح لانها مالت الى الحشوة وجنحت الابل اذا مالت اعناقها في السير وقال ذو الرمة
اذا مات فوق الرحل احييت روحه   وذكراك والعيس المراسيل جوانح
وقال عنترة
قد ايقن ان قبيلة   اذا ما التقى الجمعان اول غالب   بعي الطير وجنح الليل اذا اقبل اومال
وامال اطنابه على الارض والسلم والسلام هو الصلح وقرء الاعمش وابو بكر وابن محيصن و
المفضل السلم بكسر السين والباقون بالفتح وقد مضى في البقرة مستوفى وقد يكون السلام
من التسليم وقرء الجمهور فاجنح بفتح النون وهي لغة تميم وقرء الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون
وهي لغة قيس قال ابن جني وهذه اللغة هي القياس الثانية واختلف في هذه الاية هل

هي منسوخة ام لا فقال قتادة وعكرمة نسخها واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقاتلوا المشركين
كافة وقالا نسخت براءة كل موادعة حتى يقولوا لا اله الا الله ابن عباس الناسخ لها فلا تهنوا وتدعوا
الى السلم وقيل ليست بمنسوخة بل اراد قبول الجزية وقد صالح اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بعده من الائمة كثيرا من بلاد العجم على ما اخذوه
منهم وتركوهم على ما هم فيه وهم قادرون على استيصالهم وكذلك صالح رسول الله صلى الله عليه
وسلم كثيرا من البلاد على مال يؤدونه من ذلك خيبر رد اهلها اليها بعد الغلبة على ان يعملوا
ويؤدون النصف قال ابن اسحق قال مجاهد عنى بهذه الاية قريظة لان الجزية تقبل منهم
فاما المشركون فلا يقبل منهم شيء وقال السدى وابن زيد معنى الاية ان دعوا الى الصلح فاجبهم
ولا نسخ فيها قال ابن العربي وهذا يختلف الجواب عنه وقد قال الله تعالى ولا تهنوا وتدعوا
الى السلم وانتم الاعلون والله معكم فاذا كان المسلمون على عزة وقوة ومنعة وجماعة عديدة
وشدة شديدة فلا صلح كما قال   فلا صلح حتى تطعن الخيل بالقنا   وتضرب بالبيض الرقاق
الجماجم   وان كان للمسلمين مصلحة في الصلح لنفع يجتلبونه او ضرر يدفعونه فلا باس ان يبتدئ
المسلمون به اذا احتاجوا اليه وقد صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل خيبر على شروط نقضوها
فنقض صلحهم وقد صالح الضمري واكيدر دومة الجندل واهل نجران وقد هادن قريشا لعشرة
اعوام حتى نقضوا عهده وما زالت الخلفاء والصحابة على هذا السبيل التي شرعناها سالكة
بالوجوه التي شرحناها عاملة قال القشيري اذا كانت للمسلمين فينبغي ان لا تبلغ الهدنة
سنة واذا كانت القوة للكفار جاز مهادنتهم عشر سنين ولا يجوز الزيادة وقد هادن النبي
صلى الله عليه وسلم اهل مكة عشر سنين قال ابن المنذر اختلف العلماء في المدة التي كانت بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اهل مكة عام الحديبية فقال عروة كانت اربع سنين
وقال ابن جريج كانت ثلاث سنين وقال ابن اسحق كانت عشر سنين وقال الشافعي لا
يجوز مهادنة الكفار اكثر من عشر سنين على ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فان
هودن المشركون اكثر من ذلك فهي منتقضة لان الاصل فرض قتال المشركين حتى يؤمنوا او
يعطوا الجزية وقال ابن حبيب عن مالك يجوز مهادنة المشركين السنة والسنتين والثلاث
والى غير مدة قال المهلب انما قاضاهم النبي صلى الله عليه وسلم هذه القضية التي ظاهرها الوهن
على المسلمين لسبب حبس الله ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة حين توجه اليها فبركت
وقال حبسها حابس الفيل على ما خرجه البخاري من حديث المسور ابن مخرمة ودل على جواز مهادنتهم
دون مال يؤخذ منهم اذا راى ذلك الامام وجها ويجوز عند الحاجة للمسلمين عقد الصلح بمال
يبذلونه للعدو لموادعة النبي صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزاري والحارث بن نوفل
المري يوم الاحزاب على ان يعطيهما ثلث تمر المدينة وينصرفا بمن معهما من غطفان ويخذلا
قريشا ويرجعا بقومهما عنهم وكانت هذه المقالة مراوضة ولم تكن عقدا ولما راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم منهما انهما قد انابا ورضيا استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة
فقالا يا رسول الله هذا شيء تحبه فنصنعه لك او شيء امرك الله به فنسمع ونطيع او امر
تصنعه لنا قال بل امر اصنعه لكم فان العرب قد رمتكم عن قوس واحدة قال سعد ابن
معاذ يا رسول الله والله لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الاوثان لا نعبد
الله ولا نعرفه وما طمعوا قط ان ينالوا منها تمرة الا شراء او قرى فحين اكرمنا الله بالاسلام

وهذا ناله واعزنا بك نعطيهم اموالنا والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فسر بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انتم وذاك وقال لعيينة والحارث انصرفا فليس لكما عندنا
الا السيف فتناول سعد الصحيفة وليس فيها شهادة فمحاها قوله تعالى وان يريدوا ان يخدعوك
اي بان يظهروا لك السلم ويبطنوا الك الخيانة والغدر فاجنح فما عليك من نياتهم الفاسدة
فان حسبك الله كافيك الله اي يتولى كفايتك وحياطتك قال الشاعر اذا كانت الهيجا وانشقت
العصا فحسبك والضحاك سيف مهند اي كافيك وكافي الضحاك سيف قوله تعالى
هو الذي ايدك بنصره يريد يوم بدر وبالمؤمنين قال النعمان بن بشير نزلت في الانصار
والف بين قلوبهم اي جمع بين قلوب الاوس والخزرج وكان تالف القلوب مع العصبية الشديدة
من العرب من ايات النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته لان احدهم كان يلطم اللطمة فيقاتل عنه
حتى يستقيدها وكان اشد خلق الله حمية فالف الله بالايمان بينهم حتى قاتل الرجل اباه
واخاه بسبب الدين وقيل اراد التاليف بين المهاجرين والانصار والمعنى متقارب قوله تعالى
يا ايها النبي حسبك الله ليس هذا تكريرا فانه قال فيما سبق وان يريدوا ان يخدعوك فان
حسبك الله وهذه كفاية خاصة وفي قوله يا ايها النبي حسبك الله اراد التعميم حسبك الله
في كل حال وقال ابن عباس نزلت في سلام عمر كان اسلم معه ثلاثة وثلاثون رجلا وست
نسوة فاسلم عمر وصاروا اربعين والاية مكية كتبت بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة
مدنية ذكره القشيري قلت ما ذكره من سلام عمر عن ابن عباس فقد وقع في السير
خلاف عن ابن مسعود قال ما كنا نقدر على ان نصلي عند الكعبة وصلينا معه وكان اسلام
عمر بعد خروج من خرج من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحبشة وهاجر اليها من
المسلمين سوى ابنائهم الذين خرجوا بهم صغارا او ولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلا ان كان عمار
بن ياسر منهم وهو يشك فيه وقال الكلبي نزلت الاية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال قوله
تعالى ومن اتبعك من المؤمنين قيل المعنى حسبك الله وحسب المهاجرين والانصار
وقيل المعنى كافيك الله وكافي من اتبعك قاله الشعبي وابن زيد والاول عن الحسن واختاره
النحاس وغيره فمن على القول الاول في موضع رفع عطفا على اسم الله على معنى فان حسبك
واتباعك من المؤمنين وعلى الثاني على اضمار ومثله قوله صلى الله عليه وسلم يكفينيه
الله وابنا قيلة وقد يجوز ان يكون في موضع نصب على معنى يكفيك الله ويكفي من اتبعك
قوله تعالى يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال اي حثهم وحضهم يقال حارض على الامر
وواظب وواصب واكب بمعنى واحد والحارض الذي قد قارب الهلاك ومنه قوله تعالى حتى
تكون حرضا اي تذوب غما فتقارب الهلاك فتكون من الهالكين ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين لفظ خبر ضمنه وعد بشرط لان معناه ان يصبر منكم عشرون صابرون يغلبوا
مائتين وعشرون وثلاثون واربعون كل واحد منهم اسم موضوع على صورة الجمع بها العقد ويجري
في الاسم مجرى فلسطين فان قيل لم كسر اول عشرين وفتح اول ثلاثين وما بعده الى الستين فالجواب
عند سيبويه ان عشرين من عشرة بمنزلة اثنين من واحد فكسر اول عشرين كما كسر اثنان والدليل
على هذا قولهم ستون وتسعون كما في ستة وتسعة وروى ابو داود عن ابن عباس قال نزلت
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فشق ذلك على المسلمين حتى فرض الله عليهم
ان لا يفر واحد من عشرة ثم انه جاء التخفيف فقال الان خفف الله عنكم قرا ابو تور الى قوله

مائة صابرة يغلبوا مائتين قال فلما خفف الله تعالى نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم قال ابن
العربي قال قوم ان هذا كان يوم بدر ونسخ وهذا خطأ من قايله ولم ينقل قط ان المشركين صافوا
المسلمين عليها ولكن البارى تعالى فرض ذلك عليهم اولا وعلق ذلك بانكم تفقهون ما تقاتلون
عليه وهو الثواب وهم لا يعلمون ما يقاتلون عليه قلت حديث ابن عباس يدل على ان ذلك
فرض ثم لما شق عليهم حط الفرض الى ثبوت الواحد للاثنين فخفف عنهم وكتب عليهم ان لا يفر مائة
من مائتين فهو على هذا القول تخفيف لا نسخ وهذا حسن وقد ذكر القاضي ابن الطيب ان الحكم
اذا نسخ بعضه او بعض اوصافه او غير عدده فجائز ان يقال انه نسخ لانه حينئذ ليس بالاول
بل هو غيره وفي ذلك خلاف قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون
عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم
عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا ايها النبي قل لمن في
ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور
رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم ان الذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك
بعضهم اولياء بعض والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون
بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير
والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون
حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك
منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم قوله ما كان لنبي ان
يكون له اسرى فيه اربع مسائل الاولى قوله اسرى جمع اسير مثل قتيل وقتلى وجريح وجرحى ويقال
في جمع اسير ايضا اسارى بضم الهمزة واسارى بفتحها وليست بالعالية وكانوا يشدون الاسير
بالقد وهو الاسر فسمي كل اخيذ وان لم يوسر اسيرا قال الاعشى وقيدني الشعر في بيته كما قيد الاسر
ذات الحمار وقد مضى هذا في البقرة وقال ابو عمرو بن العلا الاسرى هم غير الموثقين عندما
يوخذون والاسارى هم الموثقون ربطا وحكى ابو حاتم انه سمع هذا من العرب الثانية هذه
الاية نزلت يوم بدر عتابا من الله عز وجل لاصحاب نبيه عليه الصلاة والسلام والمعنى ما كان
ينبغي لكم ان تفعلوا هذا الفعل الذي اوجب ان يكون للنبي صلى الله عليه وسلم اسرى قبل الاثخان
ولهم الاخبار بقوله تريدون عرض الدنيا وانما فعله جمهور مباشري الحرب والتوبيخ والعتاب
انما كان متوجها بسبب من اشار على النبي صلى الله عليه وسلم باخذ الفدية هذا قول اكثر المفسرين
وهو الذي لا يصح غيره وجاء ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الاية حين لم ينه عنه حين راه من
العريش واذ كره سعد بن معاذ وعمر بن الخطاب وعبد الله بن رواحة ولكنه عليه الصلاة
والسلام شغله بغت الامر وظهور النصر فترك النهي عن الاستبقاء ولذلك بكى وابو بكر حين
نزلت الايات والله اعلم روى مسلم من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم اوله في ال عمران وهذا
تمامه قال ابو زميل قال ابن عباس فلما اسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر
وعمر ما ترون في هذه الاسارى فقال ابو بكر يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة اري ان ناخذ
منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ماترى يا ابن الخطاب قلت لا والله ما ارى الذين راى ابو بكر ولكني ارى ان تمكننا فنضرب اعناقهم
فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكنني من فلان نسيب من عمر فاضرب عنقه فان هؤلاء
ائمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فلما
كان من الغد ماجيت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين يبكيان فقلت يا
رسول الله اخبرني من اي شي تبكي انت وصاحبك فان وجدت بكا بكيت وان لم اجد بكا تباكيت
لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفدا
لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة شجرة قريبة كانت من نبي الله صلى الله عليه وسلم
وانزل الله ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا
طيبا فاحل الله الغنيمة لهم وروي يزيد بن هارون قال نا هلي نا ابو معوية عن الاعمش
عن عمرو بن مرة عن ابي عبيدة عن عبد الله قال لما كان يوم بدر جيء بالاسارى وفيهم العباس
فقال ما ترون في هؤلاء الاسارى فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك استبقهم لعل الله
ان يتوب عليهم وقال عمر كذبوك واخرجوك وقاتلوك قدمهم فاضرب اعناقهم وقال عبد الله
بن رواحة انظروا واديا كثير الحطب فاضرمه عليهم فقال العباس وهو يسمع قطعت رحمك
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليهم شيئا فقال اناس ياخذ بقول ابي بكر وقال
اناس ياخذ بقول عمر وقال اناس ياخذ بقول ابن رواحة فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللين ويشدد قلوب رجال حتى
تكون اشد من الحجارة مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى اذ قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر كمثل نوح اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا ومثلك يا عمر كمثل موسى اذ قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الاليم انتم عالة فلا ينفلتن احد الا بفدا او ضربة عنق فقال عبد الله الا سهيل
بن بيضا فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما رايتني اخوف
ان تقع علي الحجارة من السماء في ذلك اليوم فانزل الله تعالى ما كان لنبي ان تكون له
اسرى حتى يثخن في الارض الى اخر الايتين في رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان
ليصيبنا في خلاف ابن الخطاب عذاب ولو نزل عذاب ما افلت الا عمر وروي ابو داود عن
عمر قال لما كان يوم بدر واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفدا انزل الله عز وجل ما كان
لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض الى قوله لمسكم فيما اخذتم من الفدا عذاب عظيم
ثم احل الغنايم وذكر القشيري ان سعد بن معاذ قال يا رسول الله اول وقعة لنا مع
المشركين فكان الاثخان احب الي والاثخان كثرة القتل عن مجاهد وغيره اي فبالغ في
قتل المشركين تقول العرب اثخن فلان في هذا الامر اي بالغ وقال بعضهم حتى يقهر ويقتل
وانشد المفضل فعلى الصحيح ادمها سعد وقد اثخنت فرعون في كفره كفرا وقد قيل
حتى يثخن يتمكن وقيل الاثخان القوة والشدة فاخبر الله سبحانه انه قتل الاسرى الذين
فدوا كان اولى من فدائهم قال ابن عباس كان هذا يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما
كثروا واشتد سلطانهم انزل الله عز وجل بعد هذا في الاسارى فاما منا بعد واما فداء
على ما ياتي بيانه في سورة القتال ان شاء الله وقد قيل انما عوتبوا لان قضية بدر كانت

عظيمة الوقع والتصرف من صناديد قريش واشرافهم وساداتهم بالقتل او الاسترقاق والتملك وذلك
كله عظيم الموقع فكان حقهم ان ينتظروا الوحي لا يستعجلوا فلما استعجلوا ولم ينتظروا توجه
عليهم ما توجه والله اعلم الثالثة اسند الطبري وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
للناس ان شئتم اخذتم فدا في الاسارى ويقتل منكم في الحرب سبعون على عددهم وان شئتم قتلوا
وسلموا فقالوا ناخذ الفدا ويستشهد منا سبعون وذكر عبد بن حميد بسنده ان جبريل نزل على النبي
صلى الله عليه وسلم بتخيير الناس هكذا وقد مضى في ال عمران القول في هذا قال عبيدة السلماني
طلبوا الخيرتين كليهما فقتل منهم يوم احد سبعون وينشا عن هذا اشكال وهي الرابعة وهو
ان يقال اذا كان يوم التخيير فكيف وقع التوبيخ بقوله لمسكم فالجواب ان التوبيخ وقع اولا
لحرصهم على اخذ الفدا ثم وقع التخيير بعد ذلك ومما يدل على ذلك ان المقداد قال حين امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة بن ابي معيط اسيري يا رسول الله وقال مصعب بن
عمير للذي اسر اخاه شد عليه يدك فان له اما موسرة الى غير ذلك من قصصهم وحرصهم على اخذ
الفدا فلما تحصل الاسارى وقد سبقوا الى المدينة وانفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم القتل في
النضر وعقبة وغيرهما وجعل يرتئي في سايرهم نزل التخيير من الله تعالى فاستشار رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصحابه حينئذ فمر عمر على اول راية في القتل وراى ابو بكر المصلحة في قوة المسلمين
بمال الفدا ومال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى راي ابي بكر وكلا الرايين اجتهاد بعد تخيير
فلم ينزل بعد على هذا شي من تعتيب والله اعلم الخامسة قال ابن وهب قال مالك كان ببدر
اسرى فانزل الله ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض وكانوا يومئذ مشركين وفادوا
ورجعوا ولو كانوا مسلمين لاقاموا ولم يرجعوا وكان عدة من قتل منهم اربعة واربعين ومثلهم
اسروا وكان الشهداء قليلا وقال ابو عمرو بن العلاء ان القتلى كانوا سبعين والاسرى كذلك
وكذلك قال ابن عباس وابن المسيب وغيرهم وهو الصحيح كما في صحيح مسلم فقتلوا يومئذ سبعين
وذكر البيهقي قالوا فجي بالاسارى وعليهم شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم تسعة واربعون
رجلا الذين احصوا وهم سبعون في الاصل مجمع عليه لا شك فيه قال ابن العربي وانما قال
مالك وكانوا مشركين لان المفسرين رووا ان العباس قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني مسلم وفي
رواية ان الاسارى قالوا امنا بك وهذا كله ضعفه مالك واحتج على ابطاله بما ذكر من
رجوعهم وزيادة عليه انهم غزوه في احد قال ابو عمر بن عبد البر اختلفوا في وقت اسلام العباس
فقيل اسلم قبل يوم بدر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من لقي العباس فلا يقتله فانما
اخرج كرها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر ان ناسا من بني
هاشم وغيرهم قد اخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم احدا من بني هاشم فلا يقتله ومن
لقي ابا البختري فلا يقتله ومن لقي العباس فلا يقتله فانما اخرج مستكرها وذكر الحديث
وذكر انه اسلم حين اسر يوم بدر وذكر انه اسلم عام بدر وذكر انه اسلم عام خيبر وكان
يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم باخبار المشركين وكان يحب ان يهاجر فكتب اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم امكث بمكة فمقامك بها انفع لنا قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق
فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق في انه لا يعذب قوما حتى يبين
لهم ما يتقون واختلف الناس في كتاب الله السابق على اقوال اصحها ما سبق من احلال الغنايم
فانها كانت محرمة على من قبلنا فلما كان يوم بدر اسرع الناس الى الغنايم فانزل الله لولا

كتاب من الله سبق اي بتحليل الغنايم روي ابو داود الطيالسي في مسنده نا سلام عن الاعمش عن ابي صالح
عن ابي هريرة قال لما كان يوم بدر تعجل الناس الى الغنايم فاصابوها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الغنيمة لا تحل لاحد سود الرووس غيركم فكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا غنموا جمعوها
ونزلت نار من السماء اكلتها فانزل الله لولا كتاب من الله سبق الى اخر الايتين واخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقاله مجاهد والحسن وعنهما ايضا وسعيد بن جبير الكتاب
السابق هو عفو الله عنهم في هذا الذنب معينا والعموم اصح لقوله عليه الصلاة والسلام لعمر
في اهل بدر وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم خرجه
مسلم وقيل الكتاب السابق هو ان لا يعذبهم ومحمد عليه السلام فيهم وقيل الكتاب السابق ان
لا يعذب منهم احدا بذنب اتاه جاهلا حتى يتقدم اليه وقالت فرقة الكتاب السابق هو ما قضى
الله من محو الصغاير باجتناب الكباير وذهب الطبري الى ان هذه المعاني كلها داخلة تحت
اللفظ وانه يعمها ونكب عن تخصيص معنى دون معنى انتهى الثانية ابن العربي في الاية
دليل على ان العبد اذا اقتحم ما يعتقده حراما مما هو في علم الله حلال له لا عقوبة عليه كالصايم
اذا قال هذا يوم نوبتي فافطر الان وقالت المراة هذا يوم حيضتي فافطر ففعلا وكان النوبة
والحيض الموجبان للفطر ففي المشهور من المذهب فيه الكفارة وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة
لا كفارة عليه وهي الرواية الاخرى وجه الرواية الاولى ان طرو الاباحة لا يثبت عذرا في
عقوبة التحريم عند الهتك كما لو وطئ امراة ثم نكحها وجه الرواية الثانية ان حرمة اليوم
ساقطة عند الله تعالى فصادف الهتك محلا لا حرمة له في علم الله فكان كما لو قصد وطئ
امراة قد زفت اليه وهو يعتقد انها ليست بزوجة له فاذا هي زوجته وهذا اصح والتعليل
الاول لا يلزم لان علم الله سبحانه مع علمنا قد استوى في مسئلة التحريم وفي مسئلتنا اختلف
فيها علمنا وعلم الله فكان المعول على علم الله كما قال لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما
اخذتم عذاب عظيم قوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا يقتضي ظاهره ان تكون الغنيمة
كلها للغانمين وان يكونوا مشتركين على سواء الا ان قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء
فان لله خمسه بين وجوب اخراج الخمس منه وصرفه الى الوجوه المذكورة وقد تقدم القول
في هذا مستوفى قوله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى فيه ثلاث مسايل
الاولى قوله يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه وقيل له وحده قال ابن عباس الاسارى في هذه الاية عباس واصحابه قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم امنا بما جيت به ونشهد انك رسول الله لننصحن لك على قومك فنزلت
هذه الاية وقد تقدم بطلان هذا من قول مالك وفي مصنف ابي داود عن ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم جعل فداء اهل الجاهلية يوم بدر اربعماية وعن ابن اسحق فبعثت
قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء اسراهم ففدا كل قوم اسيرهم بما رضوا وقال
العباس يا رسول الله اني قد كنت مسلما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اعلم
باسلامك فان تكن كما تقول فالله يجزيك بذلك فاما ظاهر امرك فكان علينا فافد
نفسك وابن اخيك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن ابي طالب وحليفك
عتبة بن عمرو اخا بني الحرث بن فهر وقال ما ذاك عندي يا رسول الله قال فاين المال الذي
دفنته انت وام الفضل فقلت لها ان اصبت في سفري هذا فالمال لابني الفضل وعبد الله

وقثم

وقثم فقال والله يا رسول الله لاني اعلم انك رسول الله ان هذا الشيء ما علمه غيري وام الفضل
فاحسب لي يا رسول الله ما اخذتم مني عشرين اوقية من مال كان معي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذاك شيء اعطانا الله منك ففدى نفسه وابني اخيه وحليفه وانزل الله فيه يا ايها
النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى الاية قال ابن اسحق وكان اكثر الاسارى فدا العباس بن عبد
المطلب لانه كان رجلا موسرا فافتدى نفسه بماية اوقية من ذهب وفي البخاري وقال موسى
بن عقبة قال ابن شهاب حدثني انس بن مالك ان رجالا من الانصار استاذنوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ائذن لنا فلنترك لابن اختنا عباس فداه فقال لا والله
لا تذرون درهما وذكر النقاش وغيره ان فدا كل واحد من الاسارى كان اربعين اوقية الا
العباس فان النبي صلى الله عليه وسلم قال اضعفوا الفداء على العباس وكلف ان يفدي ابني اخيه
عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فادى عنهما ثمانين اوقية وعن نفسه ثمانين اوقية واخذ
منه عشرين اوقية وقت الحرب وذلك انه كان احد العشرة الذين ضمنوا الاطعام لاهل مكة
فبلغت النوبة اليه يوم بدر فاقتتلوا قبل ان يطعم وبقيت العشرون معه فاخذت منه وقت
الحرب فاخذ منه يومئذ مائة اوقية وثمانون اوقية فقال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد تركتني
ما حييت اسال قريشا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي
هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولولدك فقال يا ابن اخي من اخبرك بهذا قال الله تعالى
اخبرني قال العباس اشهد انك صادق وما علمت انك رسول الله قط الا اليوم وقد علمت
انه لم يطلعك عليه الا عالم السراير اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وكفرت بما
سواه وامر ابني اخيه فاسلما ففيهم نزلت يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وكان
الذي اسر العباس ابو اليسر كعب بن عمرو اخو بني سلمة وكان رجلا قصيرا وكان العباس ضخما
طويلا فلما جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم قال لقد اعانك عليه ملك الثانية قوله
تعالى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم اي من الفدية قيل في الدنيا وقيل
في الاخرة وفي صحيح مسلم انه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مال من البحرين قال له العباس
اني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ فبسط ثوبه واخذ
ما استطاع ان يحمله مختصر في الصحيح فقال العباس هذا خير مما اخذ مني وانا بعد ارجوا ان
يغفر الله لي وقال العباس واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة واسند
الطبري الى العباس انه قال فيّ نزلت حين اعلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامي
وسالته ان يحاسبني بالعشرين اوقية التي اخذت مني قبل المفاداة فابى وقال ذلك فيء
فابدلني الله من ذلك عشرين عبدا كلهم تاجر بمالي وفي مصنف ابي داود عن عايشة قالت لما
بعث اهل مكة في فدا اسراهم بعثت زينب في فدا ابي العاص بمال وبقلادة لها كانت عند
خديجة فادخلتها بها على ابي العاص قالت فلما راها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة
شديدة وقال ان رايتم ان تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها الذي لها قالوا نعم وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اوعده ان يخلي سبيل زينب وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
زيد بن حارثة ورجلا من الانصار فقال كونا ببطن ياجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى
تاتيا بها قال ابن اسحق وذلك بعد بدر بشهر الثالثة ابن العربي لما اسر من اسر من المشركين
تكلم منهم قوم بالاسلام ولم يمضوا فيه عزيمة ولا اعترفوا به اعترافا لازما ويشبه انهم ارادوا

ان يقربوا من المسلمين ولا يبعدوا من المشركين قال علماؤنا ان يتكلم الكافر بالايمان في قلبه وبلسانه ولم يمض
فيه عزيمة لم يكن مؤمنا واذا وجد مثل هذا من المؤمن كان كافرا الا ما كان من الوسوسة التي لا يقدر
على دفعها فان الله قد عفى عنها واسقطها وقد بين لرسوله صلى الله عليه وسلم الحقيقة فقال وان يريدوا
خيانتك اي ان كان هذا القول منهم خيانة ومكرا فقد خانوا الله ورسوله من قبل بكفرهم ومكرهم
بك وقتالهم لك وان كان هذا القول منهم خيرا ويعلمه الله فيقبل منهم ذلك ويعوضهم خيرا مما
أُخذ منهم ويغفر لهم ما تقدم من كفرهم وخيانتهم ومكرهم وجمع خيانة خاين وخون وكان يجب ان
يقال خواين لانه من ذوات الواو الا انهم فرقوا بينه وبين جمع خيانة ويقال الخاين وخون وخونة
وخانة قوله تعالى ان الذين آمنوا وهاجروا الى اخر السورة فيه سبع مسائل الاولى قوله تعالى
ان الذين آمنوا ختم السورة بذكر الموالاة ليعلم كل فريق وليه الذي يستعين به وقد تقدم معنى
الهجرة والجهاد لغة ومعنى والذين آووا ونصروا معطوف عليه وهم الانصار الذين تبوؤوا الدار
والايمان من قبلهم وانضوى اليهم النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون اولئك رفع بالابتداء بعضهم ابتداء
ثان اولياء بعض خبره والجميع خبر ان قال ابن عباس اولياء بعض في الميراث فكانوا يتوارثون بالهجرة
وكان لا يرث من آمن ولم يهاجر فنسخ الله ذلك بقوله واولوا الارحام الاية اخرجه ابو داود وصار
الميراث لذوي الارحام من المؤمنين ولا يتوارث اهل ملتين شيء ثم قوله عليه الصلاة والسلام
الحقوا الفرايض باهلها على ما تقدم بيانه في اية المواريث وقيل ليس هنا نسخ وانما معناه في
النصرة والمعونة كما تقدم في النساء والذين آمنوا ابتدا والخبر ما لكم من ولايتهم من شيء وقرئ
يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة من ولايتهم بكسر الواو وقيل هي لغة وقيل هي من وليت الشيء يقال
ولي بين الولاية ووال بين الولاية والفتح في هذا ابين واحسن لانه بمعنى النصرة وقد تطلق
الولاية بمعنى الامارة الثانية قوله تعالى وان استنصروكم في الدين يريد ان دعوا هؤلاء
المؤمنون الذين لم يهاجروا من دار الحرب معونتكم بنفير او مال لاستنقاذهم فاعينوهم فذلك
فرض عليكم فلا تخذلوهم الا ان يستنصروكم على قوم كفار بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم
ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته ابن العربي الا ان يكونوا مستضعفين فان الولاية معهم
قايمة والنصرة لهم واجبة حتى لا يبقى منا عين تطرف حتى تخرج الى استنقاذهم ان كان
عددنا يحتمل ذلك او نبذل جميع اموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لاحد درهم كذلك قال مالك
وجميع العلما فانا لله وانا اليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم اخوانهم في اسر العدو وبايديهم
خزاين الاموال وفضول الاحوال والقدرة والعدد والجلد الزجاج ويجوز فعليكم النصر بالنصب
على الاغرا الثالثة قوله تعالى والذين كفروا بعضهم اولياء بعض قطع الله الولاية بين الكفار
والمؤمنين فجعل المؤمنين بعضهم اولياء بعض والكفار بعضهم اولياء بعض يتناصرون بدينهم
ويتعاملون باعتقادهم قال علماؤنا في الكافرة يكون لها الاخ المسلم لا يزوجها اذ لا ولاية له
ويزوجها اهل ملتها فكما لا يزوج المسلمة الا مسلم فكذلك لا يزوج الكافرة الا كافر قريب لها
او اسقف ولو من مسلم الا ان تكون معتقة فان عقد على غير المعتقة فسخ ان كان لمسلم ولا يعرض
للنصراني وقال الاصبغ لا يفسخ عقد المسلم اولى وافضل الرابعة قوله تعالى الا تفعلوه الضمير
عايد على الموارثة والتزامها المعنى الا تتركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون قاله ابن زيد وقيل هي
عايدة على النصرة والموازرة والمعاونة واتصال الايدي ابن جريج وغيره وهذا ان لم
تفعل تقع الفتنة عنه من قريب فهو اكد من الاول وذكر الترمذي عن عبد الله بن مسلم بن هرمز

عن محمد وسعد ابني عبيد عن ابي حاتم المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم من ترضون
خلقه ودينه فانكحوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير قالوا يا رسول الله وان كان فيهما
اذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فانكحوه ثلاث مرات قال حديث غريب وقيل يعود على حفظ
العهد والميثاق الذي تضمنه قوله الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق وهذا وان لم يفعل فهو الفتنة
نفسها وقيل يعود على النصر للمسلمين في الدين وهو معنى القول الثاني قال ابن اسحق جعل الله
المهاجرين والانصار اهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم اولياء بعض ثم قال
الا تفعلوه وهو ان يتولى المؤمن الكافر دون المؤمنين تكن فتنة اي محنة بالحرب وما انجر
معها من الغارات والجلا والاسر والفساد الكبير ظهور الشرك قال الكسائي ويجوز النصب في قوله
تكن فتنة على معنى تكن فعلتكم فتنة وفسادا كبيرا حقا مصدر اي حققوا ايمانهم بالهجرة والنصرة
وحقق الله ايمانهم بالبشارة في قوله لهم مغفرة واجر اي ثواب عظيم في الجنة الخامسة قوله
تعالى والذين آمنوا من بعد الحديبية وبيعة الرضوان وذلك ان الهجرة من بعد ذلك كانت
اقل رتبة من الهجرة الاولى والهجرة الثانية هي التي وقع فيها الصلح ووضعت الحرب اوزارها
نحو عامين ثم كان فتح مكة ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لا هجرة بعد الفتح فبين ان من آمن وهاجر
من بعد يلتحق بهم ومعنى منكم اي مثلكم في النصر والموالاة انتهى السادسة قوله تعالى واولوا الارحام
ابتدا والواحد ذو والرحم مؤنثة والجمع ارحام والمراد بها هنا العصبات دون المولود بالرحم
ومما يبين ان المراد بالرحم العصبات قول العرب وصلتك رحم لا يريدون قرابة الام قالت
قيلة اخت الحارث كذا قال ابن هشام قال السهيلي الصحيح انها بنت النضر لا اخته كذا
وقع في كتاب الدلايل ترثي اباها حين قتله النبي صلى الله عليه وسلم بالصفراء حيث تقول
يا راكبا ان الاثيل مظنة من صبح خامسة وانت موفق ابلغ بها ميتا بان تحية ما ان
يزال بها النجايب تخفق مني اليك وعبرة مسفوحة جادت بواكفها واخرى تخنق هل
يسمعن النضر ان ناديته ام كيف يسمع ميت لا ينطق امحمد يا خير ضن كريمة في قومها
والفحل فحل معرق ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق لو كان قابل
فدية لفديته باعز ما يغدى به ما ينفق صبرا يقاد الى المنية متعبا رسف المقيد وهو
عان موثق السابعة واختلف السلف في توريث ذوي الارحام وهم من لا سهم له في الكتاب
من قرابة الميت وليس بعصبة كاولاد البنات واولاد الاخوات وبنات الاخ والعم اخي الاب
للام والجد ابي الام والجدة ام الام ومن ادلى بهم قال قوم لا يرث من لا فرض له من ذوي
الارحام روي عن ابي بكر وزيد بن ثابت وابن عمر ورواية عن علي وهو قول اهل المدينة وروي
عن مكحول والاوزاعي وبه قال الشافعي وقال بتوريثهم عمر بن الخطاب وابن مسعود ومعاذ
وابو الدردا وعايشة وعلي في رواية عنه وهو قول الكوفيين واحمد واسحق واحتجوا بالاية قالوا
وقد اجتمع في ذوي الارحام سببان القرابة والاسلام فهم اولى ممن له سبب واحد وهو الاسلام
اجاب الاولون فقالوا هذه اية مجملة جامعة والظاهر لكل رحم قرب او بعد وآيات المواريث
تفسرها والمفسر قاض على المجمل والمبين قالوا وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الولا سببا ثابتا اقام
المولى فيه مقام العصبة فقال الولا لمن اعتق ونهى عن بيع الولا وعن هبته احتج الاخرون
بما روى ابو داود والدارقطني عن المقدام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك كلا فا
وربما قال فالى الله والى رسوله ومن ترك مالا فلورثته وانا وارث من لا وارث له اعقل عنه

وارثه والخال وارث من لا وارث له يعقل عنه ويرثه وروى الدارقطني عن طاوس قال قالت عائشة
مولى من لا مولى له والخال وارث من لا وارث له موقوف وروي عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخال وارث وروي عن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ميراث العمة والخالة فقال لا ادري حتى ياتيني جبريل ثم قال اين السائل عن ميراث العمة والخالة
قال فاتى الرجل فقال سارني جبريل انه لا شيء لهما قال الدارقطني لم يسنده غير مسعدة
عن محمد بن عمرو وهو ضعيف والصواب مرسل وروي عن الشعبي قال قال زياد لجليسه هل تدري
كيف قضى عمر في العمة والخالة قال لا قال اني لاعلم خلق الله كيف قضى عمر فيهما جعل الخالة بمنزلة
الام والعمة بمنزلة الاب والله اعلم

سورة براءة مدنية باتفاق

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا
انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج
الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير
معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم
يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر
الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان
تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون كيف
يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم
من المشركين فيه خمس مسائل الاولى في اسمائها قال سعيد بن جبير سالت ابن عباس رضي الله
عنهما عن سورة براءة فقال تلك الفاضحة ما زال ينزل ومنهم ومنهم حتى خفنا ان لا تدع
احدا قال القشيري ابو نصر عبد الرحيم وهذه السورة في غزوة تبوك ونزل بعدها وفي اوايلها
نبذ عهود الكفار اليهم وفي السورة كشف اسرار المنافقين وتسمى الفاضحة والبحوث لانها
فحصت عن اسرار المنافقين وتسمى المبعثرة والبعثرة البحث الثانية واختلف العلماء في سبب
سقوط البسملة في اول هذه السورة على اقوال خمسة الاول انه قيل كان من شان العرب
في زمانها في الجاهلية اذا كان بينهم وبين قوم عهد فارادوا نقضه كتبوا اليهم كتابا ولم
يكتبوا فيه بسملة فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم و
المشركين بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب يقراها عليهم في الموسم ولم يبسمل في ذلك
على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك البسملة وقول ثان روى النسائي قال نا احمد
قال نا محمد بن المثنى عن يحيى بن سعيد قال نا عوف قال نا يزيد الرقاشي قال قال لنا ابن عباس
قلت لعثمان ما حملكم الى ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم
بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال فما حملكم على ذلك قال
ان عثمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده
فيقول ضعوا هذه في السورة التي فيها كذا وكذا وتنزل عليه الايات فيقول ضعوا هذه الايات
في السورة التي فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اوايل ما انزل وبراءة من اخر القران نزولا
وكانت قصتها شبيها بقصتها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها

فظننت

فظننت انها منها فمن ثم قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وخرجه ابو عيسى الترمذي
وقال هذا حديث حسن وقول ثالث روي عن عثمان ايضا وقال مالك فيما رواه ابن وهب
وابن القاسم وابن عبد الحكم انها لما سقط اولها سقطت بسم الله الرحمن الرحيم معه وروي ذلك
عن ابن عجلان انه بلغه ان سورة براءة كانت تعدل البقرة او قربها فلذلك لم يكتب بينهما
بسم الله الرحمن الرحيم وقال سعيد بن جبير كانت مثل سورة البقرة وقول رابع قاله خارجة وابو
عصمة وغيرهما قال لما كتبوا المصحف في خلافة عثمان اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال بعضهم براءة والانفال وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال
هما سورتان وتركت بسم الله الرحمن الرحيم لقول من قال هما سورة واحدة فرضي الفريقان معا وثبت
حجتهما في المصحف وقول خامس قال عبد الله بن عباس سالت علي بن ابي طالب لم لم تكتب في
براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال لان بسم الله الرحمن الرحيم امان وبراءة نزلت بالسيف ليس
فيها امان وروي معناه عن المبرد وكذلك لم يجمع بينهما فان بسم الله الرحمن الرحيم رحمة وبراءة
نزلت بسخطه ونحوه عن سفيان قال سفيان بن عيينة انما لم يكتب في صدر هذه السورة لانها
نزلت في المنافقين وبالسيف ولا امان للمنافقين والصحيح ان التسمية لم تكتب لان جبريل
ما نزل بها في هذه السورة قاله القشيري وفي قول عثمان فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يبين لنا انها منها دليل على ان السور كلها انتظمت بقوله وتبيينه وان براءة وحدها
ضمت الى الانفال من غير عهد من النبي صلى الله عليه وسلم لما عاجله من الحمام قبل تبيينه ذلك
وكانتا تدعيان القرينتين فوجب ان تجمعا ويضم احدهما الى الاخرى للوصف الذي لزمهما من
الاقتران ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي الثالثة قال ابن العربي هذا دليل على ان
القياس اصل في الدين الا ترى ان عثمان واعيان الصحابة كيف نحوا الى قياس الشبه عند عدم
النص وراوا ان قصة براءة شبيهة بقصة الانفال فالحقوها بها فاذا كان الله تعالى قد
بين دخول القياس في تاليف القران فما ظنك بساير الاحكام الرابعة قوله تعالى براءة
تقول بريت من الشيء ابرا براءة فانا منه بريء اذا ازلته عن نفسك وقطعت ما بينك
وبينه وبراءة رفع على خبر ابتدا مضمر تقديره هذه براءة ويصح ان ترفع بالابتدا والخبر
في قوله الى الذين وجاز الابتدا بالنكرة لانها موصوفة فتعرفت تعريفا ما وجاز الاخبار
عنها وقرا عيسى بن عمر براءة بالنصب على تقدير التزموا براءة ففيها معنى الاغراء وهي مصدر
على فعالة كالشناءة والدناءة الخامسة قوله تعالى الى الذين عاهدتم من المشركين يعني
الى الذين عاهدتم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان المتولي للعقود واصحابه بذلك كلهم راضون
فكانهم عاقدوا وعاهدوا فنسب العقد اليهم وكذلك ما عقده ائمة الكفر على قومهم منسوب اليهم
محسوب عليهم يؤاخذون به اذ لا يمكن غير ذلك فان تحصيل الرضى من الجميع متعذر فاذا عقد
الامام لما يراه من المصلحة امرا لزم جميع الرعايا قوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة اشهر فيه ثلاث
مسائل الاولى قوله تعالى فسيحوا في الارض رجع من الخبر الى الخطاب اي قل لهم سيحوا اي سيروا
في الارض مقبلين ومدبرين غير خائفين احدا من المسلمين بحرب ولا سلب ولا قتل ولا اسر
يقال ساح فلان في الارض يسيح سياحة وسيوحا وسيحانا ومنه السيح الماء يسيح سياحة
وهو الماء الجاري المنبسط ومنه قول طرفة بن العبد لو خفت هذا منك ما نلتني حتى
ترى خيلا امامي تسيح الثانية واختلف العلماء في كيفية هذا التاجيل وفي هؤلاء الذين

برا الله منهم ورسوله فقال محمد بن اسحق وغيره هم صنفان من المشركين احدهما كانت مدة عهده
اقل من اربعة اشهر فامهل تمام اربعة اشهر والاخر كانت مدة عهده بغير اجل محدود فقصر
به على اربعة اشهر ليرتاد لنفسه ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتل حيث
ما ادرك ويوسر الا ان يتوب وابتدا هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر من شهر ربيع
الاخر فاما من لم يكن له عهد فاجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما عشرون من ذي
الحجة والمحرم وقال الكلبي انما كانت الاربعة الاشهر لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم عهد دون اربعة اشهر ومن كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهو الذي امر
الله ان يتم له عهده بقوله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وهذا اختيار الطبري وغيره وقال
محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما ان هذه الاية نزلت في اهل مكة وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم صالح قريشا عام الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين يامن فيها الناس ويكف
بعضهم عن بعض فدخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد
قريش فعدت بنو بكر على خزاعة ونقضوا عهدهم وكان سبب ذلك دما كان لبني بكر عند
خزاعة قبل الاسلام بمدة فلما كانت الهدنة المنعقدة يوم الحديبية امن الناس بعضهم بعضا
فاغتنم بنو الديل من بني بكر وهم الذين كان الدم لهم تلك الفرصة وغفلت خزاعة فخرج نوفل
بن معوية الديلي فيمن اطاعه من بني بكر بن عبد مناة حتى بيتوا خزاعة واقتتلوا واعانت
قريش بني بكر بالسلاح وقوم من قريش اعانوهم بانفسهم فانهزمت خزاعة الى الحرم على ما هو
مشهور مسطور فكان ذلك نقضا للصلح الواقع يوم الحديبية فخرج عمرو بن سالم الخزاعي
وبديل بن ورقا الخزاعي وقوم من خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مستغيثين
به فيما اصابهم به بنو بكر وقريش وانشده عمرو ابن سالم فقال   يارب اني ناشد محمدا
حلف ابينا وابيه الاتلدا   كنت لنا ابا وكنا ولدا   ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا   فانصر هداك
الله نصرا اعتدا   وادع عباد الله ياتوا مددا   فيهم رسول الله قد تجردا   ابيض مثل الشمس
ينمو صعدا   ان سيم خسفا وجهه تربدا   في فلق كالبحر يجري مزبدا   ان قريشا اخلفوك
الموعدا   ونقضوا ميثاقك المؤكدا   وزعموا ان لست تدعوا احدا   وهم اذل واقل عددا   هم
بيتونا بالحطيم هجدا   وقتلونا ركعا وسجدا   فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم
انصر بني كعب ثم نظر الى اصحابه فقال ايها نسير لنصر بني كعب يعني خزاعة وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان سياتي ليشد العقد ويزيد في الصلح وسينصرف
بغير حاجة فندمت قريش على ما فعلت فخرج ابو سفيان الى المدينة ليستديم العقد ويزيد
في الصلح فرجع بغير حاجة كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم على ما هو معروف من خبره وتجهز
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ففتحها الله وذلك في سنة ثمان من الهجرة فلما بلغ
هوازن فتح مكة جمعهم مالك بن عوف النضري على ما هو معروف مشهور من غزاة حنين
وسياتي بعضها وكان الظفر والنصر للمسلمين على الكافرين وكانت وقعة هوازن يوم حنين
في اول شوال من السنة الثامنة من الهجرة وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم الغنايم
من الاموال والنساء فلم يقسمها حتى اتى الطايف فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة وقيل عشرون
ونصبت عليهم المنجنيق ورماهم به على ما هو معروف من تلك الغزاة ثم انصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة وقسم غنايم حنين على ما هو معروف من تلك الغزاة ثم انصرف

رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا واقام الحج للناس عتاب بن اسيد في تلك السنة وهو اول
امير اقام الحج في الاسلام وحج المشركون على مشاعرهم وكان عتاب حبرا فاضلا وقدم كعب بن
زهير بن ابي سلمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامتدحه واقام على رايته بقصيدته التي اولها
بانت سعاد وقلبي اليوم متبول   وانشدها الى اخرها وذكر فيها المهاجرين فاثنى عليهم وكان قبل
ذلك قد حفظ له هجا في النبي صلى الله عليه وسلم فعاب عليه الانصار اذ لم يذكرهم فغدا على النبي
صلى الله عليه وسلم بقصيدة يمتدح فيها الانصار فقال   من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب
من صالح الانصار   ورثوا المكارم كابرا عن كابر   ان الخيار هم بنوا الاخيار   المكرهين السمهري
باذرع   كسوالف الهندي غير معار   والناظرين باعين محمرة   كالجمر غير كليلة الابصار   والبايعين
نفوسهم لنبيهم   للموت يوم تعانق وكرار   يتطهرون يرونه نسكا لهم   بدماء من علقوا من
الكفار   دربوا كما دربت ببطن خفية   غلب الرقاب من الاسود ضواري   واذا حللت ليمنعوك
اليهم   اصبحت عند معاقل الاغفار   ضربوا عليا يوم بدر ضربة   دانت لوقعتها جميع نزار
لو يعلم الاقوام علمي كله   فيهم لصدقني الذين امادي   قوم اذا خوت النجوم كانهم   للطارقين النازلين
مقار   ثم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد انصرافه من الطايف ذا الحجة ومحرم
وصفر وربيع الاول وربيع الاخر وجمادى الاولى وجمادى الاخر وخرج في رجب من سنة تسع
بالمسلمين الى غزو الروم غزوة تبوك وهي اخر غزاة غزاها قال ابن جريج لما انصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تبوك اراد الحج ثم قال انه يحضر البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت
فلا احب ان احج حتى لا يكون ذلك فارسل ابو بكر اميرا على الحج وبعث معه باربعين اية من
صدر براءة ليقراها على اهل الموسم فلما خرج دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وقال اخرج بهذه
القصة من صدر براءة فاذن بذلك في الناس اذا اجتمعوا فخرج على ناقة النبي صلى الله عليه
وسلم العضبا حتى ادرك ابا بكر الصديق رضي الله عنهما بذي الحليفة فقال له ابو بكر لما راه
امير او مامور فقال بل مامور ثم نهضا فاقام ابو بكر للناس الحج على منازلهم التي كانوا عليها في
الجاهلية في كتاب النسائي عن جابر وان عليا قرا على الناس براءة حتى ختمها قبل التروية بيوم
وفي يوم عرفة وفي يوم النحر عند انقضاء خطبة ابي بكر في الثلاثة الايام فلما كان يوم النفر
الاول قام ابو بكر فخطب فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون يعلمهم مناسكهم فلما فرغ قام
علي فقرا على الناس براءة حتى ختمها وقال سليمان بن موسى لما خطب ابو بكر بعرفة قال قم
يا علي فاد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علي ففعل ثم وقع في نفسه ان جميع الناس
لم يشاهدوا خطبة ابي بكر فجعلت اتتبع الفساطيط يوم النحر وروى الترمذي عن زيد بن يثيع قال
سالنا عليا باي شي بعثت في الحجة قال بعثت باربع ان لا يطوف بالبيت عريان ومن كان
بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله الى
اربعة اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا قال
هذا حديث حسن صحيح واخرجه النسائي وقال كنت انادي حتى صحل صوتي قال ابو عمر بعث
عليا ينبذ الى ذي عهد عهده ويعهد اليهم ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
واقام الحج في ذلك العام سنة تسع ابو بكر ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قابل حجته التي
لم يحج غيرها من المدينة فوقعت حجته في ذي الحجة فقال ابن البرهان قد استدل بالحديث
على ما ياتي في النسي بيانه وثبت الحج في ذي الحجة الى يوم القيامة وذكر مجاهد ان ابا بكر حج في ذي

القعدة من سنة تسع ابن العربي وكان الحكمة في اعطا براة لعلي ان براة تضمنت نقض العهد
الذي كان عقده النبي صلى الله عليه وسلم وكانت سيرة العرب لا يحل العقد الا الذي عقده او
رجل من اهل بيته فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يقطع السنة العرب بالحجة ويرسل ابن عمه
الهاشمي من بيته بنقض العهد حتى لا يبقى لهم متكلم قال معناه الزجاج الثالثة قال العلما
وتضمنت الاية جواز قطع العهد بيننا وبين المشركين ولذلك حالتان حالة تنقضي المدة
بيننا وبينهم فنوذنهم بالحرب والانذار اختيار والثانية ان نخاف منهم غدرا فننبذ اليهم
عهدهم كما سبق ابن عباس والاية منسوخة فان النبي صلى الله عليه وسلم عاهدهم ونبذ العهد
لما امر بالقتال قوله تعالى واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر فيه ثلاث مسايل
الاولى قوله واذان الاذان الاعلام لغة من غير خلاف وهو عطف على براة الى الناس الناس
هنا جميع الخلق يوم الحج الاكبر ظرف والعامل فيه اذان وان قد وصف بقوله من الله
فان رايحة الفعل فيه باقية وهي عاملة في الظروف وقيل العامل مخزي ولا يصح عمل اذان
لانه قد وصف فخرج عن حكم الفعل الثانية واختلف العلماء في الحج الاكبر فقيل يوم عرفة
روي عن عمر وعثمان وابن عباس وطاوس ومجاهد وهو مذهب ابي حنيفة وبه قال
الشافعي وعن علي وابن عباس ايضا وابن مسعود وابن ابي اوفى والمغيرة بن شعبة انه يوم
النحر واختاره الطبري وروي ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر في
الحجة التي حج فيها وقال اي يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر اخرجه ابو داود
وخرج البخاري عن ابي هريرة قال بعثني ابو بكر الصديق رضي الله عنه فيمن يؤذن يوم النحر
بمنى لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ويوم الحج الاكبر يوم النحر وانما قيل الاكبر
لاجل قول الناس الحج الاصغر فنبذ ابو بكر الى الناس في ذلك العام فلم يحج عام حجة الوداع
الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم مشرك وقال ابن ابي اوفى يوم النحر يوم الحج الاكبر يهراق
فيه الدم ويوضع فيه الشعر ويلقى فيه التفث ويحل فيه الحرم وهذا مذهب مالك لان
يوم النحر فيه الحج كله لان الوقوف انما هو في ليلته والرمي والنحر والحلق والطواف في صبيحته
احتج الاولون بحديث مخرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الحج الاكبر يوم عرفة رواه اسماعيل
القاضي وقال الثوري وابن جريج الحج الاكبر ايام منى كلها وهذا كما يقال يوم صفين ويوم الجمل
ويوم بعاث فيراد به الحين والزمان لا نفس اليوم وروي عن مجاهد الحج الاكبر القران والاصغر
الافراد وهذا ليس من الاية في شي وعنه وعن عطا الحج الاكبر الذي فيه الوقوف بعرفة
والاصغر وعن مجاهد ايضا ايام الحج كلها وقال الحسن وعبد الله بن الحارث بن نوفل انما
سمي يوم الحج الاكبر لانه حج ذلك العام المسلمون والمشركون واتفقت فيه يومئذ اعياد الملل
اليهود والنصارى والمجوس قال ابن عطية وهذا ضعيف ان يصفه الله تعالى في كتابه
بالاكبر لهذا وعن الحسن ايضا انه انما سمي الاكبر لانه حج فيه ابو بكر ونبذت فيه العهود
وهو الذي يشبه نظر الحسن وقال ابن سيرين يوم الحج الاكبر العام الذي حج فيه النبي
صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وحجت فيه الامم الثالثة قوله تعالى ان الله بريء من المشركين
ان بالفتح في موضع نصب والتقدير بان الله ومن قرا بالكسر قدره بمعنى قال ان الله بريء
خبر ان ورسوله عطفا على الموضع وان شئت على المضمر المرفوع في بريء كلاهما حسن لانه قد
طال الكلام وان شئت على الابتدا والخبر محذوف التقدير ورسوله بريء منهم ومن قرا

بالنصب

بالنصب وهو الحسن وغيره عطفه على اسم الله عز وجل على اللفظ وفي الشواذ ورسوله بالخفض
على القسم اي وحق رسوله ورويت عن الحسن وقد تقدمت قصة عمر فيها اول الكتاب فان تبتم
اي عن الشرك فهو خير لكم اي انفع لكم وان توليتم اي عن الايمان فاعلموا انكم غير معجزي الله اي فايتيه
فانه محيط بكم ومنزل عقابه عليكم الرابعة الا الذين عاهدتم من المشركين في موضع نصب
بالاستثنا المتصل المعنى ان الله بريء من المشركين الا من المعاهدين مدة عهدهم وقيل
الاستثنا منقطع اي ان الله بريء منهم ولكن الذين عاهدتم فثبتوا على العهد فاتموا اليهم عهدهم
الى مدتهم وقوله ثم لم ينقصوكم شيئا يدل انه كان من اهل العهد من خاس بعهده ومنهم
من ثبت فاذن الله سبحانه لنبيه عليه السلام في نقض عهد من خاس وامر بالوفا لمن بقي
على عهده الى مدته ومعنى ثم لم ينقصوكم اي من شروط العهد شيئا ولم يظاهروا لم يعاونوا وقرا
عكرمة وعطا بن يسار ثم لم ينقضوكم بالضاد معجمة على حذف مضاف التقدير لم ينقضوا عهدكم
يقال ان هذا مخصوص يراد به بنو ضمرة خاصة ثم قال فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم اي
وان كان اكثر من اربعة اشهر قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين فيه ست
مسائل الاولى قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم اي خرجت وسلخت الشهر اذا صرت في اواخر ايامه تسلخه
سلخا وسلوخا بمعنى خرجت قال الشاعر اذا ما سلخت الشهر اهللت قبله كفى قاتلا سلخي
الشهور واهلالي وانسلخ الشهر وانسلخ النهار من الليل المقبل وسلخت المراة درعها نزعته وفي
التنزيل واية لهم الليل نسلخ منه النهار ونخلة مسلاخ وهي التي ينتثر بسرها والاشهر الحرم
فيها للعلماء قولان قيل هي الاشهر المعروفة ثلاثة سرد وواحد فرد قال الاصم اريد به من لا عقد
له من المشركين فاوجب ان يمسك عن قتالهم حتى ينسلخ الحرم وهو مدة خمسين يوما على ما
ذكره ابن عباس لان النداء كان بذلك يوم النحر وقد تقدم هذا وقيل شهور العهد اربعة
قاله مجاهد وابن اسحق وابن زيد وعمرو بن شعيب وقيل لها حرم لان الله حرم على
المؤمنين فيها دماء المشركين والتعرض لهم الا على سبيل الخير الثانية قوله تعالى فاقتلوا
المشركين عام في كل مشرك لكن السنة خصت منه ما تقدم بيانه في البقرة من امراة وراهب
وصبي وغيرهم وقال تعالى في اهل الكتاب حتى يعطوا الجزية الا انه يجوز ان يكون لفظ المشركين
لا يتناول اهل الكتاب ويقتضي ذلك منع اخذ الجزية من عبدة الاوثان وغيرهم على ما ياتي
بيانه واعلم ان مطلق قوله اقتلوا المشركين يقتضي جواز قتلهم على اي وجه كان الا ان الاخبار
وردت بالنهي عن المثلة ومع هذا يجوز ان يكون الصديق رضي الله عنه حين قتل اهل
الردة بالاحراق بالنار وبالحجارة والرمي من روس الجبال والتنكيس في الابار تعلق بعموم
الاية وكذلك احراق علي رضي الله عنه قوما من اهل الردة يجوز ان يكون ميلا الى هذا المذهب
واعتمادا على عموم اللفظ والله اعلم الثالثة قوله تعالى حيث وجدتموهم عام في كل موضع
وخص ابو حنيفة المسجد الحرام كما سبق في البقرة ثم اختلفوا فقال الحسين بن الفضل نسخت
هذه الاية كل اية في القران فيها ذكر الاعراض والصبر على اذى الاعداء وقال الضحاك والسدي
وعطا هي منسوخة بقوله فاما منا بعد واما فداء وانه لا يقتل اسير صبرا اما ان يمن عليه
واما ان يفادى وقال مجاهد وقتادة بل هي ناسخة لقوله فاما منا بعد واما فداء وانه
لا يجوز في الاسارى من المشركين القتل وقال ابن زيد الايتان محكمتان وهو الصحيح لان
المن والقتل والفدا لم يزل من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من اول حرب حاربهم

وهو يوم بدر كما سبق وقوله وخذوهم يدل عليه والاخذ هو الاسر والاسر انما يكون للقتل او الفدا او المن على ما يراه الامام ومعنى احصروهم يريد عن التصرف الى بلادكم والدخول اليكم الا ان تاذنوا لهم فيدخلوا اليكم بامان الرابعة قوله تعالى واقعدوا لهم كل مرصد المرصد الموضع الذى ترقب فيه العدو يقال رصدت فلانا ارصده اي رقبته اي اقعدوا لهم في مواضع الغرة حيث يرصدون قال عامر بن الطفيل ولقد علمت وما اخالك ناسيا ان المنية للفتى بالمرصد وقال النابغة اعاذل ان الجهل من لذة الفتى وان المنايا للنفوس بمرصد وفى هذا دليل على جواز اغتيالهم قبل الدعوة ونصب على الظرف وهو اختيار الزجاج يقال ذهبت طريقا وذهبت كل طريق او باسقاط الخافض التقدير في كل مرصد او على كل مرصد فيجعل المرصد اسما للطريق وخطا ابو علي الزجاج في جعله الطريق ظرفا وقال الطريق مكان مخصوص كالبيت والمسجد فلا يجوز حذف الجر منه الا فيما ورد فيه الحذف سماعا كما حكى سيبويه دخلت الشام ودخلت البيت وكما قيل كما عسل الطريق الثعلب الخامسة قوله تعالى فان تابوا اي من الشرك واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم هذه الاية فيها تامل وذلك ان الله تعالى علق القتل على الشرك ثم قال فان تابوا والاصل ان القتل متى كان للشرك يزول بزواله وذلك يقتضي زوال القتل بمجرد التوبة من غير اعتبار اقامة الصلاة وهذا بين في المعنى غير ان الله تعالى ذكر التوبة وذكر معها شرطين اخرين فلا سبيل الى الغائهما نظيره قوله صلى الله عليه وسلم حتى يقولوا لا اله الا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وقال ابو بكر رضي الله عنه والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال قال ابن عباس رحم الله ابا بكر ما كان افقهه قال ابن العربي فانتظم القران والسنة واطردا ولا خلاف بين المسلمين ان من ترك الصلاة وساير الفرايض مستحلا كفر ومن ترك السنن متهاونا فسق ومن ترك النوافل لم يحرج الا ان يجحد فضلها فيكفر لانه يصير رادا على الرسول عليه الصلاة والسلام ما جاء به واخبر عنه واختلفوا فيمن ترك الصلاة من غير جحد ولا استحلال فروى يونس بن عبد الاعلى قال سمعت ابن وهب يقول قال مالك من امن وصدق المرسلين وابى ان يصلي قتل وبه قال ابو ثور وجميع اصحاب الشافعي وهو قول حماد بن زيد ومكحول ووكيع وقال ابو حنيفة يسجن ويضرب ولا يقتل وهو قول ابن شهاب وبه يقول داود بن علي ومن حجتهم قوله عليه الصلاة والسلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وقالوا حقها الثلاث التي قال صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان او زنى بعد احصان او قتل نفس بغير نفس وذهبت جماعة من الصحابة والتابعين الى ان من ترك صلاة متعمدا حتى يخرج وقتها لغير عذر وابى من ادائها وقضائها وقال لا اصلي فانه كافر ودمه وماله حلالان ولا يرثه ورثته المسلمون ويستتاب فان تاب والا قتل وحكم ماله حكم مال المرتد وهو قول اسحق قال اسحق وكذلك كان راى اهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم الى زماننا هذا قال ابن خويز منداد واختلف اصحابنا متى يقتل فقال بعضهم في اخر الوقت المختار وقال بعضهم اخر وقت الضرورة وهو الصحيح من ذلك وذلك ان يبقى من وقت العصر اربع ركعات الى مغيب الشمس ومن الليل اربع ركعات لوقت العشاء ومن الصبح ركعتين قبل طلوع الشمس وقال اسحق وذهاب الوقت ان يؤخر الظهر الى غروب الشمس والمغرب الى طلوع الفجر السادسة هذه الاية دالة على ان من قال قد تبت انه لا يجتزا بقوله

حتى

حتى يضاف الى ذلك افعاله المحققة للتوبة لان الله تعالى شرط هنا مع التوبة اقامة الصلاة وايتاء الزكاة ليحقق بهما التوبة وقال في اية الربا فان تبتم فلكم رؤس اموالكم وقال الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا وقد تقدم في البقرة قوله تعالى وان احد من المشركين اي من الذين امرتك بقتالهم استجارك اي سال جوارك وامانك فاعطه اياه ليسمع القران اي يفهم احكامه واوامره ونواهيه فان قبل امرا فحسن وان ابى فرده الى مامنه وهذا ما لا اختلاف فيه والحمد لله قال مالك هذه امور مشتبهة وارى ان يرد الى مامنه قال ابن القاسم وكذلك الذى يوجد وقد نزل تاجرا بساحلنا فيقول ظننت ان لا تعرضوا لمن جاء تاجرا حتى يبيع وظاهر الاية هي فيمن انما يريد سماع القران والنظر في الاسلام فاما الاجارة لغير ذلك فانما هي لمصلحة المسلمين والنظر فيما يعود عليهم به منفعة الثانية ولا خلاف بين كافة العلماء ان امان السلطان جائز لانه مقدم للنظر والمصلحة نايب عن الجميع في جلب المنافع ودفع المضار واختلفوا في امان غير الخليفة فالحر يمضي امانه عند كافة العلماء الا ابن حبيب قال ينظر الامام فيه واما العبد فله الامان في مشهور المذهب وبه قال الشافعي واصحابه واحمد واسحق والاوزاعي والثوري وابو ثور وداود ومحمد بن الحسن وقال ابو حنيفة لا امان له وهو القول الثاني لعلمائنا والاول اصح لقوله عليه الصلاة والسلام المسلمون تتكافا دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم قالوا فلما قال ادناهم جاز امان العبد وكانت المراة الحرة احرى بذلك ولا اعتبار بقول من قال لا يسهم له وقال عبد الملك بن الماجشون لا يجوز امان المراة الا ان يجيزه الامام فشذ بقوله عن الجمهور واما الصبي فاذا اطاق القتال جاز امانه لانه من جملة المقاتلة ودخل في الفئة الحامية وقد ذهب الضحاك والسدى الى ان هذه الاية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين وقال الحسن هي محكمة سنة الى يوم القيمة وقاله مجاهد وقيل هذه الاية انما كان حكمها باقيا مدة الاربعة الاشهر التي ضربت لهم اجلا وليس بشئ قال سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء الاربعة الاشهر فيسمع كلام الله او ياتيه بحاجة قتل فقال علي رضي الله عنه لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وهذا هو الصحيح والاية محكمة الثالثة قوله تعالى وان احد مرفوع باضمار فعل كالذى بعده وهذا احسن في ان وقبيح في اخواتها ومذهب سيبويه في الفرق بين ان واخواتها انها لما كانت ام حروف الشرط خصت بهذا ولانها تكون في غيره وقال محمد بن يزيد اما قوله لانها لا تكون في غيره فغلط لانها تكون بمعنى ما ومخففة من الثقيلة ولكنها مبهمة وليس كذا غيرها وانشد سيبويه لا تجزعي ان منفسا اهلكته واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي الرابعة قال العلماء في قوله تعالى حتى يسمع كلام الله دليل على ان كلامه مسموع عند قراءة القاري قاله الشيخ ابو الحسن والقاضي ابو بكر وابو العباس القلانسي وابن مجاهد وابو اسحق الاسفرايني وغيرهم لقوله تعالى حتى يسمع كلام الله فنص على ان كلامه مسموع عند قراءة القارى لكلامه ويدل عليه اجماع المسلمين على ان القارى اذا قرا فاتحة الكتاب او سورة قالوا سمعنا كلام الله وفرقوا بين ان يقرا كلام الله تعالى وبين ان يقرا شعر امرئ القيس وقد مضى في البقرة معنى كلام الله تعالى وانه ليس بحرف ولا صوت والحمد لله تعالى قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد كيف هنا للتعجب كما تقول كيف يسبقني فلان اي لا ينبغي ان يسبقني وعهد اسم يكون وفي الاية اضمار اي كيف يكون للمشركين عهد عند الله يامنون به عذابه غدا وكيف يكون لهم عند رسوله عهد يامنون به عذاب الدنيا ثم استثنى فقال

الا الذين عاهدتم قال محمد بن اسحق هم بنو بكر اي ليس العهد الا لهؤلاء الذين لم ينقضوا ولم ينكثوا
قوله تعالى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي ما اقاموا على الوفا بعهدكم فاقيموا لهم على مثل
ذلك ابن زيد فلم يستقيموا فضرب لهم اجل اربعة اشهر فاما من لا عهد له فقاتلوه حيث
وجدتموه الا ان يتوب قوله تعالى كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة واولئك
هم المعتدون يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون اشتروا بايات الله ثمنا قليلا
فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم
المعتدون فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ونفصل الايات
لقوم يعلمون وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم
لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول
وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله
بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب
الله على من يشاء والله عليم حكيم ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ما كان
للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار
هم خالدون قوله تعالى كيف وان يظهروا عليكم اعاد التعجب من ان يكون لهم عهد مع خبث اعمالهم
اي كيف يكون لهم عهد وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يقال ظهرت على فلان اي
غلبته وظهرت البيت اي علوته ومنه فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوا عليه وقوله لا يرقبوا فيكم
الا ولا ذمة يرقبوا يحافظوا والرقيب الحافظ وقد تقدم الا عهدا عن مجاهد وابن زيد وعن
مجاهد ايضا هو اسم من اسماء الله تعالى ابن عباس والضحاك قرابة الحسن جوارا قتادة حلفا
وذمة عهدا ابو عبيدة يمينا وعنه ايضا الا العهد والذمة والتذميم الازهري ايل الله بالعبرانية
واصله من الاليل وهو البريق يقال ال لونه يؤل الا اي صفا ولمع وقيل اصله من الحدة ومنه
الالة للحربة ومنه اذن مؤللة اي محددة ومنه قول طرفة يصف اذني ناقته بالحدة والانتصاب
مؤللتان يعرف العتق فيهما كسامعتي شاة بحومل مفرد فاذا قيل للعهد والجوار والقرابة الا فمعناه
ان الاذن تصرف الى تلك الجهة اي تحدد لها والعهد يسمى الا لصفائه وظهوره ويجمع في القلة آلال
وفي الكثرة آلال الجوهري وغيره والال بالكسر هو الله عز وجل والال ايضا العهد والقرابة
قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام قوله تعالى ولا ذمة وهي
كل حرمة يلزمك اذا ضيعتها ذنب قال ابن عباس والضحاك وابن زيد الذمة العهد ومن
جعل الال العهد فالتكرير لاختلاف اللفظين ابو عبيدة معمر الذمة التذمم ابو عبيدة الذمة
الامان في قوله عليه الصلاة والسلام ويسعى بذمتهم ادناهم وجمع ذمة ذمم وبئر ذمة بفتح الذال
قليلة الماء وجمعها ذمام قال ذو الرمة على حميريات كان عيونها ذمام الركايا انكزتها
المواتح انكزتها اذهبت ماءها واهل الذمة اهل العقد قوله تعالى يرضونكم بافواههم اي
يقولون بالسنتهم ما يرضي ظاهره وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون اي ناقضون العهد وكل كافر
فاسق ولكنه اراد ههنا المجاهرين بالقبائح ونقض العهد قوله تعالى اشتروا بايات الله
ثمنا قليلا يعني المشركين في نقضهم العهود باكلة اطعمهم اياها ابو سفيان قاله مجاهد وقيل
استبدلوا بالقران متاع الدنيا فصدوا عن سبيله اي اعرضوا من الصدود او منعوا عن سبيل الله

من النصر قوله تعالى لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة قال النحاس هذا تكرير ولكن الاول لجميع المشركين
والثاني لليهود خاصة والدليل على هذا اشتروا بايات الله ثمنا قليلا يعني اليهود باعوا حجج الله عز وجل
وبيانه بطلب الرياسة وطمع في شيء واولئك هم المعتدون اي المجاوزون الحلال الى الحرام بنقض العهد
قوله تعالى فان تابوا اي عن الشرك والتزموا احكام الاسلام فاخوانكم في الدين قال ابن عباس حرمت
هذه دماء اهل القبلة وقد تقدم هذا المعنى وقال ابن زيد افترض الله الصلاة والزكاة وابى
ان يفرق بينهما وابى ان يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال ابن مسعود امرتم بالصلاة والزكاة فمن لم
يزك فلا صلاة له وفي حديث قال النبي صلى الله عليه وسلم من فرق بين ثلاث فرق الله بينه
وبين رحمته يوم القيامة من قال اطيع الله ولا اطيع الرسول والله تعالى يقول اطيعوا الله
واطيعوا الرسول ومن قال اقيم الصلاة ولا اوتي الزكاة والله تعالى يقول واقيموا الصلاة
واتوا الزكاة ومن فرق بين شكر الله وشكر والديه والله تعالى يقول اشكر لي ولوالديك
قوله تعالى ونفصل الايات اي نبينها لقوم يعلمون خصهم لانهم المنتفعون بها والله اعلم قوله تعالى
وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فيه سبع مسائل الاولى قوله وان نكثوا ايمانهم
النكث النقض واصله في كل ما فتل ثم حل فهي في الايمان والعهود مستعارة قال وان حلفت
لا ينقض الناي عهدها فليس لمخضوب البنان يمين اي عهد وقوله وطعنوا في دينكم اي بالاستنقاص
والحرب وغير ذلك مما يفعله المشرك يقال طعنه بالرمح وطعن بالقول السيء فيه يطعن بضم
العين فيهما وقيل يطعن بالرمح بالضم ويطعن بالفتح بالقول وهي هنا استعارة ومنه قوله
عليه الصلاة والسلام حين امر اسامة ان يطعنوا في امارته فقد طعنتم في امارة ابيه من قبل
وايم الله ان كان لخليقا للامارة خرجه مسلم خرجه الصحيح الثانية استدل بعض العلماء بهذه
الاية على وجوب قتل كل من طعن في الدين هو كافر والطعن هو ان ينسب اليه ما لا يليق به
او يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين لما ثبت من الدليل القطعي على صحة اصوله واستقامة
فروعه وقال ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم عليه القتل وممن
قال ذلك مالك والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي وقد حكي عن النعمان انه لا يقتل من
سب النبي صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة على ما ياتي وروي ان رجلا قال في مجلس علي ما قتل كعب بن
الاشرف الا غدرا فامر علي بضرب عنقه وقاله اخر في مجلس معاوية فقام محمد بن مسلمة فقال ايقال
هذا في مجلسك وتسكت والله لا اساكنك تحت سقف ابدا ولئن خلوت به لاقتلنه قال
علماؤنا هذا يقتل ولا يستتاب ان نسب الغدر للنبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي فهمه علي
رضي الله عنه ومحمد بن مسلمة رضوان الله عليهما من قائل ذلك لان ذلك زندقة فاما ان
نسبه للمباشرين لقتله بحيث يقول انهم امنوه ثم غدروه لكانت هذه النسبة كذبا
محضا فانه ليس في كلامهم معه ما يدل على انهم امنوه ولا صرحوا له بذلك ولو فعلوا ذلك
لما كان امانا لان النبي صلى الله عليه وسلم انما وجههم لقتاله لا لتامينه واذن لمحمد بن مسلمة
في ان يقول وعلى هذا فيكون في قتل من نسب ذلك لهم نظر وتردد وسببه هل يلزم من نسب
الغدر لهم نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم لانه قد صوب فعلهم او لا يلزم من نسبة الغدر لهم
نسبته له صلى الله عليه وسلم فلا يقتل واذا قلنا لا يقتل فلا بد من تنكيل ذلك القائل وعقوبته
بالسجن والضرب الشديد او الاهانة العظيمة الثالثة فاما الذمي طعن في الدين انتقض
عهده في المشهور من مذهب مالك لقوله وان نكثوا ايمانهم الاية فامر بقتلهم وقتالهم وهذا

مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة في هذا انه يستتاب وان مجرد الطعن لا ينقض به العهد الا
مع وجود النكث لان الله تعالى انما امر بقتلهم بشرطين احدهما نقضهم العهد والثاني طعنهم في
الدين قلنا ان عملوا ما يخالف العهد انتقض عهدهم وذكر الامرين لا يقتضي توقف قتاله على
وجودهما فان النكث يبيح ذلك بانفراده عقلا وشرعا وتقدير الاية عندنا وان نكثوا حل قتالهم
وان لم ينكثوا بل طعنوا في الدين مع الوفا بالعهد وقد روي ان عمر رفع اليه ذمي نخس دابة
عليها امراة مسلمة فرمحت فاسقطتها فانكشف بعض عورتها فامر بصلبه في الموضع الرابعة
اذا حارب الذمي نقض عهده وكان ماله وولده فيئا وقال محمد بن مسلمة لا يؤاخذ ولده
به لانه نقض وحده وقال اما ماله فيوخذ وهذا تعارض لا يشبه منصب محمد بن مسلمة
لان عهده هو الذي حمى ماله فاذا ذهب عنه ماله ذهب عنه ولده وقال اشهب اذا نقض
الذمي العهد فهو على عهده ولا يعود في الرق ابدا وهذا من العجب وكانه راى العهد معنى محسوسا
وانما العهد حكم اقتضاه النظر والتزمه المسلمون له فاذا نقضه انتقض كساير العقود الخامسة
اكثر العلماء على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة او عرض او استخف بقدره
او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فانه يقتل لانا لم نعطه الذمة والعهد الا على هذا الا ابا
حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم
ولكن يؤدب ويعزر والحجة عليه قوله تعالى وان نكثوا ايمانهم الاية واستدل عليه بعضهم
بامره صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وكان معاهدا وتغيظ ابو بكر على رجل من اصحابه
فقال ابو برزة الا اضرب عنقه فقال ما كانت لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى
الدارقطني عن ابن عباس ان رجلا اعمى كانت له ام ولد له منها ابنان مثل اللؤلؤتين وكانت
تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فينهاها فلم تنته ويزجرها فلم تنزجر فلما كان ذات
ليلة ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم فما صبر ان قام الى المعول فوضعه في بطنها ثم اتكا عليها حتى
انفذه فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا اشهدوا ان دمها هدر في رواية فقتلها فلما اصبح قيل
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقام الاعمى فقال يا رسول الله انا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك
فانهاها فلم تنته وازجرها فلم تنزجر ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين وكانت بي رفيقة
فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فقتلتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا اشهدوا
ان دمها هدر السادسة واختلفوا اذا سبه ثم اسلم تقية من القتل فقيل يسقط اسلامه
قتله وهو المشهور من المذهب لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب
قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقيل لا يسقط الاسلام قتله
قاله في العتبية لانه حق النبي صلى الله عليه وسلم لانتهاك حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة
فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه ولا يكون احسن حالا من المسلم السابعة قوله تعالى
فقاتلوا ائمة الكفر ائمة جمع امام والمراد صناديد قريش في قول بعض العلما كابي جهل وعتبة
وامية ابن خلف وهذا بعيد فان الاية في سورة براءة وحين نزلت وقريت على الناس
كان الله قد استاصل شافة قريش فلم يبق الا مسلم او مسالم فيحتمل ان يكون المراد فقاتلوا ائمة
الكفر ان من اقدم على نكث العهد والطعن في الدين يكون اصلا وراسا في الكفر على هذا ويحتمل
ان يعني به المتقدمين والرؤسا منهم وان قتالهم قتال لاتباعهم وانهم لا حرمة لهم والاصل ائمة
كمثال وامثلة ثم ادغمت الميم في الميم وقلبت الحركة على الهمزة فاجتمعت همزتان فابدلت من الثانية

ياء وزعم الاخفش انك تقول هذا ايم من هذا بالياء وقال المازني اوم من هذا بالواو وقرا حمزة ائمة
واكثر النحويين يذهب الى ان هذا لحن لانه جمع بين همزتين في كلمة واحدة انهم لا ايمان لهم اي
ليست عهودهم صادقة يوفون بها وقرا ابن عامر لا ايمان لهم بكسر الهمزة من الايمان اي لا اسلام لهم ويحتمل
ان يكون مصدر امنته ايمانا من الامن الذي ضده الخوف اي لا يؤمنون من امنتهم اي لخفرتهم فلهذا
قال قاتلوا ائمة الكفر لعلهم ينتهون اي عن الشرك قال الكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم وادع اهل
مكة سنة وهو بالحديبية فحبسوه عن البيت ثم صالحوه على ان يرجع فمكثوا ما شاء الله ثم قاتل حلفا
رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة حلفا بني امية من كنانة فامدت بنو امية حلفاءهم بالسلاح
والطعام فاستغاثت خزاعة برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يعين حلفاءه كما سبق وفي البخاري عن زيد بن وهب قال كنا عند حذيفة
فقال ما بقي من اصحاب هذه الاية يعني فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم الا ثلاثة ولا بقي من
المنافقين الا اربعة فقال اعرابي انكم اصحاب محمد تخبرونا اخبارا لا ندري ما هي تزعمون ان لا
منافق الا اربعة فما بال هولاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون اعلاقنا قال اولئك الفساق
اجل لم يبق منهم الا اربعة شيخ لو شرب الماء البارد لما وجد برده قوله تعالى لعلهم ينتهون
اي عن كفرهم وباطلهم واذيتهم للمسلمين وذلك يقتضي ان يكون الغرض من قتالهم دفع ضررهم
لينتهوا عن مقاتلتنا ويدخلوا في ديننا قوله تعالى الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم توبيخ وفيه
معنى التحضيض نزلت في كفار مكة كما ذكرنا انفا وهموا باخراج الرسول اي كان منهم سبب الخروج
فاضيف الاخراج اليهم وقيل اخرجوا الرسول عليه الصلاة والسلام عن المدينة لقتال اهل مكة
للنكث الذي كان منهم عن الحسن وهم بدءوكم اول مرة اي نقضوا العهد واعانوا بني بكر على خزاعة
وقيل بدءوكم بالقتال يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم خرج للعير ولما احرزوا عيرهم كان يمكنهم
الانصراف فابوا الا الوصول الى بدر وشرب الخمر بها كما تقدم فالله احق ان تخشوه اي تخافون
عقابه في ترك قتالهم من ان تخافوا ان ينالكم في قتالهم مكروه وقيل اخراجهم الرسول منعهم
اياه من الحج والعمرة والطواف وهو ابتداؤهم قوله تعالى قاتلوهم امر يعذبهم الله جواب وهو جزم
بمعنى المجازاة والتقدير ان تقاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور
قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم دليل على ان غيظهم كان قد اشتد قال مجاهد يعني خزاعة
حلفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكله عطف ويجوز فيه كله الرفع على القطع من الاول ويجوز
النصب على اضمار ان وهو الصرف عند الكوفيين كما قال فان يهلك ابو قابوس يهلك
ربيع الناس والشهر الحرام ويأخذ بعده بذناب عيس اجب الظهر ليس لها سنام وان
شئت رفعت وتاخذ وان شئت نصبته والمراد بقوله ويشف صدور قوم مؤمنين بنو
خزاعة حلفا النبي صلى الله عليه وسلم فانشد رجل من بني بكر هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له بعض خزاعة لئن اعدته لاكسرن فمك فاعاده فكسر فاه وثار بينهم قتال فقتلوا من الخزاعيين
اقواما فخرج عمرو بن سالم الخزاعي في نفر الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبروه فدخل منزل ميمونة
وقال اسكبوا لي ماء فجعل يغتسل وهو يقول لا نصرت ان لم انصر بني كعب ثم امر عليه الصلاة
والسلام بالتجهيز والخروج الى مكة قوله تعالى ويتوب الله على من يشاء القراءة بالرفع على
الاستيناف لانه ليس من جنس الاول ولهذا لم يقل ويتب بالجزم لان القتال غير موجب لهم
التوبة من الله عز وجل وهو موجب لهم العذاب والخزي وشفا صدور المؤمنين وذهاب غيظ

قلوبهم ونظيره فان يشاء الله يختم على قلبك ثم الكلام ويمحو الله الباطل والذين تاب الله عليهم
مثل ابي سفيان وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فانهم اسلموا وقرا ابن ابي اسحق ويتوب
بالنصب وكذا روي عن عيسى الثقفي والاعرج وعليه فتكون التوبة داخلة في الشرط لان معنى ان
تقاتلوهم يجمع بين تعذيبهم بايديكم وشفاء صدوركم واذهاب غيظ قلوبكم والتوبة عليكم والرفع
احسن لان التوبة لا تكون بسببها القتال اذ قد توخذ بغير قتال لمن شاء الله ان يتوب عليه
في كل حال قوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا خروج من شي الى شي ان تتركوا في موضع المفعولين
على قول سيبويه وعند المبرد انه قد حذف الثاني ومعنى الكلام ام حسبتم ان تتركوا من غير ان
تبتلوا بما يظهر به المؤمن والمنافق الظهور الذي يستحق فيه الثواب والعقاب وقد تقدم هذا
المعنى في غير موضع ولما يعلم جزم بلما وان كانت ما زائدة فانها تكون عند سيبويه جوابا بالقولك
قد فعل كما تقدم وكسرت الميم لالتقاء الساكنين وليجة بطانة ومداخلة من الولوج وهو الدخول
ومنه سمي الكناس الذي يلج فيه الوحوش وولج يلج ولوجا اذا دخل والمعنى دخيلة مودة من دون الله
ورسوله قال ابو عبيدة كل شي ادخلته في شي ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم
وليجة قال ابن زيد الوليجة الدخيلة والولجا الوجلا فوليجة الرجل من يختص بدخلة امره دون
الناس تقول هو وليجتي وهم وليجتي الواحدة والجمع فيه سواء قال ابان بن تغلب فبئس الوليجة
الهاربين والمعتدين واهل الريب وقيل وليجة بطانة والمعنى واحد نظيره لا تتخذوا بطانة
من دونكم قال الفراء وليجة بطانة من المشركين يتخذونهم ويفشون اليهم اسرارهم ويعلمونهم امورهم
قوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الجملة من ان يعمروا في موضع رفع اسم كان شاهدين
على الحال واختلف العلماء في تاويل هذه الاية فقيل اراد ليس لهم الحج بعد ما نودي فيهم بالمنع
عن المسجد الحرام وكانت امور البيت كالسدانة والسقاية والرفادة الى المشركين فبين انهم
ليسوا اهلا لذلك بل اهله المؤمنون وقيل ان العباس لما اسر وعير بالكفر وقطيعة الرحم قال
تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال علي الكم محاسن قال نعم انا لنعمر المسجد الحرام
ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فنزلت هذه الاية ردا عليه فيجب اذا على
المسلمين تولي احكام المساجد ومنع المشركين من دخولها وقراءة العامة يعمروا بفتح الياء
وضم الميم من عمر يعمر وقرا ابن السميفع بضم الياء وكسر الميم اي يجعلوه عامرا او يعينوا على
عمارته وقرى مسجد الله على التوحيد اي المسجد الحرام وهي قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير
وعطا ابن ابي رباح ومجاهد وابن كثير وابي عمرو وابن محيصن ويعقوب الباقون مساجد
على التعميم وهي اختيار ابي عبيد لانه اعم والخاص يدخل تحت العام وقد يحتمل ان يراد بقراءة
الجمع المسجد الحرام خاصة وهذا جايز فيما كان من اسماء الجنس كما يقال فلان يركب الخيل وان
لم يركب الا فرسا والقراءة مساجد اصوب لانه يحتمل المعنيين وقد اجمعوا على قراءة قوله انما
يعمر مساجد الله على الجمع قاله النحاس وقال الحسن انما قال مساجد وهو المسجد الحرام لانه
قبلة المساجد كلها وامامها قوله شاهدين قيل اراد وهم شاهدون فلما طرح وهم نصب قال
ابن عباس شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان النصراني يسال ما دينك فيقول نصراني واليهودي
فيقول يهودي والصابي فيقول صابي ويقال للمشرك ما دينك فيقول مشرك اولئك حبطت
اعمالهم وفي النار هم خالدون قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر
واقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين

اجعلتم

اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا
يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم يا ايها الذين امنوا لا
تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون
قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي
الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ
اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين
قوله انما يعمر مساجد الله من امن بالله الى قوله من المهتدين فيه ثلاث مسائل الاولى قوله
انما يعمر مساجد الله من امن بالله دليل على الشهادة لعمار المساجد بالايمان الصحيحة لان الله
سبحانه ربطه بها واخبر عنه بملازمتها وقد قال بعض السلف اذا رايتم الرجل يعمر المسجد
فحسنوا به الظن روى الترمذي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من
امن بالله واليوم الاخر في رواية يتعاهد المسجد قال حديث حسن غريب قال ابن العربي
هذا في ظاهر الكلام ليس في مقاطع الشهادات فان الشهادات لها احوال عند العارفين
بها فان منهم الذكي الفطن المحصل لما يعلم اعتقادا واخبارا ومنهم المغفل وكل واحد ينزل
منزلته ويقعد على صفته الثانية قوله تعالى ولم يخش الا الله ان قيل ما من مومن الا وقد
خشي غير الله وما زال المومنون والانبياء يخشون الاعداء من غيرهم قيل له المعنى لم يخش
الا الله مما يعبد فان المشركين كانوا يعبدون الاوثان ويخشونها ويرجونها جواب ثان
اي لم يخف في باب الدين الا الله الثالثة فان قيل فقد اثبت في الاية الايمان لمن عمر
المساجد بالصلاة قيل له دل على الرسول ما ذكر من اقامة الصلاة وغيره لانه مما جاء به فاقامة
الصلاة وايتاء الزكاة انما يصح من المؤمن بالرسول فلهذا لم يفرده بالذكر وعسى من الله
واجبة عن ابن عباس وغيره وقيل عسى بمعنى خليق اي فخليق ان يكونوا من المهتدين
قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج الى قوله الظالمين فيه مسئلتان الاولى قوله اجعلتم
التقدير في العربية اجعلتم اصحاب سقاية الحاج سبيل من امن بالله وجاهد في سبيله ويصح
ان يقدر الحذف في من امن اي اجعلتم عمل سقي الحاج كعمل من امن وقيل التقدير كايمان
من امن والسقاية مصدر كالسعاية والحماية فجعل الاسم بموضع المصدر اذ علم معناه مثل انما
السخاء حاتم وانما الشعر زهير وعمارة المسجد الحرام مثل واسئل القرية وقرا ابن ابي وجزة
اجعلتم سقاة الحاج وعمارة المسجد الحرام سقاة جمع ساق والاصل سقية على فعلة كذا يجمع
المعتل من هذا نحو قاض وقضاة وناس ونساه فان لم يكن معتلا جمع على فعلة نحو ناسئ ونساه
الذين كانوا ينسئون الشهور وكذا قرا ابن الزبير وسعيد بن جبير سقاه وعمرة الا ابن جبير نصب
المسجد على ارادة التنوين في عمرة وقال الضحاك سقاية بضم السين وهي لغة والحاج اسم
جنس الحجاج وعمارة المسجد الحرام كما ذكره السدي قال افتخر عباس بالسقاية وشيبة بالعمارة
وعلي بالاسلام والجهاد فصدق الله عليا وكذبهما واخبر ان العمارة لا تكون بالكفر وانما تكون

بالايمان والعبادة واداء الطاعة وهذا بين لا غبار عليه ويقال ان المشركين سالوا اليهود وقالوا نحن
سقاة الحجاج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت اليهود لهم عنادا للرسول
الله صلى الله عليه وسلم انتم افضل وقد اعترض هنا اشكال وهو ما جاء في صحيح مسلم عن النعمان بن
بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي الا اعمل عملا بعد الاسلام
الا ان اسقي الحاج وقال اخر ما ابالي الا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال اخر الجهاد
في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت واستفتيته فيما اختلفتم فانزل الله عز وجل اجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله الى اخر الاية وهذا المساق يقتضي انها انما نزلت
عند اختلاف المسلمين في الافضل من هذه الاعمال وحينئذ لا يليق ان يقال لهم في اخر الاية والله
لا يهدي القوم الظالمين فتعين الاشكال وان السنة ان يقال ان بعض الرواة تسامح في قوله
فانزل الله الاية وانما قرء النبي صلى الله عليه وسلم الاية على عمر حين سأله وظن الراوي انها نزلت
حينئذ واستدل بها النبي صلى الله عليه وسلم على ان الجهاد افضل مما قال اولئك الذين سمعهم
عمر فاستفتى لهم فتلى عليهم ما قد كان انزل الله عليه لا انها نزلت في هؤلاء والله اعلم فان قيل
فعلى هذا لا يجوز الاستدلال على المسلمين بما انزل في الكافرين ومعلوم ان احكامهم مختلفة قيل له
لا تستبعد ان ينتزع مما انزل الله في المشركين احكاما تليق بالمسلمين وقد قال عمر انا لو شئنا
لاتخذنا سلايق وشوا وتوضع صحفة وترفع اخرى ولكنا سمعنا قول الله اذهبتم طيباتكم في
حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وهذه الاية نص في الكفار ومع ذلك فهم عمر منها الزجر لما
يناسب احوالهم بعض المناسبة ولم ينكر عليه احد من الصحابة فيما ان تكون هذه الاية من
هذا النوع وهذا نفيس وبه يزول الاشكال ويرتفع الابهام قوله تعالى الذين امنوا في موضع
رفع بالابتدا وخبره اعظم درجة عند الله ودرجة نصب على البيان اي من الذين افتخروا
بالسقي والعمارة وليس للكافرين درجة عند الله حتى يقال المؤمن اعظم درجة والمراد انهم قدروا
لانفسهم الدرجة بالعمارة والسقي فخاطبهم على ما قدروه في نفسهم وان كان التقدير خطا كقوله
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقيل اعظم درجة من كل ذي درجة اي لهم المزية والمرتبة
العلية واولئك هم الفائزون بذلك قوله تعالى يبشرهم ربهم اي يعلمهم في الدنيا ما لهم في الاخرة
من الثواب الجزيل والنعيم المقيم لين العيش ورغده خالدين نصب على الحال والخلود الاقامة ان
الله عنده اجر عظيم اي اعد لهم في دار كرامته ذلك الثواب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا
تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ظاهر هذه الاية انها خطاب لجميع المؤمنين كافة وهي باقية
الحكم الى يوم القيمة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين وروت فرقة ان هذه الاية
انما نزلت في الحض على الهجرة ورفض بلاد الكفرة فالمخاطبة على هذا انما هي للمؤمنين الذين كانوا
بمكة وغيرها من بلاد العرب خوطبوا بان لا يوالوا الاباء والاخوة فيكونون لهم تبعا في سكنى بلاد
الكفر ان استحبوا اي احبوا كما يقال استجاب بمعنى اجاب ولا يطيعوهم ولا يعطوهم كما قال الله
سبحانه الاباء والاخوات اذ لا قرابة اقرب منها فنفى الموالاة بينهم كما نفاها بين الناس بقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ليبين ان القرب قرب الاديان
لا قرب الابدان وفي مثله ينشد الصوفية يقولون لي دار الاحبة قد دنت وانت كئيب ان
ذا العجيب فقلت وما تغني ديار قريبة اذا لم يكن بين القلوب قريب فكم من بعيد الدار نال

مراده

مراده واخر جار الجنب مات كئيب ولم يذكر الابناء في هذه الاية اذ الاغلب من البشر ان الابناء هم
التبع للاباء والاحسان والهبة مستثنى من الولاية قالت اسماء يا رسول الله ان امي قدمت علي راغبة
وهي مشركة افاصلها قال صلي امك اخرجه البخاري قوله تعالى ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون
قال ابن عباس هو مشرك مثلهم لان من رضي بالشرك فهو مشرك قوله تعالى قل ان كان اباؤكم الاية لما
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة من مكة الى المدينة جعل الرجل يقول لابيه والاخ لاخيه
والرجل لزوجته انا قد امرنا بالهجرة فمنهم من تسارع لذلك ومنهم من ابى ان يهاجر فيقول والله
لئن لم تخرجوا الا ابعيكم ولا انفق عليكم شيئا ابدا ومنهم من يتعلق به اخواته وولده ويقولون له
انشدك بالله لا تخرج فنضيع بعدك فمنهم من يرق فيدع الهجرة ويقيم معهم فنزلت يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان يقول الاقامة على الكفر بمكة على
الايمان بالله والهجرة الى المدينة ومن يتولهم منكم بعد نزول الاية فاولئك هم الظالمون ثم
نزل في الذين تخلفوا ولم يهاجروا قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
وهي الجماعة التي ترجع الى عقد واحد كعقد العشيرة فما زاد منه المعاشرة وهي الاجتماع على
الشيء واموال اقترفتموها يقول اكتسبتموها بمكة واصل الاقتراف اقتطاع الشيء من مكانه الى غيره
وتجارة تخشون كسادها قال ابن المبارك هي البنات والاخوات اذا كدن في البيت لا يجد
لهن خاطبا قال الشاعر كدن من العفر في قومهن وقد زادهن مقامي كسودا ومساكن
ترضونها يقول ومنازل تعجبكم الاقامة فيها احب اليكم من ان تهاجروا الى الله ورسوله بالمدينة
واحب خبر كان ويجوز في غير القران رفع احب على الابتدا والخبر وخبر كان مضمر فيها وانشد
سيبويه اذا مت كان الناس صنفان شامت واخر مثني بالذي كنت اصنع وانشد هي
الشفاء لدائي لو ظفرت بها وليس فيها شفاء الداء مبذول وفي الاية دليل على وجوب
حب الله ورسوله ولا خلاف في ذلك بين الامة وان ذلك مقدم على كل محبوب وقد مضى في ال
عمران معنى محبة الله تعالى ومحبة رسوله وجهاد في سبيله فتربصوا صيغته صيغة امر
ومعناه التهديد يقول انتظروا حتى ياتي الله بامره يعني بالقتال عن مجاهد والحسن بعقوبة
اجلة وعاجلة وفي قوله وجهاد في سبيله دليل على فضل الجهاد وسياتي في اخر السورة وقد
مضى من احكام الهجرة في النساء فيه كفاية وفي الحديث الصحيح ان الشيطان قعد لابن
ادم ثلاث مقاعد قعد له في طريق الاسلام فقال لم تذر دينك ودين ابائك فخالفه
واسلم وقعد له في طريق الهجرة فقال اتذر اهلك ومالك فخالفه وهاجر ثم قعد له
في طريق الجهاد فقال له تجاهد فتقتل فينكح اهلك ويقسم مالك فخالفه وجاهد فحق
على الله ان يدخله الجنة واخرجه النسائي من حديث سبرة ابن ابي فاكه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان فذكره قال البخاري ابن الفاكه ولم يذكر فيه اختلافا
وقال ابن ابي عدي يقال ابن فاكه وابن ابي فاكه انتهى قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم الى قوله غفور رحيم فيه ثمانية مسائل الاولى
قوله لقد نصركم الله في مواطن كثيرة لما بلغ هوازن فتح مكة جمعهم مالك بن عوف النصري
من بني نصر ابن مالك وكانت الرياسة في جميع العساكر اليه وساق مع الكفار اموالهم
ومواشيهم ونساءهم واولادهم وزعم ان ذلك يحمي به نفوسهم وتشتد في القتال عند ذلك
شوكتهم وكانوا ثمانية الاف في قول الحسن ومجاهد وقيل اربعة الاف من هوازن وثقيف

وعلى هوازن مالك بن عمرو وعلى ثقيف كنانة بن عبد فنزلوا باوطاس وبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم عبد الله بن ابي حدرد الاسلمي عينا فاتاه واخبره بما شاهد منهم فعزم رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قصدهم واستعار من صفوان بن امية بن خلف الجمحي دروعا قيل مائة
درع وقيل اربعمائة درع واستلف من ربيعة المخزومي ثلاثين الفا او اربعين الفا فلما قدم
قضاه اياه ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم بارك الله لك في اهلك ومالك انما جزاء السلف
الوفا والحمد خرجه ابن ماجة في السنن وخرج عليه الصلاة والسلام في اثني عشر الفا من المسلمين
منهم عشرة الاف صحبوه من المدينة والفان من مسلمة الفتح وهم الطلقا الى ما انضاف اليهم من
الاعراب من سليم ومن كلاب وعبس وذبيان واستعمل على مكة عتاب بن اسيد وفي مخرجه
هذا راى جهال الاعراب شجرة خضرا وكان لهم في الجاهلية شجرة معروفة تسمى ذات انواط
تخرج اليها الكفار يوما معروفا في السنة يعظمونها فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط
كما لهم ذات انواط فقال عليه السلام الله اكبر قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى اجعل
لنا الها كما لهم آلهة انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى انهم
لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى وادي حنين وهو من
اودية تهامة وكانت هوازن قد كمنت في جنبتي الوادي وذلك في غبش الصبح فحملت على المسلمين
حملة رجل واحد فانهزم جمهور المسلمين ولم يلو احد على احد وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وثبت معه ابو بكر وعمر ومن اهل بيته علي والعباس وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وابنه
جعفر واسامة بن زيد وايمن بن عبيد وهو ابن ام ايمن قتل يومئذ بحنين وربيعة بن الحرث
والفضل بن عباس وقيل في موضع جعفر بن ابي سفيان قثم بن العباس فهؤلاء عشرة رجال ولهذا
قال العباس   نصرنا رسول الله في الحرب تسعة   وقد فر من قد فر منهم واقشعوا وعاشرنا
لاقى الحمام بنفسه   بما مسه في الله لا يتوجع   وثبتت ام سليم في جملة من ثبت ممسكة بعيرا لابي
طلحة وفي يدها خنجر ولم ينهزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا واحد من هؤلاء وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم على بغلته الشهبا واسمها دلدل وفي صحيح مسلم عن انس وفيه قال ابن عباس وانا
اخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها الا تسرع وابو سفيان اخذ بركاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عباس ناد اصحاب السمرة فكان
عباس وكان رجلا صيتا وكان من شدة صوته انه اغير يوما على مكة فنادى واصباحاه
فاسقطت كل حامل سمعت صوته جنينها فقلت باعلى صوتي اين اصحاب السمرة قال فوالله لكان
عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار
الحديث وفيه قال ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بها وجوه الكفار ثم قال
انهزموا ورب محمد قال فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فيما ارى قال فوالله ما هو
الا ان رماهم بحصياته فما زلت ارى حدهم كليلا وامرهم مدبرا قال ابو عمر وروينا من وجوه
عن بعض من اسلم من المشركين ممن شهد حنينا انه قال وقد سئل عن يوم حنين لقينا المسلمون
فما لبثنا ان هزمناهم واتبعناهم حتى انتهينا الى رجل راكب على بغلة بيضا فلما رانا زجرنا
زجرة وانتهرنا واخذ بكفه حصا او ترابا فرمى به وقال شاهت الوجوه فلم يبق عين
الا دخلها من ذلك وما ملكنا انفسنا الا رجعنا على اعقابنا وقال سعيد بن جبير حدثنا رجل
من المشركين يوم حنين قال لما التقينا مع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبثنا ان

فهزمناهم

هزمناهم واتبعناهم حتى انتهينا الى رجل راكب على بغلة بيضاء لم يقفوا لنا حلب شاة حتى الى صاحب البغلة
الشهبا يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه
ارجعوا فرجعنا وركبوا اكتافنا فكانت اياها يعني الملائكة قلت ولا تعارض بانه يحتمل ان يكون
شاهت الوجوه من قوله عليه الصلاة والسلام ومن قول الملائكة معا ويدل على ان الملائكة قاتلت يوم
يوم حنين والله اعلم وقتل علي رضي الله عنه يوم حنين اربعين رجلا بيده وسبى رسول الله صلى
الله عليه وسلم اربعة الاف راس وقيل ستة الاف واثني عشر الف ناقة سوى ما لا يعلم من الغنائم
الثانية قال العلماء في هذه الغزاة قال النبي صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا له عليه بينة فله
سلبه وقد مضى في الانفال بيانه قال ابن العربي ولهذه النكتة وغيرها ادخل الاحكاميون
هذه الاية في الاحكام قلت وفيها ايضا جواز استعارة السلاح وجواز الاستمتاع بما استعير
اذا كان على المعهود فيما يستعار له مثله وجواز الاستسلاف للامام المال عند الحاجة الى ذلك ورده
الى صاحبه وحديث صفوان اصل في هذا الباب وفي هذه الغزاة امر صلى الله عليه وسلم ان لا توطا
حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض حيضة وهو يدل على ان السبا يقطع العصمة وقد مضى بيانه
في النساء مستوفى وفي حديث مالك ان صفوان خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كافر فشهد
حنينا والطائف وامراته مسلمة الحديث قال مالك ولم يكن ذلك بامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا ارى ان يستعان بالمشركين على المشركين الا ان يكونوا خدما او نواتية وقال ابو حنيفة والشافعي
والثوري والاوزاعي لا باس بذلك اذا كان حكم الاسلام هو الغالب وانما لهم في الانفال الثالثة
قوله تعالى ويوم حنين واد بين مكة والطائف وانصرف لانه اسم مذكر وهي لغة القرآن ومن العرب
من لا يصرفه يجعله اسما للبقعة وانشد   نصروا نبيهم وشدوا ازره   بحنين يوم تواكل
الابطال   ويوم ظرف وانتصب هنا على معنى نصركم يوم حنين قال الفراء لم تنصرف مواطن لانه
ليس لها نظير في المفرد وليس لها جماع الا ان الشاعر ربما اضطر فجمع وليس يوجد في الكلام كلما
يجوز في الشعر وانشد   فهن يعلكن حدائداتها   قال النحاس رايت ابا اسحق يتعجب من هذا قال
اخذ قول الخليل يقول لا ينصرف لانه جمع لا نظير له في الواحد ولا يجمع جمع التكسير واما بالالف والتاء
فلا يمتنع الرابعة قوله تعالى اذ اعجبتكم كثرتكم قيل كانوا اثني عشر الفا وقيل احد عشر الفا وخمسمائة
وقيل ستة عشر الفا وقال بعضهم لن نغلب اليوم عن قلة فوكلوا الى هذه الكلمة فكان ما ذكرنا
من الهزيمة في الابتداء الى ان تراجعوا فكان النصر والظفر للمؤمنين ببركة سيد المرسلين
فبين تعالى في هذه الاية ان الغلبة انما تكون بنصر الله لا بالكثرة وقد قال وان يخذلكم
فمن ذا الذي ينصركم من بعده الخامسة قوله تعالى وضاقت عليكم الارض بما رحبت اي من
الخوف كما قال   كان بلاد الله وهي عريضة   على الخائف المطلوب كفة حابل   والرحب بضم
الراء السعة تقول منه فلان رحب الصدر والرحب بالفتح الواسع تقول منه بلد واسع
وارض رحب وقد رحبت ترحب رحبا ورحابة فقيل الباء بمعنى مع اي مع رحبها وقيل بمعنى
برحبها فما مصدرية السادسة قوله تعالى ثم وليتم مدبرين روى مسلم عن ابي اسحق قال جاء
رجل الى البرا فقال اكنتم وليتم يوم حنين يا ابا عمارة فقال اشهد ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
ما ولى ولكنه انطلق اخفا من الناس وحسر الى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم
برشق من نبل كانها رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو سفيان يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول   انا النبي لا كذب   انا

ابن عبد المطلب اللهم نزل نصرك قال البراء كنا والله اذا احمر البأس نتقي به وان الشجاع منا الذي
يحاذي يعني به النبي صلى الله عليه وسلم السابعة قوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى
المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب
الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من
فضله ان شاء ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية
عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها
واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى
الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون قوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى
المؤمنين اي انزل عليهم ما يسكنهم فيذهب خوفهم حتى اجترؤا على قتال المشركين بعد ان ولوا وانزل
جنودا لم تروها وهم الملائكة يقوون المؤمنين بما يلقون في قلوبهم من الخواطر والتثبيت ويضعفون
الكافرين بالتخيير لهم من حيث لا يرونهم من غير قتال قال لان الملائكة لم تقاتل الا يوم بدر
وروي ان رجلا من بني نضر قال للمؤمنين بعد القتال اين الخيل البلق والرجال الذين
كانوا عليها بيض ما كنا فيهم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بايديهم فاخبروا النبي صلى
الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة وعذب الذين كفروا اي باسيافهم وذلك جزاء الكافرين
ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء اي على من انهزم فيهديه الى الاسلام كمالك بن عوف
النضري رئيس حنين ومن اسلم معه من قومه الثامنة ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
غنائم حنين بالجعرانة اتاه وفد هوازن مسلمين راغبين في ان يعطف عليهم والاحسان اليهم
وقالوا يا رسول الله انك خير الناس وابر الناس قد اخذت ابناءنا ونساءنا واموالنا فقال
اني قد كنت استانيت بكم وقد وقعت المقاسم وعندي من ترون وان خير القول اصدقه فاختاروا
اما ذراريكم واما اموالكم فقالوا لا نعدل بالانساب شيئا فقام خطيبا وقال هؤلاء جاؤنا
مسلمين وقد خيرناهم فلم يعدلوا بالاحساب فرضوا برد الذرية فما كان لي ولبني عبد المطلب
ولبني هاشم فهو لهم وقال المهاجرون والانصار اما ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وامتنع
الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن في قومهما من ان يردوا عليهم شيئا مما وقع في سهامهم وامتنع
العباس بن مرداس السلمي كذلك وطمع ان يساعده قومه كما ساعد الاقرع وعيينة قومهما
فابت بنو سليم وقالوا بل ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ضن منكم بما في يديه فانا نعوضه منه فرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءهم
وابناءهم وعوض من لم تطب نفسه بنصيبه اعراضا بها رضوا وقال قتادة ذكر لنا ان ظئر
النبي صلى الله عليه وسلم التي ارضعته من بني سعد اتته يوم حنين فسالته سبايا حنين فقال
صلى الله عليه وسلم اني لا املك الا ما يصيبني منهم ولكن ايتيني غدا فسليني والناس عندي
فاذا اعطيتك حصتي اعطاك الناس فجاءت الغد فبسط لها ثوبه فاقعدها عليه ثم سالته

فاعطاها نصيبه فلما راى ذلك الناس اعطوها انصباءهم وكان عدد سبي هوازن في قول سعيد
بن المسيب ستة الاف راس وقيل اربعة الاف راس قال ابو عمر فيهم الشيماء اخت النبي صلى الله
عليه وسلم من الرضاعة وهي بنت الحارث بن عبد العزى من بني سعد بن بكر وحليمة السعدية
فاكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاها واحسن اليها ورجعت الى بلادها مسرورة بدينها
وبما افاء الله عليها قال ابن عباس راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اوطاس امراة تعدو
وتصيح ولا تستقر فسال عنها فقيل فقدت بنيا لها ثم رات ها وقد وجدت ابنها وهي تقبله
وترشفه فدعاها وقال اطارحة هي ولدها في النار قالوا لا قال لم قالوا لشفقتها قال الله ارحم
بكم منها اخرجه مسلم بمعناه والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس الى قوله
حكيم فيه سبع مسائل الاولى قوله يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس ابتدا وخبر واختلف
العلماء في معنى وصف المشركين بالنجاسة فقال قتادة ومعمر بن راشد وغيرهما لانه جنب
اذ غسله من الجنابة ليس بغسل وقال ابن عباس وغيره بل معنى الشرك هو الذي نجسه قال
الحسن البصري من صافح مشركا فليتوضا والمذهب كله على ايجاب الغسل على الكافر اذا اسلم الا ابن
عبد الحكم فانه قال ليس بواجب لان الاسلام يهدم ما قبله وبوجوب الغسل عليه قال احمد
وابو ثور واسقطه الشافعي وقال احب الي ان يغتسل ونحوه لابن القاسم ولمالك قول انه
لا يعرف رواه عنه ابن وهب وابن ابي اويس وحديث ثمامة وقيس بن عاصم يرد هذه
الاقوال رواهما ابو حاتم البستي في صحيح مسنده وان النبي صلى الله عليه وسلم مر بثمامة يوما فاسلم
فبعث به الى حائط ابي طلحة فامره ان يغتسل وصلى ركعتين فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقد حسن اسلام صاحبكم واخرجه مسلم بمعناه وفيه ان ثمامة لما من عليه النبي صلى
الله عليه وسلم انطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل وامر قيس بن عاصم ان يغتسل بماء وسدر
فان كان اسلامه قبل احتلامه فغسله مستحب ومن اسلم بعد بلوغه لزمه ان ينوي بغسله
الجنابة هذا قول علمائنا وهو تحصيل المذهب وقد اجاز ابن القاسم للكافر قبل ان يغتسل
قبل اظهاره الشهادة بلسانه اذا اعتقد الاسلام بقلبه وهو قول ضعيف في النظر مخالف للاثر
وذلك ان احدا لا يكون بالنية مسلما دون القول هذا قول جماعة اهل السنة في الايمان
انه قول باللسان وتصديق بالقلب ويزكو بالعمل قال الله تعالى والعمل الصالح يرفعه والله
اعلم الثانية قوله تعالى فلا يقربوا نهي ولذلك حذفت منه النون المسجد الحرام هذا
اللفظ يطلق على جميع الحرم وهو مذهب عطاء فاذا يحرم تمكين المشرك من دخول الحرم اجمع
فاذا جاءنا رسول منهم خرج الامام الى الحل ليسمع ما يقول ولو دخل مشرك الحرم مستورا ومات
نبش قبره واخرجت عظامه فليس لهم الاستيطان ولا الاجتياز واما جزيرة العرب وهي
مكة والمدينة ومخالفيها فقال مالك يخرج من كان على غير الاسلام من هذه المواضع ولا
يمنعون من التردد بها مسافرين وكذلك قال الشافعي غير انه استثنى من ذلك اليمن
ويضرب لهم اجل ثلاثة ايام كما ضرب لهم عمر حين اجلاهم ولا يدفنون فيها ويلجئون الى
الحل الثالثة واختلف العلماء في دخول الكفار المساجد والمسجد الحرام على خمسة اقوال
فقال اهل المدينة الاية عامة في سائر المشركين وسائر المساجد وبذلك كتب عمر بن عبد العزيز
الى عماله ونزع في ذلك بهذه الاية ويؤيد ذلك قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع
ويذكر فيها اسمه ودخول الكفار فيها مناقض لترفيعها وفي صحيح مسلم وغيره ان هذه المساجد

لا تصح لشيء من البول والعذرة والكافر لا يخلو عن ذلك وقال عليه الصلاة والسلام لا احل المسجد
لحايض ولا جنب والكافر جنب وقوله تعالى انما المشركون نجس فسماه تعالى نجسا فلا يخلو
ان يكون نجس العين او مبعدا من طريق الحكم اي ذلك كان فمنعه من المسجد واجب لان العلة
وهي النجاسة موجودة فيهم والحرمة موجودة في المسجد يقال رجل نجس وامراة نجس ورجلان
نجس وامراتان نجس ونساء نجس لا يثنى ولا يجمع ولانه مصدر فاما النجس بكسر النون وجزم
الجيم فلا يقال الا اذا قيل معه رجس فاذا افرد قيل نجس بفتح النون وكسر الجيم ونجس بضم
الجيم وقال الشافعي الاية عامة في ساير المشركين خاصة في المسجد الحرام ولا يمنعون من دخول
غيره فاباح دخول اليهودي والنصراني في ساير المساجد قال ابن العربي وهذا جمود منه
على الظاهر لان قوله تعالى انما المشركون نجس تنبيه على العلة بالشرك والنجاسة وان قيل
فقد ربط النبي صلى الله عليه وسلم ثمامة في المسجد وهو مشرك قيل له اجاب علماؤنا عن هذا
الحديث وان كان صحيحا باوجه احدها انه كان متقدما على نزول الاية الثاني ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان قد علم باسلامه فلذلك ربطه الثالث ان ذلك قضية في عين فلا
ينبغي ان ترفع بها الادلة التي ذكرناها لكونها مقيدة حكم القاعدة الكلية وقد يمكن ان
يقال انما ربطه في المسجد لينظر حسن صلاة المسلمين واجتماعهم عليها وحسن ادابهم في جلوسهم
في المسجد فيستانس بذلك ويسلم وكذلك كان ويمكن ان يقال انهم لم يكن لهم موضع
يربطونه فيه الا في المسجد والله اعلم وقال ابو حنيفة واصحابه لا يمنع اليهودي والنصراني
من دخول المسجد الحرام ولا غيره ولا يمنع دخول المسجد الحرام الا المشركون واهل الاوثان
يرده كلما ذكرناه من الاية وغيرها وقال الكيا الطبري ويجوز للذمي دخول ساير المساجد
عند ابي حنيفة من غير حاجة وا غير حاجة والشافعي يعتبر الحاجة ومع الحاجة لا يجوز دخول
المسجد الحرام وقال عطا ابن ابي رباح الحرم كله قبلة ومسجد فينبغي ان يمنعوا من دخول
الحرم لقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وانما رفع من بيت ام
هاني وقال قتادة لا يقرب المسجد الحرام مشرك الا ان يكون صاحب جزية او عبدا كافرا
لمسلم وروى اسمعيل بن اسحق نا يحيى بن عبد الحميد قال شريك عن اشعث عن الحسن عن جابر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقرب المسجد مشرك الا ان يكون عبدا او امة فيدخله لحاجة
وبهذا قال جابر بن عبد الله فانه قال يمنع المشرك عن قربان المسجد الحرام وهو مخصوص في العبد
والامة الرابعة قوله تعالى بعد عامهم هذا فيه قولان احدهما سنة تسع التي حج فيها ابو بكر
الثاني سنة عشر قاله قتادة ابن العربي وهو الصحيح الذي يعطيه مقتضى اللفظ وان من العجب
ان يقال انه سنة تسع وهو العام الذي وقع فيه الاذان ولو دخل غلام رجل داره يوما
فقال له مولاه لا تدخل هذه الدار بعد يومك لم يكن المراد الذي دخل فيه الخامسة
قوله تعالى وان خفتم عيلة قال عمرو بن فايد المعنى وان خفتم وهذه عجمة والمعنى بارع وكان
المسلمون لما منعوا المشركين من الموسم وهم كانوا يجلبون الاطعمة والتجارات قذف الشيطان
في قلوبهم الخوف من الفقر وقالوا من اين نعيش فوعدهم الله ان يغنيهم من فضله ففتح الله
عليهم باب الجزية من اهل الذمة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية
وقال عكرمة اغناهم بادرار المطر والنبات وخصب الارض واسلمت العرب اهل نجد وصنعا
وغيرهم فتهادى حجهم وتجرهم واغنى الله من فضله بالجهاد والظهور على الامم والعيلة الفقر

يقال

يقال عال الرجل يعيل اذا افتقر قال الشاعر وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى
يعيل وقرا علقمة وغيره من اصحاب ابن مسعود عايلة وهو مصدر كالقايلة من قال يقيل
وكالعاقبة والعافية ويحتمل ان يكون نعتا لمحذوف تقديره حالا عايلة ومعناه خصلة
شاقة يقال منه عالني الامر يعولني اي شق علي واشتد وحكى الطبري انه قال عال يعول اذا افتقر
السادسة في هذه الاية دليل على ان تعلق القلب بالاسباب في الرزق جايز وليس ذلك
بمناف للتوكل وان كان الرزق مقدرا وامر الله وقسمه مفعولا ولكنه علقه بالاسباب حكمة
ليعلم القلوب التي تتعلق على الاسباب من القلوب التي تتوكل على رب الارباب وقد تقدم
ان السبب لا ينافي التوكل قال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير
تغدو خماصا وترجع بطانا خرجه البخاري فاخبر ان التوكل الحقيقي لا يضاد الغدو والرواح
في طلب الرزق قالوا والدليل عليه امران احدهما قوله تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر
عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك الثاني قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه وليس بالسعي في الارض فانه ليس فيها رزق والصحيح ما احكمته السنة عند فقهاء
الظاهر وهو العمل بالاسباب الدنيوية من الحرث والتجارة في الاسواق والعمارة للاموال وغرس
الثمار وقد كانت الصحابة تفعل ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم قال ابو الحسن بن
بطال امر الله سبحانه وتعالى عباده بالانفاق من طيبات ما كسبوا الى غير ذلك من
الاي وقال تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه فاحل للمضطر ما كان حرم عليه
عند عدمه الغذا الذي امر باكتسابه والاغتذا به ولم يامره بانتظار طعام ينزل عليه من السماء
ولو ترك السعي في ترك ما يتغذى به لكان لنفسه قاتلا وقد كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتلوى من الجوع ما يجد ما ياكله ولم ينزل عليه طعام من السماء وقد كان خزن
لاهله قوت سنة حتى فتح الله عليه الفتوح وقد روى انس بن مالك ان رجلا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم ببعير فقال يا رسول الله اعقله واتوكل او اطلقه واتوكل قال اعقله وتوكل
قلت ولا حجة لهم في اهل الصفة فانهم كانوا فقراء يقعدون في المسجد ما يحرثون ولا
يتجرون وليس لهم كسب ولا مال انما هم اضياف الاسلام عند ضيق البلدان ومع ذلك انهم
كانوا يحتطبون بالنهار ويسوقون الماء الى ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرؤون
القرآن بالليل ويصلون هكذا وصفهم البخاري وغيره فكانوا يتسببون وكان عليه الصلاة
والسلام اذا جاءته هدية اكلها معهم وان كانت صدقة خصهم بها فلما كثر الفتح وانتشر
الاسلام خرجوا وتامروا كابي هريرة وغيره وما قعدوا ثم قيل الاسباب التي يطلب بها الرزق
ستة انواع اعلاها كسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل
الذلة والصغار على من خالف امري خرجه الترمذي وصححه فجعل الله رزق نبيه عليه
الصلاة والسلام في كسبه لفضله وخصه بافضل انواع الكسب ان اطيب ما اكل الرجل
من عمل يده خرجه البخاري وفي التنزيل وعلمناه صنعة لبوس لكم وروي ان عيسى عليه السلام
كان ياكل من غزل امه الثالث التجارة وهي كانت عمل جل الصحابة رضي الله عنهم وخاصة
المهاجرين وقد دل عليها التنزيل في غير موضع انتهى الرابع الحرث والغرس وقد بيناه
في البقرة الخامس اقرا القرآن وتعليمه والرقية وقد مضى في الفاتحة السادس ياخذ
نسية الادا اذا احتاج قال عليه الصلاة والسلام من اخذ اموال الناس يريد اداءها

اَدَّىٰ الله عنه ومن اخذها يريد اتلافها اتلفه الله تعالى اخرجه البخاري رواه ابو هريرة والله اعلم
التابعة قوله تعالى ان شاء دليل على ان الرزق ليس بالاجتهاد وانما هو فضل من الله تعالى
تولى قسمته وذلك مبين في قوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم الاية قوله تعالى قاتلوا الذين لا
يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الى قوله وهم صاغرون فيه خمس عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر لما حرم الله على الكفار ان يقربوا المسجد الحرام وجد
المسلمون في انفسهم بما قطع عنهم من التجارة التي كان المشركون يوافون بها قال الله تعالى وان خفتم
عيلة الاية على ما تقدم ثم احل في هذه الاية الجزية وكانت لم توخذ قبل ذلك فجعلها عوضا
من منعهم من موافاة المشركين بتجارتهم فقال عز وجل قاتلوا الذين لا يؤمنون الاية فامر سبحانه
بمقاتلة جميع الكفار لاضفاقهم على هذا الوصف وخص اهل الكتاب بالذكر اكراما لكتابهم ولكونهم
عالمين بالتوحيد والرسل والشرايع والملل وخصوصا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وملته وامته
فلما انكروه تاكدت عليهم الحجة وعظمت منهم الجريمة فنبه على محلهم ثم جعل القتال غاية وهي
اعطا الجزية بدلا عن القتل ابن العربي سمعت ابا الوفا علي بن عقيل في مجلس النظر يتلوها ويحتج
بها فقال قاتلوا وذلك امر بالعقوبة ثم قال الذين لا يؤمنون وذلك بيان للذنب الذي
اوجب العقوبة وقوله ولا باليوم الاخر تاكيد للذنب في جانب الاعتقاد ثم قال ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله زيادة للذنب في مخالفة الاعمال ثم قال ولا يدينون دين الحق اشارة الى
تاكيد المعصية بالانحراف والمعاندة والانفة عن الاستسلام ثم قال من الذين اوتوا الكتاب
تاكيدا للحجة لانهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل ثم قال حتى يعطوا الجزية
فبين الغاية التي تمتد اليها العقوبة وعين البدل الذي يرتفع به القتل الثانية وقد
اختلف العلماء فيمن توخذ منه الجزية فقال الشافعي لا تقبل الجزية الا من اهل الكتاب خاصة
عربا كانوا او عجما لهذه الاية فانهم هم الذين خصوا بالذكر فتوجه الحكم اليهم دون من
سواهم لقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولم يقل حتى يعطوا الجزية كما قال في
اهل الكتاب قال ويقبل من المجوس بالسنة توبة قال احمد وابو ثور وهو مذهب الثوري وابي
حنيفة واصحابه وقال الاوزاعي توخذ الجزية من كل عابد وثن او نارا وجاحد ومكذب وكذلك
مذهب مالك فانه راى ان الجزية توخذ من جميع اجناس الترك والهند عربيا او عجميا تغلبيا
او قرشيا كائنا من كان الا المرتد وقال ابن القاسم واشهب وسحنون توخذ الجزية من مجوس
العرب والامم كلها واما عبدة الاوثان من العرب فلم يستن الله فيهم جزية ولا يبقى على الارض
منهم احد وانما لهم القتال او الاسلام ويوجد قول لابن القاسم ان الجزية توخذ منهم كما يقول مالك
وذلك في التفريع لابن الجلاب وهو احتمال لا نص وقال ابن وهب لا تقبل الجزية من مجوس العرب
وتقبل من غيرهم قال لانه ليس في العرب مجوسي الا وجميعهم اسلم فمن وجد منهم بخلاف الاسلام فهو
مرتد يقتل بكل حال ان لم يسلم فلا تقبل منهم جزية وقال ابن الجهم تقبل الجزية من كل من دان
بغير الاسلام الا ما اجمع عليه من كفار قريش وذكر في تعليل ذلك انه اكرام لهم عن الذلة
والصغار لمكانهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره انما ذلك لان جميعهم اسلم يوم
فتح مكة والله اعلم انتهى الثالثة واما المجوس فقال ابن المنذر لا اعلم خلافا ان الجزية توخذ
منهم وفي موطا مالك عن جعفر بن محمد عن ابيه ان عمر بن الخطاب ذكر امر المجوس فقال ما
ادري كيف اصنع بهم فقال عبد الرحمن بن عوف اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول

يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب قال ابو عمر يعني في الجزية خاصة وفي قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب دليل على انهم ليسوا اهل كتاب وعلى هذا جمهور الفقها وقد
روي عن الشافعي انهم كانوا اهل كتاب فبدلوا واظنه ذهب في ذلك الى شيء روي عن علي ابن ابي
طالب من وجه فيه ضعف يدور على ابي سعيد البقال ذكره عبد الرزاق وغيره قال ابن عطية
وروي انه قد كان بعث في المجوس نبي زرادشت والله اعلم الرابعة لم يذكر الله سبحانه في
كتابه مقدار الجزية الماخوذة منهم فقال عطا بن ابي رباح لا توقيت فيها وانما هو على ما صولحوا
عليه وكذلك قال يحيى بن آدم وابو عبيد والطبري قال اقله دينار واكثره لا حد له واحتجوا
بما رواه اهل الصحيح عن عمرو بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح اهل البحرين على الجزية
وقال الشافعي دينار على الغني والفقير من الاحرار البالغين لا ينقص منه شيء واحتج بما رواه
ابو داود وغيره عن معاذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى اليمن وامره ان ياخذ من كل
حالم دينارا في الجزية وقال الشافعي هو المبين عن الله مراده وهو قول ابي ثور وقال الشافعي وان
صولحوا على اكثر من دينار جاز وان زادوا وطابت بذلك انفسهم قبل منهم وان صولحوا على ثلاثة
ايام جاز اذا كانت الضيافة معلومة في الخبز والشعير والتبن والادام وذكر ما على الوسط من
ذلك وما على الموسر وذكر موضع النزول والكن من البرد والحر وقال مالك فيما رواه عنه
ابن القاسم واشهب ومحمد بن الحارث بن زنجوية انها اربعة دنانير على اهل الذهب واربعون
درهما على اهل الورق الغني والفقير سواء ولو كان مجوسيا لا يزيد ولا ينقص على ما فرض عمر لا
يوخذ منهم غيره وقد قيل ان الضعيف يخفف عنه بقدر ما يراه الامام وقال ابو القاسم لا ينقص
ما فرض عمر ولا يزاد عليه لغني قال ابو عمرو يوخذ من فقرائهم بقدر ما يحتملون ولو درهما والى
هذا رجع مالك اثنى عشر واربعة وعشرون واربعون قال الثوري جاء عن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه في ذلك ضرايب مختلفة فللوالي ان ياخذ بايها شاء اذا كانوا اهل ذمة واما اهل الصلح
فما صولحوا عليه لا غيره الخامسة قال علماؤنا رحمهم الله والذي دل عليه القرآن ان الجزية
توخذ من الرجال المقاتلين لانه تعالى قال قاتلوا الى قوله حتى يعطوا الجزية فيقتضي ذلك
وجوبها على من يقاتل ويدل على انه ليس على العبد وان كان مقاتلا لانه لا مال له وقد قال
تعالى حتى يعطوا الجزية ولا يقال لمن لا يملك حتى يعطي وهذا اجماع من العلماء على ان الجزية
انما توضع على جماجم الرجال الاحرار البالغين وهم الذين يقاتلون دون النساء والذرية والعبيد
والمجانين المغلوبين على عقولهم والشيخ الفاني واختلفوا في الرهبان فروى ابن حبيب عن
مالك انها لا توخذ منهم قال مطرف وابن الماجشون هذا اذا لم يترهب بعد فرضها فان
فرضت ثم ترهب لم يسقطها ترهبه السادسة اذا اعطى اهل الجزية الجزية لم يوخذ منهم
شيء من ثمارهم ولا تجاراتهم ولا زروعهم الا ان يتجروا في بلاد غير بلادهم التي اقروا فيها وصولحوا عليها
فان خرجوا تجارا عن بلادهم التي اقروا فيها الى غيرها اخذ منهم العشر اذا باعوا ونض ثمن ذلك
بايديهم ولو كان ذلك في السنة مرارا الا في حملهم الطعام الحنطة والزيت الى مكة والمدينة
خاصة فانه يوخذ منهم نصف العشر على ما فعل عمر رضي الله عنه ومن اهل المدينة من لا يرى
ان يوخذ من اهل الذمة العشر في تجاراتهم الا مرة في الحول مثل ما يوخذ من المسلمين وهو
مذهب عمر بن عبد العزيز وجماعة من ائمة الفقهاء والاول قول مالك واصحابه
السابعة اذا ادى اهل الجزية جزيتهم التي ضربت عليهم او صولحوا عليها خلي بينهم وبين

اموالهم كلها وبين كرومهم وعصرها ستروا خمورهم ولم يعلنوا بيعها من مسلم ومنعوا من اظهار الخمر
والخنزير في اسواق المسلمين فان اظهروا شيئا من ذلك اريقت الخمر عليهم وادب من اظهر الخنزير
وان اراقها مسلم من غير اظهارها فقد تعدى ويجب عليه الضمان وقيل لا يجب ولو غصبها وجب
عليه ردها ولا يعترض لهم في احكامهم ولا متاجرتهم فيما بينهم بالربا وان تحاكموا الينا فالحاكم مخير
ان شاء حكم بينهم بما انزل الله وان شاء اعرض وقيل يحكم بينهم في المظالم على كل حال ويوخذ
من قويهم لضعيفهم لانه من باب الدفع عنهم وعلى الامام ان يقاتل عنهم عدوهم ويستعين بهم في
قتالهم ولا حظ لهم في الفيء وما صولحوا عليه من الكنايس لم يزيدوا عليها ولم يمنعوا من اصلاح ما
وهي منها ولا سبيل لهم الى احداث غيرها ويؤخذون من اللباس والهيئة ما يبينون به من المسلمين
ويمنعون من التشبه باهل الاسلام ولا باس باشتراء اولاد العدو منهم اذا لم يكن لهم ذمة ومن
لد في اداء جزيته ادب على لدده واخذت منه صاغرا الثامنة اختلف العلماء فيما وجبت الجزية
عنه فقال علماء المالكية وجبت بدلا عن القتل بسبب الكفر وقال الشافعي وجبت بدلا من الدم
وسكنى الدار وفائدة الخلاف انا اذا قلنا وجبت بدلا عن القتل فاسلم سقطت عنه الجزية لما
مضى ولو اسلم قبل تمام الحول بيوم او بعده عند مالك وعند الشافعي انها دين مستقر في الذمة فلا
يسقطه الاسلام وقال بعض الحنفية بقولنا وقال بعضهم انما وجبت بدلا عن النصرة والجهاد
واختاره القاضي ابو زيد وزعم انه سر الله في المسئلة وقول مالك اصح لقوله عليه الصلاة والسلام
ليس على مسلم جزية قال سفيان اذا اسلم الذمي بعدما وجبت الجزية بطلت عنه اخرجه الترمذي
وابو داود قال علماؤنا وعليه يدل قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والشافعي
لا ياخذ بعد الاسلام على الوجه الذي قاله تعالى وانما يقول ان الجزية دين وجبت عليه بسبب
سابق وهو السكنى او توقع شر القتل فصارت كالديون كلها انتهى التاسعة لو عاهد الامام
اهل بلد او حصن ثم نقضوا عهدهم وامتنعوا من اداء ما يلزمهم وامتنعوا من حكم الاسلام من غير
ان يظلموا وكان الامام غير جاير عليهم وجب على المسلمين غزوهم وقتالهم فان قاتلوا وغلبوا
حكم فيهم بالحكم في دار الحرب سواء وقد قيل هم ونساؤهم فيء ولا خمس فيهم وهو مذهب
العاشرة فان خرجوا متلصصين قاطعين الطريق فهم بمنزلة المحاربين
للمسلمين اذا لم يمنعوا الجزية ولو خرجوا متظلمين نظر في امرهم وردوا الى الذمة وانصفوا من ظالمهم
ولا يسترق منهم احد وهم احرار فان نقض بعضهم دون بعض فمن لم ينقض على عهده فلا
يواخذ بنقض غيره وتعرف اقامتهم على العهد بانكارهم على الناقضين الحادية عشر الجزية وزنها
فعلة من جزى يجزي اذا كافا عما اسدي اليه فكانهم اعطوها جزاء ما منحوا من الامن وهي كالقعدة
والجلسة ومن هذا المعنى قول الشاعر يجزيك او يثني عليك وان من اثنى عليك بما
فعلت فقد جزى الثانية عشر روى مسلم عن هشام بن حكيم بن حزام ومر على ناس من الانباط
بالشام قد اقيموا في الشمس في رواية وصب على رؤوسهم الزيت فقال ما شانهم فقالوا يحبسون
في الجزية فقال اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعذب الذين يعذبون
الناس في الدنيا في رواية واميرهم يومئذ عمير بن سعد على فلسطين فدخل عليه فحدثه فامر
بهم فخلوا قال علماؤنا اما عقوبتهم اذا امتنعوا من ادائها مع التمكن فجايز فاما مع تمكن عجزهم
فلا تحل عقوبتهم لان من عجز عن الجزية سقطت عنه ولا يكلف الاغنياء اداءها عن الفقراء
وروى ابو داود عن صفوان بن سليم عن عدة من ابناء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال

قال من ظلم معاهدا او انتقصه او كلفه فوق طاقته او اخذ منه شيئا بغير طيب نفس فانا حجيجه
يوم القيمة الثالثة عشر قوله تعالى عن يد قال ابن عباس يدفعها بنفسه غير مستنيب فيها احدا
وروى ابو البختري عن سلمان قال مذمومين وروى معمر عن قتادة عن قهر وقيل عن يد عن انعام
منكم عليهم لانهم اذا اخذت منهم الجزية فقد انعم عليهم بذلك عكرمة يدفعها وهو قايم والاخذ
جالس وقاله سعيد بن جبير ابن العربي وهذا ليس من قوله عن يد وانما هو من قوله وهم صاغرون
الرابعة عشر روى الايمة عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من
اليد السفلى واليد العليا المنفقة والسفلى السايلة وروي واليد العليا هي المعطية فجعل يد
المعطي في الصدقة عليا وجعل يد المعطي في الجزية سفلى ويد الاخذ عليا ذلك بانه الرافع الخافض
يرفع من يشاء ويخفض من يشاء لا اله غيره الخامسة عشر وعن حبيب ابن ابي ثابت قال جاء
رجل الى ابن عباس فقال ان ارض الخراج يعجز عنها اهلها فعمل اعمرها وازرعها واودي خراجها
قال لا وجاءه اخر فقال له ذلك فقال لا وتلى قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون الى وهم صاغرون
يعمد احدكم الى الصغار في عنق احدهم فينتزعه فيجعله في عنقه وقال كليب بن وايل قلت لابن
عمر اشتريت ارضا قال الشرا حسن قلت فاني اعطيت من كل جريب ارض درهما وقفيز طعام
قال لا تجعل في عنقك صغارا وروى ميمون بن مهران عن ابن عمر قال ما يسرني ان لي الارض
كلها بجزية خمسة دراهم اقر فيها بالصغار على نفسي قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله فيه
سبع مسائل الاولى قوله صم والكسائي عزير ابن الله بتنوين عزير والمعنى ان ابنا على هذا
خبر ابتداء عن عزير وعزير ينصرف عجميا كان او عربيا وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن
عامر عزير ابن بترك التنوين ومنه قراءة من قرا قل هو الله احد الله الصمد قال ابو علي وهو
كثير في الشعر وانشد الطبري لتجدني بالامير برا وبالقناة مدعسا مكرا اذا غطيف السلمي
فرا الثانية قوله تعالى وقالت اليهود هذا لفظ خرج على العموم ومعناه الخصوص لان ليس
كل اليهود قالوا ذلك وهذا مثل قوله تعالى الذين قال لهم الناس ولم يقل ذلك كل الناس
وقيل ان قايل ما حكى عن اليهود سلام بن مشكم ونعمان ابن ابي اوفى وشاس بن قيس ومالك
بن الصيف قالوه للنبي صلى الله عليه وسلم قال النقاش لم يبق يهودي يقولها بل انقرضوا
فاذا قالها واحد فيتوجه ان تلزم الجماعة شنعة المقالة لاجل نباهة القايل واقوال النبهاء
ابدا مشهورة في الناس يحتج بها فمن ههنا صح ان يقول الجماعة قول نبيها والله اعلم وقد
روي ان سبب ذلك القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم
التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال الى اين تذهب قال
اطلب العلم فعلمه التورية كلها فجاء عزير بالتورية الى بني اسرائيل فعلمهم وقيل بل حفظها
الله عزيرا كرامة منه له فقال لبني اسرائيل ان الله قد حفظني التورية فجعلوا يدرسونها
من عنده وكانت التورية مدفونة دفنها علماؤهم حين اصابهم من الفتن والجلاء والمرض
ما اصاب وقتل بخت نصر اياهم ثم ان التورية المدفونة وجدت فاذا هي متساوية لما كان
عزير يدرس فضلوا عند ذلك وقالوا ان هذا لم يتهيا لعزير الا وهو ابن الله حكاه الطبري
وظاهر قول النصارى ان المسيح ابن الله انما ارادوا بنوة النسل كما قالت العرب في الملائكة
وكذلك يقتضي قول الضحاك والطبري وغيرهما وهذا اشنع للكفر قال ابو المعالي
اطبقت النصارى على ان المسيح اله وانه ابن الله وقال ابن عطية وبعضهم يعتقدها بنوة

حنو ورحمة ومذا المعنى لايحل ان نطلق النبوة عليه وهو كفر الثالثة قال ابن العربي في هذا دليل
من قول ربنا تبارك وتعالى على ان من اخبر عن كفر غيره الذى لايجوز لاحد ان يبتدى به
لاحرج عليه لانه انما ينطق به على معنى الاستعظام له والرد عليه ولو شاء ربنا ما تكلم به احد
فاذا امكن من اطلاق الالسن به فقد اذن بالاخبار عنه على معنى انكاره بالقلب واللسان
والرد عليه بالحجة والبرهان الرابعة قوله تعالى ذلك قولهم بافواههم معناه التاكيد كما
قال تعالى يكتبون الكتاب بايديهم ولا طاير يطير بجناحيه وقوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة
ومثله كثير وقيل المعنى انه لما كان قول ساذج ليس فيه بيان ولا برهان وانما هو قول بالفم مجرد
بغير دعوى لامعنى له صحيح لانهم معترفون بان الله سبحانه لم يتخذ صاحبة فكيف يزعمون
ان له ولدا فهو كذب وقول لساني فقط بخلاف الاقوال الصحيحة التي يعضدها الادلة ويقوم
عليها البرهان قال اهل المعاني ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر قولا مقرونا بذكر الافواه والالسن
الا وهو قول زور كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وكبرت كلمة تخرج من افواههم
ان يقولون الا كذبا ويقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم الخامسة قوله تعالى يضاهئون قول
الذين كفروا من قبل يضاهئون يشابهون ومنه قول العرب امراة ضهيا التي لا تحيض والتي
لا ثدي لها كانها اشبهت الرجال وللعلماء في قول الذين كفروا ثلاثة اقوال الاول قول عبدة
الاوثان اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الثاني قول الكفرة الملائكة بنات الله
الثالث قول سلافهم فقلدوهم في الباطل واتبعوهم في الكفر كما اخبر عنهم بقوله انا وجدنا اباءنا
على امة السادسة اختلف النحاة في ضهيا هل يمد او لا فقال ابن ولاد امراة ضهيا وهي التي
لا تحيض مهموز غير ممدود ومنهم من يمد وهو سيبويه فيجعلها على فعلاء بالمد والهمز فيها
زايدة لانهم يقولون نساء ضهي فيحذفون الهمزة قال ابو الحسن قال لي المبرد سنى ضهياه
بالمد والهاء جمع بين علامتي تانيث حكاه عن ابي عمرو الشيباني في النوادر وانشد
ضيا او عاقر جماد ابن عطية من قال ان يضاهئون ماخوذ من قولهم امراة ضهيا فقوله
خطا قاله ابو علي لان الهمزة في ضاها اصلية وفي ضهيا زائدة كحمرا السابعة قوله تعالى
قاتلهم الله انى يؤفكون اي لعنهم يعني اليهود والنصارى لان الملعون كالمقتول ابن جريج
قاتلهم الله هو بمعنى التعجب وقال ابن عباس كل شيء في القران قتل فهو لعن ومنه قول
ابان بن تغلب قاتلها الله تلحاني وقد علمت اني لنفسي افسادي واصلاحي وحكى النقاش
ان اصل قاتل الله الدعا ثم كثر في استعمالهم حتى قالوه على التعجب في الخير والشر وهم لا يريدون الدعاء
وانشد الاصمعي يا قاتل الله ليلى كيف تعجبني واخبر الناس اني لا ابالها قوله تعالى اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ومنه ثوب محبر اي جمع الزينة وقد
قيل في واحد الاحبار حبر بكسر الحاء والدليل على ذلك انهم قالوا مداد حبر يريدون مداد
عالم ثم كثر الاستعمال حتى قالوا المداد حبر قال الفراء الكسر والفتح لغتان وقال ابن السكيت
الحبر بالكسر المداد والحبر بالفتح العالم والرهبان جمع راهب ماخوذ من الرهبة وهو الذي
حمله خوف الله تعالى على ان يخلص له النية دون الناس ويجعل زمانه له وعمله معه
وانسه به قوله تعالى اربابا من دون الله قال اهل المعاني جعلوا احبارهم ورهبانهم كالارباب
حيث اطاعوهم في كل شيء ومنه قوله تعالى قال انفخوا حتى اذا جعله نارا اي كالنار قال
عبد الله بن المبارك وهل افسد الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها وروى

الاعمش والسدي عن ابن حبيب بن ابي ثابت عن ابي البختري قال سئل حذيفة عن قول الله عز وجل اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله هل عبدوهم فقال لا ولكن احلوا لهم الحرام فاستحلوه وحرموا
عليهم الحلال فحرموه وروى الترمذي عن عدي بن حاتم قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي
صليب من ذهب فقال ما هذا يا عدي اطرح عنك الوثن وسمعت يقرا في سورة براءة اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ثم قال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا
احلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا حرموه قال هذا حديث غريب لا يعرف الا من
حديث عبد السلام بن حرب وعطيف بن اعين ليس بمعروف في الحديث قوله تعالى والمسيح ابن
مريم مضى الكلام في اشتقاقه في ال عمران والمسيح العرق يسيل من الجبين ولقد احسن بعض
المتاخرين فقال افرح فسوف تالف الاحزانا اذا شهدت الحشر والميزانا وسال من
جبينك المسيح كانه جداول تسيح ومضى في النساء معنى اضافته الى مريم امه قوله تعالى
يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم اي دلالته وحججه على توحيده جعل البراهين بمنزلة
النور لما فيها من البيان وقيل المعنى نور الاسلام اي ان يخمدوا دين الله بتكذيبهم بافواههم جمع
فوه على الاصل لان الاصل في فم فوه مثل حوض واحواض ويابى الله الا ان يتم نوره يقال
كيف دخلت الا وليس في الكلام حرف نفي ولا يجوز ضربت الا زيدا فزعم الفراء ان الا انما
دخلت لان في الكلام طرفا من الجحد قال الزجاج الجحد والتحقيق ليسا بذوي اطراف وادوات
الجحد ما ولا ولن وليس وهذه اطراف لها ينطق بها ولو كان الامر كما اراد لجاز كرهت الا
زيدا ولكن الجواب ان العرب تحذف مع ابى والتقدير ويابى الله كل شيء الا ان يتم نوره قال
علي بن سليمان انما جاز هذا في ابى لانها منع او امتناع فضارعت النفي قال النحاس قال الشاعر
ان تركتها ابى الله ان اكون لها ابنا قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى
يريد محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى اي بالقران ودين الحق ليظهره على الدين كله بالحجة
والبراهين وقد اظهره على شرايع الدين حتى لا يخفى عليه شيء منها عن ابن عباس وغيره وقيل
ليظهره اي يظهر الدين دين الاسلام على كل دين قال ابو هريرة والضحاك هذا عند نزول عيسى
عليه السلام وقال السدي ذاك عند خروج المهدي لا يبقى احد الا دخل في الاسلام او ادى
الجزية وقيل المهدي هو عيسى فقط وهو غير صحيح لان الاخبار الصحيح قد تواترت على ان
المهدي من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز حمله على عيسى والحديث ورد في انه
لا مهدي الا عيسى غير صحيح قال البيهقي في كتاب البعث والنشور لان رواية محمد بن خالد الجندي
وهو مجهول يروى عن ابان بن ابي عياش وهو متروك عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم
وهو منقطع والاحاديث التي قبله في التنصيص على خروج المهدي فيها بيان كون المهدي
من عترة النبي صلى الله عليه وسلم اصح اسناد قلت قد ذكرنا هذا وزدناه بيانا في كتابنا
التذكرة وذكرنا اخبار المهدي مستوفاة والحمد لله وقيل اراد ليظهره على الدين كله في
جزيرة العرب وقد فعل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان
لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون
ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض

منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما
يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين
كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين
لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم
انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا
في الاخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا
والله على كل شيء قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين
اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده
بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز
حكيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل
الى قوله اليم فيه عشر مسايل الاولى قوله لياكلون دخلت اللام على يفعل ولا يدخل على فعل المضارعة
بفعل الاسماء والاحبار علماء اليهود والرهبان مجتهدوا النصارى في العبادة بالباطل قيل انهم
كانوا ياخذون من اموال اتباعهم ضرايب وفروضا باسم الكنايس والبيع وغير ذلك مما يوهمونهم
ان النفقة فيه من الشرع والتزلف الى الله تعالى وهم خلال ذلك يحجبون تلك الاموال كالذي
ذكره سلمان الفارسي عن الراهب الذي استخرج كنزه ذكره ابن اسحق في السير وقيل كانوا ياخذون
من غلاتهم واموالهم ضرايب باسم حماية الدين والقيام بالشرع وقيل كانوا يرتشون في الاحكام
كما يفعله اليوم كثير من الولاة والحكام وقوله بالباطل يجمع ذلك ويصدون عن سبيل الله
اي يمنعون اهل دينهم عن الدخول في دين الاسلام واتباعهم محمدا عليه الصلاة والسلام
الثانيــة قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الكنز اصله في اللغة الضم والجمع
ولا يختص ذلك بالذهب والفضة الا ترى قوله عليه الصلاة والسلام الا انبئكم بخير ما يكنز
المرء المراة الصالحة اي يضمه لنفسه ويجمعه قالـــ ولم تزود من جميع الكنز غير خيوط
ورثيث بر • اخر • لا دردري ان اطعمت جايعهم • قرف الخبز وعندي البر مكنوز • قرف الخبز
هو سويق المقل يقول انه نزل بقوم فكان قراه عندهم سويق المقل وهو الخبز فلما نزلوا به قال
هؤلاء دردري البيت وخص الذهب والفضة بالذكر لانه مما لا يطلع عليه بخلاف ساير
الاموال قال الطبري الكنز كل شيء مجموع بعضه الى بعض في بطن الارض كان او على ظهرها
وسمي الذهب ذهبا لانه يذهب والفضة لانها تنفض فتتفرق ومنه قوله تعالى انفضوا
اليها لانفضوا وقد مضى هذا المعنى في ال عمران الثالثــة واختلف الصحابة من المراد بهذه
الاية فذهب معاوية الى ان المراد اهل الكتاب واليه ذهب الاصم لان قوله والذين يكنزون
مذكور بعد قوله ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل وقالـــ
ابوذر وغيره المراد بها اهل الكتاب وغيرهم من المسلمين وهو الصحيح لانه لو اراد اهل
الكتاب خاصة لقال ويكنزون بغير الذين فلما قال والذين فقد استانف معنى اخر هو
يبين انه عطف جملة فالذين يكنزون كلام مستانف وهو رفع على الابتدا قال السدي
من اهل القبلة فهذه ثلاثة اقوال وعلى قول الصحابة فيه دليل على ان الكفار عندهم مخاطبون
بفروع الشريعة روي البخاري عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا انا بابي ذر فقلت
له ما انزلك منزلك هذا قال كنت بالشام فاختلفت انا ومعاوية في الذين يكنزون الذهب

والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في اهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم
وكان بيني وبينه في ذلك فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الي عثمان ان اقدم المدينة فكثر علي
الناس حتى كانهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال لي ان شئت تنحيت فكنت قريبا
فذاك انزلني هذا المنزل ولو امروا علي حبشيا لسمعت واطعت الرابعــة قال ابن خويز منداذ
تضمنت هذه الاية زكاة العين وهي تجب باربعة شروط حرية واسلام ونصاب سليم من
الدين وحول والنصاب مائتا درهم او عشرون دينارا او يكمل نصاب احدهما من الاخر واخرج ربع
العشر من هذه وربع العشر من هذه وانما قلنا ان الحرية شرط فلان العبد ناقص الملك وانما
قلنا ان الاسلام شرط فلان الزكاة طهرة والكافر لا يلحقه طهرة ولان الله تعالى قال اقيموا
الصلاة واتوا الزكاة فخوطب بالزكاة من خوطب بالصلاة وانما قلنا ان الحول شرط فلان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ليس فيما اقل من مائتي درهم زكاة وليس في اقل من عشرين دينارا زكاة
ولا يراعى كمال النصاب والحول وانما يراعى عند اخر الحول لاتفاقهم ان الربح في حكم الاصل يدل على
هذا ان من كانت معه مائتا درهم فتجر فيها فصارت اخر الحول الفا انه يؤدي زكاة الالف
ولا يستانف للربح حولا فاذا كان كذلك لم يختلف حكم الربح كان نصابا عن نصاب او دونه
وكذلك اتفقوا انه لو كان له اربعون من الغنم فتوالدت له راس الحول ثم ماتت الامهات الا
واحدة وكانت السخال تمام النصاب فان الزكاة تخرج عنها الخامســة واختلف العلماء في المال
الذي اديت زكاته هل يسمى كنزا او لا فقال قوم نعم ورواه ابو الضحى عن جعدة بن هبيرة عن
علي رضي الله عنه قال على اربعة الاف فما دونها نفقة وما كثر فهو كنز وان اديت زكاته ولا يصح
وقال قوم ما ادي زكاته منه او من غيره عنه فليس بكنز قال ابن عمر ما ادي زكاته فليس
بكنز وان كانت تحت سبع ارضين وكل ما لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان فوق الارض
ومثله عن جابر وهو الصحيح روي البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه
يوم القيامة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا لا يحسبن
الذين يبخلون الاية وفيه عن ابي ذر قال انتهيت اليه يعني النبي صلى الله عليه وسلم قال
والذي نفسي بيده او والذي لا اله غيره او كما حلف ما من رجل تكون له ابل او بقر او غنم
لا يؤدي حقها الا اتي بها يوم القيامة اعظم ما يكون واسمنه تطاه باخفافها وتنطحه بقرونها
كلما جاءت اخراها ردت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس فدل دليل خطاب هذين
الحديثين على صحة ما ذكرنا وقد بين ابن عمر في صحيح البخاري هذا المعنى قال له اعرابي اخبرني
عن قول الله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها
فويل له انما كان هذا قبل ان تنزل الزكاة فلما انزلت جعلها الله طهرا للاموال وقيل الكنز ما فضل عن
الحاجة روي عن ابي ذر وهو مما نقل من مذهبه وهو من شدائده ومما انفرد به رضي الله عنه
ويحتمل ان يكون محمل ما روي عن ابي ذر في هذا ما روي ان الاية نزلت في وقت شدة الحاجة
وضعف المهاجرين وقصر يد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كفايتهم ولم يكن في بيت المال ما يسعهم
فكانت السنون الجوايح هاجمة عليهم فنهوا عن امساك شيء من المال الا على قدر الحاجة
ولا يجوز ادخار الذهب والفضة في مثل ذلك الوقت فلما فتح الله على المسلمين ووسع عليهم
اوجب عليهم صلى الله عليه وسلم في مائتي درهم خمسة دراهم وفي عشرين دينارا نصف دينار ولم

يوجب الكل واعتبر مدة الاستنما فكانا ذلك بيانا منه صلى الله عليه وسلم وقيل الكنز ما لم تؤد منه الحقوق العارضة كفك الاسير واطعام الجايع وغير ذلك وقيل الكنز لغة المجموع من النقدين وغيرهما من المال المحمول عليهما بالقياس وقيل المجموع منهما ما لم يكن حليا لان الحلي ماذون في اتخاذه ولا حق فيه والصحيح ما بدانا بذكره وان ذلك كله يسمى كنزا لغة وشرعا والله اعلم السادسة واختلف العلماء في زكاة الحلي فذهب مالك واصحابه واحمد واسحق وابو ثور وابو عبيد الى ان لا زكاة فيه وهو قول الشافعي بالعراق ووقف فيه بعد ذلك بمصر وقال استخير الله فيه وقال الثوري وابو حنيفة واصحابه والاوزاعي في ذلك كله الزكاة احتج الاولون فقالوا قصد النما يوجب الزكاة في العروض وهي ليست بمحل لايجاب الزكاة لذلك قطع النما في الذهب والفضة باتخاذهما حليا للقنية يسقط الزكاة احتج ابو حنيفة بعموم الالفاظ في ايجاب الزكاة في النقدين ولم يفرق بين حلي وغيره وفرق الليث بن سعد فيما صنع حليا ليفر به من الزكاة واسقطها فيما كان منه يلبس ويعار وفي المذهب في الحلي تفصيل بيانه في كتب الفروع السابعة روى ابو داود عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية والذين يكنزون الذهب والفضة قال كبر ذلك على المسلمين فقال عمر انا افرج عنكم فانطلق فقال يا نبي الله انه كبر على اصحابك هذه الاية فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب ما بقي من اموالكم وانما فرض المواريث وذكر كلمة لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك بخير ما يكنز المرء المراة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته وروى الترمذي وغيره عن ثوبان ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لو قد ذم الله سبحانه وتعالى الذهب والفضة فلو علمنا اي المال خير حتى نكسبه فقال عمر انا اسال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله فقال لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة تعين المرء على دينه قال الحديث حسن الثامنة قوله تعالى ولا ينفقونها في سبيل الله ولم يقل ينفقونهما ففيه اجوبة ستة الاول قال الانباري قصد الاغلب والاعم وهي الفضة ومثله قوله واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة رد الكناية الى الصلاة لانها اعم ومثله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فاعاد الهاء الى التجارة لانها الاهم وترك التجارة قاله كثير من المفسرين واباه بعضهم وقال لا تشبهها لان او قد فصلت التجارة من اللهو فحسن عود الضمير على احدهما الثاني العكس وهو ان يكون ينفقونها للذهب والثاني معطوفا عليه والذهب مؤنثة العرب تقول هي الذهب الحمرا وقد تذكر والتانيث اشهر الثالث ان يكون الضمير للكنوز الرابع للاموال الخامس للزكاة السادس للاكتفا بضمير الواحد عن ضمير الاخر اذا فهم المعنى وهذا كثير في كلام العرب انشد سيبويه نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف ولم يقل راضون وقال اخر رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن اجل الطوي رماني ولم يقل بريين ومنه قول حسان بن ثابت ان شرخ الشباب والشعر الاسود ما لم يعاص كان جنونا ولم يقل يعاصيا التاسعة ان قيل ما لم يكنز ولم ينفق في سبيل الله وانفق في المعاصي هل يكون حكمه في الوعيد حكم من كنز ولم ينفق في سبيل الله قيل له ان ذلك اشد فان من بذر ماله في المعاصي عصى من جهتين بالانفاق والتناول كشرا للخمر وشربها بل من جهات اذا كانت المعصية مما تتعدى كمن اعان على ظلم مسلم من قتله او اخذ ماله الى غير ذلك والكانز عصى من جهتين وهما منع الزكاة وحبس المال لا غير وقد لا يراعى حبس المال والله اعلم العاشرة قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم قد تقدم معناه وقد فسر النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم هذا العذاب بقوله فبشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي من قبل اقفائهم يخرج من جباههم الحديث اخرجه مسلم رواه ابو ذر في رواية بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفه لتعذيب قلبه وباطنه حين امتلا بالفرح بالكثرة في المال والسرور في الدنيا فعوقب في الاخرة بالهم والعذاب الحادية عشر قال علماؤنا ظاهر الاية تعليق الوعيد على من كنز ولا ينفق في سبيل الله ويتعرض للواجب وغيره غير ان صفة الكنز لا ينبغي ان تكون معتبرة فان لم يكنز ومنع الانفاق في سبيل الله فلا بد وان يكون كذلك الا ان الذي يخبا تحت الارض هو الذي يمنع انفاقه في الواجبات عرفا ولذلك خص الوعيد به والله اعلم قوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم الى قوله ما كنتم تكنزون فيه اربع مسايل الاولى قوله يوم يحمى عليها يوم ظرف والتقدير يعذبون يوم يحمى ولا يصح ان يكون على تقدير فبشرهم يوم يحمى عليها لان البشارة لا تكون حينئذ يقال احميت الحديدة في النار اي اوقدت عليها ويقال احميته ولا يقال حميت عليه وههنا قال عليها لانه جعل من صلة معنى الاحما ومعنى الاحما الايقاد اي يوقد عليها فتكوى الكي الصاق الحار من الحديد والنار بالعضو حتى يحترق الجلد والجباه جمع الجبهة وهو مستوى ما بين الحاجب الى الناصية وجبهت فلانا بكذا اذا استقبلته به وضربت جبهته والجنوب جمع جنب والكي في الوجه اشهر واشنع وفي الجنب والظهر الم واوجع فلذلك خصها بالذكر من بين ساير الاعضاء وقال علماء الصوفية لما طلبوا المال والجاه شان الله وجوههم ولما طووا كشحا عن الفقير اذا جالسهم كويت جنوبهم ولما اسندوا ظهورهم الى اموالهم ثقة بها واعتمادا عليها كويت ظهورهم وقال علماء الظاهر انما خص هذه الاعضاء لان الغني اذا راى الفقير زوى ما بين عينيه وقبض وجهه كما يريد يغض الطرف كما تزاوي بين عينيه على المحاجم فلا ينبسط ما بين عينيك ما تروى ولا تلقى الا وانفك راغم واذا ساله طوى كشحه واذا زاده في السؤال واكثر عليه ولى ظهره فقسط الله العقوبة على حال المعصية الثانية واختلفت الاثار في كيفية الكي بذلك ففي صحيح مسلم من حديث ابي ذر ما ذكرنا من ذكر الرضف وفيه من حديث ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفايح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبهته وجنبه وظهره كلما بردت اعيدت له في يوم مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار الحديث وفي البخاري انه يمثل له كنزه شجاعا اقرع ينقر راسه قلت ولعل هذا يكون في مواطن موطن يمثل المال فيه ثعبانا وموطن يكون صفايح وموطن يكون رضفا فتتغير الصفات والجسمية واحدة فالشجاع جسم والمال جسم وهذا تمثيل حقيقة بخلاف قوله يؤتى بالموت كانه كبش املح فان تلك طريقة اخرى ولله سبحانه ان يفعل ما يشاء وخص الشجاع بالذكر لانه العدو الثاني للخلق والشجاع من الحيات هو الحية الذكر يواثب الفارس والراجل ويقوم على ذنبه وربما بلغ الفارس و يكون في الصحارى وقيل هو الثعبان قال اللحياني يقال للحية شجاع وثلاثة اشجعة ثم شجعان والاقرع من الحيات الذي تمعط راسه وابيض من السم في الموطا له زبيبتان منتفختان في شدقيه كالرغوتين ويكون ذلك في شدقي الانسان اذا غضب واكثر من الكلام قالت ام غيلان بنت جرير ربما انشدت ابي حتى تزبد شدقاي ضرب مثلا للشجاع

الذي كثر سمه فيمثل المال بهذا الحيوان فيلقى صاحبه غضبان وقال ابن دريد نقطتان سودتان
فوق عينيه في رواية مثل له شجاع يتبعه فيضطره فيعطيه يده فيقضمها كما يقضم الفحل
وقال ابن مسعود والله لا يعذب الله احدا بكنز فيمس درهما ولا دينارا ولكن يوسع جلده
حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته وهذا انما يصح في الكافر كما ورد في الحديث لا في المؤمن والله
اعلم الثالثة اسند الطبري الى ابي امامة الباهلي قال مات رجل من اهل الصفة فوجد في
بردة دينارا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم مات اخر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيتان وهذا اما لانهما كانا يعيشان من الصدقة وعندهما الكنز واما لان هذا
كان في صدر الاسلام ثم قرر الشرع ضبط المال واداء حقه ولو كان ضبط المال ممنوعا لكان
حقه ان يخرج كله وليس في الامة من يلزم هذا وحسبك الصحابة واموالهم رضوان الله عليهم
واما ما ذكره عن ابي ذر فهو مذهب له رضي الله عنه وقد روى موسى بن عبيدة عن عمران
بن ابي انس عن مالك ابن اوس ان الحدثان عن ابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من جمع دينارا او درهما او تبرا او فضة لا يعده لغريم ولا ينفقه في سبيل الله فهو كنز
يكوى به يوم القيمة قلت هذا الذي يليق بابي ذر رضي الله عنه ان يقول به وان ما
فضل عن الحاجة ليس بكنز اذا كان معدا لسبيل الله وقال ابو امامة من خلف بيضا او صفرا
كوى بها مغفورا له او غير مغفور له الا ان حلية السيف من ذلك وروى ثوبان ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل يموت وعنده احمر او ابيض الا جعل الله له
بكل قيراط صفيحة يكوى بها من قرنه الى قدمه مغفورا له بعد ذلك او معذب قلت
وهذا محمول على ما لم يؤد زكاته بدليل ما ذكرنا في الاية قبل هذا فيكون التقدير وعنده احمر
او ابيض لم تؤد زكاته وكذلك ما روي عن ابي هريرة من ترك عشرة الاف جعلت صفايح
يعذب بها صاحبها يوم القيمة ان لم يؤد زكاتها لئلا تتناقض الاحاديث والله اعلم
الرابعة قوله تعالى هذا ما كنزتم اي يقال لهم هذا ما كنزتم فحذف فذوقوا ما كنتم
تكنزون قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا الى قوله انفسكم فيه سبع مسايل
الاولى قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله الشهور شهر فاذا قال الرجل لاخيه لا اكلمك
الشهور وحلف على ذلك فلا يكلمه حولا قاله بعض العلماء وقيل لا يكلمه ابدا ابن العربي
وادى ان من لم يكن له نية ان يقتضي ذلك ثلاثة اشهر لانه اقل الجمع الذي تقتضيه صيغة
فعول في جمع فعل ومعنى عند الله اي في حكم الله وفيما كتب في اللوح المحفوظ اثنا عشر شهرا
دون نظايرها لان فيها حرف الاعراب ودليله وقراءة العامة عشر بفتح العين والشين وقرا
ابو جعفر عشر بجزم الشين في كتاب الله يريد اللوح المحفوظ واعاده بعد ان قال عند الله
لان كثيرا من الاشياء يوصف بانه عند الله ولا يقال انه مكتوب في كتاب الله كقوله تعالى
ان الله عنده علم الساعة الثانية قوله تعالى يوم خلق السموات والارض انما قال يوم
خلق السموات والارض ليبين ان قضاءه وقدره كان قبل ذلك وانه سبحانه وتعالى
وضع هذه الشهور وسماها باسمائها على ما رتبها عليه وانزل ذلك على انبيائه في كتبه المنزلة
وهو معنى قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا وحكمها باق على ما كانت عليه
لم يزلها عن ترتيبها تغيير المشركين لاسمائها وتقديم المقدم في الاسم منها والمقصود من ذلك
اتباع امر الله فيها ورفض ما كان عليه اهل الجاهلية من تاخير اسماء وتقديمها وتعليق

الاحكام على الاسماء التي رتبوها عليه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع
ايها الناس ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض على ما ياتي بيانه
وان الذي فعل اهل الجاهلية من جعل المحرم صفرا وصفر محرما ليس يتغير به ما وصفه الله تعالى
والعامل في يوم المصدر الذي هو في كتاب الله وليس يعني به واحد الكتب لان الاعيان لا تعمل
في الظروف والتقدير فيما كتب الله يوم خلق السموات والارض وعند متعلق بالمصدر الذي هو
العدة وهو العامل فيه وفي من قوله في كتاب الله تتعلق بمحذوف هو صفة لقوله اثنا عشر
شهرا معدودة او مكتوبة في كتاب الله ولا يجوز ان تتعلق بعدة لما فيه من التفرقة بين
الصلة والموصول بخبر ان الثالثة هذه الاية تدل على ان الواجب تعليق الاحكام من
العبادات وغيرها انما تكون بالشهور والسنين التي تعرفها العرب دون الاشهر التي تعتبرها
العجم والروم والقبط وان لم تزد على اثني عشر لانها مختلفة الاعداد منها ما يزيد على ثلاثين
ومنها ما ينقص وشهور العرب لا تزيد على ثلاثين وان كان منها ما ينقص والذي ينقص
ليس يتعين له شهر وانما تفاوتها في النقصان والتمام على حسب اختلاف سير القمر في
البروج الرابعة قوله تعالى منها اربعة حرم الاشهر الحرم المذكورة في هذه الاية ذو
القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى الاخرة وشعبان وهو رجب مضر وقيل
رجب مضر لان ربيعة نزار كانوا يحرمون رمضان ويسمونه رجبا فلذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم فيه الذي بين جمادى وشعبان ورفع ما وقع في اسمه من الاختلاف
بالبيان وكانت العرب تسميه منصل الاسنة وروى البخاري عن ابي رجاء العطاردي
واسمه عمران بن تيم قال كنا نعبد الحجر فاذا وجدنا حجرا خيرا منه القيناه واخذنا
الاخر فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به
فاذا دخل شهر رجب قلنا منصل الاسنة فلم ندع فيه حديدة ولا سهما فيه حديدة الا
نزعناه فالقيناه الخامسة قوله تعالى ذلك الدين القيم اي الحساب الصحيح والعدد المستوفى
وروى علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس ذلك الدين اي ذلك القضاء مقاتل الحق ابن عطية
والاصوب عندي ان يكون الدين هنا على اشهر وجوهه اي ذلك الشرع والطاعة القيم
المستقيم من قام يقوم بمنزلة سيد من ساد يسود واصله يقوم السادسة قوله تعالى فلا
تظلموا فيهن انفسكم على قول ابن عباس راجع الى جميع الشهور وعلى قول بعضهم الى الاشهر الحرم
خاصة لانها اليها اقرب ولها مزية في تعظيم الظلم لقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا
جدال في الحج لان الظلم في غير هذه الايام جائز على بسه ثم قيل في الظلم قولان احدهما
لا تظلموا فيهن انفسكم بالقتال ثم نسخ بالقتال في جميع الشهور قاله قتادة وعطا الخراساني
والزهري وسفيان الثوري وقال ابن جريج حلف بالله عطا ابن ابي رباح انه لا يحل للناس
ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا فيها وما نسخت والصحيح الاول فان النبي
صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطايف وحاصرهم في شوال وبعض ذي
القعدة وقد تقدم هذا المعنى في البقرة الثاني لا تظلموا فيهن انفسكم بارتكاب الذنوب
فان الله سبحانه اذا عظم شيئا من جهة واحدة فيضاعف فيه العقاب واذا عظمه
من جهتين او جهات صارت حرمته متعددة فيضاعف فيه العقاب بالعمل السيء كما
يضاعف الثواب بالعمل الصالح فان من اطاع الله في الاشهر الحرم في البلد الحرام ليس ثوابه

ثواب شهر حلال في بلد حلال وقد اشار تعالى الى هذا بقوله يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة
مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين التابعة وقد اختلف في هذا المعنى فيمن قتل في الشهر
الحرام هل تغلظ عليه الدية ام لا فقال الاوزاعي القتل في الشهر الحرام تغلظ فيه الدية فيما بلغنا
فتجعل دية وثلثا ويزاد في اشبه العمد في اسنان الابل وقال الشافعي تغلظ الدية في النفس
وفي الجراح في الشهر الحرام وفي البلد الحرام وذوي الرحم وروي عن القاسم بن محمد ابن عبد الله
وابن شهاب وابان بن عثمان من قتل في الشهر الحرام او في الحرم زيد على ديته مثل ثلثها وروي
ذلك عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ايضا وقال مالك وابو حنيفة واصحابهما وابن ابي
ليلى القتل في الحل والحرم سواء وفي الشهر الحرام وغيره سواء وهو قول جماعة من التابعين
وهو الصحيح لان النبي صلى الله عليه وسلم سن الديات ولم يذكر فيها الحرم ولا الشهر الحرام واجمعوا
ان الكفارة على من قتل خطأ في الشهر الحرام وغيره سواء فالقياس ان تكون الدية كذلك
والله اعلم الثامنة خص الله تعالى الاربعة الاشهر الحرم بالذكر ونهى عن الظلم فيها تشريفا
لها وان كان منهيا عنه في كل الزمان كما قال فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج على
هذا اكثر اهل التأويل اي لا تظلموا في الاربعة الاشهر انفسكم وروى حماد بن سلمة عن علي بن
زيد عن يوسف ابن مهران عن ابن عباس فلا تظلموا فيهن انفسكم في الاثني عشر وروى
قيس بن مسلم عن الحسن عن محمد بن الحنفية قال فيهن كلهن فان قيل على القول الاول لم
قال فيهن ولم يقل فيها وذلك ان العرب يقولون لما بين الثلاثة الى العشرة هن
وهؤلاء فاذا جاوزوا قالوا هي وهذه ارادة ان تعرف تسمية القليل من الكثير وروي
عن الكسائي انه قال اني لاتعجب من فعل العرب هذا وكذلك يقولون فيما دون العشرة من
الليالي خلون وفيما فوقها خلت لا يقال كيف جعل بعض الازمنة افضل من بعض فانا
نقول للباري تعالى ان يفعل ما يشاء ويخص بالفضيلة ما شاء ليس لعمله علة ولا عليه حجر
بل يفعل ما يريد بحكمته وقد تظهر فيه الحكمة وقد تخفى قوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة
فيه مسئلة واحدة كافة في موضع الحال اي محيطين بهم ومجتمعين قال الزجاج مثل
هذا من المصادر عافاه الله عافية وخاصة قال بعض العلماء كان الفرض بهذه الاية
قد توجه على الاعيان ثم نسخ ذلك وجعل فرض كفاية قال ابن عطية وهذا الذي قاله لم
يعلم قط من شرع النبي صلى الله عليه وسلم انه الزم الامة جميعا النفر وانما معنى هذه الاية
الحض على قتالهم والحرب عليهم وجمع الكلمة ثم قيدها بقوله كما يقاتلونكم كافة فبحسب
قتالهم واجتماعهم لنا يكون فرض اجتماعنا لهم والله اعلم قوله تعالى انما النسيء زيادة
في الكفر هكذا يقرأ اكثر الائمة قال النحاس ولم يرو احد عن نافع علمناه انما النسي بلا همز
الا ورش وحده وهو مشتق من نسأه وانساه اذا اخره حكى اللغتين الكسائي الجوهري
النسيء فعيل بمعنى مفعول من قولك نسأت الشيء فهو منسوء اذا اخرته ثم يحول منسوء الى
نسيء كما يحول مقتول الى قتيل ورجل ناسئ وقوم نسأة مثل فاسق وفسقة قال الطبري
النسيء بالهمز معناه الزيادة يقال نسأ ينسأ اذا زاد قال ولا يكون بترك الهمزة الا من النسيان
كما قال نسوا الله فنسيهم ورد على نافع قراءته واحتج بان قال انه يتعدى بحرف الجر
يقال نسأ الله في اجلك كما يقول زاد الله في اجلك ومنه قوله عليه الصلاة والسلام من
سره ان يبسط الله في رزقه وينسأ له في اثره فليصل رحمه قال الازهري نسأت الشيء انسأه نسأ

ونسيا

ونسأ اسم وضع موضع المصدر الحقيقي وكانوا يحرمون القتال في المحرم فاذا احتاجوا الى ذلك حرموا صفر
بدله وقاتلوا في المحرم وسبب ذلك ان العرب كانت اصحاب حروب وغارات فكان يشق عليهم ان
يمكثوا ثلاثة اشهر متوالية لا يغيرون فيها وقالوا لئن توالت علينا ثلاثة اشهر لا نصيب فيها
شيئا لنهلكن فكانوا اذا صدروا عن منى يقوم من بني كنانة ثم من بني فقيم منهم رجل يقال له القلمس
فقال انا الذي لا يرد لي قضاء فيقولون انسئنا شهرا اي اخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر فيحل لهم
المحرم فكانوا كذلك شهرا فشهرا حتى استدار التحريم على السنة كلها فقام الاسلام وقد رجع
المحرم الى موضعه الذي وضعه الله فيه وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام ان الزمان استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقال مجاهد كان المشركون يحجون في كل شهر عامين
فحجوا الى ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور كلها
حتى وافقت حجة ابي بكر التي حجها قبل حجة الوداع ذا القعدة من السنة التاسعة ثم حج النبي صلى
الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافقت ذي الحجة فذلك قوله في خطبته ان الزمان
قد استدار الحديث اراد بذلك ان اشهر الحج رجعت الى مواضعها وعاد الحج الى ذي الحجة وبطل النسيء
وقول ثالث قال اياس بن معاوية كان المشركون يحسبون السنة اثني عشر شهرا وخمسة عشر يوما
فكان الحج يكون في رمضان وفي ذي القعدة وفي كل شهر من السنة بحكم استدارة الشهر بزيادة
الخمسة عشر يوما فحج ابو بكر سنة تسع في ذي القعدة بحكم الاستدارة ولم يحج النبي صلى الله عليه وسلم
فلما كان في العام المقبل وافق الحج ذا الحجة في العشر ووافق ذلك الاهلة وهذا القول اشبه بقول
النبي صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار اي زمان الحج عاد الى وقته الاصلي الذي عينه الله
يوم خلق السموات والارض باصل المشروعية التي سبق بها علمه ونفذ بها حكمه ثم قال السنة اثني
عشر شهرا ينفي بذلك الزيادة التي زادوها في السنة وهي الخمسة عشر يوما بتحكمهم فتعين الوقت
الاصلي وبطل التحكم الجهلي وحكى الامام المازري عن الخوارزمي انه قال اول ما خلق الله الشمس اجراها
في برج الحمل وكان الزمان الذي اشار به النبي صلى الله عليه وسلم صادف حلول الشمس في برج الحمل
وهذا يحتاج الى توقيف فانه لا يتوصل اليه الا بالنقل عن الانبياء ولا نقل صحيح عنهم بذلك ومن
ادعاه فليسنده ثم ان العقل يجوز خلاف ما قال وهو ان يخلق الله الشمس قبل البروج ويجوز ان
يخلق الله ذلك كله في دفعة واحدة ثم ان علماء التعديل قد اختبروا ذلك فوجدوا الشمس
في برج الحوت وقت قوله عليه الصلوة والسلام ان الزمان قد استدار بينها وبين الحمل
عشرون درجة ومنهم من قال عشر درجات والله اعلم واختلف اهل التأويل في اول من نسأ فقال
ابن عباس وقتادة والضحاك بنو مالك بن كنانة وكانوا ثلاثة وروى جويبر عن الضحاك
عن ابن عباس ان اول من فعل ذلك عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف وقال الكلبي اول من فعل
ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة ثم كان بعده رجل يقال له جنادة بن عوف
وهو الذي ادركه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الزهري حي من بني كنانة ثم من بني فقيم منهم
رجل يقال له القلمس واسمه حذيفة ابن عبيد وفي رواية مالك بن كنانة وكان الذي
يلي النسيء يظفر بالرياسة لتريس العرب اياه وفي ذلك يقول شاعرهم ومنا ناسئ الشهر القلمس
وقال الكميت السنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما قوله تعالى زيادة في
الكفر بيان لما فعلته العرب من جمعها من انواع الكفر فانها انكرت وجود الباري تعالى فقالت
وما الرحمن في اصح الوجوه وانكرت البعث فقالت من يحيي العظام وهي رميم وانكرت بعثة

الرسل فقالت ابترا هنا واحدًا نتبعه وزعمت ان التحليل والتحريم اليها فابتدعته من ذاتها مقتفية
لشهواتها فاحلت ما حرم الله ولا مبدل لكلماته ولو كره المشركون قوله تعالى يضل به الذين
كفروا فيه ثلاث قراآت قرء اهل الحرمين وابو عمرو يضل وقرء الكوفيون يضل على الفعل المجهول
وقرا الحسن وابو رجا يُضِل والقراآت الثلاث كل واحدة منها تودي معنى لا ان القراءة الثالثة حذف
منها المفعول والتقدير يضل به الذين كفروا من يقبل منهم والذين في محل رفع ويجوز ان يكون الضمير
راجعا الى الله عز وجل التقدير يضل الله به الذين كفروا كقوله يضل من يشاء وكقوله في اخر
الاية والله لا يهدي القوم الكافرين والقراءة الثانية يضل به الذين كفروا معنى المحسوب لهم
واختار هذه القراءة ابو عبيد كقوله زين لهم سوء اعمالهم والقراءة الاولى اختارها ابو
حاتم لانهم كانوا ضالين به اي بالنسيء لانهم كانوا يحسبونه فيضلون به والهاء في يحلونه
ترجع الى النسيء وروي عن ابي رجا يضل بفتح الياء والضاد وهي لغة يقال ضللت اضل ليواطوا
نصب بلام كي اي ليوافقوا تواطا القوم على كذا اي اجتمعوا عليه اي لم يحلوا شهرا الا حرموا شهرا
لتبقى الاشهر الحرم اربعة وهذا هو الصحيح لا ما يذكر انهم جعلوا الاشهر خمسة قال قتادة انهم
عمدوا الى صفر فزادوه في الاشهر الحرم وقرنوه بالمحرم في التحريم وقاله قطرب والطبري وعليه
يكون النسيء بمعنى الزيادة والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في
سبيل الله اثاقلتم الى الارض فيه ثلاث مسايل الاولى قوله ما لكم ما حرف استفهام معناه
التقرير والتوبيخ التقدير اي شي يمنعكم عن كذا كما يقال ما لك عن فلان معرضا ولا خلاف
ان هذه الاية نزلت عتابا على من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام وسياتي ذكرها في اخر السورة ان شا الله تعالى
والنفر هو التنقل بسرعة من مكان الى مكان لامر يحدث يقال في ابن ادم نفر الى الامر ينفر نفرا
وقوم نفور ومنه قوله ولوا على ادبارهم نفورا ويقال في الدابة نفر وهو اسم مثل الحران ونفر الحاج
من منى الثانية قوله تعالى اثاقلتم الى الارض قال المفسرون معناه اثاقلتم الى نعيم الارض او الى الاقامة
في الارض وهو توبيخ على ترك الجهاد وعتاب في التقاعد عن المبادرة الى الخروج وهو نحو من قوله
اخلد الى الارض واصله تثاقلتم ادغمت التاء في الثاء لقربها منها واحتيج الى الف الوصل الى
النطق بالساكن ومثله اداركوا وادارءتم واطيروا واطيرنا وادبس وانشد الكسائي قول الصحيح
اذا ما اسنا حضر عند المذاق اذا ما اتابع القتل به وقرء الاعمش تثاقلتم على الاصل حكاه المهدوي
وكانت تبوك ودعا الناس في حماوة القيظ وطيب الثمار وبرد الظلال كما جاء في الحديث الصحيح
على ما ياتي فاستولى على الناس الكسل فتقاعدوا وتثاقلوا فوبخهم الله تعالى بقوله وعابهم
الايثار للدنيا على الاخرة بدلا التقدير ارضيتم بنعيم بدلا من نعيم الاخرة فمن يتضمن معنى البدل
كقوله عز وجل ولو نشا لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون اي بدلا منهم وقال الشاعر فليت
لنا من ماء زمزم شربة والطهبان عود ينصب في ناحية الدار للهوى يعلق عليه الماء حتى يبرده
عاتبهم الله تعالى على ايثار الراحة في الدنيا على الراحة في الاخرة اذ لا تنال راحة الاخرة الا بنصب
الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم وقد طافت راكبة اجرك على قدر نصبك اخرجه البخاري قوله تعالى
الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما فيه مسئلة واحدة وهو ان قوله الا تنفروا شرط ولذلك حذفت منه
النون والجواب يعذبكم ويستبدل قوما غيركم وهذا تهديد شديد ووعيد موكد في ترك النفر
قال ابن العربي ومن محققات الاصول ان المراد وارد فليس في وروده اكثر من اقتضا الفعل

ان العقاب على الترك فلا يوخذ من نفس الامر ولا يقتضيه الاقتضا وانما يكون العقاب بالخبر عنه كقوله
ان لم تفعل كذا عذبتك بكذا كما ورد في الاية فوجب بمقتضاها النفير للجهاد والخروج الى الكفار
لمقاتلتهم وعلى ان تكون كلمة الله هي العليا روى ابو داود عن ابن عباس قال الا تنفروا يعذبكم
عذابا اليما وما كان لاهل المدينة ومن حولهم الى قوله يعلمون نسختها الاية التي قبلها وما كان
المومنون لينفروا كافة وهو قول الضحاك والحسن وعكرمة يعذبكم عذابا اليما قال ابن عباس هو حبس
المطر قال ابن العربي فان صح ذلك عنه فهو اعلم من اين قاله والا فالعذاب الاليم هو في الدنيا
باستيلاء العدو وبالنار في الاخرة قلت قول ابن عباس خرجه الامام ابو داود في سننه
عن ابن نفيع قال سالت ابن عباس عن هذه الاية الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما قال امسك
عنهم المطر فكان عذابهم ذكره الامام ابو محمد بن عطية عن ابن عباس مرفوعا قال استنفر رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبيلة من القبايل فقعدت فامسك الله عنهم المطر وعذبها به والاليم
بمعنى مولم اي موجع وقد تقدم ويستبدل قوما غيركم توعد بان يبدل لرسوله صلى الله عليه وسلم
قوما لا يقعدون عنه اذا استنفاره ايام قيل انها فارس وقيل انها اليمن ولا تضروه شيئا
عطف والهاء قيل لله تعالى وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم والتثاقل عن الجهاد مع اظهار الكراهة
حرام على كل احد فاما من غير كراهة فمن عينه النبي صلى الله عليه وسلم حرم عليه التثاقل وان
امن منهما فالفرض فرض كفاية ذكره القشيري وقد قيل ان المراد بهذه الاية وجوب النفير
عند الحاجة وظهور الكفر واشتداد شوكتهم وظاهر الاية يدل على ذلك على وجه الاستدعا فعلى
هذا لا يتجه الحمل على وقت ظهور المشركين فان وجب ذلك بالاستدعاء بالاية يتعين واذا
ثبت ذلك فالاستدعاء والاستنفار يبعد ان يكون موجبا ما لم يجب قبل الا ان الامام
اذا عين قوما وندبهم الى الجهاد لم يكن لهم ان يتثاقلوا عنه عند التعيين ويصير تعيينه
فرضا على من عينه لمكان الجهاد ولكن لطاعة الامام والله اعلم قوله تعالى الا تنصروه فقد
نصره الله الى قوله حكيم فيه عشر مسايل الاولى قوله الا تنصروه يقول تعينوه بالنفر
معه في غزوة تبوك عاتبهم الله بعد انصراف نبيه صلى الله عليه وسلم من تبوك قال النقاش
هذه اول اية نزلت في سورة براءة والمعنى ان تركتم نصره فالله متكفل به اذ قد نصره الله
في مواطن القلة واظهره على عدوه بالغلبة والعزة وقيل قد نصره الله بصاحبه في الغار بتانيسه
له وبحمله على عنقه وبوفائه ووقايته له بنفسه وبمواساته له بماله قال الليث بن سعد ما صحب
الانبياء عليهم الصلاة والسلام مثل ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقال سفيان بن عيينة خرج
ابو بكر بهذه الاية من المعاتبة اي قوله الا تنصروه الثانية قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار
اي احد اثنين وهذا كثالث ثلاثة ورابع اربعة فاذا اختلف اللفظ فقلت رابع ثلاثة
وخامس اربعة فالمعنى صير الثلاثة اربعة بنفسه والاربعة خمسة وهو منصوب على الحال
اي اخرجه منفردا من جميع الناس الا من ابي بكر والعامل فيها فقد نصره الله اي نصره منفردا
ونصر احد اثنين والله انبتكم من الارض نباتا وقرء جمهور القراء ثاني بتثبيت الياء قال ابو حاتم
لا يعرف غير هذا وقرات فرقة ثاني بسكون الياء قال ابن جني حكاها ابو عمرو بن العلا
ووجهها انه يسكن الياء تشبيها لها بالالف وقال ابن عطية كقراءة الحسن ما بقي من الربا وكقول
جرير هو الخليفة فارضوا ما رضيه لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف الرابعة قوله
تعالى اذ هما في الغار الغار ثقب في الجبل يعني غار ثور ولما رات قريش المسلمين قد ساروا

الى المدينة قالوا هذا شر شغل لا يطاق فاجمعوا امرهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبيتوه
ورصدوه على باب منزله طول ليلتهم ليقتلوه اذا خرج فامر النبي صلى الله عليه وسلم على ابن ابي طالب
رضي الله عنه ان ينام على فراشه ودعى الله تعالى ان يعمي عنهم اثره فطمس الله على ابصارهم فخرج
وقد غشيهم النوم فوضع على رؤسهم ترابا ونهض فلما اصبحوا خرج عليهم علي واخبرهم ان ليس في
الدار احد فعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فات ونجا وتواعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع ابي بكر الصديق للهجرة فدفعا راحلتيهما الى عبد الله بن ارقط ويقال اريقط وكان كافرا
لكنهما وثقا به وكان دليلا بالطريق واستاجراه ليدل بهما الى المدينة وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من خوخة في ظهر دار ابي بكر التي في بني جمح ونهضا نحو الغار في جبل ثور وامر
ابو بكر ابنه عبد الله ان يتسمع ما يقول الناس وامر مولاه عامر بن فهيرة ان يرعى غنمه ويريحها
عليهما ليلا فيأخذوا منها حاجتهما ثم نهضا فدخلا الغار وكانت اسما بنت ابي بكر تاتيهما بالطعام
وياتيهما عبد الله بن ابي بكر بالاخبار ثم يتلوهما عامر بن فهيرة بالغنم فيعفي اثارهما فلما افتقدتهما
قريش جعلت تطلبه بقايف معروف فقفا الاثر حتى وقف على الغار فقال هنا انقطع الاثر
فنظروا فاذا بالعنكبوت قد نسج على فم الغار من ساعته ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
قتله فلما راوا نسج العنكبوت ايقنوا ان لا احد فيه فرجعوا وجعلوا في النبي صلى الله عليه وسلم ماية
ناقة لمن رده عليهم الخبر المشهور وقصة سراقة بن جعشم في ذلك مذكورة وقد يروى من
حديث ابي الدرداء وثوبان ان الله عز وجل امر حمامة فباضت على نسج العنكبوت وجعلت
ترقد على بيضها فلما نظر الكفار اليها ردهم ذلك عن الغار الخامسة روى البخاري عن عايشة
قالت استاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر من بني الديل هاديا خريتا وهو على دين
كفار قريش فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما براحلتيهما صبيحة
ثالثة فارتحلا وانطلقا ومعهما عامر بن فهيرة والديلي فاخذ بهم طريق الساحل قال المهلب
فيه من الفقه ايتمان اهل الشرك على السر والمال اذا علم منهم وفا ومروة كما ايتمن النبي صلى الله عليه
وسلم هذا المشرك على سره في الخروج من مكة وعلى الناقتين وقال في المدونة ابن استيجار المشركين عند
الضرورة اذا لم يوجد اهل الاسلام قال ابن بطال انما قال البخاري في ترجمته اذا لم يوجد اهل
الاسلام من اجل ان النبي صلى الله عليه وسلم انما عامل اهل خيبر على العمل في ارضها اذ لم يوجد من
المسلمين من ينوب منابهم في عمل الارض حتى قوي الاسلام واستغنى عنهم اجلاهم عمر وعامة الفقها
يجيزون استيجارهم عند الضرورة وغيرها وفيه استيجار الرجلين الرجل الواحد على عمل واحد
وفيه دليل على جواز الفرار بالدين خوفا من العدو والاستخفا في الغيران وغيرها وان لا
يلقي الانسان بيده الى العدو توكلا على الله واستسلاما له ولو شا ربكم لعصمه مع كونهم معهم
ولكنها سنة الله في الانبياء وغيرهم ولن تجد لسنة الله تبديلا هذا ادل دليل على فساد
من صنع ذلك وقال من خاف مع الله سواه كان ذلك نقصا في توكله ولم يؤمن بالقدر
وهذا كله في معنى الاية ولله الحمد السادسة قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن تضمنت
هذه الاية فضايل الصديق رضي الله عنه فحى الله تعالى ذلك بكلامه ووصف الصحبة في كتابه
قال بعض العلماء من انكر ان يكون عمر وعثمان واحد من الصحابة صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهو كذاب مبتدع ومن انكر ان يكون ابو بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر
لانه رد نص القران ومعنى ان الله معنا اي بالنصر والرعاية والحفظ روى الترمذي والحارث

بن ابي اسامة قالا حدثنا عفان قال حدثنا همام قال اخبرنا ثابت عن انس ان ابا بكر حدثه قال
قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار ولو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه فقال
يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال المحاسبي يعني معهما بالنصر والدفاع على ما عمر به الخلايق
فقال ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم فمعناه العموم انه يسمع ويرى من الكفار والمؤمنين
السابعة قال ابن العربي قالت الامامية قبحها الله حزن ابي بكر في الغار دليل على جهله ونقصه
وضعف قلبه فاجاب علماؤنا عن ذلك بان اضافة الحزن ليس بنقص كما لم ينقص ابراهيم حين
قال عنه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف ولم ينقص موسى قوله فاوجس في نفسه خيفة
موسى قلنا لا تخف وفي لوط لا تخف انا منجوك واهلك فهؤلاء العظماء صلوات الله تعالى عليهم
قد وجدت عندهم التقية نصا ولم يكن ذلك طعنا عليهم ووصفا لهم بالنقص فكذلك في
ابي بكر ثم هي عند الصديق احتمال فانه قال لو ان احدهم نظر تحت قدميه لابصرنا جواب ثان
حزن الصديق انما كان خوفا على النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت معصوما وانما نزل عليه والله
يعصمك من الناس بالمدينة الثامنة قال ابن العربي قال لنا ابو الفضايل العدل قال لنا
جمال الاسلام ابو القاسم قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين وقال محمد صلى الله عليه وسلم
لا تحزن ان الله معنا لا جرم لما كان الله مع موسى وحده ارتد اصحابه بعده فرجع من عند ربه
ووجدهم يعبدون العجل وقال في محمد صلى الله عليه وسلم ان الله معنا يعني ابا بكر مهتديا موحدا عالما
جازما قايما بالامر لم يتطرق اليه اختلال التاسعة خرج الترمذي من حديث نبيط بن
شريط عن سالم بن عبيد له صحبة قال اغمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه واجتمع
المهاجرون يتشاورون فقالوا انطلقوا بنا الى اخواننا من الانصار ندخلهم معنا في هذا
الامر فقالت الانصار منا امير ومنكم امير فقال عمر رضي الله عنه من له مثل هذه الثلاثة
ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا من هما قال ثم بسط يده
فبايعه وبايعه الناس بيعة حسنة جميلة قلت ولهذا قال بعض العلماء في قوله
تعالى ثاني اثنين يؤيد ان الخليفة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق ان يقال له
ثاني اثنين لقيامه بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالامر كقيام النبي صلى الله عليه وسلم اولا وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات ارتدت العرب كلها ولم يبق الاسلام الا بالمدينة ومكة
وحواليها فقام ابو بكر يدعو الناس الى الاسلام ويقاتلهم على الدخول في الدين كما فعل النبي
صلى الله عليه وسلم فاستحق من هذه الجهة ان يقول في حقه ثاني اثنين قلت وقد جاء
في السنة احاديث صحيحة يدل ظاهرها على انه الخليفة بعده وقد انعقد الاجماع على ذلك
ولم يبق منهم خايف والقادح في خلافته مقطوع بخطائه وفسقه وهل يكفر ام لا يتكلف فيه
والاظهر تكفيره وسياتي لهذا المعنى مزيد بيان في سورة الفتح ان شاء الله تعالى والذي
يقطع به من الكتاب والسنة واقوال علماء الامة ويجب ان تؤمن به القلوب والافئدة
فضل الصديق على هذه الامة ولا اصلاة بالغوال اهل التشيع واهل البدع فانهم بين
مكفر تضرب عنقه وبين مبتدع مفسق ولا تقبل كلمته ثم بعد الصديق عمر الفاروق
ثم بعده عثمان ويروى عن مالك انه توقف في ذلك وروى ايضا عن مالك انه رجع الى
ما عليه الجمهور وهو الاصح ان شاء الله العاشرة قوله فانزل الله سكينته عليه فيه
قولان احدهما على النبي صلى الله عليه وسلم والثاني على ابي بكر قال ابن العربي قال علماؤنا وهو

الاقوى لانه كان يخاف على النبي صلى الله عليه وسلم من القوم فانزل الله سكينته عليه بتامين النبي
صلى الله عليه وسلم فسكن جاشه وذهب روعه وحصل الامن وثبت الله تعالى يمانه والهم
الوكر هناك حمامة وارسل العنكبوت فنسجت بيتا عليه فما اضعف هذه الجنود في ظاهر الحق
وما اقواها في باطن المعنى ولهذا المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم حين تغامر مع الصديق هل انتم تاركوا
لي صاحبي ان الناس كلهم قالوا كذبت وقال ابو بكر صدقت رواه ابو الدرداء الحادية عشر قوله
وايده بجنود لم تروها اي من الملائكة والكناية في قوله وايده ترجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
والضمير اي يختلفان وهذا كثير في القران وكلام العرب وجعل كلمة الذين كفروا السفلى كلمة
الشرك وكلمة الله هي العليا بالنصب حملا على جعل والباقون بالرفع على الاستيناف وزعم الفرا
ان قراءة النصب بعيدة قال لانك اذا قلت اعتق فلان غلام ابيه ولا يقول غلام ابي
فلان وقال ابو حاتم نحوا من هذا وقال ابو حاتم وكان يجب ان يقال وكلمته هي العليا قال
النحاس الذي ذكره الفرا لا يشبه الاية ولكن يشبهها ما انشده سيبويه لا ارى الموت يسبق
الموت شيئا يعض الموت ذا الغنى والفقيرا فهذا جيد حسن لا اشكال فيه بل يقول النحويون الحذاق
ان في اعادة الذكر في مثل هذا فائدة وهو ان فيه معنى التعظيم قال الله تعالى اذا زلزلت الارض
زلزالها واخرجت الارض اثقالها فهذا لا اشكال فيه والكلمة جمع كلمة وتميم تقول هي كلمة
بكسر الكاف وحكى الفراء فيها ثلاث لغات كلمة وكلمة وكلمة كبد وكبد وكبد وورق وورق
والكلمة ايضا القصيدة لطولها قاله الجوهري قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم
وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن
بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله
يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم
الكاذبين لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
والله عليم بالمتقين انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم
فهم في ريبهم يترددون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم
فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم
يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل
وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي
ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ان تصبك حسنة تسؤهم
وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قوله تعالى
انفروا خفافا وثقالا الاية فيه سبع مسائل الاولى روى سفين عن الحصين بن عبد الرحمن بن
ابي مالك الغفاري قال اول ما نزل من سورة براءة انفروا خفافا وثقالا وقال ابو الضحى
كذلك ايضا قال ثم نزل اولها واخرها الثانية انفروا خفافا وثقالا نصب على الحال وفيه
عشرة اقوال الاول يذكر عن ابن عباس نفروا بيانا اسرايا متفرقين الثاني روي عن ابن عباس
ايضا وقتادة نشاطا وغير نشاط الثالث الخفيف الغني والثقيل الفقير قاله مجاهد الرابع
الخفيف الشاب والثقيل الشيخ قاله الحسن الخامس مشاغيل وغير مشاغيل قاله زيد بن علي
والحكم بن عيينة السادس الثقيل الذي له عيال والخفيف الذي لا عيال له قاله زيد بن
اسلم السابع الثقيل الذي له ضيعة يكره ان يدعها والخفيف الذي لا ضيعة له قاله ابن

زيد الثامن الخفاف الرجال والثقال الفرسان قاله الاوزاعي التاسع الخفاف الذين يسبقون الى
الحرب كالطليعة وهو مقدم الجيش والثقال الجيش باسره العاشر الخفيف الشجاع والثقيل الجبان
حكاه النقاش والصحيح في معنى الاية ان الناس امروا جملة ان ينفروا خفت عليهم الحركة او ثقلت
وروي ان ابن ام مكتوم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له علي ان انفر فقال نعم حتى انزل
الله تعالى ليس على الاعمى حرج وهذه الاقوال انما هي على معنى المثال في الثقل والخفة الثالثة
واختلف في هذه الاية فقيل انها منسوخة بقوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى وقيل
الناسخ لها قوله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة والصحيح انها ليست منسوخة روي
ابن عباس عن ابي طلحة في قوله عز وجل انفروا خفافا وثقالا قال شبابا وكهولا ما سمع الله عذر
احد فخرج الى الشام فجاهد رضي الله عنه وروي حماد بن ثابت وعلي بن زيد عن انس ان ابا
طلحة قرا سورة براءة فاتى على هذه الاية انفروا خفافا وثقالا فقال اي بني جهزوني
فقال بنوه يرحمك الله قد جاهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى مات ومع ابي بكر حتى مات
ومع عمر حتى مات فنحن نغزو عنك قال لا جهزوني فغزى في البحر فمات في البحر فلم يجدوا له
جزيرة يدفنوه فيها الا بعد سبعة ايام فدفنوه فيها فلم يتغير رضي الله عنه واسند الطبري
عن من راى المقداد بن الاسود بحمص على صراف وقد فضل على التابوت من سمنه وهو يتجهز
للعدو وقيل له لقد عذرك الله فقال انزل علينا سورة البعوث انفروا خفافا وثقالا وقال
الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل فقال
استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكن الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وروي ان بعض
الناس راى في غزوات الشام رجلا قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر فقال له يا عم ان الله
قد عذرك فقال يا ابن اخي قد امرنا بالنفر خفافا وثقالا ولقد قال ابن مكتوم رضي الله عنه
واسمه عمرو يوم احد انا رجل اعمى فسلموا لي اللوا فانه اذا انهزم صاحب اللوا انهزم الجيش انا
ما ادري من يقصدني بسيف فما ابرح فاخذ اللوا يومئذ مصعب على ما تقدم في ال عمران بيانه
فلهذا وما كان مثله مما روي عن الصحابة والتابعين ولنا ان النسخ لا يصح وقد يكون
حالة يجب فيها نفير الكل وهي المسئلة الرابعة وذلك ان يتعين الجهاد بغلبة العدو على
قطر من الاقطار او بحلوله بالقطر فاذا كان كذلك وجب على اهل الدار ان ينفروا ويخرجوا
اليه خفافا وثقالا شبابا وشيوخا على قدر طاقته من كان له اب بغير اذنه ومن لا اب
له ولا يتخلف احد عن الخروج من مقاتل فان عجز اهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من
قاربهم وجاورهم ان يخرجوا على نحو ما لزم اهل تلك البلدة حتى يعلم ان فيهم طاقة على القيام
بهم ومدافعتهم وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم انه يدركهم ويمكنه غياثهم ايضا
لزمه الخروج اليهم فالمسلمون كلهم يد على من سواهم حتى اذا قام بدفع العدو اهل تلك الناحية
التي نزل العدو عليها او حل بها سقط الفرض عن الاخرين ولو قارب العدو دار الاسلام ولم
يدخلها لزمهم ايضا الخروج اليه حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزى
العدو ولا خلاف في هذا وقسم ثان ايضا من واجب الجهاد فرض على الامام اغزاء الطائفة
الى العدو كل سنة مرة يخرج معهم بنفسه او يخرج من يثق به ليدعوهم الى الاسلام ويرغب
عنهم ويكف اذاهم ويظهر دين الله عليهم حتى يدخلوا في الاسلام او يعطوا الجزية عن يد ومن
الجهاد ايضا ما هو نافلة وهو اخراج الامام طائفة بعد طائفة وبعث السرايا اوقات

الغزو عند امكان الفرصة والارصاد لهم بالرباط فى موضع الخوف فاظهار القوة فان قيل كيف
يصنع الواحد اذا قصر الجميع وهي الخامسة قيل له يعمد الى اسير واحد فيفديه فانه اذا فدى الواحد
فقد ادى فى الواحد اكثر مما كان يلزمه فى الجماعة فان الاغنياء لو قسموا فداء الاسارى ما ادى
كل واحد منهم الا اقل من درهم او نفر بنفسه ان قدر والا جهز غازيا قال صلى الله عليه وسلم من جهز
غازيا فقد غزى ومن خلفه فى اهله بخير فقد غزى اخرجه الصحيح وذلك لان مكانه لا يغني
وماله لا يكفي السادسة روي ان بعض الملوك عاهد كفارا على ان لا يحبسوا اسيرا فدخل رجل
من المسلمين جهة بلادهم فمر على بيت مغلوق فنادته امراة انى اسيرة فابلغ صاحبك خبرى
فلما اجتمع به واستطعمه عنده وتجاريا ذيل الحديث انتهى الخبر الى هذه المرية فما اكمل حديثه
حتى قام الامير على قدميه وخرج غازيا من فوره ومشى الى الثغر واخرج الاسيرة واستولى على
الموضع رحمه الله ذكره ابن العربي وقال ولقد نزل بنا العدو سنة تسع وعشرين وخمسماية
فجاس ديارنا واسر خيرتنا وتوسط بلادنا فى عدد هال الناس عدده وكان كثيرا وان لم يبلغ
ما حددوه فقلت للوالي والموالي والمولى عليه هذا عدو الله قد حصل فى الشرك والشبكة فلتكن
عندكم بركم وليظهر منكم المتعينة عليكم حركم فليخرج اليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم احد فى
جميع الاقطار فيحاط به فانه هالك لا محالة ان يسر الله له فغلبت الذنوب ورجفت
القلوب وصار كل واحد من الناس ثعلبا ياوي الى وكاره وان راى المكيدة بجاره فانا لله
وانا اليه راجعون السابعة قوله تعالى وجاهدوا امر بالجهاد وهو مشتق من الجهد
باموالكم وانفسكم وروى ابو داود عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جاهدوا المشركين باموالكم
وانفسكم والسنتكم وهذا وصف لكل ما يكون من الجهاد وانفعه عند الله عز وجل فحض على كل
الاوصاف وقيد الاموال بالذكر اذ هي اول مصرف وقت التجهيز فرتب الامر كما هو فى نفسه قوله
تعالى لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة
تبوك اظهر الله تعالى نفاق قوم والعرض ما يعرض من منافع الدنيا والمعنى غنيمة
قريبة اخبر عنهم انهم لو دعوا الى غنيمة لاتبعوه وسفرا قاصدا عطف عليه وحذف اسم كان
لدلالة الكلام عليه التقدير لو كان المدعو اليه عرضا قريبا وسفرا قاصدا اي سهلا معلوم
الطرق لاتبعوك وهذه الكناية للمنافقين لانهم داخلون فى جملة من خوطب بالنفير
وهذا موجود فى كلام قوم يذكرون الجملة ثم ياتون بالاضمار عايدا على بعضها كما قيل فى قوله
تعالى وان منكم الا واردها اي القيامة ثم قال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين
فيها جثيا يعني جهنم ونظير هذه الاية من السنة فى المعنى قوله عليه الصلاة والسلام
لو يعلم احدهم انه يجد شيئا حاضرا او مجلا يأخذه لاتى المسجد من اجله ولكن بعدت
عليهم الشقة حكى ابو عبيدة وغيره ان الشقة السفر الى الارض بعيدة يقال منه شقة
شاقة والمراد بذلك كله غزوة تبوك وحكى الكسائي انه يقال شقة وشقة قال
الجوهري الشقة من الثياب والشقة ايضا السفر البعيد وربما قالوه بالكسر وسيحلفون
بالله لو استطعنا اي لو كان لنا سعة فى الظهر والمال لخرجنا معكم نظيره ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا فسرها النبي صلى الله عليه وسلم فقال زاد وراحلة وقد
تقدم يهلكون انفسهم بالكذب والنفاق والله يعلم انهم لكاذبون فى الاعتلال قوله تعالى
عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا قيل هو افتتاح كلام كما تقول

اصلحك الله

اصلحك الله واعزك الله ورحمك الله كان كذا وكذا وعلى هذا التأويل يحسن الوقوف على قوله عفا
الله عنك حكاه مكى والمهدوي والنحاس واخبره بالعفو قبل الذنب لئلا يطير قلبه فرقا وقيل
المعنى عفا الله عنك ما كان من ذنبك فى ان اذنت لهم فلا يحسن الوقوف على قوله عفا الله عنك
على هذا التقدير حكاه المهدوى واختاره النحاس ثم قيل فى الاذن قولان الاول لم اذنت لهم
فى الخروج معك وفى خروجهم بلا عدة ونية صادقة فساد الثانى لم اذنت لهم فى القعود
لما اعتلوا باعذار ذكرهما القشيري وقال هذا عتاب بلطف اذ قال عفا الله عنك وكان عليه الصلاة
والسلام اذن من غير وحي نزل فيه قال قتادة وعمرو بن ميمون ثنتان فعلهما النبي صلى الله
عليه وسلم لم يؤمر بهما اذنه لطائفة من المنافقين فى التخلف عنه ولم يكن له ان يمضي شيئا
الا بوحي واخذه من الاسرى الفدية فعاتبه الله كما تسمعون قال بعض العلماء انما بدر منه ترك
الاولى فقدم الله له العفو على الخطاب الذى هو صورة العتاب وقوله حتى يتبين لك
الذين صدقوا وتعلم الكاذبين اي يتبين لك من صدق ممن نافق قال ابن عباس وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يومئذ يعرف المنافقين وانما عرفهم بعد نزول سورة
التوبة وقال مجاهد هؤلاء قوم قالوا استاذنوا لنا فى الجلوس فان اذن لنا جلسنا وان لم
يؤذن لنا جلسنا وقال قتادة نسخ هذه الاية بقوله فى سورة النور فاذا استاذنوك لبعض شانهم
فاذن لمن شئت منهم ذكره النحاس فى معانى القرآن له انتهى قوله تعالى لا يستاذنك الذين
يؤمنون بالله واليوم الاخر اي فى القعود ولا فى الخروج بل ان امرت بشيء ابتدروه فكان الاستيذان
فى ذلك الوقت من علامات النفاق ولذلك قال انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله نسختها
التي فى النور انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله الى قوله غفور رحيم ان يجاهدوا فى موضع
نصب باضمار عن الزجاج وقيل التقدير كراهة ان يجاهدوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا
وارتابت قلوبهم شكت فى الدين فى ريبهم يترددون اي فى شكهم يذهبون ويرجعون قوله
تعالى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة اي لو ارادوا الجهاد لتاهبوا اهبة السفر فتركهم
الاستعداد دليل على ارادتهم التخلف ولكن كره الله انبعاثهم اي خروجهم معك فثبطهم
اي حبسهم عنك وخذلهم لانهم قالوا ان لم يؤذن لنا فى الجلوس افسدنا وحرضنا على
المؤمنين ويدل على هذا ان بعده لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وقيل اقعدوا مع القاعدين
قيل هو من قول بعضهم لبعض وقيل هو من قول النبي صلى الله عليه وسلم غضبا فاخذ لو اتظاهر
لفظه وقالوا قد اذن لنا وقيل هو عبارة عن الخذلان اي اوقع الله فى قلوبهم القعود ومعنى مع
القاعدين اي مع اولى الضرر والعميان والزمنى والنسوان والصبيان قوله تعالى لو خرجوا
فيكم ما زادوكم الا خبالا هو تسلية للمؤمنين فى تخلف المنافقين عنهم والخبال الفساد والنميمة
وايقاع الاختلاف والاراجيف وهذا استثناء منقطع اي ما زادوكم قوة ولكن طلبوا الخبال
وقيل المعنى لا يزيدونكم فيما تريدون فيه من الراي الا خبالا فلا يكون الاستثناء منقطعا قوله تعالى
ولاوضعوا خلالكم المعنى لاسرعوا فيما بينكم بالافساد والايضاع سرعة السير قال الراجز يا ليتنى
فيها جذع اخب فيها واضع يقال وضع البعير اذا عدا يضع وضعا ووضوعا اذا اسرع
السير واوضعته حملته على العدو وعلى العدو وقيل الايضاع سير مثل الخبب والخلل الفرجة
بين الشيئين والجمع الخلال اي الفرج التي تكون بين الصفوف اي لاوضعوا خلالكم بالنميمة وافساد
ذات البين يبغونكم الفتنة مفعول ثان والمعنى يطلبون لكم الفتنة اي الافساد والتحريض

ويقال ابتغيت كذا اي اعنته على طلبه وبغيته كذا طلبت له وقيل الفتنة هنا الشر وفيكم سماعون
لهم اي عيون لهم ينقلون الاخبار اليهم منكم قال قتادة فيكم من يقبل من قولهم ويطيعهم النحاس
والقول الاول اولى لانه الاغلب من معنييه اي معنى سماع يسمع الكلام ومثله سماعون للكذب والقول
الثاني لا يكاد يقال فيه الا سامع مثل قايل قوله تعالى لقد ابتغوا الفتنة من قبل اي لقد طلبوا الخبال
من قبل ان يظهر وامرهم ونزول الوحي بما اسروه وبما سيفعلونه وقال ابن جريج اراد اثني عشر رجلا
من المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقلبوا لك
الامور اي صرفوها واجالوا الراي في ابطال ما جيت به حتى جاء الحق وظهر امر الله اي دينه قوله تعالى
ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني من اذن ياذن واذا امرت نوبت همزة مكسورة وبعدها
همزة وهي في الفعل ولا يجتمع همزتان فابدلت من الثانية ياء لكسرة ما قبلها فقلت ايذن فاذا
فصلت زالت العلة في الجمع بين همزتين ثم همزت فقلبت ومنهم من يقول ائذن لي وروى
ورش عن نافع ومنهم من يقول اوذن لي خفف الهمزة قال النحاس ويقال ائذن لفلان ثم ايذن له
هجا الاولى والثانية واحد بالف وياء قبل الذال في الخط فان قلت ايذن لفلان وايذن لغيره
كان الثاني بغير ياء وكذا الفا والفرق بين ثم والواو ان ثم يوقف عليها وتنفصل والواو والفا
لا يوقف عليهما ولا ينفصلان قال محمد بن اسحق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد
اذنت لك فنزلت هذه الاية اي لا تفتني بقباحة وجوههم ولم تكن به علة الا النفاق قال
المهدوي والاصفر رجل من الحبشة كانت له بنات لم يكن في وقتهن احمل منهن فكان ببلاد الروم
وقيل سموا بذلك لان الحبشة غلبت على الروم وولدت لهم بنات فاخذن من بياض الروم وسواد
الحبشة فكن صفر العينان قال ابن عطية في قول ابن اسحق فتور واسند الطبري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اغزوا تغنموا بنات الاصفر فقال له الجد ايذن لنا ولا تفتنا بالنساء وهذا
منزع الاول وهو اشبه بالنفاق المحاذه ولما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم لبني سلمة وكان
الجد بن قيس منهم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس غير انه بخيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
واي داء ادوا من البخل بل سيدكم الفتى بشر بن البرا ابن معرور فقال حسان بن ثابت الانصاري فيه
وسود بشر بن البر لجوده
وحق لبشر ابن البرا ان يسودا
اذا ما اتاه الوفد اذهب ماله
وقال خذوه انني عايد غدا
قوله تعالى الا في الفتنة سقطوا
اي في الفتنة والغضبة وقعوا وهي النفاق والتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وان جهنم لمحيطة
بالكافرين اي مصيرهم الى النار فهي تحرقهم قوله تعالى ان تصبك حسنة تسوهم شرط وجزا
وكذا وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا عطف عليه والحسنة الغنيمة
والمصيبة الانهزام ومعنى قولهم اخذنا امرنا اي احتطنا لانفسنا واخذنا بالحزم فلم نخرج الى
القتال ويتولوا اي عن الايمان وهم فرحون اي معجبون بذلك قوله تعالى قل لن يصيبنا الا
ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين
ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون
قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم ان تقبل منهم
نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا
وهم كارهون فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا و
تزهق انفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون

لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات فان
اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا
حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون انما الصدقات للفقراء
والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن
السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم قوله تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قيل في
اللوح المحفوظ وقيل ما الخير فان في كتابه من اما ان نظفر فيكون الظفر حسنى لنا واما ان
نقتل فتكون الشهادة اعظم حسنى لنا والمعنى كل شي بقضى وقدر وقد تقدم في الاعراف ان
العلم والقدر والكتاب سوا هو مولانا اي ناصرنا والتوكل تفويض الامور اليه وقراءة الجمهور
يصيبنا نصب بلن وحكى ابو عبيدة ان من العرب من يجزم بها وقرا طلحة بن مصرف هل يصيبنا
بنون مشددة وهذا لحن لا يوكد بالنون مذكان خبرا وكان هذا في قراءة طلحة قال الله تعالى
يذهبن كيده ما يغيظ قوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الكوفيون يدغمون
اللام في التاء فاما لام المعرفة فلا يجوز الادغام كما قال عز وجل التائبون لكثرة لام المعرفة
فلا يجوز الادغام في كلامهم ولا يجوز الادغام في قوله قل تعالوا لان قل معتل فلم يجمعوا عليه
علتين والتربص الانتظار يقال تربص بالطعام اذا انتظر به الحين الغلاقة والحسنى تانيث
الاحسن واحدى الحسنيين حسنى والجمع الحسنيين ولا يجوز ان ينطق به الا معرفا لا يقال
رايت امراة حسنى والمراد بالحسنيين الغنيمة والشهادة عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما
واللفظ استفهام والمعنى التوبيخ ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده اي
عقوبة تهلككم كما اصاب الامم الخالية من قبلكم او بايدينا اي يوذن لنا في قتالكم فتربصوا تهدد
ووعيد اي انتظروا توعد الشيطان انا منتظرون مواعد الله قوله تعالى قل انفقوا طوعا او
كرها لن يتقبل منكم فيه اربع مسايل الاولى قوله قل انفقوا طوعا او كرها قال ابن عباس نزلت
في الجد بن قيس اذ قال ائذن لي ولا تفتني اي في القعود وهذا مالي اعينك به ولفظ امر
ومعناه الشرط والجزاء وهكذا تستعمل العرب في مثل هذا تاتي باو قال الشاعر أسيئ بنا
او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت والمعنى ان اسات او احسنت فنحن على ما تعرفين
ومعنى الاية ان انفقتم طايعين او كارهين فلم يتقبل منكم ثم بين عز وجل لم لا يتقبل منهم
فقال وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله فكان في هذا
ادل دليل وهي الثانية على ان افعال الكفار اذا كانت برا كصلة القرابة وجبر الكسير واغاثة
الملهوف وشبه ذلك لا يثاب عليها ولا ينتفع بها في الاخرة بيد انه يطعم بها في الدنيا دليله
ما روى مسلم عن عايشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم
ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم
الدين وروي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مومنا حسنة
يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الاخرة واما الكافر فيطعم ما عمل لله في الدنيا حتى اذا
افضى الى الاخرة لم تكن له حسنة يجزى بها وهذا نص ثم قيل هل يحكم بهذا الوعد الصادق
لابد ان يطعم الكافر ويعطى بحسناته في الدنيا او ذلك مقيد بمشيئة الله المذكورة
في قوله عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهذا هو الصحيح من القولين والله اعلم وتسميه ما
يصدر عن الكافر حسنة انما هو بحسب الظن من الكافر والا فلا تصح منه قربة لعدم شرطها

المصحح لهما وهو الايمان وسميت حسنة لانها تشبه صورة حسنة المؤمن ظاهره قولا ايضا والله اعلم الثالثة فان قيل فقد روى مسلم عن حكيم بن حزام انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي رسول الله ارايت امورا كنت اتحنث بها في الجاهلية من صدقة او عتاقة او صلة رحم افلها اجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلمت على ما اسلفت من خير قلنا قوله اسلمت على ما اسلفت من خير يخالف ظاهر الاصول لان الكافر لا يصح منه التقرب الى الله عز وجل فيكون مثابا على طاعته لان من شروط التقرب ان يكون عارفا بالمتقرب اليه فاذا عدم الشرط انتفى صحة المشروط فكان المعنى في الحديث انك كسبت طباعا حملته في الجاهلية عادة عملية في الاسلام وذلك ان حكيما رضي الله عنه عاش مائة وعشرين سنة ستين في الاسلام وستين في الجاهلية فاعتق في الجاهلية مائة رقبة وحمل على مائة بعير وكذا فعل في الاسلام وهذا واضح وقد قيل لا يبعد في كرم الله ان يثيبه على فعل ذلك بالاسلام كما يسقط عنه ما ارتكبه في حال كفره من الاثام وانما لا يثاب من لم يسلم ومات كافرا وهذا ظاهر الحديث وهو الصحيح ان شاء الله وليس عدم شرط الايمان في عدم ثواب ما يفعله من الخير ثم اسلم ومات مسلما بشرط عقلي لا يتبدل والله اكرم من ان يضيع عمله اذا حسن اسلامه وقد تاول الحربي الحديث على هذا المعنى فقال اسلمت على ما اسلفت اي على ما تقدم لك من خير عملته فذلك كما تقول اسلمت على الف درهم على ان احرزها لنفسه والله اعلم الرابعة فان قيل فقد روى مسلم عن العباس قلت يا رسول الله ابو طالب كان يحفظك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح قيل له لا يبعد ان يخفف عن كافر بعض العذاب بما عمل من الخير لكن بانضمام شفاعته كما جاء في ابي طالب فاما غيره فقد اخبر التنزيل بقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقال مخبرا عن الكافرين فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقد اخبر مسلم عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه ومن حديث العباس ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار وقوله انكم كنتم فاسقين اي كافرين قوله تعالى وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا فيه ثلاث مسائل الاولى قوله وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا ان الاولى في موضع نصب والثانية في موضع رفع والمعنى وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا كفرهم وقرا الكوفيون ان يقبل بالياء لان النفقات واحد الثانية قوله ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا كان في جماعة صلى وان كان وحده لم يصل وهو الذي لا يرجو على الصلاة ثوابا ولا يخشى في تركها عقابا فالنفاق يورث الكسل في العبادة لا محالة وقد تقدم في سورة النساء القول في هذا كله مستوعبا وقد ذكرنا هنا حديث العلاء الثالثة قوله تعالى ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم يعدونها مغرما ومنعها مغنما واذا كان الامر كذلك فهي غير متقبلة ولا يثاب عليها حسب ما تقدم قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم اي لا تستحسن ما اعطيناهم ولا تمل اليه فانه استدراج انما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا قال الحسن المعنى باخراج الزكاة والنفقة في سبيل الله وهذا اختيار الطبري وقال ابن عباس وقتادة في الكلام تقديم وتاخير والمعنى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وهذا قول اكثر اهل العربية ذكره النحاس وقيل يعذبهم بالتعب

في الجمع وعلى هذا التاويل وقول الحسن لا تقديم فيه ولا تاخير وهو حسن وقيل المعنى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا لانهم منافقون فهم ينفقون كارهين فيعذبون بما ينفقون وتزهق انفسهم وهم كافرون نص في ان الله تعالى اراد ان يموتوا كافرين سبق بذلك القضاء ويحلفون بالله انهم لمنكم بين تعالى ان من اخلاق المنافقين الحلف بانهم مؤمنون نظيره اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الاية والفرق الخوف اي يخافون ان يظهروا ما هم عليه فيقتلون قوله تعالى لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه كذا الوقف على ملجأ وفي الخط بالالف الاولى همزة والثانية عوضا من التنوين وكذا جزاء وملجأ الحصين عن قتادة وغيره ابن عباس الحرز وهما سواء يقال لجأت اليه لجأ بالتحريك وملجأ والتجأت اليه بمعنى والموضع ايضا لجأ وملجأ والتلجئة الاكراه والجأته الى الشيء اي اضطررته اليه والجأت امري الى الله اي اسندته وعمر بن لجأ التيمي الشاعر عن الجوهري قوله مغارات جمع مغارة من غار يغير قال الاخفش ويجوز ان يكون من اغار يغير كما قال الشاعر الحمد لله ممسانا ومصبحنا وقال ابن عباس رضي الله عنهما المغارات الغيران والسراديب وهي المواضع التي يستتر فيها ومنه غار الماء وغارت العين او مدخلا مفتعلا من الدخول اي مسلكا يختفون بالدخول فيه واعاده لاختلاف اللفظ وقال النحاس الاصل فيه مدتخل قلبت التاء دالا لان الدال مجهورة والتاء مهموسة وهما من مخرج واحد وقيل الاصل فيه متدخل على متفعل كما في قراءة ابي ومتدخلا ومعناه دخول بعد دخول اي قوما يدخلون معهم قال المهدوي مدخلا من تدخل مثل تفعل اذا تكلف الدخول وعن ابي ايضا مندخلا من دخل وهو شاذ لان ثلاثيه غير متعد عند سيبويه واصحابه وقرا الحسن وابن ابي اسحاق وابن محيصن مدخلا بفتح الميم واسكان الدال قال الزجاج ويقرا ومدخلا بضم الميم واسكان الدال الاولى من دخل يدخل والثاني من ادخل يدخل كذا المصدر والمكان والزمان كما انشد سيبويه معاد بن همام على حي خثعما وروي عن قتادة وعيسى الاعمش او مدخلا بتشديد الدال والخاء والجمهور الدال وحدها اي مكانا يدخلون فيه انفسهم فهذه ست قراءات لولوا اليه وهم يجمحون اي يسرعون لا يرد وجوههم شيء ومن جمح الفرس اذا لم يرده اللجام قال الشاعر يصف فرسا سبوحا جموحا واحضارها كمعمعة السعف الموقد والمعنى لو فعلوا شيئا من هذه الاشياء المذكورة لولوا اليه مسرعين هربا من المسلمين قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات اي يطعن عليك عن قتادة وقال الحسن يعيبك وقال مجاهد اي يروزك ويسالك قال النحاس والقول عند اهل اللغة قول قتادة والحسن يقال لمزه يلمزه اذا عابه واللمز في اللغة العيب في السر قال الجوهري العيب واصله الاشارة بالعين ونحوها وقد لمزه يلمزه ويلمزه وقرئ بهما ومنهم من يلمزك في الصدقات ورجل لماز ولمزة اي عياب ويقال ايضا لمزه يلمزه اذا ضربه ودفعه والهمز مثل اللمز والهماز العياب والهمزة مثله يقال رجل همزة وامراة همزة ايضا وهمزه اي دفعه وضربه ثم قيل اللمز في الوجه والهمز بظهر الغيب ووصف الله قوما من المنافقين بانهم عابوا النبي صلى الله عليه وسلم في تفريق الصدقات وزعموا انهم فقراء ليعطيهم قال ابو سعيد الخدري بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم مالا اذ جاءه حرقوص بن زهير وهو اصل الخوارج ويقال له ذو الخويصرة التميمي فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل ان لم اعدل فنزلت الاية حديث صحيح اخرجه مسلم بمعناه وعندها قال عمر بن

الخطاب رضي الله عنه دعني يا رسول الله اقتل هذا المنافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل
اصحابي ان هذا واصحابه يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم وقوله ولو انهم رضوا ما اتاهم الله
جواب لو محذوف لكان خيرا لهم وباقي الاية بين قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين
الى قوله عليم حكيم فيه ثلاث وثلاثون مسئلة الاولى قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين
خص الله سبحانه وتعالى بعض الناس بالاموال دون بعض نعمة منه سبحانه عليهم وجعل
شكر ذلك عليهم اخراج سهم يؤدونه الى من لا مال له نيابة عنه سبحانه فيما ضمنه بقوله
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها الثانية قوله تعالى للفقراء تبيين لمصارف
الصدقات والمحل حتى لا يخرج عنهم ثم الاختيار الى من يقسم هذا قول مالك وابي حنيفة
واصحابهما كما يقال السرج للدابة والباب للدار وقال الشافعي اللام لام التمليك كقولك
المال لزيد وعمرو وبكر فلا بد من التسوية بين المذكورين قال الشافعي واصحابه وهذا كما اوصى
لاصناف معينين او لقوم معينين فاجتمعوا بلفظة انما وانها تقتضي الحصر في وقوف الصدقات
على الاصناف الثمانية وعضدوا هذا بحديث زياد بن الحارث الصدائي قال اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يبعث الى قوم جيشا فقلت يا رسول الله احبس جيشك فانا لك باسلامهم وطاعتهم
فكتبت اليهم فجاء الجواب باسلامهم وطاعتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخا صداء المطاع
في قومه قلت بلى من الله عليهم وهداهم ثم جاءه رجل يسأله عن الصدقات فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض في الصدقات بحكم نبي ولا غيره حتى جزاها ثمانية اجزاء فان
كنت من اهل تلك الاجزاء اعطيتك رواه ابو داود والدارقطني واللفظ للدارقطني وحكي
عن زين العابدين انه قال ان الله تعالى علم قدر ما يرتفع من الزكاة وانه مما يقع به الكفاية
لهذه الاصناف وجعله لجميعهم فمن منعه ذلك فهو الظالم لهم رزقهم وتمسك علماؤنا
بقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والصدقة
متى اطلقت في القرآن فهي صدقة الفرض وقال صلى الله عليه وسلم امرت ان آخذ الصدقة من
اغنيائكم واردها في فقرائكم وهذا نص في ذكر احد الاصناف الثمانية قرآنا وسنة وهو
قول عمر بن الخطاب وعلي وابن عباس وحذيفة وقال به من التابعين جماعة قالوا جائز
ان يدفعها الى الاصناف الثمانية والى اي صنف منها دفعت جاز روى المنهال بن عمرو عن زر
بن حبيش عن حذيفة في قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين قال انما ذكر الله تعالى
هذه الاصناف ليعرف اي صنف اعطيت منها اجزاك وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس
انما الصدقات للفقراء والمساكين قال في ايها وضعت اجزاك وهو قول الحسن وابراهيم قال
الكيا الطبري حتى ادعى مالك الاجماع على ذلك قلت يريد اجماع الصحابة قال ابن العربي
والذي جعلناه فيصلا بيننا وبينهم ان الامة اتفقت على انه لو اعطي كل صنف حظه لم يجب
تعميمه وكذلك تعميم الاصناف مثله والله اعلم الثالثة واختلف علماء اللغة والفقه في
الفرق بين الفقير والمسكين على تسعة اقوال فذهب يعقوب بن السكيت والعتبي ويونس
ابن حبيب الى ان الفقير احسن حالا من المسكين الذي لا شيء له بقول الراعي ؞ اما الفقير الذي
كانت حلوبته ؞ وفق العيال فلم يترك له سبد ؞ وذهب قوم من اهل الفقه والحديث منهم ابو
حنيفة والقاضي عبد الوهاب والوفق من الموافقة بين الشيئين كالالتحام يقال حلوبته وفق
عياله اي لها لبن قدر كفايتهم لا فضل فيه عن الجوهري وقال آخرون بالعكس فجعلوا المسكين

احسن حالا من الفقير واحتجوا بقوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين فاخبر ان لهم سفينة من سفن البحر
وربما ساوت جملة من المال وعضدوه بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تعوذ من الفقر وروي عنه
انه قال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا فلو كان المسكين اسوء حالا من الفقير لتناقض الخبران اذ يستحيل ان
يتعوذ من الفقر ثم يسأل ما هو اسوء حالا منه وقد استجاب الله دعاءه وقبضه وله مال مما افاء
الله عليه ولكن لم يكن معه تمام الكفاية ولذلك رهن درعه قالوا واما بيت الراعي فلا حجة
فيه لانه انما ذكر ان الفقير كانت له حلوبة في حال والفقير معناه في كلام العرب المفقور الذي
نزعت فقرة من ظهره من شدة الفقر فلا حال اشد من هذه وقد اخبر الله عنهم بقوله لا يستطيعون
ضربا في الارض واستشهدوا بقول الشاعر ؞ لما رأى لبد النسور تطايرت ؞ رفع القوادم كالفقير
الاعزل ؞ اي لم يطق الطيران فصار بمنزلة من انقطع صلبه ولصق بالارض ذهب الى هذا الاصمعي
وغيره وحكاه الطحاوي عن الكوفيين وهو احد قولي الشافعي واكثر اصحابه وللشافعي قول آخر ان
الفقير والمسكين سواء لا فرق بينهما في المعنى وان افترقا في الاسم وهو القول الثالث والى هذا ذهب
ابن القاسم وساير اصحاب مالك وبه قال ابو يوسف قلت ظاهر اللفظ يدل على ان المسكين
غير الفقير وانهما صنفان الا ان احد الصنفين اشد حاجة من الآخر فمن هذا الوجه يقرب قول
من جعلهما صنفا واحدا والله اعلم ولا حجة في قول من احتج بقوله تعالى اما السفينة فكانت
لمساكين يحتمل ان تكون مستاجرة لهم كما يقال هذه دار فلان اذا كان ساكنها وان كانت لغيره
وقد قال تعالى في وصف اهل النار ولهم مقامع من حديد فاضافها اليهم وقال ولا تؤتوا
السفهاء اموالكم وقال عليه الصلاة والسلام من باع عبدا وله مال وهو كثير جدا يضاف الشيء
اليه وليس له ومنه قولهم باب الدار وجل الدابة وسرج الفرس وشبهه ويجوز ان يسموا
مساكين على جهة الرحمة والاستعطاف كما يقال لمن امتحن بنكبة او دفع الى محنة مسكين
وفي الحديث مساكين اهل النار وقال الشاعر ؞ مساكين اهل الحب حتى قبورهم ؞ عليها تراب
الذل بين المقابر ؞ واما ما تأولوه في قوله عليه الصلاة والسلام اللهم احيني مسكينا الحديث
فليس كذلك وانما المعنى ها هنا التواضع لله الذي لا جبروت فيه ولا نخوة ولا كبر ولا بطر ولا
تكبر ولا اشر ولقد احسن ابو العتاهية حيث قال ؞ اذا اردت شريف القوم كلهم ؞ فانظر الى
ملك في زي مسكين ؞ ذاك الذي عظمت في الله رغبته ؞ وذاك يصلح للدنيا وللدين ؞ وليس
بالسائل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كره السؤال ونهى عنه وقال في امرأة سوداء
ابت ان تزول له عن الطريق دعوها فانها جبارة واما قوله تعالى للفقراء الذين احصروا
في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض فلا يمتنع ان يكون لهم شيء والله اعلم وما ذهب
اليه اصحاب مالك والشافعي انهما سواء حسن ويقرب منه ما قاله مالك في كتاب ابن سحنون
قال الفقير المحتاج المتعفف والمسكين السائل وروي عن ابن عباس وقاله الزهري واختاره
ابن شعبان فهو القول الرابع وقول خامس قال محمد بن مسلمة الفقير الذي له المسكن والخادم
الى من هو اسفل من ذلك والمسكين الذي لا مال له قلت وهذا القول عكس ما ثبت في صحيح
مسلم عن عبد الله بن عمرو وسأله رجل فقال السنا من فقراء المهاجرين فقال عبد الله الك
امرأة تأوي اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه قال نعم قال فانت من الاغنياء قال فان لي
خادما قال فانت من الملوك وقول سادس روي عن ابن عباس قال الفقراء من المهاجرين
والمساكين من الاعراب الذين لم يهاجروا وقاله الضحاك وقول سابع وهو ان المسكين الذي

يخشع ويسكن وان لم يسال والفقير الذي يتجمل ويقبل الشي سرا ولا يخشع قاله عبد الله بن الحسن
وقول ثامن قاله مجاهد وعكرمة والزهري المساكين الطوافون والفقرا فقرا المسكن وقول تاسع
قاله عكرمة ايضا ان الفقرا فقراء المسلمين والمساكين فقراء اهل الكتاب وسياتي الرابعة
وهي فايدة الخلاف في الفقرا والمساكين هل هما صنف واحد او اكثر تظهر فيمن اوصى بثلث ماله لفلان
وللفقرا والمساكين فمن قال هما صنف واحد قال يكون لفلان نصف الثلث وللفقراء والمساكين نصف
الثلث الثاني ومن قال هما صنفان يقسم الثلث بينهم اثلاثا الخامسة وقد اختلف العلما في
حد الفقر الذي يجوز معه الاخذ بعد اجماع اكثر من ان يحفظ عنه من اهل العلم ان من له دارا
وخادما لا يستغني عنهما ان له ان ياخذ من الزكاة وللمعطي ان يعطيه وكان مالك يقول ان لم
يكن في ثمن الدار والخادم فضلة عما يحتاج اليه منهما جاز له الاخذ والا لم يجز ذكره ابن المنذر
وبقول مالك قال النخعي والثوري وقال ابو حنيفة من معه عشرون دينارا او مائتا درهم
فلا ياخذ من الزكاة فاعتبر النصاب لقوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اخذ الصدقة من
اغنيائكم واردها على فقرائكم وهذا واضح ورواه المغيرة عن مالك وقال الثوري واحمد
واسحق وغيرهم لا ياخذ من له خمسون درهما الا ان يكون غارما قاله احمد واسحق وحجة هذا
القول ما رواه الدارقطني عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة
لرجل له خمسون درهما في اسناده عبد الرحمن بن اسحق ضعيف وعبد الله بن حسين ضعيف ايضا
ورواه حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن ابيه عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم
نحوه وقال الخمسون درهما وحكيم بن جبير ضعيف تركه شعبة وغيره قاله الدارقطني وقال ابو عمر
هذا الحديث يدور على حكيم بن جبير وهو متروك وعن عبد الله وعلي قال لا تحل الصدقة لمن له
خمسون درهما او قيمتها من الذهب ذكره الدارقطني وقال الحسن البصري لا ياخذ من له اربعون
درهما ورواه الواقدي عن مالك وحجته هذا القول ما رواه الدارقطني عن عبد الله بن مسعود
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سال وهو غني جاء يوم القيمة وفي وجهه
كدوح وخموش فقيل يا رسول الله وما غناؤه قال اربعون درهما وفي حديث مالك عن زيد
بن سليم عن عطا بن يسار عن رجل من بني اسد فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سال منكم وله اوقية
او عدلها فقد سال الحافا والاوقية اربعون درهما والمشهور عن مالك ما رواه ابن القاسم انه
سال ايعطى من الزكاة من له اربعون درهما قال ابو عمر يحتمل ان يكون الاول قويا على الاكتساب
حسن التصرف والثاني ضعيف عن الاكتساب او من له عيال والله اعلم وقال الشافعي وابو ثور
من كان قويا على الكسب والتحرف مع قوة البدن وحسن التصرف حتى يغنيه ذلك عن الناس
فالصدقة عليه حرام واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي
مرة سوى رواه عبد الله بن عمر واخرجه ابو داود والترمذي والدارقطني وروى جابر قال
جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة فركبه الناس فقال انها لا تصلح لغني ولا لصحيح ولا
لعامل اخرجه الدارقطني وروى ابو داود عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال اخبرني رجلان
انهما اتيا النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسالاه منها فرفع فينا النظر
وخفضه فرانا جلدين فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي يكتسب ولانه قد
صار غنيا بكسبه كغنى غيره بماله فصار كل واحد منهما غنيا عن المسئلة وقاله ابن خويز منداد
وحكاه عن المذهب وهذا لا ينبغي ان يعول عليه فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطيها الفقرا

ووقتها

ووقتها على الزمني باطل وقال ابو عيسى الترمذي في جامعه اذا كان الرجل قويا محتاجا ولم يكن عنده شي
تصدق عليه اجزاء عن المتصدق عند اهل العلم ووجه الحديث عند بعض اهل العلم واهل الحديث
على المسئلة وقال الكيا الطبري والظاهر يقتضي جواز ذلك لانه فقير مع قوته وصحة بدنه وبه
قال ابو حنيفة واصحابه وقال عبد الله ابن الحسن من لا يكون له ما يكفيه ويقوته سنة فانه
يعطى الزكاة وحجته ما رواه ابن شهاب عن مالك بن اوس بن الحدثان عن عمر ابن الخطاب رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخر مما افاء الله عليه قوت سنة ثم يجعل ما
سوى ذلك في الكراع والسلاح مع قوله عز وجل ووجدك عائلا فاغنى وقال بعض اهل العلم لكل
احد ان ياخذ من الصدقة فيما لا بد له منه وقال قوم من عنده عشا ليلته فهو غني ويروى عن
علي رضي الله عنه واحتجوا بحديث علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سال مسئلة عن
ظهر غني استكثر بها من رصف جهنم قالوا يا رسول الله وما ظهر الغنى قال عشاء ليلته اخرجه
الدارقطني وقال في اسناده عمرو بن خالد وهو متروك واخرجه عن سهل بن الحنظلية عن
النبي صلى الله عليه وسلم وفيه من سال وعنده ما يغنيه فانما يستكثر من النار وقال العسلي في
موضع اخر من جمر جهنم قال الثعلبي في موضع اخر وما الغنى الذي لا ينبغي معه المسئلة قال قدر
ما يغديه ويعشيه وقال في موضع اخر ان يكون له شبع يوم وليلة قلت فهذا ما جاء في
بيان الفقر الذي لا يجوز معه الاخذ ومطلق لفظ الفقير ان لا يقتضي الاختصاص بالمسلمين
دون اهل الكتاب ولكن تظاهرت الاخبار في ان الصدقات توخذ من اغنياء المسلمين فترد
على فقرائهم وقال عكرمة الفقرا فقراء المسلمين والمساكين فقرا اهل الكتاب وقال ابو بكر العبسي
راى عمر بن الخطاب ذميا مكفوفا مطروحا على باب المدينة فقال له عمر ما لك فقال استكروني
في هذه الجزية حتى اذا كف بصري تركوني وليس لي احد يعود علي بشي فقال له عمر ما
انصفت اذا فامر له بقوته وما يصلحه ثم قال هذا من الذين قال الله عز وجل فيهم انما الصدقات
للفقراء وهم زمنا اهل الذمة ولما قال تعالى انما الصدقات للفقراء الاية وقابل الجملة بالجملة
وهي جملة الصدقة بجملة المصرف بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال لمعاذ حين
بعثه الى اليمن اخبرهم ان الله فرض عليهم صدقة توخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم
فاختص هذا بكل بلد بزكاة بلده وروى ابو داود ان زيادا او بعض الامرا بعث عمران بن
حصين على الصدقة فلما رجع قال لعمران اين المال قال اوللمال ارسلتني اخذناها من حيث كنا
ناخذها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعناها حيث كنا نضعها على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطني والترمذي عن عون بن ابي جحيفة قال قدم علينا مصدق
النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ الصدقة من اغنيائنا فجعلها في فقرائنا فكنت غلاما يتيما فاعطاني
منها قلوصا قال الترمذي وفي الباب عن ابن عباس حديث ابن ابي جحيفة حديث حسن والله
اعلم السادسة وقد اختلف العلماء في نقل الزكاة عن موضعها على ثلاثة اقوال قيل لا تنقل
قاله سحنون وابن القاسم وهو الصحيح لما ذكرنا وقال ابن القاسم ايضا وان نقل بعضها لضرورة
رايته صوابا وروي عن سحنون انه قال فلو بلغ الامام ان ببعض البلاد حاجة شديدة جاز له
نقل بعض الصدقة لغيره فان الحاجة اذا نزلت وجب تقديمها على من ليس بمحتاج والمسلم اخو
المسلم لا يظلمه ولا يسلمه القول الثاني تنقل وقاله مالك ايضا قال وحجة هذا القول ما روي
ان معاذا قال لاهل اليمن ايتوني بخميس او لبيس اخذه منكم مكان الذرة والشعير في الصدقة فانه

ابن عليهم وانفع للمهاجرين بالمدينة اخرجه الدارقطني وغيره والخس لفظ مشترك وهو هنا الثوب
طوله خمسة اذرع ويقال سمي بذلك لانه اول ما عمل الخميس ملك من ملوك اليمن ذكره ابن فارس في
المجمل والجوهري ايضا وفي هذا الحديث دليلان احدهما ما ذكرناه من نقل الزكاة من اليمن الى
المدينة فتولى النبي صلى الله عليه وسلم قسمها ويعضد هذا قوله تعالى انما الصدقات ولم يفصل
بين فقير بلد وبلد اخر والله اعلم والثاني اخذ القيمة في الزكاة وقد اختلف الرواة عن مالك
في اخراج القيم في الزكاة فاجاز ذلك مرة ومنع اخرى فوجه الجواز وهو قول ابي حنيفة هذا
الحديث وثبت في صحيح البخاري من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من بلغت عنده
صدقة الجذعة وليس عنده او عنده حقة فانها تؤخذ منه وما استيسر من شاتين او
عشرين درهما الحديث وقال صلى الله عليه وسلم اغنوهم عن سؤال هذا اليوم يعني يوم الفطر وانما
اراد ان يغنوا بما يسد حاجتهم فاي شيء سد الحاجة جاز وقد قال عز وجل خذ من اموالهم صدقة
ولم يخص شيئا من شيء ولا يدفع عند ابي حنيفة رحمه الله سكنى دار بدل الزكاة مثل ان يجب
عليه خمسة دراهم فيسكن فيها فقيرا شهرا فانه لا يجوز لان السكنى ليس بمال ووجه قوله ولا
تجزي القيم في الزكاة وهو ظاهر المذهب فلان النبي صلى الله عليه وسلم قال في خمس من الابل
شاة وفي اربعين شاة شاة فنص على الشاة فاذا لم يات بها لم يات بالمامور به فالامر باق عليه
القول الثالث ان سهم الفقراء والمساكين يقسم في الموضع وساير السهام تنقل باجتهاد الامام والقول
الاول اصح والله اعلم السابعة وهل المعتبر مكان المال وقت تمام الحول فتفرق فيه الصدقة
او مكان المالك اذ هو المخاطب قولان واختار الثاني ابو عبد الله محمد بن خواز منداذ في احكامه
قال لان الانسان هو المخاطب باخراجها فصار المال تبعا فيجب ان يكون الحكم فيه بحيث المخاطب
كابن السبيل فانه يكون غنيا ببلده فقيرا في موضع اخر فيكون الحكم له حيث هو مسئلة
اختلف الرواة عن مالك فيمن اعطى فقيرا مسلما فانكشف في ثاني حال انه اعطى عبدا او كافرا
او غنيا فقال مرة يجزيه ومرة لا يجزيه وجه الجواز وهو الاصح ما رواه مسلم عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رجل لاتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها على يد
زانية واصبحوا يتحدثون تصدق على زانية قال اللهم لك الحمد على زانية لاتصدقن بصدقة
فوضعها في يد سارق فاصبحوا يتحدثون تصدق على سارق فقال اللهم لك الحمد على سارق لاتصدقن
بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد غني فاصبحوا يتحدثون تصدق على غني فقال اللهم لك
الحمد على سارق وعلى غني وعلى زانية فاتي به فقيل له اما صدقتك فقد قبلت اما الزانية
فلعلها تستعف عن زناها ولعل الغني يعتبر فينفق مما اتاه الله ولعل السارق يستعف
بها عن سرقته وروي ان رجلا اخرج زكاة ماله فاعطاها اباه فلما اصبح علم فاتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال له لقد كتب الله لك اجر زكاتك واجر صلة الرحم فلك اجران
ومن جهة المعنى انه يسوغ له الاجتهاد في المعطى فاذا اجتهد واعطى من يظنه من اهلها
فقد اتى بالواجب عليه ووجه قوله لا يجزيه انه لم يضعها في مستحقها فاشبه العمد
ولان العمد والخطا في ضمان الاموال واحد فوجب ان يضمن ما اتلف على المساكين حتى
يوصله اليهم الثامنة فان اخرج الزكاة عند محلها فهلكت من غير تفريط لا يضمن
لانه وكيل الفقراء فان اخرجها بعد ذلك بمدة فهلكت ضمن لتاخيرها عن محلها فتعلقت
بذمته فلذلك ضمن والله اعلم التاسعة واذا كان الامام يعدل في الاخذ والتصرف

لم يسع المالك ان يتولى الصرف بنفسه في الناض ولا في غيره وقد قيل ان زكاة الناض على
اربابه وقال ابن الماجشون ذلك اذا كان الصرف للفقراء والمساكين خاصة فان احتيج الى
صرفها لغيرهما من الاصناف فلا يفرق عليهم الا الامام وفروع هذا الباب كثيرة هذه امهاتها والله
اعلم العاشرة قوله تعالى والعاملين عليها يعني السعاة والجباة الذين يبعثهم الامام
لتحصيل الزكاة بالتوكيل على ذلك روى البخاري عن ابي حميد الساعدي قال استعمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا من الاسد على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية على جباية الصدقة
واختلف العلماء في المقدار الذي ياخذونه على ثلاثة اقوال قال مجاهد والشافعي هو الثمن ابن
عمر ومالك يعطون على قدر عملهم من الاجرة وهو قول ابي حنيفة واصحابه لانه عطل نفسه
لمصلحة الفقراء فكانت كفايته وكفاية اعوانه في مالهم كالمراة لما عطلت نفسها لحق الزوج
كانت نفقتها ونفقة اتباعها من خادم او خادمين على زوجها ولا يقدر بالثمن بل يعتبر
الكفاية ثمنا كان او اكثر كرزق القاضي ولا يعتبر كفاية الاعوان في زماننا ولانه اسراف
محض القول الثالث يعطون من بيت المال قال ابن العربي وهذا قول صحيح عن مالك بن
انس من رواية ابن ابي اويس وداود بن سعيد بن زنبوعة وهو ضعيف فان الله تبارك
وتعالى قد اخبر بسهمهم فيها نصا فكيف يخلون عنه استطرادا وسبرا والصحيح الاجتهاد في قدر الاجرة
لان البيان في تعديد الاصناف انما كان للمحل لا للمستحق على ما تقدم واختلفوا في العامل
اذا كان هاشميا فمنعه ابو حنيفة لقوله عليه الصلاة والسلام ان الصدقة لا تحل لال محمد
انما هي اوساخ الناس وهذه صدقة من وجه لانها جزء من الصدقة فتلحق بالصدقة من كل
وجه كرامة وتنزيها لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غسالة الناس واجاز عمله مالك
والشافعي ويعطى اجر عمالته لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث علي بن ابي طالب مصدقا وبعثه
عاملا الى اليمن على الزكوة وولى جماعة من بني هاشم وولى الخلفاء بعده كذلك ولانه اجير على
عمل مباح فوجب ان يستوي فيه الادمي وغيره اعتبارا بساير الطاعات قالت الحنفية حديث
علي امر فيه انه فرض له من الصدقة فانه فرض له من غيرها فهو جايز ويروى عن مالك
الحادية عشر ودل قوله تعالى والعاملين عليها على ان ما كان من فروض الكفاية كالساعي
والكاتب والقاسم والحاشر وغيرهم فالقايم به يجوز له اخذ الاجرة عليه ومن ذلك الامامة
فان الصلاة وان كانت تتوجه على جميع الخلق فان تقدم بعضهم بهم من فروض الكفاية
فلا جرم يجوز اخذ الاجرة عليها وهذا اصل الباب واليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة قاله ابن العربي الثانية عشر قوله
والمؤلفة قلوبهم في التنزيل في غير قسم الصدقات وهم كانوا في صدر الاسلام ممن يظهر الاسلام
يتالفون بدفع سهم من الصدقة اليهم لضعف يقينهم قال الزهري المؤلفة من اسلم من
يهودي او نصراني وان كان غنيا قال بعض المتاخرين اختلف في صفتهم فقيل هو صنف
من الكفار يعطون ليتالفوا على الاسلام وكانوا لا يسلمون بالقهر والسيف ولكن يسلمون
بالعطاء والاحسان وقيل هم قوم اسلموا في الظاهر ولم تستيقن قلوبهم فيعطون ليتمكن الاسلام
في صدورهم وقيل هم قوم من عظماء المشركين لهم اتباع يعطون ليتالفوا اتباعهم على الاسلام
قال وهذه الاقوال متقاربة والقصد بجميعها الاعطاء لمن لا يتمكن اسلامه حقيقة الا بالعطاء
فكانه ضرب من الجهاد والمشركون ثلاثة اصناف صنف يرجع باقامة البرهان وصنف

بالقهر وصنف بالاحسان والامام الناظر للمسلمين يستعمل مع كل صنف ما يراه سببا لنجاته وتخليصه
من الكفر وفي صحيح مسلم من حديث انس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعني الانصار فاني اعطي
رجالا حديثي عهد بكفر اتالفهم الحديث قال ابن اسحق اعطاهم يتالفهم ويتالف بهم قومهم وكانوا
اشرافا فاعطى ابا سفيان بن حرب مائة بعير واعطى ابنه مائة بعير واعطى حويطب بن عبد العزى
مائة بعير واعطى صفوان بن امية مائة بعير وكذلك اعطى مالك بن عوف والعلا بن جارية قال
فهؤلاء اصحاب المئين واعطى رجالا من قريش دون المائة منهم محمد بن مخرمة بن نوفل الزهري
وعمير بن وهب الجمحي وهشام بن عمرو العامري قال ابن اسحق فهؤلاء لا اعرف ما اعطاهم واعطى
سعد بن يربوع خمسين بعيرا واعطى عباس بن مرداس السلمي اباعر قليلة فسخطها فقال في ذلك
كانت نهابا تلافيتها ٭ بكري على المهر في الاجرع ٭ وايقاظ القوم ان يرقدوا ٭ اذا هجع الناس لم يهجع ٭
فاصبح نهبي ونهب العبيد ٭ بين عيينة والاقرع ٭ وقد كنت في الحرب ذا تدرء ٭ فلم اعط
شيئا ولم امنع ٭ الا ابايل اعطيتها ٭ عديد قوايمها الاربع ٭ وما كان حصن ولا حابس ٭ يفوقان
مرداس في المجمع ٭ وما كنت دون امرء منهما ٭ ومن تضع اليوم لا يرفع ٭ فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اذهبوا فاقطعوا عني لسانه فاعطوه حتى رضي فكان ذلك قطعا وقال ابو عمر قد ذكر في المؤلفة
قلوبهم النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة اخو النضر بن الحارث المقتول ببدر صبرا وذكر
اخرون انه فيمن هاجر الى الحبشة فان كان منهم فمحال ان يكون من المؤلفة قلوبهم ومن هاجر
الى الحبشة فهو من المهاجرين الاولين ممن رسخ الايمان بقلبه وقاتل دونه وليس ممن يولف
قلبه قال ابو عمر واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن عوف بن سعد بن يربوع
النضري على من اسلم من قومه من قبايل مضر وامره بمعاونة ثقيف ففعل وحسن اسلامه
واسلام المؤلفة قلوبهم حاشى عيينة بن حصين فلم يزل مغمورا عليه وساير المؤلفة متفاضلون
منهم الخير الفاضل المجمع على فضله كالحارث ابن هشام وحكيم بن حزام وعكرمة بن ابي جهل
وسهيل بن عمرو ومنهم دون هؤلاء وقد فضل الله النبيين وساير عباده المؤمنين بعضهم
على بعض وهو اعلم بهم قال مالك رحمه الله بلغني ان حكيم بن حزام اخرج ما كان اعطاه النبي
صلى الله عليه وسلم في المؤلفة قلوبهم وتصدق به بعد ذلك قلت حكيم بن حزام وحويطب
بن عبد العزى عاش كل واحد منهما مائة وعشرين سنة ستين في الاسلام وستين في الجاهلية
وسمعت الشيخ الامام عبد العظيم الحافظ يقول شخصان من الصحابة عاشا في الجاهلية ستين
سنة وفي الاسلام ستين سنة وماتا بالمدينة سنة اربع وخمسين احدهما حكيم بن
حزام وكان مولده في جوف الكعبة قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة والثاني حسان بن
ثابت بن المنذر بن حزام الانصاري وذكر هذا ايضا ابو عمرو عثمان الشهرزوري في كتاب معرفة
انواع الحديث ولم يذكر غيرهما وحويطب ذكره ابو الفرج الجوزي في كتاب الوفى في شرف المصطفى
وذكره ابو عمر في كتاب الصحابة انه ادرك الاسلام وهو ابن ستين سنة ومات وهو ابن
مائة وعشرين سنة وذكر ايضا حسن بن عوف اخو عبد الرحمن بن عوف انه عاش في الجاهلية
ستين سنة وفي الاسلام ستين سنة وقد عد في المؤلفة قلوبهم معاوية وابو سفيان
بن حرب اما معاوية فبعيد ان يكون منهم وكيف يكون منهم وقد ايتمنه النبي صلى الله عليه
وسلم على وحي الله وقرانه وخلطه بنفسه واما حاله في ايام ابي بكر فاشهر من هذا واظهر
واما ابوه فلا كلام فيه انه كان منهم وفي عددهم اختلاف وعلى الجملة فكلهم مؤمن ولم يكن منهم

واعطى حكيم بن حزام مائة بعير واعطى الحارث بن هشام مائة بعير واعطى سهيل بن عمرو مائة بعير صح

كافر على ما تقدم والله اعلم الثالثة عشر واختلف العلماء في بقائهم فقال عمر والحسن والشعبي وغيرهم
انقطع هذا الصنف بعد الاسلام وظهوره وهذا مشهور من مذهب مالك واصحاب الراي
وقال بعض علماء الحنفية لما اعز الله الاسلام واهله وقطع دابر الكافرين لعنهم الله اجمعت
الصحابة رضي الله عنهم في خلافة ابي بكر رضي الله عنه على سقوط سهمهم وقال جماعة من العلماء هم
باقون لان الامام ربما احتاج الى ان يستالف على الاسلام وانما قطعهم عمر لما راى من اعزاز الاسلام
والدين وسئل الزهري عنهم فقال لا اعلم نسخا في ذلك وقال ابو جعفر النحاس فعلى هذا الحكم
فيهم باق فان كان احد يحتاج الى تاليفه ويخاف ان يلحق منهم المسلمين افة او يرجى ان
يحسن اسلامه بعد الدفع اليه وقال القاضي عبد الوهاب ان احتيج اليهم في بعض الاوقات
اعطوا من الصدقات والذي عندي انه ان قوي الاسلام زالوا وان احتيج اليهم اعطوا سهمهم كما
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم فان في الصحيح بدا الاسلام غريبا وسيعود كما بدا والله اعلم
الرابعة عشر فاذا فرعنا على انه لا يرد عليهم سهمهم وانه يرجع الى ساير الاصناف وما يراه الامام
وقال الزهري يعطى نصف سهمهم لعمار المساجد وهذا مما يدلك على ان الاصناف الثمانية محل لا
مستحقون التسوية ولو كانوا مستحقين لسقط سهمهم لسقوطهم ولم يرجع لغيرهم كما لو اوصى
لقوم معينين فمات احدهم لم يرجع نصيبه الى من بقي منهم الخامسة عشر قوله تعالى وفي الرقاب
اي فك الرقاب قاله ابن عباس وابن عمر وهو مذهب مالك وغيره فيجوز للامام ان يشتري رقابا
من مال الصدقة يعتقها عن المسلمين ويكون ولاؤهم لجماعتهم وان اشتراهم صاحب الزكاة واعتقهم
جاز هذا تحصيل مذهب مالك ويروى عن ابن عباس والحسن وبه قال احمد واسحاق وابو عبيدة
وقال ابو ثور لا يبتاع منها صاحب الزكاة نسمة يعتقها بجر ولاء وهو قول الشافعي واصحاب
الراي ورواية عن مالك والصحيح الاول لان الله جل وعز قال وفي الرقاب واذا كان للرقاب
سهم من الصدقات كان له ان يشتري رقبة فيعتقها ولا خلاف بين اهل العلم ان للرجل
ان يشتري الفرس فيحمل عليه في سبيل الله فاذا كان له ان يشتري فرسا بالكمال من الزكاة جاز
له ان يشتري رقبة بالكمال لا فرق بين ذلك والله اعلم السادسة عشر قوله تعالى وفي
الرقاب الاصل في الولاء قال مالك هي الرقبة تعتق وولاؤها للمسلمين وكذلك ان اعتقها
الامام وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الولاء وعن هبته وقال عليه السلام الولاء لحمة
كلحمة النسب لا تباع ولا توهب وقال صلى الله عليه وسلم الولاء لمن اعتق ولا ترث النساء من
الولاء شيئا الا من اعتقن او اعتق من اعتقن وقد ورث النبي صلى الله عليه وسلم ابنة حمزة
من مولاها النصف فاذا ترك المعتق اولادا ذكورا واناثا قالوا الولاء للذكور من ولده دون
الاناث وهو اجماع الصحابة رضي الله عنهم والولاء انما يورث بالتعصيب المحض والنساء لا
تعصيب فيهن فلم يرثن من الولاء شيئا فافهم تصب السابعة عشر واختلف هل يعان منها
المكاتب فقيل لا يروى ذلك عن مالك لان الله تعالى لما ذكر الرقبة على انه اراد العتق
الكامل واما المكاتب فهو داخل في كلمة الغارمين بما عليه من دين الكتابة فلا يدخل
في الرقاب والله اعلم وقد روي عن مالك من رواية المدنيين وزياد عنه يعان منها المكاتب
في اخر كتابته بما يعتق وعلى هذا جمهور العلماء في تاويل قول الله تعالى وفي الرقاب وبه قال
ابن وهب والشافعي والليث والنخعي وحكي عن ابي موسى اللخمي الحنفي في احكامه على انهم اجمعوا
على ان المكاتب مراد واختلفوا في عتق الرقاب قال الطبري وذكر وجوها تنافي منع ذلك

١

فقال ان العتق ابطال ملك ليس بتمليك وما يدفع الى المكاتب تمليك ومن حق الصدقة ان لا تجزى
الا ان اجري فيها سبب التمليك وقوي ذلك بانه لو دفع الزكاة عن غارم في دينه بغير امره
لم يجزه من حيث لا يملك فلان لا يجزى ذلك في العتق اولى وذكر ان في العتق جر الولا الى النفس
وذلك لا يحصل في دفعه للمكاتب وذكر ان ثمن العبد اذا دفعه الى العبد لم يملك العبد وان
دفعه بعد الشرا والعتق فهو قاضي دين وذلك لا يجزى في الزكاة قلت قد ورد حديث
ينص على ما ذكرنا من جواز عتق الرقبة واعانة المكاتب اخرجه الدارقطني عن البرا قال جاء
رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار قال
لئن اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسئلة اعتق النسمة وفك الرقبة قال يا رسول الله
اوليستا واحدا قال لا عتق النسمة ان ينفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها وذكر الحديث
الثامنة عشر وقد اختلفوا في فك الاسارى قال اصبغ لا يجوز وهو قول ابن القاسم وقال
ابن حبيب يجوز لانها رقبة ملكت بملك الرق فهي تخرج من رق الى عتق ولان ذلك احق
واولى من فكاك الرقاب الذي بايدينا لانه اذا كان فك المسلم عن رق المسلم عبادة وجايز
من الصدقة فاولى ان يكون ذلك في فك المسلم عن رق الكافر وذله التاسعة عشر قوله تعالى
والغارمين هم الذين ركبهم الدين ولا وفاء عندهم به لا خلاف فيه الا من ادان في سفه
فانه لا يعطى منها ولا من غيرها الا ان يتوب ويعطى منها من له مال وعليه دين محيط به
ما يقضي به دينه فان لم يكن له مال وعليه دين فهو فقير وغارم فيعطى بالوصفين معا
روى مسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال اصيب رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ثمار ابتاعها فكثر دينه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا عليه فتصدق
عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لغرمائه خذوا ما وجدتم
وليس لكم الا ذلك الموفية عشرون ويجوز للمتحمل في صلاح وبر ان يعطى من الصدقة ما يودي
ما تحمل به اذا وجب عليه وان كان غنيا اذا كان ذلك يجحف بماله كالغريم وهو قول
الشافعي واصحابه واحمد بن حنبل وغيرهم واحتج من ذهب الى هذا بحديث قبيصة ابن ابي
مخارق قال تحملت حمالة فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم اساله فيها فقال اقم حتى تاتينا
الصدقة فنامر لك بها ثم قال يا قبيصة ان المسئلة لا تكون الا لاحد ثلاث رجل تحمل
حمالة فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش او قال سدادا من عيش ورجل اصابته
فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجى من قومه له فما سواهن يا قبيصة من المسئلة سحت
ياكلها صاحبها سحتا فقوله ثم يمسك دليل على انه غني لان الفقير ليس عليه ان يمسك والله
اعلم وروي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ان المسئلة لا تحل الا لاحد ثلاث ذي
فقر مدقع او لذي غرم مفظع او لذي دم موجع ويروى عنه عليه الصلاة والسلام لا تحل
الصدقة الا لخمسة الحديث وسياتي ان شاء الله تعالى الحادية والعشرون واختلفوا
هل يقضى منها دين الميت ام لا فقال ابو حنيفة لا يؤدى من الصدقة دين ميت وهو قول
ابن المواز وقال ابو حنيفة ايضا ولا يعطى منها من عليه كفارة ونحو ذلك من حقوق الله
عز وجل وانما الغارم من عليه ديون يسجن فيها وقال علماؤنا وغيرهم يقضى منها دين الميت
لانه من الغارمين وقال صلى الله عليه وسلم انا اولى بكل مسلم من ترك مالا فلاهله
ومن ترك دينا او ضياعا فالي وعلي الثانية والعشرون قوله تعالى وفي سبيل الله

وهم

هم الغزاة وموضع الرباط يعطون ما ينفقون في غزوهم كانوا اغنياء او فقراء وهو قول اكثر العلما وهو تحصيل
مذهب مالك رحمه الله وقال ابن عمر الحجاج والعمار عن احمد بن حنبل واسحق انهما قالا سبيل الله الحج
وفي البخاري ويذكر عن ابي لاس قال حملنا النبي صلى الله عليه وسلم على ابل الصدقة الى الحج ويذكر عن ابن
عباس يعتق من ماله ويعطي في الحج خرج ابو محمد عبد الغني الحافظ حدثنا محمد بن محمد الحاس ثنا ابو
غسان مالك بن يحيى ثنا يزيد بن هارون ثنا مهدي بن ميمون عن محمد بن يعقوب عن عبد الرحمن
بن ابي نعيم ويكنى ابا الحكم قال كنت جالسا مع عبد الله بن عمر فاتته امرأة فقالت له يا ابا عبد الرحمن
ان زوجي اوصى بماله في سبيل الله قال ابن عمر فهو كما قال في سبيل الله فقلت له ما زدتها فيما سالت
عنه الا غما قال فما تامرني يا ابن ابي نعيم امرها ان تدفعه الى هؤلاء الجيوش الذين يخرجون فيفسدون
في الارض ويقطعون السبيل قال قلت فما تامرها قال تامرها الى قوم صالحين الى حجاج بيت الله الحرام اولئك
وفد الرحمن ليسوا كوفد الشيطان ثلاثا وقولها فقلت يا ابا عبد الرحمن ما وفد الشيطان قال قوم يدخلون
على هؤلاء الامراء فيسمعون اليهم الحديث ويسعون في المسلمين بالكذب فيجازون الجوائز ويعطون
عليه العطايا وقال محمد بن عبد الحكم ويعطى من الصدقة من الكراع والسلاح وما يحتاج اليه من
الات الحرب وكف العدو عن الحوزة لانه كله من سبيل الغزو ومنفعته وقد اعطى النبي صلى الله عليه وسلم
مائة ناقة في نازلة سهل بن ابي حثمة اطفاء للنائرة قلت اخرج هذا الحديث ابو داود عن
بشير بن يسار ان رجلا من الانصار يقال له سهل بن ابي حثمة اخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وداه مائة من ابل الصدقة يعني دية الانصاري الذي قتل بخيبر وقال عيسى بن دينار تحل الصدقة
لغاز في سبيل الله قد احتاج في غزوته وغاب عنه غناؤه ووفره قال ولا تحل لمن كان معه مال
من الغزاة انما تحل لمن كان ماله غايبا عنه منهم وهذا مذهب الشافعي واحمد وجمهور اهل العلم
وقال ابو حنيفة وصاحباه لا يعطى الغازي الا اذا كان فقيرا منقطعا به وهذه زيادة على
النص نسخ والنسخ لا يكون الا بقرآن او خبر متواتر وذلك معدوم هنا بل في صحيح السنة خلاف
ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لعامل
عليها او لغارم او لرجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين
للغني رواه مالك مرسلا عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
فكان هذا الحديث مفسرا للمعنى للاية وانه يجوز لبعض الاغنياء اخذها ومفسرا لقوله صلى الله عليه
وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي لان قوله هذا مجمل ليس على عمومه بدليل الاغنياء المذكورين
وكان ابن القاسم يقول لا يجوز لغني ان ياخذ من الصدقة ما يستعين به على الجهاد وينفقه في
سبيل الله وانما يجوز ذلك لفقير قال وكذلك الغارم لا يجوز له ان ياخذ من الصدقة ما يقي
به ماله ويؤدي منه دينه وهو عنها غني قال واذا احتاج الغازي في غزوه وهو غني له مال
غايب لم ياخذ من الصدقة شيئا ويستقرض فاذا بلغ بلده ادى ذلك من ماله هذا ذكره ابن
حبيب عن ابن القاسم وزعم ان نافعا وغيره خالفوه في ذلك وروى ابو زيد وغيره عن ابن القاسم
انه قال يعطى من الزكاة الغازي وان كان معه في غزاته ما يكفيه من ماله وهو غني ببلده
وهذا هو الصحيح لظاهر الحديث لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة وروى ابن وهب عن مالك
انه يعطى منها الغزاة ومواضع الرباط فقراء كانوا او اغنياء انتهى الثالثة والعشرون قوله
تعالى وابن السبيل الطريق ونسب المسافر اليها بالملازمة لها ومروره عليها كما قال الشاعر
ان تسالوني عن الهوى فانا الهوى وابن الهوى واخو الهوى وابوه والمراد الذي انقطعت به

الاسباب في سفره عن بلده ومستقره وماله فانه يعطى منها وان كان غنيا ولا يلزمه ان يشغل
ذمته بالسلف وقال مالك في كتاب ابن سحنون اذا وجد من يسلفه فلا يعطى والاول اصح فانه
لا يلزمه ان يشغل ذمته بالسلف ولا يدخل تحت منة احد وقد وجد منة الله تعالى فان كان له
ما يغنيه ففي جواز الاخذ لكونه ابن سبيل روايتان والمشهور انه لا يعطى فان اخذ فلا يلزمه رده
اذا صار في بلده ولا يلزمه اخراجه انتهى الرابعة والعشرون فان جاء وادعى وصفا من الاوصاف
هل يقبل قوله ام لا ويقال له اثبت ما تقول واما الدين فلا بد ان يثبته واما سائر الصفات فظاهر
الحال يشهد له ويكتفى به فيها والدليل على ذلك حديثان صحيحان احدهما اهل الصحيح وهو ظاهر القرآن
روى مسلم عن جرير قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم في صدر النهار قال فجاء قوم حفاة عراة مجتابي
النمار او العبا متقلدي السيوف فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل
ثم خرج فامر بلالا فاذن واقام فصلى ثم خطب فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم الى قوله
رقيبا والاية التي في الحشر الى قوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد تصدق رجل من ديناره من درهمه
من ثوبه من صاع بره حتى قال ولو بشق تمرة قال فجاء رجل من الانصار بصرة كادت كفه تعجز
عنها بل قد عجزت قال ثم تتابع الناس حتى رايت كومين من طعام وثياب حتى رايت وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كانه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام
سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن
في الاسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من يعمل بها من بعده من غير ان ينقص من
اوزارهم شيء فاكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بظاهر حالهم وحث على الصدقة ولم يطلب منهم
بينة ولا استفصل هل عندكم مال ام لا ومثله حديث ابرص واقرع واعمى اخرجه مسلم وغيره
وهذا لفظه عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في بني اسرائيل ابرص
واقرع واعمى فاراد الله ان يبتليهم فبعث اليهم ملكا فاتى الابرص قال اي شيء احب اليك قال
لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب عنه قذره واعطى
لونا حسنا وجلدا حسنا قال فاي المال احب اليك قال الابل او قال البقر شك اسحق الا ان
الابرص او الاقرع قال احدهما الابل وقال الاخر قال فاعطى ناقة عشراء قال فبارك الله لك
فيها قال فاتى الاقرع فقال اي شيء احب اليك قال البقر فاعطى بقرة عشرا قال بارك الله لك
فيها قال فاتى الاعمى فقال اي شيء احب اليك فقال ان يعود الي بصري فابصر به الناس
قال فمسحه فرد الله اليه بصره قال فاي المال احب اليك قال الغنم فاعطى شاة فانتج هذا وولد
هذا قال فكان لهذا واد من الابل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم قال ثم انه اتى
الابرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين قد انقطعت في الجبال في سفري فلا بلاغ لي
اليوم الا بالله وبك اسالك بالذي اعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا اتبلغ
به في سفري فقال الحقوق كثيرة فقال له اعرفك الم تكن ابرص تقذرك الناس وفقيرا
فاعطاك الله فقال انما ورثت المال كابرا عن كابر قال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما
كنت قال واتى الاقرع في صورته وهيئته فقال مثل ما قال هذا ورد مثل ما رد هذا قال ان
كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت قال واتى الاعمى في صورته وهيئته رجل مسكين انقطعت
في الجبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك اسالك بالذي رد عليك بصرك شاة
ابتلغ بها في سفري فقال قد كنت اعمى فرد الله الي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله

لا اجهدك شيئا اخذته لله فقال امسك عليك مالك فانما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك
ففي هذا دليل على من ادعى زيادة على فقره من عيال او غيره لا يكشف عنه خلافا لمن قال
يكشف عنه ان قدر فان في الحديث فقال رجل مسكين وابن سبيل اسالك شاة ولم يكلفه اثبات
السفر فاما المكاتب فانه يكلف اثبات الكتابة لان الرق هو الاصل حتى يثبت الحرية الخامسة والعشرون
ولا يجوز ان يعطى من الزكاة من تلزمه نفقته وهم الوالدان والولد والزوجة فان اعطى الامام صدقة
الرجل لولده ووالده وزوجته جاز واما ان يتناول ذلك بنفسه فلا لانه يسقط بها عن نفسه
فرضا قال ابو حنيفة ولا يعطى منها ولد ابنه ولا ولد بنته ولا يعطى مكاتبه ولا مدبره ولا ام
ولده ولا عبدا اعتق نصفه لانه مامور بالايتاء والاخراج الى الله تعالى بواسطة كف الفقير
ومنافع الاملاك مشتركة بينه وبين هؤلاء ولهذا لا تقبل شهادة بعضهم لبعض قال والمكاتب
عبد ما بقي عليه درهم وربما يعجز فيصير الكسب له ومعتق البعض عند ابي حنيفة مثل المكاتب وعند
صاحبيه ابي يوسف ومحمد بمنزلة حر عليه دين فيجوز اداؤها اليه السادسة والعشرون
فان اعطاها لمن تلزمه نفقتهم فقد اختلف فيه فمنهم من جوزه ومنهم من كرهه قال مالك
خوف المحمدة وحكي مطرف انه قال رايت مالكا يعطي زكاته لاقاربه وقال الواقدي قال
مالك افضل من وضعت فيه زكاتك قرابتك الذين لا تعولهم وقد قال صلى الله عليه وسلم
لزوجة عبد الله بن مسعود لك اجران اجر القرابة واجر الصدقة واختلفوا في اعطاء المراة
زكاتها لزوجها فذكر عن ابن حبيب انه كان يستعين بالنفقة عليها بما تعطيه وقال ابو
حنيفة لا يجوز ويخالفه صاحباه فقالا يجوز وهو الاصح لما ثبت ان زينب امراة عبد الله
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني اريد ان اتصدق على زوجي الحزين فقال صلى
الله عليه وسلم نعم لك اجران اجر الصدقة واجر القرابة والصدقة المطلقة هي الزكاة ولانه
لا نفقة للزوج عليها فكان بمنزلة الاجنبي اعتل ابو حنيفة فقال منافع الاملاك مشتركة
بينهما حتى لا تقبل شهادة احدهما لصاحبه والحديث محمول على التطوع وذهب الشافعي وابو
ثور واشهب الى اجازة ذلك اذا لم يصرفه اليها فيما يلزمه وانما يصرف ما ياخذه منها في
نفقته وكسوته على نفسه وينفق عليها من ماله السابعة والعشرون واختلفوا ايضا في قدر
المعطى فاما الغارم فانه يعطى قدر دينه واما الفقير والمسكين فيعطيان كفايتهما وكفاية
عيالهما وفي جواز اعطاء النصاب واقل منه خلاف ينبني على الخلاف المتقدم في حد الفقر الذي
يجوز معه الاخذ وروي عن علي بن زياد وابن نافع ليس في ذلك حد وانما هو على اجتهاد
الوالي وقد تقل المساكين وتكثر الصدقة فيعطى الفقير قوت سنة وروي المغيرة يعطى دون
النصاب ولا يبلغه وقال بعض المتاخرين ان كان في البلد زكاتان نقد وحرث اخذ ما
يبلغه الى الاخرى وقال ابن العربي اراه ان يعطى نصابا وان كان في البلد زكاتان او اكثر
فان الغرض اغناء الفقير حتى يصير غنيا فان اخذ ذلك فان حضرت الزكاة الاخرى وعنده
ما يكفيه اخذها غيره قلت هذا مذهب اصحاب الراي في اعطاء النصاب وقد كره ذلك
ابو حنيفة رحمه الله مع الجواز واجازه ابو يوسف قال لان بعضه مشغول للحال فكان الفاضل
عن حاجته دون المائتين واذا اعطاه اكثر من مائتي درهم جملة كان الفاضل عن حاجته
للحال قدر المائتين فلا يجوز ومن متاخري الحنفية من قال هذا اذا لم يكن عياله ولم يكن
عليه دين فان كان عليه دين فلا باس ان يعطيه مائتي درهم او اكثر مقدار ما لو قضى به دينه

بقي له دون المابين لان التصدق عليه في المعنى تصدق عليه وعلى عياله وهذا قول حسن
الثامنة والعشرون اعلم ان قوله عز وجل مطلق ليس فيه شرط وتقييد بل فيه دلالة على جواز
الصرف الى جملة الفقراء كانوا من بني هاشم او غيرهم الا ان السنة وردت باعتبار شروط منها
ان لا يكونوا من بني هاشم ولا يكونوا ممن تلزم صاحب الصدقة نفقته وهذا لا خلاف فيه وشرط
ثالث ان لا يكون قويا على الاكتساب لانه عليه الصلاة والسلام قال لا تحل الصدقة لغني ولا
لذي مرة سوي وقد تقدم القول فيه ولا خلاف بين علماء المسلمين ان الصدقة المفروضة
لا تحل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا لبني هاشم ولا لمواليهم وروي عن ابي يوسف جواز صرف صدقة
الهاشمي للهاشمي حكاه الكيا الطبري وشذ بعض اهل العلم فقال ان موالي بني هاشم لا يحرم عليهم
شيء من الصدقات وهذا خلاف الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم فانه قال لابي رافع مولاه
وان مولى القوم منهم التاسعة والعشرون واختلفوا في جواز صدقة التطوع لبني هاشم ومواليهم
لان عليا والعباس وفاطمة رضوان الله عليهم اجمعين تصدقوا واوقفوا على جماعة منهم
اوقافا من بني هاشم وصدقتهم الموقوفة معروفة مشهودة وقال مطرف وابن الماجشون وابن
حبيب واصبغ لا تعطى بنو هاشم صدقتهم الموقوفة من الصدقة المفروضة ولا من التطوع وقال
ابن القاسم والحديث الذي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لآل محمد انما ذلك في
الزكاة لا في التطوع واختار هذا القول ابن خوازمنداذ وبه قال ابو يوسف ومحمد وقال مالك
في الواضحة لا يعطى لآل محمد من التطوع قال ابن القاسم قيل له يعني مالكا فمواليهم قال لا ادري
ما الموالي فاحتججت عليه بقوله صلى الله عليه وسلم موالي القوم منهم فقال قد قال ابن اخت
القوم منهم قال اصبغ وذلك في تزام الحرمة الموفية ثلاثين قوله تعالى فريضة من الله بالنصب
على المصدر عند سيبويه اي فرض الله الصدقات فريضة ويجوز الرفع على القطع في قول الكسائي
اي هي فريضة وقال الزجاج لا اعلم من قرا به قلت قرا ابراهيم بن ابي عبلة جعلها خبر
كما تقول انما زيد خارج والله اعلم فهذه جملة من اية الصدقات قوله تعالى ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة
للذين امنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم
والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله
فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة
تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سالتهم ليقولن
انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد
كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون
ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من
قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا اولئك حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون قوله ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو

اذن

اذن بين تعالى ان في المنافقين من كان يبسط لسانه بالوقيعة في اذية النبي صلى الله عليه وسلم و
يقولون هو اذن ادعا يعني من حلف له باني ما قلت هذا فيقبله فانه اذن سامعة قال الجوهري
يقال رجل اذن اذا كان يسمع مقال كل احد يستوي فيه الواحد والجمع وروى علي بن طلحة عن
ابن عباس رضي الله عنهم في قوله تعالى هو اذن قال مستمع وقابل وهذه الاية نزلت في عتاب
بن قيس قال انما محمد اذن يقبل كل ما قيل له وقيل نفيل بن الحارث قاله اسحق وكان نفيل
رجلا جسيما ثائر الراس واللحية ادم احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وهو الذي
قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث و
قرئ اذن بضم الذال وسكونها قل اذن خير لكم اي هو اذن خير لكم لا اذن شر يسمع الخير ولا
يسمع الشر وقرا عاصم من رواية ابي بكر والحسن قل اذن خير لكم بالرفع والتنوين والباقون بالا
وقرا حمزة ورحمة بالخفض وقرا الباقون بالرفع عطفا على اذن والتقدير هو اذن خير وهو رحمة
اي هو مستمع خير لا مستمع شر اي مستمع ما يجب استماعه وهو رحمة ومن خفض فعلى العطف على خير
قال النحاس وهذا عند اهل اللغة واهل العربية بعيد لانه قد تباعد ما بين الاسمين وهذا
يقبح في المخفوض قال المهدوي ومن جر الرحمة فعلى العطف على خير والمعنى مستمع خير ومستمع
رحمة لان الرحمة من الخير ولا يصح عطف الرحمة على المؤمنين لان المعنى يصدق بالله ويصدق
المؤمنين فاللام زائدة في قول الكوفيين ومثله لربهم يرهبون اي يرهبون ربهم وقال ابو
علي وهو كقوله ردف لكم وهي عند المبرد متعلقة بمصدر دل عليه التقدير ايمانه للمؤمنين
اي تصديقه للمؤمنين لا للكافرين او يكون محمولا على المعنى فان معنى يؤمن يصدق فعدي
باللام كما عدي في قوله مصدقا لما بين يديه قوله تعالى يحلفون بالله لكم ليرضوكم الاية
فيه ثلاث مسائل الاولى روي ان قوما من المنافقين اجتمعوا فيهم الجلاس بن سويد
ووديعة بن ثابت وفيهم غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا ان
كان ما يقول محمد حقا فنحن اشر من الحمير فغضب الغلام وقال والله انما يقول حق وانتم
اشر من الحمير فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم فحلفوا ان عامرا كاذب وانا ما قلنا شيئا فقال
عامر هو الكذبة وحلف على ذلك وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى يتبين صدق الصادق و
كذب الكاذب فانزل الله تعالى هذه الايات وفيها يحلفون بالله لكم ليرضوكم الثانية
قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ابتدا وخبر ومذهب سيبويه ان التقدير
والله احق ان يرضوه ورسوله على التقديم والتاخير وقال الفراء المعنى ورسوله احق ان
يرضوه والله افتتاح كلام كما تقول ما شاء الله وشئت محمد بن يزيد ليس في الكلام تقديم
ولا تاخير ولا محذوف والتقدير والله احق ان يرضوه ورسوله على التقديم قال النحاس
وقول سيبويه اولاها لانه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن ان يقال ما شاء الله
وشئت ولا يقدر في شيء تقديم ولا تاخير ومعناه صحيح قلت وقيل ان الله عز وجل
جعل رضاه في رضاه الا ترى انه قال من يطع الرسول فقد اطاع الله وكان الربيع بن خثيم
اذا مر بهذه الاية وقف ثم يقول حرف وايما حذف فوض اليه فلا يامرنا الا بخير والله
اعلم الثالثة قال علماؤنا تضمنت هذه الاية قبول يمين الحالف وانما يلزم المحلوف له
الرضى واليمين حق للمدعي وتضمنت ان يكون اليمين بالله عز وجل حسب وقال النبي صلى الله
عليه وسلم من حلف فليحلف بالله او ليصمت ومن حلف له فليصدق وقد مضى القول في الايمان

والاستثناء فيها مستوفى في المائدة قوله تعالى الم يعلموا يعني المنافقين وقرا الحسن وابن هرمز
تعلموا بالتاء على الخطاب انه في موضع الابتداء والمحاداة وقوع هذا في حد وذلك في حد كالمشاقة
يقال حاد فلان فلانا اي صار في حد غير حده فان له نار جهنم يقال ما بعد الفاء في الشرط مبتدا
فكان يجب ان يكون فان بكسر الهمزة وقد اجاز الخليل وسيبويه فان له نار جهنم بالكسر قال سيبويه
وهو جيد وانشد وعلمي باسدام المياه فلم تزل قلائص تخدي في طريق طلائح وانى اذا ملت ركابي
مناخها فاني على حظي من الامر جامح الا ان قراءة العامة فان بفتح الهمزة فقال الخليل ايضا
وسيبويه ان ان الثانية بمنزلة الاولى وزعم المبرد ان هذا القول مردود وان الصحيح ما
قال الجرمي قال ان الثانية مكررة للتوكيد لما طال الكلام ونظيره وهم بالاخرة هم يوقنون
وكذا فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وقال الاخفش المعنى فوجوب النار له وانكره
المبرد وقال هذا خطأ من اجل ان المفتوحة المشددة لا يبتدا بها ويضمر الخبر وقال علي بن سليمان
المعنى فالواجب ان له نار جهنم فان مرفوعة بالاستقرار على اضمار المجرور بين الفاء وان قوله
تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم فيه ثلاث مسايل الاولى
قوله يحذر المنافقون خبر وليس بامر ويدل على انه خبر ان ما بعده ان الله مخرج ما تحذرون
لانهم كفروا عنادا وقال السدي قال بعض المنافقين والله وددت لو اني قدمت فجلدت
مائة ولا ينزل فينا شي يفضحنا فنزلت الاية يحذر اي يتحذر وقال الزجاج معناه ليحذر
فهو امر كما يقال يفعل كذا الثانية قوله ان تنزل عليهم ان في موضع نصب مفعول ليحذر
حذرت قوما لا يضيروا من ليس منجيه من الاقدار ولم يجزه المبرد لان الحذر شي من الهيئة
ومعنى عليهم اي على المؤمنين سورة في شان المنافقين تخبرهم بمخازيهم ومساويهم ومثالبهم ولهذا
سميت الفاضحة والمثيرة والمبعثرة كما تقدم اول السورة وقال الحسن كان المسلمون
يسمون هذه السورة الحفارة لانها حفرت ما في قلوب المؤمنين فاظهرته الثالثة قوله
تعالى قل استهزؤا هذا امر وتهديد ووعيد ان الله مخرج ما تحذرون اي مخرج ما تحذرون
ظهوره قال ابن عباس انزل الله اسماء المنافقين وكانوا سبعين رجلا ثم نسخ تلك الاسماء
من القران رافة منه ورحمة لان اولادهم كانوا مسلمين والناس يعير بعضهم بعضا فعلى هذا
قد انجز الله وعده باظهار ذلك اذ قال ان الله مخرج ما تحذرون وقيل اخراج الله انه
عرف نبيه عليه الصلاة والسلام احوالهم واسماءهم لا انها نزلت في القران وقد قال تعالى
ولتعرفنهم في لحن القول وهو نوع الهام وكان من المنافقين من يتردد ولا يقطع بتكذيب النبي
صلى الله عليه وسلم ولا بصدقه وكان فيهم من يعرف صدقه ويعاند قوله تعالى ولئن سالتهم
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب فيه ثلاث مسائل الاولى هذه الاية نزلت في غزوة تبوك
وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا هذا يزعم انه يفتح قصور الشام
ويأخذ حصون بني الاصفر فاطلعه الله سبحانه بقولهم على ما في قلوبهم وما يتحدثون به فقال
احبسوا على الركب ثم اتاهم فقال قلتم كذا وكذا فحلفوا ما كنا الا نخوض ونلعب يريدون
كنا غير مجدين وذكر الطبري عن عبد الله بن عمر قال رايت قايل هذه المقالة وديعة
بن ثابت متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يماشيها والحجارة تنكبه وهو
يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول اباالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن
وذكر النقاش ان هذا المتعلق عبد الله بن ابي بن سلول وكذا ذكر القشيري عن ابن عمر قال ابن عطية

وذكر

وذلك خطأ لانه لم يشهد تبوك قال القشيري قيل انما قال عليه الصلاة والسلام هذا لوديعة
بن ثابت وكان من المنافقين وكان في غزوة تبوك والخوض الدخول في الماء ثم استعمل
في كل دخول فيه تلويث واذى الثانية قال القاضي ابو بكر بن العربي لا يخلو اما قالوه من
ذلك جدا او هزلا وهو ما كان كفر فان الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الامة فان التحقيق
اخو العلم والحق والهزل اخو الباطل قال علماؤنا انظر الى قوله اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان
اكون من الجاهلين الثالثة واختلف العلماء في الهزل في ساير الاحكام كالبيع والنكاح
والطلاق على ثلاثة اقوال لا يلزم مطلقا يلزم مطلقا التفرقة بين البيع وغيره فيلزم من
النكاح والطلاق وهو قول الشافعي في الطلاق قولا واحدا ولا يلزم في البيع قال مالك في كتاب
محمد يلزم نكاح الهازل وقال علي بن زياد يفسخ قبل وبعد وللشافعي في بيع الهازل قولان
ولذلك يخرج من قول علمائنا القولان وحكى ابن المنذر الاجماع في ان جد الطلاق وهزله سواء
وقال بعض المتاخرين من اصحابنا ان اتفقا على الهزل في البيع والنكاح لم يلزم وان اتفقا
غلب الجد الهزل وروى ابو داود والترمذي والدارقطني عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والرجعة والطلاق قال الترمذي
حديث حسن غريب والعمل على هذا عند اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم قلت
كذا في الحديث والرجعة وفي موطا مالك عن سعيد بن المسيب قال ثلاث ليس فيهن لعب النكاح
والطلاق والعتق وكذا روي عن علي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وابي الدرداء كلهم قال
ثلاث لا لعب فيهن ولا رجوع فيهن واللاعب فيهن جاد النكاح والطلاق والعتق وعن سعيد
بن المسيب عن ابن عمر قال اربع جايزات على كل احد العتق والطلاق والعتق والنذور وعن
الضحاك قال ثلاث لا لعب فيهن النكاح والطلاق والنذور قوله تعالى لا تعتذروا على
جهة التوبيخ كانه يقول لا تفعلوا ما لا ينفع ثم حكم عليهم بالكفر وعدم الاعتذار من الذنب
واعتذر بمعنى اعذر اي صار ذا عذر فالاعتذار محو اثر الموجدة يقال اعتذرت المنازل درست
والاعتذار الدروس قال الشاعر امن كنت تعرف ايات فقد جعلت اطلال الفك بالودكاء
تعتذر وقال ابن الاعرابي اصله القطع واعتذرت اليه قطعت ما في قلبه من الموجدة ومنه
عذرة الغلام وهو ما يقطع منه عند الختان ومنه عذرة الجارية لانه يقطع خاتم عذرتها
قوله تعالى ان نعف عن طائفة منكم قيل كان ثلاثة نفر هزئ اثنان وضحك واحد فالمعفو
عنه هو الذي ضحك ولم يتكلم والطائفة الجماعة ويقال للواحد على معنى نفس طائفة وقال
ابن الانباري يطلق لفظ الجمع على الواحد كقولك خرج فلان على البغال قال ويجوز ان تكون
الطائفة اذا اريد بها الواحد طائف والهاء للمبالغة واختلف في اسم هذا الرجل الذي
عفي عنه على اقوال فقيل مخشي بن حمير قاله ابن اسحق وقال ابن هشام ويقال فيه ابن مخشي
وقال خليفة بن خياط في تاريخه اسمه مخاشن بن حمير وذكر ابن عبد البر مخاشن الحميري
وذكر السهيلي مخشن بن خمير وذكر جميعهم انه استشهد باليمامة وكان تاب وسمي عبد الرحمن
فدعا الله ان يقتل شهيدا ولا يعلم قبره واختلف هل كان منافقا او مسلما فقيل كان منافقا
ثم تاب توبة نصوحا وقيل كان مسلما الا انه سمع المنافقين فضحك لهم ولم ينكر عليهم
قوله تعالى المنافقون والمنافقات ابتدا وخبر بعضهم ابتدا ثان ويجوز ان يكون بدلا
ويكون الخبر من بعض ومعنى بعضهم من بعض اي هم كالشي الواحد في الخروج عن الدين وقال

الزجاج هذا متصل بقوله يحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم اي ليسوا من المومنين ولكن بعضهم من
بعض اي متشابهون في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض ايديهم عبارة عن الجهاد وفيما
يجب عليهم والنسيان هنا الترك اي تركوا ما امرهم به فتركهم في الشك وقيل انهم تركوا امره
حتى صار كالمنسي فصيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه وقال قتادة فنسيهم من الخير فاما من الشر فلم
ينسهم والفسق هو الخروج عن الطاعة والدين وقد تقدم قوله تعالى وعد الله المنافقين
والمنافقات يقال وعده الله بالخير وعدا ووعد بالشر وعيدا وقوله خالدين نصب على
الحال والعامل محذوف اي يصلونها خالدين هي حسبهم ابتدا وخبر اي كفاية ووفاء لجزاء
اعمالهم واللعن البعد اي من رحمة الله وقد تقدم ولهم عذاب مقيم دايم قوله تعالى كالذين
من قبلكم كانوا اشد منكم قوة فيه ثلاث مسائل الاولى قوله كالذين من قبلكم قال الزجاج
الكاف في موضع نصب اي وعد الله الكفار نار جهنم وعدا كما وعد الذين من قبلهم وقيل
المعنى فعلتم كما فعل الذين من قبلكم فالكاف في محل رفع لانه خبر مبتدا محذوف ولم ينصرف
اشد لانه افعل صفة والاصل فيه اشدد اي كانوا اشد منكم قوة فلم يتهيا لهم ولا امكنهم
دفع عذاب الله عز وجل الثانية روى ابو سعيد الخدري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال تاخذون كما اخذت الامم قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا
بباع حتى لو ان احدا من اولئك دخل جحر ضب لدخلتموه وقال ابو هريرة وان شئتم فاقروا
القران كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة فاستمتعوا بخلاقهم وقال ابو هريرة والخلاق
الدين فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم حتى فرغ الاية قالوا يا نبي الله
كما صنعت اليهود والنصارى قال وما الناس الا هم وفي الصحيح عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه
قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما اشبه الليلة
بالبارحة هولاء بنو اسرائيل شبهنا بهم ونحوه عن ابن مسعود الثالثة قوله فاستمتعوا بخلاقهم
اي انتفعوا بنصيبهم من الدين كما فعل الذين من قبلهم وخضتم خروج من الغيبة الى الخطاب
كالذي خاضوا اي كخوضهم فالكاف في موضع نصب نعت للمصدر المحذوف اي وخضتم خوضا
كالذي خاضوا والذي هنا اسم ناقص مثل من وما يعبر به عن الواحد والجمع وقد مضى
هذا في سورة البقرة يقال خضت الماء اخوضه خوضا وخياضا والموضع مخاضة فهو
ما جاز فيه الناس مشاة وركبانا وجمعها المخاض والمخاوض ايضا عن ابي زيد واخضت
في الماء دابتي واخاض الماء اي خاضت خيلهم وخضت الغمرات اي اقتحمتها ويقال خاضه
بالسيف اي حرك سيفه في المضروب وخوض في نجعته شدد للمبالغة والمخوض التراب كالمجدح
للسويق يقول منه خضت التراب وخاض القوم في الحديث وتخاوضوا اي تفاوضوا فالمعنى
خضتم في اسباب الدنيا باللهو واللعب وقيل في امر محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب اولئك
حبطت اعمالهم اي بطلت وقد تقدم اعمالهم حسناتهم واولئك هم الخاسرون قد تقدم ايضا
قوله تعالى الم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب
مدين والموتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله

عزيز حكيم وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم يا ايها
النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماويهم جهنم وبيس المصير يحلفون بالله
ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان
اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله
عذابا اليما في الدنيا والاخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله
لين اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين قوله الم ياتهم نبا الذين من قبلهم
اي خبر الذين من قبلهم والالف بمعنى التقرير والتحذير اي الم يسمعوا اهلاكنا الكفار من قبل قوم نوح
وعاد وثمود بدل من الذين وقوم ابراهيم اي نمرود بن كنعان وقومه واصحاب مدين اسم للبلد الذي
كان فيه شعيب هلكوا بعذاب يوم الظلة والموتفكات قيل يراد بها قوم لوط لان ارضهم ايتفكت بهم
اي انقلبت قاله قتادة وقيل الموتفكات كل من اهلك كما يقال انقلبت عليهم الدنيا اتتهم رسلهم
بالبينات يعني جميع الانبياء وقيل اتت اصحاب الموتفكات رسلهم فعلى هذا رسلهم لفظه واحده
ولكنه بعث في كل قرية رسولا وكانت ثلاث قريات وقيل اربع وقال في موضع اخر والموتفكة اهوى
على الطريق الحسن وقيل اريد بالرسل الواحد كقوله يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم يكن في
عصره غيره قلت وهذا فيه نظر للحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خاطب المومنين
بما خاطب به المرسلين الحديث وقد تقدم في البقرة فاراد جميع الرسل والله اعلم قوله تعالى فما
كان الله ليظلمهم اي ليهلكهم حتى يبعث اليهم الانبياء ولكنهم ظلموا انفسهم بعد قيام الحجة عليهم
قوله تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى بعضهم
اولياء بعض اي قلوبهم متحدة في التوادد والتحابب والتعاطف وقيل في المنافقين بعضهم من
بعض لان قلوبهم مختلفة ولكن يضم بعضهم الى بعض في الحكم الثانية قوله تعالى يامرون
بالمعروف اي بعبادة الله تعالى وتوحيده وكل ما اتبع ذلك وذكر الطبري عن ابي العالية انه قال كل
ما ذكر الله تعالى في القران من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو النهي عن عبادة الاوثان والشياطين
وقد مضى القول في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في سورة المايدة وال عمران الثالثة قوله تعالى
ويقيمون الصلاة تقدم في اول سورة البقرة القول فيه وقال ابن عباس هي الصلوات الخمس وبحسب
هذا تكون الزكاة هنا هي المفروضة ابن عطية والمدح عندي في النوافل ابلغ اذ من يقوم بالنوافل
احرى باقامة الفرايض ويطيعون الله اي في الفرايض ورسوله فيما بين لهم والسين من قوله
تعالى سيرحمهم الله مدخلة في الوعد مهلة لتكون النفوس تتنعم برجايه وفضله تعالى زعيم بالانجاز
قوله تعالى وعد الله المومنين والمومنات جنات الاية اي بساتين تجري من تحتها الانهار
اي من تحت اشجارها وغرفها الانهار وقد تقدم في سورة البقرة انها تجري منبسطة بالقدرة في
غير اخدود ومساكن طيبة قصور من الزبرجد والدر والياقوت يشم رايحتها من مسيرة خمسماية
عام في جنات عدن اي دار اقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به ومنه المعدن وقال عطا
الخراساني جنات عدن هي قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن وقال ابن مسعود هي بطنان
الجنة اي وسطها وقال الحسن هو قصر من ذهب لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد او حكم
عدل ونحوه عن الضحاك وقال مقاتل والكلبي عدن اعلا درجة في الجنة وفيها عين التسنيم و
الجنان حولها محفوفة بها الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وضون

من الله اكبر اي اكبر من ذلك كله وذلك هو الفوز العظيم قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
فيه مسئلتان الاولى قوله يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وتدخل فيه امته من بعده قيل المراد جاهد بالمؤمنين الكفار وقال ابن عباس امر بالجهاد مع الكفار
بالسيف ومع المنافقين باللسان وشدة الزجر والتغليظ وروي عن ابن مسعود انه قال جاهد
الناس بيدك فان لم تستطع فبلسانك فان لم تستطع فاكفهر في وجوههم وقال الحسن جاهد
المنافقين باقامة الحدود عليهم باللسان واختاره قتادة وكانوا اكثر من يصيب الحدود وعندهم
دعوى لا برهان عليها وليس العاصي بمنافق انما المنافق من يكون النفاق في قلبه كامنا لا تتلبس
به الجوارح ظاهرا واخبار المحدودين يشهد بسياقها انهم لم يكونوا منافقين الثانية قوله تعالى
واغلظ عليهم الغلظ نقيض الرافة وهي شدة القلب على احلال الامر بصاحبه وليس كذلك في
اللسان فان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا زنت امة احدكم فليجلدها الحد ولا يثرب عليها
ومنه قوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ومنه قول النسوة لعمر انت افظ
واغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الغلظ خشونة الجانب فهي ضد قوله تعالى واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين واخفض لهما وهذه الاية نسخت كل شيء من العفو والصلح قوله
تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر فيه ست مسائل الاولى قوله يحلفون بالله ما
قالوا روي ان هذه الاية نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت ووديعة بن ثابت وقعوا في
النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا والله لئن كان محمد صادقا على اخواننا الذين هم ساداتنا وخيارنا
لنحن اشر من الحمير فقال عامر بن قيس للنبي صلى الله عليه وسلم ان عامر كاذب وحلف عامر وقد قال
اللهم انزل على نبيك الصادق شيئا فنزلت وقيل بل سمعه ولد امراته وسمعه عمير بن سعد
فيما قال ابن اسحق وقال غيره اسمه مصعب فهم الجلاس ان يقتله لئلا يخبر بخبره ففيه وهموا بما
لم ينالوا قال مجاهد وكان الجلاس لما قال له صاحبه اني ساخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقولك هم بقتله ثم لم يفعل عجز عن ذلك قال وذلك هي البشارة وهموا بما لم ينالوا وقيل انها
نزلت في عبد الله بن ابي راى رجلا من غفار يتقاتل مع رجل من جهينة وكانت جهينة حلفاء الانصار
فقتل الغفاري الجهني وقال يا بني الاوس والخزرج انظروا اخاكم والله ما مثلنا ومثل محمد الا كما
قال القايل سمن كلبك ياكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فاخبر النبي
صلى الله عليه وسلم فجاءه عبد الله بن ابي فحلف انه لم يقله قاله قتادة وقول ثالث هو قول
جميع المنافقين قاله الحسن ابن العربي وهو الصحيح لعموم القول ووجود المعنى فيه فيهم وجملة ذلك
اعتقادهم فيه انه ليس بنبي الثانية قوله تعالى ولقد قالوا كلمة الكفر قال النقاش تكذيبهم بما
وعد الله من الفتح وقيل كلمة الكفر قول الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن اشر من الحمير
وقول عبد الله بن ابي لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال القشيري كلمة
الكفر سب النبي صلى الله عليه وسلم والطعن في الاسلام وكفروا بعد اسلامهم اي بعد الحكم باسلامهم
فدل هذا على ان المنافقين كفار وفي قوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا دليل قاطع
ودلت الاية ايضا على ان الكفر يكون بكل ما يناقض التصديق والمعرفة وان كان الايمان لا
يكون الا بلا اله الا الله دون غيره من الاقوال والافعال الا في الصلاة قال اسحق بن راهويه
ولو اجمعوا في الصلاة على شيء لم يجمعوا عليه في الشرايع لانهم باجمعهم قالوا من عرف بالكفر
ثم راوه يصلي الصلاة في وقتها حتى صلى صلوات كثيرة ولم يعلموا منه اقرارا باللسان فانه

يحكم

يحكم له بالايمان ولم يحكموا له في الصلاة والزكاة قبل ذلك الثالثة قوله تعالى وهموا بما لم ينالوا
يعني المنافقين من قتل النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة في غزوة تبوك وكانوا اثني عشر رجلا
قال حذيفة سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عدهم كلهم فقلت الا تبعث اليهم فتقتلهم فقال اكره
ان تقول العرب لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم بل يكفيهم الله بالدبيلة قيل يا رسول الله وما الدبيلة قال
شهاب من جهنم يضعه على نياط فواد احدهم حتى تزهق نفسه فكان كذلك خرجه مسلم بمعناه وقيل
هموا بعقد التاج على راس ابن ابي ليجتمعوا عليه وقد تقدم قول مجاهد في هذا الرابعة وما
نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله اي ليس ينقمون شيئا كما قال النابغة ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب ويقال نقم ينقم ونقم ينقم لغتان قال الشاعر
في الكرم ما نقم الناس الا انهم تحكموا ان غضبوا وقال زهير فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب او يعجل
فينقم ينشد بكسر القاف وفتحها قال الشعبي كانوا يطلبون دية فقضى لهم بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاستغنوا ذكره عكرمة انها كانت اثني عشر الفا ويقال ان القتيل كان مولى الجلاس وقال الكلبي
كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فلما
قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنايم وهذا المثل مشهور اتق شر من احسنت اليه قال
القشيري ابو نصر قيل للبجلي اتجد في كتاب الله اتق شر من احسنت اليه قال نعم وما نقموا الا
ان اغناهم الله ورسوله من فضله الخامسة قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم روي ان الجلاس حين
نزلت الاية استغفر وتاب فدل هذا على توبة الكافر الذي يسر الكفر ويظهر الايمان وهو الذي
تسميه الفقهاء الزنديق وقد اختلف في ذلك العلماء فقال الشافعي رحمه الله تقبل توبته
وقال مالك توبة الزنديق لا تعرف لانه كان يظهر الايمان ويسر الكفر ولا يعلم ايمانه الا بقوله
وكذلك يفعل الان وفي كل حين يقول انا مؤمن وهو يظهر خلاف ما يبطن فاذا عثر عليه وقال
تبت لم يتغير حاله عما كان عليه فاذا جاءنا تايبا من قبل نفسه قبل ان يعثر عليه قبلت توبته
وهو المراد بالاية والله اعلم السادسة قوله تعالى وان يتولوا اي يعرضوا عن الايمان والتوبة
يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير
اي مانع يمنعهم ولا معين وقد تقدم قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله الى قوله
علام الغيوب فيه ثمان مسائل الاولى قوله ومنهم من عاهد الله قال قتادة هذا رجل من الانصار
قال لئن رزقني الله شيئا لاودين حق الله ولاصدقن فلما اتاه الله ذلك فعل ما قص عليكم
فاحذروا الكذب فانه يؤدي الى الفجور وروي عن علي بن يزيد عن القاسم عن ابي امامة الباهلي
ان ثعلبة بن حاطب الانصاري قال للنبي صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقني مالا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم عاود ثانيا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ترضى ان تكون مثل نبي الله لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا
لسارت فقال والذي بعثك لئن دعوت الله ان يرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا
له النبي صلى الله عليه وسلم فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها
ونزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت
وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهي تنمي حتى ترك الجمعة ايضا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ويح ثعلبة ثلاثا ثم نزل خذ من اموالهم صدقة فبعث عليه الصلاة والسلام رجلين
على الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقتهما فاتيا ثعلبة

واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الحديث
وهو مشهور وقيل بسبب غنى ثعلبة انه ورث ابن عم له قال ابن عبد البر قيل ان ثعلبة بن حاطب هو
الذى نزل فيه ومنهم من عاهد الله الاية اذ منع الزكاة والله اعلم وما جاء فيمن شهد بدرا يعارضه
قوله تعالى فى الاية فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الاية قلت وذكر عن ابن عباس فى سبب نزول الاية
ان حاطب بن ثعلبة ابطا عنه ماله بالشام فحلف فى مجلسين من مجالس الانصار ان سلم ذلك لاتصدقن
منه ولاصلن منه فلما سلم بخل بذلك فنزلت قلت وثعلبة بدري ايضا وممن شهد الله له بالايمان
حسبما ياتى فى اول الممتحنة فما روي عنه غير صحيح والله اعلم وقال الضحاك ان الاية نزلت فى رجال
من المنافقين منهم نبتل بن الحارث وجد بن قيس ومعتب بن قشير قلت وهذا اشبه بنزول
الاية فيهم الا ان قوله فاعقبهم نفاقا يدل على ان الذى عاهد الله لم يكن منافقا من قبل الا ان
يكون المعنى زادهم نفاقا ثبتوا عليه الى الممات وهو قوله تعالى الى يوم يلقونه على ما ياتى الثانية
قال علماؤنا لما قال الله عز وجل ومنهم من عاهد الله احتمل ان يكون عاهد الله بلسانه ولم يعتقده
بقلبه ويحتمل ان يكون عاهد الله بهما ثم ادركه سوء الخاتمة فان الاعمال بخواتيمها والايام بعواقبها
ومن رفع بالابتداء والخبر ورد لفظ اليمين ورد فى الحديث وليس فى ظاهر القران يمين الا بمجرد
الارتباط والالتزام اما انه فى صيغة القسم فى المعنى فان اللام تدل عليه وقد اتى بلامين الاول
للقسم والثانى لام الجواب وكلاهما للتاكيد ومنهم من قال انهما لاما القسم والاول اظهر الثالثة
العتق والطلاق وكل حكم ينفرد به المرء ولا يفتقر الى غيره فانه يلزمه منه ما يلتزمه بقصده
وان لم يلفظ به قال علماؤنا وقال الشافعى وابو حنيفة لا يلزم احد حكم الا بعد ان يلفظ به وهو
القول الاخر لعلمائنا قال ابن العربي والدليل على صحة ما ذهبنا اليه ما رواه اشهب عن مالك
وقد سئل اذا نوى الرجل الطلاق بقلبه ولم يلفظ بلسانه فقال يلزمه كما يكون مؤمنا بقلبه
وكافرا بقلبه قال ابن العربي وهذا اصل بديع وتحريره ان يقال عقد لا يفتقر فيه المرء الى
غيره فى التزامه فانعقد عليه بنية اصله الايمان والكفر قلت وحجة القول الثانى ما
رواه مسلم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتى ما حدثت
به انفسها ما لم تعمل او تتكلم به ورواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند
اهل العلم ان الرجل اذا حدث نفسه بالطلاق ولم ينطق به بلسانه فليس بشىء وهذا هو الاشهر
عند مالك وقد روى عنه انه يلزمه الطلاق اذا نواه بقلبه كما يكفر بقلبه وان لم ينطق به بلسانه
والاول اصح فى النظر وطريق الاثر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوز الله لامتى عما وسوست
به نفوسها ما لم ينطق به لسانه او تعمله يده الرابعة ان كان نذرا فالوفاء بالنذر
واجب من غير خلاف وتركه معصية وان كانت يمينا فالوفاء باليمين امر واجب باتفاق
بيد ان المعنى فيه ان كان فقيرا لا يتعين عليه فرض الزكاة فسال الله ما لا يلزمه فرض الزكاة
ويؤدى ما تعين عليه من فرضه فاتاه الله ما شاء الله من ذلك ما التزم مما كان يلزمه
فى اصل الدين لو لم يكن يلتزمه لكن التعاطى بطلب المال لاداء الحقوق هو الذى ورطه اذ كان
طلبه من الله تعالى بغير نية خالصة او بنية لكن سبقت فيه البداية المكتوبة عليه فى
الشقاوة نعوذ بالله من ذلك قلت ومن هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام اذا تمنى احدكم
فلينظر ما يتمنى فانه لا يدرى ما كتب له فى امنيته يفتتن او يطغى فيكون سببا للهلاك
دنيا واخرى لان امور الدنيا مبهمة عواقبها خطرة غائلتها واما تمنى امور الدين والاخرة فتمنيها

محمود

محمود العاقبة محضوض عليها ومندوب اليها الخامسة قوله تعالى لئن اتانا من فضله لنصدقن
دليل على ان من قال ان ملكت كذا وكذا فهو صدقة فانه يلزمه وبه قال ابو حنيفة وقال
الشافعى لا يلزمه والخلاف فى الطلاق مثله وكذلك فى العتق وقال احمد بن حنبل يلزمه ذلك
فى العتق ولا يلزمه فى الطلاق فانه تصرف فى محل ولا يثبت فى الذمة احتج الشافعى بما رواه
ابو داود والترمذى وغيرهما عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا نذر لابن ادم فيما لا يملك ولا عتق له فيما لا يملك ولا طلاق له فيما لا يملك لفظ الترمذى
وقال فى الباب عن على ومعاذ وجابر وابن عباس وعائشة حديث عبد الله بن عمرو حديث
حسن وهو احسن شىء روي فى هذا الباب وهو قول اكثر اهل العلم من اصحاب النبى صلى الله عليه
وسلم وغيرهم قال ابن العربي وسرد اصحاب الشافعى فى هذا الباب احاديث كثيرة لم يصح منها شىء
فلم يعول عليها ولم يبق الا ظاهر الاية السادسة فلما اتاهم من فضله اعطاهم بخلوا به اى باعطاء
الصدقة وبانفاق المال فى الخير وبالوفاء بما ضمنوا والتزموا وقد مضى معنى البخل فى ال عمران وتولوا
اى عن اعطاء الله وهم معرضون اى عن الاسلام اى يظهرون الاعراض عنه قوله
تعالى فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون تقدم القول فيه فاعقبهم نفاقا
فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم
سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات
والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم استغفر لهم او لا
تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله
والله لا يهدى القوم الفاسقين فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم اشد حرا لو
كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فان رجعك الله
الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا
انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا
ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك اموالهم ولا
اولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون قوله تعالى
فاعقبهم نفاقا مفعولان اى اعقبهم الله نفاقا فى قلوبهم وقيل اى اعقبهم البخل نفاقا ولهذا قال بخلوا
به الى يوم يلقونه فى موضع خفض اى يلقون بخلهم اى جزاء بخلهم كما يقال انت تلقى غدا عملك
وقيل الى يوم يلقونه اى يلقون الله وفى هذا دليل على انه مات منافقا وهو يبعد ان يكون
المنزل عليهم فيه ثعلبة او حاطب لان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر وما يدريك لعل الله اطلع
على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وثعلبة وحاطب ممن حضر بدرا وشهدها
وقوله تعالى بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون كذبهم نقضهم العهد وتركهم الوفاء بالزكاة
من ذلك السابعة قوله تعالى نفاقا النفاق اذا كان فى القلب فهو الكفر فاما اذا كان فى الاعمال
فهو معصية قال النبى صلى الله عليه وسلم اربعة من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه
خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد
غدر واذا خاصم فجر خرجه البخارى وقد مضى فى البقرة اشتقاق هذه الكلمة فلا معنى لاعادتها
واختلف الناس فى تاويل هذا الحديث فقالت طائفة انما ذلك لمن يحدث بحديث يعلم انه كذب

او يعاهد عهدا لا يعتقد الوفاء به وينتظر الامانة للخيانة فيها وتعلقوا بحديث ضعيف الاسناد وهو
ان علي بن ابي طالب لقي ابا بكر وعمر رضي الله عنهما خارجين من عند النبي صلى الله عليه وسلم وهما ثقيلان
فقال علي ما لي اراكما ثقيلين قالا حديثا سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال المنافقين
اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا ايتمن خان فقال علي رضي الله عنه فلا سالتما
فقالا هبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكني ساساله فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله خرج ابو بكر وعمر وهما ثقيلان ثم ذكر ما قالا فقال قد حدثتهما ولم اضعه على
الموضع الذي وضعاه ولكن المنافق اذا حدث وهو يحدث نفسه انه يكذب واذا وعد وهو يحدث
نفسه انه يخلف واذا ايتمن وهو يحدث نفسه انه يخون قال ابن العربي قام الدليل الواضح
على ان متعمد هذه الخصال لا يكون كافرا وانما يكون كافرا باعتقاد يعود الى الجهل بالله وصفاته
او التكذيب له وقالت طايفة ذلك مخصوص بالمنافقين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتعلقوا بما رواه مقاتل بن حيان عن سعيد بن جبير عن ابن عمر وابن عباس قالا اتينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اناس من الصحابة فقلنا يا رسول الله انك قلت ثلثة من كن فيه فهو
منافق وان صام وصلى وزعم انه مومن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ايتمن خان ومن
كان فيه خصلة منهن ففيه ثلث النفاق فظننا انا لم نسلم منهن او من بعضهن ولم يسلم منهن
كثير من الناس قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما لكم ولهن انما خصصت بهن المنافقين
كما خصهم الله بكتابه اما قولي اذا حدث كذب فذلك قوله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا
نشهد الاية افانتم كذلك قلنا لا قال لا عليكم انتم من ذلك برآء واما قولي واذا وعد اخلف
فذلك فيما انزل الله علي ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله الايات الثلاث افانتم كذلك
قلنا لا والله لو عاهدنا الله على شيء اوفينا به قال لا عليكم انتم من ذلك برآء واما قولي
واذا ايتمن خان فذلك فيما انزل الله علي انا عرضنا الامانة على السموات والارض الاية فكل
انسان يؤتمن على دينه والمؤمن يغتسل من الجنابة في السر والعلانية افانتم كذلك قلنا لا قال
لا عليكم انتم من ذلك برآء والى هذا اشار كثير من التابعين والايمة الثلاث وقالت طايفة
هذا فيمن كان الغالب عليه هذه الخصال ويظهر من مذهب البخاري وغيره من اهل العلم ان هذه
الخصال الذميمة منافق من اتصف بها الى يوم القيمة قال ابن العربي والذي عندي ان لو غلبت
عليه المعاصي ما كان بها كافرا ما لم يؤثر في الاعتقاد وقال علماؤنا ان اخوة يوسف عليه السلام
عاهدوا اباهم فاخلفوه وحدثوه فكذبوه وائتمنوا على يوسف فخانوه وما كانوا منافقين وقال
عطا بن ابي رباح قد فعل هذه الخصال اخوة يوسف ولم يكونوا منافقين بل كانوا انبيا وقال
الحسن بن ابي الحسن البصري النفاق نفاقان نفاق الكذب فكان على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم واما نفاق العمل فلا ينقطع الى يوم القيمة وروى البخاري عن حذيفة ان النفاق كان على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما اليوم فانما هو كفر بعد ايمان والله اعلم الثامنة قوله تعالى
الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجويهم هذا توبيخ اي اذا كان عالما فانه سيجازيهم قوله تعالى
الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات هذه ايضا من صفات المنافقين قال
قتادة يلمزون يعيبون قال ذلك ابو عبد الرحمن بن عوف تصدق بنصف ماله وكان ماله
ثمانية الاف فتصدق منها باربعة الاف فقال قوم ما اعظم رياه فانزل الله تعالى الذين يلمزون
المطوعين من المؤمنين في الصدقات وجاء رجل من الانصار بنصف صبرة من تمر فقالوا ما اغنى

الله عن هذا فانزل الله عز وجل والذين لا يجدون الا جهدهم الاية وخرج مسلم عن ابن مسعود
قال امرنا بالصدقة قال وكنا نحامل وفي رواية على ظهورنا قال فتصدق ابو عقيل بنصف
صاع قال وجاء انسان بشيء اكثر منه فقال المنافقون ان الله لغني عن صدقة هذا وما فعل هذا
الاخر الا رياء فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا
جهدهم يعني ابا عقيل واسمه الحبحاب والجهد شيء قليل يعيش به المقل والجهد بمعنى واحد وقد تقدم
ويلمزون معناه يعيبون وقد تقدم والمطوعين اصله المتطوعين ادغمت التاء في الطاء وهم الذين
يفعلون الشيء تبرعا من غير ان يجب عليهم والذين في موضع خفض عطف على المؤمنين ولا يجوز
ان يكون عطفا على الاسم قبل تمامه فيسخرون عطف على يلمزون سخر الله منهم وقد تقدم في اول البقرة
استغفر لهم يأتي بيانه عند قوله ولا تصل على احد منهم مات ابدا قوله تعالى فرح المخلفون بمقعدهم
خلاف رسول الله اي بقعودهم يقال قعد قعودا اي جلس واقعده غيره عن الجوهري والمخلف المتروك
اي خلفهم الله وثبطهم او خلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مفعول من اجله وان شئت كان
مصدرا والخلاف المخالفة ومن قرا خلف رسول الله اراد التاخر عن الجهاد وقالوا لا تنفروا في
الحر وقال بعضهم لبعض ذلك قل نار جهنم اشد حرا اي قل لهم يا محمد نار جهنم اشد ابتدا وخبر وحرا
نصب على البيان اي من ترك امر الله تعرض لتلك النار قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا فيه مسئلتان الاولى قوله فليضحكوا امر معناه التهديد وليس امرا بالضحك والاصل ان
تكون اللام مكسورة فحذفت الكسرة لثقلها وقال الحسن فليضحكوا قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا
في جهنم وقيل هو امر بمعنى الخبر اي انهم سيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء مفعول من اجله اي
للجزاء الثانية من الناس من كان لا يضحك اهتماما بنفسه وفساد حاله في اعتقاده من
شدة الخوف وان كان عبدا صالحا قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله لوددت اني كنت شجرة تعضد خرجه الترمذي وكان
الحسن البصري رحمه الله ممن غلب عليه الحزن فكان لا يضحك وقال ابن سيرين انا اضحك
وابكي ويحتج على الحسن بقوله اضحك وابكى وكان الصحابة يضحكون الا ان الاكثار منه وملازمته
حتى يغلب على صاحبه مذموم منهي عنه وهو من فعل السفهاء واهل البطالة وفي الخبر ان كثرته
تميت القلب واما البكاء من خوف الله وعذابه وشدة عقابه فمحمود قال صلى الله عليه وسلم
ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان اهل النار يبكون حتى تسيل الدما فتقرح العيون فلو ان سفنا
اجريت فيها لجرت خرجه ابن المبارك من حديث انس وابن ماجة ايضا قوله تعالى فان رجعك
الله الى طايفة منهم اي المنافقين وانما قال الى طايفة لان من جميع من قام بالمدينة ما كانوا
منافقين بل كان فيهم معذورون ومن لا عذر له ثم عفا عنهم وتاب عليهم كالثلاثة الذين
خلفوا وسياتي فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا اي عاقبتهم الا تصحبهم ابدا وهو
كما قال في سورة الفتح قل لن تتبعونا والخالفين جمع خالف لانهم كانوا خلفوا الخارجين قال
ابن عباس الخالفون من تخلف من المنافقين وقال الحسن اي من النساء والضعفة من الرجال
فغلب المذكر وقيل المعنى فاقعدوا مع الخالفين من قولهم فلان خالفة اهل المدينة اذا كان فاسدا
فيهم من خلوف فم الصايم ومن قولهم خلف اللبن اي فسد بطول المكث في السقا فعلى هذا المعنى
فاقعدوا مع الفاسدين وهذا يدل على ان استصحاب المخذول في الغزوات لا يجوز قوله تعالى
ولا تصل على احد منهم مات ابدا فيه احدى عشرة مسئلة الاولى روي ان الاية نزلت في

شان عبد الله بن ابي سلول وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم عليه ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما
وتظاهرت الروايات بان النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليه وان الاية نزلت بعد ذلك وروي
عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تقدم ليصلي عليه جاءه جبريل فجذب ثوبه
وتلى عليه ولا تصل على احد منهم مات ابدا الاية فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصل والروايات
الثابتة على خلاف هذا ففي البخاري عن ابن عباس قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الايتان من براءة ولا تصل على احد منهم مات ابدا ونحوه
عن ابن عمر خرجه مسلم قال ابن عمر لما توفي عبد الله بن سلول جاء ابنه عبد الله بن عبد الله
الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه قميصه فيكفن فيه فاعطاه ثم ساله ان يصلي عليه
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر واخذ ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال يا رسول الله اتصلي عليه وقد نهاك الله ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما خيرني ربي فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسازيد
على سبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا
تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره فترك الصلاة عليه وقال بعض العلماء انما صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بناء على الظاهر من لفظ اسلامه ثم لم يكن يفعل ذلك لما
نهي عنه الثانية ان قال قائل كيف قال له عمر اتصلي عليه وقد نهاك الله ان تصلي عليه ولم
يكن تقدم نهي عن الصلاة عليهم قيل له يحتمل ان يكون وقع ذلك في خاطره ويكون من قبيل
الالهام والتحدي الذي شهد له به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان القران ينزل على
مراده كما قال وافقت ربي في ثلاث وجاء في اربع وقد تقدم في البقرة فيكون هذا من ذلك
ويحتمل ان يكون فهم ذلك من قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم الاية الا انه كان تقدم نهي
على ما يدل عليه حديث البخاري ومسلم قلت ويحتمل ان يكون فهمه من قوله عز وجل ما
كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين لانها نزلت بمكة وسياتي القول فيها والله
اعلم الثالثة قوله عز وجل استغفر لهم الاية بين عز وجل انه وان استغفر لهم لم ينفعهم
ذلك وان اكثر من الاستغفار وقال القشيري ولم يثبت ما يروى انه قال لازيدن على
السبعين قلت وهو خلاف ما ثبت في حديث ابن عمر وسازيد على السبعين وفي حديث
ابن عباس لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر لهم لزدت عليها قال فصلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليه خرجه البخاري الرابعة واختلف العلماء في تاويل قوله عز وجل استغفر لهم
هل هو اياس او تخيير فقالت طايفة المقصود به الياس بدليل قوله عز وجل فلن يغفر الله
لهم وذكر السبعين وفاق جرى او هو عادتهم في العبارة عن الكثرة والاغيا فاذا قال قايلهم
لا اكلمه سبعين سنة صار بمنزلة لا اكلمه ابدا ومثل هذا في الاعيا قوله تعالى ثم في سلسلة
ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه وقوله عليه الصلوة والسلام من صام يوما في سبيل الله باعد
الله وجهه عن النار سبعين خريفا وقال القوم هو تخيير ومنهم الحسن وقتادة وعروة اي
ان شئت استغفر وان شئت لا تستغفر ولهذا لما اراد ان يصلي على ابن ابي قال له عمر اتصلي على عدو الله
القايل يوم كذا وكذا قال اني خيرت فاخترت قالوا ثم انه نسخ هذا بقوله لما نزل سواء عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم اي لا يغفر الله لهم لكفرهم الخامسة قال الله عز وجل ما
كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وهذه الاية نزلت بمكة عند موت ابي طالب

على ما ياتي بيانه وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات وهو كافر وهو متقدم على هذه الاية التي فهم
منها التخيير بقوله انما خيرني الله وهذا يشكل فقيل ان استغفاره لعمه انما كان مقصوده استغفارا
مرجوا لاجابته يعني تحصل له المغفرة وفي هذا الاستغفار استاذن عليه الصلاة والسلام
ربه في ان ياذن له فيه لامه فلم ياذن له فيه واما استغفاره للمنافقين الذي خير فيه فهو
استغفار لساني لا ينفع وغايته تطييب قلوب بعض الاحياء من قرابات المستغفر له والله اعلم
السادسة واختلف في اعطاء النبي صلى الله عليه وسلم قميصه لعبد الله فقيل انما اعطاه لان عبد
الله قد كان اعطى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك ان العباس لما اسر يوم بدر على
ما تقدم وسلب ثوبه راه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشفق عليه وطلب له قميصا فما وجد له
قميصا يقادره الا قميص عبد الله لتقاربهما في طول القامة فاراد النبي صلى الله عليه وسلم باعطاء
القميص ان يرفع عنه اليد في الدنيا حتى لا يلقاه في الاخرة وله عليه يد يكافيه بها وقيل انما اعطاه
القميص اكراما لابنه واسعافا له في طلبته وتطييبا لقلبه والاول اصح خرجه البخاري عن جابر بن عبد الله
قال لما كان يوم بدر اوتي باسارى واتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم
له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن ابي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع
النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي لبسه وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان قميصي لا يغني
عنه من الله شيئا واني لارجو ان يسلم بفعلي هذا الف رجل من قومي كذا في بعض الروايات من
قومي يريد منافقي العرب والصحيح انه قال رجال من قومه ووقع في مغازي ابن اسحق وفي بعض
كتب التفسير فاسلم وتاب لهذه الفعلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم الف رجل من الخزرج
السابعة لما قال ولا تصل على احد منهم مات ابدا قال علماؤنا هذا نص في الامتناع من الصلاة
على الكفار وليس فيه دليل على الصلاة على المومنين واختلف هل يوخذ من مفهومه وجوب الصلاة
على المومنين على قولين يوخذ لانه علل المنع من الصلاة على الكفار فدل على ان غير الكفار لكفرهم
لقوله تعالى انهم كفروا بالله ورسوله فاذا زال الكفر وجبت الصلاة ويكون هذا نحو قوله
تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون يعني الكفار فدل على ان غير الكفار يرونه وهم المومنون
فذلك مثله والله اعلم وتوخذ الصلاة من دليل خارج عن الاية وهي الاحاديث الواردة في الباب
والاجماع ومنشا الخلاف القول بدليل الخطاب وتركه روى مسلم عن جابر بن عبد الله قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان اخاكم قد مات فقوموا فصلوا عليه قال فقمنا فصلينا صفين يعني النجاشي
وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه فخرج
بهم الى المصلى وكبر اربع تكبيرات واجمع المسلمون على انه لا يجوز ترك الصلاة على جنايز المسلمين
من اهل الكباير كانوا او صالحين وراثة عن نبيهم صلى الله عليه وسلم قولا وعملا والحمد لله واتفق العلما
على ذلك الا في الشهيد كما تقدم والا في اهل البدع والبغاة الثامنة والجمهور من العلماء
على ان التكبير اربع قال ابن سيرين كان التكبير ثلاثا فزادوا واحدة وقالت طائفة يكبر
خمسا وروي عن ابن مسعود وزيد بن ارقم وعن علي ست تكبيرات وعن ابن عباس وانس بن مالك
وجابر بن زيد ثلاث تكبيرات والمعمول عليه اربع روى الدارقطني عن ابي بن كعب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة صلت على ادم فكبرت عليه اربع تكبيرات وقالوا
هذه سنتكم يا بني ادم التاسعة ولا قراءة في هذه الصلاة في المشهور من مذهب مالك وكذا
ابو حنيفة والثوري لقوله صلى الله عليه وسلم اذا صليتم على ميت فاخلصوا له بالدعاء رواه ابو

داود من حديث ابي هريرة وذهب احمد والشافعي واسحق ومحمد بن مسلمة واشهب من علمائنا وداود الى
انه يقرا بالفاتحة لقوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بفاتحة الكتاب حملا له على عمومه وبما
خرجه البخاري عن ابن عباس وصلى على جنازة وقرا بفاتحة الكتاب وقال لتعلموا انها سنة وخرج
النسائي من حديث ابي امامة قال السنة في الصلاة في الجنايز ان يقرا في التكبيرة الاولى بام القران
مخافتة ثم تكبر ثلاثا والتسليم عند الاخرة وذكر محمد بن نصر المروزي عن ابي امامة ايضا قال
السنة في الصلاة على الجنايز ان يكبر ثم يقرا بام القران ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخلص
الدعا للميت ولا يقرا الا في التكبيرة الاولى ثم يسلم قال شيخنا ابو العباس وهذان الحديثان
صحيحان وهما على الاصوليين ملحقان بالمسند والعمل على حديث ابي امامة اولى اذ فيه جمع بين
قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة وبين اخلاص الدعا للميت وقراءة الفاتحة فيها انما
هي استفتاح الدعاء والله اعلم العاشرة وسنة الامام ان يقوم عند راس الرجل وعجيزة المراة
لما رواه ابو داود عن انس وصلى على جنازة فقال له العلا بن زياد يا ابا حمزة هكذا كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلي على الجنايز كصلاتك يكبر اربعا ويقوم عند راس الرجل وعجيزة المراة
قال نعم وروى مسلم عن سمرة بن جندب قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم على ام كعب ماتت
وهي نفساء فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليها وسطها الحادية عشر قوله تعالى ولا
تقم على قبره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له بالتثبيت
على ما بيناه في كتاب التذكرة والحمد لله قوله تعالى ولا تعجبك اموالهم واولادهم كرره توكيدا وقد
تقدم الكلام فيه قوله تعالى واذا انزلت سورة ان امنوا بالله ان الندب للمؤمنين للاجابة
وتعلل المنافقون فالامر للمؤمنين باستدامة الايمان وللمنافقين بابتداء الايمان وان في
موضع نصب اي بان امنوا والطول المعنى وقد تقدم وخصه بالذكر لان ما لا طول له لا يحتاج الى اذن
لانه معذور وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين اي العاجزين عن الخروج قوله تعالى واذا انزلت سورة
ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين
رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين امنوا
معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اعد الله لهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وجاء المعذرون
من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم
عذاب اليم ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج
اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما
اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا
يجدوا ما ينفقون انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا
مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم
قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم
تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم اذا
انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا
يكسبون قوله تعالى واذا ما انزلت سورة الى قوله مع القاعدين تقدم فيها قوله تعالى رضوا
بان يكونوا مع الخوالف جمع خالفة اي مع النساء والصبيان واصحاب الاعذار من الرجال وقد

يقال للرجل خالفة وخالف ايضا اذا كان غير نجيب على ما تقدم يقال فلان خالفة اهله اذا كان
دونهم النحاس واصله من خلف اللبن يخلف اذا حمض من طول مكثه وخلف فم الصايم اذا تغير
ريحه ومنه فلان خلف سوء الا ان فواعل جمع فاعلة ولا يجمع فاعل صفة على فواعل الا في الشعر الا
حرفين وهما فارس وهالك وقوله تعالى في صفة المجاهدين واولئك لهم الخيرات قيل النساء
الحسان عن الحسن دليله قوله تعالى فيهن خيرات حسان ويقال هي خيرة النساء والاصل خيرة
فخففت مثل هينة وهينة وقيل جمع خيرة فالمعنى لهم منافع الدارين وقد تقدم معنى الفلاح والجنات
البساتين وقد تقدم ايضا قوله تعالى وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم قرا الاعرج
والضحاك المعذرون مخففا ورواها ابو كريب عن ابي بكر عن عاصم ورواها اصحاب القراات عن
ابن عباس قال الجوهري وكان ابن عباس يقرا وجاء المعذرون مخففا من اعذر ويقول والله
هكذا انزلت قال النحاس الا ان مدارها عن الكلبي وهي من اعذر اذا بالغ في العذر ومنه قولهم اعذر
من انذر اي بالغ في العذر من تقدم اليك فانذرك واما المعذرون بالتشديد ففيه قولان
احدهما انه يكون المحق فهو في المعنى المتعذر لان له عذرا فيكون المعذرون على هذا اصله
المعتذرون ولكن التاء قلبت دالا فادغمت فيها وجعلت حركتها على العين كما قرئ يخصمون
بفتح الخاء ويجوز رفعها اتباعا للميم ذكره الجوهري والنحاس الا ان النحاس حكاه عن الاخفش والفرا
وابي حاتم وابي عبيد ويجوز ان يكون الاصل المعتذرون ثم ادغمت التاء في الذال ويكون الذين
لهم عذر قال لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر والقول
الاخر ان المعذر قد يكون غير محق وهو الذي يعتذر ولا عذر له قال الجوهري فهو المعذر
على جهة المفعل لانه الممرض المقصر يعتذر بغير عذر قال غيره يقال عذر فلان في امر كذا تعذيرا
اي قصر ولم يبالغ فيه والمعنى انهم اعتذروا بالكذب قال الجوهري وكان ابن عباس يقول
لعن الله المعذرين كان الامر عنده ان المعذر بالتشديد هو المظهر للعذر اعتلالا من غير
حقيقة له في العذر النحاس قال ابو العباس محمد بن يزيد ولا يجوز ان يكون الاصل فيه
المعتذرين ولا يجوز الادغام فيقع اللبس ذكر اسمعيل بن اسحق ان الادغام مجتنب على قول الخليل
وسيبويه بعد ان ساق الكلام يدل على انهم مذمومون لا عذر لهم قال لانهم جاوا ليؤذن
لهم ولو كانوا من الضعفا والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون لم يحتاجوا ان يستاذنوا قال
النحاس واصل المعذرة والاعذار والتعذير من شي واحد وهو مما يصعب ويتعذر وقول
العرب من عذيري من فلان معناه قد اتى امرا عظيما يستحق ان اعاقبه عليه ولم يعلم الناس
به ان عاقبته فعلى قراءة التخفيف قال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر فاذن لهم النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا يا رسول الله ان غزونا معك غارت طيي على
حلائلنا واولادنا ومواشينا فعذرهم النبي صلى الله عليه وسلم وعلى قراءة التشديد في القول الثاني
هم قوم من غفار اعتذروا فلم يعذرهم النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه انهم غير محقين وقعد
قوم بغير عذر اظهروه جراة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين اخبر الله عنهم فقال
وقعد الذين كذبوا الله ورسوله والمراد بكذبهم قولهم انا مؤمنون وليؤذن نصب بلام
كي قوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله ينفقون فيه ست مسائل الاولى
قوله ليس على الضعفاء الاية اصل في سقوط التكليف عن العاجز فكل من عجز عن شي سقط
عنه فتارة الى بدل هو فعل وتارة الى بدل هو عزم ولا فرق بين العجز من جهة القوة والعجز من

جهته ونظير هذه الاية قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله ليس على الاعمى حرج ولا على
الاعرج حرج ولا على المريض حرج وروي ابو داود عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لقد تركت بعدكم قوما ما سرتم مسيرا ولا انفقتم من نفقة ولا قطعتم واديا الا وهم معكم قالوا يا
رسول الله كيف يكونوا معنا وهم بالمدينة قال حبسهم العذر فبثت بهذه الاية مع ما ذكرناه من
نظايرها انه لا حرج على المعذورين وهم قوم عرف عذرهم كارباب الزمانة والهرم والعمى والعرج
واقوام لم يجدوا ما ينفقون فقال ليس على هؤلاء حرج اذا نصحوا لله ورسوله يعني اذا عرفوا الحق
واحبوا اولياءه وابغضوا اعداءه وقال العلماء عذر الله سبحانه اصحاب الاعذار وما صبرت القلوب
فخرج ابن ام مكتوم الى احد وطلب ان يعطى اللوا فاخذه مصعب بن الكنا رفضربت يده التى
فيها اللوا فقطعها فامسكه باليد الاخرى فضربت اليد الاخرى فامسكه بصدره وقرا وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل هذا عزايم القوم والحق ليس على الاعمى حرج من نقبا الانصا
اعرج وهو في اول الجيش فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد عذرك فقال
والله لاحبون بعرجتي هذه في الجنة الى اشيا لهم حسب ما تقدم في هذه السورة من ذكرهم
رضي الله عنهم وقال عبد الله بن مسعود ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين رجلين حتى
يقام في الصف الثانية قوله تعالى اذا نصحوا لله النصح هو اخلاص العمل من الغش ومنه التوبة
النصوح قال نفطويه يقال نصح الشيء اذا خلص ونصح له في القول اذا اخلصه وفي صحيح مسلم
عن تميم الداري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النصيحة ثلاثا قلنا لمن قال لله
ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وقال علماؤنا النصيحة لله اخلاص الاعتقاد في الوحدانية
ووصفه بصفات الالوهية وتنزيهه عن النقايص والرغبة في محابه والبعد من
مساخطه والنصيحة لرسوله هو التصديق بنبوته والتزام طاعته في امره ونهيه وتعظيمه
وتعظيم سننه واحيا بها بعد موته بالحث عليها والتفقه فيها والذب عنها ونشرها والدعا اليها
وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه وتوقيره ومحبته ومحبة اهل بيته والتخلق باخلاقه
الكريمة صلى الله عليه وسلم وكذا النصح لكتاب الله قراءته والتفقه فيه والذب عنه وتعليمه واكرامه
والتخلق به والنصح لائمة المسلمين ترك الخروج عليهم وارشادهم الى الحق وتنبيههم فيما اغفلوه
من امور المسلمين ولزوم طاعتهم والقيام بواجب حقهم والنصح للعامة ترك معاداتهم وارشادهم
وحب الصالحين منهم والدعا لجميعهم وارادة الخير لكافتهم وفي الحديث الصحيح مثل المؤمنين
في توادهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له ساير الجسد بالسهر والحمى والله
اعلم الثالثة قوله تعالى ما على المحسنين من سبيل في موضع رفع ما اي من طريق الى العقوبة
وهذه الاية اصل في رفع العقاب عن كل محسن ولهذا قال علماؤنا في الذي يقتص من قاطع
يده فيقضي ذلك في السراية الى اتلاف نفسه انه لا دية له عليه لانه محسن في اقتصاصه من
المعتدي عليه وقال ابو حنيفة تلزمه الدية وكذلك اذا صال فحل على رجل فقتله في دفعه
عن نفسه فلا ضمان عليه وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة يلزمه لمالكه القيمة قال ابن العربي
وكذلك القول في مسائل الشريعة كلها الرابعة قوله تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم
روي ان الاية نزلت في عرباض بن سارية وقيل نزلت في عائذ بن عمرو وقيل نزلت في بني
مقرن وعلى هذا جمهور المفسرين وكانوا سبعة اخوة كلهم صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهم النعمان
ومعقل وعقيل وسويد وسنان وسابع لم يسم وليس في الصحابة سبعة اخوة غيرهم بنو مقرن

المزنيون

المزنيون سبعة اخوة هاجروا وصحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشاركهم فيما ذكر ابن عبد البر وجماعة
في هذه المكرمة غيرهم وقيل انهم شهدوا الخندق كلهم وقيل نزلت في سبعة نفر من بطون شتى
وهم البكاؤون اتوا النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ليحملهم فلم يجد ما يحملهم عليه فتولوا واعينهم
تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون فسموا البكائين وهم سالم بن عمرو بن عوف وعلبة
بن زيد اخو بني حارثة وابو ليلى بن كعب من بني مازن بن النجار وعمرو بن الحمام من بني سلمة
وعبد الله بن معقل المزني وقيل بل هو عبد الله بن عمرو المزني وهرمي بن عبد الله اخو بني
واقف وعرباض بن سارية الفزاري هكذا سماهم ابو عمر في كتاب الدرر له وفيهم اختلاف قال
القشيري هم معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله بن كعب الانصاري وسالم ابن عمير وثعلبة
بن غنمة وعبد الله بن معقل واخر قالوا يا نبي الله قد ندبتنا للخروج معك فاحملنا على الخفاف
المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا اجد ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون قال ابن
عباس سالوه ان يحملهم على الدواب وكان الرجل يحتاج الى بعير يركبه وبعير يحمل عليه ماءه
وزاده لبعد الطريق وقال الحسن نزلت في ابي موسى واصحابه اتوا النبي صلى الله عليه وسلم ليستحملوه
ووافق ذلك منه غضبا فقال والله لا احملكم عليه فتولوا يبكون فدعاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم واعطاهم ذودا فقال ابو موسى استحلفت يا رسول الله قال اما اني ان شاء الله لا
احلف بيمين فارى غيرها خيرا منها الا اتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني قلت وهذا
حديث صحيح اخرجه البخاري ومسلم بلفظه ومعناه وفي مسلم فدعا لنا فامر لنا بخمس ذود غرا ر
الدر الحديث وفي اخر الحديث فانطلقوا فانما حملكم الله وقال الحسن ايضا وبكر بن عبد الله
نزلت في عبد الله بن معقل المزني اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليستحمله قال الجرجاني التقدير
اي ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد فهو مبتدا معطوف على ما قبله بغير واو
والجواب تولوا واعينهم تفيض الجملة في موضع نصب على الحال حزنا مصدر الا يجدوا نصب بان
وقال النحاس قال الفرا يجوز ان لا يجدون الخامسة والجمهور من العلماء على ان من لا يجد
ما ينفقه في غزوة انه لا يجب عليه وقال بعض علمائنا اذا كانت عادته المسالة لزمه الحج وخرج
العادة لان عادته اذا لم تتغير يتوجه الفرض عليه لتوجهه على العادة والله اعلم السادسة
قوله تعالى واعينهم تفيض من الدمع حزنا ما يستدل على قراين الاحوال ثم منها ما يفيد العلم
الضروري ومنها ما يحتمل التردد فالاول كمن يمر على دار قد علا فيها النعي وخمشت الخدود
وحلقت الشعور وصلقت الاصوات وخرقت الجيوب ونادوا على صاحبها بالثبور فيعلم انه قد مات
واما الثاني فكدموع الايتام على ابواب الحكام قال الله تعالى مخبرا عن اخوة يوسف عليه السلام وجاؤا
اباهم عشاء يبكون وهم كاذبون قال الله تعالى مخبرا عنهم وجاؤ على قميصه بدم كذب ومع هذا فانها
قراين يستدل بها على الغالب فيبنى عليها الشهادات بناء على ظواهر الاحوال وغالبها وقال الشاعر
اذا اشتبكت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكى وسياتي هذا المعنى مستوفى في يوسف ان
شاء الله تعالى قوله عز وجل انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء يريد المنافقين
كرر ذكرهم للتاكيد في التحذير من سوء فعالهم قوله تعالى يعتذرون اليكم يعني المنافقين قل لا
تعتذروا لن نؤمن لكم اي لن نصدقكم قد نبانا الله من اخباركم اي اخبرنا باسراركم وسيرى الله
عملكم فيما تستانفون ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون اي يجازيكم
بعملكم وقد مضى هذا كله مستوفى قوله تعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم

اي لتصفحوا عن لومهم وقال ابن عباس اي لتكلموهم وفي الخبر قال عليه الصلاة والسلام لما قدم من
تبوك لا تجالسوهم ولا تكلموهم انهم رجس اي عملهم رجس والتقدير انهم ذو رجس اي عملهم قبيح
ومأويهم جهنم اي منزلهم وسكنا هم وقال الجوهري المأوى كل ما كان ياوي اليه شيء ليلا او نهارا
وقد اوى فلان الى منزله ياوى اويا على فعول وايوا واويته اذا انزلته بل فعلت وافعلت بمعنى
على ابي زيد وماوى الابل بكسر الواو لغة في ياوي الابل خاصة فهو شاذ قوله عز وجل يحلفون
لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الاعراب اشد كفرا ونفاقا
واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما
ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من
يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة
لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة
مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم
وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله
غفور رحيم خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن
لهم والله سميع عليم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات
وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم
واما يتوب عليهم والله عليم حكيم قوله يحلفون لكم لترضوا عنهم حلف عبد الله ابن ابي ان لا يتخلف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب ان يرضى عنه قوله عز وجل الاعراب اشد كفرا ونفاقا فيه
مسئلتان الاولى لما ذكر الله عز وجل احوال المنافقين بالمدينة ذكر من كان خارجا منها و بائيا
عنها من الاعراب فقال كفرهم اشد وقال قتادة لانهم ابعد من معرفة السنن وقيل لانهم اقسى
قلبا واجفى قولا واغلظ طبعا وابعد عن سماع التنزيل وكذلك قال الله تعالى في حقهم واجدر
اي اخلق ان لا يعلموا ان في موضع نصب بحذف الباء تقول انت جدير بان تفعل وان تفعل فاذا
حذفت الباء لم يصلح الا بان وان اتيت بالباء صلح بان وغيره وتقول انت جدير ان تقوم
وجدير بالقيام ولو قلت انت جدير القيام كان خطاء وانما صلح مع ان لان ان تدل على
الاستقبال فكانه عوض من المحذوف حدود ما انزل الله اي فرايض الشرع وقيل حجج الله
في الربوبية وبعثة الرسل لقلة نظرهم الثانية ولما كان ذلك ودل على بعضهم وحطهم
على المرتبة الكاملة عن سواهم ترتب على ذلك احكام ثلاثة اولها لا حق لهم في الفيء والغنيمة
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم من حديث بريدة وفيه ثم ادعهم الى التحول من
دارهم الى دار المهاجرين فان ابوا ان يتحولوا منها فاخبرهم انهم يكونوا كاعراب المسلمين يجري
عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء الا ان يجاهدوا
مع المسلمين وثانيها اسقاط شهادة اهل البادية على الحاضرة لما في ذلك من تحقق التهمة
واجازها ابو حنيفة قال لانها لا تراعى كل تهمة والمسلمون كلهم عنده على العدالة واجازها
الشافعي اذا كان معدلا مرضيا وهو الصحيح لما بيناه في البقرة وقد وصف الله تعالى الاعراب

هنا

هنا باوصاف ثلثة احدها بالكفر والنفاق والثاني بانه يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر
والثالث بالايمان بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول فمن
كانت هذه صفته فبعيد ان لا تقبل شهادته فيلحق بالثاني والاول وذلك باطل وقد مضى
الكلام في هذا في النساء وثالثها بان امامتهم لاهل الحاضرة ممنوعة لجهلهم بالسنة وتركهم الجمعة
وكره ابو مخلد قراءة الاعرابي قال مالك لا يوم وان كان اقراهم قال سفيان الثوري والشافعي
واسحق واصحاب الراي الصلاة خلف الاعرابي جايزة واختاره ابن المنذر اذا اقام حدود الصلاة
وقوله اشد اصله اشدد وقد تقدم وكفرا نصب على البيان ونفاقا عطف عليه واجدر عطف على
اشد ومعناه اخلق يقال فلان جدير بكذا اي خليق به وانت جدير ان كذا والجمع جدرا وجديرون
واصله من جدر الحايط وهو رفعه بالبنا فقوله هو اجدر بكذا اي اقرب اليه واحق به ان لا
يعلموا اي بان لا يعلموا والعرب جيل من الناس والنسبة اليهم عربي بين العروبة وهم اهل
الامصار والاعراب منهم سكان البادية خاصة وجاء في الشعر الفصيح اعاريب والنسبة الى
الاعراب اعرابي لانه لا واحد له وليس الاعراب جمعا للعرب كما كان الانباط جمعا النبط وانما
العرب اسم جنس والعرب العاربة هم الخلص منهم واحد من لفظه فتاكد به كقوله دليل الابل
وربما قالوا العرب العربا وتعرب اي تشبه بالعرب وتعرب بعد هجرته اي صار اعرابيا والعرب
المستعربة هم الذين يخلص وكذلك المعربة والعربية وهي هذه اللغة ويعرب بن قحطان
اول من تكلم بالعربية قال الشاعر وسكن الضباب طعام العريب ولا تشتهيه نفوس العجم
انما صغرهم تعظيما كما قال انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب كله عن الجوهري وحكى
القشيري جمع العرب العرب وجمع الاعرابي اعراب واعاريب والاعرابي اذا قيل له يا اعرابي
غضب والمهاجرون والانصار عرب لا اعراب وسميت العرب عربا لان ولد اسمعيل نشئوا
من عربة وهي تهامة فنسبوا اليها واقامت قريش بعربة وهي مكة وانتشر ساير العرب في
جزيرتها قوله عز وجل ومن الاعراب من يتخذ من في موضع رفع بالابتداء ما ينفق مغرما
مفعولان والتقدير ينفقه فحذفت الهاء لطول الاسم مغرما معناه غرما وخسرانا واصله
لزوم الشيء ومنه ان عذابها كان غراما اي لازما اي يرون ما ينفقون في جهاد وصدقة
غرما ولا يرجون عليه ثوابا ويتربص بكم الدوائر التربص الانتظار وقد تقدم والدواير
جمع دايرة وهي الحالة المتغلقة عن النعمة الى البلية اي يجمعون الى الجهل بالانفاق سوء الخلة
وخبث القلب عليهم دايرة السوء قرا ابن كثير وابو عمرو بضم السين هنا وفي سورة الفتح
وفتحها الباقون واجمعوا على فتح السين في قوله ما كان ابوك امرء سوء والفرق بينهما ان
السوء بالضم المكروه قال الاخفش اي عليهم دايرة الهزيمة والشر وقال الفراء اي عليهم دايرة
العذاب والاسر وحكي عن محمد بن يزيد قال السوء بالفتح الرداة قال سيبويه مررت برجل
صدق ومعناه برجل صلاح وليس من صدق اللسان ولو كان من صدق اللسان لما قلت
مررت بثوب صدق ومررت برجل سوء ليس هو من سوته وانما هو مررت برجل فساد
وقال الفراء السوء بالفتح مصدر سوته سوا ومساة وسوئة قال غيره والفعل الى الله تعالى
يقال ساء يسوء منه والسوء بالضم اسم لا مصدر له وهو كقولك عليهم دايرة البلاء والمكروه
قوله عز وجل ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر اي صدق والمراد بنو مقرن من مزينة
ذكره المهدوي وقربات جمع قربة وهي ما يتقرب به الى الله تعالى والجمع قرب وقربات

يقول منه قربت لله قربانا والقربة بكسر القاف ما يستقى فيه الماء والجمع في ادنى العدد قربات وقربات وقربات والكثير قرب وكذلك كل ما كان على فعلة مثل سدرة وفقرة لك ان تفتح العين وتكسر وتسكن حكاه الجوهري وقرا نافع في رواية ورش قربة بالضم في الراء وهي الاصل والباقون بسكونها تخفيفا مثل كتب وكتب ولا خلاف في قربات وحكى ابن سعدان يزيد بن القعقاع قرا الا انها قربة لهم ومعنى صلوات الرسول استغفاره ودعاؤه والصلاة تقع على ضروب فالصلاة من الله عز وجل الرحمة والخير والبركة قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته والصلاة من الملائكة الدعا وكذلك هي من النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم دعاؤك تثبيت لهم وطمانينة الا انها قربة لهم اي تقربهم برحمة الله يعني نفقاتهم والله اعلم قوله عز وجل والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار فيه سبع مسائل الاولى لما ذكر عز وجل اصناف الاعراب ذكر المهاجرين والانصار وبين ان فيهم السابقون الى الهجرة وان منهم التابعين واثنى عليهم وقد اختلف في عدد طبقاتهم واصنافهم ونحن نذكر من ذلك طرفا نبين الغرض فيه ان شاء الله تعالى ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قرا والانصار رفعا عطفا على السابقين منهما والانصار اسم اسلامي قيل لانس بن مالك ارايت قول الناس لكم الانصار اسم سماكم الله به ام كنتم تدعون به في الجاهلية قال بل اسم سمانا الله به في القرآن ذكره ابو عمر في الاستذكار الثانية نص القرآن على تفضيل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار وهم الذين صلوا للقبلتين في قول سعيد بن المسيب وطائفة ومن قول اصحاب الشافعي هم الذين شهدوا بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية قال الشعبي وعن محمد بن كعب وعطا بن يسار هم اهل بدر واتفقوا على ان من هاجر قبل تحويل القبلة فهو من المهاجرين الاولين من غير خلاف بينهم واما افضلهم وهي الثالثة فقال ابو منصور البغدادي نص اصحابنا مجمعون على ان افضلهم الخلفاء الاربعة ثم الستة الباقون على تمام العشرة ثم البدريون ثم اصحاب احد ثم اهل بيعة الرضوان بالحديبية انتهى الرابعة واما اولهم اسلاما فروى مجاهد عن الشعبي قال سالت ابن عباس من اول الناس اسلاما قال ابو بكر اما سمعت قول حسان، اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة، فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا، خير البرية اتقاها واعدلها، بعد النبي واوفاها بما حملا، الثاني التالي المحمود مشهده، واول الناس منهم صدق الرسلا، وذكر ابو الفرج الجوزي عن يوسف بن يعقوب بن الماجشون انه قال ادركت ابي ومشيختنا محمد بن المنكدر وربيعة بن عبد الرحمن وصالح بن كيسان وسعيد بن ابراهيم وعثمان بن محمد الاخنسي وهم لا يشكون ان اول القوم اسلاما ابو بكر وهو قول ابن عباس وحسان واسما بنت ابي بكر وبه قال ابراهيم النخعي وقيل علي اول من اسلم وروي ذلك عن زيد بن ارقم وابي ذر والمقداد وغيرهم وقال الحاكم ابو عبد الله لا اعلم خلافا بين اصحاب التواريخ ان عليا اولهم اسلاما وقيل اول من اسلم زيد بن حارثة وقيل اول من اسلم خديجة ام المؤمنين روي ذلك من وجوه عن الزهري وهو قول قتادة ومحمد بن اسحق وعطا بن يسار وجماعة وروي عن ابن عباس ايضا وادعى الثعلبي المفسر اتفاق العلماء على ان اول من اسلم خديجة وان اختلافهم انما هو فيمن اسلم بعدها وكان اسحاق بن ابراهيم بن راهويه الحنظلي يجمع بين هذه الاخبار وكان يقول اول من اسلم من الرجال ابو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي ومن الموالي زيد بن حارثة ومن العبيد بلال والله اعلم وذكر محمد بن سعد قال اخبرني مصعب

بن ثابت قال حدثني ابو الاسود محمد بن عبد الرحمن قال كان اسلام الزبير بعد ابي بكر وكان رابعا او خامسا قال الليث بن سعد وحدثني ابو نوفل الاسود قال اسلم الزبير وهو ابن ثمان سنين وروي ان عليا اسلم ابن تسع سنين وقيل ابن عشر الخامسة والمعروف من طريقة اهل الحديث ان كل مسلم راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من الصحابة قال البخاري في صحيحه من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او راه من المسلمين فهو من اصحابه وروي عن سعيد بن المسيب انه كان لا يعد الصحابي الا من اقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة او سنتين وغزا معه غزوة او غزوتين وهذا القول ان صح عن سعيد يوجب ان لا يعد مع الصحابي جرير بن عبد الله البجلي ومن شاركه في فقد ظاهر ما اشترطه فيهم ممن لا يعرف خلافا في عده من الصحابة السادسة لا خلاف ان اول السابقين من المهاجرين ابو بكر الصديق وقال ابن العربي السبق يكون بثلاثة اشياء الصفة وهو الايمان والزمان والمكان وافضل هذه الوجوه سبق الصفات والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح نحن الاخرون الاولون بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله فاليهود غدا والنصارى بعد غد فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان من سبقنا من الامم بالزمان سبقناهم بالايمان والامتثال لامر الله والانقياد اليه والاستسلام لامره والرضى بتكليفه والاحتمال لوظائفه لا نعترض عليه ولا نختار معه ولا نبدل بالراي شريعته كما فعل اهل الكتاب وذلك بتوفيق الله لما قضاه وتيسيره لما يرضاه وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله السابعة قال ابن خويزمنداذ تضمنت هذه الاية تفضيل السابقين في كل منقبة من مناقب الشريعة من علم او دين او شجاعة او غير ذلك في العطا في المال والرتبة والاكرام وفي هذه المسئلة خلاف بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما واختلف بعض العلماء في تفضيل السابقين بالعطا على غيرهم فروي عن ابي بكر رضي الله عنه انه كان لا يفضل الناس في العطا بعضهم على بعض بحسب السابقة وكان عمر يقول له اتجعل ذا السابقة كمن لا سابقة له فقال ابو بكر انما عملوا واجرهم على الله وكان عمر يفضل في خلافته ثم قال عند وفاته لئن عشت الى الغد لالحقن اسفل الناس باعلاهم فمات من ليلته والخلاف الى يومنا هذا قوله عز وجل والذين اتبعوهم باحسان فيه مسئلتان الاولى قرا عمر والانصار رفع الذين باسقاط الواو فجعلها للانصار فراجعه زيد بن ثابت فسال عمر ابي بن كعب فصدق زيدا فرجع اليه عمر وقال ما كنا نرى الا انا رفعنا رفعة لا ينالها معنا احد فقال له ابي مصداق ذلك في كتاب الله تعالى في اول سورة الجمعة واخرين منهم لما يلحقوا بهم وفي سورة الحشر والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وفي سورة الانفال في قوله والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم فثبتت القراءة بالواو وبين تعالى بقوله باحسان ما يتبعون فيه من افعالهم واقوالهم لا فيما صدر عنهم من الهفوات والزلات اذ لم يكونوا رضي الله عنهم معصومين الثانية واختلف العلماء في التابعين وفي مراتبهم فقال الخطيب الحافظ التابعي من صحب الصحابي ويقال للواحد منهم تابع وتابعي وكلام الحاكم ابي عبد الله مشعر بانه يكفي فيه ان يسمع من الصحابي او يلقاه وان لم توجد الصحبة وقد قيل ان اسم التابعين ينطلق على من اسلم بعد الحديبية كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ومن داناهم من مسلمة الفتح لما ثبت ان عبد الرحمن بن عوف شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوا لي اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم كل يوم مثل احد ذهبا ما بلغ احدهم ولا نصيفه ومن العجب للحاكم

ابوعبدالله النعمان وسويدابني مقرون المزني في التابعين عندما ذكرا الاخوة من التابعين وهما صحابيان
معروفان مذكوران في الصحابة وقد شهدا الخندق كما تقدم والله اعلم واكثر التابعين الفقهاء
السبعة من اهل المدينة وهم سعيد بن المسيّب والقاسم بن محمد وعروة بن الزبير وخارجة بن
زيد ابن عبدالرحمن وعبدالله بن عتبة بن مسعود وسليمان بن يسار وقد نظمهم بعض الاجلة في
بيت واحد فقال ـــ فخذهم عبيدالله عروة قاسم، سعيد ابوبكر سليمان خارجه، وقال احمد بن
حنبل افضل التابعين سعيد بن المسيب فقيل له فعلقمة والاسود فقال سعيد بن المسيب وعلقمة
والاسود وعنه ايضا انه قال افضل التابعين قيس وابن عثمان وعلقمة ومسروق هؤلاء كلهم
فاضلين ومن عليه التابعين وقال ايضا كان عطا مفتي مكة والحسن مفتي البصرة فهذا اكثر
الناس عنهم رواية وروي عن ابي بكر بن ابي داود وقال سيدة التابعين من النساء حفصة بنت
سيرين وعمرة بنت عبدالرحمن وثالثتهما وليست كهما ام الدرداء وروي عن الحاكم ابي عبدالله
قال طبقة تعد في التابعين وانه لم يصح سماع احد منهم من الصحابة منهم ابراهيم بن سويد النخعي وليس
بابراهيم ابن يزيد الفقيه وبكير بن ابي السمط وبكير ابن عبدالله الاشج وذكر غيرهم قال وطبقة
عدادهم عند الناس في اتباع التابعين وقد لقوا الصحابة منهم ابو الزناد عبدالله بن ذكوان لقي
عبدالله بن عمرو وهشام بن عروة وقد ادخل على عبدالله بن عمر وجابر بن عبدالله وموسى بن
عقبة وقد ادرك انس بن مالك وام خالد بنت خالد بن سعيد وفي التابعين طبقة تسمى
بالمخضرمين وهم الذين ادركوا الجاهلية وحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا ولا صحبة لهم
واحدهم مخضرم بفتح الراء كانه مخضرم اي قطع من نظائره الذين ادركوا الصحبة وغيرها وذكرهم
مسلم فبلغ بهم عشرين نفسا منهم ابوعمرو الشيباني وسويد بن عقبة الكندي وعمرو بن ميمون الازدي
وابو عثمان النهدي وعبد خير بن يزيد الخيواني بفتح الخاء بطن من همدان وعبدالرحمن بن مل وابو
جلا العكي وربيعة ابن زرارة وممن لم يذكره مسلم منهم ابو مسلم الخولاني وعبدالله بن ثوبة
والاحنف بن قيس فهذه نبذة من معرفة الصحابة والتابعين الذين نطق بفضلهم القران العظيم
رضوان الله عليهم اجمعين وكفانا نحن قوله عز وجل كنتم خير امة اخرجت للناس على ما تقدم
وقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت انا
قد راينا لاخواننا الحديث فجعلنا صلى الله عليه وسلم اخوانه ان اتقينا الله واقتفينا اثاره
حشرنا الله في زمرته ولا حاد بنا عن طريقته وسلمه بمحمد وعترته قوله عز وجل وممن حولكم من
الاعراب منافقون ومن اهل المدينة هذا ابتدا وخبر اي قوم منافقون يعني مزينة وجهينة واسلم
وغفار واشجع ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق وقيل مردوا من نعت المنافقين فيكون
في الكلام تقديم وتاخير المعنى وممن حولكم من الاعراب منافقون مردوا على النفاق ومن
اهل المدينة كذلك ومعنى مردوا اي قاموا ولم يتوبوا عن ابن زيد وقال غيره لجوا فيه وابوا غيره
والمعنى متقارب واصل الكلمة من اللين والملامسة والتجرد فكانهم تجردوا للنفاق ومنه مرد
لا ينبت فيها وغصن امرد لا ورق عليه وفرس امرد لا شعر على ثنته وغلام امرد بين المرودة ولا
يقال جارية مردا وتمريد البنا تمليسه ومنه قوله تعالى صرح ممرد وتمريد الغصن تجريده
من الورق يقال مرد يمرد مرودا ومرادة وقوله تعالى لا تعلمهم نحن نعلمهم على ما تقدم وقيل المعنى
لا تعلم يا محمد عاقبة امرهم واما نحن نختص بعلمها وهذا يمنع ان يحكم على احد بجنة او بنار قوله
عز وجل سنعذبهم مرتين قال ابن عباس بالامراض في الدنيا وعذاب الاخرة مرض المؤمن كفارة

ومرض الكفار عقوبة وقيل العذاب الاول الفضيحة باطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على ما ياتي بيانه في
المنافقين والعذاب الثاني عذاب القبر ابن زيد الاول بالمصايب في اموالهم واولادهم والثاني
عذاب الحشر قتادة عذاب الدنيا وعذاب القبر مجاهد الجوع والقتل وقال الفرا القتل وعذاب القبر
وقيل السبا والقتل وقيل الاول اخذ الزكاة من اموالهم واخذ الحدود عليهم والثاني عذاب القبر
وقيل اخذ العذابين كما قال تعالى فلا تعجبك اموالهم الى قوله انما يريد الله ليعذبهم بها في
الدنيا والغرض من الاية اتباع العذاب او تضعيف العذاب عليهم قوله تعالى واخرون اعترفوا
بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا اي ومن اهل المدينة وممن حولكم قوم اقروا بذنوبهم واخرون
مرجون لامر الله يحكم فيهم بما يريد فالشق الاول يحتمل انهم كانوا منافقين وما مردوا على النفاق
ويحتمل انهم كانوا مؤمنين قال ابن عباس نزلت في عشرة تخلفوا عن غزوة تبوك فاوثق سبعة
منهم انفسهم في سواري المسجد وقال بنحوه قتادة وقال فيهم نزل خذ من اموالهم صدقة ذكره زيد
وي وقال زيد بن اسلم كانوا ثمانية وقيل كانوا ستة وقيل خمسة وقال مجاهد نزلت الاية
في ابي لبابة الانصاري خاصة في شانه مع بني قريظة وذلك انهم كلموه في النزول على حكم الله
ورسوله فاشار لهم الى حلقه يريد ان النبي صلى الله عليه وسلم يريد ان يذبحهم ان نزلوا فلما افتضح
تاب وندم وربط نفسه في سارية من سواري المسجد واقسم ان لا يطعم ولا يشرب حتى يعفو الله عنه او يموت
فمكث كذلك حتى عفا الله عنه ونزلت هذه الاية وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحله ذكره الطبري
عن مجاهد وذكره ابن اسحق في السير باوعب وقال اشهب عن مالك نزل قوله واخرون في شان
وقال حين اصاب الذنب يا رسول الله اجاورك فاخلع من مالي فقال عليه الصلاة والسلام
يجزيك من ذلك الثلث وقد قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها
رواه ابن القاسم وابن وهب عن مالك والجمهور ان الاية نزلت في شان المتخلفين عن
غزوة تبوك وكانوا ربطوا انفسهم كما فعل ابو لبابة وعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلقهم ويرضى عنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم
ولا اعذرهم يعني امر باطلاقهم كما رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين وانزل الله هذه
الاية فلما نزلت ارسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فاطلقهم وعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول
الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال ما امرت ان اخذ
من اموالكم شيئا فانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة قال ابن عباس كانوا عشرة انفس
منهم ابو لبابة فاخذ ثلث اموالهم فكانت كفارة للذنوب التي اصابوها فكان عملهم السيئ
التخلف باجماع من اهل هذه المقالة واختلفوا في الصالح فقال الطبري وغيره هو الاعتراف
والتوبة والندم وقيل عملهم الصالح الذي عملوه انهم لحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وربطوا
انفسهم بسواري المسجد وقالوا لا نقرب اهلا ولا ولدا حتى ينزل الله عذرنا وقالت فرقة بل العمل
الصالح عذرهم فيما سلف من غزو النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الاية وان كانت نزلت في الاعراب
فهي عامة الى يوم القيمة فيمن له اعمال صالحة وسيئة فهي ترجى ذكر الطبري عن حجاج بن ابي ذئب
قال سمعت ابا عثمان يقول ما في القران ارجى عندي لهذه الامة من قوله واخرون اعترفوا
بذنوبهم وفي البخاري عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا اتاني الليلة
اتيان ابتعثاني فانتهينا الى مدينة مبنية بلبنة ذهب ولبنة فضة فتلقانا رجال
شطر من خلقهم كاحسن ما انت راء وشطر كاقبح ما انت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا في

ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا فذهب ذلك السواد عنهم فصاروا فى احسن صورة فالا لي
منده جنة عدن بها دارك ومنزلك قالا اما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر قبيح
فانهم خلطوا عملا صالحا ولخر سيئا تجاوز الله عنهم فصاروا فى احسن صورة وذكر البيهقي من حديث
الربيع بن انس عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث الاسرا وفيه قال ثم صعد بي الى
السماء ثم ذكر الحديث الى ان ذكر صعوده الى السماء السابعة فقالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم
الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي جاء فاذا برجل اشمط جالس على كرسي عند باب الجنة وعنده قوم بيض
الوجوه وقوم سود الوجوه وفى الوانهم شي فاتوا بنهر فاغتسلوا فيه فخرجوا منه وقد خلص
من الوانهم شيء ثم انهم اتوا نهرا اخر فاغتسلوا فيه فخرجوا منه وقد خلص من الوانهم مثل
الوان اصحابهم فجلسوا الى اصحابهم فقلت يا جبرائيل من هؤلاء البيض الوجوه وهؤلاء الذين
فى الوانهم شيء فدخلوا النهر وقد خلصت الوانهم فقال هذا ابوك ابراهيم هو اول رجل شمط
على وجه الارض وهؤلاء البيض الوجوه قوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم قال واما هؤلاء الذين
فى الوانهم شي خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم فاما النهر الاول فرحمة الله
واما النهر الثاني فنعمة الله واما الثالث فسقاهم ربهم شرابا طهورا وذكر الحديث والواو
فى واخر سيئا بمعنى الباء وقيل بمعنى مع كقولك استوى الماء والخشبة وانكره الكوفيون قالوا
لان الخشبة لا يجوز تقديمها على الماء واخر فى الاية يجوز تقديمه على الاول فهو بمنزلة خلطت الماء
باللبن قوله عز وجل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فيه ثمان مسايل الاولى
قوله خذ من اموالهم صدقة اختلف فى هذه الصدقة المامور بها فقيل هي صدقة غير الفرض
قاله جرير عن ابن عباس وهذا قول عكرمة فيما ذكر القشيري وقيل هي مخصوصة بمن نزلت
فيه فان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ منهم ثلث اموالهم وليس هذا من الزكاة المفروضة فى شي
ولهذا قال مالك اذا تصدق بجميع ماله اجزاه اخراج الثلث متمسكا بحديث ابي لبابة وعلى
القول الاول فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقتضي بظاهره اختصاصه عليه فلا ياخذ
الصدقة سواه ويلزم على هذا سقوطها بسقوطه وزوالها بزواله وبهذا تعلق مانعو الزكاة
على ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقال انه كان يعطينا عوضا منها التطهير والتزكية والصلاة
علينا وقد عدمناها من غيره وقد نظم فى ذلك شاعرهم فقال شعر اطعنا رسول الله ما كان
بيننا • فيا عجبا ما قال ذاك ابو بكر • فان الذي سالكموا فمنعتم • لكالتمر واحلى لديهم من التمر •
سنمنعهم ما دام فينا بقية • كرام على الضراء فى العسر واليسر • وهذا صنف من القايمين على ابي بكر
امثلهم طريقة وفى حقهم قال ابو بكر والله لاقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ابن العربي اما
قولهم ان هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يلتحق به غيره فهو كلام جاهل بالقران غافل
عن ماخذ الشريعة متلاعب بالدين فان الخطاب فى الدين لم يرد بابا واحدا ولكن اختلفت
موارده على وجوه فمنها خطاب توجه على جميع الامة كقوله يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى
الصلاة وقوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام ونحوه وخطاب خص به ولم يشركه فيه
غيره لفظا ولا معنى كقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقوله تعالى خالصة لك من دون
المومنين ومنها خطاب خص به لفظا وشركه جميع الامة معنى وفعلا كقوله اقم الصلاة
لدلوك الشمس الاية وقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله وقوله واذا كنت فيهم فاقمت
لهم الصلاة فكل من دلكت عليه الشمس مخاطب بالصلاة وكذلك كل من قرا القران مخاطب

بالاستعاذة وكذلك من خاف يقيم الصلاة ومن هذا القبيل قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة
وعلى هذا المعنى جاء قوله يا ايها النبي اتق الله وقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الثانية قوله
تعالى خذ من اموالهم ذهب بعض العرب وهي دوس الى ان المال الثياب والمتاع والعروض
ولا يسمي العين مالا وقد جاء هذا المعنى فى السنة الثابتة من رواية مالك عن ثور بن زيد
الديلي عن ابي الغيث سالم مولى بني مطيع عن ابي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام خيبر فلم نغنم ذهبا ولا ورقا الا الاموال الثياب والمتاع والحرث وذهب بعضهم الى ان المال
الصامت من الذهب والورق وقيل الابل خاصة ومنه قولهم المال الابل وقيل جميع الماشية
وذكر ابن الانباري عن احمد بن يحيي ثعلب النحوي قال لما قصر عن بلوغ ما تجب فيه الزكاة من
الذهب والورق فليس بمال وانشد • والله ما بلغت بي قط ماشية • حد الزكاة ولا ابل
ولا مال • قال ابو عمر والمعروف من كلام العرب ان كل ما تمول وتملك فهو مال لقوله صلى
الله عليه وسلم يقول ابن ادم مالي مالي وانما له ما اكل فافنى ولبس فابلا او تصدق فامضى
وقال ابو قتادة فاعطاني الدرع فابتعت به مخرفا فى بني سلمة فانه لاول مال تاثلته فى
الاسلام فمن حلف بصدقة ماله كله فذلك على كل نوع من ماله سواء كان مما تجب فيه الزكاة
او لم تكن الا ان ينوي شيئا بعينه فيكون ما نواه وقد قيل ان ذلك على اموال الزكاة والعلم
محيط واللسان شاهد بان ما يملك يسمى مالا والله اعلم الثالثة خذ من اموالهم صدقة
مطلق غير مقيد بشرط فى الماخوذة ولا فى الماخوذ منه وانما بيان ذلك فى السنة والاجماع
حسبما نذكره فتوخذ الزكاة من جميع الاموال وقد اوجب النبي صلى الله عليه وسلم الزكاة
فى المواشي والحبوب والعين وهذا ما لا خلاف فيه واختلفوا فيما سوى ذلك كالخيل وساير
العروض وسياتي ذكر الخيل والعسل فى النحل ان شاء الله تعالى وروي الايمة عن ابي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس فيما دون خمسة اواق من الورق صدقة
وليس فيما دون خمسة ذود من الابل صدقة وقد مضى الكلام فى زكاة الحبوب وفى الانعام
وما تنبته الارض مستوفى وفى المعادن فى البقرة وفى الحلي فى هذه السورة واجمع العلماء
على ان الاوقية اربعون درهما فاذا ملك الحر المسلم مايتي درهم من فضة مضروبة وهي الخمس
اواق المنصوصة فى الحديث حولا كاملا فقد وجبت عليه صدقتها وذلك ربع عشرها خمسة
دراهم وانما اشترط الحول لقوله صلى الله عليه وسلم ليس فى مال زكاة حتى يحول عليه الحول
اخرجه الترمذي وما زاد على المايتي درهم من الورق فبحساب ذلك فى كل شيء منه ربع عشره قل
او كثر وهذا قول مالك والشافعي والليث واكثر اصحاب ابي حنيفة وابن ابي ليلى والثوري
والاوزاعي واحمد بن حنبل وابي ثور واسحق وابن عبيد ويروى ذلك عن علي وابن عمر وقالت
طايفة لا شيء فيما زاد على المايتي درهم حتى تبلغ الزيادة اربعين درهما فاذا بلغتها كان فيها
درهم وذلك ربع عشرها هذا قول سعيد بن المسيب والحسن وعطاء وطاوس والشعبي ومكحول
والزهري وابي حنيفة وعمرو بن دينار الرابعة واما زكاة الذهب فالجمهور من العلماء على
ان الذهب اذا كان عشرون دينارا وقيمتها مايتا درهم فما زاد ان الزكاة فيها واجبة على
حديث علي اخرجه الترمذي عن ضمرة والحارث عن علي وقال الترمذي سالت محمد بن اسمعيل
عن هذا الحديث فقال كلاهما عندي صحيح عن ابن اسحق يحتمل ان يكون عنهما جميعا وقال الباجي
فى المنتقى وهذا الحديث ليس اسناده هناك غير ان اتفاق العلماء على الاخذ به دليل على

صحة حكمه والله اعلم وروي عن الحسن والثوري واليه مال بعض اصحاب داود بن علي ان الذهب
لا زكاة فيه حتى يبلغ اربعون دينارا و هذا يرده حديث علي وحديث ابن عمر وعايشة ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان ياخذ من كل عشرين دينارا نصف دينار ومن الاربعين دينارا دينارا
وعلى هذا جماعة اهل العلم الا من ذكر الخامسة اتفقت الامة على ان ما كان دون خمس ذود
من الابل فلا زكاة فيه فاذا بلغت خمسا ففيها شاة تقع على واحد من الغنم الضان والمعز جميعا
وهذا ايضا اتفاق من العلماء فليس في خمس الا شاة واحدة وهي فريضتها وصدقة المواشي
مبينة في الكتاب الذي كتبه الصديق لانس لما وجهه الى البحرين اخرجه البخاري وابو داود
والدارقطني والنسائي وابن ماجة وغيرهم وكلهم متفقون عليه والخلاف فيه في موضعين
احدهما في زكاة الابل وهي اذا بلغت احدى وعشرين ومائة فقال مالك ان المصدق بالخيار
ان شاء اخذ ثلاث بنات لبون الى ان تبلغ ثلاثين ومائة فيكون فيها حقة وابنتا لبون
وقال ابن القاسم ورأى على قول ابن شهاب وذكر ابن حبيب ان عبد العزيز بن ابي سلمة وعبد
العزيز بن ابي حازم وابن دينار يقولون بقول مالك واما الموضع الثاني فهو في صدقة الغنم
وهي اذا زادت على ثلاث مائة شاة شاة فان الحسن بن صالح بن حي قال فيها اربع شياه ثم كلما
زادت مائة ففيها شاة اجماعا واتفاقا قال ابن عبد البر وهذه مسئلة وهم فيها ابن المنذر وحكى
فيها عن العلماء الخطا واخلط واكثر التخليط السادسة لم يذكر البخاري ولا مسلم في صحيحهما تفصيل
زكاة البقر وخرجه ابو داود والترمذي والنسائي والدارقطني ومالك في الموطا وهي مرسلة
موقوفة ومقطوعة قال ابو عمر وقد رواه جماعة عن طاووس عن معاذ الا ان الذين ارسلوه
اثبت من الذين اسندوه وممن اسند بقيته عن المسعودي عن الحكم عن طاووس عن معاذ وقد
اختلفوا فيما ينفرد به بقية الثقاة ورواه الحسن بن عمارة عن الحكم كما رواه البقية عن المسعودي
عن الحكم والحسن مجمع على ضعفه وقد روى هذا الخبر باسناد متصل صحيح ثابت من غير رواية
طاووس ذكره عبد الرزاق قال اخبرنا معمر والثوري عن الاعمش عن ابي وايل عن مسروق عن
معاذ بن جبل قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن يامره ان ياخذ من كل ثلاثين
بقرة تبيعا او تبيعة ومن الاربعين مسنة او عدلهما معافر ذكره الدارقطني وابو سعيد
الترمذي وصححه قال ابو عمر ولا خلاف بين العلماء ان الزكاة في زكاة البقر على النبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه انه في ثلاثين بقرة تبيع وفي اربعين مسنة الا شيء روي عن سعيد
ابن المسيب وابي قلابة والزهري وقتادة فانهم يوجبون في كل خمس من البقر شاة الى ثلاثين
فهذه جملة من تفصيل الزكاة باصولها وفروعها في كتب الفقه ويأتي ذكر الخلطة في
سورة ص ان شاء الله تعالى السابعة قوله تعالى صدقة ماخوذ من الصدق اذ هي
دليل على صحة ايمانه وصدق باطنه مع ظاهره وانه ليس من المنافقين الذين يلمزون المطوعين
من المؤمنين في الصدقات تطهرهم وتزكيهم بها حالين للمخاطب التقدير خذها مطهرا لهم
ومزكيا لهم بها ويجوز ان يجعل صفتين للصدقة اي صدقة مطهرة لهم مزكية ويكون فاعل
تزكيهم المخاطب ويعود الضمير الذي في بها على الموصوف المنكر وحكى النحاس ان تطهرهم من صفة
الصدقة وتزكيهم بها حال من المضمر في خذ وهو للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون حالا
من الصدقة وذلك ضعيف لانها حال من نكرة قال الزجاج والاجود ان تكون المخاطبة للنبي
صلى الله عليه وسلم اي فانك تطهرهم وتزكيهم بها على القطع والاستيناف ويجوز الجزم على الجواب

والمعنى ان تاخذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم ومنه قول امرئ القيس قفا نبك من ذكرى
حبيب ومنزل وقرا الحسن تطهرهم وهو منقول بالهمز من طهر واطهرته الثامنة قوله تعالى
وصل عليهم في فعل كل امام ياخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق بالبركة روى مسلم عن عبد الله بن ابي
اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتى ابو
اوفى بصدقته فقال اللهم صل على ال ابي اوفى ذهب الى هذا قوم وذهب اخرون الى ان هذا
منسوخ بقوله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا قالوا فلا يجوز ان يصلى على احد الا على النبي
صلى الله عليه وسلم وحده خاصة ولانه خص واستدلوا بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
الاية وبان عبد الله بن عباس كان يقول لا تصل على احد الا على النبي صلى الله عليه وسلم والاول اصح
فان الخطاب ليس مقصورا عليه كما تقدم ويأتي في الاية بعد هذا فيجب الاقتداء برسول الله صلى الله
عليه وسلم والتاسي به لانه كان يمتثل قوله وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم اي اذا دعوت لهم
حين ياتون بصدقاتهم سكن ذلك قلوبهم وفرحوا به وقد روى جابر بن عبد الله قال
اتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لامراتي لا تسالي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فقالت يخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندنا ولا نسأله شيئا فقالت يا رسول الله صل على زوجي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليك وعلى زوجك والصلاة هنا الرحمة والترحم قال
النحاس وحكى اهل اللغة جميعا فيما علمناه ان الصلاة في كلام العرب الدعاء ومنه الصلاة على
الجنائز وقرا حفص والكسائي ان صلاتك بالتوحيد وجمع الباقون الاختلاف في اصلواتك بالمرك
وقرئ سكن لهم بسكون الكاف قال قتادة وقال لهم والسكن ما تسكن به وتطمئن به القلوب
قوله تعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده فيه مسئلتان الاولى قيل قال الذين
لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم الان وما هذه
الخاصة التي خصوا بها دوننا فنزلت الم يعلموا فالضمير في يعلموا عائد الى الذين لم يتوبوا من
المتخلفين قال معناه ابن زيد ويحتمل ان يعود الى الذين تابوا وربطوا انفسهم وقوله تعالى
هو تاكيد لانفراد الله سبحانه بهذه الامور وتحقيق ذلك انه لو قال ان الله يقبل التوبة
لاحتمل ان يكون قبول رسوله قبولا منه فبينت الاية ان ذلك مما لا يصل اليه نبي ولا ملك
الثانية قوله تعالى وياخذ الصدقات هذا نص صريح في ان الله تعالى هو الاخذ لها والمثيب
عليها وان الحق له عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم واسطة فان توفي فعامله هو الواسطة بعده
والله عز وجل حي لا يموت وهذا يبين ان قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة ليس مقصورا على النبي
صلى الله عليه وسلم كما تقدم وروى الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله يقبل الصدقة فياخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي احدكم مهره حتى ان اللقمة لتصير
مثل احد وتصديق ذلك في كتاب الله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات
ويمحق الله الربا ويربي الصدقات قال هذا حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم لا يتصدق واحد
بتمرة من كسب طيب الا اخذها الله بيمينه وفي رواية فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم
من الجبل الحديث وروي ان الصدقة لتقع في كف ربكم قبل ان تقع في كف السائل فيربيها كما
يربي احدكم فلوه او فصيله والله يضاعف لمن يشاء وقال علماؤنا رحمهم الله في تاويل هذه
الاحاديث ان هذا كناية عن القبول والجزاء عليها كما كنى بنفسه الكريمة عن المريض تعطفا عليه
بقوله يا ابن ادم مرضت فلم تعدني الحديث وقد تقدم هذا المعنى في سورة البقرة وخص اليمين

والكف بالذكر اذ كل قابل لشيء انما ياخذه بكفه وبيمينه او يوضع له فيه فخرج على ما يعرفونه والله
عز وجل منزه عن الجارحة وقد جاءت الكف واليمين في كلام العرب بغير معنى الجارحة كما قال
الشاعر اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين اي هو مؤهل للمجد والشرف ولم يرد
بها يمين الجارحة لان المجد معنى واليمين الذي يتلقى به رايته معنى وكذلك المعنى في حق الله
عز وجل وقد قيل ان معنى تربو في كف الرحمن عبارة عن كفة الميزان التي توزن فيها الاعمال
فيكون من باب حذف المضاف فكانه قال فتربو في كفة ميزان الرحمن وروي عن مالك
والثوري وابن المبارك انهم قالوا في تاويل هذه الاحاديث وما شابهها امروها بلا كيف قاله
الترمذي وغيره وهكذا قول اهل السنة والجماعة رحمهم الله قوله عز وجل وقل اعملوا خطاب
للجميع فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون باطلاعه اياهم على اعمالكم وفي الخبر لو ان رجلا عمل
في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان قوله تعالى واخرون مرجون لامر
الله الاية نزلت في الثلاثة الذين تيب عليهم كعب بن مالك وهلال بن امية من بني واقف
ومرارة بن الربيع وقيل ابن ربعي العمري ذكره المهدوي كانوا تخلفوا عن تبوك وكانوا مياسير
على ما ياتي ذكرهم والتقدير ومنهم اخرون يقال ارجاته اي اخرته ومنه قيل المرجية لانهم اخروا
العمل وقرا حمزة والكسائي مرجون بغير همز فقيل هو من ارجيته اي اخرته وقيل يكون من الرجا اما
يعذبهم واما يتوب عليهم اما في العربية لاحد امرين والله عز وجل عالم بمصير الاشياء ولكن المخاطبة
للعباد على ما يعرفون اي ليكن امرهم عندكم على الرجا لانه ليس للعباد اكثر من هذا قوله تعالى
والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله
من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا لمسجد
اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب
المطهرين افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا
جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا
ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في
التورية والانجيل والقران ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم
به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون
الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم
انهم اصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما
تبين له انه عدو لله تبرا منه ان ابراهيم لاواه حليم قوله تعالى والذين اتخذوا
مسجدا ضرارا الى قوله كاذبون فيه عشر مسائل الاولى قوله والذين اتخذوا مسجدا هذا معطوف
اي ومنهم الذين اتخذوا مسجدا عطف جملة على جملة ويجوز ان يكون رفعا بالابتدا والخبر محذوف
كانه يعذبون او نحوه ومن قرا الذين بغير واو وهي قراءة المدنيين فهو عنده رفع بالابتدا
والخبر لا تقم التقدير الذين اتخذوا مسجدا لا تقم فيه ابدا اي لا تقم في مسجدهم قاله الكسائي
وقال النحاس يكون خبر الابتدا لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم وقيل الخبر يعذبون
كما تقدم ونزلت الاية كما روي في ابي عامر الراهب لانه كان قد خرج الى قيصر وتنصر ووعدهم

قيصر انه سياتيهم فبنوا مسجد الضرار يرصدون مجيئه فيه قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم
وقد تقدم قصته في الاعراف وقال اهل التفسير ان بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قبا وبعثوا للنبي
صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فيه فاتاهم فصلى بهم فيه فحسدهم اخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني
مسجدا ونبعث للنبي صلى الله عليه وسلم ياتينا فيصلي لنا كما صلى في مسجد اخواننا ويصلي فيه ابو
عامر اذا قدم من الشام فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله قد
بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المظلمة المطيرة ونحب ان تصلي لنا فيه وتدعو بالبركة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني على سفر وحال شغل فلو قدمنا لاتيناكم وصلينا لكم فيه فلما
انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك اتوه وقد فرغوا منه وصلوا فيه الجمعة والسبت والاحد
ودعا بقميصه ليلبسه وياتيهم فنزل عليه القران بخبر مسجد الضرار فدعا النبي صلى الله عليه وسلم
مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا قاتل حمزة فقال انطلقوا الى
هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعين واخرج مالك بن الدخشم من منزله
شعلة نار ونهضوا فاحرقوا المسجد وهدموه وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا خذام بن
خالد من بني عبيد بن زيد احد بني عمرو بن عوف ومن داره اخرج مسجد الضرار ومعتب بن قشير
وابو حبيبة بن الازعر وعباد بن حنيف من بني عمرو بن عوف وحارثة بن عامر وابناه مجمع وزيد
ابنا حارثة وسهل بن الحارث ومخلد بن عثمان ومخرج ووديعة بن ثابت وثعلبة بن
حاطب مذكور فيهم قال ابو عمر بن عبد البر وفيه نظر لانه شهد بدرا وقال عكرمة سال عمر
بن الخطاب رجلا منهم بماذا اعنت في هذا المسجد فقال اعنت فيه بسارية فقال ابشر بها سارية
في عنقك من نار جهنم الثانية قوله تعالى ضرارا مصدر مفعول من اجله وكفرا وتفريقا بين
المؤمنين وارصادا عطف كله وقال اهل التاويل اي ضرارا بالمسجد وليس للمسجد ضرار انما هو لاهله
وروى الدارقطني عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار ومن
ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه وقال بعض العلماء الضرر الذي لك فيه منفعة وعلى
جارك مضرة والضرار الذي ليس لك فيه منفعة وعلى جارك فيه مضرة وقد قيل هما بمعنى
واحد تكلم بهما جميعا على جهة التاكيد الثالثة قال علماؤنا لا يجوز ان يبنى مسجد الى جنب مسجد
ويجب هدمه والمنع من بنيانه لئلا ينصرف اهل المسجد الاول فيبقى شاغرا الا ان تكون المحلة
كبيرة فلا يكفي اهلها مسجد واحد فيبنى حينئذ وكذا قالوا لا ينبغي ان يبنى في المصر الواحد جامعين
وثلاث ويجب منع الثاني ومن صلى فيه الجمعة لم تجزه وقد احرق النبي صلى الله عليه وسلم مسجد
الضرار وهدمه واسند الطبري عن شقيق انه جاء ليصلي في مسجد بني عامر فوجد الصلاة قد
فاتته فقيل له ان مسجد بني فلان لم تصل فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه لانه بني على
الضرار وقال علماؤنا وكل مسجد بني على ضرار او ريا او سمعة فهو في حكم مسجد الضرار لا تجوز الصلاة
فيه وقال النقاش يلزم من هذا ان لا يصلى في كنيسة ونحوها لانها بنيت على شر قلت هذا
لا يلزم لان الكنيسة لم يقصد ببنيانها الضرر بالغير وان كان اصل بنيانها على شر وانما اتخذ
النصارى الكنيسة واليهود البيعة موضعا يتعبدون فيه بزعمهم كالمسجد لنا فافترقا وقد
اجمع العلماء على ان من صلى في كنيسة او بيعة على موضع طاهر ان صلاته ماضية جايزة وذكر
البخاري ان ابن عباس كان يصلي في البيعة اذا لم يكن فيها تماثيل وذكر ابو داود عن عثمان بن ابي
العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم امره ان يجعل مسجد الطايف حيث كانت طواغيتهم الرابعة

قال العلماء ان من كان اماما لظالم لا يصلى وراه الا ان يظهر عذره او يتوب فان بني عمرو بن عوف
الذين بنوا مسجد قبا سالوا عمر بن الخطاب ان ياذن لمجمع بن جارثة ان يصلى بهم في مسجدهم
فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال له مجمع يا امير المومنين لا تعجل علي فوالله لقد
صليت فيه وانا لا اعلم ما قد اضمروا عليه ولو علمت ما صليت بهم فيه كنت غلاما قاريا للقران وكان
شيوخنا قد عسر على جاهليتهم فكانوا لا يقرون شيئا فصليت ولا احسب ما صنعت اثما واعلم ما
في نفسهم فعذره عمر وصدقه وامره بالصلاة في مسجد قبا الخامسة قال علماؤنا واذا كان
المسجد الذى يتخذ للعبادة وحض الشرع على بنيانه فقال من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة
بنى الله له بيتا في الجنة يهدم وينزع اذا كان فيه ضرر بغيره فما ظنك بسواه بل هو احرى
ان يزال ويهدم حتى لا يدخل ضرر على الاقوام وذلك كمن بنى فرنا او رحى او حفر بيرا او غير
ذلك مما يدخل الضرر على الغير وضابط هذا الباب ان من ادخل على اخيه ضررا منع فان فعل
ما كان له فعله في ماله فاضر ذلك بجاره او غير جاره نظر الى ذلك الفعل فان كان تركه
اكبر ضررا من الضرر الداخل على الفاعل قطع اكثر ذلك الضررين واعظمهما حرمة في الاصول مثال
ذلك رجل فتح كوة في منزله يطلع منها على اخيه وفيها العيال والاهل ومن شان النساء في بيوتهن
ايضا بعض بناتهن والانتشار في حوايجهن ومعلوم ان الاطلاع على العورات محرم وقد ورد النهي
فيه فلا يحل الاطلاع على العورات راى العلماء ان يغلقوا على فاتح الباب والكوة ما فتح مما له
راحة ومنفعة وفي غلقه عليه ضرر لانهم قصدوا الى قطع اعظم الضررين اذا لم يكن بد من
قطع احدهما وكذا الحكم في هذا الباب خلافا للشافعي ومن قال بقوله قال ابو جعفر رجل في ملكه
بيرا وحفر اخر في ملكه بيرا سرق منها ماء البير الاولة جاز لان كل واحد منهما حفر في ملكه فلا
يمنع من ذلك ومثله عندهم لو حفر الى جنب بير جاره كنيفا يفسده عليه لم يكن له منعه
لانه تصرف في ملكه والقران والسنة يرادان هذا القول والله اعلم ومن هذا الباب وجه
اخر من الضرر منع العلماء منه كدخان الفرن والحمام وغبار الاندر والدود المتولد من الزبل
المبسوط في الرحاب وما كان مثل هذا فانه يقطع منه ما بان ضرره وخشي تماديه واما ما
كان ساعة خفيفة مثل بعض النبات والخضر عند الابواب فان هذا مما لا غنى بالناس عنه
وليس مما يستحق به شي فبقي الضرر في منع مثل هذا اعظم واكبر من الصبر على ذلك ساعة
خفيفة وللجار على جاره في ادب السنة ان يصبر على اذاته على ما يقدر عليه كما عليه ان لا
يوذيه وان يحسن اليه السادسة ومما يدخل في هذا الباب مسئلة ذكرها سعيد بن ابي
اويس عن مالك انه سئل عن امراة عرض لها اي مسها الجان فكان اذا اصابها زوجها او جنبت
او دنا منها يشتد ذلك بها فقال مالك لا ارى ان يقربها وارى للسلطان ان يحول بينه
وبينها السابعة قوله عز وجل وكفرا لما كان اعتقادهم انه لا حرمة لمسجد قبا ولا لمسجد
النبي صلى الله عليه وسلم كفروا بهذا الاعتقاد قاله ابن العربي وقيل وكفرا اي بالنبي صلى الله عليه
وسلم وما جاء به قاله القشيرى وغيره الثامنة قوله تعالى وتفريقا بين المومنين اي يفرقون
به جماعتهم ليتخلف اقوام عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على ان المقصود الاكبر والغرض
الاظهر من وضع الجماعة تاليف القلوب والكلمة على الطاعة وعقد الزمام والحرمة بفعل الديانة
حتى يقع الانس بالمخالطة ويصفي القلوب من وضر الاحقاد فطن مالك رحمه الله من هذه
الاية فقال لا يصلي جماعتان في مسجد واحد بامامين خلافا لساير العلماء وقد روي عن

الشافعي

الشافعي المنع حيث كان تشتيتا للكلمة وابطالا لهذه الحكمة وذريعة الى ان يقول من يريد
الانفراد عن الجماعة كان له عذر فيقيم جماعة ويقدم امامه فيقطع ويبطل النظام وخفي ذلك عليهم
وقال ابن العربي وهذا كان شانه معهم وهو الليث قدما منهم في اسلمة واعلم عبا لطمع الزريعة والله
اعلم التاسعة قوله تعالى لمن حارب الله ورسوله يعني ابا عامر الراهب وسمي بذلك لانه كان
يتعبد ويلتمس العلم فمات كافرا بقنسرين بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان قال للنبي صلى الله
عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت
خرج الى الروم يستنصر وارسل الى قوم وقال استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا مسجدا
فاني ذاهب الى قيصر فاتى بجنود من الروم لاخرج محمدا من المدينة فبنوا مسجد الضرار وابو عامر
هذا عزوا اليه حنظلة غسيل الملائكة والارصاد الانتظار تقول ارصدت لكذا اذا اعددته
مرتقبا له به وقال ابو زيد رصدته وارصدته في الخير وارصدت له في الشر وقال ابن الاعرابي
لا يقال الا ارصدت ومعناه ارتقبت وقوله تعالى من قبل بناء مسجد الضرار وليحلفن ان اردنا
الا الحسنى اي ما اردنا ببنائه الا الفعلة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين كما ذكرنا ولذي العلة والحاجة
وهذا يدل على ان الافعال تختلف بالمقصود والارادات ولذلك قال ان اردنا الا الحسنى
والله يشهد انهم لكاذبون اي يعلم خبث ضمايرهم وكذبهم فيما يحلفون عليه قوله عز وجل لا تقم فيه
ابدا لمسجد اسس على التقوى الى قوله المطهرين فيه احدى عشرة مسئلة الاولى قوله لا تقم فيه ابدا
يعني مسجد الضرار اي لا تقم فيه للصلاة وقد يعبر عن الصلاة بالقيام يقال فلان يقوم الليل
اي يصلي ومنه الحديث الصحيح من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه اخرجه
البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فذكر وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما نزلت هذه الاية كان لا يمر بالطريق الذي فيها المسجد وامر بموضعه ان يتخذ كنيسة
يلقى فيها الجيف والاقذار والقمامات الثانية قوله تعالى ابدا ظرف مكان وظرف زمان
على قسمين ظرف مقدر كاليوم وظرف مبهم كالحين والوقت والابد من هذا القسم وكذلك الدهر
وينشا هنا مسئلة اصولية وهي ان ابدا وان كانت ظرفا مبهما لا عموم فيه ولكنه اذا اتصل
بلا النافية افاد العموم فلو قال لا تقم لكان فيما لا انكفاف المطلق فاذا قال ابدا فكانه قال
في وقت من الاوقات ولا في حين من الاحيان فاما النكرة في الاثبات اذا كانت خبرا عن
واقع لم تعم وقال بذلك اهل اللسان وقضى بها فقهاء الاسلام فقالوا لو قال رجل لامراته
انت طالق ابدا طلقت طلقة واحدة الثالثة قوله لمسجد اسس على التقوى اي بنيت جدره
ورفعت من قواعده والاس اصل البناء وكذلك الاساس والاسس مقصور منه وجمع الاس
اساس مثل عس وعساس وجمع الاساس اسس مثل قذال وقذل وجمع الاسس اساس مثل سبب
واسباب وقد اسست البناء تاسيسا وقوله كان ذلك على اس الدهر وباس الدهر ثلاث
لغات اي على قدم الدهر واللام في قوله لمسجد لام قسم وقيل لام الابتداء كما تقول لزيد احسن الناس
فعلا وهي مقتضية تاكيدا اسس على التقوى نعت لمسجد احق خبر الابتدا الذي هو مسجد ومعنى
التقوى هنا الخصال التي تتقى بها العقوبة وهي فعلى من وقيت وقد تقدم الرابعة واختلف
العلماء في المسجد الذى اسس على التقوى فقالت طائفة هو مسجد قبا يروى عن ابن عباس والضحاك
والحسن وتعلقوا بقوله من اول يوم ومسجد قبا كان اول يوم ليس بالمدينة فانه بني قبل
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ابن عمر ومالك

وابن المسيب وروي الترمذي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ماري رجلان في المسجد الذي
اسس على التقوى من اول يوم فقال رجل هو مسجد قبا وقال اخر هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجدي هذا قال حديث حسن صحيح والقول الاول اليق
لقوله فيه وضمير الظرف يقتضي الرجال المطهرين فهو مسجد قبا والدليل على ذلك حديث ابي هريرة
قال نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا
يستنجون بالماء فنزلت هذه الاية قال الشعبي هم اهل مسجد قبا انزل الله فيهم هذا وقال
قتادة لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا ان الله سبحانه
وتعالى قد احسن عليكم الثناء في التطهر فما تصنعون فقالوا انا نغسل اثر البول والغايط
بالماء رواه ابو داود وروي الدارقطني عن طلحة بن نافع قال حدثني ابو ايوب وجابر بن عبد
الله وانس بن مالك الانصاريون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الاية فيه رجال
يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين فقال يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم في
الطهور فما طهوركم هذا فقالوا يا رسول الله نتوضا للصلاة ونغتسل من الجنابة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهل مع ذلك من غيره فقالوا لا غير ان احدنا اذا خرج من الغايط احب
ان يستنجي بالماء قال هو ذلك فعليكموه وهذا الحديث يقتضي ان المسجد المذكور فيه الاية مسجد
قبا الا ان حديث ابي سعيد الخدري نص فيه النبي صلى الله عليه وسلم انه مسجده فلا اختلاف
فيه وقد روى ابو كريب قال حدثنا ابو اسامة قال ثنا صالح بن حيان قال ثنا عبد الله بن
بريدة في قول الله عز وجل في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه انما هي اربع مساجد
لم يبنهن الا نبي الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا الذي
اسسا على التقوى بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الخامسة قوله تعالى من اول يوم من
عند النحويين مقابلة منذ في الزمان مثل من في المكان فقيل معنى من هاهنا معنى منذ والتقدير
منذ اول يوم ابتدا بنيانه وقيل المعنى من تاسيس اول اليوم فدخلت من على مصدر الفعل
الذي هو اسس كما قال لمن الدار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر اي من مر حجج ومن مر
دهر وانما دعى هذا ان من اصول النحويين ان من لا يجر بها الازمان وانما يجر الازمان منذ
من يقول ما رايته منذ شهر ولا تقول من يوم ولا من شهر ولا من سنة فاذا وقعت من في
الكلام وهي تلي زمنا فيقدر مضمرا يليق ان يجر بمن كما ذكرنا في تقدير البيت قال ابن عطية
ويحسن عندي ان يستغنى في هذه الاية عن تقدير وان تكون من تجر لفظة اول لانها بمعنى
البداية كانه قال من مبتدا الايام السادسة قوله تعالى احق ان تقوم فيه اي بان تقوم
فهو في موضع نصب واحق هو افعل من الحق وافعل لا يدخل الا بين شيين مشتركين
لاحدهما في المعنى الذي اشتركا فيه مزية على الاخر فمسجد الضرار وان كان باطلا وان كان
لا حق فيه فقد اشتركا في الحق من جهة اعتقاد من كان بنا القيام فيه جايز للمسجدية لكن
احد الاعتقادين باطل باطنا عند الله والاخر حق باطنا وظاهرا ومثل هذا قوله تعالى اصحاب
الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ومعلوم ان الخيرية من النار مبعودة ولكنه جرى
على اعتقاد كل فرقة انها على خير وان مصيرها الى الخير منه اذ كل حزب بما لديهم فرحون وليس
هذا من قبيل ان العسل احلا من الخل وان كان حلوا وكل شيء ملايم فهو حلو الا ترى ان من
الناس من يقدم الخل على العسل مفردا بمفرد ومضافا الى غيره مضاف السابعة قوله تعالى

يف

فيمن قال ان المسجد يراد به مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فالهاء في احق ان تقوم فيه عايدة اليه على
الخلاف المتقدم الثامنة اثنى الله سبحانه وتعالى في هذه الاية على من احب الطهارة واثر
النظافة وهي مروة الادمية ووظيفة شرعية وفي الترمذي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت مرن
ازواجكن ان يتطيبوا بالماء فاني استحيهم وقال الحديث حسن صحيح وثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يحمل معه الماء في الاستنجاء وكان يستعمل الحجارة تخفيفا والماء تطهيرا قال ابن العربي وقد
كان علماء القيروان يتخذون في متوضاهم احجارا من تراب ينقون بها ثم يستنجون بالماء والله
اعلم التاسعة اللازم من نجاسة المخرج التخفيف وفي نجاسة ساير البدن والثوب التطهير
وتلك رخصة من الله تعالى لعباده في حالتي وجود الماء وعدمه وبه قالت عامة العلماء وشذ
ابن حبيب فقال لا يستجمر بالاحجار الا عند عدم الماء والاخبار ثابتة في الاستنجاء بالاحجار
مع وجود الماء والسنة ترده العاشرة واختلف العلماء في هذا الباب في ازالة النجاسة من
الابدان والثياب بعد اجماعهم على التجاوز والعفو عن دم البراغيث ما لم يتفاحش على ثلاثة
اقوال الاول انه واجب فرض ولا تجوز صلاة من صلى بثوب نجس عالما كان بذلك او ناسيا وهو
قول ابن عباس والحسن وابن سيرين وهو قول الشافعي واحمد وابي ثور ورواه ابن وهب
عن مالك وهو قول ابي الفرج المالكي والطبري الا ان الطبري قال ان كانت النجاسة قدر الدرهم
قياسا على حلقة الدبر وقالت طايفة ازالة النجاسة واجبة بالسنة من الثياب والابدان
وجوب سنة وليس بفرض قالوا وان صلى بثوب نجس اعاد في الوقت فان خرج الوقت فلا اعادة
عليه هذا قول مالك واصحابه الا ابا الفرج ورواية ابن وهب عنه وقال مالك في يسير الدم
لا تعاد منه الصلاة في وقت ولا بعده وتعاد من يسير البول والغايط ونحوه هذا كله
من مذهب مالك قول الليث وقال عنه ابن القاسم يجب ازالتها في حال الذكر دون النسيان
وهي من مفرداته والقول الاول اصح لان النبي صلى الله عليه وسلم مر على قبرين فقال انهما ليعذبان
وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان يمشي بالنميمة واما الاخر فكان لا يستنثر من البول الحديث
خرجه مسلم والبخاري وحسبنه وسياتي في سورة سبحان قالوا ولا يعذب الانسان الا على
ترك واجب وهذا ظاهر وروي ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اكثر عذاب القبر من البول احتج الاخرون بخلع النبي صلى الله عليه وسلم نعليه في الصلاة لما
اعلمه جبريل عليه السلام ان فيهما قذرا او اذى الحديث خرجه ابو داود وغيره من حديث ابي
سعيد الخدري وسياتي في سورة طه ان شا الله تعالى قالوا ولو لم يعد ما صلى لم يعد الثانية
ازالتها سنة وصلاته صحيحة ويعيد ما دام في الوقت طلبا للكمال والله اعلم الحادية عشر
قال القاضي ابو بكر ابن العربي واما الفرق بين القليل والكثير بقدر الدرهم البغلي قياسا على
المسربة ففاسد من وجهين احدهما ان المقدرات لا تثبت قياسا فلا يقبل هذا التقدير الثاني
ان هذا الذي خفف عنه من المسربة رخصة للضرورة والحاجة والرخص لا يقاس عليها
لانها خارجة عن القياس فلا ترد عليه قوله عز وجل افمن اسس بنيانه على تقوى من الله
الى قوله الظالمين فيه خمس مسائل الاولى قوله افمن اسس بنيانه اي اصل وهو استفهام معناه
التقرير ومن بمعنى الذي وهو في موضع رفع بالابتدا وخبره خير وقرا نافع وابن عامر وجماعة اسس
بنيانه على بناء اسس للمفعول ورفع بنيانه فيهما وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي
وجماعة وهي اختيار ابي عبيدة لكثرة من قرا به وان الفاعل سمي فيه وقرا نصر بن عاصم بن

على افمن اسس بالرفع بنيانه بالخفض وعنه ايضا اساس بنيانه وعنه ايضا اس بنيانه بالخفض
والمراد اصول البناء كما تقدم وحكي ابو حاتم قراءة شاذة وهي افمن اساس بنيانه قال النحاس
وهي جمع اس كما يقال خف واخفاف والكثير اساس مثل خفاف قال الشاعر بصحح الملك ثابت
الاساس الا البهاليل من بني العباس الثانية قوله تعالى على تقوى من الله قراءة عيسى بن
عمر فيما حكي سيبويه بالتنوين والفه الف الحاق كالف تترى فيمن نون وقال الشاعر
نبتق في علقى وفي مكور وانكر سيبويه التنوين وقال لا ادري ما وجهه على شفا الشفا الحرف
والحد وقد مضى في آل عمران مستوفى وجرف قرئ برفع الراء وابو بكر وحمزة باسكانها مثل الثقل
والثقل والرسل يعني جرفا ليس له اصل والجرف ما يتجرف بالسيول من الاودية وهو جوانبها التي
تتحفر بالماء واصله من الجرف والاجتراف وهو اقتلاع الشيء من اصله هار ساقط يقال تهور البناء
اذا سقط واصله هاير فهو من المقلوب يقلب ويؤخر ياؤها فيقال هاير وهاير قاله الزجاج
ومثله لاث الشيء اذا دار فهو لاث ولايث وكما قالوا شاكي السلاح وشايك السلاح قال
العجاج لاث به الاشا من العبري والاشا النخل والعبري السدر الذي على شاطي الانهار ومعنى
لاث به مطيفة به فيقال هار وزعم الكسايي انه من ذوات الواو وذوات اليا وانه يقال
تهور وتهير قلت ولهذا يمال ويفتح الثالثة فانهار به في نار جهنم لان الجرف مذكور ويجوز
ان يكون الضمير في به يعود على من وهو الباني والتقدير فانهار من اسس بنيانه على الاسلام
خير امن اسس بنيانه على الشرك والنفاق وبين ان بنا الكافر كبناء على جرف جهنم يتهور
باهله فيها والشفا الشفير واشفى على كذا اي دنا منه الرابعة في هذه الاية دليل على ان
كل شيء ابتدي بنية تقوى الله تعالى والقصد لوجهه الكريم فهو الذي يبقى ويسعد به
صاحبه ويصعد الى الله تعالى ويرفع اليه ويخبر عنه بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام على احد الوجهين ويخبر عنه ايضا بقوله والباقيات الصالحات على ما ياتي بيانه
ان شاء الله تعالى الخامسة واختلف العلماء في قوله تعالى فانهار به في نار جهنم هل ذلك
حقيقة او مجاز على قولين الاول ان ذلك حقيقة وان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ارسل اليه
بهدم راي الدخان يخرج من ورائه ثنا سعيد بن جبير وقال بعضهم كان الرجل يدخل فيه
بسعفة من سعف النخل فيخرجها سودا محرقة وذكر اهل التفسير انه كان يحفر ذلك الموضع
الذي انهار فيخرج منه دخان وروى عاصم بن ابي النجود عن زر بن حبيش عن ابن مسعود
انه قال جهنم في الارض ثم تلى فانهار به في نار جهنم وقال جابر بن عبد الله انا رايت الدخان
يخرج منه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الثاني ان ذلك مجاز والمعنى صار البناء في نار
جهنم فكانه انهار اليه وهوى فيه وهو كقوله تعالى فامه هاوية والظاهر الاول اذ لا احالة
في ذلك والله اعلم قوله تعالى لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم يعني مسجد الضرار
ريبة اي شكا في قلوبهم ونفاقا قاله ابن عباس وقتادة والضحاك وقال النابغة
حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب وقال الكلبي حسرة وندامة
حبيب والمبرد ريبة اي حرارة وعطشا الا ان تقطع قلوبهم ابن عباس اي كقوله لقطعنا
منه الوتين لان الحياة تنقطع بانقطاع الوتين وقاله قتادة والضحاك ومجاهد وقال
سفيان الا ان يتوبوا سواه عكرمة الا ان ولو تقطعت قلوبهم وقرا الحسن ويعقوب وابو حاتم
الا ان بقطع على الغاية اي لا يزالون في شك منه الى ان يموتوا فيستيقنوا ويتبينوا واختلف

القرا في قوله تقطع والجمهور تقطع بضم التاء وفتح القاف وتشديد الطاء على الفعل المجهول وقرا
ابن عامر وحمزة وحفص ويعقوب كذلك الا انهم فتحوا التاء وروي عن يعقوب وابي عبد
الرحمن تقطع على الفعل المجهول مخفف القاف وروي عن سهل وابن كثير تقطع خفيفة القاف
وتشديد الطاء قلوبهم نصب اي انت تفعل ذلك بهم وقد ذكرنا قراءة اصحاب عبد الله والله
عليم حكيم تقدم قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الى قوله الفوز العظيم فيه
ثمان مسائل الاولى قوله ان الله اشترى من المومنين انفسهم قيل هذا تمثيل مثل قوله اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى ونزلت الاية في البيعة الثانية وهي بيعة العقبة الكبرى
وهي التي اناف فيها رجال الانصار على السبعين وكان اصغرهم سنا عقبة بن عمرو وذلك
انهم اجتمعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة فقال عبد الله بن رواحة للنبي
صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك قال اشترط لربي ان تعبدوه لا تشركوا به شيئا
واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا
قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم الاية بل هي بعد ذلك عامة في كل مجاهد في سبيل الله من امة محمد صلى الله عليه وسلم
الى يوم القيامة الثانية هذه الاية دليل على جواز معاملة السيد مع عبده وان كان
الكل للسيد لكن اذا ملكه عامله فيما جعل اليه وجايز بين السيد وعبده ما لا يجوز بينه وبين
غيره لان ماله له وله انتزاعه الثالثة اصل الشراء بين الخلق ان يعوضوا عن ما خرج من
ايديهم ما كان انفع لهم او مثل ما خرج عنهم من النفع فاشترى الله سبحانه من العباد اتلاف
انفسهم واموالهم في طاعته واهلاكها في مرضاته واعطاهم سبحانه الجنة عوضا عنها اذا فعلوا
ذلك وهو عوض عظيم لا يدانيه المعوض ولا يقاس به فاجرى ذلك على مجاز ما يتعارفونه
في البيع والشراء فمن العبد تسليم النفس والمال ومن الله الثواب والنوال فسمي هذا شراء وروي
الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق كل بر بر حتى يبذل العبد دمه فاذا فعل ذلك فلا
بر فوق ذلك وقال الشاعر الجود بالمال جود فيه مكرمة والجود بالنفس اقصى غاية الجود
وانشد الاصمعي لجعفر الصادق رضي الله عنه اثامن بالنفس النفيسة ربها وليس لها في الناس
كلهم ثمن بها اشترى الجنات ان انا بعتها بشيء سواها ان ذلكم الغبن لئن ذهبت نفسي
بدنيا اصبتها لقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن قال الحسن مر اعرابي على النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يقرا هذه الاية ان الله اشترى فقال كلام من هذا قال كلام الله قال بيع والله
مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد الرابعة قال العلماء كما اشترى
من المومنين البالغين المكلفين كذلك اشترى من الاطفال فالمهم واسقمهم لما في ذلك
من المصلحة لهم وما فيه من الاعتبار للبالغين فانهم لا يكونون عنده شيء اكبر صلاحا
واقل فسادا منهم عند الم الاطفال وما يحصل للوالدين الكافلين من الثواب فيما ينالهم من
الهم ويتعلق بهم من التربية والكفالة ثم هو عز وجل يعوض هؤلاء الاطفال عوضا اذا صاروا اليه
ونظير هذا انك تكتري الاجير يبني وينقل وفي كل ذلك له الم واذى ولكن ذلك جايز لما في علمه
من المصلحة ولما يصل اليه من الاجر الخامسة قوله تعالى يقاتلون في سبيل الله بيان لما
يقاتل له وعليه وقد تقدم المفعول على الفاعل ومنه قول امرئ القيس ان تقتلونا نقتلكم اي ان
تقتلوا بعضنا يقتلكم بعضنا وقرا الباقون بتقديم الفاعل على المفعول السادسة قوله تعالى

وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقران اخبار من الله تعالى ان هذا كان في هذه الكتب
وان الجهاد ومقاومة الاعداء اصله من عهد موسى عليه السلام ووعدا وحقا مصدران موكدان
التابعة قوله تعالى ومن اوفى بعهده من الله اي لا احد اوفى بعهده من الله وهو يتضمن
الوفا بالوعد والوعيد ولا يتضمن وفا البارى بالكل فاما وعده فللجميع واما وعيده فمخصوص
ببعض المذنبين وببعض الذنوب وفي بعض الاحوال وقد تقدم هذا المعنى مستوفى الثامنة
فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به اي اظهروا السرور بذلك والبشارة واظهار السرور في البشرة
وقد تقدم قال ذلك هو الفوز العظيم اي الظفر بالجنة والخلود فيها قوله تعالى التائبون
العابدون الى قوله بشر المومنين فيه ثلاث مسائل الاولى قوله التائبون هم الراجعون
عن الحالة المذمومة في معصية الله عز وجل الى الحالة المحمودة في طاعة الله والتائب هو
الراجع والراجع الى الطاعة هو افضل من الراجع عن المعصية لجمعه بين الامرين العابدون
اي المطيعون الذين قصدهم بطاعتهم الله سبحانه الحامدون اي الراضون بقضائه المصرفون
نعمته في طاعته الذين يحمدون الله على كل حال السائحون اي الصائمون عن ابن مسعود وابن
عباس وغيرهما ومنه قوله تعالى عابدات سائحات وقال سفيان بن عيينة انما قيل للصائم
سائح لانه يترك اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح قال ابو طالب المكي وبالسائحين
لا يذوقون قطرة لربهم والذاكرات العوامل وقال الاخر برح يصلي ليله ونهاره يظل
كثير الذكر لله سائحا وروي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت سياحة هذه الامة الصيام
اسنده الطبرى ورواه ابو هريرة مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سياحة امتي
الصيام وقال الزجاج ومذهب الحسن انهم الذين يصومون الفرض وقد قيل انهم الذين
يديمون الصيام وقال عطا السائحون المجاهدون وروي ابو امامة ان رجلا استاذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في السياحة فقال ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله صححه ابو محمد
عبد الحق وقيل السائحون المهاجرون قاله عبد الرحمن بن زيد وقيل هم الذين يسافرون
لطلب الحديث والعلم قاله عكرمة وقيل هم الجائلون بافكارهم في توحيد ربهم وملكوته
وما خلق من العبر والعلامات الدالة على توحيده وتعظيمه حكاه النقاش وحكي ان
بعض العباد اخذ القدح ليتوضا لصلاة الليل قال فادخل اصابعه في اذن القدح
وقعد يتفكر حتى طلع الفجر فقيل له في ذلك فقال ادخلت اصبعي في اذن القدح فذكرت
كيف اتلقى الغل وبقيت في ذلك ليلي اجمع قلت لفظة سرح تدل على صحة هذه الاقوال
فان السياحة اصلها الذهاب على وجه الارض كما يسيح الماء فالصائم مستمر على الطاعة في ترك
ما يتركه من طعام وغيره فهو بمنزلة السائح والمتفكرون تجول قلوبهم في الذكر وفي
الحديث ان لله ملائكة سياحين مشائين في الافاق يبلغوني صلاة امتي ويروى صياحين
بالصاد من الصياح الراكعون الساجدون يعني في الصلاة المكتوبة وغيرها الامرون بالمعروف
اي بالسنة وقيل بالايمان والناهون عن المنكر عن البدعة وقيل عن الكفر وقيل هو عموم في كل
معروف والحافظون لحدود الله اي القائمون بما امر الله به والمنتهون عما نهى عنه الثانية
اختلف اهل التاويل في هذه الاية هل هي متصلة بما قبل او منفصلة فقال جماعة الاية الاولى
مستقلة بنفسها تقع تحت تلك المبايعة كل موحد قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله
هي العليا وان لم يتصف بهذه الصفات في هذه الاية الثانية او باكثرها وقالت فرقة هذه

الاوصاف

الاوصاف جاءت على جهة الشرط والايتان مرتبطتان فلا يدخل تحت المبايعة الا المومنون الذين هم
على هذه الاوصاف ويبذلون انفسهم في سبيل الله قاله الضحاك وقال ابن عطية وهذا القول تحريج
وتضييق ومعنى الاية ما يقتضيه اقوال العلماء والشرع انها اوصاف الكمل من المومنين ذكرها الله
سبحانه ليستبق اليها اهل التوحيد حتى يكونوا في اعلا رتبة وقال الزجاج الذى عندي ان قوله
تعالى التائبون العابدون رفع بالابتدا وان الخبر مضمر اي التائبون العابدون الى اخر الاية
لهم الجنة ايضا وان لم يجاهدوا واذا لم يكن منهم عناد وقصد الى ترك الجهاد لان بعض المسلمين يجزي
عن بعض في الجهاد واختار هذا القول القشيري وقال هذا حسن اذ لو كان هذا صفة للمومنين
المذكورين في قوله اشترى من المومنين لكان الوعد خالصا للمجاهدين وفي مصحف عبد الله التائبين
العابدين الى اخرها ولذلك وجهان احدهما الصفة للمومنين على الاتباع والثاني النصب على المدح
الثالثة واختلف العلماء في الواو في قوله والناهون عن المنكر فقيل دخلت في صفة الناهين
كما دخلت في قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب ذي الطول فذكر بعضها بالواو وبعضها بغيرها وهذا سائغ متعارف في كلام العرب
ولا يطلع المثلة حلمه ولا غلبة وقيل دخلت لمصاحبة الناهي عن المنكر الامر بالمعروف فلا يكاد
يذكر واحد منهما منفردا كذلك قوله تعالى ثيبات وابكارا ونقلت في والحافظون لقربه من المعطوف
وقيل انها زائد وهذا ضعيف لا معنى له وقيل هي واو الثمانية لان السبعة عند العرب عدد
كامل صحيح ولذلك قالوا في قوله تعالى ثيبات وابكارا وقوله في ابواب الجنة وفتحت ابوابها
وقوله ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وقد ذكرها ابن خالويه في مناظرته لابي علي الفارسي في معنى
قوله وفتحت ابوابها فانكرها ابو علي قال ابن عطية وحدثني ابي رحمه الله عن الاستاذ النحوي
ابي عبد الله الكفيف المالكي وكان ممن استوطن غرناطه واقرا بها في مدة ابن حبوس انه قال
هي لغة فصيحة لبعض العرب من شانهم واحد اثنان ثلاثة واربعة خمسة ستة سبعة وثمانية
تسعة عشرة فكذا هي لغتهم ومتى جاء في كلامهم امر كفايته ادخلوا الواو قلت هي لغة قريش وياتي
بيانه وبعضه في سورة الكهف ان شاء الله تعالى وفي الزمر ايضا بحول الله تعالى قوله عز وجل
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين فيه ثلاث مسائل الاولى روى مسلم عن سعيد
بن المسيب عن ابيه قال لما احتضر ابو طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد
عنده ابا جهل وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم قل
لا اله الا الله كلمة اشهد لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية يا ابا طالب
اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك
المقالة حتى قال ابو طالب اخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله تعالى
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم
انهم اصحاب الجحيم وانزل الله في ابي طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي
من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين فالاية على هذا ناسخة لاستغفار
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه فانه استغفر له بعد موته على ما روي في غير الصحيح وقال
الحسين بن الفضل وهذا بعيد لان السورة من اخر ما نزل من القران ومات ابو طالب في عنفوان
الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة الثانية هذه الاية تتضمن قطع موالاة الكفار حيهم وميتهم

فان الله تعالى لم يجعل للمومنين ان يستغفروا للمشركين فطلب المغفرة للمشرك مما لا يجوز فان قيل
قد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم احد حين كسرت رباعيته وشج وجهه اللهم اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون فكيف يجمع هذا مع منع النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين من طلب المغفرة
للمشركين قيل له ان ذلك القول من النبي صلى الله عليه وسلم انما كان على سبيل الحكاية عمن تقدم من
الانبياء والدليل عليه ما رواه مسلم يحكي نبيا من الانبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه
ويقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر نبيا قبله شجه
قومه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يخبر عنه بانه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قلت
وهذا صريح في الحكاية عمن قبله لا انه قاله ابتداء عن نفسه كما ظنه بعضهم والله اعلم والنبي الذي حكاه
نوح عليه السلام على ما ياتي بيانه في سورة هود ان شاء الله تعالى وقد قيل ان المراد
بالاستغفار في الاية الصلاة وقال بعضهم ما كنت لادع الصلاة على احد من اهل القبلة ولو
كانت حبشية حبلى من الزنا لاني لم اسمع الله تعالى حجب الصلاة الا عن المشركين بقوله ما
كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية قال عطا ابن ابي رباح الاية في النهي
عن الصلاة على المشركين والاستغفار ههنا يراد به الصلاة جواب ثالث وهو ان الاستغفار
للاحياء جائز لانه مرجو ايمانهم ويمكن تالفهم بالقول الجميل وترغيبهم في الدين وقد قال كثير
من العلماء لا باس ان يدعو الرجل لابويه الكافرين ويستغفر لهما ما داما حيين فاما من مات فقد
انقطع عنه الرجا فلا يدعا له قال ابن عباس كانوا يستغفرون لموتاهم فنزلت فامسكوا عن الاستغفار
ولم ينههم ان يستغفروا للاحياء حتى يموتوا الثالثة قال اهل المعاني ما كان في القران ياتي على
وجهين على النفي نحو قوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله
والاخر بمعنى النهي كقوله وما كان لكم ان توذوا رسول الله وما كان للنبي والذين امنوا ان
يستغفروا للمشركين قوله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة الى قوله لاواه
حليم فيه ثلاث مسائل الاولى روى النسائي عن علي ابن ابي طالب قال سمعت رجلا يستغفر
لابويه فقلت اتستغفر لهما وهما مشركان فقال اولم يستغفر ابراهيم عليه السلام لابيه فاتيت
النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فنزلت وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه والمعنى لا حجة لكم في استغفار ابراهيم الخليل لابيه فان ذلك لم يكن الا عن موعدة
قال ابن عباس كان ابو ابراهيم وعد ابراهيم الخليل ان يومن بالله ويخلع الانداد فلما مات على
الكفر علم انه عدو لله فترك الدعا فالكناية في قوله اياه ترجع الى ابراهيم والواعد ابوه وقيل
الواعد ابراهيم اي وعد ابراهيم اباه ان يستغفر له فلما مات مشركا تبرء منه ودل على هذا الوعد
قوله سأستغفر لك ربي وقال القاضي ابو بكر بن العربي تعلق النبي صلى الله عليه وسلم في
الاستغفار لابي طالب بقوله تعالى سأستغفر لك ربي فاخبره الله تعالى ان استغفار
ابراهيم لابيه كان وعدا قبل تبين الكفر منه فلما تبين له الكفر منه تبرء منه فكيف تستغفر
لعمك يا محمد وقد شاهدت موته كافرا الثانية ظاهر حالة المرء عند الموت يحكم عليه
بها فان مات على ايمان حكم له به وان مات على الكفر حكم له به وربك اعلم بباطن حاله الا ترى
النبي صلى الله عليه وسلم قال له العباس يا رسول الله هل نفعت عمك بشيء قال نعم وهذه شفاعة
في تخفيف العذاب لا في الخروج من النار على ما بيناه في كتاب التذكرة الثالثة قوله تعالى
ان ابراهيم لاواه اختلف العلماء في الاواه على خمسة عشر قولا الاول انه الدعاء الذي يكثر الدعا

قاله ابن مسعود وعبيد بن عمير الثاني انه الرحيم لعباد الله قاله الحسن وقتادة وروي عن ابن مسعود
والاول اصح اسنادا عن ابن مسعود قاله النحاس الثالث الموقن قاله عطا وعكرمة وابو ظبيان
عن ابن عباس الرابع انه المومن بلغة الحبشة قاله ابن عباس ايضا الخامس انه المسبح الذي
يذكر الله في الارض القفر الموحشة قاله الكلبي وسعيد بن المسيب السادس انه الكثير الذكر لله
تعالى والتسبيح يقال انه لاواه السابع انه الذي يكثر تلاوة القران وهذا مروي عن ابن عباس
قلت هذه الاقوال متداخلة وتلاوة القران يجمعها الثامن انه المتأوه وكان ابراهيم عليه
السلام يقول اه من التراب قبل ان لا تنفع اه وقال ابو ذر وكان رجل يكثر الطواف بالبيت
ويقول في دعائه اوه اوه فشكاه ابو ذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال دعه فانه اواه فخرجت
ذات ليلة فاذا النبي صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح التاسع انه الفقيه
قاله مجاهد والنخعي العاشر انه المتضرع الخاشع رواه عبد الله بن شداد بن الهاد عن النبي صلى
الله عليه وسلم وقال انس تكلمت امراة عند النبي صلى الله عليه وسلم بشيء كرهه فنهاها عمر فقال النبي
صلى الله عليه وسلم دعها فانها اواهة قيل يا رسول الله وما الاواهة قال الخاشعة الحادي عشر
انه الذي اذا ذكر خطاياه استغفر منها قاله ابو ايوب الثاني عشر انه الكثير التاوه من الذنوب
قاله الفراء الثالث عشر انه معلم الخير قاله سعيد بن جبير الرابع عشر انه الشفيق قاله عبد
العزيز بن يحيى وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يسمى الاواه لشفقته ورافته الخامس عشر
انه الراجع عن كل ما يكره الله تعالى قاله عطا واصله من التاوه وهو ان يسمع للصدر صوت
من تنفس الصعداء قال كعب كان ابراهيم عليه السلام اذا ذكر النار تاوه قال الجوهري قولهم
عند الشكاية اوه من كذا ساكنة الواو انما هو توجع قال الشاعر فاوه لذكراها اذا ما ذكرتها
ومن بعد ارض بيننا وسماء وربما قلبوا الواو الفا قالوا اوه من كذا وربما شددوا الواو وكسروها
وسكنوها فقالوا اوه من كذا وربما حذفوا مع التشديد الهاء فقالوا او من كذا بلا مد وبعضهم
يقول اوه بالتشديد والمد وفتح الواو وساكنة الهاء لتطويل الصوت بالشكاية وربما ادخلوا
فيها التاء فقالوا اوتاه يمد ولا يمد وقد تاوه الرجل تاويها وتاوه تاوها اذا قال اوه والاسم
منه الاهة بالمد قال المسيب العبدي اذا ما قمت ارحلها بليل تاوه اهة الرجل الحزين
والحليم الكثير الحلم وهو الذي يصفح عن الذنوب ويصبر على الاذى وقيل الذي لم يعاقب احدا قط
الا في الله ولا ينتصر من احد الا لله وكان ابراهيم عليه السلام كذلك وكان اذا قام يصلي
سمع وجيب قلبه على ميلين قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين
لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما
لكم من دون الله من ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين
اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم
رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت
عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو
التواب الرحيم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ما كان لاهل المدينة
ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك
بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ
الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر

المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله
احسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يا ايها الذين امنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين قوله تعالى
وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم اي ما كان ليوقع الضلالة في قلوبهم بعد الهدى حتى يبين
لهم ما يتقون فلا يتقوه فعند ذلك يستحقون الاضلال قلت هذا ادل دليل على ان المعاصي
اذا ارتكبت وانتهكت حجابها كانت سببا الى الضلال والردى وسلما الى ترك الرشاد والهدى
فنسال الله تعالى السداد والتوفيق والرشاد عنه وقال ابو عمرو بن العلاء رحمه الله في قوله
حتى يبين لهم اي حتى يحتج عليهم بامره كما قال تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها
ففسقوا فيها وقال مجاهد حتى يبين لهم امر ابراهيم ان لا يستغفروا للمشركين خاصة ويبين لهم الطاعة
والمعصية عامة وروي انه لما نزل تحريم الخمر وشدد فيها سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عمن مات
وهو يشربها فانزل الله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وهذه
الاية رد على المعتزلة وغيرهم والذين يقولون بخلق هداهم وايمانهم كما تقدم قوله عز وجل ان
الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من
ولي ولا نصير تقدم معناه غير مرة قوله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصا
الى قوله رؤف رحيم روى الترمذي حدثنا عبد بن حميد ثنا عبد الرزاق نا معمر عن الزهري
عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن ابيه قال ابي لم اتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة
غزاها حتى كانت غزوة تبوك الا بدرا ولم يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم احدا تخلف عن بدر
انما خرج يريد العير فخرجت قريش مغوثين لعيرهم فالتقوا على غير وعد وكما قال الله ولعمري
ان اشرف مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس لبدر وما كنت اني كنت شهدتها مكان
بيعتي ليلة العقبة حتى تواثقنا على الاسلام ثم لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزوة حتى كانت غزوة تبوك وهي اخر غزوة غزاها واذن النبي صلى الله عليه وسلم بالرحيل
فذكر الحديث بطوله قال فانطلقت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله
المسلمون وهو يستنير كاستنارة القمر فكان اذا سر بالامر استنار فجئت فجلست بين
يديه فقال ابشر يا كعب ابن مالك بخير يوم اتى عليك فقال بل من عند الله ثم تلى هذه
الاية لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار حتى بلغ ان الله هو التواب الرحيم قال
وفينا انزل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وذكر الحديث وسياتي
بكماله في صحيح مسلم في قصة الثلاثة ان شاء الله تعالى واختلف العلماء في هذه التوبة
التي تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار على اقوال فقال ابن عباس كانت التوبة على
النبي لاجل اذنه للمنافقين في القعود دليله قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وعلى المؤمنين
من ميل قلوب بعضهم الى التخلف عنه وقيل توبة الله عليهم استنقاذهم من شدة العسرة
وقيل خلاصهم من نكاية العدو وعبر عن ذلك بالتوبة وان خرج عن عرفها الوجود معنى
التوبة فينا وهو الرجوع الى الحالة الاولى وقال اهل المعاني انما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
في التوبة لانه كان سبب توبتهم ذكر معهم كقوله فان لله خمسه وللرسول قوله عز وجل الذين
اتبعوه في ساعة العسرة والمراد جميع اوقات تلك الغزاة والعسرة صعوبة الامر قال جابر

اجتمع عليهم عسرة الظهر وعسرة الزاد وعسرة الماء قال الحسن كان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير
يعتقبونه وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير والاهالة المنتنة وكان النفر يخرجون ما معهم
الا التمرات بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه حتى
يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى تاتي على اخرهم فلا يبقى من التمرة الا النواة فمضوا مع النبي
صلى الله عليه وسلم كذلك على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم وقال عمر رضي الله عنه وقد سئل عن
ساعة العسرة خرجنا في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع
من العطش وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقلت يا رسول
الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع لنا قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى اظلت السماء
ثم كشفت فملوا ما معهم حتى ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر وروى ابو هريرة وابو
سعيد قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فاصاب الناس مجاعة وقالوا يا رسول
الله لو اذنت لنا فنحرنا نواضحنا فاكلنا وادهنا فجاء عمر فقال يا رسول الله ان فعلوا قل الظهر
ولكن ادعهم بفضل ازوادهم فادع الله عليها بالبركة لعل الله ان يجعل في ذلك قال نعم ثم دعا
بنطع فبسطه ثم دعا بفضل الازواد فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الاخر بكف تمر ويجيء
الاخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير قال ابو هريرة فحزرته قدر ربضة البعير
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم دعا خذوا في اوعيتكم فاخذوا في اوعيتهم حتى قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والله الذي لا اله غيره ما بقي في العسكر وعاء حتى ملؤه واكل القوم
كلهم حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني
رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيها فيحجب عن الجنة خرجه مسلم في صحيحه بلفظه ومعناه
والحمد لله وقال ابن عرفة سمي جيش تبوك جيش العسرة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب
الناس الى الغزو في حمارة القيظ فغلظ عليهم وعسر وكان ابان ابتداء الثمرة قال وانما ضرب
المثل بجيش العسرة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يغز قبله في عدد مثله لان اصحابه يوم
بدر كانوا ثلثمائة وبضعة عشر ويوم احد سبعماية ويوم خيبر الف وسبعماية ويوم الفتح عشرة
الاف ويوم حنين اثنى عشر الفا وكان جيشه في غزوة تبوك ثلاثين الفا وزيادة وهي اخر
مغازيه صلى الله عليه وسلم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب واقام في تبوك شعبان
واياما من رمضان وبث سراياه وصالح قوما على الجزية وفي هذه الغزاة خلف عليا بالمدينة
فقال المنافقون خلفه بغضا له فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال عليه الصلاة
والسلام اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى وبين ان قعوده بامره صلى الله
عليه وسلم يوازي في الاجر خروجه معه لان المدار على امر الشارع وانما قيل لها غزوة تبوك
لان النبي صلى الله عليه وسلم راى قوما من الصحابة يبكون جسي تبوك اي يدخلون فيه
القدح ويحركونه ليخرج الماء فقال ما زلتم تبكونها بوكا فسميت الغزوة غزوة تبوك الجسي
بالكسر ما سفته الارض من الرمل فاذا صار الى الصلابة امسكته فبحص عنه الرمل فتستخرجه وهو
الاحسا قاله الجوهري انتهى قوله تعالى من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق قلوب رفع بتزيغ عند
سيبويه ويضمر في كاد الحديث تشبيها بكان لان الخبر يلزمهما كما يلزم كان فان شئت رفعتها بكاد
ويكون التقدير من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ وقرا حمزة والاعمش وحفص يزيغ وقرا
الاعمش بالياء وزعم ابو حاتم انه من قرا بالياء فلا يجوز له ان يرفع القلوب بكاد قال النحاس

والذى لم يجزه جايز عند غيره على تذكير الجمع وحكى الفراء رجيت البلاد وارجيت ورجيت لغة اهل
الحجاز واختلف فى معنى تزيغ فقيل تتلف بالجهد والمشقة والشدة وقال ابن عباس يعدل اي
تميل عن الحق فى الممانعة والنصرة وقيل من بعد ما هم فريق منهم بالتخلف والعصيان ثم لحقوا به
وقيل هموا بالقعود فتاب الله عليهم وامرهم به قوله تعالى ثم تاب عليهم قيل توبته عليهم
ان تدارك قلوبهم حتى لم تزغ وكذلك سنة الحق مع اوليائه اذا اشرفوا على العطب ووطنوا
انفسهم على الهلاك امطر عليهم سحايب الجود فاحيا قلوبهم وانشدوا فى هذا المعنى منك ارجوا
ولست اعرف ربا يرتجى منه بعض ما كنت ارجوا واذا اشتدت الشدايد فى الارض على
الخلق فاستغاثوا وعجوا وابتليت العباد بالخوف والجوع وصروا على الذنوب ولجوا لم يكن
لي سواك ربي ملاذ فتيقنت انني بك انجوا وقال فى حق الثلاثة ثم تاب عليهم ليتوبوا فقيل
معنى تاب عليهم اي وفقهم للتوبة ليتوبوا وقيل المعنى تاب عليهم اي فسح لهم ولم يعجل عقابهم ليتوبوا
وقيل تاب عليهم ليتوبوا وقيل المعنى تاب عليهم ليرجعوا الى حال الرضى عنه وبالجملة فلولا ما سبق
لهم فى علمه انه قضى لهم بالتوبة ما تابوا دليله قوله عليه الصلاة والسلام اعملوا فكل ميسر لما خلق
له قوله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا الى قوله التواب الرحيم قيل خلفوا عن التوبة عن
مجاهد وابي مالك وقال قتادة عن غزوة تبوك وحكي عن محمد بن جرير معنى خلفوا تركوا لان معنى
خلفت فلانا تركته وفارقته قاعدا عما نهضت فيه وقرا عكرمة بن خالد خلفوا اي قاموا بعقب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن محمد بن جعفر انه قرا خالفوا وقيل خلفوا اي رجيوا واخروا
عن المنافقين فلم يقض فيهم شي وذلك ان المنافقين لم تقبل توبتهم واعتذر اقوام فقبل عذرهم
واخر النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الثلاثة حتى نزل فيهم القران وهذا هو الصحيح رواه البخارى
ومسلم وغيرهما واللفظ لمسلم قال كعب كنا خلفنا ايها الثلاثة من امر اولئك الذين قبل
منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وارجى رسول الله صلى الله عليه
وسلم امرنا حتى قضى فيه فبذلك قال تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذى ذكر مما خلفنا تخليفنا عن
الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه وهذا الحديث
هذا اخره والثلاثة الذين خلفوا هم كعب بن مالك ومرارة بن ربيعة العامري وهلال بن
امية وكلهم من الانصار وقد خرج البخارى ومسلم حديثهم فقال مسلم عن كعب بن مالك قال لم
اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط الا فى غزوة تبوك الا انى تخلفت فى
غزوة بدر فلم يعاتب احدا تخلف عنه انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون
عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة العقبة حتى تواثقنا على الاسلام وما احب ان لى بها مشهد بدر وان كانت بدر اذكر فى الناس منها
فكان من خبري حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى
جمعتهما فى تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا
ومفازا واستقبل عدوا كثيرا فجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم فاخبرهم بوجههم
الذى يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك
الديوان قال كعب فقل رجل يريد ان يتغيب فيظن ان ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي من
الله تعالى وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فانا
اليها اصعر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه وطفقت اغدو لكي اتجهز

معهم

معهم فارجع ولم اقض شيئا واقول فى نفسي انا قادر على ذلك اذا اردت فلم يزل ذلك يتمادى حتى
استمر بالناس الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه وطفقت اغدو لاتجهز فلم
اقض من جهازى شيئا وتفارط الغزو وهممت ان ارتحل فادركهم فيا ليتني فعلت ثم لم
يقدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني
ان لا ارى لي اسوة الا رجلا مغموصا عليه فى النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم ما فعل كعب بن مالك فقال
رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر فى عطفيه فقال له معاذ بن جبل بئس ما
قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما
هو على ذلك راى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة
فاذا هو ابو خيثمة الانصارى وهو الذى تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب بن
مالك فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه قافلا من تبوك حضرني بثي فطفقت
اتذكر الكذب واقول بم اخرج من سخطه غدا واستعين على ذلك بكل ذي راي من اهلي فلما قيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت انى لن انجو منه بشي ابدا
فاجمعت صدقه وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع
فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون
له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر
لهم ووكل سرائرهم الى الله عز وجل حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت امشي حتى
جلست بين يديه فقال لي ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك قال قلت يا رسول الله
انى والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت انى ساخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت
جدلا ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك حديث كذب ترضى به عني ليوشكن ان يسخطك الله
علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه انى لارجو فيه عقبى الله والله ما كان لي عذر
والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا
فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني وقالوا والله ما
علمناك اذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت فى ان لا يكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
والله ما زالوا يؤنبونني حتى اردت ان ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسي قال
ثم قلت لهم هل لقي هذا معي من احد قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقيل
لهما مثل ما قيل لك قال قلت من هما قالوا مرارة بن ربيعة العامرى وهلال بن امية الواقفي
قال فذكروا لي رجلين قد شهدا بدرا فيهما اسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي قال ونهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا
الناس وقال تغيروا لنا حتى تنكرت لي فى نفسي الارض فما هي بالارض التي اعرف فلبثنا على ذلك
خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب القوم
واجلدهم فكنت اخرج واشهد الصلاة واطوف فى الاسواق ولا يكلمني احد واتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فاقول فى نفسي هل حرك شفتيه برد
السلام ام لا ثم اصلي قريبا منه واسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتي نظر الي واذا التفت نحوه

اعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حايط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي قال فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت له يا ابا قتادة انشدك الله هل تعلمني احب الله ورسوله فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا انا امشي في سوق المدينة اذا بنبطي من نبط اهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدلني على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له الي حتى جاءني فدفع الي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقراته فاذا فيه اما بعد فانه بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسيك قال فقلت حين قراتها وهذه ايضا من البلاء فتياممت بها التنور فسجرته بها حتى اذا مضت اربعون من الخمسين واستلبث الوحي اذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان تعتزل امراتك قال فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال لا بل اعتزلها فلا تقربنها قال وارسل الى صاحبي بمثل ذلك قال فقلت لامراتي الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر قال فجاءت امراة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا رسول الله ان هلال بن امية شيخ ضايع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت انه والله ما به حركة الى شيء ووالله ما زال يبكي منذ ما كان من امره ما كان الى يومه هذا قال فقال بعض اهلي لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امراتك فقد اذن لهلال بن امية ان تخدمه قال فقلت لا استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ماذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا رجل شاب فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التي ذكر الله منا ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على سلع يقول باعلا صوته يا كعب بن مالك ابشر فخررت ساجدا وعرفت ان قد جاء فرج واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر وذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الي فرسا وسعى ساع من اسلم قبلي واوفى الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته اياهما ببشارته والله لا املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت امام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني بالتوبة ويقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام رجل من المهاجرين غيره فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور ويقول ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال فقلت امن عند الله ام من عندك قال لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك قال فلما جلست بين يديه فقلت يا رسول الله ان من توبة الله علي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فاني امسك سهمي الذي بخيبر قال وقلت يا

رسول الله ان الله تعالى انما انجاني بالصدق وان من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مما ابلاني الله به ووالله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا واني لارجوا الله ان يحفظني فيما بقي فانزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما انعم الله علي من نعمة قط بعد ان هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله قال للذين كذبوا حين نزل الوحي شر ما قال لاحد وقال الله تعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا ايها الثلاثة عن امر اولئك الذين قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وارجا رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة وليس الذي ذكر مما خلفنا تخلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه قوله عز وجل وضاقت عليهم الارض بما رحبت اي بما اتسعت يقال منزل رحب ورحيب ورحاب وما مصدرية اي ضاقت عليهم الارض برحبها لانهم كانوا مهجورين لا يعاملون ولا يكلمون وفي هذا دليل على هجران اهل المعاصي حتى يتوبوا قوله عز وجل وضاقت عليهم انفسهم اي ضاقت صدورهم من الهم والوحشة وبما لقوه من الصحابة والجفوة وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه اي تيقنوا ان لا ملجا يلجؤن اليه في الصفح عنهم وقبول التوبة منهم الا اليه قال ابو بكر الوراق التوبة النصوح ان تضيق على التايب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب وصاحبيه قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا فبدا بالتوبة منه قال ابو زيد غلطت في اربعة اشيا في الابتداء مع الله ظننت اني احبه فاذا هو احبني قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وظننت اني ارضى عنه فاذا هو قد رضي عني قال الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وظننت اني اذكره فاذا هو يذكرني قال الله تعالى ولذكر الله اكبر وظننت اني اتوب فاذا هو قد تاب علي قال الله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا وقيل المعنى ثم تاب عليهم ليثبتوا على التوبة كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا وقيل اي فسح لهم ولم يعجل عقابهم كما فعل بغيرهم قال عز وجل فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى وكونوا مع الصادقين هذا الامر بالكون مع اهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين قال مطرف سمعت مالكا يقول قلما كان رجلا صادقا لا يكذب الا متع بعقله ولم يصبه ما يصيب غيره من الهرم والخرف واختلف في المراد هنا بالمتقين والصادقين على اقوال فقيل هو خطاب لمن امن من اهل الكتاب وقيل هو خطاب لجميع المؤمنين اي اتقوا مخالفة امر الله وكونوا مع الصادقين اي مع الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لا مع المنافقين اي كونوا على مذهب الصادقين وسبيلهم وقيل هم الانبياء اي كونوا معهم بالاعمال الصالحة في الجنة وقيل هم المراد بقوله ليس البر ان تولوا وجوهكم الاية وقيل هم الموفون بما

عاهدوا وذلك كقوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم المهاجرون لقول ابي بكر
يوم السقيفة ان الله سمانا الصادقين فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم سماكم بالمفلحين فقال
والذين تبوؤا الدار والايمان الاية وقيل هم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم قال ابن العربي
وهذا القول هو الحقيقة والغاية التي اليها المنتهى فان هذه الصفة يرتفع بها النفاق في
العقيدة والمخالفة في الفعل وصاحبها يقال له الصديق كابي بكر وعمر وعثمان ومن دونهم
على منازلهم وازمانهم واما من قال انهم المراد باية البقرة فهو معظم الصدق ويتبعه الاقل وهو
معنى اية الاحزاب واما تفسير ابي بكر الصديق فهو الذي يعم الاقوال كلها فان جميع الصفات
فيهم موجودة الثانية حق من فهم عن الله وعقل عنه ان يلازم الصدق في الاقوال والاخلاص
في الاعمال والصفات في الاحوال فمن كان كذلك لحق بالابرار ووصل الى رضا الغفار قال صلى
الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق
حتى يكتب عند الله صديقا والكذب على الضد من ذلك قال صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب
يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند
الله كذابا خرجه مسلم فالكذب عار واهله مسلوب الشهادة وقد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم
شهادة رجل في كذبة كذبها قال معمر لا ادري اكذب على الله وعلى رسوله او كذب على احد من
الناس وسئل شريك بن عبد الله فقيل له يا ابا عبد الله رجل سمعته يكذب متعمدا اصلي خلفه
قال لا وعن ابن مسعود قال ان الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم شيئا ثم
لا ينجزه اقرؤوا ان شئتم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين هل ترون في الكذب
رخصة وقال مالك لا يقبل خبر الكاذب في حديث الناس وان صدق في حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال غيره يقبل حديثه والصحيح ان الكاذب لا تقبل شهادته ولا خبره لما ذكرناه
فان القبول مرتبة عظيمة وولاية شريفة لا تكون الا لمن كملت خصاله ولا خصلة هي اشر من
الكذب فهي تعزل الولايات وتبطل الشهادات قوله عز وجل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من
الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله الى قوله المحسنين فيه ست مسائل الاولى قوله تعالى
ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ظاهره خبر ومعناه
امر وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله وقد تقدم ان يتخلفوا موضع رفع اسم كان وهذه معاتبة
للمؤمنين من اهل يثرب وقبائل العرب المجاورة لها كمزينة وجهينة واشجع واسلم وغفار على
التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك والمعنى ما كان لهؤلاء المذكورين ان
يتخلفوا فان النفير كان فيهم بخلاف غيرهم فانهم لم يستنفروا في قول بعضهم ويحتمل ان يكون
الاستنفار في كل مسلم وخص هؤلاء بالعتاب لقربهم وجوارهم وانهم احق بذلك من غيرهم
الثانية قوله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه بالخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
في المشقة يقال رغبت عن كذا اي ترفعت عنه الثالثة قوله تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم
ظمأ اي عطش وقرء عبيد بن عمير ظماء بالمد وهما لغتان مثل خطا وخطاء ولا نصب عطف اي
تعب ولا زائدة للتوكيد وكذا ولا مخمصة اي مجاعة واصله ضمور البطن ومنه رجل خميص وامراة
خمصانة وقد تقدم في سبيل الله اي في طاعته ولا يطؤون موطئا اي ارضا يغيظ الكفار اي
بوطئهم اياه وهو في موضع نصب لانه نعت للموطئ اي غائظا ولا ينالون من عدو نيلا اي قتلا
وهزيمة واصله من نلت الشيء انال اي اصبت قال الكسائي هو من قولهم امر منيل منه وليس من

التاول انما التاول من نلته بالعطية قال غيره نلت انول من العطية من الواو والنيل من الياء
تقول نلته فانا نايل ادركته ولا يقطعون واديا العرب تقول واد واودية على غير قياس قال
النحاس ولا يعرف فيما علمت فاعل وافعلة سواه والقياس ان يجمع ووادى فاستثقلوا الجمع بين واوين
وهم قد يستثقلون واحدة حتى قالوا اقتت في وقتت وحكى الخليل وسيبويه في تصغير واصل اسم رجل
اويصل ولا يقولون غيره وحكى الفراء في جمع واد اوداء قال الشيخ رحمه الله وقد جمع اوداة قال
جرير عرفت ببرقة الاوداة رسما محيلا طال عهدك من رسوم الا كتب لهم به عمل صالح قال
ابن عباس بكل روعة تنالهم في سبيل الله سبعين الف حسنة وفي الصحيح الخيل ثلاثة وفيه
واما التي له اجر فرجل ربطها في سبيل الله لاهل الاسلام في مرج وروضة فما اكلت من ذلك
المرج او الروضة الا كتب له بعدد ما اكلت حسنات وكتب له عدد اروائها وابوالها حسنات
الحديث هذا وهي في مواضعها فكيف اذا ادرب بها الرابعة استدل العلماء بهذه الاية
على ان الغنيمة تستحق بالادراب والكون في بلاد العدو فان مات بعد ذلك فله سهمه وهو قول
اشهب وعبد الملك وهو احد قولي الشافعي وقال مالك وابن القاسم لا شيء له لان الله عز وجل
انما ذكر في هذه الاية الاجر ولم يذكر السهم قال الشيخ رحمه الله الاول اصح لان الله تعالى جعل
وطء ديار الكفار بمثابة النيل من اموالهم واخراجهم من ديارهم وهو الذي يغيظهم ويدخل الذل
عليهم فهو بمنزلة نيل الغنيمة والقتل والاسر واذا كان كذلك فالغنيمة تستحق بالادراب لا بالحيازة
ولذلك قال علي رضي الله عنه ما وطئ قوم في عقر ديارهم الا ذلوا والله اعلم الخامسة هذه الاية
منسوخة بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة وان حكمها حين كان المسلمون في قلة
فلما كثروا نسخت واباح الله التخلف لمن شاء قاله ابن زيد وقال مجاهد بعث النبي صلى الله
عليه وسلم قوما الى البوادي ليعلموا الناس فلما نزلت هذه الاية خافوا ورجعوا فانزل الله
وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال قتادة كان هذا خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم
اذا غزا بنفسه فليس لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر فاما غيره من الائمة والولاة فلمن
شاء ان يتخلف خلفه من المسلمين اذا لم يكن بالناس حاجة اليه ولا ضرورة وقول ثالث
انها محكمة قال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي وابن المبارك والفزاري والسبيعي وسعيد بن
عبد العزيز يقولون في هذه الاية انها لاول هذه الامة واخرها قال الشيخ رحمه الله قول
قتادة حسن بدليل غزاة تبوك والله اعلم السادسة روى ابو داود عن انس بن مالك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد تركتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا انفقتم من نفقة
ولا قطعتم من واد الا وهم معكم فيه قالوا يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة قال
حبسهم العذر خرجه مسلم من حديث جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة
فقال ان بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض فاعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم للمعذور من الاجر مثل ما اعطى القوي العامل وقد قال بعض الناس
انما يكون الاجر للمعذور غير مضاعف ويضاعف للعامل المباشر قال ابن العربي وهذا تحكم
على الله وتضييق لسعة رحمته وقد عاب بعض الناس فقال انهم يعطون الثواب مضاعفا
قطعا ونحن لا نقطع بالتضعيف في موضع فانه مبني على مقدار النيات وهذا امر مغيب
والذي يقطع به ان هناك تضعيفا وربك اعلم بمن يستحقه قال الشيخ رحمه الله الظاهر
من الاحاديث والاي المساواة في الاجر منها قوله صلى الله عليه وسلم من دل على خير فله مثل

اجرفاعله وقوله من توضأ وخرج الى الصلاة فوجد الناس قد صلوا اعطاه الله مثل اجر من صلاها
وحضرها وهو ظاهر قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت
فقد وقع اجره على الله وبدليل ان النية الصادقة هي اصل الاعمال فاذا صحت في فعل الطاعة فعجز
عنها صاحبها المانع منع منها فلا بعد في مساواة اجر ذلك العاجز لاجر القادر الفاعل ويزيد عليه
لقوله صلى الله عليه وسلم نية المومن خير من عمله قوله عز وجل وما كان المومنون لينفروا كافة فيه
ست مسائل الاولى قوله وما كان المؤمنون وهي ان الجهاد ليس على الاعيان وانه فرض كفاية
كما تقدم اذ لو نفر الكل لضاع من وراهم من العيال فليخرج فريق للجهاد وليقم فريق يتفقهون في
الدين ويحفظون الحريم اذا عاد النافرون اعلمهم المقيمون ما فعلوه من الاحكام الشرع وما
تجدد نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الاية ناسخة لقوله تعالى الا تنفروا وللاية التي قبلها
على قول مجاهد وابن زيد الثانية هذه الاية اصل في وجوب طلب العلم لان المعنى وما كان
المؤمنون لينفروا كافة والنبي صلى الله عليه وسلم مقيم لا ينفر فيتركوه وحده فلولا نفر بعد ما علموا
ان النفير لا يسع جميعهم من كل فرقة منهم طائفة وتبقى بقيتها مع النبي صلى الله عليه وسلم ليتحملوا عنه
الدين ويتفقهوا فاذا رجع النافرون اليهم اخبروهم بما سمعوا وعلموه وفي هذا ايجاب التفقه
في الكتاب والسنة وانه على الكفاية دون الاعيان ويدل عليه ايضا قوله تعالى فاسئلوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون فدخل في هذا من لا يعلم الكتاب والسنن الثالثة قوله تعالى فلولا
نفر قال الاخفش اي فهلا نفر من كل فرقة منهم طايفة الطايفة في اللغة الجماعة وقد تقع على
اقل من ذلك حتى يبلغ الرجلين وللواحد على معنى نفس طائفة وقد تقدم ان المراد بقوله تعالى
ان يعف عن طائفة منكم رجل واحد ولا شك ان المراد هنا جماعة لوجهين والاخر لغة اما
العقل فلان العلم لا يتحصل لواحد في الغالب واما اللغة فقوله ليتفقهوا في الدين ولينذروا
قومهم فجاء بضمير الجماعة قال ابن العربي والقاضي ابو بكر والشيخ ابو الحسن قبله يرون ان
الطايفة ههنا واحد ويعتضون به على وجوب العمل بخبر الواحد وهو صحيح لا من جهة ان
الطائفة تنطلق على الواحد ولكن من جهة ان خبر الشخص الواحد والاشخاص خبر واحد وان
مقابله وهو التواتر لا ينحصر قال الشيخ رحمه الله انص ما استدل به على ان الواحد يقال
له طايفة قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يعني نفسين دليله قوله تعالى
فاصلحوا بين اخويكم فجاء بلفظ التثنية والضمير في اقتتلوا وان كان ضمير جماعة فاقل الجماعة
اثنان في احد القولين للعلماء الرابعة قوله تعالى ليتفقهوا الضمير في ليتفقهوا ولينذروا
للمؤمنين مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله قتادة ومجاهد وقال الحسن للفرقة النافرة و
اختاره الطبري ومعنى ليتفقهوا في الدين اي يتبصروا ويتيقنوا بما يريهم الله من الظهور
على المشركين ونصرة الدين ولينذروا قومهم من الكفار اذا رجعوا اليهم من الجهاد فيخبرونهم
بنصرة الله تعالى نبيه والمؤمنين وانهم لا يدان لهم بقتالهم وقتال النبي صلى الله
عليه وسلم فينزل بهم ما نزل باصحابهم من الكفار قال الشيخ رحمه الله قول مجاهد وقتادة
ابين اي ليتفقه الطائفة المتاخرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النفور في السرايا
وهذا يقتضي الحث على طلب العلم والندب اليه دون الوجوب والالزام اذ ليس ذلك في
قوة الكلام وانما لزم طلب العلم بادلته قال ابو بكر بن العربي الخامسة طلب العلم ينقسم
قسمين فرض على الاعيان كالصلاة والزكاة والصيام قال الشيخ رحمه الله وفي هذا

المعنى

المعنى جاء الحديث المروي ان طلب العلم فريضة روى عبد القدوس بن حبيب ابو سعيد الوحاظي عن
حماد بن ابي سليمان عن ابراهيم النخعي سمعت انس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول طلب العلم فريضة على كل مسلم قال ابراهيم لم اسمع من انس بن مالك الا هذا الحديث وفرض
على الكفاية كتحصيل الحقوق واقامة الحدود والفصل بين الخصوم ونحوه اذ لا يصلح ان يتعلمه جميع
الناس فتضيع احوالهم واحوال سوامهم وتنقص او تبطل معايشهم فتعين بين الحالين ان يقوم به البعض
من غير تعيين وذلك بحسب ما يسره الله لعباده وقسمه بينهم من رحمته وحكمته بسابق قدرته
وكلمته السادسة طلب العلم فضيلة عظيمة ومرتبة شريفة لا يوازيها عمل روى الترمذي من
حديث ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يلتمس فيه علما
سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها رضى لطالب العلم ان العالم ليستغفر
له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر
ليلة البدر على ساير الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما
ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وروى الدارمي ابو محمد في مسنده قال حدثنا ابو المغيرة
حدثنا الاوزاعي عن الحسن قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين كانا في بني اسرائيل
احدهما كان عالما يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير والاخر يصوم النهار ويقوم الليل ايهما
افضل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل هذا العالم الذي يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس
الخير على العابد الذي يصوم النهار ويقوم الليل كفضلي على ادناكم اسنده ابو عمر في كتاب العلم عن
ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على امتي
وقال ابن عباس افضل الجهاد من بنى مسجدا يعلم فيه القران والفقه والسنة رواه شريك
عن ليث بن ابي سليم عن يحيى ابن ابي كثير عن علي الازدي قال اردت الجهاد فقال لي ابن عباس
الا ادلك على ما هو خير لك من الجهاد تاتي مسجدا فتقرئ فيه القران وتعلم فيه الفقه وقال
الربيع سمعت الشافعي يقول طلب العلم اوجب من الصلاة النافلة قوله عليه الصلاة والسلام
ان الملائكة لتضع اجنحتها الحديث يحتمل وجهين احدهما انها تعطف عليه وترحمه كما قال
تعالى فيما وصى به الاولاد من الاحسان الى الوالدين بقوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة اي
تواضع لهما والوجه الاخر ان يكون المراد بوضع الاجنحة فرشها في بعض الروايات وان الملائكة
لتفرش اجنحتها اي ان الملائكة اذا رات طالب العلم يطلبه من وجهه ابتغاء مرضات الله
وكانت ساير احواله مشاكلة لطلب العلم فرشت له اجنحتها في رحلته وحملته عليها فمن هناك
يسلم فلا يحفى ان كان ماشيا ولا يعيى وتقرب عليه الطريق البعيد ولا يصيبه ما يصيب
المسافر من انواع الضرر كالمرض وذهاب المال وضلال الطريق وقد مضى شيء من هذا المعنى
في ال عمران عند قوله شهد الله الاية انتهى السابعة روى عمران بن حصين قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة قال يزيد بن
هرون ان لم يكونوا اصحاب الحديث فلا ادري من هم قال الشيخ رحمه الله وهذا قول عبد
الرزاق في تاويل الاية انهم اصحاب الحديث ذكره الثعلبي سمعت شيخنا الاستاذ المقرئ النحوي
المحدث ابا جعفر احمد بن محمد بن محمد القيسي القرطبي المعروف بابي حجة رحمه الله يقول في
تاويل قوله عليه الصلاة والسلام لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة انهم
العلماء قال وذلك ان الغرب لفظ مشترك يشتمل على الدلو الكبير وعلى مغرب الشمس ويطلق

على فيضة من الدمع فعنى لا يزال اهل الغرب اي لا يزال اهل فيض الدمع من خشية الله عن علم به وباحكام ظاهرين الحديث قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال الشيخ رحمه الله وهذا التاويل يعضده قوله عليه الصلاة والسلام في صحيح مسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناواهم الى يوم القيمة وظاهر هذا المساق ان اوله مرتبط باخره والله اعلم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فيه مسئلة واحدة وهو انه عرفهم سبحانه كيفية الجهاد وان الابتداء بالاقرب فالاقرب من العدو ولهذا بدء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرب فلما فرغ قصد الروم وكانوا بالشام وقال الحسن نزلت قبل ان يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين فهو من التدريج الذى كان قبل الاسلام وقال ابو زيد المراد بهذه الاية وقت نزولها العرب فلما فرغ منهم نزلت في الروم وغيرهم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وقد روي عن ابن عمر ان المراد بذلك الديلم وروي عنه انه سئل بمن يبدء بالروم او بالديلم فقال بالروم وقال الحسن هو قتال الديلم والترك والروم وقال قتادة الاية على العموم في قتال الاقرب فالاقرب والادنى فالادنى قال الشيخ رحمه الله قول قتادة هو ظاهر الاية واختار ابن العربي ان يبدا بالروم قبل الديلم على ما قال ابن عمر لثلاثة اوجه احدها انهم اهل كتاب فالحجة عليهم اكبر واكد الثاني انهم الينا اقرب اعني اهل المدينة الثالث ان بلاد الانبياء في بلادهم اكثر فاستنقاذها منهم اوجب والله اعلم وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وقوة وحمية وروى المفضل عن الاعمش وعاصم غلظة بفتح الغين واسكان اللام قال الفراء لغة اهل الحجاز وبني اسد بكسر الغين ولغة بني تميم غلظة بضم الغين قوله تعالى وإذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يريكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم قوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ماصلة والمراد المنافقون ايكم زادته هذه ايمانا قد تقدم القول في زيادة الايمان ونقصانه في سورة آل عمران وتقدم معنى السورة في مقدمة الكتاب فلا معنى للاعادة وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز فان اعش فسابينها لكم وان امت فما انا على صحبتكم ذكره البخاري وقال ابن المبارك لم اجد بدا من ان اقول بزيادة الايمان والا رددت القران قوله تعالى واما الذين في قلوبهم مرض اي شك وريب ونفاق وقد تقدم فزادتهم رجسا الى رجسهم اي كفرا وشكا الى شكهم وقال مقاتل اثما الى اثمهم والمعنى متقارب قوله تعالى اولا يرون قراءة العامة بالياء خبرا عن المنافقين وقرا حمزة ويعقوب بالتاء خبرا عنهم وخطابا للمؤمنين وقرء الاعمش اولم يروا وقرا طلحة ابن مصرف ولا ترى وهي قراءة ابن مسعود خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم ويفتنون قال الطبري يختبرون قال مجاهد بالقحط والشدة وقال عكرمة بالامراض والاوجاع وهي روايد الموت وقال قتادة والحسن بالغزو والجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم ويرون ما وعد

الله من النصر ثم لا يتوبون كذلك ولا هم يذكرون قوله تعالى واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض ماصلة والمراد المنافقون اي اذا حضروا الرسول وهو يتلو قرانا انزل فيه فضيحتهم او فضيحة احد منهم جعل ينظر بعضهم الى بعض نظر الراغب على جهة التقرير يقول هل يريكم من احد اذا تكلمتم بهذا فينقله الى محمد وذلك جهل منهم بنبوته وان الله يطلعه على ما يشاء من غيبه وقيل ان نظر في هذه الاية بمعنى انبا وحكى الطبري عن بعضهم انه قال نظر في هذه الاية موضع قال القول تعالى ثم انصرفوا اي انصرفوا عن طريق الاهتداء وذلك انهم حين ما تبين لهم كشف اسرارهم والاعلام بالمغيبات امورهم يقع لهم لا محالة تعجب وتوقف ونظر فلو اهتدوا لكان ذلك الوقت مظنة لايمانهم فهم اذ يصممون على الكفر ويرتكبون فيه كانهم انصرفوا عن تلك الحال التي كانت مظنة النظر الصحيح والاهتداء ولم يسمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم سماع من يتدبره وينظر في اياته ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها قوله تعالى صرف الله قلوبهم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله صرف الله قلوبهم دعا عليهم اي قولوا لهم هذا ويجوز ان يكون خبرا عن صرفها عن الخير مجازاة لهم على فعلهم وهي كلمة يدعا بها كقوله قاتلهم الله والباء في قوله بانهم صلة لصرف الثانية قال ابن عباس يكره ان يقال انصرفوا من الصلاة لان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قضينا الصلاة اسنده الطبري عنه قال ابن العربي وهذا فيه نظر وما اظنه يصح فان نظام الكلام ان يقال لا يقل احد انصرفنا من الصلاة فان قوما قيل فيهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم اخبرنا محمد بن عبد الملك القيسي الواعظ حدثنا ابو الفضل الجوهري سماعا منه يقول كنا في جنازة فقال المنذر انصرفوا رحمكم الله فقال لا يقل احد انصرفوا فان الله تعالى قال في قوم ذمهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ولكن قولوا انقلبوا رحمكم الله فان الله تعالى قال في قوم مدحهم فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء الثالثة اخبر سبحانه وتعالى في هذه الاية بانه صارف القلوب ومصرفها وقالبها ومقلبها ردا على القدرية في اعتقادهم ان قلوب الخلق بايديهم وجوارحهم بحكمهم يتصرفون بمشيئتهم ويحكموا بارادتهم واختيارهم ولذلك قال مالك فيما رواه عنه اشهب ما ابين هذا في الرد على القدرية لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم وقوله عز وجل لنوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فهذا لا يكون ابدا ولا يرجع ولا يزول قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة هذه الايتان في قول ابي اقرب القران بالسماء عهدا وفي قول سعيد بن جبير اخر ما نزل من القران واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله والله اعلم والخطاب للعرب في قول الجمهور وهذا على جهة تعديد النعمة عليهم في ذلك اذ جاء بلسانهم وبما يفهمونه وشرفوا به غابر الايام وقال الزجاج هي مخاطبة لجميع العالم والمعنى لقد جاءكم رسول من البشر والاول اصوب قال ابن عباس ما من قبيلة من العرب الا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم فكانه قال يا معشر العرب لقد جاءكم رسول من بني اسمعيل والقول الثاني اوكد للحجة اي هو بشر منكم لتفهموا عنه وتاتموا به وقوله تعالى من انفسكم يقتضي مدحا لنسب النبي صلى الله عليه وسلم وانه من صميم العرب وخالصها وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اني من نكاح ولست من سفاح معناه ان نسبه صلى الله عليه وسلم الى ادم عليه السلام لم يكن النسل فيه الا من نكاح ولم يكن فيه زنا وقرا

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وفي عنه ١١٧٥

عبدالله بن قسط المكي من انفسكم بفتح الفاء من المنافسة ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن
فاطمة رضي الله عنها اي جاءكم رسول من اشرفكم وافضلكم من قولك شيء نفيس اذا كان مرغوبا فيه
وقيل من انفسكم اي اكثركم طاعة قوله تعالى ما عنتم اي تعز عليه مشقتكم والعنت المشقة ومن
قولهم اكمة عريب اذا كانت شاقة مملكة وقال ابن الانباري اصل العنت التشديد اذا قالت
العرب فلان يتعنت فلانا ويعنته فمراد ها يشدد عليه ويلزمه ما يصعب عليه اداؤه وقد
تقدم في البقرة وما في عنتم مصدرية وهي ابتدا وعزيز خبر مقدم ويجوز ان يكون ما عنتم
فاعلا بعزيز وعزيز صفة للرسول وهو اصوب وكذا حريص عليكم وكذا رءوف رفع على الصفة
وقال الفراء ولو قرئ عزيزا عليه حريصا رءوفا رحيما نصبا على الحال جاز قال ابو جعفر النحاس
واحسن ما قيل في معناه مما يوافق كلام العرب ما حدثنا احمد بن محمد الازدي حدثنا عبد
الله بن محمد الخزاعي قال سمعت عمرو بن علي يقول سمعت عبدالله بن داود الحريثي يقول في
قوله عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم قال ان تدخلوا النار حريص عليكم
قال ان تدخلوا الجنة وقيل حريص عليكم ان تؤمنوا وقال الفراء شحيح بان تدخلوا النار والحرص
على الشيء الشح عليه بان يضيع ويتلف بالمؤمنين رءوف رحيم الرءوف المبالغ في الرافة والشفقة
وقد تقدم في البقرة معنى رءوف رحيم مستوفى وقال الحسين بن الفضل لم يجمع الله لاحد من
الانبياء اسمين من اسمائه الا للنبي صلى الله عليه وسلم فانه قال بالمؤمنين رءوف رحيم وقال
ان الله بالناس لرءوف رحيم وقال يحيى بن عبد العزيز نظم الاية لقد جاءكم رسول من انفسكم
عزيز عليه حريص بالمؤمنين رءوف رحيم عليه ما عنتم لا يهمه الا شانكم وهو القائم بالشفاعة
لكم فلا تهتموا بما عنتم ما اقمتم على سنته فلا يرضيكم الا دخول الجنة قوله تعالى فان تولوا فقل
حسبي الله لا اله الا هو اي ان اعرض هؤلاء الكفار يا محمد بعد هذه المنة التي من الله عليهم
بها فقل حسبي الله اي كافي الله تعالى لا اله الا هو عليه توكلت اي اعتمدت واليه فوضت
جميع اموري وهو رب العرش العظيم خص العرش لانه اعظم المخلوقات فيدخل فيه ما دونه اذا
ذكره وقراءة العامة بخفض العظيم نعت للعرش وقرئ بالرفع صفة للرب ورويت عن
ابن كثير وهي قراءة ابن محيصن وفي كتاب ابي داود عن ابي الدرداء قال من قال اذا اصبح
واذا امسى حسبي الله عليه توكلت وهو رب العرش سبع مرات كفاه الله ما اهمه صادقا
كان بها او كاذبا وفي نوادر الاصول عن بريدة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عشر
كلمات دبر كل صلاة غداة وجد الله عندهن مكفيا خمس للدنيا وخمس للاخرة حسبي الله لما اهمني
حسبي الله لمن بغى علي حسبي الله لمن حسدني حسبي الله لمن كادني بسوء حسبي الله عند الموت
حسبي الله عند المسئلة في القبر حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت واليه انيب وحكى النقاش
عن ابي بن كعب انه قال اقرب القران عهدا بالله تعالى هاتان الايتان لقد جاءكم رسول
من انفسكم وهذه الاية ذكره الماوردي وقد ذكرنا عن ابن عباس خلاف ما ذكرنا في البقرة
وهو اصح وقال مقاتل تقدم نزولها بمكة وهذا فيه بعد لان السورة مدنية والله اعلم وقال
يحيى جرعم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يثبت اية في المصحف حتى يشهد عليها رجلان
فجاءه رجل من الانصار بالايتين من اخر سورة براءة لقد جاءكم رسول من انفسكم فقال عمر والله
لا اسالك بينة لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم فاثبتهما قال العلماء فالرجل هو خزيمة بن ثابت
وانما اثبتهما عمر رضي الله عنه بشهادته وحده لقيام الدليل على صحتها في صفة النبي صلى الله عليه وسلم

وهي قرينة يغني عن طلب شاهد اخر بخلاف اية الاحزاب رجال صدقوا ما عاهدوا الله فان ذلك
ثبت بشهادة زيد وخزيمة لسماعهما اياها من النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم هذا المعنى في مقدمة
الكتاب والله وحده هو حسبي ونعم الوكيل **سورة يونس عليه السلام وهي مكية**
في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس الا ثلاث ايات من قوله تعالى فان كنت
في شك الى اخرهن وقال مقاتل وهي قوله فان كنت في شك نزلت بالمدينة وقال مكية الا قوله
ومنهم من لا يؤمن به نزلت في المدينة في اليهود وقالت فرقة من اولها نحو من اربعين اية نزل
بمكة وباقيها بالمدينة بسم الله الرحمن الرحيم **الر**
قال النحاس قرئ على ابي جعفر احمد بن شعيب بن علي بن الحسن بن حوثب قال اخبرنا علي بن الحسين
عن ابيه عن يزيد ان عكرمة حدثه عن ابن عباس الر وحم ون الرحمن مفرقة فحدثت بها الاعمش
فقال عندك اشباه هذا ولا تخبرني به وعن ابن عباس ايضا قال معنى الر انا الله ارى قال
النحاس ورايت ابا اسحاق يميل الى هذا القول لان سيبويه قد حكى مثله عن العرب وانشد بالخير
خيرات وان شرا فا ولا اريد الشر الا ان تاء وقال الحسن وعكرمة الر قسم وقال سعيد بن قتادة الر اسم
السورة قال وكذلك كل هجا في القران وقال مجاهد فواتح السور وقال محمد بن يزيد هي تنبيه ذكر
حروف التهجي وقرئ الر بغير امالة وقرئ بالامالة لئلا يشبه ما ولا من الحروف قوله تعالى **تلك
ايات الكتاب الحكيم اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين
امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين** قوله تلك ايات الكتاب
الحكيم ابتدا وخبر اي تلك التي جرى ذكرها ايات الكتاب الحكيم قال مجاهد وقتادة اراد التورية
والانجيل والكتب المتقدمة فان تلك اشارة الى غايب مؤنث وقيل تلك بمعنى هذه اي هذه
ايات الكتاب الحكيم قاله مجاهد ومنه قول الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر
اولادها كالزبيب اي هذه خيلي والمراد القران وهو اولى بالصواب لانه لم يجر للكتب المتقدمة
ذكر ولان الحكيم من نعت القران دليله قوله تعالى الر كتاب احكمت اياته وقد تقدم هذا المعنى
في اول سورة البقرة والحكيم المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام قاله ابو عبيدة وغيره
وقيل الحكيم بمعنى الحاكم اي انه حاكم بالحلال والحرام وحاكم بين الناس بالحق فيما اختلفوا فيه وقيل
الحكيم بمعنى الحاكم اي انه محكوم فيه اي حكم الله فيه العدل والاحسان وايتاء ذي القربى
وحكم فيه بالنهي عن الفحشاء والمنكر وبالجنة لمن اطاعه وبالنار لمن عصاه فهو فعيل بمعنى المفعول قاله
الحسن وغيره وقال الحكيم بمعنى المحكم من الباطل لا كذب فيه ولا اختلاف فعيل بمعنى مفعول كقول الاعشى
يذكر قصيدته التي قالها وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها قوله عز وجل
اكان للناس عجبا استفهام معناه التقرير والتوبيخ وعجبا خبر كان واسمها ان اوحينا وهو في
موضع رفع اي كان ايحاؤنا عجبا للناس وفي قراءة عبدالله عجب على انه اسم كان والخبر ان
اوحينا الى رجل منهم وقرئ رجل باسكان الجيم وسبب النزول فيما روي عن ابن عباس ان الكفار
لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ان الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا وقالوا ما وجد الله من
يرسله الا يتيم ابي طالب فنزلت اكان للناس عجبا يعني اهل مكة وقيل انما تعجبوا من ذكر البعث
قوله عز وجل ان انذر الناس في موضع نصب باسقاط الخافض اي بان انذر وكذا قوله ان لهم
قدم صدق وقد تقدم معنى النذارة والبشارة وغير ذلك من الفاظ الاية واختلف في معنى
قوله قدم صدق فقال ابن عباس قدم صدق سبق السعادة في الذكر الاول وقاله مجاهد

الزجاج درجة عالية قال ذو الرمة لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العالي طمت على البحر
قال قتادة سلف صدق الربيع ثواب صدق عطا مقام صدق وقال يمان ايمان صدق وقيل دعوة
الملائكة وقيل ولد صالح قدموه قال الماوردي ان يوافق صدق الطاعة صدق الجزا وقال الحسن
وقتادة ايضا هو محمد صلى الله عليه وسلم فانه شفيع مطاع يتقدمهم كما قال انا فرطكم على الحوض وقد
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال هي شفاعتي توسلون بي الى ربكم وقال الترمذي الحكيم
قدمه صلى الله عليه وسلم في المقام المحمود وعن الحسن ايضا مصيبتهم في النبي صلى الله عليه وسلم وقال
عبد العزيز بن يحيي قدم صدق قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون
وقال مقاتل اعمالا قدموها واختاره الطبري قال ابو صالح صل لذي العرش واتخذ قدما
تنجيك يوم العثار والزلل وقيل هو تقديم الله هذه الامة في الحشر من القبر وفي ادخال الجنة
كما قال نحن الاخرون السابقون يوم القيمة المقضي لهم قبل الخلايق وحقيقته انه كناية عن
السعي في العمل الصالح فكنى عنه بالقدم كما يكنى عن الانعام باليد وعن الثنا باللسان وانشد
حسان لنا القدم العليا اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع يريد السابقة باخلاص
الطاعة والله اعلم وقال ابو عبيد والكسائي كل سابق من خير او شر فهو عند العرب قدم لفلان
قدم في الاسلام وله عندي قدم صدق وقدم شر وقدم خير وهو مونث وقد يذكر يقال قدم
حسن وقدم صالحة وقال ابن الاعرابي القدم المتقدم في الشرف وقال العجاج زل بنو العوام عن
ال الحكم وتركوا الملك لملك ذي قدم وفي الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لي خمسة
اسماء انا محمد واحمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا
العاقب الذي يريد اخر الاسماء كما قال تعالى وخاتم النبيين قوله تعالى ان هذا لسحر مبين
قرا ابن محيصن وابن كثير والكوفيون وعاصم وحمزة والكسائي وخلف والاعمش ساحر نعتا للرسول
صلى الله عليه وسلم وقرا الباقون سحر نعت للقران وقد تقدم معنى السحر في البقرة قوله تعالى ان
ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع
الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا
انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا
وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات
لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم
يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن اياتنا
غافلون اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم
ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم
فيها سلام واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
تقدم في الاعراف الكلام عليه يدبر الامر قال مجاهد ويقضيه ويدبره وحده ابن عباس لا يشركه
في تدبير خلقه احد وقيل يبعث بالامر وقيل ينزل به وقيل يامر به ويمضيه والمعنى متقارب فجبريل
للوحي وميكائيل للقطر واسرافيل للصور وعزرائيل للقبض وحقيقته تنزيل الامور في مراتبها على
احكام عواقبها وهو مشتق من الدبر والامر اسم لجنس الامور ما من شفيع في موضع رفع والمعنى ما
شفيع الا من بعد اذنه وقد تقدم في البقرة معنى الشفاعة فلا يشفع احد نبي ولا غيره الا باذنه

سبحانه وهو رد على الكفار في قولهم فيما عبدوه من دون الله هؤلاء شفعاؤنا عند الله فاعلم الله سبحانه
ان احدا لا يشفع لاحد الا باذنه فكيف تشفع اصنام لا تنفع قوله تعالى ذلكم الله ربكم فاعبدوه اي ذلكم
الذي فعل هذه الاشياء من خلق السموات والارض هو ربكم لا رب غيره فاعبدوه اي وحدوه
واخلصوا له العبادة افلا تذكرون اي مخلوقاته فتستدلون بها عليه انتهى قوله تعالى اليه مرجعكم
رفع بالابتداء جميعا نصب على الحال ومعنى الرجوع الى الله الرجوع الى جزائه وعد الله حقا مصدران
اي وعد الله ذلك وعدا وحققه حقا صدقا لا خلف فيه وقرا ابراهيم بن ابي عبلة وعد الله حق على
الاستيناف قوله تعالى انه يبدء الخلق اي من التراب ثم يعيده اليه مجاهد ينشيه ثم يميته وقرء
يزيد بن القعقاع انه يبدءوا الخلق يكون انه في موضع نصب اي وعدكم الله يبدؤ الخلق ويجوز
ان يكون التقدير لانه يبدؤا الخلق كما يقال لبيك ان الحمد والنعمة لك والكسر اجود واجاز الفرا
ان يكون ان في موضع رفع فتكون اسما قال احمد بن يحيي يكون التقدير حقا ابدا والحق قوله تعالى
ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بالعدل والذين كفروا لهم شراب من حميم اي
مفعول ما حار قد انتهى حره والحميم مثله يقال حممت الماء احمه فهو حميم اي محموم فعيل بمعنى
مفعول وكل مسخن عند العرب فهو حميم وعذاب اليم اي موجع يخلص وجعه الى قلوبهم بما كانوا
يكفرون اي بكفرهم وكان معظم قريش يعترفون بان الله خالقهم فاحتج عليهم بهذا فان
من قدر على الابتدا قدر على الاعادة بعد الافنا وبعد تفريق الاجزاء قوله تعالى هو الذي جعل
الشمس ضياء مفعولان اي مضية ولم يونث مصدرا وذات ضياء والقمر نورا عطف اي منيرا
او ذا نور فالضياء ما يضي الاشياء والنور ما يتبين ما يخفي لانه من النار من اصل واحد والضيا
جمع ضوء كالسياط والحياض جمع سوط وحوض وقرا قنبل عن ابن كثير ضئيا بهمز اليا ولا وجه
له لان ياءه كانت واوا مفتوحة وهي عين الفعل اصلها ضواء فقلبت وجعلت ياء كما جعلت
في الصيام والقيام قال المهدوي ومن قرء ضئيا بالهمزة فهو مقلوب قدمت الهمزة التي بعد
الالف فصارت قبل الالف فصار ضئيا ثم قلبت الياء همزة لوقوعها بعد الالف زائدة
وكذلك ان قدرت ان الياء حين تاخرت رجعت الى الواو التي انقلبت عنها فانها تقلب همزة
ايضا قراته قلاع مقلوب من فعلا ويقال ان الشمس والقمر يضيء وجوههما لاهل السموات السبع
وظهورهما لاهل الارضين السبع قوله تعالى وقدره منازل اي ذا منازل او قدر له منازل
ثم قيل المعنى وقدرهما فوحد ايجازا واختصارا كما قال تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها كما قال بعضهم نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف وقيل ان الاخبار عن
القمر وحده اذ به تحصى الشهور التي عليها العمل في المعاملات ونحوها كما تقدم في البقرة وفي
سورة يس والقمر قدرناه منازل اي على عدد الشهور وهو ثمانية وعشرون منزلا ويومان
للنقصان والمحاق وهناك ياتي بيانه وقوله تعالى لتعلموا عدد السنين والحساب قال ابن
عباس لو جعل شمسين شمسا بالليل وشمسا بالنهار ليس فيهما ظلمة ولا ليلا لم يعلم عدد
السنين وحساب الشهور وواحد السنين سنة ومن العرب من يقول سنوات في الجمع ومنهم
من يقول سنهات والتصغير سنيهة وسنية قوله تعالى ما خلق الله ذلك الا بالحق اي ما
اراد الله عز وجل بخلق ذلك الا الحكمة واظهار الصنيعة وحكمته ودلالة على قدرته وعلمه
ولتجزى كل نفس بما كسبت فهذا هو الحق قوله عز وجل يفصل الايات لقوم يعلمون تفصيل
الايات تبيينها ليستدل بها على قدرته تعالى لاختصاص الليل بظلامه والنهار بضيائه

من غير استحقاق لهما ولا ايجاب فيكون هذا لهم دليلا على ان ذلك بارادة مريد وقرا ابن كثير وابو عمرو
وحفص ويعقوب يفصل بالياء واختاره ابو عبيد وابو حاتم كقوله من قبله ما خلق الله ذلك الا
بالحق وبعده وما خلق الله السموات والارض فيكون متبعا له وقرا ابن السميقع يفصل بضم الياء
وفتح الصاد على الفعل المجهول والايات رفعا والباقون نفصل بالنون على التعظيم قوله تعالى
ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات تقدم في البقرة وغيرها
معناه والحمد لله وقد قيل ان سبب نزولها ان اهل مكة سالوا اية فردهم الى تامل مصنوعاته
والنظر فيها قاله ابن عباس لقوم يتقون اي الشرك فاما من اشرك ولم يستدل فليست
الاية له اية قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا يرجون يخافون ومنه قول الشاعر
اذا لسعته النحل لم يرج لسعها ۞ وخالفها في بيت نوب عواسل ۞ وقيل يرجون يطمعون ومنه قول
الاخر ايرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة وراءنا فالرجا يكون بمعنى الخوف
والطمع اي لا يخافون عقابا ولا يرجون ثوابا وجعل لقاء العذاب والثواب لقاء الله تفخيما
لهما وقيل يجري اللقاء على ظاهره وهو الرؤية اي يطمعون في رؤيتنا وقال بعض العلماء لا يقع
الرجا بمعنى الخوف الا مع الجحد كقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وقال بعضهم بل يقع بمعناه
في كل موضع دل عليه المعنى قوله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا اي رضوا بها عوضا عن الاخرة
فعملوا لها واطمانوا بها اي فرحوا بها وسكنوا اليها واصل اطمان طامن طمانينة تقدمت ميمه
وزيدت نون والف وصل ذكره الغزنوي والذين هم عن اياتنا اي عن ادلتنا غافلون اي لا
يعتبرون ولا يتفكرون اولئك ماويهم النار اي مثواهم ومقامهم النار بما كانوا يكسبون اي من
الكفر والتكذيب قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اي صدقوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بايمانهم اي يزيدهم هداية كقوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقيل
يهديهم الى مكان تجري من تحتهم الانهار وقال ابو روق يهديهم ربهم بايمانهم الى الجنة وقال
عطا يهديهم ويجزيهم وقال مجاهد يهديهم بالنور على الصراط الى الجنة يجعل لهم
نورا يمشون به ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يقوي هذا انه قال يتلقى المومن عمله في
احسن صورة فيونسه ويهديه ويتلقى الكافر عمله في اقبح صورة فيوحشه ويضله هذا
معنى الحديث وقال ابن جريج يجعل عملهم هاديا لهم الحسن يهديهم يرحمهم قوله تعالى
تجري من تحتهم الانهار اي من تحت بساتينهم وقيل من تحت اسرتهم وهذا احسن في النزهة
والفرجة قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم اي دعاؤهم والدعوى مصدر دعى يدعو كالشكوى
مصدر شكى يشكو اي دعاؤهم في الجنة اي يقولوا سبحانك اللهم وقيل اذا ارادوا ان يسالوا
شيئا اخرجوا السؤال بلفظ التسبيح ويختمون بالحمد وقيل نداؤهم الخدم ليأتوهم بما شاؤا ثم
سبحوا وقيل ان الدعا هنا بمعنى التمني قال الله تعالى ولهم فيها ما يدعون اي ما يتمنونه
والله اعلم قوله تعالى تحيتهم فيها سلام اي تحية الله لهم او تحية الملائكة او تحية بعضهم
لبعض سلام وقد مضى في النساء معنى التحية مستوفى والحمد لله قوله تعالى واخر دعواهم ان
الحمد لله رب العالمين فيه اربع مسائل الاولى قيل ان اهل الجنة اذا مر بهم الطير واشتهوه
قالوا سبحانك اللهم فياتيهم الملك بما اشتهوا فاذا اكلوا حمدوا الله فسؤالهم بلفظ التسبيح
والختم بلفظ الحمد ولم يحك ابو عبيدة تخفيف ان ورفع ما بعدها قال وانما نراهم اختاروا
هذا وفرقوا بينها وبين قوله عز وجل ان لعنت الله وان غضب الله لانهم ارادوا الحكاية

حين

حين يقال الحمد لله قال النحاس مذهب الخليل وسيبويه ان ان هذه مخففة من الثقيلة والمعنى انه
الحمد لله فعلها خفيفة عملها ثقيلة والرفع اقيس قال النحاس وحكى ابو حاتم ان بلال بن ابي بردة
قرا واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين قلت وهي قراءة ابن محيصن حكاه الغزنوي لانه يحكى
عنها التسبيح والحمد والتهليل قد يسمى دعاء روى البخاري ومسلم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله
رب السموات ورب الارضين ورب العرش الكريم قال الطبري كان السلف يدعون بهذا الدعاء
ويسمونه دعاء الكرب وقال ابن عيينة وقد سئل عن هذا اما علمت ان الله تعالى يقول اذا
اشتغل عبدي بثنائه عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين والذي يقطع النزاع وان هذا
يسمى دعاء وان لم يكن فيه من معنى الدعاء شيء وانما معناه تعظيم الله والثناء عليه ما رواه النسائي
عن سعد بن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة ذا النون الذي دعا بها
في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فانه لن يدعو بها مسلم في شيء الا
استجيب له الثالثة من السنة لمن بدا بالاكل ان يسمي الله عند اكله وشربه ويحمده عند فراغه
اقتداء باهل الجنة وفي صحيح مسلم عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
يرضى عن العبد ان ياكل الاكلة فيحمده عليها او الشربة فيحمده عليها الرابعة يستحب للداعي
ان يقول في اخر دعائه كما قال اهل الجنة واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وحسن ان يقرا
اخر الصافات فانها جمعت تنزيه الباري تعالى عما نسب اليه والتسليم على المرسلين والختم بالحمد
لله رب العالمين قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر
الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا
او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون
ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك
نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون واذا تتلى
عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله قل ما يكون
لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم
قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون
الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم
في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر
استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله ولو يعجل الله للناس الشر
قيل معناه لو يعجل الله للناس العقوبة كما يستعجلون الثواب والخير لماتوا لانهم خلقوا في الدنيا
خلقا ضعيفا وليس هم كذلك يوم القيامة لانهم يوم القيامة يخلقون للبقاء وقيل المعنى
لو فعل الله مع الناس في اجابته الى المكروه مثل ما يريدون فعله معهم في اجابته الى الخير لاهلكهم
وهو معنى لقضي اليهم اجلهم وقيل انه خاص بالكفار اي ولو يعجل الله للكفار العذاب على كفرهم
لما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد لعجل لهم قضى اجلهم معجل عذاب الاخرة قاله ابن اسحق
ومقاتل وهو قول النضر بن الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من
السماء فلو عجل لهم هذا لهلكوا وقال مجاهد نزلت في الرجل يدعو على نفسه او ماله او ولده

اذا غضب اللهم اهلكه اللهم لا تبارك فيه والعنه او نحو هذا فلو استجيب ذلك منه كما استجاب الخير
لقضي اليهم اجلهم فالاية نزلت ذامة لخلق ذميم هو في بعض الناس يدعون في الخير ويريدون
تعجيل الاجابة ثم يحملهم احيانا سوء الخلق على الدعاء في الشر فلو عجل لهم لهلكوا الثانية اختلف
في اجابة هذا الدعاء فروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني سالت الله عز وجل ان لا يستجيب
دعاء حبيب على حبيب قال شهر بن حوشب قرات في بعض الكتب ان الله تعالى يقول للملائكة
الموكلين بالعبد لا تكتبوا على عبدي في حال ضجرة شيئا لطفا من الله تعالى عليه قال بعضهم وقد
يستجاب ذلك الدعاء واحتج بحديث جابر الذي رواه مسلم في صحيحه اخر الكتاب قال جابر
سرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بواط وهو يطلب المجدي بن عمرو الجهني وكان الناضح
يعتقبه منا الخمسة والستة والسبعة فدارت عقبة رجل من الانصار على ناضح له فاناخه
فركبه ثم بعثه فتلدن عليه بعض التلدن فقال له شا لعنة الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من هذا اللاعن بعيره قال انا يا رسول الله قال انزل عنه فلا يصحبنا ملعون لا تدعوا
على انفسكم ولا تدعوا على اولادكم لا توافقوا ساعة فيسال فيها عطاء فيستجيب لكم ومن غير مسلم
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فلعن رجل ناقته فقال اين الذي لعن ناقته فقال
الرجل انا هذا يا رسول الله فقال اخرها عنك فقد اجبت فيها ذكره الحلبي في منهاج الدين
شا يروى بالسين والشين وهو زجر للبعير بمعنى سر الثالثة قوله ولو يعجل الله قال العلماء
التعجيل من الله والاستعجال من العبد وقال ابو علي هما من الله وفي الكلام حذف اي ولو يعجل
الله الناس من الشر تعجيلا مثل استعجالهم بالخير ثم حذف تعجيلا واقام صفته مقامه ثم حذف
المضاف واقام المضاف اليه مقامه هذا مذهب الخليل وسيبويه وعلى قول الاخفش والفراء
كاستعجالهم ثم حذف الكاف ونصب وقال الفراء لا تقول ضربت زيدا ضربك اي كضربك
وقرا ابن عامر لقضى اليهم اجلهم وهي قراءة حسنة لانه متصل بقوله ولو يعجل الله للناس قوله
عز وجل فنذر الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يعجل لهم الشر فربما يتوب منهم تائب او يخرج
من اصلابهم مؤمن في طغيانهم يعمهون اي يتحيرون والطغيان هو العلو والارتفاع وقد
تقدم في البقرة وقد قيل ان المراد بهذه الاية اهل مكة وانها نزلت حين قالوا اللهم ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم على ما تقدم
والله اعلم قوله تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه الاية قيل المراد بالانسان هنا
الكافر وقيل هو ابو حذيفة بن المغيرة المشرك يصيبه البأس والشدة والجهد دعانا لجنبه
اي على جنبه مضطجعا او قاعدا او قائما وانما اراد جميع حالاته لان الانسان لا يعدو احد
هذه الحالات الثلاث قال بعضهم انما بدا بالمضطجع لانه بالضر اشد في غالب امره فهو
يدعو اكثر واجتهاده اشد ثم القاعد ثم القائم فلما كشفنا عنه ضره مر اي استمر على كفره
ولم يشكر ولم يتعظ قلت كثير من المخلطين الموحدين اذا اصابه العافية مر على ما كان
من المعاصي فالاية تعم الكافر وغيره كان لم يدعنا قال الاخفش هي ان الثقيلة خففت
والمعنى كانه وانشد وي كان من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر كذلك
زين اي كما زين لهذا الدعاء عند البلاء والاعراض عند الرخاء زين للمسرفين اي المشركين اعمالهم
من الكفر والمعاصي وهذا التزيين يجوز ان يكون من الله ويجوز ان يكون من الشيطان واضلاله
له واغوائه دعاؤه الى الكفر قوله تعالى ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا يعني الامم

الماضية من قبل اهل مكة اهلكناهم لما ظلموا اي كفروا واشركوا وجاءتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الواضحات
والبراهين النيرات وما كانوا ليؤمنوا اي اهلكناهم لعلمنا انهم لا يؤمنون فخوف كفار قريش عذاب
الامم الماضية اي نحن قادرون على اهلاك هؤلاء بتكذيبهم محمدا عليه الصلاة والسلام لكن نمهلهم
لعلمنا ان فيهم من يؤمن وهذه الاية ترد على اهل الضلال القائلين بخلق الهدى والايمان وقيل
معنى وما كانوا ليؤمنوا اي جازاهم على كفرهم بان طبع على قلوبهم ويدل على هذا انه قال كذلك نجزي
القوم المجرمين قوله تعالى ثم جعلناكم خلائف مفعولان والخلائف جمع خليفة وقد تقدم اخر الانعام
اي جعلناكم سكان الارض من بعدهم اي من بعد القرون المهلكة لننظر نصب بلام كي وقد تقدم نظائره
وامثاله اي ليقع منكم ما تستحقون به الثواب والعقاب ولم يزل يعلمه غيبا وقيل يعاملكم معاملة
المختبر اظهارا للعدل وقيل النظر راجع الى الرسل اي لننظر رسلنا واولياؤنا كيف اعمالكم وكيف
نصب بقوله تعملون لان الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله قوله عز وجل واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات الى قوله عظيم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله واذا تتلى تقرا وبينات نصب على الحال
اي واضحات لا لبس فيها ولا اشكال قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني لا يخافون يوم البعث والحساب
ولا يرجون الثواب قال قتادة مشركي اهل مكة ايت بقران غير هذا او بدله والفرق بين تبديله والاتيان
بغيره ان تبديله لا يجوز معه والاتيان بغيره قد يجوز ان يكون معه وفي قولهم ذلك ثلاثة اوجه
احدها انهم سالوه ان يحول الوعد وعيدا والوعيد وعدا والحلال حراما والحرام حلالا قاله ابن جرير
الطبري والثاني سالوه ان يسقط ما في القران من عيب الهتهم وتسفيه احلامهم قاله ابن عيسى الثالث
انهم سالوه اسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور قاله الزجاج الثانية قوله تعالى قل ما
يكون لي ان ابدله اي قل يا محمد ما كان لي ان ابدله من تلقاء نفسي من عندي كما ليس لي ان القاه
بالرد والتكذيب ان اتبع الا ما يوحى الي اي لا اتبع الا ما اتلوه عليكم من وعد ووعيد وتحليل وتحريم
وامر ونهي وقد يستدل من هذا من منع نسخ الكتاب بالسنة لانه تعالى قال قل ما يكون لي ان ابدله
من تلقاء نفسي وهذا فيه بعد فان الاية وردت في طلب المشركين مثل القران نظما ولم يكن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدرة على ذلك ولم يسالوه تبديل الحكم دون اللفظ ولان الذي
يقوله الرسول عليه الصلاة والسلام اذا كان وحيا لم يكن من تلقاء نفسه بل كان من الله تعالى
الثالثة قوله تعالى اني اخاف ان عصيت ربي اي ان خالفت في تبديله وتغييره او في ترك العمل
به عذاب يوم عظيم يعني يوم القيمة قوله عز وجل قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به اي
لو شاء الله ما ارسلني اليكم فتلوت عليكم القران ولا اعلمكم الله ولا اخبركم به يقال دريت الشيء
وادراني الله به ودريته ودريت به وفي الدراية معنى الختل ومنه دريت الرجل اي ختلته ولهذا
لا يطلق الداري في حق الله تعالى وايضا عدم فيه التوقيف وقرا ابن كثير ولادراكم به بغير الف من
اللام والهمزة والمعنى لو شاء الله لاعلمكم من غير ان اتلوه عليكم فهو لام التوكيد دخلت على الف
افعل وقرا ابن عباس والحسن ولا ادراتكم به بتحويل الياء الفا على لغة بني عقيل قال الشاعر
لعمرك ما اخشى له فلك ما بقى على الارض قيسي يسوق لا باعرا وقال اخر الا اذنت اهل اليمامة
طيء كناطقه الاغر الشمر قال ابو حاتم سمعت الاصمعي يقول سالت ابا عمرو بن العلا هل قراة
الحسن ولا ادراتكم به الا الغلط به يقال دريت اي علمت وداريت غيري ويقال درات اي دفعت
فيقع الغلط بين دريت وداريت قال ابو حاتم يريد الحسن فيما احسب ولا ادريتكم به فابدل من الياء
الفا على لغة بني الحارث بن كعب يبدلون من الياء الفا اذا انفتح ما قبلها مثل ان هذان لساحران

ومن قال ادراتكم ان اصل الهمزة فاصله ادريتكم فقلبت الياء الفا وان كانت ساكنة كما قالوا يايس
في ييس وطايي في طيي ثم قلبت الالف همزة على لغة من قال في العالم العلم وفي الخاتم الختم قال النحاس
وهذا غلط اذ الرواية عن الحسن ولا ادراتكم بالهمز وابو حاتم وغيره تكلم على انه بغير همز ويجوز ان
يكون من درات اي دفعت اي ولا امرتكم ان تدفعوا وتتركوا الكفر بالقران قوله تعالى فقد لبثت فيكم
عمرا ظرفا اي مقدارا من الزمان وهو اربعون سنة من قبله اي من قبل انزال القران تعرفونني بالصدق
والامانة لا اقرا ولا اكتب ثم جئتكم بالمعجزات افلا تعقلون ان هذا لا يكون الا من عند الله لا من
قبلي وقيل المعنى لبثت فيكم عمرا اي لبثت فيكم مدة شبابي لم اعص الله فتريدون مني الان وقد
بلغت اربعين سنة ان اخالف امر الله واغير ما ينزله علي قال قتادة لبث فيهم اربعين سنة
واقام سنتين يرى رؤيا الانبياء وتوفي صلى الله عليه وسلم وهو ابن اثنين وستين سنة قوله تعالى
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا وبدل كلامه واضاف اليه شيئا مما لم ينزله ولذلك لا احد اظلم
منكم اذا انكرتم القران فافتريتم على الله الكذب وقلتم ليس هذا كلامه وهذا مما امر به الرسول عليه
السلام بان يقول لهم وقيل هو من قول الله ابتداء وقيل المفتري المشرك والمكذب بالايات اهل
الكتاب انه لا يفلح المجرمون قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم يريد الاصنام
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وهذه غاية الجهالة منهم حيث ينتظرون الشفاعة في
المال ممن لا يوجد منه نفع ولا ضر في الحال وقيل شفعاؤنا اي تشفع لنا عند الله في اصلاح معاشنا
في الدنيا قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض قراءة العامة تنبئون بالتشديد
وقرا ابو السمال العدوي اتنبئون الله مخففا من انبأ ينبئ وقرا العامة من نبأ ينبئ وهما
بمعنى واحد جمعهما قوله تعالى من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير اي اتخبرون الله ان له
شركا في السموات ولا في الارض لانه لا شريك له فلذلك لا يعلمه نظيره اتنبئونه بما لا يعلم
في الارض ثم نزه نفسه وقدسها عن الشرك فقال سبحانه وتعالى عما يشركون اي هو اعظم من ان
يكون له شريك وقيل المعنى تعبدون ما لا ينفع ولا يضر ولا يميز وتقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله تكذبون وقد بينا الكم ان تنبئونه بما لا يعلم سبحانه وتعالى عما يشركون وقرا حمزة
والكسائي تشركون بالتاء وهو اختيار ابي عبيد الباقون بالياء قوله تعالى وما كان الناس الا
امة واحدة فاختلفوا تقدم معناه في البقرة فلا معنى لاعادته وقال الزجاج هم العرب كانوا
على الشرك وقيل كل مولود يولد على الفطرة فاختلفوا عند البلوغ ولولا كلمة سبقت من ربك
اشارة الى القضاء والقدر اي لولا ما سبق في حكمه انه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب
والعقاب دون القيمة لقضي بينهم في الدنيا فادخل المؤمنين الجنة باعمالهم والكافرين النار
بكفرهم ولكنه سبق من الله الاجل مع علمه بصنيعهم فجعل موعدهم القيمة قاله الحسن وقال
ابو روق لقضي بينهم لاقامة عليهم الساعة وقيل لقضي بينهم من هلاكهم وقال الكلبي الكلمة ان الله
اخر هذه الامة فلا يهلكهم بالعذاب في الدنيا الى يوم القيمة فلولا هذا التاخير لقضي بينهم بنزول
العذاب او باقامة الساعة والاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في تاخير العذاب عمن كفر
به وقيل الكلمة السابقة انه لا ياخذ احدا الا بحجة وهو ارسال الرسل كما قال تعالى وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقيل الكلمة قوله سبقت رحمتي غضبي ولولا ذلك لما اخر العصاة
الى التوبة وقرا عيسى لقضى بالفتح قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا
كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا انزل عليه اية من

ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء
مستهم اذا لهم مكر في اياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون هو الذي يسيركم
في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف
وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما
بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون انما مثل الحياة الدنيا
كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض
زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا
كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون قوله وما كان الناس الا امة واحدة
الاية تقدم معناه قوله تعالى ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه يريد اهل مكة اي هلا انزل
عليه اية اي معجزة غير هذه المعجزة فيجعل لنا الجبال ذهبا ويكون له بيت من زخرف ويحيي لنا من
مات من ابائنا وقال الضحاك عصا كعصى موسى فقل انما الغيب لله اي قل يا محمد نزول الاية غيب
فانتظروا اي تربصوا اني معكم من المنتظرين لنزولها وقيل انتظروا قضاء الله بيننا باظهار المحق
على المبطل قوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة يريد بالناس كفار مكة رحمة من بعد ضراء مستهم
وقيل رخاء بعد شدة وخصب بعد جدب اذا لهم مكر في اياتنا اي استهزاء وتكذيب وجواب
قوله اذا اذقنا قوله اذا لهم على قول الخليل وسيبويه قل الله اسرع مكرا ابتداء وخبر ومكرا نصب على
البيان اي اعجل عقوبة على جزاء مكرهم اي ما بهم من العذاب اسرع من اهلاكهم مما اتوه من المكر
ان رسلنا يكتبون ما تمكرون بالتاء خطابا وقرا يعقوب في رواية هارون العتكي يمكرون بالياء
لقوله اذا لهم مكر قليل قيل ان ابا سفيان قال للنبي صلى الله عليه وسلم قحطنا بدعائك فان سقيتنا
صدقناك فسقوا باستسقائه صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا فهذا مكرهم قوله تعالى هو الذي
يسيركم في البر والبحر اي يحملكم في البر على الدواب وفي البحر على الفلك وقال الكلبي اي يحفظكم
والاية تتضمن تعديد النعم فيما هي الحال بسبيله من ركوب الناس الدواب والبحر وقد مضى الكلام
في ركوب البحر في البقرة ويسيركم قراءة العامة وقرا ابن عامر ينشركم بالنون والشين اي يبثكم
وينشركم والفلك يقع على الواحد ويذكر ويؤنث وقد تقدم القول فيه وقوله وجرين بهم
بريح خروج من الخطاب الى الغيبة وهي في القران واشعار العرب كثيرة قال النابغة يا دارمية
بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الامد قال ابن الانباري وجائز في اللغة ان يرجع
من خطاب الغيبة الى لفظ المواجهة بالخطاب قال الله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان
هذا كان لكم جزاء فابدل الكاف من الهاء وقوله بريح طيبة تقدم الكلام فيها في البقرة جاءتها
ريح عاصف الضمير في جاءتها يعود على السفينة وقيل للريح الطيبة والعاصف الشديدة يقال
عصفت الريح مزعزعة فيها مطر ورعد صوته زجل وقال عاصف بالتذكير لان لفظ الريح مذكر
وهي العاصف ايضا والطيبة غير عاصف ولا مطر والموج ما ارتفع من الماء وظنوا اي
ايقنوا انهم احيط بهم اي احاط بهم البلاء يقال لمن وقع في بلية قد احيط به كان البلاء
احاطتهم واصل هذا ان العدو اذا احاط بموضع فقد هلك اهله دعوا الله مخلصين اي دعوه
وحده وتركوا ما كانوا يعبدون وفي هذا دليل على ان الخلق جبلوا على الرجوع الى الله تعالى
في الشدائد وان المضطر يجاب دعاؤه وان كان كافرا لانقطاع الاسباب ورجوعه الى الواحد

رتب الادباب على ما يأتي بيانه في النمل ان شاء الله تعالى وقال بعض المفسرين انهم قالوا في دعائهم
اهيا شراهيا اي يا حي يا قيوم وهي لغة العجم مسئلة هذه الاية تدل على ركوب البحر مطلقا ومن
السنة حديث ابي هريرة وفيه انا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء الحديث وحديث انس
في قصة ام حرام تدل على جواز ركوبه في الغزو وقد مضى هذا المعنى في البقرة مستوفى وتقدم في
اخر الاعراف حكم راكب البحر في حال ارتجاعه وعلمائه على حكمه حكم الصحيح او حكم المريض المحجور عليه
فتامله هناك قوله تعالى لئن انجيتنا من هذه الشدايد والاهوال فقال الكلبي من هذه
الريح لنكونن من الشاكرين اي من العاملين بطاعتك على نعمة الخلاص قوله تعالى فلما انجاهم
اي خلصهم وانقذهم اذاهم يبغون في الارض بغير الحق اي يعملون في الارض بالفساد وبالمعاصي والبغي
الفساد والشرك من بغي الجرح فسد واصله والطلب اي يطلبون الاستعلا بالفساد بغير الحق
اي بالتكذيب ومنه بغت المراة طلبت غير زوجها قوله تعالى يا ايها الناس انما بغيكم على
انفسكم اي وباله عايد اليكم وتم الكلام ثم قال مبتديا متاع الحياة الدنيا هو متاع الحياة الدنيا
ولا بقاء له قال النحاس بغيكم رفع بالابتداء وخبره متاع الحياة الدنيا او هو متاع الحياة الدنيا
وبين المعنيين حرف لطف اذا وقعت متاعا على انه خبر بغيكم فالمعنى انما فسادكم راجع اليكم
مثل وان اساتم فلها وروي عن سفيان بن عيينة انه قال اراد ان البغي متاع الحياة الدنيا
اي عقوبته تعجل لصاحبه في الدنيا كما يقال البغي مصرعة وقرا ابن اسحق متاعا بالنصب على انه
مصدر اي يتمتعون متاع الحياة الدنيا او بنزع الخافض اي لمتاع او مصدر بمعنى المفعول على
الحال اي متمتعين او هو نصب على الظرف اي متاع الحياة الدنيا ومتعلق الظرف والحال معنى
الفعل في البغي على انفسكم مفعول ذلك المعنى قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من
السماء معنى الاية التشبيه والتمثيل اي صفة الحياة الدنيا في فنائها وزوالها وقلة خطرها
والملاذ بها كماء اي مثل ماء فالكاف في موضع رفع وسياتي لهذا التشبيه مزيد بيان في
الكهف ان شاء الله تعالى انزلناه من السماء نعت للماء فاختلط بالارض ثم ابتدا اي نبات
الارض اي بالماء نبات الارض اي اختلط النبات بالمطر اي شرب منه فنبت وحسن واخضر
والاختلاط تداخل الشيء بعضه في بعض قوله تعالى مما ياكل الناس من الحبوب والثمار والبقول
والانعام من الكلا والتبن والشعير حتى اذا اخذت الارض زخرفها اي حسنها وزينتها والزخرف
كمال حسن الشيء ومنه قيل للذهب زخرف وازينت اي بالحبوب والثمار والازهار والاصل
تزينت ادغمت التاء في الزاي وجيء بالف الوصل لان الحرف المدغم مقام حرفين الاول
منهما ساكن والساكن لا يمكن الابتداء به وقرا ابن مسعود وابي بن كعب وتزاينت على الاصل
وقرا الحسن وابو العالية والاعرج وازينت اي اتت بالزينة عليها اي اتت الغلة
والزرع وجاوا بالفعل على اصله ولو اعل لقال وازانت قال عوف بن ابي جميلة الاعرابي
قرا اشياخنا فازيانت وزنه تفاعلت ثم ادغمت وقرا الشعبي وقتادة وازينت مثل
افعلت وقرا ابن عمار النهدي وازينت مثل افعلت وعنه ايضا فازانت مثل افعالت
ويروى عنه ازيأنت بالهمز ثلاث قراات قوله تعالى وظن اهلها اي ايقن انهم قادرون
عليها اي على حصادها والانتفاع بها اخبر عن الارض والمعنى النبات اذ كان مفهوما منها
وقيل رد الى الغلة وقيل الى الزينة اتاها امرنا اي عذابنا او امرنا باهلاكها ليلا او نهارا
ظرفان فجعلناها حصيدا مفعولا اي محصودة مقطوعة لا شيء فيها وقال الحصيد ولم يؤنث

لانه

لانه فعيل بمعنى مفعول قال ابو عبيد الحصيد المستاصل كان لم تغن بالامس اي لم تكن عامرة من
غني اذا قام فيه وعمره والمغاني في اللغة المنازل التي تعمرها الناس وقال قتادة كان لم تنعم
قال لبيد وغنيت سبتا قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود وقراة العامة تغن
بالتاء لتانيث الارض وقرا قتادة يغن بالياء يذهب فيه الى الزخرف يعني فكما هلك هذا الزرع
هلك الدنيا كذلك نفصل الايات نبينها لقوم يتفكرون في ايات الله قوله تعالى والله يدعو
الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق
وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل
مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم
انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا
وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم
الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار
ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل
افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت
كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون قوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام الاية
لما ذكر تعالى وصف هذه الدار وهي دار الدنيا وصف الاخرة فقال ان الله لا يدعوكم الى جمع
الدنيا بل يدعوكم الى الطاعة لتصيروا الى دار السلام اي الجنة وقال قتادة والحسن السلام هو
الله وداره الجنة وسميت الجنة دار السلام لان من دخلها يسلم من الافات ومن اسمائه سبحانه
السلام وقد بيناه في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى وياتي في سورة الحشر ان شاء الله
تعالى وقيل المعنى والله يدعوا الى دار السلام والسلام والسلامة بمعنى واحد كالرضاع والرضاعة قاله
الزجاج قال الشاعر تحيي بالسلامة ام بكر وهل لك بعد قومك من سلام وقيل اراد والله
يدعوا الى دار التحية لان اهلها ينالون من الله التحية والسلام وكذلك من الملائكة قال الحسن
ان السلام لا ينقطع من اهل الجنة وهو تحيتهم كما قال وقال يحيي بن معاذ يا ابن ادم دعاك الله
الى دار السلام فانظر من اين تجيبه فان اجبته من دنياك دخلتها وان اجبته من قبرك منعتها
وقال ابن عباس الجنان سبع دار الخلد ودار السلام وجنة عدن وجنة الماوى وجنة الفردوس
وجنة النعيم انتهى قوله تعالى ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم عم بالدعوة اظهارا للحجة
وخص بالهداية استغناء عن خلقه والصراط المستقيم هو كتاب الله وقيل السلام رواه النواس
بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الحق قاله قتادة ومجاهد وقيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصاحباه من بعده ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وروى جابر بن عبد الله قال خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال رايت في المنام كان جبريل عند راسي وميكائيل عند رجلي فقال
احدهما لصاحبه اضرب له مثلا فقال اسمع سمعت اذنك واعقل قلبك انما مثلك كمثل ملك
اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مادبة ثم بعث رسولا يدعوا الناس الى طعامه فمنهم
من اجاب الرسول ومنهم من تركه فالله الملك والدار دار السلام والبيت الجنة وانت يا محمد
الرسول فمن اجابك دخل في الاسلام ومن دخل في الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة اكل ما
فيها ثم تلا قتادة ومجاهد والله يدعوا الى دار السلام وهذه الاية بينة الحجة في الرد على

القدرية لانهم قالوا لو هدى الله الخلق كلهم الى صراط مستقيم والله تعالى قال ويهدي من يشاء الى
صراط مستقيم فردوا على الله نصوص القران قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة روي من
حديث انس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله وزيادة قال للذين احسنوا العمل في الدنيا
الجنة والزيادة النظر الى وجهه الكريم وهو قول ابي بكر الصديق وعلي ابن ابي طالب في روايته
وحذيفة وعبادة بن الصامت وكعب بن عجرة وابي موسى وصهيب وابن عباس في رواية وهو
قول جماعة من التابعين وهو الصحيح في الباب وروى مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون
الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب
اليهم من النظر الى ربهم عز وجل وفي رواية ثم تلا للذين احسنوا الحسنى وزيادة وخرجه
النسائي ايضا عن صهيب قال قيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية للذين احسنوا الحسنى
وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله
موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا الم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويجنا من النار قال فيكشف
الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا احب اليهم من النظر اليه ولا اقر لاعينهم
خرجه ابن المبارك في رقائقه عن ابي موسى الاشعري موقوفا وقد كتبناه في كتاب التذكرة وذكرنا
هناك معنى فيكشف الحجاب وخرج الترمذي الحكيم ابو عبد الله حدثنا علي بن حجر ثنا الوليد بن مسلم
عن ابي الزناد بين في كتاب الله في قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الرحمن
وعن قوله ارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال عشرون الفا وقيل ان الزيادة ان تضاعف
الحسنة عشر حسنات الى اكثر من ذلك روي عن ابن عباس ويروى عن علي بن ابي طالب الزيادة
غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة الاف باب وقال مجاهد الحسنى الجنة والزيادة ما اعطاهم
في الدنيا من فضله لا يحاسبهم به يوم القيمة وقال عبد الرحمن بن سابط الحسنى البشرى والزيادة
النظر الى الله عز وجل قال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال يزيد
بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتمطرهم من كل النوادر التي لم يروها وتقول
يا اهل الجنة ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم اياه وقيل الزيادة ان تمر
عليهم مقدار يوم من ايام الدنيا الا حتى يطيف بمنزل احدهم سبعون الف ملك مع كل ملك
هدايا من عند الله ليست مع صاحبه ما راوا مثل تلك الهدايا قط فسبحان من لا يتناهى مقدوره
وقيل احسنوا معاملة الناس والحسنى شفاعتهم والزيادة اذن الله تعالى فيها وقبوله والله
اعلم قوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة يرهق قيل معناه يلحق ومنه قيل غلام مراهق
اذا لحق بالرجال وقيل يعلوه وقيل يغشى والمعنى متقارب قتر غبار ولا ذلة اي مذلة كما يلحق
اهل النار اي لا يلحقهم غبار في محشرهم الى الله ولا يغشاهم ذل وانشد ابو عبيدة للفرزدق متوج
برداء الملك يتبعه موج ترى فوقه الرايات والقترا وقرا الحسن قتر باسكان التاء
والقتر والقترة بمعنى واحد قاله النحاس وواحد القتر قترة ومنه قوله تعالى
ترهقها قترة اي تعلوها غبرة وقيل قترة كابة وكسوف ابن عباس القتر سواد الوجوه ابن
بحر دخان النار ومنه قتار القدر وقال ابن ابي ليلى هو بعد نظرهم الى ربهم قلت
هذا فيه نظر فان الله عز وجل يقول ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون
الى قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وقال في غير اية لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال ان الذين

قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وهذا عام فلا يتغير بفضل الله
في موطن من المواطن لا قبل النظر ولا بعده وجه المحسن بسواد ومن كابة ولا حزن ولا يعلوه
شي من دخان جهنم ولا غيره واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون
قوله تعالى والذين كسبوا السيئات اي عملوا المعاصي وقيل الشرك جزاء سيئة بمثلها جزاء مرفوع
بالابتداء وخبره مثلها وقال ابن كيسان الباء زائدة والمعنى جزاء سيئة مثلها وقيل الباء مع ما بعدها الخبر وهي متعلقة بمحذوف قامت مقامه والمعنى
جزاء سيئة كاين بمثلها كقولك انما انا بك اي انا كاين بك ويجوز ان يتعلق بجزاء التقدير جزاء
سيئة بمثلها كاين فحذف خبر المبتدا ويجوز ان يكون جزاء مرفوع على تقدير لهم جزاء سيئة
فيكون مثل قوله فعدة من ايام اخر فعليه عدة وشبهه والباء على هذا التقدير متعلق بمحذوف
كانه قال لهم جزاء سيئة كائنة بمثلها او تكون مؤكدة او زائدة وهي هذه المثلية اي ذلك
الجزاء مما يعد مماثلا لذنوبهم اي هم غير مظلومين وفعل الرب ليس بعلل بعلة وترهقهم ذلة
هوان وخزي ما لهم من الله من عاصم اي مانع يمنعهم منه كانما اغشيت اي البست وجوههم
قطعا جمع قطعة وعلى هذا يكون مظلما حالا من الليل اي اغشيت وجوههم قطعا من الليل في حال
الظلمة وقرا الكسائي قطعا باسكان الطاء فمظلما على هذا نعت ويجوز ان يكون حالا من الليل والقطع
اسم ما قطع فسقط وقال ابن السكيت القطع طائفة من الليل وسياتي في هود ان شاء الله تعالى
قوله تعالى ويوم نحشرهم اي نجمعهم والحشر الجمع جميعا حال ثم نقول للذين اشركوا اي اتخذوا
مع الله شريكا مكانكم اي الزموا واثبتوا مكانكم وقفوا مواضعكم انتم وشركاؤكم وهذا وعيد فزيلنا
بينهم اي فرقنا وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا يقال زيلته فتزيل اي فرقته
فتفرق وهو فعلت لانك تقول في مصدره تزييلا ولو كان فعلت لقلت زايلت والمزايلة
المفارقة يقال زايله الله مزايلة وزيالا اذا فارقه والتزايل التباين قال الفراء وقرا بعضهم
فزايلنا بينهم يقال لا ازايل فلانا اي لا افارقه فان قلت لا ازاوله فهو بمعنى اخر معناه لا احاله
وقال شركاؤهم يعني بالشركاء الملائكة وقيل الشياطين وقيل الاصنام فينطقها الله عز وجل
فتكون بينهم هذه المحاورة على ما تضمنته هذه الاية من الالفاظ وذلك انهم ادعوا على
الشياطين الذين اطاعوهم والاصنام التي عبدوها انهم امروهم بعبادتهم ويقولون ما عبدناكم
حتى امرتمونا قال مجاهد ينطق الله الاوثان فيقولون ما كنا نشعر بانكم ايانا تعبدون وما
امرناكم بعبادتنا وان حمل الشركاء على الشياطين فالمعنى انهم يقولون ذلك دهشا او يقولونه
كذبا احتيالا للخلاص وقد يجري مثل هذا غدا وان صارت المعارف ضرورية قوله تعالى فكفى
بالله شهيدا بيننا وبينكم شهيدا مفعول اي كفى الله شهيدا تمييز اي اكتفيت به شهيدا بيننا وبينكم
ان كنا امرناكم بهذا ورضيناه منكم ان كنا اي ما كنا عن عبادتكم لغافلين الا غافلين فلا نسمع ولا
نبصر ولا نعقل لانا كنا جمادا لا ارواح فينا قوله تعالى هنالك في موضع نصب على الظرف تبلوا
اي في ذلك الوقت تبلوا اي تذوق وقال الكلبي تعلم وقال مجاهد تختبر كل نفس ما اسلفت
اي جزاء ما عملت وقدمت وقيل تسلم اي تسلم ما عليها من الحقوق الى اربابها بغير اختيارها وقرا
حمزة والكسائي تتلوا اي تقرا كل نفس كتابها الذي كتب عليها وقيل تتلوا تتبع اي تتبع كل نفس
ما قدمت في الدنيا قاله السدي ومنه قول الشاعر ان المريب يتبع المريبا كما رايت الذيب
يتلوا الذيبا قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق الحق بالخفض على البدل والصفة ويجوز
نصب الحق من ثلاث وجوه يكون التقدير وردوا حقا ثم جي بالالف واللام ويجوز ان يكون

التقدير مولاهم حقا الا ما يعبدون من دونه والوجه الثالث ان يكون التقدير مدحا لهم اي اعني
ويجوز ان يرفع الحق ويكون المعنى مولاهم الحق على الابتداء والخبر والقطع مما قبل لا ما يشركون من
دونه ووصف نفسه سبحانه وتعالى بالحق لان الحق منه كما وصف نفسه بالعدل لان العدل
منه اي كل عدل وحق فمن قبله وقال ابن عباس اي مولاهم بالحق اي الذى يجازيهم بالحق وضل عنهم
اي بطل ما كانوا يفترون في موضع رفع وهو بمعنى المصدر اي فتراؤهم فان قيل كيف قال وردوا
الى الله مولاهم وقد اخبر بان الكافرين لا مولى لهم قيل ليس بمولاهم في النصرة والمعونة وهو مولى
لهم في الرزق وادرار النعم قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الاية المراد بسياق
هذا الكلام الرد على المشركين وتقرير الحجة عليهم فمن اعترف منهم فالحجة ظاهرة عليه ومن لم
يعترف فيقرر عليه ان هذه السموات والارض لا بد لها من خالق ولا يمارى في هذا عاقل
وهو قريب من ذنية الضرورة من السماء اي بالمطر والارض بالنبات ام من يملك السمع والابصار
اي من جعلهما وخلقهما لكم ومن يخرج الحي من الميت اي النبات من الارض والانسان من النطفة
والسنبلة من الحبة والطير من البيضة والمومن من الكافر ومن يدبر الامر اي تقديره وتقضيه
فسيقولون الله لانهم كانوا يعتقدون ان الخالق هو الله او فسيقولون هو الله ان تفكروا وانصفوا
فقل لهم يا محمد افلا تتقون اي فلا تخافون عاقبته ونقمته في الدنيا والاخرة قوله عز وجل فذلكم
الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فيه ثمان مسايل الاولى قوله فذلكم الله ربكم
الحق اي هذا الذى يفعل هذه الاشياء هو ربكم الحق لا ما اشركتم معه فماذا بعد الحق الا الضلال اي
ما بعد عبادة الاله اذا تركت عبادته الا الضلال وقال بعض المتقدمين ظاهر هذه الاية
يدل على ان ما بعد الله هو الضلال لان اولها فذلكم الله ربكم الحق واخرها فماذا بعد الحق
الا الضلال فهذا في الايمان والكفر ليس في الاعمال وقال بعضهم ان الكفر تغطية الحق وكلما كان
غير الحق جرى هذا المجرى فالحرام ضلال والمباح هدى فان الله هو المبيح والمحرم والصحيح الاول
لان ما قبل قل من يرزقكم من السماء والارض ثم قال فذلكم الله ربكم الحق اي هذا الذى
رزقكم هذا كله بعلمه هو ربكم الحق الذى يحق له الالوهية ويستوجب العبادة واذا كان كذلك
فشريك غيره ضلال وغير حق الثانية قال علماؤنا حكمت هذه الاية بانه ليس بين الحق
والباطل منزلة ثالثة في هذه المسئلة التي هي توحيد الله تعالى وكذلك الامر في نظايرها
وهي مسايل الاصول التي الحق فيها في طرف واحد لان الكلام فيها انما هو تعديد وجود ذات
كيف هي وذلك بخلاف مسائل الفروع التي قال الله تعالى فيها لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
وقوله عليه الصلاة والسلام الحلال بين والحرام بين وبينهما متشابهات والكلام في الفروع
انما هي في احكام طارية على وجودات متقررة لا يختلف فيها وانما يختلف في الاحكام المتعلقة
بها الثالثة ثبت عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام الى الصلاة
من جوف الليل قال اللهم لك الحمد الحديث وفيه انت الحق ووعدك الحق وقولك الحق
ولقاؤك الحق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد حق الحديث فقوله
انت الحق اي الواجب الوجود واصله من حق الشئ اذا وجب وثبت وهذا الوصف لله تعالى
بالحقيقة اذ وجوده لنفسه لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم وما عداه مما يقال عليه هذا الاسم
مسبوق بعدم ويجوز عليه العدم ووجوده من موجده لا من نفسه وباعتبار هذا المعنى كان
اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد الا كل شئ ما خلا الله باطل واليه الاشارة بقوله تعالى

كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون الرابعة مقابلة الحق بالضلال عرف لغة وشرعا كما في
هذه الاية وكذلك ايضا مقابلة الحق بالباطل عرف لغة وشرعا قال الله تعالى ذلك بان الله هو
الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل والضلال حقيقة الذهاب عن الحق اخذ من ضلال الطريق وهو
العدول عن سمته قال ابن عرفة الضلالة عند العرب سلوك غير سبيل القصد يقال ضل عن الطريق
واضل الشئ اذا اضاعه وخص في الشرع بالعبادة في العدول عن السواء من الاعتقاد دون الاعمال ومن
غريب امره انه يعبر به عن العدم عن المعرفة بالله سبحانه اذا قابله غفلة ولم يقترن بعدمه جهل
او شك وعليه حمل العلماء قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اي غافلا في بعض التاويلات ومنه
قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان الخامسة روى عبد الله بن عبد الحكم واشهب
عن مالك في قوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال قال اللعب بالنرد والشطرنج من الضلال وروى
يونس عن ابن وهب انه سئل عن الرجل يلعب في بيته باربع عشرة فقال مالك ما يعجبني وليس من
شان المومن لقول الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وروى يونس عن اشهب قال سئل يعني
مالكا عن اللعب بالشطرنج فقال لا خير فيه وليس بشئ وهو من الباطل واللعب كله من الباطل فانه
لينبغي لذى العقل ان ينهاه اللحية والشيب عن الباطل وقال الزهري لما سئل عن الشطرنج هي من
الباطل ولا احبها السادسة اختلف العلماء في جواز اللعب بالشطرنج وغيره اذا لم يكن على
وجه القمار فتحصيل مذهب مالك وجمهور الفقهاء في الشطرنج ان من لم يقامر بها ولعب مع اهله
في بيته مستترا به في الشهر او العام بحيث لا يطلع عليه ولا يعلم انه مغفور غير محرم عليه ولا مكروه
له وانه ان تخلع به واشتهر به سقطت مروته وعدالته وردت شهادته واما الشافعي فلا يسقط
في مذهب اصحابه شهادة اللاعب بالنرد والشطرنج اذا كان لا يكثر اثمها والله اعلم قال ابن العربي
في قبسه وقد جوزه الشافعي وقد انتهى حال بعضهم الى ان يقول هو مندوب اليه حتى اتخذوه في
المدرسة قال اعنى الطالب من القراءة لعب به في المسجد واسندوا الى قوم من الصحابة والتابعين
انهم لعبوا بها وما كان ذلك قط وما مستها يد تقي ويقولون انها تشحذ الذهن والعيان
يكذبهم ما تبحر فيها رجل قط له ذهن سمعت الامام ابا الفضل عطا المقدسي يقول بالمسجد الاقصى
في المناظرة انها تعلم الحرب فقال له الطرطوسي بل تفسد ترتيب الحرب لان الحرب المقصود منها
الملك واغتياله وفي الشطرنج يقول شاه اتاك الملك تحد عن طريق فاستضحك الحاضرون
وتارة شدد فيها مالك وحرمها وقال فيها فماذا بعد الحق الا الضلال وتارة استهان بالقليل منها
والاهوان والاول الصحيح عنه والله اعلم فان قال قايل روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سئل عن
الشطرنج فقال وما الشطرنج فقيل له ان امراة كان لها ابن وكان ملكا فاصيب في الحرب دون
اصحابه فقالت كيف يكون هذا ارونيه عيانا فعمل لها الشطرنج فلما راته تسلت بذلك ووصفوا
الشطرنج لعمر رضي الله عنه فقال لا باس بما كان من الة الحرب قيل له هذا لا حجة فيه لانه لم
يقل لا باس بالشطرنج وانما قال لا باس بما كان الة للحرب وانما قاله لانه ثبت عنده ان اللعب
بالشطرنج مما يستعان به على معرفة اسباب الحرب فلما قيل له ذلك ولم يحط به علمه قال لا
باس بما كان الة للحرب ان كان كما تقولون فلا باس به وكذلك من روى عنه من الصحابة
انه لم ينه عنه فان ذلك محمول منه على انه ظن ان ذلك ليس يتلهى به وانما يراد به التسبب
الى علم القتال والمضاربة فيه او على ان الخبر المسند لم يبلغهم قال الحليمي وان صح الخبر فلا حجة
لاحد معه وانما الحجة فيه على الكافة السابعة ذكر ابن وهب باسناده ان عبد الله بن عمر

مر بغلمان يلعبون بالكجة وهي حفر فيها حصى يلعبون بها قال فسترها ابن عمر ونهاهم عنها وذكر
الهروي في باب الكاف مع الجيم في حديث ابن عباس في كل شيء قمار حتى في لعب الصبيان بالكجة
قال ابن الاعرابي هو ان ياخذ الصبي خرقة فيدورها كانها كرة ثم يتقامرون بها وكج اذا لعب بالكجة
وقوله تعالى فانى تصرفون اي كيف تصرفون عقولكم الى عبادة ما لا يرزق ولا يحيي ولا يميت قوله
عز وجل كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون اي كلمة ربك حكمه وقضاؤه
وعلمه السابق على الذين فسقوا اي خرجوا عن الطاعة وكذبوا وكفروا انهم لا يؤمنون اي لا يصدقون
وفي هذا وفي دليل على القدرية وقرا نافع وابن عامر هنا وفي اخرها حقت كلمات ربك وفي سورة
غافر بالجمع في الثلاث والباقون بالافراد وان في موضع نصب اي بانهم او لانهم قال الزجاج ويجوز
ان يكون في موضع رفع على البدل من كلمات قال الفراء يجوز انهم بالكسر على الاستيناف قوله تعالى
قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فانى توفكون قل هل
من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى
الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ان الله
عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه
وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتريه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا
من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كذلك
كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به
وربك اعلم بالمفسدين وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريؤن مما اعمل وانا برئ مما
تعملون ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك
افانت تهدى العمي ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون
ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
وما كانوا مهتدين قوله تعالى قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق الاية يقال هداه للطريق والى
الطريق بمعنى واحد وقد تقدم اي هل من شركائكم من يرشد الى دين الاسلام فاذا قالوا لا ولا بد منه فقل
لهم الله يهدى الى الحق ثم قل لهم موبخا ومقررا افمن يهدي اي يرشد الى الحق وهو الله سبحانه احق
ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى احدا ولا يمشي الا ان يحمل ولا تنتقل من مكانها الا ان تنقل قال
الشاعر للفتى عقل يعيش به حيث تهدى ساقه قدمه وقيل المراد الرؤسا والمضلون الذين لا
يرشدون انفسهم الى الهدى الا ان يرشدوا وفي يهدي قرآت ست الاولى قراها الا ان ورشا يهدى
بفتح الياء واسكان الهاء فجمعوا في قراءتهم بين ساكنين كما فعلوا في قوله لا تعدوا وفي قوله يخصمون
قال النحاس والجمع بين ساكنين لا يقدر احد ان ينطق به قال محمد بن يزيد لا بد لمن رام مثل هذا
ان يحرك حركة خفيفة الى الكسر وسيبويه يسمي هذا الاختلاس الحركة الثانية قرء ابو عمرو وقالون في
رواية بين الفتح والاسكان على مذهبه في الاخفاء والاختلاس الثالثة قرء ابن عامر وابن كثير
وورش وابن محيصن يهدى بفتح الياء والهاء والتشديد الدال قال النحاس هذه القراءة بينة
في العربية والاصل فيها يهتدي ادغمت التاء في الدال فقلبت حركتها الى الهاء الرابعة قرء حفص
ويعقوب والاعمش عن ابي بكر مثل قراءة ابن كثير الا انهم كسروا الهاء قال لان الجزم اذا اضطر الى
حركته حرك الى الكسر قال ابو حاتم هي لغة سفلى مضر الخامسة قرا ابو بكر عن عاصم يهدي بكسر الياء
والهاء وتشديد الدال كل ذلك لاتباع الكسر كما تقدم في البقرة وقيل هي لغة من قرء نستعين ولن

تمنا النار ونحوه وسيبويه لا يجيز يهدي ويجيز يهدى ويهدى قال لان الكسرة في الياء اثقل السادسة
قرء حمزة والكسائي وخلف وابن ذبان والاعمش يهدى بفتح الياء واسكان الهاء وتخفيف الدال
من هدى يهدى قال النحاس وهذه القراءة لها وجهان في العربية وان كانت بعيدة احد الوجهين
ان الكسائي والفراء قالا يهدى بمعنى يهتدى قال ابو العباس لا يعرف هذا ولكن التقدير امن لا يهدى
غيره وتم الكلام ثم قال الا ان يهدى استانف من الاول لكنه يحتاج ان يهدى فهو استثنا منقطع
كما تقول فلان لا يسمع غيره الا ان يسمع لكنه يحتاج ان يسمع قال ابو اسحق فما لكم كلام تام والمعنى فاي
شي لكم في عبادة الاوثان ثم قال لهم كيف تحكمون اي لانفسكم وتقضون بهذا الباطل الصريح تعبدون
الهة لا تغنى عن نفسها شيئا الا ان يفعل بها والله تعالى يفعل ما يشاء فتتركون عبادته فموضع
كيف نصب بتحكمون قوله تعالى وما يتبع اكثرهم الا ظنا يريد الرؤسا منهم اي ما يتبعون الا حدسا
وتخريصا من انها الهة وانها تشفع ولا حجة معهم واما اتباعهم فيتبعونهم تقليدا وان الظن
لا يغني من الحق شيئا اي من عذاب الله فالحق هو الله وقيل الحق هنا اليقين اي ليس الظن كاليقين
وفي هذه الاية دليل على انه لا يكتفى بالظن في العقايد ان الله عليم بما يفعلون من الكفر والتكذيب
خرجت مخرج التهديد قوله تعالى وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله ان مع يفترى مصدر
والمعنى وما كان هذا القرآن افترا كما تقول فلان يحب ان يركب ويحب الركوب قاله الكسائي وقال
الفراء المعنى وما ينبغي لهذا القران ليفترى كقوله وما كان لنبي ان يغل وما كان المؤمنون لينفروا كافة
وقيل ان بمعنى اللام تقديره وما كان هذا القران ليفترى وقيل بمعنى لا اي لا يفترى وقيل المعنى ما
كان يتهيا لاحد ان ياتي بمثل هذا القران من عند غير الله ثم ينسبه الى الله لاعجازه بوصفه ومعانيه
وتاليفه ولكن تصديق الذى بين يديه قال الكسائي والفراء ومحمد بن سعدان التقدير ولكن كان
تصديق ويجوز عندهم الرفع بمعنى ولكن هو تصديق الذى بين يديه اي من التورية والانجيل و
غيرهما من الكتب فانها قد بشرت به فجاء مصدقا لها في تلك البشارة وفي الدعا الى التوحيد والايمان
بالقيمة وقيل المعنى ولكن تصديق النبي الذى بين يديه القران وتفصيل بالرفع والنصب على الوجهين
المذكورين في تصديق والتفصيل التبيين اي تبيين ما في كتب الله المتقدمة والكتاب اسم الجنس
وقيل اراد تفصيل الكتاب ما بين في القران من الاحكام لا ريب فيه الهاء عايدة الى المفترى القران
اي لا شك فيه اي في نزوله من قبل الله عز وجل قوله تعالى ام يقولون افتراه ام ههنا في موضع الف
الاستفهام لانها اتصلت بما قبلها وقيل هي ام المنقطعة التي تقدم بمعنى بل والهمزة كقوله تعالى
الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه اي بل يقولون افتراه اي اختلق
محمد القران من قبل نفسه فهو استفهام بمعنى التقريع قل فاتوا بسورة مثله ومعنى الكلام الاحتجاج فان
الاية الاولى دلت على ان القران من عند الله لانه مصدق الذى بين يديه من الكتب وموافق
لها من غير ان يتعلم محمد صلى الله عليه وسلم عن احد وهذه الاية الزام بان ياتوا بسورة مثله
ان كان مفترى وقد مضى الكلام في اعجاز القران وانه معجز في مقدمة الكتاب قوله تعالى
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله اي كذبوا بالقرآن وهم جاهلون بمعانيه و
تفسيره وعليهم ان يعلموا ذلك بالسؤال وهذا يدل على انه يجب ان ينظر في التاويل وقوله ولما
ياتهم تاويله اي ولم ياتهم حقيقة عاقبة التكذيب من نزول العذاب بهم او كذبوا بما
في القران من ذكر البعث والجنة والنار ولما ياتهم تاويله اي حقيقة ما وعدوه في الكتاب قاله
الضحاك وقيل للحسن بن الفضل هل تجد في القران من جهل شيئا عاداه قال نعم في موضعين بل

كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وقوله واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم كذلك كذب الذين
من قبلهم يريد الامم الخالية اي كذلك كانت سبيلهم والكاف في موضع نصب فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين اي اخذهم بالهلاك والعذاب قوله تعالى ومنهم من يؤمن به قيل المراد اهل مكة اي ومنهم من
يؤمن به في المستقبل وان طال تكذيبه لعلمه تعالى السابق فيهم انهم من اهل السعادة ومن رفع
بالابتداء والخبر في المجرور وكذا ومنهم من لا يؤمن به والمعنى ومنهم من يصر على كفره حتى يموت كابي
طالب وابي لهب ونحوهما وقيل المراد اهل الكتاب وقيل هو عام في جميع الكفار وهو الصحيح وقيل الضمير
في به يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم فاعلم الله سبحانه انه انما اخر العقوبة لان منهم من سيؤمن و
ربك اعلم بالمفسدين اي من يصر على كفره وهذا تهديد لهم قوله عز وجل فان كذبوك فقل لي
عملي رفع بالابتداء والمعنى لي ثواب عملي من التبليغ والانذار والطاعة لله تعالى ولكم عملكم اي
جزاؤه من الشرك والمعاصي انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون مثله اي لا يواخذ احد بذنب
الاخر وهذه الاية منسوخة باية السيف في قول مجاهد والكلبي ومقاتل وابن زيد قوله عز وجل
ومنهم من يستمعون اليك يريد بظواهرهم وقلوبهم بكم لا تعي شيئا مما تقول من الحق وتتلوه من
القران ولهذا قال افانت تسمع الصم اي لا تسمع الصم فظاهره الاستفهام ومعناه النفي وجعلهم
كالصم للختم على قلوبهم والطبع عليها اي لا تقدر على هداية من اصمه الله عن سماع الهدى وكذا
المعنى في افانت تهدي العمي اخبر تعالى ان احدا لا يؤمن الا بتوفيقه وهدايته وهذا وما كان
مثله يرد على القدرية قولهم كما تقدم في غير موضع وقال يسمعون على معنى من وينظر على لفظها
والمراد تسلية النبي صلى الله عليه وسلم اي كما لا تقدر ان تسلب السمع من سميع ولا يقدر ان تجعل للاعمى
بصرا يهتدي به فكذلك لا يقدر ان توفق هؤلاء الى الايمان وقد حكم الله عليهم ان لا يؤمنوا ومعنى
ينظر اليك اي يديم النظر اليك كما قال ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه
من الموت قيل انها نزلت في المستهزئين والله اعلم قوله عز وجل ان الله لا يظلم الناس شيئا لما ذكر
تعالى اهل الشقاء ذكر انه لم يظلمهم وان تقدير الشقاء عليهم وسلب سمع القلب وبصره ليس ظلما
منه لانه تصرف في ملكه بما شاء وهو في جميع افعاله عادل ولكن الناس انفسهم يظلمون بالكفر
والمعصية ومخالفة امر خالقهم وقرا حمزة والكسائي ولكن بتخفيف النون الناس رفعا قال النحاس زعم
جماعة من النحويين منهم الفراء ان العرب اذا قالت ولكن بالواو اثرت التشديد واذا حذفوا الواو
اثرت التخفيف واعتل في ذلك فقال لانها اذا كانت بغير واو اشبهت بل فخففوها ليكون ما بعدها كما بعد بل واذا جاءوا بالواو خالفت بل فشددوها ونصبوا
بها لانها ان زيدت عليها لام وكاف وصيرت حرفا واحدا وانشد ولكنني من حبها لعميد فجاء
باللام لانها ان قوله تعالى ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يعني كانهم خففا اي كانهم
لم يلبثوا في قبورهم الا ساعة من النهار اي قدر ساعة يعني انهم استقصروا طول مقامهم في القبور لهول
ما يرون من البعث دليله قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقيل انما قصرت مدة لبثهم في الدنيا
من هول ما استقبلوا لا مدة كونهم في القبر قال ابن عباس راوا ان طول اعمارهم في مقابلة
الخلود كساعة يتعارفون بينهم في موضع نصب على الحال من الهاء والميم في يحشرهم ويجوز ان
يكون منقطعا كانه قال فهم يتعارفون قال الكلبي يعرف بعضهم بعضا كمعرفتهم في الدنيا
اذا خرجوا من قبورهم وهذا التعارف تعارف توبيخ وافتضاح يقول بعضهم لبعض انت اضللتني
واغويتني وحملتني على الكفر وليس تعارف شفقة ورافة وعطف ثم تنقطع المعرفة اذا عاينوا
اهوال يوم القيمة كما قال ولا يسال حميم حميما وقيل يبقى تعارف التوبيخ وهو الصحيح لقوله تعالى
ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول الى قوله وجعلنا الاغلال

في اعناق الذين كفروا وقوله كلما دخلت امة لعنت اختها الاية وقوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
فاضلونا السبيل وقوله ولا يسال حميم حميما وقوله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون
فمعناه لا يساله سؤال شفقة ورحمة والله اعلم وقيل القيمة مواطن وقيل معنى يتعارفون يتساءلون
اي وهذا احسن وقال الضحاك ذلك تعارف تعاطف المؤمنين والكافرين لا تعاطف عليهم
كما قال لا انساب بينهم والاول اشهر والله اعلم قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اي
بالعرض على الله ثم يجوز ان يكون هذا اخبارا من الله تعالى بعد ان دل على البعث والنشور
اي خسروا ثواب الجنة وقد خسروا في حال لقاء الله لان الخسران انما هو في تلك الحالة وهي الحالة
التي يرجى فيها اقالة ولا تنفع توبة قال النحاس ويجوز ان يكون المعنى يتعارفون بينهم يقولون
هذا القول وما كانوا مهتدين يريد في علم الله قوله تعالى واما نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم
قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا
يستقدمون قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع
امنتم به الان وقد كنتم به تستعجلون قوله واما نرينك بعض الذي نعدهم اي من اظهار دينك
في حياتك وقال المفسرون كان البعض الذي وعدهم قتل من قتل واسر من اسر او نتوفينك عطف
على نرينك او نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم جواب اما والمقصود ان لم ننتقم منهم عاجلا
انتقمنا منهم اجلا ثم الله شهيد اي شاهد لا يحتاج الى شاهد على ما يفعلون من محاربتك وتكذيبك
ولو قيل ثم الله شهيد بمعنى هناك جاز قوله تعالى ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم
مثل قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وقال ابن عباس ينكر الكفار غدا مجيء الرسل اليهم
فيؤتى بالرسول فيقول قد ابلغتهم الرسالة فحينئذ يقضى عليهم بالعذاب دليله قوله ويكون
الرسول عليكم شهيدا ويجوز ان يكون المعنى انهم لا يعذبون في الدنيا حتى يرسل اليهم فمن امن فاز
ونجا ومن لم يؤمن هلك وعذب دليله قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والقسط
العدل لا يظلمون اي لا يعذبون بغير ذنب ولا يواخذون بغير حجة قوله تعالى ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين يريد كفار مكة قالوا ذلك لفرط عنادهم واستعجالهم العذاب اي متى هذا
العذاب او متى القيمة التي يعدنا محمد وقيل هو عام في كل امة كذبت رسولها قوله تعالى قل لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا لما استعجلوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال الله له قل يا محمد لهم لا
املك لنفسي ضرا ولا نفعا اي ليس ذلك لي ولا لغيري الا ما شاء الله ان املكه واقدر عليه فكيف
اقدر ان املك ما استعجلتم فلا تستعجلوا لكل امة اجل اي لهلاكهم ولعذابهم وقت معلوم
في علمه سبحانه اذا جاء اجلهم الى وقت انقضاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
اي لا يمكنهم ان يستاخروا باقين ساعة في الدنيا ولا يتقدمون فيؤخرون قوله تعالى قل ارايتم
ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ظرفان وهو جواب لقوله ويقولون متى هذا الوعد وتسفيه لارائهم
في استعجالهم العذاب اي اذا اتاكم العذاب فما ينفعكم فيه وما ينفعكم الايمان يومئذ ماذا يستعجل
منه المجرمون استفهام معناه التهويل والتعظيم اي ما اعظم ما تستعجلون به كما يقال لمن طلب
امرا تستوخم عاقبته ماذا تجني على نفسك والضمير في منه قيل يعود على العذاب كان ذلك فماذا
تقدير احدهما ان يكون ما في موضع رفع بالابتداء وذا بمعنى الذي وهو خبرهما والعائد محذوف

والتقدير الاخر ماذا اسما واحدا في موضع رفع بالابتدا والخبر في الجملة قاله الزجاج وان جعلت الهاء
في منه تعود على اسم الله تعالى جعلت اي شي يستعجل منه المجرمون من الله عز وجل قوله تعالى
اثم اذا ما وقع امنتم به الان وقد كنتم به تستعجلون في الكلام حذف والتقدير افامنتم ان ينزل
بكم العذاب ثم يقال لكم اذا حل الان امنتم به قيل هو من قول الملائكة استهزا بهم وقيل هو من
قول الله تعالى ودخلت الف الاستفهام على ثم والتقدير والتوبيخ وليدل على معنى الجملة الثانية
بعد الاولى وقيل ان ثم هنا بمعنى ثم بفتح الثاء فتكون ظرفا والمعنى هنالك وهو مذهب الطبري
وحينئذ لا يكون فيه الاستفهام والان قيل اصله فعل مبني مثل حان والالف واللام للعهد والاشارة
الى الوقت وهو حد الزمانين وقد كنتم به اي بالعذاب تستعجلون قوله تعالى ثم قيل للذين ظلموا
ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ويستنبئونك احق هو قل اي وربي انه
لحق وما انتم بمعجزين ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة لما
راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون الا ان لله ما في السموات والارض الا ان
وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون قوله تعالى ثم قيل للذين
ظلموا اي تقول لهم خزنة جهنم ذوقوا عذاب الخلد اي الذي لا ينقطع هل تجزون الا بما كنتم تكسبون
اي جزاء كفركم قوله تعالى ويستنبئونك اي يستخبرونك يا محمد عن كون العذاب وقيام الساعة
احق ابتدا هو سد مسد الخبر هذا قول سيبويه ويجوز ان يكون هو مبتدا واحق خبره قل اي كلمة
تحقيق لايجاب وتاكيد بمعنى نعم وربي قسم انه لحق جوابه اي كاين لا شك فيه وما انتم بمعجزين
اي فايتين عن عذابه ومجازاته قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض اي اشركت وكفرت
ما في الارض اي ملكا لافتدت به اي من عذاب الله يعني لا يقبل منها كما قال ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملؤ الارض ذهبا ولو افتدى به وقد تقدم قوله تعالى
واسروا الندامة اي اخفوها يعني رؤساهم اي اخفوا ندامتهم عن اتباعهم لما راوا العذاب وهذا
قبل الاحراق بالنار فاذا وقعوا في النار الهتهم النار عن التصنع بدليل قولهم ربنا غلبت
علينا شقوتنا فتبين انهم لا يكتمون ما بهم وقيل اسروا اظهروا والكلمة من الاضداد
ويدل عليه ان الاخرة ليست دار تجلد وتصبر وقيل وجدوا الم الحسرة في قلوبهم لان الندامة
لا يمكن اظهارها قال الامير واسرت الندامة يوم نادى برد جمال غاضرة المنادي وذكر المبرد
فيه وجها ثالثا انه بدت بالندامة اسرة وجوههم وهي تكاسير واحدها سرار والندامة
الحسرة لوقوع شي او فوت شي واصلها اللزوم ومنه النديم لانه يلازم المجالسة وفلان نادم
سادم السدم اللهج بالشي وندم وسدم بالشي اهتم به قال الجوهري السدم بالتحريك الندم
والحزن وقد سدم بالكسر اي اهتم وحزن ورجل نادم سادم وندمان سدمان ويقال هو اتباع
وما لهم هم ولا سدم الا ذلك وقيل الندم مقلوب الدمن والدمن اللزوم ومنه فلان مدمن
الخمر والدمن ما اجتمع في الدار وتلبد من الابوال والابعار سمي به للزومه والدمنة الحقد
اللازم للصدر والجمع دمن وقد دمنت قلوبهم بالكسر يقال دمنت على فلان اي ضغنت وقضي
بينهم بالقسط اي بين الرؤسا والسفل بالعدل وهم لا يظلمون قوله تعالى الا ان لله ما في السموات
والارض الا ان وعد الله حق الا كلمة تنبيه للسامع تزاد في اول الكلام اي انتبهوا لما اقول
لكم ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق له ملك السموات والارض فلا مانع
يمنعه من انفاذ ما وعده ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك وهو قوله تعالى هو يحيي ويميت واليه

ترجعون بين المعنى وقد تقدم قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما
في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم
لا يشكرون وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم
شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا
اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك
هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم الا ان لله من في
السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن
وان هم الا يخرصون هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات
لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم
من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون قوله يا ايها الناس يعني قريشا قد جاءتكم موعظة
من ربكم اي وعظ من ربكم يعني القران فيه مواعظ وحكم وشفاء لما في الصدور اي من الشك والنفاق
والخلاف والشقاق وهدى اي مرشدا لمن تبعه ورحمة اي نعمة للمؤمنين خصهم لانهم المنتفعون
بالايمان والكل صفات القران والعطف لتاكيد المدح قال الشاعر الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال ابو سعيد الخدري
وابن عباس رضي الله عنهم فضل الله القران ورحمته الاسلام وعنهما ايضا فضل الله القران ورحمته
ان جعلكم من اهله وعن الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة فضل الله الايمان ورحمته القران
على العكس من القول الاول وقيل غير هذا فبذلك فليفرحوا اشارة الى الفضل والرحمة والعرب
تاتي بذلك للواحد والاثنين والجمع ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا فبذلك فلتفرحوا
بالتاء وهي قراءة يزيد بن القعقاع وفي الحديث لتاخذن مصافكم والفرح لذة في القلب
بادراك المحبوب وقد ذم الفرح في مواضع كقوله تعالى لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وقوله
انه لفرح فخور ولكنه مطلق فاذا قيد الفرح لم يكن ذما كقوله فرحين بما اتاهم الله من فضله
وهنا قال تبارك وتعالى فبذلك فليفرحوا اي بالقران والاسلام فليفرحوا فقيد قال هارون
في حرف ابي فبذلك فافرحوا قال النحاس سبيل الامر ان يكون باللام ليكون معه حرف
جازم كما ان مع النهي حرفا الا انهم يحذفون من الامر المخاطب استغنا بمخاطبته وربما جاءوا
به على الاصل منه فبذلك فلتفرحوا هو خير مما يجمعون يعني في الدنيا وقراءة العامة بالياء
في الفعلين ويروى عن عمر انه قرا فليفرحوا بالياء تجمعون بالتاء على العكس وروي ابان عن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من هداه الله للاسلام وعلمه القران ثم شكى الفاقة
كتب الله له الفقر بين عينيه الى يوم يلقاه ثم تلي قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون قوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق ما في موضع نصب بارايتم
وقال الزجاج في موضع نصب بانزل وانزل بمعنى خلق كما قال وانزل لكم من الانعام ثمانية
ازواج وانزلنا الحديد فيه باس شديد فيجوز ان يعبر عن الخلق بالانزال لان الذي في
الارض من الرزق انما هو مما ينزل من السماء من المطر فجعلتم منه حراما وحلالا وقال الضحاك

هو قول الله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا قل الله اذن لكم اي في التحليل
والتحريم ام على الله تفترون قال مجاهد هو ما حكموا به من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة
والحام ام بمعنى بل تفترون هو قولهم ان الله امرنا بها الثانيـة استدل بهذه الاية على نفي
القياس وهو بعيد فان القياس دليل الله تعالى فيكون التحريم والتحليل من الله تعالى عند وجود
دلالة نصبها الله تعالى على الحكم فان خالف في كون القياس دليلا لله تعالى فهو خروج عن
هذا الغرض ورجوع الى قوله تعالى وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة يوم منصوب
على الظرف او بالظن نحو ما ظنك زيدا والمعنى ايحسبون ان الله لا يؤاخذهم به ان الله لذو
فضل اي في التاخير والامهال وقيل اراد اهل مكة حين جعلهم في حرم امن ولكن اكثرهم يعني الكفار
لا يشكرون لا يوحدون قوله تعالى وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران ما للجحد اي لست في شان
يعني في عبادة او غيرها الا والرب مطلع عليهم والشان الخطب والامر وجمعه شؤن قال الاخفش
تقول العرب ما شانت شانه اي ما عملت عمله وما تتلوا منه من قران قال الفراء والزجاج الهاء في
منه تعود الى الشان اي ما يحدث شانا فيتلى من اجله القران فيعلم كيف حكمه او نزل فيه قران
فيتلى قال الطبري منه اي من كتاب الله من قران تفخيما كقوله انني انا الله ولا تعملون من عمل خاطب
النبي صلى الله عليه وسلم والامة وقوله وما تكون في شان خطاب له والمراد هو وامته وقد يخاطب
الرسول والمراد هو واتباعه وقيل المراد كفار قريش الا كنا عليكم شهودا اي نعلمه ونظيره ما
يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم اذ تفيضون فيه اي تاخذون فيه والهاء عايدة على العمل
يقال افاض فلان في الحديث والعمل اذا اندفع فيه قال الراعي فافضن بعد كظومهن بجرة
من ذي الاباطح اذ رعين حقيلا ابن عباس تفيضون فيه تفعلونه الاخفش تتكلمون ابن زيد
تخوضون ابن كيسان تنشرون القول وقال الضحاك الهاء عايدة على القران المعنى اذ تشيعون
في القران الكذب وما يعزب عن ربك قال ابن عباس يغيب وقال ابو روق يبعد وقال ابن
كيسان يذهب وقال الكسائي يعزب بكسر الزاي وضم الباقون وهما لغتان فصيحتان نحو يعزب
ويعزب من مثقال من صلة اي ما يعزب عن ربك مثقال ذرة اي نملة حمراء صغيرة وقد
تقدم في النساء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر عطف على لفظ مثقال وان شئت على ذرة وقراة
حمزة ويعقوب بفتح الراء فيهما عطف على موضع المثقال لان من زايدة للتوكيد قال الزجاج
ويجوز الرفع على الابتدا وخبره الا في كتاب مبين يعني اللوح المحفوظ مع علم الله تعالى به
وقال الجرجاني ويجوز الرفع اي وهو في كتاب مبين لقوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون
الا من ظلم اي ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا اي والذين فالا
بمعنى واو النسق واضمر هو بعده كقوله تعالى وقولوا حطة اي هي وقوله ولا تقولوا ثلاثة اي
هم ثلاثة ونظيره ما نحن فيه وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا
رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم اي في الاخرة ولا هم
يحزنون لفقد الدنيا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي من تولاه الله وتولى حفظه وحياطته
ورضي عنه فلا يخاف يوم القيمة ولا يحزن قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
اولئك عنها اي عن جهنم مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم
الفزع الاكبر وروي سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال
الذين يذكر الله برؤيتهم وقال عمر ابن الخطاب في هذه الاية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول

يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من
الله قيل يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام
بينهم ولا اموال يتعاطون بها فوالله ان وجوههم لنور وانهم على منابر من نور ولا يخافون اذا
خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه اولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر عمش العيون من العبر
خمص البطون من الجوع يبس الشفاه من الذوي وقيل لا خوف عليهم في ذريتهم لان الله يتولاهم ولا هم
يحزنون على دنياهم لتعويض الله اياهم في اولاهم واخراهم لانه وليهم ومولاهم قوله تعالى الذين
امنوا وكانوا يتقون هذه صفة اولياء الله تعالى فيكون الذين في موضع نصب على البدل من
اسم ان وهو اولياء وان نصبت على اعني وقيل هو ابتدا وخبره لهم البشرى فيكون مقطوعا مما
قبله اي يتقون الشرك والمعاصي قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا عن ابي الدرداء قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ما سالني عنها احد غيرك منذ انزلت هي الرؤيا
الصالحة يراها المسلم او ترى له خرجه الترمذي في جامعه وقال الزهري وقتادة وعطا هي
البشارة التي تبشر بها الملائكة المؤمن في الدنيا عند الموت وعن ابن كعب القرظي قال اذا
استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك فقال السلام عليك ولي الله الله يقرؤك السلام ثم
نزع بهذه الاية الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ذكره ابن المبارك وقال
قتادة والضحاك هي ان يعلم اين هو قبل ان يموت وقال الحسن هي ما بشرهم الله تعالى في كتابه
من جنته وكريم ثوابه لقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقوله وبشر الذين امنوا
وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار وقوله وابشروا بالجنة ولهذا قال لا
تبديل لكلمات الله اي لا خلف لمواعيده وذلك لان مواعيده بكلماته وفي الاخرة قيل بالجنة اذا
خرجوا من قبورهم وقيل اذا خرجت الروح بشرت برضوان الله وذكر ابو اسحق الثعلبي سمعت ابا بكر
محمد بن عبد الله الجوزقي يقول رايت ابا عبد الله الحافظ في المنام راكبا برذونا وعليه طيلسان
وعمامة فسلمت عليه وقلت له اهلا بك انا لا نزال نذكرك ونذكر محاسنك فقال ونحن لا
نزال نذكرك ونذكر محاسنك قال الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة الثنا
الحسن واشار بيده لا تبديل لكلمات الله اي لا خلف لوعده وقيل لا تبديل لاخباره اي لا
ينسخها شيء ولا يكون الا كما قال ذلك هو الفوز العظيم قوله تعالى ولا يحزنك قولهم تم الكلام
اي لا يحزنك افتراؤهم وتكذيبهم لك ثم ابتدا فقال ان العزة لله اي القوة الكاملة والغلبة الشاملة
والقدرة التامة لله وحده فهو ناصرك ومعينك ومانعك جميعا نصب على الحال ولا
يعارض هذا قوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فان كل عزة لله فهي كلها لله قال الله سبحانه
سبحان ربك رب العزة عما يصفون هو السميع لاقوالهم واصواتهم العليم باعمالهم وجميع
حركاتهم قوله تعالى الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي يحكم فيهم بما يريد ويفعل
فيهم ما يشاء قوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ما للنفي اي لا يتبعون شركا
على حقيقة بل يظنون انها تشفع او تنفع وقيل ما استفهام اي اي شيء يتبع الذين يدعون من
دون الله شركا توبيخا لفعلهم ثم اجاب فقال ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون اي
يحدثون ويكذبون وقد تقدم قوله تعالى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بين ان الواجب
عبادة من يقدر على خلق الليل والنهار لا عبادة من لا يقدر على شيء لتسكنوا فيه اي مع ازواجكم

واولادكم ليزول التعب والكلال بكم والسكون الهدو عن اضطراب قوله تعالى والنهار مبصرا
اي مضيئا لتهتدوا به في حوايجكم والمبصر الذي يبصر النهار فيه وقال مبصرا تجوزا وتوسعا
على عادة العرب وقولهم ليله قايم ونهاره صايم وقال جرير لقد لمتنا يام غيلان في السرى ونمت
وما ليل المطي بنايم وقال قطرب يقال اظلم الليل اذا صار ذا ظلمة واضاء النهار وابصر اي
صار ذا ضياء وبصر وقوله تعالى ان في ذلك لايات اي علامات ودلالات لقوم يسمعون اي سماع
اعتبار قال تعالى قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه يعني الكفار وقد تقدم ثم قال سبحانه نزه نفسه
عن الصاحبة والاولاد وعن الشركاء والانداد ثم اخبر بغناه المطلق وان له ما في السموات
والارض ملكا وخلقا وعبدا ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا ان عندكم من
سلطان بهذا اي ما عندكم من حجة بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون من اثبات الولد والولد
يقتضي المجانسة والمشابهة والله سبحانه لا يجانس شيئا ولا يشبهه شي قوله تعالى قل ان الذين
يفترون على الله الكذب اي يختلقون على الله الكذب لا يفلحون اي لا يفوزون ولا يامنون وتم
الكلام متاع قليل اي ذلك متاع او هو متاع في الدنيا قاله الكسائي وقال الاخفش لهم متاع في
الدنيا قال ابو اسحق ويجوز في غير القران والنصب على معنى يتمتعون متاعا ثم نذيقهم العذاب
الشديد اي الغليظ بما كانوا يكفرون اي بكفرهم قوله تعالى قل ان الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون واتل عليهم نبا
نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا
امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فان توليتم فما سالتكم
من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في
الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك
نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا فاستكبروا
وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى اتقولون
للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا
وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم
فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر
ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون
قوله ان الذين يفترون الى قوله يكفرون تقدم معناه قوله تعالى واتل عليهم نبا نوح امر النبي
صلى الله عليه وسلم ان يذكرهم امر قصص الانبياء ويخوفهم العذاب الاليم على كفرهم وحذفت الواو
من اتل لانه امر ان يقرا عليهم خبر نوح اذ قال لقومه اذ في موضع نصب يا قوم ان كان كبر اي
عظم وثقل عليكم مقامي المقام بفتح الميم الموضع الذي يقوم فيه والمقام بالضم الاقامة ولم يقرا
به فيما علمت اي ان طال عليكم لبثي فيكم وتذكيري اياكم وتخويفي لكم بايات الله وعزمتم على قتلي وطردي
فعلى الله توكلت اي اعتمدت وهذا هو جواب الشرط ولم يزل عليه الصلاة والسلام متوكلا على الله في
كل حال ولكن بين انه متوكل في هذا على الخصوص ليعرف قومه ان الله يكفيه امرهم اي ان لم تنصروني
فاني توكلت على من ينصرني قوله تعالى فاجمعوا امركم وشركاءكم قرة الائمة فاجمعوا بقطع الالف وشركاءكم
بالنصب وقرا عاصم الجحدري فاجمعوا بوصل الالف وفتح الميم من جمع يجمع شركاءكم بالنصب وقرا

الحسن وابن ابي اسحق ويعقوب فاجمعوا بقطع الالف شركاؤكم بالرفع فاما القراءة الاولى من اجمع على الشي
اذا عزم عليه قال الفراء اجمع الشي اعده وقال المورج يا ليت شعري والمنا لا ينفع هل اغدون يوما وامري
مجمع قال النحاس في نصب الشركاء على هذه القراءة ثلاثة اوجه قال الكسائي والفراء هو بمعنى وادعوا
شركاءكم لنصرتكم وهو منصوب عندهما على اضمار هذا الفعل وقال محمد ابن يزيد هو معطوف على المعنى
كما قال الشاعر يا ليت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا والرمح لا يتقلد الا انه محمول وقال ابو اسحق الزجاج المعنى مع
شركائكم على نباء غيركم كما التقى الماء والخشبة والقراءة الثانية من الجمع اعتبارا بقوله تعالى فجمع
كيده ثم اتى قال معاذ ويجوز ان يكون بمعنى جمع وجمع بمعنى واحد وشركاؤكم على هذه القراءة عطف
على امركم واجمعوا شركاءكم فان قلت بمعنى مع قال ابو جعفر النحاس وسمعت ابا اسحق يجيز قام زيدا وعمروا
والقراءة الثالثة على ان تعطف الشركاء على المضمر المرفوع في اجمعوا وحسن ذلك لان الكلام قد طال
قال النحاس وغيره وهذه القراءة تبعد لانه لو كان مرفوعا لوجب ان يكتب بالواو ولم ير في المصاحف
واو في قوله وشركاؤكم ايضا وان شركاءكم الاصنام والاصنام لا تصنع شيئا ولا فعل لها حتى يجمع وقال
المهدوي ويجوز ان يرتفع الشركاء بالابتداء والخبر محذوف اي شركاؤكم ليجمعوا امرهم ونسب ذلك
الى الشركاء وهي لا تسمع ولا تبصر ولا تميز على جهة التوبيخ لمن عبدها قوله تعالى ثم لا يكن امركم عليكم
غمة اسم كان وخبرها وغمة وغم سواء ومعناه التغطية من قولهم غم الهلال اذا استتر
اي ليكن امركم ظاهرا منكشفا متمكنون فيه مما شئتم لكن يخفى امره فلا يقدر على ما يريد قال طرفة
لعمرك ما امري علي بغمة نهاري ولا ليلي علي بسرمد قال الزجاج غمة ذا غم والغم والغمة
كالكرب والكربة وقيل ان الغمة ضيق الامر الذي يوجب الغم فلا يتبين صاحبه لامره ومصدرا
يتفرج عنه ما يغمه وفي الصحاح والغمة والكربة قال العجاج بل لو شهدت الناس اذ تكموا بغمة لو
لم يفرج عمرا يقال امر غمة اي مبهم ملتبس قال تعالى ثم لا يكن امركم عليكم غمة قال ابو عبيدة
مجازها ظلمة وضيق والغمة ايضا والحي واصل هذا كله مشتق من الغمامة قوله تعالى ثم اقضوا الي
الف اقضوا الف وصل من قضى يقضي قال الاخفش والكسائي هو مثل وقضينا اليه ذلك الامر
اي انهيناه اليه وابلغناه اياه وروي عن ابن عباس ثم اقضوا ولا تنظرون قال امضوا ولا تؤخرون
قال النحاس هذا قول صحيح في اللغة ومنه قضى الميت اي مضى واعلمهم بهذا انهم لا يصلون اليه
وهذا من دلايل النبوات وحكي الفراء عن بعض القراء ثم افضوا الي بالفاء وقطع الالف اي توجهوا
يقال افضيت الخلافة الى فلان وافضى بي الوجع وهذا اخبار من الله تعالى عن نبيه نوح عليه
السلام انه كان بنصرة الله واثقا ومن كيدهم غير خايف علما منه بانهم والهتهم لا ينفعون ولا
يضرون وتعزية لنبيه صلى الله عليه وسلم وتسلية لقلبه قوله تعالى فان توليتم اي اعرضتم عما
جئتكم به فليس ذلك لاني سالتكم اجرا فيثقل عليكم مكافاتي ان اجري الا على الله في تبليغ رسالته
وامرت ان اكون من المسلمين اي الموحدين لله تعالى وفتح اهل المدينة وابو عمرو وابن عامر
وحفص يا اجري حيث وقع واسكن الباقون قوله تعالى فكذبوه يعني نوحا فنجيناه ومن معه اي
من المؤمنين في الفلك اي السفينة وسياتي ذكرها وجعلناهم خلائف اي سكان الارض وخلفا
ممن غرق فانظر كيف كان عاقبة المنذرين يعني اخر امر الذين انذرهم الرسل فلم يؤمنوا قوله تعالى
ثم بعثنا من بعده اي من بعد نوح رسلا الى قومهم كهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب وغيرهم
فجاؤهم بالبينات اي بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل التقدير بما كذب به قوم نوح من
قبل وقيل بما كذبوا به من قبل يوم الذر فانه كان فيهم من كذب بقلبه وان قال الجميع بلى قال

النحاس ومن احسن ما قيل في هذا انه لقوم باعيانهم مثل انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون كذلك نطبع اي نختم على قلوب المعتدين اي المجاوزين الحد في الكفر والتكذيب فلا يؤمنوا وهذا رد على القدرية قولهم كما تقدم قوله تعالى ثم بعثنا من بعدهم اي من بعد الرسل والامم موسى وهرون الى فرعون وملائه اي اشراف قومه باياتنا يريد الايات التسع وقد تقدم ذكرها فاستكبروا اي عن الحق وكانوا قوما مجرمين اي مشركين قوله تعالى فلما جاءهم الحق يريد فرعون وقومه قالوا ان هذا لسحر مبين حملوا المعجزات على السحر قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا قيل في الكلام حذف المعنى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا فالف اتقولون انكار وقولهم محذوف ثم استانف انكارا اخر من قبله فقال اسحر هذا فحذف قولهم الاول اكتفاء بالثاني من قوله منكرا على فرعون وملائه وقال الاخفش هو من قولهم ودخلت الالف حكاية لقولهم لانهم قالوا اسحر هذا فقيل لهم اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا وروي عن الحسن ولا يفلح الساحرون اي لا يفلح من اتى به قوله تعالى قالوا اجئتنا لتلفتنا اي تصرفنا وتلوينا يقال لفته يلفته لفتا اذا لواه وصرفه قال الشاعر تلفت نحو الحي حتى رايتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا ومن هذا التفت انما هو عادل عن الجهة التي بين يديه عما وجدنا عليه اباءنا يريد من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض اي العظمة والملك والسلطان في الارض يريد ارض مصر ويقال للملك الكبرياء لانه اعلى ما يطلب في الدنيا وما نحن لكما بمؤمنين وقرا ابن مسعود والحسن وغيرهما ويكون بالياء لانه تانيث غير حقيقي وقد فصل بينهما وحكى سيبويه حضر القاضي اليوم امراتان قوله عز وجل وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم انما قاله لما راى العصا واليد البيضاء واعتقد انهما سحر وقرا حمزة والكسائي وابن وثاب والاعمش سحار وقد تقدم في الاعراف القول فيهما قوله عز وجل فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اي اطرحوا على الارض ما جئتم به من حبالكم وعصيكم وقد تقدم القول في هذا المعنى مستوفى والحمد لله قوله عز وجل فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر تكون ما في موضع رفع بالابتدا والخبر ما جئتم به والتقدير اي شيء جئتم به على التوبيخ والتصغير لما جاءوا به من السحر وقراءة ابي عمرو السحر على الاستفهام على اضمار مبتدا والتقدير اهو سحر ويجوز ان يكون مبتدا والخبر محذوف والتقدير السحر جئتم به ولا تكون ما على قراءة من استفهم بمعنى الذي اذ لا خبر لها وقراءة الباقون السحر على الخبر ودليل هذه القراءة قراءة ابن مسعود ما جئتم به سحر وقراءة ابي ما اتيتم به سحر فما بمعنى الذي وجئتم به الصلة وموضع ما رفع بالابتداء والسحر خبر الابتداء ولا تكون ما اذا جعلتها بمعنى الذي نصبا لان الصلة لا تعمل في الموصول واجاز الفراء نصب السحر بجئتم وتكون ما للشرط وجئتم في موضع جزم بما والفاء محذوفة والتقدير فان الله سيبطله ويجوز ان ينصب السحر على المصدر اي ما جئتم به سحرا ثم دخلت الالف واللام زايدتين فلا يحتاج على هذا التقدير الى حذف الفاء في المجازاة لا يجيزه كثير من النحويين الا في ضرورة الشعر كما قال من يفعل الحسنات الله يشكرها بل ربما رفع بعضهم انه لا يجوز البتة وسمعت علي بن سليمان يقول حدثني محمد بن يزيد قال حدثني المازني قال سمعت الاصمعي يقول غير النحويون هذا البيت وانما الرواية من يفعل الخير فالرحمن يشكره وسمعت علي بن سليمان ان حذف الفاء في المجازاة جايز والدليل على ذلك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم قراءتان معروفتان مشهورتان ان الله لا يصلح عمل المفسدين يعني السحر قال ابن عباس من اخذ مضجعه من الليل ثم تلى هذه الاية ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين لم يضره كيد ساحر ولا تكتب على مسحور الا دفع الله عنه السحر قوله عز وجل ويحق الله الحق بكلماته اي يوضحه ويبينه بكلماته اي بكلامه وبحججه وبراهينه وقيل

بعداته بالنصر ولو كره المجرمون من آل فرعون قوله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك اية وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون قوله فما امن لموسى الا ذرية من قومه الهاء عائدة على موسى قال مجاهد لم يؤمن منهم احد وانما امن اولاد من ارسل موسى اليهم من بني اسرائيل لطول الزمان هلك الاباء وبقي الابناء فامنوا وهذا اختيار الطبري والذرية اعقاب الانسان وقد تكثر وقيل المراد بالذرية مؤمني بني اسرائيل قال ابن عباس كانوا ستمائة الف وذلك ان يعقوب عليه السلام دخل مصر في اثنين وسبعين انسانا فتوالدوا بمصر حتى بلغوا ستمائة الف وقال ابن عباس ايضا يعني من قومه من قوم فرعون منهم مؤمن ال فرعون وخازن فرعون وامراته وماشطة ابنته وقيل هم اقوام من القبط وامهاتهم من بني اسرائيل فسموا ذرية كما تسمى اولاد الفرس الذين توالدوا باليمن وبلاد العرب الابناء لان امهاتهم من غير جنس ابائهم قال الفرا فعلى هذا فالكناية في قومه ترجع الى موسى للقرابة من جهة الامهات والى فرعون اذا كانوا من القبط وقوله تعالى على خوف من فرعون لانه مسلط عليهم تماما وقال ملائهم ولم يقل وملائه وعنه ستة اجوبة احدها ان فرعون لما كان جبارا اخبر عنه بفعل الجميع الثاني ان فرعون لما ذكر علم ان معه غيره فعاد الضمير عليه وعليهم وهو احد قولي الفرا الثالث ان يكون الجماعة سميت بفرعون مثل ثمود الرابع ان يكون التقدير على خوف من ال فرعون فيكون من باب حذف المضاف مثل واسئل القرية وهو القول الثاني للفرا وهذا الجواب على مذهب الخليل وسيبويه خطا لا يجوز عندهما قامت هند وانت تريد غلامها الخامس مذهب الاخفش سعيد ان يكون الضمير يعود على الذرية اي ملا الذرية وهو اختيار الطبري السادس ان يكون الضمير يعود على قومه قال النحاس وهذا الجواب كانه ابلغها ان يفتنهم على الاخبار عن فرعون اي ان يصرفهم عن دينهم بالعقوبات وهو في موضع خفض على انه بدل اشتمال ويجوز ان يكون في موضع خفض بحرف ولم ينصرف فرعون لانه اسم اعجمي وهو معرفة وان فرعون لعال في الارض اي عات متكبر وانه لمن المسرفين اي المجاوزين الحد في الكفر لانه كان عبدا فادعى الربوبية قوله تعالى وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم اي صدقتم بالله فعليه توكلوا اي اعتمدوا ان كنتم مسلمين كرر الشرط تاكيدا اذ كمال الايمان بتفويض الامر الى الله تعالى فقالوا على الله توكلنا اي اسلمنا امورنا اليه ورضينا بقضائه وقدره وانتهينا الى امره ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين اي لا تنصرهم علينا فيكون ذلك فتنة لنا عن الدين او لا تمتحنا بان تعذبنا على ايديهم قال مجاهد المعنى لا تهلكنا بايدي اعدائنا ولا تعذبنا بعذاب

من عندك فيقول اعداؤنا لو كانوا على حق لم يسلطوا عليهم فيفتتنوا وقال مجلز وابو الضحى يعني لا تظهرهم
علينا فيروا انهم خير منا فيزدادوا طغيانا وقوله تعالى ونجنا برحمتك اي خلصنا من القوم الكافرين
اي من فرعون وقومه لانهم كانوا ياخذونهم بالاعمال الشاقة قوله تعالى واوحينا الى موسى واخيه
ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا فيه خمس مسائل الاولى قوله واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا اي اتخذا
لقومكما بمصر بيوتا يقال بوأت زيدا مكانا وبوأت لزيد مكانا والمبوأ المنزل الملزوم ومنه بوأه
الله منزلا اي الزمه اياه واسكنه ومنه الحديث من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار
قال الراجز نحن بنو عدنان ليس شك تبوأ المجد بنا والملك ومصر في هذه الاية هي
الاسكندرية في قول مجاهد وقال الضحاك البلد المسمى مصر ومصر ما بين البحر الى اسوان والاسكندرية
من ارض مصر الثانية قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة قال اكثر المفسرين كان اكثر بني اسرائيل
لا يصلون الا في مساجدهم وكنايسهم وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى امر فرعون بمساجد بني اسرائيل
فخربت كلها ومنعوا من الصلاة فاوحى الله تعالى الى موسى ان اتخذوا وتخير لبني اسرائيل بيوتا
بمصر اي مساجد ولم يرد المنازل المسكونة هذا قول ابراهيم وابن زيد والربيع وابن مالك وابن
عباس وغيرهم وروي عن ابن عباس ايضا وسعيد بن جبير ان المعنى واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها
بعضا والقول الاول اصح اي اجعلوا مساجدكم الى القبلة قيل بيت المقدس وهي قبلة اليهود الى
اليوم قاله ابن بحر وقيل الكعبة عن ابن عباس وكانت الكعبة قبلة موسى ومن معه وهذا
يدل على ان القبلة في الصلاة كانت شرعا لموسى عليه الصلاة والسلام ولم تخل الصلاة عن شرط
الطهارة وستر العورة واستقبال القبلة فان ذلك ابلغ في التكليف واوفر للعبادة وقيل
المراد صلوا في بيوتكم سرا لتامنوا وذلك حين اخافهم فرعون فامروا بالصبر واتخاذ المساجد
في البيوت والاقدام على الصلاة والدعا الى ان ينجز الله وعده وهو المراد بقوله وقال موسى لقومه
استعينوا بالله واصبروا الاية وكان من دينهم انهم لا يصلون الا في البيع والكنايس ما داموا في
امن فان خافوا فقد اذن لهم ان يصلوا في بيوتهم قال ابن العربي والاول اظهر القولين لان الثاني
دعوى قلت قوله دعوى صحيح فان الصحيح قال صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وهذا
مما خص به دون الانبياء فنحن بحمد الله نصلي في المساجد والبيوت وحيث ادركت الصلاة
الا ان النافلة في المنازل افضل منها في المساجد حتى الركوع قبل الجمعة وبعدها وقبل الصلوة المفروضة
وبعدها اذ النوافل يحصل فيها الريا والفرايض والنوافل لا يحصل فيها ذلك وكلما خلص العمل
في الريا كان افضل وازكى عند الله روى مسلم عن عبد الله بن سفيان قال سالت عايشة عن صلاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تطوعه قالت كان يصلي في بيتي قبل الظهر اربعا ثم يخرج فيصلي
بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين وكان يصلي
بالناس العشا ويدخل بيتي فيصلي ركعتين الحديث وعن ابن عمر قال صليت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل الظهر سجدتين وبعدها سجدتين وبعد المغرب سجدتين فاما المغرب والعشا فصليت
مع النبي صلى الله عليه وسلم في بيته وروى ابو داود عن كعب بن عجرة ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى
مسجد بني الاشهل فصلى فيه المغرب فلما قضوا صلاتهم رآهم يسبحون فقال هذه صلاة البيوت
الثالثة اختلف العلماء في هذا الباب في قيام رمضان هل ايقاعه في البيت افضل او في المسجد
افضل فذهب مالك الى انه في البيت افضل لمن قوي عليه وبه قال ابو يوسف وبعض اصحاب
الشافعي وذهب احمد وابن عبد الحكم وبعض اصحاب الشافعي الى ان حضورها في الجماعة افضل وقال

الليث لو قام الناس في بيوتهم ولم يقم احد في المسجد لا ينبغي ان يخرجوا اليه والحجة لمالك ومن قال
بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث زيد بن ثابت فعليكم بالعبادة في بيوتكم فان خير صلاة المرء
في بيته الا المكتوبة خرجه البخاري احتج المخالف بان النبي صلى الله عليه وسلم قد صلاها في الجماعة
في المسجد ثم اخبر بالمانع الذي منع منه على الدوام على ذلك وهو خشية ان يفرض عليكم فلذلك قال
لهم فعليكم بالصلاة في بيوتكم ثم ان الصحابة كانوا يصلونها في المسجد اوزاعا متفرقين الى ان جمعهم
عمر على قارئ واحد فاستقر الامر على ذلك وثبت سنة الرابعة فاذا قلنا على انه كان ابيح لهم ان
يصلوا في بيوتهم اذا خافوا على انفسهم يستدل به على ان المعذور بالخوف او غيره يجوز له ترك الجمعة
والجماعة والعذر الذي يبيح له ذلك المرض الحابس او خوف زيادته او خوف جور السلطان في مال
او بدن دون القضا عليه بحق والمطر الوابل مع الوحل عذر ان لم ينقطع ومن له ولي حميم قد حضرته
الوفاة ولم يكن عنده من يمرضه وقد فعل ذلك ابن عمر الخامسة قوله تعالى وبشر المؤمنين قيل
الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل لموسى عليه السلام وهو الاظهر اي بشر بني اسرائيل بان الله سيظهرهم
على عدوهم قوله تعالى وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا
اتيت اعطيت زينة اي مال الدنيا وكان لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن
الذهب والفضة والزبرجد والزمرد والياقوت قوله تعالى ربنا ليضلوا عن سبيلك اختلف في
هذه اللام واصح ما قيل فيها وهو قول الخليل وسيبويه انها لام العاقبة والصيرورة وفي الخبر ان
لله تعالى ملكا ينادي كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب اي لما كان عاقبة امرهم الى الضلال صار
كانه اعطاهم ليضلوا وقيل هي لام اجل اي اعطيتهم لاجل اعراضهم عنك فلم يخافوا ان تعرض عنهم
وقيل هي لام كي اي اعطيتهم ذلك لكي يضلوا ويبطروا ويتكبروا وزعم قوم ان المعنى اعطيتهم ذلك
لئلا يضلوا فحذفت لا كما قال عز وجل يبين الله لكم ان تضلوا والمعنى لئلا تضلوا قال النحاس
ظاهر هذا الجواب حسن الا ان العرب لا تحذف لا الا مع ان فموه صاحب هذا الجواب بقوله ان
تضلوا وقيل اللام للدعاء اي ابتلهم بالضلال عن سبيلك لان بعده واطمس واشدد وقيل الفعل
بمعنى المصدر اي اضلالهم لقوله تعالى لتعرضوا عنهم وقرا الكوفيون ليضلوا بضم الياء من الاضلال
وفتحها الباقون قوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم اي عاقبهم على كفرهم
باهلاك اموالهم قال الزجاج طمس الشيء اذهابه عن صورته قال ابن عباس ومحمد بن كعب صارت
اموالهم ودراهمهم حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا واثلاثا وانصافا ولم يبق معدن الا طمس
الله عليه فلم ينتفع به احد بعد وقال قتادة بلغنا ان اموالهم صارت حجارة وقال مجاهد
وعطية اهلكها حتى لا ترى يقال عين مطموسة وطمس الموضع اذا عفا ودرس وقال ابن زيد
صارت دنانيرهم ودراهمهم وفرشهم وكل شيء لهم حجارة قال محمد بن كعب كان الرجل منهم
يكون مع اهله في فراشه وقد صارا حجرين قال وسالني عمر بن عبد العزيز فذكرت ذلك له
فدعا بخريطة صنعت بمصر فاخرج منها الفواكه والدراهم والدنانير وانها لحجارة وقال
السدي وكانت احدى الايات التسع واشدد على قلوبهم قال ابن عباس اي امنعهم الايمان وقيل
قسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان والمعنى واحد فلا يؤمنوا قيل هو عطف على قوله ليضلوا
اي اتيتهم النعم ليضلوا ولا يؤمنوا قاله المبرد والزجاج وعلى هذا لا يكون فيه من معنى الدعاء
وقوله ربنا اطمس واشدد فكلام معترض وقال الفراء والكسائي وابو عبيدة هو دعاء فهو في
موضع جزم اي اللهم فلا يؤمنوا او فلا امنوا ومنه قول الاعشى فلا ينبسط من بين عينيك ما

اتروى ولا تلعثي الاوا نفك داغم اي لا انبسط ومن قال ليضلوا دعاء اي ابتلهم بالضلال قال
عطف عليه فلا يؤمنوا وقيل هو في موضع نصب لانه جواب الامر اي واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا
وهذا قول الاخفش والفراء ايضا في ذلك يا ناق سيري عنقا فسيحا الى سليمان فنستريحا فعلى
هذا فحذفت النون لانه منصوب بحتى حتى يروا العذاب الاليم قال ابن عباس هو الغرق وقد
استشكل بعض الناس هذه الاية فقال كيف دعى عليهم وحكم الرسول استدعا ايمان قومه
فالجواب انه لا يجوز ان يدعو نبي على قومه الا باذن من الله واعلام انه ليس فيهم من يؤمن
ولا يخرج من اصلابهم من يؤمن دليله قوله لنوح عليه السلام انه لن يؤمن من قومك الا
من قد امن فعند ذلك قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا والله اعلم قوله تعالى
قال قد اجيبت دعوتكما قال ابو العالية دعى موسى وامن هارون فسمي هارون وقد امن على
الدعاء داعيا والتأمين على الدعاء ان يقول امين فقولك امين دعاء اي يا رب استجب لي وقيل
دعا هارون مع موسى ايضا وقال اهل المعاني ربما خاطب العرب الواحد بخطاب الاثنين
قال الشاعر فقلت لصاحبي لا تعجلا فانتزع اصوله فاجتز شيحا وهذا على ان امين ليس بدعا
وان هارون لم يدعو قال النحاس سمعت علي بن سليمان يقول الدليل على ان الدعا لهما قول
موسى عليه السلام ربنا ولم يقل رب وقرا علي السلمي دعوتكم بالجمع وقرا ابن السميقع اجبت دعوتكما
خبرا عن الله ونصب دعوة بعده وتقدم القول في امين في اخر الفاتحة مستوفي وهو ما
خص به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وروي انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله قد اعطى امتي ثلاثا لم يعط احدا قبلهم السلام وهي تحية اهل الجنة وصفوف الملائكة
وامين الا ما كان من موسى وهارون ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقد تقدم في
الفاتحة قوله تعالى فاستقيما قال الفراء وغيره امرا بالاستقامة على امرهما والثبات عليه
من دعا فرعون وقومه الى الايمان الى ان ياتيهما تاويل الاجابة قال محمد بن علي وابن جريج
مكث فرعون وقومه بعد هذه الاجابة اربعين سنة ثم اهلكوا وقيل استقيما اي
على الدعاء وترك الاستعجال في حصول المقصود ولا يسقط الاستعجال من القلب الا باستقامة
السكينة فيه ولا يكون ذلك الا بالرضا الحسن بجميع ما يبدو من الغيب ولا تتبعان بتشديد
النون في موضع جزم على النهي والنون للتوكيد وحركت لالتقاء الساكنين واختير لها الكسر
لانها اشبهت نون الاثنين وقرا ابن ذكوان بتخفيف النون على النفي وقيل هو حال من
استقيما اي استقيما غير متبعين والمعنى لا تسلكا طريق من لا يعلم حقيقة وعدي ووعيدي
قوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر تقدم القول فيه في البقرة في قوله عنه واذ فرقنا بكم البحر
وقرا الحسن وجوزنا وهما لغتان فاتبعهم فرعون يقال تبع واتبع بمعنى واحد اذا لحقه وادركه
واتبع بالتشديد اذا سار خلفه وقال الاصمعي يقال اتبعه بقطع الالف اذا لحقه واذا واتبعه بوصل
الالف اذا اتبع اثره ادركه او لم يدركه ولذلك قال ابو زيد وقرا قتادة فاتبعهم بوصل الالف وقيل
اتبعه بوصل الالف في الامر اقتدى به واتبعه بقطع الالف خيرا او شرا هذا قول ابي عمرو وقيل
هما بمعنى واحد فخرج موسى ببني اسرائيل وهم ستمائة الف وعشرون الفا واتبعه فرعون مصبحا
في الفي الف وستمائة الف وقد تقدم بغيا نصب على الحال وعدوا معطوف عليه اي في حال
بغي واعتداء يقال عدا يعدو عدوا مثل غزا يغزو غزوا وقرا الحسن وعدوا بضم العين والدال
بغير حق في القول وعدوا في الفعل فهما نصب على المفعول له حتى اذا ادركه الغرق اي ناله

ووصله قال امنت اي صدقت انه اي بانه فلما حذف الخافض تعدى الفعل فنصب وقرئ بالكسر
اي صرت مؤمنا ثم استانف وزعم ابو حاتم ان القول محذوف اي امنت فقلت انه فالايمان
لا ينفع حينئذ والتوبة مقبولة قبل رؤية الباس واما بعدها وبعد المخالطة فلا تقبل حسبما
تقدم في النساء بيانه ويقال ان فرعون هاب دخول البحر وكان على حصان ادهم ولم يكن في خيل
فرعون انثى فجاء جبريل على فرس ودنق الى شيء في صورة هامان وقال له تقدم ثم خاض البحر
فتبعها حصان فرعون وميكائيل يسوقهم لا يشذ منهم احد فلما صار اخرهم في البحر وهم اولهم ان
يخرج انطبق عليهم البحر والجم فرعون الغرق فقال امنت بالذي امنت به بنوا اسرائيل فدس
جبريل في فمه حال البحر وروي الترمذي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما
اغرق الله فرعون قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل قال جبريل يا محمد
لو رايتني وانا اخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة قال ابو عيسى هذا
حديث حسن حال البحر الطين الاسود الذي يكون في ارضه قاله اهل اللغة وعن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر ان جبريل يدس في فم فرعون الطين خشية ان يقول لا اله
الا الله فيرحمه الله او خشية ان يرحمه قال هذا حديث حسن غريب صحيح وقال عون بن
عبد الله بلغني ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما بعدا بليس ابغض الي من فرعون وانه
لما ادركه الغرق قال امنت الاية فخشيت ان يقولها فيرحم فاخذت تربة او طينا فحشوتها
في فمه وقيل انما فعل هذا به عقوبة له على عظيم ما كان ياتي وقال كعب الاحبار امسك الله
نيل مصر عن الجري في زمانه فقال له القبط ان كنت ربا فاجر لنا الماء فركب وامر بجنوده
قايدا وجعلوا يقفون على درجاتهم وقعد هو حيث لا يرونه ونزل عن دابته ولبس ثيابا له
اخرى وسجد وتضرع الى الله فاجرى الله له الماء فاتاه جبريل وهو وحده في هياة مستفت
وقال له ما يقول الامير في رجل له عبد قد نشا في نعمته لا سيد له غيره فكفر نعمته وجحد
حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون يقول ابو العباس الوليد ابن مصعب بن الريان
جزاؤه ان يغرق في البحر فاخذه جبريل ومر فلما ادركه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه
وقد مضى في البقرة هذا عن عبد الله بن عمرو بن العاصي وابن عباس مسندا وكان هذا في
يوم عاشورا على ما تقدم بيانه ايضا في البقرة فلا معنى لاعادته وقوله تعالى وانا من المسلمين
اي الموحدين اي المسلمين بالانقياد والطاعة قوله تعالى الان وقد عصيت قبل وكنت من
المفسدين قيل هي من قول الله تعالى له وقيل من قول جبريل وقيل من قول ميكائيل صلوات
الله عليهما وسلامه او من قول غيرهما من الملائكة صلوات الله عليهم اجمعين له وقيل هو من
قول فرعون في نفسه ولم يكن ثم قول باللسان بل وقع ذلك في قلبه وقال في نفسه ما
قال حيث لم تنفعه الندامة ونظيره انما نطعمكم لوجه الله اثنى عليهم الرب بما في ضميرهم
لانهم ما قالوا ذلك بلفظهم والكلام الحقيقي كلام القلب قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك
لتكون لمن خلفك اية ننجيك ان نلقيك على نجوة من الارض وذلك ان بني اسرائيل لم يصدقوا
وقالوا هو اعظم من ذلك فالقاه الله على نجوة من الارض اي مكان مرتفع من البحر حتى شاهدوه
وقال اوس بن حجر يصف مطرا فمن بعقوته كمن بنجوته والمستكن كمن يمشي بقرواح وقرا
الزيدي وابن السميقع ننحيك بالحاء من التنحية وحكاها علقمة عن عبد الله بن مسعود اي
تكون على ناحية من البحر قال ابن جريج فرمي به على ساحل البحر حتى راه بنوا اسرائيل وكان قصيرا

احمر كانه ثور وحكى علقمة عن عبد الله انه قرء ببدائك من البدا قال ابو بكر الانباري وليس بجائز
لمخالفها مصحفنا اذ سبيله ان يكتب بياء وكاف بعد الدال لان الالف تسقط من بدائك في ترتيب
خط المصحف كما سقطت من الظلمات والسموات فاذا وقع بها الحذف استوى هجا بدنك وبدائك
على ان هذه القراءة مرغوب عنها لشذوذها وخلافها ما عليه عامة المسلمين والقراءة بديها
اخذها اخر عن اول وفي معناها نقص عن تاويل قراءتنا اذ ليس للدرع ذكر الذي تتابعت الاثار
بان بني اسرائيل اختلفوا في غرق فرعون وسالوا الله تعالى ان يريهم اياه غريقا فالقوه على نجوة
من الارض ببدنه وهو درعه الذي كان يلبسها في الحروب قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي
كانت درعه من لؤلؤ منظوم وقيل من ذهب وكان يعرف بها وقيل من حديد قاله ابن صخر
والبدن الدرع القصيرة وانشد ابو عبيدة للاعشى وبيضاء كالنهر موضونة لها قونس فوق جيب
البدن وانشد ايضا لعمرو بن معدي كرب ومضى نساؤهم بكل مفاضة جدلا سابغة وبالابدان
وقال كعب بن مالك ترى الابدان فيها مسبغات على الابطال واليلب الحصينا اراد بالابدان
الدروع واليلب الدروع اليمانية كانت تتخذ من الجلود يخرز بعضها الى بعض وهو اسم جنس
الواحدة يلبة قال عمرو بن كلثوم علينا البيض واليلب اليماني واسياف يقمن وينحنينا
وقيل ببدنك جسد لا روح فيه قاله مجاهد قال الاخفش واما قول من قال بدنك فليس
بشيء قال ابو بكر لانهم لما تضرعوا الى الله تعالى مشاهدة فرعون غريقا ابرزه لهم فراوا
جسدا لا روح فيه فلما رات بنو اسرائيل قالوا نعم يا موسى هذا فرعون وقد غرق فخرج الشك
من قلوبهم وابتلع البحر فرعون كما كان فعلى هذا ننجيك ببدنك احتمل معنيين احدهما نلقيك
على نجوة من الارض والثاني نظهر جسدك الذي لا روح فيه والقراءة الشاذة ببدائك
ترجع الى معنى قراءة الجماعة لان البدا يفسر بتفسيرين احدهما نلقيك بصياحك بكلمة التوبة
وقولك بعد ان اغلق بابها ومضى وقت قبولها امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل
وانا من المسلمين على موضع رفيع والاخر فاليوم نعزلك عن غامض البحر ببدائك لما قلت انا
ربكم الاعلى وكانت تنحية بالبدن بالبدن معاقبة من رب العالمين له على ما فرط من
كفره الذي منه نداؤه بالذي افتراه فيه وبهت وادعى القدرة والامر الذي يعلم انه
كاذب فيه وعاجز عنه وغير مستحق له قال ابو بكر الانباري فقراءتنا تتضمن ما في القراءة
الشاذة من المعاني وتزيد عليها قوله تعالى لتكون لمن خلفك اية اي لبني اسرائيل ولمن
بقي من قوم فرعون ممن لم يدركه الغرق ولم ينته اليه هذا الخبر وان كثيرا من الناس
عن اياتنا لغافلون اي معرضون عن تامل اياتنا والتفكر فيها وقرئ لمن خلفك بفتح اللام
اي لمن بقي بعدك يخلفك في ارضك وقرا علي بن ابي طالب لمن خلقك بالقاف اي اية
لخالقك قوله تعالى ولقد بوانا بني اسرائيل مبوأ صدق اي منزل صدق محمود مختار
يعني مصر وقيل فلسطين والاردن وقال الضحاك هي مصر والشام ورزقناهم من الطيبات
اي من الثمار وغيرها وقال ابن عباس يعني قريظة والنضير واهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم
من بني اسرائيل فانهم كانوا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وينتظرون خروجه ثم لما خرج
حسدوه ولهذا قال فما اختلفوا اي في امر محمد صلى الله عليه وسلم حتى جاءهم العلم يعني القران
ومحمد عليه الصلوة والسلام والعلم بمعنى المعلوم لانهم كانوا يعلمونه قبل خروجه قاله ابن جرير
الطبري ان ربك يقضي بينهم اي يحكم بينهم ويفصل يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

في الدنيا فيثيب الطايع ويعاقب العاصي قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد غيره اي لست في شك ولكن غيرك في شك قال ابو عمر محمد بن عبد الواحد
الزاهد سمعت الامامين ثعلبا والمبرد يقولان معنى فان كنت في شك اي قل يا محمد للكافر فان
كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك اي يا عابد الوثن ان كنت
في شك من القران فسل من اسلم من اليهود يعني عبد الله بن سلام وامثاله لان عبدة الاوثان
كانوا يقرون لليهود انهم اعلم منهم من اجل انهم اصحاب كتاب فدعاهم الرسول الى ان يسالوا من يقرون
بانهم اعلم منهم هل بعث الله من رسول من بعد موسى وقال القتبي هذا خطاب لمن كان لا يقطع بتكذيب
محمد صلى الله عليه وسلم ولا بتصديقه بل كان في شك وقيل المراد بالخطاب النبي صلى الله عليه وسلم
لا غيره والمعنى لو كنت ممن يلحقك الشك فيما اخبرناك به فسالت اهل الكتاب لازالوا عنك
الشك وقيل الشك ضيق الصدر اي ان ضاق صدرك بكفر هؤلاء فاصبر وسل الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك يخبرونك بصبر الانبياء قبلك على اذى قومهم وكيف عاقبة امرهم والشك في اللغة اصله
الضيق يقال شك الثوب اذا ضمه بخلال حتى يصير كالوعاء وكذلك السفرة تمد علائقها حتى تنقبض
فالشك يقبض الصدر ويضمه حتى يضيق وقال الحسين بن الفضل الفاء مع حروف الشرط لا توجب
الفعل ولا تثبته والدليل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما نزلت هذه الاية
والله لا اشك والله لا اشك ثم استانف الكلام فقال لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن
من الممترين اي من الشاكين المرتابين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين
قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك
الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين
ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت
قرية فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم
الى حين ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين
وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا ماذا في
السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون فهل ينتظرون الا مثل ايام
الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين امنوا كذلك
حقا علينا ننجي المؤمنين قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون
من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين وان اقم وجهك
للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان
فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان
يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يا ايها
الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
وما انا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين قوله فان كنت
في شك مما انزلنا اليك الى قوله الخاسرين تقدم معناه قبل هذا قوله تعالى ان الذين حقت
عليهم كلمة ربك لا يؤمنون تقدم القول فيه في هذه السورة قال قتادة ان الذين حق
عليهم غضب الله وسخطه بمعصيتهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية اتت كلا على المعنى اي ولو
جاءتهم الايات حتى يروا العذاب الاليم فحينئذ يؤمنون ولا ينفعهم قوله تعالى فلولا كانت

قرية آمنت قال الاخفش والكسائي اي فهلا وفي مصحف ابي وابن مسعود فهلا واصل لولا في الكلام التحضيض
والدلالة على منع امر لوجود امر غيره ومفهوم من معنى الاية بعنى ايمان اهل القرى ثم استثنى قوم يونس
فهو بحسب اللفظ استثنا منقطع وهو بحسب المعنى متصل لان تقديره ما امن اهل قرية الا قوم يونس
والنصب في قوم هو الوجه ولذلك ادخله سيبويه في باب ما لا يكون الا منصوبا قال النحاس الا قوم
يونس نصب لانه استثناء ليس من الاول اي لاكن قوم يونس هذا قول الكسائي والاخفش والفراء
ويجوز الا قوم يونس بالرفع ومن احسن ما قيل في الرفع ما قاله ابو اسحق الزجاج قال يكون المعنى غير قوم
يونس فلما جاء بالا اعرب الاسم الذي بعدها اعراب غير كما قال ـــــ وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا
الفرقدان وروي في قصة قوم يونس عن جماعة من المفسرين ان قوم يونس كانوا بنينوى من ارض الموصل
كانوا يعبدون الاصنام فارسل اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الاسلام وترك ما هم عليه فابوا فقيل
انه قام يدعوهم سبع سنين فيئس من ايمانهم فقيل له اخبرهم ان العذاب يصبحهم الى ثلاث
ففعل وقالوا هو رجل لا يكذب فارقبوه فان اقام معكم وبين اظهركم فما عليكم وان ارتحل عنكم فهو
نزول العذاب لا شك فلما كان الليل تزود يونس وخرج عنهم فاصبحوا فلم يجدوه فتابوا ودعوا
الله ولبسوا المسوح وفرقوا بين الامهات والاولاد من الناس والبهائم وردوا المظالم في تلك
الحالة قال ابن مسعود كان الرجل ياتي الحجر وقد وضع عليه اساس بنيانه فيقلعه فيرده والعذاب
منهم فيما روي عن ابن عباس على ثلثي ميل ويروى على ميل وعن ابن عباس انه غشيتهم الظلمة وفيها
حمرة فلم تزل تدنو حتى وجدوا حرها بين اكتافهم وقال ابن جبير غشيهم العذاب كما يغشى
الثوب القبر فلما صحت توبتهم دفع الله العذاب عنهم قال الطبري خص قوم يونس من بين سائر الامم
بان يتيب عليهم بعد معاينة العذاب وذكر ذلك عن جماعة من المفسرين وقال الزجاج انهم لم يقع
بهم العذاب وانما راوا العلامة التي تدل على العذاب ولو راوا عين العذاب لما نفعهم الايمان
قلت ـــــ قول الزجاج حسن فان المعاينة التي لا تنفع التوبة معها هي التلبس بالعذاب كقصة
فرعون ولهذا جاء بقصة قوم يونس على اثر قصة قوم فرعون لانه امن حين راى العذاب فلم ينفعه
ذلك وقوم يونس تابوا قبل ذلك ويعضد هذا قوله عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل توبة
العبد ما لم يغرغر والغرغرة الحشرجة وذلك حال التلبس بالموت واما قبل ذلك فلا والله اعلم
وقد روي معنى ما قلناه عن ابن مسعود ان يونس لما وعدهم بالعذاب الى ثلاثة ايام واصبحوا
فلم يجدوه وفرقوا بين الامهات والاولاد وهذا يدل على توبتهم قبل روية العذاب وسياتي
مسندا بينا في سورة الصافات ان شاء الله تعالى ويكون معنى كشفنا عنهم عذاب الخزي اي
العذاب الذي وعدهم به يونس انه ينزل بهم لا انهم راوه عيانا ولا مخايلة وعلى هذا لا
اشكال ولا تعارض ولا خصوص والله اعلم وبالجملة فكان اهل نينوى في سابق العلم من السعدا
ويروى عن علي رضي الله عنه انه قال ان الحذر لا يرد القدر وان الدعا ليرد القدر وذلك
ان الله تعالى يقول الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا قال علي
رضي الله عنه وذلك يوم عاشورا وقوله تعالى ومتعناهم الى حين قيل الى اجلهم قاله السدي
وقيل الى ان يصيروا الى الجنة او النار قاله ابن عباس قوله تعالى ولو شاء ربك لامن من في الارض
كلهم اي لاضطرهم اليه وكلهم توكيد لمن وجميعا عند سيبويه نصب على الحال وقال الاخفش جاء
بقوله جميعا بعد كل تاكيدا كقوله تعالى لا تتخذوا الهين اثنين افانت تكره الناس حتى يكونوا
مومنين قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمان جميع الناس فاخبره تعالى

انه لا يومن الا من سبقت له السعادة في الذكر الاول ولا يضل الا من سبقت له الشقاوة في الذكر الاول
وقيل المراد بالناس هنا ابو طالب وهو عن ابن عباس ايضا قوله تعالى وما كان لنفس ان تومن
الا باذن الله ما نفي اي ما ينبغي ان تومن الا بقضائه وقدره ومشيئته وارادته ويجعل الرجس
قرا الحسن وابو بكر والمفضل ونجعل بالنون على التعظيم والرجس العذاب بضم الراء وكسرها لغتان
على الذين لا يعقلون امر الله عز وجل ونهيه قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض
امر للكفار بالاعتبار والنظر في المصنوعات الدالة على الصانع والقادر على الكمال وقد تقدم
القول في هذا المعنى في غير موضع مستوفى وما تغني ما نفي اي ولن تغني وقيل ما استفهامية التقدير
اي شي تغني الايات اي الدلالات والنذر اي الرسل جمع نذير وهو الرسول عن قوم لا يومنون
اي عن من سبق لهم في علم الله انه لا يومن قوله تعالى فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا
من قبلهم الايام هنا بمعنى الوقايع يقال فلان عالم بايام العرب اي بوقايعهم قال قتادة يعني
وقايع الله في قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم والعرب تسمي العذاب اياما والنعيم اياما لقوله وذكرهم
بايام الله وكل ما مضى لك من خير او شر فهو ايام فانتظروا اي تربصوا وهذا تهديد ووعيد
اني معكم من المنتظرين اي من المتربصين موعد ربي قوله تعالى ثم ننجي رسلنا والذين امنوا
اي من سنتنا اذا انزلنا بقوم عذابا اخرجنا من بينهم الرسل والمومنين وثم معناه اعلموا انا
ننجي رسلنا كذلك حقا علينا ننجي المومنين اي واجبا علينا لانه اخبر ولا خلف في الوعد وقرا
يعقوب ثم ننجي مخففا وقرا الكسائي وحفص ويعقوب ننجي المومنين مخففا وشدد الباقون وهما
لغتان فصيحتان انجا ينجي ونجى ينجي تنجية بمعنى واحد قوله تعالى قل يا ايها الناس يريد كفار
مكة ان كنتم في شك من ديني اي في ريب من دين الاسلام الذي ادعوكم اليه فلا اعبد الذين
تعبدون من دون الله من الاوثان التي لا تعقل ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم اي يميتكم ويقبض
ارواحكم وامرت ان اكون من المومنين اي المصدقين بايات ربهم قوله تعالى وان اقم وجهك
على اكون اي قيل لي كن من المومنين واقم وجهك قال ابن عباس عملك وقيل نفسك اي استقم
باقبالك على ما امرت به من الدين اي قويا به مايلا عن كل دين قال حمزة ابن عبد المطلب حمدت
الله حين هدى فوادي من الاشراك للدين الحنيف وقد مضى في الانعام معنى الاستقامة ولا تكونن
من المشركين اي وقيل لي لا تشرك والخطاب له والمراد غيره وكذا قوله لا تدع اي لا تعبد من دون
الله ما لا ينفعك ان عبدته ولا يضرك ان عصيته فان فعلت اي عبدت غير الله فانك اذا من
الظالمين اي الواضعين العبادة في غير موضعها قوله تعالى وان يمسسك الله بضر اي يصبك به
فلا كاشف له اي لا دافع الا هو وان يردك بخير اي يصبك برخاء ونعمة فلا راد لفضله يصيب
به اي بكل ما اراد من الخير والشر ما يشاء من عباده وهو الغفور لذنوب عباده وخطاياهم الرحيم
باوليائه في الاخرة قوله تعالى قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم اي القران وقيل الرسول عليه
الصلاة والسلام من ربكم فمن اهتدى اي صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وامن بما جاء به فانما
يهتدي لنفسه اي لخلاص نفسه ومن ضل اي ترك الرسول والقران واتبع الاصنام والاوثان
فانما يضل عليها اي وبال ذلك على نفسه وما انا عليكم بوكيل اي بحفيظ احفظ اعمالكم انما انا رسول
قال ابن عباس نسختها اية السيف قوله تعالى واتبع ما يوحى اليك واصبر قيل نسخ باية القتال
وقيل ليس منسوخا ومعناه اصبر على الطاعة وقال ابن عباس لما نزلت جمع النبي صلى الله عليه وسلم
الانصار ولم يجمع معهم غيرهم فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض

وعن انس بمثل ذلك ثم قال اني فلم يصبروا فامرهم بالصبر كما امره الله تعالى وفي ذلك يقول عبد الرحمن
بن حسان الا ابلغ معاوية بن حرب امير المؤمنين بنا كلامي فانا صابرون ومنظروكم الى يوم
التغابن والخصام حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ابدا وخبرا لانه عز وجل لا يحكم الا بالحق كملت
سورة يونس عليه السلام

سورة هود عليه السلام وهي مكية في قول عكرمة والحسن وعطا وجابر

وقال ابن عباس وقتادة الا اية وهي قوله تعالى واقم الصلاة طرفي النهار الاية
واسند ابو محمد الدارمي في مسنده عن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا سورة هود
يوم الجمعة وروي الترمذي عن ابن عباس قال قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتني
هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وقال هذا حديث قال حدثنا
محمد بن بشر عن علي بن صالح عن ابي اسحق عن ابي جحيفة قال قالوا يا رسول الله نراك قد شبت قال
شيبتني هود واخواتها قال ابو عبيد فالفزع يورث الشيب وذلك ان الفزع يذهل النفس
فتنشف رطوبة الجسد وتحت كل شعرة منبع ومنه يعرق الجسد فاذا نشف الفزع رطوبته يبست
المنابع فيبس الشعر وابيض كما ترى الزرع اخضر بسقياه فاذا ذهب سقياه يبس فابيض وانما يبيض
شعر الشيخ لذهاب رطوبته ويبس جلده والنفس تذهل بوعيد الله واهوال ما جاء به الخبر عن
الله فتذهل وينشف ماؤها ذلك الوعيد والخوف والهول الذي جاء ها فمنه تشيب وقال
الله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا فانما شابوا من الفزع واما سورة هود فلما ذكر الامم وما
حل بهم من عاجل امر الله وباسه فاهل اليقين اذا تلوها تلاءا على قلوبهم من ملكه وسلطانه
ولحظاته بالبطش باعدائه فلو ماتوا من الفزع لحق بهم ولكن الله تبارك اسمه تلطف بهم
في تلك الاحايين حتى يقرؤا كلامه واما اخواتها فما اشبهها من السور مثل الحاقة وسال سائل
واذا الشمس كورت والقارعة ففي تلاوة هذه السور ما ينكشف لقلوب العارفين سلطانه
وبطشه فتذهل منه النفوس وتشيب منه الرؤس قلت وقد قيل ان الذي شيب النبي
صلى الله عليه وسلم من سورة هود قوله تعالى فاستقم كما امرت كما ياتي بيانه ان شاء الله تعالى
وقال يزيد بن ابان رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي فقرات عليه سورة هود
فلما ختمتها قال يا زيد هذه القراءة فاين البكا قال علماؤنا وقال ابو جعفر يقال هذه هود
فاعلم بغير تنوين على انه اسم السورة ولانك لو سميت امراة بزيد لم يصرف هذا قول سيبويه
والخليل وعيسى ابن عمر يقول هذه هود بالتنوين على انه اسم السورة وكذا ان سمي امراة بزيد
لانه لما سكن وسطه خف فصرف فان اردت الحذف صرفت على قول الجميع فقلت هذه هود
وانت تريد هذه سورة هود قال سيبويه والدليل على هذا انك تقول هذه الرحمن فلولا
انك تريد هذه سورة الرحمن ما قلت هذه بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير
وبشير وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي
فضل فضله فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شيء
قدير الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون
وما يعلنون انه عليم بذات الصدور وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم
مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وهو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد

الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة
ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد
ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
اولئك لهم مغفرة واجر كبير قوله تعالى الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير
تقدم القول في الر وقوله كتاب بمعنى هذا كتاب احكمت اياته في موضع رفع نعت لكتاب واحسن
ما قيل في معنى احكمت اياته قول قتادة اي جعلت محكمة كلها لا خلل فيها ولا باطل والاحكام منع
القول من الفساد اي نظمت نظما محكما لا يلحقها تناقض ولا خلل وقال ابن عباس لم ينسخها كتاب
بخلاف التورية والانجيل فعلى هذا فالمعنى احكم بعض اياته فانه جعل ناسخا غير منسوخ وقد تقدم
القول فيه وقد يقع اسم الجنس على النوع فيقال اكلت طعام زيد اي بعض طعامه وقال الحسن
وابو العالية احكمت اياته بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وقال
قتادة احكمها الله من الباطل ثم فصلها بالحلال والحرام وقال مجاهد احكمت جملة ثم بينت بذكر
انه بجميع ما يحتاج اليه من الدليل على التوحيد والنبوة والبعث وغير ذلك وقيل جمعت في
اللوح المحفوظ ثم فصلت في التنزيل وقيل فصلت انزلت نجما نجما ليتدبر وقرا عكرمة فصلت مخففا
اي حكمت بالحق من لدن اي من عند حكيم اي محكم للامور خبير بكل كاين وغير كاين قوله تعالى
الا تعبدوا الا الله قال الكسائي والفراء اي احكمت بان لا تعبدوا الا الله وقال الزجاج لئلا اي احكمت
ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله قيل امر رسوله ان يقول للناس لا تعبدوا الا الله انني لكم منه
اي من الله نذير اي مخوف من عذابه وسطوته لمن عصاه وبشير بالرضوان والجنة لمن اطاعه
وقيل هو من قول الله عز وجل اولا واخرا اي لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير اي الله نذير لكم
عبادة غيره كما قال ويحذركم الله نفسه قوله تعالى وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه هذا
عطف على الاول وكذا ثم توبوا اليه لان الاستغفار هو التوبة والتوبة هي الاستغفار وقيل
استغفروه من سالف ذنوبكم وتوبوا اليه من المستانف متى وقعت منكم قال بعض الصلحا الاستغفار
بلا اقلاع توبة الكذابين وقد تقدم هذا المعنى في ال عمران مستوفى وفي البقرة عند قوله ولا تتخذوا
ايات الله هزوا وقيل انما قدم ذكر الاستغفار لان المغفرة هي الغرض المطلوب والتوبة هي السبب
اليها والمغفرة اول في المطلوب واخر في السبب ويحتمل ان يكون المعنى استغفروه من الصغاير وتوبوا
اليه من الكباير يمتعكم متاعا حسنا هذه ثمرة الاستغفار والتوبة اي يمتعكم بالمنافع في سعة
الرزق ورغد العيش ولا يستاصلكم بالعذاب كما فعل بمن اهلك قبلكم وقيل يمتعكم يعمركم واصل
الامتاع الاطالة ومنها امتع الله بك ومتع وقال سهل بن عبد الله الامتاع الحسن ترك الخلق
والاقبال على الخالق وقيل هو القناعة بالموجود وترك الحزن على المفقود الى اجل مسمى قيل هو
الموت وقيل هو القيامة وقيل دخول الجنة والمتاع الحسن على هذا وقاية كل مكروه والاول
اظهر لقوله في هذه السورة ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم
قوة الى قوتكم وهذا ينقطع بالموت وهو الاجل المسمى والله اعلم قال مقاتل فابوا فدعى عليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فابتلوا بالقحط سبع سنين حتى اكلوا العظام المحرقة والقذر والجيف والكلاب
ويؤت كل ذي فضل فضله اي يؤت كل ذي عمل من الاعمال الصالحة جزاء عمله وقيل يؤت كل ذي
فضل من فضلت حسناته على سيئاته فضله اي الجنة وهي فضل الله فالكناية في قوله فضله ترجع

الى الله تعالى وقال مجاهد ومايكتسبه الانسان من كلام يقوله بلسانه او عمل يعمله بيده او رجله
او ما تطوع به من ماله فهو فضل الله يؤتيه من يشاء اذا امن ولا يقبله منه اذا كان كافرا فان
تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير اي يوم القيامة وهو كبير لما فيه من الاهوال وقيل اليوم
الكبير هو يوم بدر وغيره وتولوا يجوز ان يكون ماضيا ويكون المعنى فان تولوا فقل لهم اني اخاف
عليكم ويجوز ان يكون ماضيا ويكون المعنى فان تولوا فقل لهم اني اخاف عليكم ويجوز ان يكون
مستقبلا حذفت منه احدى التائين والمعنى قل لهم ان تتولوا فاني اخاف عليكم قوله تعالى الى
الله مرجعكم اي بعد الموت وهو على كل شيء قدير من ثواب وعقاب قوله تعالى الا انهم يثنون
صدورهم ليستخفوا منه اخبر عن معاداة المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويظنون انه
يخفى على الله احوالهم يثنون صدورهم اي يطوونها على عداوة المسلمين ففي هذا الحذف قال ابن عباس
يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة ويظهرون خلاف ذلك نزلت في الاخنس بن
شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنطق يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي له
بقلبه على ما يسوء وقال مجاهد يثنون صدورهم شكا وامترا وقال الحسن يثنونها على ما فيها
من الكفر وقيل نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر بالنبي صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره
وطاطا راسه وغطا وجهه كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فيدعوه الى الايمان حكي معناه عن
عبد الله بن شداد فالهاء في منه تعود على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل قال المنافقون اذا اغلقنا
ابوابنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد فمن يعلم بنا فنزلت الاية وقيل
ان قوما من المسلمين كانوا يتنسكون بستر ابدانهم ولا يكشفونها تحت السماء فبين الله تعالى
ان النسك ما اشتملت قلوبهم عليه من معتقد واظهروه من قول وعمل وروى ابن جريج عن محمد بن
عباد بن جعفر قال سمعت ابن عباس يقول الا انهم تثنوني صدورهم بغير نون بعد الواو في وزن
تنطوي ليستخفوا منه قال كانوا لا يجامعون النساء ولا ياتون الغائط وهم يفضون الى السماء
فنزلت هذه الاية وروى غير محمد بن عباد عن ابن عباس الا انهم يثنون صدورهم كالاول
وهو بغير ياء ومعنى يثنون والقراءتين الاخيرتين متقاربتان لانها لا تنثني حتى يثنونها
وقيل كان بعضهم ينحني على بعض يسارّ في الطعن على المسلمين وبلغوا من جهلهم ان توهموا ان
ذلك يخفى على الله ليستخفوا اي ليتواروا عنه اي عن محمد او عن الله الا حين يستغشون ثيابهم
اي يغطون رؤوسهم بثيابهم قال قتادة اخفى ما يكون العبد اذا حنى ظهره واستغشى ثوبه
واظهر في نفسه همه قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها يدل على قول مجاهد
كلما جاءها من رزق فمن الله وقيل على الله اي فضلا لا وجوبا وقيل وعدا منه حقا وقد تقدم
بيان هذا المعنى في النساء وانه سبحانه لا يجب عليه شيء رزقها دفع بالابتداء وعند الكوفيين
بالصفة وظاهر الاية العموم ومعناها الخصوص لان كثيرا من الدواب هلك قبل ان يرزق
وقيل هي عامة وكل دابة لم ترزق رزقا تعيش به فقد رزقت روحها ووجه النظم
بما قبل انه سبحانه اخبر برزق الجميع وانه لا يغفل عن تربيتهم فكيف يخفى عليه احوالكم يا
معشر الكفار وهو يرزقكم والدابة كل حيوان يدب والرزق حقيقة ما يتغذى به الحي
ويكون فيه بقاء روحه ونماء جسده ولا يجوز ان يكون الرزق بمعنى الملك لان البهائم ترزق
وليس يصح وصفها بانها مالكة لعلفها وهكذا الاطفال ترزق اللبن ولا يقال ان اللبن الذي
في الثدي ملك للطفل وقد قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وليس لنا في السماء ملك ولان

الرزق لو كان ملكا لكان اذا اكل الانسان من ملك غيره ان يكون قد اكل رزق غيره وذلك محال لان
العبد لا ياكل الا رزق نفسه وقد تقدم في سورة البقرة هذا المعنى وقيل لبعضهم من اين تاكل فقال الذي
خلق الرحى ياتيها بالطحين والذي شدق الاشداق هو خالق الارزاق وقيل لابي اسيد من اين تاكل
فقال سبحان الله والله اكبر يرزق الكلب افلا يرزق ابا اسيد وقيل لحاتم الاصم من اين تاكل فقال من
عند الله فقيل له من اين ينزل لك دنانير ودراهم من السماء فقال كان ما له الا السماء يا هذا الارض
له والسماء له فان لم يؤتني رزقي ساقه من الارض وانشد وكيف اخاف الفقر والله رازقي ورازق
هذا الخلق في العسر واليسر تكفل بالارزاق للخلق كلهم وللضب في البيداء والحوت في البحر وذكر الترمذي
الحكيم في نوادر الاصول باسناده عن زيد بن اسلم ان الاشعريين ابا موسى وابا مالك وابا عامر في نفر
منهم لما هاجروا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقد ارسلوا من الزهاد رجلا منهم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يساله فلما انتهى الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعه يقرا هذه الاية
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ما الاشعريون
باهون الدواب على الله فرجع ولم يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاصحابه ابشروا اتاكم
الغوث ولا يظنون الا انه قد كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعده فبينما هم كذلك اذ اتاهم
رجلان يحملان قصعة بينهما مملوة خبزا ولحما فاكلوا منها ما شاؤوا ثم قال بعضهم لبعض لو انا رددنا
هذا الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقضي به حاجته فقالوا للرجلين اذهبا بهذا الطعام
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا قد قضينا منه حاجتنا ثم انهم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبروه انهم ارسلوا صاحبهم فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره ما صنع وما قال لهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيء رزقكموه الله قوله تعالى ويعلم مستقرها اي من الارض
حيث تاوي اليه ومستودعها اي الموضع الذي تموت فيه فتدفن قاله مقسم عن ابن عباس وقال
الربيع بن انس مستقرها ايام حياتها ومستودعها حين تموت وحيث تبعث وقال سعيد بن جبير
عن ابن عباس مستقرها في الرحم ومستودعها في الصلب وقيل يعلم مستقرها في الجنة او النار ومستودعها
في القبر يدل عليه قوله تعالى في وصف اهل الجنة حسنت مستقرا ومقاما كل في كتاب مبين
اي في اللوح المحفوظ قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام تقدم في الاعراف
بيانه والحمد لله وكان عرشه على الماء بين ان خلق العرش والماء قبل خلق الارض والسماء قال
كعب خلق الله تعالى ياقوتة خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت ماء ترتعد من مخافة الله
تعالى فلذلك يرتعد الماء الى الان وان كان ساكنا ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم
وضع العرش على الماء وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس انه سئل عن قوله عز وجل وكان
عرشه على الماء قال على متن الريح وروى البخاري عن عمران بن حصين قال كنت عند النبي صلى
الله عليه وسلم اذ جاءه قوم من بني تميم فقال لهم اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فاعطنا فدخل
ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم فقالوا قبلنا جئنا لنتفقه
في الدين ولنسالك عن اول هذا الامر ما كان قال الله عز وجل ولم يكن شيء قبله وكان عرشه
على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شيء ثم اتاني رجل فقال يا عمران ادرك
ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب يتقطع دونها وايم الله لوددت انها قد
ذهبت ولم اقم ليبلوكم ايكم احسن عملا اي خلق ذلك ليبتلي عباده بالاعتبار والاستدلال
على كمال قدرته وعلى البعث وقال قتادة معنى ايكم احسن عملا ايكم اتم عقلا وقال الحسن

وسفيان الثوري ايكم ازهد في الدنيا وذكر ان عيسى عليه السلام مر برجل نايم فقال يا نايم قم فتعبد
فقال يا روح الله قد تعبدت قال وما تعبدت قال تركت الدنيا لاهلها قال نم فقد فقت العابدين
قال الضحاك ايكم اكثر شكرا وقال مقاتل ايكم اتقى لله وروي عن ابن عمران النبي صلى الله عليه وسلم
ايكم احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله تعالى فجمع الاقاويل
كلها وسياتي في الكهف هذا ايضا ان شاء الله تعالى وقد تقدم معنى الابتلاء ولئن قلت انكم
مبعوثون اي لئن قلت يا محمد على البعث من بعد الموت وذكرت ذلك للمشركين لقالوا هذا سحر وكسرت
ان من انكم لانها بعد القول مبتدا وحكى سيبويه بالفتح ليقولن الذين كفروا فتحت اللام لانها
فعل متقدم لا ضمير فيه وبعده ليقولن لان فيه ضمير وقوله سحر اي غرور وباطل لبطلانه عندهم
وقرا حمزة والكسائي ان هذا الا ساحر مبين كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه اللام في لئن لام القسم والجواب
ليقولن ومعنى الى امة الى اجل معدود وحين معلوم والامة هنا المدة قاله ابن عباس ومجاهد
وقتادة وجمهور المفسرين واصل الامة الجماعة فعبر عن الحين والانس بالامة لان الذين الامة
تكون فيها وقيل هو على حذف المضاف والمعنى الى مجي امة ليس فيها من يومن فلا يبقى بعد انقراضها
من يومن والاسم مشترك يقال على ثمانية اوجه فالامة تكون الجماعة لقوله تعالى وجد عليه امة
من الناس يسقون والامة ايضا اتباع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والامة الرجل الجامع للخير
الذي يقتدى به لقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله والامة الدين والملة لقوله
تعالى انا وجدنا اباءنا على امة والامة الحين والزمان لقوله تعالى ولئن اخرنا عنهم العذاب
الى امة معدودة وكذلك قوله تعالى وادكر بعد امة والامة القامة وهي طول الانسان
وارتفاعه يقال من ذلك فلان حسن الامة اي القامة والامة الرجل المنفرد بدينه وحده
لا يشركه فيه احد قال النبي صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده والامة
الام يقال هذه امة زيد ليقولن ما يحبسه يعني العذاب وقالوا هذا اما تكذيب العذاب
لتاخره عنهم او استعجال او استهزاء اي ما الذي اخره الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم قيل
هو قتل المشركين ببدر وقيل خيبر بل المستهزئين على ما ياتي بيانه وحاق بهم اي نزل بهم واحاط
ما كانوا به يستهزءون والمضاف محذوف قوله تعالى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة الانسان
هنا اسم شايع للجنس في جميع الكفار ويقال ان الانسان هنا هو الوليد بن المغيرة وفيه نزلت
وقيل في عبد الله بن امية المخزومي ورحمة اي نعمة ثم نزعناها منه اي سلبناه اياها انه
ليؤس اي يايس من الرحمة كفور للنعمة جاحد لها قاله ابن العربي قال النحاس ليؤس من يئس ييئس
وحكى سيبويه يئس ييئس على فعل يفعل ونظيره حسب يحسب ونعم ينعم ويئس ييئس وبعضهم
يقول يئس ييئس لا يعرف في كلام العرب الا اربعة احرف من السالمات على فعل يفعل وفي واحد
منها اختلاف وهي يئس ويئس على التكثير يجوز للمبالغة قوله تعالى اذقناه نعماء اي صحة
ورخاء وسعة في الرزق من بعد ضراء مسته اي بعد ضر وفقر وشدة ليقولن ذهب السيئات
عني اي الخطايا التي تسوء صاحبها من الضر والفقر انه لفرح فخور اي يفرح ويفخر بما ناله من
السعة وينسى شكر الله عليه يقال رجل فاخر اذا افتخر وفخور للمبالغة قال يعقوب وقرا بعض
اهل المدينة لفرح بضم الراء كما يقال رجل فطن وحذر وندس ويجوز في كلتا اللغتين الاسكان
لثقل الضمة والكسرة وقوله تعالى الا الذين صبروا يعني المؤمنين مدحهم بالصبر على الشدايد وموضع

موضع نصب قال الاخفش هو استثناء ليس من الاول اي لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات في حالتي
المحنة وقال الفراء هو استثناء من قوله ولئن اذقناه اي من الانسان فان الانسان بمعنى الناس
والناس يشمل الكافر والمؤمن فهو استثناء متصل وهو حسن اولئك لهم مغفرة ابتدا وخبر واجر
معطوف كبير صفة قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا
لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شيء وكيل ام يقولون افتريه
قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان
لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم
في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون افمن كان على بينة من ربه
ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به
من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا
يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها
عوجا وهم بالاخرة هم كافرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله
من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك
الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون
قوله فلعلك لعظيم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب تتوهم انهم يزيلونك عن بعض ما انت عليه
وقيل انهم لما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك هم ان يدع سب الهتهم فنزلت هذه
الاية والكلام معناه الاستفهام اي هل انت تارك ما فيه سب الهتهم كما سالوك وتاكد عليه في
الابلاغ الامر كقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وقيل معنى الكلام النفي مع الاستبعاد
اي لا يكن منك ذلك بل تبلغهم كل ما انزل اليك وذلك ان مشركي مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
لو اتيتنا بكتاب ليس فيه سب الهتنا لاتبعناك فهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يدع سب الهتهم
فنزلت قوله تعالى وضائق به صدرك عطف على تارك وصدرك مرفوع به والهاء في به
تعود على ما او على بعض او على التبليغ او التكذيب وقال ضائق ولم يقل ضيق ليشاكل تارك الذي
قبله لان الضائق عارض والضيق لازم ان يقولوا في موضع نصب اي كراهة ان يقولوا او لئلا يقولوا
كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا او لان يقولوا لولا اي هلا انزل عليه كنز او جاء
معه ملك يصدقه قاله عبد الله بن ابي امية بن المغيرة المخزومي فقال الله يا محمد انما انت
نذير اي انما عليك ان تنذرهم لا بان تاتيهم بما يقترحونه من الايات والله على كل شيء وكيل
اي حافظ او شهيد قوله تعالى ام يقولون افتريه قل فاتوا ام بمعنى بل وقد تقدم في يونس
اي قد ازحت عللهم واشكالهم في نبوتك بهذا القران المبين وحججتهم به فان قالوا افتراه
اي اختلقه فليا توا بمثله مفترى بزعمهم وادعوا من استطعتم من دون الله اي من الكهنة
والاعوان قوله تعالى فان لم يستجيبوا لكم اي في المعارضة ولم يتهيا لهم فقد قامت عليهم
الحجة اذ هم اللسن البلغاء واصحاب الالسن الفصحاء فاعلموا انما انزل بعلم الله واعلموا صدق محمد
واعلموا انه لا اله الا هو فهل انتم مسلمون استفهام معناه الامر وقد تقدم القول في معنى
هذه الاية وان القران معجزة في مقدمة الكتاب والحمد لله وقال قل فاتوا وبعده فان لم

لازم

يستجيبوا لكم ولم يقل لك فقيل هو على تحويل المخاطب من الافراد الى الجمع تعظيما وتفخيما وقد يخاطب الرئيس بما يخاطب به الجماعة وقيل الضمير في لكم وفي فاعلموا للجمع اي فليعلم الجميع انما انزل بعلم الله قاله مجاهد وقيل الضمير في لكم وفي فاعلموا للمشركين والمعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه الى المعاونة ولا تهيأت لكم المعارضة فاعلموا انما انزل بعلم الله وقيل الضمير في لكم للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين وفي فاعلموا للمشركين قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الاية فيه ثلاث مسائل الاولى من كان يريد كان زائدة ولهذا جزم بالجواب فقال نوف قاله الفراء وقال الزجاج كان في موضع جزم بالشرط وجوابه نوف اليهم اي من يكن يريد والاول ماض في اللفظ والثاني مستقبل كما قال زهير ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو رام اسباب السماء بسلم واختلف العلماء في تاويل هذه الاية فقيل نزلت في الكفار قاله الضحاك واختاره النحاس بدليل الاية التي بعدها اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار اي من اتى منهم بصلة رحم او صدقة فانما نكافيه في الدنيا بصحة الجسم وكثرة الرزق ولكن لا حسنة له في الاخرة وقد تقدم هذا المعنى في براءة مستوفى وقيل المراد بالاية المؤمنون اي من اراد بعمله ثواب الدنيا عجل له الثواب ولم ينقص شيئا في الدنيا وله في الاخرة العذاب لانه جرد قصده الى الدنيا وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فالعبد انما يعطى على وجه قصده وبحكم ضميره وهذا امر متفق عليه في الامم بين كل ملة وقيل هؤلاء اهل الرياء وفي الخبر انه يقال لاهل الرياء صمتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم وقراتم ليقال ذلك فقد قيل ذلك ثم قال ان هؤلاء اول من تسعر بهم النار رواه ابو هريرة ثم بكا بكاء شديدا وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها وقرا الايتين اخرجه مسلم في صحيحه بمعناه والترمذي ايضا وقيل الاية عامة في كل من ينوي بعمله غير الله تعالى كان معه اصل ايمان او لم يكن قاله مجاهد وميمون بن مهران واليه ذهب معاوية رحمه الله ليس لاحد يعمل حسنة الا وفي ثوابها فان كان مسلما مخلصا وفي في الدنيا وفي الاخرة وان كان كافرا وفي في الدنيا وقيل من كان يريد ان يغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وفيها اي وفي اجر الغزاة ولم ينقص منها وهذا خصوص والصحيح العموم الثانية قال بعض العلماء معنى هذه الاية معنى قوله عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات ويدلك على هذا ان من صام في رمضان لا عن رمضان لا يقع من رمضان ويدل على من توضا للتبرد والتنظف لا يقع قربة عن جهة الصلاة الثالثة ذهب اكثر العلماء الى ان هذه الاية مطلقة وكذلك الاية التي في الشورى من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وكذلك من كان يريد ثواب الدنيا قيدها وفسرها الاية التي في سبحان من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الى قوله محظورا فاخبر ان العبد ينوي ويريد والله سبحانه يحكم ما يريد وروى الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا انها منسوخة بقوله من كان يريد العاجلة والصحيح ما ذكرناه وانه من باب الاطلاق والتقييد ومثله قوله واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فهذا ظاهره خبر عن اجابة كل داع ابدا على كل حال وليس كذلك لقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء والنسخ في الاخبار لا يجوز لاستحالة تبديل الواجبات العقلية ولاستحالة الكذب على الله تعالى واما الاخبار عن الاحكام الشرعية فيجوز نسخها على خلاف فيه على ما هو مذكور في الاصول وياتي في النحل بيانه ان شاء الله تعالى

قوله تعالى اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار اشارة الى التخليد والمؤمن لا يخلد لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية فهو محمول على ما لو كانت موافاة هذا المرائي على الكفر وقيل المعنى ليس لهم الا النار في ايام معلومة ثم يخرج اما بالشفاعة واما بالقبضة والاية تقتضي الوعيد بسلب الايمان وفي الحديث المعاصي تزيد الكفر وخاصة الرياء اذ هو شرك اصغر على ما تقدم بيانه في النساء وياتي في الكهف وباطل ما كانوا يعملون ابتدا وخبر قال ابو حاتم وحذفت لانه بمعنى المصدر اي وباطل عملهم وفي حرف ابي وعبد الله وباطلا ما كانوا يعملون تكون ما زائدة اي وكانوا يعملون باطلا قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه قوله افمن كان على بينة ابتدا والخبر محذوف اي افمن كان على بينة من ربه في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه من الفضل ما يتبين لغيره كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها عن علي بن الحسين والحسن بن ابي الحسن وكذا قال ابن زيد ان الذين على بينة من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويتلوه شاهد منه من الله وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بقوله افمن كان على بينة من ربه النبي صلى الله عليه وسلم والكلام راجع الى قوله وضائق به صدرك اي افمن كان على بيان من الله ومعجزة كالقران ومعه شاهد كجبريل وعلى ما ياتي وقد بشرت به الكتب السالفة يضيق صدره بالابلاغ وهو يعلم ان الله لا يسلمه لهم والهاء في به تعود اليه وقوله ويتلوه شاهد منه روى عكرمة عن ابن عباس انه جبريل وهو قول مجاهد والنخعي والهاء في منه لله عز وجل اي ويتلو البيان والبرهان شاهد من الله عز وجل وقال مجاهد الشاهد ملك من الله يحفظه ويسدده وقال الحسن البصري وقتادة الشاهد لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن علي بن الحنفية قلت لابي انت الشاهد فقال وددت ان اكون انا هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو علي بن ابي طالب وروي عن علي انه قال ما من رجل من قريش الا وقد انزلت فيه الاية والايتان فقال له رجل اي شي نزل فيك فقال علي قوله تعالى ويتلوه شاهد منه وقيل الشاهد صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه ومخايله لان من كان له فضل وعقل فينظر الى النبي صلى الله عليه وسلم علم انه رسول الله فالهاء على هذا ترجع للنبي صلى الله عليه وسلم وعلى قول ابن زيد وغيره وقيل الشاهد القران في بلاغته ونظمه والمعاني الكثيرة منه في اللفظ الواحد قاله الحسين بن الفضل فالهاء في منه للقران وقال الفراء قال بعضهم ويتلوه شاهد منه الانجيل وان كان قبله فانه يتلو القران في التصديق فالهاء في منه لله عز وجل وقيل البينة معرفة الله تعالى التي اشرقت بها القلوب والشاهد الذي يتلوه العقل الذي ركب في دماغه واشرق صدره بنوره ومن قبله اي قبل الانجيل كتاب موسى رفع بالابتداء قال ابو اسحق الزجاج والمعنى ويتلوه من قبله كتاب موسى لان النبي صلى الله عليه وسلم موصوف في كتاب موسى يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل وحكى ابو حاتم عن بعضهم انه قرا ومن قبله كتاب موسى بالنصب وحكاها المهدوي عن الكلبي ويكون معطوفا على الهاء في يتلوه والمعنى ويتلو كتاب موسى جبريل عليه السلام وكذلك قال ابن عباس المعنى من قبله تلا جبريل كتاب موسى على موسى ويجوز على ما ذكره ابن عباس ايضا من هذا القول ان يرفع كتاب على ان يكون المعنى ومن قبله كتاب موسى كذلك اي تلاه جبريل على موسى كما تلا القران على محمد عليهما الصلاة والسلام اماما نصب على الحال ورحمة معطوف اولئك يؤمنون به اشارة الى بني اسرائيل اي يؤمنون بما في التورية من البشارة بك وانما

كذبك هؤلاء المتأخرون فهم الذين موعدهم النار حكاه القشيري والهاء في به يجوز ان تكون للقران ويجوز ان تكون للنبي صلى الله عليه وسلم ومن يكفر به اي بالقران او بالنبي صلى الله عليه وسلم من الاحزاب يعني من الملل كلها قاله قتادة وكذلك قال سعيد بن جبير الاحزاب اهل الاديان كلها لانهم يتحاربون وقيل قريش وحلفاؤهم فالنار موعده اي هو من اهل النار وانشد حسان اوردتموها حياض الموت ضاحية فالنار موعدها والموت لاقيها وفي صحيح مسلم من حديث ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار فلا تك في مرية منه اي في شك منه اي من القران انه الحق من ربك اي القران من الله قاله مقاتل وقال الكلبي المعنى فلا تك في مرية في ان الكفار في النار انه الحق من ربك اي القول الحق الكاين والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد جميع المكلفين قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم اي لا احد اظلم منهم لانفسهم لانهم افتروا على الله كذبا واضافوا كلامه الى غيره وزعموا ان له شريكا وولدا وقالوا للاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله اولئك يعرضون على ربهم اي يحاسبهم على اعمالهم ويقول الاشهاد يعني الملائكة الحفظة عن مجاهد وغيره وقال سفيان سألت الاعمش عن الاشهاد فقال الملائكة الضحاك هم الانبياء والمرسلون دليله قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل الملائكة والانبياء والعلماء الذين بلغوا الرسالات وقال قتادة هم الخلايق اجمع وفي صحيح مسلم من حديث صفوان بن محرز عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه قال واما الكافر والمنافق ينادى بهم على روس الخلايق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اي بعده وسخطه وابعاده من رحمته على الظالمين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها قوله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله يجوز ان يكون الذين في موضع خفض نعت للظالمين ويجوز ان يكون في موضع رفع اي هم الذين وقيل هو ابتدا خطاب من الله تعالى اي الذين يصدون انفسهم وغيرهم عن الايمان والطاعة ويبغونها عوجا اي يعدلون بالناس عنها الى المعاصي والشرك وهم بالاخرة هم كافرون اعاد لفظ هم تاكيدا قوله عز وجل اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي فايتين من عذاب الله قال ابن عباس لم يعجز في ان يامر الارض فتخسف بهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يعني انصارا ومن زائدة وقيل ما بمعنى الذي تقديره اولئك لم يكونوا معجزين لا هم ولا الذين كانوا لهم اولياء من دون الله وهو قول ابن عباس يضاعف لهم العذاب اي على قدر كفرهم ومعاصيهم ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ولم يستعملوا ذلك في استماع الحق وابصاره والعرب تقول جزيته ما فعل وبما فعل فيحذفون الباء مرة ويثبتونها اخرى وانشد سيبويه امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب ويجوز ان يكون ما ظرفا والمعنى يضاعف لهم العذاب ابدا اي وقت استطاعتهم السمع والبصر والله سبحانه يجعلهم في جهنم مستطيعي ذلك ابدا ويجوز ان تكون ما نافية لا موضع لها اذ الكلام قد تم قبلها والوقف على العذاب كاف والمعنى وما كانوا يستطيعون في الدنيا اي يسمعون اسماعا ينتفعون به ولا ان يبصروا ابصارا مهتدا قال الفراء ما كانوا يستطيعون لان الله اضلهم في اللوح المحفوظ وقال الزجاج لبغضهم النبي صلى الله عليه وسلم وعداوته لهم لا يستطيعون ان يسمعوا منه ولا يفقهوا عنه قال النحاس وهذا معروف من كلام العرب يقال فلان لا

يستطيع ان ينظر الى فلان اذا كان ذلك ثقيلا عليه قوله تعالى اولئك الذين خسروا انفسهم ابدا وخبر وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ضاع عنهم افتراؤهم وتلف قوله عز وجل لا جرم للعلماء فيها اقوال فقال الخليل وسيبويه لا جرم بمعنى حق فلا وجرم عندهما كلمة واحدة او عندهما في موضع رفع وهو قول الفراء ومحمد بن يزيد حكاهما النحاس قال المهدوي وعن الخليل ايضا ان معناها لا بد ولا محالة وهو قول الفراء ايضا ذكره الثعلبي وقال الزجاج لا ههنا نفي وهو رد لقولهم ان الاصنام تنفعهم كان المعنى لا ينفعهم ذلك بل لهم الخسران وفاعل كسب مضمر فانه منصوبة بجرم كما تقول كسب جفاؤك زيدا غضبه عليك وقال الشاعر نصبنا راسه في راس جذع بما جرمت يداه وما اعتدينا اي بما كسبت وقال الكسائي معنى لا جرم لا صد ولا منع عن انهم وقيل المعنى لا قطع وقد جرم النخل واجترمه اي صرمه فهو صارم وقوم جرم وجرام وهذا زمن الجرام وجرمت صوف الشاة اي جززته وقد صرمت منه اي اخذت منه مثل جرمت قال النحاس وزعم الكسائي ان فيها اربع لغات لا جرم ولا عن ذا جرم قال وناس من فزارة يقولون لا جرم انهم بغير ميم وحكى الفراء فيه لغتين اخريين قال بنو عامر يقولون لا ذا جرم قال وناس من العرب لا جرم بضم الجيم قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ويا قوم لا اسالكم عليه مالا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين قوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الذين اسم ان امنوا صلة اي صدقوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم عطف على الصلة قال ابن عباس اخبتوا انابوا مجاهد اطاعوا قتادة خشعوا وخضعوا وقال مقاتل اخلصوا الحسن الاخبات الخشوع للمخافة الثابتة في القلب واصل الاخبات الاستواء من الخبت وهو الارض المستوية الواسعة فالاخبات الخشوع والاطمئنان والانابة الى الله عز وجل المستمر ذلك على استوى الى ربهم قال الفراء الى ربهم ولربهم واحد وقد يكون المعنى وجهوا اخباتهم الى ربهم اولئك خبر ان قوله تعالى مثل الفريقين ابتدا والخبر كالاعمى وما بعده قال الاخفش اي كمثل الاعمى قال النحاس التقدير مثل فريق الكافر ومثل فريق المؤمن كالسميع والبصير ولهذا قال هل يستويان فردا الى الفريقين وهما اثنان روي معناه عن قتادة وغيره قال الضحاك الاعمى والاصم مثل للكافر والسميع والبصير مثل للمؤمن وقيل المعنى هل يستوي الاعمى والبصير وهل يستوي الاصم والسميع ومثلا منصوب على التمييز افلا تذكرون في الوصفين وتنظرون قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ذكر سبحانه قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام للنبي صلى الله عليه وسلم تنبيها له على ملازمة الصبر على اذى الكفار الى ان يكفيه الله تعالى امرهم اني اي فقال اني لان في الارسال معنى القول وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي اني بفتح الهمزة

اي ارسلناه باني لكم نذير مبين ولم يقل انه لانه رجع من الغيبة الى الخطاب من نوح لقومه
كما قال وكتبنا له في الالواح من كل شيء ثم قال فخذها بقوة انتهى قوله تعالى ان لا تعبدوا الا
الله اي اتركوا الاصنام فلا تعبدوها واعبدوا الله وحده ومن قرا اني لكم بالكسر جعله معترضا
في الكلام والمعنى ارسلناه بان لا تعبدوا اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم قوله تعالى فقال
الملاء الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا فيه اربع مسائل الاولى قوله فقال الملاء
قال ابو اسحق الزجاج الملاء الرؤسا اي هم يملئون بما يقولون وقد تقدم هذا في البقرة وغيرها
ما نراك الا بشرا مثلنا اي ادميا مثلنا نصب على الحال ومثلنا مضاف الى معرفة وهو نكرة يقدر
فيه التنوين كما قال الشاعر يا رب مثلك في النساء عزيزة الثانية قوله تعالى وما
نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اراذل جمع ارذل وارذل جمع رذل مثل كلب واكلب
واكالب وقيل الاراذل جمع الارذل كاساود جمع الاسود من الحيات والرذل النذل ارادوا
اتبعك اخساؤنا وسقطتنا قال الزجاج نسبوهم الى الحياكة ولم يعلموا ان الصناعات لا اثر
لها في الديانة قال النحاس اراذلهم الفقرا والذين لا حسب لهم وكذا الخسيس وفي الحديث
انهم كانوا حاكة وحجامين وكان ذلك جهلا منهم لانهم عابوا النبي صلى الله عليه وسلم بما لا عيب
فيه لان الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه انما عليهم ان ياتوا بالبراهين والايات وليس
عليهم تغيير الصور والهيئات فهم مرسلون الى الناس جميعا فاذا اسلم معهم الدني لم يلحقهم
من ذلك نقصان لان عليهم ان يقبلوا اسلام كل من اسلم قلت الاراذل هنا هم الفقرا
والضعفاء كما قال هرقل لابي سفيان اشراف الناس اتبعوه ام ضعفاؤهم فقال بل ضعفاؤهم
فقال هم اتباع الرسل قال علماؤنا وانما كان ذلك لاستيلاء الرياسة على الاشراف وصعوبة
الانفكاك عنها والانفة من الانقياد الى الغير والفقير خلي من تلك الموانع فهو سريع الاجابة
والانقياد وهذا غالب احوال اهل الدنيا والله اعلم الثالثة اختلف العلماء في تعيين
السفلة على اقوال كثيرة فذكر ابن المبارك عن سفيان ان السفلة هم الذين يتقلسون وياتون
ابواب السلاطين والقضاة يطلبون الشهادات قال ثعلب عن ابن الاعرابي السفلة الذين
ياكلون الدنيا بدينهم قيل له فمن سفلة السفلة قال الذي يصلح دنيا غيره بافساد دينه
وسئل علي رضي الله عنه عن السفلة فقال الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا
وقيل لمالك بن انس من السفلة قال الذي يسب الصحابة وروي عن ابن عباس الاراذلون
الحاكة والحجامون وقال يحيى بن اكثم الدباغ والكناس اذا كان من غير العرب الرابعة اذا
قالت المراة لزوجها انت من السفلة او يا سفلة فقال ان كنت منهم فانت طالق فحكى
النقاش ان رجلا جاء الى الترمذي فقال ان امراتي قالت لي يا سفلة فقلت ان كنت من
السفلة فانت طالق فقال الترمذي ما صناعتك قال سماك قال سفلة والله سفلة قلت
وعلى ما ذكر ابن المبارك عن سفيان لا تطلق وكذلك على قول مالك وابن الاعرابي لا يلزمه
شيء قوله تعالى بادي الراي اي ظاهر الراي وباطنهم على خلاف ذلك يقال بدا يبدو اذا ظهر
كما قال فاليوم حين يرون للناظر وقيل للبرية بادية لظهورها وبدا لي ان افعل
كذا اي ظهر لي راي غير الاول وقال الازهري معناه فيما يبدو لنا من الراي ويجوز ان يكون
بادي الراي من بدا يبدو وحذفت الهمزة وحقق ابو عمرو الهمزة فقرا بادي الراي اول
الراي اتبعوك حين ابتدوا ينظرون ولو معنوا النظر والفكر لم يتبعوك ولم يختلف المعنى

مهنا بالهمزة وترك الهمزة وانتصب على حذف في كما قال عز وجل واختار موسى قومه وما نرى لكم علينا
من فضل اي في اتباعه وهذا جحد منهم للنبوة بل نظنكم الخطاب لنوح عليه السلام ومن آمن معه
قوله تعالى قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي على يقين قال ابو عمرو بن العلاء وقيل
على معجزة وقد تقدم في الانعام هذا المعنى واتاني رحمة من عنده اي نبوة ورسالة قاله ابن العربي
وهي رحمة على الخلق وقيل الهداية الى الله بالبرهان وقيل الاسلام والايمان فعميت عليكم اي عميت
عليكم الرسالة والهداية فلم تفهموها يقال عميت عن كذا وعمي عني كذا اي لم افهمه والمعنى فعميت الرحمة
فقيل هو مقلوب لان الرحمة لا تعمى انما يعمى عنها فهو كقولك ادخلت القلنسوة في راسي ودخل الخف
في رجلي وقرا الاعمش وحمزة والكسائي فعميت بضم العين وتشديد الميم على ما لم يسم فاعله اي فعماها
الله عليكم وكذا في قراءة ابي فعماها عليكم ذكرها الماوردي انلزمكموها قيل شهادة ان لا اله الا الله
وقيل الهاء ترجع الى الرحمة وقيل الى البينة اي انلزمكم قبولها واوجبها عليكم وهو استفهام بمعنى
الانكار اي لا يمكنني ان اضطركم الى المعرفة بها وانما قصد نوح عليه السلام ان يرد عليهم وحكى الكسائي
والفراء انلزمكموها باسكان الميم الاولى تخفيفا وقد اجاز مثل هذا سيبويه وانشد فاليوم اشرب
غير مستحقب اثما من الله ولا واغل قال النحاس ويجوز على قول يونس انلزمكمها يجري المضمر
مجرى المظهر كما يقال انلزمكم ذلك وانتم لها كارهون اي لا يصح قبولكم لها مع الكراهة عليها
قال قتادة والله لو استطاع نبي الله نوح عليه السلام لالزمها قومه ولكن لم يملك ذلك قوله
تعالى ويا قوم لا اسالكم عليه مالا اي على التبليغ والرسالة والايمان به والدعا الى الله تعالى
اجرا اي مالا فيثقل عليكم ان اجري الا على الله اي ثوابي في تبليغ الرسالة وما انا بطارد الذين
امنوا سالوه ان يطرد الاراذل الذين امنوا كما سالت قريش النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرد
الموالي والفقراء حسبما تقدم في الانعام بيانه فاجابهم بقوله وما انا بطارد الذين امنوا انهم
ملاقوا ربهم يحتمل ان يكون قال هذا على وجه الاعظام لهم بلقاء الله عز وجل ويحتمل ان يكون
قاله على وجه الاختصام اي لو فعلته لخاصموني عند الله تعالى فيجازيهم على ايمانهم ويجازي
من طردهم ولكني اريكم قوما تجهلون في امر ذلك لهم وسؤالكم طردهم قوله تعالى ويا قوم من
ينصرني من الله ان طردتهم قال الفراء اي يمنعني من العذاب ان طردتهم لاجل ايمانهم افلا
تذكرون ادغمت التاء في الذال ويجوز حذفها فيقال تذكرون قوله تعالى ولا اقول لكم
عندي خزائن الله اخبر انه اخضع وتذلل لله عز وجل وانه لا يدعي ما ليس له من خزائن الله
وهي انعامه على من يشاء من عباده وانه لا يعلم الغيب لان الغيب لا يعلمه الا الله عز وجل ولا
اقول اني ملك اي لا اقول ان منزلتي عند الناس منزلة الملائكة وقد قالت العلماء هنا الفائدة
في الكلام الدلالة على ان الملائكة افضل من الانبياء لدوامهم على الطاعة واتصال عبادتهم
الى يوم القيمة صلوات الله عليهم وقد تقدم هذا المعنى في البقرة ولا اقول للذين تزدري اي
تستثقل وتحتقر اعينكم والاصل تزدريهم حذفت الهاء والميم لطول الاسم والدال مبدلة من تاء
لان الاصل في تزدري تزتري ولكن التاء تبدل بعد الزاي دالا لان الزاي مجهورة والتاء
مهموسة كما يبدل من التاء حرف مجهور من مخرجها ويقال ازريت عليه اذا عبته وزريت عليه
اذا حقرته وانشد الفراء يباعده الصديق وتزدريه حليلته وينهره الصغير لن يؤتيهم
الله خيرا اي ليس لاحتقاركم لهم تبطل اجورهم او ينقص ثوابهم الله اعلم بما في انفسهم فيجازيهم
عليه ويواخذهم به اني اذا لمن الظالمين اي ان قلت هذا الذي تقدم ذكره واذا ملغاة لانها

متوسطة قوله تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين

قوله قالوا يا نوح قد جادلتنا اي خاصمتنا واكثرت خصومتنا وبالغت فيها والجدل في كلام العرب المبالغة في الخصومة مشتق من الجدل وهو شدة القتل ويقال للصقر ايضا اجدل لشدته في الطير وقد مضى هذا المعنى في الانعام باشبع من هذا وقرء ابن عباس فاكثرت جدلنا ذكره النحاس والجدال في الدين محمود ولهذا جادل نوح والانبياء قومهم يظهر الحق فمن قبله انجح وافلح ومن نكره خاب وخسر واما الجدال لغير الحق حتى الباطل في صورة الحق فمذموم وصاحبه في الدارين ملوم فأتنا بما تعدنا اي من العذاب ان كنت من الصادقين في قولك قوله تعالى قال انما يأتيكم به الله ان شاء اي ان اراد اهلاككم عذبكم وما انتم بمعجزين اي بمفلتين وقيل مغالبين قوله لكثرتكم لانهم اعجبوا بذلك كانوا ملوا الارض سهلا وجبلا على ما ياتي قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي اي ابلاغي واجتهادي في ايمانكم ان اردت ان انصح اي لانكم لا تقبلون نصحا وقد تقدم في براءة معنى النصح لغة ان كان الله يريد ان يغويكم اي يضلكم وهذا مما يدل على بطلان مذهب المعتزلة والقدرية ومن وافقهما اذ زعموا ان الله لا يريد ان يعصي العاصي ولا يكفر الكافر ولا يغوي وانه يفعل ذلك والله لا يريد ذلك منهم فرد الله عليهم بقوله ان كان الله يريد ان يغويكم وقد مضى هذا المعنى في الفاتحة وغيرها وقد كذبوا شيخهم ابليس اللعين على ما بيناه في الاعراف في اغواء الله تعالى اياه حيث قال فبما اغويتني ولا محيص لهم عن قول نوح عليه السلام ان كان الله يريد ان يغويكم يهلككم لان الاضلال يفضي الى الهلاك قال الطبري يغويكم يهلككم بعذابه حكي عن طي اصبح فلان غاويا اي مريضا واغويته اي اهلكته ومنه فسوف يلقون غيا هو ربكم واليه الاغواء واليه الهداية واليه ترجعون تهديد ووعيد قوله تعالى ام يقولون افتراه يعنون النبي صلى الله عليه وسلم افترى افتعل اي اختلق القرآن من قبل نفسه وما اخبر به عن نوح وقومه قاله مقاتل وقال ابن عباس هو من محاورة نوح لقومه وهو الاظهر لانه ليس قبله ولا بعده الا ذكر نوح وقومه فالخطاب منهم ولهم قل ان افتريته اي اختلقته وافتعلته يعني الوحي والرسالة فعلي اجرامي اي عقاب اجرامي وان كنت محقا فيما اقوله فعليكم عقاب تكذيبي والاجرام مصدر

اجرم

اجرم يعني اقترف السيئة وقيل المعنى جزاء اجرامي ذكره النحاس ايضا وانا بريء مما تجرمون اي من الكفر والتكذيب قوله تعالى واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن في موضع رفع على انه اسم ما لم يسم فاعله ويجوز ان يكون في موضع نصب ويكون التقدير بانه وآمن في موضع نصب بيؤمن ومعنى الكلام الاياس من ايمانهم واستدامة كفرهم تحقيقا لنزول الوعيد بهم قال الضحاك فدعا عليهم لما اخبر بهذا فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الآيتين وقيل ان رجلا من قوم نوح حمل ابنه على كتفه فلما راى الصبي نوحا قال لابيه اعطني حجرا فاعطاه حجرا ورمى به نوحا عليه السلام فادماه فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس اي فلا تغتم بهلاكهم حتى تكون بائسا اي حزينا والبؤس الحزن قال الشاعر

وكم من خليل او حميم رزئته ولم ابتئس والرزء فيه جليل

يقال ابتأس الرجل اذا بلغه شيء يكرهه والابتئاس حزن في استكانة قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا اي اعمل السفينة لتركبها انت ومن آمن معك باعيننا اي بمرأى منا وحيث نراك وقال الربيع بن انس بحفظنا اياك حفظ من يراك وقال ابن عباس بحراستنا والمعنى واحد فعبر عن الرؤية بالاعين لان الرؤية تكون بها ويكون جمع الاعين للعظمة لا للتكثير كما قال تعالى فنعم القادرون فنعم الماهدون وانا لموسعون وقد يرجع معنى الاعين في الاية وغيرها الى معنى عين كما قال ولتصنع على عيني وذلك كله عبارة عن الادراك والاحاطة وهو سبحانه منزه عن الحواس والتشبيه والتكييف لا رب غيره وقيل باعيننا اي باعين ملائكتنا الذين جعلناهم عيونا على حفظك ومعونتك فيكون الجمع على هذا للتكثير على بابه وقيل باعيننا اي بعلمنا قاله مقاتل وقال الضحاك وسفيان باعيننا بامرنا وقيل بوحينا وبمعونتنا لك على صنعها ووحينا اي على ما اوحينا اليك من صنعتها ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تطلب امهالهم فاني مغرقهم قوله تعالى ويصنع الفلك اي وطفق يصنع الفلك قال زيد بن اسلم مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الشجر ويقطعها وييبسها ومائة سنة يعملها وروى ابن القاسم عن ابن اشرس عن مالك قال بلغني ان قوم نوح ملؤوا الارض حتى ملؤوا السهل والجبل فما يستطيع هؤلاء ان ينزلوا الى هؤلاء ولا هؤلاء ان يصعدوا الى هؤلاء فلبث نوح يغرس الشجر مائة عام لعمل السفينة ثم جمعها فيبسها مائة عام وقومه يسخرون وذلك لما راوه يصنع من ذلك حتى كان من قضاء الله فيهم ما كان ويروى عن عمرو بن الحارث قال عمل نوح سفينته ببقاع دمشق وقطع خشبها من جبل لبنان وقال القاضي ابو بكر بن العربي لما استنقذ الله سبحانه من في الاصلاب والارحام من المؤمنين اوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فاصنع الفلك قال يا رب ما انا بنجار قال بلى فان ذلك بعيني فاخذ القدوم فجعله بيده وجعلت يده لا تخطئ فجعلوا يمرون به ويقولون هذا الذي يزعم انه نبي صار نجارا فعملها في اربعين سنة وحكى الثعلبي وابو نصر القشيري عن ابن عباس قال اتخذ نوح عليه السلام السفينة في سنتين زاد الثعلبي وذلك انه لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان اصنعها كجؤجؤ الطائر وقال كعب بناها في ثلاثين سنة والله اعلم قال المهدوي وجاء في الخبر ان الملائكة كانت تعلمه كيف يصنعه واختلفوا في طولها وعرضها فعن ابن عمر كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وكذا قال الكلبي وقتادة وعكرمة كان طولها ثلثمائة ذراع والذراع الى المنكب قاله سلمان الفارسي وقال الحسن البصري ان طول السفينة الف ذراع ومائتا ذراع وعرضها ستمائة ذراع وحكاه الثعلبي في كتاب العرايس وروي

عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا
رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من
التراب قال اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا قبر سام بن نوح قال فضرب الكثيب
بعصاه وقال قم باذن الله فاذا هو ينفض التراب عن راسه وقد شاخ فقال له عيسى هكذا
هلكت قال لا بل مت وانا شاب ولكنني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال اخبرنا عن سفينة
نوح فقال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة
فيها الدواب والوحش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير وذكر الخبر على ما ياتي ذكره
ان شاء الله وقال الكلبي فيما حكاه النقاش ودخل الماء فيها اربعة اذرع وكان لها ثلاثة ابواب
باب فيه السباع والطير وباب فيه الوحش وباب فيه الرجال والنساء ابن عباس جعلها
ثلاث بطون البطن الاسفل للوحوش والسباع والدواب والاوسط للطعام والشراب وركب
هو في البطن الاعلا وحمل معه جسد ادم عليه السلام معترضا بين الرجال والنساء ثم دفنه بعد
في بيت المقدس وكان ابليس معهم في الكوثل وقيل جاءت الحية والعقرب لدخول السفينة فقال
نوح لا احملكما لانكما سبب الضر والبلاء فقالتا احملنا فنحن نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن
قرا حين يخاف من قرصهما سلام على نوح في العالمين لم تضره ذكره القشيري وغيره وذكر الحافظ
بن عساكر في التاريخ له مرفوعا من حديث ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قال حين يمسي صلى الله على نوح وعلى نوح السلام لم تلدغه عقرب تلك الليلة قوله تعالى وكلما
مر عليه ملاء من قومه سخروا منه كلما ظرف وقال الاخفش والكسائي يقال سخرت به ومنه
وفي سخريتهم منه قولان احدهما انهم كانوا يرونه يبني السفينة في البر فيسخرون به ويستهزؤن
ويقولون يا نوح صرت بعد النبوة نجارا الثاني لما راوه يبني السفينة ولم يروا قبلها
سفينة بنيت قالوا يا نوح ما تصنع قال ابني بيتا يمشي على الماء فعجبوا من قوله وسخروا منه
قال ابن عباس ولم يكن في الارض قبل الطوفان نهر ولا بحر فلذلك سخروا منه ومياه البحار
هي بقية الطوفان قال ان تسخروا منا اي من فعلنا اليوم عند بناء السفينة فانا نسخر منكم
عند الغرق والمراد بالسخرية هنا الاستجهال ومعناه ان تستجهلونا فانا نستجهلكم كما تستجهلونا
قوله تعالى فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه فسوف تعلمون تهديد ومن متصلة بتعلمون
هنا من باب التعدية الى المفعول اي سوف تعلمون الذي ياتيه العذاب ويجوز ان يكون
من استفهاما اي اينا ياتيه عذاب وقيل من في موضع رفع بالابتداء وياتيه الخبر
ويخزيه صفة العذاب وحكى الكسائي ان ناسا من اهل الحجاز يقولون سوف تعلمون وقال
من قال ستعلمون اسقط الواو والفاء جميعا وحكى الكوفيون سف تعلمون ولا يعرف البصريون
الا سوف تفعل وستفعل لغتان ليست احدهما من الاخرى ويحل عليه اي يجب عليه وينزل به عذاب
مقيم اي دايم يريد عذاب الاخرة قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور اختلف العلماء في التنور
على اقوال سبعة الاول انه وجه الارض والعرب تسمي وجه الارض تنورا قاله ابن عباس وعكرمة
والزهري وابن عيينة وذلك انه قيل له اذا رايت الماء على وجه الارض فاركب انت ومن
معك الثاني انه تنور الخبز الذي يخبز وكان تنورا من حجارة وكان لحواء حتى صار لنوح عليه
السلام حتى قال له اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب انت واصحابك فانبع الله الماء من
التنور فعلمت امراته فقالت يا نوح فار الماء من التنور فقال جاء وعد ربي حقا هذا قول الحسن

وقال

وقاله مجاهد وعطية عن ابن عباس الثالث انه موضع اجتماع الماء في السفينة عن الحسن ايضا
الرابع انه طلوع الفجر ونور الصبح من قولهم نور الفجر تنويرا قاله ابن ابي طالب رضي الله عنه
الخامس انه مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلي كندة وكان فوران الماء منه
علما لنوح ودليلا على هلاك قومه قال الشاعر وهو ٢ فار تنورهم وجاش بماء صار فوق
الجبال حتى علاها السادس انه اعالي الارض والمواضع المرتفعة منها قاله قتادة السابع انه
العين التي بالجزيرة عين الوردة رواه عكرمة قال مقاتل كان ذلك تنور ادم وانما كان
بالشام بموضع يقال له عين وردة وقال ابن عباس فار تنور ادم بالهند قال النحاس هذه
الاقوال ليست بمتناقضة لان الله عز وجل قد اخبرنا ان الماء جاء من السماء والارض عيونا
قال تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا وهذه الاقوال تجتمع في ان ذلك
كان علامة والتنور الغليان والتنور اسم اعجمي عربته العرب وهو على بناء فعل لان اصل
بنائه تنر وليس في كلام العرب نون قبل راء وقيل معنى فار التنور التمثيل لحضور العذاب
كقولهم حمي الوطيس اذا اشتد والوطيس التنور ويقال فار قدر القوم اذا اشتد حربهم قال
شاعرهم تركتم قدركم لا شيء فيها وقدر القوم حامية تفور قوله تعالى قلنا احمل فيها من كل
زوجين اثنين يعني ذكرا وانثى لبقاء اصل النسل بعد الطوفان وقرا حفص من كل زوجين اثنين
بتنوين كل اي من كل شيء زوجين والقراءتان ترجعان الى معنى واحد معه اخر لا يستغني عنه
ويقال هما زوجان في كل اثنين لا يستغني احدهما عن صاحبه فان العرب تسمي كل واحد منهما
زوجا يقال زوجا نعل اذا كان له نعلان وكذلك عنده زوجا حمام وعليه زوجا قيود
قال الله تعالى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى ويقال للمراة هي زوجة وللرجل هو
زوجها وقد يقال للاثنين هما زوجان وقد يكون الزوجان بمعنى الضربين والصنفين
وكل ضرب يدعى زوجا قال الله تعالى وانبتت من كل زوج بهيج اي من كل لون وصنف قال
الاعشى وكل زوج من الديباج يلبسه ابو قدامة محبوا بذاك معا والكل ضرب ولون ومن كل
زوج في موضع نصب باحمل اثنين تاكيدا واهلك اي واحمل اهلك الا من سبق من في موضع
نصب بالاستثناء عليه القول منهم اي بالهلاك وهو كنعان وابنه وامراته واعلة كانا كافرين
ومن امن قال الضحاك وابن جريج اي احمل من امن بي اي من صدقك فمن في موضع نصب باحمل
وما امن معه الا قليل قال ابن عباس امن من قومه ثمانون انسانا منهم من بنيه ثلاثة سام
وحام ويافث واسلم ثلاث كناين له ولما خرجوا من السفينة بنوا قرية وهي اليوم تدعى قرية
الثمانين بناحية الموصل وورد في خبر انه كان في السفينة ثمانية انفس نوح وزوجته غير
التي غرقت وبنوه الثلاثة وزوجاتهم وهو قول قتادة والحكم بن عيينة وابن جريج ومحمد
بن كعب واصاب حام امراته في السفينة فدعا نوح عليه ان يغير الله نطفته فجاء بالسودان
قال عطا ودعا نوح على حام بان لا يعدو اشعر ولده اذانهم وانهم حيث ما ولدوا يكونون
عبيدا لولد سام ويافث وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاث كناين وثلاث بنين
واسقط امراة نوح وقال ابو اسحق كانوا عشرة سوى نوح وبنيه سام وحام ويافث وستة
اناس ممن كان امن به وازواجهم جميعا وقيل رفع بامن ولا يجوز نصبه على الاستثناء لان
الكلام قبله لم يتم الا ان الفايدة في دخول الا وما لانك لو قلت امن معه فلان وفلان
جاز ان يكون غيرهم قد امن فان اجبت بما والا اوجبت لما بعد الا ونفت عن غيرهم والله اعلم

قوله تعالى وقال اركبوا امر بالركوب ويحتمل ان يكون من الله تعالى ويحتمل ان يكون من نوح
لقومه والركوب العلو على ظهر الشيء يقال ركبه الدين وفي الكلام حذف اي اركبوا الماء في
السفينة وقيل المعنى اركبوها وفي للتاكيد كقوله للرؤيا تعبرون وفائدة في انهم امروا ان
يكونوا في جوفها لا على ظهرها قال عكرمة ركب نوح في الفلك لعشر خلون من رجب فاستوت على
الجودي لعشر خلون من المحرم فذلك ستة وقال قتادة وزاد وهو يوم عاشورا فقال لمن كان
معه من كان صايما فليتم صومه ومن لم يكن صايما فليصم وذكر الطبري في هذا حديثا عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان نوحا ركب في السفينة اول يوم من رجب وصام الشهر اجمع وجرت بهم
السفينة الى يوم عاشورا ففيه ارست على الجودي فصامه نوح ومن معه وذكر الطبري عن
ابن اسحق ما يقتضي انه اقام على الماء نحو السنة ومرت بالبيت فطافت به سبعا وقد رفعها
الله عن الغرق فلم ينلها غرق ثم مضت الى اليمن ورجعت الى الجودي فاستوت عليه قوله تعالى
بسم الله مجراها ومرساها قراءة اهل الحرمين واهل البصرة بضم الميم فيهما الا من شذ على معنى
بسم الله اجراها وارساؤها فمجراها ومرساها في موضع رفع بالابتداء ويجوز ان يكون في موضع
نصب ويكون التقدير بسم الله وقت اجرائها ثم حذف وقت واقيم مجراها مقامه وقرا الاعمش
وحمزة والكسائي بسم الله مجراها ومرساها بضم الميم وروى يحيى بن عيسى عن الاعمش عن يحيى بن
وثاب بسم الله مجراها ومرساها بفتح الميم فيهما على المصدر من جرت تجري جريا ومجرى ورست
رسوا ومرسى اذا ثبتت وقرا مجاهد وسليمان بن جندب وعاصم الجحدري وابو رجا العطاردي
بسم الله مجريها ومرسيها نعت لله عز وجل في موضع جر ويجوز ان يكون في موضع رفع على
اضمار مبتدا اي هو مجريها ومرسيها ويجوز النصب على الحال وقال كان نوح عليه السلام اذا قال
بسم الله مجراها جرت واذا قال بسم الله مرساها رست وروى مروان بن سالم عن طلحة
عن عبد الله بن كريز عن الحسن ابن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال امان لامتي من الغرق
اذا ركبوا في الفلك بسم الله الرحمن الرحيم وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون بسم الله مجراها ومرساها
ان ربي لغفور رحيم وفي هذه الاية دليل على ذكر البسملة عند ابتدا كل فعل على ما بيناه
في البسملة والحمد لله ان ربي لغفور رحيم اي لاهل السفينة وروي عن ابن عباس قال
لما كثرت الارواث والاقذار اوحى الله الى نوح ان اغمز ذنب الفيل فوقع منه خنزير وخنزيرة
فاقبلا على الروث فقال نوح لو غمزت ذنب هذا الخنزير ففعل فخرج منه فار وفارة فلما
وقعا اقبلا على السفينة وحبالها يقرضها وتقرض الامتعة والازواد حتى خافوا على حبال السفينة
فاوحى الله الى نوح ان امسح جبهة الاسد فمسحها فخرج منه سنور فاكلا الفارة ولما حمل
الاسد في السفينة قال من اين اطعمه قال سوف اشغله فاخذته الحمى فهو الدهر محموم قال ابن
عباس واول ما حمل نوح من البهايم الاوز واخر ما حمل الحمار قال وتعلق ابليس بذنبه ويداه
قد دخلت في السفينة ورجلاه خارجة بعد فجعل الحمار يضطرب ولا يستطيع ان يدخل فصاح به
نوح ادخل ويلك فجعل يضطرب فقال ادخل ويلك وان كان معك الشيطان كلمة زلت
على لسانه فدخل ووثب الشيطان فدخل ثم ان نوحا راه يتغنى في السفينة فقال له يا لعين
ما ادخلك بيتي قال انت اذنت لي فذكر له فقال قم فاخرج قال ما لك بد في ان تحملني معك
فكان فيما يزعمون في ظهر الفلك وكان مع نوح عليه السلام خرزتان مضيئتان واحدة مكان

الشمس واخرى مكان القمر ابن عباس احدهما بيضا كبياض النهار والاخرى سودا كسواد الليل فكان
يعرف بهما مواقيت الصلاة فاذا امسوا غلب سواد هذه بياض هذه واذا اصبحوا غلب بياض
هذه سواد هذه على قدر الساعات قوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال الموج جمع موجة
وهي ما ارتفع من جملة الماء الكثير عند اشتداد الريح والكاف للتشبيه وهي في موضع خفض نعت
الموج وجاء في التفسير ان الماء جاوز كل شيء بخمسة عشر ذراعا ونادى نوح ابنه قيل كان كافرا
واسمه كنعان وقيل يام ويجوز على قول سيبويه ونادى نوح ابنه بحذف الواو من ابنه في
اللفظ وانشد له زجل كانه صوت حاد فاما ونادى نوح ابنه وكان فقراءة شاذة وهي
مروية عن علي ابن ابي طالب وعروة بن الزبير وزعم ابو حاتم انها تجوز على انه يريد ابنها
ثم حذف الالف كما تقول وانتموا فتحذف الواو قال النحاس وهذا الذي قاله ابو حاتم لا يجوز
على مذهب سيبويه لان الالف خفيفة فلا يجوز حذفها والواو ثقيلة يجوز حذفها وكان في
معزل اي من دين ابيه وقيل عن السفينة وقيل ان نوحا لم يعلم ان ابنه كان كافرا وانه ظن
انه مؤمن ولذلك قال له ولا تكن مع الكافرين وسياتي وكان هذا النداء من قبل ان يستيقن
القوم الغرق وقبل روية الناس بل كان في اول ما فار التنور وظهرت العلامة لنوح وقرا
عاصم يا بني اركب بفتح الياء والباقون بكسرها واصل يا بني ان تكون بثلاث ياات ياء التصغير
ولام الفعل وياء الاضافة فادغمت ياء التصغير في لام الفعل وكسرت لام الفعل من اجل ياء الاضافة
ثم حذفت ياء الاضافة لوقوعها موقع التنوين ولسكونها وسكون الياء في هذا الموضع هذا اصل قراءة كسر الياء وهو
ايضا اصل قراءة من فتح لانه قلب ياء الاضافة الفا لخفة الالف ثم حذف الالف لكونها عوضا
من حرف ولسكونها وسكون الياء قال النحاس اما قراءة عاصم فمشكلة قال ابو حاتم
يريد يا بنياه ثم حذف قال النحاس رايت علي بن سليمان يذهب الى ان هذا لا يجوز لان
الالف خفيفة قال ابو جعفر النحاس ما علمت ان احدا من النحويين جوز الكلام في هذا الا
ابا اسحق فانه زعم ان الفتح من جهتين والكسر من جهتين فالفتح على انه يبدل من الياء الفا
قال الله تعالى اخبارا يا ويلتا قال الشاعر فيا عجبا من رحلها المتحمل فيريد يا بنيا ثم
حذف الالف لالتقاء الساكنين كما تقول جاءني عبد الله في التثنية والجهة الاخرى ان تحذف
الالف لان النداء موضع حذف والكسر على ان يحذف الياء للنداء والجهة الاخرى على ان
تحذفها لالتقاء الساكنين قوله عز وجل قال ساوي اي ارجع وانضم الى جبل يعصمني من الماء
اي يمنعني من الماء فلا اغرق قال لا عاصم اليوم من امر الله اي لا مانع فانه يوم حق فيه العذاب
على الكفار وانتصب عاصم على التبرية ويجوز لا عاصم اليوم يكون لا بمعنى ليس الا من رحم في موضع
نصب استثناء ليس من الاول اي لكن من رحمه فهو يعصمه قاله الزجاج ويجوز ان يكون
في موضع رفع ان عاصما بمعنى معصوم مثل ماء دافق اي مدفوق فالاستثناء على هذا متصل قال
الشاعر بطي القيام رخيم الكلام امسى فؤادي به فاتنا اي مفتونا وقال اخر دع المكارم لا
تنهض لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي اي المطعوم المكسو قال النحاس ومن
احسن ما قيل فيه ان تكون من في موضع رفع على ان عاصما بمعنى معصوم يعني لا يعصم اليوم من
امر الله الا الراحم اي الا الله وهذا اختيار الطبري ويحسن هذا لانك لم تجعل عاصما بمعنى
معصوم فتخرجه من بابه ولا الا بمعنى لكن وحال بينهما يعني بين نوح وابنه فكان من المغرقين
قيل انه كان راكبا على فرس قد بطر بنفسه واعجب بها فلما راى الماء جاء قال يا ابت فار

التنور فقال له ابوه يا بني اركب معنا فما استتم المراجعة حتى جاءت موجة عظيمة فالتقمته هو وفرس
وحيل بينه وبين نوح فغرق وقيل انه اتخذ لنفسه بيتا من زجاج يتحصن فيه من الماء فلما
فار التنور دخل فيه وقفله عليه من داخل فلم يزل يتغوط فيه ويبول حتى غرق بذلك وقيل
ان الجبل الذي اوى اليه طور زيتا قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي هذا
مجاز لانها موات وقيل جعل فيهما ما تميز به والذي قال انه مجاز قال لو فتش كلام العرب والعجم
ما وجد فيه مثل هذه الاية على حسن نظمها وبلاغة وضعها واشتمال المعاني فيها وفي الاثر
ان الله تعالى لا يخلي الارض من مطر في عام او عامين وانه ما نزل من السماء ماء قط الا بحفظ
ملك موكل به الا ما كان من ماء الطوفان فانه خرج منه ما لا يحفظه الملك وذلك قوله
تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية فجرت بهم السفينة الى ان تناهى الامر فامر الله تعالى
الماء المنهمر بالامساك وامر الله الارض بالابتلاع يقال بلغ يبلغه مثل منع يمنع وبلع يبلع
مثل حمد يحمد لغتان حكاهما الكسائي والفراء والبالوعة الموضع الذي يشرب الماء قال ابن
العربي التقى الماءان على امر قد قدر ما كان في الارض وما نزل من السماء فامر الله ما نزل من
السماء بالاقلاع فلم تمتص الارض منه قطرة وامر الارض بابتلاع ما خرج منها فقط وذلك قوله
تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وقيل ميز الله بين الماءين فما كان من ماء
الارض امرها فبلعته وصار ماء السماء بحارا قوله تعالى وغيض الماء اي نقص يقال غاض
من الشيء وغضته انا كما يقال نقص بنفسه ونقصه وغيره ويجوز غيض بضم الغين وقضي
الامر اي احكم وفرغ منه يعني اهلك قوم نوح على تمام واحكام ويقال ان الله تعالى اعقم
ارحام نسائهم قبل الغرق باربعين سنة فلم يكن فيمن هلك صغير والصحيح انه اهلك
الولدان بالطوفان كما هلكت الطير والسباع ولم يكن الغرق عقوبة للصبيان والبهائم والطير
بل ماتوا باجالهم وحكي انه لما كثر الماء في السكك خشيت ام صبي عليه وكانت تحبه حبا
شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها
الماء استوت على الجبل فلما بلغها الماء رقبتها رفعت يديها بابنها حتى ذهب بها فلو رحم الله
منهم احدا لرحم ام الصبي قوله تعالى واستوت على الجودي الجودي جبل بقرب الموصل استوت عليه
في العاشر من المحرم يوم عاشورا فصامه نوح وامر جميع من معه من الناس والوحش والطير والدواب
والطير وغيرها فصاموه شكرا لله تعالى وقد تقدم هذا المعنى وقيل كان هذا يوم الجمعة وروي
ان الله تعالى اوحى الى الجبال ان السفينة ترسى على واحد منها فتطاولت وبقي الجودي لم يتطاول
تواضعا لله فاستوت السفينة عليه وبقيت على اعوادها وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لقد بقي منها شيء ادركه اوايل هذه الامة وقال مجاهد تشامخت الجبال وتطاولت لئلا
ينالها الغرق فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعا وتطامن الجودي وتواضع لامر الله تعالى فلم
يغرق ورست السفينة عليه وقد قيل ان الجودي اسم لكل جبل ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل
سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبلنا سبح الجودي والجمد ويقال ان الجودي من جبال
الجنة فلهذا استوت عليه ويقال اكرم الله ثلاثة جبال بثلاثة نفر الجودي بنوح وطور
سيناء بموسى وحراء بمحمد صلى الله عليه وسلم مسئلة لما تواضع الجودي وخضع عز ولما ارتفع غيره
واستعلا ذل وهذه سنة الله في خلقه يرفع من يخشع ويضع من يرفع ولقد احسن القايل
واذا تذللت الرقاب تخضعا منا اليك فعزها في ذلها وفي صحيح البخاري ومسلم عن انس

ابن مالك قال كانت ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم تسمى العضبا وكانت لا تسبق فجاء اعرابي على قعود له
فسبقها فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا سبقت العضبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حقا
على الله ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه وخرج مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع عبد لله الا رفعه الله
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يبغي احد على احد ولا يفخر احد على احد
خرجه البخاري مسئلة تذكر فيها من قصة نوح مع قومه وبعض ذكر السفينة ذكر الحافظ ابن
عساكر في التاريخ له عن الحسن ان نوحا اول رسول بعثه الله الى الارض فذلك قوله تعالى
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما وكان قد كثرت فيهم المعاصي
وكثرت الجبابرة وعتوا عتوا كبيرا وكان نوح يدعوهم ليلا ونهارا سرا وعلانية وكان صبورا حليما
ولم يكن لقي احد من الانبياء اشد مما لقي نوح فكانوا يدخلون عليه فيخنقونه حتى يترك وقيدا
ويضربونه في المجالس ويضرب وكان لا يدع على ما يصنع به ان يدعوهم ويقول يا رب اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون فكان لا يزيدهم ذلك الا فرارا منه حتى انه ليكلم الرجل منهم فيلف راسه بثوبه
ويجعل اصبعيه في اذنيه لئلا يسمع شيئا من كلامه فذلك قول الله تعالى جعلوا اصابعهم
في اذانهم واستغشوا ثيابهم وقال مجاهد وعبيد بن عمير كانوا يضربونه حتى يغشى عليه فاذا
افاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فكان لا يزيدهم ذلك الا فرارا منه وقال ابن عباس
ان نوحا كان يضرب ثم يلف في لبد فيلقى في بيته يرون انه قد مات ثم يخرج فيدعوهم
حتى اذا يئس من ايمان قومه جاءه رجل ومعه ابنه وهو يتوكا على عصى فقال يا بني انظر
هذا الشيخ لا يغرنك فقال يا ابت امكني من العصا فاخذ العصا ثم قال ضعني في الارض
فوضعه فمشى اليه بالعصى فضربه فشجه شجة موضحة في راسه وسالت الدماء فقال
رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان يكن لك في عبادك خيرية فاهدهم وان يك غير ذلك
فصبرني الى ان تحكم وانت خير الحاكمين فاوحى الله اليه وايسه من ايمان قومه واخبره انه لم يبق
في اصلاب الرجال ولا في ارحام النساء مؤمن فقال يا نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن
فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اي لا تحزن واصنع الفلك باعيننا ووحينا قال يا رب واين الشجر
قال اغرس الشجر فغرس الساج عشرين سنة وكف عن الدعاء وكفوا عن الاستهزاء وكانوا يسخرون
منه فلما ادرك الشجر امره ربه فقطعها وجففها فقال يا رب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعله
على ثلاثة صور راسه كراس الديك وجوجؤه كجوجؤ الطير وذنبه كذنب الديك واجعلها
مطبقة واجعل لها ابوابا في جنبها وسدها بدسر يعني مسامير الحديد وبعث الله فعلمه صنعة
السفينة وجعلت يده لا تخطئ قال ابن عباس كانت دار نوح عليه السلام دمشق وانشا سفينته
من خشب لبنان بين زمزم وبين الركن والمقام فلما كملت حمل فيها السباع والدواب وجعل الوحش
والطير في الباب الثاني واطبق عليهما وجعل اولاد ادم اربعين رجلا واربعين امراة في الباب
الاعلا واطبق عليهم وجعل الذرية معه في الباب الاعلا لضعفها لئلا يطاها الدواب قال
الزهري ان الله عز وجل بعث ريحا فحمل من كل زوجين اثنين من السباع والطير والوحش
والبهايم وقال جعفر بن محمد بعث الله جبريل فحشرهم فجعل يضرب بيديه على الزوجين فتقع
يده اليمنى على الذكر واليسرى على الانثى فيدخله السفينة وقال زيد بن ثابت استصعبت على
نوح الماعزة ان تدخل السفينة فدفعها في ذنبها فمن ثم انكسر ذنبها فصار معقوفا وبدا

حياها ومضت النعجة حتى دخلت فسح ذنبها فستر حياها قال ابن اسحاق اخبرنا رجل من اهل العلم ان
نوحا حمل اهل السفينة وحمل فيها من كل زوجين اثنين وحمل من الهدهد زوجين فماتت الهدهدة
قبل ان تظهر الارض فحملها الهدهد فطاف بها الدنيا ليصيب لها مكانا فلم يجد طينا ولا ترابا
فرحمه ربه فحفر لها في قفاه قبرا فدفنها فذلك الريش الناتي في قفا الهدهد موضع القبر
فلذلك نتا اقفية الهداهد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حمل نوح معه في السفينة
من جميع الشجر وكانت العجوة من الجنة مع نوح في السفينة وذكر صاحب كتاب العرايس وغيره
ان نوحا عليه السلام لما اراد ان يبعث من ياتيه بخبر الارض قال الدجاج انا فاخذه وختم على
جناحه وقال لها انت مختومة بخاتمي لا يطيري ابدا ينتفع به امتي فبعث الغراب فاصاب جيفة
فوقع عليها فاحتبس فلعنه فلذلك يقتل في الحرم ودعا عليه بالخوف فلذلك لا يالف البيوت
وبعث الحمامة فلم تجد قرارا فوقعت على شجرة بارض سبا فحملت ورقة زيتونة ورجعت الى
نوح فعلم انها لم تستمكن من الارض ثم بعثه بعد ذلك فطارت حتى وقعت بوادي الحرم فاذا
الماء قد نضب عن مواضع الكعبة وكانت طينتها حمرا فاختضبت رجلاها ثم جاءت الى نوح
فقالت بشراي منك ان تهب لي الطوق في عنقي والخضاب في رجلي واسكن الحرم فمسح يده
على عنقها وطوقها ووهب لها الحمرة في رجليها ودعى لها ولذريتها بالبركة وروي الثعلبي
انه بعث بعد الغراب التدرج وكان من جنس الدجاج وقال اياك ان تعتذر فاصاب الخضرة
والفرجة فلم يرجع واخذ اولاده عنده رهنا الى يوم القيمة قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال
رب ان ابني من اهلي الى قوله من الجاهلين فيه خمس مسائل الاولى قوله ونادى نوح ربه اي
دعاه فقال رب ان ابني من اهلي اي من اهلي الذين وعدتهم ان تنجيهم من الغرق ففي الكلام
حذف وان وعدك الحق يعني الصدق قال علماؤنا وانما سال نوح ربه ابنه لقوله واهلك
وترك قوله الا من سبق عليه القول فلما كان عنده انه من اهله قال رب ان ابني من اهلي
يدل على ذلك قوله ولا تكن مع الكافرين اي لا تكن ممن لست منهم لانه كان عنده مؤمنا في
ظنه ولم يك نوح يقول لربه ان ابني من اهلي الا وذلك عنده كذلك اذ محال ان يسال هلاك
الكفار ثم يسال في انجا بعضهم وكان ابنه يسر الكفر ويظهر الايمان فاخبر الله تعالى نوحا بما هو
منفرد به من علم الغيوب اي علمت من حال ابنك ما لم تعلمه انت قال الحسن كان منافقا ولذلك
استحل نوح ان يناديه وعنه ايضا كان امراته ودليله قراة علي ونادى نوح ابنها وانت احكم
الحاكمين ابتدا وخبر اي حكمت على قوم بالنجاة وعلى قوم بالغرق الثانية قوله تعالى قال يا نوح
انه ليس من اهلك اي ليس من اهلك الذين وعدتهم ان انجيهم قاله سعيد ابن جبير وقال
الجمهور ليس من اهلك دينك ولا ولايتك فهو على حذف مضاف وهذا يدل على ان حكم الاتفاق
في الدين اقوى من النسب انه عمل غير صالح قرا ابن عباس وعروة وعكرمة ويعقوب والكسائي
عمل غير صالح من الكفر والتكذيب واختاره ابو عبيد وقرا الباقون عمل اي ان ابنك ذو عمل
غير صالح فحذف المضاف اليه قاله الزجاج وغيره قال ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت
فانما هي اقبال وادبار اي ذات اقبال وادبار وهذا القول والذي قبله يرجع الى معنى واحد
ويجوز ان تكون الهاء للسؤال اي سؤالك اياي ان انجيه عمل غير صالح قاله قتادة وقال
الحسن معنى عمل غير صالح انه ولد على فراشه ولم يكن ابنه وكان لغير رشدة وقاله ايضا
مجاهد وقال قتادة سالت الحسن عنه فقال والله ما كان ابنه قلت ان الله اخبر عن نوح

انه قال ان ابني من اهلي فقال لم يقل مني وهذه اشارة الى انه كان من امراته من زوج اخر فقلت
له ان الله حكى عنه انه قال ان ابني من اهلي ونادى نوح ابنه ولا يختلف اهل الكتابين انه ابنه
فقال الحسن ومن ياخذ دينه عن اهل الكتاب انهم يكذبون وقرا فخانتاهما وقرا ابن جريج ناداه
وهو يجيبه ايضا انه ابنه وكان ولد على فراشه وكانت امراته خانته فيه ولهذا قال فخانتاهما
وقال ابن عباس ما بغت امراة نبي قط وانه كان ابنه لصلبه وكذلك قال الضحاك وعكرمة
وسعيد بن جبير وميمون بن مهران وغيرهم وانه كان ابنه لصلبه وقيل لسعيد بن جبير يقول
نوح ان ابني من اهلي اكان ابنه فسبح الله طويلا ثم قال لا اله الا الله يحدث الله محمدا صلى الله
عليه وسلم انه ابنه وتقول انه ليس ابنه نعم كان ابنه ولكن كان مخالفا في النية والعمل والدين
والهداية ولهذا قال تعالى انه ليس من اهلك وهذا هو الصحيح في الباب والحمد لله لجلالة من
قال به وان قوله انه ليس من اهلك ليس مما ينفي عنه ابنه وقوله فخانتاهما يعني في الدين
لا في الفراش وذلك ان هذه كانت تخبر الناس انه مجنون وذلك انها قالت له اما ينصرك
ربك فقال لها نعم قالت له فمتى قال اذا فار التنور فخرجت تقول لقومه يا قوم والله انه لمجنون
يزعم انه لا ينصره ربه الا ان يفور هذا التنور فهذه خيانتها وخيانة الاخرى انها كانت تدل على
الاضياف على ما ياتي والله اعلم وقيل الولد قد يسمى عملا كما يسمى كسبا كما في الخبر اولادكم من كسبكم
ذكره القشيري والله اعلم الثالثة في هذه الاية تسلية للخلق في فساد ابنائهم وان كانوا صالحين
وروي ان ابن مالك بن انس نزل من فوق ومعه حمام قد غطاه قال فعلم مالك انه قد فهمه
الناس فقال مالك الادب ادب الله لا ادب الاباء والامهات والخير خير الله لا خير الاباء
والامهات وفيها ايضا دليل على ان الابن من الاهل لغة وشرعا ومن اهل البيت فمن وصى لاهله
دخل في ذلك ومن تضمنه منزله وهو في عياله وقال تعالى في اية اخرى ولقد نادانا نوح
فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب فسمى جميع من ضمه منزله من اهله انتهى الرابعة
ودلت الاية على قول الحسن ومجاهد وغيرهما ان الولد للفراش ولذا قال نوح ما قال الخذ بظاهر
الفراش وقد روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار انه سمع عبيد بن عمير يقول نرى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قضى بالولد للفراش من اجل ابن نوح عليه السلام ذكره ابو
عمر في التمهيد وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الولد للفراش وللعاهر
الحجر يريد الخيبة وقيل الرجم بالحجارة وقرا عروة بن الزبير ونادى نوح ابنها يريد ابن امراته
وهي تفسر القراءة المتقدمة عنه وعن علي وهي حجة الحسن ومجاهد الا انها قراءة شاذة فلا
نترك المتفق عليها لها والله اعلم الخامسة قوله تعالى اني اعظك ان تكون من الجاهلين
اي انهاك عن هذا السؤال واحذرك لئلا تكون او كراهة ان تكون من الجاهلين اي الاثمين
ومنه قوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اي يحذركم وينهاكم وقيل المعنى ارفعك ان تكون
من الجاهلين قال ابن العربي هذه زيادة من الله تعالى وموعظة يرفع بها نوحا عن مقام الجاهلين
ويعليه بها الى مقام العلماء العارفين فقال نوح رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي
به علم وهذه ذنوب الانبياء عليهم السلام فشكر الله تذلله وتواضعه فقال يا نوح اهبط
بسلام منا قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق
وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسالني ما ليس
لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس

لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى
امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم تلك من انباء الغيب نوحيها اليك
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين والى عاد اخاهم
هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون يا قوم لا اسألكم عليه
اجرا ان اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا
ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك
بعض الهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني
جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان
ربي على صراط مستقيم قوله ونادى نوح ربه الى قوله اكن من الخاسرين تقدم معناه قوله تعالى
قيل يا نوح اهبط بسلام منا اي قالت الملائكة او قال الله له اهبط من السفينة الى الارض
فقد ابتلعت الماء وجفت بسلام منا اي بسلامة وامن وقيل بتحية وبركات عليك اي
نعم ثابتة مشتقة من بروك الجمل وهو ثبوته واقامته ومنه البركة لثبوت الماء فيها وقال
ابن عباس نوح ادم الاصغر فجميع الخلق الان من نسله ولم يكن معه في السفينة من الرجال
والنساء الا من كان من ذريته على قول قتادة وغيره حسب ما تقدم وفي التنزيل وجعلنا
ذريته هم الباقين وعلى امم ممن معك قيل دخل في هذا كل مؤمن الى يوم القيمة ودخل في قوله
وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم كل كافر الى يوم القيمة وروي ذلك عن محمد بن كعب
والتقدير على هذا وعلى ذرية امم ممن معك وذرية امم سنمتعهم وقيل من للتبعيض وتكون
لبيان الجنس وامم سنمتعهم ارتفع امم على معنى وتكون امم سعيد كما تقول كلمت زيدا وعمرو
جالس واجاز الفراء في غير القران واما تقديره ونمتع امما واعيدت على مع امم لانه معطوف
على الكاف من عليك وهي ضمير المجرور ولا يعطف على ضمير المجرور الا باعادة الجار على قول سيبويه
وغيره وقد تقدم في النساء بيان هذا مستوفى في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام
بالخفض والباء في قوله بسلام متعلقة بمحذوف لانها في الحال اي اهبط مسلما عليك ومنا
في موضع جر متعلق بمحذوف لانه نعت للبركات وعلى امم متعلق بما في عليك لانه اعيد من
اجل المعطوف الكاف ومن في قوله ممن معك متعلق بمحذوف لانه في موضع جر نعت للامم
ومعك متعلق بفعل محذوف لانه صلة لمن اي ممن استقر معك وامن معك وركب
معك انتهى قوله تعالى تلك من انباء الغيب اي تلك الانباء وفي موضع اخر ذلك اي ذلك
النبا والقصص من انباء ما غاب عنك نوحيها اليك اي لتقف عليها ما كنت تعلمها انت ولا
قومك اي كانوا غير عارفين بامر الطوفان والمجوس الان ينكرونه وقيل اراد جهلهم بقصة ابن
نوح وان سمعوا امر الطوفان على الجملة فاصبر يا محمد على القيام بامر الله وتبليغ رسالته وما تلقى من
اذى العرب الكفار كما صبر نوح على اذى قومه قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا اي وارسلنا فهو
معطوف على ارسلنا نوحا وقيل له اخوهم لانه منهم وكانت القبيلة تجمعهم كما تقول يا اخا تميم
وقيل انما قيل له اخوهم لانه من بني ادم كما انهم من بني ادم وقد تقدم هذا في الاعراف وكانوا
عبدة الاوثان وقيل هم عادان عاد الاولى وعاد الاخرى فهؤلاء هم الاولى واما الاخرى فهو شداد
ولقمان المذكوران في قوله تعالى ارم ذات العماد وعاد اسم رجل ثم استمر على قوم انتسبوا اليه قال

يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره بالخفض على اللفظ وغيره بالرفع على الموضع وغيره بالنصب
على الاستثناء ان انتم الا مفترون اي ما انتم في اتخاذكم الها غيره الا كاذبون عليه عز وجل قوله
تعالى يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني تقدم معناه والفطرة ابتداء
الخلق افلا تعقلون ما جرى على قوم نوح لما كذبوا الرسل قوله تعالى ويا قوم استغفروا ربكم ثم
توبوا اليه تقدم اول السورة يرسل السماء جزم لانه جواب وفيه معنى المجازاة عليكم مدرارا نصب
على الحال وفيه معنى التكثير اي يرسل السماء بالمطر متتابعا يتلو بعضه بعضا والعرب تحذف الهاء
في مفعال على النسب واكثر ما ياتي مفعال من افعل وقد جاء ههنا من فعل لانه من درت السماء
تدر وتدر فهي مدرار وكان قوم هود اعني عادا اهل بساتين وزروع وعمارة وكانت مساكنهم الرمال
التي بين الشام واليمن كما تقدم في الاعراف ويزدكم عطف على يرسل قوة الى قوتكم قال مجاهد شدة
الى شدتكم الضحاك خصبا الى خصبكم علي بن عيسى عزا الى عزكم عكرمة ولدا الى ولد قيل ان الله حبس
عنهم المطر ثلاث سنين واعقم الارحام ثلاث سنين فلم يولد لهم ولد فقال لهم هود ان
امنتم احيا الله بلادكم ورزقكم المال والولد فتلك القوة وقال الزجاج المعنى يزدكم قوة في النعم
ولا تتولوا مجرمين اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه وتقيموا على الكفر قوله تعالى ان نقول الا اعتراك
اي اصابك بعض الهتنا اي اصنامنا بسوء اي بجنون بسبك اياها عن ابن عباس وغيره يقال
عراه الامر واعتراه اذا الم به ومنه والطعموا القانع والمعتر قال اني اشهد الله اي على نفسي واشهدوا
اي واشهدكم لا انهم كانوا اهل شهادة ولكنه نهاية التقرير اي لتعرفوا اني بريء من عبادة الاصنام
التي تعبدونها فكيدوني جميعا اي انتم واوثانكم في عداوتي وضري ثم لا تنظرون اي لا
تؤخرون وهذا القول مع كثرة الاعداء يدل على كمال الثقة بنصر الله تعالى وهو من اعلام
النبوة ان يكون الرسول وحده يقول لقومه فكيدوني جميعا وكذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم لقريش وقال نوح عليه السلام فاجمعوا امركم وشركاءكم الاية قوله تعالى اني توكلت
على الله اي رضيت بحكمه ووثقت بنصره ما من دابة اي نفس تدب على الارض وهو في موضع
رفع بالابتداء الا هو اخذ بناصيتها اي يصرفها كيف يشاء ويمنعها مما يشاء اي فلا تصلون الى
ضري وكل ما فيه روح يقال له داب ودابة والهاء للمبالغة وقال الفراء مالكها والقادر
عليها وقال القتبي قاهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته وقال الضحاك يحييها
ثم يميتها والمعنى متقارب والناصية قصاص الشعر من مقدم الراس ونصوت الرجل انصوه نصوا
اي مددت ناصيته قال ابن جريج انما خص الناصية لان العرب تستعمل ذلك اذا وصفت انسانا
بالمذلة والخضوع فيقولون ما ناصية فلان الا بيد فلان اي انه مطيع له يصرفه كيف يشاء
وكانوا اذا اسروا اسيرا وارادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليعرفوا بذلك فخرا عليه
فخاطبهم بما يعرفونه في كلامهم وقال الترمذي الحكيم قوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها وجهه
عندنا ان الله تعالى قدر مقادير اعمال العباد ثم نظر اليها ثم خلق خلقه وقد نفذ بصره
في جميع ما هم فيه عاملون من قبل ان يخلقهم فلما خلقهم وضع نور تلك النظرة في نواصيهم
فذلك النور اخذ بنواصيهم يجريهم الى اعمالهم المقدرة عليهم يوم المقادير وخلق الله المقادير
قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة رواه عبد الله ابن عمرو بن العاص قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض
بخمسين الف سنة ولهذا ما قويت الرسل وصاروا اولي العزم لانهم لاحظوا نور النواصي

فايقنوا ان جميع خلقه متفاوتون بتلك الانوار الى ما تنفذ بصره فيهم من الاعمال فاو فرهم حظا
من الملاحظة اقوام في العزم ولذلك ما قوي هو النبي عليه السلام حتى قال فكيدوني جميعا
ثم لا تنظرون انى توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها وانما سميت
ناصية لان الاعمال قد نصبت وبرزت من غيب الغيب فصادت منصوصة في المقادير قد
نفذ بصر الخالق في جميع حركات الخلق بقدره ثم وضعت حركات كل من دب على الارض
حسا في جبهته بين عينيه فسمي ذلك الموضع ناصية لانها تنص حركات العباد بما قدر فالناصية
ماخوذة بمنصوص الحركات التي نظر الله اليها قبل ان يخلقها ووصف ناصية ابي جهل فقال ناصية
كاذبة خاطئة يخبران المنصوص فيها كاذبة خاطئة فعلى سبيل ما تاولوه مستحيل ان
تكون الناصية مقسومة الى الكذب والخطا ان ربي على صراط مستقيم قال النحاس الصراط
في اللغة المنهاج الواضح والمعنى ان الله جل ثناؤه وان كان يقدر كل شيء فانه لا ياخذهم
الا بالحق وقيل معناه لا خلل في تدبيره ولا تفاوت في خلقه سبحانه وتعالى قوله تعالى
فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان
ربي على كل شيء حفيظ ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم
من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم
هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض
واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت
فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه
مريب قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة فمن ينصرني
من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية
فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب فعقروها
فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا نجينا صالحا
والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ
الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمودا
كفروا ربهم الا بعدا لثمود قوله فان تولوا في موضع جزم فلذلك حذفت منه النون
والاصل تتولوا فحذفت التاء لاجتماع تائين فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم بمعنى قد بينت
لكم ويستخلف ربي قوما غيركم اي يهلككم ويخلق من هو اطوع له منكم يوحده ويعبده
مقطوع مما قبله فلذلك ارتفع او معطوف على ما يجب فيما بعد الفاء في قوله فقد ابلغتكم
وروي عن حفص عن عاصم ويستخلف بالجزم حملا على موضع الفاء وما بعدها مثل ونذرهم
في طغيانهم يعمهون قوله تعالى ولا تضرونه شيئا اي بتوليكم واعراضكم ان ربي على كل
شيء حفيظ اي لكل شيء حافظ على بمعنى اللام فهو يحفظني من ان تنالوني بسوء قوله تعالى
ولما جاء امرنا اي عذابنا بهلاك عاد نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا لان
احدا لا ينجو الا برحمة الله تعالى وان كانت له اعمال صالحة وفي صحيح مسلم والبخاري وغيرهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم لن ينجي احدا منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا
الا ان يتغمدني الله برحمة منه وقيل برحمة منا بان بينا لهم الهدى الذي هو رحمة وكانوا

اربعة الاف وقيل ثلاثة الاف ونجيناهم من عذاب غليظ اي عذاب يوم القيمة وقيل هو الريح العقيم
كما ذكر الله في الذاريات وغيرها وسياتي قال القشيري والعذاب الذي يتوعد به النبي
صلى الله عليه وسلم امته اذا حضر ينجي الله منه النبي والمؤمنين نعم لا يبعد ان يبتلي نبيا وقومه
فيعمهم ببلاء فيكون ذلك عقوبة للكافرين وتمحيصا للمؤمنين اذا لم يكن مما توعدهم به النبي
قوله تعالى وتلك عاد ابتدا وخبر وحكى الكسائي ان من العرب من لا يصرف عادا فيجعله اسما
للقبيلة جحدوا بايات ربهم اي كذبوا بالمعجزات وانكروها وعصوا رسله يعني هودا وحده
لانه لم يرسل اليهم من الرسل سواه ونظيره قوله تعالى يعني يا ايها الرسل كلوا من الطيبات يعني النبي
صلى الله عليه وسلم وحده لانه لم يكن في عصره رسول سواه وانما جمع ههنا لان من كذب رسولا
واحدا فقد كفر بجميع الرسل وقيل عصوا هودا والرسل قبله وكانوا بحيث لو ارسل اليهم الف رسول
لجحدوا الكل واتبعوا امر كل جبار عنيد اي سفلتهم رؤساهم والجبار المتكبر والعنيد الطاغي الذي
لا يقبل الحق ولا يذعن له قال ابو عبيدة العنيد والعنود والعاند المعارض بالخلاف ومنه
قيل للعرق الذي ينفجر بالدم عاند قال الراجز اني كبير لا اطيق العندا قوله تعالى واتبعوا في هذه
الدنيا لعنة اي الحقوها ويوم القيمة اي واتبعوا يوم القيمة مثل ذلك فالتمام على قوله ويوم القيمة
الا ان عادا كفروا ربهم قال الفراء اي كفروا نعمة ربهم قال ويقال كفرته وكفرت به مثل شكرته
وشكرت له الا بعدا لعاد قوم هود اي لا زالوا مبعدين عن رحمة الله والبعد الهلاك والمبعد
الهالك والبعد التباعد من الخير يقال بعد يبعد بعدا اذا تاخر وتباعد وبعد يبعد
بعدا اذا هلك قال لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وافة الجزر وقال النابغة فلا
تبعدن ان المنية منهل وكل امرئ يوما به الحال زايل قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا
فيه خمس مسائل الاولى قوله والى ثمود اي وارسلنا الى ثمود اخاهم اي في النسب صالحا وقرا يحيى
بن وثاب والى ثمود بالتنوين في كل القران وكذا روي عن الحسن واختلف سائر القراء فيه
فصرفوه في موضع ولم يصرفوه في موضع وزعم ابو عبيدة انه لولا مخالفة السواد لكان الوجه
ترك الصرف اذ كان الاغلب عليه التانيث قال النحاس الذي قال ابو عبيدة رحمه الله
من ان الغالب عليه التانيث كلام مردود لان ثمودا يقال له حي ويقال له قبيلة وليس
الغالب عليه القبيلة بل الامر على ضد ما قال عند سيبويه والاجود عند سيبويه ما لم
يقل فيه بنو فلان الصرف نحو قريش وثقيف وما اشبههما وكذلك ثمود والعلة في
ذلك انه لما كان التذكير الاصل وكان يقع له مذكر لان الاصل الاخف ولى والتانيث
جيد بالغ حسن وانشد سيبويه في التانيث غلب المساميح الوليد سماحة وكفى قريش
المعضلات وسادها الثانية قوله تعالى قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
تقدم هو انشاكم اي ابتدا خلقكم من الارض وذلك ان ادم خلق من الارض على ما تقدم في
البقرة والانعام وهم منه وقيل انشاكم في الارض ولا يجوز ادغام الهاء من غيره في الهاء منه
الا على لغة من حذف الواو في الادراج واستعمركم فيها اي جعلكم عمارها وسكانها قال مجاهد
استعمركم اعمركم من قولهم اعمر فلان فلانا داره فهي له عمري وقال قتادة اسكنكم فيها
وعلى هذين القولين استفعل بمعنى افعل مثل استجاب بمعنى اجاب وقال الضحاك اطال اعماركم
وكانت اعمارهم من ثلثمائة الى الف ابن عباس اعاشكم فيها زيد بن اسلم امركم بعمارة ما تحتاجون
اليه من بناء مساكن وغرس اشجار وقيل المعنى الهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الانهار

وعزها الثالثة قال ابن العربي قال بعض علمائنا الشافعية الاستعمار طلب العمارة والطلب المطلق
من الله تعالى على الوجوب قال القاضي ابو بكر تاتي كلمة استفعل في لسان العرب على معان منها
استفعل بمعنى طلب الفعل كقوله استحملته اي طلبت منه وبمعنى اعتقد كقولهم استسهلت الامر
اعتقدته سهلا او وجدته سهلا واستعظمته اي اعتقدته عظيما او وجدته ومنه استفعلت
بمعنى اصبت كقولهم استجدته اي اصبته جيدا ومنها بمعنى فعل كقوله قر في المكان واستقر به
قالوا وقوله يستهزؤن ويستسخرون منه فقوله تعالى واستعمركم فيها خلقكم لعمارتها الا على
معنى استجدته واستسهلته اي اصبته جيدا وسهلا وهذا يستحيل في الخالق فيرجع الى انه
خلق لانه الفائدة وقد يعبر عن الشي بفائدته مجازا ولا يصح ان يقال انه طلب من الله تعالى
لعمارتها فان هذا اللفظ لا يجوز في حقه اما انه يصح ان يقال استدعى عمارتها فانه جاء بلفظ
استفعل وهو استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه اذا كان امرا وطلب للفعل اذا كان من
الادنى الى الاعلى قلت لم يذكروا استفعل بمعنى فعل مثل قوله استوقد بمعنى اوقد وقد ذكرنا
وهي الرابعة ويكون فيها دليل الاسكان والعمرى وقد مضى القول في البقرة في السكنى والرقبى واما
العمرى فاختلف العلماء فيها على ثلاثة اقوال احدها تمليك المنافع الرقبة حياة المعمر مدة عمره
فان لم يكن عقب فمات المعمر مدة عمره فان لم يكن رجعت الى الذي اعطاها ولورثته هذا
قول القاسم بن محمد ويزيد بن قسيط والليث بن سعد وهو مشهور مذهب مالك واحد اقوال
الشافعي وقد تقدم في البقرة حجة هذا القول الثاني انها تمليك الرقبة ومنافعها وهي هبة
مبتولة وهو قول ابي حنيفة والشافعي واصحابهما والثوري والحسن بن حي واحمد بن حنبل وابن
شبرمة وابي عبيد قالوا من اعمر رجلا شيئا حياته فهو له حياته وبعد وفاته لورثته لانه
قد ملك رقبتها وشرط المعطي الحياة او العمر باطل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال العمرى جايزة والعمرى
لمن وهبت له الثالث قال عمرك ولم يذكر العقب كان كالقول الاول وان قال لعقبك كان
كالقول الثاني روي عن مالك وهو ظاهر قوله في الموطا والمعروف عنه وعن اصحابه انها ترجع
الى المعمر اذا انقرض عقب المعمر ان كان المعمر حيا والا فالى من كان حيا من ورثته واولى الناس
بميراثه ولا يملك المعمر بلفظ العمرى عند مالك واصحابه رقبة شي من الاشياء وانما يملك
بلفظ العمرى المنفعة دون الرقبة وقد قال مالك في الحبس ايضا اذا حبس على رجل وعقبه
انه لا يرجع اليه وان حبس على رجل بعينه حياته رجع اليه وكذلك العمرى قياسا وهو ظاهر
الموطا وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل اعمر
رجلا عمرى له ولعقبه فقال اعطيتكها وعقبك ما بقي منهم احد فانها لمن اعطيها وعقبه وانها
لا ترجع الى صاحبها من اجل انه اعطا عطا وقعت فيه المواريث وعنه قال ان العمرى التي
اجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول هي لك ولعقبك فاما اذا قال هي لك ما عشت فانها
ترجع الى صاحبها قال معمر وبذلك كان الزهري يفتي قلت معنى القران يجري مع اهل القول
الثاني لان الله تعالى قال واستعمركم يعني اعمركم فاعمر الرجل الصالح فيها مدة حياته بالعمل
الصالح وبعد موته بالذكر الجميل والثناء الحسن وبالعكس الرجل الفاجر فالدنيا ظرف لهما حياة
وموتا وقد يقال ان الثنا الحسن يجري مجرى العقب وفي التنزيل واجعل لي لسان صدق في
الاخرين اي ثناء حسنا وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال وجعلنا ذريته هم الباقين وقال
وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين الخامسة قوله تعالى فاستغفروه

اي

اي سلوه المغفرة من عبادة الاصنام ثم توبوا اليه اي عودوا الى عبادته ان ربي قريب مجيب اي قريب
الاجابة لمن دعاه وقد مضى في البقرة عند قوله فاني قريب القول فيه قوله تعالى قالوا يا صالح قد
كنت فينا مرجوا قبل هذا اي قبل دعوتك النبوة وقيل كان صالح يعيب الهتهم ويشناها وكانوا يرجون
رجوعه الى دينهم فلما دعاهم الى الله قالوا انقطع رجاؤنا منك اتنهانا استفهام معناه الانكار ان
نعبد ما كان يعبد اباؤنا فان في محل نصب باسقاط حرف الجر واننا لفي شك وفي سورة ابراهيم وانا
والاصل واننا فاستثقل ثلاث نونات فاسقط الثالثة مما تدعونا الان الخطاب لصالح وفي
سورة ابراهيم تدعوننا لان الخطاب للرسل اليه مريب من اربته فانا اربيه اذا فعلت به فعلا
يوجب له بالريبة قال الهذلي كنت اذا اتوته من غيب يشم عطفي ويبز ثوبي كانما اربيه
بريبا قوله تعالى قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة تقدم معناه
في قول نوح فمن ينصرني من الله ان عصيته استفهام معناه النفي اي لا ينصرني منه ان عصيته
احد فما تزيدونني غير تخسير اي تضليل وابعاد من الخير قاله الفرا والتخسير لهم لا له صلى الله عليه
وسلم غير تخسير لكم لا لي وقيل المعنى فما تزيدونني باحتجاجكم بدين ابائكم غير بصيرة بخسارتكم
عن ابن عباس قوله تعالى ويا قوم هذه ناقة الله ابتدا وخبر لكم اية نصب على الحال والعامل
معنى الاشارة او التنبيه في هذه وانما قيل ناقة الله لانه اخرجها لهم من جبل على ما طلبوا على
انهم يؤمنون وقيل اخرجها من صخرة صما منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فلما خرجت
الناقة على ما طلبوا قال لهم صالح هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل امر وجوابه وحذفت
النون في فذروها لانه امر ولا يقال وذر ولا واذر الا شاذا وللنحويين فيه قولان قال سيبويه
استغنوا عنه بترك وقال غيره لما كانت الواو ثقيلة وكان في الكلام فعل لا واو فيه
الغوه قال ابو اسحق الزجاج ويجوز رفع تاكل على الحال والاستيناف ولا تمسوها بسوء جزم
بالنهي قال الفراء بعقر فياخذكم جواب النهي عذاب قريب اي قريب من عقرها قوله تعالى
فعقروها فقال تمتعوا الاية فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى فعقروها انما عقرها بعضهم
واضيف الى الكل لانه كان برضى الباقين وقد تقدم الكلام في عقرها في الاعراف فقال تمتعوا
في داركم اي قال لهم صالح تمتعوا اي بنعم الله عز وجل قبل العذاب في داركم ولو اراد المنزل لقال
في دوركم وقيل اي ليتمتع كل واحد منكم في داره ومسكنه كقوله يخرجكم طفلا اي كل واحد طفلا وعبر
عن التمتع بالحياة لان الميت لا يتلذذ ولا يتمتع بشي فعقرت يوم الاربعا فاقاموا الخميس
والجمعة والسبت واتاهم العذاب يوم الاحد وانما اقاموا ثلاثة ايام لان الفصيل رغا ثلاثا على ما
تقدم في الاعراف فاصفرت الوانهم في اليوم الاول ثم احمرت في الثاني ثم اسودت في الثالث و
هلكوا في الرابع وقد تقدم في الاعراف الثانية استدل علماؤنا بارجا الله تعالى العذاب عن قوم
صالح ثلاثة ايام على ان المسافر اذا لم يجمع على اقامة اربع ليال قصر لان الثلاثة الايام خارجة
عن حكم الاقامة وقد تقدم في النساء ما للعلماء في هذا قوله تعالى ذلك وعد غير مكذوب غير
كذب وقيل غير مكذوب فيه قوله تعالى فلما جاء امرنا اي عذابنا نجينا صالحا والذين امنوا
معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ اي فضيحته وذلته وقيل
الواو زائدة اي نجيناهم من خزي يومئذ ولا يجوز زيادتها عند سيبويه واهل البصرة وعند
الكوفيين يجوز زيادتها مع لما وحتى لا غير وقرا نافع والكسائي يومئذ بالنصب الباقون
بالكسر على اضافة يوم الى اذ وقال ابو حاتم حدثنا عن ابي عمرو انه قرا ومن خزي يومئذ

بادغام الباء في الباء واضاف وكسر الميم في يومئذ قال النحاس الذي يرونه النحويون مثل سيبويه
ومن قاربه عن ابي عمرو في مثل هذا الاخفاء فاما الادغام فلا يجوز لانه يلتقي ساكنان ولا يجوز
كسر الزاي قوله تعالى واخذ الذين ظلموا الصيحة اي في اليوم الرابع صيح بهم فماتوا وذكر لان
الصيحة والصياح واحد وقيل صيحة جبريل وقيل صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت
كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم وماتوا وقال هنا واخذ الذين ظلموا الصيحة وقال في
الاعراف فاخذتهم الرجفة وقد تقدم بيانه هناك وفي التفسير انهم لما ايقنوا بالعذاب قال
بعضهم لبعض ما مقامكم ان يأتيكم الامر بغتة قالوا فما نصنع فاخذوا سيوفهم ورماحهم وعددهم
وكانوا فيما يقال اثني عشر الف قبيلة في كل قبيلة اثني عشر الف مقاتل فوقفوا على الطرق والفجاج
زعموا يلاقون العذاب فاوحى الله تعالى الى الملك الموكل بالشمس ان يعذبهم بحرها فادناها
من رؤسهم فاشتوت ايديهم وتدلت السنتهم على صدورهم من العطش ومات كل من كان
معهم من البهائم وجعل يتفور من تلك العيون من غليانه حتى يبلغ السماء لا يسقط على شيء
الا اهلكه من شدة حره فما زالوا كذلك واوحى الله الى ملك الموت ان لا يقبض ارواحهم
تعذيبا لهم الى ان غربت فصيح بهم فاهلكوا واصبحوا في دارهم جاثمين اي ساقطين على وجوههم
قد لصقوا بالتراب كالطير اذا جثمت الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود تقدم معناه قوله تعالى
ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ
فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم
لوط وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتى
ءالد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله
وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى
يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم اواه منيب يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء
امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق
بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون
السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس
منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد
قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا
اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها ما
اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها
وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين
ببعيد
ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى هذه قصة لوط عليه السلام وهو ابن عم ابراهيم وكانت
قرى لوط بنواحي الشام وابراهيم ببلاد فلسطين فلما انزل الله الملائكة بعذاب قوم لوط مروا
بابراهيم ونزلوا عنده وكل كل من نزل عنده يحسن قراه وكانوا مروا ببشارة ابراهيم فظنهم
اضيافا وهم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم الصلوة والسلام قاله ابن عباس الضحاك كانوا
تسعة السدي احد عشر ملكا على صورة الغلمان الحسان الوجوه ذوو وضاءة وجمال بارع
البشرى وقيل بالولد وقيل باهلاك قوم لوط وقيل بشروه بانهم رسل الله عز وجل وانه لا

خوف عليهم قالوا سلاما نصب بوقوع الفعل عليه كانتقول قالوا خيرا وهذا اختيار الطبري واما قوله سيقولون
ثلاثة فالثلاثة اسم غير قول مقول ولو رفعا جميعا او نصبا جميعا قالوا سلاما قال سلام جاز في العربية
وقيل انتصب على المصدر وقيل قالوا سلاما اي فاتحوه بصواب من القول كما قال واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما اي صوابا فسلاما معنى قولهم لا لفظه قال معناه ابن العربي واختاره وقال الا ترى ان
الله تعالى لما اراد ذكر اللفظ قاله بعينه فقال مخبرا عن الملائكة سلام عليكم بما صبرتم سلام عليكم
طبتم وقيل دعوا له والمعنى سلمنا سلاما قال سلام والآخر بمعنى سلام عليكم اذ لجعل بمعنى التحية فاضمر
الخبر وجاز سلام على التنكير لكثرة استعماله فحذف الالف واللام كما حذفت من لام في قولك اللهم
وقرئ سلم قال الفراء السلم والسلام بمعنى مثل الحل والحلال قوله تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فيه
اربع عشرة مسئلة الاولى قوله فما لبث ان جاء بمعنى حتى قاله كبراء النحويين حكاه ابن العربي التقدير
فما لبث حتى جاء وقيل ان ان في موضع نصب بسقوط حرف الجار التقدير فما لبث عن ان جاء اي فما ابطأ
عن مجيئه بعجل فلما حذفت حرف الجر بقي ان في محل النصب وفي لبث ضمير اسم ابراهيم وما نافية قاله
سيبويه وقال الفراء فما لبث مجيئه اي ما ابطأ مجيئه فان في موضع رفع ولا ضمير في لبث وما نافية
ولا يصح ان تكون ما بمعنى الذي وفي لبث ضمير ابراهيم وان جاء خبر ما اي فالذي لبث ابراهيم هو
مجيئه بعجل حنيذ وحنيذ مشوي وقيل هو المشوي بحر الحجارة من غير ان تمسه النار يقال حنذت
الشاة احنذها حنذا اي شويتها وجعلت فوقها حجارة محماة لتنضجها فهي حنيذ وحنذت الفرس
احنذه حنذا وهو ان تحضره شوطا او شوطين ثم تظاهر عليه الجبال في الشمس ليعرق فهو محنوذ
وحنيذ فان لم يعرق قيل كبا وحنذ موضع قريب من المدينة وقيل الحنيذ السميط ابن عباس
وغيره حنيذ نضيج وحنيذ بمعنى محنوذ وانما جاء بعجل لان البقر كانت اكثر امواله الثانية
في هذه الآية من ادب الضيف ان يعجل قراه فيقدم الموجود الميسر في الحال ثم يتبعه بغيره ان كان
له جدة ولا يتكلف ما يضر به والضيافة من مكارم الاخلاق ومن اداب الاسلام ومن خلق
النبيين والصالحين وابراهيم اول من اضاف على ما تقدم في البقرة وليست بواجبة عند عامة
اهل العلم لقوله صلى الله عليه وسلم الضيافة ثلاثة ايام وجائزته يوم وليلة فما كان وراء ذلك
فهو صدقة والجائزة العطية والصلة التي اصلها على الندب وقال صلى الله عليه وسلم من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه واكرام
الجار ليس بواجب اجماعا فالضيافة مثله والله اعلم وذهب الليث الى وجوبها متمسكا بقوله صلى
الله عليه وسلم ليلة الضيف حق الى غير ذلك من الاحاديث وفيما اشرنا اليه كفاية والله الموفق
قال ابن العربي وقد قال قوم ان وجوب الضيافة كان في صدر الاسلام ثم نسخ وهذا ضعيف
فان الوجوب لم يثبت والناسخ لم يرد وذكر حديث ابي سعيد الخدري خرجه الائمة وفيه
فاستضفناهم فابوا ان يضيفونا فلدغ سيد ذلك الحي الحديث وقال هذا ظاهر في ان الضيافة
لو كانت حقا للام النبي صلى الله عليه وسلم القوم الذين ابوا ولبين لهم ذلك الثالثة اختلف
العلماء فيمن يخاطب بها فذهب الشافعي ومحمد بن عبد الحكم الى ان المخاطب بها اهل الحضر
والبادية وقال مالك ليس على اهل الحضر ضيافة قال سحنون انما الضيافة على اهل القرى
والحضر فالفندق ينزل فيه المسافر حكى اللغتين صاحب العين وغيره واحتجوا بحديث ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الضيافة على اهل الوبر وليست على اهل المدر وهذا حديث لا يصح
ونسب الى وضعه قال ابو عمر بن عبد البر قال ابن العربي الضيافة حقيقة فرض على الكفاية

ومن الناس من قال انها واجبة في القرى حيث لا طعام ولا ما بخلاف الحواضر فانها مشحونة بالمياه
والاقوات ولا شك ان الضيف كريم والضيافة كرامة فان كان غريبا فهي فريضة الرابعة قال
ابن العربي قال بعض علمائنا كانت ضيافة ابراهيم قليلة فشكرها الحبيب من الحبيب وهذا حكم الظن
في موضع النقل من اين علم انه قليل بل قد نقل المفسرون ان الملائكة كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل
واسرافيل عليهم السلام وعجل الثلاثة عظيم فما هذا التفسير لكتاب الله بالراي هذا بامانة الله هو التفسير
المذموم فاجتنبوه فقد علمتموه الخامسة اذا قدم للضيف الطعام ان يبادر المقدم اليه بالاكل
فان كرامة الضيف تعجيل التقديم وكرامة صاحب المنزل المبادرة بالقبول فلما قبضوا ايديهم
انكرهم ابراهيم لانهم خرجوا على العادة وخالفوا السنة وخاف ان يكون ورائهم مكر منتظرونه
انهم كانوا ينكتون بقداح كانت في ايديهم في اللحم ولا تصل ايديهم الى اللحم فلما راى ذلك
منهم نكرهم واوجس منهم خيفة اي اضمر وقيل احس والوجوس الدخول قال الشاعر جاء
البريد بقرطاس يخب به فاوجس القلب من قرطاسه جوعا خيفة اي خوفا اي جزعا وكانوا
اذا راوا الضيف لا ياكل ظنوا به سوءا قالت الملائكة لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط السادسة
من ادب الطعام ان لصاحب الضيف ان ينظر في ضيفه هل ياكل ام لا وذلك تلغت ومسارقة
لا بتحديد النظر روي ان اعرابيا اكل مع سليمان بن عبد الملك فراى سليمان في لقمة الاعرابي
شعرة فقال له ادم الشعرة عن لقمتك فقال انتنظر الي نظر من يرى الشعرة في لقمتي والله لا
اكلت معك قلت وقد ذكر ان هذه الحكاية انما كانت مع هشام بن عبد الملك لا مع
سليمان وان الاعرابي خرج من عنده وهو يقول وللموت خير من زيارة باخل يلاحظ
اطراف الاكيل على عمد السابعة قوله تعالى فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم تقول نكرتك
نكرتك وانكرتك واستنكرتك اذا وجدته على غير ما عهدته قال الشاعر وانكرتني
وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا فجمع بين اللغتين ويقال انكرت لما
تراه بعينك ونكرت لما تراه بقلبك الثامنة قوله تعالى وامراته قائمة ابتدا وخبر
اي قائمة بحيث ترى الملائكة وهو جالس وقال محمد بن اسحق قائمة تصلي وفي قراءة
عبد الله بن مسعود وامراته قائمة وهو قاعد التاسعة قوله تعالى فضحكت قال مجاهد
وعكرمة حاضت وكانت ايسة تحقيقا للبشارة وانشد في ذلك اللغويون واني
لاتي العرس عند طهورها واتركها يوما اذا تك ضاحك وقال اخر وضحك الارانب
فوق الصفا كمثل دم الجوف فوق اللقا والعرب تقول ضحكت الارنب اذا حاضت وروي
عن ابن عباس وعكرمة اخذ من قولهم ضحكت الكافورة وهي قشرة الطلعة اذا انشقت
وانكر بعض اللغويين ان يكون في كلام العرب ضحكت بمعنى حاضت وقال الجمهور هو الضحك
المعروف فاختلفوا فيه فقيل هو ضحك التعجب قال ابو ذويب فجاء بموج لم ير الناس مثله
هو الضحك الا انه عمل النحل وقال مقاتل ضحكت من خوف ابراهيم ورعدته من ثلاثة نفر
وابراهيم في حشمه وخدمه وكان يقوم ابراهيم مائة رجل وقال ليس الضحك الحيض
في اللغة بمستقيم وانكر ابو عبيدة والفراء ذلك قال الفراء لم اسمعه من ثقة وانما هو كناية
وروي ان الملائكة مسحت العجل فقام من موضعه فلحق بامه فضحكت سارة عند ذلك
فبشرها باسحاق ويقال كان ابراهيم عليه السلام اذا اراد ان يكرم اضيافه اقام سارة تخدمهم
فذلك قوله وامراته قائمة في خدمتهم وقيل قائمة لروع ابراهيم فضحكت لقولهم لا تخف

سرورا

سرورا بالامر فقال الفراء فيه تقديم وتاخير المعنى فبشرناها باسحق فضحكت اي ضحكت سرورا بالولد وقد
هرمت والله اعلم اي ذلك كان قال النحاس فيه اقوال احسنها انهم لما لم ياكلوا انكرهم وخافهم
فلما قالوا لا تخف واخبروه انهم رسل فرح بذلك فضحكت امراته سرورا بفرحه وقيل انها
كانت قالت له احسب هؤلاء القوم سينزل بهم عذاب فضم لوطا اليك فلما جاءت الرسل
بما قالت سرت به فضحكت قال النحاس وهذا ان صح اسناده فهو حسن والضحك انكشاف
الاسنان ويجوز ان يكون الضحك اشراق الوجه تقول رايت فلانا ضاحكا اي مشرقا واتيت
على روضة تضحك اي مشرقة وفي الحديث ان الله يبعث السحاب فيضحك احسن الضحك جعل انجلاءه
عن البرق ضحكا وهذا كلام مستعار وروي عن رجل من قراء مكة يقال له محمد بن زياد الاعرابي
فضحكت بفتح الحاء قال المهدوي وفتح الحاء من فضحكت غير معروف وضحك يضحك ضحكا
وضحكا وضحكا وضحكا اربع لغات والضحكة المرة الواحدة ومنه قول كثير غلقت لضحكته
رقاب المال قاله الجوهري العاشرة روى مسلم عن سهل بن سعد قال دعا ابو اسيد الساعدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرسه فكانت امراته يومئذ خادمهم وهي العروس قال سهل
تدرون ما سقت رسول الله صلى الله عليه وسلم انقعت له تمرات من الليل في تور فلما اكل سقته
اياه واخرجه البخاري وترجم له باب قيام المراة على الرجال في العرس وخدمتهم
بالنفس قال علماؤنا فيه جواز خدمة العروس زوجها واصحابه في عرسها وفيه لا باس ان
يعرض الرجل على صالح اخوانه ويستخدمهن له ويحتمل ان يكون هذا قبل نزول الحجاب
الحادي عشرة ذكر الطبري ان ابراهيم عليه السلام لما قدم العجل قالوا لا ناكل طعاما الا بثمن
ان تذكروا اسم الله في اوله وتحمدوه في اخره فقال جبريل لاصحابه بحق اتخذ الله هذا خليلا
قال علماؤنا ولم ياكلوا لان الملائكة لا تاكل وقد كان من الجائز كما يسر الله الملائكة ان يحيدوا
في صفة الادمي جسدا وهيئة ان ييسر لهم اكل الطعام الا انه في قول العلماء ارسلهم في صفة
الادميين وتكلف ابراهيم الضيافة الثانية عشرة ودل هذا على ان التسمية في اول الطعام
والحمد لله في اخره مشروع في الامم قبلنا وقد جاء في الاسرائيليات ان ابراهيم عليه السلام
كان لا ياكل وحده فاذا حضر طعامه ارسل يطلب من ياكل معه فلقي يوما رجلا فلما جلس معه
على الطعام قال له ابراهيم سم الله قال الرجل لا ادري ما الله قال له فاخرج عن طعامي فلما
خرج نزل اليه جبريل فقال له يقول انه يرزقه على كفره مدا عمره وانت بخلت عليه
بلقمة فخرج ابراهيم فزعا يجر رداءه وقال ارجع فقال لا ارجع حتى تخبرني لم رددتني فاخبره
بالامر فقال هذا رب كريم امنت ودخل وسمى الله فاكل مؤمنا الثالثة عشر قوله تعالى فبشرناها
باسحق لما ولد لابراهيم اسمعيل من هاجر تمنت سارة ان يكون لها ابن وايست لكبر سنها فبشرت
بولد يكون نبيا ويلد نبيا فكان هذا بشارة لها ان ترى ولد ولدها الرابعة عشر
قوله تعالى ومن وراء اسحق يعقوب قرا حمزة وعبد الله بن عامر بالنصب ورفع الباقون
فالرفع على معنى ويحدث لها من وراء اسحق يعقوب ويجوز ان يرتفع بالفعل الذي يعمل
في من وراء كان المعنى وثبت لها من وراء اسحق يعقوب ويجوز ان يرتفع بالابتداء ويكون
في موضع الحال اي بشروها باسحق مقابلا له يعقوب والنصب على معنى ووهبنا لها من
وراء اسحق يعقوب واجاز الكسائي والاخفش وابو حاتم ان يكون يعقوب في موضع جر على
معنى وبشرناها من وراء اسحق يعقوب قال الفراء ولا يجوز الخفض الا باعادة الحرف

الخافض ولو سيبويه ولو قلت مررت بزيد اول من امس وامس عمرو كان قبيحا خبيثا لانك فرقت بين المجرور وما يرله وهو الواو كما يفرق بين الجار والمجرور لان الجار لا يفصل بينه وبين المجرور ولا بينه وبين الجار قوله تعالى قالت يا ويلتى االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا فيه مسئلتان الاولى قوله يا ويلتا قال الزجاج اصلها يا ويلتي فابدل من الياء الف لانها اخف من الياء والكسرة ولم ترد الدعاء على نفسها بالويل ولكنها كلمة تخف على افواه النساء اذا طرا عليهن ما يعجبن منه وعجبت من ولادتها وكون بعلها شيخا لخروجه عن العادة وما خرج عن العادة مستغرب ومستنكر وء الد استفهام معناه التعجب وانا عجوز اي شيخة ولقد عجزت تعجز عجزا وعجزت تعجيزا اي طعنت في السن وقد يقال عجوزة ايضا وعجزت المراة بكسر الجيم عظمت عجيزتها عجزا وعجز بضم العين وفتحها قال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة وقال ابن اسحق كانت بنت تسعين وقيل غير هذا الثانية قوله تعالى وهذا بعلي اي زوجي شيخا نصب على الحال والعامل فيه التنبيه او الاشارة وهذا بعلي ان يكون غير وقال الاخفش وفي قراءة ابن مسعود و ابي وهذا بعلي شيخ قال النحاس تقول هذا زيد قائم فزيد بدل من هذا وقايم خبر المبتدا ويجوز ان يكون هذا مبتدا وزيد وقايم خبرين وحكى سيبويه هذا حلو حامض وقيل كان ابراهيم ابن مائة وعشرين سنة وقيل ابن مائة فكان يزيد عليها في قول مجاهد سنة وقيل انها عرضت بقولها وهذا بعلي شيخا اي عجز عن ترك غشيانه لها وسارة هذه امراة ابراهيم بنت هاران بن ناحور بن ساروع بن ارعو بن فالغ وهي بنت عم ابراهيم ان هذا لشيء عجيب اي ان يولد لي به لشيء معجب قوله تعالى قالوا اتعجبين من امر الله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى قالوا اتعجبين من امر الله اي من قضائه وقدره اي لا عجب من ان يرزقكما الولد وهو اسحق وبهذه الاية استدل كثير من العلماء على ان الذبيح اسمعيل وانه اسن من اسحق لانها بشرت بان اسحق يعيش حتى يولد له يعقوب وسياتي الكلام في هذا وبيانه في الصافات ان شاء الله تعالى الثانية قوله تعالى رحمت الله وبركاته مبتدا والخبر عليكم وحكى سيبويه عليكم بكسر الكاف لمجاورتها الياء وهل هو خبر او دعاء وكونه اخبارا اشرف لان ذلك يقتضي حصول الرحمة والبركة لهم المعنى وصل الله لكم رحمته وبركا اهله وكونه دعا انما يقتضي امر يترجى لم يتحصل بعد ونصب اهل البيت على الاختصاص هذا مذهب سيبويه وقيل على الندا الثالثة هذه الاية تعطي ان زوجة الرجل من اهل البيت فدل هذا على ان ازواج الانبياء من اهل البيت فعايشة رضي الله عنها من جملة اهل البيت محمد صلى الله عليه وسلم ممن قال الله فيهم ويطهركم تطهيرا وسياتي الرابعة ودلت الاية ايضا على ان منتهى السلام وبركاته كما اخبر الله عن صالحي عباده رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت والبركة النمو والزيادة ومن تلك البركات ان جميع الانبياء والرسل كانوا في ولد ابراهيم وسارة وروى مالك عن وهب بن كيسان ابي نعيم عن محمد بن عمرو بن عطاء قال كنت جالسا عند عبد الله بن عباس فدخل عليه رجل من اهل اليمن فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا مع ذلك فقال ابن عباس وهو يومئذ قد ذهب بصره من هذا فقالوا اليماني الذي يغشاك فعرفوه اياه فقال ان السلام انتهى الى البركة وروي عن علي رضي الله عنه انه قال دخلت المسجد فاذا النبي صلى الله عليه وسلم في عصبة من اصحابه فقلت السلام عليكم فقال وعليك السلام ورحمة الله عشرون لي وعشر لك قال ودخلت

الثانية فقلت السلام عليكم ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثلاثون لي وعشرون لك فدخلت الثالثة فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثلاثون لي وثلاثون لك انا وانت في السلام سوا انه حميد مجيد اي محمود ماجد وقد بيناهما في الاسنى قوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي الخوف يقال ارتاع من كذا اي خاف قال النابغة   فارتاع من صوت كلاب فبات له طوع الشوامت من خوف ومن صرد
وجاءته البشرى اي باسحق ويعقوب وقال قتادة بشروه بانهم انما اتوا بالعذاب الى قوم لوط وانه لا يخاف يجادلنا اي يجادل رسلنا واضاف الى نفسه لانهم نزلوا بامره وهذه المجادلة رواه حميد بن هلال عن جندب عن حذيفة وذلك انهم لما قالوا له انا مهلكوا هذه القرية قال لهم ارايتم ان كان فيها خمسون من المسلمين اتهلكونهم قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فعشرون قالوا لا قال فان كان فيهم عشرة او خمسة شك حميد قالوا لا وقال قتادة نحوا منه قال فقال يعني ابراهيم قوم ليس فيهم عشرة من المسلمين لا خير فيهم وقيل ان ابراهيم قال ارايتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فقال ابراهيم عند ذلك ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين وقال عبد الرحمن بن سمرة كانوا اربعمائة الف ابن جريج وكان في قرى قوم لوط اربعة الاف الف ومذهب الاخفش والكسائي ان يجادلنا في موضع جادلنا قال النحاس لما كان جواب لما يجب ان يكون بالماضي جعل المستقبل مكانه كما ان الشرط يجب ان يكون بالمستقبل جعل الماضي مكانه وفيه جواب اخر ان يكون يجادلنا في موضع الحال اي اقبل يجادلنا وهذا قول الفراء ان ابراهيم لحليم اواه منيب تقدم في براءة معنى لاواه حليم والمنيب الراجع يقال اناب اذا رجع وابراهيم عليه السلام كان راجعا الى الله تعالى في اموره كلها وقيل الاواه المتاوه اسفا على ما فات قوم لوط من الايمان قوله تعالى يا ابراهيم اعرض عن هذا اي دع عنك الجدال في قوم لوط انه قد جاء امر ربك اي عذابه لهم وانهم اتيهم اي نازل بهم عذاب غير مردود اي غير مصروف عنهم ولا مدفوع قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم لما خرجت الملائكة وكان بين ابراهيم وقوم لوط اربعة فراسخ بصرتا بنتا لوط وهما يستقيان الملائكة ورايتا هيئة حسنة فقالتا ما شانكم ومن اين اقبلتم قالوا من موضع كذا نريد هذه القرية قالتا فان اهلها اصحاب الفواحش فقالوا لهما من يضيفنا قالتا نعم هذا الشيخ واشارتا الى لوط فلما راى لوط هيئتهم خاف قومه عليهم سيء بهم اي ساءه مجيئهم يقال ساء فهو لازم وساءه يسوءه فهو متعد ايضا وان شئت ضممت السين لان اصلها الضم والاصل سوئ بهم من السوء قلبت حركة الواو على السين فانقلبت ياء وان خففت الهمزة القيت حركتها على الياء فقلت سي بهم مخففا ولغة شاذة بالتشديد وضاق بهم ذرعا اي ضاق صدره بمجيئهم وكرهه وقيل ضاق وسعه وطاقته واصله ان يذرع البعير بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طوقه ضاق عن ذلك وضعف ومد عنقه فضيق الذرع عن ضيق الوسع وقيل هو من ذرعه القي اي غلبه اي ضاق عن حبسه المكروه في نفسه وانما ضاق ذرعه بهم لما راى من جمالهم وما يعلم من فسق قومه وقال هذا يوم عصيب اي شديد في الشر وقال الشاعر   وانك الا ترض بكر بن وايل يكن لك يوم بالعراق عصيب   وقال اخر   يوم عصيب يعصب الابطال عصب القوي السلم

الطوالا ويقال عصيب وعصبصب على التكثير اي مكروه مجمع الشر وقد عصب اي عصبه بالشر عصابة ومنه قيل عصبة وعصابة اي مجتمعوا الكلمة اي يجتمعون في نفسهم وعصبة الرجل المجتمعون معه في النسب وتعصبت لفلان صرت كعصبته ورجل معصوب اي مجتمع الخلق قوله تعالى وجاءه قومه يهرعون اليه في موضع الحال يهرعون اي يسرعون قال الكسائي والفرا وغيرهما من اهل اللغة لا يكون الاهراع الا اسراعا مع رعدة يقال اهرع الرجل اهراعا اي اسرع في رعدة من برد او غضب او حمى وهو مهرع قال مهلهل ٭ فجاؤا يهرعون وهم اسارى ٭ نقودهم على رغم الانوف ٭ وقال الاخر ٭ بمعجلات نحوه مهارع ٭ وهذا مثل ولع فلان بالامر وارعد زيد وزهي فلان وبحح لا يستعمل الا على هذا الوجه وقيل اهرع اي اهرعه حرضه وعلى هذا يهرعون اي يستحثون عليه ومن قال بالاول قال لم اسمع الا اهراع الرجل اي اسرع على ما لم يسم فاعله قال ابن القوطية يهرع الانسان هرعا واهرع سبق واستعجل وقال الهروي يقال هرع الرجل واهرع اي استحث قال ابن عباس وقتادة والسدي يهرعون يهرولون الضحاك يسعون ابن عيينة كانهم يدفعون وقال شمر ابن عطية هو مشي بين الهرولة والجري وقال الحسن مشي بين مشيين والمعنى متقارب وكان سبب اسراعهم ما روي ان امراة لوط الكافرة لما رات الاضياف وجمالهم وهيئتهم خرجت حتى اتت مجالس قومها فقالت لهم ان لوطا قد اضاف الليلة فتية ما رئي مثلهم جمالا وكذا وكذا فحينئذ جاؤا يهرعون ويروى ان الرسل لما وصلوا الى بلد لوط وجدوا لوطا في حرث له وقيل وجدوا ابنته تستقي ماء في نهر سدوم فسالوها الدلالة على من يضيفهم ورات هيئتهم فخافت عليهم من قوم لوط قالت لهم مكانكم وذهبت الى ابيها فاخبرته فخرج اليهم فقالوا انا نريد ان تضيفنا الليلة فقال لهم او ما سمعتم بعمل هؤلاء القوم فقالوا وما عملهم فقال اشهد بالله انهم لشر قوم في الارض وقد كان الله قال للملائكة لا تعذبوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما قال لوط هذه المقالة قال جبريل لاصحابه هذه واحدة وترددوا القول بينهم حتى كرر لوط الشهادة بهم اربع مرات ثم دخل بهم المدينة قوله تعالى ومن قبل اي ومن قبل مجيء الرسل وقيل من قبل لوط كانوا يعملون السيئات اي كانت عادتهم اتيان الرجال فلما جاؤا الى لوط وقصدوا اضيافه قام اليهم لوط مدافعا وقال هؤلاء بناتي ابتدا وخبر وقد اختلف في قوله هؤلاء بناتي فقيل كان له ثلاث بنات من صلبه وقيل بنتان زينا وراعورا فقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقيل ندبهم في هذه الحالة الى النكاح وكانت سنتهم جواز نكاح الكافر المؤمنة وقد كان هذا في اول الاسلام جايز ثم نسخ فزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنتا من عتبة بن ابي لهب والاخرى من ابي العاص بن الربيع وكانا كافرين وقالت فرقة منهم مجاهد وسعيد بن جبير اشار بقوله بناتي الى النساء جملة اذ نبي القوم اب لهم ويقوي هذا ان في قراءة بن مسعود النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقالت طايفة انما كان الكلام مدافعة ولم يرد امضاءه روي هذا القول عن ابي عبيدة كما يقال لمن ينهى عن اكل مال الغير الخنزير احل لك من هذا وقال عكرمة لم يعرض عليهم بناته ولا بنات امته وانما قال لهم هذا لينصرفوا قوله تعالى هن اطهر لكم ابتدا وخبر اي ازوجكموهن فهو اطهر مما تريدون اي احل والتطهير التنزه عما لا يحل وقال ابن عباس كان رؤساؤهم خطبوا بناته فلم يجبهم واراد ذلك اليوم ان يفدي اضيافه ببناته وليس الف اطهر للتفضيل حتى يتوهم ان في نكاح النساء طهارة

بل

بل هو كقولك الله اكبر واعلا واجل وان لم يكن تفضيلا وهذا جايز شايع في كلام العرب ولم يكابر الله تعالى احد حتى يكون الله اكبر منه وقد قال ابو سفيان ابن حرب يوم احد اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر قل الله اعلا واجل وهبل لم يكن قط عاليا ولا جليلا وقراءة العامة برفع الراء وقرا الحسن وعيسى بن عمر هن اطهر بالنصب على الحال وهن عماد ولا يجيز الخليل وسيبويه والاخفش ان يكون هن هاهنا عمادا فيما لا يتم الكلام الا بما بعدها نحو كان زيد اخاك لتدل بها على ان الاخ ليس بنعت قال الزجاج ويدل بها على ان كان تحتاج الى خبر وقال غيره يدل بها على ان الخبر معرفة او ما قاربها قوله تعالى فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اي لا تهينوني ولا تذلوني ومنه قول حسان فاخزاك ربي يا عتيب بن مالك ولقاك قبل الموت احدى الصواعق مددت يمينا للنبي تعمدا ودميته فقطعت بالبوارق ويجوز ان يكون من الخزاية وهو الحيا والخجل وقال ذو الرمة خزاية ادركته بعد جولته بجانب الخيل مخلوطا بها الغضب وقال الاخر من البيض لا تخزى اذا الريح الصقت بها مرطها او حرك الحلي جيدها وضيف يقع للاثنين والجمع على لفظ الواحد لانه في الاصل مصدر قال الشاعر لا تعدمي الدهر اسفار والجازر للضيف والضيف احق ناير ويجوز فيه التثنية والجمع والاول اكثر كقولك رجال صوم وفطر وروي وخزي الرجل خزاية اي استحيا مثل ذل وهان وخزي خزيا اذا افتضح يخزى فيهما جميعا ثم وبخهم بقوله اليس منكم رجل رشيد اي شديد يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وقيل رشيد اي ذو رشد او بمعنى راشد او مرشد اي صالح ابن عباس مؤمن مالك ناه عن المنكر وقيل الرشيد بمعنى الرشد والرشد والرشاد الهدى والاستقامة ويجوز ان يكون بمعنى المرشد كالحكيم بمعنى المحكم قوله تعالى قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق روي ان قوم لوط خطبوا بناته فردهم وكان سنتهم ان من رد في خطبة امراة لم تحل له ابدا فذلك قوله لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وبعد ان لا يكون هذه الخاصية فوجه الكلام انه ليس لنا الى بناتك تعلق ولا هم قصدنا ولكنها عادة مطلب ذلك وانك لتعلم ما نريد اشارة الى الاضياف قوله تعالى قال لو ان لي بكم قوة لما راى استمرارهم في غيهم وضعف عنهم ولم يقدر على دفعهم تمنى لو وجد عونا على ردهم فقال على جهة التفجع والاستكانة لو ان لي بكم قوة اي انصارا واعوانا وقال ابن عباس اراد الولد وان في موضع رفع بفعل مضمر تقديره لو اتفق او وقع وهذا يطرد في ان التابعة للو وجواب لو محذوف اي لرددت اهل الفساد وحلت بينهم وبين ما يريدون او اوي الى ركن شديد اي الجا وانضوي وقرئ او اوي بالنصب عطفا على قوة كانه قال لو ان لي بكم قوة او ايوا الى ركن شديد او وان اوي فهو منصوب باضمار ان ومراد لوط بالركن العشيرة والمنعة بالكثرة وبلغ به قبيح فعلهم الى قوله هذا مع علمه بما عند الله تعالى فيروى ان الملائكة وجدت عليه حين قال هذه الكلمات وقالوا ان ركنك لشديد وفي البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد الحديث وقد تقدم في البقرة وخرجه الترمذي وزاد ما بعث الله بعده نبيا الا في ثروة من قومه قال محمد بن عمرو والثروة الكثرة والمنعة حديث حسن ويروى ان لوطا عليه السلام لما غلبه قومه وهموا بكسر الباب وهو يمسكه قالت له الملائكة تنح عن الباب فتنحى فانفتح الباب فضربهم جبريل بجناحه فطمس اعينهم وعموا وانصرفوا على اعقابهم يقولون النجا قال الله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه

فطمسنا اعينهم وقال ابن عباس واهل التفسير اغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار وهو يناظر
قومه ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الجدار فلما رات الملائكة ما لقي من الجهد
والكرب والنصب بسببهم قالوا يا لوط انا رسل ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود وانا
رسل ربك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فضربهم جبريل بجناحه على ما تقدم وقيل
اخذ جبريل قبضة من تراب واذراها في وجوههم فاوصل الله الى العين من بعد ومن قرب من
ذلك التراب فطمست اعينهم فلم يعرفوا طريقا ولا اهتدوا الى بيوتهم وجعلوا يقولون النجا
النجا فان في بيت لوط قوما هم اسحر من على وجه الارض وقد سحرونا فاعموا ابصارنا وجعلوا
يقولون يا لوط كما انت حتى تصبح فسترى يتوعدونه قوله تعالى قالوا يا لوط انا رسل ربك لما
رات الملائكة حزنه واضطرابه ومدافعته عرفوه بانفسهم فلما علم انهم رسل مكن قومه من
الدخول فامر جبريل عليه السلام يده على اعينهم وعلى ايديهم فجفت لن يصلوا اليك اي
بمكروه فاسر باهلك قرئ فاسر بوصل الالف وقطعها لغتان فصيحتان قال الله تعالى والليل
اذا يسر وقال سبحان الذي اسرى وقال النابغة فجمع بين اللغتين امرت عليه من الجوزا
سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد وقال اخر الاحي النضور دبت الخدن امرت عليه ولم
تكن تسري وقد قيل فاسر بالقطع اذا سار من اول الليل وسرى اذا سار من اخره ولا يقال في
النهار الا سار قال لبيد اذا المرء اسرى ليله ظن انه قضى عملا والمرء ما عاش عامل
وقال عبد الله بن رواحة عند الصباح يحمد القوم السرى وينجلي عنهم غيابات الكرى بقطع
من الليل قال ابن عباس بطايفة من الليل الضحاك ببقية من الليل قتادة بعد مضي صدر
من الليل الاخفش بعد جنح من الليل ابن العربي بساعة من الليل وقيل بظلمة من الليل وقيل
بعد هدء من الليل وقيل هزيع من الليل وكلها متقاربة وقيل انه نصف الليل ماخوذ من
قطعه نصفين ومنه قول الشاعر ونايحة تنوح بقطع ليل على رجل بقارعة الصعيد
فان قيل السرى لا يكون الا بالليل فما معنى بقطع من الليل فالجواب انه لو لم يقل
بقطع من الليل جاز ان يكون اوله ولا يلتفت منكم احد قاله مجاهد ابن عباس لا يتخلف
منكم احد علي بن عيسى لا يشتغل منكم احد بما يخلفه من مال او متاع الا امراتك بالنصب وهي
القراءة البينة الواضحة المعنى فاسر باهلك الا امراتك وكذا في قراءة ابن مسعود باسر
باهلك الا امراتك فهو استثناء من الاهل وعلى هذا لم يخرج بها معه وقد قال تعالى
كانت من الغابرين اي من الباقين وقرا ابو عمرو وابن كثير الا امراتك بالرفع على البدل
من احد وانكر هذه جماعة القراء منهم ابو عبيد وقال لا يصح ذلك الا برفع يلتفت ويكون
نفيا لان المعنى يصير اذا ابدلت وجزمت ان المراة ابيح لها الالتفات وليس المعنى كذلك
قال النحاس وهذا الحمل من ابي عبيد وغيره على مثل ابي عمرو مع جلالته ومحله من العربية
لا يجب ان يكون والرفع على البدل له معنى صحيح والتاويل له على ما حكى محمد بن الوليد
عن محمد بن يزيد ان يقول الرجل لحاجبه لا تخرج فلانا فلفظ النهي لفلان ومعناه للمخاطب
اي لا تدعه يخرج ومثله قولك لا يقم احد الا زيد يكون معناه انههم عن القيام الا زيدا
وكذا النهي للوط ولفظه لغيره كانه قال انههم لا يلتفت منهم احد الا امراتك ويجوز ان يكون
استثناء من النهي عن الالتفات لانه كلام تام اي لا يلتفت منهم احد الا امراتك فانها تلتفت
وتهلك وان لوطا خرج بها وهي معه ممن امر بهم ان لا يلتفت فلم يلتفت منهم احد سوى

زوجته فانها لما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت واقوماه فادركها حجر فقتلها انه مصيبها اي
من العذاب والكناية في انه يرجع الى الامر والشان والقصة مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح لما
قالت الملائكة انا مهلكوا اهل هذه القرية قال لوط الان الان استعجلهم بالعذاب لغيظه على
قومه فقالوا اليس الصبح بقريب وقرا عيسى بن عمر اليس الصبح بضم الباء وهي لغة ويحتمل ان يكون جعل
الصبح ميقاتا لهلاكهم لان النفوس فيه اودع والناس فيه اجمع وقال بعض اهل التفسير ان لوطا خرج
بابنتيه ليس معه غيرهما عند طلوع الفجر وان الملائكة قالت له ان الله قد وكل بهذه القرية ملائكة
معهم صوت رعد وخطف برق وصواعق عظيمة وقد ذكرنا لهم ان لوطا سيخرج فلا تؤذوه وامارته
ان لا يلتفت ولا تلتفت ابنتاه فلا يهولنك ما ترى فخرج لوط وطوى الله له الارض في وقته حتى
نجا ووصل الى ابراهيم قوله تعالى فلما جاء امرنا اي عذابنا جعلنا عاليها سافلها وذلك ان جبريل
عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى قوم لوط وهي خمس سدوم وهي القرية العظمى وعامورا وزادوما
وصعوه وقيم فرفعها من تخوم الارض حتى ادناها من السماء بما فيها حتى سمع اهل السماء نهيق حمرهم وصياح
ديكتهم لم تنكفئ لهم جرة ولم ينكسر لهم اناء ثم نكسوا على رؤسهم واتبعهم الله الحجارة مقاتل اهلكت اربعة
ونجت صعو وقيل غير هما والله اعلم قوله تعالى وامطرنا عليها حجارة من سجيل دليل على ان من فعل
فعلهم حكمه الرجم وقد تقدم في الاعراف وفي التفسير امطرنا في العذاب ومطرنا في الرحمة واما كلام العرب
فيقال مطرت السماء وامطرت حكاه الهروي واختلف في السجيل فقال النحاس السجيل الشديد
الكثير سجيل وسجين اللام والنون اختان وقال ابو عبيدة السجيل الشديد وانشد ضربا تواصى
به الابطال سجينا النحاس ورد عليه هذا القول عبد الله بن مسلم وقال هذا سجين وذلك سجيل
فكيف يستشهد به قال النحاس وهذا الرد لا يلزم لان ابا عبيدة ذهب الى ان اللام بدل من النون
لقرب احداهما من الاخرى وقول ابي عبيدة يرد من جهة اخرى وهي انه لو كان على قوله لكان
حجارة سجيلا لانه لا يقال حجارة من شديد لان شديدا نعت وحكى ابو عبيد عن الفراء انه
قد يقال للحجارة الارحاء سجيل وحكي عنه محمد بن الجهم ان سجيلا طين يطبخ حتى يصير بمنزلة الارحاء
وقالت طائفة منهم ابن عباس وسعيد بن جبير وابن اسحق ان سجيلا لفظة غير عربية عرب اصلها
سنج وجيل ويقال سنك وكيل بالكاف موضع الجيم وهما بالفارسية حجر وطين عربتهما العرب فجعلتهما
اسما واحدا وقيل هو من لغة العرب وقال قتادة وعكرمة السجيل الطين بدليل قوله لنرسل
عليهم حجارة من طين وقال الحسن كان اصل الحجارة طينا فشددت والسجيل عند العرب كل
شديد صلب وقال الضحاك يعني الاجر وقال ابن زيد طين طبخ حتى صار كالاجر وعنه ان
سجيلا اسم السماء الدنيا ذكره الهروي وحكاه الثعلبي عن ابي العالية وقال ابن عطية وهذا
ضعيف يرده وصفه بمنضود وعن عكرمة انه بحر معلق في الهوى بين السماء والارض نزلت منه
الحجارة وقيل هي جبال في السماء وهي التي اشار الله تعالى اليها في قوله وينزل من السماء من
جبال فيها من برد وقيل هو مما سجل لهم اي كتب لهم فهو في معنى سجين قال الله تعالى وما
ادريك ما سجين كتاب مرقوم قاله الزجاج واختاره وقيل هو فعيل من اسجلته اي ارسلته
فكانها مرسلة عليهم وقيل هو من اسجلته اذا اعطيته فكانه عذاب اعطوه قال من يساجلني
يساجل ماجدا يملا الدلو الى عقد الكرب وقال اهل المعاني السجيل والسجين الشديد من
الحجر والضرب قال ابن مقبل ورجلة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصى به الابطال
سجينا منضود قال ابن عباس متتابع وقال قتادة بعضها فوق بعض وقال الربيع نضيد

بعضه على بعض حتى صار جسدا واحدا وقال عكرمة مصفوفة وقال بعضهم مرصوص والمعنى متقارب
يقال نضدت المتاع واللبن اذا جعلت بعضه على بعض فهو منضود ونضيد ونضد قال
ورفعته الى السجفين فالنضد وقال ابو بكر الهذلى معد اي هو مما اعده الله لاعدائه الظلمة
مسومة اي معلمة من السيما وهي العلامة اي كان عليها امثال الخواتيم وقيل مكتوب على كل حجر اسم
من رمى به وكانت لا تشاكل حجارة الارض وقال الفراء زعموا انها كانت مخططة بحمرة وسواد
في بياض فذلك تسويمها وقال كعب كانت معلمة ببياض وحمرة قال الشاعر رماها الله بالجن
يا ضغا له سيما لا تشق على البصر ومسومة من نعت حجارة ومنضود من نعت سجيل وفي قوله
عند ربك دليل على انها ليست من حجارة الارض قاله الحسن وما هي من الظالمين ببعيد يعني
قوم لوط اي لم تكن تخطيهم وقال مجاهد يرهب قريشا المعنى ما الحجارة من ظالمي قومك يا محمد
ببعيد وقال قتادة وعكرمة يعني ظالمي هذه الامة والله ما اجار الله منها ظالما بعد وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون في اخر امتي قوم يكتفي رجالهم بالرجال والنساء بالنساء فاذا
كان ذلك فارتقبوا عذاب قوم لوط ان يرسل الله حجارة من سجيل ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما هي من الظالمين ببعيد وفي رواية عنه عليه الصلاة لا تذهب الليالي والايام حتى تستحل هذه
الامة ادبار الرجال كما استحلوا ادبار النساء فتصيب طوايف من هذه الامة حجارة من ربك
وقيل المعنى ما هذه القرى من الظالمين ببعيد وهي بين الشام والمدينة وجاء ببعيد مذكرا
على معنى بمكان بعيد وفي الحجارة التي امطرت قولان احدهما انها امطرت على المدن حين رفعها
الثاني انها امطرت على من لم يكن في المدن منها وكان خارجا عنها انتهى قوله تعالى والى
مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال
والميزان اني اريكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال والميزان
بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقيت الله خير
لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك
ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارايتم
ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب
ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما
قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود قالوا يا شعيب
ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت
علينا بعزيز قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي
بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب
يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين
امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان
لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود قوله والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا الى مدين
ومدين هم قوم شعيب وفي تسميتهم بذلك قولان احدهما انهم بنو مدين بن ابراهيم فقيل مدين والمراد
بنو مدين كما يقال مضر والمراد بنو مضر الثاني انه اسم مدينتهم فنسبوا اليها قال النحاس لا ينصرف
مدين لانها اسم مدينة وقد تقدم في الاعراف هذا المعنى وزيادة قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم

من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان كانوا مع كفرهم اهل بخس وتطفيف كان اذا جاءهم البايع بالطعام
اخذوا بكيل زايد واستوفوا بغاية ما يقدرون وظلموا وان جاءهم مشتر للطعام باعوه بكيل ناقص
وبخسوا له بغاية ما يقدرون فامروا بالايمان اقلاعا عن الشرك وبالوفا نهيا عن التطفيف اني اراكم
بخير اي في سعة من الرزق وكثرة من النعم وقال الحسن كان سعرهم رخصا واني اخاف عليكم عذاب
يوم محيط وصف اليوم بالاحاطة واراد وصف ذلك اليوم بالاحاطة بهم فان يوم العذاب
اذا احاط بهم فقد احاط العذاب بهم وهو كقولك يوم شديد اي شديد حره واختلف في ذلك
العذاب فقيل هو عذاب النار في الاخرة وقيل هو عذاب الاستيصال في الدنيا وقيل غلاء السعر
وروي معناه عن ابن عباس وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ما اظهر قوم البخس في المكيال
والميزان الا ابتلاهم الله بالقحط والغلاء وقد تقدم انتهى قوله تعالى ويا قوم اوفوا المكيال والميزان
بالقسط امر بالايفا بعد ان نهى عن التطفيف تاكيدا والايفا الاتمام بالقسط اي بالعدل والحق
والمقصود ان يصل كل ذي نصيب الى نصيبه وليس من مرتد ايفاء المكيل والموزون لانه لم يقل
اوفوا بالكيال وبالميزان بل اراد لا تنقصوا حجم المكيال عن المعهود وكذا الصنجات ولا تبخسوا الناس
اشياءهم اي لا تنقصوهم مما استحقوه شيئا ولا تعثوا في الارض مفسدين بين ان الخيانة في المكيال
والميزان مبالغة في الفساد في الارض وقد مضى في الاعراف زيادة لهذا والحمد لله قوله تعالى
بقيت الله خير لكم اي ما يبقيه الله لكم بعد ايفاء الحقوق بالقسط اكثر بركة واحمد عاقبة مما
تبقونه انتم لانفسكم من فضل التطفيف بالتجبر والظلم قال معناه الطبري وغيره وقال مجاهد
بقيت الله خير لكم يريد طاعته وقال الربيع وصية الله وقال الفراء مراقبة الله ابن زيد
رحمة الله قتادة والحسن حظكم من ربكم خير لكم وقال ابن عباس رزق الله خير لكم ان كنتم
مؤمنين شرط هذا لانهم انما يعرفون صحة هذا اذا كانوا مؤمنين وقيل يحتمل انهم كانوا يعترفون
بان الله خالقهم فخاطبهم بهذا وما انا عليكم بحفيظ اي رقيب ارقبكم عند كيلكم ووزنكم اي
لا يمكنني شهود معاملة تصدر منكم حتى اواخذكم بايفاء الحق وقيل اي لا يتهيا لي ان احفظكم من
ازالة نعم الله عنكم بمعاصيكم قوله تعالى قالوا يا شعيب اصلواتك وقرى اصلاتك من غير جمع
تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا ان في موضع نصب وقال الكسائي موضعها خفض على اضمار
الباء وروي ان شعيبا عليه السلام كان كثير الصلاة مواظبا للعبادة فرضها ونفلها ويقول
الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فلما امرهم ونهاهم عيروه بما راوه يستمر عليه من كثرة الصلاة
واستهزؤا به قالوا ما اخبر الله عنهم وقيل ان الصلاة هنا بمعنى القراءة قاله سفيان عن الاعمش
اي قراءتك تامرك ودل بهذا على انهم كانوا كفارا وقال الحسن لم يبعث الله نبيا الا فرض
عليه الصلاة والزكاة او ان نفعل في اموالنا ما نشاء زعم الفراء ان التقدير او تنهانا ان نفعل
في اموالنا ما نشاء وقرا السلمي والضحاك بن قيس او ان تفعل في اموالنا ما تشاء والمعنى ما تشاء
انت يا شعيب وقال النحاس او ان على هذه القراءة معطوفة على ان الاولى وروي عن زيد بن
اسلم انه قال كان مما نهاهم عنه حذف الدراهم وقيل المعنى او ان نفعل في اموالنا ما نشاء اذا
تراضينا فيما بيننا بالبخس فلم تمنعنا منه انك لانت الحليم الرشيد يعنون عند نفسك بزعمك
ومثله في صفة ابي جهل ذق انك انت العزيز الكريم اي عند نفسك بزعمك وقيل قالوه
على وجه الاستهزاء والسخرية قاله قتادة ومنه قولهم للحبشي ابو البيضا وللابيض ومنه
الجون ومنه قول خزنة جهنم لابي جهل ذق انك انت العزيز الكريم وقال سفيان بن عيينة

العرب تصف الشيء بضده للطير والتفاول كما قيل اللديغ سليم وللفلاة مفازة وقيل هو تعريض اراد دوا
السب واحسن من هذا كله ويدل ما قبله على صحته اي انت الحليم الرشيد حقا فكيف تامرنا
ان نترك ما يعبد اباؤنا ويدل عليه اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا انكروا لما راوا
من كثرة صلواته وعبادته وانه حليم رشيد بان يكون يامرهم بترك ما يعبد اباؤهم وبعده ايضا
ما يدل عليه قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا اي افلا انهاكم
عن الضلال وهذا كله يدل على انهم قالوه على وجه الحقيقة وانه اعتقادهم فيه ويشبه هذا
للمعنى قول اليهود من بني قريظة للنبي صلى الله عليه وسلم حين قال لهم يا اخوة القردة فقالوا يا محمد
ما علمناك جهولا مسئلة قال اهل التفسير كان مما نهاهم عنه وعذبوا لاجله قطع الدنانير
والدراهم كانوا يقرضون من اطراف الصحاح لتفضل القراضة وكانوا يتعاملون على الصحاح عددا
وعلى المقروضة وزنا وكانوا يبخسون في الوزن وقال ابن وهب قال مالك كانوا يكسرون
الدراهم والدنانير وكذلك قال جماعة من المفسرين المتقدمين كسعيد بن المسيب وزيد
ابن اسلم وغيرهما وكسرها ذنب عظيم وفي كتاب ابي داود عن علقمة بن عبد الله عن ابيه قال
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكسر سكة المسلمين الجايزة بينهم الا من باس فانها اذا
كانت صحاحا قام معناها وظهرت فايدتها واذا كسرت صارت سلعة وبطلت منها الفائدة
فاضر ذلك بالناس ولذلك حرم وقد قيل في تاويل قوله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط
يفسدون في الارض ولا يصلحون انهم كانوا يكسرون الدراهم قاله زيد بن اسلم قال ابو عمر
بن عبد البر زعموا انه لم يكن بالمدينة اعلم بتاويل القران من زيد بن اسلم بعد محمد بن كعب
القرظي مسئلة قال اصبغ قال عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة مولى زيد بن الحارث
العتقي من كسرها لم تقبل شهادته وان اعتذر بالجهالة لم يعذر وليس هذا موضع عذر
قال ابن العربي اما قوله لم تقبل شهادته فلانه اتى كبيرة والكباير تسقط العدالة دون
الصغاير واما قوله لا يعذر بالجهالة في هذا فلانه امر بين لا يخفى على احد وانما يقبل العذر
اذا ظهر الصدق فيه او خفي وجه الصدق فيه وكان الله اعلم به من العبد كما قال مالك
مسئلة اذا كان هذا معصية وفسادا ترد به الشهادة فانه يعاقب من فعل ذلك ومر ابن
المسيب برجل قد جلد فقال ما هذا قال رجل يقطع الدراهم والدنانير قال ابن المسيب هذا من
الفساد في الارض ولم ينكر جلده ونحوه عن سفيان وقال ابو عبد الرحمن التجيبي كنت قاعدا
عند عمر بن عبد العزيز وهو اذ ذاك امير المدينة فاتي برجل يقطع الدراهم وقد شهد
عليه فضربه وحلقه وامر فطيف به وامره ان يقول هذا جزاء من يقطع الدراهم ثم
امر ان يرد اليه فقال له انه لم يمنعني ان اقطع يدك الا اني لم اكن تقدمت في ذلك
قبل اليوم وقد تقدمت في ذلك فمن شاء فليقطع قال القاضي ابو بكر بن العربي اما ادبه
بالسوط فلا كلام فيه واما حلقه فقد فعله عمر وقد كنت ايام الحكم بين الناس اضرب
واحلق وانما كنت افعل ذلك بمن يرى شعره عونا له على المعصية وطريقا الى التجمل فان
قيل الفساد وهذا هو الواجب في كل طريق للمعصية ان يقطع اذا كان غير مؤثر في البدن
واما قطع يده فانما اخذ ذلك عمر من فصل السرقة وذلك ان قرض الدراهم غير كسرها فان
الكسر افساد الوصف والقرض تنقيص للقدر فهو اخذ مال على جهة الاختفاء فان قيل اليس
للحرز اصلا في القطع قيل يحتمل ان يكون عمر يرى ان تهيئتها للفصل بين الخلق دينارا او درهما

حرز لها وحرز كل شيء على قدر حاله وقد انفذ ذلك ابن الزبير وقطع يد رجل في قطع الدنانير
والدراهم وقد قال علماؤنا المالكية ان الدنانير والدراهم خواتيم الله عليها اسمه ولو قطع يد رجل
على قول اهل التاويل من كسر خاتما لله كان اهلا لذلك اذ من كسر خاتم سلطان عليه اسمه ادب وخاتم
الله يقضي الحوايج فلا يستويان في العقوبة قال ابن العربي وارى ان يقطع في قرضها دون كسرها وقد
كنت افعل ذلك ايام توليتي الا اني كنت محفوفا بالجهال فلم اجب بسبب المقال للحسد والضلال
فمن قدر عليه يوما من اهل الحق فليفعله احتسابا لله قوله تعالى قال يا قوم ارايت ان كنت على
بينة من ربي تقدم ورزقني منه رزقا حسنا اي واسعا حلالا وكان شعيب عليه السلام كثير
المال قاله ابن عباس وغيره وقيل اراد به الهدى والتوفيق والعلم والمعرفة وفي الكلام حذف
وهو ما ذكرناه اي افلا انهاكم عن الضلال وقيل المعنى ارايتم ان كنت على بينة من ربي اتبع الضلال
وقيل المعنى ان كنت على بينة من ربي اتامرونني بالعصيان في البخس والتطفيف وقد اغناني
الله وما اريد ان اخالفكم في موضع نصب باريد الى ما انهاكم عنه اي ليس انهاكم عن شيء واتيه
كما لا اترك ما امرتكم به ان اريد الا الاصلاح ما استطعت اي ما اريد الا فعل الصلاح ان تصلحوا
دنياكم بالعدل واخرتكم بالعبادة وقال ما استطعت لان الاستطاعة من شروط الفعل دون
الارادة وما مصدرية اي ان اريد الا الاصلاح جهدي واستطاعتي وما توفيقي الا بالله اي
رشدي والتوفيق الرشد الا بالله عليه توكلت اي اعتمدت واليه انيب اي ارجع فيما ينزل من
جميع النوايب وقيل ارجع اليه في الاخرة وقيل ان الانابة الدعاء ومعناه وله ادعو قوله تعالى
ويا قوم لا يجرمنكم وقرا يحيى بن وثاب يجرمنكم شقاقي في موضع رفع ان يصيبكم في موضع نصب
اي لا يحملنكم معاداتي على ترك الايمان فيصيبكم ما اصاب الكفار قبلكم قاله الحسن وقتادة
وقيل لا يكسبنكم شقاقي في اصابتكم العذاب كما اصاب من كان قبلكم قاله الزجاج وقد تقدم
معنى يجرمنكم في المائدة والشقاق في البقرة وهو هنا بمعنى العداوة قاله السدي ومنه قول
الاخطل الا ابلغ عني رسولا فكيف وجدتم طعم الشقاق وقال الحسن اضراري وقال قتادة
فراقي وما قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا حديثي عهد بهلاك قوم لوط وقيل وما
ديارهم منكم ببعيد اي بمكان بعيد فلذلك وحد البعيد قال الكسائي اي دورهم في دوركم
قوله تعالى واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود اسمان من اسمائه تعالى
وقد بينا هما في شرح الاسماء قال الجوهري وددت الرجل اوده ودا اذا احببته والودود
المحب والود والود والمودة المودة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر شعيبا
قال ذلك خطيب الانبياء قوله تعالى قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول اي ما نفهم لانك
تحملنا على امور غايبة من البعث والنشور وتعظنا بما عهد لنا بمثله وقيل قالوا ذلك اعراضا
عن سماعه واحتقارا لكلامه يقال فقه يفقه اذا فهم فقها وفقها وحكى الكسائي فقها نا
وفقه فقها اذا صار فقيها وانا لنريك فينا ضعيفا قيل انه كان مصابا ببصره قاله سعيد
بن جبير وقتادة وقيل كان ضعيف البصر قاله الثوري وحكى عنه النحاس مثل قول سعيد
بن جبير وقتادة قال النحاس وحكى اهل اللغة ان حمير تقول للاعمى ضعيف اي قد ضعف بذهاب
بصره كما يقال له ضرير اي قد ضر بذهاب بصره كما يقال له مكفوف اي قد كف عن النظر بذهاب
بصره الحسن معناه مهين وقيل المعنى ضعيف البدن حكاه علي بن عيسى وقال السدي وحيدا
ليس لك جند ولا اعوان تقدر بهم على مخالفتنا وقيل قليل المعرفة بمصالح الدنيا وسياسة اهلها

وضعيفا نصب على الحال ولولا رهطك رفع بالابتداء ورهط الرجل عشيرته الذي يستند اليهم ويتقوى بهم ومنه الراهط لجحر اليربوع لانه يتوثق به ويخبا فيه ولده ومعناه لرجمناك لقتلناك بالرجم وكانوا اذا قتلوا انسانا رجموه بالحجارة وكان رهطه من اهل ملتهم وقيل معنى لرجمناك لشتمناك ومنه قال الجعدي تراجمنا بمر القول حتى نصير كاننا فرسا رهان والرجم ايضا اللعن ومنه الشيطان الرجيم وما انت علينا بعزيز اي ما انت علينا بغالب ولا قاهر ولا ممتنع قوله تعالى قال يا قوم ارهطي رفع بالابتدا والمعنى ارهطي في قلوبكم اعز عليكم من الله واعظم واجل وهو يملككم واتخذتموه وراءكم ظهريا واستغنتم من قبلي مخافة قومي يقال جعلت امره بظهر اذا قصرت فيه وقد مضى في البقرة ان ربي بما تعملون اي من الكفر والمعصية محيط اي عليم وقيل حفيظ قوله تعالى ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون تهديد ووعيد وقد تقدم في الانعام من ياتيه عذاب يخزيه اي يهلكه ومن في موضع نصب مثل يعلم المفسد من المصلح ومن هو كاذب عطف عليها وقيل سوف تعلمون من هو كاذب منا وقيل في محل رفع تقديره يخزى من هو كاذب وقيل تقديره ومن هو كاذب فسيعلم كذبه ويذوق وبال امره وزعم الفرا انهم انما جاؤا بهو في ومن هو كاذب لانهم يقولون من قايم انما يقولون من قام ومن يقوم ومن القايم فزادوا هو ليكون جملة يقوم مقام فعل ويفعل قال النحاس ويدل على خلاف هذا قوله من رسول الى الثريا باني ضعفت دعها بهجرها والكتاب وارتقبوا اني معكم رقيب اي انتظروا العذاب والسخطة فاني منتظر النصر والرحمة قوله تعالى ولما جاء امرنا قيل صاح بهم جبريل صيحة فخرجت ارواحهم من اجسادهم نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل وانث الفعل على لفظ الصيحة وقال في قصة صالح واخذ الذين ظلموا الصيحة فذكر على معنى الصياح قال ابن عباس ما اهلك الله امتين بعذاب واحد الا قوم صالح وقوم شعيب اهلكهم الله بالصيحة غير ان قوم صالح اخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب اخذتهم الصيحة من فوقهم فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود تقدم معناه وحكى الكسائي ان ابا عبد الرحمن السلمي قرء كما بعدت بضم العين قال النحاس المعروف في اللغة انما يقال بعد يبعد بعدا وبعدا اذا هلك وقال المهدوي من ضم العين من بعدت فهي لغة تستعمل في الخير والشر ومصدرها البعد وبعدت تستعمل في الشر خاصة يقال بعد يبعد بعدا فالبعد على قراءة الجماعة بمعنى اللعنة وقد يجتمع معنى اللغتين لتقاربهما في المعنى فيكون مما جاء مصدره على غير لفظه لتقارب المعنى انتهى قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة بئس الرفد المرفود ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك في مرية مما

فاوردهم النار و

يعبد

يعبد هولاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص قوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا بين انه اتبع النبي النبي لاقامة الحجة وازاحة كل علة باياتنا اي بالتورية وقيل بالمعجزات وسلطان مبين اي حجة بينة يعني العصا وقد مضى في ال عمران معنى السلطان واشتقاقه والمعنى للاعادة الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون اي شانه وحاله حتى اتخذوه الها وخالفوا امر الله وما امر فرعون برشيد يودي الى صواب وقيل برشيد اي بمرشد الى خير قوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة يعني انه يتقدمهم الى النار اذ هو رئيسهم يقال قدمهم يقدمهم قدما وقدوما اذا تقدمهم فاوردهم النار اي ادخلهم فيها ذكر بلفظ الماضي والمعنى فيوردهم النار وما تحقق وجوده فكانه كاين فهذا يعبر عن المستقبل بالماضي وبئس الورد المورود اي بئس المدخل المدخول ولم يقل بئست لان الكلام يرجع الى الورد كما تقول نعم المنزل دارك ونعمت المنزل دارك والورد الذي يورد الموضع الذي يورد وهو بمعنى المفعول قوله تعالى واتبعوا في هذه لعنة اي في الدنيا ويوم القيمة اي ولعنة يوم القيمة وقد تقدم هذا المعنى بئس الرفد حكى النسائي وابو عبيدة رفدته ارفده رفدا اي اعنته واعطيته واسم العطية الرفد اي بئس العطا والاعانة والرفد ايضا القدح الضخم قاله الجوهري والتقدير بئس الرفد رفد المرفود وذكر الماوردي ان الرفد بفتح الراء القدح والرفد بكسرها ما في القدح من الشراب حكى ذلك عن الاصمعي فكانه ذم ما يسقونه في النار وقيل ان الرفد الزيادة اي بئس ما يرفدون به بعد الغرق النار قاله الكلبي قوله تعالى ذلك من انباء القرى نقصه عليك ذلك رفع على اضمار مبتدا اي الامر ذلك وان شئت بالابتدا والمعنى ذلك النبا المتقدم من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد قال قتادة القايم ما كان قايما على عروشه والحصيد ما لا اثر له وقيل القايم العامر والحصيد الخراب قاله ابن عباس وقال مجاهد قايم خاوية على عروشها وحصيد مستاصل يعني محصودا كالزرع اذا حصد وقال الشاعر والناس في قسم المنية بينهم كالزرع منه قايم وحصيد وقال اخر انما نحن مثل خامة زرع متى يان يات محتصده وقال الاخفش حصيد اي محصود وجمعه حصدى وحصاد مثل مرضى ومراض قال يكون فيمن يعقل مثل قتيل وقتلى وما ظلمناهم اصل الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه وقد تقدم في البقرة مستوفى ولكن ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي وحكى سيبويه انه يقال ظلم اياه فما اغنت اي دفعت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء في الكلام حذف اي التي كانوا يعبدون لما جاء امر ربك اي وما زادوهم غير تتبيب اي غير تخسير قاله مجاهد وقتادة وقال لبيد فلقد بكيت وكل صاحب جدة لبلى يعود وذاك التتبيب والتباب الهلاك والخسران وفيه اضمار اي ما زادتهم عبادة الاصنام فحذف المضاف اي كانت عبادتهم اياها قد خسرتهم ثواب الاخرة قوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة اي كما اخذ هذه القرى التي كانت لنوح وعاد وثمود ياخذ جميع القرى الظالمة وقرا الجحدري وطلحة بن مصرف وكذلك اخذ ربك اذ اخذ القرى وعن الجحدري ايضا وكذلك اخذ ربك كالجماعة اذا اخذ القرى قال المهدوي من قرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ فهو اخبار عما جرت به العادة في اهلاك من تقدم من الامم والمعنى وكذلك اخذ ربك من اخذه من الامم المهلكة اذ اخذهم وقراءة الجماعة على انه مصدر والمعنى وكذلك اخذ ربك من اراد اهلاكه متى اخذه فاذ للماضي اي حين اخذ القرى واذا للمستقبل وهي ظالمة اي واهلها ظالمون فحذف المضاف مثل واسئل القرية

ان اخذه اليم شديد اي عقوبته لاهل الشرك موجعة غليظة وفي صحيح مسلم والترمذي من حديث
ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته
ثم قرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى الاية قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب قوله
تعالى ان في ذلك لاية اي لعبرة وموعظة لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم ابتدا وخبر مجموع
نعته له الناس اسم ما لم يسم فاعله ولهذا لم يقل مجموعون فان قدرت ارتفاع الناس بالابتدا
والخبر مجموع له فانما لم يقل مجموعون على هذا التقدير لان له يقوم مقام الفاعل والجمع الحشر
اي يحشرون لذلك اليوم وذلك يوم مشهود اي يشهده البر والفاجر ويشهده اهل السماء وقد
ذكرنا هذين الاسمين مع غيرهما من اسماء القيمة في كتاب التذكرة وبيناهما قوله تعالى وما نوخره
اي ما نوخر ذلك اليوم الا لاجل معدود اي لاجل سبق به قضاونا وهو معدود عندنا يوم يات
وقرئ يوم يات لان الياء تحذف اذا كان قبلها كسرة كقول لا ادري ذكره القشيري قال النحاس
قراءة اهل المدينة وابي عمرو والكسائي باثبات الياء في الادراج وحذفها في الوقف وروي
ان أُبيًّا وابن مسعود قرا يوم ياتي بالياء في الوقف والوصل وقرا الاعمش وحمزة يوم يات بغير
ياء في الوقف والوصل قال ابو جعفر النحاس الوجه في هذا ان لا يوقف عليه بغير ياء ففيه قول الكسائي
قال لان الفعل السالم يوقف عليه كالمجزوم فحذف الياء كما تحذف الضمة واما قراءة حمزة فقد
احتج ابو عبيد بحذف الياء في الوصل والوقف بحجتين احداهما انه زعم انه راه في الامام الذي
يقال انه مصحف عثمان رضي الله عنه بغير ياء والحجة الاخرى انه حكى انها لغة هذيل تقول ما
ادر قال النحاس اما حجته بمصحف عثمان رحمه الله فشي يرده عليه اكثر العلماء قال مالك بن
انس سالت عن مصحف عثمان رضي الله عنه فقيل لي ذهب واما حجته بقولهم ما ادر فلا حجة
فيه لان هذا الحرف قد حكاه النحويون القدماء وذكروا علته وانه لا يقاس عليه وانشد
الفراء في حذف الياء كفاك كف ما تليق درهما جودا واخرى تعط بالسيف الدما اي تعطي وقد
حكى سيبويه والخليل ان العرب تقول لا ادر فتحذف الياء وتجتزي بالكسر الا انهم يزعمون
ان ذلك لكثرة الاستعمال قال الزجاج والاجود في النحو اثبات الياء قال والذي اراه اتباع
المصحف واجماع القرا لان القراءة سنة وقد جاء مثله في كلام العرب لا تكلم نفس الا باذنه
الاصل تتكلم حذفت احدى التائين تخفيفا وفيه اضمار اي لا تتكلم فيه نفس الا بالماذون فيه
من حسن الكلام لانهم ملجوون الى ترك القبيح وقيل لا تكلم بحجة ولا شفاعة الا باذنه وقيل
ان لهم في الموقف وقتا يمنعون فيه من الكلام الا باذنه وهذه الاية اكثر ما يسال عنها
اهل الالحاد في الدين فيقول لم قال لا تكلم نفس الا باذنه وهذا يوم لا ينطقون ولا يوذن
لهم فيعتذرون وقال في موضع من ذكر القيمة واقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقال يوم تاتي
كل نفس تجادل عن نفسها وقال وقفوهم انهم مسولون وقال تعالى فيومئذ لا يسال عن
ذنبه انس ولا جان فالجواب ما ذكرناه وانهم لا ينطقون بحجة تجب لهم وانما يتكلمون بالاقرار
بذنوبهم ولوم بعضهم بعضا وطرح بعضهم الذنوب على بعض فاما التكلم والنطق بحجة لهم
فلا وهذا كما تقول للذي يخاطبك كثيرا وخطابه فارغ عن الحجة ما تكلمت بشي وما نطقت
بشي فسمي من يتكلم بلا حجة فيه له غير متكلم وقال قوم ذلك اليوم طويل وله مواطن ومواقف
في بعضها يمنعون من الكلام وفي بعضها يطلق لهم الكلام فهذا يدل على انه لا تكلم الا باذنه فمنهم
شقي وسعيد اي من الانفس ومن الناس وقد ذكرهم في قوله يوم مجموع له الناس والشقي

الذي كتب عليه الشقاوة والسعيد الذي كتب عليه السعادة قال لبيد فمنهم سعيد اخذ بنصيبه ومنهم
شقي بالمعيشة قانع وروى الترمذي عن ابن عمر بن الخطاب قال لما نزلت هذه الاية فمنهم شقي وسعيد
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله فعلى ما نعمل على شي قد فرغ منه وجرت به الاقلام
يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه الا من حديث
عبد الملك بن عمرو وقد تقدم في الاعراف قوله تعالى فاما الذين شقوا ابتدا ففي النار في موضع الخبر
وكذا لهم فيها زفير وشهيق قال ابو العالية الزفير من الصدر والشهيق من الحلق وعنه ايضا ضد
ذلك وقال الزجاج الزفير من شدة الانين والشهيق من الانين المرتفع جدا قال وزعم اهل
اللغة من البصريين والكوفيين ان الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمير من النهيق والشهيق بمنزلة
صوت الحمار في النهيق وقال ابن عباس عكسه قال الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف
وقال الضحاك ومقاتل الزفير مثل اول نهيق الحمار والشهيق مثل اخره حين يفرغ من صوته قال الشاعر
حشرج في الجوف صهيلا او شهيق حتى يقال ناهق وما نهق وقيل الزفير اخراج النفس وهو ان يمتلي
الجوف غما فيخرجه بالنفس والشهيق رد النفس وقيل الزفير ترديد النفس من شدة الحزن ماخوذ
من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدته والشهيق النفس الطويل الممتد ماخوذ من قولهم جبل شاهق اي
طويل والزفير والشهيق من اصوات المحزونين قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض
ما دامت في موضع نصب على الظرف اي دوام السموات والارض والتقدير وقت ذلك واختلف
في تاويل ذلك فقالت طايفة منهم الضحاك المعنى ما دامت سموات الجنة والنار وارضهما والسماء كل
ما علاك فاظلك والارض ما استقر عليه قدمك وفي التنزيل واورثنا الارض نتبوأ من
الجنة حيث نشاء وقيل اراد به السماء والارض المعهودتين في الدنيا واجرى ذلك على عادة
العرب في الاخبار عن دوام الشي وتابيده كقولهم لا اتيك ما جن ليل او سال سايل وما اختلف
الليل والنهار وما ناح الحمام وما دامت السموات والارض ونحو هذا مما يريدون به طولا من غير نهاية
فافهمهم الله تخليد الكفرة بذلك وان كان قد اخبر بزوال السموات والارض وعن ابن عباس
ان جميع الاشياء المخلوقة اصلها من نور العرش فان السموات والارض في الاخرة تردان الى النور
الذي اخذتا منه فهما دايمتان ابدا من نور العرش انتهى قوله تعالى الا ما شاء ربك في موضع
نصب لانه استثناء ليس من الاول وقد اختلف فيه على اقوال عشرة الاول انه استثناء من
قوله ففي النار كانه قال الا ما شاء ربك من تاخيرهم عن ذلك وهذا قول رواه ابو نضرة عن
ابي سعيد الخدري وجابر رضي الله عنهما وانما لم يقل من شاء لان المراد العدد لا الاشخاص كقوله
ما طاب لكم وعن ابي نضرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من شاء ان لا يدخلهم وان شقوا بالمعصية
الثاني ان الاستثناء انما هو للعصاة من المومنين في اخراجهم بعد مدة من النار وعلى هذا يكون قوله
فاما الذين شقوا عاما في الكفرة والعصاة ويكون الاستثناء من خالدين قاله قتادة والضحاك وابو
سنان وغيرهم وفي الصحيح من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل
ناس جهنم حتى اذا صاروا كالحممة اخرجوا منها وادخلوا الجنة فيقال هولاء الجهنميون وقد
تقدم هذا في النساء وغيرها الثالث ان الاستثناء من الزفير والشهيق اي لهم فيها زفير وشهيق
الا ما شاء ربك من انواع العذاب الذي لم يذكره وكذلك لاهل الجنة من النعيم ما ذكر وما لم
يذكر حكاه ابن الانباري الرابع قال ابن مسعود خالدين فيها ما دامت السموات والارض لا يموتون
فيها ولا يخرجون منها الا ما شاء ربك وهو ان يامر النار فتاكلهم وتفنيهم ثم يجدد خلقهم قلت

وهذا القول خاص بالكافر والاستثنا له في الاكل وتجديد الخلق الخامس ان الا بمعنى سوى كما تقول في الكلام ما بقي رجل الا زيد ولي عليك الف درهم الا الفان التي لي عليك قبل فالمعنى ما دامت السموات والارض سوى ما شاء ربك من الخلود السادس انه استثنا من الاخراج وهو لا يريد ان يخرجهم منها كما تقول في الكلام اردت ان افعل ذلك الا ان اشاء غيره وانت مقيم على ذلك الفعل فالمعنى انه ان شاء ان يخرجهم لاخرجهم ولكنه قد اعلمهم انهم خالدون فيها ذكر هذين القولين الزجاج عن اهل اللغة قال ولاهل المعاني قولان اخران فاحد القولين خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك من مقدار موقفهم على راس قبورهم والمحاسبة وقدر مكثهم في البرزخ والوقوف للحساب والقول الاخر وقوع الاستثنا في الزيادة والنعيم والعذاب وتقديره خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك من زيادة النعيم لاهل النعيم وزيادة العذاب لاهل الجحيم قلت فالاستثناء من الزيادة في الخلود على مدة كون السماء والارض المعهودتين في الدنيا واختاره الترمذي الحكيم ابو عبد الله محمد بن علي اي خالدين فيها مقدار دوام السموات والارض وذلك مدة العالم وللسماء والارض وقت يتغيران فيه وهو قوله يوم تبدل الارض غير الارض فخلق الله سبحانه الادميين وعاملهم واشترى منهم انفسهم واموالهم بالجنة وعلى ذلك بايعهم يوم الميثاق فمن وفى بذلك العهد فله الجنة ومن ذهب برقبته يخلد في النار بمقدار دوام السموات والارض فانما دامت السموات للمعاملة وكذلك اهل الجنة خلود في الجنة بمقدار ذلك فاذا تمت مدة المعاملة وقع الجميع في مشيئة الله تعالى قال الله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق فيخلد اهل الدارين بمقدار دوامهما وهو حق الربوبية بذلك المقدار من العظمة ثم اوجب لهم الابد في كلتا الدارين لحق الاحدية فمن لقيه موحدا لاحديته بقي في داره ابدا ومن لقيه مشركا باحديته الها بقي في السجن ابدا فاعلم الله العباد مقدار الخلود ثم قال الا ما شاء ربك من زيادة المدة التي يعجز القلوب عن ادراكها لانه لا غاية لها فاعتقاد دوام الخلود لهم في الدارين ابدا وقد قيل ان الا بمعنى الواو قاله الفراء وبعض اهل النظر وهو الثامن والمعنى وما شاء ربك من الزيادة في الخلود على مدة دوام السموات والارض في الدنيا وقد قيل في قوله تعالى الا الذين ظلموا اي ولا الذين ظلموا قال الشاعر وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان اي والفرقدان قال ابو محمد مكي وهذا قول بعيد عند البصريين ان تكون الا بمعنى الواو وقد مضى في البقرة بيانه وقيل معناه كما شاء ربك كقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف وهو التاسع والعاشر وهو ان قوله تعالى الا ما شاء ربك انما ذلك على طريق الاستثناء الذي ندب الشرع الى استعماله في كل كلام فهو على حد قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين فهو استثنا في واجب وهذا الاستثناء في حكم الشرط كذلك كان قال ان شاء الله فليس يوصف بمتصل ولا منقطع ويؤيده ويقويه قوله تعالى عطاء غير مجذوذ ونحوه عن ابي عبيدة قال تقدمت عزيمة المشيئة من الله عز وجل في خلود الفريقين في الدارين فوقع بلفظ الاستثنا والعزيمة قد تقدمت في الخلود قال وهذا مثل قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقد علم انهم يدخلون فيما يوجب الاستثناء في الموضعين جاز اذا المشيئة تقدمت في العزيمة في الخلود في الدارين والدخول في المسجد الحرام ونحوه عن الفراء وقول حادي عشر وهو ان الاشقيا هم السعداء والسعداء هم الاشقيا لا غيرهم والاستثناء في الموضعين راجع اليهم وبيانه ان ما بمعنى من استثناء الله عز وجل من

الداخلين في النار المخلدين فيها الذين يخرجون منها من امة محمد صلى الله عليه وسلم بما معهم من الايمان واستثنى من الداخلين في الجنة المخلدين فيها الذين يدخلون النار بذنوبهم قبل دخول الجنة ثم يخرجون منها الى الجنة وهم الذين وقع عليهم الاستثنا الثاني كانه قال تعالى فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان لا يخلده فيها وهم الخارجون منها من امة محمد صلى الله عليه وسلم بايمانهم وشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فهم بدخولهم النار يسمون الاشقيا وبدخولهم الجنة يسمون السعداء كما روى الضحاك عن ابن عباس اذ قال الذين سعدوا وشقوا بدخول النار قيل ثم سعدوا بالخروج منها ودخولهم الجنة وقرا الاعمش وحفص وحمزة والكسائي واما الذين سعدوا بضم السين وقال ابو عمرو والدليل على انه سعدوا ان الاول شقوا ولم يقل اشقوا قال النحاس ورايت علي بن سليمان يتعجب من قراءة الكسائي سعدوا مع علمه بالعربية ان كان هذا لحنا لا يجوز لانه انما يقال سعد فلان واسعده الله واسعد مثل امرض وانما احتج الكسائي بقولهم مسعود ولا حجة له فيه لانه يقال مكان مسعود فيه ثم يحذف فيه ويسمى به قال المهدوي ومن ضم السين من سعدوا فهو محمول على قولهم مسعود وهو شاذ قليل لانه لا يقال سعده الله انما يقال اسعده الله وقال الثعلبي سعدوا بضم السين اي رزقوا السعادة يقال سعد واسعد بمعنى واحد وقرا الباقون بفتح السين قياسا على شقوا واختاره ابو عبيد وابو حاتم وقال الجوهري والسعادة خلاف الشقاوة تقول منه سعد الرجل بالكسر فهو سعيد مثل سلم فهو سليم وسعد فهو مسعود ولا يقال مسعد وقال القشيري ابو نصر عبد الرحيم وقد ورد سعده الله فهو مسعود واسعده الله فهو مسعد فهو يقوي قول الكوفيين وقال سيبويه لا يقال سعد فلان كما يقال شقي فلان لانه مما لا يتعدى عطاء غير مجذوذ اي غير مقطوع من جذه يجذه اي قطعه قال النابغة يجذ السلوقي المضاعف نسجه ويوقد بالصفاح نار الحباحب قوله تعالى فلا تك في مرية جزم بالنهي وحذفت النون لكثرة الاستعمال في مرية اي في شك مما يعبد هؤلاء من الالهة انها باطل واحسن من هذا اي قل يا محمد لكل من شك لا تك في شك مما يعبد هؤلاء ان الله عز وجل ما امرهم به وانما يعبدونها كما كان اباؤهم يفعلون تقليدا لهم وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص فيه ثلاثة اقوال احدها نصيبهم من الرزق قاله ابو العالية الثاني من العذاب قاله ابن زيد الثالث ما وعدوا به من خير او شر قاله ابن عباس انتهى قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما تعملون خبير فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين

وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون قوله ولولا
كلمة سبقت من ربك الكلمة ان الله عز وجل حكم ان يؤخرهم الى يوم القيمة لما علم في ذلك من
الصلاح ولولا ذلك لقضي بينهم لجلهم بان يثاب المومن ويعاقب الكافر قيل المراد بين المختلفين
في كتاب موسى فانهم كانوا بين مصدق به ومكذب وقيل بين هؤلاء المختلفين فيك يا محمد
بتعجيل العقاب وقيل سبق الحكم بتاخير العذاب عن هذه الامة الى يوم القيمة وانهم لفي شك
منه مريب انجملت على قوم موسى اي لفي شك من كتاب موسى فهم في شك من القرآن قوله
تعالى وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم اي ان كلا من الامم التي عددناهم يرون جزاء
اعمالهم فكذلك قومك يا محمد واختلف القراء في قراءة وان كلا لما فقرا اهل الحرمين نافع
وابن كثير وابو بكر معهم وان كلا بالتخفيف على انها ان الخفيفة من الثقيلة معملة وقد ذكر مذ
الخليل وسيبويه قال سيبويه حدثنا من نثق به انه سمع العرب تقول ان زيدا لمنطلق وانشد
قول الشاعر كان ظبية تعطوا الى وارق السلم اراد كان ظبية فخفف ونصب ما بعدها والبصريون
يرون تخفيف ان المشددة مع اعمالها وانكر ذلك الكسائي وقال ما ادري على اي شيء قرى
وان كلا وزعم الفراء ان نصب في قراءة من خفف بقوله ليوفينهم اي وان ليوفينهم كلا وانكر
ذلك جميع النحويين وقالوا هذا من كبير الغلط لا يجوز عند احد زيدا لاضربنه وشدد الباقون
ونصبوا بها كلا على اصلها وقرا عاصم وحمزة وابن عامر لما بالتشديد وخففها الباقون على معنى
وان كلا ليوفينهم جعلوا ما صلة وقيل دخلت لتفصل بين اللامين اللتين يتلقيان القسم وكلاهما
مفتوح ففصل بينهما بما وقال الزجاج لام لما لام ان وما زايدة موكدة تقول ان زيدا لينطلقن
فان تقتضي ان يدخل على خبرها او اسمها لام كقولك ان الله لغفور رحيم وقوله ان في ذلك لذكرى
واللام في ليوفينهم هي التي يتلقى بها القسم وتدخل على الفعل ويلزمها النون المشددة او المخففة
ولما اجتمعت اللامان فصل بينهما بما وما زايدة موكدة وقال الفرا ما بمعنى من كقوله وان منكم
لمن ليبطئن اي وان كلا لمن ليوفينهم واللام في ليوفينهم للقسم وهذا يرجع معناه الى قول
الزجاج غير ان ما عند الزجاج زايدة وعند الفرا اسم بمعنى من وقيل ليست بزايدة بل هي اسم
دخل عليها لام التوكيد وهي خبر ان وليوفينهم جواب القسم التقدير وان كلا لخلق ليوفينهم ربك اعمالهم
وقيل ما بمعنى من كقوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي من وهذا كله هو قول القراء بعينه واما
من شدد لما وقرا وان كلا لما بالتشديد فيهما وهو حمزة ومن وافقه فقيل انه لحن حكي عن محمد
بن يزيد ان هذا لا يجوز ولا يقال ان زيدا الا لاضربنه ولا لما ضربته ولا لما لاضربنه وقال
الكسائي الله اعلم بهذه القراءة وما اعرف لها وجها وقال ايضا هو ابو علي الفارسي التشديد فيهما
مشكل قال النحاس وغيره وللنحويين في ذلك اقوال الاول ان اصلها لمن ما فقلبت النون ميما
واجتمعت ثلاث ميمات فحذفت الوسطى فصارت لما وما على هذا بمعنى من تقديره وان كلا من
الذين كقولهم واني لما اصدر الامر وجهه اذا هو اعيى بالسبيل مصادره وزيف الزجاج هذا القول
وقال من اسم على حرفين فلا يجوز حذفه الثاني ان الاصل لمن ما فحذفت الميم المكسورة لاجتماع الميمات
والتقدير وان كلا لمن خلق ليوفينهم وقيل لما مصدر لم لما جاءت بغير تنوين حملا للوصل على الوقف
فهي على هذا كقوله ويأكلون التراث اكلا لما اي جامعا للمال الماكول فالتقدير على هذا وان كلا
ليوفينهم ربك اعمالهم توفية لما اي جامعة لاعمالهم جميعا فهو كقولك قياما لاقومن وقد قرئ

الزهري بالتشديد والتنوين على هذا المعنى الثالث لما بمعنى الا حكى اهل اللغة سالتك بالله لما فعلت
بمعنى الا فعلت ومثله قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ اي الا عليها فمعنى الاية وان كل واحد منهم
الا ليوفينهم قال القشيري وزيف الزجاج هذا القول بانه لا نفي لقوله وان كل لما حتى يقدر الا ولا
يقال ذهب الناس لما زيدا الرابع قال ابو عثمان المازني الاصل وان كلا لما بتخفيف لما ثم ثقلت كقوله
لقد خشيت ان ارى جدبا في عامنا ذا بعد ما اخصبا وقال ابو اسحق الزجاج هذا خطا انما يخفف
المثقل ولا يثقل المخفف الخامس قال ابو عبيد القاسم بن سلام يجوز ان يكون التشديد من قولهم
لممت الشيء المه اذا جمعته ثم بني منه فعلى كما قرئ ثم ارسلنا رسلنا تترى بغير تنوين وبتنوين
فالالف على هذا للتانيث ويمال على هذا القول لاصحاب الامالة قال ابو اسحق القول الذي لا يجوز غيره
عندي بان تكون مخففة من الثقيلة تكون بمعنى ما مثل ان كل نفس لما عليها حافظ فكذا ايضا
تشدد على اصلها وتكون بمعنى ما ولما بمعنى الا حكى ذلك الخليل وسيبويه وجميع البصريين وان لما
بمعنى الا قلت وهذا القول الذي ارتضاه الزجاج حكاه عنه النحاس وغيره وقد تقدم مثله
وتضعيف الزجاج له الا ان ذلك القول ان ما فيه نافية وهنا مخففة من الثقيلة فافترقا
وبقيت قراءتان قال ابو حاتم في حرف ابي وان كلا الا ليوفينهم وروي عن الاعمش وان كل لما
بتخفيف ان ورفع كل وتشديد لما قال النحاس وهذه القراءات مخالفة للسواد وتكون فيها ان
بمعنى ما لا غير وتكون على التفسير لانه لا يجوز ان يقرا بما خالف السواد الا على هذه الجهة انه بما
يعملون خبير قوله تعالى فاستقم كما امرت الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره وقيل المراد قاله
السدى وقيل استقم اطلب الاقامة على الدين من الله واسئله ذلك فتكون السين سين السؤال
كما تقول استغفر الله اي اطلب الغفران منه والاستقامة الاستمرار في جهة واحدة من غير اخذ
في جهة اليمين والشمال اي فاستقم على امتثال امر الله وفي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي
قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم
وروى الدارمي ابو محمد في مسنده عن عثمان بن حاضر الازدي قال دخلت على ابن عباس فقلت
اوصني فقال نعم عليك بتقوى الله والاستقامة اتبع ولا تبتدع ومن تاب معك اي استقم انت
وهو يريد اصحابه الذين تابوا من الشرك ومن بعده ممن اتبعه من امته قال ابن عباس
ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية هي اشد ولا اشق من هذه الاية عليه ولذلك قال
لاصحابه حين قالوا له لقد اسرع اليك الشيب فقال شيبتني هود واخواتها وقد تقدم في
اول السورة وروي عن ابي عبد الرحمن السلمي قال سمعت ابا علي السوي يقول رايت النبي صلى الله
عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي
شيبك منها قصص الانبياء وهلاك الامم فقال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت ولا تطغوا نهي
عن الطغيان والطغيان مجاوزة الحد ومنه انا لما طغى الماء وقيل اي لا تتجبروا على احد
قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى ولا تركنوا
الركون حقيقته الاستناد والاعتماد والسكون الى الشيء والرضى به قال قتادة معناه
لا تودوهم ولا تطيعوهم ابن جريج لا تميلوا اليهم ابو العالية لا ترضون اعمالهم وكله متقارب
وقال ابن زيد الركون هنا الادهان وذلك ان لا ينكر عليهم كفرهم انتهى الثانية قرا
الجمهور تركنوا بفتح الكاف قال ابو عمرو وهي لغة اهل الحجاز وقرا طلحة بن مصرف وقتادة
وغيرهما تركنوا بضم الكاف قال الفرا وهي لغة تميم وقيس وجوز قوم ركن يركن مثل منع يمنع

الثالثة قوله تعالى الى الذين ظلموا قيل اهل الشرك وقيل عامة فيهم وفي العصاة على نحو قوله تعالى
واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا الاية وقد تقدم وهذا هو الصحيح في معنى الاية دالة على هجران اهل
الكفر والعصيان من اهل البدع وغيرهم فان صحبتهم كفر ومعصية اذ الصحبة لا تكون الا عن مودة
وقد قال الحكيم عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي فان كانت الصحبة
عن ضرورة وتقية فقد مضى القول فيها في آل عمران والمائدة وصحبة الظالم على التقية مستثناة
من النهي بحال الاضطرار والله اعلم الرابعة قوله تعالى فتمسكم النار اي تحرقكم بمخالطتهم ومصاحبتهم
وممالاتهم على اعراضهم وموافقتهم في امورهم قوله تعالى واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل
ان الحسنات يذهبن السيئات فيه ست مسائل الاولى قوله تعالى اقم الصلاة طرفي النهار
لم يختلف احد من اهل التاويل في ان الصلاة في هذه الاية يراد بها الصلوة المفروضة وخصها
بالذكر لانها ثانية الايمان واليها يفزع في النوائب وكان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر
فزع الى الصلوة وقال شيوخ الصوفية ان المراد بهذه الاية استغراق الاوقات بالعبادة فرضا
ونفلا قال ابن العربي وهذا ضعيف فان الامر لم يتناول الا واجبا لا نفلا فان الاوراد معلومة
واوقات النوافل المرغب فيها محصورة وما سواها من الاوقات يسترسل عليها الندب على البدل
لا على العموم وليس ذلك في قوة بشر الثانية قوله تعالى طرفي النهار قال مجاهد الطرف الاول صلاة
الصبح والطرف الثاني صلاة الظهر والعصر واختاره ابن عطية وقيل الطرفان الصبح والمغرب
قاله ابن عباس والحسن وعن الحسن ايضا الطرف الثاني العصر وحده وقاله قتادة والضحاك
وقيل الطرفان الظهر والعصر والزلف المغرب والعشاء والصبح كان هذا القائل راعى جهر
القراءة وحكى الماوردي ان الطرف الاول صلاة الصبح باتفاق قلت وهذا الاتفاق ينقضه
القول الذي قبله ورجح الطبري ان الطرفين الصبح والمغرب وانه الظاهر قال ابن عطية
ورد عليه بان المغرب لا تدخل فيه لانها من صلاة الليل قال ابن العربي والعجب من الطبري
الذي يرى ان طرفي النهار الصبح والمغرب وهما طرفا الليل فقلب القوس ركوة وحاد عن
البرجاس عرض في الهوى يرمى فيه واظنه مولدا قاله الجوهري البرجاس غلوة قال الطبري والدليل
اجماع الجميع على ان احد الطرفين الصبح فدل على ان الطرف الاخر المغرب ولم يجمع معه على ذلك
احد قلت هذا تحامل من ابن العربي في الرد وانه لم يجمع معه على ذلك احد وقد ذكرنا
عن مجاهد ان الطرف الاول صلاة الصبح وقد وقع الاتفاق الا من شذ بان من اكل او
جامع بعد طلوع الفجر متعمدا ان يومه ذلك يوم فطر وعليه القضاء والكفارة وما ذلك الا وما
بعد طلوع الفجر من النهار فدل على صحة ما قاله الطبري في الصبح وتبقى عليه المغرب والرد عليه
فيه ما تقدم والله اعلم الثالثة قوله تعالى وزلفا من الليل اي في زلف من الليل والزلف
الساعات القريبة بعضها من بعض ومنه سميت المزدلفة لانها منزل بعد عرفة بقرب مكة
وقرا ابن القعقاع وابن ابي اسحق وغيرهما وزلفا بضم اللام جمع زليف لانه قد نطق بزليف ويجوز
ان يكون واحده زلفة كبسرة وبسر في لغة من ضم السين وقرا ابن محيصن وزلفا من الليل باسكان
اللام والواحدة زلفة جمع جمع الاجناس التي هي اشخاص كدرة ودر وبرة وبر وقرا مجاهد وابن
محيصن زلفى مثل فعلى وقرا الباقون زلفا بفتح اللام كغرفة وغرف قال ابن الاعرابي الزلف
الساعات واحدها زلفة وقال قوم الزلفة اول ساعة من الليل بعد مغيب الشمس فعلى هذا
المراد بزلف الليل صلاة العتمة قاله ابن عباس وقال الحسن المغرب والعشاء وقيل المغرب

والعشا والصبح وقد تقدم وقال الاخفش يعني صلاة الليل ولم يعين الرابعة قوله تعالى
ان الحسنات يذهبن السيئات ذهب جمهور المتاولين من الصحابة والتابعين الى ان الحسنات
ههنا هي الصلوات وقال مجاهد الحسنات قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر قال ابن عطية وهذا على جهة المثال في الحسنات والذي يظهر ان اللفظ عام في الحسنات خاص
في السيئات لقوله صلى الله عليه وسلم ما اجتنبت الكبائر قلت سبب النزول يعضد قول الجمهور
نزلت في رجل من الانصار قيل هو ابو اليسر بن عمرو وقيل اسمه عباد خلا بامراة فقبلها وتلذذ
بها فيما دون الفرج روى الترمذي عن عبد الله قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اني عالجت امراة في اقصى المدينة واني اصبت منها ما دون ان امسها وانا هذا فاقض في ما
شئت فقال له عمر لقد سترك الله لو سترت على نفسك فلم يرد عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئا فانطلق الرجل فاتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فدعاه فتلا عليه واقم
الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات الى اخر الاية فقال رجل من
القوم هذا له خاصة قال بل للناس كافة قال الترمذي حديث حسن صحيح وخرج ايضا عن
ابن مسعود ان رجلا اصاب من امراة قبلة حراما فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فسال عن كفارتها
فنزلت اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فقال الرجل
الي هذه يا رسول الله قال ولمن عمل بها من امتي قال حديث حسن صحيح وروي عن ابي اليسر قال
اتتني امراة تبتاع تمرا فقلت ان في البيت تمرا اطيب من هذا فدخلت معي في البيت فاهويت
عليها فقبلتها فاتيت ابا بكر رضي الله عنه فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب فاتيت
عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فاتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله بمثل هذا حتى تمنى انه لم
يكن اسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من اهل النار قال واطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
اوحى الله اليه اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات
ذلك ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر فاتيته فقراها علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصحابه
يا رسول الله الهذا خاصة ام للناس عامة قال بل للناس عامة قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب
وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اعرض عنه واقيمت صلاة
العصر فلما فرغ منها نزل جبريل عليه السلام بالاية فدعاه فقال اشهدت معنا الصلاة قال
نعم قال اذهب فانها كفارة لما فعلت وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تلا عليه هذه الاية قال
له قم فصل اربع ركعات والله اعلم وخرج الحكيم الترمذي في نوادر الاصول من حديث ابن عباس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم ار شيئا احسن طلبا ولا اسرع ادراكا من حسنة حديثة
بذنب قديم ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين الخامسة دلت الاية مع هذه
الاحاديث على ان القبلة الحرام واللمس الحرام لا يجب فيه الحد وقد يستدل به على ان لا حد ولا ادب
على الرجل والمراة وان وجدا في ثوب واحد وهو اختيار ابن المنذر لانه لما ذكر اختلاف العلما
في هذه المسئلة ذكر ان هذا الحديث مشير الى انه لا يجب عليهما شيء وسياتي ما للعلما في
هذا في النور ان شاء الله تعالى السادسة ذكر الله سبحانه في كتابه الصلاة بركوعها وسجودها
وقيامها وقراءتها واسمائها فقال واقم الصلاة وقال اقم الصلاة لدلوك الشمس الاية وقال
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون

وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وقال واركعوا واسجدوا وقال وقوموا لله
قانتين وقال واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا على ما تقدم وقال ولا تجهر بصلاتك ولا
تخافت بها اي بقراءتك وهذا كله مجمل اجمله في كتابه واحال على نبيه في بيانه فقال جل ذكره
وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم فبين صلى الله عليه وسلم مواقيت الصلاة وعدد
الركعات والسجدات وصفة جميع الصلوات فرضها وسننها وما لا تصح الصلاة الا به من الفرايض
وما يستحب فيها من السنن والفضايل فقال في صحيح البخاري صلوا كما رايتموني اصلي ونقل ذلك
عنه الكافة عن الكافة على ما هو معلوم ولم يمت صلى الله عليه وسلم حتى بين ما للناس الحاجة اليه
فكمل الدين واوضح السبيل قال الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الاسلام دينا قوله تعالى ذلك ذكرى للذاكرين اي القران موعظة وتوبة لمن اتعظ وتذكر
وخص الذاكرين لانهم المنتفعون والذكرى مصدر جاء بالف التانيث قوله تعالى واصبر اي
على الصلاة كقوله وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها وقيل المعنى واصبر يا محمد على ما تلقى من الاذى
فان الله لا يضيع اجر المحسنين قال يعني المصلين قوله تعالى فلولا كان اي فهلا كان من القرون من
قبلكم اي من الامم التي قبلكم اولوا بقية اي اصحاب طاعة ودين وعقل وبصر ينهون قومهم
عن الفساد في الارض لما اعطاهم الله من العقول واراهم من الايات وهذا توبيخ للكفار وقيل لولا
هنا للنفي اي ما كان من قبلكم كقوله فلولا كانت قرية امنت اي ما كانت قليلا استثناء منقطع
اي لكن قليلا الا قوم يونس وقيل هم اتباع الانبياء واهل الحق واتبع الذين ظلموا اي اشركوا وعصوا
ما اترفوا فيه اي من الاشتغال بالمال واللذات وايثار ذلك على الاخرة وكانوا مجرمين قوله تعالى
وما كان ربك ليهلك القرى اي اهل القرى بظلم اي بشرك وكفر واهلها مصلحون اي فيما بينهم
في تعاطي الحقوق اي لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف اليه الفساد كما اهلك قوم شعيب
ببخس المكيال وقوم لوط باللواط ودل على ان المعاصي اقرب الى عذاب الاستيصال في الدنيا
من الشرك وان كان عذاب الشرك في الاخرة اصعب وفي صحيح الترمذي من حديث ابي بكر
الصديق قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا الظالم ولم ياخذوا
على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب من عنده وقد تقدم وقيل المعنى وما كان ربك
ليهلك القرى بظلم واهلها مسلمون فانه يكون ظلما لهم ونقصا من حقهم اي ما اهلك قوما الا بعد
اعذار وانذار وقال الزجاج يجوز ان يكون المعنى وما كان ربك ليهلك احدا وهو يظلمه وان
كان على نهاية الصلاح لان تصرفه في ملكه دليله قوله ان الله لا يظلم الناس شيئا وقيل المعنى
وما كان الله ليهلكهم بذنوبهم وهم مصلحون اي مخلصون في الايمان فالظلم المعاصي على هذا قوله
تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة قال سعيد ابن جبير على ملة الاسلام وحدها
وقال الضحاك اهل دين واحد اهل ضلالة او اهل هدى ولا يزالون مختلفين اي على اديان شتى
قاله مجاهد وقتادة الا من رحم ربك بالايمان والهدى فانه لم يختلف وقيل مختلفين في الرزق
فهذا غني وهذا فقير الا من رحم ربك بالقناعة قاله الحسن ومقاتل وعطا ويمان الاشارة
للاختلاف اي وللاختلاف خلقهم وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم وانما
قال ولذلك ولم يقل ولتلك والرحمة مونثة لانه مصدر وايضا فان تانيث الرحمة غير
حقيقي فحملت على معنى الفضل وقيل الاشارة بذلك للاختلاف والرحمة وقد يشار بذلك الى
شيئين متضادين لقوله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ولم يقل بين ذينك ولا تينك

وقال

وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال ولا تجهر بصلاتك ولا
تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وكذلك قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وهذا
احسن الاقوال ان شاء الله لانه يعم اي ولما ذكر خلقهم والى هذا اشار مالك رحمه الله فيما روي عنه
اشهب قال اشهب سالت مالكا عن هذه الاية قال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير
اي خلق اهل الاختلاف للاختلاف واهل الرحمة للرحمة وروي عن ابن عباس ايضا قال خلقهم فريقين
فريقا يرحمه وفريقا لا يرحمه قال المهدوي وفي الكلام على هذا التقدير تقديم وتاخير المعنى ولا يزالون
مختلفين الا من رحم ربك وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ولذلك خلقهم
وقيل هو متعلق بقوله ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود والمعنى وللشهود ذلك
اليوم خلقهم وقيل هو متعلق بقوله فمنهم شقي وسعيد اي للسعادة وللشقاء خلقهم قوله تعالى وتمت
كلمة ربك بمعنى تمت ذلك كما اخبر وقدر في ازله وتمام الكلمة امتناعها عن قبول التغير والتبديل
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين من لبيان الجنس اي من جنس الجنة وجنس الناس اجمعين
تاكيد وما اخبر انه يملا ناره كذلك اخبر على نبيه انه يملا جنته بقوله ولكل واحدة منكما ملوها
خرجه البخاري من حديث ابي هريرة وقد تقدم قوله تعالى وكلا نقص عليك كلا نصب بنقص معناه
وكل الذي تحتاج اليه من انباء الرسل نقص عليك وقال الاخفش كلا حال مقدمة كقولك كلا ضربت
القوم عليك من انباء الرسل نقص اي من اخبارهم وصبرهم على اذى قومهم ما نثبت به فوادك اي
على اداء الرسالة والصبر على ما ينالك فيها من الاذى وقيل نزيدك به تثبيتا ويقينا وقال ابن عباس
ما نشد به قلبك وقال ابن جريج نصبر به قلبك حتى لا تجزع وقال اهل المعاني نطيب والمعنى متقارب
وما بدل من كل المعنى نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك وجاءك في هذه الحق
اي في هذه السورة عن ابن عباس وابي موسى وغيرهما وخص هذه السورة لان فيها اخبار الانبياء
والجنة والنار وقيل خصها بالذكر تاكيدا وان كان الحق في كل القران وقال قتادة والحسن
المعنى في هذه الدنيا يريد النبوة وموعظة وذكرى للمومنين الموعظة ما يتعظ به من هلاك
الامم الماضية والقرون الخالية المكذبة وهذا تشريف لهذه السورة لان غيرها من السور قد جاء
فيها الحق والموعظة والذكرى ولم يقل فيها كما قال في هذه على التخصيص وذكرى للمومنين اي
يتذكرون ما نزل بمن هلك فيتوبون وخص المومنين لانهم المتعظون اذا سمعوا قصص الانبيا
قوله تعالى وقل للذين لا يومنون اعملوا على مكانتكم تهديد ووعيد انا عاملون وانتظروا انا
منتظرون تهديد اخر وتقدم معناه قوله تعالى ولله غيب السموات والارض اي غيبهما وشهادتهما
فحذف لدلالة المعنى وقال ابن عباس خزائن السموات والارض وقال الضحاك جميع ما غاب
من العباد فيهما وقال الباقون غيب السموات والارض نزول العذاب من السماء وطلوعه من الارض
وقال ابو علي الفارسي ولله غيب السموات والارض اي علم ما غاب فيهما اضاف الغيب وهو مضاف
الى المفعول توسعا لانه حذف حرف الجر تقول غبت في الارض وغبت ببلد كذا واليه يرجع
الامر كله اي يوم القيمة اذ ليس لمخلوق امر الا باذنه وقرا نافع وحفص يرجع بضم الياء وفتح الجيم
اي يرد فاعبده وتوكل عليه اي الجا اليه وثق به وما ربك بغافل عما تعملون اي يجازي
الكل بعمله وقرا اهل المدينة والشام وحفص بالتاء على المخاطبة والباقون بالياء على الخبر
قال الاخفش سعيد يعملون اذا لم يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم معهم قال وقال بعضهم تعملون
بالتاء لانه خاطب النبي صلى الله عليه وسلم او قال قل لهم وما ربك بغافل عما تعملون وقال كعب

الاجار خاتمة التورية خاتمة هود من قوله ولله غيب السموات والارض الى اخر السورة سورة
يوسف عليه السلام وهي مكية كلها وقال ابن عباس وقتادة الا اربع ايات منها وروي ان اليهود
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فنزلت السورة وسياتي وقال سعد بن ابي
وقاص انزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا لو حدثتنا فنزل الله
نزل احسن الحديث قال العلماء وذكر الله تعالى قصص الانبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد
ووجوه مختلفة بالفاظ متباينة على درجات البلاغة وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها فلم
يقدر مخالف على معارضة ما تكرر ولا على معارضة غير متكرر والاعجاز لمن تامل تمت

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه
قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن
وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس
والقمر رايتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان
الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث
ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق ان ربك
عليم حكيم لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى
ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل
لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في
غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على
يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال اني
ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله
الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب
واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاؤا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا
انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا
صادقين قوله تعالى الر تلك آيات الكتاب المبين تقدم الكلام فيه والتقدير هذه تلك آيات
الكتاب على الابتدا والخبر وقيل الراسم السورة اي هذه السورة المسماة الر تلك آيات الكتاب
المبين يعني القرآن المبين اي المبين حلاله وحرامه وحدوده واحكامه وهداه وبركته وقيل
اي هذه تلك الايات التي كنتم توعدون بها في التورية قوله تعالى انا انزلناه يجوز ان يكون المعنى
انا انزلنا القرآن عربيا نصب قرآنا على الحال اي مجموعا وعربيا نعت لقوله قرآنا ويجوز ان
يكون توطيه للحال كما تقول مررت بزيد رجلا صالحا وعربيا على الحال اي يقرا بلغتكم يا معشر
العرب اعرب بين اي ومنه الثيب تعرب عن نفسها لعلكم تعقلون اي لكي تعلموا معانيه وتفهموا
ما فيه وبعض العرب ياتي بان مع لعل تشبيها بعسى واللام في لعل زايدة للتوكيد كما قال
الشاعر يا ابتا علك او عساكا وقيل لعلكم تعقلون لتكونوا على رجا من تدبره فيعود معنى الشك
اليهم لا الى الكتاب ولا الى الله عز وجل وقيل معنى انزلناه اي انزلنا خبر يوسف وقال النحاس وهذا
اشبه بالمعنى لانه يروى ان اليهود قالوا سلوه لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وكان
هذا موافقا لما في التورية وفيه زيادة ليست عندهم فكان هذا للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
نحن نقص عليك ابتدا وخبر احسن القصص بمعنى المصدر والتقدير قصصا احسن القصص واصل

القصص تتبع الشيء ومنه قوله تعالى وقالت لاخته قصيه اي تتبعي امره فالقاص يتبع الاثار فيتبع
بها والحسن يعود الى القصص لا الى القصة يقال فلان حسن الاقتصاص للحديث اي جيد السياقة
له وقيل القصص ليس مصدرا بل هو في معنى الاسم كما يقال الله رجاؤنا اي مرجونا فالمعنى على هذا نحن
نخبرك باحسن الاخبار بما اوحينا اليك اي بوحينا فما مع الفعل بمنزلة المصدر هذا القرآن نصب
القرآن على انه نعت لهذا او بدل منه او عطف بيان واجاز الفرا الخفض على التكرير وهو عند البصريين
على البدل من ما واجاز ابو اسحق الرفع على اضمار مبتداء كان سايلا سال عن الوحي فقيل له القرآن وان
كنت من قبله لمن الغافلين عما عرفناكه مسئلة واختلف العلماء لم سميت هذه السورة احسن
القصص من بين الاقاصيص فقيل لانه ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم ما تتضمن هذه
القصة وبيانه قوله في اخرها لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب سماها احسن القصص لحسن
محاورة يوسف اخوته وصبره على اذاهم وعفوه عنهم بعد الالتقاء بهم بعد ما تعاطوه وكرمه في العفو
عنهم حتى قال لا تثريب عليكم اليوم وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن
والانس والانعام والطير وسير الملوك والممالك والتجار والعلماء والجهال والرجال والنساء وحيلهن
ومكرهن وفيها ذكر التوحيد والفقه والسير وتفسير الرؤيا والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش
وجمل الفوايد التي تصلح للدين والدنيا وقيل لان فيها ذكر الحبيب والمحبوب وسيرهما وقيل احسن
هنا بمعنى اعجب وقال بعض اهل المعاني انما كانت احسن القصص لان كل ما ذكر فيها كان ماله
السعادة انظر الى يوسف وابيه واخوته وامراة العزيز قيل والملك ايضا اسلم بيوسف وحسن اسلامه
ومعبر الرؤيا الساقي والشاهد فيما يقال فما كان امر الجميع الا الى الخير قوله تعالى اذ قال يوسف اذ
في موضع نصب على الظرف اي اذكر لهم حين قال لهم يوسف وقراءة العامة بضم السين وحكى ابو زيد
يوسف بالضم وفتح السين ولم ينصرف لانه اعجمي وقيل عربي وسئل ابو الحسن الاقطع وكان حليما
عن يوسف فقال الاسف في اللغة الحزن والاسيف العبد وقد اجتمعا في يوسف فلذلك سمي
يوسف لابيه يا ابت بكسر التاء قراءة ابي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وهو عند البصريين علامة
التانيث دخلت على الاب في النداء خاصة بدلا من ياء الاضافة وقد تدخل علامة التانيث على
المذكر فيقال رجل نكحة وهزلة قال النحاس اذا قلت يا ابت بكسر التاء فالتاء عند سيبويه بدل
من ياء الاضافة ولا يجوز على قوله الوقف بالهاء وله على قوله دلايل منها ان قولك يا ابه يؤدي
عن معنى يا ابي وانه لا يقال يا ابه الا في المعرفة لا يقال جاءني ابه ولا يستعمل هذا الا في النداء
خاصة ولا يقال يا ابتي لان التاء بدل من الياء فلا يجمع بينهما وزعم الفراء انه اذا قال يا ابت
ذكر وقف على التاء لا غير لان الياء في النية وليس يقال يا ابتي وقرا ابو جعفر والاعرج وعبد الله
بن عامر يا ابت بفتح التاء قال البصريون اراد يا ابتي بالياء ثم ابدل الياء الفا فصار يا ابتا
فحذفت الالف وبقيت الفتحة في التاء وقيل الاصل الكسر ثم ابدل من الكسرة فتحة كما يبدل من
الياء الف فيقال يا غلاما اقبل واجاز الفراء يا ابت بضم التاء اني رايت احد عشر كوكبا ليس
بين النحويين اختلاف انه يقال جاءني احد عشر ومررت باحد عشر وكذلك ثلاثة عشر
وتسعة وما بينهما جعلوا الاسمين اسما واحدا واعربوهما باخف الحركات قال السهيلي اسماء هذه
الكواكب جاء ذكرها مسندا رواه الحارث بن ابي اسامة قال جا بستان وهو رجل من اهل
الكتاب فسال النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحد عشر كوكبا الذي راى يوسف فقال الحرثان والطارق
والذيال وقابس والنطح والطروح وذو الكنفان وذو الفرع والعليق ووثاب والعمودان

راها يوسف عليه السلام تسجد له وقال ابن عباس وقتادة الكواكب اخوته والشمس امه والقمر
ابوه وقال قتادة ايضا الشمس خالته لان امه كانت ماتت وكانت خالته تحت ابيه ورايتهم
توكيد وقال رايتهم لي ساجدين فجاء مذكرا فالقول عند الخليل وسيبويه انه لما اخبر عن هذه
الاشياء بالطاعة والسجود وهما من فعال من يعقل اخبر عنها كما اخبر عمن يعقل وقد تقدم
هذا المعنى في قوله وتراهم ينظرون اليك والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل اذا انزلوه منزلته
وان كان خارجا عن الاصل قوله تعالى قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيه احدى
عشر مسئلة الاولى قوله تعالى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا اي يحتالوا في
هلاكك لان تاويلها ظاهر فربما يحملهم الشيطان على قصدك بسوء حينئذ واللام في لك تاكيد
لقوله ان كنتم للرؤيا تعبرون الثانية الرؤيا حالة شريفة ومنزلة رفيعة قال صلى الله عليه
وسلم لم يبق بعدي من المبشرات الا الرؤيا الصادقة يراها الرجل الصالح او ترى له وقال
اصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا وحكم صلى الله عليه وسلم بانها جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة
وروي من سبعين وروي من حديث ابن عباس جزء من اربعين جزءا من النبوة ومن حديث
ابن عمر جزء من تسعة واربعين ومن حديث العباس جزء من خمسين جزءا من النبوة ومن حديث
انس جزء من ستة وعشرين جزءا وعن عبادة بن الصامت من اربعة واربعين من النبوة
والصحيح منها حديث الستة والاربعين ويتلوه في الصحة حديث السبعين ولم يخرج مسلم
في صحيحه غير هذين الحديثين واما سايرها فمن احاديث الشيوخ قال ابن بطال قال ابو
عبد الله المازري والاكثر والاصح عند اهل الحديث من ستة واربعين قال الطبري والصواب
ان يقال ان عامة هذه الاحاديث واكثرها صحاح ولكل حديث منها مخرج معقول فاما
قوله انها جزء من سبعين جزءا من النبوة فان ذلك قول عام في كل رؤيا صالحة صادقة
ولكل مسلم راها في منامه على اي احواله كان واما قوله انها من اربعين او ستة واربعين فانه
يريد بذلك من كان صاحبها بالحال التي ذكر عن الصديق رضي الله عنه انه كان بها فمن
كان من اهل اسباغ الوضوء في السبرات والصبر في الله على المكروهات وانتظار الصلوة بعد
الصلاة فرؤياه الصالحة ان شاء الله جزء من اربعين جزءا من النبوة ومن كانت حاله
في ذاته بين ذلك فرؤياه الصادقة بين الجزئين ما بين الاربعين الى الستين لا تنقص
عن السبعين وتزيد عن الاربعين والى هذا المعنى اشار ابو عمر بن عبد البر فقال اختلاف الاثار
في هذا الباب في عدد اجزاء الرؤيا ليس ذلك عندي اختلاف تضاد وتدافع والله اعلم لانه
يحتمل ان تكون الرؤيا الصالحة من بعض من يراها على حسب ما يكون من صدق الحديث واداء
الامانة والدين المتين وحسن اليقين فعلى قدر اختلاف الناس فيما وصفنا تكون الرؤيا منهم
على الاجزاء المختلفة العدد فمن خلصت له نيته في عبادة ربه ويقينه وصدق حديثه كانت
رؤياه اصدق والى النبوة اقرب كما ان الانبياء يتفاضلون قال الله تعالى ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض قلت فهذا التاويل يجمع شتات الاحاديث وهو اولى من تفسير
بعضها دون بعض ذكره ابو سعيد الاسفاقسي عن بعض اهل العلم قال معنى قوله جزء من ستة
واربعين جزءا من النبوة فان الله تعالى اوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة ثلاثة وعشرون
عاما فيما رواه عكرمة وعمرو بن دينار عن ابن عباس فاذا نسبنا ستة اشهر من ثلاثة
وعشرين عاما وجدنا ذلك جزء من ستة واربعين عاما والى هذا القول اشار المازري في

كتابه المعلم واختاره الغزنوي في تفسيره من سورة يونس عند قوله تعالى لهم البشرى وهو فاسد
من وجهين احدهما ما رواه ابو سلمة عن ابن عباس وعايشة بان مدة الوحي كانت عشرين
سنة وان النبي صلى الله عليه وسلم بعث على راس اربعين فاقام بمكة عشر سنين وهو قول عروة
والشعبي وابن شهاب والحسن وعطا الخراساني وسعيد بن المسيب على اختلاف عنه وهي
رواية ربيعة وابي غالب عن انس واذا ثبت هذا الاختلاف بطل ذلك التاويل الثاني ان
ساير الاحاديث على الاجزاء المختلفة تبقى بغير معنى الثالثة انما كانت الرؤيا جزءا من النبوة
لان فيها ما يعجز ويمتنع كالطيران وقلب الاعيان والاطلاع على شيء من علم الغيب كما قال
عليه الصلاة انه لم يبق من مبشرات النبوة الا الرؤيا الصادقة في النوم الحديث وعلى
الجملة فان الرؤيا الصادقة من الله والحلم من الشيطان وان التصديق بها حق ولها التاويل
الحسن وربما اغنى بعضها عن التاويل وفيها من بديع الله ولطفه ما يزيد المؤمن في ايمانه ولا
خلاف في هذا بين اهل الدين والحق من اهل الراي والاثر ولا ينكر الرؤيا الا اهل الالحاد وشرذمة
من المعتزلة الرابعة ان قيل اذا كانت الرؤيا الصالحة جزءا من النبوة فكيف يكون الكافر
والكافر والكاذب والمخلط اهلا لها وقد وقعت من بعض الكفار وغيرهم ممن لا يرضى دينه
منامات صحيحة صادقة كمنام رؤيا الملك الذي راى سبع بقرات ومنام الفتيين في السجن
ورؤيا بخت نصر التي فسرها دانيال في ذهاب ملكه ورؤيا كسرى في ظهور النبي صلى الله عليه وسلم
ومنام عاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في امره وهي كافرة وقد ترجم البخاري باب رؤيا
اهل السجن فالجواب ان الكافر والفاسق والكاذب وان صدقت رؤياهم في بعض الاوقات
لا تكون من الوحي ولا من النبوة اذ كل من صدق في حديث عن غيب يكون خبره ذلك نبوة
وقد تقدم في الانعام ان الكاهن وغيره قد يخبر بكلمة الحق فيصدق لكن ذلك على
الندور والقلة فكذلك رؤيا هؤلاء قال المهلب انما ترجم البخاري بهذا لجواز ان تكون رؤيا
اهل الشرك رؤيا صادقة كما كانت رؤيا الفتيين صادقة الا انه لا يجوز ان تضاف الى النبوة
اضافة رؤيا المؤمن اليها اذ ليس كل ما يصح له تاويل من الرؤيا حقيقة يكون جزءا من النبوة
والله اعلم الخامسة الرؤيا الصادقة الى الله تعالى هي التي خلصت من الاضغاث والاوهام
وكان تاويلها موافقا لما في اللوح المحفوظ والتي هي من حيز الاضغاث هي الحلم وهي المضافة الى
الشيطان وانما سميت ضغثا لان فيها اشياء متضادة قال معناه المهلب وقد قسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الرؤيا اقساما تغني عن قول كل قايل روي عن عوف بن مالك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا ثلاث منها اهاويل الشيطان ليحزن ابن ادم ومنها ما يهم به
في يقظته فيراه في منامه ومنها جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة قال قلت سمعته هذا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم السادسة قوله
تعالى لا تقصص رؤياك على اخوتك الرؤيا مصدر راى في المنام رؤيا على وزن فعلى كالسقيا
والبشرى والفه للتانيث ولذلك لم ينصرف وقد اختلف العلماء في حقيقة الرؤيا فقيل
هي ادراك في اجزاء لم تحلها افة كالنوم المستغرق وغيره ولهذا اكثر ما تكون الرؤيا في اخر
الليل لقلة غلبة النوم فيخلق الله للرائي علما ناشئا ويخلق الله الذي يراه على ما يراه ليصح
الادراك قال ابن العربي ولا يرى في المنام الا ما يصح ادراكه في اليقظة ولذلك لا يرى في
المنام شخصا قايما قاعدا بحال وانما يرى الجايزات المعتادات وقيل ان الله تعالى ملكا يعرض

المرئيات على المحل المدرك من النايم فيمثل له صور محسوسة فتارة تكون تلك الصور امثلة موافقة
لما يقع في الوجود وتارة تكون لمعاني معقولة غير محسوسة وفي الحالتين تكون مبشرة ومنذرة قال
صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم وغيره رايت سودا ثايرة الراس تخرج من المدينة الى مهيعة فاولتها
الحمى ورايت سيفي قد انقطع صدره وبقرا تنحر فاولتها رجل من اهل بيتي يقتل والبقر نفر من اصحابي
يقتلون ورايت اني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة ورايت في يدي سوارين فاولتهما
كذابين يخرجان بعدي الى غير ذلك مما ضربت له الامثال ومنها ما يظهر معناه اولا فاولا ومنها
ما لا يظهر الا بعد الفكر وقد راى النايم في زمن يوسف عليه السلام فاولها يوسف السنين وراى
احد عشر كوكبا والشمس والقمر فاولها باخوته وابويه السابعة ان قيل ان يوسف عليه السلام
كان صغيرا وقت رؤياه والصغير لا حكم لفعله فكيف يكون له رؤيا لها حكم حتى يقول ابوه لا تقصص
رؤياك على اخوتك فالجواب ان الرؤيا ادراك حقيقة على ما قدمناه فتكون من الصغير كما يكون
منه الادراك الحقيقي في اليقظة واذا اخبر عما راى صدق فكذلك اذا اخبر عما يرى في المنام
وقد اخبر الله عن رؤياه وانها وجدت كما راى فلا اعتراض روي ان يوسف عليه السلام
كان ابن اثني عشر سنة الثامنة هذه الاية اصل في ان لا تقص الرؤيا على غير شفيق ولا
ناصح ولا على من لا يحسن التاويل فيها روي ابو رزين العقيلي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
الرؤيا جزء من اربعين جزء من النبوة والرؤيا معلقة برجل طاير ما لم يحدث بها صاحبها
فاذا حدث بها وقعت فلا تحدثوا بها الا عاقلا او محبا او ناصحا اخرجه الترمذي وقال فيه
حديث حسن صحيح وابو رزين العقيلي اسمه لقيط بن عامر وقيل لمالك ايعبر الرؤيا كل احد
فقال ابالنبوة يلعب وقال مالك لا يعبر الرؤيا الا من يحسنها فان راى خيرا اخبر به وان
راى مكروها فليقل خيرا او ليصمت قيل فهل يعبرها على الخير وهي عنده على المكروه لقول من
قال انها على ما تاولت عليه فقال لا ثم قال الرؤيا جزء من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة
انتهى التاسعة وفي هذه الاية دليل على ان مباحا ان يحذر المسلم اخاه المسلم ممن يخافه
عليه ولا يكون داخلا في معنى الغيبة لان يعقوب قد حذر يوسف ان يقص رؤياه على
اخوته فيكيدوا له كيدا وفيها ايضا ما يدل على جواز ترك اظهار النعمة عند من تخشى غايلته
حسدا وكيدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوايجكم بالكتمان فان كل ذي
نعمة محسود وفيها ايضا دليل واضح على معرفة يعقوب عليه السلام بتاويل الرؤيا فانه علم
من تاويلها انه سيظهر عليهم ولم يبال بذلك من نفسه فان الرجل يود ان يكون ولده
خيرا منه والاخ لا يود ذلك لاخيه ويدل ايضا على ان يعقوب كان احس من بنيه حسد يوسف
وبغضه فنهاه عن قص الرؤيا عليهم خوفا ان تغل بذلك صدورهم فيعملوا الحيلة في
هلاكه ومن هنا ومن فعلهم بيوسف يدل على انهم كانوا غير انبياء وهذا يرده القطع بعصمة
الانبياء عن الحسد الدنيوي وعن عقوق الانبياء وتعريض مومن للهلاك والتوام في قتله
ولا التفات لقول من قال انهم كانوا انبياء ولا يستحيل في العقل زلة نبي الا ان هذه الزلة
جمعت انواعا من الكباير وقد اجمع المسلمون على عصمتهم منها وانما اختلفوا في الصغاير على ما
تقدم وياتي العاشرة روي البخاري عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة وهذا الحديث
بظاهره يدل على ان الرؤيا بشرى على الاطلاق وليس كذلك فان الرؤيا الصادقة قد تكون

منذرة من قبل الله تعالى لا يسر رائيها وانما يريها الله تعالى المومن رفقا به ورحمة ليستعد لنزول
البلاء قبل وقوعه فان ادرك تاويلها بنفسه والا سال عنها من له اهلية ذلك وقد راى
الشافعي وهو بمصر رؤيا لاحمد بن حنبل تدل على محنته فكتب اليه بذلك ليستعد لذلك
وقد تقدم في يونس في تفسير قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا انها الرؤيا الصالحة وهذا
وحديث البخاري مخرجه على الاغلب والله اعلم الحادي عشر روي البخاري عن ابي سلمة قال
لقد كنت ارى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت ابا قتادة يقول وانا كنت لارى الرؤيا فتمرضني حتى
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الحسنة من الله فاذا راى احدكم ما يحب فلا
يحدث به الا من يحب واذا راى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها
احدا فانها لن تضره قال علماؤنا فجعل الله تعالى الاستعاذة منها مما يرفع اذاها الا ترى قول
قتادة ان كنت لارى الرؤيا هي اثقل علي من الجبل فلما سمعت بهذا الحديث كنت لا اعدها
شيئا وزاد مسلم من حديث جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا راى احدكم الرؤيا
يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه وفي حديث ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا راى احدكم ما يكره فليقم فليصل قال علماؤنا وهذا كله ليس
بمتعارض وانما هذا الامر بالتحول والصلاة زيادة فعلى الرائي ان يفعل الجميع والقيام الى الصلاة
يشمل الجميع لانه اذا صلى تضمن فعله للصلاة جميع ذلك الامور لانه اذا قام الى الصلاة تحول
عن جنبه واذا تمضمض نفث وبصق واذا قام الى الصلاة تعوذ ودعا وتضرع الى الله تعالى
في ان يكفيه شرها في حال هي اقرب الاحوال اجابة وذلك السحر من الليل قوله تعالى وكذلك
يجتبيك ربك الكاف في موضع نصب لانها نعت لمصدر محذوف وكذلك الكاف في
قوله كما اتمها على ابويك وما كافة وقيل وكذلك اي كما اكرمك بالرؤيا فكذلك يجتبيك
ويحسن اليك بتحقيق الرؤيا مقاتل بالسجود ذلك الحسن بالنبوة والاجتبا اختيار معالي
الامور للمجتبى واصله من جبيت الشي حصلته ومن جبيت الماء في الحوض قاله النحاس
وهذا ثناء من الله تعالى على يوسف عليه السلام وتعديد فيما عدده عليه من النعم التي اتاه
الله التمكين في الارض وتعليم تاويل الاحاديث واجمعوا ان ذلك في تاويل الرؤيا قال عبد الله
بن شداد بن الهادي كان تفسير رؤيا يوسف بعد اربعين سنة وذلك منتهى وقوعها بالاتحاد
ما يراه الناس في المنام وهو معجزة له فانه لم يلحقه فيها خطا وكان يوسف عليه السلام اعلم
الناس بتاويلها وكان النبي صلى الله عليه وسلم نحو ذلك وكان الصديق من اعبر الناس لها وحصل
لابن سيرين فيها التقدم العظيم والطبع والاحسان ونحوه او قريب منه كان سعيد بن
جبير فيما ذكروا وقد قيل في تاويل قوله ويعلمك من تاويل الاحاديث اي احاديث الامم
والكتب ودلايل التوحيد فهو اشارة الى النبوة وهو المقصود بقوله ويتم نعمته عليك اي
بالنبوة وقيل ما احوج اخوتك وقيل فانجايك من كل مكروه كما اتمها على ابويك من قبل
بالخلة وانجايه بامن النار واسحق بالنبوة وقيل من الذبح قاله عكرمة واعلمه الله تعالى
بقوله وعلى ال يعقوب انه سيعطي بني يعقوب كلهم النبوة قاله جماعة من المفسرين ان
ربك عليم بما يعطيك حكيم في فعله بك قوله تعالى لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين
يعني من سال عن حديثهم وقرا اهل مكة اية على التوحيد واختار ابو عبيد ايات على الجمع
قال لانها خير كثير قال النحاس واية ههنا قراءة حسنة اي لقد كان للذين سالوا عن خبر

يوسف اية فيما اخبروا به لانهم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فقالوا اخبرنا عن رجل من
الانبياء كان بالشام اخرج ابنه الى مصر فبكى عليه حتى عمي ولم يكن بمكة احد من اهل الكتاب ولا
من يعرف خبر الانبياء وانما وجه اليهود اليهم من المدينة سلوه عن هذا فانزل الله سورة يوسف
جملة واحدة كما في التورية من غير زيادة فكان ذلك اية للنبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة
عيسى بن مريم عليه السلام الميت اية موعظة وقيل عبرة وروي انها في بعض المصاحف عبرة
وقيل بصيرة وقيل عجب تقول فلان اية في العلم والحسن اي عجب قال الثعلبي في تفسيره لما بلغت
الرويا اخوة يوسف حسدوه قال ابن زيد كانوا انبياء وقالوا ما يرضى ان يسجد له اخوته حتى
يسجد له ابواه فبغوه بالعداوة وقد تقدم رد هذا القول قال الله تعالى لقد كان في
يوسف واخوته واسماؤهم روبيل وهو اكبرهم وشمعون ولاوي ويهوذا وديالون ويشجر وامهم
ليا بنت ليان وهي بنت خال يعقوب وولد له من سريتين اربعة نوذان ونفتال وحاد
واشر ثم توفت ليا فتزوج يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فكان بنو يعقوب
اثني عشر رجلا قال السهيلي وام يعقوب اسمها رفقا وراحيل ماتت من نفاس بنيامين وليان
بن ناهر بن ازر هو خال يعقوب وقيل في اسم الامتين ليا وبليا كانت احداهما لراحيل والاخرى
لاختها ليا وكانتا قد وهبتاهما ليعقوب وكان يعقوب قد جمع بينهما ولم يحل لاحد بعده لقول
الله وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وقد تقدم الرد على ما قاله ابن زيد والحمد لله
قوله تعالى اذ قالوا ليوسف رفع بالابتدا واللام للتاكيد وهي التي يتلقى بها القسم اي والله
ليوسف واخوه عطف عليه احب الى ابينا منا خبره ولا يثنى ولا يجمع لانه بمعنى الفعل وانما قالوا هذا
لان خبر المنام بلغهم فتوامروا في كيده ونحن عصبة اي جماعة وكانوا عشرة والعصبة ما بين
الواحد الى العشرة وقيل الى الخمسة عشر وقيل ما بين الاربعين الى العشرة ولا واحد لها من لفظها
كالنفر والرهط ان ابانا لفي ضلال مبين لم يريدوا ضلال الدين اذ لو ارادوه لكانوا كفارا
بل ارادوا لفي ذهاب عن وجه التدبير في ايثار اثنين على عشرة في استوائهم في الانتساب اليه
وقيل لفي خطا بين بايثاره يوسف واخاه علينا قوله تعالى اقتلوا يوسف في الكلام حذف اي
قال قائل منهم اقتلوا يوسف ليكون احسم لمادة الامر او اطرحوه ارضا فاسقط الخافض وانتصب
الارض وانشد سيبويه فيما حذف منه في فقال لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما
عسل الطريق الثعلب قال النحاس الا انه في الاية حسن كثير لانه يتعدى الى مفعولين احدهما
بحرف فاذا حذفت الحرف تعدى الفعل اليه والقائل قيل هو شمعون قاله وهب بن منبه وكعب
دان وقال مقاتل روبيل فالله اعلم والمعنى ارضا يبعد عن ابيه فلا بد من هذا الاضمار
لانه كان عند ابيه في ارض يخل جزم لانه جواب الامر ومعناه يخلص ويصفو لكم وجه ابيكم
فيقبل عليكم بكليته وتكونوا من بعده اي من بعد الذنب وقيل من بعد يوسف قوما صالحين
اي تائبين اي تحدثوا توبة بعد ذلك فيقبلها الله منكم وفي هذا دليل على ان توبة القاتل
مقبولة لان الله تعالى لم ينكر هذا القول منهم وقيل صالحين اي يصلح شانكم عند ابيكم من
غير اثرة ولا تفضيل قوله تعالى قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب
يلتقطه بعض السيارة فيه اثنتي عشرة مسئلة الاولى قال قائل منهم يهوذا وهو اكبر
اولاد يعقوب قاله ابن عباس وقيل روبيل وهو ابن خالته وهو الذي قال فلن ابرح الارض
وقيل شمعون والقوه في غيابة الجب قرا اهل مكة واهل البصرة واهل الكوفة في غيابة الجب

وقرا

وقرا اهل المدينة في غيابات الجب واختار ابو عبيدة التوحيد على موضع واحد القوه فيه وانكر الجمع لهذا
قال النحاس وهذا تضييق في اللغة وغيابات على الجمع يجوز وحكى سيبويه سير عليه عشيانات واصيلانات
يريد عشية واصيلا فجعل كل وقت منها عشية واصيلا فكذا جعل كل موضع مما يغيب غيبا وغيابا كما
قال الشاعر اذا انا بثا شهرين او بعض ثالث الى ذاكما قد غيبتني غيابيا قال الهروي والغيابة
شبه لجف او طاق في البير فويق الماء يغيب الشي عن العيون وقال ابن عزيز كل شي غيب عنك شيئا
فهو غيابة قلت ومنه قيل للقبر غيابة قال الشاعر فان انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري
في العشيرة والاهل والجب الركية التي لم تطو فاذا طويت فهو بير قال الشاعر لئن كنت في جب ثمانين
قامة ورقيت اسباب السماء بسلم وسميت جبا لانها قطعت في الارض قطعا وجمع الجب جباب
وجباب واجباب وجمع بين الغيابة والجب لانه اراد القوه في موضع مظلم من الجب حتى لا
يلحقه نظر الناظرين قيل هو بير بيت المقدس وقيل بير بالاردن قاله وهب بن منبه مقاتل
هو على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب الثانية قوله يلتقطه بعض السيارة جزم على جواب الامر
وقرا مجاهد وابو رجا والحسن وقتادة تلتقطه بالتاء وهذا محمول على المعنى لان بعض السيارة
سيارة وحكى سيبويه سقطت بعض اصابعه وانشد وتشرق بالقول الذي قد اذعته كما شرقت
صدر القناة من الدم وقال اخر ارى مر السنين اخذن مني كما اخذ السرار من الهلال ولم يقل
مرت ولا اخذ والسيارة الجمع الذي يسيرون في الطريق للسفر وانما قال هذا القائل حتى لا يحتاجوا
الى حمله الى موضع بعيد وكان هذا وجها في التدبير حتى لا يحتاجوا الى الحركة بانفسهم فربما لا ياذن لهم
وربما يطلع على قصدهم الثالثة وفي هذا دليل على ان اخوة يوسف ما كانوا انبياء اولا ولا اخرا
لان الانبياء لا يدبرون في قتل مسلم بل كانوا مسلمين فارتكبوا معصية ثم تابوا وقيل كانوا انبياء
ولا يستحيل في العقل زلة نبي فكانت هذه زلة منهم وهذا يرده بان الانبياء معصومون من الكبائر
على ما قدمناه وقيل ما كانوا في ذلك الوقت انبياء ثم نباهم الله وهذا اشبه والله اعلم الرابعة
قال ابن وهب قال مالك طرح يوسف في الجب وهو غلام وكذلك روى ابن القاسم عنه يعني
انه كان صغيرا والدليل عليه قوله لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابات الجب يلتقطه بعض السيارة
قال ولا يلتقط الا الصغير وقوله اني لاخاف ان ياكله الذئب وذلك امر يختص بالصغار وقوله
ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون الخامسة الالتقاط تناول الشي من الطريق
ومنه اللقيط واللقطة ونحن نذكر من احكامها ما دلت عليه الاية والسنة وما قال في ذلك
اهل العلم واللغة قال ابن عرفة الالتقاط وجود الشي على غير طلب ومنه قوله تعالى يلتقطه بعض
السيارة اي يجده من غير ان يحتسبه وقد اختلف العلماء في اللقيط فقيل اصله الحرية لغلبة
الاحرار على العبيد وروي عن الحسن بن علي انه قضى بان اللقيط حر وتلى وشروه بثمن بخس
دراهم معدودة والى هذا ذهب اشهب صاحب مالك وهو قول عمر بن الخطاب وكذلك يروى
عن علي وجماعة وقال ابراهيم النخعي ان نوى رقه فهو مملوك وان نوى الحسبة فهو حر وقال
مالك في موطائه الامر عندنا في المنبوذ انه حر وان ولاه لجماعة المسلمين هم يرثونه ويعقلون
عنه وبه قال الشافعي واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام انما الولاء لمن اعتق قال فنفى
الولاء عن غير المعتق واتفق مالك والشافعي واصحابهما ان اللقيط لا يوالي احدا ولا يرثه احد
بالولاء وقال ابو حنيفة واصحابه واكثر الكوفيين اللقيط يوالي من شاء فمن والاه فهو يرثه
ويعقل عنه وعند ابي حنيفة ان ينتقل بولائه حيث شاء ما لم يعقل عنه الذي والاه فان عقل

عنه جناية لم يكن له ان ينتقل عنه بولايته وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن علي رضي الله عنه المنبوذ حر فان
احب ان يوالي الذي التقطه والاه وان احب ان يوالي غيره والاه ونحوه عن عطا وهو قول ابن
شهاب وطائفة من اهل المدينة وهو حر قال ابن العربي انما كان اصل اللقيط الحرية لغلبة الاحرار
على العبيد فقضى بالغالب كما حكم انه مسلم اخذا بالغالب فان كان في قرية فيها نصارى ومسلمون
فان ابن القاسم قال يحكم بالاغلب فان وجد عليه زي اليهود فهو يهودي وان وجد زي النصارى
فهو نصراني والا فهو مسلم الا ان يكون اكثر اهل القرية على غير الاسلام وقال علي لو لم يكن فيها الا
مسلم واحد قضى للقسط بالاسلام تغليبا لحكم الاسلام الذي يعلو ولا يعلى عليه وهو مقتضى قول اشهب
قال اشهب هو مسلم ابدا لاني اجعله مسلما على كل حال كما اجعله حرا على كل حال واختلف الفقهاء
في المنبوذ تشهد البينة انه عبد فقالت طائفة من اهل المدينة لا يقبل قولها في ذلك والى
هذا ذهب اشهب الى قول عمر هو حر ومن قضى بحريته لم تقبل البينة انه عبد وقال ابن القاسم
تقبل البينة في ذلك وهو قول الشافعي والكوفي السادسة قال مالك في اللقيط اذا انفق
عليه الملتقط ثم اقام رجل البينة انه ابنه فان الملتقط يرجع على الاب ان كان طرحه متعمدا
وان لم يكن طرحه ولكن ضل منه فلا شيء على الاب والملتقط متطوع بالنفقة وقال ابو حنيفة
اذا انفق على الملتقط فهو متطوع الا ان يامره الحاكم وقال الاوزاعي كل من انفق على من لا يجب له
عليه نفقة رجع بما انفق وقال الشافعي ان لم يكن للقيط مال وجبت نفقته في بيت المال
فان لم يكن ففيه قولان احدهما يستقرض له في ذمته والثاني يسقط على المسلمين من غير عوض
السابعة واما اللقطة والضوال فقد اختلف العلماء في حكمهما فقالت طايفة من اهل
العلم اللقطة والضوال سواء في المعنى والحكم فيهما سواء والى هذا ذهب ابو جعفر الطحاوي وانكر
قول ابي عبيد القاسم بن سلام ان الضالة لا تكون الا في الحيوان واللقطة في غير الحيوان وقال
هذا غلط واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الافك للمسلمين ان امكم ضلت قلادتها
فاطلق ذلك على القلادة الثامنة اجمع العلماء ان اللقطة ما لم تكن تافها يسيرا او شيئا
لا بقاء لها فانها تعرف حولا كاملا واجمعوا ان صاحبها ان جاء فهو احق بها من ملتقطها اذا ثبت
له انه صاحبها واجمعوا ان ملتقطها اذا اكلها بعد الحول واراد صاحبها ان يضمنه فان ذلك
له وان تصدق بها فصاحبها مخير بين التضمين وبين ان ينزل على اجرها فاي ذلك تخير
كان ذلك له باجماع ولا تنطلق يد ملتقطها عليها بصدقة ولا تصرف قبل الحول واجمعوا ان ضالة
الغنم المخوف عليها له اكلها التاسعة اختلف الفقهاء في الافضل من اخذها او تركها فمن ذلك
ان في الحديث دليلا على اباحة التقاط اللقطة واخذ الضالة ما لم تكن ابلا وقال في الشاة
لك او لاخيك او للذيب يحضه على اخذها ولم يقل في شيء دعوه حتى يضيع او ياتيه ربه ولو
كان ترك اللقطة افضل لامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال في ضالة الابل والله
اعلم حمله وذهب اصحاب مالك انه في سعة ان شاء اخذها وان شاء تركها هذا قول
اسمعيل بن اسحق رحمه الله وقال المزني عن الشافعي لا احب لاحد ترك لقطة ان وجدها
اذا كان امينا عليها قال وسواء قليل اللقطة وكثيرها العاشرة روى الائمة مالك وغيره
ان زيد بن خالد الجهني قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله عن اللقطة فقال اعرف
عفاصها ووكاءها ثم عرفها سنة فان جاء صاحبها والا فشانك بها قال فضالة الغنم يا
رسول الله قال لك او لاخيك او للذيب قال فضالة الابل قال مالك ولها معها سقاؤها وحذاؤها

ترد

ترد الماء وتاكل الشجر حتى يلقاها ربها وفي حديث ابي فقال احفظ عددها ووعاءها ووكاءها فان جاء صاحبها
والا فاستمتع بها ففي هذا الحديث زيادة العدد خرجه مسلم وغيره واجمع العلماء ان عفاص اللقطة
ووكاءها من احدى علاماتها وادلها عليه فاذا اتى صاحب اللقطة بجميع اوصافها دفعت له قال
ابن القاسم يجبر على دفعها فان جاء مستحق يستحقها ببينة انها كانت له لم يضمن الملتقط شيئا
وهل يحلف مع الاوصاف او لا قولان الاول لاشهب والثاني لابن القاسم ولا تلزمه بينة عند مالك
واصحابه واحمد بن حنبل وغيرهم وقال ابو حنيفة والشافعي لا تدفع له الا اذا اقام بينة انها له
وهو بخلاف نص الحديث ولو كانت البينة شرطا في الدفع لما كان لذكر العفاص والوكاء والعدد
معنى فانه يستحقها بالبينة على كل حال ولما جاز سكوت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانه تاخير
البيان عن وقت الحاجة والله اعلم الحادية عشر نص الحديث على الابل والغنم وبين حكمهما وسكت
عما عداهما من الحيوان وقد اختلف علماؤنا في البقر هل تلحق بالابل او بالغنم قولان وكذلك اختلف
ائمتنا في التقاط الخيل والبغال والحمير فظاهر قول ابن القاسم انها تلتقط وقال اشهب وابن كنانة
لا تلتقط وقول ابن القاسم اصح لقوله عليه الصلاة والسلام احفظ على اخيك المؤمن ضالته الثانية عشر
واختلف العلماء في النفقة على الضوال فقال مالك فيما ذكر عنه ابن القاسم ان انفق الملتقط على
الدواب والابل وغيرها فله ان يرجع على صاحبها بالنفقة وسواء انفق عليها بامر السلطان او بغير
امره قال وله ان يحبس بالنفقة ما انفق عليه ويكون احق به كالرهن وقال الشافعي اذا انفق
على الضوال من اخذها فهو متطوع حكاه عنه الربيع وقال المزني عنه اذا امره الحاكم بالنفقة كانت
دينا وما ادعى قبل منه اذا مثله قصدا وقال ابو حنيفة اذا انفق على اللقطة والابق بغير امر القاضي
فهو متطوع وان انفق بامر القاضي فذلك دين على صاحبها وله ان يحبسها اذا جاء صاحبها
والنفقة عليها ثلاثة ايام ونحوها حتى يامر القاضي ببيع الشاة وما اشبهها ويقضي النفقة والله
اعلم الثالثة عشر ليس في قوله صلى الله عليه وسلم في اللقطة بعد التعريف فاستمتع بها او شانك
بها او فهي لك او فاستنفقها او ثم كلها او فهو مال الله يؤتيه من يشاء على ما في صحيح مسلم وغيره ما
يدل على التمليك وسقوط الضمان عن الملتقط اذا جاء ربها فان في حديث زيد بن خالد الجهني
عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم عرفها سنة فان لم تعرف فاستنفقها ولتكن وديعة عندك فان جاء
صاحبها يوما من الدهر فادها اليه في رواية ثم كلها فان جاء صاحبها يوما من الدهر فادها اليه
خرجه البخاري ومسلم واجمع العلماء على ان صاحبها متى جاء فهو احق بها الا ما ذهب اليه داود
للتمليك اللقطة بعد التعريف لتلك الظواهر ولا التفات لقوله لمخالفته الناس ولقوله
عليه الصلاة والسلام فادها اليه قوله تعالى قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف قيل للحسن
ايحسد المؤمن قال ما انساك ببني يعقوب ولهذا قال الاب جلاب والاخ سلاب فعند ذلك
اجمعوا على التفريق بينه وبين ولده بضرب من الاحتيال وقالوا ليعقوب يا ابانا ما لك لا
تامنا وقيل لما تفاوضوا افترقوا على راي المتكلم الثاني عادوا الى يعقوب عليه السلام وقالوا هذا
القول وفيه دليل على انهم سالوه قبل ذلك ان يخرج معهم يوسف فابى على ما ياتي وقرا يزيد بن
القعقاع وعمرو بن عبيد والزهري لا تامنا بالادغام بغير اشمام وهو القياس لان سبيل ما يدغم
ان يكون ساكنا وقرا طلحة بن مصرف لا تامننا بنونين ظاهرتين على الاصل وقرا يحيى بن وثاب
وابو رزين وروي عن الاعمش لا تيمنا بكسر التاء وهي لغة تميم يقولون انت تضرب وقد
تقدم وقرا سائر الناس بالادغام والاشمام ليدل على حال الحرف قبل ادغامه وانا له لناصحون

اي فحفظه وحيطته حتى نرده اليك قال مقاتل في الكلام تقديم وتاخير وذلك ان اخوة يوسف
قالوا لابيهم ارسله معنا الاية فحينئذ قال ابوهم اني ليحزنني ان تذهبوا به قالوا حينئذ لجوا بالقوله
مالك لا تامنا على يوسف الاية ارسله معنا غدا الى الصحراء نرتع ونلعب غدا ظرف والاصل عند
سيبويه غدو وقد نطق به على الاصل قال النضر بن شميل ما بين الفجر وصلاة الصبح يقال له غدوة
وكذا بكرة نرتع ونلعب بالنون واسكان العين قراة اهل البصرة والمعروف من قراءة اهل مكة
نرتع بالنون وكسر العين وقراة اهل الكوفة يرتع ويلعب بالياء واسكان العين وقراءة اهل المدينة
بالياء وكسر العين القراءة الاولى من قول العرب رتع الانسان والبعير اكلا كيف شاءا والمعنى يتسع
في الخصب وكل مخصب راتع قال فارعي فزارة لا هناك المرتع اخر ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت
فانما هي اقبال وادبار وقال الاخر اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا اي الراتعة
لكثرة المرعى وروى معمر عن قتادة نرتع نسعى قال النحاس اخذه من قوله انا ذهبنا نستبق لان
المعنى نستبق في العدو والى غاية بعينها وكذا يرتع باسكان العين الا انه ليوسف وحده عليه
السلام ويرتع بكسر العين من رعي الغنم اي يتدرب بذلك ويترجل فمرة يرتع ومرة يلعب لصغره
وقال العتبي نرتع نتحارس ونتحافظ ويرعى بعضنا بعضا من قولك رعاك الله اي حفظك ونلعب
من اللعب وقيل لابي عمرو بن العلا كيف قالوا ونلعب وهم انبياء فقال لم يكونوا يومئذ انبياء
وقيل المراد باللعب المباح منا الانبساط لا اللعب المحظور الذى هو ضد الحق ولذلك لم ينكر يعقوب
قولهم ونلعب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فهلا بكرا تلاعبك وتلاعبها وقرا مجاهد وقتادة
نُرتع على معنى نرتع مطيته فحذف المفعول ونلعب بالرفع على الاستيناف والمعنى وهو ممن يلعب
وانا له لحافظون من كل ما يخاف عليه ثم يحتمل انهم كانوا يخرجون ركبانا ويحتمل انهم كانوا
رجالة وقد نقل انهم حملوا يوسف على اكتافهم ما دام يعقوب يراهم فلما غابوا عن عينه طرحوه
ليعدو معهم اضرارا به قوله تعالى قال اني ليحزنني ان تذهبوا به في موضع رفع اي ذهابكم
به اخبر عن حزنه لغيبته واخاف ان ياكله الذئب شدد على يوسف فلذلك خافه عليه
قاله الكلبي وقيل انه راى في منامه كانه على ذروة جبل وكان يوسف في بطن الوادي
فاذا عشرة من الذئاب قد احتوشته يريدون اكله فدرا عنه واحد ثم انشقت الارض فتوارى
فيها ثلاثة ايام وكان العشرة اخوته لما تمالوا على قتله والذى دافع عنه اخوه الاكبر يهودا
وتواريه في الارض هو مقامه في الجب ثلاثة ايام وقيل انما قال ذلك لخوفه منهم عليه وان
اراد هم بالذئب فخوفه انما كان من قتلهم له فكنى عنهم بالذئب مساترة لهم قال ابن عباس
فسماهم ذئابا وقيل ما خافهم عليه ولو خافهم ما ارسله معهم وانما خاف الذئب لانه اغلب
ما يخاف في الصحارى والذئب ماخوذ من تذابت الريح اذا جاءت من كل وجه كذا قال احمد
بن يحيى قال والذئب مهموز لانه يجيء من كل وجه وروى ورش عن نافع الذيب بغير همز
اذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها كسرة فخففها صارت ياء وانتم عنه غافلون اي مشتغلون
بالرعي قوله تعالى قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اي اذا كنا لا نقدر على دفع الذئب
ثم لا نرده عنه انا اذا لخاسرون في حفظنا اغنامنا اذا كنا لا نقدر على دفع الذئب عن اخينا
فنحن اعجز ان لا ندفعه عن اغنامنا وقيل لخاسرون لجاهلون بحقه وقيل لداخرون قوله
تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه ان في موضع نصب اي على ان يجعلوه في غيابة الجب
قيل في القصة ان يوسف عليه السلام لما ارسله معهم اخذ عليهم ميثاقا غليظا ليحفظنه وسلمه

الى

الى روبيل وقال يا روبيل انه صغير وتعلم يا بني شفقتي عليه فان جاع فاطعمه وان عطش فاسقه
وان عيي فاحمله ثم عجل برده الي قال فاخذوا يحملونه على اكتافهم لا يضعه واحد الا رفعه اخر
ويعقوب يشيعهم ميلا ثم رجع فلما انقطع بصر ابيهم عنهم رماه الذى كان يحمله الى الارض
حتى كاد ينكسر فالتجا الى اخر فوجد عند كل واحد منهم اشد مما عند الاخر من الغيظ والعسف
فاستغاث بروبيل وقال انت اكبر اخوتي والخليفة من بعد والدي علي واقرب الاخوة
الي فارحمني وارحم ضعفي فلطمه لطمة شديدة وقال لا قرابة بيني وبينك فادع الاحد عشر
كوكبا فلينجك منا فعلم ان حقدهم من اجل رؤياه فتعلق باخيه يهودا وقال يا اخي ارحم ضعفي
وعجزي وحداثة سني وارحم قلب ابيك يعقوب فما اسرع ما تناسيتم وصيته ونقضتم عهده
فرق عليه قلب يهودا وقال والله لا يصلون اليك ابدا ما دمت حيا ثم قال يا اخوتاه
ان قتل النفس التي حرم الله من اعظم الخطايا فردوا هذا الصبي الى ابيه ونعاهده ان لا
يحدث والده بشيء ابدا فقال له اخوته والله ما تريد الا ان تكون المكانة عند يعقوب
والله لئن لم تدعه لنقتلنك معه قال فان ابيتم الا ذلك فهنا هذا الجب الوحش القفر
الذى هو ماوى الحيات والهوام فالقوه فيه فان اصيب بشيء من ذلك فهو المراد وقد
استرحتم من دمه وان انقلب على يدي سيارة يذهبون به الى ارض فهو المراد فاجمع رايهم
على ذلك فهو قول الله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وجواب لما
محذوف اي فلما ذهبوا به واجمعوا على طرحه في الجب عظمت فتنتهم وقيل جواب لما قالوا
يا ابانا انا ذهبنا نستبق وقيل التقدير فلما ذهبوا به من عند ابيهم واجمعوا ان يجعلوه في
غيابة الجب جعلوه فيها وهذا على مذهب البصريين واما على قول الكوفيين فالجواب
واوحينا والواو مقحمة والواو عندهم تزاد مع لما وحتى قال الله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت
ابوابها اي فتحت وقال حتى اذا جاء امرنا وفار التنور اي فار وقال امرؤ القيس فلما اجزنا
ساحة الحي وانتحى اي انتحى ومنه قوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا
ابراهيم اي ناديناه وفي قوله واوحينا اليه دليل على نبوته في ذلك الوقت قال الحسن ومجاهد
والضحاك وقتادة اعطاه الله النبوة في الجب على حجر مرتفع عن الماء وقال الكلبي القي في
الجب وهو ابن ثماني عشرة سنة فما كان صغيرا ومن قال كان صغيرا فلا يبعد في العقل ان
ينبا الصغير ويوحى اليه وقيل كان وحي الهام كقوله واوحى ربك الى النحل وقيل كان مناما
والاول اظهر والله اعلم وان جبريل جاءه بالوحي وقوله تعالى لتنبئنهم بامرهم هذا فيه وجهان
احدهما انه اوحى اليه انه سيلقاهم ويوبخهم على ما صنعوا فعلى هذا يكون الوحي بعد القائه
في الجب تقوية لقلبه وتبشيرا له بالسلامة انتهى الثاني انه اوحى اليه بالذى يصنعون
به فعلى هذا يكون الوحي قبل القائه في الجب انذارا له وهم لا يشعرون انك يوسف و
ذلك ان الله تعالى امره لما افضى اليه الامر ان لا يخبر اباه واخوته بمكانه وقيل بوحي
الله تعالى قاله ابن عباس ومجاهد ايضا ليعقوب اوحى الله تعالى اليه بما فعلوه بيوسف
وانه سيعرفهم بامره وهم لا يشعرون بما اوحى اليه والله اعلم ومما ذكر من قصته اذا
التي في الجب ما ذكره السدي وغيره ان اخوته لما جعلوا يدلونه في البير تعلق بشفير البير
فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتي ردوا علي قميصي اتوارى به في هذا الجب فان
مت كان كفني وان عشت اواري به عورتي فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا

ظلتونك وتكسك فقال انى لم اريشيئا اندلوه فى البير حتى اذا بلغ نصفها القوه ان يسقط فيموت
فكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى الصخرة فقام عليها وقيل ان شمعون هو الذى قطع الحبل
ارادة ان يتفتت على الصخرة وكان جبريل تحت ساق العرش فاوحى الله اليه ان ادرك عبدى
قال جبريل فاسرعت وهبطت حتى عارضته بين الرمى والوقوع فانفذته على الصخرة سالما وكان
الجب ماوى الهوام فقام على الصخرة وجعل يبكى فنادوه فظن انها رحمة عليه ادركتهم فاجابهم
فارادوا ان يرضخوه بالصخر فمنعهم يهودا وكان يهودا ياتيه بالطعام فلما وقع عريانا نزل
جبريل اليه وكان ابراهيم حين القى فى النار عريانا اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه
اياه فكان ذلك عند ابراهيم ثم ورثه اسحق ثم ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل
يعقوب ذلك القميص فى تعويذ وجعله فى عنقه فكان لا يفارقه فلما القى فى الجب عريانا
اخرج جبريل ذلك القميص فالبسه اياه قال وهب فلما قام على الصخرة قال يا اخوتاه ان لكل
ميت وصية فاسمعوا وصيتى قالوا وما هى قال اذا اجتمعتم كلكم فانس بعضكم بعضا فاذكروا
وحدتى واذا رايتم غريبا فاذكروا غربتى واذا رايتم شابا فاذكروا شبابى فقال له جبريل
يا يوسف كف عن هذا واشتغل بالدعاء فان الدعاء عند الله بمكان ثم علمه فقال قل
اللهم يا مونس كل غريب ويا صاحب كل وحيد ويا ملجا كل خايف ويا كاشف كل كربة ويا
عالم كل نجوى ويا منتهى كل شكوى ويا حاضر كل ملاء يا حى يا قيوم اسالك ان تقذف رجاءك
فى قلبى حتى لا يكون لى هم ولا شغل غيرك وان تجعل لى من امرى فرجا ومخرجا انك على كل شىء
قدير فقالت الملائكة الهنا نسمع صوتا ودعاء الصوت صوت صبى والدعاء دعاء نبى وقال
الضحاك نزل جبريل عليه السلام وهو فى الجب فقال له الا اعلمك كلمات اذا انت قلتهن
عجل الله خروجك من هذا الجب فقال نعم فقال له قل يا صانع كل مصنوع ويا جابر كل كسير ويا
شاهد كل نجوى ويا حاضر كل ملاء ويا مفرج كل كربة ويا صاحب كل غريب ويا مونس كل وحيد
ايتنى بالفرج والرجا واقذف رجاءك فى قلبى حتى لا ارجو احدا سواك فرددها يوسف فى
ليلته مرارا فاخرجه الله فى صبيحة يومه ذلك من الجب قوله تعالى وجاؤا اباهم عشاء
يبكون فيه مسئلتان الاولى قوله وجاؤا اباهم عشاء اى ليلا وهو ظرف يبكون فى
موضع الحال وانما جاؤا عشاء ليكونوا اقدر على الاعتذار فى الظلمة ولذا قيل لا تطلب الحاجة
بالليل فان الحيا فى العينين ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج فى الاعتذار وروى ان
يعقوب عليه السلام لما سمع بكاءهم قال ما بكم اجرى فى الغنم شىء قالوا لا قال فاين يوسف
قالوا ذهبنا نستبق فاكله الذئب فبكى وصاح وقال اين قميصه على ما ياتى بيانه قال
السدى وابن حبان انه لما قالوا اكله الذئب خر مغشيا عليه فافاضوا عليه الماء فلم يتحرك
ونادوه فلم يجب قال وهب ولقد وضع يهودا يده على مخارج نفس يعقوب فلم يحس
بنفس ولا تحرك له عرق فقال لهم يهودا ويل لنا من ديان يوم الدين ضيعنا اخانا
وقتلنا ابانا فلم يفق يعقوب الا ببرد السحر فافاق وراسه فى حجر روبيل فقال يا روبيل
الم ائتمنك الم اعهد اليك عهدا فقال يا ابت كف عن بكائك اخبرك فكف يعقوب
بكاءه فقال يا ابتاه انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب الثانية
قال علماؤنا هذه الاية دليل على ان بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله لاحتمال ان يكون
تصنعا ومن الخلق من يقدر على ذلك ومنهم من لم يقدر وقد قيل ان الدمع المصنوع لا يخفى

كما قال حكيم اذا اشتبكت دموع فى خدود تبين من بكى ممن تباكا قوله تعالى قالوا انا ذهبنا نستبق
وتركنا يوسف عند متاعنا فيه سبع مسائل الاولى قوله تعالى نستبق نفتعل من المسابقة
وقيل اى ننتضل وكذلك فى قراءة عبد الله انا ذهبنا ننتضل وهو نوع من المسابقة قاله الزجاج
وقال الازهرى النضال فى السهام والسبق فى الخيل والمسابقة يجمعهما قال القشيرى ابو نصر
نستبق اى فى الرمى او على الفرس او على الاقدام والغرض فى المسابقة على الاقدام تدريب النفس
على العدو لانه الالة فى قتال العدو ودفع الذيب عن الاغنام وقال السدى وابن حبان
نستبق نشتد جريا لنرى اينا اسبق قال ابن العربى المسابقة شرعت فى الشريعة وخصلة
بديعة وعون على الحرب وقد فعله النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه وبخيله وسابق عايشة على
قدميه فسبقها فلما كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته فقال لها هذه بتلك
قلت وسابق سلمة بن الاكوع رجلا لما رجعوا من ذى قرد الى المدينة فسبقه سلمة خرجه
مسلم الثانية روى مالك عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل
التى قد اضمرت وكان امدها ثنية الوداع وسابق بين الخيل التى لم تضمر من الثنية الى مسجد
بنى زريق وان عبد الله بن عمر كان ممن سابق بها وهذا الحديث مع صحته فى هذا الباب تضمن
ثلاثة شروط فلا تجوز المسابقة بدونها وهى ان المسافة لا بد ان تكون معلومة الثانى ان
تكون الخيل متساوية الاحوال الثالث ان لا يسبق المضمر مع غير المضمر فى غير امد غاية واحدة
والخيل التى يجب ان تضمر ويسابق عليها وتقام هذه السنة فيها هى الخيل المعدة لجهاد العدو لا
لقتال المسلمين فى الفتن الثانية واما المسابقة بالنصال والابل فروى مسلم عن عبد الله
بن عمر قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضل
وذكر الحديث وخرج النسائى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا سبق الا فى
نصل او خف او حافر وثبت ذكر النصل من حديث ابى ذويب عن نافع عن ابى نافع عن ابى هريرة
ذكره النسائى وبه يقول فقهاء الحجاز والعراق وروى البخارى عن انس قال كان للنبى صلى الله
عليه وسلم ناقة تسمى العضباء لا تسبق قال حميد او لا تكاد تسبق فجاء اعرابى على قعود فسبقها فشق
ذلك على المسلمين فقال حق على الله ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه الرابعة اجمع العلماء
على ان السبق لا يجوز على وجه الرهان الا فى الخف والحافر والنصل قال الشافعى ما عدا هذه
الثلاثة فالسبق فيها قمار وقد زاد ابو البخترى القاضى فى حديث الخف والحافر والنصل او جناح
وهى لفظة زادها للرشيد وترك العلماء حديثه لذلك ولغيره من موضوعاته فلا يكتب العلماء
حديثه بحال وقد روى عن مالك انه قال لا سبق الا فى الخيل والرمى لانه قوة على اهل الحرب
قال وسبق الخيل احب الينا من سبق الرمى وظاهر الحديث يسوى بين السبق على النجب والسبق
على الخيل وقد منع بعض العلماء الرهان فى كل شىء الا فى الخيل لانها التى كانت عادة العرب
المراهنة عليها وروى عن عطاء المراهنة فى كل شىء جايزة وقد تاول عليه لان حمله على العموم
فى كل شىء يودى الى اجازة القمار وهو محرم باتفاق الخامسة لا يجوز السبق فى الخيل الا فى
غاية معلومة وامد معلوم كما ذكرنا وكذلك الرمى لا يجوز السبق فيه الا بغاية معلومة ورشق
معلوم ونوع من الاصابة مشترط خسقا او اصابة بغير شرط والاسباق ثلاثة سبق يعطيه
الوالى او الرجل غير الوالى من ماله متطوعا فيجعل للسابق شيئا معلوما فمن سبق اخذه وسبق
يخرجه احد المتسابقين دون صاحبه فان سبقه صاحبه اخذه وان سبق هو صاحبه

اخذه وحسن ان يمضيه في الوجه الذي اخرجه له ولا يرجع الى ماله وهذا مما لا اخلاف فيه والسبق الثالث اختلف فيه وهو ان يخرج كل واحد منهما شيئا مثل ما يخرجه صاحبه فايهما سبق احرز سبق نفسه وسبق صاحبه وهذا الوجه لا يجوز حتى يدخلا بينهما محللا لا يامنا ان يسبقهما فان سبق المحلل احرز السبقين جميعا او احدهما وحده وان سبق احد المتسابقين احرز سبقه واخذ سبق صاحبه ولا شيء للمحلل فيه ولا شيء عليه وان سبق الثاني منهما الثالث كان كمن لم يسبق واحد منهما وقال ابو علي بن خيران من اصحاب الشافعي وحكم الرهن المحلل ان يكون مجهولا جريه وسمي محللا لانه يحلل السبق للمتسابقين اوله واتفق العلماء على انه ان لم يكن بينهما محلل واشترط كل واحد من المتسابقين انه ان سبق اخذ سبقه وسبق صاحبه انه قمار لا يجوز وفي سنن ابي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادخل فرسا بين فرسين وهو لا يامن ان يسبق فليس بقمار ومن ادخله وقد امن ان يسبق فهو قمار وفي الموطا عن سعيد ابن المسيب قال ليس برهان الخيل باس اذا دخل فيها محلل فان سبق اخذ السبق وان سُبق لم يكن عليه شيء وبهذا قال الشافعي وجمهور اهل العلم واختلف في ذلك قول مالك فقال مرة لا يجب المحلل في الخيل ولا ياخذ فيه بقول سعيد ثم قال لا يجوز الا بالمحلل وهو الاجود من قوله والله اعلم السادسة ولا يحمل على الخيل والابل في المسابقة الا المحتلم ولو اركبها اربابها كان اولى وقد روي عن عمر بن الخطاب انه قال لا يركب الخيل في السباق الا اربابها وقال الشافعي واقل السبق ان يسبق بالهادي او بعضه او بالكفل او بعضه والسبق بين الرماة على هذا النحو عنده وقول محمد بن الحسن في هذا نحو قول الشافعي السابعة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سابق ابا بكر وعمر فسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ابو بكر وثلث عمر ومعنى وصلى ابو بكر يعني ان راس فرسه كان عند صلوى فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلوان موضع العجز قوله تعالى وتركنا يوسف عند متاعنا اي عند ثيابنا واقمشتنا حارسا لها وذلك انهم سمعوا اباهم يقول واخاف ان ياكله الذئب اخذوا ذلك من فيه فتحرموا به لانه كان اظهر المخاوف عليه وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق ولو كنا اي وان كنا قاله المبرد وابن اسحق صادقين في قولنا ولم يصدقهم يعقوب لما ظهر من قوة التهمة وكثرة الادلة على خلاف ما قالوه على ما ياتي بيانه انشا وقيل ولو كنا صادقين اي ولو كنا عندك من اهل الثقة والصدق ما صدقتنا ولا تهمتنا في هذه القضية لمحبتك في يوسف قال معناه الزجاج والطبري وغيرهما قوله تعالى وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يابشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وقال الذي اشتريه من مصر لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من

دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين قوله وجاؤا على قميصه بدم كذب فيه ثلاث مسائل الاولى قوله بدم كذب قال مجاهد كان دم سخلة او جدي ذبحوه وقال قتادة كان دم ظبية اي جاؤا على قميصه بدم مكذوب فيه فوصف الدم بالمصدر فصار تقديره بدم ذي كذب مثل واسئل القرية والفاعل والمفعول قد يسميان بالمصدر يقال هذا ضرب الامير اي مضروبه وماء سكب اي مسكوب وماء غور اي غاير ورجل عدل اي عادل وقال الحسن وعايشة بدم كذب بالدال غير المعجمة اي بدم طري يقال للدم الطري الكذب وحكي انه المتغير قاله الشعبي والكذب ايضا البياض الذي يخرج في اظفار الاحداث فيجوز ان يكون شبه الدم في القميص بالبياض الذي يخرج في الظفر من جهة اختلاف اللونين الثانية قال علماؤنا لما ارادوا ان يجعلوا الدم علامة على صدقهم قرن الله بهذه العلامة علامة تعارضها وهو سلامة القميص من التنييب اذ لا يمكن افتراس الذيب ليوسف وهو لابس القميص ويسلم القميص من التخريق ولما تامل يعقوب عليه السلام القميص لم يجد فيه خرقا ولا اثرا استدل بذلك على كذبهم وقال لهم متى كان هذا الذئب حليما ياكل يوسف ولا يخرق القميص قاله ابن عباس وغيره روى سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال كان الدم دم سخلة وروى سفيان عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نظر اليه قال كذبتم لو اكله الذئب لخرق القميص وحكى الماوردي ان القميص فيه ثلاث ايات حين جاؤا عليه بدم كذب وحين قد قميصه من دبر وحين القي على وجه ابيه فارتد بصيرا قلت وهذا مردود فان القميص الذي جاؤا عليه بالدم غير القميص الذي قد وغير القميص الذي جاءه البشير به وقد قيل ان القميص الذي قد هو الذي اتي به فارتد بصيرا على ما ياتي بيانه في اخر السورة ان شاء الله وروي انهم قالوا له بل اللصوص قتلوه فاختلف قولهم فاتهمهم فقال لهم تزعمون ان الذيب اكله ولو اكله لشق قميصه قبل ان يفضي الى جلده وما ارى بالقميص من شق وتزعمون ان اللصوص قتلوه ولو قتلوه لاخذوا قميصه هل يريدون الا ثيابه فقالوا عند ذلك وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين عن الحسن وغيره اي لو كنا موصوفين بالصدق لاتهمتنا الثالثة استدل الفقهاء بهذه الاية في اعمال الامارات في مسايل من الفقه كالقسامة وغيرها واجمعوا على ان يعقوب عليه السلام استدل على كذبهم بصحة القميص وهكذا يجب على الناظر ان يلحظ الامارات والعلامات اذا تعارضت فما ترجح منها قضى بجانب الترجيح وهو قوة التهمة ولا خلاف في الحكم بها قاله ابن العربي قوله تعالى قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل فيه ثلاث مسائل الاولى روي ان يعقوب لما قالوا له اكله الذئب قال لهم الم يترك له الذئب عضوا فتاتوني به استانس به الم يترك لي ثوبا اشم فيه رايحته قالوا بلى هذا قميصه ملطوخ بدمه فذلك قوله وجاؤا على قميصه بدم كذب فبكى يعقوب عند ذلك وقال لبنيه اروني قميصه فاروه قميصه فاخذه وجعل يقبله فلا يرى فيه شقا ولا تمزيقا فقال والله الذي لا اله الا هو ما رايت كاليوم ذيبا احلم منه اكل ابني واختلسه من قميصه ولم يمزقه عليه وعلم ان الامر ليس كما قالوا وان الذيب لم ياكله فاعرض عنهم كالمغضب باكيا حزينا وقال يا معشر ولدي دلوني على ولدي فان كان حيا رددته وان كان ميتا كفنته ودفنته فقالوا حينئذ الم تروا الى ابينا كيف يكذبنا

فى مقالتنا تعالوا نخرجه من الجب و نقطعه عضوا عضوا و ناتى اباانا باحد اعضائه فيصدقنا فى مقالتنا
و يقطع يأسه فقال يهودا والله لئن فعلتم لاكونن لكم عدوا ما بقيت لكم و لاخبرن اباكم بسوء
صنيعكم قالوا فاذا امتنعتنا من هذا فتعال نصطد ذيبا قال فاصطادوا ذيبا و الطخوه بالدم واوثقوه
بالحبال ثم جاؤا به يعقوب وقالوا يا ابانا ان هذا الذئب الذى يحل باغنامنا و يفترسها لعله
الذى افجعنا باخينا لانشك فيه و هذا دمه عليه فقال يعقوب اطلقوه فاطلقوه وتبصبص له
الذيب فاقبل يدنو منه و يعقوب يقول له ادن ادن حتى الصق خده بخده فقال له يعقوب
ايها الذيب لم افجعتنى بولدي واورثتني حزنا طويلا ثم قال اللهم انطقه فانطقه الله فقال
والذى اصطفاك نبيا ما اكلت لحمه ولا مزقت جلده و لا نتفت شعرة من شعراته و والله
مالي بولدك عهد وانما انا ذئب غريب اقبلت من نواحي مصر فى طلب اخ لي فقدته فلا ادري
هو حي ام ميت فاصطادني ولدك واوثقوني وان لحوم الانبياء حرمت علينا و على جميع الوحوش
وتالله لا اقمت فى بلاد يكذب بها اولاد الانبياء على الوحوش فاطلقه يعقوب وقال والله لقد
اتيتم بالحجة على انفسكم هذا بهيم خرج يتبع ذمام اخيه وانتم قد ضيعتم اخاكم وقد علمت ان الذئب
بريء مما جئتم به بل سولت لكم انفسكم امرا غيرما تصفون وتذكرون ثم قال تولطه لنفسه فصبر
جميل وهي الثامنة قال الزجاج اي فشاني او الذى اعتقده صبر جميل وقيل اي فصبر جميل اولى
بي فهو مبتدا خبره محذوف ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الصبر الجميل فقال
هو الذى لاشكوى معه وسيأتى له مزيد بيان فى اخر السورة ان شاء الله تعالى قال ابو حاتم
قرا عيسى بن عمر فيما زعم سهل بن يوسف فصبرا جميلا قال وكذا قرا الاشهب العقيلي قال وكذا
فى مصحف انس وابي صالح قال المبرد فصبر جميل بالرفع اولى من النصب لان المعنى قال رب عندي
صبر جميل قال وانما النصب على المصدر اي فلاصبرن صبرا جميلا قال شكى الى جملي طول السرى
صبرا جميلا فكلانا مبتلى والصبر الجميل هو الذى لاجزع ولا شكوى وقيل معناه لا اعاشركم على
كآبة الوجه وعبوس الجبين بل اعاشركم على ما كنت عليه معكم وفى هذا ما يدل انه عفى عن مواخذتهم
وعن حبيب بن ابي ثابت ان يعقوب كان قد سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بخرقة
فقيل له ما هذا قال اختلاف الازمان وكثرة الاحزان فاوحى الله اليه اتشكوني يا يعقوب
قال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفرلي والله المستعان ابتدا وخبر على ما تصفون اي على
احتمال ما تصفون من الكذب الثالثة قال ابن ابي رفاعة ينبغي لاهل الراي ان يتهموا
رايهم عند ظن يعقوب عليه السلام قال له بنوه انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند
متاعنا فاكله الذئب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فلم يصب قوله تعالى وجاءت سيارة
اي رفقة مارة يسيرون من الشام الى مصر فاخطئوا الطريق وهاموا حتى نزلوا قريبا من
الجب وكان الجب فى قفرة بعيدة من العمران انما هو للرعاة والمجتاز وكان ماؤه ملحا فعذب
حين القي فيه يوسف فارسلوا واردهم فذكر على المعنى ولو قال فارسلت واردها لكان على اللفظ
وجاءت والوارد الذى يرد الماء ليستقي للقوم وكان اسمه فيما ذكر المفسرون مالك بن دعر
من العرب العاربة فادلى دلوه اي ارسله يقال ادلى دلوه اذا ارسلها ليملاها ودلاها اذا
اخرجها عن الاصمعي وغيره ودلا من ذوات الواو ودلا يدلو دلوا اي جذب واخرج وكذا ادلى اذا
ارسل فلما ثقل ردوه الى الياء لانها اخف من الواو قاله الكوفيون وقال الخليل وسيبويه ما جاوز
ثلاثة احرف رجع الى الياء اتباعا للمستقبل وجمع دلو فى اقل العدد ادل فاذا كثرت قلت دلى

ودلي نقلبت الواو ياء الا ان الجمع باب التغيير وليفرق بين الجمع والواحد ودلا ايضا فتعلق يوسف
بالحبل فلما خرج اذا غلام كالقمر ليلة البدر احسن ما يكون من الغلمان قال صلى الله عليه وسلم فى حديث
الاسراء من صحيح مسلم فاذا انا بيوسف اذا هو قد اعطي على شطر الحسن وقال كعب الاحبار كان يوسف
حسن الوجه جعد الشعر ضخم العين مستوى الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين والعضدين
خميص البطن صغير السرة اذا ابتسم رايت النور من ضواحكه واذا تكلم رايت فى كلامه شعاع الشمس
من ثناياه لايستطيع احد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه السلام
يوم خلقه الله ونفخ فيه من روحه قبل ان يصيب المعصية وقيل انه ورث ذلك الجمال من جدته
سارة وكانت قد اعطيت سدس الحسن فلما راه مالك بن دعر قال يا بشراي هذا غلام هذه قراة
اهل المدينة واهل البصرة الا ابن ابي اسحق فانه قرا يا بشري هذا غلام فقلب الالف ياء لان هذه
الياء يكسر ما قبلها فلما لم يجز كسر الالف كان ما قبلها عوضا وقرا اهل الكوفة يا بشرى غير مضاف وفى
معناه قولان احدهما اسم الغلام والثانى يا ايتها البشرى هذا حينك واوانك قال قتادة والسدي
لما ادلى المدلي دلوه تعلق بها يوسف قال يا بشراي هذا غلام قال قتادة بشر اصحابه بانه وجد عبدا
قال ابن جلدا اسمه بشرى قال النحاس قول قتادة اولى لانه لم يات فى القران تسمية احد الا يسيرا
وانما ياتي بالكناية كما قال عز وجل ويوم يعض الظالم على يديه وهو عقبة بن ابي معيط وبعده يا ليتني
لم اتخذ فلانا خليلا وهو امية بن خلف قال النحاس والمعنى فى نداء البشرى التبشير لمن حضر وهو
اوكد من قولك بشرت كما تقول يا عجباه اي يا عجب هذا من ايامك ومن اوانك فاحضر وهذا
مذهب سيبويه وهكذا قال السهيلي وقيل هو كما تقول وا سروراه وان البشرى مصدر من الاستبشار
وهذا اصح لانه لو كان اسما علما لم يكن مضافا الى ضمير المتكلم وعلى هذا يكون بشراي فى موضع
نصب لانه نداء مضاف ومعنى النداء هنا التنبيه اي انتبهوا لفرحتي وسروري وعلى قول السدي
يكون فى موضع رفع كما تقول يا زيد هذا غلام ويجوز ان يكون نصب منصوبا كقولك يا رجلا
وقولك يا حسرة على العباد ولكنه لم ينون بشرى لانه لا ينصرف واسروه بضاعة الهاء كناية
عن يوسف عليه السلام فاما الواو فكناية عن اخوته وقيل عن التجار الذين اشتروه وقيل عن الوارد
واصحابه بضاعة نصب على الحال قال مجاهد اسره مالك بن دعر واصحابه من التجار الذين
معهم فى الرفقة وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها بعض اهل الشام واهل هذا الماء الى مصر وانما
قالوا هذا خيفة الشركة وقال ابن عباس اسره اخوة يوسف بضاعة لما استخرج من الجب وذلك انهم
جاؤا فقالوا بئس ما فعلتم هذا عبد لنا ابق وقالوا ليوسف بالعبرانية اما ان تقر لنا بالعبودية
فنبيعك من هؤلاء واما ان ناخذك فنقتلك فقال انا اقر لكم بالعبودية فاقر لهم فباعوه منهم وقيل
ان يهودا وصى اخاه يوسف بلسانهم ان اعترف لاخوتك بالعبودية فانى اخشى ان لم تفعل قتلوك
فلعل الله ان يجعل لك مخرجا وتنجو من القتل فكتم يوسف شانه مخافة ان يقتله اخوته فقال
مالك والله ما هذه سمة العبيد فقالوا تربى فى حجورنا وتخلق باخلاقنا وتادب بادابنا
فقال ما تقول يا غلام قال صدقوا تربيت فى حجورهم وتخلقت باخلاقهم فقال مالك ان بعتموه
منى اشتريته منكم فباعوه منه فذلك قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم وفيه ست مسائل
الاولى قوله وشروه يقال شريت بمعنى اشتريت وشريت بمعنى بعت وقال الشاعر وشريت
بردا ليتني كنت من بعد برد هامه اي بعت وقال اخر فلما شراها فاضت العين عبرة
وفى الصدر حزاز من اللوم حامز بثمن بخس اي نقص وهو هنا مصدر وضع موضع الاسم

اي باعوه بثمن بخس اي منقوص ولم يكن قصد اخوته ما يستفيدونه من ثمنه وانما كان قصدهم ما
يستفيدونه من خلو وجه ابيهم عنه وقيل ان يهودا راى من بعيد ان يوسف اخرج من الجب
فاخبر اخوته فجاؤا وباعوه من الواردة وقيل لا بل عادوا بعد ثلاث الى البير يتعرفون الخبر فراوا
اثر السيارة فاتبعوهم وقالوا هذا عبدنا ابق منا فباعوه منهم وقال قتادة بخس ظلم وقال الضحاك
ومقاتل والسدى وابن عطا بخس حرام قال ابن العربي ولا وجه له انما الاشارة فيه انه لم
يستوف ثمنه بالقيمة لان اخوته ان كانوا باعوه فلم يكن قصدهم ما يستفيدون من ثمنه وانما
كان قصدهم ما يستفيدون من خلو وجه ابيهم عنه وان كان الذى باعوه الواردة فانهم اخفوه
مقتطعا وقالوا لاصحابهم ارسل معنا بضاعة فراوا انهم لم يعطوا عنه ثمنا وانما اخذوا فيه ربحا
كله قلت قوله وانما الاشارة فيه الى انه لم يستوف ثمنه بالقيمة يدل على انهم لو اخذوا القيمة
وافية كاملة كان ذلك جايزا وليس كذلك فدل على صحة ما قاله السدى وغيره لانهم اوقعوا
البيع على نفس لا يجوز بيعها فلذلك كان لا يحل لهم ثمنه وقال عكرمة والشعبي قليل وقال ابن
حيان زيف وعن ابن عباس وابن مسعود باعوه بعشرين درهما اخذ كل واحد درهمين وكانوا
عشرة وقاله قتادة والسدى وقال ابو العالية ومقاتل اثنين وعشرين درهما وكانوا احد عشر
اخذ كل واحد درهمين وقاله مجاهد وقال عكرمة اربعين درهما وما روي عن الصحابة اولى
وبخس من نعت ثمن دراهم على البدل من الثمن والتفسير له ويقال دراهيم على انه جمع درهام
وقد يكون اسما للجمع عند سيبويه ويكون ايضا عنده على انه مد الكسرة فصارت ياء وليس هذا
مد المقصور لان مد المقصور لا يجوز عند البصريين في شعر ولا غيره وانشد النحويون تنفي
يداها الحصا في كل هاجرة نفي الدراهيم تنقاد الصياريف معدودة نعت وهذا يدل
على ان الاثمان كانت تجري عندهم عددا لا وزنا بوزن وقيل هو عبارة عن قلة الثمن لانها
دراهم لم تبلغ ان توزن لقلتها وذلك انهم كانوا لا يزنون ما دون الاوقية وهي اربعون
درهما الثانية قال القاضي ابن العربي واصل النقدين الوزن قال صلى الله عليه وسلم
لا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الفضة بالفضة الا وزنا بوزن من زاد واستزاد فقد اربى
والزنة لا فائدة فيها الا المقدار فاما عينها فلا منفعة فيه ولكن جرى فيها العد تخفيفا
لكثرة المعاملة فيشق الوزن حتى لو ضرب مثاقيل دراهم فجاز بعضها ببعض عددا اذ لم يكن
فيها نقصان ولا رجحان فان نقصت عاد الامر الى الوزن ولاجل ذلك كان كسرها وقرضها
من الفساد في الارض حسب ما تقدم الثالثة واختلف العلماء في الدراهم والدنانير هل تتعين
ام لا وقد اختلفت الرواية في ذلك عن مالك فذهب اشهب الى ان ذلك لا يتعين وهو
الظاهر من قول مالك وبه قال ابو حنيفة وذهب ابن القاسم الى انها تتعين وحكي عن
الكرخي وبه قال الشافعي وفائدة الخلاف انا اذا قلنا لا تتعين فاذا قال بعتك هذه
الدنانير بهذه الدراهم تعلقت الدنانير بذمة صاحبها ولو تعينت ثم تلفت لم يتعلق
بذمته شيء منها وبطل العقد كبيع الاعيان من العروض وغيرها الرابعة روي عن الحسن
بن علي رضي الله عنهما انه قضى في اللقيط انه حر وقرا وشروه بثمن بخس دراهم معدودة
وقد مضى القول فيه الخامسة قوله تعالى وكانوا فيه من الزاهدين قيل المراد اخوته وقيل
السيارة وقيل الواردة وعلى اي تقدير فلم يكن عندهم غبيطا لا عند الاخوة لان القصد زواله
عن ابيه لا ماله ولا عند السيارة لقول الاخوة انه عبد ابق منا والزهد قلة الرغبة ولا عند

الواردة لانهم خافوا اشتراك اصحابهم معهم وراوا ان القليل من ثمنه في الانفراد السادسة في
هذه الاية دليل واضح على جواز شراء الشيء الخطير بالثمن اليسير ويكون البيع لازما ولهذا قال مالك
لو باع درة ذات خطر عظيم بدرهم ثم قال لم اعلم انها درة وحسبتها مخشلبة لزمه البيع ولم
يلتفت الى قوله وقيل وكانوا فيه من الزاهدين اي في حسنه لان الله تعالى وان اعطى يوسف
شطر الحسن صرف عنه دواعي نفوس القوم اليه اكراما له وقيل كانوا فيه من الزاهدين لم
يعلموا منزلته عند الله تعالى وحكى سيبويه والكسائي زهدت وزهدت بكسر الهاء وفتحها انتهى
قوله تعالى وقال الذى اشتراه من مصر لامراته اكرمي مثواه قيل الاشتراء هنا بمعنى الاستبدال
اذ لم يكن ذلك عقدا مثل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقيل انهم ظنوه في ظاهر
الحال اشترا فجرى هذا اللفظ على ظاهر الظن قال الضحاك هذا الذى اشتراه ملك مصر ولقبه
العزيز السهيلي واسمه قطفير وقال ابن اسحق اطفير بن رويحب اشتراه لامراته راعيل ذكره
الماوردي وقيل كان اسمها زليخا وكان الله القى محبة يوسف على قلب العزيز فاوصى به
اهله ذكره القشيري وقد ذكر القولين في اسمها الثعلبي وغيره وقال ابن عباس انما اشتراه
قطفير وزير ملك مصر وهو الريان بن الوليد وقيل الوليد بن الريان وهو رجل من العمالقة
وقيل هو فرعون موسى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وانه عاش اربعماية سنة
وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف على ما ياتي في غافر بيانه وكان هذا العزيز الذي
اشترى يوسف من مالك بن دعر بعشرين دينارا وزاده حلتين ونعلين وقيل اشتراه من
اهل الرفقة وقيل تزايدوا في ثمنه فبلغ اضعاف مسكا وعنبرا وحريرا وورقا وذهبا ولا
لي وجواهر لا يعلم قيمتها فابتاعه قطفير من مالك بهذا الثمن قاله وهب بن منبه وقال
وهب ايضا وغيره ولما اشترى مالك بن دعر يوسف من اخوته كتب بينه وبينهم كتابا هذا
ما اشترى مالك بن دعر من بني يعقوب وهم فلان وفلان مملوكا لهم بعشرين درهما وقد
شرطوا له انه ابق وانه لا ينقلب به الا مقيدا مسلسلا واعطاهم على ذلك عهد الله قال
فودعهم يوسف عند ذلك وجعل يقول حفظكم الله وان ضيعتموني نصركم الله وان خذلتموني
رحمكم الله وان لم ترحموني قالوا فالقت الاغنام ما في بطونها دما عبيطا لشدة هذا التوديع
وحملوه على قتب بغير غطاء ولا وطاء مقيدا مكبلا مسلسلا فمر على مقبرة ال كنعان فراى قبر
امه وكان قد وكل به اسود يحرسه فغفل الاسود فالقى يوسف نفسه على قبر امه وجعل يتمرغ
ويعتنق القبر ويضطرب ويقول يا اماه ارفعي راسك تري ولدك مكبلا مقيدا مسلسلا
مغلولا فرقوا بيني وبين والدي فاسالي الله ان يجمع بيننا في مستقر رحمته انه ارحم الراحمين
تفقده الاسود على البعير فلم يره فقفا اثره فاذا هو ببياض على قبر فتامله فاذا هو اياه فركضه
برجله في التراب ومرغه وضربه ضربا وجيعا فقال له لا تفعل والله ما هربت ولا ابقت
وانما مررت بقبر امي فاحببت ان اودعها ولن ارجع الى ما تكرهون فقال العبد والله انك
لعبد سوء تدعو اباك مرة وامك اخرى فهلا كان هذا عند مواليك فرفع يديه الى السماء
وقال اللهم ان كان لي عندك خطيئة اخلقت بها وجهي فاسالك بحق ابائي ابراهيم واسحق
ويعقوب ان تغفر لي وترحمني فضجت الملائكة في السماء ونزل جبريل فقال يا يوسف غض صوتك
فلقد ابكيت ملائكة السماء اتريد ان اقلب الارض فاجعل عاليها سافلها فقال تثبت يا جبريل
فان الله حليم لا يعجل فضرب الارض بجناحه فاظلمت وارتفع الغبار وكسفت الشمس وبقيت القافلة

لا يعرف بعضهم بعضا فقال رئيس القافلة من احدث منكم حدثا فاني اسافرت وكيت ما اصابني قط
مثل هذا فقال الاسود انا لطمت ذلك الغلام العبراني فرفع يده الى السماء وتكلم بكلام لا اعرفه
ولا اشك انه دعا علينا فقال له ما اردت الا هلاكنا ايتنا به فاتاه به فقال يا غلام لقد لطمك
فجانا ما رايت فان كنت تقتص فاقتص ممن شئت وان كنت تعفو فهو الظن بك فقال قد عفوت
رجاء ان يعفو الله عني فانجلت الغبرة وظهرت الشمس واضا مشارق الارض ومغاربها وجعل التاجر
يزوره بالغداة والعشي ويكرمه حتى وصل الى مصر فاغتسل في نيلها واذهب الله عنه كآبة السفر
ورد عليه جماله ودخل به البلد نهارا فسطع نوره على الجدران فاوقفوه للبيع فاشتراه قطفير
وزير الملك قاله ابن عباس على ما تقدم وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى امن واتبع يوسف على
دينه ثم مات الملك ويوسف يومئذ على خزائن الارض فملك بعده قابوس وكان كافرا فدعاه
يوسف الى الاسلام فابى اكرمي مثواه اي منزله ومقامه بطيب المطعم واللباس الحسن وهو ماخوذ
من ثوى بالمكان اي قام به وقد تقدم في آل عمران وغيره عسى ان ينفعنا اي يكفينا بعض المهمات
اذا بلغ او نتخذه ولدا قال ابن عباس كان حصورا لا يولد له وكذا قال ابن اسحق كان قطفير لا ياتي
النساء ولا يولد له فان قيل كيف قال او نتخذه ولدا وقد ملكه والولدية مع العبدية تتناقض
قيل له نعتقه ثم نتخذه ولدا بالتبني وكان التبني في الامم معلوما عندهم وكذلك كان في اول الاسلام
على ما ياتي بيانه في الاحزاب ان شاء الله تعالى وقال عبد الله بن مسعود احسن الناس فراسة ثلاثة
العزيز حين تفرس في يوسف فقال عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وبنت شعيب حين قالت لابيها
في موسى يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين وابو بكر حين استخلف عمر قال
ابن العربي عجبا للمفسرين في اتفاقهم اتفاقهم على جلب هذا الخبر والفراسة هي علم غيب على ما
ياتي بيانه في سورة الحجر وليس كذلك فيما نقلوه لان الصديق انما ولى عمر بالتجربة في الاعمال
والمواظبة على الصحبة وطولها والاطلاع على ما يشاهده من العلم والمنة وليس ذلك من طريق
الفراسة واما بنت شعيب فكانت العلامة البينة معها على ما ياتي بيانه في القصص واما
امراة العزيز فيمكن ان يجعل فراسة لانه لم يكن معه علامة ظاهرة والله اعلم قوله تعالى
وكذلك مكنا ليوسف في الارض الكاف في موضع نصب اي وكما انقذناه من اخوته ومن الجب
فكذلك مكنا له اي عطفنا عليه قلب الملك الذي اشتراه حتى تمكن من الامر والنهي في البلد
الذي الملك مستولي عليه ولنعلمه من تاويل الاحاديث اي فعلنا ذلك تصديقا لقول يعقوب
ويعلمك من تاويل الاحاديث وقيل المعنى مكناه لنوحي اليه بكلام منا ونعلمه تاويله وتفسيره
وتاويل الرؤيا وتم الكلام والله غالب على امره الهاء راجعة الى الله تعالى اي لا يغلب الله
شيء بل هو الغالب على امر نفسه فيما يريده ان يقول له كن فيكون وقيل يرجع الى يوسف اي
الله غالب على امر يوسف يريده ويحوطه ولا يكله الى غيره حتى لا يصل اليه كيد كايد يحيله
ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا يطلعون على غيبه وقيل المراد بالاكثر الجميع لان لا احد يعلم الغيب
وقيل هو مجرى على ظاهره اذ قد يطلع بعض من يريد على بعض غيبه وقيل المعنى ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ان الله غالب امره وهم المشركون ومن لا يؤمن بالقدر وقالت الحكماء في هذه الاية
والله غالب على امره حيث امره يعقوب ان لا يقص رؤياه على اخوته فغلب امر الله حتى قص
ثم اراد اخوته قتله فغلب امر الله حتى صار ملكا وسجدوا بين يديه ثم اراد الاخوة ان يخلو
لهم وجه ابيهم فغلب امر الله حتى ضاق عليهم قلب ابيهم وافتكره بعد سبعين سنة او ثمانين سنة

فقال يا اسفى على يوسف ثم تدبروا ان يكونوا من بعده قوما صالحين اي تائبين فغلب امر الله حتى
نسوا الذنب واصروا عليه حتى اقروا بين يديه في اخر الامر بعد سبعين سنة وقالوا لابيهم انا كنا
خاطئين ثم ارادوا ان يخدعوا اباهم بالبكا والقميص فغلب امر الله فلم ينخدع وقال بل سولت لكم
انفسكم امرا ثم احتالوا ان تزول محبته من قلب ابيه فغلب امر الله فازدادت المحبة والشوق في
قلبه ثم دبرت امراة العزيز انها ان ابتدرته بالكلام غلبته فغلب امر الله حتى قال العزيز
استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين ثم دبر يوسف ان يتخلص من السجن بذكر الساقي فغلب
امر الله فنسي الساقي ولبث يوسف في السجن بضع سنين قوله تعالى ولما بلغ اشده عند سيبويه
جمع واحده شدة وقال الكسائي واحده شد كما قال الشاعر عهدي به شد النهار كانما
خضب البنان وراسه بالعظلم وزعم ابو عبيدة انه لا واحد له من لفظه عند العرب ومعناه
استكمال القوة ثم يكون النقصان بعد وقال مجاهد وقتادة الاشد ثلاثة وثلاثون سنة
وقال ربيعة وزيد بن اسلم ومالك بن انس الاشد بلوغ الحلم وقد مضى ما للعلماء في هذا في
النساء والانعام مستوفى آتيناه حكما وعلما قيل جعلناه المستولي على الحكم فكان يحكم في سلطان الملك
اي واتيناه علما بالحكم وقال مجاهد العقل والفهم والنبوة وقيل الحكم النبوة والعلم
علم الدين وقيل علم الرؤيا ومن قال اوتي النبوة صبيا قال لما بلغ اشده زدناه فهما وعلما وكذلك
نجزي المحسنين يعني المؤمنين وقيل الصابرين على النوائب كما صبر يوسف قاله الضحاك وقال
الطبري هذا وان كان مخرجه ظاهرا على كل محسن فالمراد به محمد صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
كما فعلت هذا بيوسف بعد ان قاسى ما قاسى ثم اعطيته ما اعطيته كذلك انجيك من مشركي
قومك الذين يقصدونك بالعداوة وامكن لك في الارض قوله تعالى وراودته التي هو في
بيتها عن نفسه وهي امراة العزيز طلبت منه ان يواقعها واصل المراودة الارادة والطلب
برفق ولين والرود والرياد طلب الكلام وقيل هي من رويد يقال فلان يمشي رويدا
اي برفق فالمراودة الرفق في الطلب يقال في الرجل راودها عن نفسها وفي المراة راودته عن
نفسه والرود التاني يقال ارودني امهلني وغلقت الابواب غلق للكثير ولا يقال غلق الباب
واغلق يقع للقليل والكثير كما قال الفرزدق في ابي عمرو بن عمار ما زلت اغلق ابوابا وافتحها
حتى اتيت ابا عمرو بن عمار يقال انها كانت سبعة ابواب غلقتها ثم دعته الى نفسها وقالت
هيت لك اي هلم واقبل وتعال ولا مصدر له ولا تصريف قال النحاس فيها سبع قراءات فمن
اجل ما فيها واصحه استادا ما رواه الاعمش عن ابي وائل قال سمعت عبد الله بن مسعود يقرا
هيت لك قال فقلت ان قوما يقرؤونها هيت لك فقال انما اقرا كما علمت قال ابو جعفر وبعضهم
يقول عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يبعد لان قوله انما اقرا كما علمت يدل على انه
مرفوع وهذه القراءة بفتح الهاء والتاء هي الصحيحة من قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد
والحسن وعكرمة وبها قرا ابو عمرو بن العلاء وعاصم والاعمش وحمزة والكسائي قال عبد الله
بن مسعود لا تقطعوا في القران فانما هو مثل قول احدكم هلم وتعال وقرا ابو عبد الرحمن السلمي
وابن كثير هيت بفتح الهاء وضم التاء قال طرفة ليس قومي بالابعدين اذا ما قال داع من العشيرة
هيت فهذه ثلاث قراءات الهاء فيهن مفتوحة وقال ابو جعفر وشيبة ونافع وقال هيت لك
بكسر الهاء وفتح التاء وقرا يحيى بن وثاب وقالت هيت لك بكسر الهاء وبعدها ياء ساكنة والتاء
مضمومة وعن ابن عامر واهل الشام وقالت هيت لك بكسر الهاء وبالهمز وبفتح التاء قال ابو

جعفر هيت لك بفتح التاء لالتقاء الساكنين لانه صوت بخوصه وثمة يجب ان لا يعرب والفتح خفيف
لان قبل التاء ياء مثل اين وكيف ومن كسر التاء فانما كسرها لان الاصل الكسر لان الساكن اذا حرك
حرك الى الكسر ومن ضم فلان فيه معنى الاية اي قالت دعائي لك فلما حذفت الاضافة بني على الضم
مثل حيث وبعد وقراءة اهل المدينة فيها قولان احدهما ان يكون الفتح لالتقاء الساكنين كما مر
والاخر ان يكون فعلا من هاء يهيء مثل جاء يجيء فيكون المعنى في هيت اي حسنت هيئتك ويكون
لك من كلام اخر كما تقول لك اعني ومن همز وضم التاء فهو فعل بمعنى هيات وكذلك من قرا هيت
لك وانكر ابو عمرو هذه القراءة قال ابو عبيدة معمر ابن المثنى سئل ابو عمرو عن قراءة من قرا
بكسر الهاء وضم التاء مهموزا فقال ابو عمرو باطل جعلها من تهيات اذهب فاستعرض العرب حتى
تنتهي الى اليمن هل تعرف احدا يقول هذا وقال الكسائي ايضا لم تحك هيت عن العرب قال
عكرمة هيت لك اي تهيات لك وتزينت وتحسنت وهي قراءة غير مرضية لانها لم تسمع في
العربية قال النحاس وهي جيدة عند البصريين لان يقال هاء الرجل ويهيء الرجل هياة فهاء
يهاء مثل جاء يجيء وهيت مثل جيت وكسر الهاء في هيت لغة قوم يوثرون كسر الهاء على فتحها
قال الزجاج اجود القراءات بفتح الهاء والتاء قال طرفة ليس قومي بالابعدين اذا ما قال
داع من العشيرة هيتا وقال الشاعر في علي بن ابي طالب رضي الله عنه ابلغ امير المؤمنين
اخا العراق اذا اتيتا ان العراق واهله سلم اليك فهيت هيتا قال ابن عباس والحسن هيت
كلمة بالسريانية تدعوه الى نفسها وقال السدي معناها بالقبطية هلم لك قال ابو عبيد كان
الكسائي يقول هي لغة لاهل حوران وقعت الى اهل الحجاز معناه تعال قال ابو عبيد فسالت
شيخا عالما من حوران فذكر انها لغتهم وبه قال عكرمة وقال مجاهد وغيره هي لغة عربية
تدعوه بها الى نفسها وهي كلمة حث واقبال على الاشياء قال الجوهري يقال هوت به وهيت
به اذا صاح به ودعاه قال قد رابني ان الكري اسكتا لو كان معنيا بها لهيتا اي صاح وقال
اخر يحدو بها كل فتى هيات قوله تعالى قال معاذ الله اي اعوذ بالله واستجير به مما
دعوتني اليه وهو مصدر اي اعوذ بالله معاذا فيحذف المفعول وينصب المصدر بالفعل
المحذوف ويضاف المصدر الى اسم الله كما يضاف المصدر الى المفعول كقولك مررت بزيد
مرور عمرو اي كمروري بعمرو انه ربي يعني زوجها اي هو سيدي اكرمني فلا اخونه قاله مجاهد
وابو اسحق والسدي وقال الزجاج اي ان الله ربي تولاني بلطفه فلا اركب ما حرمه انه لا
يفلح الظالمون وفي الخبر انها قالت له يا يوسف ما احسن صورة وجهك قال في الرحم صورني
ربي فقالت يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول شيء يبلى مني في قبري قالت يا يوسف ما
احسن عينيك قال بهما انظر الى ربي قالت يا يوسف ارفع بصرك فانظر وجهي قال اني اخاف
العمى في اخرتي قالت يا يوسف هذا القيطون فادخل معي قال القيطون لا يسترني من ربي
قالت يا يوسف فراش الحرير قد فرشته فاقض حاجتي قال اذا يذهب من الجنة نصيبي الى غير
ذلك من كلامها وهو يراجعها الى ان هم بها وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل
شهوة حتى نباه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه واختلف
العلماء في همه ولا خلاف ان همها كان بالمعصية واما هم يوسف فهم بها لولا ان راى برهان ربه
ولكن لما راى البرهان ما هم وهذا لوجوب العصمة للانبياء قال الله تعالى كذلك لنصرف عنه
السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واذن في الكلام تقديم وتاخير اي لولا ان راى

برهان ربه هم بها قال ابو حاتم كنت اقرا غريب القران على ابي عبيدة فلما اتيت على قوله ولقد همت به
وهم بها الاية قال ابو عبيدة هذا على التقديم والتاخير كانه اراد ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه
لهم بها وقال احمد بن يحيى اي همت زليخا بالمعصية وكانت مصرة وهم يوسف ولم يواقع ما هم فبين الهمتين
فرق ذكر هذين القولين الهروي في كتابه قال جميل هممت بهم من بثينة لو بدا شفيت غليلات الهوى
من فواديا اخر هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله فهذا كله حديث نفس
من غير عزم وقيل هم بها تمنى زوجيتها وقيل هم بها اي بضربها ودفعها عن نفسه والبرهان كفه عن
الضرب اذ لو ضربها لاوهم انه قصدها بالحرام فامتنعت فضربها وقيل ان هم يوسف كان معصية
وانه جلس منها مجلس الرجل من امراته والى هذا القول ذهب معظم المفسرين وعامتهم فيما ذكر
القشيري ابو نصر وابن الانباري والنحاس والماوردي وغيرهم قال ابن عباس حل الهميان وجلس
منها مجلس الخاتن وعنه استلقت على قفاها وقعد بين رجليها ينزع ثيابه وقال سعيد بن جبير
اطلق تكة سراويله وقال مجاهد حل السراويل حتى بلغ الاليتين وجلس منها مجلس الرجل من امراته
وقال ابن عباس ولما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها يا
يوسف فقال عند ذلك وما ابرئ نفسي قالوا والانكفاف في مثل هذه الحالة دال على الاخلاص
واعظم للثواب قلت وهذا كان سبب ثناء الله على ذي الكفل حسب ما ياتي بيانه في ص
ان شاء الله تعالى وجواب لولا على هذا محذوف اي لولا ان راى برهان ربه لامضى ما هم به ومثله
كلا لو تعلمون علم اليقين وجواب لو تنافسوا قال ابن عطية روي هذا القول عن ابن عباس وجماعة
من السلف وقالوا الحكمة في ذلك ان يكون مثلا للمذنبين ليروا ان توبتهم ترجع الى عفو الله كما
رجعت من هو خير منهم ولم يوبقه القرب من الذنب وهذا كله على ان هم يوسف بلغ فيما روت
هذه الفرقة الى ان جلس بين رجلي زليخا واخذ في حل ثيابه وتكته ونحو ذلك وقد استلقت
له حكاه الطبري وقال ابو عبيد القاسم بن سلام وابن عباس ومن دونه لا يختلفون في
انه هم بها وهو اعلم بالله وبتاويل كتاب الله واشد تعظيما للانبياء من ان يتكلموا فيهم بغير علم
قال الحسن ان الله عز وجل لم يذكر معاصي الانبياء ليعيرهم بها ولكنه ذكرها لئلا ييئسوا من
التوبة الغزنوي مع انه لزلة الانبياء حكما زيادة الوجل وشدة الخجل والتخلي عن عجب العمل
والتلذذ بنعمة العفو بعد الامل وكونهم ائمة رجاء اهل الزلل قال القشيري ابو نصر وقال
قوم جرى من يوسف هم وكان ذلك الهم حركة طبع من غير تصميم العقد على الفعل وما كان من
هذا القبيل لا يواخذ به العبد وقد يخطر بقلب المرء وهو صائم شرب الماء البارد وتناول الطعام
اللذيذ فاذا لم ياكل ولم يشرب ولم يصمم عزمه على الاكل والشرب لا يواخذ بما يهجس في النفس والبرهان
صرفه عن هذا الهم حتى لم يصر عزما مصمما قلت هذا قول حسن وممن قال به الحسن قال
ابن عطية الذي اقول به في هذه الاية ان كون يوسف في هذه النازلة لم يصح كونه نبيا
ولا تظاهرت به رواية واذا كان ذلك فهو مومن قد اوتي حكما وعلما ويجوز عليه الهم
الذي هو ارادة الشيء دون مواقعته وان يستصحب الخاطر الردي على ما في ذلك من الخطيئة
وان فرضناه نبيا في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندي الا الهم الذي هو خاطر ولا يصح عليه
شيء مما ذكر من حل تكته ونحوه لان العصمة مع النبوة وما روي من انه قيل له تكون في
ديوان الانبياء وتفعل فعل السفهاء فانما معناه العدة بالنبوة فيما بعد قلت ما ذكره
من التفصيل صحيح لان قوله تعالى واوحينا اليه يدل على انه كان نبيا على ما ذكرناه وهو قول

جماعة من العلماء واذا كان نبيا فلم يبق الا الهم الذى هو به ما يخطر فى النفس لا القصد وهو
الذى دفع الله فيه المواخذة عن الخلق اذ لا قدرة للمكلف على دفعه ويكون قوله وما ابرئ نفسى
ان كان من قول يوسف اي من هذا الهم ويكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة
النفس لما ذكى به قبل وبرى وقد اخبر الله تعالى عن حال يوسف من حين بلوغه فقال ولما بلغ اشده
اتيناه حكما وعلما على ما تقدم بيانه وخبر الله تعالى صدق ووضعه صحيح وكلامه فيما قد عمل يوسف
مما علمه الله من تحريم الزنا ومقدماته وخيانة السيد والجار والاجنبى فى اهله فما تعرض لامراة
العزيز ولا اجاب الى المراودة قبل ادبر عنها وفر منها حكمة خص بها وعملا بمقتضى ما علمه الله
وفى صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك
عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها
فاكتبوها له حسنة انما تركها من جراي وقال عليه الصلوة والسلام مخبرا عن ربه اذا هم
عبدى بسيئة فلم يعملها كتبت حسنة فاذا كان ما يهم به العبد من السيئة يكتب لمن تركها
حسنة فلا ذنب وفى الصحيح ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تكلم به وقد
تقدم قال ابن العربي كان بمدينة السلام امام من ائمة الصوفية واي امام يعرف بابن عطا
تكلم يوما على يوسف واخباره حتى ذكر تبريته مما نسب اليه من مكروه فقام اليه رجل من
اخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طايفة فقال يا شيخ يا سيدنا فاذن يوسف هم
وما تم اقال نعم لان العناية من ثم فانظر الى حلاوة العالم والمتعلم وانظر الى فطنة العامى
فى سؤاله وجواب العالم فى اختصاره واستيفائه وكذلك قال علماء الصوفية ان فائدة
قوله ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما انما اعطاه ذلك بان غلب الشهوة ليكون سببا للعصمة
قلت واذا تقررت عصمته وبرائته بثنا الله تعالى عليه فلا يصح ما قال مصعب بن عثمان
ان سليمان بن يسار كان من احسن الناس وجها فاشتاقته امراة فسامته نفسه فامتنع عليها
وذكرها فقالت ان لم تفعل لاشهرنك فخرج وتركها فراى فى منامه يوسف عليه السلام جالسا
فقال انت يوسف فقال انا يوسف الذى هممت وانت سليمان الذى لم تهم فان هذا يقتضى
ان تكون درجة الولاية ارفع من درجة النبوة وهو محال ولو قدرنا يوسف غير نبي فدرجته
الولاية فيكون محفوظا كهو ولو غلقت على سليمان الابواب وروجع فى المقال والخطاب والكلام
والجواب مع طول الصحبة لخيف عليه الفتنة وعظم المحنة والله اعلم قوله تعالى لولا ان
راى برهان ربه ان فى موضع رفع اي لولا رؤية برهان ربه والجواب محذوف لعلم السامع
اي لكان ما كان وهذا البرهان غير مذكور فى القرآن فروى عن ابن ابي طالب ان زليخا قامت
الى صنم مكلل بالدر والياقوت فى زاوية البيت فسترته بثوب فقال ما تصنعين قالت استحى
من الهى هذا ان يرانى على هذه الصورة فقال يوسف انا اولى ان استحى من الله تعالى وهذا
احسن ما قيل فيه لان فيه اقامة الدليل وقيل راى مكتوبا فى سقف البيت ولا تقربوا الزنا
انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن ابن عباس بدت كف مكتوب عليها وان عليكم لحافظين وقال
قوم تذكر وعد الله وميثاقه وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب فى الانبياء وتعمل عمل السفهاء
وقيل راى صورة يعقوب على الجدار عاضا على انملته يتوعده فسكن وخرجت شهوته من انامله
قال قتادة ومجاهد والحسن والضحاك وابو صالح وسعيد بن جبير روى الاعمش عن مجاهد
قال حل سراويله فتمثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من انامله قال مجاهد فولد

لكل من ولد من اولاد يعقوب اثنى عشر ذكرا الا يوسف فانه لم يولد له الا احد عشر من اجل نقص تلك
الشهوة ولده وقيل غير هذا وبالجملة فذلك البرهان من ايات الله اراها الله يوسف حتى قوى
ايمانه وامتنع عن المعصية قوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء الكاف من كذلك
يجوز ان تكون رفعا بانه خبر مبتدا محذوف التقدير البراهين كذلك او يكون نعتا لمصدر
محذوف اي اريناه البراهين رؤية كذلك والسوء الشهوة والفحشاء المباشرة وقيل السوء الثناء
القبيح والفحشاء الزنا وقيل السوء خيانة صاحبه والفحشاء ركوب الفاحشة وقيل السوء عقوبة
الملك العزيز وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر المخلصين بكسر اللام وتاويلها الذين اخلصوا
طاعة الله وقرا الباقون بفتح اللام وتاويلها الذين اخلصهم الله لرسالته وقد كان يوسف
صلى الله عليه وسلم بهاتين الصفتين لانه كان مخلصا فى طاعة الله تعالى مستخلصا لرسالة الله تعالى
قوله تعالى واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر فيه مسئلتان الاولى قوله واستبقا الباب
قال العلما وهذا من اختصار القرآن المعجز الذى يجتمع فيه المعانى وذلك انه لما راى برهان
ربه هرب منها فتعاديا هي لترده الى نفسها وهو يهرب عنها فادركته قبل ان يخرج فقدت قميصه
من دبر اي من خلفه قبضت فى اعلا قميصه فتخرق القميص عند طوقه ونزل التخريق الى اسفل
القميص والاستباق طلب السبق الى الشيء ومنه السباق والقد القطع واكثر ما يستعمل فيما كان
طولا قال النابغة تقد السلوقى المضاعف نسجه ويوقد بالصفاح نار الحباحب والقط بالطا
يستعمل فيما كان عرضا وقال المفضل بن حرب قرات فى مصحف فلما راى قميصه قط من دبر
اي شق قال يعقوب القط الشق فى الجلد الصحيح والثوب الصحيح وحذفت الالف من استبقا فى
اللفظ لسكونها وسكون اللام بعدها كما يقال جاءنى عبد الله فى التثنية ومن العرب من يقول
جاءنى عبدا الله باثبات الالف بغير همز ويجمع بين ساكنين لان الثانى يدغم والاول حرف
مد ولين ومنهم من يقول عبدا الله باثبات الالف والهمز كما تقول فى الوقف الثانية فى
الاية دليل على القياس والاعتبار والعمل بالعرف والعادة لما ذكر من قد القميص مقبلا ومدبرا
وهو لم تنفرد به المالكية فى كتبهم وذلك ان القميص اذا جبذ من خلف تمزق من تلك الجهة
واذا جبذ من قدام تمزق من تلك الجهة وهذا هو الاغلب قوله تعالى والفيا سيدها
لدى الباب اي وجدا العزيز عند الباب وعنى بالسيد الزوج والقبط يسمون الزوج سيدا
يقال الفاه وصادفه ووارطه ووالطه ولاطه كله بمعنى واحد فلما رات زوجها طلبت
وجها للحيلة وكادت فقالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا اي زنا الا ان يسجن او عذاب اليم
تقول يضرب ضربا وجيعا وما جزاء ابتدا وخبره ان يسجن وعذاب اليم عطف على موضع ان يسجن
لان المعنى الا السجن ويجوز او عذابا اليما بمعنى او يعذب عذابا اليما قوله تعالى قال هي راودتنى
عن نفسى فيه ثلاث مسائل الاولى قال العلما لما برات نفسها ولم تكن صادقة فى حبه لان من
شان المحب ايثار المحبوب قال هي راودتنى عن نفسى نطق يوسف بالحق فى مقابلة بهتها وكذبها
عليه قال نوف الشامي وغيره كان يوسف عليه السلام لم يبين عن كشف القضية فلما بغت به
غضب فقال الحق الثانية قوله وشهد شاهد من اهلها لانهما لما تعارضا فى القول احتاج الملك
الى شاهد ليعلم الصادق من الكاذب فشهد شاهد من اهلها اي حكم حاكم من اهلها لانه حكم
منه وليس بشهادة وقد اختلف فى هذا الشاهد على اقوال اربعة الاول انه طفل فى المهد
تكلم قال السهيلى وهو الصحيح للحديث الوارد فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله لم يتكلم

في المهد الا ثلاثة وذكر فيهم شاهد يوسف وقال القشيري ابو نصر قيل كان صبيا في المهد في الدار وهو
ابن خالتها وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تكلم اربعة وهم صغار
فذكر منهم شاهد يوسف فهذا قول الثاني ان الشاهد قد القميص رواه ابن ابي نجيح عن مجاهد وهو
مجاز صحيح من جهة اللغة فان لسان الحال ابلغ من لسان المقال وقد تضيف العرب الكلام الى
الجمادات وتخبر عنها بما هي عليه من الصفات وذلك كثير في اشعارها ومن احلاه قول بعضهم
قال الحايط للوتد لم تشقني قال سل من يدقني الا ان قوله تعالى بعد من اهلها يبطل ان يكون
القميص الثالث انه خلق من خلق الله ليس بانسي ولا جني قاله مجاهد ايضا وهذا يرده قوله من
اهلها الرابع انه رجل حكيم ذو عقل كان الوزير يستشير في اموره وكان من جملة اهل المراة وكان
مع زوجها فقال قد سمعنا الاستيذان والجلبة من وراء الباب وشق القميص فلا ندري ايكما كان
قدام صاحبه فان كان شق القميص من قدامه فانت صادقة وان كان من خلف فهو صادق فنظروا
الى القميص فاذا هو مشقوق من خلف هذا قول الحسن وعكرمة وقتادة والضحاك ومجاهد ايضا والسدي
قال السدي كان ابن عمها وروي عن ابن عباس وهو الصحيح في الباب والله اعلم وروي عن ابن عباس
رواه عنه اسرائيل عن سماك عن عكرمة قال كان رجلا ذا لحية وقال سفيان عن جابر عن ابن ابي
مليكة عن ابن عباس قال كان من خاصة الملك وقال عكرمة لم يكن بصبي ولكن كان رجلا وروي
سفيان عن منصور عن مجاهد قال كان رجلا قال ابو جعفر النحاس والاشبه بالمعنى والله اعلم ان
يكون رجلا عاقلا حكيما شاوره الملك فجاء بهذه الدلالة ولو كان طفلا لكانت شهادته ليوسف
عليه السلام تغني عن ان ياتي بدليل من العادة لان كلام الطفل اية معجزة وكانت اوضح من الاستدلال
بالعادة وليس هذا بمخالف للحديث تكلم اربعة وهم صغار منهم صاحب يوسف يكون المعنى صغيرا
ليس بشيخ وفي هذا دليل اخر وهو ان ابن عباس روي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد تواترت
الرواية عنه ان صاحب يوسف ليس بصبي قلت قد روي عن ابن عباس وابي هريرة وجبير
وهلال بن يسار والضحاك انه كان صبيا في المهد الا انه لو كان صبيا تكلم لكان الدليل نفس
كلامه دون ان يحتاج الى الاستدلال بالقميص وكان يكون ذلك خرق عادة ونوع معجزة والله اعلم
وسياتي من تكلم في المهد من الصبيان في سورة البروج ان شاء الله تعالى الثالثة اذا تنزلنا
على ان الشاهد طفل صغير فلا يكون فيه دليل على العمل بالامارات كما ذكرنا وان كان رجلا فيصح
ان يكون حجته بالحكم بالعلامة في اللقطة وكثير من المواضع حتى قال مالك في اللصوص اذا وجدت
معهم امتعة فجاء قوم فادعوها وليست لهم بينة فان السلطان يتلوم لهم في ذلك فان لم
يات غيرهم دفعها اليهم وقال محمد في متاع البيت اذا اختلف فيه المراة والرجل ان ما كان
للرجال فهو للرجل وما كان للنساء فهو للمراة وما كان للرجل والمراة فهو للرجل وكان شريح
واياس بن معاوية يعملان على العلامات في الحكومات واصل ذلك هذه الاية والله اعلم قوله تعالى
ان كان قميصه قد من قبل كان في موضع جزم بالشرط وفيه من النحو ما يشكل لان حروف الشرط
ترد الماضي الى المستقبل وليس هذا في كان فقال محمد بن يزيد هذا لقوة كان وانه يعبر بها عن
جميع الافعال وقال الزجاج المعنى ان يكن اي ان يعلم والعلم لم يقع وكذا تكون يؤدي عن العلم
قد من قبل فخبر عن كان بالفعل الماضي كما قال زهير وكان طوي كشحا على مستكنة فلا هو
ابداها ولم يتقدم وقرا يحيى بن يعمر وابن ابي اسحق من قبل بضم القاف والباء واللام وكذا دبر
قال الزجاج يجعلهما غايتين كقبل وبعد كانه قال من قبله ومن دبره فلما حذف المضاف

اليه صار المضاف غاية نفسه بعد ان كان المضاف اليه غاية له ويجوز من قبل ومن دبر بفتح اللام
والراء تشبيها بما لا ينصرف لانه معرفة وزال عن بابه وروى محبوب عن ابي عمرو من قبل ومن دبر
مخففان مجروران قوله تعالى فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن قيل قال لها ذلك
العزيز عند قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا وقيل قاله لها الشاهد والكيد المكر والحيلة وقد تقدم في
الانفال ان كيدكن عظيم وانما قال عظيم لعظم فتنتهن واحتيالهن في التخلص من ورطتهن وقال مقاتل
عن يحيى بن ابي كثير عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كيد النساء اعظم من كيد
الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال ان كيدكن عظيم قوله تعالى
يوسف اعرض عن هذا القايل هذا الشاهد يوسف نداء مفرد اي يا يوسف فحذف اعرض عن هذا
اي لا تذكره لاحد واكتمه ثم اقبل عليها فقال وانت فاستغفري لذنبك يقول استغفري زوجك
من ذنبك لا يعاقبك انك كنت من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لانه قصد الاخبار عن
المذكر والمونث فغلب المذكر والمعنى من الناس الخاطئين او من القوم الخاطئين مثل انها كانت من
قوم كافرين وكانت من القانتين وقيل ان القائل ليوسف اعرض ولها استغفري زوجها الملك
وفيه قولان احدهما انه لم يكن غيورا فلذلك كان ساكتا وعدم الغيرة في كثير من اهل مصر موجودة
الثاني ان الله تعالى سلبه الغيرة وكان فيه لطف بيوسف حتى كفي بادرته وحلم عنها قوله تعالى
وقال نسوة في المدينة ويقال نسوة بضم النون وهي قراءة الاعمش والمفضل السلمي والجمع الكثير نساء
ويجوز وقالت نسوة مثل قالت الاعراب وقال الاعراب وذلك ان القصة انتشرت في اهل
مصر فتحدث الناس قيل امراة ساقي العزيز وامراة خبازه وامراة صاحب دوابه وامراة
صاحب سجنه وقيل امراة الحاجب عن ابن عباس وغيره تراود فتاها عن نفسه الفتى في كلام
العرب الشاب والمراة فتاة قد شغفها حبا قيل شغفها غلبها وقيل دخل حبه في شغافها عن مجاهد
وغيره وروي عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال دخل تحت شغافها وقال الحسن
الشغف باطن القلب السدي وابو عبيدة شغاف القلب غلافه وهي جلدة عليه وقيل هو وسط
القلب والمعنى في هذه الاقوال متقاربة وقيل وصل حبه الى شغافها فغلب عليه قال النابغة
وقد حال هم دون ذلك داخل دخول شغاف تبتغيه الاصابع وقد قيل ان الشغاف داء وانشد
الاصمعي للراجز يتبعها وهي له شغاف وقرا جعفر بن محمد وابن محيصن والحسن شعفها بالعين غير
معجمة قال ابن الاعرابي معناه احرق حبه قلبها قال وعلى الاول العمل قال الجوهري وشعفه الحب
احرق قلبه وقال ابو زيد امرضه وقد شعف بكذا فهو مشعوف وقرا الحسن قد شعفها قال بطنها
حبا قال النحاس معناه عند اكثر اهل اللغة قد ذهب بها كل مذهب لان شعاف الجبال اعاليها
وقد شغف بذلك شغفا باسكان الغين اذا ولع به الا ان ابا عبيدة انشد بيت امرئ القيس
لتقتلني وقد شغفت فؤادها كما شغف المهنوءة الرجل الطالي قال فشبهت لوعة الحب وجواه
بذلك وروي عن الشعبي انه قال الشغف بالغين المعجمة حب والشعف بالعين غير المعجمة جنون
قال النحاس وحكى قد شغفها بكسر الغين ولا يعرف في كلام العرب الا شغفها بفتح الغين وكذا
شعفها اي تركها مشعوفة وقال سعيد بن ابي عروبة عن الحسن الشغاف حجاب القلب والشعاف
سويداء القلب فلو وصل الحب الى الشعاف لماتت قال الحسن ويقال ان الشغاف الجلدة اللاصقة
بالكبد التي لا ترى وهي الجلدة البيضاء فلصق حبه بقلبها كلصوق الجلدة بالقلب قوله تعالى
انا لنريها في ضلال مبين اي في هذا الفعل وقال فتاها وهو فتى زوجها لان يوسف كان

عندهم في حكم المماليك وكان ينفذ امرها فيه وقال مقاتل عن ابي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي
قال ان امراة العزيز استوهبت زوجها يوسف فوهبه لها وقال ما تصنعين به قالت اتخذه ولدا
قال هو لك فربته حتى بلغ وفي نفسها ما في نفسها فكانت تنكشف له وتتزين وتدعوه من وجه اللطف
فعصمه الله قوله تعالى فلما سمعت بمكرهن اي بغيبتهن اياها ولمتيا لهن في ذمها وقيل انها
اطلعتهن واستكتمتهن فافشين سرها فسمي ذلك مكرا وقوله ارسلت اليهن وفي الكلام حذف اي
ارسلت اليهن تدعوهن الى وليمة لتوقعهن فيما وقعت فيه فقال مجاهد عن ابن عباس ان
امراة العزيز قالت لزوجها اني اريد ان اتخذ طعاما فادعو هؤلاء النسوة فقال لها افعلي فاتخذت
طعاما ثم نجدت لهن البيوت وارسلت اليهن ان يحضرن طعامها ولا يتخلف منكن امراة ممن
سميت نجدت اي زينت والنجد ما ينجد به البيت من المتاع اي يزين والجمع نجود عن ابي عبيد
والتنجيد التزيين قال وهب ابن منبه انهن كن اربعين امراة فجين على كره منهن وقد قال
فيهن امية بن الصلت حتى اذا جينها قسرا ومهدت لهن انضادا وكبابا ويروى انماطا قال وهب
فجئن واخذن مجالسهن واعتدت لهن متكأ اي هيأت لهن مجالس يتكين عليها قال ابن جبير في كل
مجلس جام فيه عسل واترج وسكين حاد وقرا سعيد بن جبير ومجاهد متكا مخففا غير مهموز والمتك
هو الاترج وقال الشاعر نشرب الاثم بيننا جهارا ونرى المتك بيننا مستعارا وقد تقول ازد
سوءة الاترجة المتك قال الجوهري المتك ما تبقيه الخاتنة واصل الزماورد والمتكا من النساء التي
لم تخفض قال الفراء حدثني شيخ من ثقات البصرة ان المتك مخففا الزماورد وقال بعضهم انه الاترج
حكاه الاخفش ابن زيد اترجا وعسلا يؤكل به قال الشاعر فظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال
من قلله اي اكلنا النحاس قوله تعالى اعتدت من العتاد وهو كل ما جعلته عدة لشيء متكا اصح
ما قيل فيه ما رواه عن ابن ابي طلحة عن ابن عباس قال مجلسا واما قول جماعة من اهل التفسير
انه الطعام فيجوز على تقدير طعام متكا مثل واسئل القرية ودل على هذا الحذف وآتت كل واحدة
منهن سكينا لان حضور النساء معهن سكاكين انما هو لطعام يقطع بالسكاكين كذا قال في كتاب
اعراب القران له وقال في كتاب معاني القران وروى معمر عن قتادة قال المتكا الطعام وقيل المتكا كل
ما يتكا عليه عند طعام او شراب او حديث وهذا هو المعروف عند اهل اللغة الا ان الروايات قد صحت
بذلك وحكى القتبي انه يقال اتكانا عند فلان اي اكلنا والاصل في متكا موتكا ومثله متزن
ومتعد لانه من وزنت ووعدت ووكات ويقال تكى تكا وآتت كل واحدة منهن سكينا مفعول
وحكى الكسائي والفراء ان السكين يذكر ويؤنث وانشد الفراء فعيث في السنام بسكين موثقة النصاب
الجوهري والغالب عليه التذكير وقال يرى ناصحا فيما بدا فاذا خلا فذلك سكين على الحلق حاذق
الاصمعي لا يعرف في السكين الا التذكير قوله تعالى وقالت اخرج عليهن بضم التاء لالتقاء الساكنين
لان الكسرة تثقل اذا كانت بعدها ضمة وكسر التاء على الاصل قيل انها قالت لهن لا تقطعن ولا تاكلن
حتى اعلمكن ثم قالت لخادمها اذا قلت لك ادع لي ايلا فادع يوسف وايل صنم كانوا يعبدونه وكان
يوسف عليه السلام يعمل في الطين وقد شد مئزره وحسر عن ذراعيه فقالت للخادم ادع لي ايلا اي
ادع لي الرب وايل بالعبرانية الرب قال فتعجبن النسوة وقلن كيف يجيء فصعدت الخادم فدعت
يوسف فلما انحدر قالت لهن اقطعن ما معكن فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن بالمدى حتى بلغت
السكاكين الى العظم قاله وهب بن منبه سعيد بن جبير لم يخرج عليهن حتى زينته فخرج عليهن
فجأة فدهشن وتحيرن لحسن وجهه وزينته وما عليه فجعلن يقطعن ايديهن ويحسبن انهن

يقطعن الاترج واختلف في معنى اكبرنه فروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس اعظمنه وهبنه وعنه ايضا
امنين وامذين من الدهش قال الشاعر اذا ما راين الفحل من فوق قارة صهلن واكبرن المني المدفقا
وقال ابن سمعان عن عدة من اصحابه انهم قالوا امذين عشقا وهب بن منبه عشقنه حتى مات
منهن عشرة في ذلك المجلس دهشا وحيرة ووجدا بيوسف وقيل معناه حضن من الدهش قاله قتادة
ومقاتل والسدي قال الشاعر ياتي النساء على اطهارهن ولا ياتي النساء اذا اكبرن اكبارا وانكر ذلك
ابو عبيد وقال ليس ذلك في كلام العرب ولكنه يجوز ان يكن حضن من شدة اعظامهن له وقد
تفزع المراة فيسقط ولدها او تحيض قال الزجاج اكبرنه ولا يقال حضنه فليس الاكبار بمعنى الحيض
واجاب الازهري فقال يجوز اكبرنه بمعنى حضن له لان المراة اذا حاضت في الابتدا خرجت من حد
الصغر الى الكبر قال والهاء في اكبرنه يجوز ان تكون هاء الوقف لا هاء الكناية وهذا مزيف لان
هاء الوقف تسقط في الوصل وامثل منه قول ابن الانباري ان الهاء كناية عن مصدر الفعل اي اكبرن
اكبارا بمعنى حضن حيضا وعلى قول ابن عباس الاول تعود الهاء الى يوسف اي عظمن يوسف واجللنه
قوله تعالى وقطعن ايديهن قال مجاهد قطعنها حتى القينها وقيل خدشنها وروى ابن ابي نجيح قال
حزا بالسكين قال النحاس يريد مجاهد انه ليس قطعا تبين منه اليد انما هو خدش وحز وذلك معروف
في اللغة يقال اذا خدش الانسان يد صاحبه قطع يده وقال عكرمة ايديهن اكمامهن وفيه بعد
وقيل انامله اي ما وجدن الالم في القطع والجرح لشغل قلوبهن بيوسف والتقطيع يشير الى الكثرة فيمكن
ان ترجع الكثرة الى كل واحدة جرحت يدها في مواضع ويمكن ان ترجع الى العدد من قوله تعالى وقلن
حاش لله اي معاذ الله وروى الاصمعي عن نافع انه قرا كما قرا ابو عمرو بن العلا وقلن حاشا لله باثبات
الالف وهو الاصل ومن حذفها جعل اللام في لله عوضا منها وفيها اربع لغات يقال حاشاك وحاشا
لك وحاش لك وحشا ويقال حاشى زيد وحاشى زيدا قال النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت
محمد بن يزيد يقول النصب اولى لانه قد صح انها فعل بقولهم حاش لزيد والحرف لا يحرف معه
وقد قال النابغة ولا احاشي من الاقوام من احد وقال بعضهم حاش حرف واحاشي فعل ويدل على كونه حرف
الجر بعدها وحكى ابو زيد عن اعرابي اللهم اغفر لي ولمن سمع حاشى الشيطان وابا الاصبع فنصب بها
وقرا الحسن وقلن حاش لله باسكان الشين وعنه ايضا حاش الاله ابن مسعود وابي حاشى الله
بغير لام ومنه قول الشاعر حاشى ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم قال الزجاج واصل
الكلمة من الحاشية والحشا بمعنى الناحية تقول كنت في حشا فلان اي في ناحيته فقولك حاشى
لزيد اي تنحى زيد من هذا وتباعد منه والاستثنا اخراج وتنحية عن جملة المذكورين وقال ابو علي
هو فاعل من المحاشية اي حاشا يوسف وصار في حاشية وناحية مما قرف به او من ان يكون بشرا
فحاشى وحاش في الاستثنا حرف جر عند سيبويه وعلى ما قال المبرد قوله تعالى ما هذا بشرا قال
الخليل وسيبويه ما بمنزلة ليس تقول ليس زيد قائما وما هذا بشرا وما هن امهاتهم وقال الكوفيون
لما حذفت الباء نصبت وشرح هذا فيما قاله احمد بن يحيى انك اذا قلت ما زيد بمنطلق فموضع الباء
موضع نصب لتدل على محلها قال وهذا قول الفراء قال ولم تعمل ما شيا فالزمهم البصريون ان
يقولوا زيد القمر لان المعنى كالقمر فرد احمد بن يحيى بان قال الباء ادخل في حروف الخفض من الكاف
لان الكاف تكون اسما قال النحاس لا يصح الا قول البصريين وهذا القول يتناقض لان الفراء نصا
ما بمنطلق زيد وانشد اما والله ان لو كنت حرا وما بالحر انت ولا العتيق ومنع نصا النصب
ولا نعلم بين النحويين اختلافا انه جائز ما فيك براغب زيد وما اليك بقاصد عمرو ثم يحذفون

الباء ويرفعون وحكى البصريون والكوفيون ما زيد منطلق بالرفع وحكى البصريون انها لغة تميم وانشدوا
ايما تجعلون الى ندا وما تيم لذى حسب نديد الند والنديد والنديد المثل والنظير وحكى الكسائي
انها لغة تهامة ونجد ويزعمون الرفع اقوى الوجهين قال ابو اسحق وهذا غلط كتاب الله عز وجل
ولغة رسول الله صلى الله عليه وسلم اقوى واولى قلت وفي مصحف حفصة رضي الله عنها ما هذا
ببشر ذكره الغزنوي قال القشيري ابو نصر وذكرت النسوة ان يوسف احسن من صورة بل هو في صورة
ملك وقال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم والجمع بين الايتين ان قولهن حاش
لله تبرية ليوسف عما رمته به امراة العزيز من المراودة اي بعد يوسف عن هذا وقولهن لله اي
لخوفه اي براءة لله من هذا اي قد نجا يوسف من ذلك فليس هذا من الصورة في شيء والمعنى انه في
التبرية عن المعاصي كالملائكة فعلى هذا لا تناقض وقيل المراد تنزيهه عن مشابهة البشر في الصورة
لفرط جماله وقوله تاكيد لهذا المعنى فعلى هذا قالت النسوة في ذلك ظنا منهن ان صورة الملك احسن
وما بلغهن قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فانه من كتابنا وقد ظن بعض الضعفة ان
هذا القول لو كان ظنا باطلا منهن لوجب على الله ان يرد عليهن ويبين كذبهن وهذا باطل
اذ لا وجوب على الله تعالى وليس كل ما يخبر به الرب سبحانه وتعالى من كفر الكافرين وكذب الكاذبين
يجب عليه ان يقرن به الرد عليه وايضا اهل العرف قد يقولون في القبيح كانه شيطان وفي الحسن
كانه ملك اي لم ير مثله لان الناس لا يرون الملائكة فهو بناء على ظن في ان صورة الملك احسن
او على الاخبار بطهارة اخلاقه وبعده عن التهم ان هذا الا ملك وقال الشاعر فلست بانسي ولكن
لمليك تنزل من جو السماء يصوب وروي عن الحسن ما هذا بشرا بكسر الباء والشين اي ما هذا عبدا مشترى
اي ما ينبغي لمثل هذا ان يباع فوضع المصدر موضع اسم المفعول كما قال احل لكم صيد البحر اي صيده و
شبهه كثير ويجوز المعنى ما هذا بثمن اي مثله لا يثمن ولا يقوم فيراد بالشرا على هذا الثمن المشترى به
كقولك ما هذا بالف اذا نفيت قول القايل هذا بالف فالباء على هذا متعلقة بمحذوف هو الخبر
كانه قال ما هذا مقدرا بشرا وقراءة العامة اشبه لان بعده ان هذا الا ملك كريم مبالغة في
تفضيله في جنس الملائكة تعظيما لشانه ولان مثله بشرى يكتب في المصحف قوله تعالى وقال
نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنريها في ضلال مبين
فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكاء واتت كل واحدة منهن سكينا وقالت
اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا
ملك كريم تقدم معناه قبل هذا قوله تعالى قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن
نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن احب
الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له
ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه
حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الاخر اني اراني
احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نريك من المحسنين قال لا ياتيكما طعام
ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله وهم بالاخرة هم كافرون واتبعت ملة ابائي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك
بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون يا صاحبي
السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها

انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم
ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الاخر فيصلب
فتاكل الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان وقال للذي ظن انه ناج منهما
اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وقال الملك اني
ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملأ
افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين
قوله قالت فذلكن الذي لمتنني فيه لما رات افتتانهن بيوسف اظهرت عذر نفسها بقولها لمتنني فيه
اي في حبه وذلك بمعنى هذا وهو اختيار الطبري وقيل الهاء للحب واللوم الوصف بالقبيح ثم
اقرت وقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم اي امتنع وسميت العصمة عصمة لانها تمنع من
ارتكاب المعصية وقيل فاستعصم اي استعصى والمعنى واحد ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن عاودته
المراودة بمحضر منهن وهتكت جلباب الحيا ووعدت بالسجن ان لم يفعل وانما فعلت هذا حين
لم تخش لوما ولا مقالا خلاف اول امرها اذ كان ذلك بينه وبينها وليكونا من الصاغرين اي الاذلا
وخط المصحف وليكونا بالالف وتقرا بنون مخففة للتوكيد ونون التاكيد تثقل وتخفف والوقف
على قوله ليسجنن بالنون لانها مثقلة وعلى وليكونا بالالف لانها مخففة وهي تشبه نون الاعراب
في قولك رايت رجلا وزيدا وعمرا ومثله قوله لنسفعا ونحوها الوقف عليها بالالف قوله
تعالى قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه اي دخول السجن فحذف المضاف قاله الزجاج
والنحاس احب الي اي اسهل علي واهون من الوقوع في المعصية لان دخول السجن مما يجب على التحقيق
وحكي ان يوسف عليه السلام لما قال السجن احب الي اوحى اليه يا يوسف انت حبست نفسك حيث
قلت السجن احب الي ولو قلت العافية احب الي لعوفيت وحكى ابو حاتم ان عثمان بن عفان رضي
الله عنه قرا السجن بفتح السين وحكي ان ذلك قراءة ابن ابي اسحق وعبد الرحمن الاعرج ويعقوب
وهو مصدر سجنه سجنا والا تصرف عني كيدهن اي كيد النسوان او كيد النسوة اللاتي راينه
فانهن امرنه بمطاوعة امراة العزيز وقلن له هي مظلومة وانت ظلمتها وقيل طلبت كل واحدة ان
تخلو به للنصيحة في امراة العزيز والقصد ان تعذله في حقها وتامره بمساعدتها فلعله يجيب فصارت
كل واحدة تخلو به على حدة فتقول له يا يوسف اقض لي حاجتي فانا خير لك من سيدتك تدعوه
كل واحدة الى نفسها وتراوده فقال يا رب كانت واحدة فصرن جماعة وقيل كيد امراة العزيز
فيما دعته اليه من الفاحشة وكنى عنها بخطاب الجمع اما لتعظيمها لشانها في الخطاب واما ليعدل
عن التصريح الى التعريض والكيد الاحتيال والاجتهاد ولهذا سميت الحرب كيدا لاحتيال الناس
فيها قال عمرو بن لجاء تراءت كي تكيدك ام بشر وكيد بالتبرج ما تكيد اصب اليهن جواب
الشرط اي امل اليهن من صبا يصبو اذا مال واشتاق صبا وصبوة قال الى هند صبا قلبي
وهند مثلها يصبي اي لم تتلطف بي في اجتناب المعصية وقعت فيها واكن من الجاهلين اي
ممن يرتكب الاثم ويستحق الذم ومن يعمل عمل الجهال ودل هذا على ان احدا لا يمتنع عن معصية
الله الا بعون الله ودل ايضا على قبح الجهل والذم لصاحبه قوله تعالى فاستجاب له ربه لما
قال والا تصرف عني كيدهن تعرض للدعاء وكانه قال اللهم اصرف عني كيدهن فاستجاب
له دعاه ولطف به وعصمه عن الوقوع في الزنا كيدهن قيل لانهن جمع قد راودنه عن نفسه
وقيل يعني كيد النساء وقيل يعني كيد امراة العزيز على ما ذكر في الاية قبل

والعموم اولى قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه حتى حين فيه اربع مسائل الاولى
قوله ثم بدا لهم اي ظهر للعزيز واهل مشورته من بعد ما راوا علامات براة يوسف من قد القميص من
دبر وشهادة الشاهد وحز الايدي وقلة صبرهن على لقاء يوسف ان يسجنوه كتمانا للقصة ان لا تشيع
في العامة وللحيلولة بينه وبينها وقيل هي البركات التي كانت تنفتح عليهم ما دام يوسف فيهم والاول
اصح قال مقاتل عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات قال القميص من
الايات وشهادة الشاهد من الايات وقطع الايدي من الايات واعظام النساء من الايات وقيل الجا
الخجل من الناس والوجل من الياس الى ان رضيت بالحجاب مكان خوف الذهاب لتشتفي اذا منعت
من نظره قال وما صبابة مشتاق على امل من اللقاء كمشتاق بلا امل او كادت رجا ان يميل
حبه فيبذل نفسه الثانية قوله تعالى ليسجننه في موضع الفاعل اي ظهر لهم ان يسجنوه هذا
قول سيبويه قال المبرد وهذا غلط لا يكون الفاعل جملة ولكن الفاعل ما دل عليه بدا فحذف لان
الفعل يدل عليه كما قال الشاعر وحق لمن ابو موسى ابوه يوفقه الذي نصب الجبالا اي
وحق الحق فحذف وقيل المعنى ثم بدا لهم راى لم يكونوا يعرفونه وحذف هذا لان في الكلام دليلا
عليه وحذف ايضا القول اي قالوا ليسجننه واللام جواب اليمين مضمر قاله الفراء وهو فعل مذكر
لا فعل مؤنث ولو كان فعل مؤنث كان ليسجننه ويدل على هذا قوله لهم ولم يقل لهن فكانه
اخبر عن النسوة واعوانهن فغلب المذكر قاله ابو علي وقال السدي كان سبب حبس يوسف ان
امراة العزيز شكت اليه انه شهرها ونشر خبرها فالضمير على هذا في لهم للملك الثالثة قوله
تعالى حتى حين اي الى مدة غير معلومة قاله كثير من المفسرين وقال ابن عباس الى انقطاع ما
شاع في المدينة وقال سعيد بن جبير ستة اشهر وحكى الكيا انه عنى ثلاثة عشر شهرا عكرمة
تسع سنين الكلبي خمس سنين مقاتل وقد مضى في البقرة القول في الحين وما يرتبط به من
الاحكام وقال وهب اقام في السجن اثنتي عشرة سنة وحتى بمعنى الى كقوله حتى مطلع الفجر وجعل الله
الحبس تطهيرا ليوسف من همه بالمراة وان كان العزيز عرف براءة يوسف اطاع المراة في
سجن يوسف قال ابن عباس عثر يوسف ثلاث عثرات حين هم فسجن وحين قال للفتى اذكرني
عند ربك فلبث في السجن بضع سنين وحين قال لاخوته انكم لسارقون قالوا ان يسرق
فقد سرق اخ له من قبل الرابعة اكره يوسف عليه السلام على الفاحشة بالسجن واقام خمسة
اعوام وما رضي بذلك لعظم منزلته وشريف قدره ولو اكره رجل بالسجن على الزنا ما جاز له
اجماعا وان اكره بالضرب فقد اختلف فيه العلماء والصحيح انه ان كان فادحا فانه يسقط عنه
اثم الزنا وحده وقد قال بعض علمائنا انه لا يسقط عنه الحد وهو ضعيف فان الله تعالى لا
يجمع على عبده العذابين ولا يصرفه بين بلائين فانه من اعظم الحرج في الدين وما جعل عليكم
في الدين من حرج وسياتي بيان هذا في النحل ان شاء الله تعالى وصبر يوسف فاستعاذ به من
الكيد فاستجاب له على ما تقدم قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان تثنية فتى وهو
من ذوات الياء وقولهم الفتوة شاذ قال وهب وغيره حمل يوسف الى السجن مقيدا على حمار
وطيف به هذا جزاء من يعصي سيده وهو يقول هذا ايسر من مقطعات النيران وسرابيل القطران
وشرب الحميم واكل الزقوم فلما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم
فجعل يقول لهم اصبروا وابشروا توجروا فقالوا له يا فتى ما احسن حديثك لقد بورك لنا في جوارك
من انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم وقال ابن

عباس لما قالت المراة لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني وانا اريد ان تسجنه فسجنه في السجن
فكان يعزي فيه الحزين ويعود فيه المريض ويداوي فيه الجريح ويصلي الليل كله ويبكي حتى تبكي
معه جدر البيوت وسقفها والابواب وطهر به السجن واستانس به اهل السجن فكان اذا خرج الرجل
من السجن رجع حتى يجلس في السجن مع يوسف واحبه صاحب السجن فوسع عليه فيه ثم قال له يا يوسف
لقد احببتك حبا لم احب احدا حبك قال اعوذ بالله من حبك قال ولم ذاك قال احبني ابي ففعل
بي اخوتي ما فعلوا واحبتني سيدتي فنزل بي ما نزل فكان في حبسه حتى غضب الملك على خبازه وصاحب
شرابه وذلك ان الملك عمر فيهم فملوه فدسوا الى خبازه وصاحب شرابه ان يسماه جميعا فاجاب الخباز
وابى صاحب الشراب فاخبر الملك بذلك فامر بحبسهما فاستانسا بيوسف فذلك قوله ودخل معه
السجن فتيان وقد قيل ان الخباز وضع السم في الطعام فلما حضر الطعام قال الساقي ايها الملك لا
تاكل فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشرب فشرب
فلم يضره وقال للخباز كل فابى فجرب الطعام على حيوان فنفق مكانه فحبسهما سنة وبقيا في
السجن تلك المدة مع يوسف واسم الساقي منجا والاخر مجلث ذكره الثعلبي عن كعب وقال النقاش
اسم احدهما شرهم والاخر سرهم الاول بالشين المعجمة والاخر بالسين المهملة وقال الطبري الذي راى
انه يعصر خمرا هو نبو قال السهيلي وذكر اسم الاخر ولم اقيده وقال فتيان لانهما كانا عبدين والعبد
يسمى فتى صغيرا كان او كبيرا ذكره الماوردي وقالوا القشيري ولعل الفتى كان اسما للعبد في عرفهم ولهذا
قال تراود فتاها عن نفسه ويحتمل ان يكون الفتى اسما للخادم وان لم يكن مملوكا ويمكن ان يكون
حبسهما مع حبس يوسف او بعده او قبله غير انهما دخلا معه البيت الذي كان فيه قال احدهما
اني اراني اعصر خمرا اي عنبا كان يوسف قال لاهل السجن اني اعبر الاحلام فقال احد الفتيين
لصاحبه تعال حتى نجرب هذا الغلام العبراني فسالاه من غير ان يكونا رايا شيئا قاله ابن
مسعود وحكى الطبري انهما سالاه عن علمه فقال اني اعبر الرؤيا فسالاه عن رؤياهما قال ابن
عباس ومجاهد كانت رؤيا صدق راياها وسالاه عنها ولذلك صدق تاويلها وفي الصحيح عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا وقيل انها كانت رؤيا كذب
سالاه عنها تجريبا وهذا قول ابن مسعود والسدي وقيل ان المصلوب منهما كان كاذبا والاخر
صادقا قاله ابو مجلز وروى الترمذي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تحلم كاذبا
كلف يوم القيمة ان يعقد بين شعيرتين قال ابو عيسى هذا حديث صحيح وعن علي عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من كذب في حلمه كلف يوم القيمة عقد شعيرة قال حديث حسن قال ابن عباس
لما رايا رؤياهما اصبحا مكروبين فقال لهما يوسف ما لي اراكما مكروبين قالا يا سيدنا انا راينا
ما كرهنا قال فقصا علي فقصا عليه قال نبئنا بتاويلها راينا وهذا يدل على انها كانت رؤيا
منام انا نريك من المحسنين فاحسانه ما كان يعود المرضى ويداويهم ويعزي الحزانى قال
الضحاك كان اذا مرض الرجل من اهل السجن قام به واذا ضاق وسع له واذا احتاج جمع له
وسال له وقيل من المحسنين اي العالمين الذين احسنوا العلم قاله الفراء وقال ابن اسحق من
المحسنين لنا ان فسرته كما تقول افعل كذا وانت محسن قال فما رايتما قال الخباز رايت كاني
اختبزت في ثلاثة تنانير وجعلته في ثلاث سلال فوضعته على راسي فجاء الطير فاكل منه
وقال الاخر رايت كاني اخذت ثلاث عناقيد من عنب ابيض فعصرتهن في ثلاث اواني ثم
صفيته فسقيت الملك كعادتي فيما مضى فذلك قوله اني اراني اعصر خمرا اي عنبا بلغة عمان

قال الضحاك وقرا ابن مسعود اني اراني اعصر عنبا وقال الاصمعي اخبرني المعتمر بن سليمان انه لقي اعرابيا
ومعه عنب فقال له ما معك قال خمر وقيل معنى اعصر خمرا اي عنب خمر فحذف المضاف ويقال
خمرة وخمر وخمور مثل ثمرة وثمر وثمور قال لهما يوسف لا ياتيكما طعام ترزقانه لا يجيئكما غدا
لطعام من منزلكما الا نباتكما بتاويله اني اعلم تاويل رؤياكما فقالا افعل فقال يجيئكما كذا وكذا فكان
على ما قال وكان هذا من علم الغيب خص به يوسف وبين ان الله خصه بهذا العلم لانه ترك ملة
قوم لا يؤمنون بالله يعني دين الملك ومعنى الكلام عندي العلم بتاويل مناميكما والعلم بما ياتيكما
من طعامكما والعلم بدين الله فاسمعوا اولا ما يتعلق بالدين لتهتدوا ولهذا لم يعبر لهما حتى دعاهما
الى الاسلام فقال يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وما تعبدون لانه
كلها على ما ياتي وقيل علم ان احدهما مقتول فدعاهما الى الاسلام ليسعدا به وقيل ان يوسف كره ان
يعبر لهما ما سالاه لما علمه من المكروه على احدهما فاعرض عن سؤالهما واخذ في غيره فقال لا ياتيكما
طعام ترزقانه في النوم الا نباتكما بتاويله في اليقظة قاله السدي فقال له هذا من فعل العرافين
والكهنة فقال له يوسف ما انا بكاهن وانما ذلك العلم مما علمني ربي اني لا اخبركما به تكهنا
وتنجيما بل هو بوحي من الله عز وجل وقال ابن جريج كان الملك اذا اراد قتل انسان صنع له طعاما
معروفا فارسل به اليه فالمعنى لا ياتيكما طعام ترزقانه في اليقظة فعلى هذا ترزقانه اي يجري عليكما
من جهة الملك او غيره ويحتمل يرزقكما الله قال الحسن كان يخبرهما بما غاب كعيسى عليه السلام وقيل
انما دعاهما بذلك الى الاسلام وجعل المعجزة التي يستدلان بها اخبارهما بالغيوب قوله تعالى واتبعت
ملة اباءي ابراهيم واسحق ويعقوب لانهم انبياء على الحق ما كان اي ما ينبغي لنا ان نشرك بالله من
شيء من التاكيد كقولك ما جاءني من احد وقوله تعالى ما جاءني من احد وقوله تعالى ذلك من
فضل الله علينا اشارة الى عصمته من الزنا وعلى الناس اي على المؤمنين الذين عصمهم الله عن
الشرك وقيل ذلك من فضل الله علينا اذ جعلنا انبياء وعلى الناس اذ جعلنا الرسل اليهم ولكن
اكثر الناس لا يشكرون على نعمه بالتوحيد والايمان قوله تعالى يا صاحبي السجن اي يا ساكني السجن
وذكر الصحبة لطول مقامهما فيه كقولك اصحاب الجنة اصحاب النار ءارباب متفرقون اي في الصغر
والكبر والتوسط او متفرقون في العدد خير ام الله الواحد القهار وقيل الخطاب لهما ولاهل السجن
وكان بين ايديهم اصنام يعبدونها من دون الله فقال ذلك الزاما للحجة اي الهة شتى لا تضر
ولا تنفع خير ام الله الواحد القهار قهر كل شيء نظيره الله خير اما تشركون وقيل اشار بالتفرق الى انه
لو تعددت الالهة لتفرقوا في الارادة ولعلا بعضهم على بعض وتبين انها اذا تفرقت لم تكن الهة
قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء بين عجز الاصنام وضعفها فقال ما تعبدون من دون
الله الا ذوات اسماء لا معاني لها سميتموها من تلقاء انفسكم وقيل عنى بالاسماء المسميات اي ما تعبدون
الا اصناما ليس من الالهية شيء الا الاسم لانها جمادات وقال ما تعبدون وقد ابتدا بخطاب
الاثنين لانه قصد جميع من هو على مثل حالهما من الشرك الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم فحذف
المفعول الثاني للدلالة والمعنى سميتموها الهة من عند انفسكم ما انزل الله ذلك في كتاب قال
سعيد بن جبير من سلطان اي من حجة ان الحكم الا لله الذي هو خالق الكل امر ان لا تعبدوا الا اياه
ذلك الدين القيم اي التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون قوله تعالى يا صاحبي السجن اما احدكما
فيسقي ربه خمرا فيه مسئلتان الاولى قوله اما احدكما فيسقي ربه خمرا اي قال للساقي انك
ترد الى عملك الذي انت عليه من سقي الملك بعد ثلاثة ايام وقال للاخر واما انت فتدعى الى

ثلاثة

ثلاثة ايام فتصلب فتاكل الطير من راسك قال والله ما رايت شيئا قال رايت او لم تر قضي الامر الذي
فيه تستفتيان وحكى اهل اللغة ان سقى واسقى لغتان بمعنى واحد كما قال الشاعر سقى قومي بني مجد واسقى
نميرا والقبايل من هلال قال النحاس الذي عليه اكثر اهل اللغة ان سقاه ناوله فشرب او صب الماء في
حلقه ومعنى اسقاه جعل له سقيا قال الله تعالى واسقيناكم ماء فراتا انتهى الثانية قال علماؤنا ان
قيل من كذب في رؤياه ففسرها العابر له ايلزمه حكمها قلنا لا يلزمه وانما كان ذلك في يوسف
لانه نبي وتعبير النبي حكم وقد قال انه يقول كذا فاوجد الله ما اخبر كما قال تحقيقا لنبوته فان
قيل فقد روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال جاء رجل الى عمر بن الخطاب فقال اني رايت كاني
اعشبت ثم اجدبت ثم اعشبت ثم اجدبت فقال له عمر انت رجل تؤمن ثم تكفر ثم تؤمن ثم تكفر
ثم تموت كافرا فقال الرجل ما رايت شيئا فقال عمر قضي لك ما قضي لصاحب يوسف قلنا ليست
لاحد بعد عمر لان عمر كان محدثا وكان اذا ظن ظنا كان واذا تكلم به وقع على ما وقع في اخباره
وهي كثيرة منها انه دخل عليه رجل فقال له اظنك كاهنا فكان كما ظن خرجه البخاري ومنها
انه سال رجلا عن اسمه فقال فيه اسماء النار كلها فقال له ادرك اهلك فقد احترقوا فكان كما
قال خرجه الموطا وسياتي لهذا مزيد كلام في سورة الحجر ان شاء الله تعالى انتهى قوله تعالى وقال
للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فيه خمس مسائل الاولى قوله وقال للذي ظن ظن هنا
بمعنى تيقن في قول اكثر المفسرين وفسره قتادة على الظن الذي هو خلاف اليقين قال انما ظن يوسف
نجاته لان العابر يظن ظنا وربك يخلق ما يشاء والاول اصح واشبه بحال الانبياء وانما قال
للفتيين في تعبير الرؤيا كان وانما يكون ظنا في حكم الناس واما في حق الانبياء فان حكمهم حق كيف
ما وقع قوله تعالى اذكرني عند ربك اي سيدك وذلك معروف في اللغة ان يقال للسيد رب
قال الاعشى ربي كريم لا يكدر نعمة واذا تنوشد بالمهارق انشدا اي اذكر ما رايته وما انا عليه
من عبارة الرؤيا للملك واخبره اني مظلوم محبوس بلا ذنب وفي صحيح مسلم وغيره عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم اسق ربك اطعم ربك وضئ ربك وليقل سيدي
مولاي ولا يقل احدكم عبدي امتي وليقل فتاي فتاتي غلامي وفي القران اذكرني عند ربك الى ربك
انه ربي احسن مثواي اي صاحبي يعني العزيز ويقال لكل من قام باصلاح شيء واتمامه قد ربه يربه
فهو رب له قال العلماء قوله عليه الصلاة والسلام لا يقولن وليقل من باب الارشاد الى اطلاق
اسم الاولى لان اطلاق ذلك الاسم محرم لانه قد جاء عنه عليه الصلاة والسلام ان تلد الامة
ربتها اي مالكها وسيدها وهذا موافق للقران في اطلاق ذلك اللفظ فهو محل النهي في هذا الباب
ان لا تتخذ هذه الاسماء عادة فيترك الاولى والاحسن وقد قيل ان قول الرجل عبدي وامتي
يجمع معنيين احدهما ان العبودية بالحقيقة انما هي لله ففي قول الواحد من الناس لمملوكه
عبدي وامتي تعظيم عليه واضافة له الى نفسه بما اضافه الله به الى نفسه وذلك غير جائز
وذلك ان المملوك يدخله من ذلك شيء في استصغاره بتلك التسمية فيحمله ذلك على سوء الطاعة
وقال ابن شعبان في الزاهي لا يقل السيد عبدي وامتي ولا يقل المملوك ربي وهذا محمول على ما
ذكرناه وانما قال صلى الله عليه وسلم لا يقل العبد ربي وليقل سيدي لان الرب من اسماء الله تعالى
المستعملة بالاتفاق واختلف في السيد هل هو من اسماء الله تعالى ام لا فاذا قلنا ليس من اسماء
الله فالفرق واضح اذ لا التباس ولا اشكال واذا قلنا انه من اسمائه فليس في الشهرة والاستعمال
كلفظ الرب فيحصل الفرق وقال ابن العربي يحتمل ان يكون ذلك جائزا في شرع يوسف عليه السلام

الثالثة قوله تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه الضمير في انساه فيه وجهان احدهما انه عايد الى يوسف اي انساه الشيطان ذكر الله تعالى وذلك انه لما قال يوسف لساقي الملك حين علم انه سينجو ويعود الى حالته الاولى مع الملك اذكرني عند ربك نسي في ذلك الوقت ان يشكو الى الله ويستغيث به وجنح الى الاعتصام بمخلوق فعوقب باللبث قال عبد العزيز ابن عمير الكندي دخل جبريل عليه السلام على يوسف عليه السلام في السجن فعرفه يوسف فقال يا اخا المنذرين مالي اراك بين الخاطئين فقال جبريل عليه السلام يا طاهر الطاهرين يقرئك السلام رب العالمين ويقول ما استحييت لي واستشفعت بالادميين وعزتي لالبثنك في السجن بضع سنين فقال اهو عني راض قال نعم قال لا ابالي الساعة وروي ان جبريل عليه السلام جاءه فعاتبه عن الله تعالى في ذلك وطول سجنه وقال له يا يوسف من خلصك من القتل من اخوتك قال الله قال من اخرجك من الجب قال الله قال فمن عصمك من الفاحشة قال الله قال فمن صرف عنك كيد النساء قال الله قال فكيف وثقت بمخلوق وتركت ربك فلم تسأله قال يا رب كلمة زلت مني اسالك يا اله ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام الا رحمتني قال له جبريل فان عقوبتك ان تلبث في السجن بضع سنين وروي بوسلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قالها اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ما لبث فلبث في السجن بضع سنين لما قال للذي نجا منهما اذكرني عند ربك ولو ذكر يوسف ربه لخلصه وروي اسمعيل بن ابراهيم عن يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف يعني قوله اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ما لبث قال ثم بكى الحسن ويقول نحن ينزل بنا الامر فنشكوا الى الناس وقيل ان الهاء تعود على الناجي وهو الناسي اي انسى الشيطان الساقي ان يذكر يوسف لربه اي لسيده وفيه حذف اي انساه الشيطان ذكره لربه وقد رجح بعض العلماء هذا القول فقال لولا ان الشيطان انسى يوسف ذكر الله لما استحق العقاب باللبث في السجن اذ الناسي غير مواخذ واجاب اهل القول الاول بان النسيان قد يكون بمعنى الترك فلما ترك ذكر الله ودعاه الشيطان الى ذلك عوقب ورد عليهم اهل القول الثاني بقوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة فدل على ان الناسي الساقي لا يوسف مع قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فكيف ان يصح ان يضاف نسيانه الى الشيطان وليس على الانبياء سلطنة قيل اما النسيان فلا عصمة للانبياء عليه الا في وجه واحد وهو الخبر عن الله تعالى فيما يبلغوه فانهم معصومون فيه واذا وقع منهم النسيان حيث يجوز وقوعه فانه ينسب الى الشيطان وذلك انما يكون فيما اخبر الله عنهم ولا يجوز لنا نحن ذلك فيهم قال صلى الله عليه وسلم نسي آدم فنسيت ذريته وقال انما انا بشر انسى كما تنسون وقد تقدم قوله عز وجل فلبث في السجن بضع سنين البضع قطعة من الدهر مختلف فيها قال يعقوب عن ابن زيد يقال بضع وبضع بفتح الباء وكسرها ولا يقال بضع ومائة وانما هو الى التسعين وقال الهروي العرب تستعمل البضع فيما بين الثلاث الى التسع والبضع والبضعة واحد ومعناهما القطعة من العدد وحكي عن ابي عبيدة انه قال البضع ما دون نصف العدد يريد ما بين واحد الى اربعة وهذا ليس بشيء وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق وكم البضع فقال ما بين ثلاث الى تسع قال اذهب فزايد في الخطر وعلى هذا اكثر المفسرين ان البضع سبع حكاه الثعلبي قال الماوردي وهو قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقطرب وقال مجاهد من ثلاث الى تسع وقال الاصمعي ابن عباس من ثلاث الى عشرة وحكى الزجاج انه ما بين الثلاث الى الخمس

قال

قال الفراء والبضع لا يذكر الا مع العشر والعشرين الى التسعين ولا يذكر بعد المائة وفي المدة التي لبث فيها مسجونا ثلاثة اقاويل احدها سبع سنين قاله ابن قتادة ووهب ابن منبه قال وهب اقام ايوب في البلا سبع سنين الثاني ثنتا عشرة قاله ابن عباس الثالث اربع عشرة قاله الضحاك وقال مقاتل عن ابن عباس قال مكث يوسف في السجن خمسا وبضعا واشتقاقه من بضعت الشيء اي قطعته فهو قطعة من العدد فعاقب الله يوسف بان حبس سبع سنين او تسع سنين بعد الخمس التي مضت فالبضع مدة العقوبة لا مدة الحبس كله قال وهب بن منبه حبس يوسف في السجن سبع سنين ومكث ايوب في البلاء سبع سنين وعذب بخت نصر بالمسخ سبع سنين وقال عبد الله بن راشد البصري عن ابي سعيد بن ابي عروبة ان البضع ما بين الخمس الى الاثنتي عشرة سنة الخامسة في هذه الاية دليل على جواز التعلق بالاسباب وان كان اليقين حاصلا فان الامور بيد مسببها ولكنه جعلها مسلسلة وركب بعضها على بعض فتحريكها سنة والتعويل على المنتهى يقين والذي يدل على جواز ذلك نسبة ما جرى من النسيان الى الشيطان كما جرى لموسى في لقيا الخضر وهذا بين فتامله قوله تعالى وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان الاية لما دنى فرج يوسف عليه السلام راى الملك رؤياه فنزل جبريل وسلم على يوسف وبشره بالفرج وقال ان الله مخرجك من سجنك وممكن لك في الارض يذل لك ملوكها ويطيعك جبابرتها ومعطيك الكلمة العليا على اخوتك وذلك بسبب رؤيا يراها الملك وهي كيت وكيت وتاويلها كذا وكذا فما لبث في السجن اكثر مما راى الملك الرؤيا حتى خرج فجعل الله الرؤيا ليوسف بلاء وشدة وجعلها له بشرى ورحمة وذلك ان الملك الاكبر ريان بن الوليد راى في نومه كانما خرج من نهر يابس سبع بقرات سمان في اثرهن سبع عجاف اي مهازيل وقد اقبلت العجاف على السمان باذانهن الا القرنين وراى سبع سنبلات خضر قد اقبل عليهن سبع يابسات فاكلنهن حتى اتين عليهن فلم يبق منهن شيء وهن يابسات وكذلك البقر كن عجافا فلم يزد فيهن شيء من اكلهن السمان فهالته الرؤيا فارسل الى الناس واهل العلم منهم والبصر والكهانة والنجامة والعرافة والسحر واشراف قومه فقال يا ايها الملأ افتوني في رؤياي فقص عليهم فقالوا اضغاث احلام فقال ابن جريج قال لي عطاء اضغاث احلام يعني به الكاذبة وقال الهروي قوله تعالى اضغاث احلام اي اخلاط احلام والضغث في اللغة الحزمة من الشيء كالبقل والكلا وما اشبهه اي قالوا ليست رؤياك ببينة والاحلام الرؤيا المختلطة وقال مجاهد اضغاث الرؤيا اهاويلها وقال ابو عبيدة الاضغاث ما لا تاويل له من الرؤيا قوله تعالى سبع بقرات سمان حذفت الهاء من سبع فرقا بين المذكر والمؤنث سمان من نعت البقرات ويجوز في غير القران سبع بقرات سمانا نعت للسبع وكذا خضرا قال الفراء ومثله سبع سموات طباقا وقد مضى في سورة البقرة اشتقاق البقرة ومعناها وقال علي ابن ابي طالب المعبر البقر اذا دخلت المدينة فان كانت سمانا فهي سنين رخاء وان كانت عجافا كانت شدادا وان كانت المدينة مدينة بحر وابان سفر قدمت سفن على عددها وحالها والا كانت فتنا مترادفة كانها وجوه البقر كما في الخبر يشبه بعضها بعضا وفي خبر آخر في الفتن كانها صياصي البقر يريد تشابهها الا ان تكون صفرا كلها فانها امراض تدخل في الناس وان كانت مختلفة الالوان شنيعة القرون وكان الناس ينفرون منها او كان النار والدخان يخرج من افواهها فانه عسكر او غارة او عدو يضرب عليهم وينزل بساحتهم وقد يدل البقر على الزوجة والغلة والخادم والسنة لما يكون فيها من الولد والغلة والنبات يأكلهن سبع عجاف من عجف يعجف على وزن عظم يعظم وروي عجف

يعجف على وزن حمد يحمد قوله تعالى يا ايها الملاء افتوني في رؤياي جمع الرؤيا رؤى اي اخبروني
بحكم هذه الرؤيا ان كنتم للرؤيا تعبرون العبارة مشتقة من عبور النهر فمعنى عبرت النهر بلغت
شاطيه فعابر الرؤيا يعبر بما يؤول اليه امرها واللام في للتبيين اي ان كنتم تعبرون ثم بين فقال
للرؤيا قاله الزجاج قوله تعالى قالوا اضغاث احلام فيه مسئلتان الاولى قوله اضغاث احلام
قال الفراء ويجوز اضغاث قال النحاس النصب بعيد لان المعنى لم تر فيه شيئا باول انما هي اضغاث
اي اخلاط وواحد الاضغاث ضغث يقال لكل مختلط من بقل وحشيش وغيرهما ضغث قال الشاعر
كضغث حلم غر منه حالمه وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين قال الزجاج المعنى بتاويل الاحلام المختلطة
نفوا عن انفسهم علم ما لا تاويل له لا انهم نفوا عن انفسهم علم التاويل وقيل نفوا عن انفسهم علم التعبير
والاضغاث على هذا الجماعات من الرؤيا التي منها صحيحة ومنها باطلة ولهذا قال الساقي انا انبئكم
بتاويله فعلم ان القوم عجزوا عن التاويل لا انهم ادعوا الا تاويل لها وقيل انهم لم يقصدوا تفسيرا انما
ارادوا محوها من صدر الملك حتى لا يشتغل باله وعلى هذا ايضا فعندهم علم والاحلام جمع حلم والحلم
بالضم ما يراه النايم تقول منه حلم بالفتح واحتلم وتقول حلمت بكذا واحتلمته وحلمته قال
فحلمتها وابو رفيدة دونها لا يبعدن خيالها المحلوم واصله الاناة ومنه الحلم ضد الطيش
فقيل لما يرى في النوم حلم لان النوم حالة اناة وسكون ودعة الثانية في الاية دليل على بطلان
قول من يقول على ان الرؤيا على اول ما يعبر لان القوم قالوا اضغاث احلام ولم تقع كذلك فان
يوسف فسرها على سنين الجدب والخصب وفيها دليل على فساد ان الرؤيا على رجل طائر فاذا عبرت
وقعت قوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف
ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر
يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دابا فما حصدتم
فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم
لهن الا قليلا مما تحصنون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون
وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسئله ما بال النسوة اللاتي
قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن
حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امراة العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه
وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين
وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وقال الملك
ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على
خزائن الارض اني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب
برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال
ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوف الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به
فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون وقال لفتيانه اجعلوا
بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون قوله وقال الذي
نجا منهما يعني ساقي الملك وادكر بعد امة اي بعد حين عن ابن عباس وغيره ومنه الى امة
معدودة واصله الجملة من الحين وقال ابن درستويه الامة لا تكون لا تكون الحين الا على حذف

مضاف واقامة المضاف اليه مقامه كانه قال والله اعلم وادكر بعد حين امة او بعد زمن امة وما اشبه
ذلك والامة الجماعة الكثيرة من الناس قال الاخفش هو في اللفظ واحد وفي المعنى جمع وكل جنس من
الحيوان امة وفي الحديث لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها قوله عز وجل وادكر اي تذكر
حاجة يوسف وهو قوله اذكرني عند ربك وقرا ابن عباس فيما روي عثمان عن همام عن قتادة عن
عكرمة عنه وادكر بعد امه النحاس والمعروف من قراءة ابن عباس وعكرمة والضحاك وادكر
بعد امه بفتح الهمزة وتخفيف الميم اي بعد نسيان قال الشاعر أمِهتُ وكنت لا انسى حديثا كذاك
الدهر يودي بالعقول وعن عذرة بن سبل الضبعي بعد امه بفتح الالف واسكان الميم وهاء خالصة وهو
مثل الامه وهما لغتان ومعناهما النسيان ويقال أمِه يأمَهُ أمهًا اذا نسي فعلى هذا وادكر بعد امه
ذكره النحاس ورجل امه وامه ذاهب العقل قال الجوهري واما ما في حديث الزهري امه بمعنى اقر
واعترف فهي لغة غير مشهورة وقرا الاشهب العقيلي بعد إمة اي بعد نعمة اي بعد ان انعم الله عليه
بالنجاة ثم قيل نسي الفتى يوسف لقضاء الله في بقائه في السجن مدة وقيل ما نسي ولكنه خاف ان
يذكر الملك الذنب الذي بسببه حبس هو والخباز فقوله وادكر اي ذكر واخبر قال النحاس واصل
ادكر اذتكر والدال قريبة المخرج من التاء ولم يجز ادغامها فيها لان الدال مجهورة والتاء مهموسة
فلو ادغمها ذهب الجهر فابدلوا من التاء حرفا مجهورا وهو الدال وكان اولى من الطاء لان الطاء
مطبقة فصار واذدكر فادغموا الذال في الدال لرخاوة الدال ولينها ثم قال انا انبئكم بتاويله
اي انا اخبركم وقرا الحسن انا اتيكم وقال كيف ينبئهم العلج قال النحاس معنى انبئكم صحيح حسن اي انا
اخبركم اذا سالت فارسلون خاطب الملك ولكن بلفظ التعظيم او خاطب الملك واهل مجلسه
يوسف نداء مفرد وكذا الصديق اي الكثير الصدق افتنا اي فارسلوه فجاء الى يوسف فقال ايها
الصديق وساله عن رؤيا الملك لعلي ارجع الى الناس اي الى الملك واصحابه لعلهم يعلمون
التعبير او لعلهم يعلمون مكانك من العلم والفضل فتخرج ويحتمل ان يريد الناس الملك وحده تعظيما
له قوله تعالى قال تزرعون سبع سنين فيه مسئلتان الاولى قوله قال تزرعون لما اعلمه
بالرؤيا جعل يفسرها له فقال السبع من البقرات السمان والسنبلات الخضر سبع سنين مخصبات
واما البقر العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين جدبات فذلك قوله تزرعون سبع
سنين دابا اي متوالية متتابعة وهو مصدر على غير المصدر لان معنى تزرعون تدابون كعادتكم
في الزراعة سبع سنين وقيل هو حال اي دائبين وقيل صفة لسبع سنين اي دائبة وحكى ابو حاتم
عن يعقوب دَأَبا بتحريك الهمزة وكذا روي حفص عن عاصم وهما لغتان وفيه قولان قول ابي حاتم
انه من دئب قال النحاس ولا يعرف اهل اللغة الا داب والقول الاخر انه حرك لان فيه حرفا من
حروف الحلق قاله الفراء قال وكذلك كل حرف فتح اوله وسكن ثانيه فتثقيله جايز اذا كان
ثانيه همزة او هاء او عينا او غينا او حاء او خاء واصله العادة قال كدابك من ام الحويرث
قبلها وقد مضى في ال عمران القول فيه فما حصدتم فذروه في سنبله قيل لئلا يسوس وليكون ابقى
وهذا الامر في ديار مصر الا قليلا مما تاكلون اي استخرجوا ما تحتاجون اليه بقدر الحاجة وهذا
القول منه امر والاول خبر ويحتمل ان يكون الاول ايضا امرا وان كان الاظهر منه الخبر فيكون
معنى تزرعون ازرعوا الثانية هذه الاية اصل في القول بالمصالح الشرعية الذي هو حفظ
الاديان والنفوس والعقول والانساب والاموال فكلما تحصل شيء من هذه الامور فهو مصلحة
وكل ما يفوت شيء منها فهو مفسدة ودفعه مصلحة ولا خلاف ان مقصود الشرايع ارشاد الناس

الى مصالحهم الدنيوية ليحصل له التمكن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصلين الى السعادة الاخروية
ومراعات ذلك تفضل من الله عز وجل ورحمة رحم الله بها عباده من غير وجوب عليه ولا استحقاق
هذا مذهب كافة المحققين من اهل السنة اجمعين وبسطه في اصول الفقه قوله عز وجل ثم ياتي
من بعد ذلك سبع شداد فيه مسئلتان الاولى قوله سبع شداد يعني السنين المجدبات ياكلن
مجاز والمعنى ياكلن اهلهن ما قدمتم لهن اي ما ادخرتم لهن ونحوه قول القائل نهارك يا مغرور
سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم والنهار لا يسهو والليل لا ينام وانما يسهى في النهار وينام
في الليل وحكى يزيد بن اسلم عن ابيه ان يوسف كان يضع طعام اثنين فيقربه الى رجل فياكل بعضه
حتى اذا كان يوما قربه له فاكله كله فقال يوسف هذا اول يوم من السبع الشداد الا قليلا نصب على
الاستثنا مما تحصنون لتزرعوا الان في استبقاء البذر تحصين الاقوات وقال ابو عبيدة تحرزون
وقال قتادة تحصنون تدخرون والمعنى واحد وهو يدل على جواز احتكار الطعام الى وقت الحاجة
الثانية هذه الاية اصل في رؤيا الكافر وانها تخرج على حسب ما راى لا سيما اذا تعلقت بمؤمن
فكيف اذا كانت اية لنبي ومعجزة لرسول وتصديقا للمصطفى للتبليغ وحجة للواسطة بين الله جل
جلاله وعباده قوله تعالى ثم ياتي من بعد ذلك عام هذا خبر من يوسف عليه السلام عما لم يكن في
رؤيا الملك ولكنه من علم الغيب الذي اتاه الله قال قتادة زاده الله علم سنة لم يسئلوه عنها اظهارا
لفضله واعلاما لمكانه من العلم ومعرفته فيه يغاث الناس من الاغاثة او الغوث غوث الرجل
تغويثا قال واغوثاه والاسم الغوث والغواثة والغواث واستغاثني فلان فاغثته والاسم الغياث
صار الواو ياء لكسرة ما قبلها والغيث المطر وقد غاث الغيث الارض اي اصابها واغاث الله البلاد
يغيثها غيثا وغيثت الارض تغاث غيثا فهي ارض مغيثة ومغيوثة فمعنى يغاث الناس يمطرون
وفيه يعصرون قال ابن عباس يعصرون الاعناب والدهن ذكره البخاري وروى حجاج
عن ابن جريج قال يعصرون العنب خمرا والسمسم دهنا والزيتون زيتا وقيل اراد حلب الالبان
لكثرتها ويدل على ذلك كثرة النبات وقيل يعصرون اي ينجون وهي من العصرة وهي المنجاة
قال ابو عبيدة والعصر بالتحريك والعصرة الملجا والمنجاة وكذلك العصرة قال ابو زبيد صاديا
يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود والمنجود الفزع واعتصرت بفلان وتعصرت
اي التجات اليه وقال ابو الغوث يعصرون يستغلون وهو من عصر العنب اي اعتصرت ماله
اي استخرجته من يده وقرا عيسى يعصرون بفتح الياء والصاد ومعناه تمطرون من قوله وانزلنا
من المعصرات ماء ثجاجا وكذلك معنى يعصرون بضم التاء وفتح الصاد من قراه كذلك قوله
تعالى وقال الملك ائتوني به اي فذهب الرسول فاخبر الملك فقال ائتوني به فلما جاءه
الرسول اي فامره بالخروج قال ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اي حال النسوة اللاتي
قطعن ايديهن فابى ان يخرج الا حتى تصح براءته للملك مما قذف به وانه حبس بلا جرم روى
الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم جاءني الرسول
اجبت ثم قرا فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن
ايديهن قال ورحمة الله على لوط لقد كان ياوي الى ركن شديد فما بعث الله بعده نبيا الا
في ثروة من قومه وروى البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله
لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لاجبت الداعي ونحن احق

بالشك من ابراهيم اذ قال له اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يرحم الله اخي يوسف لقد كان صابرا حليما ولو لبثت في السجن ما لبثه اجبت الداعي ولم
التمس العذر وروي هذا الحديث من طريق عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك في الديوان في
كتاب تفسير من صحيح البخاري وليس لابن القاسم في الديوان غيره وفي رواية الطبري يرحم الله يوسف
لو كنت انا المحبوس ثم ارسل الي لخرجت سريعا ان كان لحليما ذا اناة وقال صلى الله عليه وسلم عجبت من
يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات لو كنت مكانه لما اخبرتهم حتى اشترط
ان يخرجوني لقد عجبت منه حين اتاه الرسول لو كنت مكانه لبادرتهم الباب قال ابن عطية كان
هذا الفعل من يوسف عليه السلام اناة وصبرا وطلبا لبراءة الساحة وذلك انه خشي ان يخرج
وينال من الملك مرتبة ويسكت عن امر دينه صفحا فيراه الناس بتلك العين يقولون هذا الذي
راود امراة فاراد يوسف عليه السلام ان يبين براءته ويحقق منزلته من العفة والخير وحينئذ يخرج
للاحظا والمنزلة فلهذا قال للرسول ارجع الى ربك وقل له ما بال النسوة ومقصد يوسف عليه
السلام انما كان ويقول له ستقصى عن ذنبي وتنظر فيه هل سجنت بحق او بظلم ونكب عن
امراة العزيز حسن عشرة ورعاية لذمام الملك العزيز له فان قيل كيف مدح النبي صلى الله عليه وسلم
بالصبر والاناة وترك المبادرة الى الخروج ثم هو يذهب بنفسه عن حالة قد مدح بها غيره فالوجه
في ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم انما اخذ لنفسه وجها اخر من الراي له جهة ايضا من الجودة
يقول لو كنت انا لبادرت بالخروج ثم حاولت بيان عذري بعد ذلك وذلك ان هذه القصص
والنوازل هي معرضة ليقتدى الناس بها الى يوم القيامة فاراد النبي صلى الله عليه وسلم حمل
الناس على الاحزم من الامور وذلك ان ترك الحزم في مثل هذه النازلة التارك فرصة الخروج
من مثل ذلك السجن وبالفتح له البقاء في سجنه وانصرفت نفس مخرجه عنه وان كان يوسف
عليه السلام امن من ذلك بعلمه من الله فغيره من الناس لا يامن من ذلك فالحالة التي ذهب النبي
صلى الله عليه وسلم بنفسه اليها حالة حزم وما فعله يوسف عليه السلام صبر عظيم وجلد قوله تعالى
فاسئله ما بال النسوة ذكر النساء جملة لتدخل فيها امراة العزيز مدخل العموم بالتلويح حتى
لا يقع عليها تصريح وذلك حسن عشرة وادب وفي الكلام حذف اي فسئله ان يتعرف ما بال
النسوة قال ابن عباس فارسل الملك الى النساء والى امراة العزيز وكان قد مات العزيز فدعاهن
فقال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه وذلك ان كل واحدة منهن كلمت يوسف في حق
نفسها على ما تقدم كل واحدة قد ظلمت امراة العزيز فكان ذلك مراودة منهن قلن حاش لله
اي معاذ الله ما علمنا عليه من سوء اي زنا قالت امراة العزيز الان حصحص الحق لما رات اقرارهن
ببراءة يوسف وخافت ان يشهدن عليها ان انكرت اقرت هي ايضا كل ذلك لطف من الله تعالى
بيوسف وحصحص الحق اي تبين وظهر واصله حصص فقيل حصحص كما قيل كبكبوا في كبوا وكفكف
في كفف قاله الزجاج وغيره واصل الحص استيصال الشي يقال حص شعره اذا استاصله جزا
قال ابو قيس بن الاسلت قد حصت البيضة راسي فما اطعم نوما غير تهجاع وسنة حصاء اي
جرداء لا خير فيها قال جرير ياوي اليكم بلا من ولا جحد من ساقه السنة الحصاء والذيب كانه
اراد ان يقول والضبع وهي السنة المجدبة فوضع الذيب موضعه لاجل القافية فمعنى حصحص الحق
اي انقطع عن الباطل بظهوره وثباته قال الا من مبلغ عني خداشا فانه كذوب اذا ما حصحص
الحق ظالم وقيل هو مشتق من الحصة فالمعنى بانت حصة الحق من حصة الباطل وقال مجاهد وقتادة

اصله ماخوذ من قولهم حص شعره اذا استاصل قطعه ومنه الحصة من الارض اذا قطعت منها والحصص
بالكسر التراب والحجارة ذكره الجوهري انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وهذا القول منها
وان لم يكن سئل عنه اظهار التوبتها وتحقيقها لصدق يوسف وكرامته لان اقرار المقر على نفسه
اقوى من الشهادة عليه فجمع الله تعالى ليوسف في اظهار صدقه الشهادة والاقرار حتى لا يخامر
نفسا ظن ولا يخالطها شك وشددت النون في خطبكن وراودتن لانها بمنزلة الميم والواو في المذكر
قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اختلفوا فيمن قاله فقيل هو من قول امراة العزيز وهو
متصل بقولها الان حصحص الحق اي اقررت بالصدق ليعلم اني لم اخنه بالكذب عليه ولم اذكره
بسوء وهو غايب بل صدقت وحدت عن الخيانة ثم قالت وما ابرئ نفسي بل انا راودته وعلى
هذا كانت مقرة بالصانع ولهذا قالت ان ربي لغفور رحيم وقيل هو من قول يوسف اي
قال يوسف ذلك الامر الذي فعلته من رد الرسول ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب قاله
الحسن وقتادة وغيرهما والمعنى بالغيب وهو غايب وانما قال يوسف ذلك بحضرة الملك وقال
ليعلم على الغايب توقيرا للملك وقيل قاله اذ دعاه اليه الرسول وهو في السجن بعد قال ابن عباس
جاء الرسول الى يوسف عليه السلام بالخبر وجبريل معه يحدثه فقال يوسف ذلك ليعلم اني
لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين اي لم اخن سيدي بالغيب فقال جبريل
عليه السلام يا يوسف ولا حين حللت الازار وجلست مجلس الرجل من المراة فقال يوسف وما
ابرئ نفسي الاية وقال السدي انما قالت له امراة العزيز ولا حين حللت سراويلك يا يوسف
فقال يوسف وما ابرئ نفسي الاية وقيل ذلك ليعلم من قول العزيز اي ذلك ليعلم يوسف
اني لم اخنه بالغيب واني لم اغفل عن مجازاته على امانته ان الله لا يهدي كيد الخائنين
معناه ان الله لا يهدي كيد الخائنين بكيدهم قوله تعالى وما ابرئ نفسي قيل هو من قول المراة
وقال القشيري والظاهر من قوله ذلك ليعلم وقوله وما ابرئ نفسي من قول يوسف قلت
اذا احتمل ان يكون من قول المراة فالقول به اولى حتى نبرئ يوسف من حل الازار والسراويل
واذا قدرناه من قول يوسف فيكون مما خطر بقلبه على ما قدمناه من القول المختار في قوله
وهم بها قال ابو بكر بن الانباري من الناس من يقول ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب الى
قوله ان ربي لغفور رحيم من كلام امراة العزيز لانه متصل بقولها انا راودته عن نفسه وانه
لمن الصادقين وهذا مذهب الذين ينفون الهم عن يوسف عليه السلام فمن بنى على قولهم قال
من قوله قالت امراة العزيز الى قوله ان ربي لغفور رحيم كلام متصل بعضه ببعض ولا يكون
فيه وقف تام على حقيقته ولسنا نختار هذا القول ولا نذهب اليه وقال الحسن لما قال يوسف
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب كره نبي الله ان يكون زكى نفسه فقال وما ابرئ نفسي وتزكية
النفس مذمومة قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقد بيناه في النساء وقيل هو من قول العزيز
اي وما ابرئ نفسي من سوء الظن بيوسف ان النفس لامارة بالسوء اي مشتهية له الا ما رحم
ربي في موضع نصب وما بمعنى من اي الا من رحم ربي فعصمه وما بمعنى من كثير قال الله تعالى
فانكحوا ما طاب لكم وهو استثناء منقطع لانه استثناء المرحوم بالعصمة من النفس الامارة بالسوء
وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما تقولون في صاحب لكم ان انتم اكرمتموه واطعمتموه
وكسوتموه افضى بكم الى شر غاية وان اهنتموه واعريتموه واجعتموه افضى بكم الى خير غاية قالوا
يا رسول الله هذا شر صاحب في الارض قال فوالذي نفسي بيده انما النفوسكم التي بين جنوبكم

قوله تعالى وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي لما ثبت للملك براءته مما نسب اليه وتحقق في
القصة امانته وفهم ايضا صبره وجلده عظمت منزلته عنده وتيقن حسن خلاله قال ائتوني به
استخلصه لنفسي فانظر الى قول الملك اولا حين تحقق علمه ائتوني به فقط فلما فعل يوسف ما فعل
قال ثانيا ائتوني به استخلصه لنفسي روي عن وهب بن منبه قال لما دعي يوسف وقف بالباب
فقال حسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره ثم دخل فلما نظر اليه الملك نزل
عن سريره فخر له ساجدا ثم اقعده الملك على سريره فقال انك اليوم لدينا مكين امين قال يوسف
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ للخزائن عليم بوجوه تصرفاتها وقيل حافظ للحساب عليم بالالسن
وفي الخبر يرحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن اخر ذلك
سنة وقيل انما تاخر تمليكه الى سنة لانه لم يقل ان شاء الله وقد قيل في هذه القصة ان يوسف لما
دخل الى الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره ثم سلم على الملك
بالعربية فقال ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال
لسان ابائي ابراهيم واسحق ويعقوب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا كلما كلم يوسف بلسان
اجابه يوسف بذلك اللسان فاعجب الملك امره وكان يوسف اذ ذاك ابن ثلاثين سنة ثم اجلسه
على سريره وقال احب ان اسمع منك رؤياي قال يوسف نعم ايها الملك رايت سبع بقرات سمان
شهبا غرا حسانا كشف عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب اخلافها لبنا فبينا انت تنظر
اليهن وتتعجب من حسنهن اذ نشف النيل فصار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حماته ووحله سبع
بقرات عجاف شعث غبر مقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ليس لهن انياب ولا
اضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسنهن افتراس
السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومشمشن مخهن فبينا انت تنظر
وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر منهن سمن ولا زيادة بعد اكلهن اذا بسبع سنابل
خضر طريات ناعمات ممتليات حبا وماء والى جانبهن سبع يابسات ليس فيهن ماء ولا خضرة
في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينا انت تقول في نفسك اي شيء هذا هؤلاء خضر مثمرات
وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الماء اذ هبت ريح فذرت الاوراق من اليابسات
السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن فصرن سودا مغبرات فانتبهت مذعورا
ايها الملك قال الملك والله ما شان هذه الرؤيا وان كانت عجبا باعجب مما سمعت منك فما
ترى في رؤياي ايها الصديق فقال يوسف ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين
المخصبة فانك لو زرعت على حجر او مدر لنبت واظهر الله فيه النماء والبركة ثم ترفع الزرع في قصبه
وسنبله وتبني له المخازن العظام فيكون القصب والسنبل علفا للدواب وحبه للناس وتامر
الناس فيرفعون من طعامهم الى اهرائك الخمس فيكفيك من الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن
حولها وياتيك الخلق من النواحي يمتارون منك ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد
قبلك فقال الملك ومن لي بتدبير هذه الامور ولو جمعت اهل مصر جميعا ما اطاقوا ولم يكونوا
فيه امناء فقال يوسف عند ذلك اجعلني على خزائن الارض اي على خزائن ارضك وهي جمع
خزانة ودخلت الالف واللام عوضا من الاضافة كقول النابغة   لهم شيمة لم يعطها الله
غيرهم   من الجود والاحلام غير كواذب قوله تعالى استخلصه لنفسي جزم لانه جواب الامر وهذا
يدل على ان قوله ذلك ليعلم جرى في السجن ويحتمل انه جرى عند الملك ثم قال في مجلس اخر

ايتوني به تاكيدا استخلصه لنفسي اي اجعله خالصا لنفسي افوض اليه امر مملكتي فذهبوا فجاوا به
على هذا فلما كلمه اي كلم الملك يوسف سأله عن الرؤيا فاجاب يوسف فقال الملك انك اليوم
لدينا مكين امين اي متمكن نافذ القول امين لا يخاف غدرا قوله تعالى قال اجعلني على خزائن
الارض اني حفيظ عليم فيه اربع مسائل الاولى قوله اجعلني على خزائن الارض اي على حفظها فحذف
المضاف اي حفيظ لما وليت عليم بامره وفي التفسير اني حاسب كاتب وانه اول من كتب في القراطيس
وقيل حفيظ لتقدير الاقوات عليم بسني المجاعات قال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله
من ساعته ولكن اخر ذلك عنه سنة قال ابن عباس لما انصرفت عنه السنة من يوم سأل
الامارة دعاه الملك فتوجه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت
وضرب عليه حلة من استبرق وكان طول السرير ثلاثين ذراعا وعرضه عشرة اذرع عليه ثلثون
فراشا مرصعة ثم امره ان يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في
صفا لون وجهه فجلس على السرير ودانت له الملوك ودخل الملك بيته مع نسائه وفوض اليه
امر مصر وعزل قطفير تلك الليالي فزوج الملك يوسف راعيل امراة الملك فلما دخل عليها
قال اليس هذا خير مما كنت تريدين فقالت ايها الملك لا تلمني فاني كنت امراة حسنا ناعمة
كما ترى وكان صاحبي لا ياتي النساء وكنت كما جعلك الله من الحسن فغلبتني نفسي واصابها يوسف
عذرا فولدت له رجلين افرايم بن يوسف ومنشا ابن يوسف وقال وهب بن منبه انما كان
تزويجه زليخا امراة العزيز بين رحلتي الاخوة وذلك ان زليخا مات زوجها ويوسف في السجن
وذهب مالها وعمي بصرها بكاء على يوسف فصارت تكفف الناس فمنهم من يرحمها ومنهم من
لا يرحمها وكان يوسف يركب في كل اسبوع في موكب زهاء مائة الف من عظماء قومه فقيل لها لو
تعرضت له لعله كان ينفعك بشيء ثم قيل لها لا تفعلي فربما ذكر بعض ما كان منك من
المراودة والسجن فيسيء اليك فقالت انا اعلم بخلق حبيبي منكم ثم تركته حتى اذا ركب في موكبه
قامت فنادت باعلى صوتها سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم وجعل العبيد ملوكا
بطاعتهم فقال يوسف ما هذه فاتوا بها فقالت انا التي كنت اقدمك على صدري وقومي ارجل
جمتك بيدي وتربيت في بيتي واكرمت مثواك لكن فرط ما فرط من جهلي وعتوي فذقت
وبال امري فذهب مالي وتضعضع ركني وطال ذلي وعمي بصري وبعد ما كنت مغبوطا اهل
مصر صرت مرحومتهم اتكفف الناس فمنهم من يرحمني ومنهم من لا يرحمني وهذا جزاء المفسدين
فبكى يوسف بكاء شديدا ثم قال لها هل بقيت تجدين مما كان في نفسك من حبك لي شيئا
فقالت والله لنظرة وجهك احب الي من الدنيا بحذافيرها لكن ناولني صدر سوطك فناولها
فوضعته على صدرها فوجد للسوط في يده اضطرابا وارتعاشا من خفقان قلبها فبكى ثم مضى
الى منزله فارسل اليها رسولا ان كنت ايما تزوجناك وان كنت ذا بعل اغنيناك فقالت للرسول
اعوذ بالله ان يستهزئ بي الملك لم يردني ايام شبابي وغناي وعزي ويريدني اليوم وانا
عجوز عمياء فقيرة فاعلمه الرسول مقالها فلما ركب في الاسبوع الثاني تعرضت له فقال لها الم
يبلغك الرسول فقالت قد اخبرتك ان نظرة واحدة الى وجهك هي احب الي من الدنيا وما
عليها فامر بها فاصلح من شانها وهيئت ثم زفت اليه فقام يوسف يصلي ويدعو الله وقامت
وراءه فسال الله تعالى ان يعيد اليها جمالها وشبابها وبصرها فرد الله عليها شبابها وجمالها

وبصرها حتى عادت احسن ما كانت يوم راودته اكراما ليوسف عليه السلام لما عف عن محارم الله فاصابها فاذا
هي عذراء فقالت يا نبي الله ان زوجي كان عنينا لا ياتي النساء وكنت من الحسن والجمال ما لا يوصف قال
فعاشا في خفض عيش في كل يوم يجدد الله لهما خيرا وولدت له ولدين افرايم ومنشا وفيما روي
ان الله تعالى القى في قلب يوسف من محبتها اضعاف ما كان في قلبها فقال لها ما شانك لا تحبينني
كما كنت في اول مرة فقالت لما ذقت محبة الله تعالى شغلني ذلك عن كل شيء الثانية قال بعض
اهل العلم في هذه الاية ما يبيح للرجل الفاضل ان يعمل للرجل الفاجر والسلطان الكافر بشرط ان
يعلم انه يفوض اليه في فعل لا يعارض فيه فيصلح منه ما شاء واما ان كان عمله فان كان عمله
بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره فلا يجوز ذلك وقال قوم ان هذا كان ليوسف خاصة وهذا اليوم
غير جائز والاول اولى اذا كان على الشرط الذي ذكرنا والله اعلم قال الماوردي فان كان المولي ظالما
فقد اختلف الناس في جواز الولاية من قبله على قولين احدهما جوازه اذا عمل بالحق فيما تقلده لان
يوسف ولي من قبل فرعون ولان الاعتبار في حقه بفعله لا يفعل غيره الثاني انه لا يجوز ذلك
لما فيه من تولي الظالمين بالمعونة لهم وتزكيتهم بتنفيذ اعمالهم فاجاب من ذهب الى هذا المذهب
عن ولاية يوسف من قبل فرعون بجوابين احدهما ان فرعون يوسف كان صالحا وانما الطاغي فرعون
موسى الثاني انه نظر في املاكه دون اعماله فزالت عنه التبعة فيه قال الماوردي والاصح من اطلاق
هذين القولين ان يفصل ما يتولاه من جهة الظالم على ثلاثة اقسام احدها ما يجوز لاهله فعله من غير
اجتهاد في تنفيذه كالصلوات والزكوة فيجوز توليه من جهة الظالم لان النص على مستحقه قد اغنى
عن الاجتهاد فيه وجواز تفرده به اغنى عن التقليد والقسم الثاني ما لا يجوز ان ينفرد به ويلزم
الاجتهاد في مصرفه كاموال الفيء فلا يجوز توليه من جهة الظالم لانه يتصرف بغير حق ويجتهد فيما لا
يستحق والقسم الثالث ما يجوز ان يتولاه اهله وللاجتهاد فيه مدخل كالقضايا والاحكام فعقد
التقليد محلول فان كان النظر تنفيذا للحكم بين متراضيين وتوسطا بين مجبورين جاز وان
كان الزام اجبار لم يجز الثالثة ودلت الاية ايضا على جواز ان يخطب الانسان عملا يكون له اهلا
فان قيل فقد روى مسلم عن عبد الرحمن لا تسال الامارة فانك ان اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها
وان اعطيتها عن غير مسئلة اعنت عليها وعن ابي بردة قال قال ابو موسى اقبلت الى النبي صلى الله
عليه وسلم ومعي رجلان من الاشعريين احدهما عن يميني والاخر عن شمالي فكلاهما سال العمل والنبي
صلى الله عليه وسلم يستاك فقال ما تقول يا ابا موسى او يا عبد الله بن قيس قال قلت والذي بعثك
بالحق ما اطلعاني على ما في نفسهما وما شعرت انهما يطلبان العمل قال وكاني انظر الى سواكه تحت شفته
وقد قلصت فقال لن او لا نستعمل على عملنا من اراده وذكر الحديث خرجه مسلم ايضا وغيره فالجواب
ان يوسف عليه السلام انما طلب الولاية لانه علم انه لا يقوم احد مقامه في العدل والاصلاح وتوصيل
الفقراء الى حقوقهم فراى ان ذلك فرضا متعينا عليه فانه لم يكن هناك غيره وهذا الحكم اليوم لو
علم الانسان من نفسه ان يقوم بالحق في القضاء والحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه
تعين ذلك عليه ووجب ان يتولاها ويسال ذلك ويخبر بصفاته التي يستحقها به من العلم والكفاية
وغير ذلك كما قال يوسف عليه السلام لعبد الرحمن لا تسال الامارة وايضا فان سؤالها والحرص
عليها مع العلم بكثرة افاتها وصعوبة التخلص منها دليل على انه يطلبها لنفسه ولاغراضه ومن
كان هكذا يوشك ان تغلب عليه نفسه فيهلك وهذا معنى قوله عليه السلام وكل اليها ومن
اباها لعلمه بافاتها وللخوف من التقصير في حقوقها فر منها ثم ان ابتلي بها فيرجى له التخلص منها

وهذا معنى قوله امين عليها الثاني انه لم يقل اني حسيب كريم وان كان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
الكريم ابن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ولا قال اني جميل مليح
انما قال اني حفيظ عليم فسالها بالحفظ والعلم لا بالنسب والجمال الثالث انما قال ذلك عند من لا يعرفه
فاراد تعريف نفسه وصار ذلك مستثنى من قوله تعالى فلا تزكوا انفسكم الرابع انه راى ذلك فرضا
متعينا عليه لانه لم يكن هنالك غيره وهو الاظهر والله اعلم الرابعة ودلت الاية ايضا على انه
يجوز للانسان ان يصف نفسه بما فيه من علم وفضل قال الماوردي وليس هذا على الاطلاق في عموم
الصفات ولكنه مخصوص فيما اقترن بوصلة او تعلق بظاهر من مكسب وممنوع منه فيما سواه لما فيه من
تزكيه ومزاياه ولو ميزه الفاضل عنه لكان اليق بفضله فان يوسف دعته الضرورة اليه لما سبق
من حاله ولما يرجو من الظفر باهله قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوء منها حيث يشاء
اي ومثل ذلك الانعام الذي انعمنا عليه في تقريبه الى قلب الملك وانجايه من السجن مكنا له في الارض
مكنا اي قدرنا على ما نريد وقال الكيا الطبري قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض دليل على
اجازة الحيلة في التوصل الى المباح وما فيه الغبطة والصلاح واستخراج الحقوق ومثله قوله تعالى
وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وحديث ابي سعيد الخدري في عامل خيبر والذي اداه من
التمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قاله   وهذا مردود على ما ياتي يقال مكناه ومكنا
له قال الله تعالى مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم قال الطبري استخلف الملك الاكبر الوليد بن الريان
يوسف على ملك بن مصر وعزله قال مجاهد واسلم على يديه قال ابن عباس ملكه بعد سنة ونصف و
روي مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان يوسف قال اني حفيظ عليم ان شاء الله لملك من وقته
ذلك ثم مات الطفير فزوجه الوليد بزوجة الطفير راعيل فدخل بها يوسف فوجدها عذرا وولدت
له ولدين افرايم ومنشا ابن يوسف ومن زعم انها زليخا قال لم يتزوجها يوسف وانها لما راته
في موكب بكت ثم قالت الحمد لله الذي جعل الملوك عبيدا بالمعصية والحمد لله الذي جعل العبيد
ملوكا وضمها اليه وكانت من عيا له حتى ماتت ولم يتزوجها ذكره الماوردي وهو خلاف ما
تقدم عن وهب ذكره الثعلبي والله اعلم ولما فوض الملك امر مصر الى يوسف تلطف بالناس
وجعل يدعوهم الى الاسلام حتى امنوا به واقام فيهم العدل فاحبه الرجال والنساء قال وهب
والسدي وابن عباس وغيرهم ثم دخلت السنون المخصبة فامر يوسف باصلاح المزارع وامرهم ان
يتوسعوا في الزراعة فلما ادركت الغلة امر بها فجمعت ثم بنا لها الاهرام فجمعت فيها في تلك
السنة غلة ضاقت عنها المخازن لكثرتها ثم جمع غلة كل سنة كذلك حتى انقضت السبع
المخصبة وجاءت السنون المجدبة نزل جبريل وقال يا اهل مصر جوعوا فان الله سلط عليكم
الجوع سبع سنين قال بعض اهل الحكمة للجوع والقحط علامتان احدهما ان النفس تحب الطعام
اكثر من العادة ويسرع اليها الجوع خلاف ما كانت عليه قبل ذلك وتاخذ من الطعام فوق
الكفاية الثانية ان يفقد الطعام فلا يوجد راسا ويعز الى الغاية فاجتمعت هذه العلامتان
في عهد يوسف فانتبه الرجال والنساء والصبيان ينادون الجوع الجوع وياكلون فلا يشبعون
وانتبه الملك ينادي الجوع قال فدعا له يوسف فابراه الله من ذلك ثم اصبح فنادى يوسف في
ارض مصر كلها معاشر الناس لا يزرع احد زرعا فيضيع البذر ولا يطلع شيء وجاءت تلك السنون
بهول عظيم لا يوصف قال ابن عباس لما كان ابتدا القحط بينا الملك في جوف الليل اصابه الجوع في
نصف الليل فهتف الملك يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا اوان القحط فلما دخلت اول

سنة من سني القحط هلك فيها كل شيء اعدوه في السنين المخصبة فجعل اهل مصر يبتاعون الطعام من
يوسف فباعهم اول سنة بالنقود حتى لم يبق بمصر دينار الا قبضه وباعهم في السنة الثانية بالحلي
والجواهر حتى لم يبق في ايدي الناس منها شيء وباعهم في الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها اجمع
وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى احتوى على الكل وباعهم في السنة الخامسة بالعقار
والضياع حتى ملكها كلها وباعهم في السنة السادسة باولادهم ونسائهم فاسترقهم جميعا وباعهم في السنة
السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد الا صار عبدا له فقال الناس والله ما راينا ملكا اجل
ولا اعظم من هذا فقال يوسف لملك مصر كيف رايت صنع ربي فيما خولني والان كل هذا لك فما ترى
فيه فقال فوضت اليك الامر فافعل ما شئت فانما نحن لك تبع وما انا بالذي يستنكف عن عبادتك
وطاعتك ولا انا الا من بعض مماليكك وخول من خولك فقال يوسف اني اعتقتهم من الجوع لاستعبدهم
ولا اجيرهم من البلا لاكون عليهم بلاء واني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت
عليهم اموالهم واملاكهم ورددت عليك ملكك بشرط ان تستن بسنتي ويروى ان يوسف عليه
السلام كان لا يشبع من الطعام في تلك السنين فقيل له اتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اني
اخاف ان شبعت ان انسى الجايع وامر يوسف طباخ الملك ان يجعل غداه نصف النهار حتى يذوق
الملك طعم الجوع فلا ينسى الجايعين فمن ثم جعل الملوك غداه نصف النهار قوله تعالى نصيب برحمتنا
من نشاء اي باحساننا والرحمة النعمة والاحسان ولا نضيع اجر المحسنين اي ثوابهم وقال ابن
عباس ووهب يعني الصابرين لصبره في الجب وفي الرق وفي السجن وصبره عن محارم الله عما دعته
اليه وقال الماوردي واختلف فيما اوتيه يوسف من هذه الحال على قولين احدهما انه ثواب
الله تعالى على ما ابتلاه والثاني انه انعم عليه تفضلا منه وثوابه باق على حاله في الاخرة
قوله تعالى ولاجر الاخرة خير اي ما نعطيه في الاخرة خير واكبر مما اعطيناه لان اجر الاخرة دايم
واجر الدنيا ينقطع وظاهر الاية العموم في كل مؤمن متقي وانشدوا ٭ اما في رسول الله يوسف اسوة ٭
لمثلك محبوسا على الاثم والافك ٭ اقام جميل الصبر في السجن برهة ٭ فال به الصبر الجميل الى
الملك ٭ وكتب بعضهم الى صديق له وراه ٭ مضيق الخوف متسع الامن ٭ واول مفروح به اخر
الحزن ٭ فلا تياسن فالله ملك يوسفا ٭ خزاينه بعد الخلاص من السجن ٭ وانشد بعضهم ٭ اذا
الحادثات بلغن النهى ٭ وكادت تذوب لهن المهج ٭ وحل البلاء وقل العزاء ٭ فعند التناهي يكون
الفرج ٭ والشعر في هذا المعنى كثير قوله تعالى وجاء اخوة يوسف اي جاءوا الى مصر لما اصابهم القحط
ليمتاروا هذا من اختصار القران المعجز قال ابن عباس وغيره لما اصاب الناس القحط والشدة و
نزل ذلك بارض كنعان بعث يعقوب عليه السلام ولده للميرة وذاع امر يوسف عليه السلام
في الافاق للينه وقربه ورحمته ورافته وعدله وسيرته وكان يوسف عليه السلام حين
نزلت الشدة بالناس يجلس للناس حين البيع بنفسه فيعطيهم من الطعام على عدد رؤسهم لكل راس
وسقا فجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم يوسف وهم له منكرون لانهم خلفوه صبيا ولم
يتوهموا انه بعد العبودية بلغ الى تلك الحال من المملكة مع طول المدة وهي اربعون سنة
وقيل انكروه لانهم اعتقدوا انه ملك كافر وقيل راوه لابس حرير وفي عنقه طوق ذهب
وعلى راسه تاج وقد تزيا بزي فرعون مصر ويوسف راهم على ما كان عهدهم في الملبس والحلية
ويحتمل انهم راوه وراء ستر فلم يعرفوه وقيل انكروه لامر خارق امتحانا امتحن به يعقوب
قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم يقال جهزت القوم تجهيزا اي تكلفت جهازهم وجهاز العروس ما

يحتاج اليه عندنا لاهنا الى الزوج وجوز بعض الكوفيين الجهاز بكسر الجيم والجهاز فى هذه الاية الطعام
الذى امتاروه من عنده قال السدي وكان مع اخوته احد عشر بعيرا وهم عشرة فقالوا ليوسف ان
لنا اخا تخلف عنا وبعيره معنا فسالهم لم تخلف فقالوا لمحبة ابيه اياه وذكروا انه كان لراخ
اكبر منه فخرج الى البرية فهلك فقال لهم اردت ان ارى اخاكم هذا الذى ذكرتم لاعلم وجه محبة
ابيكم اياه واعلم صدقكم ويروى انهم تركوا عنده شمعون رهينة حتى ياتوا باخيه بنيامين وقال
ابن عباس قال يوسف للترجمان قل لهم لغتكم مخالفة للغتنا وزيكم مخالف لزينا فلعلكم جواسيس
فقالوا والله ما نحن جواسيس بل نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق قال فكم عدتكم قالوا كنا
اثنى عشر فذهب اخ لنا الى البرية فهلك فيها قال فاين الاخر قالوا عند ابينا قال فمن يعلم صدقكم
قالوا لا يعرفنا ههنا احد وقد عرفناك انا بنا فباى شيء تسكن نفسك الينا فقال يوسف
فاتوني باخ لكم من ابيكم ان كنتم صادقين فانى ارضى بذلك الا ترون انى اوف الكيل اى اتمه ولا
ابخسه وازيدكم حمل بعير لاخيكم فان لم تاتوني به توعدهم بان لا يبيعهم الطعام ان لم ياتوا به قوله تعالى
الا ترون انى اوف الكيل يحتمل وجهين احدهما يحتمل انه رخص لهم فى السعر فصار زيادة فى الكيل الثانى
انه كال لهم بكيال وافى وانا خير المنزلين فيه وجهان احدهما يعنى خير المضيفين لانه احسن ضيافتهم
قاله مجاهد الثانى وهو محتمل اى خير من نزلتم عليه من المامونين وهو على التاويل الاول ماخوذ من
النزل وهو الطعام وعلى الثانى من المنزل وهو الدار قوله تعالى فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندى
اى فلا ابيعكم شيئا فيما بعد لانه قد وفاهم كيلهم فى هذه الحال ولا تقربون اى لا انزلكم عندى منزلة
الغريب ولم يرد انهم يبعدوا منه ولا يعودوا اليه لانه على العود حثهم قاله السدى وطلب
منهم رهينة حتى يرجعوا فارتهن شمعون عنده قال الكلبي انما اختار شمعون منهم لانه كان يوم
الجب اجملهم قولا واحسنهم رايا ولا تقربون فى موضع الجزم بالنهى فلذلك حذفت منه النون وحذفت
الياء لانه راس اية ولو كان خبرا لكان تقربون بفتح النون قوله تعالى قالوا سنراود عنه اباه
اى سنطلبه منه ونسأله ان يرسله معنا وانا لفاعلون اى لضامنون المجيء اليه وما احتالوا فى
ذلك مسئلة ان قيل كيف استجاز يوسف ادخال الحزن على ابيه بطلب اخيه قيل لم عن هذا
اربعة اجوبة احدها ما يجوز ان يكون الله عز وجل امره بذلك ابتلاء ليعقوب ليعظم له الثواب
فاتبع امره فيه الثانى يجوز ان يكون اراد بذلك ان ينبه يعقوب على حال يوسف الثالث لتتضاعف
المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه الرابع ليقدم سرور اخيه بالاجتماع معه قبل اخوته لميل كان منه
اليه والاول اظهر والله اعلم قوله تعالى وقال لفتيانه هذه قراءة اهل المدينة وابى عمرو وعاصم
وهو اختيار ابى حاتم والنحاس وغيرهما وقرا ساير الكوفيين لفتيانه وهو اختيار ابى عبيد قال
وهو مصحف عبد الله كذلك قال الثعلبى وهما لغتان جيدتان مثل الصبيان والصبية قال النحاس
لفتيانه مخالف للسواد الاعظم لانه فى السواد لا الف فيه ولا نون ولا يترك السواد المجتمع عليه
لهذا الاسناد المنقطع وايضا فان نانات به اشبه من فتيان لان فتية عند العرب لاقل العدد
والقليل بان يجعلوا البضاعة اشبه وكان هؤلاء الفتية يسوون جهازهم ولهذا امكنهم جعل
بضاعتهم فى رحالهم ويجوز ان يكونوا احرارا وكانوا اعوانا له وبضاعتهم اثمان ما اشتروه من
الطعام وقيل كانت دراهم ودنانير وقال ابن عباس النعال والادم ومتاع المسافر ويسمى رحلا
قال ابن الانبارى يقال للوعاء رحل وللبيت رحل وقال لعلهم يعرفونها يجوز ان لا تسلم فى الطريق
وقيل انما فعل ذلك ليرجعوا اذا وجدوا ذلك لعلمه انهم لا يقبلون طعاما الا بثمن وقيل

ليستعينوا

ليستعينوا بذلك على الرجوع لشرا الطعام وقيل استقبح ان ياخذ من ابيه واخوته ثمن الطعام وقيل ليروا
فضله وليرغبوا فى الرجوع اليه قوله تعالى منع منا الكيل لانه قال لهم فان لم تاتوني به فلا كيل
لكم عندى واخبروه بما كان من امره واكرامه اياهم وان شمعون مرتهن حتى يعلم صدق قولهم فارسل
معنا اخانا اى قالوا عند ذلك فارسل معنا اخانا والاصل نكتال فحذفت الضمة من اللام للجزم و
حذفت الالف لالتقاء الساكنين وقراءة اهل الحرمين وابى عمرو وعاصم نكتل بالنون وقرا ساير
الكوفيين يكتل بالياء والاولى اختيار ابى عبيد ليكونوا كلهم داخلين فيمن يكتال وزعم انه اذا كان
بالياء كان للاخ وحده قال النحاس وهذا لا يلزم لانه لا يخلو الكلام من احد جهتين ان يكون المعنى
فارسل اخانا يكتل معنا فيكون للجميع او يكون تقديره على غير تقديم وتاخير فيكون فى الكلام دليل على
الجميع لقوله فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندى وانا له لحافظون عن ان يناله سوء قوله تعالى
قال هل امنكم عليه اى قد فرطتم فى يوسف فكيف امنكم على اخيه فالله خير حافظا نصب على البيان وهذه
قراءة اهل المدينة وابى عمرو وعاصم وقرا ساير الكوفيين حافظا على الحال وقال الزجاج على البيان
وفى هذا دليل على انه اجابهم الى ارساله معهم ومعنى الاية حفظ الله لهم من حفظكم اياه قال
كعب الاحبار لما قال يعقوب فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزتى وجلالى لاردن عليك ابنيك
كليهما بعدما توكلت على قوله تعالى ولما فتحوا متاعهم الاية ليس فيها معنى يشكل ما نبغى ما استفهام
فى موضع نصب والمعنى اية شيء نطلب وراء هذا اوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن اراد وا بذلك ان
يطيبوا نفس ابيهم وقيل هى نافية اى لا نبغى منك دراهم ولا بضاعة بل يكفينا بضاعتنا هذه التى
ردت الينا وروى عن علقمة ردت الينا بكسر الراء لان الاصل رددت فلما ادغم قلب حركة الدال
على الراء قوله عز وجل ونمير اهلنا اى نجلب لهم الطعام قال الشاعر بعثتك مايرا فمكثت حولا
متى ياتى غياثك من تغيث وقرا السلمى بضم النون اى نعينهم على الميرة ونزداد كيل بعير اى حمل بعير
لبنيامين قوله تعالى فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له
لحافظون قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين
ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت
الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى
تؤتون موثقا من الله لتأتننى به الا ان يحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل
وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغنى عنكم من الله من شيء
ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم
ما كان يغنى عنهم من الله من شيء الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال انى انا اخوك فلا تبتئس بما
كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه
اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع
الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما
كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه
كذلك نجزى الظالمين فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك
كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه فى دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق
كل ذى علم عليم قوله فلما رجعوا الى ابيهم الى قوله ذلك كيل يسير تقدم معناه قبل ذلك قوله تعالى

قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى حتى تؤتون اي تعطوني موثقا من
الله اي عهدا وثيقا يوثق به قال السدي حلفوا بالله يردونه اليه ولا يسلمونه واللام في لتاتنني لام
القسم الا ان يحاط بكم قال مجاهد الا ان تهلكوا او تموتوا قال قتادة الا ان تغلبوا عليه قال الزجاج
وهو في موضع نصب فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل اي حافظ للحلف وقيل حفيظ للعهد
قايم بالتدبير والعدل الثانية هذه الاية اصل في جواز الحمالة بالعين والوثيقة بالنفس وقد
اختلف العلماء في ذلك فقال مالك وجميع اصحابه واكثر العلماء هي جايزة اذا كان المتحمل به مالا وقد
ضعف الشافعي الحمالة في المال بالوجه وله قول كقول مالك وقال عثمان البتي اذا تكفل بنفس في قصاص
او جراح فانه ان لم يجي به لزمه الدية وارش الجراح وكانت له في مال الجاني اذ لا قصاص على الكفيل
فهذه ثلاثة اقوال في الحمالة بالوجه والصواب تفرقة مالك في ذلك وانها تكون في المال لا تكون
في حد ولا تعزير على ما ياتي بيانه قوله تعالى وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب
متفرقة فيه سبع مسائل الاولى لما عزموا على الخروج خشي عليهم العين فامرهم ان لا يدخلوا مصر من
باب واحد وكانت مصر لها اربعة ابواب وانما خاف عليهم العين لكونهم احد عشر رجلا لرجل واحد
وكانوا اهل جمال وكمال وبسطة قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم الثانية واذا كان هذا
معنى الاية فيكون فيها دليل على التحرز من العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وفي تعوذه عليه
السلام اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ما يدل على ذلك روى
مالك عن محمد بن ابي امامة ان سهل بن حنيف انه سمع اباه يقول اغتسل ابو سهل بن حنيف بالخرار
فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر قال وكان سهل رجلا ابيض حسن الجلد قال فقال
له عامر بن ربيعة ما رايت كاليوم ولا جلد عذراء فوعك سهل مكانه واشتد وعكه فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبر ان سهلا وعك وانه غير رايح معك يا رسول الله فاتاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبره سهل بالذي كان من شان عامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علام يقتل احدكم
اخاه الا بركت ان العين حق توضا له فتوضا له عامر فراح سهل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس
به باس في رواية اغتسل له فاغتسل له عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه واطراف رجليه
وداخلة ازاره في قدح ثم صبت عليه فراح سهل مع الناس ليس به باس وركب سعد بن ابي
وقاص يوما فنظرت اليه امراة فقالت ان اميركم هذا ليعلم انه اهضم الكشحين فرجع الى منزله فسقط
فبلغه ما قالت المراة فارسل اليها فغسلت له ففي هذين الحديثين ان العين حق كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهذا قول علماء الامة ومذهب اهل السنة وقد انكرته طوايف من المبتدعة
وهم محجوجون بالسنة واجماع هذه الامة وبما نشاهد ذلك بالوجود فكم من رجل ادخلته العين
القبر وكم من جمل ظهير ادخلته القدر لكن ذلك بمشيئة الله تعالى كما قال وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله قال الاصمعي رايت رجلا عيونا سمع بقرة تحلب فعجبه شخبها فقال ايتهن
هذه فقالوا الفلانية لبقرة اخرى يورون عنها فهلكتا جميعا المورى بها والمورى عنها قال الاصمعي
وسمعته يقول اذا رايت الشي يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني الثالثة واجب على كل
مسلم اعجبه شي ان يبارك فانه اذا دعي بالبركة صرف المحذور لا محالة الا ترى قوله عليه الصلاة والسلام
لعامر الا باركت فدل على ان العين لا تضر ولا تعدو اذا بارك العاين وانها انما تعدو اذا لم يبارك
والتبريك ان يقول تبارك الله احسن الخالقين اللهم بارك فيه الرابعة العاين اذا اصاب
فيه بعينه ولم يبارك يؤمر بالاغتسال ويجبر على ذلك ان اباه لان الامر على الوجوب لا سيما

فانه قد يخاف من العين الهلاك ولا ينبغي لاحد ان يمنع اخاه ما ينتفع به ولا يضره ولا سيما اذا كان بسببه
وكان الجاني عليه الخامسة من عرف بالاصابة بالعين منع من مداخلة الناس دفعا لضرره وقد قال
بعض العلماء يامره الامام بلزوم بيته وان كان فقيرا رزقه ما يقوم به ويكف اذاه عن الناس وقد قيل
انه ينفى وحديث مالك الذي ذكرناه يرد هذه الاقوال فانه عليه الصلاة والسلام لم يامر في
عامر بحبس ولا نفي بل قد يكون الرجل الصالح عاينا وانه لا يقدح فيه ولا يفسق به ومن قال يحبس ويؤمر
بلزوم بيته فذلك احتياط ودفع ضرر والله اعلم السادسة روى مالك عن حميد بن قيس المكي انه قال
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابني جعفر بن ابي طالب فقال لحاضنتهما ما لي اراهما ضارعين فقالت
حاضنتهما يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يسرع اليهما العين ولم يمنعنا ان نسترقي لهما الا انا لا ندري
ما يوافقهما من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استرقوا لهما فانه لو سبق شي القدر سبقته
العين وهذا الحديث منقطع ولكنه محفوظ لاسما بنت عميس الخثعمية عن النبي صلى الله عليه وسلم من
وجوه ثابتة متصلة صحاح وفيه ان الرقا مما يستدفع به البلا وان العين تؤثر في الانسان وتضرعه
اي تضعفه وتنحله وذلك بقضاء الله وقدره ويقال ان العين اسرع الى الصغار منها الى الكبار
والله اعلم السابعة امر صلى الله عليه وسلم في حديث ابي امامة العاين بالاغتسال للمعين وامر هنا
بالاسترقا قال علماؤنا انما يسترقى من العين اذا لم يعرف العاين واما اذا عرف الذي اصابه
بعينه فانه يؤمر بالوضوء على حديث ابي امامة والله اعلم قوله تعالى وما اغني عنكم من الله من شي
اي من شي احذره عليكم اي لا ينفع الحذر مع القدر ان الحكم اي الامر والقضا الا لله عليه توكلت
اي اعتمدت ووثقت وعليه فليتوكل المتوكلون قوله تعالى ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب
شتى ما كان يغني عنهم من الله من شي ان اراد ايقاع مكروه بهم الا حاجة استثنا ليس من الاول
في نفس يعقوب قضاها اي خاطر خطر بقلبه وهو وصيته ان يتفرقوا قال مجاهد خشية العين
وقد تقدم القول فيه وقيل لئلا يرى الملك عددهم وقوتهم فيبطش بهم حسدا او حذرا قال بعض
المتاخرين واختاره النحاس قال ولا معنى للعين ههنا ودلت هذه الاية على ان المسلم يجب عليه
ان يحذر اخاه مما يخاف عليه ويرشده الى ما فيه طريق السلامة من ذلك والنجاة فان الدين
النصيحة والمسلم اخو المسلم قوله تعالى وانه يعني يعقوب لذو علم لما علمناه اي بامر دينه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ما يعلم يعقوب عليه السلام من امر دينه وقيل لذو علم اي عمل فان العلم اول اسباب
العمل فسمي ما هو بسببه قوله تعالى ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال قتادة ضمه اليه وانزله
معه وقيل امر ان ينزل كل اثنين في منزل كل اثنين في منزل فبقي اخوه منفردا فضمه اليه وقيل
اشفق عليه من الوحدة وقال له سرا من اخوتهم اني انا اخوك فلا تبتئس اي لا تحزن بما كانوا يعملون
قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه لما عرف بنيامين انه يوسف قال له
لا تردني اليهم فقال قد علمت اغتمام يعقوب فيزداد غمه فابى بنيامين الخروج فقال يوسف لا
يمكن حبسك الا بعد ان انسبك الى ما لا يجمل بك فقال لا ابالي فدس الصاع في رحله اما بنفسه
من حيث لم يطلع عليه احد وامر بعض خواصه بذلك والتجهيز التسريح وتنجيز الامر ومنه جهز
على الجريح اي قتله ونجز امره والسقاية والصواع شي واحد الا انه له راسان في وسطه مقبض كان
الملك يشرب منه من الراس الواحد ويكال الطعام بالراس الاخر قاله النقاش عن ابن عباس وكل شي
يشرب منه فهو صواع شعر نشرب الخمر بالصواع جهارا واختلف في جنسه فروى شعبة عن
ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال صواع الملك شي من فضة يشبه المكوك من فضة

ومرصع بالجوهر يجعل على الراس وكان للعباس واحد في الجاهلية وسأله نافع بن الازرق ما الصواع
قال الاناء قال الاعشى ؛ له درمك في راسه ومشارب ؛ وشاو طباخ وصاع وديسق ؛ وقال عكرمة
كان من فضة وقال عبد الرحمن بن زيد كان من ذهب وبه كان طعامهم مبالغة في اكرامهم وقيل انما
كان يكال به لعزة الطعام والصاع يذكر ويؤنث فمن انث قال اصوع مثل ادرع ومن ذكره قال اصوع
مثل ابواب وقال مجاهد وابو صالح الصاع الطرجالة بلغة حمير وفيه قراءة صواع قراءة العامة
وصوغ بالغين المعجمة وهي قراءة يحيى ابن يعمر وقال كان اناء يتيق من ذهب وصواع بالعين غير المعجمة
قراءة ابي رجاء وصوع بصاد مضمومة وواو ساكنة قراءة ابي وصياع بياء بين الصاد والالف قراءة
سعيد بن جبير وصاع بالالف بين الصاد والعين هي قراءة ابي هريرة قوله تعالى ثم اذن مؤذن ايتها
العير انكم لسارقون اذن اي نادى منادي واعلم واذن للتكثير فكانه نادى مرارا ايتها العير والعير ما
امتير عليه من الابل والحمير والبغال قال مجاهد كان عيرهم حميرا قال ابو عبيدة العير الابل المرحولة
المركوبة والمعنى يا اصحاب العير كقوله واسئل القرية ويا خيل الله اركبي اي يا اصحاب خيل الله وسياتي
وهنا اعتراضان الاول ان قيل رضا بنيامين بالقعود طوعا وفيه عقوق الاب بزيادة الحزن ووافقه
على ذلك يوسف وكيف نسب يوسف السرقة الى اخوته وهم براء فالجواب عن الاول ان الحزن
كان غلب على يعقوب بحيث لا يؤثر فيه فقد بنيامين الاثر له لما فقده قال يا اسفا على يوسف
ولم يعرج على بنيامين ولعل يوسف انما وافقه على القعود بوحي فلا اعتراض واما نسبة يوسف
السرقة الى اخوته فالجواب ان القوم كانوا قد سرقوه من ابيه والقوه في الجب ثم باعوه فاستحقوا
هذا الاسم بذلك الفعل فصدق اطلاق ذلك عليهم جواب اخر وهو انه اراد ايتها العير
حالكم حال السارق والمعنى ان شيئا لغيركم صار عندكم من غير رضى الملك ولا علمه جواب اخر وهو
ان ذلك كان حيلة باجتماع شمله باخيه وهذا بناء على ان بنيامين لم يعلم بدس الصاع بنفسه ولا
اخبره به وقد قيل ان معنى الكلام الاستفهام اي او ان انكم لسارقون كقوله تعالى وتلك نعمة اي
او تلك نعمة تمنها علي والغرض ان لا يعزى الى يوسف الكذب قوله عز وجل ولمن جاء به حمل
بعير وانا به زعيم فيه سبع مسائل الاولى قوله ولمن جاء به حمل بعير البعير هنا الجمل في قول اكثر
المفسرين وقيل انه الحمار وهي لغة لبعض العرب قاله مجاهد واختاره وقال مجاهد الزعيم
هو المؤذن الذي قال ايتها العير والزعيم والكفيل والحميل والضمين والقبيل سواء والزعيم
الرئيس قال ؛ واني زعيم ان رجعت مملكا ؛ بسير ترى منه الفرانق ازورا ؛ قالت ليلى الاخيلية
ترثي اخاها ؛ ومخرق عنه القميص تخاله ؛ يوم اللقاء من الحياء سقيما ؛ حتى اذا رفع اللواء رايته ؛ يوم
الهياج على الخميس زعيما ؛ الثانية ان قيل كيف ضمن حمل البعير وهو مجهول وضمان المجهول
لا يصح قيل له حمل البعير كان معينا معلوما عندهم كالوسق فصح ضمانه غير انه بذل مال للسارق
ولا يحل للسارق ذلك فلعله كان يصح في شرعهم او كان هذا جعالة وبذل مال لمن يفتش
ويطلب الثالثة قال بعض العلماء في هذه الاية دليلان احدهما جواز الجعل وقد اجيز
للضرورة وانه يجوز فيه من الجهالة ما لا يجوز في غيره فاذا قال الرجل من فعل كذا فله كذا صح وشان
الجعل ان يكون احد الطرفين معلوما والاخر مجهولا للضرورة اليه بخلاف الاجارة فانه
يتقدر فيها العوض والمعوض من الجهتين وهو من العقود الجائزة التي يجوز لاحدهما فسخه
الا ان المجعول له يجوز ان يفسخه قبل الشروع وبعده اذا رضي باسقاط حقه وليس للجاعل ان
يفسخه اذا شرع المجعول له في العمل ولا يشترط في عقد الجعل حضور المتعاقدين كسائر العقود

لقوله ولمن جاء به حمل بعير وبهذا كله قال الشافعي الرابعة متى قال الانسان من جاء بعبدي الابق
فله دينار لزمه ما جعل فيه اذا جاء به فلو جاء به من غير ضمان لزمه اذا جاء به على طلب الاجر وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من جاء بابق فله اربعون درهما ولم يفصل بين من جاء به في عقد
ضمان او غير عقد قال ابن خوازمنداذ ولهذا قال اصحابنا ان من فعل بالانسان ما لا يجب عليه ان
يفعله من مصالحه لزمه ذلك وكان له اجر مثله ان كان ممن يفعل ذلك بالاجر قلت وخالفنا
في هذا كله الشافعي الخامسة الدليل الثاني جواز الكفالة على الرجل لان المؤذن الضامن هو غير
يوسف عليه السلام قال علماؤنا اذا قال الرجل تحملت او تكفلت او ضمنت او انا حميل لك او زعيم او
كفيل او ضامن او قبيل او هو لك عندي او الي او علي او قبلي فذلك كله حمالة لازمة وقد اختلف
الفقهاء فيمن تكفل بالنفس او بالوجه فقد يلزمه ضمان المال ام لا فقال الكوفيون من تكفل بنفس
رجل لم يلزمه الحق الذي على المطلوب ان مات وهو احد قول الشافعي في المشهور عنه وقال مالك
والليث والاوزاعي اذا تكفل بنفسه وعليه مال فانه ان لم يات به غرم المال ويرجع به على المطلوب
فان اشترط ضمان وجهه او نفسه وقال لا اضمن المال فلا شيء عليه من المال والحجة لمن اوجب غرم
المال ان الكفيل قد ضمن علم ان المضمون وجهه لا يطلب بدم وانما يطلب بمال فاذا ضمنه له ولم
يات به فكانه فوته عليه وعزه منه لذلك لزمه المال واحتج الطحاوي والكوفيين فقال اما
ضمان المال بموت المكفول به فلا معنى له لانه انما تكفل بالنفس ولم يتكفل بالمال فمحال ان يلزمه ما لم
يتكفل به والله اعلم السادسة واختلف العلماء اذا تكفل رجل عن رجل بمال هل للطالب ان ياخذ
ما شاء منهما فقال الثوري والكوفيون والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق ياخذ ما شاء حتى يستوفي
حقه وهذا كان قول مالك ثم رجع عنه فقال لا ياخذ الكفيل الا ان يفلس الغريم او يغيب لان
التبدية بالذي عليه الحق اولى الا ان يكون معسرا فيأخذ من الحميل لانه معذور في اخذه في
هذه الحالة وهذا قول حسن والقياس ان للرجل مطالبة اي الرجلين شاء وقال ابن ابي ليلى اذا ضمن
الرجل عن صاحبه ما لا تحول على الكفيل وبرئ صاحب الاصل الا ان يشترط المكفول له عليهما ان
ياخذ ايهما شاء واحتج ببراءة الميت من الدين بضمان ابي قتادة ونحوه قاله ابو ثور السابعة
الزعامة لا تكون الا في الحقوق التي تجوز النيابة فيها مما يتعلق بالذمة من الاموال وكان ثابتا
مستقرا فلا تصح الحمالة بالكتابة لانها ليست بدين ثابت لان العبد ان عجز رق وانفسخت الكتابة
واما كل حق لا يقوم به احد عن احد كالحدود فلا كفالة فيها ويسجن المدعى عليه الحد حتى ينظر
في امره وشذ ابو يوسف ومحمد فاجازا الكفالة في الحدود والقصاص اذا قال المقذوف والمدعي
القصاص بينتي حاضرة كفله ثلاثة ايام واحتج لهم الطحاوي بما رواه حمزة بن عمرو وابن مسعود
وجرير بن عبد الله والاشعث انهم حكموا بالكفالة بمحضر الصحابة قوله تعالى قالوا تالله لقد
علمتم ما جئنا لنفسد في الارض يروى انهم كانوا لا ينزلون على احد ظلما ولا يرعون زرع احد
وانهم جمعوا على افواه ابلهم الاكمة لئلا تعيث في زرع الناس ثم قال وما كنا سارقين يروى
انهم ردوا البضاعة التي كانت في رحالهم اي فمن رد ما وجد فكيف يكون سارقا قوله تعالى
قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين المعنى فما جزاء الفاعل ان بان كذبكم فاجاب اخوة يوسف جزاؤه
من وجد في رحله فهو جزاؤه اي يستعبد ويسترق فجزاؤه مبتدا ومن وجد في رحله خبره
والتقدير جزاؤه استعباد من وجد في رحله فهو كناية عن الاستعباد وفي الجملة معنى
التوكيد كما تقول جزاء من سرق القطع فهذا جزاؤه كذلك نجزي الظالمين اي كذلك في الظالمين

اذا سرقوا ان يسترقوا وكان هذا من دين يعقوب وحكمه وقولهم هذا قول من لم يسترب بنفسه لانهم
التزموا ارقاق من وجد في رحله وكان حكم السارق عند اهل مصر ان يغرم ضعفي ما اخذ قاله الحسن
والسدي وغيرهما وقد تقدم في سورة المائدة ان القطع في السرقة ناسخ لما تقدم من الشرايع او لما كان
في شرع يعقوب عليه السلام من استرقاق السارق والله اعلم قوله تعالى فبدا باوعيتهم قبل وعاء
اخيه الاية انما بدا يوسف برحالهم لنفي التهمة والريبة من قلوبهم ان بدا بوعاء اخيه والوعا يقال
بضم الواو وكسرها لغتان وهو ما يحفظ فيه المتاع ويصونه ثم استخرجها من وعاء اخيه يعني
بنيامين اي استخرج السقاية والوعا عند من يؤنث ولمن جاء به فذكر فلما راى ذلك اخوته
نكسوا رؤسهم وظنوا الظنون كلها واقبلوا عليه وقالوا ويلك يا بنيامين ما راينا كاليوم قط
ولدت امك راحيل اخوين لصين قال لهم اخوه والله ما سرقته ولا علم لي بمن وضعه في متاعي و
يروى انهم قالوا يا بنيامين اسرقت قال لا والله قالوا فمن جعل الصواع في رحلك قال الذي جعل
البضاعة في رحالكم ويقال ان المفتش كان اذا فرغ من رحل رجل استغفر الله عز وجل تايبا من
فعله ذلك وظاهر كلام قتادة وغيره ان المستغفر كان يوسف لانه كان يفتشهم ويعلم اين الصواع
حتى فرغ منهم وانتهى الى رحل بنيامين فقال ما اظن هذا الفتى رضي بهذا ولا اخذ شيئا فقال له
اخوته والله لا تبرح حتى تفتشه فهو اطيب لنفسك ونفوسنا ففتش واخرج السقاية وهذا التفتيش
من يوسف يقتضي ان المؤذن سرقهم برايه فيقال ان جميع ذلك كان بامر من الله تعالى ويقوي ذلك
قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف فيه ثلاث مسائل الاولى
قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف كدنا معناه صنعنا عن ابن عباس العتبي دبرنا ابن الانباري اردنا
قال الشاعر وكادت وكدت وتلك خير ارادة لو عاد من عهد الصبا ما قد مضى وفيه جواز
التوصل الى الاغراض بالحيل اذا لم تخالف شريعة ولا هدمت اصلا خلافا لابي حنيفة في تجويز الحيل
وان خالفت الاصول وحرمت التحليل الثانية اجمع العلماء ان للرجل قبل حلول الحول التصرف
في ماله بالبيع والهبة اذا لم ينو الفرار من الصدقة واجمعوا على انه اذا حال الحول واظل الساعي
انه لا يحل له التحليل ولا النقصان ولا ان يفرق بين مجتمع ولا ان يجمع بين متفرق قال مالك
اذا فوت من ماله شيئا ينوي به الفرار من الزكاة قبل الحول بشهر او نحوه لزمته الزكاة عند
الحول اخذا بقوله عليه الصلاة والسلام خشية الصدقة وقال ابو حنيفة ان نوى بتفويته
الفرار من الزكاة قبل الحول بيوم لا يضره لان الزكاة لا تلزم الا بتمام الحول ولا يتوجه اليه معنى
قوله خشية الصدقة الا حينئذ قال ابن العربي سمعت ابا بكر محمد بن الوليد الفهري وغيره
يقول كان شيخنا قاضي القضاة ابو عبد الله محمد علي الدمغاني صاحب عشرة الاف دينار من
المال فكان اذا جاء راس الحول دعا بنيه فقال لهم كبرت سني وضعفت وهذا مال لا احتاجه
فهو لكم ثم يخرجه فيحمله الرجال على اعناقهم الى دور بنيه فاذا جاء راس الحول دعا بنيه لامر
فقالوا يا ابانا انا املنا حياتك واما المال فاي رغبة لنا فيه ما دمت حيا انت ومالك لنا
فخذه اليك ويسير الرجال به حتى يضعونه بين يديه فيرده الى موضعه فيريد بتبديل الملك
اسقاط الزكاة على راي ابي حنيفة في التفريق بين المجتمع بين متفرق وهذا خطب عظيم وقد صنف
البخاري رضي الله عنه وترجم فيه ابوابا منها باب الزكاة ولا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين
متفرق خشية الصدقة وادخل فيه حديث انس بن مالك وان ابا بكر كتب له فريضة
الصدقة وحديث طلحة بن عبيد الله ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاير الراس

الحديث

الحديث وفي اخره افلح ان صدق او دخل الجنة ان صدق وقال بعض الناس في عشرين ومائة بعير
حقتان فان اهلكها متعمدا او وهبها او احتال فيها فرارا من الزكاة فلا شي عليه ثم اردف بحديث
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون كنز احدكم يوم القيامة شجاعا اقرع له
زبيبتان ويقول انا كنزك الحديث قال المهلب انما قصد البخاري في هذا الباب ان يعرفك ان كل
احد يتحيل بها احد في اسقاط الزكوة فان اثم ذلك عليه لان النبي صلى الله عليه وسلم لما منع من
جمع الغنم او تفريقها خشية الصدقة فهم منه هذا المعنى وفهم من قوله افلح ان صدق ان من
رام ان ينقص شيئا من فرايض الله بحيلة يحتالها انه لا يفلح ولا يقوم بذلك عذره عند الله
وما اجازه الفقهاء من تصرف صاحب المال في ماله قرب حول الحول انما هو ما لم يرد بذلك الهرب من
الزكاة ومن نوى ذلك فالاثم عنه غير ساقط والله حسيبه وهو كمن فر من صيام رمضان قبل رؤية
الهلال بيوم واستعمل سفرا لا يحتاج اليه رغبة عن فرض الله الذي كتبه الله على المؤمنين فالوعيد
متوجه عليه الا ترى عقوبة من منع الزكاة يوم القيامة باي وجه منعها كيف تطاوه الابل ويمثل
له ماله شجاعا اقرع وهذا يدل على ان الفرار من الزكاة لا يحل وهو مطالب بذلك في الاخرة الثالثة
قال ابن العربي قال بعض علماء الشافعية في قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض دليل على
وجه الحيلة الى المباح واستخراج الحقوق وهذا وهم عظيم وقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في
الارض قيل فيه لما مكنا ليوسف ملك نفسه عن امراة العزيز مكنا له ملك الارض عن العزيز
او مثله لا يشتبه ما ذكره قال الشفعوي ومثله قوله عز وجل وخذ بيدك ضغثا فاضرب به
ولا تحنث وهذا ليس حيلة انما هو حمل اليمين على الالفاظ او على المقاصد قال الشفعوي ومثله حديث
ابي سعيد الخدري في عامل خيبر انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر جنيب الحديث ومقصود
الشافعية من هذا الحديث انه عليه الصلاة والسلام امره ان يبيع جمعا ويبتاع جنيبا من الذي
باعه منه الجمع وقالت المالكية معناه من غيره لئلا يكون جنيبا بجمع والدراهم ربوا كما قال ابن
عباس جريرة بجريرة والدراهم ربا قوله تعالى في دين الملك اي سلطانه عن ابن عباس ابن عيسى
عادته اي يظلم بلا حجة مجاهد في حكمه وهو استرقاق السارق الا ان يشاء الله اي بان يشاء الله
ان يجعل السقاية في رحله تعلة وعذرا له وقال قتادة بل كان حكم الملك الضرب والغرم ضعفين
ولكن شاء الله ان يجري على السنتهم حكم بني اسرائيل على ما تقدم قوله عز وجل نرفع درجات من
نشاء اي بالعلم والايمان وقرئ نرفع درجات من نشاء بمعنى نرفع من نشاء درجات وقد مضى
في الانعام وقوله وفوق كل ذي علم عليم روي عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال يكون ذا العلم
من ذا وذا اعلم من ذا والله فوق كل عالم وروى سفيان عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير قال كنا
عند ابن عباس رحمه الله فحدث بحديث فتعجب منه رجل فقال سبحان الله وفوق كل ذي علم عليم فقال
ابن عباس بئس ما قلت الله العليم وهو فوق كل عالم قوله تعالى قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له
من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون قالوا
يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله
ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استياسوا منه خلصوا نجيا قال
كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن
ابرح الارض حتى ياذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا
ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية التي

كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتيني
بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن
فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو
بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا
تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا
يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا
ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا ائنك
لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع
اجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قوله قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل والمعنى انه اقتدى
باخيه ولو اقتدى بنا ما سرق وانما قالوا ذلك ليبروا من فعله لانه ليس من امهم وانه ان سرق فقد
جذبه عرق اخيه السارق لان الاشتراك في الانساب تشاكل في الاخلاق وقد اختلفوا في السرقة
التي نسبوا الى يوسف فروي عن مجاهد وغيره ان عمة يوسف بنت اسحق كانت اكبر من يعقوب وكانت
صارت اليها منطقة اسحق لسنها لانهم كانوا يتوارثون بالسن وهذا مما نسخ حكمه بشرعنا وكان
من سرقها استعبد وكانت عمة يوسف حضنته واحبته حبا شديدا فلما ترعرع وشب قال لها
يعقوب سلمي يوسف الي فلست اقدر ان يغيب عني ساعة فولعت به واشفقت من فراقه فقالت له
دعه عندي اياما انظر اليه فلما خرج من عندها يعقوب عمدت الى منطقة اسحق فحزمتها على يوسف
من تحت ثيابه ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها ومن اصابها فالتمست ثم
قالت اكشفوا اهل البيت فكشفوا فوجدت مع يوسف فقالت انه والله لي سلم اصنع فيه ما شئت
ثم اتاها يعقوب فاخبرته الخبر فقال لها انت وذلك ان كان فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته
حتى ماتت فبذلك عيره اخوته في قولهم ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل ومن ههنا تعلم يوسف
وضع السقاية في رحل اخيه كما عملت به عمته وقال سعيد بن جبير انما امرته ان يسرق صنما كان لجده
ابي امه فسرقه وكسره والقاه على الطريق وكان ذلك منهما تغييرا للمنكر فرموه بالسرقة وعيروه بها
وقاله قتادة وفي كتاب الزجاج انه كان صنم ذهب وقال عطية العوفي انه كان مع اخوته على
طعام فنظر الى عرق فخباه فعيروه بذلك وقيل انه كان سرق من طعام المائدة للمساكين حكاه
ابن عيسى وقيل انهم كذبوا عليه فيما نسبوا اليه قاله الحسن قوله تعالى فاسرها يوسف في نفسه ولم
يبدها لهم اي اسر في نفسه قولهم ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل قاله ابن شجرة وابن عيسى وقيل انه
اسر في نفسه قوله انتم شر مكانا ثم جهر فقال والله اعلم بما تصفون قاله ابن عباس اي انتم شر مكانا
ممن نسبتموه الى هذه السرقة ومعنى قوله والله اعلم بما تصفون اي الله اعلم ان ما قلتم كذب وان كانت
لله رضى وقد قيل ان اخوة يوسف في ذلك الوقت ما كانوا انبياء قوله تعالى قالوا يا ايها العزيز
ان له ابا شيخا كبيرا الاية خاطبوه باسم العزيز اذ كان في الخطة بعزل الاول او موته وقولهم ان
له ابا شيخا كبيرا اي كبير القدر ولم يريدوا كبر السن لان ذلك معروف من حال الشيخ فخذ احدنا مكانه
اي عبدا بدله وقد قيل ان هذا مجاز لانهم يعلمون انه لا يصح اخذ حر ليسترق بدل من قد احكمت
السنة عندهم رقه وانما هذا كما تقول لمن تكره فعله اقتلني ولا تفعل كذا وكذا وانت لا تريد
ان يقتلك ولكنك مبالغ في استنزاله ويحتمل ان يكون قولهم فخذ احدنا مكانه حقيقة وبعيد

عليهم وهم انبياء ان يريدوا استرقاق حر فلم يبق الا ان يريدوا بذلك طريق الحمالة اي خذ احدنا مكانه
حتى ينصرف اليك صاحبك ومقصدهم بذلك ان يصل بنيامين الى ابيه ويعرف يعقوب جلية الامر فمنع
يوسف عليه السلام من ذلك الحمالة في الحدود ونحوها بمعنى احضار المضمون فقط جايزة مع التراضي غير
لازمة اذا ابى الطالب واما الحمالة في مثل هذا على ان يلزم الحميل ما كان يلزم المضمون فلا يجوز اجماعا
وفي الواضحة ان الحمالة في الوجه فقط في جميع الحدود جايزة الا في النفس وجمهور الفقهاء على جواز الكفالة
في النفس واختلف فيها عن الشافعي فمرة ضعفها ومرة اجازها قوله تعالى انا نراك من المحسنين يحتمل ان
يريدوا وصفه بما راوا من احسانه في جميع افعاله معهم ويحتمل ان يريدوا انا نرى لك احسانا علينا في هذه
اليد ان اسديتها وهذا تاويل ابن اسحق قوله تعالى قال معاذ الله مصدر ان نأخذ في موضع نصب اي من
ان نأخذ الا من وجدنا في موضع نصب بناخذ متاعنا عنده اي معاذ الله ان ناخذ البري بالمجرم ونخالف
ما تعاقدنا عليه انا اذا لظالمون اي ان ناخذ غيره قوله تعالى فلما استيأسوا منه اي يئسوا استفعل من يئس
واستعجب وسخر واستسخر خلصوا اي انفردوا وليس هو معهم نجيا نصب على الحال من المضمر في خلصوا وهو واحد
يؤدي عن جمع كما في هذه الاية ويقع على الواحد كقوله تعالى وقربناه نجيا وجمعه انجيه قال الشاعر
اني اذا ما القوم كانوا انجيه واضطرب القوم اضطراب الارشيه هناك اوصيني ولا توصي بيه وقرا ابن
كثير استايسوا ولا تايسوا انه لا يايس فلم ييأس بالفتح غير همز على القلب قدمت الهمزة او اخرت
الياء ثم قلبت الهمزة الفا لانها ساكنة قبلها فتحة والاصل قراءة الجماعة لان المصدر ما كان الا على
تقديم الياء يأسا والاياس ليس بمصدر ايس بل هو مصدر آسته اوسا وايا سا اي اعطيته وقال قوم
ايس ويئس لغتان اي فلما يئسوا من رداخيهم اليهم تشاوروا فيما بينهم لا يخالطهم غيرهم من الناس
يتناجون فيما عرض لهم والنجي فعيل بمعنى المناجي قوله تعالى قال كبيرهم قال قتادة هو روبيل كان
اكبرهم في السن مجاهد هو شمعون كان اكبرهم في الراي وقال الكلبي يهوذا وكان اعقلهم وقال محمد بن
كعب وابن اسحق هو لاوى وهو ابو الانبياء الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله وتعلموا
تفريطكم في يوسف ذكره النحاس وغيره ومن في قوله ومن قبل متعلقة بتعلموا ويجوز ان تكون ما
زائدة فيتعلق الظرفان اللذان هما من قبل وفي يوسف بالفعل وهو فرطتم ويجوز ان تكون ما والفعل
مصدرا ومن قبل متعلقا بفعل مضمر التقدير تفريطكم في يوسف واقع من قبل فما والفعل في موضع رفع
بالابتداء والخبر هو الفعل المضمر اي يتعلق به من قبل فلن ابرح الارض اي من الارض اي الزمها ولا ابرح
مقيما فيها يقال برح براحا وبروحا اي زال فاذا دخل النفي صار مثبتا حتى ياذن لي ابي بالرجوع فاني
استحي منه او يحكم الله لي بالسيف فاحارب واخذ اخي او اعجز فانصرف بعذر وذلك ان يعقوب قال
لتأتنني به الا ان يحاط بكم ومن حارب فعجز فقد احيط قال ابن عباس كان يهوذا اذا غضب واخذ
السيف فلن يرد وجهه مائة الف يقوم شعره في صدره مثل المسال فتنفذ ثيابه وفي الخبر ان يهوذا
قال لاخوته وكان اشدهم غضبا اما ان تكفوني الملك ومن معه اكفكم اهل مصر واما ان تكفوني اهل
مصر اكفكم الملك ومن معه قالوا بل اكفنا الملك ومن معه نكفك اهل مصر فبعث واحدا من
اخوته فعدوا اسواق مصر فوجدوا فيها تسعة اسواق فاخذ كل واحد منهم سوقا ثم ان يهوذا دخل
على يوسف وقال ايها الملك لئن لم تخل معنا اخانا لاصيحن صيحة لا تبقى في مدينتك حامل الا
اسقطت ما في بطنها وكان ذلك خاصا فيهم عند الغضب فاغضبه يوسف واسمعه كلمة فغضب
يهوذا واشتد غضبه وانتفخت شعراته وكان كل واحد من بني يعقوب اقشعر جلده وانتفخ جسده
وظهرت شعرات ظهره من تحت الثوب حتى يقطر من كل شعرة قطرة دم واذا ضرب الارض برجله

تزلزلت وتهدم البنيان وانه صاح صيحة لم يسمعه حامل من النساء والبهايم والطير الا وضعت ما في
بطنها تماما او غير تمام فلا يهدا غضبه الا ان يسفك دما او تمسكه يد من نسل يعقوب فلم علم يوسف
ان غضب اخيه يهودا قد تم وكمل كلم ولدا له صغيرا بالقبطية وامره ان يضع يده بين كتفي يهودا
من حيث لا يراه ففعل فسكن غيظه والقى السيف فالتفت يمينا وشمالا لعله يرى احدا من اخوته
فلم يره فخرج مسرعا الى اخوته وقال هل حضرني احد منكم قالوا لا قال فاين ذهب شمعون قالوا ذهب
الى الجبل فخرج فلقيه وقد احتمل صخرة عظيمة قال ما تصنع بهذه قال اذهب الى السوق الذي وقع
في نصيبي اشدخ بها رؤس الناس فيه قال فارجع فردها او فالقها في البحر ولا تحدثن حدثا فوالذي
اتخذ ابراهيم خليلا لقد مسني كف من نسل يعقوب ثم دخلوا على يوسف وكان يوسف من اشدهم بطشا
فقال يا معشر العبرانيين اتظنون انه ليس احد اشد منكم قوة ثم عمد الى حجر عظيم من حجارة الطاحونة
فركزه برجله فدحا به من خلف الجدار ثم امسك يهودا باحدى يديه فصرعه وقال هات الحدادين
اقطع ايديهم وارجلهم واضرب اعناقهم ثم صعد على سريره وجلس على فراشه وامر بصواعه فوضع
بين يديه ثم نقره نقرة فخرج طنينه فالتفت اليهم وقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه
يقول انه ليس على قلب اب هولاء هم ولا غم ولا كرب الا بسببهم ثم نقره نقرة ثانية وقال انه
يخبرني ان هولاء اخذوا اخا لهم صغيرا فحسدوه ونزعوه من ابيهم ثم اتلفوه فقالوا ايها العزيز
استر علينا ستر الله عليك وامنن علينا من الله عليك ونقره نقرة ثالثة وقال انه يقال ان هولاء
طرحوا صغيرهم في الجب ثم باعوه بيع العبد بثمن بخس وزعموا لابيهم ان الذيب اكله ثم نقره
رابعة وقال انه يخبرني انكم اذنبتم مذ ثمانين سنة لم تستغفروا الله ولم تتوبوا اليه ثم نقره
خامسة وقال انه يقول ان اخاهم الذي زعموا انه هلك لن تذهب الايام حتى يرجع فيخبر الناس
بما صنعوا ثم نقره سادسة وقال لو كنتم انبياء او بني انبياء ما كذبتم ولا عققتم والدكم لاجعلنكم
نكالا للعالمين ايتوني بالحدادين اقطع ايديهم وارجلهم فتضرعوا وبكوا واظهروا التوبة وقالوا
لو قد اصبنا اخانا يوسف اذ هو حي لنكونن طوع يده وترابا يطا علينا برجله فلما راى ذلك يوسف
من اخوته بكى وقال لهم اخرجوا عني قد خليت سبيلكم اكراما لابيكم ولولا هو لجعلتكم نكالا قوله عز
وجل ارجعوا الى ابيكم قاله هذا الذي قال فلن ابرح الارض فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وقرا ابن
عباس والضحاك وابو رزين ان ابنك سُرِّق النحاس وحدثني محمد بن احمد بن عمر قال حدثنا
ابن سادان قال حدثنا احمد بن شريح البغدادي قال سمعت الكسائي يقرا يا ابانا ان ابنك سُرِّق
بضم السين وتشديد الراء مكسورة على ما لم يسم فاعله اي نسب الى السرقة ورمي بها مثل خونته وفسقته
وفجرته اذا نسبته الى هذه الخلال وقال الزجاج سُرِّق يحتمل معنيين احدهما علم منه السرق والاخر
اتهم بالسرق قال الجوهري والسرقة والسرق بكسر الراء فيهما هو اسم الشي المسروق والمصدر سرق يسرق
سرقا بالفتح قوله عز وجل وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين فيه اربع مسائل الاولى
قوله وما شهدنا الا بما علمنا يريدون ما شهدنا قط الا بما علمنا واما الان فقد شهدنا بالظاهر
ولا نعلم الغيب كانهم وقعت لهم تهمة من قول بنيامين دس هذا في رحلي من دس بضاعتكم
في رحالكم قاله معناه ابن اسحق وقيل المعنى ما شهدنا عند يوسف بان السارق يسترق الا بما
علمنا من دينك قاله ابن زيد وما كنا للغيب حافظين اي لم نعلم وقت اخذنا منك انه
يسرق فلا ناخذه وقال مجاهد وقتادة ما كنا نعلم ان ابنك يسترق فيصير امرنا الى هذا
وانما قلنا نحفظ فيما نطيق وقال ابن عباس يعنون انه سرق ليلا وهو نايم والغيب هو الليل

بلغنة حمير وعنه ما كنا نعلم ما يصنع في ليله ونهاره وذهابه وايابه وقيل ما دام بمراى منا لم يجر خلل
فلما غاب عنا خفيت علينا حالاته وقيل معناه قد اخذت السرقة من رحله ونحن ننظر اليها ولا علم لنا بالغيب
فلعلهم سرقوه ولم يسرق الثانية تضمنت هذه الاية جواز الشهادة باي وجه حصل العلم بها فان
الشهادة مرتبطة بالعلم عقلا وشرعا فلا تسمع الا ممن علم ولا تقبل الا منهم وهذا هو الاصل
في الشهادات ولهذا قال اصحابنا تجوز شهادة الاعمى وشهادة المستمع جايزة وشهادة الاخرس
اذا فهمت اشارته جايزة وكذلك الشهادة على الخط اذا تيقن انه خطه او خط فلان صحيحة
فكل من حصل له العلم بشي جاز ان يشهد به وان لم يشهده المشهود عليه قال الله تعالى الا من
شهد بالحق وهم يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بخير الشهداء الذي ياتي
بشهادته قبل ان يسالها وقد مضى في البقرة الثالثة اختلف قول مالك في شهادة المرور وهو
ان يقول مررت بفلان فسمعته يقول كذا وكذا فان استوعب القول شهد في احد قوليه وفي
القول الاخر لا يشهد حتى يشهداه والصحيح اداء الشهادة عند الاستيعاب وبه قال جماعة العلماء
وهو الحق لانه قد حصل المطلوب وتعين عليه اداء العلم فكان خير الشهداء اذا اعلم المشهود له
وشر الشهداء اذا كتمها والله اعلم الرابعة اذا ادعى رجل شهادة لا يحتملها عمره ردت لانه ادعى باطلا
فاكذبه العيان ظاهرا قوله عز وجل واسال القرية التي كنا فيها الاية فيه مسئلتان الاولى قوله
واسال القرية حققوا شهادتهم عنده ورفعوا التهمة عن انفسهم لئلا يتهموا فقولهم واسال القرية
اي اهلها فحذف ويريدون بالقرية مصر وقيل قرية من قراها نزلوا بها وامتاروا منها وقيل
المعنى واسال القرية وان كانت جمادا فانك نبي والله ينطق الجماد لك وعلى هذا فلا حاجة الى اضمار
قال سيبويه ولا يجوز كلم هندا وانت تريد غلام هند لان هذا لا يشكل والقول في العير كالقول في
القرية سوا وانا لصادقون الثانية في هذه الاية من الفقه ان كل من كان على حق وعلم
انه قد يظن به انه على خلاف ما هو عليه او يتوهم ان يرفع التهمة وكل ريبة عن نفسه ويصرح
بالحق الذي هو عليه حتى لا يبقى لاحد متكلم وقد فعل هذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله للرجلين
اللذين مرا وهو قد خرج مع صفية يقلبها من المسجد على رسلكما انما هي صفية بنت حيي فقالا سبحان
الله وكبر عليهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يبلغ من الانسان مبلغ الدم واني خشيت
ان يقذف في قلوبكما شيئا رواه البخاري ومسلم قوله تعالى قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر
جميل فيه مسئلتان الاولى قوله قال بل سولت اي زينت لكم انفسكم ان ابني سرق وما سرق وانما
ذلك لامر يريده الله فصبر جميل اي فشاني صبر جميل او صبر جميل اولى بي على ما تقدم اول السورة
الثانية الواجب على كل مسلم اذا اصيب بمكروه في نفسه او ولده او ماله ان يتلقى ذلك بالصبر
الجميل والرضى والتسليم لمجريه عليه وهو العليم الحكيم ويقتدي بيعقوب وساير النبيين صلوات
الله عليهم اجمعين وقال سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن قال ما من جرعتين يتجرعهما
العبد بحلم وعفو وقال ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى فصبر جميل اي لا اشكو ذلك الى
احد وروي مقاتل بن سليمان عن عطا بن ابي رباح عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من بث لم يصبر وقد تقدم في البقرة ان الصبر عند الصدمة الاولى وثواب من ذكر
مصيبته واسترجع وان تقادم عهدها وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال ان
يعقوب اعطي على يوسف اجر مائة شهيد وكذلك من احتسب من هذه الامة في مصيبته فله
مثل اجر يعقوب قوله عز وجل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا لانه كان عنده انه يوسف عليه

السلام لم يمت وانما غاب عنه خبره لان يوسف حمل وهو عبد لا يملك لنفسه شيئا ثم اشتراه الملك
فكان في داره لا يظهر للناس ثم حبس فلما تمكن احتال في ان يعلم ابوه خبره ولم يوجه برسول
لانه كره من اخوته ان يعرفوا ذلك فلا يدعوا الرسول يصل اليه وقال لهم لانهم ثلاثة يوسف واخوه
والمتخلف من اجل اخيه وهو القايل فلن ابرح الارض انه الحكيم وانه هو العليم بحالي فيما يقضي
انتهى قوله عز وجل وتولى عنهم وذلك ان يعقوب لما بلغه خبر بنيامين سام خرته وبلغ جهده
وجدد الله له مصيبته في يوسف فقال يا اسفى على يوسف ونسي ابنه بنيامين فلم يذكره عن ابن
عباس وقال سعيد بن جبير لم يكن عند يعقوب ما في كتابنا من الاسترجاع ولو كان عنده لما قال
يا اسفى على يوسف قال الحسن وقتادة المعنى واحزناه وقال مجاهد والضحاك يا جزعاه قال كثير
فيا اسفا للقلب كيف انصرافه ¤ وللنفس لما سليت فتسلت ¤ والاسف شدة الحزن على ما فات والنداء على
معنى تعال يا اسف فانه من اوقاتك وقال الزجاج الاصل يا اسفي فالالف بدل من الياء المخففة
الفتحة وابيضت عيناه من الحزن قيل لم يبصر بهما ست سنين وانه عمي قاله مقاتل وقيل تبيض
شيء من الوقت والله اعلم بحال يعقوب وانما ابيضت عيناه من البكاء ولكن سبب البكاء الحزن
فلهذا قال من الحزن وقيل ان يعقوب كان يصلي ويوسف نايما معترضا بين يديه يغط في
نومه فالتفت يعقوب اليه ثم غط ثانية فالتفت اليه ثم غط فالتفت اليه مرة رابعة ويغطيط
فاوحى الله الى ملائكته انظروا الى صفيي وابن خليلي قايما في مناجاتي يلتفت الى غيري وعزتي
لانزعن الحدقتين اللتين التفت بهما ولافرقن بينه وبين من التفت اليه ثمانين سنة ليعلم
العاملون ان من قام بين يدي يجب عليه مراقبة نظري الثانية هذا يدل على ان الالتفات
في الصلاة وان لم يبطل على العقوبة عليه والنقص فيها وقد روى البخاري عن عايشة قالت
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان
من صلاة العبد وسياتي ما للعلماء في هذا في اول سورة المؤمنين مستوعبا ان شاء الله تعالى
الثالثة قال النحاس فان سال قوم عن معنى شدة حزن يعقوب عليه السلام فللعلماء في هذا
ثلاثة اجوبة منها ان يعقوب عليه السلام لما علم ان يوسف عليه السلام حي خاف على دينه فاشتد
حزنه لذلك وقيل انما حزن لانه سلمه اليهم صغيرا فندم على ذلك والجواب الثالث بينها وهو
ان الحزن ليس بمحظور وانما المحظور الوله وشق الثياب والكلام بما لا ينبغي وقال النبي صلى الله
عليه وسلم تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب وقد بين الله عز وجل ذلك بقوله
فهو كظيم اي مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبثه ومنه كظم الغيظ وهو اخفاؤه فالمكظوم
المسدود عليه طريق حزنه قال الله تعالى اذ نادى وهو مكظوم اي مملوء كربا ويجوز ان يكون
المكظوم بمعنى الكاظم وهو المشتمل على حزنه وعن ابن عباس كظيم مغموم قال الشاعر فان اك
كاظما لمصاب شاس ¤ فاني اليوم منطلق لساني ¤ وقال ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال
ذهبت عيناه من الحزن فهو كظيم قال فهو مكروب قال مقاتل بن سليمان عن عطا عن ابن
عباس في قوله فهو كظيم قال هو كمد يقول يعلم ان يوسف حي ولا يدري اين هو فهو كمد من ذلك
قال الجوهري الكمد الحزن المكتوم تقول منه كمد الرجل فهو كمد وكميد النحاس يقال فلان كظيم
وكاظم اي حزين لا يشكو احزنه قال الشاعر فحضضت قومي واحتسبت قتالهم ¤ والقوم من
خوف المنايا كظم ¤ قوله تعالى قالوا تالله اي قال له ولده تالله تفتؤ تذكر يوسف قال
الكسائي فتات وفتيت افعل ذلك اي ما زلت وزعم الفراء ان لا مضمرة اي لا تفتا وانشد

فقلت وايم الله ابرح قاعدا ¤ ولو قطعوا راسي لديك واوصالي ¤ اي لا ابرح قال النحاس والذي قال الحسن صحيح
وزعم الخليل وسيبويه انه لا تضمر في القسم لانه ليس فيه اشكال ولو كان موجبا لكان باللام والنون
وانما قالوا له ذلك لانهم علموا باليقين انه يداوم على ذلك يقال ما زال يفعل كذا وما فتي وفتا فهما لغتان
ولا يستعملان الا مع الجحد قال الشاعر ¤ فما فتيت حتى كان غبارها ¤ سرادق يوم ذي رياح ترفع ¤ اي ما
برحت فتفتؤ تبرح وقال ابن عباس تزال حتى تكون حرضا اي تالفا وقال ابن عباس ومجاهد دنفا من
المرض وهو ما دون الموت قال الشاعر ¤ سرى همي فامرضني ¤ وقدما زادني مرضا ¤ كذاك الحب قبل اليوم
مما يورث الحرضا ¤ وقال قتادة هرما الضحاك باليا دائرا محمد بن اسحق فاسدا لا عقل لك الفراء الحارض
الفاسد الجسم والعقل وكذا الحرض الذي قد رد الى ارذل العمر الربيع بن انس يابس الجلد على العظم المورج
ذايبا من الهم وقال الاخفش ذاهبا ابن الانباري هالكا وكلها متقاربة واصل الحرض الفساد في الجسم
او العقل من الحزن او العشق او الهرم عن ابي عبيدة وغيره قال العرجي ¤ اني امرؤ لج بي حب فاحرضني ¤
حتى بليت وحتى شفني السقم ¤ قال النحاس يقال حرض حرضا وحرض حروضا وحروضة اذا بلي وسقم ورجل
حارض وحرض الا ان حرضا لا يثنى ولا يجمع ومثله قمن وحرى لا يثنيان ولا يجمعان الثعلبي ومن
العرب من يقول حارض للمذكر والمؤنث حارضة فاذا وصف بهذا اللفظ ثني وجمع وانث ويقال
حرض يحرض حراضة فهو حريض وحرض ويقال رجل محرض وينشد ¤ طلبته الخيل يوما كاملا ¤ ولو
القته لاضحى محرضا ¤ وقال امرؤ القيس ¤ ارى المرء ذا الاذواد يصبح محرضا ¤ كاحراض بكر في الديار مريض ¤
قال النحاس وحكى اهل اللغة احرضه الهم اذا اسقمه ورجل حارض اي احمق وقرا انس حرضا بضم الحاء
وسكون الراء اي مثل عود الاشنان وقرا الحسن حرضا بضم الحاء والراء قال الجوهري الحرض والحرض
الاشنان او تكون من الهالكين اي الميتين وهو قول الجميع وغرضهم منع يعقوب من البكاء والحزن
شفقة عليه وان كانوا السبب في ذلك قوله تعالى قال انما اشكوا بثي حقيقة البث في اللغة
ما يرد على الانسان من الاشياء المهلكة التي لا يتهيا له ان يخفيها وهو من بثثته اي فرقته فسميت
المصيبة بثا مجازا قال ذو الرمة ¤ وقفت على ربع لمية ناقتي ¤ فما زلت ابكي عنده واخاطبه ¤ واسقيه
حتى كاد مما ابثه ¤ تكلمني احجاره وملاعبه ¤ وقال ابن عباس بثي همي الحسن حاجتي وقيل اشد الحزن
وحقيقته ما ذكرناه وحزني الى الله معطوف عليه اعاده بغير لفظه واعلم من الله ما لا تعلمون اي
اعلم ان رؤيا يوسف صادقة واني ساسجد له قاله ابن عباس قتادة اني اعلم من احسان الله الي ما
يوجب حسن ظني به وقيل قال يعقوب لملك الموت هل قبضت روح يوسف قال لا فاكد هذا رجاؤه
وقال السدي اعلم ان يوسف حي وذلك انه لما اخبره ولده بسيرة الملك وعدله وخلقه وقوله
احست نفس يعقوب انه ولده فطمع وقال لعله يوسف وقال لا يكون في الارض صديق الا
نبي وقيل اعلم من اجابة المضطرين ما لا تعلمون قوله عز وجل يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه هذا يدل على انه تيقن حياته اما بالرؤيا واما بانطاق الله تعالى الذيب كما في اول
القصة واما باخبار ملك الموت اياه بانه لم يقبض روحه وهو الاظهر والتحسس طلب الشيء
بالحواس فهو تفعل من الحس اي اذهبوا الى هذا الذي طلب منكم اخاكم واحتال عليكم في اخذه فاسالوا
عنه وعن مذهبه ويروى ان ملك الموت قال له اطلبه من هاهنا واشار الى ناحية مصر
وقيل ان يعقوب تنبه على يوسف برد البضاعة واحتباس اخيه واظهار الكرامة فلذلك وجههم
الى جهة مصر دون غيرها ولا تياسوا من روح الله اي لا تقنطوا من فرج الله قاله ابن زيد
يريد ان المؤمن يرجو فرج الله والكافر يقنط من الشدة وقال قتادة والضحاك من رحمة الله

انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون دليل على ان القنوط من الكباير وهو اليأس وسيأتى فى الزمر
بيانه ان شاء الله تعالى قوله عزوجل فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز اي الممتنع مسنا واهلنا الضر
هذه المرة الثالثة من عودهم الى مصر وفى الكلام حذف اي فخرجوا الى مصر فلما دخلوا على يوسف قالوا
مسنا اصابنا واهلنا الضر اي الجوع وفى هذا دليل على جواز الشكوى عند الضر اي الجوع بل واجب عليه
اذا خاف على نفسه الضرر من الفقر وغيره ان يبدى حاله الى من يرجو منه النفع كما هو واجب عليه ان
يشكو ما به من الالم الى الطبيب ليعالجه ولا يكون ذلك قدحا فى التوكل وهذا ما لم يكن التشكى
على سبيل التسخط والصبر والتجلد فى النوايب احسن والتعفف عن المسئلة افضل واحسن الكلام
فى الشكوى سوال المولى زوال البلوى وذلك قول يعقوب انما اشكو بثى وحزنى الى الله واعلم من
الله ما لا تعلمون اي من جميل صنعه وغريب لطفه وعايدته على عباده فاما الشكوى الى غير مالك
فهو السفه الا ان يكون على وجه البث والتسلى قال ابن دريد لا تحسبن يا دهر انى ضارع لبلية
تعرقنى عرق المدى مارست من لو هوت الافلاك من جانب الجو عليه ما اشتكى لكنها نفثة
مصدور اذا جاش لغام من نواحيها عمى قوله تعالى وجئنا ببضاعة مزجاة البضاعة القطعة من
المال يقصد بها شرا شئ تقول استبضعت الشئ واستبضعته اي جعلته بضاعة وفى المثل كمستبضع
التمر الى هجر قوله تعالى مزجاة صفة لبضاعة والازجا السوق بدفع ومنه قوله تعالى الم تر ان
الله يزجى سحابا والمعنى انها بضاعة تدفع ولا يقبلها كل احد قال ثعلب البضاعة المزجاة الناقصة
غير التامة واختلف فى تعيينها هنا فقيل كانت قديدا وحيسا ذكره الواقدى عن على ابن ابى طالب
رضى الله عنه وقيل خلق الغراير والحبال روى عن ابن عباس وقيل متاع الاعراب صوف وسمن
قاله عبد الله بن الحارث وقيل الحبة الخضراء والصنوبر قاله ابو صالح الصنوبر هو البطم حب شجر
بالشام يوكل ويعصر الزيت منه فباعوها بدراهم لا تنفق فى الطعام وتنفق فيما بين الناس
فقالوا خذها منا بحساب جياد تنفق فى الطعام وقيل دراهم ردية قال ابن عباس ايضا وقيل ليس
عليها صورة يوسف وقال الضحاك النعال والادم وعنه كانت سويقا منخلا والله اعلم قوله تعالى
فاوف لنا الكيل وتصدق علينا فيه اربع مسائل الاولى قوله فاوف لنا الكيل يريدون الكيل الذى
قد كاله لاخيهم وتصدق علينا اي بما بين سعر الجياد والردية قال سعيد بن جبير والسدى والحسن
لان الصدقة تحرم على الانبياء وقيل المعنى تصدق علينا برد اخينا الى ابيه وقال ابن جريج تصدق
علينا تجوز علينا واستشهد بقول الشاعر تصدق علينا يا ابن عفان واحتسب وامر علينا الاشعرى
لياليا ان الله يجزى المتصدقين يعنى فى الاخرة يقال هذا من معاريض الكلام لانه لم يكن عندهم
انه على دينهم فلذلك لم يقولوا ان الله يجزيك بصدقتك فقالوا لفظا يوهم انهم ارادوه وهو
يصح له اخراجه بالتاويل قاله الثعلبى وفى الحديث ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب الثانية
استدل مالك وغيره من العلماء على ان اجرة الكيال على البايع قال ابن القاسم وابن نافع قال
مالك قالوا ليوسف فاوف لنا الكيل فكان يوسف هو الذى يكيل وكذلك الوزان والعداد و
غيرهم لان الرجل اذا باع عدة معلومة من طعامه واوجب العقد وجب عليه ان يبرزها ويميز حق
المشترى من حقه الا ان يبيع منه معينا صبرة او ما لا حق توفية فيه فخلى بينه وبينه فما جرى على
المبيع فهو من المبتاع وليس كذلك ما فيه حق توفية من كيل او وزن الا انه لا يستحق البايع الثمن
الا بعد التوفية وان تلف فهو منه قبل التوفية الثالثة واما اجرة النقد فعلى البايع ايضا
لان المبتاع الدافع له دراهمه يقول انها طيبة فانت الذى تدعى الرداءة فانظر لنفسك وايضا

فان النفع يقع له فصار الاجر عليه وكذلك لا يجب على الذى يجب عليه القصاص لانه لا يجب عليه ان
يقطع يد نفسه ولا ان يمكن من ذلك طايعا الا ترى ان فرضا عليه ان يفدى يده ويصالح عليه اذا طلب
المقتص ذلك منه فاجر القطاع على المقتص وقال الشافعى فى المشهور عنه انها على المقتص منه كالبايع
الرابعة يكره للرجل ان يقول فى دعائه اللهم تصدق على لان الصدقة انما تكون ممن يبتغى الثواب
والله تعالى متفضل بالثواب بجميع النعم لا رب غيره وسمع الحسن رجلا يقول اللهم تصدق على فقال
الحسن يا هذا ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يبتغى الثواب اما سمعت قوله تعالى ان الله يجزى
المتصدقين قل اللهم اعطنى وتفضل على قوله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه استفهام
بمعنى التذكير والتوبيخ وهو الذى قال الرب لتنبئنهم بامرهم اذ انتم جاهلون دليل على انهم كانوا صغارا
فى وقت اخذهم ليوسف غير انبياء لانه لا يوصف بالجهل الا من كانت هذه صفته ويدل على انه حسنت
حالهم الان اي فعلتم ذلك اذ انتم صغار جهال قال معناه ابن عباس والحسن ويكون قوله وان كنا
لخاطئين على هذا لانهم كبروا ولم يخبروا اباهم بما فعلوا حياء وخوفا منه وقيل جاهلون بما تؤول اليه
العاقبة والله اعلم قوله تعالى قالوا ائنك لانت يوسف لما دخلوا عليه فقالوا مسنا واهلنا الضر
خضعوا له وتواضعوا رق عليهم وعرفهم بنفسه فقال هل علمتم بيوسف واخيه فتنبهوا فقالوا ائنك
لانت يوسف قاله ابن اسحق وقيل ان يوسف تبسم فشبهوه بيوسف واستفهموا قال ابن عباس
لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف الاية ثم تبسم يوسف وكان اذا تبسم كان ثناياه اللؤلؤ المنظوم
شبهوه بيوسف فقالوا على جهة الاستفهام ائنك لانت يوسف وعن ابن عباس ايضا ان اخوته
لم يعرفوه حتى وضع التاج عنه وكان فى قرنه علامة وكان ليعقوب مثلها شبه الشامة فلما قال لهم
هل علمتم ما فعلتم بيوسف رفع التاج عنه فعرفوه فقالوا ائنك لانت يوسف وقال ابن عباس
كتب يعقوب اليه يطلب رد ابنه وفى الكتاب من يعقوب صفى الله بن اسحق ذبيح الله بن
ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت بلاء ومحن ابتلى الله جدى ابراهيم بنمرود
وناره ثم ابتلى ابى اسحق بالذبح ثم ابتلانى بولد لى كان احب اولادى الى حتى كف بصرى من البكا
وانى لم اسرق ولم الد سارقا والسلام فلما قرا يوسف الكتاب ارتعدت مفاصله واقشعر جلده
وارخى عينيه بالبكاء وعيل صبره فباح بالسر وقرا ابن كثير انك على الخبر ويجوز ان تكون هذه القراءة
استفهاما كقوله وتلك نعمة قال انا يوسف اي انا المظلوم المراد قتله ولم يقل انا هو تعظيما للقصة
قد من الله علينا اي بالنجاة والملك انه من يتق ويصبر اي يتق الله ويصبر على المصايب وعن المعاصى
فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي الصابرين فى بلائه القايمين بطاعته وقرا ابن كثير انه من يتقى
ويصبر باثبات الياء والقراءة به جايزة على ان يجعل من بمعنى الذى وتدخل يتقى فى الصلة فتثبت
الياء لا غير وترفع ويصبر وقد يجوز ان يجزم ويصبر على ان يجعل يتقى فى موضع جزم ومن للشرط وتثبت
الياء وتجعل علامة الجزم حذف الضمة التى كانت فى الياء على الاصل كما قال ثم نادى اذا دخلت
دمشقا يا يزيد بن خالد بن يزيد وقال اخر الم ياتيك والانباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد
وقراءة الجماعة ظاهرة والهاء فى انه كناية عن الحديث والجملة الخبر قوله تعالى قالوا تالله لقد
اثرك الله علينا الاصل همزتان خففت الثانية ولا يجوز تحقيقها واسم الفاعل موثر والمصدر ايثار
ويقال اثرت التراب اثارة فانا مثير وهو ايضا على افعل ثم اعل والاصل اثير قلبت حركة الثاء
على الياء فانقلبت الياء الفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين واثرت الحديث على فعلت فانا اثر
والمعنى لقد فضلك الله علينا واختارك بالعلم والحلم والحكم والعقل والملك وان كنا لخاطئين

اي مذنبين من خطا خطأ اذا اتى الخطيئة وفى ضمن هذا سؤال العفو قيل لابن عباس كيف قالوا انا كنا
خاطئين وقد تعمدوا لذلك قال وان تعمدوا ذلك وما تعمدوا حتى اخطاؤا الحق وكذلك كل من اتى
ذنبا يخطي المنهاج الذي عليه من الحق حتى يقع فى الشبهة والمعصية قوله عز وجل قال لا تثريب عليكم اليوم
اي قال يوسف وكان حليما موفقا لا تثريب عليكم وتم الكلام ومعنى اليوم الوقت والتثريب التعيير
والتوبيخ اي لا تعيير ولا توبيخ ولا لوم عليكم اليوم قاله سفيان الثوري وغيره ومنه قوله عليه الصلاة
والسلام اذا زنت امة احدكم فليجلدها الحد ولا يثرب عليها اي لا يعيرها وقال بشر فعفوت عنهم عفو
غير مثرب وتركتهم لعقاب يوم سرمد وقال الاصمعي ثربت عليه وعربت عليه بمعنى اذا قبحت عليه
فعله وقال الزجاج المعنى لا افساد لما بيني وبينكم من الحرمة وحق الاخوة ولكم عندي العفو والصفح
واصل التثريب الافساد وهي لغة اهل الحجاز وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ
بعضادتي الباب يوم فتح مكة وقد لاذ الناس بالبيت فقال الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده ثم قال ما ذا تظنون يا معشر قريش قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد
قدرت فقال وانا اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم فقال له عمر رضي الله عنه ففضت
عرقا من الحياء من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اي كيف قلت لهم حين دخلنا مكة اليوم ننتقم
منكم ونفعل فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال استحييت من قولي يغفر الله لكم فعل مستقبل
فيه معنى الدعاء سال الله ان يستر عليهم ويرحمهم واجاز الاخفش الوقف على عليكم والاول هو المستعمل
فان في الوقف على عليكم والابتداء اليوم يغفر الله لكم جزم بالمغفرة في اليوم وذلك لا يكون الا عن
وحي وهذا بين وقال عطا الخراساني طلب الحوائج من الشباب اسهل منه من الشيوخ الم تر الى قول
يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقال يعقوب سوف استغفر لكم ربي قوله تعالى عز شانه
اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا واتوني باهلكم اجمعين ولما فصلت العير
قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم
فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور
الرحيم فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ورفع
ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي
حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد اتيتني من الملك
وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة
توفني مسلما والحقني بالصالحين ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم
اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسالهم عليه من
اجر ان هو الا ذكر للعالمين وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها
معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب
الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا
ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من
اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الاخرة
خير للذين اتقوا افلا تعقلون حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا

فنجي

ننجي من نشاء ولا يرد باسنا على القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما
كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم
يؤمنون قوله اذهبوا بقميصي هذا نعت للقميص والقميص مذكر فاما قول الشاعر تدعو هوازن والقميص
مفاضة فوق النطاق تشد بالازرار فتقديره درع مفاضة قاله النحاس وقال ابن السدي عن
ابيه عن مجاهد قال لهم يوسف اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا قال كان يوسف
اعلم بالله من ان يعلم ان القميص يرد على يعقوب بصره ولكن ذلك قميص ابراهيم الذي البسه الله في
النار من حرير الجنة وكان كساه اسحق وكان اسحق كساه يعقوب وكان يعقوب ادرج ذلك القميص
في قصبة من فضة وعلقه في عنق يوسف لما كان يخاف عليه من العين فاخبره جبريل ان ارسل
قميصك فان فيه ريح الجنة وريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مبتلى الا عوفي وقال الحسن لولا ان الله تعالى
اعلم يوسف بذلك لم يعلم انه يرجع اليه بصره وكان الذي حمل قميصه يهودا قال ليوسف انا الذي
حملت اليه قميصك بدم كذب فاحزنته وانا الذي احمله الان لاسره وليعود اليه بصره فحمله
حكاه السدي قوله تعالى واتوني باهلكم اجمعين لتتخذوا مصر دارا قال مسروق فكانوا ثلاثة
وتسعين بين رجل وامراة وقد قيل ان القميص الذي بعثه هو القميص الذي قد من دبر ليعلم
يعقوب انه عصم من الزنا والقول الاول اصح وقد روي مرفوعا من حديث انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم ذكره القشيري والله اعلم قوله تعالى ولما فصلت العير اي خرجت منطلقة من
مصر الى الشام يقال فصل فصولا وفصلته فصلا فهو لازم ومتعد قال ابوهم اي قال لمن حضر
من قرابته ممن لم يخرج الى مصر وهم ولد ولده اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون قال ابن
عباس هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف اليه وبينهما مسيرة ثمان ليال وقال الحسن مسيرة
عشر ليال وعنه ايضا مسيرة شهر وقال مالك بن انس رحمه الله انما اوصل ريحه من اوصل
عرش بلقيس قبل ان يرتد الى سليمان طرفه وقال مجاهد هبت ريح فصفقت القميص فراحت
روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس في الدنيا من ريح الجنة
الا ما كان من ذلك القميص فعند ذلك قال اني لاجد اي اشم فهو وجود بحاسة الشم لولا ان
تفندون قال ابن عباس لولا ان تسفهون ومنه قول النابغة الا سليمان اذ قال المليك له
قم في البرية فاحددها عن الفند اي عن السفه وقال سعيد بن جبير والضحاك لولا ان تكذبون
والفند الكذب وقد افند افنادا كذب ومنه قول الشاعر هل في افتخار الكريم من اود
ام هل لقول الصديق من فند اي من كذب وقيل لولا ان تقبحون قاله ابو عمرو والتفنيد التقبيح
قال الشاعر يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي فليس ما فات من امري بمردود وقال ابن الاعرابي
لولا ان تفندون لولا ان تضعفون رايي وقاله ابن اسحق والفند ضعف الراي من كبر وقول
رابع تضللوني قاله ابو عبيدة وقال الاخفش تلوموني والتفنيد اللوم وتضعيف الراي ويقال
فنده تفنيدا اذا اعجزه كما قال اهلكني باللوم والتفنيد ويقال افند اذا تكلم بالخطا
والفند الخطا من الكلام والراي كما قال فاحددها عن الفند واصله الفساد في العقل
ومنه قول النابغة فاحددها عن الفند اي امنعها عن الفساد ومن ذلك قيل اللوم تفنيد
قال الشاعر يا عاذلي دع الملام واقصرا طال الهوى واطلتما التفنيدا ويقال افند فلانا
الدهر اذا افسده ومنه قول ابن مقبل دع الدهر يفعل ما اراد فانه اذا كلف الافناد بالناس افند
قوله تعالى تالله انك لفي ضلالك القديم اي لفي ذهاب عن طريق الصواب وقال ابن عباس

وابن زيد لفي خطائك الماضي من حب يوسف لا تنساه وقال سعيد بن جبير لفي جنونك القديم قال الحسن
وهذا عقوق وقال قتادة وسفيان لفي محبتك القديمة وقيل انما قالوا هذا لان يوسف عندهم
كان قد مات وقيل ان الذي قال له ذلك من بقي معه من ولده ولم يكن عندهم الخبر وقيل قال
له ذلك من كان معه من اهله وقرابته وقيل بنو ابنيه وكانوا صغارا والله اعلم قوله تعالى
فلما ان جاء البشير القاه على وجهه اي على عينيه فارتد بصيرا ان زائدة البشير قيل هو شمعون
ويهودا قال انا اذهب بالقميص اليوم كما ذهبت به ملطخا بالدم قاله ابن عباس وعن السدي انه
قال لاخوته قد علمتم اني ذهبت اليه بقميص الترحة فدعوني اذهب اليه بقميص الفرحة وقال يحيى
بن يمان عن سفيان لما ان جاء البشير الى يعقوب قال له على اي دين تركت يوسف قال على
الاسلام قال الان تمت النعمة وقال الحسن لما ورد البشير على يعقوب لم يجد عنده شيئا يثيبه
به فقال ما اصبت عندنا شيئا وما خبزنا شيئا منذ سبع ليال ولكن هون الله عليك سكرات
الموت قلت وهذا الدعاء من اعظم ما يكون من الجوائز وافضل العطايا والذخاير ودلت هذه
الاية على جواز البذل والهبات عند البشاير وفي الباب حديث كعب بن مالك الطويل وفيه
فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت ثوبي فكسوتهما اياه ببشارته وذكر الحديث وقد
تقدم بكماله في قصة الثلاثة الذين خلفوا وكسوة كعب ثوبيه للبشير مع كونه ليس له غيرهما
دليل على جواز مثل ذلك اذا ارتجى حصول ما يستبشر به وهو دليل على جواز اظهار الفرح بعد زوال
الغم والترح ومن هذا الباب جواز حذاق الصبيان واطعام الطعام فيها وقد نحر عمر بعد حفظه
سورة البقرة جزورا والله اعلم قوله تعالى قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون ذكرهم
قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون قوله تعالى قالوا يا ابانا استغفر
لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين في الكلام حذف التقدير فلما رجعوا من مصر قالوا يا ابانا وهذا يدل
على ان الذي قال له تالله انك لفي ضلالك القديم بنو بنيه او غيرهم من قرابته واهله لا ولده
فانهم كانوا غيبا وكان يكون ذلك زيادة في العقوق والله اعلم وانما سالوه المغفرة لانهم ادخلوا عليه
من الم الحزن ما لم يسقط المأثم عنه الا بإحلاله قلت وهذا الحكم ثابت فيمن اذى مسلما في
نفسه او ماله او غير ذلك ظالما به فانه يجب عليه ان يتحلل له ويخبره بالمظلمة وقدرها
وهل ينفعه التحلل المطلق ام لا فيه خلاف والصحيح انه لا ينفع فانه لو اخبره بمظلمة لها قدر وبال
ربما لم تطب نفس المظلوم في التحلل منها والله اعلم وفي صحيح البخاري وغيره عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت عنده مظلمة لاخيه من عرضه او شيء فليتحلله منه
اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم تكن له
حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه قال المهلب فقوله صلى الله عليه وسلم اخذ منه بقدر
مظلمته يجب ان تكون المظلمة معلومة القدر مشارا اليها مبينة والله اعلم قوله عز وجل قال سوف
استغفر لكم ربي قال ابن عباس اخر دعاءه الى السحر قال المثنى بن الصباح عن طاوس قال سحر ليلة
الجمعة ووافق ذلك ليلة عاشورا وفي دعاء الحفظ من كتاب الترمذي عن ابن عباس انه قال
بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه علي بن ابي طالب فقال بابي انت وامي تفلت
هذا القران من صدري فما اجدني اقدر عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا اعلمك
كلمات ينفعك الله بهن وتنفع بهن من علمت ويثبت ما تعلمت في صدرك قال اجل يا رسول الله
فعلمني قال اذا كان ليلة الجمعة فان استطعت ان تقوم في ثلث الليل الاخر فانها ساعة مشهودة

والدعاء فيها مستجاب وقد قال اخي يعقوب لبنيه سوف استغفر لكم ربي يقول حتى تاتي ليلة الجمعة وذكر
الحديث وقال ايوب بن ابي تميمة السختياني عن سعيد بن جبير قال سوف استغفر لكم ربي في الليالي
البيض في الثالث عشرة والرابع عشرة والخمس عشرة فان الدعاء فيه مستجاب وعن عامر الشعبي قال
سوف استغفر لكم ربي اسال يوسف ان عفا عنكم استغفرت لكم ربي وذكر سنيد بن داود قال حدثنا هشيم
قال حدثنا عبد الرحمن بن اسحق عن محارب بن دثار عن عمه قال كنت اتي المسجد في السحر فامر بدار
ابن مسعود فاسمعه يقول اللهم انك امرتني فاطعت ودعوتني فاجبت وهذا سحر فاغفر لي فلقيت ابن
مسعود فقلت كلمات سمعتك تقولهن في السحر فقال ان يعقوب اخر بنيه الى السحر بقوله سوف استغفر
لكم قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه اي قصرا كان له هنالك قيل ان يوسف ارسل
مع العير ما تاتي راحلة وجهازا وسال يعقوب ان ياتيه وولده جميعا فلما دخلوا عليه اوى اليه
ابويه اي ضم ويعني بابويه اباه وخالته وكانت امه قد ماتت في ولادة اخيه بنيامين وقيل احيى
الله امه تحقيقا للرؤيا حتى سجدت له قاله الحسن وقد تقدم في البقرة ان الله تعالى احيى لنبيه عليه
الصلاة والسلام اباه وامه فامنا به قوله تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله امنين قال ابن جريج
اي سوف استغفر لكم ربي ان شاء الله قال وهذا من تقديم القران وتاخيره قال النحاس يذهب ابن
جريج الى انهم قد دخلوا مصر فكيف يقول ادخلوا مصر ان شاء الله وقيل انما قال ان شاء الله تبركا
ادخلوها امنين من القحط او من فرعون وكانوا لا يدخلون الا بجوازه قوله تعالى ورفع ابويه على العرش
قال قتادة يريد السرير وقد تقدمت محامله وقد يعبر بالعرش عن الملك والملك نفسه ومنه قول
النابغة الذبياني عروش تفانوا بعد عز وامة وقد تقدم قوله عز وجل وخروا له سجدا فيه ثلاث
مسائل الاولى قوله وخروا له سجدا الهاء في خروا له قيل انها تعود الى الله تعالى المعنى وخروا شكرا لله
سجدا وروي عن الحسن قال النقاش وهذا خطا والهاء راجعة الى يوسف لقوله في اول السورة
رايتهم لي ساجدين وكان تحيتهم ان يسجد الوضيع للشريف والصغير للكبير سجد يعقوب وخالته
واخوته ليوسف عليه السلام فاقشعر جلده وقال هذا تاويل رؤياي من قبل وكان بين رؤيا يوسف
وبين تاويلها اثنان وعشرون سنة قال سليمان الفارسي وعبد الله بن شداد اربعون سنة وقال
السدي وسعيد بن جبير وعكرمة ستة وثلاثون سنة وقال الحسن وحسن بن فرقد وفضيل
بن عياض ثمانون سنة وقال وهب بن منبه القي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وغاب
عن ابيه ثمانين سنة وعاش بعد ان التقى بابيه ثلاثة وعشرين سنة ومات وهو ابن ماية
وعشرين سنة وفي التورية ماية وعشرين سنة وولد ليوسف من امراة العزيز افرائيم ومنشا
ورحمة امراة ايوب وبين يوسف وموسى اربعماية سنة وقيل ان يعقوب بقي عند يوسف عشرين
سنة وبين يعقوب ويوسف ثلاثة واقام عنده ثماني عشرة سنة وقال بعض المحدثين بضعا
واربعين سنة وكان بين يعقوب ويوسف ثلاثة وثلاثين سنة جمعهم الله وقال ابن اسحق
ثمانية عشر والله اعلم الثانية قال سعيد بن جبير عن قتادة عن الحسن في قوله وخروا له سجدا قال
لم يكن سجودا ولكنه سنة كانت فيهم يومون برؤسهم ايماء كانت تحيتهم وقال الثوري والضحاك
وغيرهما كان سجودا ولكنه كالسجود المعهود عندهم وهو كان تحيتهم وقيل كان انحناء كالركوع
ولم يكن خرورا على الارض وهكذا كان سلامهم بالتكفي والانحناء وقد نسخ الله ذلك كله في شرعنا
وجعل الكلام بدلا عن الانحناء واجمع المسلمون ان ذلك السجود على اي وجه كان قايما كان تحية
لا عبادة قال قتادة هذه كانت تحية الملوك عندهم واعطى الله هذه الامة السلام تحية اهل

الجنة قلت هذا الانحنا والتكفي الذي نسخ عندنا صار عادة بالديار المصرية وعند العجم وكذا قيام
بعضهم الى بعض حتى ان احدهم اذا لم يقم له وجد في نفسه انه لا يؤبه به وانه لا قدر له وكذلك
اذا التقوا انحنى بعضهم لبعض عادة مستمرة ووراثة مستقرة لا سيما عند التقاء الامرا والرؤساء
نكبوا عن السنن واعرضوا عن السنن وروى انس بن مالك قال قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا
الى بعض اذا التقينا قال لا قال افيعتنق بعضنا بعضا قال لا قلنا فيصافح بعضنا قال نعم خرجه ابو
عمر في التمهيد فان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم او خيركم يعني سعد بن
عبادة قلنا ذلك مخصوص بسعد لما تقتضيه الحال المعينة وقد قيل انما كان قيامهم لينزلوه عن
الحمار وايضا فانه يجوز للرجل الكبير اذا لم يؤثر ذلك في نفسه فان اثر فيه واعجب به ورأى لنفسه حظا
لم يجز عونه على ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم من سره ان يتمثل الناس له قياما فليتبوأ مقعده وجاء
عن الصحابة رضي الله عنهم انه لم يكن وجه اكرم عليهم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
كانوا يقومون له اذا راوه لما يعرفون من كراهته لذلك الثالثة فان قيل فما تقول في الاشارة
بالاصبع قيل له ذلك جايز اذا بعد عنك لتعين له به وقت السلام فان كان دانيا فلا وقد قيل
بالمنع في القرب والبعد لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من تشبه بغيرنا فليس
منا وقال لا تسلموا تسليم اليهود والنصارى فان تسليم اليهود بالاكف وتسليم النصارى بالاشارة واذا
سلم فانه لا ينحني ولا ان يقبل مع السلام ولان الانحناء على معنى التواضع لا ينبغي الا لله تعالى واما
تقبيل اليد فانه من فعل الاعاجم ولا يتبعون على فعالهم التي احدثوها تعظيما منهم لكبرائهم قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوموا عند راسي كما تقوم الاعاجم عند راسي كما تقوم الاعاجم عند رؤس
اكاسرها فهذا مثلها ولا باس بالمصافحة فقد صافح النبي صلى الله عليه وسلم جعفر بن ابي طالب حين
قدم من الحبشة وامر بها وندب اليها وقال تصافحوا يذهب الغل وروى غالب التمار عن الشعبي
ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اذا التقوا تصافحوا واذا قدموا من سفر تعانقوا الرابعة فان
قيل كره مالك المصافحة قلنا روى ابن وهب عن مالك انه كره المصافحة والمعانقة وذهب
الى هذا سحنون وغيره من اصحابنا وقد روى عن مالك خلاف ذلك من جواز المصافحة وهو
الذي يدل عليه معنى ما في الموطا وعلى جواز المصافحة جماعة العلماء من السلف والخلف قال
ابن العربي انما كره مالك المصافحة لانه لم يرها امرا عاما في الدين ولا منقولا نقل السلام ولو كان
منقولا لاستوى معه قلت قد جاء في المصافحة حديث يدل على الترغيب فيها والدوب عليها
والمحافظة وهو ما رواه البرا بن عازب قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ بيدي فقلت
يا رسول الله اني كنت لاحسب المصافحة للاعاجم فقال نحن احق بالمصافحة منهم ما من مسلمين
يلتقيان فياخذ احدهما بيد صاحبه مودة بينهما ونصيحة الا القيت ذنوبهما بينهما قوله تعالى
وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يقل من الجب استعمالا للكرم لئلا يذكر اخوته صنيعهم
بعد عفوه بقوله لا تثريب عليكم قلت وهذا هو الاصل عند مشايخ الصوفية ذكر الجفا في
وقت الصفا جفا وهو قول صحيح دل عليه الكتاب وقيل لان في دخول السجن كان باختياره بقوله
رب السجن احب الي مما يدعونني اليه وكان في الجب بارادة الله تعالى وقيل لانه كان في السجن
مع اللصوص والعصاة وفي الجب مع الله تعالى وايضا فان المنة في النجاة من السجن كانت اكبر
لانه دخله بسبب امر هم به وايضا دخله باختياره اذ قال رب السجن احب الي فكان الكرب
فيه اكثر وقال فيه ايضا اذكرني عند ربك فعوقب فيه وجاء بكم من البدو يروى ان مسكن

يعقوب كان بارض كنعان وكانوا اهل مواشي وبرية وقيل كان يعقوب تحول الى بادية وسكنها وان
الله تعالى لم يبعث نبيا من اهل البادية وقيل كان خرج الى بدا وهو موضع واياه عنى جميل بقوله
وانت الذي حببت شعبا الى بدا الي واوطاني بلاد سواهما وليعقوب بهذا الموضع مسجد تحت جبل
يقال بدا القوم بدوا اذا اتوا بدا كما يقال غاروا غورا اي اتوا الغور والمعنى وجاء بكم من مكان بدا ذكره
القشيري وحكاه الماوردي عن ابن عباس من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي بايقاع الحسد
قاله ابن عباس وقيل افسد ما بيني وبين اخوتي احال ذنبهم على الشيطان تكرما منه ان ربي لطيف
لما يشاء اي رفيق بعباده وقال الخطابي اللطيف البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويسبب
لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون كقوله الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وقيل اللطيف العالم
بدقايق الامور والمراد هنا الاكرام والرفق قال قتادة لطف بيوسف باخراجه من السجن وجاء
باهله من البدو ونزع من قلبه نزغ الشيطان ويروى ان يعقوب لما قدم باهله وولده وشارف
ارض مصر وبلغ يوسف ذلك استاذن يوسف الملك واسمه الريان ان ياذن له في تلقي ابيه ويخبره
بقدومه فاذن له وامر الملا من اصحابه بالركوب معه فخرج يوسف والملك معه في اربعة الاف
من الامرا مع كل امير خلق الله اعلم بهم وركب اهل مصر معهم يتلقون يعقوب فكان يعقوب متكئا
على يهودا فنظر يعقوب الى الخيل والناس والعساكر فقال يا يهودا اهذا فرعون مصر قال لا هذا
ابنك يوسف فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه فذهب يوسف يبدوه بالسلام فمنع من ذلك وكان
يعقوب احق بذلك منه وافضل فابتدا يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان
وبكى وبكى معه يوسف فبكى يعقوب فرحا وبكى يوسف لما راى ما بابيه من الحزن قال ابن عباس
البكاء اربعة بكاء من الخوف وبكاء من الجزع وبكاء من الفرح وبكاء ريا ثم قال يعقوب
الحمد لله الذي اقر عيني بعد الهموم والاحزان فدخل مصر في اثنين وثمانين من اهل بيته فلم
يخرجوا من مصر حتى بلغوا وقطعوا البحر مع موسى عليه السلام في ستمائة الف ونيف ورواه عكرمة
عن ابن عباس وحكى ابن مسعود دخلوا مصر وهم ثلاثة وتسعون انسانا بين رجل وامراة
وخرجوا مع موسى وهم ستمائة الف وسبعون الفا وقال الربيع بن خيثم دخلوها وهم اثنان
وسبعون الفا وخرجوا مع موسى وهم ستمائة الف وقال وهب دخل يعقوب وولده مصر وهم
تسعون انسانا ما بين رجل وامراة وصغير وخرجوا منها مع موسى فرارا من فرعون وهم ستمائة
الف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا مقاتلين سوى الذرية والهرمى والزمنا وكانت الذرية
الف الف ومايتا الف سوى المقاتلة قال اهل التواريخ اقام يعقوب بمصر اربعا وعشرين
سنة في اغبط حال ونعمة ومات بمصر واوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند
ابيه اسحق بالشام ففعل ثم انصرف الى مصر قال سعيد بن جبير نقل يعقوب عليه السلام في
تابوت من ساج حتى يدفنه عند ابيه اسحق بالشام الى بيت المقدس ووافق ذلك يوم مات
عيصو فدفنا في قبر واحد فمن ثم تنقل اليهود موتاهم الى بيت المقدس من فعل ذلك منهم وولد
يعقوب وعيصو في بطن واحد ودفنا في قبر واحد وكان عمرهما جميعا مائة وسبعة واربعون
سنة قوله تعالى رب قد اتيتني من الملك الاية قال قتادة لم يتمن الموت احد نبي ولا
غيره الا يوسف عليه السلام حين تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل اشتاق الى لقاء ربه عز
وجل وقيل ان يوسف لم يتمن الموت وانما تمنى الوفاة على الاسلام اي اذا جاء اجلي توفني مسلما
وهذا قول الجمهور وقال سهل بن عبد الله التستري لا يتمنى الموت الا ثلاث رجل جاهل

بما بعد الموت او رجل يفر من اقدار الله تعالى عليه او مشتاق محب للقاء الله عز وجل وثبت في الصحيح
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به فان كان لا بد متمنيا
فليقل اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي رواه مسلم وفيه عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت ولا يدع به قبل ان ياتيه انه
اذا مات احدكم انقطع عمله وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا واذا ثبت هذا فكيف يقال ان
يوسف عليه السلام تمنى الموت والخروج من الدنيا وقطع العمل هذا بعيد الا ان يقال ان ذلك
كان جايزا في شرعه اما انه يجوز تمني الموت والدعاء به عند ظهور الفتن وغلبتها وخوف ذهاب
الدين على ما بيناه في التذكرة ومن في قوله من الملك للتبعيض وكذلك قوله وعلمتني من تاويل
الاحاديث لان ملك مصر ما كان كل الملك وعلم التعبير ما كان كل العلم وقيل من للجنس كقوله
فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقيل للتاكيد اي اتيتني الملك وعلمتني تاويل الاحاديث قوله
تعالى فاطر السموات والارض نصب على النعت للنداء وهو رب لانه نداء مضاف والتقدير يا رب
ويجوز ان يكون نداء ثانيا والفاطر الخالق فهو سبحانه فاطر الموجودات اي خالقها ومبدعها و
منشيها ومخترعها على الاطلاق من غير شيء ولا مثال سبق وقد تقدم هذا المعنى في البقرة مستوفى
عند قوله بديع السموات والارض وزدنا بيانا في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى انت
وليي اي ناصري ومتولي اموري في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين يريد اباه
الثلاثة ابرهيم واسحق ويعقوب فتوفاه الله طاهرا طيبا عليه السلام ودفن في النيل في
صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب ان يدفن في محلتهم لما يرجون
من بركته واجتمعوا على ذلك حتى هموا بالقتال فراوا ان يدفنوه في النيل من حيث مفرق الماء فيمر
عليه الماء ثم يتفرق في جميع مصر فيكونون فيه شرعا ففعلوا فلما خرج موسى ببني اسرائيل اخرجه
من النيل ونقل تابوته بعد اربعمائة سنة الى بيت المقدس فدفنه مع ابائه لدعوته والحقني
بالصالحين وكان عمره مائة عام وسبعة اعوام وعن الحسن قال القي يوسف في الجب
وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في العبودية والسجن والملك ثمانين سنة ثم جمع له شمله
فعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة وكان له من الولد افرايم ومنشا ورحمة زوجة ايوب
في قول ابن لهيعة قال الزهري وولد لافرايم بن يوسف نون بن افرايم وولد نون يوشع فهو
يوشع بن نون وهو فتى موسى الذي كان معه صاحب امره ونباه الله في زمن موسى عليه السلام
فكان بعده نبيا وهو الذي افتتح اريحا وقتل من كان بها من الجبابرة واستوقفت له الشمس
حسبما تقدم بيانه في المائدة وولد لمنشا بن يوسف موسى بن منشا قبل موسى بن عمران
واهل التورية يزعمون انه هو الذي طلب العالم ليتعلم منه حتى ادركه والعالم هو الذي خرق
السفينة وقتل الغلام وبنى الجدار وموسى بن منشا معه حتى بلغ معه حيث بلغ وكان ابن
عباس ينكر ذلك والحق الذي قاله ابن عباس وكذلك في القران ثم كان بين يوسف وموسى
امم وقرون وكان فيما بينهما شعيب صلوات الله عليهم اجمعين قوله تعالى ذلك من انباء الغيب
ابتداء وخبر نوحيه اليك خبر ثان قال الزجاج ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونوحيه اليك
خبره اي الذي من انباء الغيب نوحيه اليك يعني هو الذي قصصنا عليك يا محمد من امر يوسف
من اخبار الغيب نوحيه اليك اي نعلمك بوحي هذا اليك وما كنت لديهم اي مع اخوة يوسف اذ اجمعوا
امرهم في القاء يوسف في الجب وهم يمكرون اي بيوسف في القائه في الجب وقيل يمكرون بيعقوب حين

جاؤه بالقميص ملطخا بالدم اي ما شاهدت تلك الاحوال ولكن الله اطلعك عليها قوله تعالى وما
اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ظن ان العرب لما سالته عن هذه القصة واخبرهم بها انهم
يؤمنون فلم يؤمنوا فنزلت الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي ليس تقدر على هداية من اردت
هدايته يقال حرص يحرص مثل ضرب يضرب وفي لغة ضعيفة حرص يحرص مثل حمد يحمد
والحرص طلب الشيء باختيار قوله تعالى وما تسئلهم عليه من اجر اي من صلة اي ما تسئلهم جعلا
ان هو يعني ما هو يعني القران والوحي الا ذكر يعني عظة وتذكرة للعالمين قوله تعالى وكاين
من اية في السموات والارض قال الخليل وسيبويه هي اي دخل عليها كاف التشبيه فصارت بمعنى كم
وقد مضى في ال عمران القول فيها مستوفى ومضى القول في اية السموات والارض في البقرة وقيل
الايات اثار عقوبات الامم السالفة اي هم غافلون معرضون عن تاملها وقرا عكرمة وعمرو بن فايد والارض
رفعا ابتداء وخبره يمرون عليها وقرا السدي والارض نصبا باضمار فعل والوقف على هاتين القراءتين
على السموات وقرا ابن مسعود يمشون عليها قوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون نزلت
في قوم اقروا بان الله خالقهم وخالق الاشياء كلها وهم يعبدون الاوثان قاله الحسن ومجاهد وعامر
الشعبي واكثر المفسرين وقال عكرمة هو قوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ثم يصفونه بغير
صفته ويجعلون له اندادا وعن الحسن ايضا انهم اهل كتاب معهم شرك وايمان امنوا بالله وكفروا بمحمد
صلى الله عليه وسلم فلا يصح ايمانهم حكاه ابن الانباري وقال ابن عباس نزلت في تلبية مشركي العرب
لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وعنه ايضا انهم النصارى وعنه ايضا
انهم المشبهة امنوا مجملا واشركوا مفصلا وقيل نزلت في المنافقين المعنى وما يؤمن اكثرهم بالله اي
باللسان الا وهو كافر بقلبه ذكره الماوردي عن الحسن ايضا وقال عطا هذا في الدعاء وذلك ان
الكفار ينسون ربهم في الرخاء فاذا اصابهم البلاء اخلصوا في الدعاء وظنوا انهم احيط بهم الاية
وقوله تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه الاية وفي اية اخرى واذا مسه الشر فذو
دعاء عريض وقيل معناها انهم يدعون الله ينجيهم من الهلكة فاذا انجاهم قال قايلهم
لولا فلان ما نجونا ولولا الكلب لدخل علينا اللص ونحو هذا فيجعلون نعمة الله منسوبة الى
فلان ووقايته منسوبة الى الكلب قلت وقد يقع في هذا القول والذي قبله كثير من
الناس المسلمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقيل نزلت هذه الاية في قصة الدخان
وذلك ان اهل مكة لما غشيهم الدخان في سني القحط قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون
فذلك ايمانهم وشركهم عودهم الى الكفر بعد كشف العذاب بيانه قوله انكم عايدون والعود
لا يكون الا بعد ابتداء فيكون معنى الا وهم مشركون اي الا وهم عايدون والله اعلم قوله تعالى
افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله قال ابن عباس مجللة وقال مجاهد عذاب يغشاهم
نظيره يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال قتادة وقيصة تقع بهم
وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع او تاتيهم الساعة يعني القيمة بغتة نصب على الحال
واصله المصدر وقال المبرد جاء عن العرب حال بعد نكرة وهو قولهم وقع امر بغتة وفجاءة
قال النحاس ومعنى بغتة اصابة من حيث لم تتوقع وهم لا يشعرون هو توكيد ومعنى بغتة قال
ابن عباس تصيح الصيحة بالناس وهم على اسواقهم ومواضعهم كما قال وهم يخصمون على ما ياتي
قوله تعالى قل هذه سبيلي ابتداء وخبر اي قل يا محمد هذه طريقتي ومنهاجي قاله ابن زيد وقال
الربيع دعوتي مقاتل ديني والمعنى واحد اي الذي انا عليه وادعو اليه يؤدي الى الجنة على بصيرة

اي على يقين وحو منه فلان مستبصر بهذا انا توكيد ومن اتبعني عطف على المضمر وسبحان اي قل يا محمد
سبحان الله وما انا من المشركين الذين يتخذون من دون الله اندادا قوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى هذا رد على القائلين لولا انزل عليه اي ارسلنا رجالا
ليس فيهم امراة ولا جني ولا ملك وهذا يرد ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في النساء
اربع نبيات حوى واسية وام موسى ومريم وقد تقدم في ال عمران شي من هذا من اهل القرى
يريد المداين ولم يبعث نبيا من اهل البادية لغلبة الجفا والقسوة على البدو ولان اهل الامصار
اعقل واحلم وافضل واعلم قال الحسن لم يبعث الله نبيا من اهل البادية قط ولا من النساء ولا من
الجن وقال قتادة من اهل القرى اي من اهل الامصار لانهم اعلم واحلم وقال العلماء من شرط الرسول
ان يكون رجلا ادميا مدنيا وانما قالوا ادميا تحرزا من قوله يعوذون برجال من الجن والله اعلم قوله
تعالى ولدار الاخرة خير ابتدا وخبر وزعم الفراء ان الدار هي الاخرة واضيف الشي الى نفسه
لاختلاف اللفظ كيوم الخميس وبارحة الاولى قال الشاعر ولو اقوت عليك ديار عبس عرفت
الديار عرفان اليقين اي عرفانا ويقينا واحتج الكسائي بقولهم صلاة الاولى واحتج الاخفش
بمسجد الجامع قال الزجاج اضافة الشي الى نفسه محال لانه انما يضاف الى غيره ليتعرف به والاجود
الصلاة الاولى ومن قال صلاة الاولى فمعناه عند صلاة الفريضة الاولى وانما سميت الاولى
لانها اول ما صلي حين فرضت الصلاة واول ما اظهر فلذلك قيل لها ايضا الظهر والتقدير
ولدار الحال الاخرة خير وهذا قول البصريين والمراد بهذه الدار الجنة اي خير للمتقين وقرئ
وللدار الاخرة وقرا نافع وعاصم ويعقوب وغيرهم بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على
الخبر انتهى قوله تعالى حتى اذا استياس الرسل تقدم القول فيه ومعناه وظنوا انهم قد كذبوا
وهذه الاية فيها تنزيه الانبياء وعصمتهم عما لا يليق بهم وهذا الباب عظيم وخطره جسيم
ينبغي الوقوف عليه لئلا يزل الانسان فيكون في سواء الجحيم المعنى وما ارسلنا قبلك يا محمد
الا رجالا ثم لم نعاقب امتهم بالعقاب حتى اذا استياس الرسل اي يئسوا من ايمان قومهم وظنوا
انهم قد كذبوا بالتشديد اي ايقنوا ان قومهم كذبوهم اي خافوا ان يدخل في قلوب اتباعهم شك
فيكون وظنوا على بابه في هذا التاويل وقرا ابن عباس وابن مسعود وابو عبد الرحمن السلمي وابو
جعفر بن القعقاع والحسن وقتادة وابو رجا العطاردي وعاصم وحمزة والكسائي ويحيى بن
وثاب والاعمش وخلف كذبوا بالتخفيف اي ظن القوم ان الرسل كذبوهم فيما اخبروا به من
العذاب ولم يصدقوا وقيل المعنى ظن الامم ان الرسل قد كذبوا فيما دعوا به من نصرهم وفي رواية
عن ابن عباس ظن الرسل ان الله اخلف ما وعدهم وقيل لم تصح هذه الرواية لانه لا يظن الرسل
هذا الظن ومن ظن هذا الظن لا يستحق نصرا فكيف قال جاءهم نصرنا قال القشيري ابو نصر ولا يبعد
ان صحت الرواية ان المراد خطرة بقلوب البشر من غير ان يحققوه في نفوسهم وفي الخبر ان
الله تعالى تجاوز لامتي ما حدثت به نفسها ما لم ينطق به لسان او تعمل به ويجوز ان يقال
قربوا من ذلك الظن كقولك بلغت المنزل اي قربت منه وذكر الثعلبي والنحاس عن ابن عباس قال
كانوا بشرا فضعفوا من طول البلاء ونسوا وظنوا انهم اخلفوا ثم تلا حتى يقول الرسول والذين امنوا
معه متى نصر الله وقال الترمذي الحكيم وجهه عندنا ان الرسل كانت تخاف بعدما وعد الله
النصر لا من تهمة بوعد الله ولكن لتهمة النفوس ان تكون قد احدثت حدثا ينقض ذلك الشرط
والعهد الذي عهد اليهم فكانت اذا طالت المدة دخلهم الاياس والظنون من هذا الوجه

وقال المهدوي عن ابن عباس ظنت الرسل انهم قد اخلفوا على ما يلحق البشر واستشهد بقول ابراهيم عليه الصلاة
والسلام رب ارني كيف تحيي الموتى الاية والقراءة الاولى اولى وقرا مجاهد وحميد قد كذبوا بفتح الكاف
والذال مخففا على معنى وظن قوم الرسل ان الرسل قد كذبوا لما راوا من تفضله عز وجل في تاخير العذاب
ويجوز ان يكون المعنى وايقن الرسل ان قومهم قد كذبوا على الله بكفرهم جاء الرسل نصرنا وفي البخاري
عن عروة عن عايشة قالت له وهو يسالها عن قول الله عز وجل حتى اذا استياس الرسل قال قلت اكذبوا
ام كذبوا قالت عايشة كذبوا قلت فقد استياسوا ان قومهم كذبوهم فما هو بالظن قالت اجل لعمري
لقد استيقنوا بذلك فقلت لها وظنوا انهم قد كذبوا قالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك من
قومهم وظنت الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصرنا عند ذلك وفي قوله تعالى جاءهم نصرنا
قولان احدهما جاء الرسل نصر الله قاله مجاهد الثاني جاء القوم عذاب الله قاله ابن عباس فننجي
من نشاء قيل الانبياء ومن امن معهم وروي عن عاصم فنجي من نشاء بنون واحدة مفتوحة اليا ومن
في موضع رفع اسم ما لم يسم فاعله واختار ابو عبيد هذه القراءة لانها في مصحف عثمان وساير مصاحف
البلدان بنون واحدة وقرا ابن محيصن فنجا فعل ماض ومن في موضع رفع لانه الفاعل وعلى قراءة
الباقين نصبا على المفعول ولا يرد باسنا اي عذابنا عن القوم المجرمين اي الكافرين المشركين قوله تعالى
لقد كان في قصصهم اي في قصة يوسف وابيه واخوته وفي قصص الامم عبرة وفكرة وتذكرة
وعظة لاولي الالباب اي العقول وقال محمد بن اسحق عن الزهري عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي
ان يعقوب عاش مائة سنة وتسعة واربعين سنة وتوفي اخوه عيصو معه في يوم واحد وقبرا
في قبر واحد فذلك قوله لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب الى اخر السورة ما كان حديثا
يفترى اي ما كان القران حديثا يفترى او ما كانت هذه القصة حديثا يفترى ولكن تصديق
الذي بين يديه اي ما كان قبله من التورية والانجيل وساير كتب الله تعالى وهذا تاويل من زعم
انه القران وتفصيل كل شي مما يحتاج العباد اليه من الحلال والحرام والشرايع والاحكام وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون والله سبحانه اعلم سورة الرعد وهي مكية في قول الحسن
وعكرمة وعطا وجابر ومدنية في قول الكلبي وقال ابن عباس وقتادة الا الايتين منها نزلتا
بمكة قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال بسم الله الرحمن الرحيم
المر تلك ايات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون الله
الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل
مسمى يدبر الامر يفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذي مد الارض وجعل فيها
رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير
صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم واولئك
الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم
ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شي عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة
الكبير المتعال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار

له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال قوله المر تلك ايات
الكتاب تقدم القول فيه والذى انزل اليك يعنى وهذا القران الذى انزل اليك من ربك هو الحق لا
كما يقول المشركون انك تاتى به من تلقاء نفسك فاعتصم به واعمل بما فيه قال مقاتل نزلت لما قال المشركون
ان محمدا اتى بالقران من تلقاء نفسه والذى فى موضع رفع عطفا على ايات او على الابتدا والحق خبره ويجوز
ان يكون موضعه جرا على تقدير وايات الذى انزل اليك وارتفاع الحق على هذا على اضمار مبتدا تقديره
ذلك الحق كقوله تعالى وهم يعلمون الحق يعنى ذلك الحق قال الفراء وان شئت جعلت الذى خفضا نعتا
للكتاب وان كانت فيه الواو كما يقال اتانا هذا الكتاب عن ابى حفص والفاروق ومنه قول الشاعر
الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم يريد الى الملك القرم ابن الهمام ليث الكتيبة ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون قوله تعالى الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها الاية لما بين تعالى ان القران
حق بين ان من انزله قادر على الكمال فانظروا فى مصنوعاته تعرفوا كمال قدرته وقد تقدم هذا
المعنى وفى قوله تعالى بغير عمد ترونها قولان احدهما انها مرفوعة بغير عمد قاله قتادة واياس
بن معاوية وغيرهما الثانى لها عمد ولكنا لا نراه قال ابن عباس لها عمد على قاف ويمكن ان يقال على
هذا القول العمد قدرته التى يمسك بها السموات والارض وهو غير مرئية لنا ذكره الزجاج وقال
ابن عباس ايضا هى توحيد المؤمن اعمدت السماوية حين كادت تنفطر من كفر الكافر ذكره الغزنوى
والعمد جمع عمود قال النابغة وخيس الجن انى قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد ثم استوى
على العرش تقدم الكلام فيه وسخر الشمس والقمر اى ذللهما لمنافع خلقه ومصالح عباده وكل مخلوق
مذلل للخالق كل يجرى لاجل مسمى اى الى وقت معلوم وهو فناء الدنيا وقيام الساعة التى عندها
تكسف الشمس ويخسف القمر وتنكدر النجوم وتنتثر الكواكب وقال ابن عباس اراد بالاجل المسمى
درجاتهما ومنازلهما التى ينتهيان اليها لا يجاوزانها وقيل معنى الاجل المسمى ان القمر يقطع فلكه فى
شهر والشمس فى سنة يدبر الامر اى يصرفه على ما يريد يفصل الايات اى يبينها اى من قدر على هذه
الاشياء يقدر على الاعادة ولهذا قال لعلكم بلقاء ربكم توقنون قوله تعالى وهو الذى مد الارض
اى بسط الارض طولا وعرضا وجعل فيها رواسى اى جبالا ثوابت واحدها راسية لان الارض ترسو
بها اى تثبت والارسا الثبوت قال عنترة فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع
وقال جميل احبها والذى ارسى قواعده حتى اذا ظهرت اياته بطنا وقال ابن عباس وعطا اول
جبل وضع على الارض ابو قبيس مسئلة فى هذه الاية رد على من زعم ان الارض كالكرة ورد على
من زعم ان الارض تهوى ابوابها وزعم ابن الراوندى ان تحت الارض جسما صعادا كالريح الصعادة
وهو منحدرة فاعتدل الهاوى والصعادى فى الجرم والقوة وزعم اخرون ان الارض مركبة من
جسمين احدهما منحدر والاخر مصعد فاعتدلا فلذلك وقفت والذى عليه المسلمون واهل الكتاب
القول بوقوف الارض وسكونها ومدها وان حركتها انما تكون فى العادة بزلزلة تصيبها قوله تعالى
وانهارا اى مياها جارية فى الارض فيها منافع الخلق ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين
يعنى صنفين قال ابو عبيدة الزوج واحد ويكون اثنين الفراء يعنى بالزوجين ههنا الذكر والانثى
وهو خلاف النص وقيل معنى زوجين نوعان كالحلو والحامض والرطب واليابس والابيض والاسود
والصغير والكبير ان فى ذلك لايات اى دلالات وعلامات لقوم يتفكرون قوله تعالى وفى الارض
قطع متجاورات الى قوله يعقلون فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى وفى الارض قطع متجاورات كما قال

سرابيل تقيكم الحر والمعنى تقيكم البرد ثم حذف لعلم السامع والمتجاورات المدن وما كان عامرا وغير
متجاورات الصحارى وما كان غير عامر الثانية قوله تعالى متجاورات اى قرى متدانيات ترابها واحد
وماؤها واحد وفيها زروع وجنات ثم تتفاوت فى الثمار والثمر فيكون البعض حلوا والبعض حامضا
والغصن الواحد من الشجر قد يختلف الثمر من الصغر والكبر واللون والطعم واذا انبسط الشمس والقمر على
الجميع على نسق واحد وفى هذا ادل دليل على وحدانيته وعظم صمديته والارشاد لمن ضل عن
معرفته فانه نبه سبحانه بقوله تسقى بماء واحد على ان ذلك كله ليس الا بمشيئته وارادته وانه
مقدور بقدرته وهذا ادل دليل على بطلان القول بالطبع اذ لو كان ذلك بالماء والتراب والفاعل
له الطبيعة لما وقع الاختلاف وقيل وجه الاحتجاج انه اثبت التفاوت بين البقاع فمن تربة عذبة
ومن تربة سبخة مع تجاورهما وهذا ايضا من دلالات كمال قدرته تعالى عما يقول الظالمون
والجاحدون علوا كبيرا الثالثة ذهبت الكفار لعنهم الله الى ان كل حادث يحدث بنفسه لا من صانع
وادعوا ذلك فى الثمار الخارجة من الاشجار وقد اقروا بحدوثها وانكروا الاعراض وقالت فرقة
بحدوث الثمار لا من صانع واثبتوا للاعراض فاعلا والدليل على ان الحادث لا بد له من محدث انه
يحدث فى وقت ويحدث ما هو من جنسه فى وقت اخر فلو كان حدوثه فى وقته لاختصاصه به لوجب
ان يحدث فى وقته كلما هو من جنسه واذا بطل اختصاصه بوقته صح ان اختصاصه به لاجل مخصص
خصه به لولا تخصيصه اياه به لم يكن حدوثه فى وقته اولى من حدوثه قبل ذلك او بعده و
استيفاء هذا فى علم الكلام الرابعة قوله تعالى وجنات من اعناب قرا الحسن وجنات بكسر التاء
على تقدير وجعل فيها جنات فهو محمول على قوله جعل فيها رواسى ويجوز ان يكون مجرورة على الحملة
على كل التقدير من كل الثمرات ومن جنات والباقون جنات بالرفع على تقدير وبينهما جنات وزرع
ونخيل صنوان وغير صنوان بالرفع ابن كثير وابو عمرو وحفص عطفا على الجنات اى على تقدير
وفى الارض وزرع ونخيل وخفضها الباقون نسقا على الاعناب فيكون الزرع والنخيل من الجنات
الجنات ويجوز ان يكون معطوفا على حسب ما تقدم فى جنات وقرا مجاهد والسلمى وغيرهما صنوان
بضم الصاد الباقون بالكسر وهما لغتان وهو جمع صنو وهى النخلات او النخلتان يجمعهن اصل واحد
وتتشعب منه رؤس فيصير نخيلا نظيرها قنوان واحدها قنو وروى ابو اسحق عن البراء قال الصنوان
المجتمع وغير الصنوان المتفرق النحاس وكذلك هو فى اللغة اذا كانت فيها نخلة او اكثر صنوان
والصنو المثل ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه ولا فرق فيها بين التثنية والجمع
ولا بالاعراب فتعرب نون الجمع وتكسر نون التثنية قال الشاعر العلم والحلم خلتا كرم للمرء زين
اذا هما اجتمعا صنوان لا يستتم حسنهما الا بجمع ذا وذاك معا الخامسة قوله تعالى تسقى بماء
واحد كصالح بنى ادم وخبيثهم ابوهم واحد قاله النحاس والبخارى وقرا عاصم وابن عامر يسقى بالياء اى يسقى
ذلك كله وقرا الباقون بالتاء لقوله جنات واختاره ابو حاتم وابو عبيد قال ابو عبيدة قال
ابو عمرو والتانيث احسن لقوله ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ولم يقل بعضه وقرا حمزة
والكسائى وغيرهما ويفضل بالياء ردا على قوله يدبر ويفصل ويغشى الباقون بالنون على معنى ونحن
نفضل وروى جابر بن عبد الله قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لعلى رضى الله عنه الناس من
شجر شتى وانا وانت من شجرة واحدة ثم قرا النبى صلى الله عليه وسلم وفى الارض قطع متجاورات حتى
بلغ يسقى بماء واحد والاكل الثمر قال ابن عباس يعنى الحلو والحامض والفارسى والدقل وروى
مرفوعا من حديث ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى ونفضل بعضها

علي بعض في الاكل قال الفارسي والدقل والحلو والحامض ذكره الثعلبي وقال الحسن المراد بهذه الاية المثل ضربه الله تعالى لبني ادم اصلهم واحد وهم مختلفون في الخير والشر والايمان والكفر كاختلاف الثمار التي تسقى بماء واحد ومنه قول الشاعر "الناس كالنبت ونبت الارض الوان" منها شجر الصندل والكافور والبان" ومنها شجر تنضح طول الدهر قطران" انتهى قوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يعقلون اي لعلامات لمن له قلب يفهم عن الله تعالى قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم اي ان تعجب يا محمد من تكذيبهم لك بعدما كنت عندهم الصادق الامين فاعجب منه تكذيبهم بالبعث والله تعالى لا يتعجب ولا يجوز عليه التعجب لانه تغير الشي بما يخفى اسبابه وانما ذكر ذلك ليتعجب منه نبيه والمومنون وقيل المعنى ان عجبت يا محمد من انكارهم الاعادة مع اقرارهم باني خالق السموات والارض والثمار المختلفة من الارض الواحدة فقولهم عجب يعجب منه الخلق لان الاعادة في معنى الابتدا وقيل الاية في منكري الصانع اي ان تعجب من انكارهم الصانع مع الادلة الواضحة بان المتغير لا بد له من مغير فهو محل التعجب ونظم الاية يدل على الاول والثاني لقوله ائذا كنا ترابا اي انبعث اذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد وقري انا والاغلال جمع غل وهو طوق يشد به اليد الى العنق اي يغلون يوم القيمة بدليل قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم الى قوله ثم في النار يسجرون وقيل الاغلال اعمالهم السيئة التي هي لازمة لهم قوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة اي لفرط انكارهم وتكذيبهم يطلبون العذاب قيل هو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء قال قتادة طلبوا العقوبة قبل العافية وقد حكم سبحانه بتاخير العقوبة عن هذه الامة اي يوم القيمة وقيل قبل الحسنة اي قبل الايمان الذي يرجى به الامان والحسنات والمثلات والعقوبات الواحدة مثلة وروي عن الاعمش انه قرا المثلات بضم الميم والثاء وهذا جمع مثله ويجوز ان يبدل من الضمة فتحة لثقلها وقيل باتي بالفتحة عوضا من الهاء وروي عن الاعمش انه قرا المثلات بفتح الميم واسكان الثاء فهذا جمع مثلة ثم حذف الضمة لثقلها ذكر جميعه النحاس وعلى قراءة الجماعة واحدة مثلة نحو صدقة وصدقات وتميم بضم الثاء والميم جميعا وواحدها على لغتهم مثلة بضم الميم وجزم الثاء مثل غرفة وغرفات والفعل منه مثلت به امثل مثلا بضم الميم وسكون الثاء وان ربك لذو مغفرة اي ذو تجاوز عن المشركين اذا امنوا وعن المذنبين اذا تابوا وقال ابن عباس ارجى اية في كتاب الله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب اذا اصروا على الكفر وروي حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنا لاحد عيش ولولا عقابه ووعيده من عذابه لاتكل كل احد قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا اي هلا انزل عليه من ربه لما اقترحوا الايات وطلبوها قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم انما انت منذر اي معلم ولكل قوم هاد اي نبي يدعوهم الى الله وقيل الهادي الله اي عليك الانذار والله هادي كل قوم ان اراد هدايتهم قوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل انثى الى قوله المتعال فيه ثمانية مسائل الاولى قوله تحمل كل انثى اي من كل انثى من ذكر وانثى صبيح وقبيح وصالح وطالح وقد تقدم في سورة الانعام ان الله سبحانه منفرد بعلم الغيب وحده لا شريك له وذكرنا هناك حديث البخاري عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس الحديث وفيه ولا يعلم ما تغيض الارحام

الا

الا الله تعالى واختلف العلماء في تاويل قوله وما تغيض الارحام وما تزداد فقال قتادة المعنى ما تسقط قبل التسعة الاشهر وما تزداد فوق التسعة وكذلك قال ابن عباس وقال مجاهد اذا حاضت المراة في حملها كان ذلك نقصانا في ولدها فان زادت على التسعة كان تماما لما نقص وعنه الغيض ما تنقصه الارحام من الدم والزيادة ما تزداد منه وقيل الغيض والزيادة يرجعان الى الولد كنقصان اصبع او غيرها او زيادة اصبع او غيرها وقيل الغيض انقطاع دم الحيض وما تزداد بدم النفاس بعد الوضع الثانية في هذه الاية دليل على ان الحامل تحيض وهو مذهب مالك والشافعي في احد قوليه وقال عطا والشعبي وغيرهما لا تحيض وبه قال ابو حنيفة ودليلنا الاية قال ابن عباس في تاويلها انه حيض الحبالى وكذلك روي عن عكرمة ومجاهد وهو قول عايشة وانها كانت تفتي النساء الحوامل اذا حضن ان يتركن الصلاة والصحابة اذ ذاك متوافرون ولم ينكر احد منهم عليها فصار كالاجماع قاله ابن القصار وذكر ان رجلين تنازعا ولدا فترافعا الى عمر رضي الله عنه فعرضه على القافة فالحقه القافة بهما فعلاه عمر بالدرة وسال نسوة من قريش فقال انظرن ما شان هذا الولد فقلن ان الاول خلا بها وخلاها فحاضت على الحمل فظنت ان عدتها انقضت فدخل بها الثاني فقال عمر الله اكبر والحقه بالاول ولم يقل ان الحامل لا تحيض ولا قال ذلك احد من الصحابة فدل على انه اجماع والله اعلم احتج المخالف بان قال لو كانت الحامل تحيض وكان ما تراه من الدم حيضا لما صح استبراء الامة بحيض وهو اجماع وروي عن مالك في كتاب محمد ما يقتضي انه ليس بحيض الثالثة في هذه الاية دليل على ان الحامل قد تضع حملها لاقل من تسعة اشهر واكثر واجمع العلماء على ان اقل الحمل ستة اشهر وان عبد الملك بن مروان ولد لستة اشهر الرابعة وهذه الستة الاشهر هي بالاهلة كساير اشهر الشريعة ولذلك قد روي في المذهب عن بعض اصحاب مالك واظنه في كتاب ابن حارث انه ان نقص من الاشهر الستة ثلاثة ايام فان الولد يلحق لعلة نقص الشهور وزيادتها حكاه ابن عطية الخامسة واختلف العلماء في اكثر الحمل فروي ابن جريج عن جميلة بنت سعد عن عايشة قالت لا يكون الحمل اكثر من سنتين قدر ما يتحول ظل المغزل ذكره الدارقطني وبنت سعد وعن الليث بن سعد ان اكثره ثلاث سنين وعن الشافعي اربع سنين وروي عن مالك في احد روايتيه والمشهور عنه خمس سنين وروي عنه لا حد له ولو زاد على العشرة الاعوام وهي الرواية الثالثة عنه وعن الزهري ست وسبع قال ابو عمر ومن الصحابة من يجعله الى سبع والشافعي مدته الغاية منها اربع سنين والكوفيون يقولون سنتان لا غير ومحمد بن عبد الحكم يقول سنة لا اكثر وداود يقول تسعة اشهر لا يكون عنده حمل اكثر منها قال ابو عمر وهذه مسئلة لا اصل لها الا الاجتهاد والرد الى ما عرف من امر النساء وبالله التوفيق روي الدارقطني عن الوليد بن مسلم قال قلت لمالك ابن انس اني حدثت عن عايشة انها قالت لا تزيد المراة في حملها على سنتين قدر ظل المغزل فقال سبحان الله من يقول هذا هذه جارتنا امراة محمد بن عجلان تحمل وتضع في اربع سنين مراة صدق وزوجها رجل صدق حملت ثلاثة ابطن في اثني عشر سنة تحمل كل بطن اربع سنين وذكره عن المبارك بن مجاهد قال مشهور عندنا كانت امراة محمد بن عجلان تحمل وتضع في اربع سنين وكانت تسمى حاملة الفيل وروي ايضا قال بينما مالك بن دينار يوما جالس اذ جاءه رجل فقال يا ابا يحيى ادع لامراة حبلى منذ اربع سنين قد اصبحت في كرب شديد فغضب مالك واطبق المصحف ثم قال ما يرى هولاء القوم الا انا انبيا ثم قرا ثم دعا ثم قال اللهم هذه المراة ان كان في بطنها

يح فاخرجه عنها الساعة وان كان في بطنها جارية فابدلها بها غلاما انك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك
ام الكتاب ثم رفع مالك يده ورفع الناس ايديهم وجاء الرسول الى الرجل فقال ادرك امراتك
فذهب الرجل فما حط مالك يده حتى طلع الرجل من باب المسجد على رقبته غلام جعد قطط ابن اربع
سنين قد استوت اسنانه ما قطعت سراره وروي ايضا ان رجلا جاء الى عمر بن الخطاب فقال يا امير
المؤمنين اني غبت عن امراتي سنتين فجئت وهي حبلى فشاور عمر الناس في رجمها فقال معاذ بن
جبل يا امير المؤمنين ان كان لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل فاتركها حتى تضع
فتركها فولدت غلاما قد خرجت ثنيتاه فعرف الرجل الشبه فقال ابني ورب الكعبة فقال عمر
عجزت النساء ان يلدن مثل معاذ لولا معاذ هلك عمر وقال الضحاك وضعتني امي وقد حملت بي
في بطنها سنتين فولدتني وقد خرجت سني ويذكر عن مالك انه حمل به في بطن امه ثلاث سنين
فماتت به وهو يضطرب اضطرابا شديدا فشق بطنها واخرج وقد نبتت اسنانه وقال حماد
بن سلمة انما سمي هرم بن حيان هرما لانه بقي في بطن امه اربع سنين وذكر الغزنوي ان الضحاك
وضع لسنتين وقد طلعت سنه فسمي ضحاكا عباد بن العوام ولدت جارية لنا لاربع سنين
غلاما شعره الى منكبيه فمر به طير فقال كش السادسة قال ابن خويز منداد اقل الحيض والنفاس
واكثره واقل الحمل واكثره ماخوذ من طريق الاجتهاد لان علم ذلك استاثر الله به فلا يجوز ان يحكم
في شيء منه الا بقدر ما اظهره لنا ووجد ظاهرا في النساء نادرا ومعتادا ولما وجدنا امراة قد
حملت اربع سنين وخمس سنين حكمنا بذلك والنفاس والحيض لما لم نجد فيه امرا مستقرا رجعنا
فيه الى اكثر ما يوجد في النادرة منهن السابعة قال ابن العربي نقل بعض المتساهلين من المالكية
ان اكثر الحمل تسعة اشهر وهذا ما لم ينطق به قط الا هالكي وهم الطبايعيون الذين يزعمون
ان مدبر الحمل في الرحم الكواكب السبعة تاخذه شهرا شهرا ويكون الشهر الرابع منها للشمس ولذلك
يتحرك ويضطرب واذا تكامل التداول في السبعة الاشهر من الكواكب السبعة عاد في الشهر
الثامن الى زحل فيلقيه ببرده فياليتني تمكنت من مناظرتهم او مقابلتهم ما بال المرجع بعد
تمام الدور الى زحل دون غيره آلله اخبركم بهذا ام على الله تفترون واذا جاز ان يعود الى اثنين
منها لم لا يجوز ان يعود التدبير الى ثلاث او اربع او يعود الى جميعها مرتين او ثلاثا ما هذا
التحكم بالظنون الباطلة على الامور الباطنة الثامنة قوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار يعني
من النقصان والزيادة ويقال بمقدار قدر خروج الولد من بطن امه وقدر مكثه في بطن
امه وقال قتادة في الرزق والاجل والمقدار والقدر وعموم الاية يتناول كل ذلك والله اعلم
التاسعة هذه الاية يمدح الله سبحانه وتعالى بها بانه عالم الغيب والشهادة اي هو
عالم بما غاب عن الخلق وبما شاهدوه فالغيب مصدر بمعنى الغايب والشهادة مصدر بمعنى الشاهد
فنبه سبحانه بما على انفراده بعلم الغيب والاحاطة بالباطن الذي يخفى على الخلق فلا يجوز
ان يشاركه في ذلك احد فاما اهل الطب الذين يستدلون بالامارات والعلامات فان قطعوا
بذلك فهو كفر وان قالوا انها تجربة تركوا وما هم عليه ولم يقدح ذلك في الممدوح فان العادة
يجوز انكسارها والعلم لا يجوز تبدله والكبير الذي كل شيء دونه المتعال عما يقول المشركون المستعلي
على كل شيء بقدرته وقهره وقد ذكرناهما في شرح اسماء الله الحسنى مستوفى والحمد لله قوله تعالى
سواء منكم من اسر القول ومن جهر به اسرار القول ما حدث به المرء نفسه والجهر ما حدث به
غيره والمراد بذلك ان الله سبحانه وتعالى يعلم ما اسره الانسان من خير او شر كما يعلم ما جهر

به من خير وشر ومنكم يحتمل ان يكون وصفا لسواء التقدير سر من اسر وجهر من جهر سواء منكم ويجوز ان
يتعلق بسواء على معنى يستوي منكم كقولك مررت بزيد ويجوز على تقدير سر من اسر منكم وجهر من جهر منكم
سواء ويجوز ان يكون التقدير ذو سواء منكم من اسر القول ومن جهر به كما تقول عدل زيد وعمرو اي ذوا عدل
وقيل سواء اي مستو فلا يحتاج الى تقدير حذف مضاف ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار اي يستوي
في علم الله السر والجهر والظاهر في الطرقات والمستخفي في الظلمات وقال الاخفش وقطرب المستخفي بالليل
الظاهر ومنه خفيت الشيء واخفيته اي اظهرته واختفيت الشيء اي استخرجته ومنه قيل للنباش المختفي
وقال امرؤ القيس خفاهن من انفاقهن كانما خفاهن ودق من عشي مجلب والسارب المتواري
اي الداخل سربا ومنه قولهم انسرب الوحش اذا دخل كناسه وقال ابن عباس مستخف مستتر وسارب
ظاهر مجاهد مستخف بالمعاصي وسارب ظاهر وقيل معنى سارب ذاهب قال الكسائي سرب يسرب سربا اذا
ذهب قال الشاعر وكل اناس قاربوا قيد فحلهم ونحن خلعنا قيده فهو سارب اي ذاهب وقال ابو
رجاء السارب الذاهب على وجه الارض قال الشاعر اني سربت وكنت غير سروب وقال القتبي سارب
بالنهار اي متصرف في حوائجه بسرعة من قولهم انسرب الماء وقال الاصمعي خلى سربه اي طريقه قوله تعالى
له معقبات اي لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل اعقبتها ملائكة
النهار وقال معقبات والملائكة مذكرون لانه جمع معقبة يقال ملك معقب وملائكة معقبة
ثم معقبات جمع الجمع وقرا بعضهم له معاقيب من بين يديه ومن خلفه ومعاقيب جمع معقب
وقيل للملائكة معقبة على لفظ الملائكة وقيل انث لكثرة ذلك منهم نحو نسابة وعلامة وراوية
قاله الجوهري وغيره والتعقيب العود بعد البدء قال الله تعالى ولى مدبرا ولم يعقب اي لم يرجع
وفي الحديث معقبات لا يخيب قايلهن او فاعلهن فذكر التسبيح والتحميد والتكبير قال ابو الهيثم سمين
معقبات لانهن عادت مرة بعد مرة فكل من عمل عملا ثم عاد اليه فقد عقب والمعقبات من
الابل اللواتي يقمن عند اعجاز الابل المعتركات على الحوض فاذا انصرفت ناقة دخلت مكانها اخرى
وقوله من بين يديه اي يدي المستخفي بالليل والسارب بالنهار يحفظونه من امر الله اختلف في هذا
الحفظ فقيل يحتمل ان يكون توكيل الملائكة بهم لحفظهم من الوحوش والهوام والاشياء المضرة
لطفا منه فاذا جاء القدر خلوا بينه وبينه قاله ابن عباس وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال ابو
مجلز جاء رجل من مراد الى علي فقال احترس فان ناسا من مراد يريدون قتلك فقال ان مع
كل رجل ملكين يحفظانه ما لم يقدر فاذا جاء القدر خليا بينه وبين القدر وان الاجل جنة
حصينة وعلى هذا يحفظونه من امر الله اي بامر الله وباذنه فمن بمعنى الباء وحروف الصفات
يقوم بعضها مقام بعض وقيل من بمعنى عن اي يحفظونه عن امر الله وهذا قريب من الاول اي
حفظهم عن امر الله لا من عند انفسهم وهذا قول الحسن تقول كسوته عن عري ومنه قوله تعالى
اطعمهم من جوع اي عن جوع وقيل يحفظونه من ملائكة العذاب حتى لا تحل به عقوبة لان الله تعالى
لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بانفسهم بالاصرار على الكفر فاذا اصروا وحان
الاجل المضروب نزلت بهم النقمة وتزول عنهم الحفظة المعقبات وقيل يحفظونه من الجن قال
كعب لولا ان الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن
وملائكة العذاب من امر الله وخصهم بان قال من امر الله لانهم غير معاينين كما قال قل
الروح من امر ربي اي ليس مما تشاهدونه انتم وقال الفراء في الكلام تقديم وتاخير تقديره
له معقبات من امر الله من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وهو مروي عن مجاهد وابن جريج

والنخعي وقال ان ملائكة العذاب والجن من الله لا تقديم فيه ولا تاخير وقال ابن جريج ان المعنى يحفظون
عليه عمله فحذف المضاف وقال قتادة يكتبون اقواله وافعاله ويجوز اذا كانت المعقبات الملائكة
ان تكون الهاء في له لله عز وجل كما ذكرنا ويجوز ان تكون للمستخفي فهذا قول وقيل له معقبات من
بين يديه ومن خلفه يعني به النبي صلى الله عليه وسلم اي ان الملائكة تحفظه من اعدائه وقد
جرى ذكر الرسول في قوله لولا انزل عليه اية من ربه انما انت منذر اي سواء منكم من اسر القول
ومن جهر به في انه لا يضر النبي صلى الله عليه وسلم بل له معقبات يحفظونه عليه الصلاة والسلام
ويجوز ان يرجع هذا الى جميع الرسل لانه قال ولكل قوم هاد اي يحفظون الهادي من بين يديه
ومن خلفه وقول رابع ان المراد بالاية السلاطين والامراء الذين لهم قوم من بين ايديهم ومن
خلفهم فاذا جاء امر الله لم يغنوا عنهم من الله شيئا قاله ابن عباس وعكرمة وكذلك قال
الضحاك هو السلطان المحترس من امر الله المشرك وقد قيل ان في الكلام على هذا التاويل نفي
محذوف تقديره لا يحفظونه من امر الله ذكره الماوردي قال المهدوي ومن جعل المعقبات
الحرس فالمعنى يحفظونه من امر الله على ظنه وزعمه وقيل سواء من اسر القول ومن جهر به فله حراس
واعوان يتعاقبون عليه فيحملونه على المعاصي ويحفظونه من ان ينجع فيه وعظ قال القشيري وهذا
لا يمنع الرب من الامهال الى ان يحق العذاب وهو اذا غير هذا العاصي ما بنفسه بطول الاصرار
فيصير ذلك سببا للعقوبة فكانه الذي يحل العقوبة بنفسه فقوله يحفظونه من امر الله اي من
امتثال امر الله وقال عبد الرحمن بن زيد المعقبات ما يتعاقب من امر الله تعالى وقضائه في
عباده قال الماوردي ومن قال بهذا القول ففي تاويل قوله يحفظونه من امر الله وجهان احدهما
يحفظونه من الموت ما لم يأت اجله قاله الضحاك الثاني يحفظونه من الجن والهوام المؤذي
ما لم يأت قدر قاله ابو امامة وكعب الاحبار فاذا جاء المقدور خلوا عنه والصحيح ان المعقبات
الملائكة وبه قال الحسن ومجاهد وقتادة وابن جريج وروي عن ابن عباس واختاره النحاس
واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار الحديث رواه
الائمة وروى ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس انه قرا معقبات من بين يديه ورقباء من خلفه
يحفظونه فهذا قد بين المعنى وقال كنانة العدوي دخل عثمان على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله اخبرني عن العبد كم معه من ملك قال ملك عن يمينك يكتب الحسنات واخر عن الشمال
يكتب السيئات والذي على اليمين امين على الذي على الشمال فاذا عملت حسنة كتبت عشرا واذا
عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين اكتب قال لا لعله يستغفر الله او يتوب
فاذا قال ثلاثا قال نعم اكتب اراحنا الله منه فبئس القرين هو وما اقل مراقبته لله عز وجل
واقل حياءه منا يقول الله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وملكان من بين يديك
ومن خلفك يحفظونه من امر الله وملكان على ناصيتك وليس يحفظان عليك الا الصلاة على
محمد واله وملك قائم على فيك لا يدع ان تدخل الحية في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة
املاك على كل ادمي يتداولون ملائكة الليل ليسوا بملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكا على كل
ادمي وابليس مع ابن ادم بالنهار وولده بالليل ذكره الثعلبي وقال الحسن المعقبات اربعة املاك
يجتمعون عند صلاة الفجر واختار الطبري ان المعقبات المواكب بين يدي الملوك خلفهم والهاء في
له لهؤلاء على ما تقدم وعن العلماء رضوان الله عليهم ان الله سبحانه وتعالى جعل اوامره على وجهين
احدهما قضى حلوله ووقوعه بصاحبه فذلك لا يدفعه احد ولا يغيره والاخر قضى مجيئه ولم يقض

حلوله ووقوعه بل قضى صرفه بالتوبة والدعاء والصدقة والحفظ قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم اخبر تعالى في هذه الاية انه لا يغير ما بقوم حتى يقع منهم تغيير اما منهم واما من الناظر
لهم او ممن هو منهم بسبب كما غير الله بالمنهزمين يوم احد بسبب تغيير الرماة بانفسهم الى هذا من
امثلة الشريعة فليس معنى الاية انه ليس ينزل باحد عقوبة الا بان يتقدم منه ذنب بل قد ينزل المصائب بذنوب الغير
كما قال صلى الله عليه وسلم وقد سئل انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث والله اعلم قوله تعالى
واذا اراد الله بقوم سوءا اي هلاكا وعذابا فلا مرد له وقيل اذا اراد بهم بلاء من امراض واسقام
فلا مرد لبلائه وقيل اذا اراد الله بقوم سوءا اعمى ابصارهم حتى يختاروا البلاء ويعملوه فيمشون الى هلاكهم باقدامهم
حتى يبحث احدهم عن حتفه بكفه ويسعى بقدمه الى اراقة دمه وما لهم من دونه من وال اي ملجا
وهو معنى قول السدي وقيل من ناصر يمنعهم من عذابه وقال الشاعر ما في السماء سوى الرحمن
من وال ووال وولي كقادر وقدير قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب
الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم
يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون
لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال
ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال قل من رب
السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل
هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه
فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار انزل من السماء ماء فسالت
اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او
متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع
الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين
لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء
الحساب وماواهم جهنم وبئس المهاد قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب
الثقال اي بالمطر والسحاب جمع والواحدة سحابة وسحب وسحايب في الجمع ايضا ويسبح الرعد
بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق تقدم في البقرة القول في الرعد والبرق والصواعق
فلا معنى للاعادة والمراد بالاية بيان كمال قدرته وان تاخير العقوبة ليس عن عجز اي يريكم البرق
في السماء خوفا للمسافر فانه يخاف اذاه لما يناله من المطر والهول والصواعق قال الله تعالى
اذى من مطر وطمعا للحاضر ان يكون عقيبه مطر وخصب قال معناه قتادة ومجاهد وغيرهما خوفا
من صواعق البرق طمعا في غيثه المزيل للقحط وينشئ السحاب الثقال قال مجاهد اي بالماء ويسبح الرعد
بحمده من قال ان الرعد صوت السحاب فيجوز ان يسبح الرعد بتقدير خلق الحياة فيه ودليل صحة
هذا القول قوله والملائكة من خيفته فلو كان الرعد ملكا لدخل في جملة الملائكة ومن قال
انه ملك قال من خيفته من خيفة الله قاله الطبري وغيره قال ابن عباس ان الملائكة خائفون
من الله ليس كخوف ابن ادم لا يعرف واحدهم من على يمينه ومن على يساره لا يشغلهم عن عبادة الله
طعام ولا شراب وعنه قال الرعد ملك يسوق السحاب وان بخار الماء لفي نقرة ابهامه وانه
موكل بالسحاب يصرفه حيث يؤمر وانه يسبح الله فاذا سبح الرعد لم يبق ملك في السماء الا رفع
صوته بالتسبيح فعندها ينزل القطر وعنه ايضا كان اذا سمع صوت الرعد قال سبحان الذي

سبحت له وروى مالك عن عامر بن عبد الله عن ابيه انه كان اذا سمع صوت الرعد قال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثم يقول ان هذا وعيد لاهل الارض شديد وقيل انه ملك جالس على كرسي بين السماء والارض وعن يمينه سبعون الف ملك وعن يساره مثل ذلك فاذا اقبل على يمينه وسبح سبح الجميع من خوف الله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ذكره الماوردي عن ابن عباس وعلي ابن ابي طالب ومجاهد نزلت في يهودي قال للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني من اي شيء ربك امن لؤلؤ ام من ياقوت فجاءت صاعقة فاحرقته وقيل نزلت في بعض كفار العرب قال الحسن كان رجل من طواغيت العرب بعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا يدعونه الى الله ورسوله والاسلام فقال اخبروني عن رب محمد ما هو ومما هو امن فضة ام من حديد ام من نحاس فاستعظم القوم مقالته فقال اجيب محمدا الى رب لا اعرفه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم اليه مرارا وهو يقول مثل هذا فبينا النفر ينازعونه ويدعونه اذا ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وابرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر وهم جلوس فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم قالوا اوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ذكره الثعلبي عن الحسن والقشيري بمعناه عن انس وسيأتي وقيل نزلت في اربد بن ربيعة اخي لبيد بن ربيعة العامري بن بريد ان النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد جالس في نفر من اصحابه فدخلا المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان اعور وكان من اجمل الناس فقال رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذا يا رسول الله عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام عليه فقال يا محمد ما لي ان اسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال اتجعل لي الامر من بعدك قال ليس ذلك الي انما ذلك الى الله يجعله حيث يشاء قال افتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها في سبيل الله قال اوليس لي اعنة الخيل اليوم قم معي اكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر اومى الى اربد اذا رايتني اكلمه فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم ويراجعه فاخترط اربد سيفه شبرا ثم حبسه الله فلم يقدر على سله ويبست يده على سيفه وارسل الله تعالى عليه صاعقة في يوم صائف صاح فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك على اربد حتى قتلته والله لاملأنها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال عليه الصلاة والسلام يمنعك الله من ذلك وابنا قيلة يعني الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امراة سلولية واصبح وهو يقول والله لئن اصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله ملكا فلطمه بجناحه فادراه في التراب وخرجت على ركبته غدة عظيمة في الوقت فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم ركب على فرسه حتى مات على ظهره ورثى لبيد بن ربيعة اخاه اربد فقال عيني هلا بكيت اربد اذ قمت وقام الخصوم على كبد اخشى على احد الحتوف ولا ارهب يوم السماك والاسد فجعني الرعد والصواعق بالفارس يوم الكريهة النجد وفيه قال ان الرزية لا رزية مثلها فقدان كل اخ كضوء الكوكب يا اربد الخير الكريم جدوده افردتني امشي بقرن اعضب واسلم لبيد بعد ذلك رضي الله عنه مسئلة روى ابان عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تاخذ الصاعقة ذاكرا لله عز وجل

وقال ابو هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع صوت الرعد يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وقال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فان اصابته صاعقة فعلي ديته وذكر الخطيب من حديث سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عن ابيه عن جده قال كنا مع عمر في سفر فاصابنا رعد وبرد فقال لنا كعب من قال حين يسمع الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاثا عوفي مما يكون في ذلك الرعد ففعلنا فعوفينا فلقيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاذا بردة قد اصابت انفه فاثرت فقلت ان كعبا حين سمع الرعد قال لنا من قال حين يسمع الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاثا عوفي مما يكون في ذلك الرعد فقلنا فعوفينا فقال افلا قلتم لنا حتى نقولها وقد تقدم هذا المعنى في البقرة قوله تعالى وهم يجادلون في الله يعني جدال اليهود حين سال عن الله تعالى من اي شيء هو قاله مجاهد وقال ابن جريج جدال اربد فيما هم به من قتل النبي صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون وهم يجادلون في الله حالا ويجوز ان يكون منقطعا وروى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى عظيم من المشركين يدعوه الى الله عز وجل فقال لرسوله اخبرني عن الهك هذا اهو من فضة ام من ذهب ام من نحاس فاستعظم ذلك فرجع اليه فاعلمه فقال ارجع اليه فادعه فرجع اليه وقد اصابته صاعقة وعاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نزل وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال قال ابن الاعرابي المحال المكر والمكر من الله عز وجل التدبير بالحق النحاس المكر من الله ايصال المكروه الى من يستحقه من حيث لا يشعر وروى ابن اليزيدي عن ابي زيد وهو شديد المحال اي النقمة وقال الازهري المحال اي الشدة والقوة والمحل الشدة الميم اصلية وماحلت فلانا وقال ابن عرفة المحال الجدال يقال ماحل عن امره اي جادل وقال القتبي اي شديد الكيد واصله من الحيلة جعل ميمه كميم المكان واصله من الكون ثم يقال تمكن وقال الازهري غلط ابن قتيبة ان الميم فيه زائدة بل هي اصلية واذا رايت الحرف على مثال فعال اوله ميم مكسورة مثل مهاد وملاك ومراس وغير ذلك من الحروف ومفعل اذا كان من بنات الثلاثة فانه يجيء باظهار الواو مثل مزود ومحول ومحور وغيرها من الحروف وقال غيره وقرا الاعرج وهو شديد المحال بفتح الميم وجاء تفسيره على هذه القراءة عن ابن عباس انه الحول ذكر ذلك كله ابو عبيد الهروي الا ما ذكرناه اولا عن ابن الاعرابي واقاويل الصحابة والتابعين بمعناها وهي ثمانية اولها شديد العداوة قاله ابن عباس وثانيها شديد الحول قاله ابن عباس ايضا وثالثها شديد الاخذ قاله علي ابن ابي طالب ورابعها شديد الحقد قاله ابن عباس وخامسها شديد القوة قاله مجاهد وسادسها شديد الغضب قاله وهب ابن منبه وسابعها شديد الهلاك بالمحل وهو القحط قاله الحسن ايضا وثامنها شديد الحيلة قاله قتادة وقال ابو عبيدة معمر المحال والمماحلة المغالبة وانشد للاعشى فرع نبع يهتز في غصن المجد كثير الندى عظيم المحال وقال اخر ولبس بين اقوام فكل اعد له السقارب والمحالا وقال عبد المطلب لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك قوله تعالى له دعوة الحق اي لله دعوة الصدق قال ابن عباس وقتادة وغيرهما لا اله الا الله وقال الحسن ان الله هو الحق فدعاؤه دعوة الحق وقيل ان الاخلاص في الدعاء هو دعوة الحق قاله بعض المتاخرين وقيل دعوة الحق دعاؤه عند الخوف فانه لا يدعى فيه الا اياه قاله الماوردي وهو اشبه بسياق الاية لانه قال والذين يدعون من دونه يعني الاصنام والاوثان لا يستجيبون لهم بشيء اي لا يجيبون لهم دعاء ولا

يدعون لهم نداء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ضرب الله عز وجل الماء مثلا لـ
ياسهم من الاجابة لدعائهم لان العرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلا بالقابض الماء باليد قال
فاصبحت فيما كان بيني وبينها من الود مثل القابض الماء باليد وفي معنى هذا المثل ثلاثة اوجه
احدها ان الذي يدعو من دون الله كالظمآن الذي يدعو الماء الى فيه بلسانه ويشير اليه بيده
فلا ياتيه ابدا لان الماء لا يستجيب وما الماء ببالغ اليه قاله مجاهد الثاني انه كالظمآن الذي يرى
خياله في الماء وقد بسط كفه فيه ليبلغ فاه وما هو ببالغه لكذب ظنه وفساد توهمه قاله ابن
عباس الثالث انه كباسط كفيه الى الماء ليقبض عليه فلا يحصل في كفه شيء منه وزعم الفراء
ان المراد بالماء هاهنا البير لانها معدن للماء وان المثل كمن مد يده الى البير بغير رشاء وشاهده
قول الشاعر فان الماء ماء ابي وجدي وبيري ذو حفرت وذو طويت قال علي رضي الله عنه
هو كالعطشان على شفة البير فلا يبلغ قعر البير ولا الماء يرتفع اليه ومعنى الا كباسط الا كاستجابة
باسط كفيه الى الماء فالمصدر مضاف الى الباسط ثم حذف المضاف وفاعل المصدر المضاف مراد
في المعنى وهو الماء والمعنى الا كاجابة باسط كفيه الى الماء واللام في قوله ليبلغ فاه متعلقة بالبسط
وقوله وما هو ببالغه كناية عن الماء اي وما الماء ببالغ فاه ويجوز ان يكون هو كناية عن الفم
اي ما الفم ببالغ الماء وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي ليست عبادة الكافرين الاصنام الا في
ضلال لانها شرك وقيل الا في ضلال اي يضل عنهم ذلك الدعاء فلا يجدون منه شيئا كما قال اين
ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وقال ابن عباس اي اصوات الكافرين محجوبة عن
الله تعالى فلا يسمع دعاءهم قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها قال
الحسن وقتادة وغيرهما المومن يسجد طوعا والكافر يسجد كرها بالسيف وعن قتادة ايضا يسجد
الكافر كارها حين لا ينفعه الايمان وقال الزجاج سجود الكافر كرها ما فيه من الخضوع واثر
الصنعة وقال ابن زيد طوعا من دخل في الاسلام رغبة وكرها من دخل رهبة بالسيف وقيل
طوعا من طالت مدة اسلامه فالف السجود وكرها من يكره نفسه لله تعالى فالاية في المومنين
وعلى هذا يكون معنى والارض وبعض من في الارض القشيري وفي الاية مسلكان احدهما انها
عامة والمراد بها التخصيص والمومن يسجد طوعا وبعض الكفار يسجدون كرها وخوفا كالمنافقين
فالاية محمولة على هولاء ذكره الفراء وقيل على هذا القول في الاية في المومنين منهم من يسجد طوعا
لا يثقل عليه السجود ومنهم من يثقل عليه لان التزام التكليف مشقة ولكنهم يتحملون المشقة اخلاصا
وايمانا الى ان يالفوا الحق ويمرنوا عليه والمسلك الثاني وهو الصحيح اجرا الاية على التعميم وعلى هذا
طريقان احدهما ان المومن يسجد طوعا واما الكافر فمامور بالسجود مواخذ به والثاني وهو الحق
ان المومن يسجد ببدنه طوعا وكل مخلوق من المومن والكافر يسجد من حيث انه مخلوق يسجد دلالة
وحاجة الى الصانع وهذا كقوله وان من شيء الا يسبح بحمده وهو تسبيح دلالة لا تسبيح عبادة وظلالهم
بالغدو والاصال اي ظلال الخلق ساجدة لله تعالى بالغدو والاصال لانها تبين في هذين
الوقتين وتميل من ناحية الى ناحية وذلك تصريف الله اياها على ما يشاء وهو قوله تعالى اولم
يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون قاله ابن
عباس وغيره وقال مجاهد ظل المومن يسجد طوعا وهو طايع وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره وقال
ابن الانباري يجعل للظلال عقول تسجد بها وتخشع بها كما جعل للجبال افهاما حتى خاطبت وخوطبت
قال القشيري في هذا نظر لان الجبل عين فيمكن ان يكون له عقل بشرط تقدير الحياة واما الظلال

فانها اعراض ولا يتصور تقدير الحياة لها والسجود بمعنى الميل فسجود الظلال ميلها من جانب الى جانب يقال
سجدت النخلة اي مالت والاصال جمع اصل والاصل جمع اصيل وهو ما بين العصر الى الغروب ثم اصايل
جمع الجمع قال ابو ذويب لعمري لانت البيت اكرم اهله واقعد في افيائه بالاصايل وظلالهم يجوز ان
يكون معطوفا على من ويجوز ان يكون ارتفع بالابتداء والخبر محذوف والتقدير وظلالهم سجد بالغدو
والاصال والغدو يجوز ان يكون مصدرا ويجوز ان يكون جمع غداة يقوي كونه جمعا مقابلة الجمع الذي
هو الاصال به قوله تعالى قل من رب السموات والارض امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول
للمشركين من رب السموات والارض ثم امره ان يقول لهم هو الله الزاما للحجة ان لم يقولوا ذلك
وجهلوا من هو قل افاتخذتم من دونه اولياء هذا يدل على اعترافهم بان الله هو الخالق اذ لو لم
يكونوا معترفين بان الله هو الخالق لم يكن للاحتجاج بقوله قل افاتخذتم من دونه اولياء معنى دليله
قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله اي فاذا اعترفتم فلم تعبدون غيره
وذلك الغير لا ينفع ولا يضر وهو الزام صحيح ثم ضرب لهم مثلا فقال قل هل يستوي الاعمى والبصير فكذلك
المومن الذي يبصر الحق والمشرك الذي لا يبصر الحق وقيل الاعمى مثل لما عبدوه من دون الله والبصير
مثل الله تعالى ام هل تستوي الظلمات والنور اي الشرك والايمان وقرا ابن محيصن وابو بكر والاعمش
وحمزة والكسائي يستوي بالياء لتقدم الفعل ولان تانيث الظلمات ليس بحقيقي الباقون بالتاء واختاره
ابو عبيد قال لانه لم يحل بين المونث والفعل حايل والظلمات والنور مثل الايمان والكفر ونحن لا
نقف على كيفية ذلك ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم فلا بد دون خلق الله
من خلق الهتهم قل الله خالق كل شيء اي قل لهم يا محمد ان الله خالق كل شيء فلزم لذلك ان يعبده كل شيء
والاية رد على المشركين والقدرية الذين زعموا انهم خلقوا كما خلق الله وهو الواحد قبل كل شيء القهار
الغالب على كل شيء الذي يغلب في مراده كل مريد قال القشيري ابو نصر ولا يبعد ان تكون الاية واردة
فيمن لا يعترف بالصانع اي سلهم عن خالق السموات والارض فانه يسهل تقرير الحجة فيه عليهم ويقرب الامر
من الضرورة فان عجز الجماد وعجز كل مخلوق عن خلق السموات والارض معلوم واذا تقرر هذا وبان
ان الصانع هو الله فكيف يجوز اعتقاد الشريك له وبين في اثناء الكلام انه لو كان للعالم صانعان
لاشتبه الخلق ولم يتميز فعل هذا من فعل ذاك فبم يعلم ان الفعل من اثنين قوله تعالى انزل من السماء
ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ضرب مثلين للحق والباطل فشبه الكفر بالزبد
الذي يعلو الماء فانه يضمحل ويعلق بجنبات الاودية وتدفعه الرياح فكذلك يذهب الكفر ويضمحل على
ما نبينه قال مجاهد فسالت اودية بقدرها بملئها وقال ابن جريج بقدر صغرها وكبرها وقرا الاشهب
العقيلي والحسن بقدرها بسكون الدال والمعنى واحد وقيل معناها بما قدر لها والاودية جمع الوادي
وسمي واديا لخروجه وسيلانه فالوادي على هذا اسم للماء السايل وقال ابو علي فسالت اودية توسع اي سال
ماوها فحذف قال ومعنى بقدرها بمياهها لان الاودية ما سالت بقدر انفسها فاحتمل السيل زبدا رابيا
اي طالعا عاليا مرتفعا فوق الماء وتم الكلام قاله مجاهد ثم قال ومما توقدون عليه في النار وهو
المثل الثاني ابتغاء حلية اي حلية الذهب والفضة او متاع زبد مثله قال مجاهد الحديد والنحاس
والرصاص وقوله زبد مثله اي يعلو هذه الاشياء زبد كما يعلو السيل وانما احتمل السيل الزبد
لان الماء خالطه تراب الارض فصار ذلك زبدا كذلك ما يوقد عليه في النار من الجوهر ومن الذهب
والفضة انما ينبت من الارض في المعادن فقد خالطه التراب فانما يوقد عليه ليذوب فيزايله تراب
الارض فصار ذلك زبدا كذلك وقوله فاما الزبد فيذهب جفاء قال مجاهد جمودا وقال ابو عبيدة

قال ابو عمرو بن العلا اجفأت الارض اذا غلت حتى ينصب زبدها واذا جمد في سفلها والجفاء ما اجفاه
الوادي اي رمى به وحكى ابو عبيدة انه سمع رؤبة يقرا جفالا قال ابو عبيدة اجفلت القدر اذا قذفت
بزبدها واجفلت الريح السحاب اذا قطعته واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض قال مجاهد هو الماء الخالص
الماء الصافي وقيل الماء وما خلص من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص وهوان
المثلان ضربهما الله للحق في ثباته وللباطل في اضمحلاله فالباطل وان علا في بعض الاحوال فانه يضمحل
كاضمحلال الزبد وقيل المراد مثل ضربه الله للقران وما يدخل منه القلوب فشبه القران بالمطر لعموم
خيره وبقاء نفعه وشبه القلوب بالاودية يدخل فيها من القران مثل ما يدخل في الاودية بحسب
سعتها وضيقها قال ابن عباس انزل من السماء ماء قال قرانا فسالت اودية بقدرها قال الاودية
قلوب العباد قال صاحب سوق العروس ان صح هذا التفسير فالمعنى فيه ان الله سبحانه مثل القران بالماء
ومثل القلوب بالاودية ومثل المحكم بالصافي ومثل المتشابه بالزبد وقيل الزبد مخايل النفس وغوايل
الشك ترتفع من حيث ما فيها فتضطرب من سلطان تلعها كما ان السيل يجري صافيا فيرفع ما يجد
في الوادي صافيا واما حلية الذهب والفضة فمثل الاحوال السنية والاخلاق الزكية التي بها جمال
الرجال وقوام صالح الاعمال كما ان من الذهب والفضة زينة النساء وبها قيمة الاشياء وقرا حميد
وابن محيصن ويحيى والاعمش وحمزة والكسائي يوقدون بالياء واختاره ابو عبيد لقوله ينفع الناس
فاخبر ولا مخاطبة ههنا الباقون بالتاء لقوله في اول الكلام قل افاتخذتم من دونه اولياء
وقوله في النار متعلق بمحذوف وهو في موضع الحال وذو الحال الهاء التي في عليه التقدير ومما
توقدون عليه ثابتا في النار او كائنا في النار ضمير مرفوع يعود الى الهاء التي هي اسم ذي الحال ولا
يستقيم ان يتعلق في النار بتوقدون من حيث لا يستقيم عليه اوقدت عليه في النار لان الموقد عليه
يكون في النار فيصير قوله في النار غير مفيد وقوله ابتغاء حلية مفعول له زبد مثله ابتدا وخبر
اي زبد مثل زبد السيل وقيل الخبر زبد قوله في النار الكسائي زبد ابتدا ومثله نعت له والخبر
في الجملة التي قبله وهو مما توقدون كذلك يضرب الله الامثال اي كما بين لكم هذه الامثال فكذلك
يضرب بها امثالا ثم قال الكلام ثم قال للذين استجابوا لربهم الحسنى لانها في نهاية استجاب بمعنى اجاب قال
فلم يستجبه عند ذاك مجيب وقد تقدم اي اجابوا الى ما دعاهم الله من التوحيد والثواب الحسنى لانها
في نهاية الحسن وقيل من الحسنى النصر في الدنيا والنعيم المقيم غدا والذين لم يستجيبوا الى الايمان به لو
ان لهم ما في الارض اي من الاموال ومثله معه ملك لهم لافتدوا به من عذاب يوم القيمة نظيره
في ال عمران ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا ان الذين كفروا وماتوا
وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به حسب ما تقدم بيانه هناك اولئك
لهم سوء الحساب اي لا يقبل لهم حسنة ولا يتجاوز لهم عن سيئة وقال فرقد السبخي قال لي ابراهيم
النخعي يا فرقد اتدري ما سوء الحساب قلت لا قال هو ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يفقد منه
ومأواهم جهنم اي مسكنهم ومقامهم جهنم وبئس المهاد اي الفراش الذي مهدوا لانفسهم قوله تعالى جل شانه
افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون
بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم
ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن
صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم

نعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الاخرة الا متاع ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر
الله الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ماب كذلك
ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي
لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض
او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
قوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر وروي انها
نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وابي جهل لعنه الله والمراد بالعمى عمى القلب والجاهل بالدين
اعمى القلب قوله تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق فيه مسئلتان الاولى الذين يوفون
هذا صفة من صفة ذوي الالباب اي انما يتذكر اولوا الالباب الموفون بعهد الميثاق والعهد اسم للجنس
اي بجميع عهود الله وهي اوامره ونواهيه التي وصى بها عبيده ويدخل في هذه الالفاظ التزام جميع
الفروض وتجنب جميع المعاصي وقوله ولا ينقضون الميثاق يحتمل ان يريد به جنس المواثيق اي اذا
عقدوا في طاعة الله عهدا لم ينقضوه قال قتادة تقدم الله في عباده في نقض الميثاق ونهى عنه
في بضع وعشرين اية ويحتمل ان يشير الى ميثاق بعينه وهو الذي اخذه الله على عباده حين اخرجهم
من صلب ابيهم ادم وقال القفال هو ما ركب في عقولهم من دلائل التوحيد والنبوات الثانية روى
ابو داود وغيره عن عوف بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة او ثمانية او تسعة
فقال الا تبايعون رسول الله وكنا حديث عهد ببيعة فقلنا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال
ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية قال لا
تسألوا الناس شيئا قال فلقد كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فما يسال احدا ان يناوله قال ابن
العربي من اعظم المواثيق في الذكر ان لا تسأل سواه فقد كان ابو حمزة الخراساني من كبار العباد سمع
ان ناسا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يسألوا احدا الحديث فقال ابو حمزة رب ان هؤلاء
عاهدوا نبيك اذ راوه وانا اعاهدك ان لا اسأل احدا شيئا قال فخرج حاجا من الشام يريد مكة
فبينما هو يمشي في الطريق من الليل اذ بقي من اصحابه لعذر ثم اتبعهم فبينما هو يمشي اليهم اذ سقط في
بئر على حاشية الطريق فلما حل في قعره قال استغيث لعل احدا يسمعني ثم قال ان الذي عاهدته
يراني ويسمعني والله ما تكلمت بحرف للبشر ثم لم يلبث الا يسيرا اذ مر بذلك البير نفر فلما راوه
على حاشية الطريق قالوا انه لينبغي سد هذا البير ثم قطعوا خشبا ونصبوها على فم البير وغطوها
بالتراب فلما راى ذلك ابو حمزة قال هذه مهلكة ثم اراد ان يستغيث بهم ثم قال والله لا اخرج
منها ابدا ثم رجع الى نفسه فقال اليس قد عاهدت من يراك ثم سكت وتوكل ثم استند في قعر البئر
مفكرا في امره فاذا بالتراب يقع عليه والخشب يرفع عنه وسمع في اثناء ذلك من يقول هات يدك
قال فاعطيته يدي فاقلني في مرة واحدة الى فم البير فخرجت فلم ار احدا فسمعت هاتفا يقول
كيف رايت ثمرة التوكل وانشد نهاني حيائي منك ان اكشف الهوى فاغنيتني بالعلم منك
عن الكشف تلطفت في امري فابديت شاهدي الى غائبي واللطف يدرك باللطف تراءيت
لي بالعلم حتى كانما يخيل لي بالغيب انك في كفي اراني وبي من هيبتي لك وحشة تؤنسني

بالتلطف منك وبالعطف ۞ وتحي محبا انت في الحب حتفه ۞ وذا عجب كيف الحياة مع الحتف ۞ قال ابن
العربي هذا رجل عاهد الله فوجد الوفا على التمام والكمال فاقتدوا به ان شاء الله تهتدوا قال ابو الفرج
الجوزي سكوت هذا الرجل في مثل هذا المقام على التوكل بزعمه اعانة على نفسه وذلك لا يحل ولو فهم
معنى التوكل لعلم انه لا ينافي استغاثته في تلك الحال كما لم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوكل
باخفائه الخروج من مكة واستيجاره دليلا واستكتامه ذلك الامر واستتاره في الغار وقوله لسراقة
اخف عنا فالتوكل الممدوح من بمكة كا لا ينال بفعل محظور وسكوت هذا الواقع في البير محظور عليه
وبيان ذلك ان الله تعالى خلق للادمي آلة يدفع بها عنه الضرر وآلة يجتلب بها النفع فاذا
عطلها مدعيا للتوكل كان ذلك جهلا بالتوكل ورد الحكمة التواضع لان التوكل انما هو اعتماد القلب
على الله تعالى وليس من ضرورته قطع الاسباب ولو ان انسانا جاع فلم يسال حتى مات دخل النار
قاله سفيان الثوري وغيره لانه قد دل على طريق السلامة فاذا تقاعد عنها اعان على نفسه قال
ابو الفرج ولا التفات الى قول ابي حمزة فجاء اسد فاخرجني فانه ان صح ذلك فقد يقع مثله اتفاقا
وقد يكون لطفا من الله تعالى بالعبد الجاهل ولا ينكر ان يكون الله تعالى لطف به انما ينكر فعله
الذي هو كسبه وهو اعانته على نفسه التي هي وديعة لله تعالى عنده وقد امره بحفظها
قوله تعالى والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ظاهر في صلة الارحام وهو قول قتادة
واكثر المفسرين وهو مع ذلك يتناول جميع الطاعات ويخشون ربهم قيل في قطع الرحم وقيل في
جميع المعاصي وسوء الحساب الاستقصاء فيه والمناقشة ومن نوقش الحساب عذب وقال ابن
عباس وسعيد بن جبير يعني يصلون ما امر الله به الايمان بجميع الكتب والرسل كلهم الحسن هو صلة
محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل رابعا ان يصلوا الايمان بالعمل ويخشون ربهم فيما امرهم بوصله ويخافون
سوء الحساب في تركه والقول الاول يتناول هذه الاقوال كما ذكرنا قوله تعالى والذين صبروا
ابتغاء وجه ربهم قيل الذين مستانف لان صبروا ماض فلا ينعطف على يوفون وقيل هو من وصف
من تقدم ويجوز الوصف تارة بلفظ الماضي وتارة بلفظ المستقبل لان المعنى من يفعل كذا فله
كذا ولما كان الذي يتضمن الشرطية والماضي في الشرط كالمستقبل جاز ذلك ولهذا قال الذين يوفون
ثم قال والذين صبروا ثم عطف عليه فقال ويدرؤن بالحسنة السيئة قال ابن زيد صبروا على
طاعة الله وصبروا عن معصية الله وقال عطا صبروا على الرزايا والمصايب والحوادث والنوايب
وقال ابو عمران الجوني صبروا على دينهم ابتغاء وجه الله الذين مستانف بوضها وخشوعها
في مواقيتها وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يعني الزكاة المفروضة عن ابن عباس وقد مضى
القول في هذا في البقرة وفي غيرها ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يدفعون بالعمل الصالح السيئ
من الاعمال قاله ابن عباس ابن زيد يدفعون الشر بالخير سعيد بن جبير يدفعون الظلم بالعفو
ابن شجرة يدفعون الذنب بالتوبة العتبي يدفعون سيئة الجاهل بالحلم فالسفه السيئة والحلم
الحسنة وقيل اذا هموا بسيئة رجعوا عنها واستغفروا وقيل يدفعون الشرك بشهادة ان لا اله
الا الله فهذه تسعة اقوال معناها كلها متقارب والاول يتناولها بالعموم ونظيره ان الحسنات
يذهبن السيئات ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق
الناس بخلق حسن قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار اي عاقبة الاخرة وهي الجنة بدل النار والدار
غدا دار الجنة للمطيع والنار للعاصي فلما ذكر وصف المطيعين فدارهم الجنة لا محالة وقيل عنى
بالدار دار الدنيا اي لهم جزاء ما عملوا من الطاعات في دار الدنيا قوله تعالى جنات عدن يدخلونها

اي لهم جنات عدن فجنات عدن بدل من عقبى ويجوز ان يكون تفسير العقبى الدار اي لهم دخول جنات
عدن لان عقبى الدار حدث وجنات عدن عين والحدث انما يفسر بحدث مثله فالمصدر المحذوف
مضاف الى المفعول ويجوز ان تكون جنات عدن خبر مبتدا محذوف وجنات عدن وسط الجنة
وقصبها وسقفها عرش الرحمن قاله القشيري ابو نصر عبد الكريم وفي صحيح البخاري اذا سالتم الله
فاسالوه الفردوس فانه وسط الجنة واعلا الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة فيحتمل
ان يكون جنات كذلك ان صح فذلك خبر وقال عبد الله بن عمرو ان في الجنة قصرا يقال له عدن
حوله البروج والمروج فيه الف باب على كل باب خمسة حبرة لا يدخلها الا نبي او صديق او شهيد
وعدن ماخوذ من عدن بالمكان اذا اقام فيه على ما ياتي بيانه في سورة الكهف ان شاء الله تعالى
ومن صلح من ابائهم يجوز ان يكون معطوفا على اولئك المعنى اولئك ومن صلح من ابائهم وازواجهم
وذرياتهم لهم عقبى الدار ويجوز ان يكون معطوفا على الضمير المرفوع في يدخلونها وحسن العطف لما حال
الضمير المنصوب بينهما ويجوز ان يكون المعنى يدخلونها ويدخل من صلح من ابائهم اي من كان صالحا
لا يدخلونها بالانساب ويجوز ان يكون موضع من نصب على تقدير يدخلونها مع من صلح من ابائهم وان
لم يعمل مثل اعمالهم يلحقه الله بهم كرامة لهم وقال ابن عباس هذا الصلاح الايمان بالله والرسول
ولو كان مع الايمان طاعات اخرى لدخلوها بطاعتهم لا على وجه التبعية قال القشيري وفي هذا
نظر لانه لا بد من الايمان فالقول في اشتراط العمل الصالح كالقول في اشتراط الايمان فالاظهر
ان هذا الصلاح من جملة الاعمال والمعنى ان النعمة غدا تتم عليهم بان جعلهم مجتمعين مع قراباتهم
في الجنة وان دخلها كل انسان برحمة الله تعالى قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب اي بالتحف والهدايا من الله تعالى تكرمة لهم سلام عليكم فاضمر القول اي قد سلمتم من الافات
وقيل هو دعاء لهم بدوام السلامة وان كانوا سالمين اي سلمكم الله فهو خبر معناه الدعاء ويتضمن
الاعتراف بالعبودية بما صبرتم اي بصبركم فما مع المصدر بمعنى المصدر والباء في بما متعلقة بمعنى
سلام عليكم ويجوز ان تتعلق بمحذوف اي هذه الكرامة بصبركم على امر الله تعالى ونهيه قاله سعيد
بن جبير وقيل على الفقر في الدنيا قاله ابو عمران الجوني وقيل على الجهاد في سبيل الله كما روي عن
عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من يدخل الجنة من خلق الله
قالوا الله ورسوله اعلم قال المجاهدون الذين تسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره فيموت
احدهم وحاجته في نفسه لا يستطيع لها قضاء فتاتيهم الملائكة فيدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال محمد بن ابراهيم كان النبي صلى الله عليه وسلم ياتي قبور الشهداء على
راس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذلك ابو بكر وعمر وعثمان وذكر البيهقي
عن ابي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ياتي الشهداء فاذا اتى فرضة الشعب يقول السلام
عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم كان ابو بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم يفعله وكان عمر بعد ابي
بكر يفعله وكان عثمان بعد عمر يفعله وقال الحسن البصري رحمه الله بما صبرتم عن فضول
الدنيا وقيل بما صبرتم على ملازمة الطاعة ومفارقة المعصية قال معناه الفضيل بن عياض
ابن زيد بما صبرتم عما تحبونه اذا فقدتموه ويحتمل سابعا بما صبرتم عن اتباع الشهوات وعن
عبد الله بن سلام وعلي بن الحسين رضي الله عنهم انه قال اذا كان يوم القيمة نادى مناد ليقم
اهل الصبر فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون الى
اين فيقولون الى الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم فيقولون من انتم فيقولون نحن اهل الصبر

قالوا وما كان صبركم قالوا صبرنا انفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معاصي الله وصبرناها على البلاء والمحن
في الدنيا قاله علي بن الحسين فتقول لهم الملائكة سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار اي نعم عاقبة
الدار التي كنتم فيها عملتم فيها ما اعقبكم هذا الذي انتم فيه فالعقبى على هذا اسم والدار هي الدنيا وقال
ابو عمران الجوني فنعم عقبى الدار الجنة عن النار وعنه فنعم عقبى الدار عقبى الدار الجنة عن الدنيا
قوله تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه لما ذكر الموفين بعهده والواصلين لامره
ذكر ما لهم ذكر عكسهم بنقض الميثاق ترك امره وقيل اهمال عقولهم فلا يتدبرون بها ليعرفوا الله
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل اي من الارحام والايمان بجميع الانبياء ويفسدون في الارض
اي بالكفر وارتكاب المعاصي اولئك لهم اللعنة اي الطرد والابعاد من الرحمة ولهم سوء الدار
اي سوء المنقلب وهو جهنم وقال سعد بن ابي وقاص والله الذي لا اله الا هو انهم الحرورية
قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لما ذكر عاقبة المؤمن وعاقبة المشرك بين ان الذي
يبسط الرزق ويقدر في الدنيا لانها دار امتحان فبسط الرزق على الكافر لا يدل على كرامته والتقتير
على بعض المؤمنين لا يدل على اهانتهم ويقدر اي يضيق ومنه ومن قدر عليه رزقه اي ضيق وقيل
يقدر يعطي بقدر الكفاية وفرحوا بالحياة الدنيا يعني مشركي مكة فرحوا بالدنيا ولم يعرفوا غيرها
وجهلوا ما عند الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة اي في جنبها الا متاع اي متاع من الامتعة كالقصعة
والسكرجة وقال مجاهد شيء قليل ذاهب من متع النهار اذا ارتفع فلا بد له من زوال ابن عباس
زاد كزاد الراعي وقيل متاع الحياة الدنيا ما يستمتع به منها وقيل ما يتزود منها الى الآخرة من
التقوى والعمل الصالح ولهم سوء الدار ثم ابتدا الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يوسع
ويضيق قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه بين ان في مواضع ان
اقتراح الآيات على الرسل جهل بعد ان رأوا آية واحدة تدل على الصدق والقائل عبد الله ابن
ابي امية واصحابه حين طالبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالآيات قل ان الله يضل من يشاء اي كما
اضلكم بعدما انزل من الآيات وحرمكم الاستدلال بها يضلكم عند نزول غيرها ويهدي اليه
من اناب من رجع والهاء في اليه للحق او للاسلام او لله عز وجل على تقدير ويهدي الى دينه وطاعته
من رجع اليه بقلبه وقيل هي للنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى الذين آمنوا في موضع نصب
لانه مفعول اي يهدي الله الذين آمنوا وقيل بدل من قوله اناب فهو في محل نصب ايضا وتطمئن
قلوبهم بذكر الله اي تسكن وتستأنس بتوحيد الله فتطمئن قال وهم تطمئن قلوبهم على الدوام
بذكر الله بالسنتهم قاله قتادة وقال مجاهد ومقاتل بوعده بالقرآن وقال سفيان بن عيينة
بن عباس بالحلف باسمه او تطمئن بذكر فضله وانعامه كما توجل بذكر عدله وانتقامه وقضائه
وقيل بذكر الله اي يذكرون الله ويتأملون آياته فيعرفون كمال قدرته عن بصيرة الا بذكر الله
تطمئن القلوب اي قلوب المؤمنين قال ابن عباس هذا في الحلف فاذا حلف خصمه بالله سكن
قلبه وقيل بذكر الله بطاعة الله وقيل بثواب الله وقيل بوعد الله وقال مجاهد هم اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم ابتدا وخبر وقيل
معناه لهم طوبى فطوبى رفع بالابتداء ويجوز ان يكون موضعه نصبا على تقدير جعل لهم
طوبى ويعطف عليه وحسن مآب على الوجهين المذكورين فترفع او تنصب وذكر عبد الرزاق
اخبرنا معمر عن يحيى بن ابي كثير عن عمرو بن زيد البكالي عن عتبة بن عبيد السلمي قال جاء اعرابي

الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الجنة وذكر الحوض فقال فيها فاكهة قال نعم شجرة تدعى طوبى قال
يا رسول الله اي شجر ارضنا تشبه قال لا تشبه شيئا من ارض شجر ارضك اأتيت الشام هناك شجرة
تدعى الجوزة تنبت على ساق وتفترش اعلاها قال يا رسول الله فما عظم اصلها قال لو ارتحلت جذعة
من ابل اهلك ما احطت باصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما وذكر الحديث وقد كتبناه بكماله في ابواب الجنة
من كتاب التذكرة والحمد لله وذكر ابن المبارك قال اخبرنا معمر عن الاشعث عن عبد الله بن شهر بن
حوشب عن ابي هريرة قال في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله تعالى لها تفتقي لعبدي عما شاء
فتفتق له عن فرس بسرجه ولجامه وهيئته كما شاء وتفتق عن الراحلة بزمامها ورحلها وهيئتها
كما شاء وعن النجائب والثياب وذكر ابن وهب من حديث شهر بن حوشب عن ابي امامة الباهلي قال
طوبى شجرة في الجنة ليس فيها دار الا فيها غصن منها ولا طير حسن الا هو فيها ولا ثمرة الا هي منها وقد
قيل ان اصلها في قصر النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ثم تنقسم فروعها على منازل اهل الجنة كما انتشر منه
العلم والايمان على جميع اهل الدنيا وقال ابن عباس طوبى لهم فرح وقرة عين وعنه ايضا ان طوبى
اسم الجنة بالحبشية وقال سعيد بن جبير الربيع بن انس هو البستان بلغة الهند قال القشيري
ان صح هذا فهو وفاق بين اللغتين وقال قتادة طوبى لهم حسنى لهم عكرمة نعما لهم ابراهيم النخعي
خير لهم وعنه ايضا كرامة من الله لهم الضحاك غبطة لهم النحاس وهذه الاقوال ترجع الى الشيء
الطيب وقال الزجاج طوبى فعلى من الطيب وهي الحالة المستطابة لهم والاصل طيبى فصارت الياء
واوا لسكونها وضم ما قبلها كما قالوا موسر وموقن قلت والصحيح انها شجرة للحديث المرفوع الذي
ذكرناه وهو صحيح على ما ذكره السهيلي ذكره ابو عمر في التمهيد ومنه نقلناه وذكره ايضا الثعلبي
في تفسيره وذكره ايضا المهدوي والقشيري عن معاوية ابن قرة عن ابيه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال طوبى شجرة في الجنة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وان
اغصانها لترى من وراء سور الجنة ومن اراد زيادة على هذه الاخبار فليطالع الثعلبي وقال ابن
عباس طوبى شجرة في الجنة اصلها في دار علي وفي كل دار مؤمن منها غصن وقال ابو جعفر محمد بن
علي سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله طوبى لهم وحسن مآب قال شجرة اصلها في داري وفروعها
في الجنة ثم سئل عنها فقال اصلها في دار علي وفروعها في الجنة فقال قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان داري ودار علي غدا في الجنة واحدة في مكان واحد وعنه صلى الله عليه وسلم هي شجرة اصلها
في داري وما من دار من دوركم الا مدلى فيها غصن منها وحسن مآب آب اذا رجع وقيل تقدير الكلام
الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وعملوا الصالحات طوبى لهم قوله تعالى كذلك ارسلناك
في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك كما ارسلنا الانبياء قاله الحسن وقيل شبه الانعام على
من ارسل عليه محمد صلى الله عليه وسلم بالانعام على من ارسل اليه الانبياء قبله لتتلو عليهم الذي
اوحينا اليك يعني القرآن وهم يكفرون بالرحمن قال مقاتل وابن جريج نزلت في صلح الحديبية حين
ارادوا ان يكتبوا كتاب الصلح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال
سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب
باسمك اللهم وهكذا كان اهل الجاهلية يكتبون فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب هذا
ما صالح عليه محمد رسول الله فقال مشركو قريش لئن كنت رسول الله وقاتلناك وصددناك
لقد ظلمناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فقال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
دعنا نقاتلهم فقال لا ولكن اكتب ما يريدون فنزلت وقال ابن عباس نزلت في كفار قريش

حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنزلت قل لهم يا محمد الذي
انكرتم هو ربي لا اله الا هو لا معبود سواه هو واحد بذاته وان اختلفت اسماء صفاته عليه
توكلت واعتمدت ووثقت رضى بقضائه وتسليما لامره وقيل سمع ابو جهل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدعو في الحجر ويقول يا الله يا رحمن فقال كان محمد ينهانا عن عبادة الالهة وهو يدعو الهين
فنزلت هذه الاية ونزل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال
هذا متصل بقوله لولا انزل عليه اية من ربه وذلك ان نفرا من مشركي مكة فيهم ابو جهل وعبد الله
بن ابي امية المخزوميان جلسوا خلف الكعبة ثم ارسلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقال له
عبد الله ان سرك ان نتبعك فسير لنا جبال مكة بالقران فاذهبها عنا حتى تنفسح فانها ارض ضيقة
واجعل لنا فيها عيونا وانهارا حتى نغرس ونزرع فلم تكن كما زعمت باهون على ربك من
داود حين سخر له الجبال تسير معه وسخر لنا الريح فنركبها الى الشام فنقضي عليها ميرتنا وحوايجنا
ثم نرجع من يومنا فقد كان سليمان سخرت له الريح كما زعمت فلست باهون على ربك من سليمان
بن داود واحي لنا قصيا جدك او من شئت انت من موتانا نسئله احق ما تقول انت ام باطل فان
عيسى كان يحيي الموتى ولست باهون على الله منه فانزل الله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال
الاية قال معناه الزبير بن العوام ومجاهد وقتادة والضحاك والجواب محذوف تقديره لكان
هذا القران لكن حذف ايجازا لما في هذا الكلام من الدلالة عليه كما قال امرؤ القيس فلو انها
نفس تموت جميعه ولكنها نفس تساقط انفسا يعني لهان علي وهذا معنى قول قتادة قال لو
فعل هذا قران قبل قرانكم وقيل الجواب متقدم وفي الكلام تقديم وتاخير اي وهم يكفرون
بالرحمن لو انزلنا هذا القران وفعلنا بهم ما اقترحوا الفرا ويجوز ان يكون الجواب لو فعل بهم
هذا لكفروا بالرحمن الزجاج ولو ان قرانا الى الموتى لما امنوا فالجواب المضمر هنا ما اظهر في قوله ولو
اننا نزلنا اليهم الملائكة الى قوله ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله قيل لله الامر جميعا اي
هو المالك لجميع الامور الفاعل لما يشاء منها فليس ما تلتمسونه مما يكون بالقران انما يكون بامر الله
قوله تعالى افلم ييئس الذين امنوا قال الفراء قال الكلبي ييئس بمعنى يعلم لغة النخع وحكاه القشيري
عن ابن عباس وقاله الجوهري في الصحاح وقيل هي لغة هوازن اي افلم يعلم عن ابن عباس ومجاهد
والحسن وقال ابو عبيدة افلم يعلموا او يتبينوا وانشد في ذلك ابو عبيدة لمالك بن عوف النصري
اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تيئسوا اني ابن فارس زهدم يسرونني من الميسر وقد تقدم في
البقرة ويروى ياسرونني من الاسر وقال رباح بن عدي الم ييئس الاقوام اني انا ابنه وان كنت عن
ارض العشيرة نائيا في كتاب الرد اني انا ابنه وكذا ذكره الغزنوي اي الم يعلم والمعنى على هذا
افلم يعلم الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا من غير ان يشاهدوا الايات وقيل هو
من الياس المعروف والمعنى افلم ييئس الذين امنوا من ايمان هؤلاء الكفار لعلمهم ان الله تبارك
وتعالى لو اراد هدايتهم لهداهم لان المؤمنين تمنوا نزول الايات طمعا في ايمان الكفار وقرا علي
وابن عباس افلم يتبين الذين امنوا من البيان قال القشيري قيل لابن عباس المكتوب افلم
ييئس فقال اظن الكاتب كتبها وهو ناعس اي زاد بعض الحروف حتى صار ييئس قال ابو بكر الانباري
روى عكرمة عن ابن ابي نجيح انه قرا افلم يتبين الذين امنوا وبها احتج من زعم انه الصواب في
التلاوة وهو باطل عن ابن عباس لان مجاهدا وسعيد بن جبير حكيا الحرف عن ابن عباس على ما
هو في المصحف بقراءة ابي عمرو وروايته عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس ثم ان معناه

افلم

افلم يتبين فان كان مراد الله تحت اللفظة التي خالفوا بها الاجماع فقراءتنا تقع عليها وتاتي بتاويلها وان
اراد الله المعنى الاخر الذي الياس فيه ليس من طريق العلم فقد سقط ما اوردوا واما سقوطه مبطل القران
ولزوم اصحابه البهتان ان لو يشاء الله ان مخففة من الثقيلة اي انه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
وهو يرد على القدرية وغيرهم قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة اي داهية تفجؤهم
بكفرهم وعتوهم يقال قرعه امر اذا اصابه والجمع قوارع والاصل في القرع الضرب كما قال الشاعر افنى
تلادي وما جمعت من نشب قرع القواقيز افواه الاباريق اي لا يزال الكافرون تصيبهم داهية مهلكة
من صاعقة كما اصاب اربد او من قتل او اسر او جدب او غير ذلك من العذاب والبلاء كما نزل بالمستهزئين
وهم روساء المشركين وقال عكرمة عن ابن عباس القارعة النكبة وقال ابن عباس ايضا وعكرمة القارعة
الطلايع والسرايا التي كان ينفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم او تحل اي القارعة قريبا من دارهم
قاله قتادة والحسن وقال ابن عباس او تحل انت قريبا من دارهم وقيل الاية نزلت بالمدينة اي لا
تزال تصيبهم القوارع فتنزل بساحتهم او بالقرب منهم كقرى المدينة ومكة حتى ياتي وعد الله في فتح مكة
قاله مجاهد وقتادة وقيل نزلت بمكة اي تصيبهم القوارع او تخرج عنهم الى المدينة يا محمد فتحل قريبا من دارهم
او تحل بهم محاصرا لهم وهذه المحاصرة لاهل الطايف ولقلاع خيبر وياتي وعد الله بالاذن لك في
قتالهم وقهرهم وقال الحسن وعد الله يوم القيامة قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين
كفروا تقدم معنى الاستهزاء في البقرة ومعنى الاملاء في ال عمران اي سخر واذري عليهم وامهلت الكافرين
مدة ليؤمن من كان في علمي انه يؤمن منهم فلما حق القضا اخذتهم بالعقوبة فكيف كان عقاب اي
فكيف رايت ما صنعت بهم فكذلك اصنع بمشركي قومك قوله تعالى افمن هو قايم على كل نفس بما
كسبت اي يقدرها على الكسب ويخلقها ويحفظها ويرزقها ويجازيها على عملها فالمعنى انه حافظ لا يعقل
والجواب محذوف والمعنى افمن هو حافظ لا يعقل كمن يعقل وقيل افمن هو قايم اي عالم قاله الاعمش
قال الشاعر فلولا رجال من قريش اعزة سرقتم ثياب البيت والله قايم اي عالم فالله عالم بكسب
كل نفس وقيل المراد بذلك الملائكة الموكلون عن الضحاك وجعلوا حال اي وقد جعلوا او عطف
على استهزئ اي استهزؤا وجعلوا اي سموا لله شركا يعني اصناما جعلوها الهة قل سموهم اي قل لهم
يا محمد سموهم اي بينوا اسماءهم على جهة التهديد اي انما يسمون اللات والعزى ومناة وهبل ام
تنبئونه بما لا يعلم في الارض ام استفهام توبيخ اي اتنبئونه وهو على التحقيق عطف على استفهام متقدم
في المعنى لان قوله سموهم معناه الهم اسماء الخالقين ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض وقيل المعنى
قل لهم اتنبئون الله بباطن لا يعلمه ام بظاهر يعلمه فان قالوا بباطن لا يعلمه احالوا وان قالوا
بظاهر يعلمه فقل لهم سموهم فاذا سموهم اللات والعزى فقل ان الله لا يعلم لنفسه شريكا وقيل ام تنبئونه
عطف على قوله افمن هو قايم اي افمن هو قايم ام تنبئون الله بما لا يعلم اي انتم تدعون لله شريكا
والله لا يعلم لنفسه شريكا افتنبئونه بشريك له في الارض وهو لا يعلمه وانما خص الارض بنفي
الشريك عنها وان لم يكن له شريك في غير الارض لانهم ادعوا له شركاء في الارض ومعنى ام بظاهر
من القول الذي انزل الله على انبيائه وقال قتادة معناه بباطل من القول ومنه قول الشاعر
اعيرتنا البانها ولحومها وذلك عار يا ابن ريطة ظاهر اي باطل وقال الضحاك بكذب من القول
ويحتمل خامسا ان يكون الظاهر من القول حجة يظهرونها بقولهم ويكون معنى الكلام اتخبرونه
بذلك مشاهدين ام تقولون محتجين بل زين للذين كفروا مكرهم اي دع هذا بل زين لهم مكرهم
قيل استدراك على هذا الوجه اي ليس لله شريك لكن زين للذين كفروا مكرهم وقرا ابن عباس

ومجاهد بل زين للذين كفروا مكرهم مثمى الفاعل وعلى قراءة الجماعة فالذى زين للكافرين مكرهم هو
الله تعالى وقيل الشيطان ويجوز ان يسمى الكفر مكرا لان مكرهم بالرسول كان كفرا وصدوا عن السبيل اي
صدهم الله وهي قراءة حمزة والكسائي والباقون بالفتح اي صدوا غيرهم واختاره ابو حاتم اعتبارا بقوله ويصدون
عن سبيل الله وقوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام وقراءة الضم ايضا حسنة في زين وصدوا لانه
معلوم ان الله فاعل ذلك في مذهب اهل السنة ففيه اثبات القدر وهو اختيار ابي عبيد وقرا يحيى
ابن وثاب وعلقمة وصدوا بكسر الصاد وكذلك هذه بضاعتنا ردت الينا بكسر الراء وهي ايضا على ما لم
يسم فاعله واصلها صددوا ورددت فلما ادغمت الدال الاولى في الثانية نقلت حركتها على ما قبلها
فانكسر ومن يضلل الله بخذلانه فما له من هاد اي موفق وفي هذا اثبات قراءة الكوفيين ومن تابعهم قوله
ومن يضلل الله فكذلك قوله وصدوا معظم القراء يقفون على الدال من غير الياء وكذلك وال وواق
لانك تقول في الرجل هذا قاض ووال وهاد فتحذف الياء لسكونها والتقائها مع التنوين وقرى فما له
من هادي ووالي وواقي بالياء وهو على لغة من يقول هذا داعي ووالي وواقي بالياء لان حذف الياء
في حالة الوصل لالتقائها مع التنوين وهذا مفقود في الوقف فردت الياء فصار هادي ووالي وواقي
وقال الخليل في نداء قاض يا قاضي باثبات الياء اذ لا تنوين مع النداء كما لا تنوين في نحو الداعي والمتوالي
قوله تعالى لهم عذاب في الحياة الدنيا اي للمشركين الصادين بالقتل والسبي والاسار وغير ذلك من
الاسقام والمصائب ولعذاب الاخرة اشق من قولك شق علي هذا يشق وما لهم من الله من واق اي
مانع يمنعهم من عذابه ولا دافع ومن زائدة قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة
او تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من
قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب افمن هو قائم على كل نفس بما
كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول بل
زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحياة الدنيا
ولعذاب الاخرة اشق وما لهم من الله من واق تقدم معناه قبل ذلك قوله تعالى مثل الجنة
التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى
الكافرين النار والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه
قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب وكذلك انزلناه حكما
عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد
ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله
لكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وان ما نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من
اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر
جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون
اختلف النحاة في رفع مثل فقال سيبويه ارتفع بالابتداء والخبر محذوف والتقدير وفيما يتلى
عليكم مثل الجنة وقال الخليل ارتفع بالابتداء وخبره تجري من تحتها الانهار كقولك قولي يقوم
زيد فقولي مبتدا ويقوم زيد خبره والمثل بمعنى الصفة موجود قال الله تعالى ذلك مثلهم في
التورية ومثلهم في الانجيل وقال ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا وانكره ابو علي وقال لم يسمع

مثل

مثل بمعنى صفة انما معناه الشبه الا تراه يجري مجراه في مواضعه ومتصرفاته كقولهم مررت برجل
مثلك كما تقول شبهك قال ويفسد ايضا من جهة المعنى لان مثلا اذا كان معناه صفة كان تقدير الكلام صفة
الجنة التي فيها انهار وذلك غير مستقيم لان الانهار في الجنة نفسها لا صفتها وقال الزجاج مثل الله
عز وجل لنا ما غاب عنا بما نراه والمعنى مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار وانكره ابو علي فقال
لا يخلو المثل على قوله ان تكون للصفة او الشبه وفي كلا الوجهين لا يصح ما قاله لانه اذا كان بمعنى
الصفة لم يصح لانك اذا قلت صفة الجنة جنة فجعلت جنة خبرا لم يستقم ذلك لان الجنة لا تكون
صفة وكذلك ايضا شبه الجنة جنة الا ترى ان الشبه عبارة عن المماثلة التي بين المتماثلين وهو
حدث والجنة غير حدث فلا يكون الاول الثاني وقال الفراء المثل مقحم للتاكيد والمعنى الجنة التي
وعد المتقون تجري من تحتها الانهار والعرب تفعل ذلك كثيرا بالمثل والمثل كقوله ليس كمثله شيء اي
ليس هو كشيء وقيل التقدير صفة الجنة التي وعد المتقون صفة جنة تجري من تحتها الانهار وقيل معناه
شبه الجنة التي وعد المتقون في الحسن والنعمة والخلود كشبه النار في العذاب والشدة والخلود
قاله مقاتل اكلها دائم لا ينقطع وفي الخبر اذا اخذت ثمرة عادت مكانها اخرى وقد بيناه في التذكرة
وظلها اي وظلها كذلك فحذف اي ثمرها لا ينقطع وظلها لا يزول وهذا رد على الجهمية في زعمهم
ان نعيم الجنة يفنى تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار اي عاقبة امر المكذبين واخرتهم النار يدخلونها
قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب اي بعض من اوتي الكتاب يفرح بالقرآن كابن سلام وسلمان والذين
جاؤوا من الحبشة فاللفظ عام والمراد الخصوص وقال قتادة هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يفرحون بنور
القرآن وقاله مجاهد وابن زيد وعن مجاهد ايضا انهم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل هم عامة اهل الكتاب
من اليهود والنصارى يفرحون بنزول القرآن لتصديقه كتبهم وقال اكثر العلماء كان ذكر الرحمن في
القرآن قليلا في اول ما انزل فلما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع
كثرة ذكره في التورية فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى فقالت قريش ما بال محمد يدعو الى اله واحد فاصبح اليوم
يدعو الهين الله والرحمن والله ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة فنزلت وهم بذكر
الرحمن هم كافرون وهم يكفرون بالرحمن ففرح مؤمنوا اهل الكتاب بذكر الرحمن فانزل الله تعالى
والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني مشركي مكة ومن لم يؤمن من
اليهود والنصارى والمجوس وقيل هم العرب المتحزبون على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ومن اعداء المسلمين
من ينكر بعض ما في القرآن لان منهم من كان يعترف ببعض الانبياء ومنهم من كان يعترف بان الله
خالق السموات والارض قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به قراءة الجماعة بالنصب عطفا على
اعبد وقال ابو خليد بالرفع على الاستيناف اي افرده بالعبادة وحده لا شريك له واتبرا عن المشركين
ومن قال المسيح ابن الله وعزير ابن الله ومن اعتقد التشبيه كاليهود اليه ادعو اي الى عبادته ادعو
الناس واليه مآب اي ارجع في اموري كلها قوله تعالى وكذلك انزلناه حكما عربيا اي وكما انزلنا
عليك القرآن فانكره بعض الاحزاب كذلك انزلناه حكما عربيا وانما وصفه بذلك لانه انزله
على محمد صلى الله عليه وسلم وهو عربي فكذب الاحزاب بهذا الحكم ايضا وقيل نظم الاية وكما انزلنا
الكتب على الرسل بلغاتهم كذلك انزلنا اليك القرآن عربيا اي بلسان العرب ويريد بالحكم ما فيه من
الاحكام وقيل اراد بالحكم العربي القرآن لانه يفصل بين الحق والباطل ويحكم ولئن اتبعت اهواءهم
اي اهواء المشركين في عبادة ما دون الله وفي التوجه الى غير الكعبة بعد ما جاءك من الحق ما لك من

الله من ولي اي ناصر اي ينصرك ولا واق يمنعك من عذابه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد الامة
قوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فيه مسئلتان الاولى قيل
ان اليهود عابوا النبي صلى الله عليه وسلم على الازدواج وعيروه بذلك وقالوا ما نرى لهذا الرجل همة الا النسا
والنكاح ولو كان نبيا لشغله امر النبوة من النساء فانزل الله هذه الاية وذكرهم امر داود وسليمان
فقال لقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية اي جعلناهم بشرا يقضون ما احل
الله من شهوات الدنيا وانما التخصيص في الوحي الثانية هذه الاية تدل على الترغيب في النكاح
والحض عليه وينهى عن التبتل وهو ترك النكاح وهذه سنة المرسلين كما نصت عليه هذه الاية
والسنة واردة بمعناها قال صلى الله عليه وسلم تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم الحديث وقد تقدم في ال
عمران وقال من تزوج فقد استكمل نصف الدين فليتق الله في النصف الثاني ومعنى ذلك ان
النكاح يعف عن الزنا والعفاف احد الخصلتين التي ضمن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما الجنة
فقال من وقاه الله شر اثنتين ولج الجنة ما بين لحييه وما بين رجليه خرجه الموطا وغيره وفي
صحيح البخاري عن انس قال جاء ثلاثة رهط الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسالون عن عبادة
النبي صلى الله عليه وسلم فلما اخبروا كانهم تقالوها فقالوا واين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر
الله ما تقدم من ذنبه وما تاخر فقال احدهم اما انا فاني اصلي الليل كله وقال الاخر انا اصوم الدهر
ولا افطر وقال الاخر انا اعتزل النساء فلا اتزوج فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انتم الذين
قلتم كذا وكذا اما والله لاني اخشاكم لله واتقاكم له لكني اصوم وافطر واصلي وارقد واتزوج النساء
فمن رغب عن سنتي فليس مني خرجه مسلم بمعناه هذا وفي صحيح مسلم عن سعد بن ابي وقاص قال اراد
عثمان ان يتبتل فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم ولو اجاز له ذلك لاختصينا وقد تقدم في ال عمران
الحض على طلب الولد والرد على من جهل ذلك وقد روي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه كان
يقول اني لاتزوج المراة وما لي فيها من حاجة واطاها وما اشتهيها قيل له وما يحملك على ذلك يا امير
المؤمنين قال حبي ان يخرج الله مني من يكاثر به النبي صلى الله عليه وسلم النبيين يوم القيمة واني
سمعته يقول عليكم بالابكار فانهن اعذب افواها واحسن اخلاقا وانتق ارحاما واني مكاثر بكم
الامم يوم القيمة يعني بقوله انتق ارحاما اقبل للولد ويقال للمراة الكثيرة الولد ناتق لانها ترمي
بالاولاد رميا وخرج ابو داود عن معقل بن يسار قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اني اصبت امراة ذات حسب وجمال وانها لا تلد افاتزوجها قال لا ثم اتاه الثانية فنهاه ثم اتاه
الثالثة فقال تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم صححه ابو محمد وحسبك قوله تعالى
وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله عاد الكلام الى ما اقترحوا من الايات على ما تقدم
ذكره في هذه السورة فانزل الله ذلك فيهم وظاهر الكلام حظر ومعناه النفي لانه لا يحظر على
احد ما لا يقدر عليه لكل اجل كتاب اي لكل امر قضاه الله كتاب عند الله قاله الحسن وقيل فيه
تقديم وتاخير المعنى لكل كتاب اجل قاله الفراء والضحاك اي لكل احد كتبه الله اجل ووقت
معلوم نظيره لكل نبا مستقر بين ان المراد ليس على اقتراح الامم في نزول العذاب بل لكل اجل
كتاب وقيل المعنى لكل مدة كتاب وامر مقدر لا تقف عليه الملائكة وذكر الترمذي الحكيم في نوادر
الاصول عن شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال لما ارتقى موسى عليه الصلاة والسلام طور سينا
في اصبعه خاتما قال يا موسى ما هذا وهو اعلم به قال شيء من حلي الرجال قال هل عليه شيء من
اسمائي مكتوب او كلامي قال لا قال فاكتب عليه لكل اجل كتاب قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت

اي

اي يمحو من ذلك الكتاب ما يشاء بان يوقعه باهله ويأتي به ويثبت ما يشاء اي يؤخره الى وقته يقال
محوت الكتاب محوا اي اذهبت اثره ويثبت اي يثبته كقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اي
والذاكرات الله وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويثبت بالتخفيف وشدد الباقون وهي قراءة ابن عباس
واختيار ابي حاتم وابي عبيد لكثرة من قرا بها كقوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وقال
ابن عمر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يمحو الله ما يشاء ويثبت الا السعادة والشقاوة والموت
وقال ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت الا اشيا الخلق والخلق والاجل والرزق والسعادة والشقاوة
وعنه هما كتابان سوى ام الكتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب الذي لا يتغير منه شيء
قال القشيري وقيل السعادة والشقاوة والخلق والخلق والرزق لا يتغير فالاية فيما عدا هذه الاشيا
وفي هذا القول نوع تحكم قلت ومثل هذا لا يدرك بالراي والاجتهاد وانما يؤخذ توقيفا فان
صح فالقول به يجب ويوقف عنده والا فتكون الاية عامة في جميع الاشياء وهو الاظهر والله اعلم
وهذا يروى معناه عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم
ان كنت كتبتني في اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب وقال
ابن مسعود اللهم ان كنت كتبتني في السعداء فاثبتني فيهم وان كنت كتبتني في الاشقياء فامحني من
الاشقياء واكتبني في السعداء فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب وكان ابو وايل يدعو
اللهم ان كنت كتبتنا اشقياء فامح واكتبنا سعداء وان كنت كتبتنا سعداء فاثبتنا فانك تمحو
ما تشاء ويثبت وعندك ام الكتاب وقال كعب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لولا اية في كتاب
الله لانباتك بما هو كاين الى يوم القيمة يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وقال مالك
بن دينار في المراة التي دعي لها اللهم ان كان في بطنها جارية فابدل لها غلاما فانك تمحو ما تشاء وتثبت
وعندك ام الكتاب الحديث وقد تقدم وفي الصحيحين عن ابي هريرة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من سره ان يبسط له في رزقه وينسا له في اثره فليصل رحمه ومثله عن انس بن مالك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب فذكره بلفظه سوا وفيه تاويلان احدهما معنوي
وهو ما يبقى بعده من الثناء الجميل والذكر الحسن والاجر المذكور فكانه لم يمت والاخر يؤخر
اجله المكتوب في اللوح المحفوظ والذي في ام الكتاب ثابت لا يتبدل كما قال يمحو الله ما يشاء
ويثبت وعنده ام الكتاب وقيل لابن عباس لما روى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من احب ان يمد الله في عمره ويبسط له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه كيف يزاد في
العمر والاجل فقال قال الله تعالى هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فالاجل
الاول اجل العبد من حين ولادته الى حين موته والاجل الثاني يعني المسمى عنده من حين وفاته الى
يوم يلقاه في البرزخ لا يعلمه الا الله فاذا اتقى العبد ربه ووصل رحمه زاده الله في عمره الاول من اجل
البرزخ ما شاء واذا عصى وقطع نقصه الله من اجل عمره في الدنيا فيزده في اجل البرزخ فاذا انحتم
الاجل في علمه السابق امتنع الزيادة والنقصان لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا
يستقدمون فتوافق الخبر والاية وهذه زيادة في نفس العمر وذات الاجل على ظاهر اللفظ في اختيار
حبر الامة والله اعلم وقال مجاهد يحكم الله امر السنة في رمضان فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء الا
الحياة والموت والشقا والسعادة وقد مضى القول فيه وقال الضحاك يمحو الله ما يشاء من ديوان
الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وروي معناه ابو صالح عن ابن
عباس وقال الكلبي يمحو من الرزق ويزيد فيه ويمحو من الاجل ويزيد فيه ورواه عن النبي صلى الله

عليه وسلم ثم سئل الكلبي عن هذه الاية فقال يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه كل شي
ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قولك اكلت وشربت ودخلت وخرجت ونحوه وهو صادق ويثبت
ما فيه الثواب والعقاب وقال قتادة وابن زيد وسعيد بن جبير يمحو الله من الشرايع والفرايض فينسخه
ويبدله ويثبت ما يشاء فلا ينسخه وجملة الناسخ والمنسوخ ام الكتاب ونحوه ذكره النحاس والمهدوي
عن ابن عباس قال النحاس وحدثنا بكر بن سهل قال حدثنا ابو صالح عن معاوية بن صالح عن ابي هريرة
عن علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس يمحو الله ما يشاء يقول يبدل الله من القران ما يشاء فينسخه ويثبت
ما يشاء فلا يبدله وعنده ام الكتاب يقول جملة ذلك عنده في ام الكتاب الناسخ والمنسوخ وقال
سعيد بن جبير ايضا يغفر الله ما يشاء من ذنوب عباده ويترك ما يشاء فلا يغفره وقال عكرمة
يمحو ما يشاء يعني بالتوبة جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات الا من تاب وامن وعمل
عملا صالحا الاية وقال الحسن يمحو الله ما يشاء من جاء اجله ويثبت من لم يات اجله وقال ايضا
يمحو الاباء ويثبت الابناء وعنه ايضا ينسي الحفظة من الذنوب ولا ينسى وقال السدي يمحو
الله ما يشاء يعني القمر ويثبت يعني الشمس بيانه قوله فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة
وقال الربيع بن انس هذا في الارواح حالة النوم يقبضها عند النوم ثم اذا اراد موته فجاة امسكه ومن
اراد بقاه اثبته ورده الى صاحبه بيانه قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الاية وقال
علي ابن ابي طالب يمحو الله ما يشاء من القرون كقوله الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون ويثبت ما
يشاء منها كقوله تعالى ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين فيمحو قرنا ويثبت قرنا وقيل هو الرجل يعمل
الزمن الطويل بطاعة ثم يعمل بمعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذي يمحو والذي يثبت الرجل
يعمل بمعصية الله الزمن الطويل ثم يتوب فيمحوه الله تعالى من ديوان السيئات ويثبته في ديوان
الحسنات ذكره الثعلبي والماوردي عن ابن عباس وقيل يمحو الله ما يشاء يعني الدنيا ويثبت
الاخرة وقال عيسى بن عباد في اليوم العاشر من رجب هو اليوم الذي يمحو الله ما يشاء ويثبت ما
يشاء وقد تقدم عن مجاهد ان ذلك يكون في رمضان وقال ابن عباس ان لله لوحا محفوظا مسيرة
خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من ياقوتة حمراء لله فيه في كل يوم ثلثمائة وستون نظرة
يثبت من يشاء ويمحو من يشاء وروى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه
يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره
فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء والعقيدة انه لا تبديل لقضاء الله وهذا المحو والاثبات مما
سبق به القضاء وقد تقدم ان من القضاء ما يكون واقعا محتوما وهو الثابت ومنه ما يكون
مصروفا باسباب وهو المحو والله اعلم الغزنوي وعندي ان ما في اللوح خرج على الغيب لاحاطة
بعض الملائكة فيحتمل التبديل لان احاطة الخلق بجميع علم الله محال وما في علمه من تقدير الاشياء
لا يبدل وعنده ام الكتاب اي اصل ما كتب من الاجال وغيرها وقيل ام الكتاب اللوح المحفوظ
الذي لا يبدل ولا يغير وقد قيل انه يجري فيه التبديل وقيل انما يجري في الجرايد الاخر وسئل ابن
عباس عن ام الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون فقال لعلمه كن كتابا ولا
تبديل في علم الله وعنه انه الذكر دليله قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر وهذا
يرجع معناه الى الاول وهو معنى قول كعب قال كعب الاحبار ام الكتاب علم الله بما خلق وما هو خالق
قوله تعالى وإما نرينك بعض الذي نعدهم ما زائدة والتقدير وان نرينك بعض الذي نعدهم
اي من العذاب لقوله لهم عذاب في الحياة الدنيا وقوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة

اي

اي ان اريناك بعض ما وعدناهم او نتوفينك فليس عليك الا البلاغ اي التبليغ وعلينا الحساب اي الجزاء
والعقوبة قوله تعالى اولم يروا يعني اهل مكة انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها اختلف فيه ننقصها
من اطرافها موت علمائها وصلحائها قال القشيري وعلى هذا فالاطراف الاشراف وقد قال ابن الاعرابي
الطرف والطرف الرجل الكريم ولكن هذا القول بعيد لان مقصود الاية انا اريناهم النقصان في امورهم
ليعلموا ان تاخير العقاب عنهم ليس من عجز الا ان يحمل قول ابن عباس على موت احبار اليهود وقال مجاهد ايضا
وقتادة والحسن هو ما يغلب عليه المسلمون مما في ايدي المشركين وروي ذلك عن ابن عباس وعنه ايضا
خراب الارض حتى يكون العمران في ناحية منها وعن مجاهد نقصانها موت اهلها وخرابها وذكر وكيع بن
الجراح عن طلحة بن عمير عن عطا بن ابي رباح في قول الله تعالى اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من
اطرافها قال ذهاب فقهائها وخيار اهلها قال ابو عمر بن عبد البر قول عطا في تاويل الاية حسن جدا
تلقاها اهل العلم بالقبول قلت وحكاه المهدوي عن مجاهد وابن عمر وهذا نص القول الاول
نفسه روى سفيان عن منصور عن مجاهد ننقصها من اطرافها قال لموت الفقهاء والعلماء ومعروف في
اللغة ان الطرف الكريم من كل شي وهذا خلاف ما ارتضاه ابو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم من قول
ابن عباس وقال عكرمة والشعبي هو النقصان وقبض الانفس قال احدهما ولو كانت الارض تنقص
لضاق حشك وقال الاخر لضاق عليك حش تتبرز فيه وقيل المراد به هلاك من هلك من الامم
قبل قريش وهلاك ارضهم بعدهم افلا يخافون ان يحل بهم مثل ذلك وروي ذلك ايضا عن ابن
عباس ومجاهد وابن جريج وعن ابن عباس ايضا انه نقص بركات الارض وثمارها واهلها وقيل
نقصها بجور ولاتها قلت وهذا صحيح معنى فان الجور والظلم يخرب البلاد ويقتل اهلها ويجلانهم
عنها ويرفع من الارض البركة والله اعلم قوله تعالى والله يحكم لا معقب لحكمه اي ليس يتعقب حكمه احد
بنقض ولا تغيير وهو سريع الحساب اي الانتقام من الكافرين سريع الثواب للمومنين وقيل لا
يحتاج في حسابه الى روية قلب ولا عقد بنان حسب ما تقدم في البقرة بيانه قوله تعالى وقد
مكر الذين من قبلهم اي من قبل مشركي مكة مكروا بالرسل وكادوا لهم وكفروا بهم فلله المكر جميعا
اي هو مخلوق له مكر الماكرين فلا يضر الا باذنه وقيل فلله خير المكر اي يجازيهم به يعلم ما تكسب كل
نفس من خير وشر فيجازي عليه وسيعلم الكفار كذا قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو والباقون الكفار
على الجمع وقيل عني به ابو جهل لمن عقبى الدار اي عاقبة دار الدنيا ثوابا وعقابا او لمن الثواب والعقاب
في الدار الاخرة وهذا تهديد ووعيد قوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا قال قتادة هم
مشركوا العرب اي لست بنبي ولا رسول وانما انت متقول اي لما لم ياتهم بما اقترحوا قال ذلك قل كفى
بالله اي قل لهم يا محمد كفى بالله اي كفى الله شهيدا بيني وبينكم بصدقي وكذبكم ومن عنده علم الكتاب
وهذا احتجاج على مشركي العرب لانهم كانوا يرجعون الى من امن منهم في التفاسير وقيل كانت شهادتهم قاطعة
لقول الخصوم وهم مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري والنجاشي واصحابه
قاله قتادة وسعيد بن جبير وروى الترمذي عن ابن اخي عبد الله بن سلام قال لما اريد عثمان جاء عبد
الله بن سلام فقال له عثمان ما جاء بك قال جئت في نصرتك قال اخرج الى الناس فاطردهم عني فانك
خارج خير لي من داخل قال فخرج عبد الله بن سلام الى الناس فقال ايها الناس انه كان اسمي
في الجاهلية فلان فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ونزلت في ايات من كتاب الله
نزلت في وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين
ونزلت في قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وذكر الحديث وقد كتبناه بكماله

في كتاب التذكرة وقال فيه ابو عيسى حديث حسن غريب وكان اسمه في الجاهلية حصين فسماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله وقال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب قال هو عبد الله بن
سلام قلت وكيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وابن سلام ما اسلم الا بالمدينة ذكره
الثعلبي وقال القشيري وابن جبير السورة مكية وابن سلام ما اسلم الا بالمدينة بعد هذه السورة
فلا يجوز ان تحمل هذه الاية على ابن سلام فمن عنده علم الكتاب جبريل وهو قول ابن عباس وقال الحسن
ومجاهد والضحاك هو الله تعالى وكانوا يقرؤن ومن عنده علم الكتاب وينكرون على من يقول هو عبد الله
بن سلام وسلمان لانهم يرون ان السورة مكية وهؤلاء اسلموا بالمدينة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قرا ومن عنده وان كان في الرواية ضعف روى ذلك سليمان بن ارقم عن الزهري عن سالم
عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى محبوب عن اسمعيل بن محمد اليماني انه قرا كذلك ومن
عنده بكسر الميم والعين والدال علم الكتاب بضم العين ورفع الكتاب وقال عبد الله بن عطا قلت لابي
جعفر بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهم زعموا ان الذي عنده علم الكتاب عبد الله
بن سلام فقال انما ذلك علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وكذلك قال محمد بن الحنفية وقيل جميع
المومنين والله اعلم قال القاضي ابو بكر بن العربي اما من قال انه علي فعول على احد وجهين اما
لانه عنده اعلم المومنين وليس كذلك بل ابو بكر وعمر وعثمان اعلم منه او لقول النبي صلى الله عليه وسلم
انا مدينة العلم وعلي بابها وهو حديث باطل النبي صلى الله عليه وسلم مدينة علم واصحابه ابوابها
فمنهم الباب المنفسح ومنهم المتوسط على قدر منازلهم في العلوم واما من قال انهم جميع المومنين
فصدق لان فكل المومن يعلم الكتاب ويدرك وجه اعجازه ويشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بصدقه
قلت والكتاب على هذا هو القران واما من قال انه عبد الله بن سلام فعول على حديث الترمذي
وليس يمتنع ان ينزل في عبد الله شيئا ويتناول جميع المومنين لفظا ويعضده من النظام ان قوله
ويقول الذين كفروا يعني قريشا والذين عندهم علم الكتاب هم المؤمنون من اليهود والنصارى الذين
هم معرفة النبوة والكتاب اقرب من عبدة الاوثان قال النحاس وقول من قال هو عبد الله بن
سلام وغيره يحتمل ايضا لان البراهين اذا صحت وعرفها من قرا الكتب التي انزلت قبل القران
كان امرا مؤكدا والله اعلم سورة ابراهيم عليه السلام مكية كلها في قول الحسن وعكرمة
وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا ايتين منها مدنية وقيل ثلاث نزلت في الذين حاربوا
الله ورسوله وهي قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى قوله فان مصيركم الى النار تمت
بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من
الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في
الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة ويصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد ارسلنا موسى باياتنا
ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور
واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن
كفرتم ان عذابي لشديد وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد
الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم

رسلهم

رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه
مريب قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم
الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان
مبين قوله تعالى الر كتاب انزلناه اليك تقدم معناه لتخرج الناس اي بالكتاب وهو القران اي بدعائك
اليه من الظلمات الى النور اي من ظلمات الكفر والضلالة والجهل الى نور الايمان والعلم وهذا على التمثيل لان
الكفر بمنزلة الظلمة والاسلام بمنزلة النور وقيل من البدعة الى السنة ومن الشك الى اليقين والمعنى
متقارب باذن ربهم اي بتوفيقه اياهم ولطفه بهم والباء في باذن ربهم متعلقة بلتخرج واضيف الفعل
الى النبي صلى الله عليه وسلم لانه الداعي والمنذر والهادي الى صراط العزيز الحميد هو كقولك خرجت الى
زيد العاقل الفاضل من غير واو لانهما شيء واحد والله هو العزيز اي الذي لا مثل له ولا شبيه وقيل العزيز
الذي لا يغلبه غالب وقيل العزيز المنيع في ملكه وسلطانه الحميد اي المحمود بكل لسان والممجود في كل
مكان على كل حال وروى مقسم عن ابن عباس قال كان قوم امنوا بعيسى ابن مريم وقوم كفروا به فلما
بعث محمد صلى الله عليه وسلم امن به الذين كفروا بعيسى وكفر الذين امنوا بعيسى فنزلت هذه الاية ذكره
الماوردي قوله تعالى الله الذي له ما في السموات وما في الارض اي ملكا وعبيدا واختراعا وخلقا وقرا
نافع وابن عامر الله بالرفع على الابتدا الذي خبره وقيل الذي صفة والخبر مضمر اي الله الذي له ما في
السموات وما في الارض قادر على كل شيء الباقون بالخفض نعت للعزيز الحميد فقدم النعت على المنعوت
كقولك مررت بالظريف زيد وقيل على البدل من الحميد وليس صفة لان اسم الله صار كالعلم فلا
يوصف كما لا يوصف بزيد وعمرو بل يجوز ان يوصف به من حيث المعنى لان معناه انه المنفرد بقدرة
الايجاد وقال ابو عمرو والخفض على التقديم والتاخير مجازه الى صراط الله العزيز الحميد الذي له ما في السموات
وما في الارض وكان يعقوب اذا وقف على الحميد رفع واذا وصل خفض على النعت قال ابن الانباري
من خفض وقف على وما في الارض قوله تعالى وويل للكافرين من عذاب شديد تقدم معنى الويل في
البقرة وقال الزجاج هي كلمة تقال للعذاب والهلكة من عذاب شديد اي في جهنم الذين يستحبون
الحياة الدنيا اي يختارونها على الاخرة والكافرون يفعلون ذلك فالذين في موضع خفض صفة
لهم وقيل في موضع رفع خبر ابتدا مضمر اي هم الذين وقيل الذين يستحبون مبتدا وخبره اولئك
وكل من اثر الدنيا وزهرتها واستحب البقا في نعيمها على النعيم في الاخرة وصد عن سبيل الله اي
صرف الناس عنه وهو دين الله الذي جاءت به الرسل في قول ابن عباس وغيره فهو داخل في
هذه الاية وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الايمة المضلون وهو حديث
صحيح وما اكثرهم في هذه الازمان والله المستعان وقيل يستحبون اي يلتمسون الدنيا من غير
وجهها لان نعمة الله لا تلتمس الا بطاعته دون معصيته ويبغونها عوجا اي يطلبون لها
زيغا وميلا لموافقة اهوائهم وقضاء حاجاتهم واغراضهم والسبيل يذكر ويؤنث والعوج بكسر
العين في الدين والامر والارض وفي كل ما لم يكن قايما وبفتح العين في كل ما كان قايما كالحايط
والرمح ونحوه وقد تقدم في ال عمران وغيرها اولئك في ضلال بعيد اي ذهاب عن الحق بعيد
عنه قوله تعالى وما ارسلنا من رسول اي قبلك يا محمد الا بلسان قومه اي بلغتهم ليبين لهم امر
دينهم ووحد اللسان وان اضافه الى القوم لان المراد اللغة فهي اسم جنس يقع على القليل والكثير
ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الاية لان كل من ترجم له ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ترجمة
يفهمها لزمته الحجة وقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال

صلى الله عليه وسلم ارسل كل نبي الى امته بلسانها وارسلني الله الى كل احمر واسود خلقه وقال صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي
ارسلت به الا كان من اصحاب النار خرجه مسلم وقد تقدم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء
ردا على القدرية في نفوذ المشيئة وهو مستانف وليس بمعطوف على ليبين لان الارسال انما وقع
للتبيين لا للاضلال ويجوز النصب في يضل لان الارسال صار سببا للاضلال فيكون كقوله ليكون
لهم عدوا وحزنا وانما صار الارسال سببا للاضلال لانهم كفروا به لما جاءهم فصار كانه سبب لكفرهم
وهو العزيز الحكيم تقدم معناه قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا اي بحجتنا وبراهيننا او
بالمعجزات الدالة على صدقه قال مجاهد هي التسع الايات ان اخرج قومك من الظلمات الى النور
وقيل ان هنا بمعنى اي كقوله تعالى وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا اي امشوا قوله تعالى
وذكرهم بايام الله اي قل لهم قولا به ايام الله تعالى قال ابن عباس ومجاهد وقتادة بنعم الله
عليهم وقاله ابي بن كعب ورواه مرفوعا اي بما انعم الله عليهم من النجاة من فرعون ومن التيه
الى ساير النعم وقد تسمى النعم بالايام ومنه قول عمرو بن كلثوم وايام لنا غر طوال وعن ابن عباس
ايضا ومقاتل بوقايع الله في الامم السالفة يقال فلان عالم بايام العرب اي بوقايعها قال ابن
زيد يعني التي انتقم الله فيها من الامم الخالية اي بما كان في ايام الله من النعمة والمحنة وقد
كانوا عبيدا مستذلين واكتفى بذكر الايام عنه لانها كانت معلومة عندهم وروى سعيد بن
جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا موسى
عليه السلام في قومه يذكرهم بايام الله وايام الله بلاؤه ونعماؤه وذكر حديث الخضر ودل
هذا على جواز الوعظ المرقق للقلوب المقوي لليقين الخالي من كل بدعة والمنزه عن كل ضلالة وشبهة
ان في ذلك اي التذكير بايام الله لايات اي دلالات لكل صبار شكور اي كثير الصبر على طاعة الله تعالى
وعن معاصيه شكور لنعم الله وقال قتادة هو العبد اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر ثم تلا هذه الاية ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور ونحوه عن الشعبي مرفوعا وتوارى الحسن عن الحجاج سبع سنين فلما بلغه موته
قال اللهم قد امته فامت سنته وسجد شكرا وانما خص الايات بكل صبار شكور لانه يعتبر بها
ولا يغفل عنها كما قال انما انت منذر من يخشاها وان كان منذرا للجميع قوله تعالى واذ قال
موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم الى قوله عظيم تقدم في البقرة مستوفى قوله تعالى واذ تاذن
ربكم قيل هو من قول موسى لقومه وقيل هو من قول الله اي واذكر يا محمد اذ قال ربك كذا وتاذن
واذن بمعنى اعلم مثل توعد واوعد روي معنى ذلك عن الحسن وغيره ومنه الاذان لانه اعلام
قال الشاعر فلم نشعر بضوء الصبح حتى سمعنا في مجالسنا الاذينا وكان ابن مسعود يقرا
واذ قال ربكم والمعنى واحد لئن شكرتم لازيدنكم اي وحدتم انعامي لازيدنكم من فضلي المعنى لئن
شكرتم نعمي لازيدنكم من طاعتي ابن عباس لئن وحدتم واطعتم لازيدنكم من الثواب والمعنى متقارب
في هذه الاقوال والاية نص في ان الشكر سبب المزيد وقد تقدم في البقرة ما للعلماء في معنى الشكر
وسئل بعض العلماء عن الشكر فقال الا تتقوى بنعمه على معاصيه وحكي عن داود عليه السلام انه قال
رب كيف اشكرك وشكري لك نعمة مجددة علي قال يا داود الان شكرتني قلت فحقيقة
الشكر على هذا الاعتراف بالنعمة للمنعم وان لا يصرفها في غير طاعته وانشد الهادي وهو ياكل انا
لك رزقه لتقوم فيه بطاعته وتشكر بعض حقه فلم تشكر لنعمته ولكن قويت على معاصيه

برزقه

برزقه تعصي بالنعمة وخنقته العبرة وقال جعفر الصادق اذا سمعت النعمة نعمة الشكر فتاهب للمزيد لئن
كفرتم ان عذابي لشديد اي كفرتم اي جحدتم حقي وقيل نعمي وعد بالعذاب على الكفر كما وعد بالزيادة
على الشكر وحذفت الفاء التي في جواب الشرط من ان للشرط قوله تعالى وقال موسى ان تكفروا انتم
ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد اي لا يلحقه بذلك نقص بل هو الغني الحميد اي المحمود قوله
تعالى الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود النبا الخبر والجمع الانباء قال
الم ياتيك والانباء تنمي ثم قيل هو من قول موسى وقيل من قول الله تعالى اي واذكر يا محمد اذ قال
ربك كذا وقيل هو ابتداء الخطاب من الله تعالى وخبر قوم نوح وعاد وثمود مشهور قصه الله
في كتابه وقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله اي لا يحصي عددهم ولا يعرف نسبهم الا الله تعالى
والنسابون وان نسبوا الى آدم فلا يدعون احصاء جميع الامم وانما ينسبون البعض ويمسكون عن
نسب البعض وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع النسابين ينسبون الى معد بن عدنان
ثم زادوا فقال كذب النسابون ان الله تعالى يقول لا يعلمهم الا الله وقد روي عن عروة بن
الزبير انه قال ما وجدنا احدا يعرف ما بين عدنان الى اسمعيل وقال ابن عباس بين عدنان واسمعيل
ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود يقول حين يقرا لا يعلمهم الا الله كذب النسابون جاءتهم رسلهم
بالبينات اي بالحجج والدلالات فردوا ايديهم في افواههم اي جعل اولئك القوم ايدي انفسهم في افواههم
ليعضوها غيظا مما جاء به الرسل اذ كان فيه تسفيه احلامهم وشتم اصنامهم قاله ابن مسعود
ومثله قال عبد الرحمن بن زيد وقرا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب
الله عجبوا ورجعوا بايديهم الى افواههم وقال ابو صالح كانوا اذا قال لهم نبيهم انا رسول الله اليكم اشاروا باصابعهم
الى افواههم ان اسكت تكذيبا له وردا لقوله وهذه الاقوال الثلاثة متقاربة المعنى والضميران للكفار
والقول الاول اصحها اسنادا قال ابو عبيد نا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن ابي اسحق
عن ابي الاحوص عن عبد الله في قوله فردوا ايديهم في افواههم قال عضوا عليها غيظا وقال الشاعر
لو ان سلمى ابصرت تخددي ودقة في عظم ساقي ويدي وبعد اهلي وجفاء عودي عضت من الوجد
باطراف اليد وقد مضى هذا المعنى في آل عمران مجردا وقال مجاهد وقتادة ردوا على الرسل
قولهم وكذبوهم بافواههم فالضمير الاول للرسل والثاني للكفار وقال الحسن وغيره جعلوا ايديهم
في افواه الرسل ردا لقولهم فالضمير الاول على هذا للكفار والثاني للرسل وقيل معناه اوموا الى
الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل اخذوا ايدي الرسل ووضعوها على افواه الرسل ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم
وقيل رد الرسل ايدي القوم في افواههم وقيل ان الايدي هنا النعم اي ردوا نعم الرسل بافواههم اي بالنطق
والتكذيب ومجيء الرسل بالشرايع نعم والمعنى كذبوا بافواههم ما جاءت به الرسل وفي بمعنى الباء يقال
جلست في البيت وبالبيت وحروف الصفات يقام بعضها مقام بعض وقال ابو عبيدة هو ضرب مثل اي لم
يؤمنوا ولم يجيبوا والعرب تقول للرجل اذا امسك عن الجواب وسكت قد رد يده في فيه وقاله
الاخفش ايضا وقال القتبي لم نسمع احدا من العرب يقول رد يده في فيه اذا ترك ما امر به وانما
المعنى عضوا على الايدي حنقا وغيظا كقول الشاعر يردون في فيه عشر الحسود حتى يعض علي
الاكفا يعني انهم يغيظون الحسود حتى يعض على اصابعه وكفه وقال آخر قد افني انامله ازمة
فاضحى يعض علي الوظيفا قالوا يعني الامم للرسل انا كفرنا بما ارسلتم به اي بالارسال على زعمكم لا انهم
اقروا انهم ارسلوا وانا لفي شك اي في ريب ومرية مما تدعوننا اليه اي من التوحيد مريب اي
موجب للريبة يقال اربته اذا فعلت امرا اوجب ريبة وشكا اي نظن انكم تطلبون الملك

والدنيا قوله تعالى قالت رسلهم افي الله شك استفهام معناه الانكار اي لاشك في الله اي في توحيده
قاله قتادة وقيل في طاعته ويحتمل وجها ثالثا اي في قدرته شك لانهم متفقون عليها ومختلفون
فيما عداها يدل عليه قولهم فاطر السموات والارض اي خالقها ومخترعها ومنشيها وموجدها بعد
العدم لينبه على قدرته فلا تجوز العبادة الا له يدعوكم اي الى طاعته بالرسل والكتب ليغفر لكم من
ذنوبكم قال ابوعبيده من زائدة وقال سيبويه هي للتبعيض ويجوز ان يذكر البعض والمراد منه الجميع
وقيل من للبدل وليست بزائدة ولا مبعضة اي لتكون المغفرة بدلا من الذنوب ويؤخركم الى اجل مسمى
يعني الموت فلا يعذبكم في الدنيا قالوا ان انتم الا بشر مثلنا في الهيئة والصورة تاكلون مما ناكل و
تشربون مما نشرب ولستم ملائكة تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباونا من الاصنام
والاوثان فأتونا بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة وكان هذا محالا منهم فان الرسل ما دعوا الا ومعهم
المعجزات قوله تعالى قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده
وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا الا نتوكل على
الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا
لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم
الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد
من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان
وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد الم تر ان الله خلق
السموات والارض بالحق ان يشا يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا
لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من
عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص
وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم
بمصرخي اني كفرت بما اشركتموني من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم قوله تعالى قالت لهم
رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم اي في الصورة والهيئة كما قلتم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده
اي يتفضل عليه بالنبوة وقيل بالتوفيق والحكمة والمعرفة والهداية وقال سهل بن عبد الله بتلاوة
القران وفهم ما فيه قلت وهذا قول حسن وقد خرج الطبري من حديث ابن عمر قال قلت
لابي ذر يا عم اوصني قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سالتني فقال ما من يوم ولا ليلة ولا
ساعة الا ولله فيه صدقة يمن بها على من يشاء من عباده وما من الله تعالى على عباده بمثل ان
يلهمهم ذكره وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان اي بحجة واية الا باذن الله اي بمشيئته وليس ذلك
في قدرتنا اي لا نستطيع ان ناتي بحجة كما تطلبون الا بامره وقدرته فلفظه لفظ الخبر ومعناه النفي
لانه لا يحظر على احد ما لا يقدر عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقدم معناه قوله تعالى وما
لنا الا نتوكل على الله استفهام في موضع رفع بالابتداء ولنا الخبر وما بعدها في موضع الحال التقدير
اي شيء لنا في ترك التوكل على الله وقد هدانا سبلنا اي الطريق الذي يوصل الى رحمته وينجي من
سخطه ونقمته ولنصبرن لام قسم مجازه والله لنصبرن على ما اذيتمونا به اي من الاهانة والضرب
والتكذيب والقتل ثقة بالله ان يكفينا ويثيبنا وعلى الله فليتوكل المتوكلون قوله تعالى وقال

الدين

الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا اللام لام قسم اي والله لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن اي حتى
تعودوا او الا ان تعودوا قاله الطبري وغيره قال ابن العربي وهو غير مفتقر الى هذا التقدير فان
او على بابها من التخيير خير الكفار الرسل بين ان يعودوا في ملتهم او يخرجوهم من ارضهم وهذه سنة الله
تعالى في رسله وعباده الا ترى الى قوله وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا
يلبثون خلافك الا قليلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا وقد تقدم هذا المعنى في الاعراف
وغيرها في ملتنا اي الى ديننا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم قوله تعالى
ذلك لمن خاف مقامي اي مقامه بين يدي يوم القيمة فاضيف المصدر الى الفاعل والمقام مصدر كالقيام
يقال قام قياما ومقاما واضاف ذلك اليه لاختصاصه والمقام بالفتح مكان الاقامة وبالضم
فعل الاقامة وقيل ذلك لمن خاف مقامي اي قيامي عليه ومراقبتي له قال الله تعالى افمن هو قائم
على كل نفس بما كسبت وقال الاخفش ذلك لمن خاف مقامي اي عذابي وخاف وعيد اي القران وزواجره
وقيل انه العذاب والوعيد الاسم من الوعد قوله تعالى واستفتحوا اي واستنصروا اي اذن للرسل في
الاستفتاح على قومهم والدعاء بهلاكهم قاله ابن عباس وغيره وقد مضى في البقرة ومنه الحديث ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح بصعاليك المهاجرين اي يستنصر وقال ابن زيد استفتحت الامم
بالدعاء كما قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا الاية وروي عن ابن عباس
وقيل قال الرسول انهم كذبوني فافتح بيني وبينهم فتحا وقالت الامة ان كان هؤلاء صادقين فعذ
بنا عن ابن عباس ايضا نظيره ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين
وخاب كل جبار عنيد الجبار المتكبر الذي لا يرى لاحد عليه حقا هكذا هو عند اهل اللغة ذكره النحاس والعنيد
المعاند للحق والمجانب له عن ابن عباس وغيره يقال عند عن قومه اي تباعد عنهم وقيل هو من العند وهو
الناحية وعاند فلان اي اخذ في ناحية معرضا قال الشاعر اذا نزلت فاجعلاني وسطا اني كبير لا اطيق
العندا وقال الهروي في قوله تعالى جبار عنيد اي جائر عن القصد وهو العنود والعنيد والعاند وفي
حديث ابن عباس وسئل عن المستحاضة فقال انه عرق عاند قال ابوعبيد هو الذي عند وبغى
كالانسان يعاند فهذا العرق بكثرة ما يخرج منه بمنزلته وقال شمر العاند الذي لا يرقا وقال عمر
يذكر سيرته واضم العنود قال الليث العنود من الابل الذي لا يخالطها انما هو في ناحية ابدا اراد
من هم بالخلاف او بمفارقة الجماعة عطفت به اليها وقال مقاتل العنيد المتكبر وقال ابن كيسان هو الشامخ
بانفه وقيل العنود والعنيد الذي يتكبر على الرسل ويذهب عن طريق الحق فلا يسلكها تقول العرب شر
الابل العنود الذي يخرج عن الطريق وقيل المرتد العاصي وقال قتادة العنيد الذي ابى ان يقول لا اله
الا الله قلت فالجبار العنيد في الاية بمعنى واحد وان كان اللفظ مختلفا وكل متباعد عن الحق جبار
وعنيد اي متكبر وقيل ان المراد به في الاية ابو جهل ذكره المهدوي وحكى الماوردي في كتاب ادب
الدين والدنيا ان الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يوما في المصحف فخرج له قوله عز وجل
واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزق المصحف وانشا يقول اتوعد كل جبار عنيد فها انا ذاك جبار
عنيد اذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد فلم يلبث الا اياما حتى قتل شر قتلة
وصلب راسه على قصره ثم على سور بلده من ورائه جهنم اي من وراء ذلك الكافر جهنم اي من بعد
هلاكه ووراء بمعنى بعد قال النابغة حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء
مذهب اي بعد الله جل جلاله وكذلك قوله تعالى ومن ورائه عذاب غليظ اي من بعده وقوله
تعالى ويكفرون بما وراءه اي بما سواه قاله الفراء وقال ابوعبيدة بما وراء وقيل من ورائه اي

من امامه ومنه قول الشاعر ومن ورائك يوم انت بالغه لا حاضر معجز عنه ولا باد وقال اخر اترجو
بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا وقال لبيد اليس ورائي ان تراخت منيتي لزوم
العصي تحني عليها الاصابع يريد امامي وفي التنزيل وكان وراءهم ملك اي امامهم والى هذا ذهب ابو عبيدة
وابو علي قطرب وغيرهما وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك اي سوف ياتيك وانا من وراء
فلان اي في طلبه وساصل اليه وقال النحاس في قوله من ورائه جهنم اي من امامه وليس من الاضداد
ولكنه من توارى اي استتر وقال الازهري اي وراء يكون بمعنى خلف وامام فهو من الاضداد وقاله ابو
عبيدة واشتقاقه من توارى واستتر فجهنم توارى ولا يظهر فصارت من وراء لانها لا ترى حكاه ابن
الانباري وهو حسن قوله تعالى ويسقى من ماء صديد اي من ماء مثل الصديد كما يقال للرجل الشجاع اسد
اي مثل الاسد فهو تمثيل وتشبيه وقيل هو ما يسيل من اجسام اهل النار من القيح والدم وقال محمد بن كعب
القرظي والربيع بن انس هو غسالة اهل النار وذلك ما يسيل من فروج الزناة والزواني وقيل من ما
كراهته يصد عنه فيكون الصديد ماخوذ من الصد وذكر ابن المبارك نا صفوان بن عمرو عن عبيد
الله بن بسر عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه
فيتكرهه فاذا دنى منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه واذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول
تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول الله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه
بئس الشراب خرجه الترمذي وقال الحديث غريب وعبيد الله بن بسر يتجرعه اي يتحساه جرعا لا مرة
واحدة لمرارته وحرارته ولا يكاد يسيغه اي يبتلعه يقال جرع الماء واجترعه وتجرعه وساغ
الشراب في الحلق يسوغ سوغا اذا كان سلسا سهلا واساغه الله اساغة ويكاد صلة اي يسيغه بعد
ابطا قال الله تعالى وما كادوا يفعلون اي فعلوا بعد ابطا ولهذا قال يصهر به ما في بطونهم فهذا
يدل على الاساغة وقال ابن عباس لا يجيزه ولا يمر به ويأتيه الموت من كل مكان قال ابن عباس اي ياتيه
اسباب الموت من كل مكان عن يمينه وشماله ومن فوقه ومن تحته ومن قدامه وخلفه كقوله لهم
من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال ابراهيم التيمي ياتيه من كل مكان من جسده حتى من اطراف
شعره للالام التي في كل موضع من جسده وقال الضحاك انه لياتيه الموت من كل ناحية ومكان حتى
من ابهام رجليه وقال الاخفش يعني البلايا التي تصيب الكافر في النار سماها موتا وهي من اعظم الموت
وقيل انه لا يبقى عضو من اعضائه الا وكل به نوع من العذاب لو مات سبعين مرة لكان اهون
عليه من نوع منها في فرد لحظة اما حية تنهشه او عقرب تلسعه او نار تسفعه او قيد برجليه او غل
في عنقه او سلسلة يقرن بها او تابوت يكون فيه او زقوم او حميم او غير ذلك من العذاب وقال محمد
بن كعب اذا دعي الكافر في جهنم بالشراب فراه مات موتات فاذا دنا منه مات موتات فاذا شرب منه
مات موتات فذلك قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت قال الضحاك لا يموت فيستريح
وقال ابن جريج تعلق نفسه في حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع من مكانها من جوفه فتنفعه
الحياة ونظيره قوله لا يموت فيها ولا يحيى وقيل يخلق الله في جسده الالام كل واحد كالم الموت وقيل في ما
هو بميت ليتطاول شدائده الموت به وامتداد سكراته عليه ليكون ذلك زيادة في عذابه قلت
ويظهر من هذا انه يموت وليس كذلك لقوله تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وكذلك
وردت السنة فاحوال الكفار احوال من اشتدت عليه سكرات الموت دائما والله اعلم ومن ورائه اي
من امامه عذاب غليظ اي شديد متواصل الالام من غير فتور ومنه قوله وليجدوا فيكم غلظة اي شدة
وقوة وقال الفضيل بن عياض في قول الله تعالى ومن ورائه عذاب غليظ قال حبس الانفاس قوله تعالى

مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اختلف النحويون في رفع مثل فقال سيبويه ارتفع بالابتدا والخبر
مضمر التقدير وفيما يتلى عليكم اي يقص مثل الذين كفروا بربهم ثم ابتدا فقال اعمالهم كرماد اي كمثل رماد
اشتدت به الريح وقال الزجاج اي مثل الذين كفروا بربهم ثم ابتدا فقال اعمالهم كرماد فيما يتلى عليكم
اعمالهم كرماد وهو عند الفراء على الغاء المثل التقدير الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد وعنه ايضا انه
على حذف مضاف التقدير مثل اعمال الذين كفروا بربهم كرماد ذكر الاول عنه المهدوي والثاني القشيري
والثعلبي ويجوز ان يكون هذا كما يقال صفة فلان اسمر فمثل بمعنى صفة ويجوز في الكلام جر اعمالهم
على بدل الاشتمال من الذين واتصل هذا بقوله وخاب كل جبار عنيد والمعنى اعمالهم محبطة غير مقبولة
والرماد ما بقي بعد احراق الشي فضرب الله هذه الاية مثلا لاعمال الكفار في انه يمحقها كما يمحق الريح
الشديدة الرماد في يوم عاصف والعصف شدة الريح وانما كان ذلك لانهم اشركوا فيها غير الله تعالى
وفي وصف اليوم بالعصوف ثلاثة اقوال احدها ان العصوف وان كان للريح فان اليوم قد يوصف به
لان الريح يكون فيه فجاز ان يقال يوم عاصف كما يقال يوم حار ويوم بارد والحر والبرد فيهما والثاني
ان يريد في يوم عاصف الريح لانها ذكرت في اول الكلام كما قال الشاعر اذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف
يريد كاسف الشمس فحذف لانه قد تقدم ذكره ذكرهما الهروي الثالث انه من نعت الريح غير انه لما جا
بعد اليوم اتبع اعرابه كما قيل جحر ضب خرب ذكره الثعلبي والماوردي وقرا ابن ابي اسحق وابراهيم بن
ابي بكر في يوم عاصف بالاضافة على تقدير في يوم ذي عاصف او على تقدير في يوم عاصف الريح لا يقدرون
على شي يعني الكفار مما كسبوا يريد في الاخرة اي من ثواب ما عملوا من البر في الدنيا لاحباطه بالكفر
ذلك هو الضلال البعيد اي الخسران الكبير وانما جعله كبيرا بعيدا لفوات استدراكه بالموت قوله
تعالى الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق الرؤية هنا رؤية القلب لان المعنى الم ينته علمك
اليه وقرا حمزة والكسائي خالق السموات والارض بالحق الرؤية ليستدل بها على قدرته اي يشا يذهبكم
اي هو قادر على الافناء كما قدر على الايجاد فلا تعصوه فانكم ان عصيتموه يذهبكم وياتي بخلق جديد
افضل واطوع منكم اذ لو كانوا مثل الاولين فلا فائدة في الابدال وما ذلك على الله بعزيز اي
منيع متعذر قوله تعالى وبرزوا لله جميعا اي برزوا من قبورهم يعني يوم القيمة والبروز الظهور
والبراز المكان الواسع لظهوره ومنه امراة برزة اي تظهر للناس فمعنى برزوا ظهروا من
قبورهم وجاء بلفظ الماضي ومعناه الاستقبال واتصل هذا بقوله وخاب كل جبار عنيد اي
وخاب لما استفتحوا فاهلكوا ثم بعثوا للحساب فبرزوا لله جميعا لا يسترهم عنه ساتر لله اي لاجل
امر الله اياهم بالبروز فقال الضعفاء يعني الاتباع للذين استكبروا وهم القادة انا كنا لكم تبعا
يجوز ان يكون تبع مصدرا التقدير ذوي تبع ويجوز ان يكون جمع تابع كحارس وحرس وخادم وخدم
وزاهد وزهد وباقر وبقر فهل انتم مغنون اي دافعون عنا من عذاب الله من شي اي شيئا ومن
صلة يقال اغنى عنه اذا دفع عنه الاذى واغناه اذا اوصل اليه النفع قالوا لو هدانا الله لهديناكم
اي لو هدانا الله الى الايمان لهديناكم اليه وقيل لو هدانا الله الى طريق الجنة لهديناكم اليها وقيل لو
نجانا الله من العذاب لنجيناكم منه سواء علينا اجزعنا ام صبرنا اي سواء علينا هذا ابتدا الخبر
ما لنا من محيص اي من مهرب وملجا ويجوز ان يكون محيص بمعنى المصدر وبمعنى الاسم يقال
حاص فلان عن كذا اذا فر وزاغ يحيص حيصا وحيوصا وحيصانا والمعنى ما لنا وجه نتباعد
به عن النار وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول اهل النار اذا اشتد بهم العذاب
تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلما راوا ان ذلك لا ينفعهم قالوا هلم فلنجزع فيجزعون ويضجون

خمسمائة عام فلما راوا ان ذلك لا ينفعهم قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال محمد بن
كعب القرظي ذكر لنا ان اهل النار يقول بعضهم لبعض يا هؤلاء انه قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما
قد ترون فهلم فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا كما صبر اهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم ذلك الصبر اذ صبروا فاجمعوا
امرهم على الصبر فصبروا فطال صبرهم ثم جزعوا فنادوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص اي منجا
فقام ابليس عند ذلك فقال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي يقول بمغن عنكم
شيئا وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل الحديث بطوله وقد كتبناه في كتاب التذكرة
بكماله قوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر قال الحسن يقف ابليس يوم القيمة خطيبا في جهنم
على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعا ومعنى لما قضي الامر اي حصل اهل الجنة في الجنة واهل النار
في النار على ما ياتي في سورة مريم ان شاء الله وعدكم وعد الحق يعني البعث والجنة والنار والثواب
المطيع وعقاب العاصي فصدقكم وعده ووعدتكم ان لا بعث ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب
فاخلفتكم وروي ابن المبارك من حديث عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث
الشفاعة قال فيقول عيسى ادلكم على النبي الامي فياتوني فياذن الله لي ان اقوم فيثور مجلسي من اطيب
ريح شمها احد حتى اتي ربي فيشفعني ويجعل لي نورا من شعر راسي الى ظفر قدمي ثم يقول الكفار
قد وجد المومنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو الذي اضلنا فياتونه فيقولون
قد وجد المومنون من يشفع لهم فقم انت فاشفع لنا فانك اضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه انتن
ريح شمه احد ثم يعظم لجهنم ويقول عند ذلك وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد
الحق ووعدتكم فاخلفتكم الاية ووعد الحق هو اضافة الشيء الى نفسه كقولهم مسجد الجامع اي وعدكم
وعد الحق قاله الفراء وقال البصريون وعدكم وعد اليوم الحق او وعدكم وعد الحق وصدقكم فحذف
المصدر لدلالة الحال وما كان لي عليكم من سلطان اي من حجة وبيان اي ما اظهرت لكم حجة على
ما وعدتكم وزينته لكم في الدنيا الا ان دعوتكم فاستجبتم لي اي اغويتكم فتابعتموني وقيل لم اقهركم
على ما دعوتكم اليه الا ان دعوتكم هو استثنا منقطع اي لكن دعوتكم بالوسواس فاستجبتم لي باختياركم
فلا تلوموني ولوموا انفسكم وقيل ما كان لي عليكم من سلطان اي على قلوبكم وموضع ايمانكم لكن دعوتكم
فاستجبتم لي قلت وهذا على انه خاطب العاصي المومن والكافر الجاحد وفيه نظر لقوله لما
قضي الامر فانه يدل على انه خاطب الكفار دون العاصين من الموحدين والله اعلم فلا تلوموني
ولوموا انفسكم اذ جئتموني من غير حجة ما انا بمصرخكم اي بمغنيكم وما انتم بمصرخي اي بمغنيني والصارخ
والمستصرخ هو الذي يطلب النصرة والمعاونة والمصرخ هو المغيث قال الجندب بن سلامة كنا اذا
ما اتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب وقال امية بن ابي الصلت ولا تجزعوا اني لكم
غير مصرخ وليس لكم عندي غناء ولا نصر يقال صرخ فلان اي استغاث يصرخ صرخا وصراخا
وصرخة واصطرخ بمعنى صرخ والتصريخ تكلف الصراخ والمصرخ المغيث والمستصرخ المستغيث
تقول منه استصرخني فاصرخته والصريخ صوت الصارخ وهو المغيث والمستغيث وهو
من الاضداد قاله الجوهري وقراءة العامة بمصرخي بفتح الياء وقرا الاعمش وحمزة بكسر الياء والاصل
فيه بمصرخينني فذهبت النون للاضافة وادغمت ياء الجماعة في ياء الاضافة فمن نصب فلاجل
التضعيف ولان ياء الاضافة اذا سكن ما قبلها تعين فيها الفتح مثل هواي وعصاي فان تحرك
ما قبلها جاز الفتح والاسكان مثل غلامي وغلامي ومن كسر فلالتقاء الساكنين حركت بالكسر لان

الكسرة

الكسرة اخت الياء وقال الفراء قراءة حمزة وهم منه وقل من يسلم منهم عن خطا وقال الزجاج هذه قراءة رديئة
ولا وجه لها الا وجه ضعيف وقال قطرب هذه لغة بني يربوع يزيدون على ياء الاضافة يا القشيري والذي
يغني عن هذا ان ما ثبت بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز ان يقال فيه هو خطا او قبيح او رديء
بل هو في القران فصيح وفيه ما هو افصح منه فلعل هؤلاء ارادوا ان غير هذا الذي قرا به حمزة افصح اني
كفرت بما اشركتموني من قبل اي كفرت باشراككم اياي مع الله تعالى في الطاعة فما بمعنى المصدر وقال ابن
جرير اني كفرت اليوم بما كنتم تدعون في الدنيا من الشرك لله تعالى قال قتادة اني عصيت الله قبلكم الثوري
كفرت بطاعتكم اياي في الدنيا ان الظالمين لهم عذاب اليم وفي هذه الايات رد على القدرية والمعتزلة
والامامية ومن كان على طريقتهم انظر الى قول المتبوعين لو هدانا الله لهديناكم وقول ابليس ان
الله وعدكم وعد الحق اعترفوا بالحق في صفات الله وهم في دركات النار كما قال في موضع اخر ربنا
ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا وفي موضع اخر كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الى قوله فاعترفوا
بذنبهم واعترافهم في دركات لظى بالحق ليس بنافع وانما ينفع الاعتراف صاحبه في الدنيا قال الله عز
وجل واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم وعسى من الله واجبة
قوله تعالى وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن
ربهم تحيتهم فيها سلام الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها
في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة
خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء الم تر الى الذين
بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله اندادا
ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة وينفقوا
مما رزقناهم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال الله الذي خلق السموات والارض وانزل
من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر
لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين واتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها ان الانسان لظلوم كفار واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني
ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك
غفور رحيم ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا
الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون
قوله تعالى وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات اي جنات لان دخلت لا يتعدى كما يتعدى
نقيضه وهو خرجت ولا يقال دخلت عليه كما قال المهدوي ولما اخبر تعالى بحال اهل النار اخبر بحال
اهل الجنة ايضا وقرا الجماعة ادخل على انه فعل مبني للمفعول وقرا الحسن وادخل على الاستقبال والاستئناف
باذن ربهم اي بامره وقيل بمشيئته وتيسيره وقال باذن ربهم ولم يقل باذني تعظيما وتفخيما
تحيتهم فيها سلام تقدم في يونس قوله تعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة
طيبة فيه مسئلتان الاولى قوله الم تر كيف ضرب الله مثلا لما ذكر تعالى مثل اعمال الكفار وانها
كرماد اشتدت به الريح ذكر مثل اقوال المؤمنين وغيرها ثم فسر ذلك المثل فقال كلمة طيبة الثمر
فحذف لدلالة الكلام عليه قال ابن عباس الكلمة الطيبة لا اله الا الله والشجرة الطيبة المؤمن
وقال مجاهد وابن جريج الكلمة الطيبة الايمان عطية العوفي والربيع بن انس هي المؤمن نفسه

وقال مجاهد ايضا وعكرمة الشجرة النخلة فيجوز ان يكون المعنى اصل الكلمة في قلب المؤمن وهو
الايمان متشبهة بالنخلة في المنبت وشبه ارتفاع عمله في السماء بارتفاع فروع النخلة وثواب
الله تعالى له بالثمر وروي من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل الايمان كمثل
شجرة ثابتة الايمان عروقها والصلاة اصلها والزكاة فرعها والصيام اغصانها والتاخي في الله
نباتها وحسن الخلق ورقها والكف عن محارم الله ثمرتها ويجوز ان يكون المعنى اصل النخلة ثابت في
الارض اي عروقها تشرب من الارض وتسقيها السماء من دوقها فهي زاكية نامية وخرج الترمذي
من حديث انس بن مالك قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة
طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء توتي اكلها كل حين باذن ربها هي النخلة ومثل
كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار قال هي الحنظل وروي عن انس
قوله وهو اصح وخرج الدارقطني عن ابن عمر قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل كلمة طيبة كشجرة
طيبة اصلها ثابت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هي فوقع في نفسي انها النخلة قال
السهيلي ولا يصح فيها ما روي عن علي بن طالب انها جوزة الهند لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في
حديث ابن عمران من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المؤمن خبروني ما هي ثم قال هي النخلة
خرجه مالك في الموطا من رواية ابن القاسم وغيره الا يحيى فانه اسقطه من روايته وخرجه
اهل الصحيح وزاد الحارث بن ابي اسامة زيادة تساوي رحلة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهي
النخلة لا تسقط لها انملة وكذلك المؤمن لا تسقط له دعوة فبين معنى الحديث والمماثلة قلت
وذكر الغزنوي عنه عليه الصلاة والسلام مثل المؤمن كالنخلة ان صاحبته نفعك وان
جالسته نفعك وان شاورته نفعك كالنخلة كل شيء منها ينتفع به وقال كلوا من عمتكم يعني
النخلة وخلقت من فضلة طينة ادم عليه السلام وكذلك انها براسها تبقى وبقلبها تحيى لترهما
بامتزاج الذكر والانثى وقد قيل انها لما كانت اشبه الاشجار بالانسان شبهت به وكذلك ان
كل شجرة اذا قطع راسها يبست وذهبت اصلا ولانها تشبه الانسان وساير الحيوان في الالتقاح
لانها لا تحمل حتى تلقح قال النبي صلى الله عليه وسلم خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة والالقاح
الابار وسياتي في سورة الحجر بيانه ولانها من فضلة طينة ادم يقال ان الله عز وجل لما صور ادم
من الطين فضلت قطعة طين فصورها بيده وغرسها في جنة عدن قال النبي صلى الله عليه وسلم اكرموا
عمتكم وقالوا ومن عمتنا يا رسول الله قال النخلة توتي اكلها كل حين قال الربيع كل حين غدوة وعشية
كذلك يصعد عمل المؤمن اول النهار واخره وقاله ابن عباس وعنه في قوله توتي اكلها كل حين
قال هو شجر جوزة الهند لا يتعطل من ثمرة تحمل في كل شهر فشبه عمل المؤمن لله عز وجل في كل وقت
بالنخلة التي توتي اكلها في اوقات مختلفة وقال الضحاك كل ساعة من ليل ونهار شتاء وصيفا
يوكل في جميع الاوقات كذلك المؤمن لا يخلو من الخير في الاوقات كلها قال النحاس وهذه الاقوال
متقاربة غير متناقضة لان الحين عند جميع اهل اللغة الا من شذ منهم بمعنى الوقت يقع لقليل
الزمان وكثيره وانشد الاصمعي بيت النابغة تنادرها الراقون من سوء سمها تطلقه حينا
وحينا ترجع فهذا يبين لك ان الحين بمعنى الوقت فالايمان ثابت في قلب المؤمن وعمله وقوله
وتسبيحه عال مرتفع في السماء ارتفاع فروع النخلة وما يكسب من بركة الايمان وثوابه كما يقال من
ثمرة النخلة في اوقات السنة كلها من الرطب والبسر والبلح والزهو والتمر والطلع وفي رواية عن
ابن عباس ان الشجرة الطيبة شجرة في الجنة تثمر في كل وقت ومثلا مفعول بضرب وكلمة بدل

منه

ن والقاف في قوله كشجرة في موضع نصب على الحال من كلمة التقدير كلمة مشبهة بشجرة طيبة الثانية
قوله تعالى توتي اكلها كل حين لما كانت الاشجار توتي اكلها كل سنة مرة كان في ذلك بيان حكم الحين
ولهذا قلنا ان من حلف ان لا يكلم فلانا حينا او لا يفعل كذا حينا ان الحين سنة وقد ورد الحين في موضع
يراد به اكثر من ذلك كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر قيل في التفسير اربعون عاما وعن
عكرمة ان رجلا قال ان فعلت كذا وكذا الى الحين فغلامه حر فاتى عمر بن عبد العزيز فسالني
عنها فقلت ان من الحين حينا لا يدرك كقوله تعالى وان ادري لعله فتنة لكم ومثل الحين فارى
ان يمسك ما بين صرام النخلة الى حملها فكانه اعجبه وهو قول ابي حنيفة في الحين انه ستة اشهر
اتباعا لعكرمة وغيره وقد مضى ما للعلماء في الحين في البقرة مستوفى ويضرب الله الامثال اي الاشبه
للناس لعلهم يتذكرون ويعتبرون وقد تقدم قوله تعالى ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة الكلمة الخبيثة
كلمة الكفر وقيل الكافر نفسه والشجرة الخبيثة شجرة الحنظل كما في حديث انس وهو قول ابن عباس
ومجاهد وعن ابن عباس ايضا انها شجرة لم تخلق على الارض وقيل هي شجرة الثوم عن ابن عباس ايضا
وقيل الكماة او الطحلبة وقيل الكشوث وهي شجرة لا ورق لها ولا عروق في الارض قال الشاعر
وهم كشوث فلا اصل ولا ثمر اجتثت من فوق الارض اي اقتلعت من اصلها قاله ابن عباس ومنه قول
لقيط هو الجلا الذي يجتث اصلكم فمن راى مثل ذا ات ومن سمعا وقال المورج اخذت جثتها وهي
نفسها والجثة شخص الانسان قاعدا او قائما وجثه قلعه واجتثه اقتلعه من فوق الارض اي
ليس لها اصل راسخ تشرب بعروقه من الارض ما لها من قرار اي من اصل في الارض وقيل من ثبات وكذلك
الكافر لا حجة له ولا ثبات ولا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح وروي معاوية بن
صالح عن علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله وضرب الله مثلا كلمة طيبة قال لا اله الا الله
كشجرة طيبة قال المؤمن اصلها ثابت لا اله الا الله ثابت في قلب المؤمن ومثل كلمة خبيثة
قال الشرك كشجرة خبيثة قال الشرك اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار اي ليس للشرك اصل
يعمل عليه وقيل يرجع المثل الى الدعا الى الايمان والدعا الى الشرك لان الكلمة يفهم منها القول
والدعا الى الشيء قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت قال ابن عباس هو لا اله الا الله
وروي النسائي عن البرا قال يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة
قال نزلت في عذاب القبر يقال له من ربك فيقول ربي الله وديني دين محمد صلى الله عليه وسلم فذلك
قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة قوله تعالى وقد جاء هكذا
موقوفا في بعض طرق مسلم عن البرا قوله والصحيح فيه الرفع كما في صحيح مسلم وكتاب النسائي وابي داود
وابن ماجة وغيرهم عن البرا عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر البخاري نا جعفر بن عمر نا شعبة عن علقمة
بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البرا بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اقعد المؤمن
في قبره اتي ثم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت الاية وقد بينا هذا الباب في كتاب التذكرة وبينا هناك من يفتن في قبره ويسال من
اراد الوقوف عليه تامله هناك وقال سهل بن عمار رايت يزيد بن هرون في المنام بعد موته
فقلت له ما فعل الله بك فقال انه اتاني في قبري ملكان فظان غليظان فقالا ما دينك
ومن ربك ومن نبيك فاخذت بلحيتي البيضا وقلت الميثلي يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما
ثمانين سنة فذهبا وقالا اكتبت عن جرير بن عثمان قلت نعم فقالا انه كان يبغض عثمان فابغضه
الله وقيل معنى يثبت الله يديمهم الله على القول الثابت ومنه قول عبد الله بن رواحة يثبت

الله ما اتاك من حسن بيت موسى وقيل يثبتهم في الدارين جزاء لهم على القول ونصرا كالذي نصر
الثابت وقال القفال وجماعة في الحياة الدنيا اي في القبر لان الموتى في الدنيا الى ان يبعثوا وفي
الاخرة اي عند الحساب وحكاه الماوردي عن البراء قال المراد بالحياة الدنيا المسئلة في القبر وفي الاخرة
المسئلة في القيمة ويضل الله الظالمين اي عن حجتهم في قبورهم كما ضلوا في الدنيا بكفرهم فلا يلقنهم
كلمة الحق فاذا سئلوا في قبورهم قالوا لا ندري فيقول لا دريت ولا تليت وعند ذلك يضرب بالمقامع
على ما ثبت في الاخبار وقد ذكرنا ذلك في كتاب التذكرة وقيل يمهلهم حتى يزدادوا ضلالا في الدنيا
ويفعل الله ما يشاء من عذاب قوم واضلال قوم وقيل ان سبب نزول الاية ما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم لما وصف مسيلة منكر ونكير وما يكون من جواب الميت قال عمر يا رسول الله ايكون معي عقلي
قال نعم قال كفيت اذا فانزل الله عز وجل هذه الاية قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا
اي جعلوا بدل نعمة الله عليهم الكفر في تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم حين بعثه الله منهم وفيهم فكفروا
به والمراد مشركوا قريش وان الاية نزلت فيهم عن ابن عباس وعلي وغيرهما وقيل نزلت في المشركين
الذين قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقال ابو الطفيل سمعت عليا رضي الله عنه يقول هم
قريش فجروا يوم بدر وقيل نزلت في الافخرين من قريش بني مخزوم وبني امية فاما بنو امية فمتعوا
حتى حين واما بنو مخزوم فاهلكوا يوم بدر قاله علي بن ابي طالب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما
وقول رابع انهم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه حين لطم فجعل له عمر القصاص بمثلها فلم
يرض وانف فارتد متنصرا ولحق بالروم في جماعة من قومه عن ابن عباس وقتادة ولما صار الى بلد
الروم ندم فقال — تنصرت للاشراف من عار لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر تكنفني
منها لجاج ونخوة وبعت بها العين الصحيحة بالعور فياليتني ارعى بلدة ولم انكر القول الذي
قاله عمر وقال الحسن انه عام في جميع المشركين واحلوا قومهم دار البوار اي انزلوهم قال ابن عباس
هم قادة المشركين يوم بدر احلوا قومهم اي الذين اتبعوهم دار البوار قيل جهنم قاله ابن زيد وقيل
يوم بدر قاله علي ومجاهد والبوار الهلاك ومنه قول الشاعر فلم ار مثلهم ابطال حرب غداة
الحرب اذ خيف البوار جهنم يصلونها بين ان دار البوار جهنم كما قال ابن زيد وعلى هذا لا يجوز
الوقف على دار البوار لان جهنم منصوبة على الترجمة عن دار البوار فلو رفعها رافع باضمار على معنى
هي جهنم او بما عاد من الضمير في يصلونها لحسن الوقف على دار البوار وبئس القرار اي المستقر قوله تعالى
وجعلوا لله اندادا اي اصناما عبدوها وقد تقدم في البقرة ليضلوا عن سبيله اي دينه وقرا ابن كثير
وابو عمرو بفتح الياء وكذلك في الحج ليضل عن سبيله ومثله في لقمان والزمر وضمها الباقون على معنى ليضلوا
الناس عن سبيله واما من فتح فعلى معنى انهم يضلون عن سبيل الله على اللزوم اي عاقبتهم الى الاضلال
والضلال فهذه لام العاقبة قل تمتعوا وعيد لهم وهو اشارة الى تقليل ما هم فيه من ملاذ الدنيا
اي هو منقطع فان مصيركم الى النار اي مردكم ومرجعكم الى عذاب جهنم قوله تعالى قل لعبادي الذين امنوا
اي ان اهل مكة بدلوا نعمة الله بالكفر فقل لمن امن وحقق عبوديته ان يقيموا الصلاة يعني الصلوات
الخمس اي وقل لهم اقيموا والامر معه شرط مقدر تقول اطع الله يدخلك الجنة اي ان اطعته يدخلك
الجنة هذا قول الفراء وقال الزجاج يقيموا بمعنى اللام اي ليقيموا فاسقطت اللام لان الامر دل على الغايب
بقل قال ويحتمل ان يقال يقيموا جواب امر محذوف اي قل لهم اقيموا الصلوة يقيموا الصلوة وينفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية يعني الزكاة عن ابن عباس وغيره وقال الجمهور السر ما خفي والعلانية ما ظهر
وقال القاسم بن يحيى ان السر التطوع والعلانية الفرض وقد مضى هذا المعنى في البقرة مجودا عند قوله

ان تبدوا الصدقات فنعما هي من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال تقدم في البقرة ايضا والخلال جمع
خلة كقلال وقلة قال — فلست بمقلي الخلال ولا قالي قوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض
اي ابدعهما واخترعهما على غير مثال سبق وانزل من السماء اي من السحاب ماء فاخرج به من الثمرات
اي من الشجر ثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره تقدم معناه في البقرة وسخر لكم الانهار
يعني البحار العذبة لتشربوا منها وتسقوا وتزرعوا والبحار المالحة لاجتلاب المنافع من الجهات وسخر لكم
الشمس والقمر دائبين في اصلاح ما يصلحانه من النبات وغيره والدوب مرور الشي في العمل على عادة
جارية وقيل دائبين في السير امتثالا لامر الله والمعنى يجريان الى يوم القيمة لا يفتران روي معناه
عن ابن عباس وسخر لكم الليل والنهار اي لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله واتاكم من كل ما سالتموه
اي اعطاكم من كل مسئول سالتموه شيئا فحذف وعن الاخفش وقيل المعنى واتاكم من كل ما سالتموه ومن
كل ما لم تسالوه فحذف فلم نساله شمسا ولا قمرا ولا كثيرا من نعمه التي ابتدانا بها وهذا كما قال سرابيل تقيكم الحر
على ما ياتي وقيل من زائدة اي اتاكم كل ما سالتموه وقرا ابن عباس والضحاك وغيرهما واتاكم من كل
بالتنوين ما سالتموه وقد رويت هذه القراءة عن الحسن والضحاك وقتادة هي على النفي اي من كل
لم تسالوه كالشمس والقمر وغيرهما وقيل من كل شي ما سالتموه اي الذي سالتموه وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها اي نعم الله لا تحصوها اي لا تطيقوا عدها ولا تقوموا بحصرها لكثرتها كالسمع والبصر
وتقويم الصور وغير ذلك من العافية والرزق نعم لا تحصى وهذه النعم من الله فلم تبدلون
نعمة الله بالكفر وهلا استعنتم بها على الطاعة ان الانسان لظلوم كفار الانسان لفظ جنس واراد
به الخصوص قال ابن عباس اراد ابا جهل وقيل جميع الكفار قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب
اجعل هذا البلد امنا يعني مكة وقد مضى في البقرة وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اي
اجعلني جانبا عن عبادتها واراد بقوله وبني بنيه من صلبه وكانوا ثمانية فما عبد احد منهم صنما
وقيل هو دعا لمن اراد الله ان يدعو له وقرا الجحدري وعيسى واجنبني بقطع الالف والمعنى واحد
يقال جنبته ذلك الامر واجنبته وجنبته اياه فتجانبه واجتنبه اي تركه وكان ابراهيم التيمي
يقول في قصصه من يامن من البلاء بعد الخليل حين يقول واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
كما عبدها ابي وقومي قوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس لما كانت سببا للاضلال اضاف
الفعل اليهن مجازا فان الاصنام جمادات لا تعقل فمن تبعني اي في التوحيد فانه مني اي من اهل
ديني ومن عصاني اي اصر على الشرك فانك غفور رحيم قيل قال هذا قبل ان يعرفه الله ان الله لا
يغفر ان يشرك به وقيل غفور لمن تاب من معصيته قبل الموت وقال مقاتل بن حيان ومن عصاني
فيما دون الشرك قوله تعالى ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع الى قوله يشكرون
فيه ست مسائل الاولى روى البخاري عن ابن عباس اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسماعيل
اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما
عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما
هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل
فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت ذلك مرارا
وجعل لا يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق
ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات
ورفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام

اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقا عطشت وعطش ابنها وجعلت
تنظر اليه يتلوى اوقال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل الى
الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى
اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم
اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن
عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا
فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا
هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه اوقال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول
بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف قال ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم اوقال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم
عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فان هاهنا بيت
الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وذكر الحديث بطوله مسئلة لا يجوز
لاحد ان يتعلق بهذا في طرح ولده وعياله بارض مضيعة اتكالا على العزيز الرحيم واقتدا
بفعل ابراهيم الخليل كما تقوله غلاة الصوفية في حقيقة التوكل فان ابراهيم فعل ذلك بامر الله
تعالى لقوله في الحديث الله امرك بهذا قال نعم وقد روي ان سارة لما غارت لهاجر بعد ان
ولدت اسماعيل خرج بها ابراهيم الى مكة يروى انه ركب البراق هو وهاجر والطفل فجاء في يوم واحد
من الشام الى بطن مكة وترك ابنه وامته هنالك وركب منصرفا من يومه وكل ذلك كان بوحي
من الله تعالى فلما ولى دعا بضمن هذه الاية الثانية لما اراد الله تاسيس الحال وتمهيد
المقام وخط موضع البيت المكرم والبلد المحرم ارسل الملك فبحث عن الماء واقامه مقام الغذا
وفي الصحيح ان ابا ذر رضي الله عنه اخبر انه اقام ثلاثين بين يوم وليلة قال ابو ذر ما كان لي طعام
الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما اجد على كبدي سخفة جوع وذكر الحديث وروي
الدارقطني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له ان شربته
تشتفي به شفاك الله وان شربته يشبعك اشبعك الله به وان شربته ليقطع ظماك قطعه
وهي هزمة جبريل وسقيا الله اسمعيل وروي ايضا عن عكرمة قال كان ابن عباس اذا شرب من
زمزم قال اللهم اني اسالك علما نافعا ورزقا واسعا وشفا من كل داء قال ابن العربي وهذا
موجود فيه الى يوم القيمة لمن صحت نيته وسلمت طويته ولم يكن به مكذبا ولا يشربه مجربا
فان الله مع المتوكلين وهو يفضح المجربين وقال ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي وحدثني
ابي رحمه الله قال دخلت الطواف في ليلة ظلما فاخذني من البول ما شغلني فجعلت اعتصر
حتى اذاني وخفت ان خرجت من المسجد ان اطا بعض تلك الاقذار وذلك ايام الحاج فذكرت
هذا الحديث فدخلت زمزم فتضلعت منه فذهب عني الى الصباح وروي عن عبد الله بن عمر
ان في زمزم عينا من الجنة من قبل الركن الثالثة قوله تعالى من ذريتي من في قوله من ذريتي
للتبعيض اي اسكنت بعض ذريتي يعني اسمعيل وامه لان اسحق كان بالشام وقيل هي صلة
اي اسكنت ذريتي قوله تعالى عند بيتك المحرم يدل على ان البيت كان قديما على ما روي
قبل الطوفان وقد مضى هذا المعنى في سورة البقرة واضاف البيت اليه لانه لا يملكه غيره
ووصفه بانه محرم لانه يحرم فيه ما يستباح في غيره من جماع واستحلال وقيل محرما اي على

الجبابرة وان تنتهك حرمته ويستخف بحقه قاله قتادة وغيره وقد مضى القول في هذا في المائدة
الرابعة قوله ربنا ليقيموا الصلوة خصها من جملة الدين لفضلها فيه ومكانها منه وهي عهد الله
عند العباد قال النبي صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العباد الحديث واللام في ليقيموا
الصلاة لام كي هذا هو الظاهر فيها وتكون متعلقة باسكنت ويصح ان تكون لام امر كانه رغب الى
الله ان يوفقهم لاقامة الصلاة الخامسة تضمنت هذه الاية ان الصلاة بمكة افضل من الصلاة
بغيرها لان معنى ليقيموا الصلوة اي اسكنتهم عند بيتك المحرم ليقيموا الصلاة فيه وقد اختلف العلما
هل الصلاة بمكة افضل ام بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عامة اهل الاثر الى ان الصلاة في
المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة صلاة واحتجوا بحديث
عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة
فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام افضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة
صلاة قال الامام الحافظ ابو عمر اسند هذا الحديث حبيب المعلم عن عطا بن ابي رباح عن عبد الله
بن الزبير وجوده ولم يخلط في لفظه ولا معناه وكان ثقة قال ابن ابي خيثمة سمعت يحيي بن
معين يقول حبيب المعلم ثقة وذكر عبد الله بن احمد قال سمعت ابي يقول حبيب المعلم ثقة ما
اصح حديثه وسئل ابو زرعة الرازي عن حبيب المعلم فقال بصري ثقة قلت وقد اخرج
حديث حبيب المعلم هذا عن عطا بن ابي رباح عن عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم الحافظ
ابو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي في المسند الصحيح له فالحديث صحيح وهو الحجة عند التنازع
والاختلاف قال ابو عمر وقد روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل حديث ابن الزبير
رواه موسى الجهني عن نافع عن ابن عمر وموسى الجهني كوفي اثنى عليه القطان واحمد ويحيي و
جماعتهم وروي عنه شعبة والثوري ويحيي بن سعيد وروي حكيم بن سيف ثنا عبد الله بن
عمرو عن عبد الكريم عن عطا بن ابي رباح عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام
افضل من مائة الف فيما سواه وحكيم بن سيف هذا شيخ من اهل الرقة قد روي عنه ابو زرعة
الرازي واخذ عنه ابن وضاح وهو عندهم شيخ صدوق لا باس به فان كان حفظ فهما حديثان
والا فالقول قول حبيب المعلم وروي محمد بن وضاح نا يوسف بن عدي عن عمر بن عبيد عن عبد
الملك عن عطا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا افضل
من الف صلاة في غيره من المساجد الا المسجد الحرام فان الصلاة فيه افضل قال ابو عمر وهذا كله
نص في موضع الخلاف قاطع له عند من الهم رشده ولم تمل به عصبيته وذكر ابن حبيب عن مطرف
وعن اصبغ عن ابن وهب انهما كانا يذهبان الى تفضيل الصلاة في المسجد الحرام على الصلاة في
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم على ما في هذا الباب وقد اتفق مالك وساير العلماء على ان صلاة العيدين
يبرز لهما الا بمكة فانها تصلى في المسجد الحرام وكان عمر وعلي وابن مسعود وابو الدرداء وجابر يفضلون
مكة ومسجدها وهم اولى بالتقليد ممن بعدهم والى هذا ذهب الشافعي وهو قول عطا والمكيين
والكوفيين وروي مثله عن مالك ذكر ابن وهب في جامعه عن مالك ان ادم عليه السلام لما
اهبط الى الارض قال يا رب هذه احب اليك ان تعبد فيها قال بل مكة والمشهور عنه وعن اهل
المدينة تفضيل المدينة واختلف اهل البصرة والبغداديون في ذلك فطايفة تقول مكة
وطائفة تقول المدينة السادسة قوله تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم الافئدة

جمع فواد وهي القلوب وقد يعبر عن القلب بالفواد كما قال الشاعر وان فوادي قادني بصبابة اليك
على طول الهوى لصبور وقيل جمع وفود والاصل افودة مقدمة الفا وقلبت الواو ياء كما في الافئدة جمع
فواد فكانه قال فاجعل وفودا من الناس تهوي اليهم اي تنزع يقال هوى نحوه اذا مال وهوت الناقة
تهوي هويا اذا عدت عدوا شديدا كانها في هوى وقوله تهوي اليهم ماخوذ منه قال ابن عباس ومجاهد
لو قال افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند واليهود والنصارى والمجوس
ولكن قال من الناس فهم المسلمون فقوله تهوي اليهم اي تحن اليهم وتحن الى زيارة البيت وقرا مجاهد
تهوى اليهم اي تهواهم وتحبهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون فاستجاب الله دعاءه وانبت له
بالطايف سائر الاشجار وبما يجلب اليهم من الامصار وفي صحيح البخاري عن ابن عباس الحديث الطويل وقد
ذكرناه بعضه فجاءه ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسال المراة عنه
فقالت خرج يبتغي لنا ثم سالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكت اليه
قال فاذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كانه انس شيئا
فقال هل جاءكم من احد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسالنا عنك فاخبرته وسالني كيف عيشنا فاخبرته
انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشيء قالت امرني ان اقرا عليك السلام ويقول غير عتبة
بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابراهيم
ما شاء الله ثم اتاهم بعد فلم يجده ودخل على امراته فسالها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم
وسالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله تعالى قال ما طعامكم قالت اللحم
قال فما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن
لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه وذكر
الحديث وقال ابن عباس قول ابراهيم فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم سوال ان يجعل الله
الناس يهوون السكنى بمكة فتصير بيتا محرما وكل ذلك كان والحمد لله واول من سكنه جرهم وفي
البخاري بعد قوله وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول
فتاخذ عن يمينه وشماله وكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم قافلين من طريق كدا
فنزلوا باسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطاير ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما
فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فاقبلوا قال وام اسمعيل عند الماء فقالوا اتاذنين لنا
ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك ام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات
منهم وشب الغلام وماتت ام اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته الحديث قوله تعالى
ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء الحمد لله
الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء رب اجعلني مقيم الصلاة ومن
ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ولا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم
لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا
اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من
زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال
وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله

مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله
الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار
ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا
انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب قوله تعالى ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن اي ليس يخفى عليك
شيء من احوالنا وقال ابن عباس ومقاتل تعلم جميع ما نخفيه وما نعلنه من الوجد باسماعيل وامه حيث
اسكنتهما بواد غير ذي زرع وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء قيل هو من قول ابراهيم وقيل
من قول الله تعالى لما قال ابراهيم ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن قال الله تعالى وما يخفى على الله
من شيء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي على كبر سني وسن امراتي قال ابن عباس ولد له اسماعيل
وهو ابن تسع وسبعين واسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسحق
وهو ابن عشرة ومائة سنة ان ربي لسميع الدعاء قوله تعالى رب اجعلني مقيم الصلاة اي من الثابتين
على الاسلام والتزام احكامه ومن ذريتي اي واجعل من ذريتي من يقيمها ربنا وتقبل دعاء اي عبادتي
كما قال وقال ربكم ادعوني استجب لكم وقال عليه الصلاة والسلام الدعاء مخ العبادة وقد تقدم في
البقرة ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين قيل استغفر ابراهيم قبل ان يثبت عنده انهما عدوان لله قال
القشيري ولا يبعد ان يكون امه مسلمة لان الله ذكر عذره في استغفاره لابيه قلت وعلى هذا قول
قراءة سعيد بن جبير رب اغفر لي ولوالدي يعني اباه وامه وقيل استغفر لهما طمعا في ايمانهما وقيل
استغفر لهما بشرط ان يسلما وقيل اراد ادم وحوى وقد روي ان العبد اذا قال اللهم اغفر لي ولوالدي
وكان ابواه قد ماتا كافرين انصرفت المغفرة الى ادم وحوى لانهما والدا الخلق اجمع وقيل انه اراد
ولديه اسماعيل واسحق وكان ابراهيم النخعي يقرا ولولدي يعني ابنيه وكذلك قرا يحيى بن يعمر ذكره
الماوردي والنحاس وللمؤمنين قال ابن عباس من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المؤمنون كلهم وهو
اظهر يوم يقوم الحساب اي يوم يقوم الناس للحساب قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان اعجبه من افعال المشركين ومخالفتهم دين ابراهيم
اي اصبر كما صبر ابراهيم واعلم المشركين ان تاخير العذاب ليس للرضا بافعالهم بل سنة الله امهال العصاة
مدة قال ميمون بن مهران هذا وعيد للظالم وتعزية للمظلوم انما يؤخرهم يعني مشركي مكة يمهلهم
ويؤخر عذابهم وقراءة العامة يؤخرهم بالياء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله ولا تحسبن الله
وقرا الحسن والسلمي وروي عن ابي عمرو ايضا نؤخرهم بالنون للتعظيم ليوم تشخص فيه الابصار اي لا
تغمض من هول ما تراه في ذلك اليوم قاله الفراء يقال شخص الرجل بصره وشخص البصر نفسه اي
سما وطمح من هول ما يرى قال ابن عباس تشخص ابصار الخلائق يومئذ الى الهوى لشدة الحيرة فلا
يرمضون مهطعين اي مسرعين قاله الحسن وقتادة وسعيد بن جبير ماخوذ من اهطع يهطع اهطاعا
اذا اسرع ومنه قوله تعالى مهطعين الى الداعي اي مسرعين قال الشاعر وبدجلة دارهم ولقد اراهم
بدجلة مهطعين الى السماع وقيل المهطع الذي ينظر في ذل وخشوع اي ناظرين من غير ان يطرفوا
قاله ابن عباس وقال مجاهد والضحاك مهطعين اي مديمي النظر النحاس والمعروف في اللغة
ان يقال اهطع اذا اسرع قال ابو عبيد وقد يكون الوجهان جميعا يعني الاسراع مع ادامة النظر
وقال ابن زيد المهطع الذي لا يرفع راسه مقنعي رؤسهم اي رافعي رؤسهم ينظرون في ذل والاقناع
رفع الراس قاله ابن عباس ومجاهد قال ابن عرفة والقتبي وغيرهما المقنع الذي يرفع راسه
ويقبل ببصره على ما بين يديه ومنه الاقناع في الصلاة واقنع صوته اذا رفعه وقال الحسن وجوه

الناس يومئذ الى السماء لا ينظر احد الى احد وقيل ناكسي رؤسهم قال المهدوي ويقال اقنع اذا رفع رأسه
واقنع اذا طأطأ رأسه ذلا وخضوعا والاية محتملة وقال المبرد والقول الاول اعرف قال الراجز
انغض نحوي رأسه واقنعا كانما ابصر شيئا اطمعا وقال الشماخ يصف ابلا يباكرن العضاة بمقنعات
نواجذهن كالحدا الوقيع يعني برؤس مرفوعات اليها لتتناولهن ومنه قيل مقنعة لارتفاعها ومنه
قنع الرجل اذا رضي اي رفع نفسه عن السؤال وقنع اذا سال اي اتى ما يتقنع منه عن النحاس وفم مقنع
اي معطوفة اسنانه الى داخل ورجل مقنع بالتشديد اي عليه بيضة قاله الجوهري لا يرتد اليهم طرفهم
اي لا ترجع اليهم ابصارهم من شدة النظر فهي شاخصة النظر يقال طرف الرجل يطرف طرفا اذا اطبق
جفنه على الاخر فسمي النظر طرفا لانه يكون به والطرف العين قال عنترة واغض طرفي ما بدت
لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها قال الجميل واقصر طرفي دون جمل كرامة لجمل وللطرف الذي انا
قاصره وافئدتهم هواء اي لا تغني شيئا من شدة الخوف قال ابن عباس خالية من كل خير السدي خرجت قلوبهم
من صدورهم فنشبت في حلوقهم وقال مجاهد ومرة وابن زيد خاوية خربة محترقة ليس فيها خير
ولا عقل كقولك في البيت الذي ليس فيه شيء انما هو هواء قال ابن عباس والهوى في اللغة المجوف
الخالي ومنه قول حسان الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء وقال زهير يصف ناقته
كان الرحل منها فوق صعل من الظلمان جؤجؤه هواء اي خال وفي التنزيل واصبح فؤاد ام موسى فارغا
من كل شيء الا موسى وقيل في الكلام اضمار اي ذات هواء وخلاء قوله تعالى وانذر الناس قال ابن
عباس اراد اهل مكة يوم ياتيهم العذاب وهو يوم القيمة اي خوفهم ذلك اليوم وانما خصه بيوم
العذاب وان كان يوم يوم الثواب لان الكلام خرج مخرج التهديد للعاصي فيقول الذين ظلموا اي
في ذلك اليوم ربنا اخرنا اي امهلنا الى اجل قريب سالوا الرجوع الى الدنيا حين ظهر لهم الحق في
الاخرة نجب دعوتك الى الايمان ونتبع الرسل فيجابوا اولم تكونوا اقسمتم من قبل يعني في دار الدنيا
ما لكم من زوال قال مجاهد هو قسم قريش انهم لا يبعثون ابن جريج هو ما حكاه عنهم في قوله تعالى
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ما لكم من زوال فيه تاويلان احدهما ما لكم من
انتقال عن الدنيا الى الاخرة اي لا يبعثون ولا يحشرون وهذا قول مجاهد الثاني ما لكم من زوال
اي من العذاب وذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى
في اربعة فاذا كان في الخامسة لم يتكلموا بعده ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا
اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله ذلكم بانه اذا دعي الله وحده
كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا
نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا
عذاب الخلد بما كنتم تعملون ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل
فيجيبهم الله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير
ويقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا
يتكلمون بعدها ابدا خرجه ابن المبارك في رقايقه باطول من هذا وقد كتبناه في كتاب التذكرة
وزاد في الجواب وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم
الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قال هذه الثالثة
وذكر الحديث وزاد بعد قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء واقبل
بعضهم على بعض ينبح بعضهم في وجه بعض واطبقت عليهم قال فحدثني الازهري ابي الازهر انه ذكر

له ان ذلك قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قوله تعالى وسكنتم اي بلاد ثمود ونحوها
فهلا اعتبرتم بمساكنهم بعدما تبين لكم ما فعلنا بهم وبعد ان ضربنا لكم الامثال في القران وقرا
ابو عبد الرحمن السلمي ونبين لكم بالنون والجزم على انه مستقبل ومعناه الماضي وليناسب قوله كيف فعلنا
بهم وقول الجماعة وتبين وهي مثلها في المعنى لان ذلك لا يتبين لهم الا بتبيين الله اياهم وقد مكروا
مكرهم اي بالشرك بالله وتكذيب الرسل والمعاندة عن ابن عباس وغيره وعند الله مكرهم اي جزاء مكرهم
وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ان بمعنى ما اي ما كان مكرهم لتزول منه الجبال لضعفه ووهنه
وان بمعنى ما في القران في خمسة مواضع احدها هذا الثاني فان كنت في شك مما انزلنا اليك الثالث
لو اردنا ان نتخذ ولدا لاتخذناه من لدنا الرابع قل ان كان للرحمن ولد الخامس ولقد مكناهم
فيما ان مكناكم فيه وقراءة الجماعة وان كان بالنون وقرا عمر وعلي وابن مسعود وابي وان كاد
بالدال والعامة على كسر اللام في لتزول على انها لام الجحود وفتح اللام الثانية نصبا وقرا ابن محيصن وابن
جريج والكسائي لتزول بفتح اللام الاولى على انها لام الابتدا ورفع الثانية وان مخففة من الثقيلة
ومعنى هذه القراءة استعظام مكرهم اي ولقد عظم مكرهم حتى كادت الجبال تزول منه قال الطبري
والاختيار القراءة الاولى لانها لو كانت زالت لم تكن ثابتة قال ابو بكر الانباري ولا حجة على مصحف
المسلمين في الحديث الذي حدثناه عن احمد بن الحسين نا عثمان بن ابي شيبة نا وكيع بن الجراح عن
اسرائيل عن ابي اسحق عن عبد الرحمن بن دانيل قال سمعت علي ابن ابي طالب يقول ان جبارا من الجبابرة
قال لا انتهي حتى اعلم من في السموات فعمد الى فراخ نسور فامر ان تطعم اللحم حتى اذا اشتدت وعصلت
واستعجلت امر بان يتخذ تابوتا يسع فيه رجلين وان يجعل فيه عصى في راسها لحم شديد حمرته وان
يستوثق من ارجل النسور بالاوتار وتشد الى قوايم التابوت حتى بلغت به ما شاء الله فقال الجبار
لصاحبه افتح الباب فانظر ما ترى فنظر فقال ارى الجبال كانها ذباب فقال اغلق الباب ثم صعدت
بالتابوت ما شاء الله ان تصعد فقال الجبار لصاحبه افتح الباب فانظر ما ترى فقال ما ارى الا
السماء وما تزداد منها الا بعدا فقال نكس العصى فنكسها فانقضت النسور فلما وقع التابوت سمعت
له هدة كادت الجبال تزول عن مراتبها منها قال فسمعت عليا رضي الله عنه يقرا وان كان مكرهم
لتزول بفتح اللام الاولى من لتزول وضم الثانية وقد ذكر الثعلبي هذا الخبر بمعناه وان الجبار
هو النمرود الذي حاج ابراهيم في ربه وقال عكرمة كان معه في التابوت غلام امرد وقد حمل القوس
والنبل فرمى بهما فعاد اليه ملطخا بالدم وقال كفيت نفسك اله السماء قال عكرمة تلطخ بالدم سمكة
من السماء قذفت نفسها اليه من بحر في الهوى معلق وقيل طاير اصابه السهم ثم امر نمرود صاحبه
ان يصوب العصا وان ينكس اللحم فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور
ففزعت وظنت انه قد حدث بها حدث من السماء وان الساعة قد قامت فذلك قوله وان
كان مكرهم لتزول منه الجبال قال القشيري وهذا جايز بتقدير خلق الحياة في الجبال وذكر
الماوردي عن ابن عباس ان النمرود بن كنعان بنى الصرح في قرية الرس من سواد الكوفة وجعل
طوله خمسة الاف ذراع وخمسين ذراعا وعرضه ثلاثة الاف ذراع وخمسة وعشرون ذراعا
وصعد منه مع النسور فلما علم انه لا سبيل له الى السماء اتخذه حصنا وجمع فيه اهله وولده
ليتحصن فيه فاتى الله بنيانهم من القواعد فتداعى الصرح عليهم فهلكوا جميعا فهذا معنى وقد
مكروا مكرهم وفي الجبال التي كادت تزول لها بمكرهم وجهان احدهما جبال الارض الثاني الاسلام والقران
لانه لثبوته ورسوخه كالجبال وقال القشيري وعند الله مكرهم اي هو عالم بذلك فيجازيهم وعند

الله جزاء مكرهم فحذف المضاف وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بكسر اللام اي ما كان مكرهم مكرا يكون
له اثر وخطر عند الله تعالى فالجبال مثل لامر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل اي وان كان مكرهم في تقديرهم
لتزول منه الجبال وتؤثر في ابطال الاسلام وقرئ لتزول بفتح اللام الاولى وضم الثانية اي كان مكرا
عظيما تزول منه الجبال ولكن الله حفظ رسوله صلى الله عليه وسلم وهو كقوله تعالى ومكروا مكرا كبارا
والجبال لا تزول ولكن العبارة عن تعظيم الشيء هكذا تكون قوله تعالى فلا تحسبن الله مخلف وعده
رسله اسم الله تعالى ومخلف مفعول لاتحسب ورسله مفعول لوعده وهو على الاتساع والمعنى مخلف
رسله وعده قال الشاعر ترى الثور فيها مدخل الظل راسه وسايره باد الى الشمس اجمعا قال القتبي
هو من المقدم الذي يوضحه التقديم وسوا في ذلك مخلف وعده رسله ومخلف رسله وعده ان
الله عزيز ذو انتقام اي من اعدائه ومن اسمائه المنتقم وقد بيناه في الكتاب الاسنى في شرح اسماء
الله الحسنى قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض اي اذكر يوم تبدل الارض وغير نعت لمحذوف
التقدير ارضا غير الارض ويحتمل ان يكون المراد ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض فيكون
متعلقا بما قبله وقيل هو صفة لقوله يوم يقوم الحساب واختلف في كيفية تبديل الارض فقال
كثير من الناس ان تبديل الارض عبارة عن تغير صفاتها وتسوية اكامها ونسف جبالها ومد ارضها
ورواه ابن مسعود خرجه ابن ماجة وذكره ابن المبارك من حديث شهر بن حوشب قال حدثني
ابن عباس قال اذا كان يوم القيمة مدت الارض مد الاديم وزيد في سعتها كذا وكذا وذكر الحديث
وروي مرفوعا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فيبسطها ويمدها
مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم يزجر الله الخلق زجرة فاذا هم في الثانية في مثل
مواضعهم من الاولى ظهرها وبطنها ذكره الغزنوي وتبديل السماء تكوير شمسها وقمرها وتناثر
نجومها قاله ابن عباس وقيل اختلاف احوالها فمرة كالمهل ومرة كالدهان حكاه ابن الانباري
وذكرنا هذا الباب مبينا في كتاب التذكرة وذكرنا ما للعلماء في ذلك وان الصحيح ازالة العين هذه
الارض حسبما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه حبر من احبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد
وذكر الحديث وفيه فقال اليهودي اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الظلمة دون الجسر وذكر الحديث وخرج عن عايشة رضي
الله عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
فاين يكون الناس يومئذ قال على الصراط خرجه ابن ماجة باسناد مسلم هذا وخرجه الترمذي عن
عايشة وانها هي السايلة قال هذا حديث صحيح فهذه الاحاديث تنص على ان السموات والارض
تبدل وتزال ويخلق الله ارضا اخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وفي صحيح مسلم عن
سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء عفراء
كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد وقال جابر سالت ابا جعفر محمد بن علي عن قول الله عز وجل يوم
تبدل الارض غير الارض قال تبدل خبزا ياكل منها الخلق يوم القيمة ثم قرا وما جعلناهم جسدا
لا ياكلون الطعام وقال ابن مسعود انها تبدل بارض غيرها بيضاء كالفضة لم يعمل عليها خطيئة
وقال ابن عباس بارض من فضة بيضاء وقال علي رضي الله عنه تبدل الارض يومئذ من فضة
والسماء من ذهب وهذا تبديل للعين وحسبك وبرزوا لله الواحد اي من قبورهم وقد تقدم
قوله تعالى وترى المجرمين وهم المشركون يومئذ اي يوم القيمة مقرنين اي شد وديك في الاصفاد
وهي الاغلال والقيود واحدها صفد وصفد ويقال صفدته صفدا اي قيدته والاسم الصفد فاذا

اردت التكرير قلت صفدت تصفيدا فاذا اردت التكثير قلت صفدته تصفيدا قال عمرو بن كلثوم فابوا
بالنهاب وبالسبايا وابنا الملوك مصفدينا اي مقيدين وقال حسان من بين ماسور يشد
صفاده صقر اذا لاقى الكريهة حام اي غله واصفدته اصفادا اعطيته وقيل صفدته واصفدته
واصفد في القيد والاعطاء جميعا قال النابغة ولم اعرض ابيت اللعن بالصفد والصفد العطا
لانه يقيد ويعبد قال ابو الطيب وقيدت نفسي في دراك محبة ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا
يقرن كل كافر مع شيطان في غل بيانه قوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم يعني قرناءهم من الشياطين
وقيل انهم الكفار يجمعون في الاصفاد كما اجتمعوا في الدنيا على المعاصي سرابيلهم من قطران اي
قمصهم عن ابن دريد وغيره واحدها سربال والفعل تسربلت وسربلت غيري قال كعب بن مالك
تلقاهم عصب حول النبي لهم من نسج داود في الهيجا سرابيل من قطران يعني قطران الابل التي
تهنا به قاله الحسن وذلك ابلغ لاشتعال النار فيهم وفي الصحيح ان النايحة اذا لم تتب قبل
موتها تقام يوم القيمة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وروي عن جماعة انهم قالوا هو
النحاس وقرا عيسى بن عمر قطران بفتح القاف وتسكين الطاء وفيه قراءة ثالثة كسر القاف وجزم
الطاء ومنه قول ابي النجم جون كان العرق المسوحا تلبسه القطران والمسوحا وقراءة رابعة من
قطر آن رويت عن ابن عباس وابي هريرة وعكرمة وسعيد بن جبير ويعقوب والقطر النحاس والصفر
المذاب ومنه قوله تعالى اتوني افرغ عليه قطرا والآن الذي قد انتهى حره ومنه قوله تعالى وبين
حميم آن وتغشى وجوههم النار اي تضرب وجوههم النار فتغشاها ليجزي الله كل نفس ما كسبت اي بما
كسبت ان الله سريع الحساب تقدم معناه قوله تعالى هذا بلاغ للناس اي هذا الذي انزلنا
اليك بلاغ اي تبليغ وعظة ولينذروا به اي ليخوفوا عقاب الله عز وجل وقرئ ولينذروا
بفتح الياء والذال وهي لغة يقال نذرت بالشيء انذر اذا علمت به فاستعددت له ولم يستعملوا
منه مصدرا كما لم يستعملوا من عسى وليس وكانهم استغنوا بان والفعل كقولك ط ان نذرت
بالشيء وليعلموا انما هو اله واحد اي وليعلموا وحدانية الله بما اقام من الحجج والبراهين وليذكر
اولوا الالباب اي وليتعظ اصحاب العقول وهذه اللامات في لينذروا وليعلموا وليذكر متعلقة
بمحذوف التقدير وكذلك انزلناه وروي عن يمان بن رئاب ان هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وسئل بعضهم هل لكتاب الله عنوان فقال نعم قيل واين هو قال قوله تعالى هذا
بلاغ للناس ولينذروا به الى اخره انتهى والله اعلم سورة الحجر وهي مكية قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب وقران مبين ربما يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وما اهلكنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون وقالوا يا ايها الذي نزل
عليه الذكر انك لمجنون لوما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة
الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد ارسلنا من
قبلك في شيع الاولين وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه في
قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا
فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا في السماء
بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه
شهاب مبين والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا

لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم
وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين وانا لنحن
نحيي ونميت ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين وان ربك
هو يحشرهم انه حكيم عليم ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون والجان خلقناه من
قبل من نار السموم قوله تعالى الر تلك ايات الكتاب وقران مبين تقدم معناه والكتاب قيل فيه انه اسم
لجنس الكتب المتقدمة من التورية والانجيل ثم قرنهما بالقران المبين وقيل الكتاب هو القران جمع له بين
الاسمين قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين رب لا تدخل على الفعل فاذا لحقته ما هياه
للدخول على الفعل تقول ربما قام زيد وربما يقوم زيد ويجوز ان يكون ما نكرة بمعنى شيء اي رب شيء
يود الكافر وقرا نافع وعاصم ربما مخففة الباء الباقون مشددة وهما لغتان قال ابو حاتم اهل الحجاز
يخففون ربما قال الشاعر ربما ضربة بسيف صقيل بين بصرى وطعنة نجلا وتميم وقيس وربيعة
يثقلونها وحكي فيها ربما وربما وربتما وربتما بتخفيف الباء وتشديدها ايضا واصلها ان تستعمل في القليل
وقد تستعمل في الكثير اي يود الكفار في اوقات كثيرة لو كانوا مسلمين قاله الكوفيون ومنه قول الشاعر
الا ربما اهدت لك العين نظرة قصاراك فيها انها عنك لا تجدي وقال بعضهم هي للتقليل في
هذا الموضع لانهم قالوا ذلك في بعض المواطن لا في كل المواطن والله اعلم وقال ربما يود وهي انما
تكون لما وقع لانه لصدق الوعد كانه قد كان وخرج الطبري ابو القاسم من حديث جابر بن عبد
الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناسا من امتي يدخلون النار بذنوبهم فيكونون في النار
ما شاء الله ان يكونوا ثم يعيرهم اهل الشرك فيقولون ما نرى ما كنتم تخالفونا فيه من تصديقكم و
ايمانكم نفعكم فلا يبقى موحد الا اخرجه الله من النار ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود
الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال الحسن اذا راى المشركون المسلمين دخلوا الجنة وماواهم في النار
تمنوا انهم كانوا مسلمين وقال الضحاك هذا التمني انما هو عند المعاينة في الدنيا حين يتبين لهم
من الضلالة وقيل في القيمة اذا راوا كرامة المومنين وذل الكافرين قوله تعالى ذرهم ياكلوا
ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فيه مسئلتان الاولى قوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا تهديد لهم
ويلههم يشغلهم عن الطاعة يقال الهاه عن كذا اي شغله ولهي هو عن الشيء يلهى فسوف يعلمون اذا
راوا القيمة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذه الاية منسوخة بالسيف الثانية اربعة من الشقا
جمود العين وقساوة القلب وطول الامل والحرص على الدنيا وطول الامل داء عضال ومرض مزمن
ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه ولم يفارقه ولا نجع فيه دوا بل اعيا الاطبا ويئس
من بريه الحكما والعلماء وحقيقة الامل الحرص على الدنيا والانكباب عليها والحب لها والاعراض
عن الاخرة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نجا اول هذه الامة باليقين والزهد
ويهلك اخرها بالبخل والامل ويروى عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قام على درج مسجد فقال
يا اهل دمشق الا تسمعون من اخ لكم ناصح ان من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيرا ويبنون مشيدا
ويأملون بعيدا فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا هذه عادة قد ملات البلاد
اهلا وما لا وخيلا فمن يشتري اليوم تركتهم بدينارين وانشد يا ذا المومل اما لا وان بعدت منه
ويزعم ان يحظى باقصاها انى تفوز بما ترجوه ويك وما اصبحت في ثقة من نيل ادناها وقال
الحسن ما اطال عبد الامل الا اساء العمل وصدق رضي الله عنه فان الامل يكسل عن العمل ويورث
التراخي والتواني ويعقب التشاغل والتقاعس ويخلد الى الارض ويميل الى الهوى وهذا امر

قد شوهد بالعيان فلا يحتاج الى بيان ولا يطلب صاحبه برهان كما ان قصر الامل يبعث على العمل ويحيل
على المبادرة ويحث على المسابقة قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اي اجل موقت
كتب لهم في اللوح المحفوظ ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من صلة كقولك ما جاءني من
احد اي لا تتجاوز اجلها فتزيد عليه ولا تتقدم قبله ونظيره قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون قوله تعالى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر يعني القران انك لمجنون قاله
كفار قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم على جهة الاستهزاء ثم طلبوا منه اتيان الملائكة دلالة على صدقه
ولو ما تحضيض على الفعل كلولا وهلا وقال الفراء الميم في لوما بدل من اللام في لولا ومثله استولى على
الشيء واستومى عليه ومثله خالمته وخاللته وهو خلمي وخلي اي صديقي وعلى هذا يجوز لوما بمعنى
الخبر تقول لوما زيد لضربت عمرا قال الكسائي لولا ولوما سواء في الخبر والاستفهام قال ابن مقبل لوما
الحياء ولولا الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري يريد لولا الحياء وحكى النحاس لوما ولولا وهلا
واحد وانشد اهل اللغة على ذلك تعدون عقر النيب افضل مجدكم بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا اي
هلا تعدون الكمي المقنعا قوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق قرا حفص وحمزة والكسائي ما ننزل
الملائكة واختاره ابو عبيد وقرا ابو بكر والمفضل ما تنزل الملائكة الباقون تنزل الملائكة وتقديره
ما تتنزل بتاءين فحذفت احداهما تخفيفا وقد شدد التاء البزي واختاره ابو حاتم اعتبارا بقوله
تنزل الملائكة والروح ومعنى الا بالحق الا بالقران وقيل بالرسالة عن مجاهد وقال الحسن الا
بالعذاب ان لم يؤمنوا وما كانوا اذا منظرين اي لو تنزلت الملائكة باهلاكهم لما امهلوا ولا
قبلت لهم توبة وقيل المعنى لو تنزلت الملائكة تشهد لك لكفروا بعد ذلك لم ينظروا واصل اذا
اذن ومعناه حينئذ فضم اليها ان واستثقلوا الهمزة فحذفوها قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون من ان يزاد فيه او ينقص منه قال قتادة وثابت البناني حفظه الله من ان
تزيد فيه الشياطين باطلا او تنقص منه حقا فتولى سبحانه حفظه فلم يزل محفوظا وقال في
غيره بما استحفظوا فوكل حفظه اليهم فبدلوا وغيروا وقيل وانا له لحافظون اي لمحمد من ان
يتقول علينا او نتقول عليه او انا له لحافظون من ان يكاد او يقتل نظيره والله يعصمك من الناس
ونحن يجوز ان يكون موضعه رفعا بالابتدا ونزلنا الخبر والجملة خبر ان ويجوز ان يكون نحن
تاكيدا لاسم ان في موضع نصب ولا يكون فاصلة لان الذي بعدها ليس بمعرفة وانما هو جملة
والجمل تكون نعوتا للنكرات فحكمها حكم النكرات قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين
المعنى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا فحذف والشيع جمع شيعة وهي الامة اي في اممهم قاله ابن
عباس وقتادة الحسن في فرقهم والشيعة الفرقة والطايفة من الناس المتالفة المتفقة الكلمة
فكان الشيع الفرق ومنه قوله تعالى او يلبسكم شيعا اي فرقا واصله ماخوذ من الشياع وهو الحطب
الصغار يوقد به الكبار كما تقدم في الانعام وقال الكلبي ان الشيع هنا الفرق قوله تعالى وما
ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي كما يفعل بك هؤلاء
المشركين كذلك فعل بمن قبلك من الرسل قوله تعالى كذلك نسلكه اي الضلال والكفر
والاستهزاء والشرك في قلوب المجرمين من قومك عن الحسن وقتادة وغيرهما اي كما سلكناه
في قلوب من تقدم من شيع الاولين كذلك نسلكه في قلوب مشركي قومك حتى لا يؤمنوا بك
كما لم يؤمن من قبلهم برسلهم وروى ابن جريج عن مجاهد قال نسلك التكذيب والسلك ادخال
الشيء في الشيء كادخال الخيط في المخيط يقال سلكه يسلكه سلكا وسلوكا واسلكه اسلاكا وسلك

الطريق سلوكا وسلكا واسلكه دخله في غيره مسلوا والشي كذلك والرمح فيه والخيط في الجوهر كله
فعل وافعل وقال عدي بن زيد وقد سلكوك في يوم عصيب والسلك بالكسر الخيط وفي الاية رد على
القدرية والمعتزلة وقيل المعنى نسلك القران في قلوبهم فيكذبون به وقول الحسن ومجاهد وقتادة
هو القول الذي عليه اكثر اهل التفسير وهو الزم حجة في المعتزلة وعن الحسن ايضا يسلك الذكر
الزاما للحجة ذكره الغزنوي وقد خلت سنة الاولين اي مضت سنة الله باهلاك الكفار فما
اقرب هولاء من الهلاك وقيل خلت سنة الاولين بمثل ما فعل هولاء من التكذيب والكفر
فهم يقتدون باولئك قوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا
انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون يقال ظل يفعل كذا اي فعله بالنهار والمصدر الظلول
اي لو اجيبوا الى ما اقترحوا من الايات لاصروا على الكفر وتعللوا بالخيالات كما قالوا للقران المعجز
انه سحر يعرجون من عرج يعرج اي صعد والمعارج المصاعد اي لو صعدوا الى السماء وشاهدوا
الملكوت لصدوا عن الكفر عن الحسن وغيره وقيل الضمير في عليهم للمشركين وفي فظلوا للملائكة يذهب
ويجي اي لو كشف لهولاء حتى يعاينوا ابوابا في السماء تصعد فيها الملائكة وتنزل لقالوا رابنا بابصارنا
ما لا حقيقة له عن ابن عباس وقتادة ومعنى سكرت سكرت بالسحر قاله ابن عباس والضحاك وقال
الحسن سحرت الكلبي اعشيت ابصارنا ومنه ايضا عميت قتادة اخذت وقال المورخ ديرنا من
الدوران اي صارت ابصارنا سكرى جويبر خدعت وقال ابو عمرو بن العلا سكرت غشيت وغطيت
ومنه قول الشاعر وطلعت شمس عليها مغفر وجعلت عين الجزور تسكر وقال مجاهد سكرت حبست
ومنه قول اوس بن حجر فصرت على ليلة ساهرة فليست تطلق ولا ساكرة قلت وهذه اقوال
متقاربة يجمعها قولك منعت قال ابن عزيز سكرت ابصارنا من قولك سكرت النهر اذا سددته
ويقال هو من سكر الشراب كان العين يلحقها ما يلحق الشارب اذا سكر وقرا ابن كثير سكرت
بالتخفيف والباقون بالتشديد قال ابن الاعرابي سكرت غلبت وسكرت بليت قال المهدوي
والتخفيف والتشديد في سكرت ظاهران التشديد للتكثير والتخفيف يودي عن معناه والمعروف
ان سكر لا يتعدى قال ابو علي يجوز ان يكون سمع متعديا في البصر ومن قرا سكرت فانه شبه
ما عرض لابصارهم بحال السكران كانها جرت مجرى السكران كانها لعدم تحصيله وقد قيل
انه بالتخفيف سكر الشراب وبالتشديد ماخوذ من سكرات الماء وقيل سكرت مخففا سحرت
وبالتشديد اخذت ذكرهما الماوردي وقال النحاس والمعروف من قراءة مجاهد والحسن سكرت
بالتخفيف قال الحسن اي سحرت وحكى ابو عبيد عن ابي عبيدة انه يقال سكرت ابصارهم اذا
غشيها سماد حتى لا يبصروا وقال الفراء من قرا سكرت اخذه من سكرت قال النحاس وهذه
الاقوال متقاربة والاصل فيها ما قال ابو عمرو بن العلا رحمه الله قال هو من السكر في الشراب
وهذا قول حسن اي غشيهم ما غطى ابصارهم كما غشي السكران ما غطى عقله وسكور الريح سكونها
وفتورها فهو يرجع الى معنى التحيير قوله تعالى ولقد جعلنا في السماء بروجا لما ذكر كفر الكافرين
وعجز اصنامهم ذكر كمال قدرته ليستدل بها على وحدانيته والبروج القصور والمنازل قال
ابن عباس اي جعلنا في السماء بروجا للشمس والقمر اعني منازلهما واسماء هذه البروج الحمل الثور
الجوزاء السرطان الاسد السنبلة الميزان العقرب القوس الجدي الدلو الحوت
والعرب تعد المعرفة بمواقع النجوم وابوابها من اجل العلوم ويستدلون بها على الطرقات والاوقات
والخصب والجدب وقالوا الفلك اثنا عشر برجا كل برج ميلان ونصف للقمر واصل البروج الظهور

ومنه تبرج المراة باظهار زينتها وقد تقدم هذا المعنى في النساء وقال الحسن وقتادة البروج النجوم
وسميت بذلك لظهورها وارتفاعها وقيل الكواكب العظام قاله ابو صالح يعني السبعة السيارة
وقال قوم بروجا اي قصورا وبيوتا فيها الحرس خلقها الله في السماء والله اعلم وزيناها يعني السماء
كما قال في سورة الملك ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح للناظرين اي للمعتبرين والمتفكرين قوله
تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم اي مرجوم والرجم الرمي بالحجارة وقيل الرجم اللعن والطرد
وقد تقدم وقال الكسائي كل رجيم في القران فهو بمعنى الشتم وزعم الكلبي ان السموات كلها لم تحفظ
من الشياطين الى زمن عيسى فلما بعث الله تعالى عيسى حفظ منها ثلاث سموات الى مبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحفظ جميعها بعد بعثه وحرست منهم بالشهب وقال ابن عباس وقد كانت الشياطين
لا يحجبون عن السماء فكانوا يدخلونها ويلقون اخبارها على الكهنة فيزيدون عليها تسعا فيحدثون
بها اهل الارض الكلمة حق والتسع باطل فاذا راوا شيئا مما قالوه صدقوهم فيما جاءوا به فلما ولد
عيسى بن مريم عليهما السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات
كلها فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب على ما ياتي قوله تعالى الا من استرق السمع
اي لكن من استرق السمع اي الخطفة اليسيرة فهو استثناء منقطع وقيل هو متصل اي الا من استرق
السمع فانا لم نحفظها منه اي يسمع الخبر من اخبار السماء سوى الوحي فاما الوحي فلا يسمع منه شيئا لقوله
انهم عن السمع لمعزولون واذا استمع الشياطين الى شي ليس بوحي فانهم يقذفونه الى الكهنة في
اسرع من طرفة عين ثم يتبعهم الشهب فيقتلهم او يخبلهم ذكره الحسن وابن عباس قوله تعالى فاتبعه
شهاب مبين اي ادركه ولحقه شهاب كوكب مضي وكذلك شهاب ثاقب وقوله بشهاب قبس شعلة
نار في راس عود قاله ابن عزيز وقال ذو الرمة مستوم في ظلام الليل منتصب كانه كوكب في
اثر عفرية وسمي الكوكب شهابا لبريقه يشبه النار وقيل شهاب شعلة من نار قبيل اهل الارض
تحرقهم ولا تعود اذا احرقت كما احرقت النار ولم تعد بخلاف الكوكب فانه اذا احرق
عاد الى مكانه قال ابن عباس تصعد الشياطين افواجا تسترق السمع فينفرد المارد منها فيعلو
فيرمى بالشهاب فيصيب جبهته او انفه او ما شاء الله فيلتهب فياتي اصحابه وهو يلتهب
فيقول انه كان من الامر كذا وكذا فيذهب اولئك الى اخوانهم من الكهنة فيزيدون عليها
تسعا فيحدثون بها اهل الارض الكلمة حق والتسع باطل فاذا راوا شيئا مما قالوا قد كان صدقوهم
بكل ما جاءوا به من كذبهم وسياتي هذا المعنى مرفوعا في سورة سبا ان شاء الله واختلف في
الشهاب هل يقتل ام لا فقال ابن عباس الشهاب يجرح ويخبل ويحرق ولا يقتل وقال الحسن وطائفة
يقتل فعلى هذا القول في قتلهم بالشهب قبل القاء السمع الى الجن قولان احدهما انهم يقتلون قبل
القائهم ما استرقوه من السمع الى غيرهم فعلى هذا لا تصل اخبار السماء الى غير الانبياء ولذلك انقطعت
الكهانة والثاني انهم يقتلون بعد القائهم ما استرقوه من السمع الى غيرهم من الجن ولذلك ما يعودون
الى استراقه ولو لم يصل لانقطع الاستراق وانقطع الاحراق ذكره الماوردي قلت والقول الاول
اصح على ما ياتي بيانه في الصافات واختلف هل كان رمي بالشهب قبل المبعث فقال الاكثرون
نعم وقيل لا وانما ذلك بعد المبعث وسياتي بيان هذه المسئلة في سورة الجن والصافات
ايضا ان شاء الله تعالى قال الزجاج والرمي بالشهب من ايات النبي صلى الله عليه وسلم مما حدثت
به بعد مولده لان الشعراء في القديم لم يذكروه في اشعارهم ولم يشبهوا الشي السريع به كما شبهوا
البرق والسيل ولا يبعد ان يقال ان انقضاض الكوكب كان في قديم الزمان ولكنه لم يكون

رجوما للشياطين ثم صار رجوما حين ولد النبي صلى الله عليه وسلم وقال العلماء نحن نرى انقضاض الكواكب فيجوز ان يكون ذلك كما نرى ثم يصير نارا اذا ادرك الشيطان ويجوز ان يقال يرمون بشعلة من نار من الهوى فيخيل الينا انه نجم سرى والشهاب في اللغة النار الساطعة وذكر ابو داود عن عامر الشعبي قال لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجمت الشياطين بنجوم لم يكن يرجم بها قبل فاتوا عبد ياليل بن عمرو الثقفي فقالوا ان الناس قد فزعوا واعتقوا رقيقهم وسيبوا انعامهم لما راوا في النجوم فقال لهم وكان رجلا اعمى لا تعجلوا وانظروا فان كان النجوم التي تعرف فهو عند فناء الناس وان كانت لا تعرف فهو من حدث فنظروا فاذا هي نجوم لا تعرف فقالوا من حدث فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى والارض مددناها هذا من نعمه ايضا ومما يدل على كمال قدرته قال ابن عباس بسطناها على وجه الماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها وقال والارض فرشناها فنعم الماهدون وهو يرد على من زعم انها كالكرة وقد تقدم والقينا فيها رواسي اي جبالا ثابتة لئلا تتحرك باهلها وانبتنا فيها من كل شيء موزون اي مقدر معلوم قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وانما قال موزون لان الوزن يعرف به مقدار الشيء قال الشاعر قد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندي لكل مخاصم ميزانه وقال قتادة موزون يعني مقسوم وقال مجاهد موزون معدود ويقال هذا كلام موزون اي منظوم غير منتثر فعلى هذا اي انبتنا في الارض ما يوزن من الجواهر والحيوانات والمعادن وقد قال الله تعالى في الحيوان وانبتها نباتا حسنا والمقصود من الانبات الانشاء والايجاد وانبتنا فيها اي في الجبال من كل شيء موزون من الذهب والفضة والنحاس والرصاص والقزدير حتى الزرنيخ والكحل وكل ذلك يوزن وزنا روي معناه عن الحسن وابن زيد وقيل انبتنا في الارض الثمار مما يكال ويوزن وقيل انه ما يوزن فيه الاثمان لانه اجل قدرا واعم نفعا مما لا ثمن له وجعلنا لكم فيها معايش يعني المطاعم والمشارب التي يعيشون بها واحدها معيشة بسكون الياء ومنه قول جرير تكلفني معيشة آل زيد ومن لي بالمرقق والصناب والاصل معيشة على مفعلة بتحريك الياء وقد تقدم في الاعراف وقيل الملابس قاله الحسن وقيل انها التصرف في اسباب الرزق مدة الحياة قال الماوردي وهو الظاهر ومن لستم له برازقين يريد الدواب والانعام قاله مجاهد وعنه ايضا هم العبيد والاولاد الذين قال الله فيهم نحن نرزقهم واياكم ولفظ من يجوز ان يتناول العبيد والدواب اذا اجتمعوا لانه اذا اجتمع من يعقل وما لا يعقل غلب من يعقل اي وجعلنا لكم معايش وعبيدا واماء ودواب واولادا نرزقهم ولا ترزقونهم فمن على هذا التاويل في موضع نصب قال معناه مجاهد وغيره وقيل اراد به الوحش قال سعيد قرا علينا منصور ومن لستم له برازقين قال الوحش فمن على هذا يكون لمن لا يعقل مثل ومنهم من يمشي على بطنه الاية وهي في محل خفض عطفا على الكاف والميم في قوله لكم وفيه قبح عند البصريين فانه لا يجوز عندهم عطف الظاهر على المضمر الا باعادة حرف الجر مثل مررت به وبزيد الا في الشعر كما قال فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والايام من عجب وقد مضى هذا المعنى في البقرة وسورة النساء قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وان من شيء من ارزاق الخلق ومنافعهم الا عندنا خزائنه يعني المطر المنزل من السماء لان به نبات كل شيء قال الحسن المطر خزائن كل شيء وقيل الخزائن المفاتيح اي في السماء مفاتيح الارزاق قاله الكلبي والمعنى واحد وما ننزله الا بقدر معلوم اي ولكن لا ننزله الا على حسب مشيئتنا وعلى حسب حاجة الخلق اليه كما قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء وروي عن ابن مسعود والحكم

بن عتبة

بن عتبة وغيرهما انه ليس عام اكثر مطرا من عام لان الله يقسمه كيف يشاء فيمطر قوم ويحرم اخرون وربما كان المطر في البحار والقفار والخزائن جمع خزانة وهو الذي يستر فيها الانسان ماله والخزانة ايضا مصدر خزن يخزن وما كان في خزانة الانسان كان معدا له فكذلك ما يقدر عليه الرب فكانه معد عنده قاله القشيري وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه قال في العرش تمثال جميع كل شيء خلقه الله في البر والبحر وهو تاويل قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه والانزال بمعنى الانشاء والايجاد كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقوله وانزلنا الحديد فيه باس شديد وقيل الانزال بمعنى الاعطاء وسماه انزالا لان احكام الله انما تنزل من السماء قوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى وارسلنا الرياح قراءة العامة الرياح بالجمع وقراءة حمزة بالتوحيد لان معنى الريح الجمع ايضا وان كان لفظها الواحد كما يقال جاءت الريح من كل جانب كما يقال ارض سباسب وثوب اخلاق وكذلك تفعل العرب في كل شيء اتسع واما وجه قراءة العامة فلان الله نعتها بلواقح وهي جمع ومعنى لواقح حوامل لانها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير والنفع قال الازهري وجعل الرياح لواقح لانها تحمل السحاب اي تقله وتصرفه ثم تمريه فتستدره اي تنزله قال الله تعالى حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اي حملت وناقة لاقح ونوق لواقح اذا حملت الاجنة في بطونها وقيل لواقح بمعنى ملقحة وهو الاصل ولكنها لا تلقح الا وهي في نفسها لاقح لان الرياح لقحت بخير وقيل ذوات لقح وكل ذلك صحيح اي منها ما يلقح الشجر كقولهم عيشة راضية اي فيها رضى وليل نائم اي فيه نوم ومنها ما ياتي بالسحاب يقال لقحت الناقة بالكسر لقحا ولقاحا بالفتح فهي لاقح والقحها الفحل اي القى اليها الماء فحملته فالرياح كالفحل للسحاب قال الجوهري ورياح لواقح ولا يقال ملاقح وهو من النوادر وحكى المهدوي عن ابي عبيدة لواقح بمعنى ملاقح ذهب الى انه جمع ملقحة وملقح ثم حذفت زوائده وقيل هو جمع لقحة ولاقح على معنى ذات اللقاح على النسب ويجوز ان يكون معنى لاقح حامل والعرب تقول للجنوب لاقح وحامل وللشمال حائل وعقيم وقال عبيد بن عمير يرسل الله المبشرة فتقم الارض قما ثم يرسل المثيرة فتثير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلفه ثم يبعث اللواقح فتلقح الشجر وقيل الريح الملاقح التي تحمل الندى فتمجه في السحاب فاذا اجتمع فيه صار مطرا وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح الجنوب من الجنة وقيل الريح اللواقح ذكرها الله في كتابه وفيها منافع للناس وروي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ما هبت جنوب الا انبع الله بها عينا غدقة وقال ابو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السحاب الا بعد ان تعمل الرياح الاربع فيها فالصبا تهيجه والدبور تلقحه والجنوب تدره والشمال تفرقه الثانية روى ابن وهب وابن القاسم واشهب وابن عبد الحكم عن مالك واللفظ لاشهب قال مالك قال الله تعالى وارسلنا الرياح لواقح فلقاح القمح عندي ان يحبب ويسنبل ولا ادري ما ييبس في اكمامه ولكن يحبب حتى يكون لو يبس حينئذ لم يكن فساد فيه الاخير ولقاح الشجر كلها ان يثمر ثم يسقط منها ما يسقط ويثبت ما يثبت وليس ذلك بان تورد قال ابن العربي انما عول مالك في هذا التفسير على تشبيه لقاح الشجر بلقاح الحمل وان الولد اذا عقد وخلق ونفخ فيه الروح كان بمنزلة تحبب الثمر وتسنبله لانه سمي باسم تشترك فيه كل حاملة وهو اللقاح وعليه جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في بيع الحب حتى يشتد قال ابن عبد البر الابار عند اهل العلم في النخل التلقيح وهو ان يؤخذ شيء من طلع النخل فيدخل بين ظهراني طلع الاناث ومعنى ذلك في سائر الثمار ظهور الثمرة من التين وغيره حتى تكون الثمرة مرئية منظورا اليها والمعتبر عند مالك واصحابه فيما يذكر من الثمار التذكير ولا يذكر ان يثبت من نواره ما يثبت

ويقط ما يسقط وصد ذلك في الزرع ظهوره من الارض قاله مالك وقد روي عنه ان اباره ان يحبب ولم يخالف ان الحايط اذا انشق طلع ابانه فاخر اباره وقد ابر غيره ممن حاله مثل حاله انه حكمه حكم ما ابر لانه قد جاء عليه وقت الابار وثمرته ظاهرة بعد تغيبها في الجب فان ابر بعض الحايط كان ما لم يوبر تبعا له كما ان الحايط اذا بدا صلاحه كان ساير الحايط تبعا لذلك الصلاح في جواز بيعه الثالثة روى الايمة كلهم عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ابتاع نخلا بعد ان يوبر فثمرتها للذي باعها الا ان يشترط المبتاع ومن ابتاع عبدا فماله للذي باعه الا ان يشترطه المبتاع قال علماؤنا انما لم يدخل الثمر المؤبر مع الاصول في البيع الا بالشرط لانه عين موجودة يحاط بها أمن سقوطها غالبا بخلاف التي لم تؤبر اذ ليس سقوطها مأمونا فلم يتحقق لها وجود فلم يجز للبايع اشتراطها ولا استثناؤها لانها كالجنين هذا هو المشهور من مذهب مالك وقيل يجوز استثناؤها وهو قول الشافعي الرابعة لو اشترى النخل وبقي الثمر للبايع جاز لمشتري الاصل شرا الثمرة قبل طيبها على مشهور قول مالك ويرى لها حكم التبعية وان افردت بالعقد وعنه في رواية لا يجوز وبذلك قال الشافعي وابو حنيفة والثوري واهل الظاهر وفقهاء الحديث وهو الاظهر من احاديث النهي عن بيع الثمرة قبل بدو صلاحها الخامسة ربما يتعلق بهذا الباب النهي عن بيع الملاقح الفحول من الابل الواحد ملقح والملاقح ايضا الاناث التي في بطونها اولاد الواحدة ملقحة بفتح القاف والملاقيح ما في بطون النوق من الاجنة الواحدة ملقوحة من قولهم لقحت كالمحموم من حم والمجنون من جن وفي هذا جاء النهي وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن المجر وهو بيع ما في بطون الاناث ونهى عن المضامين والملاقيح قال ابو عبيد المضامين ما في البطون وهي الاجنة والملاقيح ما في اصلاب الفحول وهو قول سعيد بن المسيب وغيره وقيل بالعكس ان المضامين ما في ظهور الجمال والملاقيح ما في بطون الاناث وهو قول ابن حبيب وغيره واي الامرين كان فعلماء المسلمين مجمعون على ان ذلك لا يجوز وذكر المزني عن ابن هشام شاهدا بان الملاقيح ما في البطون لبعض الاعراب منيتي ملاقحا في الابطن تنتج ما يلقح بعد ازمن وذكر الجوهري على ذلك شاهدا قال الراجز انا وجدنا طرد الهوامل خيرا من التانان بالمسايل وعدة العام وعام قابل ملقوحة في بطن ناب حامل قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء اي من السحاب وكل ما علاك فاظلك يسمى سماء وقيل من جهة السماء ماء اي مطرا فاسقيناكموه اي جعلنا ذلك المطر لسقياكم ولشرب مواشيكم وارضيكم وقيل سقى واسقى بمعنى وقيل بالفرق وقد تقدم وما انتم له بخازنين اي ليست خزاينه عندكم اي نحن الخازنون لهذا الماء ننزله اذا شئنا ونمسكه اذا شئنا ومثله وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون وقال سفيان لستم بمانعين المطر قوله تعالى وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون اي من قدر على هذه الاشياء قادر على الاماتة ثم الاحياء بعدها ونحن الوارثون اي الارض ومن عليها ولا يبقى شيء سوانا نظيره انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون فملك كل شيء لله تعالى ولكن ملك عباده املاكا فاذا ماتوا انقطعت الدعاوي فكان الله وارثا من هذا الوجه وقيل الاحياء في هذه الاية احياء النطف في الارحام فاما البعث فقد ذكره بعد هذا في قوله وان ربك هو يحشرهم قوله تعالى ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين فيه ثلاث مسائل الاولى قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين فيه ثمان تاويلات الاول المستقدمين في الخلق الى اليوم والمستاخرين الذين لم يخلقوا بعد قاله قتادة وعكرمة وغيرهما الثاني المستقدمين الاموات والمستاخرين الاحياء قال ابن عباس والضحاك الثالث المستقدمين من تقدم امة محمد صلى الله عليه وسلم والمستاخرين امة محمد صلى الله عليه وسلم قاله مجاهد الرابع المستقدمين في الطاعة والخير

والمستاخرين

والمستاخرين في المعصية والشر قاله الحسن وقتادة ايضا الخامس المستقدمين في صفوف الحرب والمستاخرين قاله الحسن وقتادة ايضا الخامس المستقدمين في صفوف الحرب والمستاخرين قاله سعيد بن المسيب السادس المستقدمين من قتل في الجهاد والمستاخرين من لم يقتل قاله القرظي السابع المستقدمين اول الخلق والمستاخرين اخر الخلق قاله الشعبي الثامن المستقدمين في صفوف الصلاة والمستاخرين في صفوف فيها بسبب النساء وكل هذا معلوم لله تعالى فانه عالم بكل موجود ومعدوم وعالم بمن خلق وما هو خالقه الى يوم القيمة الا ان القول الثامن هو سبب نزول الاية لما رواه النسائي والترمذي عن ابي الجوزاء عن ابن عباس قال كانت امراة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسناء من احسن النساء فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الاول لئلا يراها ويتاخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطه فانزل الله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين وروي عن ابي الجوزاء ولم يذكر ابن عباس وهو اصح الثانية هذا يدل على فضل اول الوقت في الصلاة وعلى فضل الصف الاول قال النبي صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في النداء والصف الاول ثم لم يجدوا الا ان يستهموا عليه لاستهموا فاذا جاء الرجل عند الزوال فنزل في الصف الاول مجاورة الامام حاز ثلاث مراتب في الفضل اول الوقت والصف الاول ومجاورة الامام فان جاء عند الزوال فنزل في الصف الاخر او فيما نزل عن الصف الاول فقد حاز فضل اول الوقت وفاته فضل الصف الاول والمجاورة فان جاء وقت الزوال ونزل في الصف الاول فقد حاز المراتب الثلاث فان جاء بعد الزوال ونزل في الصف الاول فقد فاته فضيلة اول الوقت وحاز فضيلة الصف الاول والمجاورة الامام وهكذا مجاورة الامام لا تكون لكل احد وانما هي كما قال صلى الله عليه وسلم ليليني منكم اولوا الاحلام والنهى الحديث فما يلي الامام ينبغي ان يكون لمن كانت هذه صفته فان تركها غيره اخر له وتقدم هو الى الموضع لانه حقه بامر صاحب الشرع كالمحراب هو موضع الامام تقدم او تاخر قاله ابن العربي قلت وعليه يحمل قول عمر رضي الله عنه تاخر يا فلان تقدم يا فلان ثم يتقدم فيكبر وقد روي عن كعب ان الرجل من هذه الامة ليخر ساجدا فيغفر لمن خلفه وكان كعب يتوخى الصف المؤخر من المسجد رجاء ذلك ويذكر انه وجده كذلك في التورية ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وسياتي في سورة والصافات زيادة بيان لهذا الباب ان شاء الله تعالى الثالثة وكما تدل هذه الاية على فضل الصف الاول في الصلاة فكذلك تدل على فضل الصف الاول في القتال فان القيام في نحر العدو وبيع العبد نفسه من الله تعالى لا يوازيه عمل فالتقدم اليه افضل ولا خلاف فيه ولا خفاء ولم يكن احد يتقدم في الحرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان اشجع الناس قال البراء كنا والله اذا احمر الباس نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم تقدم معناه قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان يعني ادم عليه السلام من صلصال اي من طين يابس عن ابن عباس وغيره والصلصال الطين الحر خلط بالرمل فصار يتصلصل اذا جف فاذا طبخ بالنار فهو الفخار عن ابي عبيدة وهو قول اكثر المفسرين وانشد اهل اللغة كعدو المصلصل الجوال وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائي قال وهو من قول العرب صل اللحم واصل اذا انتن مطبوخا كان او نيا يصل صلولا قال الحطيئة ذاك فتى يبذل ذا قدره لا يفسد اللحم لديه الصلول وطين صلصال وصليل ومصلال اي يصوت اذا نقرته كما يصوت الحديد فكان اول ترابا اي متفرقا الاجزاء ثم بل فصار طينا ثم ترك حتى انتن فصار حماء مسنونا اي متغيرا ثم يبس فصار صلصالا على قول الجمهور وقد مضى في البقرة بيان هذا والحماء الطين الاسود وكذلك الحماة بالتسكين يقول منه حمأت البير حمأ بالتسكين اذا نزعت حماتها وحمئت البير حمأ بالتحريك

كثرت حماتها واحميتها احماة القيت منها الحماة من ابن السكيت وقال ابو عبيدة الحماة بسكون الميم مثل
الكماة والجمع حما مثل تمرة وتمر والحما المصدر مثل الهلع والجزع ثم سمي به والمسنون المتغير قال ابن
عباس هو التراب المبتل المنتن فجعل صلصالا كالفخار ومثله قول مجاهد وقتادة قالا المنتن المتغير
من قولهم قد اسن الماء اذا تغير ومنه لم يتسنه وماء غير آسن ومنه قول ابي قيس بن الاسلت سقت
صداي رضابا غير ذي اسن كالمسك فت على ماء العناقيد وقال الفراء هو المتغير واصله من قولهم
سننت الحجر على الحجر اذا حككت به وما يخرج من الحجرين يقال له السنانة والسنين ومنه المسن قال
الشاعر ثم خاصرتها الى القبة الحمرا تمشي في مرمر مسنون اي محكك مملس حكي ان يزيد بن معوية قال
لابيه الا ترى عبد الرحمن بن حسان يشبب بابنتك فقال معوية وما قال فقال قال هي زهرا
مثل لولوة الغواص ميزت من جوهر مكنون فقال معوية صدق فقال يزيد واذا ما نسبتها لم تجدها
في سنا من المكارم دون فقال صدق فقال اين قوله ثم خاصرتها البيت فقال معوية كذب وقال
ابو عبيدة المسنون المصبوب وهو من قول العرب سننت الما وغيره على الوجه اذا صببته والسن
الصب وروي علي ابن ابي طالب قال المسنون الرطب وهذا معنى المصبوب لانه لا يكون مصبوبا الا وهو
رطب النحاس وهذا قول حسن لانه يقال سننت الشي اي صببته قال ابو عمرو بن العلا ومنه الاثر
المروي عن عمر انه كان يسن الماء على وجهه ولا يشنه والشن بالشين تفريق الماء وبالسين المهملة
صبه من غير تفريق وقال سيبويه المسنون المصور اخذ من سنة الوجه وهو صورته وقال ذو الرمة
تريك سنة وجه غير مقرفة ملسا ليس بها خال ولا ندب وقال الاخفش المسنون المنصوب القائم
من قولهم وجه مسنون اذا كان فيه طول وقد قيل ان الصلصال التراب المدقوق حكاه المهدوي
ومن قال ان الصلصال هو المنتن فاصله صلال فابدل من احدى اللامين الصاد ومن حماء
مفسر لجنس الصلصال كقولك اخذت هذا من رجل من العرب قوله تعالى والجان خلقناه من قبل
اي قبل خلق ادم قال الحسن يعني ابليس خلقه الله تعالى قبل ادم عليه السلام وسمي جانا لتواريه عن
الاعين وفي صحيح مسلم عن ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله تعالى
ادم عليه السلام في الجنة تركه ما شاء الله ان يتركه فجعل ابليس يطوف به وينظر ما هو فلما راه
اجوف عرف انه خلق خلقا لا يتمالك من نار السموم قال ابن مسعود نار السموم نار دونها حجاب والذي
تسمعون من انقعاط الصواعق تهما وعن ابن عباس ايضا قال كان ابليس من حي من احياء الملائكة يقال
لهم الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار قلت هذا فيه نظر فانه يحتاج الى سند
يقطع العذر اذ مثله لا يقال من قبل الراي وقد خرج مسلم من حديث عروة عن عايشة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق ادم
مما وصف لكم فقوله خلقت الملائكة من نور يقتضي العموم والله اعلم قال الجوهري مارج من نار
لا دخان لها خلق منها الجان والسموم الريح الحارة تونث يقال منه سم يومنا فهو يوم مسموم والجمع
سمايم قال ابو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار القشيري
وسميت الريح الحارة سموما لدخولها بلطفها في مسام البدن قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة
اني خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال لم
اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك
اللعنة الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم

الوقت المعلوم قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من
الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ان المتقين
في جنات وعيون ادخلوها بسلام امنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين
لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب
الاليم ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل
انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا
تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امراته قدرنا انها لمن
الغابرين فلما جاء ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه
يمترون واتيناك بالحق وانا لصادقون فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا
يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين
قوله واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته اي سويت خلقه وصورته ونفخت
فيه من روحي النفخ اجراء الريح في الشيء والروح جسم لطيف اجرى الله العادة بان يخلق الحياة في
البدن مع ذلك الجسم وحقيقته اضافة خلق الى خالق فالروح خلق من خلقه اضافه الى نفسه تشريفا
وتكريما كقوله ارضي وسمائي وبيتي وناقة الله وشهر الله ومثله وروح منه وقد تقدم في النساء
مبينا وذكرنا في كتاب التذكرة الاحاديث الواردة التي تدل على ان الروح جسم لطيف وان
النفس والروح اسمان لشيء واحد وسياتي ذلك ان شاء الله ومن قال ان الروح هو الحياة
قال اراد اذا ركبت فيه الحياة فقعوا له ساجدين وهو سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة ولله ان
يفضل من يريد ففضل الانبياء على الملائكة وقد تقدم في البقرة هذا المعنى وقال القفال كانوا افضل
من ادم وامتحنهم بالسجود له تعريضا لهم للثواب الجزيل وهو مذهب المعتزلة وقيل امروا بالسجود
له عند ادم قبلة لهم قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس فيه مسئلتان الاولى لا شك ان
ابليس كان مامورا بالسجود لقوله ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك وانما منعه من ذلك الاستكبار
والاستعظام كما تقدم في البقرة بيانه ثم قيل كان من الملائكة فهو استثناء من الجنس وقال قوم
لم يكن من الملائكة فهو استثناء منقطع وقد مضى في البقرة هذا كله مستوفى والحمد لله وقال ابن عباس
الجان ابو الجن وليسوا شياطين والشياطين ولد ابليس لا يموتون الا مع ابليس والجن يموتون ومنهم
المؤمن ومنهم الكافر فادم ابو الانس والجان ابو الجن وابليس ابو الشياطين ذكره الماوردي والذي
تقدم في البقرة خلاف هذا فتامله هناك الثانية الاستثناء من الجنس ومن غير الجنس صحيح عند
الشافعي حتى لو قال لفلان علي الف دينار الا ثوبا او عشرة اثواب الا قفيز حنطة وما جانس ذلك
كان مقبولا ويسقط عنه من المبلغ قيمة الثوب والحنطة ويستوي في ذلك المكيلات والموزونات
والمعدودات وقال مالك وابو حنيفة رضي الله عنهما استثناء المكيل من الموزون والموزون من
المكيل جائز حتى لو استثنى الدراهم من الحنطة والحنطة من الدراهم ينفذ فاما اذا استثنى المقومات
من المكيلات او الموزونات والمكيلات من المقومات مثل ان يقول علي عشرة الا ثوبا او عشرة اثواب
الا دينارا لا يصح الاستثناء ويلزم المقر جميع المبلغ وقال محمد بن الحسن الاستثناء من غير الجنس لا يصح ويلزم
المقر جميع ما اقر به والدليل لقول الشافعي ان لفظ الاستثناء يستعمل في الجنس وغير الجنس قال الله

تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما فاستثنى السلام من جملة اللغو ومثله فسجد
الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس وابليس ليس من جملة الملائكة قال الله تعالى الا ابليس كان من الجن
ففسق عن امر ربه قال الشاعر وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس فاستثنى اليعافير
وهي ذكور الظباء والعيس وهي الجمال البيض من الانيس قوله تعالى قال يا ابليس ما لك اي ما المانع لك الا
تكون مع الساجدين اي في ان لا تكون قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون بين
تكبره وحسده وانه خير منه اذ هو من نار والنار تاكل الطين كما تقدم في الاعراف بيانه قال فاخرج
منها اي من السموات او من جنة عدن او من جملة الملائكة فانك رجيم اي مرجوم بالشهب وقيل ملعون
مشتوم وقد تقدم هذا كله مستوفى في البقرة والاعراف وان عليك اللعنة اي لعنتي كما في سورة ص
قوله تعالى قال رب فانظرني الى يوم يبعثون هذا السؤال من ابليس لم يكن عن ثقة منه بمنزلته عند
الله تعالى وانه اهل ان يجاب له دعاء ولكن سال تاخير عذابه زيادة في بلائه كفعل الايس من
السلامة واراد بسواله الانظار الى يوم يبعثون ان لا يموت لان يوم البعث لا موت فيه ولا بعده قال
الله تعالى فانك من المنظرين يعني من المؤجلين الى يوم الوقت المعلوم الله يعلمه ويجهله ابليس
فيموت ابليس ثم يبعث قال الله تعالى كل من عليها فان وفي كلام الله تعالى له قولان احدهما كلمه على
لسان رسول الثاني كلمه تغليظا في الوعيد لا على وجه التكرمة والترتيب قوله تعالى قال رب بما اغويتني
لازينن لهم في الارض تقدم معنى الاغواء والزينة في الاعراف وتزيينه هنا يكون بوجهين اما بفعل
المعاصي واما بشغلهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعة ومعنى لاغوينهم اجمعين اي لاضلنهم عن طريق الهدى
وروى ابن لهيعة عن ابي التجيح عبد الله بن ابي الهيثم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ابليس قال يا رب وعزتك وجلالك لا ازال اغوي بني ادم ما دامت ارواحهم
في اجسادهم فقال الرب وعزتي وجلالي لا ازال اغفر لهم ما استغفروني قوله تعالى الا عبادك
منهم المخلصين قرا اهل المدينة والكوفة بفتح اللام اي الذين استخلصتهم واخلصتهم وقرا الباقون
بكسر اللام اي الذين خلصوا لك العبادة من فساد او رياء حكى ابو ثمامة ان الحواريين سالوا عيسى
عليه السلام عن المخلص لله فقال الذي يعمل ولا يحب ان يحمده الناس قوله تعالى قال هذا
صراط علي مستقيم قال عمر بن الخطاب معناه هذا صراط مستقيم بصاحبه حتى يهجم به على الجنة
الحسن علي يعني الي مجاهد والكسائي هذا على الوعيد والتهديد كقولك لمن تهدده طريقك
علي ومصيرك الي وكقوله ان ربك لبالمرصاد فكان معنى الكلام هذا طريق مرجعه الي فاجازي
كلا بعمله يعني طريق العبودية وقيل المعنى علي ان ادل على الصراط المستقيم بالبيان والبرهان وقيل
بالتوفيق والهداية وقرا ابن سيرين وقتادة والحسن وقيس بن عباد وابو رجا وحميد ويعقوب
هذا صراط مستقيم برفع علي وتنوينه ومعناه رفيع مستقيم اي رفيع في الدين والحق وقيل رفيع
ان ينال مستقيم ان يمال قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فيه مسئلتان الاولى قوله ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان قال العلماء يعني على قلوبهم وقال ابن عيينة اي في ان يلقيهم في ذنب
يمنعهم عفوي ويضيقه عليهم وهؤلاء الذين هداهم الله واجتباهم واختارهم واصطفاهم قلت لعل
قايلا يقول قد اخبر الله عن صفة ادم وحوى عليهما السلام بقوله فازلهما الشيطان وعن جملة
من اصحاب نبيه بقوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا فالجواب على ما ذكرناه وهو
انه ليس له سلطان على قلوبهم ولا موضع ايمانهم ولا يلقيهم في ذنب يؤول الى عدم العفو بل تزيله
التوبة وتمحوه الاية ولم يكن وخرج ادم عقوبة لما تناول على ما تقدم في البقرة بيانه واما اصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضى القول عنهم في آل عمران ثم ان قوله تعالى ليس لك عليهم سلطان يحتمل ان يكون
خاصا بمن حفظه الله ويحتمل ان يكون في اكثر الاوقات والاحوال وقد يكون في تسلطه تفريج كربة
وازالة غمة كما فعل ببلال اذ اتاه يهديه كما يهدى الصبي حتى نام ونام النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فلم
يستيقظوا حتى طلعت الشمس ففزعوا وقالوا ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا فقال لهم النبي
صلى الله عليه وسلم ليس في النوم تفريط ففرج عنهم الا من اتبعك من الغاوين اي من الضالين المشركين
اي سلطانه على هولاء دليله انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون الثانية في هذه
الاية والتي قبلها دليل على جواز استثناء القليل من الكثير والكثير من القليل مثل ان يقول عشرة الا درهما
او يقول عشرة الا تسعة وقال احمد بن حنبل لا يجوز ان يستثنى الا قدر النصف فما دونه فاما استثناء الا
الاكثر من الجملة فلا يصح دليلنا الايتان فان فيهما استثناء الغاوين من العباد والعباد من الغاوين
وذلك يدل على ان استثناء الاقل من الجملة واستثناء الاكثر من الجملة جايز قوله تعالى وان جهنم
لموعدهم اجمعين يعني ابليس ومن اتبعه لها سبعة ابواب اي اطباق طبق فوق طبق لكل طبقة جزء
مقسوم اي حظ معلوم ذكر ابن المبارك قال اخبرنا ابو مروان العنوي قال سمعت خطان بن عبد الله
الرقاشي يقول سمعت عليا رضي الله عنه يقول هل تدرون كيف ابواب جهنم قال قلنا هي مثل ابوابنا
هذه قال لا هي كذا بعضها فوق بعض زاد الثعلبي ووضع احدى يديه على الاخرى وان الله وضع
الجنان على الارض والنيران بعضها فوق بعض فاسفلها جهنم وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها
الجحيم وفوقها لظى وفوقها السعير وفوقها الهاوية وكل باب اشد حرا من الذي يليه بسبعين مرة
قلت كذا وقع في التفسير والذي عليه الاكثر من العلماء ان جهنم اعلا الدركات وهي مختصة
بالعصاة من امة محمد صلى الله عليه وسلم وهي التي تخلى من اهلها بتصفيق ابوابها ثم لظى ثم
الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية قال الضحاك في الدرك الاعلا المحمديون وفي الثاني النصارى
وفي الثالث اليهود وفي الرابع الصابئون وفي الخامس المجوس وفي السادس مشركو العرب وفي السابع
المنافقون وال فرعون ومن كفر من اهل المائدة قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار وقد تقدم في النساء وقال ادخلوا ال فرعون اشد العذاب وقال فمن يكفر بعد منكم فاني
اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وقسم معاذ بن جبل رضي الله عنه العلماء السوء من هذه
الامة تقسيما على تلك الابواب ذكرناها في كتاب التذكرة وروى الترمذي من حديث ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهنم سبعة ابواب باب منها لمن سل سيفه على امتي قال حديث غريب
وقال ابي بن كعب لجهنم سبعة ابواب باب منها للحرورية وقال وهب بن منبه بين كل بابين
مسيرة سبعين سنة كل باب اشد حرا من الذي فوقه بسبعين ضعفا وقد ذكرنا هذا كله في كتاب
التذكرة وروى سلام الطويل عن ابي سفيان عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله
تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم جزء اشركوا بالله وجزء شكوا في الله وجزء غفلوا
عن الله وجزء اثروا شهواتهم على الله وجزء شفوا غيظهم بغضب الله وجزء صيروا رغبتهم لحظهم عن
الله وجزء عتوا على الله ذكره الحليمي ابو عبد الله الحسن بن الحسن في كتاب منهاج الدين له وقال فان
كان محفوظا فالمشركون بالله هم الثنوية والشاكون هم الذين لا يدرون ان لهم الها
ولا ملة لهم او يشكون في شريعته انها من عنده ام لا والغافلون عن الله هم الذين يجحدونه اصلا
ولا يثبتونه وهم الدهرية والموثرون شهواتهم على الله هم المنهمكون في المعاصي لتكذيبهم رسل الله وامره
ونهيه والشافون غيظهم بغضب الله هم القاتلون انبياء الله وساير الداعين اليه المعذبون

من ينصح لهم او يذهب فيرمذهبهم والمصيرون رغبتهم بحظهم من الله المنكرون بالبعث والحساب فهم
يعبدون اي يرغبون فيه لهم جميع حظهم من الله تعالى والعاتون عن الله الذين لا يبالون بان
يكون ما لهم فيه حقا او باطلا فلا يتفكرون ولا يعتبرون ولا يستدلون والله اعلم بما اراد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ثبت الحديث ويروى ان سلمان الفارسي رضي الله عنه لما سمع هذه الاية وان
جهنم لموعدهم اجمعين فر ثلاثة ايام من الخوف لا يعقل فجيء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله
فقال له يا رسول الله انزلت هذه الاية وان جهنم لموعدهم اجمعين فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت
قلبي فانزل الله تعالى ان المتقين في جنات وعيون وقال بلال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي
في مسجد المدينة وحده فمرت به امراة اعرابية فصلت خلفه ولم يعلم بها فقرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم فخرت الاعرابية مغشيا عليها وسمع النبي صلى
الله عليه وسلم وجبتها فانصرف ودعا بماء فصب على وجهها حتى افاقت وجلست فقال النبي صلى الله
عليه وسلم يا هذه ما لك فقالت اهذا شيء من كتاب الله تعالى او تقوله من تلقاء نفسك فقال
يا اعرابية بل هو من كتاب الله المنزل فقالت كل عضو من اعضائي يعذب على كل باب منها قال يا
اعرابية بل لكل باب منهم جزء مقسوم يعذب اهل كل باب على قدر اعمالهم فقالت والله اني امراة
مسكينة ما لي مال وما لي الا سبعة اعبد اشهدك يا رسول الله ان كل عبد منهم عن كل باب من ابواب
جهنم حر لوجه الله فاتاه جبريل فقال يا رسول الله بشر الاعرابية ان الله قد حرم عليها ابواب جهنم
كلها وفتح لها ابواب الجنة قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون اي الذين اتقوا الفواحش والشرك
في جنات اي بساتين وعيون هي الانهار الاربع ماء وخمر ولبن وعسل واما العيون المذكورة في
سورة الانسان الكافور والزنجبيل والسلسبيل وفي المطففين التسنيم فياتي ذكرها واهلها ان
شاء الله تعالى وضم العين من عيون على الاصل والكسر مراعاة للياء وقرئ بهما ادخلوها بسلام امنين
قراءة العامة ادخلوها بوصل الالف وضم الخاء من دخل يدخل على الامر تقديره قيل ادخلوها وقرا
الحسن وابو العالية وروي عن يعقوب ادخلوها بضم التنوين ووصل الالف وكسر الخاء على الفعل
المجهول من ادخل اي ادخلهم الله اياها ومذهبهم كسر التنوين في مثل برحمة ادخلوا الجنة وشبهه
الا انهم هنا القوا حركة الهمزة على التنوين اذ هي الف قطع ولكن فيه انتقال من كسر الى ضم ثم من
ضم الى كسر فيثقل على اللسان بسلام اي بسلامة من كل داء وافة وقيل بتحية من الله لهم امنين
اي من الموت والعذاب والعزل والزوال قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل قال ابن عباس
اول ما يدخل اهل الجنة تعرض لهم عينان فيشربون من احدى العينين فيذهب الله ما في قلوبهم
من غل ثم يدخلون العين الاخرى فيغتسلون فيها فتشرق الوانهم وتصفو وجوههم وتجري عليهم
نضرة النعيم ونحوه عن علي رضي الله عنه وقال علي بن الحسين نزلت في ابي بكر وعمر وعلي والصحابة
يعني ما كان بينهم في الجاهلية من الغل والقول الاول اظهر يدل عليه سياق الاية وقال علي
رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وطلحة والزبير من هؤلاء والغل الحقد والعداوة يقال منه غل
يغل ويقال من الغلول وهو السرقة من المغنم ويقال من الخيانة اغل يغل كما قال جزى الله
عنا حمزة وابن نوفل جزاء مغل بالامانة كاذب وقد مضى هذا في ال عمران اخوانا على سرر
متقابلين اي لا ينظر بعضهم الى قفا بعض تواصلا وتحابيا عن مجاهد وغيره وقيل الاسرة تدور
كيف ما شاؤوا فلا يرى احد قفا احد وقيل متقابلين قد اقبلت عليهم الازواج واقبلوا اليهن
بالود وسرر جمع سرير مثل جديد وجدد وقيل هو من السرور فكانه مكان رفيع ممهد للسرور

والاول اظهر قال ابن عباس على سرر مكللة بالياقوت والزبرجد والدر السرير ما بين صنعا الى الجابية
وما بين عدن الى ايلة واخوانا نصب على الحال من المتقين او من المضمر في ادخلوها او من المضمر في امنين
او يكون حالا مقدرة من الهاء والميم في صدورهم لا يمسهم فيها نصب اي اعياء وتعب وما هم منها بمخرجين دليل
على ان نعيم الجنة دايم لا يزول وان اهلها فيها باقون اكلها دايم ان هذا لرزقنا ما له من نفاد قوله تعالى
نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم هذه الاية وزان قوله عليه الصلاة
والسلام لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته احد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة
ما قنط من رحمته احد اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة وقد تقدم في الفاتحة وهكذا ينبغي للانسان
ان يذكر نفسه وغيره فيخوف ويرجي ويكون الخوف في الصحة اغلب عليه منه في المرض وجاء في
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون وبين ايديكم الجنة
والنار فشق ذلك عليهم فنزلت الاية ذكره المهدوي والماوردي ولفظ الثعلبي عن ابن عمر قال
اطلع علينا النبي صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة ونحن نضحك فقال ما لكم تضحكون
لا اراكم تضحكون ثم ادبر حتى اذا كان عند الحجر رجع القهقرى فقال اني لما خرجت جاءني جبريل فقال
يا محمد لم تقنط عبادي من رحمتي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فالقنوط اياس و
الرجا امال وخير الامور اوساطها قوله تعالى ونبئهم عن ضيف ابراهيم ضيف ابراهيم الملائكة الذين
بشروه بالولد وبهلاك قوم لوط وقد تقدم ذكرهم وكان ابراهيم عليه السلام يكنى ابا الضيفان وكان
لقصره اربعة ابواب لئلا يفوته احد وسمي الضيف ضيفا لاضافته اليك ونزوله عليك وقد
مضى من حكم الضيف في هود ما يكفي والحمد لله اذ دخلوا عليه جمع الخبر لان الضيف اسم يصلح للواحد والجمع
والتثنية والمذكر وضافه مال اليه واضافه اماله ومنه الحديث حين تضيف الشمس للغروب وضيفوفة
السهم والاضافة النحوية فقالوا سلاما اي سلموا سلاما قال انا منكم وجلون اي فزعون خائفون
وانما قال هذا بعد ان قرب العجل ورآهم لا ياكلون على ما تقدم في هود وقيل انكر السلام ولم يكن في
بلاده رسم السلام قالوا لا توجل اي قالت الملائكة لا تخف انا نبشرك بغلام عليم قال مقاتل وقال
الجمهور عالم وهو اسحق قال ابشرتموني على ان مسني الكبر ان مصدرية اي على مس الكبر اياي وزوجي
وقد تقدم في هود وابراهيم حيث يقول فبم تبشرون استفهام تعجب وقيل استفهام حقيقي وقرا
الحسن توجل بضم التاء والاعمش بشرتموني بغير الف ونافع وشيبة تبشرون بكسر النون والتخفيف
مثل اتحاجوني وقد تقدم تعليله وقرا ابن كثير وابن محيصن تبشرون بكسر النون مشددة تقديره
تبشرونني فادغم النون في النون الباقون بنصب النون بغير اضافة قوله تعالى قالوا بشرناك بالحق
اي بما لا خلف فيه وان الولد لا بد منه فلا تكن من القانطين اي من الايسين من الولد وكان قد
ايس من الولد لفرط الكبر وقراءة العامة من القانطين بلا الف وروي عن ابي عمرو وهو مقصود
من القانطين ويجوز ان يكون من لغة من قال قنط يقنط مثل حذر يحذر وفتح النون وكسرها
من يقنط لغتان قرئ بهما وحكي منه يقنط بالضم ولم يات فيه قنط يقنط فمن فتح النون في
الماضي والمستقبل فانما جمع بين اللغتين فاخذ في الماضي بلغة من قال قنط يقنط وفي المستقبل
بلغة من قال قنط يقنط ذكره المهدوي قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
اي المكذبون الذاهبون عن طريق الصواب يعني انه استقرب الولد لكبر السن لا انه قنط من
رحمة الله الا الضالون اي المكذبون الذاهبون عن طريق قوله تعالى قال فما خطبكم ايها
المرسلون فيه مسالتان الاولى لما علم انهم ملائكة اذ اخبروه بامر خارق للعادة وهو بشرائهم

بالولد قال فما خطبكم والخطب الامر الخطير اي ما امركم وشانكم وما الذي جيتم به قالوا انا ارسلنا الى
قوم مجرمين اي مشركين ضالين وفي الكلام اضمار اي ارسلنا الى قوم مجرمين لنهلكهم الا ال لوط انا
لمنجوهم اجمعين قرا حمزة والكسائي لمنجوهم بالتخفيف من انجا والباقون بالتشديد
من نجا واختاره ابو عبيد وابو حاتم والتنجية والانجا التخليص الا امراته استثنى من ال لوط امراته
وكانت كافرة فالتحقت بالمجرمين في الهلاك وقد تقدمت قصة قوم لوط في الاعراف وسورة هود
وبما فيه كفاية قدرنا انها لمن الغابرين اي قضينا وكتبنا انها لمن الباقين في العذاب والغابر الباقي
قال لا تكسع الشول باغبارها انك لا تدري ما الناتج الاغبار بقايا اللبن وقرا ابو بكر والمفضل
قدرنا بالتخفيف هنا وفي النمل وشدد الباقون الهروي يقال قدر وقدر بمعنى الثانية لا خلاف
بين اهل اللسان وغيرهم ان الاستثناء من النفي اثبات ومن الاثبات نفي فاذا قال الرجل له علي عشرة
دراهم الا اربعة الا درهما ثبت الاقرار بسبعة لان الدرهم مستثنى من الاربعة وهو مثبت لانه مستثنى
من منفي وكانت الاربعة منفية لانها مستثناة من موجب وهي العشرة فعاد الدرهم الى الستة فصارت
سبعة وكذلك لو قال علي خمسة دراهم الا درهما الا ثلثه كان عليه اربعة دراهم وثلث وكذلك
اذا قال لفلان علي عشرة الا تسعة الا ثمانية الا سبعة كان الاستثناء الثاني راجعا الى ما قبله والثالث
الى الثاني فيكون عليه درهمان لان العشرة اثبات والثمانية اثبات فيكون مجموعها ثمانية عشر
والتسعة نفي والسبعة نفي فيكون مجموعها ستة عشر تسقط من ثمانية عشر ويبقى درهمان وهو القدر
الواجب بالاقرار فقوله سبحانه وتعالى انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين
الا امراته فاستثنى ال لوط من القوم المجرمين ثم قال الا امراته فاستثناها من ال لوط فرجعت في
التاويل الى القوم المجرمين كما قلنا وهكذا الحكم في الطلاق لو قال لزوجته انت طالق ثلاثا الا
اثنتين الا واحدة طلقت ثنتين لان الواحدة رجعت الى الباقي من المستثنى منه اولا وهي
الثلاث وهكذا كل ما جاء من هذا فتفهمه قوله تعالى فلما جاء ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون
اي لا اعرفكم وقيل كانوا شبابا وراى جمالا فخاف عليهم من فتنة قومه فهذا هو الانكار قالوا بل
جئناك بما كانوا فيه يمترون اي يشكون انه نازل بهم وهو العذاب واتيناك بالحق اي الصدق
وقيل بالعذاب وانا لصادقون في هلاكهم فاسر باهلك بقطع من الليل تقدم في هود واتبع ادبارهم
اي كن من ورائهم لئلا يتخلف منهم احد فيناله العذاب ولا يلتفت منكم احد نهوا عن الالتفات
ليجدوا في السير ويتباعدوا من القرية قبل ان يفجاهم الصبح وقيل المعنى لا يتخلف وامضوا حيث تؤمرون
قال ابن عباس يعني الشام مقاتل يعني صعر قرية من قرى لوط وقد تقدم وقيل انه مضى الى ارض
الخليل بمكان يقال له اليقين وانما سمي اليقين لان ابراهيم لما خرجت الرسل شيعهم فقال لجبريل
من اين يخسف بهم قال من هاهنا وحد له حدا وذهب جبريل فلما جاء ال لوط جلس عند ابراهيم وارتقبا
ذلك العذاب فلما اهتزت الارض قال ابراهيم ايقنت بالله فسمي اليقين قوله تعالى وقضينا
اليه ذلك اي اوحينا الى لوط ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين فقطع دابر القوم الذين ظلموا
مصبحين اي عند طلوع الصبح وقد تقدم قوله تعالى وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان
هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال
هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فاخذتهم الصيحة مشرقين
فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لايات للمتوسمين وانها
لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية للمؤمنين وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا

منهم

منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين
وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك
هو الخلاق العليم ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا
به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل اني انا النذير المبين كما انزلنا
على المقتسمين الذين جعلوا القران عضين فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاصدع
بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف
يعلمون ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد
ربك حتى ياتيك اليقين قوله وجاء اهل المدينة اي اهل مدينة لوط يستبشرون باضياف لوط
طمعا منهم في ركوب الفاحشة قال ان هؤلاء ضيفي اي اضيافي فلا تفضحون اي تخجلون واتقوا الله ولا
تخزون يجوز ان يكون من الخزي وهو الذل والهوان ويجوز ان يكون من الخزاية وهو الحياء والخجل وقد
تقدم في هود قالوا اولم ننهك عن العالمين اي عن ان تضيف احدا لانا نريد منهم الفاحشة وكانوا يقصدون
بفعلهم الغرباء عن الحسن وقد تقدم في الاعراف وقيل اولم ننهك عن ان تكلمنا في احد من الناس اذا
قصدناه بالفاحشة قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين اي فتزوجوهن ولا تركبوا الحرام وقد تقدم بيان
هذا قوله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فيه ثلاث مسائل الاولى قال القاضي ابو بكر بن العربي
قال المفسرون باجمعهم اقسم الله تعالى هاهنا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم تشريفا له ان قومه من قريش
في سكرتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون قلت وهكذا قال القاضي عياض اتفق اهل التفسير في
هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها
فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وحياتك وهذا نهاية التعظيم وغاية البر
والتشريف قال ابو الجوزاء ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده
قال ابن العربي ما الذي يمتنع ان يقسم الله سبحانه بحياة لوط ويبلغ به من التشريف ما شاء وكل
ما يعطيه تعالى للوط يؤتي ضعفيه من شرف لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم على الله تعالى منه
او لا تراه سبحانه اعطى ابراهيم الخلة وموسى التكليم واعطى ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم فاذا اقسم بحياة
لوط فحياة محمد ارفع ولا تخرج من الكلام الى كلام لم يجر له ذكر من غير ضرورة قلت ما قاله
حسن فانه كان يكون قسمه سبحانه بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا في قصة لوط قال
القشيري ابو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم في تفسيره ويحتمل ان يقال يرجع ذلك الى قوم لوط اي
كانوا في سكرتهم يعمهون وقيل لما وعظ لوط قومه وقال هؤلاء بناتي قالت الملائكة يا لوط لعمرك
انهم لفي سكرتهم ولا يدرون ما يحل بهم صباحا فان قيل فقد اقسم الله تعالى بالتين والزيتون وطور
سينين فما في هذا قيل له ما من شيء اقسم به الا وذلك دلالة على فضله على ما يدخل في عداده
فكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم يجب ان يكون افضل من هو في عداده والعمر بضم العين وفتحها
لغتان ومعناهما واحد الا انه لا يستعمل في القسم الا بالفتح لكثرة الاستعمال وتقول عمرك الله اي
اسال الله تعميرك ولعمرك رفع بالابتداء وخبره محذوف المعنى لعمرك مما اقسم به الثانية كره
كثير من العلماء ان يقول الانسان لعمري لان معناه وحياتي قال ابراهيم النخعي يكره للرجل ان
يقول لعمري لانه حلف بحياة نفسه وذلك من كلام ضعفة الرجال ونحو هذا قال مالك ان
المستضعفين من الرجال والمؤنثين يقسمون بحياتك وعيشك وليس من كلام اهل الذكران

وان كان الله سبحانه اقسم به فى هذه القصة فذلك بيان لشرف المنزلة والرفعة لمكانه فلا يحمل
عليه سواه ولا يحمل عليه ولا يستعمل فى غيره وقال ابن حبيب ينبغى ان يصرف لعمرك فى الكلام لهذه
الاية وقال قتادة هو من كلام العرب قال ابن العربى وبه اقول لكن الشرع قد قطعه فى الاستعمال
ورد القسم اليه قلت القسم بلعمرك ولعمرى ونحوه فى اشعار العرب وفصيح كلامها كثير قال الشاعر
وهو النابغة لعمرى وما عمرى على بهين لقد نطقت بطلا على الاقارع قال الشاعر لعمرك ان
الموت ما اخطى الفتى لكالطول المرخى وثناه باليد وقال الاخر ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله
كيف يلتقيان وقال الاخر اذا رضيت على بنو قشير لعمر الله اعجبنى رضاها وقال بعض اهل المعانى
لا يجوز هذا لانه لا يقال لله عمر وانما هو تعالى ازلى ذكره الزهراوى الثالثة قد مضى الكلام
فيما يحلف به وما لا يجوز الحلف به فى المائدة وذكرنا هناك قول احمد بن حنبل فيمن اقسم بالنبى صلى
الله عليه وسلم لزمته الكفارة قال ابن خواز منداذ من جوز الحلف بغير الله تعالى مما يجوز تعظيمه
بحق من الحقوق فليس يقول انها يمين يتعلق بها كفارة الا انه من قصد الكذب كان ملوما لانه
فى الباطن مستخف بما وجب عليه تعظيمه قالوا وقوله تعالى لعمرك اى وحياتك واذا اقسم الله
تعالى بحيات نبيه فانما اراد بيان التصريح لنا انه يجوز لنا ان نحلف بحياته وعلى مذهب مالك
معنى قوله لعمرك والتين والزيتون والطور وكتاب مسطور والنجم اذا هوى والشمس وضحاها
لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد كل هذا معناه وخالق التين والزيتون
ورب البلد التى حللت به وخالق عيشك وحياتك وحق محمد فاليمين والقسم حاصل به سبحانه
لا بالمخلوق قال ابن خواز منداذ ومن جوز اليمين بغير الله تعالى تاول قوله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا
بابائكم وقال انما نهى عن الحلف بالاباء الكفار الا ترى انه قال لما حلفوا بابائهم لا الجعل عند الله
اكرم من ابائكم ومالك حمل الحديث على ظاهره قال ابن خواز منداذ واستدل ايضا من جوز ذلك
بان ايمان المسلمين جرت منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا ان يحلفوا بالنبى صلى الله
عليه وسلم حتى ان اهل المدينة الى يومنا هذا اذا جاء احدهم صاحبه قال احلف لى بحق ما حواه
هذا القبر وبحق ساكن هذا القبر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم يعنى الحرم والمشاهد العظام والركن والمقام
والمحراب وما يتلى فيه قوله تعالى فاخذتهم الصيحة مشرقين نصب على الحال اى وقت شروق الشمس
يقال اشرقت الشمس اى اضاءت وشرقت وطلعت وقيل هما لغتان بمعنى شرق القوم اذا دخلوا فى
وقت شروق الشمس مثل اصبحوا وامسوا وهو المراد فى الاية وقيل اراد شروق الفجر وقيل اول
العذاب كان عند الصبح وامتد الى شروق الشمس فكان تمام الهلاك عند ذلك والله اعلم والصيحة
العذاب وقد تقدم ذكر سجيل قوله تعالى ان فى ذلك لايات للمتوسمين فيه مسئلتان الاولى
قوله تعالى للمتوسمين روى الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول من حديث ابى سعيد الخدرى قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرا ان فى
ذلك لايات للمتوسمين قال هذا حديث غريب وقال مقاتل وابن زيد للمتوسمين المتفكرين
الضحاك للناظرين قال الشاعر اوكلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا الى عريفهم يتوسموا وقال
قتادة للمعتبرين قال زهير وفيهن ملهى للصديق ومنظر انيق لعين الناظر المتوسم وقال
ابو عبيدة للمتبصرين والمعنى متقارب وروى الترمذى الحكيم ثابت عن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل عبادا يعرفون الناس بالتوسم قال العلماء التوسم تفعل
من الوسم وهى العلامة التى يستدل بها على مطلوب غيرها يقال توسمت فيه الخير اذا رايت

ميسم ذلك فيه ومنه قول عبد الله بن رواحة للنبى صلى الله عليه وسلم انى توسمت فيك الخير اعرفه
والله يعلم انى ثابت البصر اخر توسمته لما رايت مهابته عليه وقلت المرء من ال هاشم
واتسم الرجل اذا جعل لنفسه علامة يعرف بها وتوسم الرجل اذا طلب كلا الاسماء وانشد واصبحن
كالدوم النواعم غدوة على وجهه من ظاعن متوسم وقال ثعلب الواسم الناظر اليك من قرنك
الى قدمك واصل التوسم التثبت والتفكر ماخوذ من الوسم وهو التاثير بحديدة فى جلد البعير او غيره
وذلك يكون بجودة القريحة وحدة الخاطر وصفاء الذكر زاد غيره وتفريغ القلب من حشو القلب
وتطهيره من ادناس المعاصى وكدورة الاخلاق وفضول الدنيا روى نهشل عن ابن عباس للمتوسمين قال
لاهل الصلاح والخير وزعمت الصوفية انها كرامة وقيل بل هى استدلال بالعلامات ومن العلامات
ما يبدو ظاهرا لكل احد ومنها ما يخفى فلا يبدو لكل احد ولا يدرك ببادى النظر قال الحسن المتوسمون هم
الذين يتوسمون الامور فيعلمون ان الذى اهلك قوم لوط قادر على ان يهلك الكفار وهذا من
الدلايل الظاهرة ومثله قول ابن عباس ما سالنى احد عن شىء الا عرفت افقيه هو او غير فقيه وروى
عن الشافعى ومحمد بن الحسن انهما كانا بفناء الكعبة ورجل على باب المسجد فقال احدهما اراه نجارا و
قال الاخر بل حدادا فتبادر من حضر الى الرجل فسأله كنت نجارا وانا اليوم حداد وروى عن جندب
بن عبد الله البجلى انه اتى على رجل يقرا القران فوقف فقال من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله
به فقلنا له لعلك عرضته بهذا الرجل فقال ان هذا يقرا عليك القران اليوم ويخرج غدا حروريا
فكان راس الحرورية واسمه مرداس وروى عن الحسن البصرى انه دخل عليه عمرو بن عبيد
فقال هذا سيد فتيان البصرة ان لم يحدث فكان من امره من القدر ما كان حتى هجره عامة اصحابه وقال لايوب هذا سيد فتيان اهل البصرة ولم يستثن وروى انه قال لداود الازدى وهو يماريه انك
لا تموت حتى تكوى فى راسك وكان كذلك وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل عليه قوم
من مذحج فيهم الاشتر فصعد فيه النظر وصوبه وقال ايهم هذا قالوا مالك بن الحارث فقال
ماله قاتله الله انى لارى للمسلمين منه يوما عصيبا فكان منه فى الفتنة ما كان وروى عن عثمان
بن عفان رضى الله عنه ان انس بن مالك دخل عليه وكان قد مر بالسوق فنظر الى امراة فلما
نظر اليه قال عثمان يدخل احدكم على وفى عينيه اثر الزنا فقال له انس اوحيا بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن برهان وفراسة وصدق ومثله كثير عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم
اجمعين الثانية قال القاضى ابو بكر بن العربى اذا ثبت ان التوسم والتفرس من مدارك المعانى
فان ذلك لا يترتب عليه حكم ولا يؤخذ به موسوم ولا متفرس وكان قاضى القضاة الشاشى المالكى
ببغداد ايام كونه بالشام يحكم بالفراسة فى الاحكام جريا على طريق اياس بن معاوية ايام كان قاضيا
وكان شيخنا فخر الاسلام ابو بكر بن الشاشى صنف جزءا فى الرد عليه كتبه لى بخطه واعطانيه
وذلك فان مدارك الاحكام معلومة شرعا مدركة قطعا وليست الفراسة منها قوله تعالى وانها
يعنى قرى قوم لوط لبسبيل مقيم اى على طريق قومك يا محمد الى الشام ان فى ذلك للمؤمنين اى لعبرة
للمصدقين وان كان اصحاب الايكة لظالمين يريد قوم شعيب كانوا اصحاب غياض ورياض وشجر
مثمر والايكة الغيضة وهى جماع الشجر والجمع الايك وروى ان شجرهم كان دوما وهو المقل قال النابغة
تجلو بقادمتى حمامة ايكة بردا اسف لثاته بالاثمد وقيل الايكة اسم القرية وقيل اسم البلدة
وقال ابو عبيدة الايكة وليكة مدينتهم بمنزلة بكة من مكة وتقدم خبر شعيب وقومه وانهما
لبامام مبين اى بطريق واضح فى نفسه يعنى مدينة قوم لوط وبقعة اصحاب الايكة يعتبر بهما
من مر عليهما قوله تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين الحجر ينطلق على معان منها حجر الكعبة ومنها

الحرم قال الله تعالى وحجرا محجورا اي حرما محرما والحجر العقل قال الله تعالى لذي حجر والحجر حجر القميص
والفتح افصح والحجر الفرس الانثى والحجر ديار ثمود وهو المراد هنا اي المدينة قاله الزهري قتادة وهي ما بين
مكة وتبوك وهو الوادي الذي فيه ثمود الطبري هي ارض بين الحجاز والشام وهم قوم صالح وقال المرسلين
وصالح وحده لان من كذب نبيا فقد كذب الانبياء لانهم على دين واحد في الاصول فلا يجوز التفريق
بينهم وقيل كذبوا صالحا ومن تقدمه من النبيين ايضا والله اعلم روى البخاري عن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها
فقالوا قد عجنا واستقينا فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريقوا الماء وان يطرحوا ذلك العجين
وفي الصحيح عن ابن عمر ان الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر في ارض ثمود فاستقوا
من ابارها وعجنوا به العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا ما استقوا ويعلفوا
الابل العجين وامرهم ان يستقوا من البير التي تردها الناقة وروي ايضا عن ابن عمر قال مررنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا مساكن
الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم ما اصابهم ثم ذكر ما يسوغ قلت في
هذه الاية التي بين الشارع حكمها واوضح امرها ثمان مسائل استنبطها العلماء واختلف في بعضها
الفقهاء فاول لها كراهة دخول هذه المواضع وعليها حمل بعض العلماء دخول مقابر الكفار فان
دخل الانسان شيئا من تلك المواضع والمقابر فعلى الصفة التي ارشد اليها النبي صلى الله عليه وسلم
من الاعتبار والخوف والاسراع وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا ارض بابل فانها ملعونة
مسئلة امر صلى الله عليه وسلم بان يهرق ما استقوا من بئر ثمود والقا ما عجن وخبز به لاجل
انه ماء سخط فلم يجز الانتفاع به فرارا من سخط الله وقال اعلفوه الابل قلت وهكذا حكم الماء
النجس وما يعجن به وثانيها قال مالك ان ما لا يجوز استعماله من الطعام والشراب يجوز ان يعلفه
الابل والبهائم اذ لا تكليف عليها ولذلك قال في العسل النجس انه يعلفه النحل وثالثها امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعلف ما عجن بهذا الماء الابل ولم يامر بطرحه كما امر في لحوم الحمر الانسية
يوم خيبر يدل على ان لحوم الحمر اشد في التحريم والخلط في التنجيس وقد امر صلى الله عليه وسلم
بكسب الحجام ان يعلف الناضح والرقيق ولم يكن ذلك لتحريم ولا تنجيس قال الشافعي ولو كان
حراما لم يامره ان يطعمه رقيقه لانه متعبد فيه كما تعبد في نفسه ورابعها في امره صلى
الله عليه وسلم بعلف الابل دليل على جواز حمل الرجل النجاسة الى كلابه لياكلوها خلافا لمن منع ذلك
من اصحابنا وقال تطلق الكلاب عليها ولا يحملها اليهم وخامسها امره صلى الله عليه وسلم ان يستقوا
من بئر الناقة دليل على ان التبرك باثار الانبياء والصالحين وان تقادمت اعصارهم وخفيت
اثارهم كما ان في الاول دليلا على بغض اهل الفساد وذم ديارهم واثارهم هذا وان كان التحقيق ان
الجمادات غير مواخذات لكن المقرون بالمحبوب محبوب وبالمبغوض مبغوض كما قال كثير احب
لحبها السودان حتى احب لحبها سود الكلاب وكما قال الاخر امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا
الجدار وذا الجدارا وما تلك الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا وسادسها منع
بعض العلماء الصلاة بهذا الموضع وقال لا تجوز الصلاة فيها لانها دار سخط وبقعة غضب
قال ابن العربي فصارت هذه البقعة مستثناة من قوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا
وطهورا فلا يجوز التيمم بترابها ولا الوضوء من مائها ولا الصلاة فيها وقد روى الترمذي عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يصلى في سبع مواطن المزبلة والمجزرة والمقبرة وقارعة الطريق

وفي الحمام وفي معاطن الابل وفوق بيت الله وفي الباب عن ابي زيد وجابر وانس حديث ابن عمر اسناده
ليس بالقوي وقد تكلم في زيد بن جبيرة من قبل حفظه وقد زاد علماؤنا الدار المغصوبة والكنيسة
والبيعة والبيت الذي فيه تماثيل والارض المغصوبة او موضعا يستقبل فيه نائما او وجه رجل او
جدارا عليه نجاسة قال ابن العربي ومن هذه المواضع ما منع لحق الغير ومنها ما منع لحق الله تعالى
ومنها ما منع لاجل النجاسة ان فرش فيه ثوب طاهر كالحمام والمقبرة فيها او اليها فان ذلك جائز في
المدونة وذكر ابو مصعب عنه الكراهة وفرق علماؤنا بين المقبرة الجديدة والقديمة لاجل النجاسة
وبين مقبرة المسلمين والمشركين لانها دار عذاب وبقعة سخط كالحجر وقال مالك في المجموعة لا يصلى
في اعطان الابل وان فرش ثوبا كانه رأى لها علتين الاستتار بها وتعارها فتفسد على المصلي صلاته
فان كانت واحدة فلا باس كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل في الحديث الصحيح وقال مالك
لا يصلى على بساط فيه تماثيل الا من ضرورة وكره ابن القاسم الصلاة الى القبلة فيها تماثيل وفي الدار
المغصوبة فان فعل اجزأ وذكر بعضهم عن مالك ان الصلاة في الدار المغصوبة لا تجزئ قال ابن العربي
وذلك عندي بخلاف الارض فان الدار لا تدخل الا بالاذن وان كانت ملكا فان المسجدية
فيها قائمة لا يبطلها الملك قلت الصحيح الذي يدل عليه النظر والخبر ان الصلاة بكل موضع
طاهر جائزة صحيحة وما روي من قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا واد به شيطان فقد رواه معمر عن
الزهري فقال واخرجوا عن الموضع الذي اصابتكم فيه الغفلة وقول علي نهاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اصلي بارض بابل فانها ملعونة وقوله عليه الصلاة والسلام حين مر بالحجر من ثمود لا
تدخلوا على هؤلاء المشركين الا ان تكونوا باكين ونهيه عليه الصلاة والسلام عن الصلاة في معاطن
الابل الى غير ذلك مما في هذا الباب فانه مردود الى الاصول المجتمع عليها والدلايل الصحيح عليها قال
الامام الحافظ ابو عمر المختار عندنا في هذا الباب ان ذلك الوادي وغيره من بقاع الارض جائز
ان يصلى فيها كلها ما لم يكن فيها نجاسة متيقنة تمنع من ذلك ولا معنى لاعتلال من اعتل ان موضع
النوم عن الصلاة موضع شيطان وموضع ملعون لا يجب ان تقام فيه الصلاة وكل ما روي من
هذا الباب من النهي عن الصلاة في المقبرة وبارض بابل واعطان الابل وغير ذلك مما في هذا المعنى
كل ذلك عندنا منسوخ ومدفوع لعموم قوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض كلها مسجدا وطهورا
وقوله صلى الله عليه وسلم مخبرا ان ذلك من فضايله ومما خص به وفضايله عند اهل العلم
لا يجوز عليها النسخ ولا التبديل ولا النقص قال صلى الله عليه وسلم اوتيت خمسا وقد روي ستا
وقد روي ثلاثا واربعا وقد تنتهي الى اكثر من سبع قال فيهن لم يؤتهن احد قبلي بعثت الى
الاحمر والاسود ونصرت بالرعب وجعلت امتي خير الامم واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض
مسجدا وطهورا واوتيت الشفاعة وبعثت بجوامع الكلم وبينا انا نايم اوتيت بمفاتيح الارض
فوضعت في يدي واوتيت الكوثر وختم بي النبيون رواها جماعة من الصحابة وبعضهم يذكر بعضها
ويذكر بعضهم ما لم يذكره غيره وهي صحاح كلها وجايز على فضايله الزيادة وغير جايز فيها النقصان
الا ترى انه كان عبدا قبل ان يكون نبيا ثم كان نبيا قبل ان يكون رسولا وكذلك روي عنه
وقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم ثم نزلت ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وسمع
رجلا يقول له يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم قال ولا يقولن احدكم انا خير من يونس بن
متى وقال السيد يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ثم قال بعد ذلك كله انا سيد ولد
ادم ولا فخر ففضايله صلى الله عليه وسلم لم تزل تزداد الى ان قبضه الله فمن هاهنا قلنا انه لا يجوز

عليها النسخ ولا الاستثنا ولا النقصان وجايز فيها الزيادة ولقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض
مسجدا وطهورا اجزنا الصلاة في المقبرة والحمام وفي كل موضع من الارض اذا كان طاهرا من الانجاس
وقال صلى الله عليه وسلم لابي ذر حيث ما ادركتك الصلاة فصل فان الارض كلها مسجد ذكره البخاري
ولم يخص موضعا من موضع واما من احتج بحديث ابن وهب قال اخبرني يحيى بن ايوب عن زيد
بن جبيرة عن داود بن حصين عن نافع عن ابن عمر حديث الترمذي الذي ذكرناه فهو حديث
انفرد به زيد بن جبيرة وانكروه عليه ولا يعرف هذا الحديث مسندا الا برواية يحيى بن ايوب
عن زيد بن جبيرة وقد كتب الليث بن سعد الى عبد الله بن نافع مولى ابن عمر يسئله عن هذا
الحديث وكتب اليه عبد الله بن نافع لا اعلم من حدث بهذا عن نافع الا قد قال عليه الباطل ذكره
الحلواني عن سعيد بن ابي مريم عن الليث وليس فيه تخصيص مقبرة المشركين من غيرها وقد روي
عن علي ابن ابي طالب قال نهاني حبيبي صلى الله عليه وسلم ان اصلي في المقبرة ونهاني ان اصلي في ارض
بابل فانها ملعونة واسناده ضعيف مجمع على ضعفه وابو صالح الذي رواه عن علي هو سعيد بن
عبد الرحمن الغفاري بصري وليس بمشهور ولا يصح له سماع عن علي ومن دونه مجهولون لا يعرفون
قال ابو عمر وفي الباب عن علي من قوله غير مرفوع حديث حسن الاسناد رواه الفضل بن دكين
قال ان المغيرة بن ابي الحر الكندي قال حدثنا ابو العيص حجر بن عنبس قال خرجنا مع علي الى
الحرورية فلما جاوزنا سورا وقع بارض بابل قلنا يا امير المؤمنين امسيت الصلاة الصلاة فابى
ان يكلم احدا قالوا يا امير المؤمنين قد امسيت قال بلى ولكن لا اصلي في ارض خسف الله بها المغيرة
بن ابي الحر كوفي ثقة قاله يحيى بن معين وغيره وحجر بن عنبس من كبار اصحاب علي وروى
الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض كلها مسجد الا المقبرة
والحمام قال الترمذي رواه سفيان الثوري عن عمرو بن يحيى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
مرسل وكانه اثبت واصح قال ابو عمر يسقط الاحتجاج به عند من يرى المرسل حجة ولو ثبت
كان الوجه ما ذكرنا ولسنا نقول كما قال بعض المنتحلين لمذهب المدنيين ان المقبرة في هذا
الحديث وغيره اريد بها مقبرة المشركين خاصة فانه قال المقبرة والحمام بالالف واللام فغير
جايز ان يرد ذلك الى مقبرة دون مقبرة او حمام دون حمام بغير توقيف عليه فهو قول لا دليل
عليه من كتاب ولا سنة ولا خبر صحيح ولا مدخل له في القياس ولا في المعقول ولا دل عليه فحوى
الخطاب ولا خرج عليه الخبر ولا يخلو تخصيص من خص مقبرة المشركين من احد وجهين اما
ان يكون من اجل اختلاف الكفار اليها باقدامهم فلا معنى لخصوص المقبرة بالذكر لان كل موضع هو فيه
باجسامهم واقدامهم فهو كذلك وقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتكلم بما لا معنى له او يكون
من اجل انها بقعة سخطه فلو كان كذلك ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبني مسجده في مقبرة
المشركين وسنتها وليس بها ولو جاز لقايل ان يخص من المقابر مقبرة للصلاة فيها لكان مقبرة
المشركين اولى بالخصوص والاستثناء من اجل هذا الحديث وكل من كره الصلاة في المقبرة لم يخص
مقبرة من مقبرة لان الالف واللام اشارة الى الجنس لا الى معهود ولو كان بين مقبرة المسلمين والمشركين
فرق لبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يهمله لانه بعث مبينا ولو ساغ لجاهل ان يقول مقبرة
كذا لجاز لاخر ان يقول حمام كذا لان في الحديث المقبرة والحمام وكذلك قوله المزبلة والمجزرة غير
جايز ان يقال مزبلة كذا ولا مجزرة كذا ولا طريق كذا لان التحكم في دين الله غير جايز واجمع العلماء
على ان التيمم على مقبرة المشركين اذا كان الموضع طيبا طاهرا نظيفا جايز وكذلك اجمعوا على ان من صلى

في كنيسة او بيعة او موضع طاهر ان صلاته ماضية جايزة وقد تقدم هذا في سورة براءة ومعلوم
ان الكنيسة اقرب الى ان تكون بقعة سخط من المقبرة لانها بقعة يعصى الله ويكفر به فيها وليس
كذلك المقبرة وقد وردت السنة باتخاذ البيع والكنايس مساجد روى النسائي عن طلق بن علي قال خرجنا
وفدا الى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه وصلينا معه واخبرناه ان بارضنا بيعة لنا وذكر الحديث
وفيه فاذا اتيتم ارضكم فاكسروا بيعتكم واتخذوها مسجدا وذكر ابو داود عن عثمان بن ابي العاص ان النبي
صلى الله عليه وسلم امره ان يجعل مسجد الطايف حيث كانت طواغيتهم وقد تقدم في براءة وحسبك
بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذي اسس على التقوى مبنيا في مقبرة المشركين وهو حجة على كل من كره
الصلاة فيها وممن كره الصلاة في المقبرة سواء كانت لمسلمين او مشركين الثوري وابو حنيفة والاوزاعي
والشافعي واصحابهم وعند الثوري لا يعيد وعند الشافعي اجزاه اذا صلى في المقبرة في موضع ليس فيه
نجاسة للاحاديث المعلولة في ذلك ولحديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا
في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا ولحديث ابي مرثد الغنوي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تصلوا
الى القبور ولا تجلسوا عليها وهذان حديثان ثابتان من جهة الاسناد ولا حجة فيهما لانهما محتملان
للتاويل ولا يجب ان يمتنع من الصلاة في كل موضع طاهر الا بدليل لا يحتمل تاويلا ولم يفرق احد
من فقهاء المسلمين بين مقبرة المسلمين والمشركين الا ما حكيناه من خطل القول الذي لا يشتغل
بمثله ولا وجه له في نظر ولا في صحيح اثر ومنها الحايط يلقى فيه الكرو العذرة ليكوم فلا يصلى
فيه حتى يسقى ثلاث مرات لما رواه الدارقطني عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
في الحايط يلقى فيه العذرة والسرقين قال اذا سقي ثلاث مرات فصل فيه وخرجه ايضا من
حديث نافع عن ابن عمر انه سئل عن هذه الحيطان التي يلقى فيها العذرات وهذا الزبل
ايصلى فيها فقال اذا سقيت ثلاث مرات فصل فيه وخرجه ايضا من حديث نافع عن ابن
عمر انه سئل عن هذه الحيطان التي يلقى فيها العذرات وهذا الزبل ايصلى فيها فقال اذا سقيت
ثلاث مرات فصل فيها رفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم اختلفا في الاسناد والله اعلم قوله تعالى
واتيناهم اياتنا اي باياتنا كقوله اتنا غداءنا اي بغداءنا والمراد الناقة وكان فيها ايات جمة
خروجها من الصخرة ودنو نتاجها عند خروجها وعظمها حتى لم يشبهها ناقة وكثرة لبنها حتى
يكفيهم جميعا ويحتمل انه كان لصالح ايات اخر سوى الناقة كالبير وغيره وكانوا عنها معرضين
اي لم يعتبروا قوله تعالى وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين النحت في كلام العرب البري والنجر
نحته ينحته بالكسر نحتا اي براه والنحاتة البراية والمنحت ما ينحت به وفي التنزيل اتعبدون
ما تنحتون اي تنجرون وتصنعون فكانوا يتخذون من الجبال بيوتا لانفسهم لشدة قوتهم امنين
من ان تسقط عليهم او تخرب وقيل امنين من الموت وقيل من العذاب فاخذتهم الصيحة مصبحين
في وقت الصبح وهو نصب على الحال وقد تقدم ذكر الصيحة في هود والاعراف فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون من الاموال والحصون في الجبال ولا ما اعطوه من القوة قوله تعالى وما خلقنا السموات و
الارض وما بينهما الا بالحق اي للزوال والفنا وقيل لاجازي المحسن والمسيء كما قال ولله ما في السموات
وما في الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وان الساعة لاتية اي
لكاينة فيجزى كل بعمله فاصفح الصفح الجميل مثل واهجرهم هجرا جميلا اي تجاوز عنهم يا محمد واعف عفوا
حسنا ثم نسخ بالسيف قال قتادة نسخه قوله فاقتلوهم حيث ثقفتموهم وان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لقد جيتكم بالذبح وبعثت بالحصاد ولم ابعث بالزراعة قاله عكرمة ومجاهد وقيل ليس

بمنسوخ وانه امر بالصفح في حق نفسه فيما بينه وبينهم والصفح الاعراض عن الحسن وغيره ان ربك هو
الخلاق العليم اي المقدر للخلق والاخلاق العليم باهل الوفاق والنفاق والله اعلم قوله تعالى ولقد
اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم اختلف العلماء في السبع المثاني فقيل الفاتحة قاله
علي ابن ابي طالب وابو هريرة والربيع بن العلى وقد تقدم في تفسير الفاتحة وخرج الترمذي من حديث
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني
قال هذا حديث حسن صحيح وهذا نص وقد تقدم في الفاتحة وقال الشاعر نشدتكم بمنزل
القرآن ام الكتاب وقال ابن عباس هي السبع الطوال البقرة السبع من مثاني وال عمران والنساء
والمائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة معا وليس بينهما تسمية روى النسائي انا علي
بن حجر انا شريك عن ابي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله عز وجل سبعا من المثاني
قال السبع الطوال وسميت مثاني لان العبر والاحكام والحدود ثبتت فيها وانكر قوم هذا وقالوا
نزلت هذه الاية بمكة ولم ينزل من الطوال شيء اذ ذاك واجيب بان الله تعالى انزل القرآن
الى السماء الدنيا ثم انزله منها نجوما فما انزله الى السماء الدنيا فكانما اتاه محمدا صلى الله عليه وسلم
وان لم ينزل عليه بعد وممن قال انها السبع الطوال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وسعيد
بن جبير ومجاهد وقال جرير جزى الله الفرزدق حين يمسي مضيعا للمفصل والمثاني وقيل المثاني
القرآن كله قال الله تعالى كتابا متشابها مثاني هذا قول الضحاك وطاوس وابو مالك وقاله
ابن عباس وقيل له مثاني لان الانباء والقصص ثبتت فيه فقالت صفية بنت عبد المطلب
ترثي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان نورا ساطعا يهتدى به يخص بتنزيل المثاني
اي القرآن وقيل اراد بالسبع المثاني اقسام المثاني العظيم من الامر والنهي والتبشير والانذار وضرب
الامثال وتعديد نعم وانباء قرون قاله زياد بن ابي مريم والصحيح الاول لانه نص وقد قدمنا
في الفاتحة انه ليس في تسميتها بالمثاني ما يمنع من تسمية غيرها بذلك الا انه اذا ورد عن
النبي صلى الله عليه وسلم وثبت عنه نص في شيء لا يحتمل كان الوقوف عنده قوله تعالى والقرآن
العظيم فيه اضمار تقديره وهو ان الفاتحة القرآن العظيم لاشتمالها على ما يتعلق باصول الاسلام
وقد تقدم في الفاتحة وقيل الواو مقحمة التقدير ولقد اتيناك سبعا من المثاني القرآن العظيم
ومنه قول الشاعر الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقد تقدم عند قوله
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قوله تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم فيه مسئلتان الاولى قوله ولا تمدن عينيك المعنى قد اغنيناك بالقرآن عما في ايدي الناس
فانه ليس منا من لم يتغن بالقرآن اي ليس منا من راى انه ليس يغني بما عنده من القرآن حتى
يطمح بصره الى زخارف الدنيا وعنده معارف المولى يقال انه رأى سبع قوافل من بصرى و
اذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها البز والطيب والجوهر وامتعة البحر فقال
المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فانزل الله تعالى
ولقد اتيناك سبعا من المثاني اي فهي خير لكم من القوافل السبع فلا تمدن اعينكم اليها والى
هذا صار ابن عيينة واورد قوله عليه الصلاة والسلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن
اي من لم يستغن به وقد تقدم هذا المعنى في اول الكتاب ومعنى ازواجا منهم اي اشكالا في النعم
اي الاغنياء بعضهم امثال بعض في الغنى فهم ازواج قلت هذه الاية تقتضي الزجر عن
التشوف الى متاع الدنيا على الدوام واقبال العبد على عبادة مولاه ومثله ولا تمدن عينيك

الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه الاية وليس كذلك فانه قد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة
وكان عليه الصلاة والسلام يتشاغل بالنساء جبلة الادمية وتشوف الخلقة الانسانية ويحافظ على
الطيب ولا تقر له عين الا في الصلاة لدى مناجاة المولى ويرى ان مناجاته احرى من ذلك واولى
ولم يكن في دين محمد عليه الصلاة والسلام الرهبانية والاقبال على الاعمال الصالحة بالكلية كما
كان في دين عيسى وانما شرع الله سبحانه حنيفية سمحة خالصة من الحرج خفيفة على الادمي يأخذ
من الادمية بشهواتها ويرجع الى الله سبحانه بقلب سليم وراى القراء والمخلصون من الفضلاء الانكفاف
عن اللذات والخلوص لرب الارض والسموات اليوم اولى لما غلب على الدنيا من الحرام واضطر العبد
في المعاش الى مخالطة ما لا يجوز مخالطته ومصانعة من تحرم مصانعته فكانت القراءة افضل
والفرار عن الدنيا اصوب للعبد واعدل قال صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان يكون خير
مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن قوله تعالى ولا تحزن
عليهم اي ولا تحزن على المشركين ان لم يؤمنوا وقيل المعنى لا تحزن على ما متعوا به من الدنيا فلك في
الاخرة افضل وقيل لا تحزن عليهم ان صاروا الى العذاب فهم اهل العذاب واخفض جناحك للمؤمنين
اي الن جناحك لمن امن بك وتواضع لهم واصله ان الطائر اذا ضم فرخه الى نفسه بسط جناحه
ثم قبضه على الفرخ فجعل ذلك وصفا لتقريب الانسان اتباعه يقال فلان خافض الجناح اي وقور
ساكن والجناحان من ابن ادم جانباه ومنه واضمم يدك الى جناحك وجناح الطائر يده قال
الشاعر وحسبك فتية لزعيم قوم يمد على اخي سقم جناحا اي تواضعا ولينا قوله تعالى وقل
اني انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين في الكلام حذف اي انا النذير المبين عذابا كما حذف
المفعول اذ كان الانذار يدل عليه كما قال في موضع اخر انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
وقيل الكاف زائدة اي انذركم ما انزلنا بالمقتسمين كقوله ليس كمثله شيء وقيل اي انذركم مثل
ما انزلنا بالمقتسمين وقيل المعنى كما انزلنا على المقتسمين اي من العذاب وكفيناك المستهزئين فاصدع
بما تؤمر واعرض عن المشركين الذين بغوا فانا كفيناك اولئك الرؤسا الذين كنت تلقى منهم
ما تلقى واختلف في المقتسمين على اقوال سبعة الاول قال مقاتل والفراء هم ستة عشر رجلا
بعثهم الوليد بن المغيرة ايام الموسم فاقتسموا اعقاب مكة وانقابها وفجاجها يقولون لمن سلكها
لا تغتروا بهذا الخارج فينا المدعي النبوة فانه مجنون وربما قالوا ساحر وربما قالوا شاعر وربما
قالوا كاهن وسموا المقتسمين لانهم اقتسموا هذه الطرق فاماتهم الله شر ميتة وكانوا نصبوا الوليد
بن المغيرة حكما على باب المسجد فاذا سالوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صدق اولئك الثاني
قال قتادة هم قوم من كفار قريش اقتسموا كتاب الله فجعلوا بعضه شعرا وبعضه سحرا وبعضه
كهانة وبعضه اساطير الاولين الثالث قال ابن عباس هم اهل الكتاب امنوا ببعضه وكفروا
ببعضه وكذلك قال عكرمة هم اهل الكتاب وسموا مقتسمين لانهم كانوا مستهزئين فيقول بعضهم
هذه السورة لي وهذه لك وهو القول الرابع الخامس قال قتادة قسموا كتابهم ففرقوه و
بددوه وفرقوه السادس قال زيد بن اسلم المراد قوم صالح تقاسموا على قتله فسموا مقتسمين
كما قال تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه واهله السابع قال الاخفش هم قوم اقتسموا ايمانا تحالفوا
عليها وقيل انهم العاص بن وائل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام وابو البختري
بن هشام والنضر بن الحارث وامية بن خلف وشيبة بن الحجاج ذكره الماوردي قوله تعالى الذين

جعلوا القرآن عضين هو صفة المقتسمين وقيل هو مبتدا وخبره لنسألنهم وواحد العضين عضة من
عضيت الشيء تعضيه اي فرقته وكل فرقة عضة وقال بعضهم كانت في الاصل عضوة فنقصت الواو
ولذلك جمعت عضين كما قالوا عزين في عزة والاصل عزوة وكذلك ثبة وثبين ويرجع المعنى الى
ماذكرناه في المقتسمين قال ابن عباس امنوا ببعض وكفروا ببعض وقيل فرقوا اقاويلهم فيه فجعلوه
كذبا وسحرا وكهانة وشعرا عضونه اي فرقته منه قول الشاعر وليس دين الله بالمعضى اي بالمفرق
ويقال نقصانه الهاء واصله عضهة لان العضة والعضين في لغة قريش السحر وهم يقولون
للشاعر عاضه وللساحر عاضه قال النابغة اعوذ بربي من النافثات في عقد العاضه المعضه
وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة اي الساحرة والمستسحرة
والمعنى اكثروا البهت على القران ونوعوا الكذب فيه فقالوا سحر واساطير الاولين وانه مفترى الى
غير ذلك ونظير عضة في النقصان شفة فالاصل شفهة كما قالوا سنة والاصل سنهة فنقصوا الهاء
الاصلية واثبتت هاء العلامة وهي للتانيث وقيل هي من العضة وهي النميمة والعضيهة البهتان
وهو ان يعضه الانسان ويقول فيه ماليس فيه يقال عضهه عضها رماه بالبهتان وقد اعضهت
اي جئت بالبهتان قال الكسائي العضه الكذب والبهتان وجمعها عضون مثل عزة وعزون قال
الله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين ويقال عضوه اي امنوا بما احبوا منه وكفروا بالباقي
فاحبط كفرهم ايمانهم وكان الفراء يذهب الى انه ماخوذ من العضاة وهي شجر يؤذي ويجرح
كالشوك قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين اي لنسألن هؤلاء الذين جرى ذكرهم عما عملوا
في الدنيا وفي البخاري وقال عدة من اهل العلم في قوله فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون
عن لا اله الا الله قلت وهذا قد روي مرفوعا وروى الترمذي الحكيم قال حدثنا الجارود
بن معاذ قال انا الفضل بن موسى عن شريك عن ليث عن بشر بن نهيك عن انس بن مالك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال عن لا
اله الا الله قال ابو عبد الله معناه عندنا عن صدق لا اله الا الله ووفائها وذلك ان الله
تعالى ذكر في تنزيله العمل عما كانوا يعملون ولم يقل عما كانوا يقولون وان كان يجوز ان يكون
القول ايضا عمل اللسان فانما المعنى ما يعرفه اهل اللغة ان القول قول والعمل عمل وانما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لا اله الا الله اي عن الوفاء بها والصدق لمقالها كما قال الحسن
البصري ليس الايمان بالتحلي ولا الدين بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال ولهذا
لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل له يا رسول الله
وما اخلاصها قال ان تحجزه عن محارم الله رواه زيد ابن ارقم وعنه ايضا قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عهد الي ان لا ياتيني احد من امتي بلا اله الا الله لا يخلط بها شيئا الا
وجبت له الجنة قيل يا رسول الله وما الذي يخلط بلا اله الا الله قال حرصا على الدنيا وجمعا لها
ومنعا بها يقولون قول الانبياء ويعملون عمل الجبابرة وروى انس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله تمنع العباد من سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على
دينهم ثم قالوا لا اله الا الله ردت عليهم وقال كذبتم اسانيدها في نوادر الاصول قلت والاية
بعمومها تدل على سؤال الجميع ومحاسبتهم كافرهم ومؤمنهم الا من دخل الجنة بغير حساب على ما بيناه
في كتاب التذكرة فان قيل وهل يسال الكافر ويحاسب قلنا فيه خلاف ذكرناه في التذكرة و
الذي يظهر سؤاله للاية وقوله وقفوهم انهم مسئولون وقوله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم

فان قيل قال ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون وقال فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقال
ولا يكلمهم الله وقال انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قلنا القيمة مواطن يسال في بعضها ولا
يسال في بعضها وقال ابن عباس لا يسالهم سؤال استخبار واستعلام هل عملتم كذا وكذا لان الله
تعالى عالم بكل شيء ولكن يسالهم سؤال تقريع وتوبيخ فيقول لهم عصيتم القرآن وما حجتكم فيه واعتمد
قطرب هذا القول وقيل لنسألنهم اجمعين يعني المومنين المكلفين بيانه قوله تعالى ثم لتسألن
يومئذ عن النعيم فالعموم اولى كما ذكرنا والله اعلم قوله تعالى فاصدع بما تؤمر اي بالذي تؤمر اي
بلغ رسالة الله جميع الخلق لتقوم حجته عليهم فقد امرك الله بذلك والصدع الشق وتصدع
القوم اي تفرقوا ومنه يومئذ يصدعون اي يتفرقون وصدعته فانصدع اي انشق فاصل الصدع
الفرق والشق قال ابو ذويب يصف الحمار واتنه وكانهن ربابة وكانه يسر يفيض على القداح
ويصدع اي يفرق ويشق فقوله اصدع بما تؤمر قال الفراء اراد فاصدع بالامر اي اظهر دينك
فما مع الفعل على هذا بمنزلة المصدر وقال ابن الاعرابي معنى اصدع بما تؤمر اي اقصد وقيل فاصدع
بما تؤمر اي فرق جمعهم وكلمتهم بان تدعوهم الى التوحيد فانهم يتفرقون بان يجيب البعض فيرجع
الصدع على هذا الى صدع جماعة الكفار قوله تعالى واعرض عن المشركين اي عن الاهتمام باستهزائهم
وعن المبالاة بقولهم فقد براك الله عما يقولون وقال ابن عباس هو منسوخ بقوله فاقتلوا
المشركين وقال عبد الله بن عبيدة ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزل قوله تعالى فاصدع
بما تؤمر فخرج هو واصحابه وقال مجاهد اراد الجهر بالقران في الصلاة واعرض عن المشركين لا
تبال بهم وقال ابن اسحق لما تمادوا في الشر واكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء انزل الله
تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها
اخر فسوف يعلمون والمعنى اصدع بما تؤمر ولا تخف غير الله فان الله كافيك من اذاك كما
كفاك المستهزئين وكانوا خمسة نفر رؤسا اهل مكة وهم الوليد بن المغيرة وهو راسهم والعاص
بن وايل والاسود بن المطلب بن الحارث بن ربيعة والاسود بن يغوث والحارث بن الطلاطلة
اهلكهم الله جميعا قبل يوم بدر في يوم واحد لاستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب
هلاكهم على ذكر ابن اسحق ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام
وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر به الاسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء
فعمي ورجعت عنه فجعل يضرب براسه الجدار ومر به الاسود بن عبد يغوث فاشار الى بطنه
فاستسقى فمات منه حبنا ومر به الوليد بن المغيرة فاشار الى اثر جرح باسفل كعب رجله وكان
قد اصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر سبله وذلك انه مر برجل من خزاعة يريش نبلا له
فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش في رجله ذلك الخدش وليس بشيء فانتقض به فقتله
ومر به العاص بن وايل فاشار الى اخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطايف فربض به
على شبرقة فدخلت في اخمص رجله شوكة فقتلته ومر به الحارث بن الطلاطلة فاشار
الى راسه فامتخض قيحا فقتله وقد ذكر في سبب موتهم اختلاف قريب من هذا وقيل انهم
المراد بقوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم فشبه ما اصابهم في موتهم بالسقف الواقع
عليهم على ما ياتي قوله تعالى الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون هذا صفة المستهزئين
وقيل هو ابتدا وخبره فسوف يعلمون قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك اي قلبك
لان الصدر محل القلب بما يقولون اي بما تسمعه من تكذيبك ورد قولك وما يناله اصحابك

من اعدائك قوله تعالى فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين فيه مسئلتان الاولى قوله فسبح اي فافزع
الى الصلاة فانها غاية التسبيح ونهاية التقديس وذلك تفسير له وكن من الساجدين ولاخفا
ان غاية القرب في الصلاة حال السجود كما قال عليه الصلاة والسلام اقرب ما يكون العبد من ربه
وهو ساجد فاخلصوا الدعاء ولذلك خص السجود بالذكر الثانية قال ابن العربي ظن بعض الناس
ان المراد بالامر هنا السجود نفسه فراى هذا الموضع محل سجود في القرآن وقد شاهدت الامام
بمحراب زكريا من البيت المقدس طهره الله تعالى يسجد في هذا الموضع وسجدت معه ولم
يره جماهير العلماء قلت قد ذكر ابو بكر النقاش ان ههنا سجدة عند ابي حذيفة ويمان بن رئاب
وراى انها واجبة قوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين فيه مسئلة واحدة وهو ان
اليقين الموت امره بعبادته اذ قصر عباده في خدمته وان ذلك يجب عليه فان قيل فما
فائدة قوله حتى ياتيك اليقين وكان قوله واعبد ربك كافيا في الامر بالعبادة قيل له الفائدة
في هذا انه لو قال واعبد ربك مطلقا ثم عبده مرة واحدة كان مطيعا واذا قال حتى ياتيك
اليقين كان معناه لا تفارق هذا حتى تموت فان قيل فكيف قال سبحانه واعبد ربك حتى ياتيك
ابدا فالجواب ان اليقين ابلغ من قوله ابدا لاحتمال لفظ الابد للحظة الواحدة ولجميع الابد وقد
تقدم هذا المعنى والمراد استمرار العبادة مدة حياته كما قال العبد الصالح واوصاني بالصلوة
والزكوة ما دمت حيا ويترتب على هذا ان الرجل اذا قال لامراته انت طالق ابدا وقال نويت يوما
او شهرا كانت عليه الرجعة ولو قال طلقتها حياتها لم يراجعها والدليل على ان اليقين الموت
حديث ام العلاء الانصارية وكانت من المبايعات وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما عثمان يعني عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين واني لارجو له الخير والله لا ادري وانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يفعل به وذكر الحديث انفرد باخراجه البخاري رحمه الله وكان
عمر بن عبد العزيز يقول ما رايت يقينا اشبه بالشك من يقين الناس بالموت ثم لا
يستعدون له يعني كانهم فيه شاكون وقد قيل ان اليقين هنا الحق الذي لا ريب فيه من نصرك
على اعدائك قاله ابن شجرة والاول اصح وهو قول مجاهد وقتادة والحسن والله اعلم وقد
روى جبير بن نفير عن ابي مسلم الخولاني انه سمعه يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اوحي
الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين **سورة النحل مكية كلها** في قول الحسن وعكرمة وعطا
وجابر وتسمى سورة النعم بسبب ما عدد الله فيها من نعمه على عباده وقيل هي مكية غير قوله
تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الاية نزلت بالمدينة في شان التمثيل بحمزة
وقتلى احد وغير قوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وغير قوله ثم ان ربك للذين هاجروا
الاية وقوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا فمكي في شان هجرة الحبشة وقال ابن
عباس هي مكية الا ثلاث ايات منها نزلن بالمدينة بعد قتل حمزة وهي قوله ولا تشتروا بعهد
الله ثمنا قليلا الى قوله احسن ما كانوا يعملون بسم الله الرحمن الرحيم
اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من امره على
من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون خلق السموات والارض بالحق تعالى
عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع
ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا

بالغيه

بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق
ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين هو الذي انزل من السماء
ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب
ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه ان
في ذلك لاية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية
تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى في الارض رواسي
ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون افمن يخلق
كمن لا يخلق افلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم قوله تعالى
اتى امر الله فلا تستعجلوه قيل اتى بمعنى ياتي فهو كقولك ان اكرمتني اكرمتك وقد تقدم ان اخبار
الله تعالى في الماضي والمستقبل سواء لانه آت كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار وامر الله
تعالى عقابه لمن اقام على الشرك وتكذيب رسوله قاله الحسن وابن جريج الضحاك انه ما جاء به
القرآن من فرايضه واحكامه وفيه بعد لانه لم ينقل ان احدا من الصحابة استعجل فرايض الله من
قبل ان تعرض عليهم واما استعجلوا العذاب والعقاب فذلك منقول عن كثير من كفار قريش
وغيرهم حتى قال النضر بن الحرث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فاستعجل العذاب
قلت قد يستدل للضحاك بقول عمر رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث في مقام ابراهيم
وفي الحجاب وفي اسارى بدر خرجه مسلم والبخاري وقد تقدم في سورة البقرة وقال الزجاج هو
ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم وهو كقوله حتى اذا جاء امرنا وفار التنور وقيل هو يوم القيمة
او ما يدل على قربها من اشراطها قال ابن عباس لما نزلت اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار ان
هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون فامسكوا وانتظروا فلم يروا
شيئا فقالوا ما نرى شيئا فنزل اقترب للناس حسابهم الاية فاشفقوا وانتظروا الساعة فامتدت
الايام فقالوا ما نرى شيئا فنزلت اتى امر الله فلا تستعجلوه فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون وخافوا فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا
والساعة كهاتين واشار باصبعيه السبابة والتي تليها يقول ان كادت لتسبقني فسبقتها
وقال ابن عباس كان بعث النبي صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة وان جبريل لما مر باهل السموات
مبعوثا الى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله اكبر قد قامت الساعة قوله تعالى سبحانه وتعالى
عما يشركون اي تنزيها له عما يصفونه به من انه لا يقدر على قيام الساعة وذلك انهم يقولون
لا يقدر احد على بعث الاموات فوصفوه بالعجز الذي لا يوصف به الا المخلوق وذلك شرك وقيل
عما يشركون اي عن اشراكهم وقيل ما بمعنى الذي اي ارتفع عن الذين اشركوا به قوله تعالى ينزل الملائكة
بالروح من امره هذا المفضل عن عاصم ينزل الملائكة والاصل تتنزل فالفعل مسند الى الملائكة
وقرا الكسائي عن ابي بكر عن عاصم باختلاف عنه الاعمش ينزل الملائكة غير مسمى الفاعل وقرا
الجعفي عن ابي بكر عن عاصم ننزل الملائكة بالنون مسمى الفاعل الباقون ينزل بالياء مسمى الفاعل
والضمير فيه لاسم الله عز وجل وروي عن قتادة تنزل الملائكة بالنون والتخفيف وقرا الاعمش
ينزل بفتح الياء وكسر الزاي من النزول الملائكة رفعا مثل تنزل الملائكة بالروح اي بالوحي وهو
النبوة قاله ابن عباس نظيره يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده الربيع بن انس بكلام الله

وهو القرآن وقيل هو بيان الحق الذي يجب اتباعه وقيل ارواح الخلق قال مجاهد لا ينزل ملك الا ومعه
روح وكذا روي عن ابن عباس ان الروح خلق من خلق الله عز وجل كصور ابن آدم لا ينزل من السماء
ملك الا ومعه واحد منهم وقيل بالرحمة قاله الحسن وقتادة وقيل بالهداية لانها يحيى بها القلوب
كما يحيى بها بالروح الابدان وهو معنى قول الزجاج قال الزجاج الروح ما كان فيه من امر الله حياة بالارشاد
الى امره وقال ابو عبيدة الروح هنا جبريل والباء في قوله بالروح بمعنى مع كقولك خرج بثيابه اي
مع ثيابه من امره اي بامره على من يشاء من عباده اي على الذين اختارهم الله للنبوة وهذا رد لقولهم
لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون تحذير من عبادة
الاوثان ولذلك جاء الانذار لان اصله التحذير مما يخاف منه ودل على ذلك قوله فاتقون وان
في موضع نصب بنزع الخافض اي بان انذروا اهل الكفر انه لا اله الا الله فان في محل نصب بسقوط
الخافض او بوقوع الانذار عليه قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق اي للزوال والفناء وقيل
بالحق اي للدلالة على قدرته وان له ان يتعبد العباد بالطاعة وان يحيي الخلق بعد الموت تعالى
عما يشركون اي من هذه الاصنام التي لا تقدر على خلق شيء قوله تعالى خلق الانسان من نطفة لما ذكر
الدليل على توحيده ذكر بعده الانسان ومناكدته وتعدي طوره والانسان اسم للجنس وروي ان المراد
به ابي بن خلف الجمحي جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال اترى يحيي الله هذا بعد ما رم
وفي هذا ايضا نزل اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين اي خلق الانسان
من ماء يخرج بين الصلب والترائب بنقله اطوارا الى ان ولد ونشأ بحيث يخاصم في الامور
فمعنى الكلام التعجب من الانسان وضرب لنا مثلا ونسي خلقه وقوله فاذا هو خصيم مبين اي يخاصم كالنسيب
بمعنى المناسب اي يخاصم الله عز وجل في قدرته وسعى اي ظاهر الخصومة وقيل مبين عن نفسه بالخصومة
بالباطل والمبين هو المفصح عما في ضميره بمنطقه قوله تعالى والانعام خلقها لكم الاية فيه ثلاث
مسائل الاولى قوله تعالى والانعام خلقها لما ذكر الانسان ذكر ما من به عليه والانعام الابل والبقر
والغنم واكثر ما يقال النعم والانعام للابل ويقال للمجموع ولا يقال للغنم مفردة قال حسان عفت ذات
الاصابع فالجواء الى عذراء منزلها خلاء ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسماء وكانت
لا يزال بها انيس خلال مروجها نعم وشاء فالنعم هنا الابل خاصة وقال الجوهري والنعم واحد
الانعام وهي المال الراعية واكثر ما يقع هذا الاسم على الابل قال هو مذكر لا يؤنث يقال هذا
نعم وارد ويجمع على نعمان مثل جمل وجملان والانعام يذكر ويؤنث قال الله تعالى مما في بطونه
وفي موضع مما في بطونها وانتصب الانعام عطفا على الانسان او بفعل مقدر وهو اوجه انتهى والله اعلم
الثانية قوله تعالى دفء السخانة وهو ما استدفي به من اصوافها واوبارها واشعارها ملابس
ولحف وقطف وروي عن ابن عباس دفئها نسلها والله اعلم قال الجوهري في الصحاح الدفء نتاج
الابل والبانها وما ينتفع به منها قال الله تعالى لكم فيها دفء وفي الحديث لنا من دفئهم ما سلموا
بالميثاق والدفء ايضا السخونة تقول منه دفئ الرجل دفاءة مثل كره كراهة وكذلك دفئ
دفأ مثل ظمئ ظمأ والاسم الدفء بالكسر وهو الشيء الذي يدفيك والجمع الادفاء تقول ما عليه دفء
لانه اسم ولا تقول ما عليك دفاءة لانه مصدر وتقول اقعد في دفء هذا الحائط اي كنه ورجل
دفئ على فعل اذا لبس ما يدفيه ودفوت ليلتنا ويوم دفئ على فعيل وليلة دفية وكذلك الثوب
والبيت والمدفئة الابل الكثيرة لان بعضها يدفي بعضا بانفاسها وقد يشدد والدفئة الابل
الكثيرة الاوبار والشحوم عن الاصمعي وانشد الشماخ وكيف يضيع صاحب مدفيات على اثباجهن من

الصقيع قوله تعالى ومنافع ابن عباس المنافع نسل كل دابة مجاهد ركوب الحمل والالبان واللحوم والسمن
ومنها تاكلون افرد منفعة الاكل بالذكر لانها معظم المنافع وقيل المعنى من لحومها تاكلون عند الذبح
الثالثة دلت هذه الاية على لباس الصوف وقد لبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم والانبياء قبله كموسى
وغيره وفي حديث المغيرة يغسل وجهه وعليه جبة من صوف شامية ضيقة الكمين الحديث خرجه مسلم
وغيره قال ابن العربي وهو شعار المتقين ولباس الصالحين واشارة الصحابة والتابعين واختيار الزهاد
والعارفين وهو يلبس لينا وخشنا وجيدا ومقاربا ورديا واليه ينتسب جماعة من الناس الصوفية لانه
لباسهم في الغالب فالهاء للمبالغة وقد انشد بعض اشياخهم بالبيت المقدس طهره الله ما يشاجر
الناس في الصوفي فاختلفوا فيه وظنوه مشتقا من الصوف ولست انحل هذا الاسم الا فتى صافى فصوفي
حتى سمي الصوفي قوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون الجمال ما يتجمل به ويتزين والجمال
الحسن وقد جمل الرجل بالضم جمالا فهو جميل والمراة جميلة وجملاء ايضا عن الكسائي وانشد فهي جملاء كبدر
طالع بزت الخلق جميعا بالجمال وقول ابي ذويب جمالك ايها القلب القريح يريد الزم تجملك وحياك
ولا تجزع جزعا قبيحا قال العلماء فالجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة ويكون في الاخلاق الباطنة
ويكون في الافعال فاما جمال الخلقة فهو امر يدركه البصر ويلقيه الى القلب متلائما فيتعلق بها
النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته لاحد من البشر واما جمال الاخلاق فكونها على الصفات
المحمودة من العلم والحكمة والعدل فهو وجودها ملائمة لمصالح الخلق وقاضية لجلب المنافع فيهم
وصرف الشر عنهم وجمال الانعام والدواب من جملة الخلقة وهو مرئي بالابصار موافق للبصائر ومن
جمالها كثرتها وقول الناس اذا راوها هذه نعم فلان قاله السدي ولانها اذا راحت توفر حسنها
وعظم شانها وتعلقت القلوب بها لانها اذ ذاك اعظم ما يكون اسنمة وضروعا قال قتادة
ولهذا المعنى قدم الرواح على السراح وان كان بعده لتكامل درها وسرور النفس بها اذ ذاك
والله اعلم وروى اشهب عن مالك قال يقول الله عز وجل ولكم فيها جمال حين تريحون وحين
تسرحون وذلك في المواشي حين تروح الى المرعى وتسرح عليه والرواح رجوعها بالعشي من المرعى
والسراح بالغداة تقول سرحت الابل اسرحها سرحا وسروحا اذا غدت الى المرعى فخليتها وسرحت
هي المتعدي واللازم واحد قوله تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فيه
ثلاث مسائل الاولى قوله وتحمل اثقالكم الاثقال اثقال الناس من طعام وطعام وغيره وهو ما يثقل
الانسان حمله وقيل المراد ابدانهم يدل على ذلك قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها والبلد مكة
في قول عكرمة وقيل هو محمول في كل بلد مسلكه على الظهر وشق الانفس مشقتها وغاية جهدها وقراءة
العامة بكسر الشين قاله الجوهري والشق المشقة ومنه قوله تعالى لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس
وهذا قد يفتح حكاه ابو عبيدة قال المهدوي وكسر الشين وفتحها في شق متقاربان وهما بمعنى المشقة
وهو من الشق في العصا ونحوها لانه ينال منها كالمشقة من الانسان وقال الثعلبي قرا ابو جعفر بشق
الانفس وهما لغتان مثل رق ورق وجص وجص ورطل ورطل وينشد قول الشاعر بكسر الشين
وفتحها وذي ابل يسعى ويحسبها له اخي نصب من شقها ودؤوب ويجوز ان يكون بمعنى المصدر من
شققت عليه اشق شقا والشق بالكسر النصف يقال اخذت شق الشاة وقد يكون المراد من الاية
هذا المعنى اي لم تكونوا بالغيه الا بنقص من القوة وذهاب شق منها اي لم تبلغوه الا بنصف قوى
انفسكم وذهاب شق منها اي لم تبلغوه الا بنصف قوى انفسكم وذهاب النصف الاخر والشق ايضا
الناحية من الجبل وفي الحديث ام زرع وجدني في اهل غنيمة فشق وقال ابو عبيد هو اسم موضع

والشق ايضا الشقيق يقال هواخي وشق نفسي وشق اسم كاهن من كهان العرب والشق ايضا الجانب ومنه قول امرؤ القيس اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول فهو مشترك
الثانية من الله سبحانه بالانعام عموما وخص الابل هنا بالذكر في حمل الاثقال على ساير الانعام فان الغنم للسرح والذبح والبقر للحرث والابل للحمل وفي مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها التفتت اليه البقرة فقالت اني لم اخلق لهذا ولكني انما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله تعجبا وفزعا البقرة تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني اومن به وابو بكر وعمر فدل هذا الحديث على ان البقر لا يحمل عليها ولا تركب وانما هي للحرث وللاكل والنسل والرسل والله اعلم الثالثة هذه الاية دليل على جواز السفر بالدواب وحمل الاثقال عليها ولكن على قدر ما تحمله من غير اسراف في الحمل مع الرفق في السفر وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بالرفق بها والاراحة لها ومراعاة لعلفها وسقيها وروى مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافرتم في الخصب فاعطوا الابل حظها من الارض واذا سافرتم في السنة فبادروا بها نقيها رواه مالك في الموطا عن ابي عبيد عن خالد بن معدان وروي معوية بن قرة قال كان لابي الدرداء جمل يقال له دمون فكان يقول يا دمون لا تخاصمني عند ربي فالدواب عجم لا يقدر ان تحتال لنفسها ما تحتاج اليه ولا تقدر ان تفصح بحوايجها فمن ارتفق بمرافقها ثم ضيعها من حوايجها فقد ضيع الشكر وتعرض للخصومة بين يدي الله عز وجل وروي مطر بن محمد قال نا ابو داود قال حدثنا ابن خالد قال حدثنا المسيب بن ادم قال رايت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب جمالا وقال تحمل على بعيرك ما لا يطيق قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة فيه ست مسائل الاولى قوله والخيل والبغال والخيل بالنصب معطوف اي وخلق الخيل وقرا ابن ابي عبلة والخيل والبغال والحمير بالرفع فيها كلها وسميت الخيل خيلا لاختيالها في المشية وواحد الخيل خايل كضاين ولحد ضان وقيل لا واحد له وقد تقدم هذا في ال عمران وذكرنا الاحاديث هناك ولما افرد سبحانه الخيل والبغال والحمير بالذكر دل على انها لم تدخل تحت لفظ الانعام وقيل دخلت ولكن افردها بالذكر لما يتعلق بها من الركوب فانه يكثر في الخيل والبغال والحمير الثانية قال العلماء ملكنا الله تعالى الانعام والدواب وذللها لنا واباح لنا تسخيرها والانتفاع بها رحمة منه تعالى لنا وما ملكه الانسان وجاز له تسخيره من الحيوان فكراه له جايز باجماع اهل العلم لا اختلاف بينهم في ذلك وحكم كراء الرواحل والدواب مذكور في كتب الفقه الثالثة قال ابن القاسم وابن وهب قال مالك قال الله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة فجعلها للركوب والزينة ولم يجعلها للاكل وغيره عن اشهب ولهذا قال اصحابنا لا يجوز اكل لحوم الخيل والبغال والحمير لان الله تعالى لما نص على الركوب والزينة دل على ان ما عداه بخلافه وقال في الانعام ومنها تاكلون مع ما امتن الله من الدفء والمنافع فاباح لنا اكلها بالذكاة المشروعة فيها وبهذه الاية احتج ابن عباس والحكم بن عيينة قال الحكم لحوم الخيل حرام في كتاب الله وقرا هذه الاية والتي قبلها وقال هذه للاكل وهذه للركوب وسئل ابن عباس عن لحوم الخيل فكرهها وتلى هذه الاية فقال هذه للركوب وقرا الاية التي قبلها والانعام خلقها لكم ثم قال هذه للاكل وبه قال مالك وابو حنيفة واصحابهما والاوزاعي ومجاهد وابو عبيد وغيرهم واحتجوا بما اخرجه ابو داود والنسايي والدارقطني وغيرهم عن صالح بن يحيي بن المقدام بن معدي كرب عن ابيه عن جده عن خالد بن الوليد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن اكل لحوم الخيل

والبغال

والبغال والحمير وكل ذي ناب من السباع او مخلب من الطير لفظ الدارقطني وعند النسائي ايضا عن خالد بن الوليد انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل اكل لحوم الخيل والبغال والحمير وقال الجمهور من الفقهاء والمحدثين هي مباحة وروي عن ابي حنيفة حكى الثلاث روايات عنه في بحر المذهب على مذهب الشافعي قلت الصحيح الذي يدل عليه النظر والخبر جواز اكل لحوم الخيل وان الاية والحديث لا حجة فيهما لازمة اما الاية فلا دليل فيها على تحريم الخيل اذ لو دلت عليه لدلت على تحريم لحوم الحمر والسورة مكية واي حاجة كانت الى تجديد تحريم لحوم الحمر عام خيبر وقد ثبت في الاخبار تحليل الخيل على ما ياتي وايضا لما ذكر الله تعالى الانعام ذكر الاغلب من منافعها واهم ما فيها وهو حمل الاثقال والاكل ولم يذكر الركوب ولا الحرث بهولاء وغير ذلك مصرحا به وقد تركب ويحرث بها قال الله تعالى الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون وقال في الخيل لتركبوها وزينة فذكر ايضا اغلب منافعها ولم يقصد منها ولم يذكر حمل الاثقال عليها وقد يحمل كما هو مشاهد فلذلك لم يذكر الاكل وقد بينه نبيه صلى الله عليه وسلم الذي جعل اليه بيان ما انزل عليه على ما ياتي ولا يلزم من كونها خلقت للركوب والزينة الا توكل فهذه البقرة قد انطقها خالقها الذي قد انطق كل شيء فقالت انما خلقت للحرث وقد اجمع المسلمون على جواز اكلها فكذلك الخيل بالسنة الثابتة فيها روى مسلم من حديث جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر الاهلية واذن في لحوم الخيل وقال النسائي وعن جابر اطعمنا رسول الله يوم خيبر لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمر الاهلية وفي رواية عن جابر قال كنا ناكل لحوم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قيل الرواية عن جابر انهم اكلوها حكاية حال وقضية في عين فيحتمل ان يكونوا ذبحوا الضرورة ولا يحتج بقضايا الاحوال قلنا الرواية عن جابر واخباره بانهم كانوا ياكلون لحوم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيل هذا الاحتمال ولئن سلمنا فمعنا حديث اسماء قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة فاكلناه رواه مسلم وكل تاويل من غير ترجيح في مقابلة النص فانما هو دعوى لا يلتفت اليه ولا يعرج عليه وقد روى الدارقطني زيادة حسنة ترفع كل تاويل في حديث اسماء قالت اسماء كان لنا فرس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارقت على الموت فذبحناها واكلناها فذبحها انما كان لخوف الموت عليها لا لغير ذلك من الاحوال فان قيل هي حيوان من ذوات الحافر فلا يوكل كالحمار قلنا هذا قياس الشبه وقد اختلف ارباب الاصول في القول به ولئن سلمناه فهو منتقض بالخنزير فانه ذو ظلف وقد باين ذوات الاظلاف وعلى ان القياس اذا كان في مقابلة النص فهو فاسد الوضع لا التفات اليه قال الطبري وفي اجماعهم على جواز ركوب ما ذكر للاكل دليل على جواز اكل ما ذكر للركوب الرابعة واما البغال فانها تلحق بالحمير ان قلنا ان الخيل لا توكل فانها تكون متولدة من عينين لا يوكلان وان قلنا ان الخيل توكل فانها عين متولدة من ماكول وغير ماكول فغلب التحريم على ما يلزم في الاصول وكذلك ذبح المولد بين كافرين احدهما من اهل الذكاة والاخر ليس من اهلها لا يكون ذكاة ولا تحل به الذبيحة وقد مضى في الانعام على تحريم الحمر فلا معنى للاعادة وقد علل تحريم اكل الحمار بانه ابدا يجوهر الخبيث حيث ترى على ذكر وتلوه فسمي رجسا الخامسة في الاية دليل على ان الخيل لا زكاة فيها لان الله سبحانه من علينا بما اباحنا منها وكرمنا به من منافعها جايز ان يلزم فيها كلفة الا بدليل وقد روى مالك عن عبد الله بن دينار عن سليمان بن يسار وعن عراك بن مالك عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة وروى ابو داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس في الخيل

ولا في الرقيق زكاة الا ان زكاة الفطر في الرقيق وبه قال الشافعي والاوزاعي والليث وابو يوسف ومحمد
وقال ابو حنيفة ان كانت اناثا كلها او ذكورا واناثا ففي كل فرس دينارا اذا كانت سايمة وان
شاء قومها فاخرج عن كل مائتي درهم خمسة دراهم واحتج باثر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في
الخيل السائمة في كل فرس دينار وبقوله صلى الله عليه وسلم الخيل ثلاثة الحديث وفيه ولم ينس
حق الله في رقابها ولا ظهورها والجواب عن الاول انه حديث لم يروه الا غورك السعدي
عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر قال الدارقطني تفرد به غورك عن جعفر وهو ضعيف جدا ومن دونه
ضعفا واما الحديث فالحق المذكور فيه هو الخروج عليها اذا وقع النفير وتعين فيها القتال العدو
اذا تعين ذلك عليه ويحمل المنقطعين عليها اذا احتاجوا لذلك وهذا وجب عليه اذا تعين ذلك
كما يتعين عليه ان يطعمهم عند الضرورة فهذه حقوق الله في رقابها فان قيل هذا هو الحق الذي في
ظهورها وبقي الحق الذي في رقابها قيل لم قد روي لا ينسى حق الله فيها ولا فرق بين قوله حق الله فيها
او في رقابها وظهورها فان المعنى يرجع الى شيء واحد لان الحق يتعلق بجملتها وقد قال جماعة من العلماء
ان الحق هنا حسن ملكتها وتعهد شبعها والاحسان اليها وركوبها غير مشقوق عليها كما في حديث
لا تتخذوا ظهورها كراسي وانما خص رقابها بالذكر لان الرقاب والاعناق تستعار كثيرا في مواضع الحقوق
اللازمة والفروض الواجبة ومنه قوله تعالى فتحرير رقبة مؤمنة وكثر عندهم استعمال ذلك
واستعاره حتى جعلوه في الرباع والاموال الا ترى قول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته
رقاب المال وايضا فان الحيوان الذي تجب فيه الزكاة له نصاب من جنسه ولما خرجت الخيل عن
ذلك علمنا سقوط الزكاة فيها وايضا فايجابه الزكاة في اناثها منفردة دون الذكور تناقض منه
وليس في الحديث فصل وتعليل لاناث على الذكور في نفي الصدقة بانه حيوان مقتنى لنسله
لا لدره ولا تجب في ذكوره فلا تجب في اناثه كالبغال والحمير وقد روي عنه انه لا زكاة في
اناثها وان انفردت كذكورها منفردة وهذا الذي عليه الجمهور وقال ابن عبد البر في صدقة
الخيل عن عمر صحيح من حديث الزهري وغيره وقد روي من حديث مالك رواه عنه جويرية
عن الزهري ان السايب بن يزيد قال لقد رايت ابي يقوم الخيل ثم يدفع صدقتها الى عمر وهذه
حجة لابي حنيفة وشيخه حماد بن ابي سليمان لا اعلم احدا من فقهاء الامصار اوجب الزكاة في
الخيل غيرهما تفرد به جويرية عن مالك وهو ثقة السادسة قوله تعالى وزينة منصوب باضمار
فعل المعنى وجعلها زينة وقيل هي مفعول من اجله والزينة ما تزين به وهذا الجمال والتزين
وان كان من متاع الدنيا فقد اذن الله سبحانه لعباده فيه قال النبي صلى الله عليه وسلم الابل
عز لاهلها والغنم بركة والخيل في نواصيها الخير خرجه البرقاني وابن ماجة في السنن وقد تقدم
في الانعام وانما جمع النبي صلى الله عليه وسلم العز في الابل لان فيها اللباس والاكل واللبن والغزو
وان نقصها الكر والفر وجعل البركة في الغنم لما فيها من اللباس والطعام والشراب وكثرة الاولاد
فانها تلد في العام ثلاث مرات الى ما يتبعها من السكينة وتحمل صاحبها عليه من خفض الجناح
ولين الجانب بخلاف الفدادين اهل الابل وقرن النبي صلى الله عليه وسلم الخير بنواصي الخيل بقية
الدهر لما فيها من الغنيمة المستفادة للكسب والمعاش وما يوصل اليه من قهر الاعداء وغلب الكفار
واعلاء كلمة الله تعالى قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون قال الجمهور من الخلق وقيل من انواع الحشرات
والهوام في اسافل الارض والبر والبحر فيما لم يره البشر ولم يسمعوا به وقيل ويخلق ما لا تعلمون مما
اعد الله في الجنة لاهلها والخير في نواصيها الخير خرجه البرقاني وابن ماجة في السنن وقد تقدم

في الانعام وانما جمع النبي صلى الله عليه وسلم وفي النار لاهلها مما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولا خطر على قلب بشر
وقال قتادة والسدي هو خلق السوس في الثياب والدود في الفواكه ابن عباس عين تحت العرش حكاه
الثوري والثعلبي وقال ابن عباس عن يمين العرش نهر من النور مثل السموات السبع والبحار السبع سبعين
مرة يدخله جبريل كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخرج
الله من كل ريشة سبعين الف قطرة ويخرج من كل قطرة سبعة الاف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون
الف ملك الى البيت المعمور وفي الكعبة سبعون الفا لا يعودون اليه الى يوم القيمة وقول خامس وهو
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ارضا بيضاء مسيرة الشمس ثلاثين يوما مشحونة خلقا لا يعلمون
ان الله تعالى يعصى في الارض قالوا يا رسول الله من ولد ادم قال لا تعلمون ان الله تعالى خلق ادم
قالوا يا رسول الله فاين ابليس منهم قال لا يعلمون ان الله تعالى خلق ابليس ثم تلى ويخلق ما لا
تعلمون ذكره الماوردي قلت ومن هذا المعنى ما ذكره عن الشعبي قال ان لله عبادا من وراء الاندلس
كما بيننا وبين الاندلس ما يرون ان الله عصاه مخلوق رضراضهم الدر والياقوت وجبالهم الذهب والفضة
لا يحرثون ولا يزرعون ولا يعملون عملا لهم شجر على ابوابهم لها ثمر هي طعامهم وشجر لها اوراق عراض
هي لباسهم ذكره في بدء الخلق في كتاب الاسماء والصفات وخرج من حديث موسى بن عقبة عن محمد المنكدر
عن جابر بن عبد الله الانصاري انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ان احدث عن ملك
من ملائكة الله من حملة العرش من شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعماية عام قوله تعالى وعلى
الله قصد السبيل اي على الله بيان قصد السبيل فحذف المضاف وهو البيان والسبيل الاسلام اي
على الله بيانه بالرسل والحجج والبراهين وقصد السبيل استقامة الطريق يقال طريق قاصد اي
يؤدي الى المقصود ومنها جائر اي ومن السبيل جائر اي عادل عن الحق فلا يهتدى ومنه قول امرئ
القيس ومن الطريقة جائر وهدى قصد السبيل ومنه ذو دخل وقال طرفة عدولية او من
سفاين يامن يجوز بها الملاح طورا ويهتدي العدولية سفينة منسوبة الى عدولي قرية بالبحرين
والعدولي الملاح قاله في الصحاح وفي التنزيل وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
وقد تقدم وقيل المعنى ومنهم جائر عن سبيل الحق اي عادل عنه فلا يهتدي اليه وفيهم قولان احدهما
انهم اهل الاهواء المختلفة قاله ابن عباس الثاني ملل الكفر من اليهودية والمجوسية والنصرانية
وفي مصحف عبد الله ومنكم جائر وكذا قرا علي ومنكم بالكاف وقيل المعنى وعنها جائر اي عن السبيل فمن
بمعنى عن وقال ابن عباس اي من اراد ان يهديه سهل له طريق الايمان ومن اراد ان يضله ثقل عليه
الايمان وفروعه وقيل معنى قصد السبيل سيركم ورجوعكم والسبيل واحد بمعنى الجمع ولذلك انث الكناية
فقال ومنها والسبيل مؤنثة في لغة اهل الحجاز قوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين بين ان المشيئة
لله تعالى وهو يصحح ما ذهب اليه ابن عباس في تاويل الاية ويرد على القدرية ومن وافقهم كما تقدم
قوله تعالى هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون الشراب ما يشرب و
الشجر معروف اي ينبت من الامطار اشجارا وعروشا ونباتا وتسيمون ترعون ابلكم يقال سامت
السائمة تسوم سوما اي رعت فهي سائمة والسوام والسائم بمعنى وهو المال الراعي وجمع السائم والسائمة
سوائم واسمتها اي اخرجتها الى المرعى فانا مسيم وهي مسامة وسائمة قال اولى لك ابن مسيمة
الاجمال واصل السوم الابعاد في المرعى وقال الزجاج اخذ من السومة وهي العلامة اي انها تؤثر
في الارض علامات برعيها او لانها تعلم للارسال في المرعى قلت والخيل المسومة تكون المرعية
وتكون المعلمة وقوله مسومين قال الاخفش يكون معلمين ويكون مرسلين من قولك سوم فيها الخيل

اي ارسلها ومنه السائمة وانما جاء بالياء والنون لان الخيل سومت وعليها ركبانها قوله تعالى ينبت لكم به
الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات قرا ابو بكر عن عاصم ننبت بالنون على التعظيم العامة
بالياء على معنى ينبت الله لكم يقال نبتت الارض وانبتت بمعنى ونبت البقل وانبت بمعنى وانشد الفراء
رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا بها حتى اذا انبت البقل اي نبت وانبته الله فهو منبوت على غير
قياس وانبت الغلام نبتت عانته ونبت الشيء فرسته ويقال نبت اجلك بين عينيك ونبت الصبي
تنبيتا ونبته والمنبت موضع النبات يقال ما احسن نابتة بني فلان اي ما ينبت عليه اموالهم واولادهم
ونبت لهم نابتة اذا نشا لهم نشر صغار وان بني فلان لنابتة من الاحداث الاعمار والينبوت من
اليمن والينبوت شجر كله عن الجوهري والزيتون جمع زيتونة ويقال للشجرة نفسها زيتونة وللثمرة زيتونة
وقد مضى في سورة الانعام حكم زكاة هذه الثمار فلا معنى للاعادة ان في ذلك الاقوال والابانات علي
اي دلالة لقوم يتفكرون قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار اي للسكون والاعمال كما قال ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اي مذللات
لمعرفة الاوقات ونضج الثمار والزرع والاهتدا بالنجوم في الظلمات وقرا ابن عباس وابن عامر واهل
الشام والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بالرفع على الابتداء والخبر والباقون بالنصب عطفا
على ما قبله وقرا حفص عن عاصم برفع والنجوم مسخرات بامره خاصة ونصب الشمس والقمر عطفا على
الليل والنهار ورفع النجوم على الابتدا مسخرات وقرئ والشمس والقمر والنجوم بالنصب مسخرات بالرفع
وهو خبر مبتدا محذوف اي هي مسخرات وهي في قراءة من نصبها حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا
ان في ذلك لايات لقوم يعقلون اي عن الله ما نبههم عليه ووفقهم له قوله تعالى وما ذرا لكم
في الارض مختلفا الوانه فيه ثلاث مسائل الاولى قوله وما ذرا لكم اي وسخر لكم ما ذرا في الارض
اي خلق ذرا الله الخلق يذرؤهم ذرءا خلقهم فهو ذاري ومنه الذرية وهي نسل الثقلين الا ان
العرب تركت همزها والجمع الذراري يقال انمى الله ذراك وذروك اي ذريتك واصل الذرو والذرء
التفريق عن جمع وفي الحديث ذرء النار اي انهم خلقوا لها الثانية ما ذرا الله سبحانه منه مسخر
مذلل كالدواب والانعام والاشجار وغيرها ومنه غير ذلك والدليل عليه ما رواه مالك في
الموطا عن كعب الاحبار قال لولا كلمات اقولهن لجعلتني يهود حمارا فقيل له وما هن قال اعوذ بوجه
الله العظيم الذي ليس شيء اعظم منه وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وباسماء الله
الحسنى كلها ما علمت منها وما لم اعلم من شر ما خلق وبرا وذرا وفيه عن يحيى بن سعيد انه قال اسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم فراى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار الحديث وفيه وشر ما ذرا
في الارض وقد ذكرناه وما في معناه في غير هذا الموضع الثالثة قوله تعالى مختلفا الوانه مختلفا
نصب على الحال والوانه هيئاته ومناظره يعني الدواب والشجر وغيرها ان في ذلك اي في اختلاف
الوانها الاية اي لعبرة لقوم يذكرون اي يتعظون ويعلمون ان في تسخير هذه المكونات لعلامات
على وحدانية الله وانه لا يقدر على ذلك احد غيره قوله تعالى وهو الذي سخر البحر لتاكلوا
منه لحما طريا الى قوله تشكرون فيه تسع مسائل الاولى قوله وهو الذي سخر البحر تسخير البحر هو تمكين
البشر من التصرف فيه وتذليله فيه بالركوب والانعام وغيره وهذه نعمة من نعم الله علينا فلو
شاء سلطه علينا واغرقنا وقد مضى الكلام في البحر وفي صيده وسماه هنا لحما واللحوم عند مالك
ثلاثة اجناس فلحم ذوات الاربع جنس ولحم ذوات الريش جنس ولحم ذوات الماء جنس فلا يجوز
بيع الجنس بجنسه متفاضلا ويجوز بيع لحم البقر والوحش بلحم الطير والسمك متفاضلا وكذلك

لحم

لحم الطير بلحم البقر والوحش والسمك متفاضلا وقال ابو حنيفة اللحوم كلها اجناس مختلفة باصولها
فلحم البقر صنف ولحم الابل صنف وكذلك الوحش مختلف وكذلك السمك وهو احد قولي الشافعي
والقول الاخر ان الكل من النعم والصيد والطير والسمك جنس واحد لا يجوز التفاضل فيه والقول الاول
هو المشهور من مذهبه عند اصحابه ودليلنا هو ان الله تعالى فرق بين اسماء الانعام في حياتها
فقال ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين ثم قال ومن الابل اثنين ومن البقر
اثنين فلما ان انتهى الجميع الى اللحم قال احلت لكم بهيمة الانعام فجمعها بلحم واحد لتقارب منافعها
كتقارب لحم الضان والمعز وقال في موضع اخر ولحم طير مما يشتهون وهذا جمع طائر الذي هو
الواحد لقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه فجمع لحم الطير كله باسم واحد وقال هنا لحما طريا
فجمع اصناف السمك فذكر لحم واحد وكان صغاره ككباره في الجمع بينهما وقد روي عن عمر انه
سئل عن لحم المعز بلحم الكباش اثنين بواحد فقال لا ولا مخالف له فصار كالاجماع والله اعلم
ولا حجة للمخالف في نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع الطعام الا مثلا بمثل فان الطعام في الاطلاق
يتناول الحنطة وغيرها من الماكولات ولا يتناول اللحم الا ترى ان القائل اذا قال اكلت اليوم
طعاما لم يسبق الفهم الى اكل اللحم وايضا فانه معارض بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اختلف الجنسان
فبيعوا كيف شئتم وهذان جنسان وايضا فقد اتفقنا على جواز اللبن بلحم الطير متفاضلا والعلة
بانه طعام لا زكاة له يبيع لحم ليس فيه الزكاة كذلك بيع السمك بلحم الطير متفاضلا
الثانية واما الجراد فالمشهور عندنا جواز بيع بعضه ببعض متفاضلا وذكر عن سحنون انه
يمنع من ذلك واليه مال بعض المتاخرين ورآه مما يدخر الثالثة اختلف العلماء فيمن حلف
ان لا ياكل لحما فقال ابن القاسم يحنث بكل نوع من هذه الانواع الاربعة وقال اشهب في
المجموعة لا يحنث الا باكل لحوم الانعام دون الوحش وغيره مراعاة للعرف والعادة وتقديما
لها على الاطلاق اللفظ اللغوي وهو احسن الرابعة قوله تعالى وتستخرجون حلية تلبسونها يعني
به اللؤلؤ والمرجان لقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان واخراج الحلية انما هي فيما عرف
من الملح فقط ويقال ان في الزمرد بحريا وقد خطى الهذلي في قوله في وصف الدرة فجاء بها من
درة اصيفة على وجهها ماء الفرات يدوم فجعلها من الماء الحلو فالحلية حق وهي محلة تمتع بها
ادم وولده خلق ادم وحوى وكلل باكليل الجنة وختم بالخاتم الذي ورثه سليمان بن داود
صلوات الله عليهما وكان يقال له خاتم العز فيما روي الخامسة امتن الله سبحانه على الرجال
والنساء امتنانا عاما بما يخرج من البحر فلا يحرم عليهم شيء منه وانما حرم الله تعالى على الرجال
الذهب والحرير روي في الصحيح عن عمر ابن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
تلبسوا الحرير فانه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الاخرة وسياتي في سورة الحج الكلام فيه
ان شاء الله تعالى وروى البخاري عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما
من ذهب وجعل فصه مما يلي باطن كفه ونقش فيه محمد رسول الله فاتخذ الناس مثله
فلما راهم قد اتخذوها رمى به وقال لا البسه ابدا ثم اتخذ خاتما من فضة فاتخذ الناس
خواتيم الفضة قال ابن عمر فلبس الخاتم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان حتى
وقع من عثمان في بئر اريس قال ابو داود لم يختلف الناس على عثمان حتى سقط الخاتم من
يده واجمع العلماء على جواز التختم بالورق على جملة الرجال قال الخطابي وكره للنساء التختم
بالفضة لانه من زي الرجال فان لم يجدن ذهبا فليصفرنه بزعفران وشبهه وجمهور العلماء

من السلف والخلف على تحريم اتخاذ الرجال خاتم الذهب الا ما روي عن ابي بكر بن عبد الرحمن وخباب
وهو خلاف شاذ وكل منهما لم يبلغهما النهي والاباحة والله اعلم واما ما رواه انس بن مالك انه راى
في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق يوما واحدا ثم ان الناس اصطنعوا الخواتم من
ورق فلبسوها فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه وطرح الناس خواتمهم اخرجه الصحيحان واللفظ
للبخاري فهو عند العلماء وهم من ابن شهاب لان الذي فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو خاتم
الذهب رواه عبد العزيز بن صهيب وثابت وقتادة عن انس وهو خلاف ما روى ابن شهاب
عن انس فوجب القضاء بالجماعة على الواحد اذا خالفها مع ما يشهد للجماعة من حديث ابن عمر السادسة
اذا ثبت جواز التختم للرجال بخاتم الفضة والتحلي به فقد كره ابن سيرين وغيره من العلماء نقشه
وان فيه ذكر الله واجاز نقشه جماعة من العلماء ثم اذا نقش عليه اسم الله او كلمة حكمة او كلمات من
القران وجعله في شماله قيل يدخل به الخلاء ويستنجي بشماله خففه سعيد بن المسيب ومالك قيل
لمالك ان كان في الخاتم ذكر الله ويلبسه في الشمال ايستنجي به قال ارجو ان يكون خفيفا وروي
عنه الكراهة وهي الاولى وعلى المنع من ذلك اكثر اصحابه وقد روى همام عن ابن جريج عن الزهري
عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل الخلاء وضع خاتمه قال ابو داود هذا حديث
منكر وانما يعرف عن ابن جريج عن زياد بن سعد عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ
خاتما من ورق ثم القاه قال ابو داود لم يحدث بها الا همام السابعة روى البخاري عن انس بن
مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله وقال اني
اتخذت خاتما ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش احد على نقشه قال علماؤنا فهذا دليل
على جواز نقش اسم صاحب الخاتم على خاتمه قال مالك ومن شان الخلفاء والقضاة نقش اسمائهم
على خواتيمهم ونهيه عليه الصلاة والسلام ان لا ينقش احد احد على نقش خاتمه من اجل ان ذلك
اسمه وصفته برسالة الله تعالى الى خلقه وروى اهل الشام انه لا يجوز اتخاذ الخاتم لغير ذي
سلطان ورووا في ذلك حديثا عن ابي ريحانة وهو حديث لا حجة فيه لضعفه وقوله عليه
الصلاة والسلام لا ينقش احد على نقشه يرده ويدل على جواز اتخاذ الخاتم لجميع الناس اذا لم ينقش
على نقش خاتمه وكان نقش خاتم الزهري محمد يسال الله العافية وكان نقش خاتم مالك حسبي
الله ونعم الوكيل وذكر الترمذي في نوادر الاصول ان نقش خاتم موسى عليه السلام لكل اجل كتاب
وقد مضى في الرعد وبلغ عمر بن عبد العزيز ان ابنه اشترى خاتما بالف درهم فكتب اليه بلغني
انك اشتريت خاتما بالف درهم فبعه واطعم منه الف جائع واشتر خاتما من حديد بدرهم
واكتب عليه رحم الله امرأ عرف قدر نفسه انتهى الثامنة من حلف لا يلبس حليا فلبس لؤلؤا
لم يحنث وبه قال ابو حنيفة قال ابن خويزمنداد لان هذا وان كان الاسم اللغوي يتناوله فلم
يقصده باليمين والايمان تختص بالعرف الا ترى انه لو حلف ان لا ينام على فراش فنام على الارض
لم يحنث وكذلك لا يستضيء بسراج فجلس في الشمس لا يحنث وان كان الله تعالى قد سمى
الارض فراشا والشمس سراجا وقال الشافعي وابو يوسف ومحمد بن خلف ان لا يلبس حليا ولبس
اللؤلؤ انه يحنث لقوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها والذي يخرج منه اللؤلؤ والمرجان
التاسعة قوله تعالى وترى الفلك مواخر فيه وقد تقدم ذكر الفلك وركوب البحر في البقرة
وغيرها وقوله مواخر قال ابن عباس جواري تجري سعيد بن جبير معترضة الحسن مواقر قتادة
والضحاك اي تذهب وتجي مقبلة ومدبرة بريح واحدة وقيل مواخر ملججة في داخل البحر واصل

المخر شق الماء عن يمين وشمال مخرت السفينة تمخر وتمخر مخرا ومخورا اذا جرت تشق الماء مع صوت
ومنه قوله تعالى وترى الفلك مواخر فيه يعني جواري قاله الجوهري ومخر السابح اذا شق الماء بصدره
ومخر الارض شقها للزراعة ومخرها بالماء اذا حبس الماء فيها حتى يصير اريضة اي خليقة بجودة نبات
الزرع وقال الطبري المخر في اللغة صوت هبوب الريح ولم يعبر بكون في الماء وقال ان من ذلك قول
واصل مولى ابي عيينة اذا اراد احدكم البول فليتمخر الريح اي لينظر من اين مجراها وهبوبها فيتمخر في الاجسام من اين تهب
فيتجنب استقبالها لئلا تهب فترد عليه بوله ولتبتغوا من فضله اي ولتركبوه للتجارة وطلب
الربح ولعلكم تشكرون تقدم جميع هذا في البقرة قوله تعالى والقى في الارض رواسي اي جبالا ثابتة
رسا يرسو اذا ثبت واقام قال فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع ان تميد
بكم اي لئلا تميد عند الكوفيين وكراهية ان تميد على قول البصريين والميد الاضطراب يمينا وشمالا
ماد الشيء يميد ميدا تحرك ومادت الاغصان تمايلت وماد الرجل تبختر قال وهب بن منبه خلق
الله الارض فجعلت تميد وتمور فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحت
وقد ارسيت بالجبال ولم تدر الملائكة مم خلقت الجبال وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
لما خلق الله الارض قمصت ومالت وقالت اي رب اتجعل علي من يعمل بالمعاصي والخطايا ويلقي علي
الجيف والنتن فارسى الله تعالى فيها من الجبال ما ترون وما لا ترون وروى الترمذي في اخر
كتاب التفسير حدثنا محمد بن يسار حدثنا يزيد بن هارون نا العوام بن حوشب عن سليمان بن ابي
سليمان عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الارض جعلت تميد فخلق
الجبال فعاد بها عليها فاستقرت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالوا يا رب هل من خلقك
شيء اشد من الجبال قال نعم الحديد فقالوا يا رب فهل من خلقك شيء اشد من الحديد قال نعم النار فقالوا يا رب فهل من خلقك شيء اشد من النار قال نعم الماء قالوا يا رب فهل من خلقك شيء اشد من الماء قال نعم
الريح قالوا يا رب فهل في خلقك شيء اشد من الريح قال نعم ابن ادم يتصدق بصدقة بيمينه
يخفيها عن شماله قال ابو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قلت
وفي هذه الاية ادل دليل على استعمال الاسباب وقد كان قادرا على سكونها دون الجبال وقد
تقدم هذا المعنى وانهارا اي جعل فيها انهارا والمعنى فيها انهارا وسبلا اي طرقا ومسالك لعلكم
تهتدون اي الحيث تقصدون من البلاد فلا تضلون ولا تتحيرون قوله تعالى وعلامات
وبالنجم هم يهتدون فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى وعلامات قال ابن عباس العلامات
معالم الطرق بالنهار اي جعل الطرق علامات يقع الاهتداء بها وبالنجم هم يهتدون يعني
بالليل والنجم يراد به النجوم وقرا ابن وثاب وبالنجم الحسن بضم النون والجيم جميعا ومراده
النجوم فقصره كما قال الشاعر ان الفقير بيننا قاض حكم ان يرد الماء اذا غاب النجم وكذلك
القول لمن قرا النجم الا انه اسكن استخفافا ويجوز ان يكون النجم جمع نجم كسقف وسقف و
اختلف في النجم فقال الفراء الجدي والفرقدان وقال الثريا قال الشاعر حتى اذا ما استقل
النجم في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود اي منه ملوي ومنه محصود وذلك عند طلوع الثريا
يكون به وقال الكلبي العلامات الجبال وقال مجاهد هي النجوم لان من النجوم ما يهتدى بها
ومنها ما يكون علامة لا يهتدى بها وقاله قتادة والنخعي وقيل تم الكلام عند قوله وعلامات
ثم ابتدا وقال وبالنجم هم يهتدون وعلى الاول اي وجعل لكم علامات ونجوما تهتدون
بها ومن العلامات الريح يهتدى بها وفي المراد بالاهتداء قولان احدهما في الاسفار وهذا قول
الجمهور الثاني في القبلة وقال ابن عباس سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وبالنجم

هم يهتدون قال هو الجدي ابن عباس عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم ذكره الماوردي
الثانيـة قال ابن العربي اما جميع النجوم فلا يهتدى بها الا العارف بمطالعها ومغاربها والفرق
بين الجنوبي والشمالي منها وذلك قليل في الاخرين واما الثريا فلا يهتدي بها الامن يهتدى
بجميع النجوم وانما الهدى لكل احد بالجدي والفرقدين لانها من النجوم المنحصرة المطالع الظاهرة
السمت الثابتة في المكان فانها تدور على القطب الثابت دورانا محصنا فهي ابدا هدى الخلق في
البر اذا عميت الطرق وفي البحر عند مجرى السفن وفي القبلة اذا جهل السمت وذلك على الجملة بان
تجعل القطب على ظهر منكبك الايمن فما استقبلت فهو سمت الجهة قلت وسال ابن عباس رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن النجم فقال هو الجدي عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم وذلك
ان اخر الجدي بنات نعش الصغرى والقطب الذي تستوي عليه القبلة بينها الثالثـة قال علماؤنا
وحكم استقبال القبلة على وجهين احدهما ان يراها ويعاينها فيلزمه استقبالها واصابتها وقصد
جهتها بجميع بدنه والاخر ان تكون الكعبة بحيث لا يراها فيلزمه التوجه نحوها وتلقاها
بالدلايل وهي الشمس والقمر والنجوم والرياح وكل ما يمكن به معرفة جهتها ومن غابت عنه وصلى
مجتهدا الى غير ناحيتها وهو ممكن يمكنه الاجتهاد فلا صلاة له فاذا صلى مجتهدا مستدلا ثم انكشف
له بعد الفراغ من صلاته انه صلى الى غير القبلة اعادها ان كان في وقتها وليس ذلك بواجب عليه
لانه قد ادى فرضه ما امر به وقد مضى هذا المعنى في البقرة مستوفى قوله تعالى افمن يخلق
كمن لا يخلق قوله افمن يخلق هو الله تعالى كمن لا يخلق يريد الاصنام افلا تذكرون اخبر عن
الاوثان التي لا تخلق ولا تضر كما يخبر عمن يعقل على ما يستعمله العرب في ذلك فانهم كانوا
يعبدونها فذكرت بلفظ من كقوله الهم ارجل وقيل لاقتران الضمير في الذكر بالخالق قال
الفراء هو كقول العرب اشتبه على الراكب وحمله فلا ادري من ذا ومن ذا وان كان احدهما غير
انسان قال المهدوي ويسال بمن عن البارى ولا يسال عنه بما لان ما انما يسال بها عن الاجناس
والله تعالى ليس بذي جنس ولذلك اجاب موسى عليه السلام حين قال له فمن ربكما يا موسى ولم يجب
حين قال وما رب العالمين الا بجواب من واضرب عن جواب ما حين كان السؤال فاسدا ومعنى
الاية من كان قادرا على خلق الاشياء المتقدمة الذكر كان بالعبادة احق ممن هو مخلوق لا يضر
ولا ينفع هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه اروني ماذا خلقوا من الارض
قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تقدم في ابراهيم ان الله لغفور رحيم والله يعلم
ما تسرون وما تعلنون اي ما يبطنونه وما يظهرونه وقد تقدم هذا مستوفى قوله تعالى جل ثناؤه
والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون
ايان يبعثون الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين واذا قيل لهم ماذا
انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين
يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد
فخر عليهم السقف من فوقهم واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم
ويقول اين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء
على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى
ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل

للذين

للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير
ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك
يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما
كنتم تعملون هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك كذلك فعل الذين من
قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون قوله والذين تدعون من دون الله قرا العامة
تدعون بالتاء لان ما قبله خطاب وروى ابو بكر عن عاصم وهبيرة عن حفص يدعون بالياء وهي قراءة
يعقوب واما قراءة ما يسرون وما يعلنون وكلهم بالتاء على الخطاب الا ما روى هبيرة عن حفص
عن عاصم انه قراه بالياء لا يخلقون شيئا اي لا يقدرون على خلق شيء وهم يخلقون اموات غير احياء
اي هم اموات يعني الاصنام لا ارواح فيها ولا تسمع ولا تبصر اي هي جمادات فكيف تعبدونها وانتم
افضل منها بالحياة وما يشعرون يعني الاصنام ايان يبعثون وقرا السلمي ايان بكسر الهمزة وهما لغتان
موضعه نصب بيبعثون وهي في معنى الاستفهام لا يدرون متى يبعثون وعبر عنها كما عبر عن الادميين
لانهم زعموا انها تعقل عنهم وتعلم وتشفع لهم عند الله فجرى خطابهم على ذلك وقد قيل ان الله تعالى
يبعث الاصنام يوم القيمة ولها ارواح فتتبرا من عبادتهم وهي في الدنيا جماد لا تعلم متى تبعث قال
ابن عباس تبعث الاصنام ويركب فيها الروح ومعها شياطينها فيتبرؤن من عبدتهم ثم يؤمر
بالشياطين والمشركين الى النار وقيل ان الاصنام تطرح في النار مع عبدتها يوم القيمة دليله
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل تم الكلام عند قوله لا يخلقون شيئا وهم
يخلقون ثم ابتدا فوصف المشركين بانهم اموات وهذا الموت موت كفر وما يشعرون ايان
يبعثون اي وما يدري الكفار متى يبعثون اي وقت البعث لانهم لا يؤمنون بالبعث حتى يستعدوا
للقاء الله وقيل الهكم اله واحد لما بين استحالة الاشراك بالله تعالى بين ان المعبود واحد
لا رب غيره ولا معبود سواه فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة له لا تقبل الوعظ ولا
ينجع فيها الذكر وهذا رد على القدرية وهم مستكبرون اي متكبرون متعظمون عن قبول الحق وقد
تقدم في البقرة معنى الاستكبار لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون اي من القول والعمل
فيجازيهم قال الخليل لا جرم كلمة تحقيق ولا يكون الا جوابا يقال فعلوا ذلك فيقال لا جرم
سيندمون اي حقا ان لهم النار وقد مضى القول في هذا في هود مستوفى انه لا يحب المستكبرين
اي لا يثيبهم ولا يثني عليهم وعن الحسين بن علي انه مر بمساكين قد قدموا كسرا لهم وهم ياكلون
فقالوا الغدا يا ابا عبد الله فنزل وجلس معهم وقال انه لا يحب المستكبرين ثم اكل فلما فرغوا قال
قد اجبتكم فاجيبوني فقاموا معه الى منزله فاطعمهم واسقاهم واعطاهم فانصرفوا قال العلماء وكل
ذنب يمكن التستر به واخفاؤه الا التكبر فانه فسق يلزمه الاعلان وهو اصل العصيان كله
وفي الحديث الصحيح ان المتكبرين يحشرون يوم القيمة امثال الذر تطؤهم الناس باقدامهم
لتكبرهم او كما قال صلى الله عليه وسلم تصغر لهم اجسامهم في المحشر حين يضرهم تصغيرها وتعظم لهم في
النار حين يضرهم عظمها قوله تعالى واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم يعني واذا قيل لمن تقدم ذكره
ممن لا يؤمن بالاخرة وقلوبهم منكرة للبعث ماذا انزل ربكم قيل القايل النضر بن الحارث
وان الاية نزلت فيه وكان خرج الى الحيرة فاشترى احاديث كليلة ودمنة فكان يقرا على
قريش ويقول لما يقرا محمد على اصحابه الا اساطير الاولين اي ليس هو من تنزيل ربنا وقيل ان
المؤمنين هم القايلون لهم اختبارا فاجابوا بقولهم اساطير الاولين فاقروا بانزال الشيء هو

اساطير الاولين والاساطير الاباطيل والترهات وقد تقدم فى الانفال والقول فيما انزل ربكم كالقول
فيماذا ينفقون وقوله اساطير الاولين خبر ابتدا محذوف التقدير الذى انزله اساطير الاولين
قوله تعالى ليحملوا اوزارهم قيل هي لام كي وهي متعلقة بما قبلها وقيل لام العاقبة كقوله ليكون
لهم عدوا وحزنا اي قولهم في القرآن والنبي داهم الى ان حملوا اوزارهم اي ذنوبهم كاملة لم يتركوا منها
شيئا لنكبة اصابتهم في الدنيا بكفرهم وقيل هي لام الامر والمعنى التهدد ومن اوزار الذين يضلونهم
بغير علم قال مجاهد يحملون وزر من اضلوه لا ينقص من اوزارهم شيء وفي الخبر وايما داع دعا الى
ضلالة فاتبع فان عليه مثل اوزار من اتبعه من غير ان ينقص من اوزارهم شيء وايما داع دعا الى
هدى فاتبع فله مثل اجورهم من غير ان ينقص من اجورهم شيء خرجه مسلم بمعناه ومن للجنس
لا للتبعيض فدعاة الضلالة عليهم مثل اوزار من اتبعهم وقوله بغير علم اي يضلون الخلق جهلا
منهم بما يلزمهم من الاثام اذ لو علموا لما اضلوا الا ساء ما يزرون اي بئس الوزر الذي يحملونه ونظير
هذه الاية وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقد تقدم في اخر الانعام بيان قوله ولا تزر
وازرة وزر اخرى قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم اي سبقهم بالكفر اقوام مع الرسل المتقدمين
فكانت العاقبة الجميلة للرسل فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم
قال ابن عباس وزيد بن اسلم وغيرهما ان النمرود بن كنعان وقومه ارادوا صعود السماء وقتال اهلها
فبنوا الصرح ليصعدوا فيه بعد ان صعد والنسور ما صنع كما تقدم بيانه في اخر سورة ابراهيم ومعنى
فاتى الله بنيانهم اي اتى امره البنيان اما زلزلة او ريح فخربته قال ابن عباس ووهب كان طول
الصرح في السماء خمسة الاف ذراع وعرضه ثلاثة الاف وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين
فهبت ريح فالقت راسه في البحر وخر عليهم الباقي ولما سقط الصرح تبلبلت الالسن من الفزع
يومئذ فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سمي بابل وما كان لسان قبل ذلك الا السريانية
وقد تقدم هذا المعنى في البقرة وقرا ابن هرمز وابن محيصن السقف بضم السين والقاف جميعا
وضم مجاهد السين واسكن القاف تخفيفا كما تقدم وبالضم في الوجهين والاشبه ان يكون جمع
سقف والقواعد اصول البنا واذا اختلفت القواعد سقط البنا وقوله من فوقهم قال ابن الاعرابي
وكذلك ليعلمك انهم كانوا جالسين تحته والعرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حائط اذا
كان يملكه وان لم يكن وقع عليه فجاء بقوله من فوقهم ليخرج هذا الشك الذي في كلام العرب
فقال من فوقهم اي وقع وكانوا تحته فهلكوا ولم يفلتوا وقيل ان المراد بالسقف السماء اي ان
العذاب اتاهم من السماء التي هي فوقهم قاله ابن عباس وقيل ان قوله فاتى الله بنيانهم من
القواعد تمثيل والمعنى اهلكهم فكانوا بمنزلة من سقط بنيانه وقيل المعنى ابطل مكرهم وتدبيرهم
فهلكوا كما هلك من نزل عليه السقف من فوقه وعلى هذا اختلف في الذين خر عليهم السقف
فقال ابن عباس وابن زيد ما تقدم وقيل انه بخت نصر واصحابه قاله بعض المفسرين وقيل
المراد المقتسمون الذين ذكرهم الله في سورة الحجر قاله الكلبي وعلى هذا التاويل يخرج وجه التمثيل
والله اعلم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون اي من حيث ظنوا انهم في امان وقال ابن عباس يعني
البعوضة التي اهلك بها نمرود قوله تعالى ثم يوم القيمة يخزيهم اي يفضحهم بالعذاب ويذلهم
به ويهينهم ويقول اين شركاي اي بزعمكم وفي دعواكم اي الالهة التي عبدتم دوني وهو سؤال
توبيخ الذين كنتم تشاقون فيهم اي تعادون انبيائي بسببها فليدفعوا عنكم هذا العذاب وقرا ابن
كثير شركاي بياء مفتوحة من غير همز والباقون بالهمز وفتح تشاقون فيهم اي تعادونني بكسر النون

على الاضافة اي تعادونني فيهم وفتحها الباقون قال الذين اوتوا العلم قال ابن عباس اي الملائكة وقيل المؤمنون
ان الخزي اليوم اي الهوان والذل يوم القيمة والسوء اي العذاب على الكافرين قوله تعالى الذين تتوفاهم
الملائكة ظالمي انفسهم هذا من صفة الكافرين وظالمي انفسهم نصب على الحال اي وهم ظالمون انفسهم اذا اوردوها
موارد الهلاك فالقوا السلم اي الاستسلام اي اقروا لله بالربوبية وانقادوا عند الموت وقالوا ما كنا
نعمل من سوء اي شرك فقالت لهم الملائكة بلى قد كنتم تعملون وقال عكرمة نزلت هذه الاية بالمدينة
في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا فاخرجتهم قريش الى بدر كرها فقتلوا بها فقال الذين تتوفاهم الملائكة
تقبض ارواحهم ظالمي انفسهم في مقامهم بمكة وتركهم الهجرة فالقوا السلم يعني في خروجهم معهم وفيه
ثلاثة اوجه احدها انه الصلح قاله الاخفش الثاني الاستسلام قاله قطرب الثالث الخضوع قاله مقاتل
ما كنا نعمل من سوء يعني من كفر بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون يعني ان اعمالكم اعمال الكفار وقيل ان بعض المسلمين
لما راوا قلة المؤمنين رجعوا الى المشركين فنزلت فيهم وعلى القول الاول فلا يخرج كافر ولا منافق من
الدنيا حتى ينقاد ويستسلم ويخضع ويذل لا ينفعهم حينئذ توبة ولا ايمان كما قال فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا وقد تقدم هذا المعنى في الانفال ان الكفار يتوفون بالضرب والهوان وكذلك في
الانعام وقد ذكرناه في كتاب التذكرة قوله تعالى فادخلوا ابواب جهنم اي يقال لهم ذلك عند الموت
وقيل هو بشارة لهم بعذاب القبر اذ هو باب من ابواب جهنم للكافر وقيل لا يصل اهل الدركة الثانية
اليها مثلا الا بدخول الاولى ثم الثانية ثم الثالثة وقيل لكل دركة باب منفرد فالبعض يدخلون
من باب اخر والله اعلم خالدين فيها اي ماكثين فيها فلبئس مثوى اي مقام المتكبرين الذين تكبروا عن
الايمان وعن عبادة الله تعالى وبينهم بقوله الحق انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون قوله
تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي قالوا انزل خيرا وتم الكلام وماذا بمنزلة
اسم واحد وكان الرجل من العرب يرد مكة في ايام الموسم فيسال المشركين عن محمد عليه الصلاة والسلام
فيقولون ساحر او شاعر او كاهن او مجنون ويسال المؤمنين فيقولون انزل الله عليه الخير والهدى
المراد القرآن وقيل ان هذا يقال لاهل الايمان يوم القيمة قاله الثعلبي فان قيل لم ارتفع الجواب
في قوله اساطير الاولين وانتصب في قوله خيرا فالجواب ان المشركين لم يؤمنوا بالتنزيل فكانهم
قالوا الذي يقوله محمد هو اساطير الاولين والمؤمنون الذين امنوا بالنزول فقالوا انزل خيرا وهذا
مفهوم معناه من الاعراب قوله تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة قيل هو من كلام الله عز وجل
وقيل هو من جملة كلام الذين اتقوا والحسنة الجنة اي من اطاع الله فله الجنة غدا وقيل الذين
احسنوا اليوم حسنة في الدنيا من النصر والفتح والغنيمة ولدار الاخرة خير اي ما ينالون في الاخرة
من ثواب الجنة خير واعظم من دار الدنيا لفنائها وبقاء الاخرة ولنعم دار المتقين فيه وجهان
قال الحسن ولنعم دار المتقين الدنيا لانهم نالوا بالعمل فيها ثواب الاخرة ودخول الجنة وقيل المعنى
ولنعم دار المتقين الاخرة وهذا قول الجمهور وعلى هذا يكون جنات عدن بدلا من الدار فلذلك
ارتفع وقيل ارتفع على تقدير هي جنات فهي مبينة لقوله دار المتقين وتكون مرفوعة بالابتداء
التقدير جنات عدن نعم دار المتقين يدخلونها في موضع الصفة اي يدخلونه وقيل جنات رفع
بالابتدا وخبره يدخلونها وعليه يخرج قول الحسن والله اعلم تجري من تحتها الانهار تقدم معناه
في البقرة لهم فيها ما يشاؤن اي مما تمنوه وارادوه كذلك يجزي الله المتقين اي مثل هذا الجزاء
يجزي المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين قرا الاعمش وحمزة يتوفاهم الملائكة في الموضعين بالياء
واختاره ابو عبيد لما روي عن ابن مسعود انه قال ان قريشا زعموا ان الملائكة اناث فذكروهم

عل

انتم الباقون بالتاء لان المراد به الجماعة من الملائكة طيبين فيه اقوال الاول طيبين طاهرين من
الشرك الثاني صالحين الثالث زاكية افعالهم واقوالهم الرابع الطيبين الانفس ثقة بما يلقون
من ثواب الله الخامس طيبة نفوسهم بالرجوع الى الله السادس طيبين اي تكون وفاتهم طيبة سهلة
لاصعوبة فيها ولا الم بخلاف ما يقبض به روح الكافر والمخلط والله اعلم يقولون سلام عليكم يحتمل
وجهين احدهما ان يكون السلام انذارا لهم بالوفاة الثاني ان يكون تبشيرا لهم بالجنة لان السلام
امان وذكر ابن المبارك قال اخبرنا حيوة قال اخبرني ابو صخر عن محمد بن كعب القرظي قال اذا استنقعت
نفس المؤمن جاءه ملك فقال السلام عليك ولي الله الله يقرا عليك السلام ثم نزع بهذه الاية
الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم قال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت ليقبض روح
المؤمن قال ربك يقريك السلام وقال مجاهد ان المؤمن ليبشر بصلاح ولده من بعده لتقر عينه
وقد اتينا على هذا في كتاب التذكرة وذكرنا هنالك الاخبار الواردة في هذا المعنى وقوله ادخلوا الجنة
يحتمل وجهين احدهما ان يكون معناه ابشروا بدخول الجنة الثاني ان يقولوا ذلك لهم في الاخرة بما
كنتم تعملون يعني في الدنيا من الصالحات قوله تعالى هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة هذا راجع
الى الكفار اي ما ينتظرون الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وهم ظالمون لانفسهم وقرا الاعمش
وابن وثاب وحمزة والكسائي وخلف ياتيهم بالياء والباقون بالتاء على ما تقدم او ياتي امر ربك
اي بالعذاب من القتل كيوم بدر او الزلزلة والخسف في الدنيا وقيل المراد يوم القيمة والقوم لم
ينتظروا هذه الاشياء لانهم ما امنوا بها ولكن امتناعهم عن الايمان اوجب عليهم العذاب فاضيف
ذلك اليهم اي عاقبتهم العذاب كذلك فعل الذين من قبلهم اي اصروا على الكفر فاتاهم امر الله
فهلكوا وما ظلمهم الله بتعذيبهم واهلاكهم ولكن ظلموا انفسهم بالشرك قوله تعالى فاصابهم
سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم
فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
ان تحرص على هديهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون
فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون
الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان
كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم
يتفكرون افامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون او ياخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف فان ربكم لرءوف رحيم اولم
يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون قوله
فاصابهم سيئات ما عملوا فيه تقديم وتاخير التقدير كذلك فعل الذين من قبلهم فاصابهم سيئات ما
عملوا وما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم فاصابهم عقوبات كفرهم وجزاء الخبيث من اعمالهم وحاق بهم
اي احاط بهم ودار ما كانوا به يستهزؤن اي عقاب استهزائهم قوله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شيء اي شيئا ومن صلة قال الزجاج قالوه استهزاء ولو قالوه عن اعتقاد

لكانوا مؤمنين وقد مضى هذا في سورة الانعام مبينا معنى واعرابا فلا معنى للاعادة كذلك فعل الذين من
قبلهم اي مثل هذا التكذيب والاستهزاء فعل من كان قبلهم فاهلكوا فهل على الرسل الا البلاغ المبين اي
ليس عليهم الا التبليغ واما الهداية فهي الى الله تعالى قوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا
الله اي بان اعبدوا الله ووحدوه واجتنبوا الطاغوت اي اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان
والكاهن والصنم وكل من دعا الى الضلال فمنهم من هدى الله اي ارشده الى دينه وعبادته ومنهم من
حقت عليه الضلالة اي بالقضاء السابق عليه حتى مات على كفره وهذا يرد على القدرية لانهم زعموا
ان الله هدى الناس كلهم ووفقهم للهدى والله تعالى يقول فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه
الضلالة وقد تقدم هذا في غير موضع فسيروا في الارض اي سيروا معتبرين في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين كيف صار اخر امرهم الى الخراب والعذاب والهلاك قوله تعالى ان تحرص على
هداهم اي ان تطلب يا محمد بجهدك هداهم فان الله لا يهدى من يضل اي لا يرشد من اضله اي من
قد سبق له من الله الضلالة لم يهده وهذه قراءة ابن مسعود واهل الكوفة فيهدى فعل مستقبل
وماضيه هدى ومن في موضع نصب ويهدي ويجوز ان يكون هدى يهدى بمعنى اهتدى يهتدى رواه ابو
ابو عبيد عن الفراء قال كما قرئ امن لا يهدى الا ان يهدى بمعنى يهتدى قال ابو عبيد ولا نعلم
احدا روي هذا عن الفراء وليس بمتهم فيما علمه النحاس حكي عن محمد بن يزيد كان معناه لا يهدي من
يضل من علم ذلك منه وسبق له عنده قال ولا يكون يهدى بمعنى يهتدى الا ان يقول يهدي او
يهدى وعلى قول الفراء يهدى بمعنى يهتدى فيكون في موضع رفع والعايد الى من الهاء المحذوفة
من الصلة والعايد الى اسم ان الضمير المستكن في يضل وقرا الباقون لا يهدى بضم الياء وفتح الدال
واختاره ابو عبيد وابو حاتم على معنى من اضله الله لم يهده هاد دليله قوله من يضلل الله فلا
هادي له ومن في موضع رفع على انه اسم ما لم يسم فاعله وهي بمعنى الذي والعايد عليها من صلتها
محذوف والعايد على اسم ان من فان الله الضمير المستكن في يضل وما لهم من ناصرين تقدم
معناه قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم هذا تعجب من صنعهم اذا قسموا بالله وبالغوا في تغليظ
اليمين بان الله لا يبعث من يموت ووجه التعجب انهم يظهرون تعظيم الله فيقسمون به ثم يعجزون
عن بعث الاموات وقال ابو العالية كان لرجل من المسلمين على مشرك دين فتقاضاه وكان في بعض
كلامه والذي ارجوه بعد الموت انه لكذا فاقسم المشرك بالله لا يبعث الله من يموت فنزلت الاية
وقال قتادة ذكر لنا ان ابن عباس قال له رجل يا ابن عباس ان ناسا يزعمون ان عليا مبعوث
بعد الموت قبل الساعة ويتاولون هذه الاية قال ابن عباس كذب اولئك انما هذه الاية
عامة للناس لو كان مبعوثا قبل القيمة ما نكحت نساؤه ولا قسمنا ميراثه بلى هذا رد عليهم اي بلى
ليبعثهم وعدا عليه حقا مصدر موكد لان قوله يبعثهم يدل على الوعد اي وعد البعث وعدا حقا
ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم مبعوثون وفي البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الله تعالى كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله
لن يعيدني كما بداني واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد وقد تقدم ويأتي قوله تعالى ليبين لهم اي ليظهر لهم الذي يختلفون فيه
من امر البعث وليعلم الذين كفروا بالبعث واقسموا عليه انهم كاذبون وقيل المعنى في كل امة
رسولا ليبين لهم الذي يختلفون فيه والذي اختلف فيه المشركون والمسلمون امور منها البعث
ومنها عبادة الاصنام ومنها انذار قوم بان محمدا حق ولكن منعهم من اتباعه التقليد كابي طالب

قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اعلمهم سهولة الخلق عليه اي اذا اردنا ان
نبعث من يموت فلا تعب علينا ولا نصب في احيائهم ولا في غير ذلك مما نحدثه لانا انما نقول له كن
فيكون قراءة ابن عامر والكسائي فيكون نصبا عطفا على ان نقول وقال الزجاج يجوز ان يكون نصبا على
جواب كن والباقون بالرفع على معنى فهو يكون وقد مضى القول فيه في البقرة مستوفى وقال ابن الانباري
اوقع لفظ الشيء على المعلوم عند الله قبل الخلق لانه بمنزلة ما وجد وشوهد وفي الاية دليل على ان
القران غير مخلوق لانه لو كان قوله كن مخلوقا لاحتاج الى قول ثان والثاني الى ثالث وتسلسل
فكان محالا وفيها دليل على ان الله سبحانه مريد لجميع الحوادث كلها خيرها وشرها نفعها وضرها
والدليل على ذلك ان من يرى في سلطانه ما يكرهه ولا يريده فلاحد شيئين اما لكونه جاهلا
لا يدري واما لكونه مغلوبا لا يطيق ولا يجوز ذلك في وصفه سبحانه وقد قام الدليل على انه خالق
لاكساب العباد ويستحيل ان يكون فاعلا لشيء وهو غير مريد له لان افعالنا تحصل على خلاف
قصدنا وارادتنا فلو لم يكن الحق سبحانه مريدا لها لكانت تلك الافعال تحصل من غير قصد وهذا
قول اهل الطبايع وقد اجمع الموحدون على خلافه وفساده قوله تعالى والذين هاجروا في الله من
بعد ما ظلموا قد تقدم في النساء معنى الهجرة وهي ترك الاوطان والاهل والقرابة في الله وفي دين الله
وترك السيئات وقيل في بمعنى اللام اي لله من بعد ما ظلموا اي عذبوا في الله نزلت في صهيب
وبلال وخباب وعمار عذبهم اهل مكة حتى قالوا لهم ما ارادوا فلما خلوهم هاجروا الى المدينة قاله الكلبي
وقيل نزلت في ابي جندل بن سهيل وقال قتادة المراد اصحاب محمد ظلمهم المشركون بمكة واخرجوهم
حتى لحق طائفة منهم بالحبشة ثم بواهم الله تعالى دار الهجرة وجعل لهم انصارا من المومنين والاية
تعم الجميع لنبوئنهم في الدنيا حسنة في الحسنة ستة اقوال الاول نزول المدينة قاله ابن عباس
والحسن والشعبي وقتادة والثاني الرزق الحسن قاله مجاهد الثالث النصر على عدوهم قاله
الضحاك الرابع انه لسان صدق حكاه ابن جريج الخامس ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار
لهم فيها من الولايات السادس ما بقي لهم في الدنيا من الثناء وما صار لاولادهم من الشرف وكل ذلك
اجتمع لهم بفضل الله ولاجر الاخرة اكبر اي ولاجر دار الاخرة اكبر من ان يعلمه احد قبل ان يشاهده
واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا لو كانوا يعلمون اي لو كان هؤلاء الظالمون يعلمون ذلك
وقيل هو راجع الى المومنين اي لو راوا ثواب الاخرة وعاينوه لعلموا انه اكبر من حسنات الدنيا
وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا دفع الى المهاجرين العطا قال هذا ما وعدكم الله
تعالى في الدنيا وما ادخر لكم في الاخرة اكبر ثم تلي عليهم هذه الاية قوله تعالى الذين صبروا وعلى ربهم
يتوكلون قيل الذين بدل من الذين الاول وقيل من الضمير في لنبوئنهم وقيل هم الذين صبروا على دينهم
وعلى ربهم يتوكلون في كل امورهم وقال بعض اهل التحقيق خيار الخلق من اذا نابه امر صبر واذا عجز
عن امر توكل قال الله تعالى الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا
رجالا يوحى اليهم قراءة العامة يوحى بالياء وفتح الحاء وقرا حفص عن عاصم نوحي اليهم بنون العظمة
وكسر الحاء نزلت في مشركي مكة حيث انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله اعظم من ان يكون
رسوله بشرا فهلا بعث الينا ملكا فرد الله عليهم بقوله وما ارسلنا من قبلك الى الامم الماضية يا محمد
الا رجالا ادميين فسئلوا اهل الذكر قال سفيان يعني مومني اهل الكتاب ان كنتم لا تعلمون يخبرونكم
ان جميع الانبياء كانوا بشرا وقيل المعنى فسئلوا اهل الكتاب فان لم تومنوا فهم معترفون بان الرسل
كانوا من البشر روي معناه عن ابن عباس ومجاهد وقال ابن عباس اهل الذكر اهل القران وقيل اهل

العلم

العلم والمعنى متقارب بالبينات والزبر قيل بالبينات متعلق بارسلنا وفي الكلام تقديم وتاخير اي وما
ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا اي غير رجال فالا بمعنى غير كقوله لا اله الا الله وهذا قول
الكلبي يوحى اليهم وقيل في الكلام حذف دل عليه ارسلنا اي ارسلناهم بالبينات والزبر ولا يتعلق بالبينات
بارسلنا الاول على هذا القول لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها وانما يتعلق بارسلنا المقدرة اي ارسلناهم
بالبينات وقيل مفعول بتعلمون والباء زائدة او نصب باضمار اعني كما قال الاعشى وليس مجيرا ان اتى
الحي خائف فلا قائل الا هو المتعيبنا اي اعني المعيب والبينات الحجج والبراهين والزبر الكتب وقد تقدم
في ال عمران وانزلنا اليك الذكر يعني القران لتبين للناس ما نزل اليهم في هذا الكتاب من الاحكام
والوعد والوعيد بقولك وفعلك فالرسول صلى الله عليه وسلم مبين عن الله عز وجل مراده مما اجمله في
كتابه من احكام الصلاة والزكاة وغير ذلك مما لم يفصله وقد تقدم هذا المعنى مستوفى في مقدمة
الكتاب ولعلهم يتفكرون فيتعظون قوله تعالى افامن الذين مكروا السيئات اي بالسيئات وهذا
وعيد للمشركين الذين احتالوا في ابطال الاسلام ان يخسف الله بهم الارض قال ابن عباس كما خسف
بقارون يقال خسف المكان يخسف خسفا ذهب في الارض وخسف الله به خسوفا اي غابت به فيها
ومنه قوله فخسفنا به وبداره الارض وخسف هو في الارض وخسف به والاستفهام بمعنى الانكار
اي يجب ان لا يامنوا عقوبة تلحقهم كما لحقت المكذبين او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون كما
فعل بقوم لوط وغيرهم وقيل يريد يوم بدر فانهم اهلكوا ذلك اليوم ولم يكن شيء منه في حسابهم
او ياخذهم في تقلبهم اي في اسفارهم وتصرفهم قاله قتادة فما هم بمعجزين اي سابقين الله ولا فائتيه
وقيل في تقلبهم على فرشهم اين ما كانوا وقال الضحاك بالليل والنهار او ياخذهم على تخوف قال
ابن عباس ومجاهد وغيرهما اي على تنقص في اموالهم ومواشيهم وزروعهم وكذا قال ابن
الاعرابي على تنقص من الاموال والانفس والثمرات حتى اهلكهم الله كلهم وقال الضحاك من الخوف
المعنى ياخذ طائفة ويدع طائفة فتخاف الباقية ان ينزل بها ما نزل بصاحبتها وقال الحسن على
تخوف ان ياخذ القرية فتخاف القرية الاخرى وهذا هو معنى القول الذي قبله بعينه وهما
راجعان الى المعنى الاول وان التخوف التنقص تخوفه تنقصه وتخوفه الدهر وتحوفه بالواو والنون
بمعنى يقال تخوفني فلان حتى اذا تنقصك قال ذو الرمة لا بل هو الشوق من دار تخوفها مرا سحاب
ومرا بارح ترب وقال لبيد تخوفها نزولي وارتحالي اي تنقص لحمها وشحمها وقال الهيثم
بن عدي التخوف بالفاء التنقص لغة لازد شنوءة وانشد تخوف عدوهم مالي واهدى سلاسل
في العلوق لها صليل وقال سعيد بن المسيب بينا عمر بن الخطاب على المنبر قال يا ايها الناس
ما تقولون في قول الله عز وجل او ياخذهم على تخوف فسكت الناس فقال شيخ من بني هذيل هي
لغتنا يا امير المومنين التخوف التنقص فخرج رجل فقال يا فلان ما فعل دينك قال تخوفته
اي تنقصته فرجع فاخبرهم فقال عمر اتعرف العرب ذلك في اشعارهم قال نعم قال شاعرنا ابو كبير
الهذلي يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر يا ايها الناس عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فان فيه تفسير
كتابكم ومعاني كلامكم تمك السنام يتمك تمكا اي طال وارتفع فهو تامك والسفن والمسفن
ما يجرى به الخشب وقال الليث بن سعد على تخوف على عجل وقيل على تقريع بما قدموه من ذنوبهم
وهذا مروي عن ابن عباس ايضا وقال قتادة على تخوف ان يعاقب او يتجاوز فان ربكم لرؤوف
رحيم اي لا يعاجل بل يمهل قوله تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين

والشمائل سجدا لله وهم داخرون قرا حمزة والكسائي وخلف والاعمش تروا بالتاء على ان الخطاب لجميع الناس
الباقون بالياء خبرا عن الذين يمكرون السيئات وهو الاختيار من شيء من جسم قايم له ظل من شجرة او
جبل قاله ابن عباس وان كانت الاشياء كلها سميعة مطيعة لله تعالى يتفيؤ ظلاله قرا ابو عمرو
ويعقوب وغيرهما بالتاء لتانيث الظلال الباقون بالياء واختاره ابو عبيد اي يميل من جانب الى
جانب ويكون اول النهار على حال ويتقلص ثم يعود في اخر النهار على حالة اخرى فدورانها وميلانها
من موضع الى موضع سجودها ومنه قيل للظل بالعشي فيء لانه فاء من المغرب الى المشرق اي رجع والفيء
الرجوع ومنه حتى تفيء الى امر الله روي معنى هذا القول عن الضحاك وقتادة وغيرهما وقد مضى هذا
المعنى في سورة الرعد وقال الزجاج يعني بجرد الجسم وسجوده انقياده وما يرى فيه من اثر الصنعة
وهذا عام في كل جسم وهم داخرون اي خاضعون صاغرون والدخور الصغار والذل يقال دخر الرجل
بالفتح وهو داخر وادخره الله وقال ذو الرمة فلم يبق الا داخر في مخيس ومنجحر في غير ارضك في جحر
كذا نسبه الماوردي لذي الرمة ونسبه الجوهري للفرزدق وقال المخيس اسم حبس كان بالعراق
اي موضع التذلل وقال اما تراني كيسا مكيسا بنيت بعد نافع مخيسا ووحد اليمين في قوله عن
اليمين وجمع الشمايل لان معنى اليمين وان كان واحدا الجمع ولو قال عن الايمان والشمائل واليمين
والشمائل او اليمين والشمال او الايمان والشمال لجاز لان المعنى للكثرة وايضا من شان العرب اذا
اجتمعت علامتان في شيء واحد ان تجمع احداهما وتفرد الاخرى كقوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وكقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ولو قال على اسماعهم والى الانوار لجاز ويجوز ان يكون رد
اليمين على لفظ ما والشمايل على معناها ومثل هذا في الكلام كثير قال الشاعر الواردون وتيم
في ذرى سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس ولم يقل جلود وقيل وحد اليمين لان الشمس اذا طلعت
وانت متوجه الى القبلة انبسط الظل الى اليمين ثم في حال الى جهة الشمال ثم حالات فسماها
شمايل قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون
يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما
هو اله واحد فاياي فارهبون وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله
تتقون فما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ثم اذا كشف الضر عنكم
اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ويجعلون لما لا يعلمون
نصيبا مما رزقناهم تالله لتسالن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما
يشتهون واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر
به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل
السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله
يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون تالله
لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم
وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
قوله ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة اي من كل ما يدب على الارض والملائكة يعني
الملائكة الذين في الارض وانما افردهم بالذكر لاختصاصهم بشرف المنزلة فميزهم من صفة الدبيب
بالذكر وان دخلوا فيها كقوله فيهما فاكهة ونخل ورمان وقيل لخروجهم من جملة ما يدب لما

جعل الله لهم من الاجنحة فلم يدخلوا في الجملة فلذلك ذكروا وقيل اراد ولله يسجد ما في السموات
من الملائكة والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب وما في الارض من دابة ويسجد ملائكة الارض
وهم لا يستكبرون عن عبادة ربهم وهذا رد على قريش حيث زعموا ان الملائكة بنات الله ومعنى
يخافون ربهم من فوقهم اي عقاب ربهم وعذابه لان العذاب المهلك انما ينزل من السماء وقيل
المعنى يخافون قدرة ربهم التي هي فوق قدرتهم ففي الكلام حذف وقيل معنى يخافون ربهم من
فوقهم يعني الملائكة يخافون ربهم من فوقهم وهي من فوق ما في الارض ومع ذلك يخافون فلان
يخاف من دونهم اولى دليل هذا القول قوله ويفعلون ما يؤمرون يعني الملائكة قوله تعالى وقال
الله لا تتخذوا الهين اثنين قيل المعنى لا تتخذوا اثنين الهين وقيل جاء قوله اثنين توكيدا ولما
كان الاله الحق لا يتعدد وان كل من تعدد فليس باله اقتصر على ذكر الاثنين لانه قصد نفي التعدد
انما هو اله واحد يعني ذاته المقدسة وقد قام الدليل العقلي والشرعي على وحدانيته حسب ما تقدم
في البقرة بيانه وذكرناه في اسمه الواحد في شرح الاسماء فاياي فارهبون اي خافون وقد تقدم في
البقرة قوله تعالى وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا الدين الطاعة والاخلاص والواصب
معناه دايما قاله الفراء حكاه الجوهري وصب الشيء يصب وصوبا اي دام ووصب الرجل على الامر
اذا واظب عليه والمعنى طاعة الله واجبة ابدا وممن قال واصبا دايما الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك
ومنه قوله تعالى ولهم عذاب واصب اي دايم وقال الدؤلي لا ابتغي الحمد القليل بقاؤه يوما بذم يكون
الدهر اجمع واصبا وقيل الوصب التعب والاعياء اي تجب طاعة الله وان تعب العبد فيها ومنه
قول الشاعر لا يمسك الساق من اين ولا وصب ولا يعض على شرسوفه الصفر وقال ابن عباس واصبا
واجبا الفراء والكلبي خالصا افغير الله تتقون اي لا ينبغي ان تتقوا غير الله فغير نصب بتتقون قوله
تعالى وما بكم من نعمة فمن الله قال الفراء ما بمعنى الجزاء والباء في بكم متعلقة بفعل مضمر
تقديره وما يكن بكم من نعمة اي صحة جسم وسعة رزق ولذة فمن الله وما بكم من نعمة فمن الله
هي ثم اذا مسكم الضر اي السقم والبلاء والقحط فاليه تجارون اي تضجون بالدعاء يقال جار يجار
جؤارا والجؤار مثل الخوار يقال جار الثور يجار اي صاح وقرا بعضهم عجلا جسدا له جؤار حكاه الاخفش
وجار الرجل الى الله اي تضرع بالدعاء وقال الاعشى يصف بقرة وطافت ثلاثا بين يوم وليلة
وكان النكير ان تضيف وتجارا ثم اذا كشف الضر عنكم اي البلاء والسقم اذا فريق منكم بربهم يشركون
بعد ازالة البلاء وبعد الجؤار فمعنى الكلام التعجب من الاشراك بعد النجاة من الهلاك وهذا
المعنى مكرر في القران وقد تقدم في الانعام ويونس وياتي في سبحان وغيرها وقال الزجاج هذا خاص
بمن كفر ليكفروا بما اتيناهم اي ليجحدوا نعمة الله التي انعم بها عليهم من كشف الضر والبلاء اي اشركوا ليجحدوا
فاللام لام كي وقيل لام العاقبة وقيل ليكفروا اي ليجعلوا النعمة سببا للكفر وكل هذا فعل خبيث كما
قال والكفر مخبثة لنفس المنعم فتمتعوا امر تهديد وقرا عبد الله قل تمتعوا فسوف تعلمون اي
عاقبة امركم قوله تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم ذكر نوعا اخر من جهالتهم
وانهم يجعلون لما لا يعلمون انه يضر وينفع وهي الاصنام شيئا من اموالهم يتقربون به اليه
قال مجاهد وقتادة وغيرهما فيعلمون على هذا للمشركين وقيل هي للاوثان وجرى بالواو والنون
مجرى من يعقل فهو رد على ما ومفعول يعلم محذوف والتقدير ويجعل هؤلاء الكفار للاصنام التي
لا تعلم شيئا نصيبا وقد مضى في الانعام تفسير هذا المعنى في قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
ثم رجع من الخبر الى الخطاب فقال تالله لتسالن وهذا سؤال توبيخ عما كنتم تفترون اي تختلقون من

الكذب على الله انه امركم بهذا قوله تعالى ويجعلون لله البنات نزلت في خزاعة وكنانة فانهم زعموا
ان الملائكة بنات الله فكانوا يقولون الحقوا البنات بالبنات وموضع ما رفع بالابتداء والخبر لهم
وتم الكلام عند قوله سبحانه واجاز الفراء كونها نصبا على تقدير ويجعلون لهم ما يشتهون وانكره
الزجاج وقال العرب تستعمل في مثل هذا ويجعلون لانفسهم قوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى اي
اذا اخبر احدهم بولادة بنت ظل وجهه مسودا اي متغيرا وليس يريد السواد الذي هو ضد البياض
وانما هو كناية عن غمه بالبنت والعرب تقول لكل من لقي مكروها قد اسود وجهه غما وحزنا قاله
الزجاج وحكى الماوردي ان المراد سواد اللون قال وهو قول الجمهور وهو كظيم اي ممتلئ من الغم وقال
ابن عباس حزين وقال الاخفش هو الذي يكظم غيظه فلا يظهره وقيل انه المغموم الذي يطبق
فاه فلا يتكلم من الغم ماخوذ من الكظامة وهو سد فم القربة قاله علي بن عيسى وقد تقدم هذا
المعنى في سورة يوسف قوله تعالى يتوارى من القوم اي يختفي ويتغيب من سوء ما بشر به اي من
شدة الحزن والعار والحيا الذي يلحقه بسبب البنت ايمسكه ذكر الكناية لانه مردود على ما على
هون اي هوان وكذا قرا عيسى الثقفي على هوان والهون الهوان بلغة قريش قاله اليزيدي وحكاه
ابو عبيد عن الكسائي وقال الفراء هو القليل بلغة تميم وقال الكسائي هو البلاء والمشقة وقالت
الخنساء نهين النفوس وهون النفوس يوم الكريهة ابقى لها وقرا الاعمش ايمسكه على سوء ذكره النحاس
قال وقرا الجحدري ام يدسها في التراب فرده على قوله بالانثى ويلزمه ان يقرا ايمسكها وقيل يرجع
الهوان الى البنت اي ايمسكها وهي مهانة عنده وقيل يرجع الى المولود له اي ايمسكه على رغم انفه ام
يدسه في التراب وهو ما كانوا يفعلونه من دفن البنات حية قال قتادة كان مضر وخزاعة
يدفنون البنات احياء واشدهم في هذا تميم زعموا خوف القهر عليهم وطمع غير الاكفاء فيهن
وكان صعصعة بن ناجية عم الفرزدق اذا احس بشيء من ذلك وجه الى والد البنت ابلا
يستحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر وعمي الذي منع الوائدات فاحيا الوئيد فلم يوأد وقيل
دسها اخفاؤها من الناس حتى لا تعرف كالمدسوس في التراب لاخفائه عن الابصار وهذا محتمل
مسألة ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت جاءتني امراة ومعها ابنتان لها فسألتني
فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فاعطيتها اياها فاخذتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تاكل منها شيئا
ثم قامت فخرجت وابنتاها فدخل علي النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته حديثها فقال صلى الله عليه وسلم
من ابتلي من البنات بشيء فاحسن اليهن كن له سترا من النار ففي هذا الحديث ما يدل على
ان البنات بلية ثم اخبر ان في الصبر عليهن والاحسان اليهن ما يقي من النار وعن عائشة رضي
الله عنها انها قالت جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فاطعمتها ثلاث تمرات فاعطت كل
واحدة منهما تمرة ورفعت الى فيها تمرة لتاكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت
تريد ان تاكلها فاعجبني شانها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان
الله عز وجل قد اوجب لها بها الجنة واعتقها بها من النار وعن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من عال جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيمة انا وهو وضم اصابعه
خرجها ايضا مسلم رحمه الله وخرج ابراهيم الحافظ من حديث الاعمش عن ابي وائل عن عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له بنت فادبها فاحسن ادبها وعلمها فاحسن
تعليمها واسبغ عليها من نعم الله التي اسبغ عليه كانت له سترا وحجابا من النار وخطب الى
عقيل بن علفة ابنته الجرباء فقال اني وان سيق الي المهر الف وعبدان وخود عشر احب

اصهاري الى القبر وقال عبد الله بن طاهر لكل ابي بنت يراعي شؤونها ثلاثة اصهار اذا احد الصهر
فبعل يراعيها وخدر يكنها وقبر يواريها وخيرهم القبر الا ساء ما يحكمون اي في اضافة البنات الى
خالقهم واضافة البنين اليهم نظيره الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى اي جائرة وسيأتي
قوله تعالى للذين لا يؤمنون بالاخرة اي لهؤلاء الواصفين لله البنات مثل السوء اي صفة السوء
من الجهل والكفر وقيل هو وصفهم الله تعالى بالصاحبة والولد وقيل اي العذاب والنار ولله المثل الاعلى
اي الوصف الاعلى من الاخلاص والتوحيد قاله قتادة وقيل الصفة العليا فانه خالق رازق قادر
ومجازي وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة ان لا اله الا الله وقيل ليس كمثله
شيء وقيل المثل الاعلى كقوله الله نور السموات والارض مثل نوره فان قيل كيف اضاف المثل هنا
الى نفسه وقد قال فلا تضربوا لله الامثال فالجواب ان قوله فلا تضربوا لله الامثال اي الامثال
التي توجب الاشباه والنقائص اي لا تضربوا لله مثلا يقتضي نقصا وتشبيها بالخلق والمثل الاعلى
وصفه بما لا شبيه له ولا نظير جل وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وهو العزيز الحكيم
تقدم معناه قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم اي بكفرهم وافترائهم وعاجلهم ما ترك عليها
اي على الارض فهو كناية عن غير مذكور لكن دل عليه قوله من دابة فان الدابة لا تدب الا على
الارض والمعنى المراد من دابة كافرة فهو خاص وقيل المعنى انه لو اهلك الاباء بكفرهم لم يكن
الابناء وقيل المراد بالاية العموم اي لو اخذ الله الخلق بما كسبوا ما ترك على ظهر هذه الارض من
دابة من نبي ولا غيره وهذا قول الحسن وقال ابن مسعود وقرا هذه الاية لو يؤاخذ الله الخلائق
بذنوب المذنبين لاصاب العذاب جميع الخلق حتى الجعلان في جحرها ولامسك الامطار من السماء
والنبات من الارض فمات الدواب ولكن الله ياخذ بالعفو والفضل كما قال ويعفوا عن كثير فاذا
جاء اجلهم اي اجل موتهم ومنتهى اعمارهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقد تقدم فان قيل
فكيف يعم بالهلاك مع ان فيهم مؤمنا ليس بظالم قيل له يجعل هلاك الظالم انتقاما وجزاء وهلاك
المؤمن معوضا بثواب الاخرة وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا اراد الله بقوم عذابا اصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم وعن ام سلمة
وسئلت عن الجيش الذي يخسف به وكان ذلك في ايام ابن الزبير فقالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعوذ بالبيت عائذ فيبعث اليه بعث فاذا كانوا ببيداء من الارض خسف بهم فقلت يا
رسول الله وكيف بمن كان كارها قال يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيمة على نيته وقد اتينا
على هذا المعنى مجردا في كتاب التذكرة وتقدم في المائدة واخر الانعام ما فيه كفاية وقيل فاذا جاء
اجلهم اي فاذا جاءت القيمة والله اعلم قوله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون اي من البنات وتصف
السنتهم اي وتقول السنتهم الكذب ان لهم الحسنى قال مجاهد هو قولهم ان لهم البنين ولله البنات
الكذب مفعول تصف وان في محل نصب بدل من الكذب لانه بيان له وقيل الحسنى الجزاء الحسن
قاله الزجاج وقرا ابن عباس وابو العالية ومجاهد وابن محيصن الكذب برفع الكاف والذال
والباء نعتا للالسنة وكذا ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب والكذب جمع كذوب مثل رسول
ورسل وصبور وصبر وشكور وشكر لا رد لقولهم وتم الكلام اي ليس كما تزعمون جرم ان لهم النار
اي حقا ان لهم النار وقد تقدم مستوفى وانهم مفرطون اي متروكون منسيون في النار قاله
ابن الاعرابي وابو عبيدة والكسائي والفراء وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وقال ابن عباس وسعيد
بن جبير ايضا مبعدون قتادة والحسن معجلون الى النار مقدمون اليها والفارط الذي يتقدم الى

الماء ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم انا فرطكم الى الحوض اي متقدمكم وقال القطامي فاستعجلونا
وكانوا من صحابتنا كما تعجل فراط الوراد والفراط المتقدمون في طلب الماء والوراد المتاخرون
وقرا نافع في رواية ورش مفرطون بكسر الراء وتخفيفها وفي قراءة عبد الله بن مسعود وابن عباس
ومعناه مسرفون في الذنوب والمعصية اي افرطوا فيها يقال افرط فلان على فلان اذا اربى عليه
وقال له اكثر مما قال من الشر وقرا ابو جعفر القاري مفرطون بكسر الراء وتشديدها اي مضيعون
امر الله فهو من التفريط في الواجب قوله تعالى تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان
اعمالهم اي اعمالهم الخبيثة هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بان من تقدمه من الانبياء قد كفر
بهم قومهم فهو وليهم اي ناصرهم في الدنيا على زعمهم ولهم عذاب اليم في الاخرة وقيل فهو وليهم
اي بوليهم في النار يعني يوم القيمة هذا وليكم فاستنصروا به لينجيكم من العذاب على جهة التوبيخ لهم
قوله تعالى وما انزلنا عليك الكتاب اي القرآن الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه من الدين والاحكام
فيقوم الحجة عليهم ببيانك وعطف هدى ورحمة على موضع قوله لتبين لان محله نصب ومجاز
الكلام وما انزلنا عليك الكتاب الا تبيانا للناس وهدى ورشدا ورحمة لقوم يؤمنون قوله تعالى
والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون وان لكم
في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن
ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون
واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات
فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك
لاية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم
شيئا ان الله عليم قدير والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي
رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من انفسكم
ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون وبنعمة
الله يكفرون ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا
يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد
لله بل اكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على
مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم
قوله والله انزل من السماء اي السحاب ماء فاحيا به الارض بعد موتها عاد الكلام الى تعديد
النعم وبيان كمال القدرة ان في ذلك لاية اي دلالة على البعث وعلى وحدانيته اذ علموا ان معبودهم
لا يستطيع شيئا فتكون هذه الدلالة لقوم يسمعون عن الله تعالى بالقلوب لا بالاذان فانها لا
تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور قوله تعالى وان لكم في الانعام قد تقدم القول في
الانعام وهي هنا الاصناف الاربعة الابل والبقر والضان والمعز لعبرة اي دلالة على قدرة الله تعالى
ووحدانيته وعظمته والعبرة اصلها تمثيل الشيء بالشيء ليعرف حقيقته من طريق المشاكلة ومنه
فاعتبروا قال ابو بكر الوراق العبرة في الانعام تسخيرها لاربابها وطاعتها لهم وتمردك على ربك وخلافك
له ومن اعظم العبر بريء يحمل مدنسا الثانية قوله تعالى نسقيكم قراءة اهل المدينة وابن عامر وعاصم
في رواية ابي بكر بفتح النون من سقى يسقي وهي قراءة الكوفيين واهل مكة قيل هما لغتان وقال لبيد

سقى قومي بني مجد واسقى نميرا والقبايل من هلال وقيل يقال لما كان يرد اليه سقيته فاذا جعلت
له شربا او عرضته يشرب بفيه او بزرعه قلت اسقيته قاله ابن عزيز وقد تقدم وقرات فرقة يسقيكم
الله عز وجل والقراءة على القراءتين المتقدمتين بفتح النون لغة قريش وضمها لغة حمير الثالثة
قوله تعالى مما في بطونه اختلف الناس في الضمير من قوله في بطونه على ماذا يعود فقيل هو عايد الى
ما قبله وهو جمع المؤنث قال سيبويه العرب تخبر عن الانعام بخبر الواحد قال ابن العربي وما اراه
عول عليه الا من هذه الاية وهذا لا يشبه منصبه ولا يليق بادراكه وقيل لما كان لفظ الجمع
وهو اسم الجنس يذكر ويؤنث فيقال هو الانعام وهي الانعام جاز عود الضمير بالتذكير وقاله الزجاج
وقال الكسائي معناه مما في بطون ما ذكرناه فهو عايد على المذكور وقد قال الله تعالى انها
تذكرة فمن شاء ذكره وقال الشاعر مثل الفراخ نتفت حواصله ومثله كثير وقال الكسائي ايضا
مما في بطونه اي مما في بطون بعضه اذ الذكور لا البان لها وهذا الذي عول عليه ابو عبيدة وقال
الفراء الانعام والنعم واحد والنعم تذكر ولهذا تقول العرب هذه نعم وارد فرجع الضمير الى لفظ النعم
الذي هو بمعنى الانعام قال ابن العربي انما يرجع التذكير الى معنى الجمع ويأتي في سورة المؤمنين اعتبارا
لفظ الجماعة فقال نسقيكم مما في بطونها وهذا التاويل ينتظم المعنى انتظاما حسنا والتانيث باعتبار
لفظ الجماعة والتذكير باعتبار لفظ الجمع اكثر من رمل سونى ومنها بلفظين الرابعة استنبط بعض
العلماء الجلة وهو القاضي اسمعيل من عود هذا الضمير ان لبن الفحل يفيد التحريم وقال انما جيء به
مذكرا لانه راجع الى ذكر النعم لان اللبن للذكر محسوب ولذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم بان لبن
الفحل يحرم حين انكرته عايشة رضي الله عنها في حديث افلح اخي ابي القعيس فللمراة السقي وللرجل
اللقاح مجرى الاشتراك فيه بينهما وقد مضى القول في تحريم لبن الفحل في النساء والله اعلم الخامسة
قوله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا نبه على عظيم قدرته بخروج اللبن من بين الفرث
والدم والفرث الزبل الذي ينزل الى الكرش اذا اخرجت ما فيها والمعنى ان الطعام يكون فيه
ما في الكرش ويكون منه الدم ثم يخلص اللبن من الدم فاعلم الله سبحانه ان هذا اللبن يخرج من
بين ذلك وبين الدم في العروق وقال ابن عباس ان الدابة تاكل العلف فاذا استقر في
كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلط على هذه فيقسم
الدم ويجريه في العروق ويجري اللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو في الكرش حكمة بالغة فما تغني
النذر خالصا يريد من حمرة الدم وقذارة الفرث وقد جمعهما وعاء واحد وقال ابن بحر خالصا
بياضه قال النابغة بخالصة الاردان خضر المناكب اي بيض الاكمام وهذه قدرة لا تنبغي
الا للقايم على كل شيء بالمصلحة السادسة قال النقاش في هذا دليل على ان اللبن ليس بنجس
وقاله ايضا غيره واحتج بان قال كما يخرج اللبن من بين الفرث والدم سايغا كذلك يجوز
ان يخرج المني من مخرج البول طاهرا قال ابن العربي ان هذا الجهل عظيم واخذ شنيع اللبن جاء
الخبر عنه مجيء النعمة والمنة الصادرة عن القدرة ليكون عبرة فاقتضى ذلك كله وصف الخلوص
واللذة وليس المني من هذه الحالة حتى يكون ملحقا به ومقيسا عليه قلت قد يعارض
هذا واي منه عظيمة اعظم وارفع من خروج المني الذي يكون عنه الانسان المكرم وقد قال
تعالى يخرج من بين الصلب والترائب وقال والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من
ازواجكم بنين وحفدة وهذا غاية في الامتنان فان قيل انه يتنجس بخروجه في مجرى البول
قلنا هو ما اردناه فالنجاسة عارضة واصله طاهر وقد قيل ان مخرجه غير مخرج البول وخاصة

المراة فان مدخل الذكر منها ومخرج الولد غير مخرج البول على ما قاله العلماء وقد تقدم في البقرة فان قيل اصله دم فهو نجس قلنا ينتقض بالمسك فان اصله دم وهو طاهر وممن قال بطهارته الشافعي واحمد واسحق وابو ثور وغيرهم لحديث عايشة قالت كنت افركه من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم يابسا بظفري قال الشافعي فان لم يفرك فلا باس به وكان سعد بن ابي وقاص يفرك المني من ثوبه وقال ابن عباس هو كالنخامة امطه عنك باذخرة وامسحه بخرقة فان قيل فقد ثبت عن عايشة انها قالت كنت اغسل المني من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرج الى الصلاة في ذلك الثوب وانا انظر الى اثر الغسل فيه قلنا يحتمل ان يكون غسلت استقذارا كالاشياء التي تزال من الثوب لا لنجاسة ويكون هذا جمعا بين الاحاديث والله اعلم وقال مالك واصحابه والاوزاعي هو نجس وقال مالك غسل الاحتلام من الثوب امر واجب مجتمع عليه عندنا وهو قول الكوفيين وروي عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وجابر بن سمرة انهم غسلوه من ثيابهم واختلف فيه عن ابن عمر وعايشة وعلى هذين القولين في نجاسة المني وطهارته التابعون السابعة في هذه الاية دليل على جواز الانتفاع بالالبان من الشرب وغيره فاما لبن الميتة فلا يجوز الانتفاع به لانه مايع طاهر حصل في وعاء نجس وذلك ان ضرع الميتة نجس واللبن طاهر فاذا حلب صار ماخوذا من وعاء نجس فاما لبن المراة الميتة فاختلف اصحابنا فيه فمن قال ان الانسان طاهر حيا وميتا فهو طاهر ومن قال ينجس بالموت فهو نجس وعلى القولين جميعا تثبت الحرمة لان الصبي قد يتغذى به كما يتغذى من الحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرضاع ما انبت اللحم وانشز العظم ولم يخص وقد مضى في النساء الثامنة قوله تعالى سائغا اي لذيذا هينا لا يغص به من شربه يقال ساغ الشراب يسوغ سوغا اي سهل مدخله في الحلق واساغه شاربه وسغته انا اسوغه واسيغه يتعدى ولا يتعدى والاجود اسغته يقال اسغ لي غصتي اي امهلني ولا تعجلني وقال تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه والسواغ بكسر السين ما اسغت به غصتك فيقال الماء سواغ الغصص ومنه قول الكميت وكانت سواغا ان درت بغصه ويروى ان اللبن لم يشرق به احد قط وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم التاسعة في هذه الاية دليل على استعمال الحلاوة والاطعمة اللذيذة وتناولها ولا يقال ان ذلك يناقض الزهد او يباعده لكن اذا كان من وجهه ومن غير سرف ولا اكثار وقد تقدم هذا المعنى في المائدة وغيرها وفي الصحيح عن انس قال لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدحي هذا الشراب كله العسل والنبيذ واللبن والماء وقد كره بعض القراء اكل الفالوذج واللين من الطعام واباحه عامة العلماء وروي عن الحسن انه كان على مائدة ومعه مالك بن دينار فاتي بفالوذج فامتنع عن اكله فقال له الحسن كل فان عليك في الماء البارد اكثر من هذا العاشرة روى ابو داود وغيره عن ابن عباس قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبن فشرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اكل احدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه واطعمنا خيرا منه واذا سقي لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فانه ليس شيء يجزي عن الطعام والشراب الا اللبن قال علماؤنا وكيف لا يكون ذلك وهو اول ما يتغذى به الانسان وينمى به الجثث والابدان فهو قوت خلي عن المفاسد به قوام الاجسام وقد جعله الله تعالى علامة لجبريل على هداية هذه الامة التي هي خير الامم فقال في الصحيح فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة اما انك لو اخذت الخمر غوت امتك ثم ان في الدعاء بالزيادة منه الخصب وظهور الخيرات وكثرة البركات فهو مبارك كله

تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فيه مسئلتان الاولى قوله ومن ثمرات النخيل قال الطبري التقدير ومن ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون فحذف ما ودل على حذفه قوله منه وقيل المحذوف شيء والامر قريب وقيل معنى منه اي من المذكور فلا يكون في الكلام حذف وهو اولى ويجوز ان يكون قوله ومن ثمرات عطفا على الانعام اي ولكم من ثمرات النخيل والانعام والاعناب عبرة ويجوز ان يكون عطفا على مما اي ونسقيكم ايضا مشروبات من ثمرات الثانية قوله تعالى سكرا السكر ما يسكر هذا هو المشهور في اللغة قال ابن عباس نزلت هذه الاية قبل تحريم الخمر واراد بالسكر الخمر وبالرزق الحسن جميع ما يوكل ويشرب حلالا من هاتين الشجرتين وقال بهذا القول ابن جبير والنخعي والشعبي وابو ثور وقد قيل ان السكر الخل بلغة الحبشة والرزق الحسن الطعام وقيل السكر العصير الحلو الحلال وسمي سكرا لانه قد يصير مسكرا اذا بقي فاذا بلغ الاسكار حرم قال ابن العربي اسد هذه الاقوال قول ابن عباس ويخرج ذلك على احد معنيين اما ان يكون ذلك قبل تحريم الخمر واما ان يكون المعنى انعم الله عليكم بثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه ما حرم الله عليكم اعتداء منكم وما احل لكم اتفاقا وقصدا الى منفعة انفسكم والصحيح ان ذلك كان قبل تحريم الخمر فتكون منسوخة فان هذه الاية مكية باتفاق من العلماء وتحريم الخمر مدني قلت فعلى ان السكر الخل او العصير الحلو لا نسخ وتكون الاية محكمة وهو حسن قال ابن عباس الحبشة يسمون الخل السكر الا ان الجمهور على ان السكر الخمر منهم ابن مسعود وابن عمر وابو رزين والحسن ومجاهد وابن ابي ليلى والكلبي وغيرهم ممن تقدم ذكرهم كلهم قالوا السكر ما حرمه الله من ثمرتيهما وكذا قال اهل اللغة السكر اسم للخمر وما اسكر وانشدوا بئس الصحاة وبئس الشرب شربهم اذا جرى فيهم المزاء والسكر والرزق الحسن ما احله من ثمرتيهما وقيل ان قوله تتخذون منه سكرا خبر معناه الاستفهام بمعنى الانكار اي اتتخذون منه سكرا وتدعون رزقا حسنا الخل والزبيب والتمر كقوله افهم الخالدون اي افهم الخالدون والله اعلم وقال ابو عبيدة السكر الطعم يقال هذا سكر لك اي طعم وانشد جعلت عيب الاكرمين سكرا اي جعلت ذمهم طعما وهذا اختيار الطبري ان السكر ما يطعم من الطعام وحل شربه من ثمار النخيل والاعناب وهو الرزق الحسن فاللفظ مختلف والمعنى واحد مثل انما اشكو بثي وحزني الى الله وهذا حسن ولا نسخ الا ان الزجاج قال قول ابي عبيدة هذا لا يعرف واهل التفسير على خلافه ولا حجة له في البيت الذي انشده لان معناه عند غيره انه انها تتخمر بعيوب الناس وقال الحنفيون المراد بقوله سكرا ما لا يسكر من الانبذة والدليل عليه ان الله سبحانه امتن على عباده بما خلق لهم من ذلك ولا يقع الامتنان الا بمحلل فيكون ذلك دليلا على جواز شرب ما دون المسكر من النبيذ فاذا انتهى الى السكر لم يجز وعضدوا هذا من السنة بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حرم الله الخمر بعينها والسكر من غيرها وبما رواه عبد الملك بن نافع عن ابن عمر قال رايت رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الركن ودفع اليه القدح فرفعه الى فيه فوجده شديدا فرده على صاحبه فقال له رجل من القوم يا رسول الله احرام هو فقال علي بالرجل فاتي به فاخذ منه القدح ثم دعا بماء فصبه فيه ثم رفعه الى فيه فقطب ثم دعا بماء ايضا فصبه فيه ثم قال اذا اغتلمت عليكم هذه الاوعية فاكسروا متونها بالماء وروي انه عليه الصلاة والسلام كان ينبذ له فيشربه ذلك اليوم فاذا كان في اليوم الثاني او الثالث سقاه الخادم اذا تغير ولو كان حراما ما سقاه اياه قال الطحاوي وقد روى ابو عون الثقفي عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال حرمت الخمر بعينها القليل منها والكثير والسكر من كل شراب خرجه الدارقطني ففي هذا الحديث

وما كان مثله ان غير الخمر لم يحرم عينه كما حرمت الخمر بعينها فقالوا والخمر شراب العنب لا خلاف فيها
ومن حجتهم ايضا ما رواه شريك عن عبد الله ابو اسحق الهمداني عن عمرو بن ميمون قال قال عمر ابن الخطاب
انا ناكل لحوم هذه الابل وليس يقطعه في بطوننا الا النبيذ قال شريك ورايت الثوري يشرب النبيذ
في بيت حيثر زمانه بالدين معول فالجواب ما قولهم ان الله سبحانه امتن على عباده ولا يكون امتنانه
الا بالحل فصحيح بيد انه يحتمل ان يكون ذلك قبل تحريم الخمر كما بيناه فيكون منسوخا كما قدمناه فقال
ابن العربي ان قيل كيف ينسخ هذا وهو خبر والخبر لا يدخله النسخ قلنا هذا كلام من لم يتحقق الشريعة
وقد بينا ان الخبر اذا كان عن الموجود الحقيقي او عن اعطاء ثواب فضلا من الله فهو الذي لا يدخله
النسخ فاما اذا تضمن الخبر حكما شرعيا فالاحكام تتبدل وتنسخ جاءت بخبر او امر ولا يرجع النسخ الى
نفس اللفظ وانما يرجع الى ما تضمنه فاذا فهمتم هذا خرجتم عن الصنف الغبي الذي اخبر الله عن الكفار
فيه بقوله واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون
المعنى نعم جهلوا ان الرب يامر بما يشاء ويرفع من ذلك بعد ما يشاء وعنده ام الكتاب قلت
هذا تشنيع شنيع حتى يلحق فيه العلماء الاخيار في قصور الفهم بالكفار والمسئلة اصولية وهي ان
الاخبار عن الاحكام الشرعية هل يجوز نسخها ام لا اختلف في ذلك والصحيح جوازه بهذه الاية
وما كان مثلها ولان الخبر عن حكم مشروعية حكم ما يتضمن طلب ذلك المشروع وذلك الطلب هو
الحكم الشرعي الذي يستدل على نسخه والله اعلم واما ما ذكروا من الاحاديث فالاول والثاني
ضعيفان لانه قد روي عنه عليه الصلاة والسلام بالنقل الثابت انه قال كل شراب اسكر
فهو حرام وقال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام وقال ما اسكر قليله فكثيره حرام قال النسائي وهؤلاء
اهل الثبت والعدالة مشهورون بصحة النقل وعبد الملك لا يقوم مقام واحد منهم ولو عضده
من اشكاله جماعة وبالله التوفيق واما الثالث وان كان صحيحا فانه ما كان تبغيه للخادم
على انه مسكر وانما كان يبغيه لانه متغير الرائحة وكان صلى الله عليه وسلم يكره ان يوجد منه الرائحة
فلذلك لم يشربه ولذلك تحيل عليه ازواجه في عسل زينب بان قيل له انا نجد منك ريح مغافير
يعني ريحا منكرة فلم يشربه بعد وسياتي في التحريم واما حديث ابن عباس فقد روي عنه
خلاف ذلك من رواية عطا وطاوس ومجاهد انه قال ما اسكر كثيره فقليله حرام وروي عنه
قيس بن دينار وكذلك سائر في المسكرات قاله الدارقطني والحديث الاول رواه عنه عبد الله
بن شداد وقد خالفه الجماعة فسقط القول به مع ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم واما ما روي عن عمر
من قوله ليس يقطعه في بطوننا الا النبيذ يريد عن السكر بدليل ما ذكرنا وقد روى النسائي عن عتبة
بن فرقد قال كان النبيذ الذي يشربه عمر قد تخلل قال النسائي ومما يدل على صحة هذا حديث السايب
قال نا الحارث بن مسكين قراة عليه وانا اسمع عن ابن القاسم قال حدثني مالك عن ابن شهاب عن
السايب بن يزيد انه اخبره ان عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال اني وجدت من فلان ريح الشراب فزعم
انه شرب الطلاء وانا سائل عما يشرب فان كان مسكرا جلدته فجلده عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
الحد تاما وقد قال في خطبته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد ايها الناس فانه نزل تحريم
الخمر وهي من خمسة من العنب والعسل والتمر والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل وقد تقدم في المائدة
فان قيل فقد احل شربه ابراهيم النخعي وابو جعفر الطحاوي وكان امام اهل زمانه وكان الثوري يشربه قلنا
ذكر النسائي في كتابه ان اول من احل المسكر من الاشربة ابراهيم النخعي وهذه زلة من عالم وقد حذرنا
من زلة العالم ولا حجة في قول احد مع السنة وذكر النسائي ايضا عن ابن المبارك قال ما وجدت الرخصة

في السكر عن احد صحيحا الا عن ابراهيم قال ابو اسامة ما رايت احدا طلب للعلم من عبد الله بن المبارك الشامات
ومصر واليمن والحجاز واما الطحاوي وسفيان لو صح ذلك عنهما لم يحتج بهما على من خالفهما من الائمة
في تحريم المسكر مع ما ثبت من السنة على ان الطحاوي قد ذكر في كتابه الكبير الاختلاف خلاف ذلك
قال ابو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد قال ابو جعفر الطحاوي واتفقت الامة على ان عصير العنب
اذا اشتد وغلا وقذف بالزبد فهو خمر ومستحله كافر فاختلفوا في نقيع التمر اذا غلا واسكر قال فهذا
يدلك على حديث ابن ابي كثير عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخمر من هاتين الشجرتين النخلة
والعنب غير معمول به عندهم لانهم لو قبلوا الحديث لاكفروا مستحل نقيع التمر فثبت انه لم يدخل
في الخمر المحرمة غير عصير العنب الذي قد اشتد وبلغ ان يسكر قال ثم لا يخلو من ان يكون التحريم معلقا بها
فقط غير مقيس عليها غيرها او يجب القياس عليها فوجدناهم جميعا قد قاسوا عليها نقيع التمر اذا غلا واسكر
كثيره وكذلك نقيع الزبيب قال فوجب قياسا على ذلك ان يحرم كل ما اسكر من الاشربة قال وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل مسكر حرام واستغنى عن سنده لقبول الجميع له وانما الخلاف
بينهم في تاويله فقال بعضهم اراد به جنس ما يسكر فقال بعضهم اراد به ما يقع السكر عنده كما لا ٣
يسمى قاتلا الا مع وجود القتل قلت فهذا يدل على انه محرم عند الطحاوي لقوله فوجب قياسا
على ذلك ان يحرم كل ما اسكر من الاشربة وقد روى الدارقطني في سننه عن عايشة رضي الله عنها
قالت ان الله تعالى لم يحرم الخمر لاسمها وانما حرمها لعاقبتها فكل شراب يكون عاقبته كعاقبة
الخمر فهو حرام كتحريم الخمر قال ابن المنذر وجاء اهل المدينة باخبار معلولة واذا اختلف الناس
في الشيء وجب رد ذلك الى كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وما روي عن بعض التابعين
انه شرب الشراب الذي يسكر كثيره فللقوم ذنوب يستغفرون الله منها وليس يخلو ذلك من احد
معنيين اما مخطئ اخطا في التاويل على حديث سمعه او رجل اتى ذنبا لعله يكثر الاستغفار لله
تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم حجة الله على الاولين والاخرين من هذه الامة وقد قيل في تاويل
الاية انها انما ذكرت للاعتبار اي من قدر على خلق هذه الاشياء قادر على البعث وهذا الاعتبار
لا يختلف فان كانت الخمر حراما او حلالا فاتخاذ السكر لا يدل على التحريم وهو كما قال تعالى قل
فيهما اثم كبير ومنافع للناس والله اعلم قوله تعالى واوحى ربك الى النحل من الجبال بيوتا فيه ثلاث
مسائل الاولى قوله تعالى واوحى ربك الى النحل قد مضى القول في الوحي وانه قد يكون بمعنى الالهام
وهو ما يخلقه الله فيها من درك منافعها واجتناب مضارها وتدبير معاشها وقد اخبر عز وجل
بذلك عن الموات فقال تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها قال ابراهيم الحربي لله عز وجل في
الموات قدرة لم يدر ما هي لم ياتها رسول من عند الله ولكن الله تبارك وتعالى عرفها ذلك
اي الهمها ولا خلاف بين المتاولين ان الوحي هنا بمعنى الالهام وقرا يحيى بن وثاب الى النحل بفتح
الحاء وسمي نحلا لان الله تعالى نحله العسل الذي يخرج منه قاله الزجاج الجوهري والنحل والنحلة
يقع على الذكر والانثى حتى يقال يعسوب النحل والنحل يؤنث في لغة الحجاز وكل جمع ليس بينه وبين
واحده الا الهاء وروي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الذبان كلها في النار يجعلها الله عذابا لاهل النار الا النحل ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول
وروي عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النملة والنحلة والهدهد والصرد
خرجه ابو داود ايضا وسياتي في النمل ان شاء الله تعالى الثانية قوله تعالى ان اتخذي من الجبال
بيوتا ومن الشجر هذا اذا لم يكن لها مالك ومما يعرشون جعل الله تعالى بيوت النحل في هذه الانواع

اما في الجبال وكواها واما سجوف الاشجار واما مما يعرش ابن ادم من الاجباح والخلايا والحيطان وغيرها
ويعرش معناه هنا هيا واكثر ما يستعمل فيما يكون من اتقان الاغصان والخشب وترتيب ظلالها
ومنه العريش الذي صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ومن هذا لفظة العرش يقال عرش يعرش
ويعرش بكسر الراء وضمها وقرئ بهما قرا ابن عامر بالضم وسايرهم بالكسر واختلف في ذلك عن عاصم الثالثة
قال ابن العربي ومن عجيب ما خلق الله في النحل ان الهمها لاتخاذ بيوتها مسدسة فبذلك اتصلت حتى
صارت كالقطعة وذلك ان الاشكال من المثلث الى العشر اذا جمع كل واحد منها الى امثاله لم يتصل
وجاءت بينها فروج الا الشكل المسدس انه اذا جمع الى امثاله اتصل كانه كالقطعة الواحدة قوله تعالى
ثم كلي من كل الثمرات وذلك انها انما تاكل النوار من الاشجار فاسلكي سبل ربك ذللا اي طرق ربك
والسبل الطرق واضافها اليه لانه خالقها اي ادخلي طرق ربك لطلب الرزق في الجبال وخلال
الشجر ذللا جمع ذلول وهو المنقاد اي مطيعة مسخرة فذللا حال من النحل اي تنقاد وتذهب حيث شاء
صاحبها لانها تتبع اصحابها حيث ذهبوا قاله ابن زيد وقيل المراد بقوله ذللا السبل لقوله
مذلل طرقها سهلة للسلوك عليها واختاره الطبري وذلك حال من السبل واليعسوب سيد النحل
اذا وقف وقفت واذا سار سارت قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء
للناس فيه اربع مسائل الاولى قوله يخرج من بطونها شراب يعني العسل وجمهور الناس ان العسل
يخرج من افواه النحل وورد عن علي انه قال في محقرة للدنيا اشرف لباس ابن ادم فيها لعاب
دود واشرف شرابه رجيع نحلة فظاهر هذا انه من غير الفم وبالجملة فانه يخرج ولا ندري
من فيها او ٢ ولكن لا يتم صلاحه الا بحمي انفاسها وقد صنع ارسطاطاليس بيتا من زجاج لينظر
الى كيفية ما تصنع فابت ان تعمل حتى لطخت باطن الزجاج بالطين ذكره الغزنوي وقال من بطونها
لان استحالة الاطعمة لا يكون الا في البطن الثانية قوله تعالى مختلف الوانه يريد انواعه من الاحمر
والابيض والاصفر والجامد والسايل والام واحدة والاولاد مختلفون دليل على ان القدرة نوعته
بحسب تنويع الغذا كما يختلف طعمه بحسب اختلاف المراعي ومن هذا المعنى قول زينب للنبي
صلى الله عليه وسلم جرست نحلة العرفط حين شبهت المغافير الثالثة قوله تعالى فيه شفاء
للناس الضمير للعسل قاله الجمهور اي في العسل شفاء للناس وروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد
والضحاك والفراء وابن كيسان الضمير للقران اي في القران شفاء النحاس وهذا قول حسن اي
فيما قصصنا عليكم من الايات والبراهين شفاء للناس وقيل العسل فيه شفاء وهذا القول
بين ايضا لان اكثر الاشربة والمعجونات التي يتعالج بها اصلها من العسل قال القاضي ابو بكر بن العربي
من قال انه القران بعيد ما اراه يصح عنهم ولو صح نقلا لم يصح عقلا بان مساق الكلام كله
العسل ليس للقران فيه ذكر قال ابن عطية وذهب قوم من اهل الجهالة الى ان هذه الاية
يراد بها اهل البيت وبنو هاشم وانهم النحل وان الشراب القران وقد ذكر هذا بعضهم في مجلس
المنصور ابي جعفر العباسي فقال له رجل ممن حضر جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من
بطون بني هاشم فاضحك الحاضرين وبهت الاخر وظهرت سخافة قوله الرابعة اختلف العلماء
في قوله تعالى فيه شفاء للناس هل هو على عمومه ام لا فقالت طايفة هو على العموم في كل
حال ولكل احد فروي عن ابن عمر انه كان لا يشكو قرحة ولا شيئا الا جعل عليه عسلا حتى الدمل
اذا خرج عليه طلى عليه عسلا وحكى النقاش عن ابي وجرة انه كان يكتحل بالعسل ويستمشي بالعسل
ويتداوى بالعسل وروي ان عوف بن مالك الاشجعي مرض فقيل له الا نعالجك فقال ايتوني

بماء لان الله تعالى يقول ونزلنا من السماء ماء مباركا ثم قال ايتوني بعسل فان الله تعالى يقول
فيه شفاء للناس واتوني بزيت فان الله تعالى يقول من شجرة مباركة فجاؤه بذلك كله فخلطها
جميعا ثم شربه فبرا ومنهم من قال انه على العموم اذا خلط بالخل فيطبخ فياتي شرابا ينتفع به في كل حالة
من كل داء وقالت طائفة ان ذلك على الخصوص ولا يقتضي العموم في كل علة وفي كل انسان بل انه خبر
عن انه يشفي كما يشفي غيره من الادوية في بعض وعلى حال دون حال ففايدة الاية اخبار منه في انه
دواء لما كثر الشفاء به وصار خليطا ومعينا للادوية في الاشربة والمعاجين وليس هذا باول لفظ
خصص والقران مملوء منه ولغة العرب ياتي فيها العام كثيرا بمعنى الخاص والخاص بمعنى العام ومما يدل
على انه ليس على العموم ان شفاء ذكره في سياق الاثبات ولا عموم فيها باتفاق اهل اللسان ومحققي
اهل الاصول لكن قد حملته طايفة من اهل الصدق والعزم على العموم فكانوا يستشفون بالعسل
من كل الاوجاع والامراض وكانوا يشفون من عللهم ببركة القران وبصحة التصديق والايقان ابن
العربي ومن ضعفت نيته وغلبته على الدين عادته اخذه مفهوما على قول الاطباء والكل من حكم
الفعال لما يشاء الخامسة ان قال قايل قد راينا من ينفعه العسل ومن يضره فكيف يكون شفاء للناس
قيل له الماء حياة كل شيء وقد راينا من يقتله الماء اذا اخذه على ما يضاده من علة في البدن وقد
راينا شفاء العسل في اكثر هذه الاشربة قال معناه الزجاج وقد اتفق الاطباء عن بكرة ابيهم
على مدح عموم منفعة السكنجبين في كل مرض واصله العسل وكذلك ساير المعجونات على ان
النبي صلى الله عليه وسلم قد حسم داء الاشكال وازاح وجه الاجمال حين امر الذي يشتكي بطنه بشرب
العسل فلما اخبره بانه لم يزده الا استطلاقا امره بعود الشراب له فبرا وقال صدق الله وكذب
بطن اخيك السادسة اعترض بعض زنادقة الاطباء على هذا الحديث فقال قد اجمعت
الاطباء على ان العسل يسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فالجواب ان ذلك القول حق
في نفسه لمن حصل له التصديق بنبيه عليه الصلاة والسلام فاستعمله على الوجه الذي عينه
وفي المحل الذي امر بعقد نية وحسن طوية فانه يرى منفعته ويدرك بركته كما قد اتفق
لصاحب هذا العسل وغيره كما تقدم واما ما حكي من الاجماع فدليل على جهله بالنقل حيث لم يقيد
واطلق قال الامام ابو عبد الله المازري ينبغي ان يعلم ان الاسهال يعرض من ضروب كثيرة منها
الاسهال الحادث عن التخم والهيضات والاطبا مجمعون في مثل هذا على ان علاجه ان يترك الطبيعة
وفعلها وان احتاجت الى معين على الاسهال اعينت ما دامت القوة باقية فاما حبسها فضرر
فاذا وضح هذا قلنا فيمكن ان يكون ذلك الرجل اصابه الاسهال عن امتلاء وهيضة فامره النبي
صلى الله عليه وسلم فزاده الى ان فنيت المادة ووقف الاسهال فوافقه شرب العسل فاذا خرج
هذا عن صناعة الطب اذن ذلك بجهل المعترض لتلك الصناعة قال ولسنا نستظهر على قول نبينا
بان يصدقه الاطبا بل لو كذبوه لكذبناهم وصدقناه صلى الله عليه وسلم فان اوجدونا بالمشاهدة صحة
ما قالوه فيفتقر حينئذ الى تاويل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخريجه على ما يصح اذ قامت الدلالة
على انه لا يكذب انتهى السابعة في قوله تعالى فيه شفاء للناس دليل على جواز التعالج بشرب
الدواء وغير ذلك خلافا لمن كره ذلك من جلة العلماء وهو يرد على الصوفية الذين يزعمون
ان الولاية لا تتم الا اذا رضي بجميع ما نزل من البلاء ولا يجوز له مداواة ولا معنى لمن انكر ذلك
روى الصحيح عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لكل داء دواء فاذا اصيب دواء
الداء برا باذن الله وروى ابو داود والترمذي عن اسامة بن شريك قال قال الاعرابي يا رسول

الله الا نتداوى قال نعم يا عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء او دواء الا دواء واحدا
قالوا يا رسول الله وما هو قال الهرم لفظا وقال هذا حديث حسن صحيح وروي عن ابي خزامة عن ابيه
قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارايت رقى نسترقيها ودواء نتداوى
به وتقاة نتقيها هل يرد من قضاء الله شيئا قال هي من قدر الله قال حديث حسن ولا يعرف لابي خزامة
غير هذا الحديث وقال صلى الله عليه وسلم ان كان في شيء من ادويتكم خير ففي شرطة محجم او شربة من عسل
او لذعة بنار وما احب ان اكتوي خرجه الصحيح فالاحاديث في هذا الباب اكثر من ان تحصى وعلى اباحة
التداوي والاسترقا جمهور العلماء وروي ان ابن عمر اكتوى من اللقوة ورقي من العقرب وعن
ابن سيرين ان ابن عمر كان يسقي ولده الترياق وقال مالك لا باس بذلك واحتج من كره ذلك
بما رواه ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت امتي بعضها وقصصها الجنة كانوا
لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون قالوا فالواجب على المؤمن ان يترك
ذلك اعتصاما بالله وتوكلا عليه وثقة به وانقطاعا اليه فان الله تعالى قد علم ايام المرض
وايام الصحة فلو حرص الخلق على تقليل ذلك او زيادته ما قدروا قال الله سبحانه ما اصاب من
مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها وممن ذهب الى هذا جماعة من اهل الفضل
والاثر وهذا قول ابن مسعود وابي الدرداء رضوان الله عليهما دخل عثمان بن عفان على ابن مسعود
في مرضه الذي قبض فيه فقال له ما تشتكي قال ذنوبي قال فما تشتهي قال رحمة ربي قال الا ادعو
لك طبيبا قال الطبيب امرضني وذكر الحديث وسياتي بكماله في فضل الواقعة ان شاء الله تعالى
وذكر وكيع قال نا ابو هلال عن معاوية بن قرة قال مرض ابو الدرداء فعادوه وقالوا الا ندعو لك
طبيبا قال الطبيب اضجعني والى هذا ذهب الربيع بن خثيم وكره سعيد بن جبير الرقى وكان الحسن
يكره شرب الادوية كلها الا العسل واللبن واجاب الاولون عن الحديث بان لا حجة فيه لانه
يحتمل ان يكون قصد الى نوع من الكي مكروه بدليل كي النبي صلى الله عليه وسلم ابيا يوم الاحزاب على
الكحل لما رمي وقال الشفا في ثلاثة كما تقدم ويحتمل ان يكون قصد الى الرقى بما ليس في كتاب الله وقد
قال سبحانه وننزل من القران ما هو شفاء على ما ياتي بيانه ورقى الصحابة وامرهم بالرقية على ما
ياتي الثامنة ذهب مالك وجماعة اصحابه الى ان لا زكاة في العسل وان كان مطعوما مقتاتا
واختلف فيه قول الشافعي والذي قطع به في قوله الجديد انه لا زكاة فيه وقال ابو حنيفة بوجوب
زكاة العسل في قليله وكثيره لان النصاب عنده ليس بشرط وقال محمد بن الحسن لا شيء فيه حتى
يبلغ خمسة افراق والفرق ستة وثلاثة ارطال من ارطال العراق وقال ابو يوسف في كل عشرة
ازقاق زق متمسكا بما رواه الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في
العسل في كل عشرة ازقاق زق قال ابو عيسى في اسناده مقال ولا يصح عن النبي صلى الله عليه
وسلم في هذا الباب كبير شيء والعمل على هذا عند اكثر اهل العلم وبه يقول احمد واسحق وقال بعض
اهل العلم ليس في العسل شيء التاسعة قوله تعالى ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون اي
يعتبرون ومن العبرة في النحل بانصاف النظر والطاف الفكر في عجيب امرها فيشهد اليقين بان
ملهمها الصنعة اللطيفة في البنية الضعيفة وحذقها باحتيالها في تفاوت احوالها هو الله
سبحانه كما قال واوحى ربك الى النحل الاية ثم انها تاكل الحامض والمر والحلو والمالح والحشائش الضارة
فيجعله الله تعالى عسلا حلوا وشفاء وفي هذا دليل على قدرته قوله تعالى والله خلقكم ثم يتوفاكم
بين معناه ومنكم من يرد الى ارذل العمر يعني اردأه واوضعه وقيل الذي ينقص قوته وعقله

وبصره

وبصره الى الخرف ونحوه وقال ابن عباس يعني الى اسفل العمر يصير كالصبي الذي لا عقل له والمعنى متقارب
وفي صحيح البخاري عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ يقول اللهم اني اعوذ
بك من الكسل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك من الهرم واعوذ بك من البخل وفي حديث سعد بن
ابي وقاص واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر الحديث خرجه البخاري لكيلا يعلم بعد علم شيئا اي يرجع
الى حالة الطفولية فلا يعلم ما كان يعلم قبل من الامور لفرط الكبر وقد قيل ان هذا لا يكون للمؤمن لان
المؤمن لا ينزع منه علمه وقيل المعنى لكيلا يعمل بعد علم شيئا فعبر عن العمل بالعلم لافتقاره اليه لان
تاثير الكبر في عمله والمعنى المقصود الاحتجاج على منكري البعث ان الذي رده الى هذه الحال قادر
على ان يميته ثم يحييه قوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعل منكم غنيا وفقيرا
وحرا وعبدا فما الذين فضلوا اي في الرزق برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم اي لا يرد المولى على ما
ملكت يمينه مما رزق شيئا حتى يستوي المملوك والمالك وهذا مثل ضربه الله لعبدة الاوثان
اي اذا لم يكن عبيدكم معكم سواء فكيف تجعلون عبيدي معي سواء فلما لم يكن عبيدهم في اموالهم لم يجز
لهم ان يشاركوا الله تعالى في عبادة غيره من الاوثان والانصاب وغيرهما مما عبد كالملائكة والانبيا
وهم عبيده وخلقه حكى معناه الطبري وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم وعن ابن عباس
ايضا انها نزلت في نصارى نجران حين قالوا عيسى ابن الله فقال لهم الله فما الذين فضلوا برادي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم اي لا يرد المولى على ما ملكت يمينه مما رزق حتى يكون المولى والعبد في المال شرعا
سواء فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم فتجعلون لي ولدا من عبادي ونظيرها ضرب لكم مثلا
من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم على ما ياتي ودل هذا على ان العبد لا يملك
على ما ياتي انفا قوله تعالى والله جعل لكم من انفسكم ازواجا جعل بمعنى خلق وقد تقدم من انفسكم
ازواجا يعني ادم خلق منه حواء وقيل المعنى جعل من انفسكم اي من جنسكم ونوعكم وعلى خلقتكم كما قال
لقد جاءكم رسول من انفسكم اي من الادميين وفي هذا رد على العرب التي كانت تعتقد انها كانت تزوج
الجن وتباضعها حتى روي ان عمرو بن هند تزوج منهم غولا وكان يخبوها عن البرق لئلا تراه فتنفر
فلما كان في بعض الليالي لمع البرق وعاينته السعلاة فقالت عمرو ونفرت فلم يرها ابدا وهذا
من اكاذيبها وان كان جائزا في حكم الله وحكمته فهو رد على الفلاسفة الذين ينكرون وجود الجن
ويحيلون طعامهم ازواجا زوج الرجل هي ثانية فانه فرد فاذا انضافت اليه كانا زوجين وانما
جعلت الاضافة اليه دونها لانه اصلها كما تقدم قوله تعالى وجعل لكم من ازواجكم بنين
وحفدة فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى وجعل لكم من ازواجكم بنين ظاهر في تعديد النعمة
في الابناء ووجود الابناء يكون منهما معا ولكنه لما كان خلق المولود فيها وانفصاله عنها
اضيف اليها ولذلك تبعها في الرق والحرية وصار مثلها في المالية قال ابن العربي سمعت امام
الحنابلة بمدينة السلام ابا الوفا علي بن عقيل يقول انما تبع الولد الام في المالية وصار بحكمها
في الرق والحرية لانه انفصل عن الاب نطفة لا قيمة له ولا مالية فيه ولا منفعة وانما اكتسب
ما اكتسب بها ومنها فلاجل ذلك تبعها كما لو اكل رجل تمرا في ارض رجل وسقطت منه نواة
في الارض من يد الاكل فصارت نخلة فانها ملك صاحب الارض دون الاكل باجماع من الامة
لانها انفصلت عن الاكل ولا قيمة لها الثانية قوله تعالى وحفدة روى ابن القاسم عن مالك
قال وسالته عن قوله تعالى بنين وحفدة قال الحفدة الخدم والاعوان في قول وروى عن ابن
عباس في قوله تعالى وحفدة قال هم الاعوان من اعانك فقد حفدك قيل له فهل تعرف العرب

ذلك قال نعم وتقوله اوما سمعت قول الشاعر حفد الولايد حولهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال اي
ليس عن الخدمة والولايد الخدم الواحدة وليدة قال الاعشى كلفت مجهولها نوقا يمانية اذا الحداة على
اكسائها حفدوا وقال ابن عرفة الحفدة عند العرب الاعوان وكل من عمل عملا اطاع فيه وسارع فهو
حافد قال ومنه قولهم اليك نسعى ونحفد والحفدان السرعة قال ابو عبيد الحفد العمل والخدمة وقال
الخليل بن احمد الحفدة عند العرب الخدم وقاله مجاهد وقال الازهري قيل الحفدة اولاد الاولاد روي
عن ابن عباس وقيل الاختان قاله ابن مسعود وعلقمة وابو الضحى وسعيد بن جبير وابراهيم ومنه قول
الشاعر فلو ان نفسي طاوعتني لاصبحت لها حفد مما يعد كثير ولكنها نفس علي ابية عيوف
لاصهار اللئام قذور وروى زر عن عبد الله قال الحفدة الاصهار وقاله ابراهيم والمعنى متقارب قال
الاصمعي الختن من كان من قبل المراة مثل ابيها واخيها وما اشبههما الاصهار منهما جميعا يقال اصهر
فلان الى بني فلان وصاهر وقول عبد الله هم الاختان يحتمل المعنيين جميعا يجوز ان يكون اراد ابا
المراة وما اشبهه من اقربائها ويجوز ان يكون اراد وجعل لكم من ازواجكم بنين وبنات تزوجونهن
فيكون لكم بسببهن اختان قال عكرمة الحفدة من نفع الرجل من ولده واصله من حفد يحفد
بفتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل اذا اسرع في سيره كما قال كثير حفد الولايد بينهن البيت
ويقال حفدت واحفدت لغتان اذا خدمت ويقال حافد وحفد مثل خادم وخدم وحافد وحفدة
مثل كافر وكفرة قال المهدوي ومن جعل الحفدة الخدم جعله منقطعا مما قبله ينوي به التقديم
كانه قال جعل لكم حفدة ومن ازواجكم بنين قلت ما قاله الازهري ان الحفدة اولاد الاولاد
هو ظاهر القرآن بل نصه الا ترى انه قال وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة فجعل الحفدة
والبنين منهن وقال ابن العربي الاظهر عندي في قوله بنين وحفدة ان البنين اولاد الرجل
لصلبه والحفدة اولاد ولده وليس في قوة اللفظ اكثر ويكون تقدير الاية على هذا وجعل لكم
من ازواجكم بنين ومن البنين حفدة وقال معناه الحسن الثالثة اذا فرعنا على قول مجاهد
وابن عباس ومالك وعلماء اللغة في قولهم ان الحفدة الخدم والاعوان فقد خرجت خدمة
الولد والزوجة من القرآن بابدع بيان قاله ابن العربي روى البخاري وغيره عن سهل بن سعد
ابن ابي سعد الساعدي دعا النبي صلى الله عليه وسلم لعرسه فكانت امراته خادمهم الحديث
وقد تقدم في سورة هود وفي الصحيح عن عائشة قالت انا فتلت قلايد بدن النبي صلى الله
عليه وسلم بيدي الحديث ولهذا قال علماؤنا عليها ان تفرش الفراش وتطبخ القدور وتعلم
بدار بحسب حالها وعادة مثلها قال الله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها فكانه جمع لنا فيها
السكن والاستمتاع وضربا من الخدمة بحسب جري العادة الرابعة ويخدم الرجل امراته
فيما خف من الخدمة وهو قول مالك ويعينها لما روته عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يكون في مهنة اهله فاذا سمع الاذان خرج وفي اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يخصف
النعل ويقم البيت ويخيط الثوب وقالت عائشة وقد قيل لها ما كان يعمل رسول الله صلى
الله عليه وسلم في بيته قالت كان بشرا من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه والقسم
الخامسة وينفق على خادم واحدة وقيل على اكثر على قدر الثروة والمنزلة وهذا امر دائر
على العرف الذي هو اصل من اصول الشريعة فان شان الاعراب وسكان البوادي يخدمن
ازواجهن في استعذاب الماء وسياسة الدواب ونساء الحواضر يخدم المقل منهم زوجته فيما
خف ويعينها واما اهل الثروة فيخدمن ازواجهن ويترفهن معهم اذا كان لهم منصب ذلك فان

كان امرا مشكلا شرطت عليه الزوجة ذلك فيشهد انه قد عرف انها ممن لا تخدم نفسها فالزم اخدامها فينفذ
ذلك وينقطع الدعوى فيه قوله تعالى ورزقكم من الطيبات اي من الثمار والحبوب والحيوان افبالباطل
يؤمنون يعني الاصنام قاله ابن عباس يؤمنون قراءة الجمهور بالياء وقرا ابو عبد الرحمن بالتاء وبنعمة
الله اي بالاسلام هم يكفرون قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات
يعني المطر والارض يعني النبات شيئا قال الاخفش هو بدل من الرزق وقال الفراء هو منصوب بايقاع
الرزق عليه اي يعبدون ما لا يملك ان يرزقهم شيئا ولا يستطيعون اي لا يقدرون على شيء يعني
الاصنام فلا تضربوا لله الامثال اي لا تشبهوا به هذه الجمادات لانه واحد قادر لا مثل له وقد تقدم
قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى ضرب الله
مثلا نبه تعالى على ضلالة المشركين وهو منتظم بما قبله من ذكر نعم الله عليهم وعدم مثل ذلك
من الهتهم ضرب الله مثلا اي بين شبها ثم ذكر ذلك فقال عبدا مملوكا لا يستوي عندكم عبد مملوك
لا يقدر على امره على شيء ورجل اخر قد رزق رزقا حسنا فكذلك انا وهذه الاصنام فالذي
هو مثال في هذه الاية هو عبد بهذه الصفة لا يقدر على شيء من المال ولا من امر نفسه وانما
هو مسخر بارادة سيده ولا يلزم من الاية ان العبيد كلهم بهذه الصفة فان النكرة في الاثبات
لا تقتضي الشمول عند اهل اللسان كما تقدم وانما تفيد واحدا فاذا كانت بعد امر او نهي او مضافة
الى مصدر كانت للعموم الشيوعي كقوله اعتق رجلا ولا تهن رجلا والمصدر كاعتاق رقبة فاي رجل
اعتق فقد خرج عن عهدة الخطاب ويصح منه الاستثناء وقال قتادة هذا المثل للمؤمن والكافر
فذهب قتادة الى ان العبد المملوك هو الكافر لانه لا ينتفع في الاخرة بشيء من عبادته والى ان
معنى ومن رزقناه منا رزقا حسنا المؤمن والاول عليه الجمهور من اهل التاويل قال الاصم
المراد بالعبد المملوك الذي ربما يكون له اشد من مولاه امرا وانضر وجها وهو لسيده ذليل لا
على ما اذن له فيه فقال الله تعالى ضربا للمثال اي فاذا كان هذا شانكم وشان عبيدكم كيف
جعلتم احجارا امواتا شركا لله في خلقه وعبادته وهي لا تعقل ولا تسمع الثانية فهم المسلمون
من هذه الاية ومما قبلها نقصان رتبة العبد عن الحر في الملك وانه لا يملك شيئا فان ملك
قال اهل العراق الرق ينافي الملك فلا يملك شيئا البتة بحال وهو قول الشافعي في الجديد وبه
قال الحسن وابن سيرين ومنهم من قال يملك الا انه ناقص الملك لان لسيده ان ينتزعه منه
اي وقت شاء وهو قول مالك ومن تبعه وبه قال الشافعي في القديم وهو قول اهل الظاهر
ولهذا قال اصحابنا لا يجب عليه عبادة الاموال من زكاة وكفارات ولا من عبادات الابدان ما
يقطعه عن خدمة سيده كالحج والجهاد وغير ذلك وفائدة هذه المسالة ان سيده لو
ملكه جارية كان له ان يطاها بملك اليمين ولو ملك اربعين من الغنم فحال عليها الحول لم يجب
على السيد زكاتها لانها ملك غيره ولا على العبد لان ملكه غير مستقر والعراقي يقول لا يجوز له
ان يطا الجارية والزكاة في النصاب واجبة على السيد كما كان ودلايل هذه المسالة للفريقين
في كتب الخلاف وادل دليل لنا قوله تعالى الذي خلقكم ثم رزقكم سوى بين الحر والعبد في
الرزق والخلق وقال عليه الصلاة والسلام من اعتق عبدا وله مال فاضاف المال اليه وكان
ابن عمر يرى عبده يتسرى في ماله فلا يعيب عليه ذلك وروي عن ابن عباس ان عبدا له طلق
امراته طلقتين فامره ان يرتجعها بملك اليمين فهذا دليل على انه يملك ما بيده ويفعل فيه
ما يفعل المالك في ملكه ما لم ينتزعه سيده الثالثة وقد استدل بعض العلماء بهذه الاية

على ان طلاق العبد بيد سيده وعلى ان بيع الامة طلاقها معولا على قوله تعالى لا يقدر على شيء قال
فظاهره يفيد انه لا يقدر على شيء اصلا لا على الملك ولا على غيره فهو على عمومه الا ان يدل دليل
على خلافه وفيما ذكرناه عن ابن عمر وابن عباس ما يدل على التخصيص الرابعة قال ابو منصور في
عقيدته الرزق ما يقع الاغتذاء به وهذه الاية ترد على التخصيص وكذلك قوله تعالى ومما
رزقناهم ينفقون وانفقوا مما رزقناكم وغير ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت
ظل رمحي وقوله ارزاق امتي في سنابك خيلها واسنة رماحها فالغنيمة كلها رزق وكلما صح
به الانتفاع فهو رزق وهو مراتب اعلاها ما يغذي وقد حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجوه الانتفاع في قوله يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست
فابليت او تصدقت فامضيت وفي معنى اللباس يدخل الركوب وغير ذلك وفي السنة المحدثين
السماع رزق يعنون سماع الحديث وهو صحيح الخامسة قوله تعالى ومن رزقناه منا رزقا حسنا
هو المؤمن يطيع الله في نفسه وماله والكافر لما لم ينفق في الطاعة صار كالعبد الذي لا يملك
شيئا هل يستوون اي لا يستوون ولم يقل يستويان لمكان من لانه اسم مبهم يصلح للواحد والاثنين
والجمع والمذكر والمؤنث وقيل ان عبدا مملوكا ومن رزقناه اريد بهما الشيوع في الجنس الحمد لله
بل اكثرهم لا يعلمون وذلك ان اكثرهم المشركون قوله تعالى وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم هذا
مثل آخر ضربه الله تعالى لنفسه وللوثن فالابكم الذي لا يقدر على شيء هو الوثن والذي يامر
بالعدل هو يريد الجمع الله تعالى قاله قتادة وغيره وقال ابن عباس الابكم عبد كان لعثمان
رضي الله عنه وكان يعرض عليه الاسلام فيابى ومن يامر بالعدل عثمان وعنه ايضا انه مثل لابي
بكر الصديق رضي الله عنه ومولى له كافر وقيل الابكم ابو جهل والذي يامر بالعدل عمار بن ياسر
العنسي وعنس بالنون حي من مذحج وكان حليفا لبني مخزوم رهط ابي جهل وكان ابو جهل يعذبه
على الاسلام ويعذب امه سمية وكانت مولاة لابي جهل وقال لها ذات يوم انما امنت بمحمد
لانك تحبينه لجماله ثم طعنها بالرمح في قبلها فماتت فهي اول شهيد مات في الاسلام رحمها الله
من كتاب النقاش وغيره وسياتي هذا في اية الاكراه مبينا ان شاء الله تعالى وقال عطا
الابكم هو ابي بن خلف كان لا ينطق بخير وهو كل على مولاه اي قومه لانه كان يؤذيهم ويؤذي عثمان
ابن مظعون وقال المقاتل نزلت في هاشم بن عمرو بن الحارث كان كافرا قليل الخير يعادي النبي صلى الله
عليه وسلم وقيل ان الابكم الكافر والذي يامر بالعدل المؤمن جملة بجملة روي عن ابن عباس وهو
حسن لانه يعم والابكم الذي لا نطق له وقيل الذي لا يسمع ولا يبصر وفي التفسير ان الابكم هو الوثن
بين انه لا قدرة له ولا امر وان غيره ينقله وينحته فهو كل عليه والله الامر بالعدل الغالب على
كل شيء وقيل معنى وهو كل على مولاه اي ثقل على وليه وقرابته ووبال على صاحبه وابن عمه وقد
يسمى اليتيم كلا لثقله على من يكفله ومنه قول الشاعر اكول لمال الكل قبل شبابه اذا كان
عظم الكل غير شديد والكل ايضا الذي لا ولد له ولا والد والكل العيال والجمع الكلول يقال منه
كل السكين يكل كلا اي غلظت شفرته فلم يقطع اينما يوجهه لا يات بخير قرا الجمهور يوجهه وهي خط
المصحف اي اينما يرسله صاحبه لا يات بخير لانه لا يعرف ولا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه وقرا
يحيى بن وثاب اينما يوجه على الفعل المجهول وروي عن ابن مسعود وعن ابن مسعود ايضا اينما
توجهه على الخطاب هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم اي هل يستوي هذا
الابكم ومن يامر بالعدل على الصراط المستقيم قوله تعالى ولله غيب السموات والارض وما امر

الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شيء قدير والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون
شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون الم يروا الى الطير مسخرات في جو
السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا
وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها
واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل
لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك
البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون ويوم نبعث من كل امة
شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف
عنهم ولا هم ينظرون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا
من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا
يفترون الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين قوله ولله غيب السموات والارض تقدم
معناه وهذا متصل بقوله ان الله يعلم وانتم لا تعلمون اي شرع التحليل والتحريم يحسن ممن يحيط
بالعواقب والمصالح وانتم ايها المشركون لا تحيطون بها فلم تتحكمون وما امر الساعة الا كلمح البصر
وتجازون فيها باعمالكم والساعة هي الوقت الذي تقوم فيه القيمة سميت ساعة لانها تفجا الناس
في ساعة فيموت الخلق بصيحة واللمح النظر بسرعة يقال لمحه لمحا ولمحانا ووجه التاويل ان الساعة
لما كانت اتية ولا بد جعلت من القرب كلمح البصر وقال الزجاج لم يرد ان الساعة تاتي في لمح البصر
وانما وصف سرعة القدرة على الاتيان بها اي يقول للشيء كن فيكون وقيل انما مثل بلمح البصر لانه
يلمح السماء مع ما هي عليه من البعد من الارض وقيل هو تمثيل للتقريب كما يقول القايل ما السنة الا
لحظة وشبهه وقيل المعنى هو عند الله كذلك لا عند المخلوقين دليله قوله انهم يرونه
بعيدا ونراه قريبا او هو اقرب ليس او للشك بل للتمثيل بايهما اراد الممثل وقيل دخلت لشك
المخاطب وقيل او بمنزلة بل ان الله على كل شيء قدير تقدم قوله تعالى والله اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيئا ذكر ان من نعمه ان اخرجكم من بطون امهاتكم اطفالا لا علم لكم بشيء وفيه
ثلاثة اقاويل احدها لا تعلمون شيئا مما اخذ عليكم من الميثاق في اصلاب ابائكم الثاني لا تعلمون
شيئا مما قضي عليكم من السعادة والشقاوة الثالث لا تعلمون شيئا من منافعكم وتم الكلام
ثم ابتدا فقال وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اي التي تعلمون بها وتدركون لان الله
جعل ذلك لعباده قبل اخراجهم من البطون وانما اعطاهم ذلك بعد ما اخرجهم اي وجعل
لكم السمع لتسمعوا به الامر والنهي والابصار لتبصروا بها اثار صنعه والافئدة لتصلوا به الى
معرفته والافئدة جمع الفؤاد نحو غراب واغربة وقد قيل في ضمن قوله وجعل لكم السمع اثبات
النطق لان من لم يسمع لم يتكلم واذا وجدت حاسة السمع وجد النطق وقرا الاعمش وابن وثاب
وحمزة امهاتكم هنا وفي النور والزمر والنجم بكسر الهمزة والميم واما الكسائي فكسر الهمزة وفتح الميم
وانما كان هذا للاتباع الباقون بضم الهمزة وفتح الميم على الاصل واصل الامهات امات
فزيدت الهاء تاكيدا كما زادوها في اهرقت الماء واصله ارقت وقد تقدم هذا المعنى في
الفاتحة لعلكم تشكرون فيه تاويلات احدهما تشكرون نعمه الثاني يعني تبصرون اثار

صنعته لان ابصارها يؤدي الى الشكر قوله تعالى الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله
قرا يحيى بن وثاب والاعمش وابن عامر وحمزة ويعقوب تروا بالتاء على الخطاب واختاره ابو عبيد الباقون
بالياء على الخبر مسخرات مذللات لمنافعكم في جو السماء الجو ما بين السماء والارض واضاف الجو الى السماء
لارتفاعه عن الارض وفي قوله مسخرات دليل على مسخر سخرها ومدبر مكنها من التصرف ما يمسكهن
الا الله في حال القبض والبسط والاصطفاف بين لهم كيف يعتبرون بها على وحدانيته ان في ذلك لايات
اي علامات وعبرا ودلالات لقوم يؤمنون بالله وما جاءت به رسله قوله تعالى والله جعل لكم
من بيوتكم سكنا الى قوله الى حين فيه عشر مسائل الاولى قوله تعالى جعل معناه صير وكل ما علاك فاظلك
فهو سقف وسماء وكل ما اقلك فهو ارض وكل ما استرك من جهاتك الاربع فهو جدار فاذا انتظمت
واتصلت فهي بيت وهذه الاية فيها تعديد لنعمة الله تعالى على الناس في البيوت فذكر اولا بيوت
المدن وهي التي للاقامة الطويلة وهو قوله سكنا اي تسكنون فيها وتهدا جوارحكم من الحركة وقد تتحرك
فيه وتسكن في غيره الا ان القول خرج على الغالب وعد هذا من جملة النعم فانه لو شاء خلق العبد
مضطربا ابدا كالافلاك لكان كما خلق واراد ولو خلقه كالارض لكان كما خلق واراد ولكنه اوجده
خلقا مضطرب الوجهين ويختلف حاله بين الحالتين وردده كيف واين والسكن يوصف به الواحد
والجمع ثم ذكر تعالى بيوت النقلة والرحلة وهي الثانية فقال وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
تستخفونها من الانطاع والادم بيوتا يعني الخيام والقباب يخف عليكم حملها في الاسفار يوم ظعنكم
الظعن سير البادية في الانتجاع والتحول من موضع الى موضع ومنه قول عنترة ظعن الذين فراقهم
اتوقع وجرى بينهم الغراب الابقع والظعن الهودج ايضا قال الا هل هاجك الاظعان اذ بانوا واذ
جادت بوشك البين غربان وقرئ باسكان العين وفتحها كالشعر والشعر وقيل يحتمل ان يعم به
بيوت الادم وبيوت الشعر وبيوت الصوف لان هذه من الجلود لكونها نابتة فيها نحا الى ذلك
ابن سلام وهو احتمال حسن ويكون قوله ومن اصوافها ابتداء كلام كانه قال جعل اثاثا يريد الملابس
والوطاء وغير ذلك قال الشاعر اهاجتك الظعائن يوم بانوا بذي الزي الجميل من الاثاث
ويحتمل ان يريد بقوله من جلود الانعام بيوت الادم فقط كما قدمناه اولا ويكون قوله ومن اصوافها
عطفا على قوله من جلود الانعام بيوتا ايضا قال ابن العربي وهذا امر انتشر في تلك الديار وعزبت
عنه بلادنا فلا تضرب الاخبية عندنا الا من الكتان والصوف وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم
قبة من ادم وناهيك من ادم علا واعتلا في الصفة وحسنا في البشرة ولم يعد ذلك صلى الله عليه
وسلم ترفها ولا راه سرفا لانه مما امتن الله سبحانه من نعمه واذن فيه من متاعه وظهرت وجوه
منفعته في الاكتنان والاستظلال الذي لا يقدر على الخروج منه جنس الانسان ومن غريب ما
جرى لي انني زرت بعض المتزهدين من الغافلين مع بعض المحدثين فدخلنا عليه في خباء كان
فعرض عليه صاحبي المحدث ان يحمله الى منزله ضيفا وقال ان هذا موضع يكثر فيه الحر والبيت
ارفق بك واطيب لنفسي فيك فقال هذا الخباء لنا كثير وكان في صنعنا من الحقير فقلت ليس كما زعمت
كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الزهاد قبة من ادم الطائف يسافر معها ويستظل بها
فبهت ورايته على منزلة من العي فتركته مع صاحبي وخرجت عنه الرابعة قوله تعالى ومن
اصوافها واوبارها واشعارها اذن الله سبحانه في الانتفاع بصوف الغنم ووبر الابل وشعر
المعز كما اذن في الاعظم وهو ذبحها واكل لحومها ولم يذكر القطن والكتان لانه لم يكن في
بلاد العرب المخاطبين به وانما عدد عليهم ما انعم الله به عليهم وخوطبوا فيما عرفوا بما فهموا وما

قام مقام

قام مقام هذه وناب منابها فيدخل في الاستعمال والنعمة مدخلها وهذا كقوله تعالى وينزل من السماء من
جبال فيها من برد فخاطبهم بالبرد لانهم كانوا يعرفون نزوله كثيرا عندهم وسكت عن ذكر الثلج لانه لم يكن
في بلادهم وهو مثله في الصفة وفي المنفعة وقد ذكرهما النبي صلى الله عليه وسلم معا في التطهير فقال اللهم اغسلني
بماء وثلج وبرد قال ابن عباس الثلج شيء ابيض ينزل من السماء وما رايته قط وقيل ان ترك ذكر القطن
والكتان انما كان اعراضا عن الترف اذ لبس عباد الله الصالحين انما هو الصوف وهذا فيه نظر فانه سبحانه
يقول يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم حسب ما تقدم بيانه في الاعراف وقال هنا وجعل
لكم سرابيل فاشار الى القطن والكتان في لفظة السرابيل والله اعلم قال الخليل متاعا منضما بعضه الى
بعض من اث اذا كثر قال وفرع يزين المتن اسود فاحم اثيث كقنو النخلة المتعثكل ابن عباس اثاثا
وقد تقدم وتضمنت هذه الاية جواز الانتفاع بالصوف والشعر على كل حال ويغسل مخافة ان يكون علق
به وسخ وكذلك روت ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا باس بمسك الميتة اذا دبغ وشعرها
وصوفها اذا غسل ولانه مما لا يحله الموت وسواء كان شعر ما يؤكل لحمه او لا كشعر ابن ادم والخنزير فانه
طاهر كله وبه قال ابو حنيفة ولكنه زاد عليه فقال القرن والسن والعظم مثل الشعر قال لان هذه الاشياء
كلها لا روح فيها فلا تنجس بموت الحيوان وقال الحسن البصري والليث بن سعد والاوزاعي ان الشعور
كلها نجسة تطهر بالغسل وعن الشافعي ثلاث روايات الاولى طاهرة لا تنجس بالموت الثانية تنجس
الثالثة الفرق بين شعر ابن ادم وغيره فشعر ابن ادم طاهر وما عداه نجس ودليلنا عموم قوله تعالى
ومن اصوافها الاية فمن علينا بان جعل لنا الانتفاع بها ولم يخص شعر الميتة من المذكاة فهو عموم الا
ان يمنع منه دليل وايضا فان الاصل كونها طاهرة قبل الموت باجماع فمن زعم انه انتقل الى نجاسة
فعليه الدليل فان قيل قوله حرمت عليكم الميتة وذلك عبارة عن الجملة قلنا نخصه بما ذكرنا
فانه منصوص عليه في ذكر الصوف وليس في دليلكم ذكره صريحا فكان دليلنا اولى والله اعلم
وقد عول الامام ابو اسحق امام الشافعية ببغداد على ان الشعر جزء متصل بالحيوان خلقة فهو ينمي بنمائه
ويتنجس بموته كسائر الاجزاء واجيب بان النماء المتصل لها على الحيوان عولنا نحن على التي تدل على
عدم الاحساس الذي يدل على عدم الحياة واما ما ذكره الحنفيون في العظم والسن والقرن انه مثل
الشعر فالمشهور عندنا ان ذلك نجس كاللحم وقال ابن وهب مثل قول ابي حنيفة ولنا قول ثالث هل
يلحق اطراف القرون والاظلاف باصولها او بالشعر قولان وكذلك الشعر من الريش حكمه حكم الشعر والعظم
منه حكمه حكمه ودليلنا قوله صلى الله عليه وسلم لا تنتفعوا من الميتة بشيء وهذا عام فيها وفي كل جزء
منها الا ما قام دليله ومن الدليل القاطع على ذلك قوله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم وقال
وانظر الى العظام كيف ننشزها وقال فكسونا العظام لحما وقال ائذا كنا عظاما نخرة فالاصل هي
العظام والروح والحياة فيها كما في اللحم والجلد وفي حديث عبد الله بن حكيم لا تنتفعوا من الميتة
باهاب ولا عصب فان قيل قد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في شاة ميمونة الا
انتفعتم بجلدها قالوا يا رسول الله انها ميتة فقال انما حرم اكلها والعظم لا يؤكل قلنا العظم يؤكل
وخاصة عظم الجمل الرضيع والجدي والطير وعظم الكبير يشوى ويؤكل وما ذكرناه قبل يدل على
وجود الحياة فيه وما كان طاهرا بالحياة ويستباح بالذكاة ينجس بالموت والله اعلم الخامسة
قوله تعالى من جلود الانعام عام في جلد الحي والميت فيجوز الانتفاع بجلود الميتة وان لم تدبغ
وبه قال ابن شهاب الزهري والليث بن سعد قال الطحاوي لم نجده عن واحد من الفقهاء جواز بيع
جلد الميتة قبل الدباغ الا عن الليث قال ابو عمر يعني من الفقهاء ائمة الفتوى بالامصار بعد التابعين

اما ابن شهاب فذلك عنه صحيح وهو قول اباه جمهور اهل العلم وقد روي عنهما خلاف هذا القول والاول اشهر
الثالثة اختلف العلماء في جلد الميتة اذا دبغ هل يطهر ام لا فذكر ابن عبد الحكم عن مالك ما يشبه مذهب
ابن شهاب في ذلك وذكره ابن خويزمنداد في كتابه عن ابن عبد الحكم ايضا قال ابن خويزمنداد وهو
قول الزهري والليث قال والظاهر من مذهب مالك ما ذكره ابن عبد الحكم وهو ان الدباغ لا يطهر جلد
الميتة ولكن يبيح الانتفاع به في الاشياء اليابسة ولا يصلى عليه ولا يوكل فيه وفي المدونة لابن
القاسم من اغتصب جلد ميتة غير مدبوغ فاتلفه كان عليه قيمته وحكي ان ذلك قول مالك وذكر
ابو الفرج ان مالكا قال من اغتصب لرجل جلد ميتة غير مدبوغ فلا شي عليه قال اسمعيل الا ان يكون
لمجوسي وروي ابن وهب وابن عبد الحكم عن مالك جواز بيعه وهذا في كل جلد ميتة الا الخنزير وحده
لان الذكاة لا تعمل فيه فالدباغ اولى قال ابو عمر وكل جلد ذكي فجايز استعماله للوضوء وغيره وكان
مالك يكره الوضوء في اناء جلد الميتة بعد الدباغ على اختلاف من قوله ومرة قال انه لم يكرهه الا في
خاصة نفسه وتكره الصلاة عليه وبيعه وتابعه على ذلك جماعة من اصحابه واما اكثر المدنيين
فعلى اباحة ذلك واجازته لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما اهاب دبغ فقد طهر وعلى هذا اكثر
اهل العلم بالحجاز والعراق من اهل الفقه والحديث وهو اختيار ابن وهب الرابعة ذهب الامام
احمد بن حنبل الى انه لا يجوز الانتفاع بجلود الميتة في شي وان دبغت لانها كلحم الميتة والاخبار
بالانتفاع بعد الدباغ ترد قوله واحتج بحديث عبد الله ابن عكيم رواه ابو داود قال قرئ علينا كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بارض جهينة وانا غلام شاب لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب
وفي رواية قبل موته بشهر رواه القاسم بن مخيمرة عن عبد الله بن عكيم قال حدثنا مشيخة لنا ان
النبي صلى الله عليه وسلم كتب اليهم قال داود بن علي سالت يحيى بن معين عن هذا الحديث فضعفه
وقال ليس بشي انما يقول حدثني الاشياخ قال ابو عمر ولو كان ثابتا لاحتمل ان لا يكون مخالفا للاحاديث
المروية عن ابن عباس وعايشة وسلمة بن المحبق وغيرهم لانه جايز ان يكون معنى حديث ابن عكيم
ان لا تنتفعوا من الميتة باهاب قبل الدباغ واذا احتمل ان لا يكون مخالفا فليس لنا ان نجعله مخالفا
وعلينا ان نستعمل الخبرين ما امكن وحديث عبد الله بن عكيم ان لا تنتفعوا من الميتة باهاب وان
كان قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بشهر كما جاء في الخبر فيمكن ان تكون قصة ميمونة وسماع
ابن عباس منه ايما اهاب دبغ فقد طهر قبل موته بجمعة او دون جمعة الثامنة المشهور
عندنا ان جلد الخنزير لا يدخل في الحديث ولا يتناوله العموم وكذلك الكلب عند الشافعي وعند الاوزاعي
وابي ثور لا يطهر بالدباغ الا جلد ما يوكل لحمه وروي معن بن عيسى عن مالك انه سيل عن جلد
الخنزير اذا دبغ فكرهه قال ابن وضاح وسمعت سحنونا يقول لا باس به وكذلك قال محمد بن
عبد الحكم وداود بن علي واصحابه لقوله عليه الصلاة والسلام ايما مسك دبغ فقد طهر قال
ابو عمر يحتمل ان يكون اراد بهذا القول عموم الجلود المعهودة الانتفاع بها واما الخنزير فلم يدخل
في المعنى لانه غير معهود الانتفاع بجلده اذ لا تعمل فيه الذكاة ودليل اخر وهو ما قاله النضر بن
شميل ان الاهاب جلد البقر والغنم والابل وما عداه فانما يقال له جلد لا اهاب قلت وجلد
الكلب وما لا يوكل لحمه ايضا غير معهود الانتفاع به فلا يطهر وقد قال صلى الله عليه وسلم اكل كل ذي ناب
من السباع حرام فليست الذكاة فيها ذكاة كما انها ليست في الخنزير وروي النسائي عن المقدام بن
معدي كرب قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرير والذهب وساير النمور التاسعة اختلف
الفقهاء في الدباغ الذي يطهر به جلود الميتة ما هو فقال اصحاب مالك وهو المشهور من مذهبه

كل شيء

كل شي دبغ الجلد من ملح او قرظ او شب او غير ذلك فقد جاز الانتفاع به وكذلك قال ابو حنيفة
واصحابه وهو قول داود وللشافعي في هذه المسئلة قولان احدهما هذا والاخر انه لا يطهر الا الشب
والقرظ لانه الدباغ المعهود على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعليه خرج الخطاب والله اعلم النسائي
عن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم رجال من قريش
يجرون شاة لهم مثل الحصان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اخذتم اهابها قالوا انها
ميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطهرها الماء والقرظ العاشرة قوله تعالى اثاثا الاثاث
متاع البيت واحدها اثاثة هذا قول ابي زيد الانصاري وقال الاموي الاثاث متاع البيت وجمعه
آنثة وانث وقال غيرهما الاثاث جميع انواع المال ولا واحد له من لفظه وقال الخليل اصله
من الكثرة واجتماع بعض المتاع الى بعض حتى يكثر ومنه شعر اثيث اي كثير واث شعر فلان ياث اثا
اذا كثر والتف قال امرؤ القيس وشعر يغشي المتن اسود فاحم اثيث كقنو النخلة المتعثكل وقيل
الاثاث ما يلبس ويفترش وقد تاثلت اذا اتخذت اثاثا وعن ابن عباس رضي الله عنهما اثاثا
مالا وقد تقدم القول في الحين وهو هنا وقت غير معين بحسب كل انسان اما بموته واما بفقد تلك
الاشياء التي هي اثاث وفي هذه اللفظة قول الشاعر اهاجتك الظعاين يوم بانوا بذي الزي
الجميل من الاثاث قوله تعالى والله جعل لكم مما خلق ظلالا الى قوله مسلمون فيه ست مسايل الاولى
قوله ظلالا الظلال كل ما يستظل به من البيوت والشجر وقوله مما خلق يعم جميع الاشخاص المظلة الثانية
قوله تعالى اكنانا الاكنان جمع كن وهو الحافظ من المطر والريح وغير ذلك وهي هنا الغيران في الجبال
جعلها الله عدة للخلق ياوون اليها ويتحصنون بها ويعتزلون عن الخلق فيها وفي الصحيح انه
عليه الصلاة والسلام كان في اول امره يتعبد بغار حرا ويمكث فيه الليالي الحديث وفي صحيح
البخاري قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا هاربا من قومه فارا بدينه مع
صاحبه ابي بكر رضي الله عنه حتى لحقا بغار في جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما
فيه عبد الله بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش كبايت
فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر
بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء فيبيتان
في رسل وهو لبن منحتهما حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك
الليالي وذكر الحديث انفرد باخراجه البخاري الثالثة قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم
الحر يعني القمص واحدها سربال وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع التي تقي الناس في الحرب ومنه
قول كعب بن زهير شم العرانين ابطال لبوسهم من نسج داود في الهيجاء سرابيل الرابعة ان
قال قايل كيف قال وجعل لكم من الجبال اكنانا ولم يذكر السهل وقال تقيكم الحر ولم يذكر البرد فالجواب ان
القوم كانوا اصحاب جبال ولم يكونوا اصحاب سهل وكانوا اهل حر ولم يكونوا اهل برد فذكر لهم
نعمه التي تختص بهم كما خصهم بذكر الصوف وغيره ولم يذكر القطن والكتان ولا الثلج كما تقدم
فانه لم يكن ببلادهم قال معناه عطا الخراساني وغيره وايضا فذكر احدهما يدل على الاخر ومنه
قول الشاعر وما ادري اذا يممت ارضا اريد الخير ايهما يليني الخير الذي انا ابتغيه ام الشر
الذي هو يبتغيني انتهى الخامسة قال العلماء في قوله تعالى وسرابيل تقيكم باسكم دليل على اتخاذ
العباد عدة للجهاد ليستعينوا بها على قتال الاعداء وقد لبسها المصطفى تقية الجراحة وان
كان يطلب الشهادة وليس على العبد ان يطلبها بان يستسلم للحتوف والطعن بالسنان والضرب

بالسيف ولكنه يلبس لامة الحرب ليكون له قوة على قتال عدوه ويقاتل لتكون كلمة الله هي العليا
ويفعل الله معه ما يشاء السادسة قوله تعالى كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون قرا ابن محيصن
وحميد تتم تباين نعمته رفعا على انها الفاعل الباقون بضم الياء على ان الله تعالى يتمها ويسلمون
قراءة ابن عباس وعكرمة تسلمون بفتح التاء واللام اي تسلمون من الجراح واسناده ضعيف رواه
عباد ابن العوام عن حنظلة عن شهر عن ابن عباس الباقون بضم التاء ومعناه تستسلمون وتنقادون
الى معرفة الله وطاعته شكرا على نعمه قال ابو عبيد والاختيار قراءة العامة لان ما انعم الله به
علينا من الاسلام افضل مما انعم به من السلامة من الجراح قوله تعالى فان تولوا اي اعرضوا عن
النظر والاستدلال والايمان فانما عليك البلاغ اي ليس عليك الا التبليغ واما الهداية فالينا قوله
تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال السدي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اي يعرفون نبوته
ثم ينكرونها ويكذبونه وقال مجاهد يريد ما عدد الله عليهم في هذه السورة من النعم اي يعرفون
انها من عند الله وينكرونها بقولهم انهم ورثوا ذلك من ابائهم وبمثله قال قتادة وقال
عون بن عبد الله هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان ما اصبت كذا وهو يعرف
ان النفع والضر من عند الله وقال الكلبي هو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرفهم بهذه النعم
كلها عرفوها وقالوا نعم هي كلها نعم الله ولكنها بشفاعة الهتنا وقيل يعرفون نعمة الله بتقلبهم
فيها وينكرونها بترك الشكر عليها ويحتمل سادسا يعرفونها في الشدة وينكرونها في الرخاء ويحتمل
سابعا يعرفونها باقوالهم وينكرونها بافعالهم ويحتمل ثامنا يعرفونها بقلوبهم وينكرونها بالسنتهم
نظيره وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم واكثرهم الكافرون يعني جميعهم حسب ما تقدم قوله تعالى
ويوم نبعث من كل امة شهيدا نظيره فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وقد تقدم ثم لا
يؤذن للذين كفروا اي في الاعتذار والكلام كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون وذلك حين
يطبق عليهم جهنم كما تقدم في اول الحجر وياتي ولا هم يستعتبون يعني يسترضون اي لا يكلفون
ان يرضوا ربهم لان الاخرة ليست بدار تكليف ولا يتركون الى رجوع الدنيا فيتوبون
واصل الكلمة من العتب وهي الموجدة يقال عتب عليه يعتب اذا وجد عليه فاذا فاوضه ما
عتب عليه فيه قيل عاتبه فاذا رجع الى مسرتك فقد اعتب والاسم العتبى وهو رجوع المعتوب
عليه الى ما يرضي العاتب قاله الهروي وقال النابغة فان كنت مظلوما فعبدا ظلمته وان
تك ذا عتبى فمثلك يعتب قوله تعالى واذا راى الذين ظلموا اي اشركوا العذاب اي عذاب جهنم
بالدخول فيها فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون اي لا يمهلون اذ لا توبة ثم قوله تعالى واذا راى
الذين اشركوا شركاءهم اي اصنامهم واوثانهم التي عبدوها وذلك ان الله تعالى يبعث معبودهم
فيتبعونهم حتى يردوهم النار وفي صحيح مسلم من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد
الشمس ويتبع من كان يعبد القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الحديث خرجه من حديث
انس والترمذي من حديث ابي هريرة وفيه فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير
تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون وذكر الحديث قالوا ربنا هؤلاء
شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك اي الذين جعلناهم لك شركاء فالقوا اليهم القول انكم
لكاذبون اي القت اليهم الالهة القول اي نطقت بتكذيب من عبدها بانها لم تكن الهة ولا
امرتهم بعبادتها فينطق الله الاصنام حتى تظهر عند ذلك فضيحة الكفار وقيل المراد بذلك
الملائكة الذين عبدوهم والقوا الى الله يومئذ السلم يعني المشركين اي استسلموا لعذابه وخضعوا لعزه

وقيل استسلم العابد والمعبود وانقاد لحكمه فيهم وضل عنهم ما كانوا يفترون اي زال عنهم ما زين لهم
الشيطان وما كانوا يؤملون من شفاعة الهتهم قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم
عذابا فوق العذاب قال ابن مسعود عقارب انيابها كالنخل الطوال وحيات مثل اعناق الابل وافاعي
كانها البخاتي تضربهم فتلك الزيادة وقيل المعنى يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة
برده الى النار وقيل المعنى زدنا القادة عذابا فوق السفلة فاحد العذابين على كفرهم والعذاب الاخر
على صدهم بما كانوا يفسدون في الدنيا من الكفر والمعصية قوله تعالى ويوم نبعث في كل امة شهيدا
عليهم من انفسهم وهم الانبياء شهداء على الامم يوم القيمة بانهم قد بلغوا الرسالة ودعوهم الى الايمان
وفي كل زمان شهيد وان لم يكن نبيا وفيهم قولان احدهما انهم ائمة الهدى الذين هم خلفاء الانبياء
الثاني انهم العلماء الذين حفظ الله بهم شرائع انبيائه قلت فعلى هذا لم تكن نبوة الا وفيها
من يوحد الله كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم
يبعث امة وحده وسطيح وورقة بن نوفل الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رايته ينغمس
في انهار الجنة فهؤلاء ومن كان مثلهم حجة على اهل زمانهم وشهيد عليهم والله اعلم وقوله
وجئنا بك شهيدا تقدم في البقرة والنساء قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء نظيره
ما فرطنا في الكتاب من شيء وقد تقدم فلينظر هناك وقال مجاهد تبيانا للحلال والحرام قوله تعالى
ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم
لعلكم تذكرون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم
الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة
انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن
لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء
ويهدي من يشاء ولتسالن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد
ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله
ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين
الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين
يتولونه والذين هم به مشركون واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما
انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا
وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه
اعجمي وهذا لسان عربي مبين ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله ولهم
عذاب اليم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون من كفر
بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم
غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وان
الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك
هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان الى
قوله تذكرون فيه ست مسائل الاولى روي عن عثمان بن مظعون انه قال لما نزلت هذه
الاية قراتها على علي بن ابي طالب فعجب فقال يا ال غالب اتبعوه تفلحوا فوالله ان الله ارسله

ليامر بمكارم الاخلاق وفي حديث ان اباطالب قيل له ان ابن اخيك نعم ان الله انزل عليه ان
الله يامر بالعدل والاحسان الاية قال اتبعوا ابن اخي فوالله ان يامر الا بمحاسن الاخلاق وقال عكرمة
قرا النبي صلى الله عليه وسلم على الوليد بن المغيرة ان الله يامر بالعدل والاحسان الى اخرها فقال يا ابن اخي
اعد فاعاد عليه فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اصله لمورق واعلاه لمثمر وما
هو بقول بشر وذكر الغزنوي ان عثمان بن مظعون هو القارى قال عثمان ما اسلمت ابتدا الاحياء من
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الاية وانا عنده فاستقر الايمان في قلبي فقراتها على
الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخي عد فاعدته فقال والله ان له لحلاوة وذكر تمام الخبر وقال ابن
مسعود هذه اجمع اية في القران لخير يمتثل وشر يجتنب وحكى النقاش قال يقال زكاة العدل الاحسان
وزكاة القدرة العفو وزكاة الغنى المعروف وزكاة الجاه كتب الرجل الى اخوانه الثانية اختلف
العلماء في تاويل العدل والاحسان فقال ابن عباس العدل لا اله الا الله والاحسان اداء الفرايض
وقيل العدل الفرض والاحسان النافلة وقال سفيان بن عيينة العدل ههنا استواء السريرة
والاحسان ان تكون السريرة افضل من العلانية علي بن ابي طالب العدل الانصاف والاحسان
التفضل قال ابن عطية العدل هو كل مفروض من عقايد وشرايع في اداء الامانات وترك الظلم
والانصاف واعطا الحق والاحسان هو فعل كل مندوب اليه فمن الاشياء ما هو كله مندوب
اليه ومنها ما هو فرض الا ان حد الاجزاء منه داخل في العدل والتكميل الزايد على الاجزاء داخل في
الاحسان واما قول ابن عباس ففيه نظر لان الفرايض هي الاسلام حسب ما فسره رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حديث سؤال جبريل وذلك هو العدل وانما الاحسان التكميلات والمندوب
اليه حسب ما يقتضيه تفسير النبي صلى الله عليه وسلم في حديث سؤال جبريل بقوله ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فان صح هذا عن ابن عباس فانما اراد بالفرايض مكملة
وقال ابن العربي العدل بين العبد وبين ربه ايثار حقه تعالى على حظ نفسه وتقديم رضاه
على هواه والاجتناب للزواجر والامتثال للاوامر واما العدل بينه وبين نفسه فمنعها مما
فيه هلاكها قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى وعزوف الاطماع عن الاتباع ولزوم القناعة
في كل حال ومعنى واما العدل بينه وبين الخلق فبذل النصيحة وترك الخيانة فيما قل وكثر والانصاف
من نفسك لهم بكل وجه ولا يكون منك اساءة الى احد بقول ولا فعل لا في سر ولا في علن والصبر على
ما يصيبك منهم من البلوى واقل ذلك الانصاف وترك الاذى قلت هذا التفصيل في
العدل حسن وعدل واما الاحسان فقد قال علماؤنا الاحسان مصدر احسن يحسن احسانا
ويقال على معنيين احدهما متعد بنفسه كقولك احسنت كذا اي حسنته وكملته وهو منقول
بالهمزة من حسن الشي وثانيهما متعد بحرف جر كقولك احسنت الى فلان اي اوصلت اليه ما
ينتفع به قلت وهو في هذه الاية مراد بالمعنيين معا فانه تعالى يحب من خلقه احسان
بعضهم الى بعض حتى ان الطاير في سجنك والسنور في دارك لا ينبغي ان تقصر تعهده باحسانك
وهو تعالى غني عن احسانهم ومنه الاحسان والنعم والمنن والفضل وهو في حديث جبريل
بالمعنى الاول لا بالثاني فان المعنى الاول راجع الى اتقان العبادات ومراعاتها باداتها
المصححة والمكملة ومراعاة الحق فيها واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار
وهو المراد بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وارباب القلوب في
هذه المراقبة على حالين احدهما غالب عليه مشاهدة الحق فكانه يراه ولعل النبي صلى الله عليه وسلم

امثار

انار الى هذه الحالة بقوله وجعلت قرة عيني في الصلاة وثانيهما لا ينتهي الى هذا لكن يغلب عليه ان الحق
سبحانه مطلع عليه ومشاهد له واليه الاشارة بقوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في
الساجدين على ما ياتي بيانه وقوله الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه الثالثة قوله تعالى وايتا
ذي القربى اي القرابة يقول يعطيهم المال كما قال وات ذا القربى حقه يعني صلته وهذا من باب عطف
المندوب على الواجب وبه استدل الشافعي في ايجاب ايتا المكاتب على ما ياتي بيانه وانما خص ذا
القربى لان حقوقهم اوكد وصلتهم اوجب لتاكيد حق الرحم التي اشتق الله اسمها من اسمه وجعل صلتها
من صلته فقال في الصحيح اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك ولاسيما اذا كانوا فقراء
انتهى الرابعة قوله تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي الفحشاء الفحش وهو كل قبيح من قول
او فعل ابن عباس هو الزنا والمنكر ما انكره الشرع بالنهي عنه وهو يعم جميع المعاصي والرذايل والدناات
على اختلاف انواعها وقيل هو الشرك والبغي هو الكبر والظلم والحقد والتعدي وحقيقته تجاوز الحد
وهو داخل تحت المنكر لكنه تعالى خصه بالذكر اهتماما به لشدة ضرره وفي الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم لا ذنب اسرع عقوبة من بغي وقال عليه الصلاة والسلام الباغي مصروع وقد
وعد الله من بغي عليه بالنصر وفي بعض الكتب المنزلة لو بغى جبل على جبل لجعل الباغي منهما دكا والله
اعلم الخامسة ترجم الله الامام ابو عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري في صحيحه فقال باب قول الله تعالى
ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون
وقوله انما بغيكم على انفسكم ومن بغي عليه لينصرنه الله وترك اثارة الشر على مسلم او كافر ثم ذكر حديث
عايشة في سحر لبيد بن الاعصم النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن بطال فتاول رضي الله عنه من هذه الايات
ترك اثارة الشر على مسلم او كافر كما دل عليه حديث عايشة حيث قال عليه الصلاة والسلام اما الله
فقد شفاني واما انا فاكره ان اثير على الناس شرا وجه ذلك والله اعلم تاول في قوله تعالى ان الله
يامر بالعدل والاحسان الندب بالاحسان الى المسيء وترك معاقبته على اساته فان قيل كيف يصح
هذا التاويل في ايات البغي قيل وجه ذلك والله اعلم انه لما اعلم الله عباده بان ضرر البغي
ينصرف الى الباغي بقوله انما بغيكم على انفسكم وضمن تعالى نصرة من بغي عليه كان الاولى لمن
بغي عليه شكر الله تعالى على ما ضمن من نصره ومقابلته ذلك بالعفو عمن بغي عليه وكذلك فعل
النبي صلى الله عليه وسلم باليهودي الذي سحره وقد كان له الانتقام منه بقوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتم به ولكن امر بالصفح اخذا بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور السادسة تضمنت
هذه الاية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد تقدم القول فيهما روي ان جماعة رفعت عاملها
الى ابي جعفر المنصور العباسي فحاجها العامل وغلبها بانهم لم يثبتوا عليه كبير ظلم ولا جور في شي
فقام فتى من القوم فقال يا امير المؤمنين ان الله يامر بالعدل والاحسان وانه عدل ولم يحسن قال
فعجب ابو جعفر من اصابته وعزل العامل قوله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان
بعد توكيدها فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى واوفوا بعهد الله لفظه عام لجميع ما يعقد باللسان
ويلتزمه الانسان من بيع او صلة او مواضعة في امر موافق للديانة وهذه الاية تضمن قوله ان الله
يامر بالعدل والاحسان لان المعنى فيها افعلوا كذا وانتهوا عن كذا فعطف على ذلك التقدير وقد
قيل انها نزلت في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقيل نزلت في التزام الحلف الذي
كان في الجاهلية وجاء الاسلام بالديانة قاله قتادة ومجاهد وابن زيد والعموم يتناول كل
ذلك كما بيناه روى الصحيح عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام

وايما حلف كان في الجاهلية لم يرده الاسلام الا شدة في نصرة الحق والقيام به والمواساة وهذا كنحو حلف
الفضول الذي ذكره ابن اسحق قال اجتمعت قبايل من قريش في دار عبد الله بن جدعان لشرفه ونسبه فتعاقدوا
وتعاهدوا على ان لا يجدوا بمكة مظلوما من اهلها وغيرهم الا قاموا معه حتى ترد مظلمته فسمت قريش
ذلك الحلف حلف الفضول اي حلف الفضايل والفضايل هنا جمع فضل للكثرة كفلس وفلوس وروي
ابن اسحق عن ابن شهاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان
حلفا ما احب ان لي به حمر النعم ولو ادعى به في الاسلام لاجبت وقال ابن اسحق تحامل الوليد بن عتبة
على حسين بن علي في مال له لسلطان الوليد فانه كان اميرا على المدينة فقال له الحسين بن علي احلف
بالله لتنصفني من حقي او لاخذن سيفي ثم لاقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون بحلف
الفضول قال عبد الله بن الزبير وانا احلف بالله لئن دعاني لاخذن سيفي ثم لاقومن معه حتى ينتصف
من حقه او نموت جميعا وبلغت المسور بن مخرمة فقال مثل ذلك وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله
التيمي فقال مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليد انصفه قال العلماء فهذا العلم الذي كان في الجاهلية هو
الذي شدة الاسلام وخصه النبي صلى الله عليه وسلم من عموم قوله لا حلف في الاسلام والحكمة في ذلك
ان الشرع جاء بالانتصار من الظالم واخذ الحق منه وايصاله الى المظلوم واوجب ذلك باصلية الشريعة
ايجابا عاما على من قدر من المكلفين وجعل لهم السبيل على الظالمين فقال تعالى انما السبيل على الذين
يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم وفي الصحيح انصر اخاك ظالما او
مظلوما قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما قال تاخذ على يديه في رواية تمنعه
من الظلم فان ذلك نصرة وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام ان الناس اذا راوا الظالم ولم ياخذوا
على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب من عنده الثانية قوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها
وتغليظها يقال توكيد وتاكيد ووكد واكد وهما لغتان قوله تعالى وقد جعلتم الله عليكم كفيلا يعني
شهيدا ويقال حافظا ويقال ضامنا وانما قال بعد توكيدها فرقا بين اليمين المؤكدة بالعزم وبين
لغو اليمين وقال ابن وهب وابن القاسم عن مالك التوكيد هو حلف الانسان في الشيء الواحد مرارا
يردد فيه الايمان ثلاثا او اكثر من ذلك كقوله والله لا انقضه من كذا والله لا انقضه من كذا فكفارة
ذلك واحدة مثل كفارة اليمين وقال يحيى بن سعيد هي العهود والعهد يمين ولكن الفرق بينهما
ان العهد لا يكفر قال النبي صلى الله عليه وسلم ينصب لكل غادر لواء يوم القيمة عند استه بقدر
غدرته يقال هذه غدرة فلان واما اليمين بالله فقد شرع الله سبحانه فيها الكفارة بخصلة
واحدة وحل ما انعقدت عليه اليمين وقال ابن عمر التوكيد بعد ان يحلف مرتين فان حلف واحدة
فلا كفارة فيه وقد تقدم في المائدة قوله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا
النقض والنكث واحد والاسم النكث والنقض والجمع الانكاث فشبهت هذه الاية الذي يحلف
ويعاهد ويبرم عهده ثم ينقضه بالمراة تغزل غزلها وتفتله محكما ثم تحله ويروى ان امراة حمقاء
كانت بمكة تسمى ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة كانت تفعل ذلك فبها وقع
التشبيه قاله الفراء وحكاه عبد الله بن كثير والسدي ولم يسميا المراة وقال مجاهد وقتادة ذلك
ضرب مثل لا على امراة معينة وانكاثا نصب على الحال والدخل الدغل والخديعة والغش قال ابو
عبيد كل امر لم يكن صحيحا فهو دخل ان تكون امة هي اربى من امة قال المفسرون نزلت هذه الاية
في العرب الذين كانت القبيلة منهم اذا حالفت اخرى ثم جاءت احداهما قبيلة كبيرة فداخلتها غدرت
الاولى ونقضت عهدها ورجعت الى هذه الكبرى قاله مجاهد فقال الله تعالى لا تنقضوا العهود من

اجل ان طايفة اكثر من طائفة اخرى او اكثر اموالا فتنقضون ايمانكم اذا رايتم الكثرة والسعة في
الدنيا لاعدائكم المشركين والمقصود النهي عن العود الى الكفر بسبب كثرة الكفار وكثرة اموالهم وقال الفراء
المعنى لا تغدروا بقوم لقلتهم وكثرتكم او لقلتكم وكثرتهم وقد عززتموهم بالايمان اي اكثر من ربا الشيء
يربو اذا كثر والضمير في به يحتمل ان يعود على الوفا الذي امر الله به ويحتمل ان يعود على الربا اي ان الله
تعالى ابتلى عباده بالتحاسد وطلب بعضهم الظهور على بعض واختبرهم بذلك ليرى من يجاهد نفسه
فيخالفها ممن يتبعها ويعمل بمقتضى هواها وهو معنى قوله انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيمة ما
كنتم فيه تختلفون من البعث ونحوه قوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة اي عاملة واحدة
ولكن يضل من يشاء بخذلانه اياهم عدلا منه فيهم ويهدي من يشاء بتوفيقه اياهم فضلا منه
عليهم لا يسئل عما يفعل بل تسئلون انتم والاية ترد على اهل القدر كما تقدم واللام في وليبينن
ولتسئلن مع النون المشددة يدلان على قسم مضمر اي والله ليبينن لكم ولتسئلن قوله تعالى ولا تتخذوا
ايمانكم دخلا بينكم كرر ذلك تاكيدا فتزل قدم بعد ثبوتها مبالغة في النهي لعظم موقعه في
الدين وتردده في معاشرات الناس اي لا تعقدوا الايمان بالانطواء على الخديعة والفساد فتزل قدم
بعد ثبوتها اي عن الايمان بعد المعرفة بالله وهذه استعارة للمستقيم الحال يقع في شر عظيم ويسقط
فيه لان القدم اذا زلت نقلت الانسان من حال خير الى حال شر ومن هذا المعنى قول كثير فلما توافينا
ثبتت وزلت والعرب تقول لكل مبتلى بعد عافية او ساقط في ورطة زلت قدمه قول الشاعر
سيمنع منك السبق ان كنت سابقا وتقتل ان زلت بك القدمان ويقال لمن اخطأ في شيء
زل فيه ثم توعد بعد بعذاب في الدنيا وعذاب عظيم في الاخرة وهذا الوعيد انما هو فيمن نقض
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان من عاهده ثم نقض عهده خرج عن الايمان ولهذا قال
وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله اي بصدكم وذوق السوء في الدنيا هو ما يحل بهم من المكروه
قوله تعالى ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا نهي عن الدنيا واخذ الاموال على نقض العهد اي لا تنقضوا
عهودكم لعرض قليل من الدنيا وانما كان قليلا وان كثر لانه مما يزول فهو على التحقيق قليل
وهو المراد بقوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق فبين الفرق بين حال الدنيا وحال الاخرة
فان هذه تنفد وتحول وما عند الله من مواهب فضله ونعيم جنته ثابت لا يزول لمن وفى بالعهد
وثبت على العقد ولقد احسن من قال والمال ينفد حله وحرامه يوما ويبقى في غد اثامه ليس
التقي بمتق لالهه حتى يطيب شرابه وطعامه وقال اخر هب الدنيا تساق اليك عفوا اليس
مصير ذاك الى انتقال وما دنياك الا مثل فيء اظلك ثم اذن بالزوال قوله تعالى ولنجزين الذين
صبروا اجرهم اي على الاسلام والطاعات وعن المعاصي اجرهم باحسن ما كانوا يعملون اي من الطاعات
وجعلها احسن لان ما عداها من الحسن والجزا انما يكون على الطاعة من حيث الوعد من الله وقرا
عاصم وابن كثير ولنجزين بالنون على التعظيم الباقون بالياء وقيل ان هذه الاية ولا تشتروا الى هنا
نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي وخصمه ابن اشوع اختصما في ارض فاراد امرؤ القيس ان
يحلف فلما سمع هذه الاية نكل واقر له بحقه قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن
فلنحيينه حيوة طيبة شرط وجوابه وفي الحياة الطيبة خمسة اقوال الاول انه الرزق الحلال
قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وعطا والضحاك الثاني القناعة قاله الحسن البصري وزيد بن
وهب ووهب بن منبه ورواه الحكم عن عكرمة عن ابن عباس وهو قول علي ابن ابي طالب الثالث
توفيقه الى الطاعات فانها تؤدي الى رضوان الله تعالى قال معناه الضحاك وقال ايضا من عمل

صالحا وهو مؤمن في فاقة وميسرة فحياته طيبة ومن اعرض عن ذكر الله ولم يؤمن بربه ولا عمل صالحا
فعيشته ضنك لا خير فيها وقال مجاهد وابن زيد هي الجنة وقاله الحسن وقال لا تطيب الحياة لاحد
الا في الجنة وقيل هي السعادة روي عن ابن عباس ايضا قال ابو بكر الوراق هي حلاوة الطاعة وقال
سهل عبد الله التستري هي ان ينزع عن العبد تدبيره ويرد تدبيره الى تدبير الحق وقال جعفر الصادق
هو المعونة بالله وصدق المقام بين يدي الله وقيل الاستغنا عن الخلق والافتقار الى الحق وقيل
الرضا بالقضا ولنجزينهم اجرهم اي في الآخرة باحسن ما كانوا يعملون وقال فلنحيينه ثم قال ولنجزينهم
لان من يصلح للواحد والجمع فاعاد مرة على اللفظ ومرة على المعنى وقد تقدم وقال ابو صالح جلس
ناس من اهل التورية وناس من اهل الانجيل وناس من اهل الاديان فقال هؤلاء نحن افضل وقال
هؤلاء نحن افضل فنزلت قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله فيه مسئلة واحدة وهي
ان هذه الاية متصلة بقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي فاذا اخذت في قراءته فاستعذ
بالله من ان يعترضك الشيطان فيصدك عن تدبره والعمل بما فيه وليس يريد استعذ بعد
القراءة بل هو كقولك اذا اكلت فقل بسم الله اي اذا اردت ان تاكل وروي جبير بن مطعم عن ابيه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين افتتح الصلاة قال اللهم اني اعوذ بك من الشيطان
من همزه ونفخه ونفثه وروي ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ في صلاة
قبل القراءة قال الكيا الطبري ونقل عن بعض السلف التعوذ بعد القراءة مطلقا احتجاجا بقوله
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولا شك ان ظاهر ذلك يقتضي ان تكون
الاستعاذة بعد القراءة كقوله تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا الا ان
غيره يحتمل مثل قوله تعالى واذا قلتم فاعدلوا واذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب
ليس المراد ان تسئلها من وراء حجاب بعد سؤال متقدم ومثله قول القايل اذا قلت فاصدق
واذا احرمت فاغتسل يعني قبل الاحرام والمعنى في جميع ذلك اذا اردت ذلك فكذلك الاستعاذة
وقد تقدم هذا المعنى وتقدم القول في الاستعاذة مستوفى قوله تعالى انه ليس له سلطان على
الذين آمنوا اي بالاغواء والكفر اي ليس له قدرة على ان يحملهم على ذنب لا يغفر قاله سفيان و
قال مجاهد لا حجة له على ما يدعوهم اليه من المعاصي وقيل انه ليس عليهم سلطان بحال لان الله
تعالى صرف سلطانه عنهم حين قال عدو الله ابليس لعنه الله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين قلت
قد بينا ان هذا عام يدخله التخصيص وقد اغوى آدم وحوا عليهما السلام بسلطانه وقد شوش
على الفضلاء اوقاتهم بقوله من خلق ربك حسب ما تقدم في آخر الاعراف بيانه انما سلطانه
على الذين يتولونه اي يطيعونه يقال توليته اي اطعته وتوليت عنه اعرضت عنه والذين هم
به مشركون اي بالله قاله مجاهد والضحاك وقيل يرجع به الى الشيطان قاله الربيع بن انس
والعتبي والمعنى والذين هم من اجله مشركون يقال كفرت بهذه الكلمة اي من اجلها وصار
فلان بك عالما اي من اجلك اي والذي تولى الشيطان مشركون به قوله تعالى واذا بدلنا آية
مكان آية معنى بدلنا نزلنا شريعة متقدمة بشريعة مستانفة قاله ابن بحر مجاهد اي
رفعنا آية وجعلنا موضعها غيرها وقال الجمهور نسخنا آية باية اشد منها عليهم والنسخ والتبديل
رفع الشيء مع وضع غيره مكانه وقد تقدم الكلام في النسخ في البقرة مستوفى قالوا يريد كفار
قريش انما انت مفتر اي كاذب مختلق وذلك لما راوا من تبديل الحكم فقال الله بل اكثرهم

لايعلمون

لا يعلمون اي ان الله شرع الاحكام وتبديل البعض بالبعض وقوله قل نزله روح القدس يعني جبريل
نزل بالقرآن كله ناسخه ومنسوخه وروي باسناد صحيح عن عامر الشعبي قال وكل اسرافيل بمحمد عليهما
السلام ثلاث سنين فكان ياتيه بالكلمة والكلمة ثم نزل عليه جبريل بالقرآن وفي صحيح مسلم انه
نزل عليه بسورة الحمد ملك لم ينزل الى الارض قط كما تقدم في الفاتحة بيانه من ربك اي من
كلام ربك ليثبت الذين آمنوا اي بما فيه من الحجج والآيات وهدى اي وهو هدى وبشرى للمسلمين
انتهى قوله تعالى ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر اختلف في اسم هذا الذي قالوا انما يعلمه
فقيل هو غلام الفاكه بن المغيرة واسمه جبر كان نصرانيا فاسلم وكانوا اذا سمعوا من النبي صلى الله
عليه وسلم ما مضى وما هو آت مع انه امي لا يقرا قالوا انما يعلمه جبر وهو اعجمي فقال الله تعالى لسان
الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين اي كيف يعلمه جبر وهو اعجمي هذا الكلام الذي لا
يستطيع الانس والجن في ان يعارضوا منه سورة واحدة فما فوقها وذكر النقاش ان مولى جبر كان
يضربه ويقول انت تعلم محمدا فيقول لا والله بل هو يعلمني ويهديني وقال ابن اسحق كان النبي
صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس الى المروة الى غلام نصراني يقال له جبر عبد بني الحضرمي
وكان يقرا الكتب فقال المشركون والله ما يعلم محمدا ما ياتي به الا جبر النصراني وقال عكرمة اسمه
يعيش عبد لبني الحضرمي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقنه القرآن ذكره الماوردي وذكر
النقاش عن عكرمة وقتادة انه غلام لبني المغيرة اسمه يعيش وكان يقرا الكتب الاعجمية فقالت
قريش انما يعلمه بشر فنزلت المهدوي عن عكرمة هو غلام لبني عامر بن لوي اسمه يعيش وقال
عبد الله بن مسلم الحضرمي كان لنا غلامان نصرانيان من اهل عين التمر اسم احدهما يسار والاخر
جبر كذا ذكر الماوردي والقشيري والثعلبي الا ان الثعلبي قال يقال لاحدهما نبت ويكنى ابا فكيهة
والاخر جبر وكانا صيقلين يعملان السيوف وكانا يقرآن كتابا لهم الثعلبي يقرآن التورية
والانجيل الماوردي والمهدوي التورية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بهما ويسمع قراءتهما
وكان المشركون يقولون يتعلم منهما فانزل الله تعالى هذه الاية واكذبهم وقيل عنوا سلمان
الفارسي رضي الله عنه قاله الضحاك وقيل نصرانيا بمكة اسمه بلعام وكان غلاما يقرا
التورية قاله ابن عباس وكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه
ويخرج من عنده فقالوا انما يعلمه بلعام وقال القتبي كان بمكة رجل نصراني يقال له ابو
ميسرة يتكلم بالرومية فربما قعد اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الكفار انما يتعلم
محمد منه فنزلت وفي رواية انه عداس غلام عتبة بن ربيعة وقيل عابس غلام حويطب بن
عبد العزى ويسار ابو فكيهة مولى ابن الحضرمي وكانا قد اسلما والله اعلم قلت والكل محتمل
فان النبي صلى الله عليه وسلم جلس اليهم في اوقات مختلفة ليعلمهم مما علمه الله وكان ذلك
بمكة وقال النحاس وهذه الاقوال ليست بمتناقضة لانه يجوز ان يكونوا اوموا الى هؤلاء
جميعا وزعموا انهم يعلمونه قلت واما ما ذكره الضحاك انه سلمان ففيه بعد لان
سلمان انما اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهذه الاية مكية لسان الذي يلحدون اليه
اعجمي الالحاد الميل يقال لحد والحد اي مال عن القصد وقد تقدم في الاعراف وقرا حمزة يلحدون
بفتح الياء والحاء اي لسان الذي يميلون اليه ويشيرون اليه اعجمي والعجمة الاخفا وضد البيان
ورجل اعجم وامراة عجماء اي لا تفصح ومنه عجم الذنب لاستتاره والعجماء البهيمة لانها لا
توضح عن نفسها واعجمت الكتاب اي ازلت عجمته والعرب تسمي كل من لا يعرف لغتهم ولا يتكلم

بكلامهم اعجميا وقال الفراء الاعجم الذي في لسانه عجمة وان كان من العرب والاعجمي هو العجمي
الذي اصله من العجم وقال ابو علي الاعجمي الذي لا يفصح سواء كان من العرب او العجم وكذلك الاعجم
والعجمي المنسوب الى العجم وان كان فصيحا واراد باللسان القرآن لان العرب تقول للقصيدة والبيت
لسان قال الشاعر لسان الشر تهديها الينا وخنت وما حسبتك ان تخونا يعني باللسان
القصيدة وهذا لسان عربي مبين اي افصح ما يكون من العربية قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون
بآيات الله هؤلاء المشركون الذين لا يؤمنون بالقرآن لا يهديهم الله ولهم عذاب عظيم قوله تعالى
انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله هذه جواب وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم
بالافتراء واولئك هم الكاذبون هذا مبالغة في وصفهم بالكذب اي كل كذب قليل بالنسبة الى
كذبهم ويقال كذبه فلان ولا يقال انه كاذب لان الفعل قد يكون لازما وقد لا يكون لازما
فاما النعت فيكون لازما ولهذا يقال عصى آدم ربه فغوى ولا يقال انه عاص فاذا قيل كذب
فلان فهو كاذب كان مبالغة في الوصف بالكذب قاله القشيري قوله تعالى من كفر بالله
من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فيه عشرون مسئلة الاولى قوله من كفر بالله
هذا متصل بقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها لان معناه لا ترتدوا عن بيعة
الرسول صلى الله عليه وسلم اي من كفر من بعد ايمانه وارتد فعليه غضب الله قال الكلبي نزلت
في عبد الله بن ابي سرح ومقيس بن صبابة وعبد الله بن انس وابن خطل وقيس بن الوليد
بن المغيرة كفروا بعد ايمانهم ثم قال الا من اكره وقال الزجاج من كفر بالله من بعد ايمانه بدل
من يفتري الكذب اي انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه لانه راى الكلام الى آخر
الاستثناء غير تام فعلقه بما قبله وقال الاخفش من ابتداء وخبره محذوف اكتفى منه بخبر
من الثانية كقولك من يأتنا من يحسن يكرمه الثانية قوله تعالى الا من اكره هذه الآية
نزلت في عمار بن ياسر في قول اهل التفسير لانه قارب بعض ما ندبوه اليه قال ابن عباس اخذه المشركون
واخذوا اباه وامه سمية وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم وربطت سمية بين بعيرين ووجئ قبلها
بحربة وقيل لها انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام
واما عمار فاعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فشكى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجد قلبك قال مطمئن بالايمان فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فان عادوا فعد وروى منصور بن المعتمر عن مجاهد قال اول شهيدة في الاسلام ام عمار قتلها
ابو جهل واول شهيد من الرجال مهجع مولى عمر وروى منصور ايضا عن مجاهد قال اول من اظهر
في الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وسمية
ام عمار فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم [فمنعه] ابو طالب واما ابو بكر فمنعه قومه واخذوا الآخرين
فالبسوهم ادراع الحديد ثم صهروهم في الشمس فلما كان من العشي اتاهم ابو جهل ومعه حربة فجعل
يشتمهم ويوبخهم واتى سمية فجعل يشتمها ويرفث ثم طعن فرجها حتى خرجت الحربة من فمها
فقتلها رضي الله عنها قال وقال الآخرون ما سألوا الا بلالا فانه هانت عليه نفسه في الله
فجعلوا يعذبونه ويقولون له ارجع عن دينك وهو يقول احد احد حتى ملوه ثم كتفوه وجعلوا في
عنقه حبلا من ليف ودفعوه الى صبيانهم يلعبون به بين اخشبي مكة حتى ملوه فتركوه قال وقال
عمار كلنا تكلم بالذي قالوا لولا ان الله تداركنا غير بلال فانه هانت عليه نفسه في الله فهان
على قومه حتى ملوه وتركوه والصحيح ان ابا بكر اشترى بلالا فاعتقه وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد

ان ناسا من اهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بالمدينة ان هاجروا فانا لا نراكم منا
حتى تهاجروا الينا فخرجوا يريدون المدينة حتى ادركتهم قريش بالطريق ففتنوهم فكفروا مكرهين ففيهم نزلت
هذه الآية ذكر الروايتين عن مجاهد اسمعيل بن اسحق وروى الترمذي عن عائشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما خير عمار بين امرين الا اختار ارشدهما هذا حديث حسن غريب وروي عن انس بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة لتشتاق الى ثلاثة علي وعمار وسلمان قال
الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث الحسن بن صالح لما سمح الله عز وجل بالكفر
به وهو اصل الشريعة عند الاكراه ولم يؤاخذ به حمل العلماء عليه فروع الشريعة كلها فاذا وقع الاكراه
عليها لم يؤاخذ بها فلم يترتب عليه حكم وبه جاء الاثر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي
الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه والخبر وان لم يصح سنده فان معناه صحيح باتفاق من
العلماء قال القاضي ابو بكر بن العربي وذكر ابو محمد عبد الحق ان اسناده صحيح قال وقد ذكره ابو بكر الاصيلي
في الفوائد وابن المنذر في كتاب الاقناع الثالثة اجمع اهل العلم على ان من اكره على الكفر حتى خشي على
نفسه القتل انه لا اثم عليه ان كفر وقلبه مطمئن بالايمان ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم
الكفر هذا قول مالك والكوفيين والشافعي غير محمد بن الحسن فانه قال اذا اظهر الشرك كان مرتدا في
الظاهر وفيما بينه وبين الله على الاسلام وتبين منه امرأته ولا يصلى عليه ان مات ولا يرث
اباه ان مات مسلما وهذا قول يرده الكتاب والسنة قال الله تعالى الا من اكره الآية وقال
الا ان تتقوا منهم تقاة وقال الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين
في الارض الآية وقال الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الآية فعذر الله المستضعفين
الذين لا يمتنعون من ترك ما امر الله به والمكره لا يكون الا مستضعفا غير ممتنع من فعل ما امر
به قاله البخاري الرابعة ذهبت طائفة من العلماء الى ان الرخصة انما جاءت في القول
واما في الفعل فلا رخصة فيه مثل ان يكرهوا على السجود لغير الله والصلاة لغير القبلة او قتل مسلم
او ضربه او اكل ماله او الزنا او شرب الخمر او اكل الربا يروى هذا عن الحسن البصري وهو قول
الاوزاعي والشافعي وسحنون من علمائنا وقال محمد بن الحسن اذا قيل له اسجد لهذا الصنم والا
قتلناك فقال ان كان الصنم مقابل القبلة فليسجد ويكون نيته لله تعالى وان كان لغير القبلة
فلا يسجد وان قتلوه والصحيح انه يسجد وان كان لغير القبلة وما احراه بالسجود ففي الصحيح عن
ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو مقبل من مكة الى المدينة على راحلته
حيث كان وجهه وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله في رواية ويوتر عليها غير انه لا يصلي
عليها المكتوبة فاذا كان هذا مباحا في السفر في حالة الامن لتعب النزول عن الدابة للتنفل فكيف
بهذا واحتج من قصر الرخصة على القول بقول ابن مسعود ما من كلام يدرأ عني سوطين من ذي
سلطان الا كنت متكلما به فقصر الرخصة على القول ولم يذكر الفعل وهذا لا حجة فيه لانه
يحتمل ان يجعل الكلام مثالا وهو يريد ان الفعل في حكمه وقالت طائفة الاكراه في الفعل والقول
سواء اذا اسر الايمان روي ذلك عن عمر بن الخطاب ومكحول وهو قول مالك وطائفة من
اهل العراق روى ابن القاسم عن مالك انه قال من اكره على شرب الخمر او ترك الصلاة او الافطار
في رمضان ان الاثم عنه مرفوع الخامسة اجمع العلماء على من اكره على قتل غيره انه لا يجوز له الاقدام
على قتله ولا انتهاك حرمته بجلد او غيره او يصبر على البلاء الذي نزل به ولا يحل له ان يفدي نفسه
بغيره ويسأل الله العافية في الدنيا والآخرة واختلف في الزنا فقال مطرف واصبغ وابن عبد الحكم

وابن الماجشون لا يفعل احد ذلك وان قتل لم يفعله وان فعله فهو اثم ويلزمه الحد وبه قال ابو ثور
وابن الحسن قال ابن العربي الصحيح انه يجوز الاقدام على الزنا ولا حد عليه خلافا لمن الزمه ذلك
لانه راى انها شهوة خلقية لا يتصور الاكراه عليها وغفل عن السبب في باعث الشهوة وهو الالجا
الى ذلك وهو الذي اسقط حكمه وانما يجب الحد على شهوة بعث عليها سبب اختياري فقاس الشي
على ضده فلم يحل بصواب من عنده وقال ابن خواز منداذ في احكامه اختلف اصحابنا متى اكره الرجل
على الزنا فقال بعضهم عليه الحد لانه انما يفعل ذلك باختياره وقال بعضهم لا حد عليه قال ابن
خواز منداذ وهو الصحيح وقال ابو حنيفة ان اكرهه غير السلطان حد وان اكرهه السلطان فالقياس
ان يحد ولكن استحسن ان لا يحد وخالفه صاحباه وقالا لا حد عليه في الوجهين ولم يراعوا الانتشا
وقالوا متى انه متخلص من القتل بفعل الزنا جاز ان ينتشر قال ابن المنذر لا حد عليه ولا فرق بين
السلطان في ذلك وغير السلطان السادسة اختلف العلماء في طلاق المكره وعتاقه فقال الشافعي
واصحابه لا يلزمه شيء وذكر ابن وهب عن عمر وعلي وابن عباس انهم كانوا لا يرون طلاقه شيئا
وذكره ابن المنذر عن ابن الزبير وابن عمر وابن عباس وعطا وطاووس والحسن وشريح والقاسم
وسالم ومالك والاوزاعي واحمد واسحق وابي ثور فاجازت طائفة طلاقه روي ذلك عن الشعبي
والنخعي وابي قلابة والزهري وقتادة وهو قول الكوفيين قال ابو حنيفة طلاق المكره يلزم لانه
لم يعدم فيه اكثر من الرضى وليس وجوده شرطا في الطلاق كالهازل وهذا قياس باطل فان الهازل
قاصد الى ايقاع الطلاق راض به والمكره غير راض ولا نية له في الطلاق وقد قال عليه الصلاة
والسلام انما الاعمال بالنيات وفي البخاري وقال ابن عباس فيمن يكرهه اللصوص فيطلق ليس
بشيء وبه قال ابن عمر وابن الزبير والشعبي والحسن قال الشعبي ان اكرهه اللصوص فليس بطلاق
وان اكرهه السلطان فهو طلاق وفسره ابن عيينة فقال ان اللص يقدم على قتله والسلطان
لا يقتله السابعة واما بيع المكره والمضغوط فله حالتان الاولى ان يبيع ماله في حق
وجب عليه فذلك ماض سائغ لا رجوع فيه عند الفقهاء لانه يلزمه اداء الحق الى ربه من غير
المبيع فلما لم يفعل ذلك كان بيعه اختيارا منه فلزمه واما بيع المكره ظلما وقهرا فذلك
بيع لا يجوز عليه وهو اولى بمتاعه ياخذه بلا ثمن ويتبع المشتري بالثمن ذلك الظالم فان
فات المتاع رجع بثمنه او بقيمته بالاكثر من ذلك على الظالم اذا كان المشتري غير عالم بظلمه قال
مطرف ومن كان من المشترين يعلم حال المكره فانه ضامن لما ابتاع من رقيقه وعروضه
وكل ما احدث المبتاع في ذلك من عتق او تدبير او تحبيس فلا يلزم المكره وله اخذ متاعه قال
سحنون اجمع اصحابنا واهل العراق على ان بيع المكره على الظلم والجور لا يجوز وقال الابهري
انه اجماع الثامنة واما نكاح المكره فقال سحنون اجمع اصحابنا على ابطال نكاح المكره
والمكرهة وقالوا لا يجوز المقام عليه لانه لم ينعقد قال محمد بن سحنون واجاز اهل العراق
نكاح المكره وقالوا لو اكره على ان ينكح امراة بعشرة الاف درهم وصداق مثلها الف درهم
ان النكاح جائز وتلزمه الالف ويبطل الفضل قال محمد فكما ابطلوا الزائد على الالف فكذلك
يلزمهم ابطال النكاح بالاكراه وقولهم خلاف السنة الثابتة في حديث خنساء بنت خذام
الانصارية ولامره صلى الله عليه وسلم بالاستيمار في ابضاعهن وقد تقدم فلا معنى لقولهم والله اعلم
التاسعة فان وطئها المكره على النكاح غير مكره على الوطء والرضى بالنكاح لزمه النكاح
عندنا على المسمى من الصداق ودرئ عنه الحد وان قال وطئتها على غير رضى مني بالنكاح فعليه

الحد

الحد والصداق المسمى لانه مدع لابطال الصداق المسمى وتحد المراة ان تقدمت وهي عالمة انه مكره على
النكاح واما المكرهة على النكاح وعلى الوطء فلا حد عليها ولها الصداق ويحد الواطئ فاعلمه قاله
سحنون العاشرة اذا استكرهت المراة على الزنا فلا حد عليها لقوله الا من اكره وقوله عليه الصلاة
والسلام ان الله تجاوز عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه ولقول الله تعالى فان الله
من بعد اكراههن غفور رحيم يريد الفتيات وبهذا المعنى حكم عمر في الوليدة التي اكرهها العبد فلم
يحدها والعلماء متفقون على ان لا حد على امراة مستكرهة وقال مالك اذا وجدت المراة حاملا
وليس لها زوج فقالت استكرهت فلا يقبل ذلك منها وعليها الحد الا ان يكون لها بينة او جاءت
تدمى على انها اوتيت او ما اشبه ذلك واحتج بحديث عمر بن الخطاب انه قال الرجم في كتاب الله
حق على من زنا اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف قال ابن
المنذر وبالقول الاول اقول الحادي عشر واختلفوا في وجوب الصداق للمستكرهة فقال عطا
والزهري لها صداق مثلها وهو قول مالك والشافعي واحمد واسحق وابي ثور وقال الثوري اذا اقيم
الحد على الذي زنا بطل الصداق وروي ذلك عن الشعبي وبه قال اصحاب الراي قال ابن المنذر
القول الاول صحيح الثانية عشر اذا اكره الانسان على اسلام اهله بما لا يحل اسلمها ولم يقتل نفسه
دونها ولا احتمل اذية في تخليصها والاصل في ذلك ما خرج البخاري عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر ابراهيم عليه السلام بسارة ودخل بها قرية فيها ملك من الملوك
او جبار من الجبابرة فارسل اليه ان ارسل بها الي فارسل بها فقام اليها فقامت توضا وتصلي
فقالت اللهم ان كنت امنت بك وبرسولك فلا تسلط علي هذا الجبار فغط حتى ركض
برجله ودل هذا الحديث ايضا على ان سارة لما لم يكن عليها ملامة ولا حد فيما هو اكثر من
الخلوة والله اعلم الثالثة عشر واما يمين المكره فغير لازمة عند مالك والشافعي وابي
ثور واكثر العلماء قال ابن الماجشون وسواء حلف فيما هو طاعة الله او فيما هو معصية اذا اكره
على اليمين وقاله اصبغ وقال مطرف اذا اكره على اليمين فيما هو لله معصية او ليس في فعله
طاعة ولا معصية فاليمين فيه ساقطة وان اكره على اليمين فيما هو طاعة مثل ان ياخذ
الوالي رجلا فاسقا فيكرهه ان يحلف بالطلاق لا يشرب خمرا او لا يفسق او لا يغش في عمله او الوالد
يحلف ولده تاديبا له فان اليمين يلزم وان كان المكره قد اخطا فيما تكلف من ذلك وقال
به ابن حبيب وقال ابو حنيفة ومن تابعه من الكوفيين انه ان حلف ان لا يفعل ففعل
حنث قالوا لان المكره له ان يوري في يمينه فلما لم يور ولا ذهبت نيته الى خلاف ما اكره
عليه فقد قصد الى اليمين احتج الاولون بان قالوا اذا اكره عليها فنيته مخالفة لقوله لانه
كاره لما حلف عليه الرابعة عشر قال ابن العربي ومن عجيب الامر ان علماءنا اختلفوا في
الاكراه على الحنث هل يقع به ام لا وهذه مسالة عراقية سرت لنا منهم لا كانت هذه المسالة
ولا كانوا واي فرق يا معشر اصحابنا بين الاكراه على اليمين وانها لا تلزم وبين الحنث في انه لا
يقع فاتقوا الله وراجعوا بصائركم ولا تغتروا بهذه الرواية فانها وصمة في الدراية الخامسة عشر
اذا اكره الرجل على ان يحلف والا اخذ له مال كاصحاب المكس وظلمة الشرط واهل الاعتدا
فقال مالك لا تقية في ذلك وانما يدرأ المرء بيمينه عن بدنه لا ماله وقال ابن الماجشون
لا يحنث وان درأ عن ماله ولم يخف على بدنه وقال ابن القاسم بقول مطرف ورواه عن
مالك ورواه ابن عبد الحكم واصبغ قلت قول ابن الماجشون صحيح لان المدافعة عن المال

كالمدافعة عن النفس وهو قول الحسن وقتادة وسياتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دماءكم
واموالكم واعراضكم عليكم حرام وقال كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وروي ابو هريرة
قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت ان جاء رجل يريد اخذ مالي
قال فلا تعطه مالك قال ارايت ان قاتلني قال قاتله قال ارايت ان قتلني قال فانت شهيد
قال ارايت ان قتلته قال هو في النار خرجه مسلم وقد مضى الكلام فيه وقال مطرف وابن الماجشون
وان نذر الحالف بيمينه للوالي الظالم قبل ان يسالها ليذب فيها عن ما خاف عليه من ماله وبدنه
فحلف له فانها تلزمه وقاله ابن عبد الحكم واصبغ وقال ايضا ابن الماجشون فيمن اخذه ظالم
فحلف له بالطلاق البتة من غير ان يحلفه وتركه وهو كاذب وانما حلف خوفا من ضربه وقتله
واخذ ماله فان كان انما تبرع باليمين عليه خوف ورجاء النجاة من ظلمه فقد دخل في الاكراه
ولا شيء عليه وان لم يحلف على رجاء النجاة فهو حانث السادسة عشر قال المحققون من العلماء
اذا تلفظ المكره بالكفر فلا يجوز له ان يجريه على لسانه الا مجرى المعاريض فان في المعاريض لمندوحة عن الكذب
ومن لم يكن كذلك كان كافرا لان المعاريض لا سلطان للاكراه عليها مثاله ان يقال له اكفر
بالله فيقول باللاهي فيزيد الياء وكذلك اذا قيل له اكفر بالنبي فيقول هو كافر بالنبي مشددا
وهو المكان المرتفع من الارض ويطلق على ما يعمل من الخوص شبه المائدة فيقصد احدهما
بقلبه ويبرا من الكفر واثمه فان قيل له اكفر بالنبي مهموزا فيقول هو كافر بالنبي يريد
بالمخبر اي مخبر كان كطليحة ومسيلمة الكذاب او يريد به النبي الذي قال فيه الشاعر
فاصبح رتما دقاق الحصى مكان النبي من الكاثب السابعة عشر اجمع العلماء على ان من
اكره على الكفر فاختار القتل انه اعظم اجرا عند الله ممن اختار الرخصة واختلفوا فيمن
اكره على غير القتل من فعل ما لا يحل له فقال اصحاب مالك الاخذ بالشدة في ذلك واختيار
القتل والضرب افضل عند الله تعالى من الاخذ بالرخصة ذكره ابن حبيب وسحنون وذكر
ابن سحنون عن اهل العراق انه اذا تهدد بقتل او قطع او ضرب يخاف منه التلف فله ان
يفعل ما اكره عليه من شرب خمر او اكل خنزير فان لم يفعل حتى قتل خفنا ان يكون اثما لانه
كالمضطر وروي خباب بن الارت شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة
له في ظل الكعبة قلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل
فيحفر له في الارض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط في
امشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر
حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم
تستعجلون فوصفه عليه السلام هذا عن الامم السالفة على جهة المدح لهم والصبر على
المكروه في ذات الله وانهم لم يكفروا في الظاهر ويبطنوا الايمان ليدفعوا العذاب عن
انفسهم وهذه حجة من اثر القتل والضرب والهوان على الرخصة والمقام بدار الجنان
وسياتي لهذا مزيد بيان في سورة الاخدود ان شاء الله تعالى وذكر ابو محمد بن الفرج
البغدادي قال نا سريج بن يونس عن اسمعيل بن ابراهيم عن يونس بن عبيد عن الحسن ان
عيونا لمسيلمة اخذوا رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فذهبوا بهما الى مسيلمة فقال
لاحدهما اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم فخلى عنه وقال
للاخر اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال وتشهد اني رسول الله قال انا اصم لا اسمع

فقدمه وضرب عنقه فجاء هذا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هلكت وما اهلكك فذكر الحديث
قال اما صاحبك فاخذ بالثقة واما انت فاخذت بالرخصة على ما انت عليه الان اشاهد قال
اشهد انك رسول الله قال انت على ما انت عليه الثامنة عشر الرخصة فيمن حلفه سلطان ظالم على نفسه
او على ان يدله على رجل او مال رجل فقال الحسن اذا احلف عليه رجل ماله فليحلف ولا يكفر يمينه وهو
قول قتادة اذا احلف على نفسه او مال نفسه وقد تقدم ما للعلماء في هذا وذكر موسى بن معاوية
ان ابا سعيد ابن اشرس صاحب مالك استحلفه السلطان بتونس على رجل اراد السلطان قتله
انه ما راه ولا يعلم له موضعا قال فحلف له ابن اشرس وابن اشرس يومئذ قد علم موضعه واواه فحلفه
بالطلاق والعتاق فحلف له ابن اشرس ثم قال لامراته اعتزلي فاعتزلته ثم ركب ابن اشرس
حتى قدم على البهلول بن راشد القيروان فاخبره بالخبر فقال له البهلول قال مالك انك حانث
فقال ابن اشرس وانا سمعت مالكا يقول ذلك وانما اردت الرخصة او كلام هذا معناه فقال
له البهلول بن راشد قال الحسن البصري انه لا حنث عليك قال فرجع ابن اشرس الى زوجته
واخذ بقول الحسن وذكر عبد الملك بن حبيب قال حدثني سعيد عن ابن المسيب بن شريك عن
ابي شيبة قال سالت انس بن مالك عن الرجل يؤخذ بالرجل هل ترى ان يحلف ليقيه بيمينه
فقال نعم ولان احلف سبعين يمينا واحنث احب الي من ان ادل على مسلم وقال ادريس بن يحيى كان
الوليد بن عبد الملك يامر جواسيس يتجسسون الخلق ياتونه بالاخبار قال فجلس رجل منهم
في حلقة رجا بن حيوة فسمع بعضهم يقع في الوليد فرفع ذلك اليه فقال يا رجا اذكر بالسوء
في مجلسك فلم تغير فقال ما كان ذلك يا امير المؤمنين فقال له الوليد قل الله الذي لا اله الا هو قال الله
الذي لا اله الا هو فامر الوليد بالجاسوس فضربه سبعين سوطا فكان يلقى رجا فيقول يا
رجا بك يستقى المطر وسبعون سوطا في ظهري فيقول رجا سبعون سوطا في ظهرك خير لك
من ان يقتل رجل مسلم التاسعة عشر واختلف العلماء في حد الاكراه فروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال ليس الرجل على نفسه اذا اخفته او وثقته او ضربته وقال ابن مسعود
ما كلام يدرا عني سوطين الا كنت متكلما به وقال الحسن التقية جايزة للمؤمن الى يوم القيمة
الا ان الله تبارك وتعالى ليس يجعل في القتل تقية وقال النخعي القيد اكراه والسجن اكراه والوعيد
اكراه وهذا قول مالك الا انه قال والوعيد المخوف اكراه وان لم يقع اذا تحقق ظلم ذلك
المتعدي وانفاذه لما يتوعد به وليس عند مالك واصحابه في الضرب والسجن توقيت انما
هو ما كان يؤلم من الضرب وما كان من سجن يدخل فيه التضييق على المكره واكراه السلطان
وغيره عند مالك اكراه وتناقض الكوفيون فلم يجعلوا السجن والقيد اكراها على شرب الخمر
واكل الميتة لانه لا يخاف منهما التلف وجعلوهما اكراها في اقراره لفلان عندي الف درهم
قال ابن سحنون وفي اجماعهم على ان الالم والوجع الشديد اكراه ما يدل على ان الاكراه يكون
من غير تلف نفس وذهب مالك الى ان من اكره على يمين بوعيد او سجن او ضرب انه يحلف
ولا حنث وهو قول الشافعي وابي ثور واكثر العلماء الموفية عشرين ومن هذا الباب ما ثبت
ان من المعاريض لمندوحة عن الكذب وروي الاعمش عن ابراهيم النخعي انه قال لا باس اذا
بلغ الرجل عنك شيء ان تقول والله ان الله يعلم ما قلت فيك شيئا من ذلك قال عبد
الملك بن حبيب معناه ان الله يعلم ان الذي قلت وهو في ظاهره انتفاء من القول ولا حنث
على من قال ذلك في نفسه ولا كذب عليه في كلامه وقال النخعي كان لهم كلام من الغاز

الايمان يدرؤن به عن انفسهم لا يرون ذلك من الكذب ولا يخشون فيه الحنث قال عبد الملك
وكانوا يسمون ذلك المعاريض من الكلام اذا كان ذلك في غير مكر ولا خديعة في حق وقال
الاعمش كان ابراهيم النخعي اذا اتاه احد يكره الخروج اليه جلس في مسجد بيته وقال للجارية
قولي له هو والله في المسجد وروى مغيرة عن ابراهيم انه كان يجيز للرجل من البعث اذا عرضوا
على اميرهم ان يقول والله ما اهتدي الا ما سدد لي غيري ولا اركب الا ما حملني غيري هذا
ونحو هذا من الكلام قال عبد الله يعني بقوله غير الله تعالى هو سدده وهو يحمله فلم يكونوا
يرون على الرجل هذا الحنث في يمينه ولا كذبا في كلامه وكانوا يكرهون ان يقال هذا في خديعة
وظلم وجحدان حق فمن اجترا وفعل اثم في خديعته ولم يجب عليه كفارة في يمينه الموفية عزون
قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا اي وسعه لقبول الكفر ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى
فهو يرد على القدرية وصدرا نصب على المفعول فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اي عذاب
جهنم ذلك اي ذلك الغضب بانهم استحبوا الحياة الدنيا اي اختاروها على الآخرة وان
الله في موضع خفض عطفا على انهم لا يهدي القوم الكافرين ثم وصفهم فقال اولئك الذين
طبع الله على قلوبهم اي عن فهم المواعظ وسمعهم عن كلام الله وابصارهم عن النظر في الآيات
واولئك هم الغافلون عما يراد بهم لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون تقدم قوله تعالى
ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها
لغفور رحيم يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون
ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت
بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم
فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت
الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به
فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا
حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع
قليل ولهم عذاب اليم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك
واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم
يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا
حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما
كان من المشركين انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما
صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون قوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا
وصبروا هذا كله في عمار والمعنى وصبروا على الجهاد ذكره النحاس وقال قتادة نزلت في قوم خرجوا
مهاجرين الى المدينة بعد ان فتنهم المشركون وعذبوهم وقد تقدم ذكرهم في هذه السورة وقيل

نزلت

نزلت في ابن ابي سرح وكان قد ارتد ولحق بالمشركين فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم فتح مكة فاستجار بعثمان
فاجاره النبي صلى الله عليه وسلم ذكره الكسائي عن عكرمة عن ابن عباس قال في سورة النحل من كفر بالله من بعد
ايمانه الا من اكره الى قوله عذاب عظيم فنسخ واستثنى من ذلك فقال ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد
ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم وهو عبد الله بن ابي سرح الذي كان على
مصر كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فازله الشيطان فلحق بالكفار فامر به ان يقتل يوم الفتح
فاستجار بعثمان بن عفان فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها
اي ان الله غفور رحيم يوم تاتي كل نفس تجادل اي تخاصم وتحاج عن نفسها جاء في الخبر ان كل
احد يقول يوم القيامة نفسي نفسي من شدة هول يوم القيامة سوى محمد صلى الله عليه وسلم فانه يسال
في امته وفي حديث عمر انه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا هيجنا حدثنا نبهنا فقال له كعب يا امير
المؤمنين والذي نفسي بيده لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك تارات لا يهمك
الا نفسك وان لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي منتخب الا وقع جاثيا على ركبتيه حتى ان ابراهيم
الخليل ليدلي بالخلة فيقول رب انا خليلك ابراهيم لا اسالك الا نفسي قال يا كعب اين تجد ذلك
في كتاب الله قال قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون
وقال ابن عباس في هذه الآية ما تزال الخصومة بالناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد
فيقول الروح رب الروح منك انت خلقته لم يكن لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين
ابصر بها ولا اذن اسمع بها ولا عقل اعقل به حتى جئت فدخلت في هذا الجسد فضعف عليه انواع
العذاب ونجني فيقول الجسد رب انت خلقتني بيدك فكنت كالخشبة ليس لي يد ابطش بها ولا
قدم اسعى بها ولا بصر ابصر به ولا سمع اسمع به فجاء هذا كشعاع النور فبه نطق لساني وبه ابصرت
عيناي وبه مشت رجلي وبه سمعت اذني فضعف عليه انواع العذاب ونجني منه قال فيضرب
الله لهما مثلا اعمى ومقعدا دخلا بستانا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمرة والمقعد لا ينالها فنادى المقعد
الاعمى ائتني فاحملني آكل واطعمك فدنا منه فحمله فاصابا من الثمرة فعلى من يكون العذاب قالا
عليهما قال عليكما جميعا العذاب ذكره الثعلبي قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية هذا متصل
بذكر المشركين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على مشركي قريش فقال اللهم اشدد وطاتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلوا بالقحط حتى اكلوا العظام ووجه اليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بطعام ففرق فيهم كانت آمنة لا يهاج اهلها ياتيها رزقها رغدا من كل مكان
من البر والبحر نظيره يجبى اليه ثمرات كل شيء الآية فكفرت بانعم الله الانعم جمع النعمة كالاشد
جمع الشدة وقيل جمع نعمى مثل بؤسى وابؤس وهذا الكفران تكذيب محمد عليه السلام فاذاقها الله
اي اذاق اهلها لباس الجوع والخوف سماه لباسا لانه يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء
الحال ما هو كاللباس بما كانوا يصنعون اي من الكفر والمعاصي وقرا عاصم ابن غياث ونصر بن عاصم
وابن ابي اسحق والحسن وابو عمرو فيما روي عنه عبد الوارث وعبيد وعباس والخوف نصبا بايقاع
اذاقها عليه عطفا على اللباس اي اذاقها الله لباس الجوع واذاقها الخوف وهو بعث النبي صلى الله
عليه وسلم سراياه التي كانت تطيف بهم واصل الذوق بالفم ثم يستعار فيوضع موضع الابتلاء
وضرب مكة مثلا لغيرها من البلاد اي انها مع جوار بيت الله وعمارة مسجده لما كفر اهلها
اصابهم القحط فكيف بغيرها من القرى وقد قيل انها المدينة آمنت برسول الله ثم كفرت
بانعم الله بقتل عثمان وما حدث بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتن وهذا قول عائشة

وحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه مثل مضروب باي قرية كانت على هذه الصفة من ساير
القرى قوله تعالى ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه وهذا يدل على انها مكة وهو قول ابن عباس ومجاهد
وقتادة فاخذهم العذاب وهو الجوع الذي وقع بمكة وقيل الشدايد والجوع منها قوله تعالى فكلوا
مما رزقكم الله اي كلوا يا معشر المسلمين من الغنايم وقيل الخطاب للمشركين لان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث اليهم بطعام رافة عليهم وذلك انهم لما ابتلوا بالجوع سبع سنين وقطع عنهم العرب الميرة بامر
النبي صلى الله عليه وسلم اكلوا العظام المحرقة والجيفة والكلاب الميتة والجلود والعلهز وهو الوبر
يعالج بالدم ثم ان روسا مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا هذا عذاب الرجال
فما بال النساء والصبيان وقال له ابو سفيان يا محمد انك جيت تامر بصلة الرحم والعفو وان قومك
قد هلكوا فادع الله لهم فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واذن للناس بحمل الطعام اليهم
وهم بعد مشركون قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم الاية تقدم في البقرة القول فيه مستوفى
قوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ما هنا مصدرية اي لوصف
وقيل اللام لام نصب واجل اي لا تقولوا لاجل وصفكم الكذب بنزع الخافض اي بما تصف السنتكم للكذب
وقري الكذب بضم الكاف والذال والباء نعتا للالسنة وقد تقدم وقرا الحسن هنا خاصة الكذب
بفتح الكاف وخفض الذال والباء نعتا لما التقدير ولا تقولوا الوصف السنتكم الكذب وقيل على
البدل من ما اي ولا تقولوا للكذب الذي تصف السنتكم هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب
الاية خطاب للكفار الذين حرموا البحاير والسوايب وكل ما حرموه ان الذين يفترون على الله
الكذب لا يفلحون متاع قليل اي ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عن قريب وقال الزجاج اي متاعهم
متاع قليل وقيل لهم متاع قليل ثم يردون الى عذاب اليم اسند الدارمي ابو محمد في مسنده اناهرون
عن حفص عن الاعمش قال ما سمعت ابراهيم قط يقول حلال ولا حرام ولكن كان يقول كانوا يكرهون
وكانوا يستحبون وقال ابن وهب قال لي مالك لم يك من فتيا الناس ان يقولوا هذا حلال
وهذا حرام ولكن يقولون اياكم كذا وكذا ولم اكن لاصنع هذا ومعنى هذا ان التحليل والتحريم انما
هو لله عز وجل وليس لاحد ان يقول او يصرح بهذا في عين من الاعيان الا ان يكون البارى يخبر
بذلك عنه وما يودي اليه الاجتهاد في انه حرام يقول اني اكره وكذلك كان مالك يفعل اقتدا
بمن تقدم من اهل الفتوى فان قيل فقد قال فيمن قال لزوجته انت علي حرام انها حرام ويكون
ثلاثا فالجواب انما لما سمع علي ابن ابي طالب يقول انها حرام اقتدى به وهو يقوى الدليل
على التحريم عند المجتهد فلا باس عند ذلك ان يقول ذلك كما يقول ان الربا حرام في غير الاعيان
الستة وكثيرا ما يطلق مالك رحمه الله بذلك حرام لا يصلح في الاموال الربوية وفيما خالف
المصالح وخرج عن طريق المقاصد لقوة الادلة في ذلك قوله تعالى وعلى الذين هادوا بين
ان الانعام والحرث حلال لهذه الامة فاما اليهود فحرمت عليهم منها اشياء حرمنا ما قصصنا
عليك من قبل اي في سورة الانعام وما ظلمناهم اي بتحريم ما حرمنا عليهم ولكن ظلموا انفسهم
فحرمنا عليهم تلك الاشياء عقوبة لهم كما تقدم في النساء قوله تعالى ثم ان ربك للذين
عملوا السوء اي الشرك قاله ابن عباس وقد تقدم في النساء قوله تعالى ان ابراهيم كان امة
قانتا لله حنيفا دعا عليه الصلاة والسلام مشركي العرب الى ملة ابراهيم اذ كان اباهم وباني
البيت الذي به عزهم والامة الرجل الجامع للخير وقد تقدم محامله وقال ابن وهب وابن
القاسم عن مالك قال بلغني ان عبد الله بن مسعود قال رحم الله معاذا كان امة قانتا فقيل

له يا ابا عبد الرحمن انما ذكر الله عز وجل بهذا ابراهيم عليه السلام فقال ابن مسعود ان الامة الذي
يعلم الناس الخير وان القانت هو المطيع وقد تقدم القنوت في البقرة وحنيفا في الانعام قوله تعالى
شاكرا لانعمه الانعم جمع نعمة وقد تقدم اجتباه اي اختاره وهداه الى صراط مستقيم واتيناه في
الدنيا حسنة قيل الولد الطيب وقيل الثنا الحسن وقيل النبوة وقيل الصلاة مقرونة بالصلاة على
محمد عليهما الصلاة والسلام وقيل في التشهد وقيل انه ليس اهل دين الا وهم يتولونه وقيل تقاضيا
فيه وزيادة قبره وكل ذلك اعطاه الله وزاده صلى الله عليه وسلم وانه في الاخرة لمن الصالحين من
بمعنى مع اي مع الصالحين لانه كان في الدنيا ايضا مع الصالحين وقد تقدم هذا في البقرة انتهى قوله
تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم قال ابو عمر امر باتباعه في المناسك كما علم ابراهيم
جبريل عليهما السلام وقال الطبري امر باتباعه في التبري من الاوثان والتدين بالاسلام وقيل
امر باتباعه في جميع ملته الا ما امر بتركه قاله بعض اصحاب الشافعي على ما حكاه الماوردي
والصحيح الاتباع في عقايد الشرع دون الفروع لقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا قلت في
هذه الاية دليل على جواز اتباع الافضل للمفضول لما تقدم الى الصواب والعمل به ولا درك على
الفاضل في ذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء عليهم السلام وقد امر بالاقتداء بهم فقال
فبهداهم اقتده وقال هنا اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم قوله تعالى انما جعل السبت
على الذين اختلفوا فيه اي لم يكن في شرع ابراهيم ولا من دينه بل كان سمحا لا تغليظ فيه ولان
السبت تغليظا على اليهود في رفض الاعمال وترك التبسط في المعاش بسبب اختلافهم
فيه ثم جاء عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقال تفرغوا للعبادة في كل سبعة ايام يوما
واحدا فقالوا لا نريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا فاختاروا الاحد وقد اختلف العلماء في
كيفية ما وقع لهم من الاختلاف فقالت طايفة ان موسى عليه السلام امرهم بيوم الجمعة
وعينه لهم واخبرهم بفضيلته على غيره فناظروه ان السبت افضل فقال الله له دعهم
وما اختاروا لانفسهم وقيل ان الله تعالى لم يعينه لهم وانما امرهم بتعظيم يوم الجمعة فاختلف
اجتهادهم في تعيينه فعينت اليهود السبت لان الله تعالى فرغ فيه من الخلق وعينت
النصارى الاحد لان الله تعالى بدا فيه الخلق فالزم كل ما اداه اليه اجتهاده وعين
الله لهذه الامة يوم الجمعة من غير ان يكلفهم الى اجتهاد فضلا منه ورحمة فكانت خير
امة روى الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون الاولون
يوم القيمة ونحن اول من يدخل الجنة انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم
فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله
اليه قال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى فقوله فهذا يومهم الذي
اختلفوا فيه يقوي قول من قال انه لم يعين لهم فانه لو عين لهم وعاندوا لما قيل اختلفوا
وانما كان ينبغي ان يقال فخالفوا فيه وعاندوا ومما يقويه ايضا قوله عليه الصلاة والسلام
اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا وهذا نص في المعنى وقد جاء في بعض طرقه فهذا
يومهم الذي فرض الله عليهم اختلفوا فيه وهو حجة للقول الاول وقد روي ان الله تعالى
كتب الجمعة على من قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع قوله تعالى
على الذين اختلفوا فيه يريد في يوم الجمعة كما بيناه اختلفوا على نبيهم موسى وعيسى ووجه
الاتصال بما قبله ان النبي صلى الله عليه وسلم امر باتباع الحق وحذر الله الامم من الاختلاف

عليه فشدد عليهم كما شدد على اليهود قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فيه
مسئلة واحدة هذه الاية نزلت بمكة في وقت الامر بمهادنة قريش وامره ان يدعوا الى دين
الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف وهكذا ينبغي ان يوعظ المسلمون الى فهي محكمة
في جهة العصاة من الموحدين ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين وقد قيل ان من امكنت معه
هذه الاحوال من الكفار ورجي ايمانه دون قتال فهي فيه محكمة والله اعلم قوله تعالى وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به فيه اربع مسائل الاولى اطبق جمهور اهل التفسير ان هذه الاية مدنية
نزلت في شان التمثيل بحمزة في يوم احد ووقع ذلك في صحيح البخاري وفي كتاب السير وذهب
النحاس الى انها مكية والمعنى متصل بما قبلها من المكي ايضا اتصالا حسنا لانها تتدرج الرتب من الذي
يدعى ويوعظ الى الذي يجادل الى الذي يجازى على فعله ولكن ما روى الجمهور اثبت روى
الدارقطني عن ابن عباس قال لما انصرف المشركون عن قتلى احد انصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فراى منظرا ساءه راى حمزة شق بطنه واصطلم انفه وجدعت اذناه فقال لولا ان
يحزن النساء او يكون سنة لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير لامثلن مكانه
بسبعين رجلا ثم دعا ببردة وغطى بها وجهه فخرجت رجلاه فغطى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجهه وجعل على رجليه من الاذخر ثم قدمه فكبر عليه عشرا ثم جعل يجاء بالرجل
فيوضع وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة وكان القتلى سبعين فلما دفنوا و
فرغ منهم نزلت هذه الاية ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة واصبر وما صبرك
الا بالله فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يمثل باحد خرجه اسمعيل بن اسحق من حديث
ابي هريرة وحديث ابن عباس اكمل وحكى الطبري عن فرقة انها قالت انما نزلت هذه
الاية فيمن اصيب بظلامة ان لا ينال من ظالمه اذا تمكن الا مثل ظلامته لا يتعداه الى غيره
وحكاه الماوردي عن ابن سيرين ومجاهد الثانية واختلف اهل العلم فيمن ظلمه رجل
في اخذ مال ثم ائتمن الظالم المظلوم على مال هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه فقالت
فرقة له ذلك منهم ابن سيرين وابراهيم النخعي وسفيان ومجاهد واحتجت بهذه الاية
وعموم لفظها وقال مالك وفرقة معه لا يجوز له ذلك واحتجوا بقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك رواه الدارقطني وقد تقدم
هذا في البقرة مستوفى ووقع في مسند ابن اسحق ان هذا الحديث انما ورد في رجل زنى بامرأة
اخر ثم تمكن الاخر من زوجة الثاني بان تركها عنده وسافر فاستشار ذلك الرجل رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الامر فقال له اد الامانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك وعلى هذا
فيتقوى قول مالك في امر المال لان الخيانة لاحقة في ذلك وهي رذيلة لا انفكاك عنها
فينبغي ان يتجنبها لنفسه بان يمكن من الانتصاف من مال لم يأتمنه عليه فيشبه ان ذلك
جائز وكان الله حكم له كما لو تمكن الاخذ بالحكم من الحاكم وقد قيل ان هذه الاية منسوخة
نسختها واصبر وما صبرك الا بالله الثالثة في هذه الاية دليل على جواز التماثل في
القصاص فمن قتل بحديدة قتل بها ومن قتل بحجر قتل به ولا يتعدى قدر الواجب وقد
تقدم هذا المعنى في البقرة مستوفى الرابعة سمى الله تعالى الاذايات في هذه الاية عقوبة
والعقوبة انما هي الثانية وانما فعل ذلك ليستوي اللفظان ويتناسب ديباجة وهذا بعكس
قوله ومكروا ومكر الله وقوله الله يستهزئ بهم فان الثاني هنا هو المجاز والاول هو الحقيقة

قاله ابن عطية قوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله فيه مسئلة واحدة قال ابن زيد منسوخة
بالقتال وجمهور الناس على انها محكمة اي اصبر بالعفو عن المعاقبة بمثل ما عوقبوا في المثلة ولا تحزن
عليهم اي على قتلى احد فانهم صاروا الى رحمة الله ولا تك في ضيق فضيق جمع ضيقة قال الشاعر
كشف الضيقة عنا وفسح وقراءة الجمهور بفتح الضاد وقرا ابن كثير بكسر الضاد ورويت عن نافع
وهو غلط ممن روى قال بعض اللغويين الكسر والفتح في الضاد لغتان في المصدر قال الاخفش الضيق
والضيق مصدر ضاق يضيق والمعنى لا يضيق صدرك من كفرهم وقال الفراء الضيق ما ضاق عنه
صدرك والضيق ما يكون في الذي يتسع ويضيق مثل الدار والثوب وقال ابن السكيت هما سواء
يقال في صدره ضيق وضيق وقرئ العتبي ضيق مخففا اي لا تكن في امر ضيق مخفف مثل هين وهين
وقال ابن عرفة يقال ضاق الرجل اذا بخل واذا افتقر وقوله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون اي اتقوا الفواحش
والكبائر بالنصر والمعونة والفضل والبر وتقدم معنى الاحسان وقيل لهرم بن حيان عند موته اوصنا
فقال اوصيكم بايات الله واخر سورة النحل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الى اخرها والله اعلم

سورة الاسرى هذه السورة مكية الا ثلاث ايات قوله تعالى وان كادوا ليستفزونك
نزلت حين جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ثقيف وحين قالت اليهود ليست هذه بارض
الانبياء وقوله عز وجل وقل رب ادخلني مدخل صدق وقوله ان ربك احاط بالناس الاية وقال
مقاتل وقوله عز وجل ان الذين اوتوا العلم من قبله الاية قال ابن مسعود في بني اسرائيل والكهف
انهن من العتاق الاول وهن من تلادي يريد من قديم كسبه بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من
اياتنا انه هو السميع البصير واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا
من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا وقضينا الى بني اسرائيل
في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم
عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم
الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم
وان اساتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول
مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين
حصيرا ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان
لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما ويدع الانسان بالشر
دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا
اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء
فصلناه تفصيلا وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه
منشورا اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
الى قوله البصير فيه ثمان مسائل الاولى قوله سبحان اسم موضوع موضع المصدر وهو غير متمكن لانه لا
يجري بوجوه الاعراب ولا يدخل عليه الالف واللام ولم يجر منه فعل ولم ينصرف لان في اخره زائدتين
تقول سبحت تسبيحا وسبحانا مثل كفرت اليمين تكفيرا وكفرانا ومعناه التنزيه والبراءة لله تعالى
من كل نقص فهو ذكر عظيم لله تعالى لا يصلح لغيره فاما قول الشاعر اقول لما جاءني فخره سبحان
من علقمة الفاخر فانما ذكره على طريق النادر وقد روى طلحة بن عبيد الله الفياض احد العشرة

انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما معنى سبحان الله فقال تنزيه الله من كل سوء والقايل فيه على مذهب
سيبويه الفعل الذي من معناه لا من لفظه اذ لم يجر من لفظه فعل وذلك مثل قعد القرفصا واشتمل
الصما والتقدير عنده انزه الله تنزيها فوقع سبحان الله مكان قولك تنزيها الثانية قوله
تعالى اسرى فيه لغتان سرى واسرى كسقى واسقى كما تقدم قال اسرت عليه من الجوزاء سارية
تزجي الشمال عليه جامد البرد وقال اقربني النضير ودبر الخدر اسرت الي ولم تكن تسري فجمع بين
اللغتين في البيتين والاسرى سير الليل يقال سريت مسرى وسرى واسريت اسرا قال الشاعر
وليلة ذات ندى سريت ولم يليني من سواها ليت وقيل اسرى سرى من اول الليل وسرى
سار من اخره والاول اعرف الثالثة قوله بعبده قال العلماء لو كان للنبي صلى الله عليه وسلم
اسم اشرف منه لسماه به في تلك الحالة العلية وفي معناه وانشدوا يا قوم ان قلبي عند زهرا
يعرفه السامع والرايي لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمايي وقد تقدم قال القشيري لما
رفعه الله تعالى الى حضرته السنية وارقاه فوق الكواكب العلوية الزمه اسم العبودية
تواضعا للامة الرابعة ثبت الاسرا في جميع مصنفات الحديث وروي عن الصحابة في كل اقطار
الاسلام فهو من المتواتر بهذا الوجه وذكر النقاش ممن رواه عشرين صحابيا روى الصحيح عن انس
بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض فوق الحمار ودون
البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة
التي تربط بها الانبيا قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل
باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا
الى السماء وذكر الحديث ومما ليس في الصحيحين ما خرجه الاجري والسمرقندي قال الاجري
عن ابي سعيد الخدري في قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى
المسجد الاقصى الذي باركنا حوله قال ابو سعيد حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة
الاسرا به قال صلى الله عليه وسلم اتيت بدابة هي اشبه الدواب بالبغل له اذنان مخطرفان
وهو البراق الذي كان الانبياء تركبه قبل فركبته فانطلق يقع يداه عند منتهى بصره فسمعت ندا
عن يميني يا محمد على رسلك حتى اسالك فمضيت ولم اعرج عليه ثم استقبلتني امراة عليها من كل
زينة الدنيا رافعة يديها تقول على رسلك حتى اسالك فمضيت ولم اعرج ثم اتيت بيت
المقدس الاقصى فنزلت عن الدابة فاوثقته في الحلقة التي كانت توثق بها الانبياء ثم
دخلت المسجد وصليت فيه فقال لي جبريل عليه السلام ما سمعت يا محمد فقلت سمعت ندا عن
يميني يا محمد على رسلك حتى اسالك فمضيت ولم اعرج فقال ذلك داعي اليهود لو وقفت لتهودت
امتك قال ثم سمعت نداء عن يساري على رسلك حتى اسالك فمضيت ولم اعرج عليه فقال
ذلك داعي النصارى اما انك لو وقفت لتنصرت امتك قلت ثم استقبلتني امراة عليها
من كل زينة الدنيا رافعة يديها تقول على رسلك فمضيت ولم اعرج عليها فقال تلك الدنيا
لو وقفت لاثرت الدنيا على الاخرة قال ثم اتيت باناءين احدهما فيه لبن والاخر فيه خمر
فقيل لي خذ فاشرب ايهما شئت فاخذت اللبن فشربته فقال لي جبريل اصبت الفطرة ولو
انك اخذت الخمر غوت امتك ثم جاء بالمعراج الذي يعرج فيه ارواح بني ادم فاذا احسن
ما رايت الم تروا الى الميت كيف يحد بصره اليه فعرج بنا حتى انتهينا الى باب السماء الدنيا
فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قال وقد ارسل اليه قال

نعم ففتحوا لي وسلموا علي واذا ملك يحرس السماء يقال له اسمعيل معه سبعون الف ملك مع كل ملك مائة الف
قال وما يعلم جنود ربك الا هو وذكر الحديث الى ان قال ثم مضينا الى السماء الخامسة فاذا انا بهرون
بن عمران المحبب في قومه وحوله تبع كثير من امته فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم وقال طويل اللحية
تكاد لحيته تضرب سرته ثم مضينا الى السماء السادسة فاذا انا بموسى فسلم علي ورحب بي فوصفه النبي
صلى الله عليه وسلم فقال رجل كثير الشعر لو كان عليه قميصان لخرج شعره منهما الحديث وروى البزار ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتي بفرس فحمل عليه كل خطوة منه اقصى بصره وذكر الحديث ثم بدا في صفة
البراق من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نايم في الحجر اذ اتاني ات
فحركني برجله فاتبعت الشخص فاذا هو جبريل عليه السلام قايم على باب المسجد معه دابة دون البغل
وفوق الحمار وجهها وجه انسان وخفها خف حافر وذنبها ذنب ثور وعرفها عرف فرس فلما ادناها
مني جبريل عليه السلام نفرت ونفشت عرفها فمسحها جبريل وقال يا برقة لا تنفري من محمد فوالله ما
ركبك ملك مقرب ولا نبي مرسل افضل من محمد صلى الله عليه وسلم ولا اكرم على الله منه قالت قد علمت
انه كذلك وانه صاحب الشفاعة واني احب ان اكون في شفاعته فقلت انت في شفاعتي ان شاء
تعالى الحديث وذكر ابو سعيد عبد الملك بن محمد النيسابوري عن ابي سعيد الخدري قال لما مر النبي
صلى الله عليه وسلم بادريس في السماء الرابعة قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح الذي وعدنا
ان نراه فلم نره الا الليلة قال فاذا فيها مريم بنت عمران لها سبعون قصرا من لؤلؤ ولام موسى بن
عمران سبعين قصرا من مرجانة حمراء مكللة باللؤلؤ ابوابها واسرتها من عرق واحد فلما
عرج للمعراج الى السماء الخامسة وتسبيح اهلها سبحان من جمع بين الثلج والنار من قالها مرة واحدة
كان له مثل ثوابهم فتح الباب جبريل عليه السلام ففتح له فاذا هو بكهل لم ير كهل قط اجمل منه عظيم
العينين تضرب لحيته فوق سرته قد كاد ان تكون سمطة وحوله قوم جلوس يقص عليهم
فقلت يا جبريل من هذا قال هرون المحبب في قومه وذكر الحديث فهذه نبذة مختصرة من
احاديث الاسرا خارجة عن الصحيحين ذكرها ابو الربيع سليمان بن سبع بكمالها في كتاب شفاء
الصدور له ولا خلاف بين اهل العلم وجماعة اهل السير ان الصلاة انما فرضت على النبي صلى الله
عليه وسلم بمكة في حين الاسرا حين عرج به الى السماء واختلفوا في تاريخ الاسرا وهيئة الصلاة وهل
كان اسرا بروحه او جسده فهذه ثلاث مسائل تتعلق بالاية وهي مما ينبغي الوقوف عليها والبحث
عنها وهي اهم من سرد الاحاديث وانا اذكر ما وقفت عليه من اقاويل العلماء واختلاف الفقهاء
بعون الله تعالى فاما المسئلة الاولى وهو هل كان اسرا بروحه او بجسده فاختلف في ذلك
السلف والخلف فذهبت طائفة الى انه اسرا بالروح ولم يفارق شخصه مضجعه وانها كانت رويا
راى فيها الحقايق ورويا الانبياء حق ذهب الى هذا معاوية وعايشة وحكي عن الحسن وابن اسحق
وقالت طائفة كان الاسرا بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح واحتجوا بقوله تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل المسجد الاقصى غاية الاسرا
قالوا ولو كان الاسرا بجسده الى زايد على المسجد الاقصى لذكره فانه كان يكون ابلغ في المدح وذهب
معظم السلف الى انه كان اسرا بالجسد وفي اليقظة وانه ركب البراق بمكة ووصل الى بيت
المقدس وصلى فيه ثم اسري بجسده الى السماء وعلى هذا قول الاخبار التي اشرنا اليها والاية وليس
في الاسرا بجسده في حال يقظته استحالة ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند
الاستحالة ولو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى يدل

فصل

على ذلك ولو كان مناما لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما قالت له ام هانى لا تحدث الناس فيكذبوك ولا
ابو بكر بالتصديق ولا امكن قريشا التشنيع والتكذيب وقد كذبه قريش فيما اخبر به حتى ارتد اقوام
كانوا اسلموا فلو كان بالرؤيا لم يستنكر وقد قال له المشركون ان كنت صادقا فخبرنا عن عيرنا اين
لقيتها قال بمكان كذا وكذا مررت عليها ففزع فلان فقيل له ما رايت يا فلان قال ما رايت شيئا غير
ان الابل قد نفرت قالوا فاخبرنا متى تاتينا العير قال تاتيكم يوم كذا قالوا اية ساعة قال ما ادري طلوع
الشمس من هاهنا اسرع ام طلوع العير من هاهنا فقال رجل ذلك اليوم هذه الشمس قد طلعت وقال
رجل هذه عيركم واستخبروا النبي صلى الله عليه وسلم عن صفة بيت المقدس فوصفه لهم ولم يكن راه
قبل ذلك روى الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رايتني في الحجر وقريش
تسالني عن مسراي فسالتني عن اشياء من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط قال
فرفعه الله لي انظر اليه ما سالوني عن شيء الا انباتهم به الحديث وقد اعترض قول عايشة ومعاوية
انما اسري بنفس رسول الله صلى الله عليه وسلم بانها كانت صغيرة لم تشاهد ولا حدثت عن النبي
صلى الله عليه وسلم واما معاوية فكان كافرا في ذلك الوقت غير مشاهد للحال ولم يحدث عن النبي
صلى الله عليه وسلم ومن اراد الزيادة على ما ذكرنا فليقف على كتاب الشفا للقاضي عياض تخذ من ذلك
الشفا وقد احتج لعايشة بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس فسماها رؤيا
وهذا يرده قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده لانه لا يقال في النوم اسرى وايضا فقد يقال
لرؤية العين رؤيا على ما ياتي في هذه السورة وفي نصوص الاخبار الثابتة دلالة واضحة على ان
الاسرا كان بالبدن واذا ورد الخبر في شيء هو مجوز في العقل في قدرة الله تعالى فلا طريق الى انكاره
لا سيما في زمن خرق العوايد وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم معارج فلا يبعد ان يكون البعض بالرؤيا
وعليه يحمل قوله عليه الصلاة والسلام في الصحيح بينا انا عند البيت بين النايم واليقظان الحديث
ويحتمل ان يرد من الاسرا الى نوم والله اعلم المسئلة الثانية في تاريخ الاسرا وقد اختلف العلما
في ذلك ايضا واختلف في ذلك على ابن شهاب فروى عنه موسى بن عقبة انه اسري به الى بيت
المقدس قبل خروجه الى المدينة بسنة وروى عنه يونس عن عروة عن عايشة قالت توفيت خديجة
قبل ان تفرض الصلاة قال ابن شهاب وذلك بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسبعة اعوام
وروى عنه الوقاصي قال اخبرني به بعد مبعثه بخمس سنين قال ابن شهاب وفرض الصيام
بالمدينة قبل بدر وفرضت الزكاة والحج بالمدينة وحرمت الخمر بعد احد وقال ابن اسحق اسري
به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس وقد فشا الاسلام بمكة وفي القبايل وروى
عنه يونس بن بكير قال صلت خديجة مع النبي صلى الله عليه وسلم وسياتي قال ابو عمر هذا يدلك
على ان الاسرا كان قبل الهجرة باعوام لان خديجة توفيت قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بثلاث وقيل
باربع وقول ابن اسحق لقول ابن اسحق على ان ابن شهاب قد اختلف عنه كما تقدم وقال
الحربي اسري به ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة وقال ابو بكر محمد بن علي بن
القاسم الذهبي في تاريخه اسري به من مكة الى بيت المقدس وعرج به الى السماء بعد مبعثه بثمانية
عشر شهرا قال ابو عمر ولا اعلم احدا من اهل السير قال ما حكاه الذهبي ولم يسند قوله الى احد
ممن يضاف اليه هذا العلم منهم ولا رفعه الى من يحتج به المسئلة الثالثة واما فرض الصلاة
وهيئتها حين فرضت فلا خلاف بين اهل العلم وجماعة اهل السير ان الصلاة انما فرضت بمكة
ليلة الاسرا حين عرج به الى السماء وذلك منصوص في الصحيح وغيره وانما اختلفوا في هيئتها

حين

حين فرضت فروى عن عايشة انها فرضت ركعتين ركعتين ثم زيد في صلاة الحضر فاكملت اربعا
واقرت صلاة السفر على ركعتين وبذلك قال الشافعي وميمون بن مهران ومحمد بن اسحق قال
الشعبي الا المغرب قال يونس بن بكير وقال ابن اسحق ثم ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم حين
فرضت عليه الصلاة يعني في الاسرا فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت عين ماء مزن
فتوضا جبريل ومحمد عليهما السلام فوضاء وجهه واستنشق ومضمض ومسح براسه واذنيه
ورجليه الى الكعبين ونضح فرجه ثم قام يصلي ركعتين باربع سجدات فرجع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد اقر الله عينه وطابت نفسه وجاءه ما يحب من امر الله تعالى فاخذ بيد
خديجة ثم اتى بها العين فتوضا كما توضا جبريل ثم ركع ركعتين واربع سجدات هو وخديجة
ثم كان هو وخديجة يصليان سواء وروي عن ابن عباس انها فرضت في الحضر اربعا وفي السفر
ركعتين وكذلك قال نافع بن جبير والحسن بن ابي الحسن البصري وهو قول ابن جريج وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يوافق ذلك ولم يختلفوا في ان جبريل عليه السلام هبط ليلة الاسرا
عند الزوال يعلم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة ومواقيتها وروي يونس بن بكير عن سالم مولى
ابي المهاجر قال سمعت ميمون بن مهران يقول كان اول الصلاة مثنى ثم صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اربعا فصارت سنة واقرت الصلاة للمسافر وهي تمام قال ابو عمر وهذا اسناد لا يحتج بمثله
وقوله فصارت سنة قول منكر وكذلك استثنى الشعبي وحدها ولم يذكر الصبح قول لا معنى له وقد
اجمع المسلمون ان فرض الصلاة في الحضر اربع الا المغرب والصبح ولا يعرفون غير ذلك عملا ونقلا
مستفيضا ولا يضرهم الاختلاف فيما كان اصل فرضها الرابعة قد مضى الكلام في الاذان
في المائدة ومضى في ال عمران ان اول مسجد وضع في الارض المسجد الحرام ثم المسجد الاقصى وان
بينهما اربعون عاما من حديث ابي ذر وبنا سليمان عليه السلام المسجد الاقصى ودعاؤه له من
حديث عبد الله بن عمرو ووجه الجمع في ذلك فتامله هناك فلا معنى للاعادة ونذكر هنا
قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاث مساجد الى المسجد الحرام والى مسجدي هذا
والى مسجد ايليا او بيت المقدس خرجه مالك من حديث ابي هريرة وفيه ما يدل على فضل
هذه المساجد ولهذا قال العلماء من نذر صلاة في مسجد لا يصل اليه الا برحلة وراحلة فلا
يفعل ويصلي في مسجده الا في الثلاثة المساجد المذكورة فانه من نذر صلاة فيها خرج
اليها وقد قال مالك وجماعة من اهل العلم فيمن نذر رباطا في ثغر يسده يلزمه الوفا حيث كان
الرباط لانه طاعة لله عز وجل وقد زاد ابو البختري في هذا الحديث مسجد الجند ولا يصح
وهو موضوع وقد تقدم في مقدمة الكتاب الثامنة قوله تعالى الى المسجد الاقصى سمي الاقصى
لبعد ما بينه وبين المسجد وكان ابعد مسجد عن اهل مكة في الارض يعظم بالزيارة ثم قال
الذي باركنا حوله قيل بالثمار ومجاري الانهار وقيل بمن دفن حوله من الانبياء والصالحين
وبهذا جعله مقدسا وروي معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى
يا شام انت صفوتي من بلادي وانا سايق اليك صفوتي من عبادي لنريه من اياتنا هذا من
باب تلوين الخطاب والايات التي اراه الله من العجايب التي اخبر بها الناس واسراؤه من مكة
الى المسجد الاقصى وهو مسيرة شهر وعروجه الى السماء ووصفه الانبياء واحدا حسب ما ثبت في
صحيح مسلم وغيره انه هو السميع البصير تقدم قوله تعالى واتينا موسى الكتاب اي كرمنا محمدا صلى
الله عليه وسلم بالمعراج واكرمنا موسى بالكتاب وهو التوراة وجعلناه اي ذلك الكتاب فخرج

من الغيبة الى الاخبار عن نفسه عز وجل وقيل معنى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا معناه اسرينا يدل
عليه ما بعده من قوله لنريه من اياتنا فحمل واتينا موسى الكتاب على المعنى الا يتخذوا وقرا ابو عمرو
يتخذوا بالياء الباقون بالتاء فيكون من باب تلوين الخطاب وكيلا اي شريكا عن مجاهد وقيل كفيلا
باموره حكاه الفرا وقيل ربا يتوكلون عليه في اموره قاله الكلبي وقال الفراء كافيا والتقدير وعهدنا
اليه في الكتاب ان لا يتخذوا من دوني وكيلا وقيل لئلا يتخذوا والوكيل من يوكل اليه الامر قوله
تعالى ذرية من حملنا مع نوح اي يا ذرية من حملنا على النداء قاله مجاهد ورواه عنه ابن ابي
نجيح والمراد بالذرية كل من احتج عليه بالقران وهم جميع من على الارض ذكره المهدوي وقال
الماوردي يعني موسى وقومه من بني اسرائيل والمعنى يا ذرية من حملنا مع نوح لا تشركوا وذكر نوحا
ليذكرهم نعمة الانجاء من الغرق على ابائهم وروى سفيان عن حميد عن مجاهد انه قرا ذرية
بفتح الذال وتشديد الراء والياء وروى هذه القراءة عامر بن عبد الواحد عن زيد بن ثابت
وروي عن زيد بن ثابت ايضا ذرية بكسر الذال وتشديد الراء والياء ثم بين ان نوحا كان
عبدا شكورا يشكر الله على نعمه ولا يرى الخير الا من عنده قال قتادة كان اذا لبس ثوبا قال
بسم الله واذا نزعه قال الحمد لله كذا روى عنه معمر وروى معمر عن منصور عن ابراهيم قال شكره
اذا اكل قال بسم الله فاذا فرغ من الاكل قال الحمد لله وقال سلمان الفارسي لانه كان يحمد الله على
طعامه وقال عمران بن سليم انما سمي نوحا عبدا شكورا لانه كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني
ولو شاء لاجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء لاظماني واذا اكتسى قال الحمد لله
الذي كساني ولو شاء لاعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء لاحفاني واذا
قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني الاذى ولو شاء لحبسه في ومقصود الاية انكم من
ذرية نوح وقد كان عبدا شكورا فانتم احق بالاقتداء به دون ابائكم الجهال وقيل المعنى ان
موسى كان عبدا شكورا اذ جعله الله من ذرية نوح وقيل يجوز ان يكون ذرية مفعولا ثانيا
لتتخذوا ويكون قوله وكيلا يراد به الجمع فيسوغ ذلك في القراءتين جميعا اعني الياء والتاء في
تتخذوا ويجوز ايضا في القراءتين جميعا ان يكون ذرية بدلا من قوله وكيلا لانه بمعنى الجمع
فكانه قال لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح ويجوز نصبها باضمار اعني وامدح والعرب
قد تنصب على المدح والذم ويجوز رفعها على البدل من المضمر في يتخذوا في قراءة الياء ولا
يحسن ذلك لمن قرا بالتاء لان المخاطب لا يبدل منه الغايب ويجوز جرها على البدل من بني
اسرائيل في الوجهين فاما ان من قوله ان لا يتخذوا فهي على قراءة من قرا بالياء في موضع نصب
بحذف الجار التقدير هديناهم لئلا يتخذوا ويصلح على قراءة التاء ان تكون زائدة والقول
مضمر كما تقدم ويصلح ان تكون مفسرة بمعنى اي لا موضع لها من الاعراب وتكون لا للنهي فيكون
خروجا من الخبر الى النهي قوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب وقرا سعيد بن جبير
وابو العالية في الكتب على لفظ الجمع وقد يرد لفظ الواحد ويكون معناه الجمع فتكون القراءتان
بمعنى واحد ومعنى قضينا اعلمنا واخبرنا قاله ابن عباس وقال قتادة حكمنا واصل القضا
الاحكام للشيء والفراغ منه وقيل قضينا اوحينا ولذلك قال الى بني اسرائيل وعلى قول
قتادة يكون الى بمعنى على اي قضينا عليهم وحكمنا وقاله ابن عباس ايضا والمعنى بالكتاب
اللوح المحفوظ لتفسدن في الارض وقرا ابن عباس لتفسدن عيسى الثقفي لتفسدن والمعنى
في القراءتين قريب لانهم لما افسدوا افسدوا والمراد بالفساد مخالفة احكام التورية في

الارض

الارض يريد ارض الشام وبيت المقدس وما والاها مرتين ولتعلن لام القسم مضمر كما تقدم علوا كبيرا
اراد التكبر والبغي والطغيان والاستطالة والغلبة والعدوان قوله تعالى فاذا جاء وعد اولهما
اي اول المرتين من فسادهم بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد هم اهل بابل وكان عليهم بخت نصر
في المرة الاولى حين كذبوا ارميا وجرحوه وحبسوه قاله ابن عباس وغيره وقال قتادة ارسل عليهم
جالوت فقتلهم فهو وقومه اولو باس شديد وقال مجاهد جاءهم جند من فارس يتجسسون اخبارهم
ومعهم بخت نصر فوعى حديثهم من بين اصحابه ثم رجعوا الى فارس ولم يكن قتال وهذا في المرة الاولى
فكان منهم جوس خلال الديار لا قتل ذكره القشيري ابو نصر وذكر المهدوي عن مجاهد انه جاءهم
بخت نصر فهزمه بنو اسرائيل ثم جاءهم ثانية فقتلهم ودمرهم تدميرا رواه ابن ابي نجيح عن مجاهد
ذكره النحاس وقال محمد بن اسحق في حديث فيه طول ان المهزوم سنحاريب ملك بابل وجاء معه
ستمائة الف راية تحت كل راية مائة الف فارس فنزل حول بيت المقدس فهزمه الله تعالى
وامات جميعهم الا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه وبعث ملك بني اسرائيل واسمه صديقة في
طلب سنحاريب فاخذ مع الخمسة احدهم بخت نصر فطرح في رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين
يوما حول بيت المقدس وايلياء ويرزقهم كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم ثم اطلقهم فرجعوا
الى بابل ثم مات سنحاريب بعد سبع سنين واستخلف بخت نصر وعظمت الاحداث في بني اسرائيل
واستحلوا المحارم وقتلوا نبيهم شعيا فجاءهم بخت نصر ودخل هو وجنوده بيت المقدس وقتل
بني اسرائيل حتى افناهم وقال ابن عباس وابن مسعود اول الفساد قتل زكريا وقال ابن اسحق
فساده في المرة الاولى قتل شعيا نبي الله في الشجرة وذلك انه لما مات صديقة ملكهم مرج
امرهم وتنافسوا على الملك وقتل بعضهم بعضا وهم لا يسمعون من نبيهم فقال الله تعالى له قم
في قومك اوح على لسانك فلما فرغ مما اوحى الله اليه عدوا عليه ليقتلوه فهرب فانفلقت
له شجرة فدخل فيها وادركه الشيطان فاخذ هدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في
وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها وذكر ابن اسحق ان بعض العلماء اخبره ان
زكريا مات موتا ولم يقتل وانما المقتول شعيا وقال سعيد بن جبير في قوله ثم بعثنا عليكم
عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار هو سنحاريب من اهل نينوى بالموصل ملك
بابل وهذا خلاف ما قال ابن اسحق والله اعلم وقيل انهم العمالقة وكانوا كفارا قاله الحسن
ومعنى جاسوا عاثوا وقتلوا وكذلك جاسوا وهاسوا وداسوا قاله ابن عزيز وهو قول القتبي
وقرا ابن عباس حاسوا بالحاء المهملة قال ابو زيد الحوس والجوس والعوس والهوس الطوف
بالليل وقال الجوهري الجوس مصدر قولك جاسوا خلال الديار اي تخللوها فطلبوا ما فيها كما
يجوس الرجل الاخبار اي يطلبها وكذلك الاجتياس والجوسان بالتحريك الطوفان بالليل وهو
قول ابي عبيدة وقال الطبري طافوا بين الديار يطلبونهم ويقتلونهم ذاهبين وجائين فجمع بين
قولي اهل اللغة قال ابن عباس مشوا وترددوا بين الدور والمساكن وقال الفراء قتلوكم بين
بيوتكم وانشد لحسان
ومنا الذي لاقى بسيف محمد … فجاس به الاعداء عرض العساكر
وقال قطرب نزلوا قال
فجسنا ديارهم عنوة … وابنا بسادتهم موثقينا
وكان وعدا مفعولا
اي قضاء كائنا لا خلف فيه قوله عز وجل ثم رددنا لكم الكرة عليهم اي الدولة والرجعة
وذلك لما تبتم واطعتم ثم قيل ذلك حين قتل داود جالوت او قتل غيره على الخلاف فيمن قتلهم
وامددناكم باموال وبنين حتى عاد امركم كما كان وجعلناكم اكثر نفيرا اي اكثر عددا ورجالا من

عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من عشيرته يقال نفير ونافر مثل قدير وقادر ويجوز ان يكون النفير
جمعا جمع نفر كالكليب والمعين والعبيد قال الشاعر فاكرم بقحطان من والد وحمير اكرم بقوم
نفيرا والمعنى انهم صاروا بعد هذه الوقعة الاولى اكثر انضماما واصلح امورا لاجزاء من الله تعالى
على عودهم الى الطاعة قوله عز وجل ان احسنتم احسنتم لانفسكم اي نفع احسانكم عايد عليكم وان
اساتم فلها اي فعليها على نحو سلام لك اي سلام عليك قال فخر صريعا لليدين وللفم
اي على اليدين وعلى الفم وقال الطبري اللام بمعنى الى يعني وان اساتم فاليها اي فاليها ترجع
الاساءة كقوله بان ربك اوحى لها اي اليها وقيل عليها الجزاء والعقاب وقال الحسن بن الفضل
فلها رب يغفر الاساءة ثم يحتمل ان يكون هذا خطابا لبني اسرائيل في اول الامر اي اساتم فحل بكم
القتل والسبي والتخويف واحسنتم فعاد اليكم الملك والعلو وانتظم الحال ويحتمل ان يكون
خوطب بهذا بنو اسرائيل في زمن محمد صلى الله عليه وسلم اي عرفتم استحقاق اسلافكم العقوبة
على العصيان فارتقبوا مثله او يكون خطابا لمشركي قريش على هذا الوجه فاذا جاء وعد
الاخرة من افسادكم وذلك انهم قتلوا في المرة الثانية يحيى بن زكريا قتله ملك من بني
اسرائيل يقال له لاخت قاله العتبي وقال الطبري اسمه هيردوس ذكره في التاريخ حمله على
قتله امراة اسمها ربابيل وقال السدي كان ملك بني اسرائيل يكرم يحيى بن زكريا ويستشيره
في الامور فاستشاره الملك ان يتزوج بنت امراة له فنهاه عنها وقال انها لا تحل لك فحقدت
امها على يحيى ثم البست ابنتها ثيابا رقاقا حمراء وطيبتها وارسلتها الى الملك وهو على شرابه وامرتها
ان تتعرض له واذا ارادها ابت حتى يعطيها ما تساله فاذا اجاب سالت ان يؤتى براس يحيى
بن زكريا في طست من ذهب ففعلت ذلك حتى اتي براس يحيى بن زكريا والراس تتكلم حتى وضع
بين يديه وهي تقول لا تحل لك لا تحل لك فلما اصبح اذا دمه يغلي فالقي عليه التراب فغلا فوقه
فلم يزل يلقى عليها التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي ذكره الثعلبي وغيره وذكر ابن عساكر
الحافظ في تاريخه عن الحسين بن علي قال كان ملك من هذه الملوك مات وترك امراة اخيه
فاستشار يحيى بن زكريا في ذلك وكانت الملوك في ذلك الزمان يعملون بامر الانبياء فقال
له لا تتزوجها فانها بغي فعرفت المراة انه قد ذكرها وصرفه عنها فقالت من اين هذا حتى
بلغها انه من قبل يحيى فقالت ليقتلن يحيى او ليخرجن من ملكه فعمدت الى ابنتها وصنعتها ثم
قالت اذهبي الى عمك عند الملا فانه اذا راك سيدعوك ويجلسك في حجره ويقول سليني
ما شئت فانك لن تساليني شيئا الا اعطيتك فاذا قال لك ذلك فقولي لا اسالك الا راس
يحيى قال وكانت الملوك اذا تكلم احدهم بشيء على روس الملا ثم لم يمض له نزع من ملكه
ففعلت ذلك قال فجعل ياتيه الموت من قتله يحيى وجعل ياتيه الموت من خروجه من ملكه
واختار ملكه فقتله قال فساخت بامها الارض قال ابن جدعان فحدثت بهذا الحديث
ابن المسيب قال افلا اخبرك كيف كان قتل زكريا قلت لا قال ان زكريا حيث قتل ابنه انطلق
هاربا منهم واتبعوه حتى اتى على شجرة ذات ساق فدعته اليها فانطوت عليه وبقيت من ثوبه هدبة
يكفها الرياح فانطلقوا الى الشجرة فقطعوه معها قلت وقع في التاريخ الكبير للطبري فحدثني
ابو السائب قال ابو معوية عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث عيسى
بن مريم يحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس قال فكان فيما نهوهم عنه نكاح
ابنة الاخ قال وكان لملكهم ابنة اخ تعجبه وذكر الحديث بمعناه وعن ابن عباس قال بعث يحيى بن

زكريا

زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس فكان فيما يعلمونهم ينهونهم عن نكاح بنت الاخت وكان لملكهم
بنت اخت تعجبه وكان يريد ان يتزوجها وكان لها كل يوم حاجة تقضيها فلما بلغ ذلك امها انهم
نهوا عن نكاح بنت الاخت قالت لها اذا دخلت على الملك فقال الك حاجة فقولي له حاجتي ان
تذبح يحيى بن زكريا فقال سليني سوى هذا فقالت ما اسالك سوى هذا فلما ابت عليه دعا
بطست ودعا به فذبحه فندرت قطرة من دمه على وجه الارض فلم تزل تغلي حتى بعث الله عليهم
بخت نصر فالقي في نفسه ان يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن فقتل منهم سبعين الفا وفي رواية
خمسة وسبعين الفا قال سعيد بن المسيب هي دية كل نبي وعن ابن عباس قال اوحى الله الى محمد
صلى الله عليه وسلم اني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين الفا واني قاتل بابن ابنتك سبعين الفا
وسبعين الفا وعن سمير بن عطية قال قتل على الصخرة التي في بيت المقدس سبعون نبيا منهم
يحيى بن زكريا وعن زيد بن واقد قال رايت راس يحيى عليه السلام حيث ارادوا بناء مسجد دمشق اخرج
من تحت ركن من اركان القبة التي تلي المحراب مما يلي الشرق وكانت البشرة والشعر على حاله لم يتغير
وعن قرة بن خالد قال ما بكت السماء على احد الا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي وحمرتها بكاؤها وعن
سفيان بن عيينة قال اوحش ما يكون ابن ادم في ثلاثة مواطن يوم ولد فيخرج الى دار هم وليلة
يبيت مع الموتى فيجاور جيرانا لم ير مثلهم ويوم يبعث فيشهد مشهدا لم ير مثله قال الله تعالى ليحيى
في هذه الثلاثة مواطن وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا كله من التاريخ المذكور
واختلف فيمن كان المبعوث عليهم في المرة الاخرة فقيل بخت نصر وقاله القشيري ابو نصر ولم يذكر
غيره قال السهيلي وهذا لا يصح لان قتل يحيى بعد رفع عيسى وبخت نصر كان قبل عيسى بن مريم
عليهما السلام بزمان طويل وقبل الاسكندر وبين الاسكندر وعيسى نحو من ثلاثمائة سنة ولكنه
ان اريد بالمرة الاخرى حين قتلوا شعيا فقد كان بخت نصر اذ ذاك حيا فهو الذي قتلهم وخرب
بيت المقدس واتبعهم الى مصر واخرجهم منها وقال الثعلبي ومن روى ان بخت نصر هو الذي غزا
بني اسرائيل عند قتلهم شعيا وفي عهد ارميا قالوا ومن عهد ارميا وتخريب بخت نصر بيت المقدس
الى مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام اربعمائة سنة وستون سنة وذلك انهم يعدون من
عهد تخريب بيت المقدس الى عمرانه الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس ثمانية وثمانين
سنة ثم من بعد مملكة الاسكندر الى مولد يحيى ثلثمائة وثلاثين سنة قلت وذكر
جميعه الطبري في التاريخ رحمه الله قال الثعلبي وانما الصحيح من ذلك ما ذكره محمد بن اسحق
قال لما رفع الله عيسى من بين اظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا وبعض الناس يقول لما قتلوا زكريا
بعث الله اليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل بابل وظهر عليهم بالشام ثم قال
لرئيس جنوده كنت حلفت بالاهي لئن اظهرني الله على بيت المقدس لاقتلنهم حتى تسيل دماؤهم
في وسط عسكري وامره ان يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم فدخل الرئيس بيت المقدس فوجد فيها
دما يغلي فسالهم فقالوا دم قربان قربناه فلم يتقبل منا منذ ثمانين سنة قال ما صدقتموني
فذبح على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلا من روسائهم فلم يهدا فامر بسبعة الاف من بنيهم
وازواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد فقال يا بني اسرائيل اصدقوني من قبل ان لا اترك منكم نافخ نار
من انثى ولا ذكر الا قتلته فلما راوا الجهد قالوا ان هذا دم نبي منا كان ينهانا عن امور كثيرة من سخط
الله فقتلناه فهذا دمه كان اسمه يحيى بن زكريا ما عصى الله طرفة عين ولا هم بمعصية فقال
الان صدقتموني وخر ساجدا ثم قال لمثل هذا ينتقم منكم وامر بغلق الابواب وقال اخرجوا من كان ههنا

من جيش حردوس وخلا في بني اسرائيل وقال يا نبي الله يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما قد اصاب
قومك من اجلك فاهدا باذن الله قبل ان لا ابقي منهم احدا فهدا دم يحيى بن زكريا باذن الله ورفع
عنهم القتل وقال رب اني امنت بما امن به بنو اسرائيل وصدقت به فاوحى الله تعالى الى راس من
روس الانبياء ان هذا الرئيس مؤمن صدوق ثم ان عدو الله حردوس امرني ان اقتل منكم حتى
تسيل دماؤكم وسط عسكره واني لا اعصيه فامرهم فحفروا خندقا وامر باموالهم من الابل والخيل
والبغال والحمير والبقر والغنم فذبحوها حتى سال الدم الى العسكر وامر بالقتلى الذين كانوا قتلوا
قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم ثم انصرف عنهم الى بابل وقد كان ان يفني بني اسرائيل قلت
قد ورد في هذا الباب حديث مرفوع فيه طول من حديث حذيفة وقد كتبناه في كتاب التذكرة
مقطعا في ابواب في اخبار المهدي نذكر منه هنا ما يبين معنى الاية وتفسيرها حتى لا يحتاج معها الى بيان
قال حذيفة قلت يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيما جسيم الخطر عظيم القدر فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من اجل البيوت ابتناه الله لسليمان بن داود عليهما السلام من ذهب
وفضة ودر وياقوت وزمرد وذلك ان سليمان بن داود لما بناه سخر له الجن ياتونه بالذهب والفضة
من المعادن واتوه بالجواهر والياقوت والزمرد وسخر الله تعالى له الجن حتى بنوه من هذه الاصناف
قال حذيفة فقلت يا رسول الله وكيف اخذت هذه الاشياء من بيت المقدس فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان بني اسرائيل لما عصوا الله وقتلوا الانبياء سلط الله عليهم بخت نصر وهو من
المجوس وكان ملكه سبعمائة سنة وهو قوله تعالى فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا
اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال
وسبوا النساء والاطفال واخذوا الاموال وجميع ما كان في بيت المقدس من هذه الاصناف
فاحتملوها على سبعين الفا ومائة الف عجلة حتى اودعوها ارض بابل فاقاموا يستخدمون بني
اسرائيل ويستملكونهم بالخزي والعقاب والنكال مائة عام ثم ان الله تعالى رحمهم فاوحى الى ملك
من ملوك فارس ان يسيروا الى المجوس في ارض بابل وان يستنقذوا من في ايديهم من بني
اسرائيل فسار اليهم ذلك الملك حتى دخل ارض بابل فاستنقذ من بقي من بني اسرائيل من ايدي
المجوس واستنقذ ذلك الحلي الذي كان من بيت المقدس ورده الله اليه كما كان اول مرة
وقال لهم يا بني اسرائيل ان عدتم الى المعاصي عدنا عليكم بالسبي والقتل وهو قوله عسى ربكم ان
يرحمكم وان عدتم عدنا فلما رجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس عادوا الى المعاصي فسلط الله
عليهم ملك الروم قيصر وهو قول الله تعالى فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد
كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا فغزاهم في البر والبحر فسباهم وقتلهم واخذ اموالهم
ونساءهم واخذ جميع حلي بيت المقدس واحتمله على سبعين الفا ومائة الف عجلة حتى اودعه في
كنيسة الذهب فهو فيها الان حتى ياخذه المهدي ويرده الى بيت المقدس وهو الف سفينة
وسبعمائة سفينة يرسى بها على يافا حتى ينقل الى بيت المقدس وبها يجمع الله الاولين والاخرين
وذكر الحديث قوله تعالى فاذا جاء وعد الاخرة اي من المرتين وجواب اذا محذوف تقديره
بعثناكم دل عليه بعثنا الاول ليسوءوا وجوهكم اي بالسبي والقتل فيظهروا اثر الحزن في وجوههم
فليسوءوا متعلق بمحذوف اي بعثنا عبادا ليفعلوا بكم ما يسوء وجوهكم قيل المراد بالوجوه السادة
اي ليذلوهم وقرا الكسائي لنسوء بالنون وفتح الهمزة فعل مخبر عن نفسه معظم اعتبارا بقوله وقضينا
وبعثنا ورددنا ونحوه عن علي وتصديقها قراءة ابي لنسوءن بالنون وحرف التوكيد وقرا ابو بكر

والاعمش

والاعمش وابن وثاب وحمزة وابن عامر ليسوء بالياء على التوحيد وفتح الهمزة ولها وجهان احدهما
ليسوء الله وجوهكم والثاني ليسوء الوعد وجوهكم وقرا الباقون ليسوءوا بالياء وضم الهمزة على الجمع اي
ليسوء العباد الذين هم اولوا باس شديد وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا اي
ليدمروا ويهلكوا وقال قطرب يهدموا قال الشاعر فما الناس الا عاملان فعامل يتبر منا الادكم
تتبيرا ما علوا اي غلبوا عليه ولمر رافع قوله تعالى عسى ربكم ان يرحمكم وهذا مما اخبروا في كتابهم وعسى
وعد من الله ان يكشف عنهم وعسى من الله واجبة ان يرحمكم بعد انتقامه وكذلك كان فكثر عددهم
وجعل منهم الملوك وان عدتم عدنا قال قتادة فعادوا فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فهم
يعطون الجزية بالصغار وروي عن ابن عباس وهذا خلاف ما تقدم في الحديث وغيره وقال
القشيري وقد حل العقاب ببني اسرائيل مرتين في ايدي الكفار ومرة على ايدي المسلمين وهذا
حين عادوا فعاد الله عليهم وعلى هذا يصح قول قتادة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا
وسجنا من الحصر وهو الحبس قال الجوهري يقال حصره يحصره حصرا ضيق عليه واحاط به والحصير
البخيل والحصير البارية والحصير الجنب قال الاصمعي هو ما بين العرق الذي يظهر في جنب البعير والفرس
معترضا فما فوقه الى منقطع الجنب والحصير الملك لانه محجوب قال لبيد وقماقم غلب الرقاب كانهم
جن لدى باب الحصير قيام ويروى ومقامة وعصابة غلب الرقاب على ان يكون غلب بدلا من مقامة كانه
قال ورب غلب الرقاب وروى عن ابي عبيدة لدى طرف الحصير اي عند طرف البساط للنعمان بن المنذر
والحصير الحبس قال الله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا قال القشيري ويقال للذي يفرش حصير
لحصر بعضه على بعض بالنسج وقال الحسن اي فراشا ومهادا ذهب الى الحصير التي تفرش لان العرب
تسمي البساط الصغير حصيرا قال الثعلبي وهو وجه حسن قوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي
اقوم لما ذكر المعراج وذكر ما قضى الى بني اسرائيل وكان ذلك دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ثم بين ان الكتاب الذي انزل عليه سبب اهتداء ومعنى التي هي اقوم اي الطريقة التي هي اقصد
واعدل واصوب فالتي نعت لموصوف محذوف اي الطريقة التي هي اقوم وقال الزجاج للحال اي
التي هي اقوم وقال الزجاج للحال اي التي هي اقوم الحالات وهي توحيد الله والايمان برسله وقاله
الكلبي والفراء قوله تعالى ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات تقدم ان لهم بان لهم اجرا
كبيرا اي الجنة وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اي يبشرهم بان لاعدائهم العقاب والقران معظمه
وعد ووعيد وقرا حمزة والكسائي ويبشر بفتح الياء وضم الشين وقد ذكر قوله تعالى ويدع الانسان
بالشر دعاءه بالخير قال ابن عباس وغيره هو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضجر بما لا يحب ان يستجاب
له اللهم اهلكه ونحوه دعاءه بالخير اي كدعائه ربه ان يهب له العافية فلو استجاب الله دعاءه على
نفسه هلك لكن لا يستجيب له في ذلك نظيره ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقد
تقدم وقيل نزلت في النضر بن الحارث كان يدعو ويقول اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل هو ان يدعو في طلب المحظور كدعائه في
طلب المباح قال الشاعر وهو ابن جامع اطوف بالبيت فيمن يطوف وارفع من مئزري المسبل
واسجد بالليل حتى الصباح واتلو من المحكم المنزل عسى فارج الهم عن يوسف يسخر لي ربة المحمل
قال الجوهري يقال ما على فلان محمل مثال مجلس اي معتمد والمحمل ايضا واحد محامل الحاج والمحمل ايضا
مثال المرجل علاقة السيف وحذفت الواو من يدع الانسان في اللفظ والخط ولم تحذف في المعنى
لان موضعها رفع فحذفت لاستقبالها اللام الساكنة كقوله سندع الزبانية ويمح الله الباطل

وسوف يوت الله المؤمنين وينادي المنادي فما تغني النذر وكان الانسان عجولا اي طبعه العجلة
فيعجل بسؤال الشر كما يعجل بسوال الخير وقيل اشار به الى ادم حين نهض قبل ان يتركب فيه الروح
على الكمال قال سلمان اول ما خلق الله ادم راسه فجعل ينظر وهو يخلق جسده فلما كان عند العصر
بقيت رجلاه لم ينفخ فيهما الروح فقال يا رب عجل قبل الليل فذلك قوله وكان الانسان عجولا
وقال ابن عباس لما انتهت النفخة الى سرته نظر الى جسده فذهب لينهض فلم يقدر فذلك قوله وكان
الانسان عجولا وقال ابن مسعود لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى
الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلا الى ثمار الجنة فذلك حين يقول خلق الانسان من
عجل ذكره البيهقي وفي صحيح مسلم عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور
الله تعالى ادم في الجنة تركه ما شاء الله ان يتركه فجعل ابليس يطوف به فينظر ما هو فلما راه اجوف
عرف انه مخلوق خلقا لا يتمالك وقد تقدم وقيل سلم عليه السلام اسيرا الى سودة فبات باكيا فسالته
فقال ايتني لشدة القد والاسر فارخت من كتافه فلما نامت هرب فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال
قطع الله يديك فلما اصبحت كانت تتوقع الاية فقال عليه الصلاة والسلام اني سالت الله ان
يجعل دعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر ونزلت الاية ذكره القشيري
ابو نصر وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر
يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن اذيته او سببته
او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي الباب عن عايشة وجابر
وقيل معنى وكان الانسان عجولا اي يوثر العاجل وان قل على الاجل وان جل قوله تعالى وجعلنا
الليل والنهار ايتين اي علامتين على وحدانيتنا ووجودنا وكمال علمنا وقدرتنا والاية فيهما
اقبال كل واحد منهما من حيث لا يعلم وادباره الى حيث لا يعلم ونقصان احدهما بزيادة الاخر
وبالعكس ايضا وكذلك ضوء النهار وظلمة الليل وقد مضى هذا فمحونا اية الليل ولم يقل فمحونا
الليل فلما اضاف الاية الى الليل والنهار دل على ان الايتين المذكورتين لهما لا هما ومحونا معناه
طمسنا وفي الخبر ان الله تعالى امر جبريل عليه السلام فامر جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء
وكان كالشمس في النور والسواد الذي يرى في القمر من اثار المحو قال ابن عباس جعل الله الشمس
سبعين جزوا والقمر سبعين جزوا فمحا من نور القمر تسعة وستين جزوا فجعلها مع نور الشمس فالشمس على مائة وتسعة وثلثين جزوا والقمر على جزء واحد وعنه ايضا خلق شمسين من نور عرشه
فجعل ما سبق في علمه ان تكون شمسا مثل الدنيا على قدرها من مشارقها الى مغاربها وجعل القمر
دون الشمس فارسل جبريل فامر جناحه على وجهه ثلاث مرات وهو يومئذ شمس فطمس ضوءه
وبقي نوره فالسواد الذي ترونه في القمر اثر المحو ولو تركه شمسا لم يعرف الليل من النهار ذكر
عن الاول الثعلبي والثاني المهدوي وسياتي مرفوعا وقال علي رضي الله عنه وقتادة يريد
بالمحو اللطخة السودا التي تكون في القمر ليكون ضوء القمر اقل من ضوء الشمس فيتميز به الليل من
النهار وجعلنا اية النهار مبصرة اي جعلنا شمسه مضيئة للابصار قال ابو عمرو بن العلا
اي يبصر بها قال الكسائي وهو من قول العرب ابصر النهار اذا اضاء وصار بحالة يبصر بها وقيل
هو كقولهم خبيث مخبث اذا كان اصحابه خبثا ورجل مضعف اذا كان رجاله ضعفا فكذلك
النهار مبصرا اذا كان اهله بصراء لتبتغوا فضلا من ربكم يريد التصرف في المعاش ولم يذكر
السكون في الليل اكتفاء بما ذكر في النهار وقد قال في موضع اخر وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه ولتعلموا عدد السنين والحساب اي لو لم يفعل ذلك لما عرف الليل من النهار ولا كان يعرف

الحساب والعدد وكل شيء فصلناه تفصيلا اي من احكام التكليف وهو كقوله تبيانا لكل شيء ما
فرطنا في الكتاب من شيء وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ابرم الله خلقه فلم يبق من
خلقه غير ادم خلق شمسا من نور عرشه وقمرا فكانا جميعا شمسين فاما ما كان في سابق علم الله ان
يدعها شمسا فخلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها واما ما كان في علم الله ان يخلقها قمرا فخلقها
دون الشمس في العظم ولكن انما يرى صغرها من شدة ارتفاع السماء وبعدها من الارض فلو ترك
الله الشمس والقمر لما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولا كان الاجير يدري الى متى يعمل ولا الصايم الى متى
يصوم ولا المراة كيف تعتد ولا تدري اوقات الصلوة والحج ولا تحل الديون ولا حين يبذرون
ويزرعون ولا متى يسكنون للراحة لابدانهم فكان الله نظر لعباده وهو ارحم بهم من انفسهم
فارسل جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات وهو يومئذ شمس فطمس منه الضوء وبقي
فيه النور فذلك قوله وجعلنا الليل والنهار ايتين الاية قوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره
في عنقه قال الزجاج ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق وقال ابن عباس طائره
عمله وما قدر عليه من خير او شر وهو ملازمه اينما كان وقال مقاتل والكلبي خيره وشره معه لا
يفارقه حتى يحاسب به وقال مجاهد عمله ورزقه وعيشه ما من مولود يولد الا وفي عنقه ورقة
فيها مكتوب شقي او سعيد وقال الحسن الزمناه طائره اي سعادته وشقاوته وما كتب له من خير
وشر وما صار له من التقدير اي صار له عند القسمة في الازل وقيل اراد به التكليف اي قلدناه
التزام الشرع وهو بحيث لو اراد ان يفعل ما امر به وينزجر عما زجر عنه امكنه ذلك ونخرج
له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا يعني كتاب طائره الذي في عنقه وقرا الحسن وابو رجا ومجاهد
طيره بغير الف ومنه ما روي في الخبر اللهم لا خير الا خيرك ولا طير الا طيرك ولا رب غيرك
وقرا ابن عباس والحسن ومجاهد وابن محيصن وابو جعفر ويعقوب ويخرج بفتح الياء وضم الراء
على معنى ويخرج له الطاير كتابا وكتابا منصوص على الحال ويحتمل ان يكون المعنى ويخرج الطاير
فيصير كتابا وقرا يحيى بن وثاب ويخرج بضم الياء وكسر الراء وروي عن مجاهد اي يخرج الله وقرا
شيبة ومحمد بن السميقع وروي ايضا عن ابي جعفر ويخرج بضم الياء وفتح الراء على الفعل المجهول
ومعناه ويخرج له الطاير كتابا والباقون ونخرج بنون مضمومة وكسر الراء اي ونحن نخرج
واحتج ابو عمرو في هذه القراءة بقوله الزمناه وقرا ابو جعفر والحسن وابن عامر يلقاه بضم الياء
وفتح اللام وتشديد القاف بمعنى يوتاه والباقون بفتح الياء خفيفة اي يراه منشورا وقال
منشورا تعجيلا للبشرى بالحسنة والتوبيخ بالسيئة وقال ابو السوار العدوي وقرا هذه الاية
وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقال هما نشرتان وطية اما حييت يا ابن ادم فصحيفتك
المنشورة فامل فيها ما شئت فاذا مت طويت فاذا بعثت نشرت اقرا كتابك قال الحسن يقرا
الانسان كتابه اميا كان او غير امي كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي محاسبا وقال بعض الصلحا
هذا كتاب لسانك قلمه وريقك مداده واعضاؤك قرطاسه انت كنت المملي على حفظتك ما
زيد فيه ولا نقص منه ومتى انكرت منه شيئا يكون فيه الشاهد منك عليك قوله تعالى
من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا
فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك
بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا

له جهنم يصلها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم
مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد
مذموما مخذولا وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك
الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل
من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه
كان للاوابين غفورا وات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان
المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن عنهم
ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
انه كان بعباده خبيرا بصيرا قوله من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
اي انما كل احد يحاسب عن نفسه لا عن غيره فمن اهتدى فثواب اهتدائه له ومن ضل فعقاب كفره
عليه ولا تزر وازرة وزر اخرى تقدم في الانعام وقال ابن عباس نزلت في الوليد بن المغيرة قال
لاهل مكة اتبعوني واكفروا بمحمد وعلي اوزاركم فنزلت هذه الاية اي ان الوليد لا يحمل اثامكم وانما
اثم كل احد عليه يقال وزر يزر وزرا ووزرة اي اثم والوزر الثقل والجمع اوزار ومنه يحملون
اوزارهم على ظهورهم اي اثقال ذنوبهم وقد وزر اذا حمل فهو وازر ومنه وزير السلطان الذي
يحمل ثقل دولته والهاء في قوله كناية عن النفس اي لا تؤخذ نفس اثمة باثم اخرى حتى ان الوالدة
تلقى ولدها يوم القيمة فتقول يا بني الم يكن حجري لك وطاء الم يكن ثديي لك سقاء الم يكن
بطني لك وعاء فيقول بلى يا امه فتقول يا بني ان ذنوبي اثقلتني فاحمل عني منها ذنبا واحدا فيقول
اليك عني يا امه فاني بذنبي عنك اليوم مشغول مسئلة بزعمت عايشة رضي الله عنها بهذه
الاية في الرد على ابن عمر حين قال ان الميت ليعذب ببكاء اهله قال علماؤنا وانما حملها على ذلك
انه لم تسمعه وانه معارض للاية ولا وجه لانكارها فان الرواة لهذا المعنى كثير كعمر وابنه
والمغيرة بن شعبة وقيلة بنت مخرمة وهم جازمون بالرواية فلا وجه لتخطيتهم ولا معارضة بين
الاية والحديث فان الحديث يحمل على ما اذا كان النوح من وصية الميت وسنته كما كانت
الجاهلية تفعله حتى قال طرفة اذا مت فانعيني بما انا اهله وشقي علي الجيب يا ابنة معبد
وقال الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر والى هذا نحا البخاري
وقد ذهب جماعة من اهل العلم منهم داود الى اعتقاد ظاهر الحديث وانه انما يعذب بنوحهم لانه
اهمل نهيهم عنه قبل موته وتاديبهم بذلك فيعذب بتفريطه في ذلك وبترك ما امر الله به
من قوله قوا انفسكم واهليكم نارا لا بذنب غيره والله اعلم قوله عز وجل وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا اي لم نترك الخلق سدى بل ارسلنا الرسل وفي هذا دليل على ان الاحكام لا تثبت
الا بالشرع خلافا للمعتزلة القايلين بان العقل يقبح ويحسن ويبيح ويحظر وقد تقدم
في البقرة القول فيه والجمهور على ان هذا في حكم الدنيا اي ان الله لا يهلك امة بعذاب الا
بعد الرسالة اليهم والانذار وقالت فرقة هذا عام في الدنيا والاخرة لقوله تعالى كلما القي
فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قال ابن عطية والذي يعطيه النظر ان
بعثة ادم عليه السلام بالتوحيد وبث المعتقدات في بنيه مع نصب الادلة الدالة على

الصانع

الصانع مع سلامة الفطر توجب على كل احد من العالم الايمان واتباع شريعة الله ثم تجدد ذلك في زمن
نوح عليه السلام بعد غرق الكفار وهذه الاية ايضا تعطي احتمال الفاظها نحو هذا في الذين لم يصلهم
رسالة وهم اهل الفترات الذين قد قدر وجودهم بعض اهل العلم واما ما روي من ان الله تعالى
يبعث اليهم يوم القيمة والى المجانين والاطفال فحديث لم يصح ولا يقتضي ما تعطيه الشريعة من
ان الاخرة ليست دار تكليف قال المهدوي وروي عن ابي هريرة ان الله يبعث يوم القيمة رسولا
الى اهل الفترة والابكم والاخرس والاصم فيطيعه منهم من كان يريد ان يطيعه في الدنيا وتلا الاية
رواه معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابي هريرة ذكره النحاس قلت هذا موقوف وسياتي مرفوعا
في اخر سورة طه ان شاء الله تعالى ولا يصح وقد استدل قوم في ان اهل الجزاير اذا سمعوا بالاسلام
وامنوا فلا تكليف عليهم فيما مضى وهذا صحيح ومن لم تبلغه الدعوة فهو غير مستحق للعذاب من جهة
العقل والله اعلم قوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميرا فيه ثلاث مسائل الاولى اخبر تعالى في الاية التي قبل انه لم يهلك القرى قبل
ابتعاث الرسل لا انه يقبح منه ذلك ان فعل ولكنه وعد منه ولا خلف في وعده فاذا اراد اهلاك
قرية مع تحقيق وعده على ما قاله تعالى امر مترفيها بالفسق والظلم فحق القول بالتدمير فعلمك
ان من هلك فانما يهلك بارادته فهو الذي يسبب الاسباب ويسوقها الى غاياتها ليحق القول
السابق من الله تعالى الثانية قوله تعالى امرنا قرا ابو عثمان النهدي امرنا بتشديد الميم اي جعلناهم
امراء مسلطين وقاله ابن عزيز وتامروا عليهم تسلط وقرا الحسن ايضا وقتادة وابو حيوة الشامي ويعقوب
وخارجة عن نافع وحماد بن سلمة وعلي وابن عباس باختلاف عنهما بامرنا بالمد والتخفيف اي اكثرنا
جبابرتها وامراها قاله الكسائي وقال ابو عبيد امرته بالمد وامرته لغتان بمعنى كثرته ومنه
الحديث خير المال مهرة مامورة او سكة مابورة اي كثيرة النتاج والنسل وكذا قال ابن عزيز
امرنا وامرنا بمعنى واحد اي اكثرنا وعن الحسن ايضا ويحيى بن يعمر امرنا بقصر وكسر الميم على فعلنا
ورويت عن ابن عباس قال قتادة والحسن المعنى اكثرنا وعلى نحوه ابو زيد وابو عبيد وانكره الكسائي
وقال لا يقال من الكثرة الا امرنا فانه قال واصلها وامرنا مخففة حكاه المهدوي وفي الصحاح
وقال ابو الحسن امر قاله بالكسر اي كثر وامر القوم اي كثروا قال الشاعر امرون لا يرون منهم
القعود وامر الله ماله بالمد الثعلبي يقال للشيء الكثير امر والفعل منه امر القوم يامرون امرا اذا كثروا
قال ابن مسعود كنا نقول في الجاهلية للحي اذا كثروا امر امر بني فلان قال لبيد كل بني حرة مصيرهم
قل وان كثرت من العدد ان يغبطوا يهبطوا وان امروا يوما يصيروا للهلاك والفند قلت وفي
حديث هرقل الحديث الصحيح لقد امر امر ابن ابي كبشة انه ليخافه ملك بني الاصفر اي كثر وكله غير متعد
ولذلك انكره الكسائي والله اعلم قال المهدوي ومن قرا امرنا فهو لغة ووجه تعديته امرناه
شبهه بعمر من حيث كانت الكثرة اقرب شيء الى العمارة فعدي كما عدي عمر الباقون امرنا
من الامر اي امرناهم بالطاعة اعذارا وانذارا وتخويفا ووعيدا ففسقوا اي خرجوا عن الطاعة عاصين
لنا فحق عليها الوعيد عن ابن عباس وقيل امرنا جعلناهم امراء لان العرب تقول امير غير مامور
اي غير مؤمر وقيل معناه هنا مستكبريها قال هارون وهي قراءة ابي بعثنا اكابر مجرميها ففسقوا
ذكره الماوردي وحكى النحاس وقال هرون في قراءة ابي واذا اردنا ان نهلك قرية بعثنا
فيها اكابر مجرميها ففسقوا فيها فحق عليها القول ويجوز ان يكون امرنا بمعنى اكثرنا ومنه خير
المال مهرة مامورة على ما تقدم وقال قوم مامورة اتباع لمابورة كالغوايا والعشايا وكقوله ارجعن

ماذورات لا ماجورات وعلى هذا لا يقال امرهم الله بمعنى كثرهم بل يقال امره وامره والكثرة والمترف المنعم وخصوا بالامر لان غيرهم تبع لهم الثالثة قوله فدمرناها تدميرا اي استاصلناها بالهلاك تدميرا ذكر المصدر للمبالغة في العذاب الواقع بهم وفي الصحيحين من حديث زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فزعا محمرا وجهه يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق باصبعه الابهام والتي تليها قالت فقلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث وقد تقدم الكلام في هذا الباب وان المعاصي اذا ظهرت ولم تغير كانت سببا لهلاك الجميع والله اعلم قوله تعالى وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح اي من قوم كذبوا حل بهم البوار يخوف كفار مكة وقد تقدم القول في القرن في اول سورة الانعام والحمد لله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا خبيرا عليما بصيرا باعمالهم وقد تقدم قوله تعالى من كان يريد العاجلة يعني الدنيا والمراد الدار العاجلة فعبر بالنعت عن المنعوت عجلنا له ما نشاء لمن نريد اي لم نعطه منها الا ما نشاء ثم نؤاخذه بعمله وعاقبته دخول النار مذموما مدحورا اي مطرودا مبعدا من رحمة الله وهذه صفة المنافقين الفاسقين والمرائين المداجين يلبسون الاسلام والطاعة لينالوا عاجل الدنيا من الغنائم وغيرها فلا يقبل ذلك العمل منهم في الاخرة ولا يعطون في الدنيا الا ما قسم لهم وقد تقدم في هذه الاية تقييد تلك الايات المطلقة فتامله ومن اراد الاخرة اي الدار الاخرة وسعى لها سعيها اي عمل لها عملها من الطاعات وهو مؤمن لان الطاعات لا تقبل الا من مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا اي مقبولا غير مردود وقيل مضاعفا اي تضاعف الحسنات الى عشر والى سبعين والى سبعمائة ضعف والى اضعاف كثيرة كما روي عن ابي هريرة وقد قيل له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليجزي على الحسنة الواحدة الف الف حسنة فقال سمعته يقول ان الله ليجزي على الحسنة الواحدة الفي الف حسنة قوله تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك اعلم الله انه يرزق المؤمنين والكفار وما كان عطاء ربك محظورا اي محبوسا ممنوعا من حظر يحظر حظرا وحظارا ثم قال الله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق والعمل فمن مقل ومكثر وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي للمؤمنين فالكافر وان وسع عليه في الدنيا مرة وقتر على المؤمن مرة فالاخرة لا تقسم الا مرة واحدة باعمالهم فمن فاته شيء منها لم يستدركه فيها قوله تعالى لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وقيل الخطاب للانسان فتقعد اي تبقى مذموما مخذولا لا ناصر لك ولا وليا قوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الى قوله كما ربياني صغيرا فيه ست عشرة مسئلة الاولى قضى اي امر والزم واوجب قاله ابن عباس والحسن وقتادة وليس هذا قضاء حكم بل هو قضاء امر وفي مصحف ابن مسعود ووصى وهي قراءة اصحابه وقراءة ابن عباس ايضا وعلي وغيرهما وكذلك عند ابي بن كعب قال ابن عباس انما هو ووصى ربك فالتصقت احدى الواوين فقرئت وقضى ربك اذ لو كان على القضاء ما عصى الله احد وقال الضحاك تصحف على قوم وصى بقضى حين اختلطت الواو بالصاد وقت كتب المصحف وذكر ابو حاتم عن ابن عباس مثل قول الضحاك وقال عن ميمون بن مهران انه قال ان على قول ابن عباس لنورا قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم ابى ابو حاتم ان يكون ابن عباس قال ذلك وقال لو قلنا هذا لطعن الزنادقة في مصحفنا ثم قال علماؤنا المتكلمون وغيرهم القضاء يستعمل في اللغة على وجوه فالقضاء بمعنى الامر كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات يعني

خلقهن

خلقهن والقضاء بمعنى الحكم كقوله تعالى فاقض ما انت قاض اي احكم ما انت تحكم والقضاء بمعنى الفراغ كقوله تعالى قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي فرغ منه ومنه قوله تعالى فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيت الصلاة والقضاء بمعنى الارادة كقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون والقضاء بمعنى العهد وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر فاذا كان القضاء يحتمل هذه المعاني فلا يجوز اطلاق القول بان المعاصي بقضاء الله لانه ان اريد به الامر فلا خلاف انه لا يجوز ذلك لان الله سبحانه وتعالى لم يامر بها فانه لا يامر بالفحشاء وقال زكريا بن سلام جاء رجل الى الحسن فقال انه طلق امراته ثلاثا فقال انك قد عصيت ربك وبانت منك فقال الرجل قضى الله ذلك علي فقال الحسن وكان فصيحا ما قضى الله ذلك اي ما امر به وقرا هذه الاية وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الثانية امر الله سبحانه وتعالى بعبادته وتوحيده وجعل بر الوالدين مقرونا بذلك كما قرن شكرهما بشكره فقال وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وقال ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وفي صحيح البخاري عن عبد الله قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم اي العمل احب الى الله عز وجل قال الصلاة لوقتها قال ثم اي قال ثم بر الوالدين قال ثم اي قال الجهاد في سبيل الله فاخبر صلى الله عليه وسلم ان بر الوالدين افضل الاعمال بعد الصلاة التي هي اعظم دعائم الاسلام ورتب ذلك بثم التي تعطي الترتيب والمهلة الثالثة من البر بهما والاحسان اليهما ان لا يتعرض لسبهما ولا يعقهما فان ذلك من الكبائر بلا خلاف وبذلك وردت السنة الثابتة ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر بلا خلاف ان يشتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه الرابعة عقوق الوالدين مخالفتهما في اغراضهما الجائزة لهما كما ان برهما موافقتهما على اغراضهما وعلى هذا اذا امرا او احدهما ولدهما بامر وجبت طاعتهما فيه اذا لم يكن ذلك الامر معصية وان كان ذلك المامور به من قبيل المباح في اصله وكذلك اذا كان من قبيل المندوب يزيده تاكيدا في ترتيبه الخامسة روى الترمذي عن ابن عمر قال كانت تحتي امراة احبها وكان ابي يكرهها فامرني ان اطلقها فابيت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عبد الله بن عمر طلق امراتك قال هذا حديث حسن صحيح السادسة روى البخاري عن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من احق الناس بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم ابوك فهذا الحديث يدل على ان محبة الام والشفقة عليها ينبغي ان تكون ثلاثة امثال محبة الاب لذكر النبي صلى الله عليه وسلم الام ثلاث مرات وذكر الاب في الرابعة فقط واذا توصل هذا المعنى شهد له العيان وذلك ان صعوبة الحمل وصعوبة الوضع وصعوبة الرضاع والتربية تنفرد بها الام دون الاب فهذه ثلاث منازل يخلو منها الاب وروي عن مالك ان رجلا قال له ان ابي في بلد السودان وقد كتب الي ان اقدم عليه وامي تمنعني من ذلك فقال له اطع اباك ولا تعص امك يدل قول مالك هذا ان برهما عنده متساو وقد سئل الليث عن هذه المسئلة فامره بطاعة الام وزعم ان لها ثلثي البر وحديث ابي هريرة يدل على ان لها ثلاثة ارباع البر وهو حجة على من خالف وزعم المحاسبي في كتاب الرعاية له انه لا خلاف بين العلماء ان للام ثلاثة ارباع البر وللاب الربع على مقتضى حديث ابي هريرة السابعة لا يختص بر الوالدين بان يكونا مسلمين بل ان كانا كافرين يبرهما ويحسن اليهما اذا كان لهما عهد قال الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وفي صحيح البخاري عن اسماء قالت قدمت

امي وهي مشركة في عهد قريش ومدتهم اذ عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم مع ابيها فاستفتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت ان امي قدمت وهي راغبة افاصلها قال نعم صلي امك وروى ايضا عن اسما
قالت اتتني امي راغبة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالت النبي صلى الله عليه وسلم آصلها
قال نعم قال ابن عيينة فانزل الله عز وجل لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين الاول معلق
والثاني مسند الثامنة من الاحسان اليهما والبر اليهما اذا لم يتعين الجهاد ان لا يجاهد الا باذنهما روى
الصحيحان عن عبد الله بن عمرو قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يستاذنه في الجهاد فقال
احي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد لفظ مسلم في غير الصحيح قال نعم تركتهما يبكيان قال اذهب فاضحكهما
كما ابكيتهما وفي خبر اخر انه قال نومك مع ابويك على فراشهما يضاحكانك ويلاعبانك افضل لك
من الجهاد ذكره ابن خويز منداذ ولفظ البخاري في كتاب بر الوالدين نا ابو نعيم نا سفيان عن عطا بن
السايب عن ابيه عن عبد الله بن عمرو قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يبايعه على الهجرة وترك
ابويه يبكيان قال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما قال ابن المنذر في هذا الحديث النهي عن الخروج
بغير اذن الابوين ما لم يقع النفير فاذا وقع وجب الخروج على الجميع وذلك بين في حديث ابي قتادة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيش الامرا فذكر قصة زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وابن
رواحة وان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ان الصلاة جامعة فاجتمع الناس
فحمد الله واثنى عليه وقال يا ايها الناس اخرجوا وامدوا اخوانكم ولا يتخلفن احد فخرج الناس مشاة
وركبانا في حر شديد في حديث زيد فدل قوله اخرجوا فامدوا اخوانكم ان العذر في التخلف عن
الجهاد انما هو ما لم يطلع النفير مع قوله عليه الصلاة والسلام اذا استنفرتم فانفروا التاسعة وفي
هذه الاحاديث دليل على ان الفروض والمندوبات متى اجتمعت قدم الاهم منهما وقد استوفى هذا
للمعنى المحاسبي في كتاب الرعاية العاشرة واختلفوا في الوالدين المشركين هل يخرج باذنهما اذا كان
الجهاد من فروض الكفاية فكان الثوري يقول لا يغزو الا باذنهما وقال الشافعي له ان يغزو بغير
اذنهما قال ابن المنذر والاجداد اباء والجدات امهات فلا يغزو المرء الا باذنهم ولا اعلم دلالة
توجب ذلك لغيرهم من الاخوة وساير القرابات وكان طاووس يرى السعي على الاخوات افضل
من الجهاد في سبيل الله الحادية عشر من تمام برهما صلة اهل ودهما في الصحيح عن ابن عمر قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من ابر البر صلة الرجل اهل ود ابيه بعد ان يولي وروى
ابن اسيد وكان بدريا قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم جالسا فجاءه رجل من الانصار فقال
يا رسول الله هل بقي من بر والدي من بعد موتهما شي ابرهما به قال الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ
عهدهما بعدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا رحم لك الا من قبلهما فهذا الذي بقي عليك وكان
صلى الله عليه وسلم يهدي لصدايق خديجة برا بها ووفاء لها وهي زوجة فما ظنك بالوالدين
الثانية عشر اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما خص حالة الكبر لان الحالة التي يحتاجان
فيها الى بره لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر فالزم في هذه الحالة مراعاة احوالهما اكثر مما الزمه
من قبل لانهما في هذه الحالة قد صارا كلا عليه فيحتاجان ان يلي منهما ما كان يحتاج في صغره
ان يليا منه فلذلك خص هذه الحالة بالذكر وايضا فطول المكث للمرء يوجب الاستثقال للمرء
عادة ويحصل الملل ويكثر الضجر فيظهر غضبه على ابويه وينتفخ لهما اوداجه ويستطيل عليهما بدالة
البنوة وقلة الديانة واقل المكروه ما يظهره بتنفسه المتردد من الضجر وقد امر ان يقابلهما
بالقول الموصوف بالكرامة وهو السالم عن كل عيب فقال ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما

قولا كريما روى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انفه رغم انفه رغم انفه
قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر احدهما او كلاهما ثم لم يدخل الجنة وقال
البخاري في كتاب بر الوالدين حدثنا مسدد نا بشر بن المفضل نا عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد المقبري
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رغم انفه رجل ذكرت عنده فلم يصل علي رغم انف رجل
ادرك ابويه عند الكبر احدهما او كلاهما فلم يدخلاه الجنة ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ
قبل ان يغفر له حدثنا ابن ابي اويس حدثني اخي عن سليمان بن بلال عن محمد بن بلال عن سعيد بن اسحق
بن كعب بن عجرة السالمي عن ابيه رضي الله عنه قال ان كعب بن عجرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم احضروا المنبر فلما خرج رقي المنبر فرقي اول درجة منه قال امين ثم رقي الثانية فقال امين
ثم لما رقي الثالثة فقال امين فلما فرغ ونزل عن المنبر قلنا يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا
نسمعه منك قال وسمعتموه قلنا نعم قال ان جبريل عليه السلام اعترض قال بعد من ادرك رمضان
فلم يغفر له فقلت امين فلما رقيت الثانية قال بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت
امين فلما رقيت الثالثة قال بعد من ادرك عنده ابواه الكبر او احدهما او كلاهما فلم يدخلاه الجنة
فقلت امين حدثنا ابو نعيم نا سلمة بن وردان سمعت انسا رضي الله عنه يقول ارتقى رسول الله صلى
الله عليه وسلم على المنبر فرقي درجة فقال امين ثم ارتقى درجة فقال امين ثم ارتقى الدرجة الثالثة فقال
امين ثم استوى فجلس فقال اصحابه يا رسول الله ما امنت قال اتاني جبريل عليه السلام فقال رغم انف من
ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت امين فقال ورغم انف من ادرك ابويه او احدهما فلم يدخل الجنة
فقلت امين الحديث فالسعيد الذي يبادر اغتنام فرصة برهما لئلا يفوته بموتهما فيندم على ذلك
والشقي من عقهما لا سيما من بلغه الامر ببرهما الثالثة عشر قوله تعالى فلا تقل لهما اف اي لا تقل لهما
ما يكون فيه ادنى تبرم وعن ابي رجا العطاردي قال الاف الكلام المقذع الرديء الخفي وقال مجاهد
معناه اذا رايت منهما في حال الشيخ الغايط والبول الذي راياه منك في الصغر فلا تقذرهما وتقول
اف والاية اعم من هذا والاف والتف وسخ الاظفار ويقال لكل ما يضجر ويستثقل اف له قال
الازهري والتف ايضا الشي الحقير وقرئ اف منون مخفوض كما تخفض الاصوات وتنون تقول
صه ومه وفيه لغات عشر اف واف واف وافا واف وافه وافا لك بكسر الهمزة واف بضم الهمزة
وتسكين الفاء وافا مخففة الفاء وفي الحديث فالقى طرف ثوبه على انفه ثم قال اف اف قال
ابو بكر معناه الاستقذار لما شم وقال بعضهم معنى اف الاحتقار والاستقلال اخذ من الانف وهو
القليل وقال القتبي اصله نفخك الشي يسقط عليك من رماد وتراب وغير ذلك وللمكان تريد
اماطة شي لتقعد فيه فقيلت هذه الكلمة لكل مستثقل وقال ابو عمرو بن العلا الاف وسخ الاذن
بين الاظفار والتف قلامتها وقال الزجاج معنى اف النتن وقال الاصمعي الاف وسخ الاذن
والتف وسخ الاظفار فكثر استعماله حتى ذكر في كل ما يتاذى به وروي من حديث علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علم الله من العقوق شيئا ادنى من اف لذكره
فليعمل البار ما شاء ان يعمل فلن يدخل النار وليعمل العاق ما شاء ان يعمل فلن يدخل الجنة قال علماونا
وانما صارت قول اف للابوين اردى شي لانه رفضهما رفض كفر النعمة وجحد التربية ورد الوصية
التي اوصاه في التنزيل واف كلمة مقولة لكل شي مرفوض ولذلك قال ابراهيم لقومه اف لكم ولما
تعبدون من دون الله اي رفض لكم ولهذه الاصنام معكم الثالثة عشر قوله تعالى ولا تنهرهما
النهر الزجر والغلظة وقل لهما قولا كريما اي لينا لطيفا مثل يا ابتاه ويا اماه من غير ان يسميهما او

يكفيهما قاله عطا وقال التراج التحتي قلت لسعيد بن المسيب كل ما في القرآن من بر الوالدين قد عرفته
الا قوله وقل لهما قولا كريما ما هذا القول الكريم قال ابن المسيب قول العبد المذنب للسيد الفظ
الغليظ الرابعة عشر قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة هذه استعارة في الشفقة
والرحمة بهما والتذلل لهما تذلل الرعية للامير والعبيد للسادة كما اشار اليه سعيد بن المسيب وضرب
خفض الجناح ونصبه مثلا بجناح الطاير حين ينتصب بجناحه لولده والذل هو اللين وقراءة
الجمهور بضم الذال من ذل يذل ذلا وذلة ومذلة فهو ذال وذليل وقرا سعيد بن جبير وابن عباس
وعروة بن الزبير الذل بالكسر الذال وروي عن عاصم من قولهم دابة ذلول بينة الذل والذل
في الدواب المنقاد السهل دون الصعب وينبغي بحكم هذه الاية ان يجعل الانسان نفسه مع ابويه
في خير ذلة في احواله وسكناته ونظره ولا يحد اليهما بصره فان تلك هي نظرة الغاضب الخامسة عشر
الخطاب في هذه الاية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته اذ لم يكن له عليه الصلاة والسلام
في ذلك الوقت ابوان ولم يذكر الذل في قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين وذكره
هنا بحسب عظم الحق وتاكيده ومن في قوله من الرحمة لبيان الجنس اي ان هذا الخفض يكون من الرحمة
المستكنة في النفس لا بان يكون ذلك استعمالا ويصح ان تكون لانتهاء الغاية ثم امر تعالى عباده
بالترحم على ابائهم والدعاء لهم وان ترحمهما كما رحماك وترفق بهما كما رفقا بك اذ ولياك صغيرا
جاهلا محتاجا فاثراك على انفسهما واسهرا ليلهما وجاعا واشبعاك وتعريا وكساك فلا تجزيهما
الا ان يبلغا من الكبر الحد الذي كنت فيه من الصغر فتلي منهما ما وليا منك ويكون لهما حينئذ فضل
التقدم قال صلى الله عليه وسلم لا يجزي ولد والدا الا ان يجده كافرا فيشتريه ويعتقه وسياتي في
سورة مريم الكلام على هذا الحديث السادسة عشر قوله تعالى كما ربياني صغيرا خص التربية
بالذكر ليتذكر العبد شفقة الوالدين وتعبهما في التربية فيزيده ذلك اشفاقا لهما وحنانا عليهما
وهذا كله في الابوين المومنين وقد نهى القران عن الاستغفار للمشركين الاموات ولو كانوا اولي
قربى كما تقدم وذكر عن ابن عباس وقتادة ان هذا كله منسوخ نسخ بقوله ما كان للنبي والذين
امنوا الى قوله اصحاب الجحيم فاذا كان والدا المسلم ذميين استعمل معهما ما امره الله به ههنا
الا الترحم لهما بعد موتهما على الكفر لان هذا وحده نسخ بالاية المذكورة وقيل ليس هذا موضع نسخ فهو
دعا بالرحمة الدنيوية للابوين المشركين ما داما حيين كما تقدم او يكون عموم هذه الاية خص بتلك
رحمة الاخرة لا سيما وقد قيل ان قوله وقل رب ارحمهما نزلت في سعد بن ابي وقاص فانه اسلم
فالقت امه نفسها في الرمضا متجردة فذكر ذلك لسعد فقال اتمت فنزلت الاية وقيل الاية
خاصة في الدعا للابوين المسلمين والصواب ان ذلك عموم كما ذكرنا وقال ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم من امسى مرضيا لوالديه واصبح امسى واصبح وله بابان مفتوحان من الجنة وان
واحدا فواحد ومن امسى واصبح مسخطا لوالديه امسى واصبح وله بابان مفتوحان الى النار وان واحدا
فواحد فقال رجل يا رسول الله وان ظلماه قال وان ظلماه وقد روينا بالاسناد المتصل عن
جابر بن عبد الله قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابي اخذ مالي فقال
النبي صلى الله عليه وسلم فاتني بابيك فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك
وتعالى يقريك السلام ويقول لك اذا جاءك الشيخ فسله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته اذناه
فلما جاءه الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما بال ابنك يشكوك قال اتريد ان تاخذ ماله
فقال سله يا رسول الله هل انفقه الا على احدى عماته وخالاته او على نفسي فقال له رسول الله صلى الله

دعنا

دعنا من هذا اخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته اذناك فقال الشيخ والله يا رسول الله ما زال
الله يزيدنا بك يقينا لقد قلت في نفسي شيئا ما سمعته اذناي قال قل وانا اسمع قال قلت غذوتك
مولودا ومنتك يافعا تعل بما اجني عليك وتنهل اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت لسقمك الا ساهرا
اتململ كاني انا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني فعيني تهمل تخاف الردى نفسي عليك
وانها لتعلم ان الموت وقت موجل فلما بلغت السن والغاية التي اليها مدى ما كنت فيك اومل
جعلت جزاي غلظة وفظاظة كانك انت المنعم المتفضل فليتك ان لم ترع حق ابوتي فعلت كما الجار
الصاحب يفعل فاوليتني حق الجوار ولم تكن علي بمال دون مالك تبخل قال فحينئذ اخذ النبي صلى
الله عليه وسلم بتلابيب ابنه وقال انت ومالك لابيك قال الطبراني اللخمي لا يروى يعني هذا الحديث
عن ابن المنكدر بهذا التمام والشعر الا بهذا الاسناد تفرد به عبيد الله بن خلصة والله اعلم قوله تعالى ربكم اعلم
بما في نفوسكم اي من اعتقاد الرحمة بهما والحنو عليهما او من غير ذلك من العقوق او من جعل ظاهر برهما رياء
وقال ابن جبير يريد البادرة التي تبدر كالفلتة والزلة تكون من الرجل الى ابويه او احدهما لا يريد
بذلك باسا قال الله تعالى ان تكونوا صالحين اي صادقين في نية البر بالوالدين فان الله تعالى يغفر
البادرة وقوله فانه كان للاوابين غفورا وعد بالغفران مع شرط الصلاح والاوبة بعد الاوبة
الى طاعة الله قال سعيد بن المسيب هو العبد يتوب ثم يذنب ثم يتوب ثم يذنب وقال ابن عباس
الاواب الحفيظ الذي اذا ذكرت خطاياه استغفر منها وقال عبيد بن عمير الذين يذكرون ذنوبهم
في الخلا ثم يستغفرون الله وهذه الاقوال متقاربة وقال العقيلي الاوابون هم الذين يصلون
صلاة الضحى وفي الصحيح صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال وحقيقة اللفظة من اب يووب اذا
رجع قوله تعالى وات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى
وبارك وات ذا القربى حقه اي كما راعيت حق الوالدين فصل الرحم ثم تصدق على المسكين وابن
السبيل وقال علي بن الحسين قوله وات ذا القربى حقه هم قرابة النبي صلى الله عليه وسلم امر صلى الله
عليه وسلم باعطائهم حقوقهم من بيت المال اي من سهم ذوي القربى والغنيمة ويكون خطابا للولاة او
من قام مقامهم والحق في هذه الاية ما يتعين من صلة الرحم وستر الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال
والمعونة بكل وجه الثانية قوله تعالى ولا تبذر اي لا تسرف في الانفاق في غير حق قال الشافعي
والتبذير انفاق المال في غير حقه ولا تبذير في عمل الخير وهذا قول الجمهور وقال اشهب عن مالك التبذير
هو اخذ المال من حقه ووضعه في غير حقه وهو الاسراف وهو حرام لقوله تعالى ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين وقوله اخوان يعني انهم في حكمهم اذ المبذر ساع في فساد كالشياطين او انهم يفعلون
ما تسول لهم او انهم يعرفون بهم غدا في النار ثلاثة اقوال والاخوان هنا جمع اخ من غير النسب
ومنه قوله تعالى انما المومنون اخوة وقوله وكان الشيطان لربه كفورا اي احذروا متابعته والتشبه
به في الفساد والشيطان اسم الجنس وقرا الضحاك اخوان الشيطان على الافراد وكذلك ثبت في
مصحف انس بن مالك الثالثة من انفق ماله في الشهوات وحفظ الاصل او الرقبة فليس بمبذر
ومن انفق درهما في حرام فهو مبذر ويحجر عليه في نفقة درهم في الحرام ولا يحجر عليه ان بذله في
الشهوات الا اذا خيف عليه النفاذ انتهى قوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك
ترجوها فيه ثلاث مسائل الاولى وهو انه سبحانه خص نبيه بقوله واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة
من ربك وهو تاديب عجيب وقول لطيف بديع اي لا تعرض عنهم اعراض مستهين عن ظهر الغنى
والقدرة وانما يجوز ان يعرض عنهم عند عجز يعرض وعايق يعوق وانت عند ذلك ترجو فتح باب

الخير ليتوصل به الى مواساة السايل فان قعد بك الحال فقل لهم قولا ميسورا الثانية في سبب نزولها
قال ابن زيد نزلت الاية في قوم كانوا يسئلون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيابى ان يعطيهم لانه كان
يعلم منهم نفقة المال في فساد فكان يعرض عنهم رغبة في الاجر منعهم لئلا يعينهم على فسادهم وقال
عطا الخراساني في قوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها قال ليس هذا في
ذكر الوالدين جاء ناس من مزينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال ما اجد ما احملكم
عليه ولا عندي ما احملكم فتولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا فانزل الله واما تعرضن عنهم
ابتغاء رحمة من ربك ترجوها والرحمة الفي الثالثة قوله تعالى فقل لهم قولا ميسورا امره
بالدعاء لهم اي يسر عليهم بدعائك لهم وقيل ادع لهم بدعاء يتضمن الفتح لهم والاصلاح وقيل المعنى
واما تعرضن عنهم اي ان اعرضت يا محمد عن اعطائهم لضيق يد فقل لهم قولا ميسورا اي احسن القول
وابسط العذر وادع لهم بسعة الرزق وقل اذا وجدت فعلت واكرمت فان ذلك يعمل في مسرة نفسه
عمل المواساة وكان عليه السلام اذا سئل وليس عنده ما يعطيه عدا انتظار رزق ياتي من الله كراهة
الرد فنزلت هذه الاية فكان اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال يرزقنا الله واياكم من فضله فالرحمة
على هذا التاويل الرزق المنتظر وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضمير في عنهم عايد على من تقدم
ذكره من الاباء والقرابة والمساكين وابناء السبيل وقولا ميسورا اي لينا طيبا مفعول بمعنى الفاعل
من لفظ اليسر كالميمون او وعدا جميلا على ما بيناه ولقد احسن من قال والا يكن ورق يوما اجود بها
السائلين واني لين العود لا يعدم السائلون الخير من خلقي اما نوالي واما حسن مردود تقول
يرتى لك كذا اذا اعددته قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى قوله محسورا فيه اربع مسائل
الاولى قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة هذا مجاز عبر به عن البخيل الذي لا يقدر من قلبه على
اخراج شيء من ماله فضرب مثل الغل الذي يمنع من التصرف باليد وفي صحيح البخاري ومسلم
عن ابي هريرة قال ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما
جبتان من حديد قد اضطرت ايديهما الى ثديهما وتراقيهما فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة
انبسطت عنه حتى تغشى انامله وتعفو اثره وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت واخذت كل
حلقة بمكانها قال ابو هريرة فانا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول باصبعيه هكذا في
جيبه فلو رايته يوسعها ولا يتوسع الثانية قوله تعالى ولا تبسطها كل البسط ضرب بسط
اليد مثلا لذهاب المال فان قبض الكف يحبس ما فيها وبسطها يذهب ما فيها وهذا كله خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وكثيرا ما جاء في القران فان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان
سيدهم وواسطتهم الى ربهم عبر به عنهم على عادة العرب في ذلك وايضا فانه عليه الصلاة والسلام
لم يكن يدخر شيئا لغد وكان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه من الجوع وكان كثير من الصحابة ينفقون
في سبيل الله جميع اموالهم فلم يعنفهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهم لصحة نفوسهم وشدة
بصايرهم وانما نهى الله عن الافراط في الانفاق واخراج ما حوته يده من المال من خيف عليه الحسرة
على ما خرج من يده فاما من وثق بموعود الله وجزيل ثوابه فيما انفقه فغير مراد بالاية والله
اعلم وقيل ان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في خاصة نفسه علمه فيه كيفية الانفاق وامره
بالاقتصاد قال جابر وابن مسعود جاء غلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امي تسالك كذا وكذا
فقال ما عندنا اليوم شيء قال فيقول لك اكسني قميصك فخلع قميصه فدفعه اليه وجلس في البيت
عريانا وفي رواية جابر فاذن بلال بالصلاة وانتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يخرج واشتغلت

القلوب فدخل بعضهم فاذا هو عار فنزلت هذه الاية وكل هذا في انفاق الخير واما انفاق الفساد فقليله
وكثيره حرام كما تقدم الثالثة نهت هذه الاية عن استفراغ الوجد فيما يطرا اولا من سؤال المؤمنين
لئلا يبقى من ياتي بعد ذلك لا شيء له او لئلا يضيع المنفق عياله ونحوه ومن كلام الحكمة ما رايت
قط سرفا الا ومعه حق مضيع وهذه من ايات فقه الحال ولا يبين حكمها الا باعتبار شخص من
الناس الرابعة قوله تعالى فتقعد ملوما محسورا قال ابن عرفة يقول لا تسرف ولا تتلف مالك
فتبقى محسورا منقطعا عن النفقة والتصرف كما يكون البعير الحسير وهو الذي ذهبت قوته فلا انبعاث
له ومنه قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير اي كليل منقطع وقال قتادة اي
نادما على ما سلف منك فجعله من الحسرة وفيه بعد لان الفاعل من الحسرة حسر وحسران ولا يقال
محسور والملوم الذي يلام على اتلاف ماله او يلومك من لا تعطيه قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه
سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ
اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم
ذلك خير واحسن تاويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك
كان عنه مسئولا ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل
ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع
الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا
انكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا قل لو كان
معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا
كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا
تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا
يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا
واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا قوله ولا تقتلوا اولادكم خشية
املاق نحن نرزقهم واياكم فيه مسئلتان الاولى وقد مضى الكلام في هذه الاية في الانعام والحمد
لله والاملاق الفقر وعدم الملك املق الرجل لم يبق له الا الملقات وهي الحجارة الملس
اتيح لها اقيدر ذو حشيف اذا سامت على الملقات ساما الواحدة ملقة والاقيدر
تصغير الاقدر وهو الرجل القصير والحشيف من الثياب الخلق وسامت مرت وقال شمر املق لازم
ومتعد املق اذا افتقر واملق الدهر ما بيده قال اوس واملق ما عندي خطوب تنبل الثانية قوله
تعالى خطا قراءة الجمهور بكسر الخاء وسكون الطاء وبالقصر والهمزة وقرا ابن عامر خطا بفتح الخاء
والطاء والهمزة مقصورة وهي قراءة ابي جعفر يزيد وهاتان قراءتان ماخوذتان من خطئ اذا اتى
الذنب على عمد قال ابن عرفة يقال خطئ في ذنبه خطا اذا اثم فيه واخطا اذا سلك سبيل خطا عامدا
او غير عامد قال ويقال خطئ في معنى اخطا وقال الازهري يقال خطئ يخطا خطا اذا تعمد الخطا مثل
اثم ياثم اثما واخطا اذا لم يتعمد الخطاء وخطا قال الشاعر دعيني انما خطئي وصوبي علي وانما
اهلكت مالي والخطا الاسم يقوم مقام الاخطاء وهو الصواب وفيه لغتان القصر وهو الجيد
والمد وهو قليل وروي عن ابن عباس خطا بفتح الخاء وسكون الطاء وهمزة وقرا ابن كثير بكسر الخاء

وفتح الطاء ومد الهمزة قال النحاس ولا اعرف لهذه القراءة وجها وكذلك جعلها ابو حاتم غلطا قال
ابو علي هي مصدر من خاطى يخاطى وان كنا لا نجد خاطى ولكن وجدنا تخاطا وهو مضارع خاطا فدلنا
عليه ومنه قول الشاعر تخاطات النبل احشاءه واخر يومي فلم اعجل وقول الاخر في وصف مهاة
تخاطاه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب الجوهري تخاطاه اي اخطاه وقال اوفى
بن مطر المازني الا ابلغا خلتي جابرا بان خليلك لم يقتل تخاطات النبل احشاءه واخر يومي فلم
اعجل وقرا الحسن بفتح الخاء والطاء والمد من الهمزة قال ابو حاتم لا يعرف هذا في اللغة وهو غلط
غير جايز وقال ابو الفتح الخطأ من اخطات بمنزلة العطاء من اعطيت هو اسم بمعنى المصدر وعن
الحسن ايضا خطا بفتح الخاء والطاء منونة من غير همز قوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
وساء سبيلا فيه مسئلة واحدة قال العلماء قوله تعالى لا تقربوا ابلغ من ان يقول لا تزنوا فان
معناه لا تدنوا من الزنا والزنا يمد ويقصر لغتان قال الشاعر كانت فريضة ما تقول كما كان الزنا
فريضة الرجم وسبيلا نصب على التمييز التقدير وساء سبيله سبيلا اي لانه يؤدي الى النار والزنا
من الكباير ولا خلاف فيه وفي قبحه لا سيما بحليلة الجار وينشا عنه استخدام ولد الغير واتخاذه
ابنا وغير ذلك من الميراث وفساد الانساب باختلاط المياه وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتى بامراة مجح على باب فسطاط فقال لعله يريد ان يلم بها قالوا نعم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد هممت ان العنه لعنة تدخل معه قبره كيف يورثه وهو لا يحل له كيف يستخدمه وهو لا يحل
له قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق قد مضى الكلام فيه في الانعام قوله تعالى ومن
قتل مظلوما اي بغير سبب يوجب القتل فقد جعلنا لوليه سلطانا اي المستحق دمه قال ابن خويز منداد
الولي يجب ان يكون ذكرا لانه افرده بالولاية بلفظ التذكير وذكر اسمعيل بن اسحق في قوله تعالى
فقد جعلنا لوليه ما يدل على خروج المراة عن مطلق لفظ الولي فلا جرم ليس للنساء حق في القصاص
لذلك ولا اثر لعفوها وليس لها الاستيفاء وقال المخالف ان المراد ههنا بالولي الوارث
وقد قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقال والذين امنوا ولم يهاجروا
وقال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فاقتضى ذلك اثبات القول لساير الورثة
واما ما ذكروه من ان الولي في ظاهره على التذكير وهو واحد لان ما كان بمعنى الجنس يستوي
المذكر والمؤنث فيه وتتمته في كتاب الخلاف سلطانا اي تسليطا ان شاء قتل وان شاء عفى
وان شاء اخذ الدية قاله ابن عباس والضحاك واشهب والشافعي وقال ابن وهب قال مالك
السلطان امر الله ابن عباس السلطان الحجة وقيل السلطان طلبه حتى يرفع اليه قال ابن العربي
هذه الاقوال متقاربة واوضحها قول مالك انه امر الله ثم ان امر الله لم يقع نصا فاختلف
العلماء فيه فقال ابن القاسم عن مالك وابو حنيفة القتل خاصة وقال اشهب الخيرة كما ذكرنا
انفا وبه قال الشافعي وقد مضى في سورة البقرة هذا المعنى الثانية قوله تعالى فلا يسرف في
القتل فيه ثلاثة اقوال لا يقتل غير قاتله قاله الحسن والضحاك ومجاهد وسعيد بن جبير
الثاني لا يقتل بدل وليه اثنين كما كانت العرب تفعله الثالث لا يمثل بالقاتل قاله طلق بن
حبيب فكله مراد لانه اسراف منهي عنه وقد مضى في البقرة القول في هذا مستوفى وقرا الجمهور
يسرف بالياء يريد الولي ابن عامر وحمزة والكسائي تسرف بالتاء من فوق وهي قراءة حذيفة
وروى العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد قال هو للقاتل الاول والمعنى عندنا فلا تسرف ايها القاتل
وقال الطبري هو على معنى الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والائمة من بعده اي لا تقتلوا غير القاتل

وفي حرف ابي فلا تسرفوا في القتل قوله تعالى انه كان منصورا اي معانا يعني الولي فان قيل وكم من ولي مخذول
لا يصل الى حقه قلنا المعونة تكون بظهور الحجة تارة وباستيفائها اخرى وبمجموعهما ثالثة فايهما كان فهو
نصر من الله سبحانه وروى ابن كثير عن مجاهد قال ان المقتول كان منصورا النحاس ومعنى قوله ان الله
تعالى نصره بوليه وروي انه في قراءة ابي ولا تسرفوا في القتل ان ولي المقتول كان منصورا قال النحاس
الابين بالياء ويكون للولي لانه انما يقال لا تسرف ان كان له ان يقتل فهذا للولي وقد يجوز بالياء
ويكون للولي ايضا لانه يحتاج فيه الى تحويل المخاطبة قال الضحاك هذا اول ما نزل من القران في
شان القتل وهي مكية انتهى قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده فيه
مسئلتان الاولى قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقد مضى الكلام فيه الثانية قوله
تعالى واوفوا بالعهد قد مضى الكلام فيه في غير موضع قال الزجاج كل ما امر الله به ونهى عنه فهو
من العهد ان العهد كان مسئولا عنه فحذف كقوله ويفعلون ما يؤمرون اي ما يؤمرون به وقيل
ان العهد يسئل تبكيتا لناقضه فيقال لم نقضت كما تسئل الموؤدة تبكيتا لوائدها قوله تعالى واوفوا
الكيل اذا كلتم فيه ايضا مسئلتان الاولى قوله تعالى واوفوا الكيل اذا كلتم تقدم الكلام فيه في الانعام
وتقتضي هذه الاية ان الكيل على البايع وقد مضى في سورة يوسف فلا معنى للاعادة والقسطاس بضم
القاف وكسرها الميزان بلغة الروم قاله ابن عزيز وقال الزجاج القسطاس الميزان صغيرا كان او
كبيرا وقال مجاهد القسطاس العدل وكان يقول هي لغة رومية وكان الناس قيل لهم زنوا بمعدلة
في وزنكم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر القسطاس بضم القاف
وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم القسطاس بكسر القاف وهما لغتان الثانية قوله تعالى ذلك
خير واحسن تاويلا اي عاقبة قال الحسن ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقدر رجل
على حرام ثم يدعه ليس له الا مخافة الله تعالى الا ابدله الله تعالى في عاجل الدنيا قبل الاخرة ما هو
خير له من ذلك انتهى قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم الى قوله مسئولا فيه ست مسائل
الاولى قوله ولا تقف اي لا تتبع ما لا تعلم ولا يعنيك قال قتادة لا تقل رايت وانت لم تر وسمعت
وانت لم تسمع وعلمت وانت لم تعلم وقاله ابن عباس قال مجاهد ولا ترم احدا بما ليس لك به
علم وقاله ابن عباس ايضا وقال محمد بن الحنفية هي شهادة الزور وقال القتبي لا تتبع الحدس
والظنون وكلها متقاربة واصل القفو البهت والقذف بالباطل ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو امنا ولا ننتفي من ابينا اي لا نسب امنا وقال الكميت فلا ارمي
البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا يقال قفوته اقفوه وقفته اقفوه اذا اتبعت اثره
ومنه القافة لتتبعهم الاثار وقافية كل شيء اخره ومنه قافية الشعر لانها تقفو البيت ومنه
اسم النبي صلى الله عليه وسلم المقفي لانه جاء اخر الانبياء ومنه القايف وهو الذي يتبع اثار
الشبه يقال قاف القايف يقوف اذا فعل ذلك وتقول فقوت للاثر بتقديم الفاء على القاف
ابن عطية ويشبه ان يكون هذا من تلعب العرب في بعض الالفاظ كما قالوا رعملي في لعمري وحكى
الطبري عن فرقة انها قالت قفا وقاف مثل عثا وعاث وذهب منذر بن سعيد الى ان قفا
وقاف مثل جذب وجبذ وبالجملة فهذه الاية تنهى عن قول الزور والقذف وما اشبه ذلك
من الاقوال الكاذبة والردية وقرا بعض الناس فيما حكى الكسائي تقف بضم القاف وسكون الفاء
وقرا الجراح والفواد بفتح الفاء وهي لغة لبعض الناس وانكرها ابو حاتم وغيره الثانية قال
ابن خويز منداد تضمنت هذه الاية الحكم بالقافة لانه لما قال ولا تقف ما ليس لك به علم دل

علمها لنا به من علم فكل ما علمه الانسان او غلب على ظنه ان يحكم به وبهذا احتججنا على اثبات القرعة
والخرص لانه ضرب من غلبة الظن وقد يسمى علما اتساعا فالقايف يلحق الولد بابيه من طريق الشبه
بينهما كما يلحق الفقيه الفرع بالاصل من طريق الشبه وفي الصحيح عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه
دخل علي مسرورا تبرق اسارير وجهه فقال الم تري مجززا نظر الى زيد بن حارثة واسامة بن زيد
وعليهما قطيفة قد غطيا رؤسهما وبدت اقدامهما فقال ان بعض هذه الاقدام لمن بعض وفي
حديث يونس بن يزيد وكان مجزز قايفا الثالثة قال الامام ابو عبد الله المازري كانت
الجاهلية تقدح في نسب اسامة لكونه كان اسود شديد السواد وكان زيد ابوه ابيض من
القطن هكذا ذكره ابو داود عن احمد بن صالح قال القاضي عياض وقال غير احمد كان زيد ازهر اللون
وكان اسامة شديد الادمة وزيد بن حارثة عربي صريح من كلب اصابه سباء حسب ما ياتي في
سورة الاحزاب ان شاء الله تعالى الرابعة استدل جمهور العلماء على الرجوع الى القافة عند
التنازع في الولد بسرور النبي صلى الله عليه وسلم بقول هذا القايف وما كان عليه السلام بالذي يسر
بالباطل ولا يعجبه ولم ياخذ بذلك ابو حنيفة واسحق والثوري واصحابه متمسكين بالغاء النبي
صلى الله عليه وسلم الشبه في حديث اللعان على ما ياتي في سورة النور الخامسة واختلف الاخذون
باقوال القافة هل يوخذ بذلك في اولاد الحراير والاماء او يختص باولاد الاماء قولان فالاول
قول الشافعي ومالك في رواية ابن وهب عنه ومشهور مذهبه قصره على ولد الامة والصحيح
ما رواه ابن وهب عنه وقاله الشافعي لان الحديث الذي هو الاصل في القايف انما وقع في
الحراير فان اسامة واباه حرين فكيف يلغى الشبه الذي خرج عليه دليل الحكم وهو الباعث عليه
هذا ما لا يجوز عند الاصوليين وكذلك اختلف هولاء هل يكتفى بقول واحد من القافة او لا بد
من اثنين لانها شهادة وبالاول قال ابن القاسم وهو ظاهر الخبر بل نصه وبالثاني قال مالك
والشافعي السادسة قوله تعالى ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسئولا اي
يسئل كل واحد منهم عما اكتسب فالفواد يسئل عما افتكر فيه واعتقده والسمع والبصر عما راى
ذلك او سمع وقيل المعنى ان الله تعالى يسئل الانسان عما حواه سمعه وبصره وفواده ونظيره
قوله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالانسان راع على جوارحه وكانه
قال كل هذه كان الانسان عنه مسئولا فهو على حذف مضاف والمعنى الاول ابلغ في الحجة فانه
يقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزي كما قال اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم
وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون
وعبر عن السمع والبصر والفواد باولئك لانها حواس لها ادراك وجعلها في هذه الاية
مسئولة فهي حالة من يعقل فلذلك عبر عنها باولئك وقال سيبويه في قوله تعالى رايتهم
لي ساجدين انما قال رايتهم في النجوم لانه لما وصفها بالسجود وهو من فعل من يعقل عبر
عنها بكناية من يعقل وقد تقدم وحكى الزجاج ان العرب يعبر عما يعقل وعما لا يعقل باولئك
وانشد هو والطبري ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام وهذا
امر يوقف عنده واما البيت فالرواية فيه الاقوام والله اعلم قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا
الى قوله مكروها فيه خمس مسائل الاولى قوله ولا تمش في الارض مرحا هذا نهي عن الخيلاء وامر بالتواضع
والمرح شدة الفرح وقيل التكبر في المشي وقيل تجاوز الانسان قدره وقال قتادة هو الخيلاء في
المشي وقيل هو البطر والاشر وقيل هو النشاط وهذه الاقوال متقاربة ولكنها منقسمة قسمين

احدهما مذموم والاخر محمود فالبطر والتكبر والخيلاء وتجاوز الانسان قدره مذموم والفرح والنشاط
محمود وقد وصف تعالى نفسه باحدهما ففي الحديث الصحيح لله افرح بتوبة العبد من رجل الحديث
والكسل مذموم شرعا والنشاط ضده وقد يكون التكبر وما في معناه محمودا وذلك على اعداء الله تعالى
والظلمة اسند ابو حاتم محمد بن حبان عن ابن جابر ابن عتيك عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال من الغيرة ما يبغض الله ومنها ما يحب الله ومن الخيلاء ما يحب الله ومنها ما يبغض الله
فاما الغيرة التي يحب الله الغيرة في الدين والغيرة التي يبغض الله الغيرة في غير دينه والخيلاء التي
يحب الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال والاختيال الذي يبغض الله الخيلاء في الباطل واخرجه
ابو داود في مصنفه وغيره وانشدوا ولا تمش فوق الارض الا تواضعا فكم تحتها قوم هم منك ارفع
وان كنت في عز وحرز ومنعة فكم مات من قوم هم منك امنع الثانية اقبال الانسان على الصيد
ونحوه تنزها دون حاجة الى ذلك داخل في هذه الاية وفيه تعذيب الحيوان واجراوه لغير معنى
واما الرجل يستريح في اليوم النادر والساعة في يومه يجم فيها نفسه في التفرج والراحة ليستعين
بذلك على شغل من البر كقراءة علم او صلاة فليس بداخل في هذه الاية قوله تعالى مرحا قراءة
الجمهور بفتح الراء وقراءة فرقة فيما حكى يعقوب بكسر الراء على بناء اسم الفاعل والاول ابلغ فان قولك
جاء زيد ركضا ابلغ من قولك جاء زيد راكضا فكذلك مرحا والمرح ابلغ من ان يقال مرحا
الثالثة قوله تعالى انك لن تخرق الارض يعني لن تتولج باطنها فتعلم ما فيها ولن تبلغ الجبال
طولا اي لن تساوي الجبال بطولك ولا بتطاولك ويقال خرق الثوب اي شقه وخرق الارض قطعها
والخرق الواسع من الارض اي لن تخرق الارض بكبرك ومشيك عليها ولن تبلغ الجبال طولا بعظمتك
اي بقدرتك لا تبلغ هذا المبلغ بل انت عبد ذليل محاط بك من تحتك ومن فوقك والمحاط محصور
ضعيف فلا يليق بك التكبر والمراد بخرق الارض نقبها لا قطعها بالمسافة والله اعلم وقال الازهري
معناه لن تقطعها التحامى وهذا ابين كانه ماخوذ من الخرق وهو الصحراء الواسعة ويقال فلان
اخرق من فلان اي اكثر سفرا وغزوا ويروى ان سبا دوخ الارض باجناده شرقا وغربا وقتل سادة
وسبا وبه سمي سبا ودان له الخلق فلما راى ذلك انفرد عن اصحابه ثلاثة ايام ثم خرج عليهم فقال
اني لما نلت ما لم ينل رايت الابتداء بشكر هذه النعم فلم ار اوقع في ذلك من الشجر والشمس فلنسجد
لها وكان ذلك اول عبادة الشمس فهذه عاقبة الخيلاء والتكبر والمرح نعوذ بالله من ذلك والله
اعلم الرابعة قوله تعالى كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك اشارة الى جملة ما
تقدم ذكره مما امر به ونهي عنه وذلك يصلح للواحد والجمع والمونث والمذكر وقرا عاصم وابن
عامر وحمزة والكسائي ومسروق سيئه على اضافة شي الى الضمير ولذلك قال مكروها نصب على
خبر كان والسيئ هو المكروه وهو الذي لا يرضاه الله ولا يامر به وقد ذكر الله تعالى في
هذه الاية من قوله وقضى ربك الى قوله سيئة مامورات بها ومنهيات عنها فلا يخبر عن
الجميع بانه سيئة فيدخل المامور به في المنهي عنه واختار هذه القراءة ابو عبيد ولان في
قراءة ابي كل ذلك كان سيئاته فهذه لا تكون الا للاضافة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
سيئة بالتنوين اي كل ما نهى الله عنه سيئة وعلى هذا انقطع الكلام عند قوله واحسن تاويلا
ثم قال ولا تقف ولا تمش ثم قال كل ذلك سيئة بالتنوين وقيل ان قوله ولا تقتلوا اولادكم
الى هذه الاية كان سيئة لا حسنة فيها فجعلوا كلا محيطا بالمنهي عنه دون غيره وقوله مكروها
وقد قيل ان مكروها خبر لكان ثان حمل على لفظة كل وسيئة محمول على المعنى في جميع هذه الاشياء

المذكورة قيل وقال بعضهم هو نعت لسيئة لانه لما قال تانيثها غير حقيقي جاز ان يوصف بمذكر
وضعف ابو علي الفارسي هذا وقال ان المؤنث اذا ذكر فانما ينبغي ان يكون ما بعده مذكرا وانما
التساهل ان يتقدم الفعل المسند الى المؤنث وهو في صيغة ما يسند الى المذكر الا ترى قول الشاعر
فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها مستقبح عندهم ولو قال قايل ابقل ارضا لم يكن
قبيحا قال ابو علي ولكن يجوز في قوله مكروها ان يكون بدلا من سيئة ويجوز ان يكون حالا من الضمير
في عند ربك ويكون عند ربك في موضع الصفة لسيئة الخامسة استدل العلماء بهذه الاية
على ذم الرقص وتعاطيه قال الامام ابو الوفا ابن عقيل قد نص القران على النهي عن الرقص فقال
ولا تمش في الارض مرحا وذم المختال والرقص اشد المرح والبطر اولسنا الذين قسنا النبيذ
على الخمر لاتفاقهما في الاطراب والسكر فما بالنا لا نقيس الرقص وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار
والطبل لاجتماعهما فما اقبح من ذي لحية وكيف اذا كان ذا شيبة يرقص ويصفق على وقاع الالحان
والقضبان وخصوصا ان كانت اصوات نسوان ومردان وهل يحسن لمن بين يديه الموت
والسؤال والحشر والصراط ثم هو الى احدى الدارين يشمس بالرقص شمس البهايم ويصفق تصفيق
النسوة والله لقد رايت مشايخ في عمري ما بان لهم سن من التبسم فضلا عن الضحك مع ادمان
مخالطتي بهم وقال ابو الفرج الجوزي ولقد حدثني بعض المشايخ عن الغزالي قال الرقص حماقة
بين الكتفين لا تزول الا باللعب وسياتي لهذا الباب مزيد بيان في الكهف وغيرها ان شاء
الله تعالى قوله تعالى ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة الاشارة بذلك الى هذه الاداب
والقصص والاحكام التي تضمنتها هذه الايات المتقدمة التي نزل بها جبريل اي هذه من الافعال
المحكمة التي تقتضيها حكمة الله في عباده وخلقها لهم من محاسن الاخلاق والحكمة وقوانين
المعاني المحكمة بالافعال الفاضلة ثم عطف قوله ولا تجعل على ما تقدم من النواهي والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد كل من سمع الاية من البشر والمدحور المهان المبعد المقصي وقد تقدم
يقال في الدعاء اللهم ادحر عنا الشيطان اي ابعده قوله تعالى افاصفيكم ربكم بالبنين هذا
رد على من قال من العرب الملائكة بنات الله وكان لهم بنات ايضا مع البنين ولكنه افاخلص
لكم البنين دونه وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه انكم لتقولون قولا عظيما اي في الاثم عند الله
قوله تعالى ولقد صرفنا اي بينا وقيل كررنا في هذا القران قيل في زائدة والتقدير ولقد صرفنا
هذا القران مثل واصلح لي في ذريتي اي اصلح لي ذريتي والتصريف صرف الشي من جهة الى جهة
والمراد بهذا التصريف البيان والتكرير وقيل المغايرة اي غايرنا بين المواعظ ليذكروا ويعتبروا
ويتعظوا وقراءة العامة صرفنا بالتشديد على التكثير حيث وقع وقرا الحسن بالتخفيف وقوله
في هذا القران يعني الامثال والعبر والحكم والمواعظ والاحكام والاعلام قال الثعلبي سمعت ابا
القاسم الحبيبي يقول بحضرة الشيخ الامام ابي الطيب لقوله تعالى صرفنا معنيان احدهما لم
يجعله نوعا واحدا بل وعدا ووعيدا ومحكما ومتشابها وامرا ونهيا وناسخا ومنسوخا واخبارا
وامثالا مثل تصريف الرياح من صبا ودبور وجنوب وشمال وتصريف الافعال من الماضي
والمستقبل والامر والنهي والفعل والفاعل والمفعول ونحوها والثاني انه لم ينزله مرة واحدة
بل نجوما مثل قوله وفرقناه وقراناه ومعناه اكثرنا صرفه جبريل اليك ليذكروا قراءة يحيى
والاعمش وحمزة والكسائي ليذكروا مخففا وكذلك في الفرقان ولقد صرفناه بينهم ليذكروا الباقون
بالتشديد واختاره ابو عبيد لان معناه ليتذكروا وليتعظوا قال المهدوي من شدد ليذكروا

اراد التدبر وكذلك من قرا ليذكروا ونظيره الاول ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون والثاني واذكروا
ما فيه وما يزيدهم اي التصريف والتذكر الا نفورا اي تباعدا عن الحق وغفلة عن النظر والاعتبار وذلك لانهم
اعتقدوا في القران انه حيلة وسحر وكهانة وشعر قوله تعالى قل لو كان معه الهة كما تقولون هذا متصل
بقوله ولا تجعل مع الله الها اخر وهو رد على عبادة الاصنام كما تقولون قرا ابن كثير وحفص يقولون بالياء
والباقون بالتاء على الخطاب اذا لابتغوا يعني الالهة الى ذي العرش سبيلا قال ابن عباس لطلبوا مع الله تعالى
منازعة وقتالا كما يفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقال سعيد بن جبير المعنى اذا لطلبوا طريقا الى الوصول
اليه ليزيلوا ملكه لانهم شركاؤه وقال قتادة المعنى اذا لابتغت الالهة القربة الى ذي العرش سبيلا
والتمست الزلفة عنده لانهم دونه والقوم اعتقدوا ان الاصنام تقربهم الى الله زلفى فاذا اعتقدوا
في الاصنام انها محتاجة الى الله تعالى فقد بطل انها الهة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا نزه
سبحانه نفسه وقدسه ومجده عما لا يليق به والتسبيح التنزيه وقد تقدم قوله تعالى تسبح له السموات
السبع والارض ومن فيهن اعاد على السموات والارض ضمير من يعقل لما اسند اليهما فعل العاقل وهو
التسبيح وقوله ومن فيهن يريد الملائكة والانس والجن ثم عم بعد ذلك الاشياء كلها في قوله وان
من شي الا يسبح بحمده واختلف في هذا العموم هل هو مخصص ام لا فقالت فرقة ليس مخصوصا والمراد
به تسبيح الدلالة اذ كل محدث يشهد على نفسه بان الله خالق قادر وقالت طائفة هذا التسبيح حقيقة
وكل شي على العموم يسبح تسبيحا لا يسمعه البشر ولا يفقهه ولو كان ما قاله الاولون من انه اثر الصنعة
والدلالة لكان امرا مفهوما والاية تنطق بان هذا التسبيح لا يفقه واجيبوا بان المراد بقوله لا
يفقهون الكفار الذين يعرضون عن الاعتبار فلا يفقهون حكمة الله تعالى في الاشياء وقالت فرقة
قوله من شي عموم ومعناه الخصوص في كل شي حي ونام وليس ذلك في الجمادات ومن ذلك قول
عكرمة الشجرة تسبح والاسطوان لا يسبح وقال يزيد الرقاشي للحسن وهما في طعام وقد قدم الخوان
ايسبح هذا الخوان يا ابا سعيد فقال قد كان يسبح مرة يريد بان الشجرة في زمن ثمرها واعتدالها
كانت تسبح واما الان فقد صار خوانا مدهونا قلت ويستدل لهذا القول من السنة بما ثبت
عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما
فكان يمشي بالنميمة واما الاخر فكان لا يستتر من بوله قال فدعا بعسيب رطب فشقه اثنين
ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا فقوله عليه الصلاة
والسلام ما لم ييبسا اشارة الى انهما ما داما رطبين يسبحان واذا يبسا صارا جمادا والله اعلم وفي
مسند ابي داود الطيالسي فوضع على احدهما نصفا وعلى الاخر نصفا وقال انه ليهون عليهما ما دام
فيهما من بلولتهما شي قال علماؤنا ويستفاد من هذا غرس الاشجار وقراءة القران على القبور واذا
خفف عنهم بالاشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القران وقد بينا هذا المعنى في كتاب التذكرة
بيانا شافيا وانه يصل الى الميت ما يقرا ويهدى له وعلى التاويل الثاني لا يحتاج الى ذلك فان
كل شي من جماد وغيره يسبح قلت ويستدل لهذا التاويل بهذا القول من الكتاب بقوله سبحانه
واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وقوله تعالى
وان منها لما يهبط من خشية الله على قول مجاهد وقوله تعالى وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن
ولدا وذكر ابن المبارك في رقائقه اخبرنا مسعر عن عبد الله بن واصل عن عون بن عبد الله قال
قال عبد الله بن مسعود ان الجبل ليقول للجبل يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر لله فان قال نعم سر به
ثم قرا عبد الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الاية قال افترا هن يسمعن الزور ولا يسمعن الخير فيه

عن انس بن مالك قال ما من صباح ولا رواح الا تنادى بقاع الارض بعضها بعضا يا جاراه هل مر بك
اليوم عبد صلى لله و ذكر الله عليك فمن قايلة لا وقايلة نعم فاذا قالت نعم رات لها بذلك عليها فضلا
وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع صوت المؤمن جن و لا انس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شي الا شهد له
يوم القيمة رواه ابن ماجة في سننه ومالك في موطائه من حديث ابي سعيد الخدري وخرج البخاري
عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام و هو يوكل في غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا ناكل
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه الان قيل انه الحجر
الاسود والله اعلم والاخبار في هذا المعنى كثيرة قد اتينا على جملة منها في اللمع اللؤلؤية في شرح العشريات
النبوية للفازازي رحمه الله وخبر الجذع ايضا في هذا الباب مشهور خرجه البخاري في مواضع من
كتابه واذا ثبت ذلك في جماد واحد جاز في جميع الجمادات ولا استحالة في شي من ذلك فكل شي
يسبح للعموم وكذا قال النخعي وغيره هو عام فيما فيه روح وفيما لا روح فيه حتى صرير الباب واحتجوا
بالاخبار التي ذكرنا وقيل تسبيح الجمادات انها تدعوا الناظر اليها الى ان يقول سبحان الله لعدم
الادراك منها قال الشاعر تلقى بتسبيحة من حيث ما انصرفت وتستقر حشا الرايي بترعاد
اي يقول من راها سبحان خالقها والصحيح ان الكل يسبح للاخبار الدالة على ذلك ولو كان التسبيح
تسبيح دلالة فاي تخصيص لداود وانما ذلك تسبيح المقال بخلق الحياة والانطاق بالتسبيح كما ذكرنا
وقد نصت السنة على ما دل عليه ظاهر القران من تسبيح كل شي فالقول به اولى والله اعلم وقرا
الحسن وابو عمرو ويعقوب وحفص وحمزة والكسايي وقيل تفقهون بالتاء لتانيث الفاعل
الباقون بالياء واختاره ابو عبيد بان للحايل بين الفعل والتانيث انه كان حليما عن ذنوب
عباده في الدنيا غفورا للمؤمنين في الاخرة قوله تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين
الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا عن اسما بنت ابي بكر قال لما نزلت سورة تبت يدا
ابي لهب اقبلت العورا ام جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول مذمما ابينا
ودينه قلينا والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر فلما راها ابو بكر قال يا رسول
الله قد اقبلت وانا اخاف ان تراك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تراني وقرا قرانا
فاعتصم به كما قال وقرا واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا
مستورا فوقفت على ابي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اخبرت ان
صاحبك هجاني فقال لا ورب هذا البيت ما هجاك فولت وهي تقول قد علمت قريش باني بنت سيدها
وقال سعيد بن جبير لما نزلت تبت يدا ابي لهب وتب جاءت امراة ابي لهب الى النبي صلى الله عليه
وسلم ومعه ابو بكر فقال ابو بكر لو تنحيت عنها لئلا تسمعك ما يؤذيك فانها امراة بذية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انه سيحال بيني وبينها فلم تره فقالت لابي بكر يا ابا بكر هجانا صاحبك
فقال والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فقالت انك لمصدق واندفعت راجعة فقال ابو بكر
يا رسول الله ما راتك قال لا ما زال ملك بيني وبينها يسترني حتى ذهبت وقال كعب في هذه
الاية كان النبي صلى الله عليه وسلم يستتر من المشركين بثلاث ايات الاية التي في الكهف انا جعلنا
على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وقرا الاية والتي في القتال اولئك الذين طبع الله على قلوبهم الاية
والتي في الشريعة افرايت من اتخذ الهه هويه الاية فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قراهن
يستتر من المشركين قال كعب فحدثت بهن رجلا من اهل الشام فاتى ارض الروم فاقام بها زمانا

ثم خرج هاربا فخرجوا في طلبه فقراهن فصاروا يكونون معه على طريقه ولا يبصرونه قال الكلبي
وهذا الذي يروونه عن كعب فحدثت به رجلا من اهل الديلم فاسر بالديلم فمكث فيهم زمانا ثم
خرج هاربا فخرجوا في طلبه فقراهن حتى جعلت ثيابهم لتمس ثيابه فما يبصرونه قلت ويزاد الى
هذه الاي اول سورة يس الى قوله فهم لا يبصرون فان في السيرة في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم
ومقام علي رضي الله عنه في فراشه قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ حفنة من تراب
في يده واخذ الله على ابصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو هؤلاء
الايات من يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين الى قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الايات ولم يبق منهم
رجل الا وقد وضع على راسه ترابا ثم انصرف الى حيث اراد ان يذهب قلت ولقد اتفق لي ببلادنا
بالاندلس بحصن منثور من اعمال قرطبة مثل هذا وذلك اني هربت امام العدو وانحزت الى ناحية
عنهم فلم البث ان خرج في طلبي فارسان وانا في فضا من الارض قاعد ليس يسترني عنهما شي وانا اقرا
اول سورة يس وغير ذلك من القران فعبرا علي ثم رجعا من حيث جاءا واحدهما يقول للاخر
هذا ديبلة يعنون شيطانا وعمى الله ابصارهم ولم يروني والحمد لله كثيرا على ذلك وقيل الحجاب المستور
طبع الله على قلوبهم حتى لا يفقهوه ولا يدركوا ما فيه من الحكمة قاله قتادة وقال الحسن انهم لاعراضهم
عن قراءتك وتغافلهم كمن بينك وبينهم حجاب في عدم رؤيتك حتى كان على قلوبهم اغطية وقيل
نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا القران وهم ابو جهل وابو سفيان والنضر
بن الحرث وام جميل امراة ابي لهب وحويطب فحجب الله رسوله صلى الله عليه وسلم عن ابصارهم عند قراءة
القران وكانوا يمرون به ولا يرونه قاله الزجاج وغيره وهو معنى القول الاول بعينه وهو الاظهر
في الاية والله اعلم وقوله مستورا فيه قولان احدهما ان الحجاب مستور عنكم لا ترونه الثاني ان الحجاب
ساتر عنكم ما وراءه ويكون مستورا بمعنى ساتر قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة هي جمع كنان وهو
ما ستر الشي وقد تقدم في الانعام ان يفقهوه اي لئلا يفقهوه او كراهية ان يفقهوه اي يفهموا
ما فيه من الاوامر والنواهي والحكم والمعاني وهذا يرد على القدرية وفي اذانهم وقرا اي صمما
وثقلا وفي الكلام اضمار اي ان يسمعوه واذا ذكرت ربك في القران وحده اي قلت لا اله الا الله
وانت تتلو القران وقال ابو الجوزاء اوس بن عبد الله ليس شي اطرد للشيطان من القلب من
قول لا اله الا الله ثم تلا واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا قيل يعني بذلك
المشركين وقيل الشياطين ونفورا جمع نافر مثل شهود جمع شاهد وقعود جمع قاعد فهو منصوب
على الحال ويجوز ان يكون مصدرا على غير المصدر وقيل كان قوله ولوا على ادبارهم بمعنى نفروا فيكون
معناه نفروا نفورا قوله تعالى نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول
الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون
سبيلا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا
او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون
اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون
ان لبثتم الا قليلا وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان
كان للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم وما ارسلناك
عليهم وكيلا وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض

وآتينا داود زبورا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان
عذاب ربك كان محذورا وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها
عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها
الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا قوله تعالى
نحن اعلم بما يستمعون به قيل الباء زائدة في قوله به اي يستمعونه وكانوا يستمعون من النبي صلى الله عليه وسلم
القرآن ثم ينفرون فيقولون هو ساحر ومسحور مما اخبر الله تعالى به عنهم قاله قتادة وغيره واذ
هم نجوى اي يتناجون في امرك قال قتادة وكانت نجواهم قولهم انه مجنون وانه ساحر وانه
ياتي باساطير الاولين وغير ذلك وقيل نزلت حين دعا عتبة اشراف قريش الى طعام صنعه لهم
فدخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرا عليهم القرآن ودعاهم الى الله فتناجوا يقولون ساحر ومجنون
وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم عليا ان يتخذ طعاما ويدعوا اليه اشراف قريش من المشركين
ففعل ذلك علي ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا عليهم القرآن ودعاهم الى التوحيد
وقال قولوا لا اله الا الله لتطيعكم العرب وتدين لكم العجم فابوا وكانوا يستمعون من النبي صلى
الله عليه وسلم ويقولون بينهم متناجين هو ساحر وهو مسحور فنزلت الاية وقال الزجاج النجوى اسم
للمصدر اي وادهم ذو نجوى اي سرار اذ يقول الظالمون ابو جهل والوليد بن المغيرة وامثالهما ان
تتبعون الا رجلا مسحورا اي مطبوبا قد خبله السحر فاختلط عليه امره يقولون ذلك لينفروا عنه
الناس وقال مجاهد مسحورا اي مخدوعا مثل قوله فانى تسحرون اي من اين تخدعون وقال ابو عبيدة
مسحورا معناه ان له سحرا اي رية فهو لا يستغني عن الطعام والشراب فهو مثلكم وليس بملك
وتقول العرب للجبان قد انتفخ سحره ولكل من اكل من آدمي وغيره او شرب مسحور وسحر قال لبيد
فان تسالينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر وقال امرؤ القيس ارانا موضعين
لامر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب اي نغتذي ونعلل ومن هذا الحديث عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت من هذه التي تساميني من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وقد توفي بين سحري ونحري
قوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال عجبة من صنعهم كيف يقولون تارة ساحر وتارة
مجنون وتارة شاعر فضلوا فلا يستطيعون سبيلا اي حيلة في صد الناس عنك وقيل ضلوا عن
الحق فلا يجدون سبيلا الى الهدى وقيل مخرجا لتناقض كلامهم في قولهم مجنون وشاعر وساحر
قوله تعالى وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا اي قالوا وهم يتناجون لما سمعوا القرآن وسمعوا امر
البعث لو لم يكن مسحورا مخدوعا قال ما قال ابن عباس الرفات الغبار مجاهد التراب والرفات
ما تكسر وبلي من كل شيء كالفتات والحطام والرضاض عن ابي عبيدة والكسائي والفراء والاخفش
تقول منه رفت الشيء رفتا اي حطم فهو مرفوت ائنا لمبعوثون خلقا جديدا ائنا استفهام
والمراد به الجحد والانكار وخلقا نصب لانه مصدر اي بعثا جديدا وكان هذا غاية الانكار
منهم قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا اي قل لهم يا محمد كونوا على جهة التعجيز حجارة او
حديدا في الشدة والقوة قال الطبري اي ان عجبتم من انشا الله لكم لحما وعظاما فكونوا انتم
حجارة او حديدا ان قدرتم وقال علي بن عيسى معناه انكم لو كنتم حجارة او حديدا لم تفوتوا الله
عز وجل اذا ارادكم الا انه خرج مخرج الامر لانه ابلغ في الالزام وقيل معناه لو كنتم حجارة او حديدا
لاعادكم كما بداكم ولاماتكم ثم احياكم وقال مجاهد المعنى كونوا ما شئتم فستعادون النحاس وهذا قول

حسن لانهم لا يستطيعون ان يكونوا حجارة وانما المعنى انهم قد اقروا بخالقهم وانكروا البعث فقيل لهم استشعروا
ان تكونوا ما شئتم فلو كنتم حجارة او حديدا لبعثتم كما خلقتم اول مرة او خلقا مما يكبر في صدوركم قال
مجاهد يعني السموات والارض والجبال لعظمها في النفوس وهو معنى قول قتادة يقول كونوا ما شئتم فان الله تعالى
يميتكم ثم يبعثكم وقال ابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن جبير ومجاهد ايضا وعكرمة
وابو صالح والضحاك يعني الموت لانه ليس شيء اكبر في نفس ابن آدم منه قال امية بن ابي الصلت
والموت خلق في النفوس فظيع يقول انكم لو خلقتم من حجارة او حديد او كنتم الموت لاميتنكم ولابعثنكم
لان القدرة التي بها انشاتكم بها اعيدكم وهو معنى قوله فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول
مرة وفي الحديث انه يؤتى بالموت يوم القيمة في صورة كبش املح فيذبح بين الجنة والنار وقيل
اراد به البعث لانه كان اكبر في صدورهم قال الكلبي فطركم خلقكم وانشاكم فسينغضون اليك رؤسهم
اي يحركون رؤسهم استهزاء يقال نغض راسه ينغض نغضا ونغوضا اي تحرك وانغض راسه
اي حركه كالمتعجب من الشيء ومنه قوله تعالى فسينغضون اليك رؤسهم قال الراجز انغض نحوي راسه
واقنعا ويقال ايضا نغض فلان راسه اي حركه يتعدى ولا يتعدى حكاه الاخفش ويقال نغضت
سنه اي تحركت وانقلعت قال الراجز ونغضت من هرم اسنانها وقال الراجز لما رأتني انغضت
لي الراسا وقال الراجز لا ماء في المقراة ان لم تنهض بمسد فوق المحال النغض المحال والمحالة البكرة
العظيمة التي يستقى بها الابل ويقولون متى هو اي البعث والاعادة وهذا الوعد قل عسى ان
يكون قريبا اي هو قريب لان عسى واجب نظيره وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ولعل
الساعة قريب وكل ما هو آت فقريب قوله تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده الدعاء النداء
الى المحشر بكلام يسمعه الخلائق يدعوهم الله فيه بالخروج وقيل بالصيحة التي يسمعونها فتكون
داعية لهم الى الاجتماع في ارض القيمة قال صلى الله عليه وسلم انكم تدعون يوم القيمة باسمائكم
واسماء ابائكم فاحسنوا اسماءكم فتستجيبون بحمده اي باستحقاقه الحمد على الاحياء وقال ابو سهل
والحمد لله كما قال اني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع وقيل حامدين لله تعالى
بالسنتكم قال سعيد بن جبير تخرج الكفار من قبورهم وهم يقولون سبحانك وبحمدك لا ينفعهم اعتراف
ذلك اليوم وقال ابن عباس وسفيان بحمده بامره اي تقرون بانه خالقكم وقال قتادة بمعرفته
وطاعته وقيل المعنى بقدرته وقيل بدعائه اياكم قال علماؤنا وهو الصحيح فان النفخ في الصور انما هو
سبب لخروج اهل القبور وبالحقيقة انما خروج الخلق بدعوة الحق قال الله تعالى يوم يدعوكم
فتستجيبون بحمده فيقومون يقولون سبحانك اللهم وبحمدك قال يوم القيمة يوم يبدا بالحمد
ويختم به قال الله تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وقال في اخره وقضي بينهم بالحق وقيل
الحمد لله رب العالمين وتظنون ان لبثتم الا قليلا يعني بين النفختين وذلك ان العذاب يكف
عن المعذبين بين النفختين وذلك اربعون عاما فينامون فذلك قولهم من بعثنا من مرقدنا
فيكون خاصا بالكفار وقال مجاهد للكافرين هجعة قبل يوم القيمة يجدون فيها طعم النوم
فاذا صيح باهل القبور قاموا مذعورين وقال قتادة المعنى ان الدنيا تحاقرت في اعينهم وقلت
حين راوا يوم القيمة الحسن وتظنون ان لبثتم الا قليلا في الدنيا لطول لبثكم في الاخرة
قوله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن تقدم اعرابه والاية نزلت في عمر ابن الخطاب
وذلك ان رجلا من العرب شتمه وسبه عمر وهم بقتله فكادت تثير فتنة فانزل الله تعالى
فيه وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ذكره الثعلبي والماوردي وابن عطية والواحدي

وقيل نزلت لما قال المسلمون ائذن لنا يا رسول الله في قتالهم فقد طال ايذاؤهم ايانا فقال لم اومر بعد بالقتال فانزل الله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن قاله الكلبي وقيل المعنى قل لعبادي الذين اعترفوا باني خالقهم وهم يعبدون الاصنام يقولوا التي هي احسن من كلمة التوحيد والاقرار بالنبوة وقيل المعنى وقل لعبادي المؤمنين اذا جادلوا الكفار في التوحيد ان يقولوا الكلمة التي هي احسن كما قال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال الحسن هو ان يقول الكافر اذا تشطط هداك الله يرحمك الله وهذا قبل ان امروا بالجهاد وقيل المعنى قل لهم يامروا بما امر الله به وينهوا عما نهى عنه وعلى هذا تكون الاية عامة في المؤمن والكافر اي قل للجميع والله اعلم وقالت طائفة امر الله تعالى في هذه الاية المؤمنين فيما بينهم خاصة بحسن الادب وخفض الجناح واطراح نزغات الشيطان وقد قال صلى الله عليه وسلم وكونوا عباد الله اخوانا وهذا احسن وتكون الاية محكمة قوله تعالى ان الشيطان ينزغ بينهم اي بالفساد والقاء العداوة والاغراء وقد تقدم في اخر الاعراف ويوسف يقال نزغ بيننا اي افسد قاله اليزيدي وقال غيره النزغ الاغراء ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اي شديد العداوة وقد تقدم في البقرة وفي الخبر ان قوما جلسوا يذكرون الله فجاء الشيطان ليقطع مجلسهم فمنعته الملائكة فجاء الى قوم جلوس قريب منهم لا يذكرون الله فحرش بينهم فتخاصموا وتواثبوا فقال هؤلاء الذاكرون قوموا بنا نصلح من اخواننا فقاموا وقطعوا مجلسهم ففرح الشيطان فهذا من بعض عداوته قوله تعالى ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم هذا خطاب للمشركين والمعنى ان يشا يوفقكم للاسلام فيرحمكم او يميتكم على الشرك فيعذبكم قاله ابن جريج واعلم بمعنى عليم نحو قولهم الله اكبر بمعنى كبير وقيل الخطاب للمؤمنين اي ان يشا يرحمكم اي يحفظكم من كفار مكة او ان يشا يعذبكم بتسليطهم عليكم قاله الكلبي وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ما وكلناك في منعهم من الكفر ولا جعلنا اليك ايمانهم وقيل ما جعلناك كفيلا لهم تؤخذ بهم قاله الكلبي وقال الشاعر ذكرت ابا اروى فبت كانني برد الامور الماضيات وكيل اي كفيل قوله تعالى وربك اعلم بمن في السموات والارض اعاد بعد ان قال ربكم اعلم بكم ليبين انه خالقهم وانه جعلهم مختلفين في اخلاقهم وصورهم واحوالهم ومالهم الا يعلم من خلق وكذا النبيين فضل بعضهم على بعض عن علم منه بحالهم وقد مضى القول في هذا في البقرة واتينا داود زبورا الزبور كتاب ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود وانما هو دعاء وتحميد وتمجيد اي كما اتينا داود زبورا فلا تنكروا ان يؤتى محمد القران وهو في محاجة اليهود قوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لما ابتليت قريش بالقحط وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله تعالى هذه الاية اي ادعوا الذين تعبدون من دون الله وزعمتم انهم الهة وقال الحسن يعني الملائكة وعيسى وعزير ابن مسعود يعني الجن فلا يملكون كشف الضر اي القحط سبع سنين على قول مقاتل ولا تحويلا من الفقر الى الغنى ومن السقم الى الصحة قوله تعالى اولئك الذين يدعون اولئك مبتدا الذين صفة اولئك وضمير الصلة محذوف اي يدعونهم يعني اولئك المدعون ويبتغون خبرا ويكون حالا او الذين يدعون خبر اي يدعون اليه عباده او عبادة الى عبادته وقرا ابن مسعود تدعون بالتاء على الخطاب الباقون بالياء على الخبر ولا خلاف في يبتغون انه بالياء وفي صحيح مسلم من كتاب التفسير عن عبد الله بن مسعود قوله عز وجل اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم الجنيون والذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون فنزلت اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال نفر

من الجن اسلموا وكانوا يعبدون فبقي الذين كانوا يعبدون على عبادتهم وقد اسلم النفر من الجن في رواية قال نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم الجنيون والذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون فنزلت اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة وعنه ايضا انهم الملائكة كانت تعبدهم قبائل من العرب ذكره الماوردي وقال ابن عباس ومجاهد هم عزير وعيسى ويبتغون يطلبون من الله الزلفى والقربة ويتضرعون الى الله في طلب الجنة وهي الوسيلة اعلمهم الله تعالى ان المعبودين يبتغون القربة الى ربهم والهاء والميم في ربهم تعود على العابدين او على المعبودين او عليهم جميعا واما تدعون فعلى العابدين ويبتغون على العابدين ايهم اقرب ابتدا وخبر ويجوز ان يكون ايهم اقرب بدلا من الضمير في يبتغون والمعنى يبتغي ايهم اقرب الوسيلة الى الله يرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا اي مخوفا لا امان لاحد منه فينبغي ان يحذر منه ويخاف وقال سهل بن عبد الله الرجا والخوف زمانان على الانسان فاذا استويا استقامت احواله وان رجح احدهما بطل الاخر قوله تعالى وان من قرية الا نحن مهلكوها اي مخربوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا قال مقاتل اما الصالحة فبالموت واما الطالحة فبالعذاب وقال ابن مسعود اذا ظهر الزنا والربا في قرية اذن الله في هلاكهم وقيل المعنى وان من قرية ظالمة يقوي ذلك قوله وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي فليتق المشركون فانه ما من قرية كافرة الا سيحل بها العذاب كان ذلك في الكتاب اي اللوح مسطورا اي مكتوبا والسطر الخط والكتابة وهو في الاصل مصدر والسطر بالتحريك مثله قال جرير من شاء بايعته مالي وخلعته ما يكمل التيم في ديوانهم سطرا الخلعة بضم الخاء خيار المال والسطر جمع اسطار مثل سبب واسباب ثم يجمع على اساطير وجمع السطر اسطر وسطور مثل فلس وفلوس والكتاب هنا يراد به اللوح المحفوظ قوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون في الكلام حذف والتقدير وما منعنا ان نرسل بالايات التي اقترحوها الا ان كذبوا بها فيهلكوا كما فعل بمن كان قبلهم قال معناه قتادة وابن جريج وغيرهما فاخر الله العذاب عن كفار قريش لعلمه ان فيهم من يؤمن وفيهم من يولد مؤمنا وقد تقدم في الانعام وغيرها انهم طلبوا ان يحول الله لهم الصفا ذهبا وتتنحى الجبال عنهم فنزل جبريل وقال ان شئت كان ما سال قومك ولكنهم ان لم يؤمنوا لم يمهلوا وان شئت استانيت بهم فقال لا بل استان بهم وان الاولى في محل نصب بوقوع المنع عليه وان الثانية في محل رفع والباء في بالايات زائدة ومجاز الكلام وما منعنا ارسال الايات الا تكذيب الاولين والله تعالى لا يكون ممنوعا عن شيء فالمعنى المبالغة في انه لا يفعل فكانه قد منع عنه ثم بين ما فعل بمن سال الايات فلم يؤمن بها فقال واتينا ثمود الناقة مبصرة اي بينة دالة مضيئة نيرة على صدق صالح وعلى قدرة الله تعالى وقد تقدم ذلك فظلموا بها اي ظلموا بتكذيبها وقيل جحدوا بها وكفروا انها من عند الله فاستاصلهم الله بالعذاب وما نرسل بالايات الا تخويفا فيه خمسة اقوال الاول العبر والمعجزات التي جعلها الله تعالى على ايدي الرسل من دلائل الانذار تخويفا للمكذبين الثاني انها ايات الانتقام تخويفا من المعاصي الثالث انها تقلب الاحوال من صغر الى شباب ثم الى تكهل ثم الى مشيب لتعتبر بتقلب احوالك فتخاف عاقبة امرك وهذا قول احمد بن حنبل رحمه الله الرابع القران الخامس الموت الذريع قاله الحسن قوله تعالى واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القران ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ااسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا

الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا قوله واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس قال ابن عباس بالناس هنا اهل مكة واحاطته بهم اهلاكه اياهم اي ان الله سيهلكهم وذكره بلفظ الماضي لتحقق كونه وعني بهذا الاهلاك الموعود ما جرى يوم بدر ويوم الفتح وقيل معنى احاط بالناس اي احاطت قدرته بهم فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج عن مشيئته قاله مجاهد وابن ابي نجيح وقال الكلبي المعنى احاط علمه بالناس وقيل المراد عصمته من الناس ان يقتلوه حتى يبلغ رسالة ربه اي وما ارسلناك عليهم حفيظا بل عليك التبليغ فبلغ بجدك فانا نعصمك منهم ونحفظك فلا تهتم وامض لما امرك به من تبليغ الرسالة فقدرتنا محيطة بالكل قاله معناه الحسن وعروة وقتادة وغيرهم وقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس لما بين ان انزال الايات القران يتضمن التخويف ضم اليه ذكر اية الاسرا وهي المذكورة في صدر السورة وفي البخاري والترمذي عن ابن عباس في قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس قال هي رؤيا عين اراها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به الى بيت المقدس قال والشجرة الملعونة في القران هي شجرة الزقوم قال ابو عيسى هذا حديث صحيح وبقول ابن عباس قالت عايشة ومعاوية والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وابن ابي نجيح وابن زيد وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا اسلموا حين اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم انه اسري به وقيل كانت رؤيا نوم وهذه الاية تقضي بفساده وذلك ان رؤيا المنام لا فتنة فيها وما كان احد لينكرها وعن ابن عباس قال الرؤيا التي في هذه الاية هي رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يدخل مكة في سنة الحديبية فرد فافتتن المسلمون لذلك فنزلت الاية فلما كان العام المقبل دخلها فانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وفي هذا التاويل ضعف لان السورة مكية وتلك الرؤيا كانت بالمدينة وقال في رواية ثالثة انه عليه الصلاة والسلام راى في المنام بني مروان ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك فقيل انما هي الدنيا اعطوها فسري عنه وما كان له بمكة منبر ولكنه يجوز ان يكون بمكة رؤيا المنبر بالمدينة وهذا التاويل الثالث قاله ايضا سهل بن سعد قال سهل انما هذه الرؤيا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى بني امية ينزون على منبره نزو القردة فاغتم لذلك وما استجمع ضاحكا من يومئذ حتى مات صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية مخبرة ان ذلك من ملكهم وصعودهم يجعلها الله فتنة للناس وامتحانا وقرا الحسن بن علي في خطبته في شان بيعته لمعاوية وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال ابن عطية وفي هذا التاويل نظر ولا يدخل في هذه الرؤيا عثمان ولا عمر بن عبد العزيز ولا معاوية

قوله تعالى والشجرة الملعونة في القران فيه تقديم وتاخير اي ما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة في القران الا فتنة للناس وفتنتها انهم لما خوفوا بها قال ابو جهل مستهزئا هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق ثم يزعم انها تنبت الشجرة والنار تاكل الشجر وما نعرف الزقوم الا التمر والزبد ثم امر ابو جهل جارية فاحضرت تمرا وزبدا وقال لاصحابه تزقموا وقد قيل ان القايل ما نعلم الزقوم الا التمر والزبد ابن الزبعرى حيث قال كثر الله من الزقوم في داركم فانه التمر بالزبد بلغة اليمن وجايز ان يقول كلاهما ذلك فافتتن ايضا لهذه المقالة بعض الضعفاء فاخبر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام انه انما جعل الاسرا وذكر شجرة الزقوم فتنة واختبارا ليكفر من سبق عليه الكفر ويصدق من سبق له الايمان كما روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قيل له صبيحة الاسرا ان صاحبك يزعم انه جاء البارحة من بيت المقدس فقال ان كان قال ذلك فقد صدق فقيل له اتصدقه قبل ان تسمع منه فقال اين عقولكم انا اصدقه بخبر السماء فكيف لا اصدقه بخبر بيت المقدس والسماء ابعد منه بكثير قلت ذكر هذا الخبر ابن اسحق ونصه قال كان من الحديث فيما بلغني عن مسراه صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود وابي سعيد الخدري وعايشة ومعاوية بن ابي سفيان والحسن بن ابي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من اهل العلم وام هاني بنت ابي طالب ما اجتمع في هذا الحديث كل يحدث عنه بعض ما ذكر من امره حين اسري به صلى الله عليه وسلم وكان في مسراه وما ذكر منه بلاء وتمحيص وامر من الله عز وجل في قدرته وسلطانه فيه عبرة لاولي الالباب وهدى ورحمة وثبات لمن امن وصدق وكان من امر الله تعالى على يقين فاسري به صلى الله عليه وسلم كيف شاء ليريه من اياته ما اراد حتى عاين ما عاين من امره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد فكان عبد الله بن مسعود فيما بلغني عنه يقول اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق وهو الدابة التي كانت تحمل عليها الانبياء قبله تضع حافرها في منتهى بصرها فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الايات فيما بين السماء والارض حتى انتهى الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبياء قد جمعوا له فصلى بهم ثم اتي بثلاثة اواني اناء فيه لبن واناء فيه خمر واناء فيه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت قائلا يقول حين عرضت علي ان اخذ الماء فغرق وغرقت امته فان اخذ الخمر فغوي وغوت امته وان اخذ اللبن فهدي وهديت امته قال فاخذت اناء اللبن فشربت فقال لي جبريل هديت وهديت امتك يا محمد قال ابن اسحق وحدثت عن الحسن انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نايم في الحجر جاءني جبريل عليه السلام فهمزني بقدمه فجلست فلم ار شيئا ثم عدت لمضجعي فجاء الثانية فهمزني بقدمه فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فاخذ بعضدي فقمت معه فخرج الى باب المسجد فاذا دابة ابيض بين البغل والحمار في فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع حافره عند منتهى طرفه فحملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا افوته قال ابن اسحق وحدثت عن قتادة انه قال حدثت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دنوت منه لاركبه شمس فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال الا تستحي يا براق مما تصنع فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد اكرم عليه منه لا ركبه شمس فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال الا تستحي يا براق مما تصنع فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد اكرم عليه منه قال فاستحى حتى ارفض عرقا ثم قر حتى ركبته قال الحسن في حديثه فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى معه حتى انتهى الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبياء فامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ثم اتي باناءين في احدهما خمر وفي الاخر لبن قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم

اناء اللبن فشرب منه وترك اناء الخمر قال فقال له جبريل هديت وهديت امتك وحرمت عليكم الخمر
ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فلما اصبح غدا على قريش فاخبرهم الخبر فقال اكثر الناس
هذا والله الامر البين والله ان العير لتطرد شهرا من مكة الى الشام مدبرا شهرا ومقبلة شهرا فيذهب
ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع الى مكة قال فارتد كثير ممن كان اسلم وذهب الناس الى ابي بكر فقالوا
هل لك يا ابا بكر في صاحبك يزعم انه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة قال
فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه والله لئن كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك فوالله انه ليخبرني
بان الخبر ياتيه من السماء الى الارض في ساعة من ليل او نهار فاصدقه فهذا ابعد مما تعجبون ثم اقبل حتى
انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله احدثت هؤلاء انك جئت بيت المقدس هذه
الليلة قال نعم قال يا نبي الله فصفه لي فاني قد جئته قال الحسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع
لي حتى نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابي بكر ويقول ابو بكر رضي الله عنه صدقت اشهد
انك رسول الله كلما وصف له منه شيئا قال صدقت اشهد انك رسول الله قال حتى انتهى قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانت يا ابا بكر الصديق فيومئذ سماه الصديق قال الحسن وانزل الله تعالى فيمن
ارتد عن الاسلام لذلك وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن
ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما دخل
فيه من حديث قتادة وذكرنا في الاسرا عمن تقدم في السيرة وقال ابن عباس هذه الشجرة بنو امية
فان النبي صلى الله عليه وسلم نفى الحكم وهذا قول ضعيف محدث والسورة مكية فيبعد هذا التاويل الا
ان تكون هذه الاية مدنية ولم يثبت هذا وقد قالت عائشة لمروان لعن الله اباك وانت في
صلبه فانت فظاظ من لعنة ثم قالت والشجرة الملعونة في القرآن ولم يجر في القرآن لعن هذه الشجرة
ولكن الله لعن الكافرين وهم اكلوها فالمعنى والشجرة الملعونة في القرآن اكلوها ويمكن ان يجري
هذا على قول العرب كل طعام مكروه ضار ملعون وقال ابن عباس الشجرة الملعونة هي هذه الشجرة
التي تلتوي على الشجر فتقتلها يعني الكشوث ونخوفهم اي بالزقوم فما يزيدهم التخويف الا الكفر قوله تعالى
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم تقدم ذكر كون الشيطان عدوا للانسان فانجر الكلام الى ذكر آدم
والمعنى اذكر بتمادي هؤلاء المشركين وعتوهم على ربهم قصة ابليس حين عصى ربه وابى السجود وقال
ما قال وهو ما اخبر الله في قوله فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا اي من طين وهذه
استفهام انكار وقد تقدم القول في خلق آدم في البقرة والانعام مستوفى قال ارايتك اي قال ابليس
والكاف توكيد للمخاطبة هذا الذي كرمت علي اي فضلته علي ورأى جوهر النار خيرا من جوهر
الطين ولم يعرف ان الجواهر متماثلة وقد تقدم هذا في الاعراف وهذا نصب بارايت الذي نعته
والاكرام اسم جامع لكل ما يحمد وفي الكلام حذف تقديره اخبرني عن هذا الذي فضلته علي لم فضلته
وقد خلقتني من نار وخلقته من طين فحذف لعلم السامع وقيل لا حاجة الى تقدير الحذف اي اترى
هذا الذي كرمته علي لاحتنكن به كذا وكذا ومعنى لاحتنكن في قول ابن عباس لاستولين عليهم
وقاله الفراء ومجاهد لاحتوينهم ابن زيد لاضلنهم والمعنى متقارب اي لاستاصلن ذريته بالاغواء
والاضلال ولاجتاحنهم وروي عن العرب احتنك الجراد الزرع اذا ذهب به كله وقيل معناه
لاسوقنهم حيث شئت واقودنهم حيث اردت من قولهم حنكت الفرس احنكه واحنكه حنكا اذا
جعلت في فيه الرسن وكذلك احتنكته والقول الاول قريب من هذه الاية انما ياتي في الزرع
بالحنك قال الشاعر اشكو اليك سنة قد اجحفت جهدا الى جهد بنا واضعفت واحتنكت

اموالنا

اموالنا واجتلفت الا قليلا يعني المعصومين وهم الذين ذكرهم الله في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
وانما قال ابليس ذلك ظنا كما قال الله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه او علم من طبع البشر تركب
الشهوة فيهم او بنى على قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وقال الحسن ظن ذلك لانه وسوس
الى آدم عليه السلام فلم يجد له عزما قوله تعالى قال اذهب فمن تبعك منهم هذا امر اهانة اي
اجهد جهدك فقد انظرتك فمن تبعك اي اطاعك من ذرية بني آدم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا
اي وافرا عن مجاهد وغيره وهو نصب على المصدر يقال وفرته او فره وفرا ووفر المال بنفسه يفر وفورا فهو
وافر فهو لازم ومتعد قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك فيه ست مسائل الاولى
قوله واستفزز اي استذل واستخف واصله القطع ومنه تفزز الثوب اذا انقطع والمعنى استزله
بقطعك اياه عن الحق واستفزه الخوف اي استخفه وقعد مستوفزا اي غير مطمئن واستفزز امر تعجيز
اي انت لا تقدر على اضلال احد وليس لك على احد سلطان فافعل ما شئت الثانية بصوتك
وصوته كل داع يدعو الى معصية الله عن ابن عباس مجاهد الغناء والمزامير واللهو الضحاك صوت المزمار
وكان آدم عليه السلام اسكن اولادها بيل الجبل وولد قابيل اسفله وفيهم بنات حسان فزمر
اللعين فلم يتمالكوا ان انحدروا فزنوا ذكره الغزنوي وقيل بصوتك بوسوستك انتهى الثالثة قوله
تعالى واجلب عليهم بخيلك ورجلك واصل الاجلاب السوق بجلبة من السائق يقال اجلب اجلابا
والجلب والجلبة الاصوات تقول منه جلبوا بالتشديد وجلب الشيء يجلبه جلبا وجلبا وجلبت
الشيء الى نفسي واجتلبته بمعنى واجلب على العدو اجلابا اي جمع عليهم فالمعنى اجمع عليهم كل ما تقدر عليه
من مكايدك وقال اكثر المفسرين يريد كل راكب وماش في معصية الله وقال ابن عباس ومجاهد
وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب او ماش يقاتل في معصية الله تعالى
فهو من خيل ابليس ورجالته وروى سعيد بن جبير ومجاهد عن ابن عباس قال كل خيل سارت
في معصية وكل رجل مشت في معصية الله وكل مال اصيب من حرام وكل ولد بغية فهو للشيطان
والرجل جمع راجل مثل صحب وصاحب وقرا حفص ورجلك بكسر الجيم وهما لغتان يقال رجل
ورجل بمعنى راجل وقرا عكرمة وقتادة ورجالك على الجمع والله اعلم الرابعة وشاركهم في
الاموال والاولاد اي اجعل لنفسك شركة في ذلك فشركته في الاموال انفاقها في معصية الله قاله
الحسن وقيل هي التي اصابوها من غير حلها قاله مجاهد ابن عباس ما كانوا يحرمونه من البحيرة والسائبة
والوصيلة والحام وقاله قتادة والضحاك ما كانوا يذبحونه لالهتهم والاولاد قيل هم اولاد الزنا
قاله مجاهد وعبد الله بن عباس وعنه ايضا هو ما قتلوه من اولادهم واتوا فيهم من الجرائم
وعنه ايضا هو تسميتهم عبد الحارث وعبد العزى وعبد اللات وعبد الشمس ونحوه وقيل
انه صبغة اولادهم في الكفر حتى هودوهم ونصروهم كصنيع النصارى باولادهم بالغمس في الماء
الذي لهم قاله قتادة وقول خامس روي عن مجاهد قال اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان
على احليله فجامع معه فذلك قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وسياتي وروي من
حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيكم مغربين قلت يا رسول الله وما
المغربون قال الذين يشترك فيهم الجن رواه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول قال الهروي سموا
مغربين لانه دخل فيهم عرق غريب قال الترمذي الحكيم فللجن مساماة بابن آدم في الامور والاختلاط
فمنهم من يتزوج فيهم وكانت بلقيس ملكة سبا احد ابويها من الجن وسياتي بيانه الخامسة
قوله تعالى وعدهم اي منهم الاماني الكاذبة وانه لا قيامة ولا حساب وانه ان كان حساب

وجنة ونار فانتم اولى بالجنة من غيركم بتقويه قوله يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اي بالملا
وقيل وعدهم اي عدم النصرة على من ارادهم بسوء وهذا الامر للشيطان تهدد ووعيد له وقيل استخفاف
به وبمن اتبعه السادسة في الاية ما يدل على تحريم المزامير والغناء واللهو لقوله واستفزز من استطعت
منهم بصوتك على قول مجاهد وما كان من صوت الشيطان او فعله وما يستحسنه فواجب التنزه عنه
وروي نافع عن ابن عمر انه سمع صوت زمارة فوضع اصبعيه في اذنيه وعدل راحلته عن الطريق
وهو يقول يا نافع اتسمع فاقول نعم حتى مضى فقلت له لا فرفع يديه واعدل راحلته الى الطريق وقال
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع زمارة راع فصنع مثل هذا قال علماؤنا اذا كان هذا فعلهم
في حق صوت لا يخرج عن الاعتدال فكيف بغناء اهل هذا الزمان وزمورهم وسياتي لهذا مزيد
بيان في سورة لقمان قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال ابن عباس هم المؤمنون وقد
تقدم الكلام فيه وكفى بربك وكيلا اي عاصما من القبول لمن ابليس وحافظا من كيده وسوء مكره
قوله تعالى ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر الازجا السوق ومنه قوله تعالى الم تر ان الله يزجي
سحابا وقال الشاعر يا ايها الراكب المزجي مطيته سايل بني اسد ما هذه الصوت وازجى
الفلك سوقه بالريح اللينة والفلك هنا جمع وقد تقدم والبحر الماء الكثير عذبا كان او ملحا
وقد غلب هذا الاسم على المشهور وهذه الايات توقيف على آلاء الله وفضله عند عباده اي ربكم
الذي انعم عليكم بكذا وكذا فلا تشركوا به شيئا لتبتغوا من فضله اي في التجارات وقد تقدم انه
كان بكم رحيما قوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر الضر لفظ يعم خوف الغرق عن الجري واهوال حالات
اضطرابه وتموجه ضل معناه تلف وفقد وهي عبارة تحقير لمن يدعى الها من دون الله والمعنى
في هذه الاية ان الكفار انما يعتقدون في الاصنام انها شافعة وان لها فضلا وكل واحد منهم
بالفطرة يعلم علما لا يقدر على مدافعته ان الاصنام لا فعل لها في الشدايد العظام فوقفهم الله من
ذلك على حالة البحر حيث تنقطع الحيل فلما نجاكم الى البر اعرضتم اي عن الاخلاص وكان الانسان
كفورا الانسان هنا الكافر وقيل وطبع الانسان كفورا للنعم الا من عصمه الله فالانسان لفظ الجنس
قوله تعالى افامنتم ان نخسف بكم جانب البر بين انه قادر على هلاكهم في البر وان سلموا من البحر
والخسف ان تنهار الارض بالشيء يقال بير خسيف اذا انهدم اصلها وعين خاسف اي غارت حدقتها
في الراس وعين من الماء خاشعة اي غار ماؤها وخسفت الشمس اي غابت عن الارض وقال
ابو عمرو والخسيف البير التي تحفر في حجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة والجمع خسف وجانب البر ناحية
الارض وسماه جانبا لانه يصير بعد الخسف جانبا وايضا فان البحر جانب والبر جانب وقيل
انهم كانوا على ساحل البحر وساحله جانب البر فكانوا فيه امنين من اهوال البحر فحذرهم ما امنوه
من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر او نرسل عليكم حاصبا يعني رياحا شديدة وهي التي ترمي بالحصبا
وهي الحصاء الصغار قاله ابو عبيدة والعتبي وقال قتادة يعني حجارة من السماء تحصبهم كما فعل
بقوم لوط ويقال للسحابة التي ترمي بالبرد حاصب وللريح التي تحمل التراب والحصبا حاصب وحصبة
ايضا قال لبيد جرت عليها اي جرت من اصلها ادنا لها كل عصوف حصيد وقال الفرزدق مستقبلين
شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور لا تجدوا لكم وكيلا اي حافظا ونصيرا يمنعكم
من باس الله تعالى قوله تعالى ام امنتم ان نعيدكم فيه تارة اخرى يعني في البحر فنرسل عليكم قاصفا
من الريح القاصف الريح الشديدة التي تكسر بشدة من قصف الشيء يقصفه اي يكسره بشدة والقصف
الكسر يقال قصفت الريح السفينة وريح قاصف ورعد قاصف شديد الصوت يقال قصف الرعد

وغيره

وغيره قصيفا والقصيف هشيم الشجر والتقصف التكسر والقصف ايضا اللهو واللعب يقال انها مولدة فيغرقكم
بما كفرتم اي بكفركم وقرا ابن كثير وابو عمرو نخسف بكم او نرسل عليكم ان نعيدكم فنرسل عليكم فنغرقكم بالنون في
الخمسة على التعظيم لقوله علينا الباقون بالياء لقوله في الاية قبل اياه وقرا ابو جعفر وشيبة ورويس و
مجاهد فتغرقكم بالتاء نعتا للريح وعن الحسن وقتادة فيغرّقكم بياء مع التشديد على الكراء وقرا ابو جعفر
الرياح هنا وفي كل القران وقيل ان القاصف المهلكة في البر والعاصف المغرقة في البحر حكاه الماوردي
وقوله ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا قال مجاهد ثائرا النحاس وهو من الثار وكذلك يقال لكل
من طلب بثار او غيره تبيع وتابع ومنه فاتباع بالمعروف اي مطالبة قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم
في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات فيه ثلاث مسائل الاولى قوله ولقد كرمنا بني آدم الاية لما ذكر من
الترهيب ما ذكر بين النعمة عليهم ايضا كرمنا تضعيف كرم اي جعلنا لهم كرما اي شرفا وفضلا وهذا
هو كرم نفي النقصان لا كرم المال وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة
وحسن الصورة وحملهم في البر والبحر فيما لا يصح لحيوان سوى بني ادم ان يكون يتحمل بارادته وتدبيره
وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس وهذا لا يتسع فيه حيوان اتساع بني ادم
لانهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان ياكل لحما نيا او طعاما غير مركب وحكى الطبري عن جماعة
ان التفضيل هو ان ياكل بيده وساير الحيوان بالفم وروي عن ابن عباس ذكره المهدوي والنحاس
وهو قول الكلبي ومقاتل ذكره الماوردي وقال الضحاك كرمهم بالنطق والتمييز عطا كرمهم بتعديل
القامة وامتدادها يمان بحسن الصورة محمد بن كعب بان جعل محمدا صلى الله عليه وسلم منهم وقيل
اكرم الرجال باللحا والنساء بالذوايب وقال محمد بن جرير الطبري بتسليطهم على الخلق وتسخير ساير
الخلق لهم وقيل بالكلام والخط وقيل بالفهم والتمييز والصحيح الذي يعول عليه ان التفضيل انما كان
بالعقل الذي هو عمدة التكليف وبه يعرف الله ويفهم كلامه ويوصل الى نعيمه وتصديق رسله الا انه
لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وانزلت الكتب فمثال الشرع الشمس ومثال العقل العين
فاذا فتحت وكانت سليمة رات الشمس وادركت تفاصيل الاشياء وما تقدم من الاقوال بعضه ابين من
بعض وقد جعل الله في بعض الحيوان خصالا لا يفضل بها ابن ادم ايضا وذلك كجري الفرس وسمعه
وبصره وقوة الفيل وشجاعة الاسد وكرم الديك وانما التكريم والتفضيل بالعقل كما بيناه والله اعلم
الثانية قالت فرقة هذه الاية تقضي بتفضيل الملائكة على الانس من حيث انهم المستثنون في
قوله تعالى ولا الملائكة المقربون وهذا غير لازم من الاية بل التفضيل فيها بين الانس والجن بان
هذه الاية انما عدد الله الاءه فيها على بني ادم بما خصهم به من ساير الحيوان والجن هو الكثير المفضول
والملائكة هم الخارجون عن الكثير المفضول ولم تتعرض الاية لذكرهم بل يحتمل ان الملائكة افضل
ويحتمل العكس ويحتمل التساوي وعلى الجملة فالكلام لا ينتهي في هذه المسئلة الى القطع وقد تحاشى
قوم من الكلام في هذا كما تحاشوا من الكلام في تفضيل بعض الانبياء على بعض اذ في الخبر لا تخايروا
بين الانبياء ولا تفضلوني على يونس بن متى وهذا ليس بشيء لوجود النص في القران بالتفضيل
بين الانبياء وقد بيناه في البقرة ومضى فيها الكلام في تفضيل الملائكة والمؤمن الثالثة قوله
تعالى ورزقناهم من الطيبات يعني لذايذ المطاعم والمشارب قال مقاتل السمن والعسل والزبد والتمر
والحلوا وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى عليكم من التبن والعظام وغيرها وفضلناهم على كثير ممن
خلقنا تفضيلا اي على البهايم والدواب والوحش والطير بالغلبة والاستيلاء والثواب والجزاء
والحفظ والتمييز واصابة الفراسة الرابعة هذه الاية ترد ما روي عن عايشة رضي الله عنها

قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احموا انفسكم لطيب الطعام فانما قوي الشيطان ان يجري في العروق
منها وبه يستدل كثير من الصوفية في ترك اكل الطيبات ولا اصل له لان القران يرده والسنة الثابتة
بخلافه على ما تقرر في غير موضع وقد حكى ابو حامد الطوسي قال وكان سهل يقتات ورق النبق مرة
وورق التين مرة واكل دقاق ورق التين ثلاث سنين وذكر ابراهيم بن البنا قال صحبت ذا
النون من اخميم الى الاسكندرية فلما كان وقت افطاره اخرجت قرصا وملحا كان معي وقلت
هلم فقال في ملحك مدقوق قلت نعم قال لست تفلح فنظرت الى مزوده واذا فيه قليل سويق شعير
يستف منه وقال ابو يزيد ما اكلت شيئا مما ياكله بنو ادم اربعين سنة قال علماؤنا هذا فيما
لا يجوز حمل النفس عليه لان الله تعالى اكرم الادمي بالحنطة وجعل قشورها للبهائم فلا يصح مزاحمة
الدواب في اكل التبن واما سويق الشعير فانه يورث القولنج واذا اقتصر الانسان على خبز الشعير
والملح الجريش فانه يحرق مزاجه لان خبز الشعير بارد مجفف والملح يابس قابض يضر الدماغ والبصر
واذا مالت النفس الى ما يصلحها فمنعت فقد خولفت حكمة الباري سبحانه بردها ثم يؤثر ذلك
في البدن فكان هذا الفعل مخالفا للشرع والعقل ومعلوم ان البدن مطية الادمي ومن لم يرفق
بالمطية لم يبلغ وروي عن ابراهيم ابن ادهم انه اشترى زبدا وعسلا وخبزا حواري فقيل له
هذا كله فقال اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال وكان الثوري ياكل
اللحم والعنب والفالوذج ثم يقوم الى الصلاة فمثل هذا عن السلف كثير وقد تقدم منه ما يكفي في
المائدة والاعراف وغيرهما والاول في الدين انصح عنهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها قوله تعالى
يوم ندعو كل اناس بامامهم روى الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
يوم ندعو كل اناس بامامهم قال يدعى احدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ستون ذراعا
ويبيض وجهه ويجعل على راسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق الى اصحابه فيرونه من بعيد فيقولون
اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى ياتيهم ويقول ابشروا لكل منكم مثل هذا قال واما الكافر
فيسود وجهه ويمد له في جسمه ستون ذراعا على صورة ادم ويلبس تاجا فيراه اصحابه فيقولون
نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا قال فياتيهم فيقولون اللهم اخزه فيقول ابعدكم الله
فان لكل رجل منكم مثل هذا قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب ونظير هذا قوله تعالى وترى
كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون والكتاب يسمى اماما لانه يرجع اليه في
تعرف اعمالهم وقال ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك بامامهم اي بكتابهم اي بكتاب كل انسان
منهم الذي فيه عمله دليله فمن اوتي كتابه وقال ابن زيد بالكتاب المنزل عليهم اي يدعى
كل انسان بكتابه الذي كان يتلوه فيدعى اهل التورية بالتورية واهل القران بالقران فيقال
لاهل القران ماذا عملتم هل امتثلتم اوامره هل اجتنبتم نواهيه وهكذا وقال مجاهد بامامهم
اي بنبيهم والامام من يؤتم به فيقال هاتوا متبعي ابراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي الشيطان
هاتوا متبعي الاصنام فيقوم اهل الحق فياخذون كتبهم بايمانهم ويقوم اهل الباطل فياخذون كتبهم
بشمائلهم وقاله قتادة وقال علي بامام عصرهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يوم
ندعوا كل اناس بامامهم فقال يدعى بامام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم فيقول هاتوا
متبعي ابراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي عيسى هاتوا متبعي محمد عليهم الصلاة والسلام فيقوم
اهل الحق فياخذون كتابهم بايمانهم فيقول هاتوا متبعي الشيطان فقالوا متبعي الشيطان رؤسا
الضلال امام هدى وامام ضلالة وقال الحسن وابو العالية بامامهم اي باعمالهم وقاله ابن

عباس فيقال اين الرضوان بالمقدور اين الصابرون على المحذور وقيل بمذاهبهم فيدعون بمن كانوا
ياتمون به في الدنيا يا حنفي يا شافعي يا معتزلي يا قدري ونحوه فيتبعونه في خير او شر او على حق او
باطل وهذا معنى قول ابي عبيدة وقد تقدم وقال ابو هريرة يدعى اهل الصدقة من باب الصدقة
واهل الجهاد من باب الجهاد الحديث بطوله ابو سهل يقال اين فلان المصلي والصوام وعكسه الرقاق
والنمام وقال محمد بن كعب بامامهم بامهاتهم وامام جمع ام قال الحكماء وفي ذلك ثلاثة اوجه
من الحكمة احدها لاجل عيسى والثاني لشرف الحسن والحسين والثالث لئلا يفتضح اولاد الزنا قلت
وفي هذا القول نظر فان في الحديث الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع
الله الاولين والاخرين يوم القيمة يرفع لكل غادر لواء يوم القيمة فيقال هذه غدرة فلان
بن فلان خرجه مسلم والبخاري فقوله هذه غدرة فلان بن فلان دليل على ان الناس يدعون
في الاخرة باسمائهم واسماء ابائهم وهذا يرد على من قال انما يدعون باسماء امهاتهم لان في ذلك سترا
على ابائهم والله اعلم قوله تعالى فمن اوتي كتابه بيمينه هذا يقوي قول من قال بامامهم بكتابهم
ويقويه ايضا قوله تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون
فتيلا الفتيل الذي في شق النواة وقد مضى في النساء قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في
الاخرة اعمى واضل سبيلا وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره
واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وان كادوا ليستفزونك من الارض
ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا
ولا تجد لسنتنا تحويلا اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقران الفجر ان قران
الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا
وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا واذا انعمنا على الانسان اعرض ونا بجانبه واذا
مسه الشر كان يؤسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ويسئلونك
عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذي
اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا قوله
ومن كان في هذه اعمى اي في الدنيا عن الاعتبار وابصار الحق فهو في الاخرة اي في امر الاخرة
اعمى وقال عكرمة جاء نفر من اهل اليمن الى ابن عباس فسألوه عن هذه الاية فقال اقرؤا ما
قبلها ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر الى تفضيلا قال ابن عباس من كان في هذه النعم
والايات التي راى اعمى فهو في الاخرة التي لم يعاين اعمى واضل سبيلا وقيل المعنى من عمي عن النعم
التي انعم الله بها عليه في الدنيا فهو عن نعم الاخرة اعمى وقيل المعنى من كان في الدنيا التي
امهل الله فيها وفسح له فيها ووعد بقبول التوبة اعمى فهو في الاخرة التي لا توبة فيها اعمى وقال
الحسن من كان في هذه الدنيا كافرا ضالا فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا وقيل من كان في الدنيا
اعمى عن حجج الله يبعثه الله يوم القيمة اعمى كما قال ونحشره يوم القيمة اعمى الايات وقال ونحشرهم

يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما مأويهم جهنم وقيل المعنى في قوله فهو في الاخرة اعمى في جميع الاقوال
اشد عمى لانه من عمى القلب ولا يقال مثله في عمى العين قال الخليل وسيبويه لانه خلقة بمنزلة اليد
والرجل فلم يقل ما اعماه كما لا يقال ما ايداه الاخفش لم يقل فيه ذلك لانه على اكثر من ثلاثة احرف
واصله اعمى وقد اجاز بعض النحويين ما اعماه وما اعشاه لان فعله عمي وعشي وقال الفراء حدثني
بشام شيخ بصري انه سمع العرب تقول ما اسود شعره قال الشاعر ما في المعالي لكم ظل ولا ثمر
وفي المخازي لكم اشباح اشياخ اما الملوك فانت اليوم الامهم لوما وابيضهم سربال طباخ وامال
ابو بكر وحمزة والكسائي وخلف الحرفين اعمى واعمى وفتح الباقون وامال ابو عمرو الاول وفتح الثاني واضل
سبيلا يعني انه لا يجد طريقا الى الهداية قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا قال
سعيد بن جبير كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الاسود في طوافه فمنعته قريش وقالوا لا ندعك
تستلم حتى تلم بالهتنا فحدث نفسه وقال ما علي ان الم بها بعد ان يدعوني استلم الحجر والله يعلم
اني لها كاره فابى الله تعالى ذلك وانزل هذه الاية قاله مجاهد وقتادة وقال ابن عباس في
رواية عطا نزلت في وفد ثقيف اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فسالوه شططا وقالوا متعنا بالهتنا
سنة حتى ناخذ ما يهدى لها فاذا اخذناه كسرناها واسلمنا وحرم وادينا كما حرمت مكة حتى
تعرف العرب فضلنا عليهم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك فنزلت هذه الاية
وقيل هو قول اكابر قريش للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد عنا هؤلاء السقاط والموالي حتى نجلس معك
ونسمع منك فهم بذلك حتى نهي عنه وقال قتادة ذكر لنا ان قريشا خلوا برسول الله ذات ليلة الى
الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه فقالوا انك تاتي بشيء لا ياتي به احد من الناس وانت
سيدنا يا سيدنا وما زالوا به حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون ثم عصمه الله من ذلك وانزل
الله هذه الاية ومعنى ليفتنونك اي يزيلونك يقال فتنت الرجل عن رايه اذا ازلته عما كان عليه
قاله الهروي وقيل يصرفونك والمعنى واحد عن الذي اوحينا اليك اي حكم القران لان في اعطائهم
ما سالوا مخالفة لحكم القران لتفتري علينا غيره لتختلق علينا غير ما اوحينا اليك وهو قول ثقيف
حرم وادينا كما حرمت مكة شجرها وطيرها ووحشها فان سالتك العرب لم خصصتهم فقل الله
امرني بذلك حتى يكون عذرا لك واذا لاتخذوك خليلا اي لو فعلت ما ارادوا لاتخذوك خليلا
اي والوك وصافوك ماخوذ من الخلة بالضم وهي الصداقة لممايلته لهم وقيل لاتخذوك خليلا
اي فقيرا ماخوذ من الخلة بفتح الخاء وهي الفقر لحاجته اليهم قوله تعالى ولولا ان ثبتناك اي على الحق
وعصمناك عن موافقتهم لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اي تركن قليلا قال قتادة لما نزلت هذه
قال عليه الصلاة والسلام اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وقيل ظاهر الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم وباطنه اخبار عن ثقيف والمعنى وان كادوا ليركنونك اي كادوا يخبرون عنك
بانك ملت الى قولهم فنسب فعلهم اليه مجازا واتساعا كما تقول للرجل كدت تقتل نفسك
اي كاد الناس يقتلونك بسبب ما فعلت ذكره المهدوي وقيل ما كان منه هم بالركون اليهم بل
المعنى ولولا فضل الله عليك لكان منك ميل الى موافقتهم ولكن تم فضل الله عليك فلم تفعل
ذكره القشيري وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوما ولكن هذا تعريف
للامة لئلا يركن احد منهم الى المشركين في شيء من احكام الله تعالى وشرايعه وقوله اذا لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات اي لو ركنت لاذقناك مثلي عذاب الحياة في الدنيا ومثلي عذاب الممات
في الاخرة قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما وهذا غاية الوعيد وكلما كانت الدرجة اعلا كان

العذاب عند المخالفة اعظم قال الله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها
العذاب ضعفين وضعف الشيء مثله مرتين وقد يكون الضعف النصيب كقوله عز وجل لكل ضعف اي
نصيب وقد تقدم في الاعراف قوله تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها هذه الاية
قيل انها مدنية حسب ما تقدم في اول السورة قال ابن عباس حسدت اليهود مقام النبي صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فقالوا ان الانبياء انما بعثوا بالشام فان كنت نبيا فالحق بها فانك ان خرجت اليها صدقناك
وامنا بك فوقع ذلك في قلبه لما يحب من اسلامهم فرحل من المدينة على مرحلة فانزل الله الاية وقال
عبد الرحمن بن غنم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك لا يريد الا الشام فلما نزل تبوك
نزل وان كادوا ليستفزونك من الارض بعد ما ختمت السورة وامر بالرجوع وقيل انها مكية قال
مجاهد وقتادة نزلت في هم اهل مكة باخراجه ولو اخرجوه لما امهلوا ولكن الله امره بالهجرة فخرج وهذا
اصح لان السورة مكية ولان ما قبلها خبر عن اهل مكة ولم يجر لليهود ذكر وقوله من الارض يريد
ارض مكة كقوله فلن ابرح الارض اي ارض مصر دليله وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي
اخرجتك يعني مكة معناه هم اهلها باخراجه فلهذا اضاف اليهم وقال اخرجتك وقيل هم الكفار كلهم
ان يستخفوه من ارض العرب بتظاهرهم عليه فمنعه الله ولو اخرجوه من ارض العرب لم يمهلوا وهو
معنى قوله واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا وقرا عطا بن ابي رباح يلبثون بتشديد الباء خلفك نافع
وابن كثير وابو بكر وابو عمرو ومعناه بعدك وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي خلافك واختاره
ابو حاتم اعتبارا بقوله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ومعناه ايضا بعدك قال الشاعر
عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا وقيل خلفك بمعنى بعدك وخلافك
بمعنى مخالفتك ذكره ابن الانباري الا قليلا فيه وجهان احدهما ان المدة التي لبثوها بعده ما بين
اخراجهم له وقتلهم يوم بدر وهذا قول من ذكر انهم قريش الثاني ما بين ذلك وقتل بني قريظة وجلاء
بني النضير وهذا قول من ذكر انهم اليهود قوله تعالى سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا اي
يعذبون كسنة من قد ارسلنا فهو نصب باضمار يعذبون فلما سقط الخافض عمل الفعل قاله
الفراء وقيل انتصب على معنى سننا سنة من قد ارسلنا وقيل هو منصوب على تقدير حذف الكاف
التقدير لا يلبثون خلفك الا قليلا كسنة من قد ارسلنا فلا يوقف على هذا التقدير على قوله
الا قليلا ويوقف على الاول والثاني قبلك من رسلنا وقف حسن ولا تجد لسنتنا تحويلا اي
خلف في وعدها قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل الاية فيه سبع مسائل
الاولى قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس لما ذكر مكايد المشركين امر نبيه عليه الصلاة والسلام
بالصبر والمحافظة على الصلاة وفيها طلب النصر على الاعداء ومثله ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين وتقدم القول في معنى اقامة الصلاة في اول البقرة
وهذه الاية باجماع من المفسرين اشارة الى الصلوات المفروضة واختلف العلماء في الدلوك على قولين
انه زوال الشمس عن كبد السماء قاله عمر وابنه وابو هريرة وابن عباس وطايفة سواهم من
علماء التابعين وغيرهم الثاني ان الدلوك هو الغروب قاله علي وابن مسعود وابي بن كعب
وروي عن ابن عباس قال الماوردي من جعل الدلوك اسما للغروب فلان الانسان يدلك عينيه
براحته لتبينها حالة المغيب ومن جعله اسما للزوال فلانه يدلك عينيه لشدة شعاعها
وقال ابو عبيدة دلوكها غروبها ودلكت براح يعني الشمس اي غابت وانشد قطرب هذا مقام قدمي
رباح ذبب حتى دلكت براح براح بفتح الباء على وزن حذام وقطام ورقاش اسم من اسماء الشمس

ورواه الفراء بالكسر الباء وهو جمع راحة وهو الكف اي غابت وهو ينظر اليها وقد جعل كفه على حاجبه ومنه
قول العجاج والشمس قد كادت تكون دنفا ادفعها بالراح كي تزحلفا قال ابن الاعرابي الزحلوقة مكان
منحدر املس لانهم يتزحلفون فيه قال والزحلفة كالدحرجة والدفع يقال زحلفته فتزحلف ويقال
دلكت الشمس اذا غابت قال ذو الرمة مصابيح ليست باللواتي تقودها نجوم ولا بالآفلات الدوالك
قال ابن عطية هو الميل في اللغة فاول الدلوك هو الزوال وآخره هو الغروب ومن وقت الزوال الى
الغروب يسمى دلوكا لانها في حالة ميل فذكر الله تعالى الصلوات التي تكون في حالة الدلوك وعنده فيدخل
في ذلك الظهر والعصر والمغرب ويصح ان يكون المغرب داخلة في غسق الليل وذهب قوم الى ان صلاة
الظهر يتمادى وقتها من الزوال الى الغروب لان الله سبحانه علق وجوبها على الدلوك وهذا دلوك كله
قاله الاوزاعي وابو حنيفة في تفصيل واشار اليه مالك والشافعي في حال الضرورة الثانية قوله
تعالى الى غسق الليل وروى مالك عن ابن عباس قال دلوك الشمس ميلها وغسق الليل اجتماع الليل وظلمته
وقال ابو عبيدة الغسق سواد الليل قال قيس بن الرقيات ان هذا الليل قد غسقا واشتكيت الهم
والارقا وقد قيل غسق الليل مغيب الشفق وقيل اقبال ظلمته قال زهير ظلت تجود يداها وهي لاهية
حتى اذا جنح الاظلام والغسق يقال غسق الليل غسوقا والغسق اسم بفتح السين واصل الكلمة من السيلان
يقال غسقت العين اذا سالت تغسق وغسق الجرح غسقانا اذا سال منه ماء اصفر واغسق المؤذن اي
اخر المغرب الى غسق الليل وحكى الفراء غسق الليل واغسق واظلم ودجى وادجى وغبش واغبش وكان
الربيع بن خثيم يقول لمؤذنه في يوم غيم اغسق اغسق يقول اخر المغرب حتى يغسق الليل وهو اظلامه الثالثة
اختلف العلماء في آخر وقت المغرب فقيل وقتها وقتا واحدا لا وقت لها الا حين تحجب الشمس
وذلك بين في امامة جبريل بانه صلاها باليومين لوقت واحد وذلك غروب الشمس وهو الظاهر
من مذهب مالك عند اصحابه وهو احد قولي الشافعي في المشهور عنه ايضا وبه قال الثوري وقال
مالك في الموطا فاذا غاب الشفق فقد خرجت من وقت المغرب ودخل وقت العشاء وبهذا
قال ابو حنيفة واصحابه والحسن بن حي واحمد واسحق وابو ثور وداود لان وقت الغروب الى الشفق
غسق كله ولحديث ابي موسى وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالسائل المغرب في اليوم الثاني
فاخر حتى كان عند سقوط الشفق خرجه مسلم قالوا وهذا اولى من اخبار امامة جبريل لانه متاخر
بالمدينة وامامة جبريل بمكة والمتاخر اولى من فعله وامره لانه ناسخ لما قبله وزعم ابن العربي
ان هذا القول هو المشهور من مذهب مالك وقوله في موطائه الذي اقراه طول عمره واملاه في
حياته والنكتة في هذا ان الاحكام المتعلقة بالاسماء هل تتعلق باوائلها او باخرها او يرتبط الحكم
بجميعها والاقوى في النظر ان يرتبط الحكم باوائلها لئلا يكون ذكرها لغوا فاذا ارتبط باوائلها جرى
بعد ذلك النظر في تعلقه بالكل الى الآخر قلت القول بالتوسعة ارجح وقد خرج الامام
الحافظ ابو محمد عبد الغني بن سعيد من حديث الاجلح بن عبد الله العبدي عن ابي الزبير عن جابر قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قريبا من غروب الشمس فلم يصل المغرب حتى اتى سرف
وذلك تسعة اميال واما القول بالنسخ فليس بالبين وان كان التاريخ معلوما فان الجمع ممكن
قال علماؤنا تحمل احاديث جبريل على الافضلية في وقت المغرب ولذلك اتفقت الامة فيها
على تعجيلها والمبادرة اليها في حين غروب الشمس قال ابن خويز منداد ولا نعلم احدا من المسلمين
تاخر باقامة المغرب في مسجد جماعة عن وقت غروب الشمس واحاديث التوسعة تبين وقت الجواز
فيرتفع التعارض ويصح الجمع وهو اولى من الترجيح باتفاق الاصوليين لان فيه اعمال كل واحد

من

من الدليلين والقول بالنسخ او الترجيح فيه اسقاط احدهما والله اعلم الرابعة قوله تعالى وقرآن
الفجر انتصب القرآن من وجهين احدهما ان يكون معطوفا على الصلاة والمعنى واقم قرآن الفجر اي صلاة
الصبح قاله الفراء وقال اهل البصرة انتصب على الاغراء اي فعليك بقرآن الفجر قاله الزجاج وعبر عنها
بالقراءة خاصة دون غيرها من الصلوات لان القرآن هو عظمها اذ قراءتها طويلة مجهور بها حسبما هو
مشهور مسطور عن الزجاج ايضا قلت وقد استقر عمل المدينة على استحباب اطالة القراءة في
الصبح قدرا لا يضر بمن خلفه يقرأ فيها بطوال المفصل ويليها في ذلك الظهر والجمعة وتخفيف القراءة
في المغرب وتوسطها في العصر والعشاء وقد قيل في العصر انها تخفف كالمغرب واما ما ورد في صحيح
مسلم وغيره من الاطالة فيما استقر فيه التقصير ومن التقصير فيما استقرت فيه الاطالة كقراءته في الفجر
بالمعوذتين كما رواه النسائي وكقراءة الاعراف والمرسلات والطور في المغرب فمتروك بالعمل ولانكاره
على معاذ التطويل حين ام قومه في العشاء فافتتح سورة البقرة خرجه الصحيح وبامره الائمة بالتخفيف
فقال يا ايها الناس ان منكم منفرين فايكم ام الناس فليخفف فان فيهم الصغير والكبير والمريض والسقيم
والضعيف وذا الحاجة فاذا صلى احدكم وحده فليطول ما شاء كله مسطور في صحيح الحديث الخامسة
قوله تعالى وقرآن الفجر دليل على انه لا صلاة الا بقراءة لانه سمى الصلاة قرآنا وقد اختلف العلماء
في القراءة في الصلاة فذهب جمهورهم الى وجوب قراءة ام القرآن للامام والفذ في كل ركعة وهو
المشهور قول مالك وعنه ايضا انها واجبة في جل الصلاة وهو قول اسحق وعنه ايضا تجب في ركعة واحدة
قاله المغيرة وسحنون وعنه ايضا ان القراءة لا تجب في شيء من الصلاة وهو اشذ الروايات عنه
وحكي عن مالك ايضا انها تجب في نصف الصلاة واليه ذهب الاوزاعي وعن الاوزاعي ايضا وايوب
انها تجب على الامام والفذ والمأموم على كل حال وهو احد قولي الشافعي وقد مضى في الفاتحة مستوفى
السادسة قوله تعالى كان مشهودا روى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان قرآن الفجر
كان مشهودا قال تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار هذا حديث حسن صحيح ورواه علي بن مسهر
عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة وابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى البخاري عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل صلاة الجماعة على صلاة الواحد بخمس وعشرين درجة وتجتمع ملائكة
الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح يقول ابو هريرة اقرءوا ان شئتم وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان
مشهودا ولهذا المعنى يبكر في هذه الصلاة فمن لم يبكر لم يشهد صلاته الا احد الفئتين من الملائكة
ولهذا المعنى ايضا قال مالك والشافعي التغليس بالصبح افضل وقال ابو حنيفة الافضل الجمع بين
التغليس والاسفار فان فاته ذلك فالاسفار اولى من التغليس وهذا مخالف لما كان عليه الصلاة
والسلام يفعل من المداومة على التغليس وايضا فان فيه تفويت شهود ملائكة الليل والله اعلم
السابعة استدل بعض العلماء بقوله صلى الله عليه وسلم تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار على
ان صلاة الصبح ليست من صلاة الليل ولا من صلاة النهار فان في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما
رواه ابو هريرة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون في صلاة العصر وصلاة
الفجر الحديث ومعلوم ان صلاة العصر من النهار فكذلك تكون صلاة الفجر من الليل وليس كذلك
وانما هي من النهار كالعصر بدليل الصيام والايمان وهذا واضح قوله تعالى ومن الليل فتهجد به فيه
ست مسائل الاولى قوله تعالى ومن الليل من للتبعيض والفاء في فتهجد ناصبة على مضمر اي قم فتهجد
به اي بالقرآن والتهجد من الهجود وهو من الاضداد يقال هجد نام وهجد سهر على الضد قال الشاعر
الا زارت واهل منى هجود وليت خيالها بمنى يعود آخر الا طرقتنا والرفاق هجود فباتت بعلات

النوالتجود يعني نياما وهجد ويهجد يعني وهجدته اي ايقظته والتهجد التيقظ بعد رقدة فصار
اسما للصلاة لانه ينتبه لها فالتهجد القيام الى الصلاة من النوم قال معناه الاسود وعلقمة وعبد الرحمن
بن الاسود وغيرهم وروي اسمعيل بن اسحق القاضي من حديث الحجاج بن عمر صاحب النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ايحسب احدكم اذا قام من الليل كله انه قد تهجد انما التهجد الصلاة بعد رقدة ثم الصلاة
بعد رقدة كذلك كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الهجود النوم يقال تهجد الرجل اذا
سهر والقى الهجود وهو النوم وسمي من قام الى الصلاة متهجدا لان المتهجد هو الذى يلقي النوم عن نفسه
وهذا الفعل جار مجرى تحوف وتحرج وتاثم وتحنث وتقذر وتجنب اذا القى ذلك عن نفسه ومثله
قوله تعالى فظلتم تفكهون معناه تندمون اي تطرحون الفاكهة عن انفسكم وهي انبساط النفوس
وسرورها يقال رجل فكه اذا كان كثير السرور والضحك والمعنى في الاية ووقتا من الليل اسهر به في
صلاة وقراءة الثانيـة قوله تعالى نافلة لك اي كرامة لك قاله مقاتل واختلف العلماء في
تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر دون امته فقيل كانت صلاة الليل فريضة عليه فقوله
نافلة لك اي فريضة زايدة على الفرايض الموظفة على الامة قلت وفي هذا التاويل بعد لوجهين
احدهما تسمية الفرض بالنفل وذلك مجاز لا حقيقة الثاني قوله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات فرضهن
الله على العباد وقوله تعالى هن خمس وهن خمسون ما يبدل القول لدي وهذا نص فكيف يقال
افترض عليه صلاة زائدة على الخمس هذا ما لا يصح وان كان قد روي عنه عليه السلام ثلاث علي
فريضة ولامتي تطوع قيام الليل والوتر والسواك وقيل كانت صلاة الليل تطوعا وكانت في
الابتداء واجبة على الكل ثم نسخ الوجوب فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة كما قالت عايشة
على ما ياتي مبينا في سورة المزمل ان شاء الله تعالى وعلى هذا يكون الامر بالتنفل على جهة الندب
ويكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لانه مغفور له فهو اذا تطوع بما ليس بواجب عليه كان ذلك
زيادة في الدرجات وغيره من الامة تطوعهم كفارات وتدارك لخلل يقع في الفرض قال معناه
مجاهد وغيره وقيل عطيته لان العبد لا ينال من السعادة عطا افضل من التوفيق في العبادة
الثالثـة قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اختلف في المقام المحمود على اربعة
اقوال الاول وهو اصحها الشفاعة للناس يوم القيمة قاله حذيفة بن اليمان وفي صحيح البخاري عن
ابن عمر قال ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها تقول يا فلان اشفع يا فلان
اشفع حتى تنتهي الشفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه المقام المحمود وفي صحيح مسلم عن
انس قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم قال اذا كان يوم القيمة ماج الناس
بعضهم الى بعض فياتون ادم فيقولون اشفع لذريتك فيقول لست لها ولكن عليكم بابراهيم خليل
الله فياتون ابراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله فياتون موسى فيقول لست لها
ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله فيوتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فياتوني
فاقول انا لها وذكر الحديث وروى الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا سئل عنها قال هي الشفاعة قال هذا حسن صحيح
الرابعـة اذا ثبت ان المقام المحمود هو امر الشفاعة الذي يتدافعه الانبياء عليهم السلام حتى
ينتهي الامر الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيشفع هذه الشفاعة لاهل الموقف ليعجل حسابهم ويراحوا
من هول موقفهم وهي الخاصة به صلى الله عليه وسلم ولذلك قال انا سيد ولد ادم ولا فخر قال النقاش
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات العامة وشفاعة في السبق الى الجنة وشفاعة في اهل

الكباير ابن عطية والمشهور انهما شفاعتان فقط العامة وشفاعة في اخراج المذنبين من النار وهذه
الثانية لا يتدافعها الانبياء بل يشفعون ويشفع العلماء وقال القاضي ابو الفضل عياض شفاعات
نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيمة خمس شفاعة العامة والثانية في ادخال قوم الجنة دون حساب
الثالثة في قوم من موحدي امته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع فيهم نبينا عليه السلام ومن شاء
الله ان يشفع ويدخلون الجنة وهذه الشفاعة هي التي انكرتها المبتدعة الخوارج والمعتزلة
فمنعتها على اصولهم الفاسدة وهي الاستحقاق العقلي المبني على التحسين والتقبيح الرابعة فيمن دخل
النار من المذنبين فيخرجون بشفاعة نبينا عليه الصلاة والسلام وغيره من الانبياء والملايكة
واخوانهم المومنين الخامسة في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها وترفيعها وهذه لا ينكرها المعتزلة
ولا تنكر شفاعة الحشر الاول الخامسـة قال القاضي عياض وعرف بالنقل المستفيض سؤال السلف
الصالح لشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ورغبتهم فيها وعلى هذا لا يلتفت الى قول من قال انه يكره
ان تسال ان الله يرزقك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لانها لا تكون الا للمذنبين فانها قد تكون
كما قدمنا لتخفيف الحساب وزيادة ثم كل عاقل معترف بالتقصير محتاج للعفو غير معتد بعمله
مشفق ان يكون من الهالكين ويلزم هذا القايل ان لا يدعو بالمغفرة والرحمة لانها لاصحاب الذنوب
ايضا وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف روى البخاري عن جابر بن عبد الله ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة
القايمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم
القيامة القول الثاني ان المقام المحمود اعطاوه لواء الحمد قلت وهذا القول لا تنافر
بينه وبين الاول فانه يكون بيده لواء الحمد ويشفع روى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر
وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي القول الثالث ما حكاه الطبري عن فرقة منها مجاهد
انها قالت المقام المحمود هو ان يجلس الله محمدا صلى الله عليه وسلم معه على كرسيه وروت في
ذلك حديثا وعضد الطبري جواز ذلك بشطط من القول وهو لا يخرج الا على تلطف في المعنى
وفيه بعد ولا ينكر مع ذلك ان يروى والعلم يتاوله وذكر النقاش عن ابي داود السجستاني
انه قال من انكر هذا الحديث فهو عندنا متهم ما زال اهل العلم يتحدثون بهذا من انكر جوازه
على تاويله قال ابو عمر ومجاهد وان كان احد الايمة بتاويل القران فان له قولين مهجورين عند
اهل العلم احدهما هذا والثاني في تاويل قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال تنتظر
الثواب ليس من النظر قلت ذكر هذا في باب ابن شهاب في حديث التنزيل وروي عن مجاهد
ايضا في هذه الاية قال يجلسه على العرش وهذا تاويل غير مستحيل لان الله تعالى كان قبل خلق
الاشياء كلها والعرش قايما بذاته ثم خلق الاشياء من غير حاجة اليها بل اظهارا لقدرته وحكمته
وليعرف وجوده وتوحيده وكمال قدرته وعلمه بافعاله المحكمة وخلق لنفسه عرشا استوى عليه
كما شاء من غير ان صار له مماسا او كان العرش مكانا قبل هو الان على الصفة التي كان عليها من
قبل ان يخلق المكان والزمان فعلى هذا القول سواء في الجواز قعد محمد على العرش او على الارض
لان استواء الله تعالى على العرش ليس بمعنى الانتقال والزوال وتحويل الاحوال من القيام والقعود
والحال التي تشغل العرش بل هو مستو على عرشه كما اخبر عن نفسه بلا كيف وليس اقعاده محمدا على
العرش موجبا له صفة الربوبية او مخرجا له عن صفة العبودية بل هو رفع لمحله وتشريف له

على خلقه واما قوله فى الاخبار فهو بمنزلة قوله ان الذين عند ربك ورب ابن لي عندك بيتا فى
الجنة وان الله لمع المحسنين ونحو ذلك كل ذلك عايد الى الرتبة والمنزلة والحضرة والدرجة
الرفيعة لا الى المكان الرابع اخراجه من النار بشفاعته من يخرج قاله جابر بن عبد الله ذكره
مسلم وقد ذكرناه فى كتاب التذكرة والله اعلم السادسة اختلف العلماء فى كون القيام بالليل
سببا للمقام المحمود على قولين احدهما ان البارى تعالى يجعل ما يشاء من فضله سببا لفضله من غير
معرفة بوجه الحكمة فيه او بمعرفة وجه الحكمة الثانى ان قيام الليل فيه الخلوة مع البارى تعالى
والمناجاة دون الناس فاعطى الخلوة به ومناجاته فى القيمة وهو المقام المحمود ويتفاضل فيه
الخلق بحسب درجاتهم فاجلهم فيه درجة محمد صلى الله عليه وسلم فانه يعطى ما لا يعطى احد ويشفع ما لا
يشفع احد وعسى من الله عز وجل واجبة ومقاما نصب على الظرف اي فى مقام او الى مقام وذكر الطبرى
عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذى اشفع فيه لامتى
فالمقام الموضع الذى يقوم فيه الانسان للامور الجليلة كالمقامات بين يدي الملوك قوله تعالى
وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق قيل المعنى امتنى اماتة صدق وابعثنى يوم
القيمة مبعث صدق ليتصل بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما كانه لما وعده ذلك امره ان
يدعو لينجز له الوعد وقيل ادخلنى فى المامور واخرجنى من المنهى وقيل علمه ما يدعو به فى صلاته
وغيرها من اخراجه من بين المشركين وادخاله موضع الامن فاخرجه من مكة وصيره الى المدينة
وهذا المعنى رواه الترمذى عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ثم امر بالهجرة فنزلت
وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال
هذا حديث حسن صحيح وقال الضحاك هو خروجه من مكة ودخوله مكة يوم الفتح امنا ابو سهل
حين رجع من تبوك وقد قال المنافقون ليخرجن الاعز منها الاذل يعنى ادخلنى عزا واخرجنى نصرا
الى مكة وقيل المعنى ادخلنى فى الامر الذى اكرمتنى به من النبوة مدخل صدق واخرجنى منه مخرج
صدق اذا امتنى قال معناه مجاهد والمدخل والمخرج بضم الميم بمعنى الادخال والاخراج كقوله
انزلنى منزلا مباركا اي انزالا لا ارى فيه ما اكره وهى قراءة العامة وقرا الحسن وابو العالية
ونصر بن عاصم مدخل ومخرج بفتح الميمين بمعنى الدخول والخروج فالاول رباعى وهذا ثلاثى
وقال ابن عباس ادخلنى القبر مدخل صدق عند الموت واخرجنى مخرج صدق عند البعث وقيل
ادخلنى حيثما ادخلتنى بالصدق واخرجنى بالصدق اي لا تجعلنى ممن يدخل بوجه ويخرج
بوجه فان ذا الوجهين لا يكون وجيها عندك وقيل الاية عامة فى كل ما يتناول من الامور ويحاول
من الاسفار والاعمال وينتظر من تصرف المقادير فى الموت والحياة فهى دعاء ومعناه رب اصلح لي
وردي فى كل الامور وصدري فى قوله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال الشعبى وعكرمة
اي حجة ثابتة وذهب الحسن الى انه العز والنصر واظهار دينه على الدين كله قال فوعده الله
لينزعن ملك فارس والروم وغيرها فيجعله له قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل
فيه ثلاث مسائل الاولى روى البخارى والترمذى عن ابن مسعود قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم
مكة عام الفتح وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يطعنها بمخصرة
فى يده وربما قال بعود ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما
يبدئ الباطل وما يعيد لفظ الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح وكذا فى صحيح مسلم نصبا
وفى رواية صنما قال علماؤنا انما كانت بهذه العدد لانهم كانوا يعظمون فى كل يوم صنما ويخصون

اعظمها بيومين وقوله فجعل يطعنها بعود فى يده يقال انها كانت مثبتة بالرصاص وانه كلما طعن منها صنما
فى وجهه خر لقفاه او فى قفاه خر لوجهه وكان يقول جاء الحق وزهق الباطل كان زهوقا حكاه ابو عمرو
والقاضى عياض وقال القشيرى فما بقي منها صنم الا خر لوجهه ثم امر بها فكسرت الثانية فى الاية دليل على
كسر نصب المشركين وجميع الاوثان اذا غلب عليهم ويدخل بالمعنى كسر آلة الباطل كله وما لا يصلح الا لمعصية
الله كالطنابير والعيدان والمزامير التى لا معنى لها الا اللهو بها عن ذكر الله قال ابن المنذر وفى معنى الاصنام
الصور المتخذة من المدر والخشب وشبهها وكل ما يتخذه الناس مما لا منفعة فيه الا اللهو المنهى عنه ولا
يجوز بيع شيء منها الا الاصنام التى تكون من الذهب والفضة والحديد والرصاص اذا غيرت عما هى
عليه وصارت نقرا او قطعا فيجوز بيعها والشراء بها قال المهلب وما كسر من آلات الباطل وكان فى
حبسها بعد كسرها منفعة فصاحبها اولى بها مكسورة الا ان يرى الامام حرقها بالنار على معنى التشديد
والعقوبة فى المال وقد تقدم حرق ابن عمر وقد هم النبى صلى الله عليه وسلم بتحريق دور من تخلف عن
صلاة الجماعة وهذا اصل فى العقوبة فى المال مع قوله عليه الصلاة والسلام فى الناقة التى
لعنتها صاحبتها دعوها فانها ملعونة فازال ملكها عنها تاديبا لصاحبتها وعقوبة فيما دعت عليها
بما دعت به وقد اراق عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبنا شيب بما على صاحبه الثالثة ما ذكرناه من
تفسير الاية ينظر الى قوله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن عيسى ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب
وليقتلن الخنزير وليتركن القلاص فلا يسعى عليها الحديث خرجه الصحيحان ومن هذا الباب
هتك النبى صلى الله عليه وسلم الستر الذى فيه الصور وذلك ايضا دليل على فساد الصور والآلات
الملاهى كما ذكرنا وهذا كله يحظر من اتخاذها ويوجب التغيير على صاحبها ان اصحاب هذه الصور
يعذبون يوم القيمة ويقال لهم احيوا ما خلقتم وحسبك وسياتى هذا المعنى فى النمل ان شاء
الله تعالى قوله تعالى وقل جاء الحق اي الاسلام وقيل القرآن قاله مجاهد وقيل الجهاد وزهق
الباطل قيل الشرك وقيل الشيطان قاله مجاهد والصواب تعميم اللفظ بالغاية الممكنة فيكون
التفسير جاء الشرع بجميع ما انطوى فيه وزهق الباطل بجميع ما انطوى به زهق الباطل ومنه زهوق
النفس وهو بطلانها يقال زهقت نفسه تزهق زهوقا ان الباطل كان زهوقا اي لا بقاء له والحق
الذى يثبت قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين فيه سبع مسائل الاولى
قوله وننزل من القرآن قرا الجمهور بالنون وقرا مجاهد وينزل بالياء خفيفة ورواها المروزى عن
حفص ومن لابتداء الغاية ويصح ان تكون لبيان الجنس كانه قال وننزل ما فيه شفاء من القرآن
وفى الخبر من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله وانكر بعض المتاولين ان تكون من للتبعيض لانه
يحفظ من ان يلزمه ان بعضه لا شفاء فيه ابن عطية وليس يلزمه هذا بل يصح ان تكون للتبعيض
بحسب ان انزاله انما هو مبعض فكانه قال وننزل من القرآن ما هو شيئا شفاء ما فيه كله شفا
الثانية اختلف العلماء فى كونه شفاء على قولين احدهما انه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها
وازالة الريب يكشف غطاء القلب من مرض الجهل لفهم المعجزات والامور الدالة على الله تعالى
الثانى شفاء من الامراض الظاهرة بالرقا والتعوذ ونحوه وقد روى الايمة واللفظ للدارقطنى
عن ابى سعيد الخدرى قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية ثلاثين راكبا قال فنزلنا
على قوم من العرب فسالناهم ان يضيفونا فابوا قال فلدغ سيد الحي فاتونا فقالوا فيكم احد يرقى
من العقرب فى رواية ابن قتيبة ان الملك يموت قال قلت انا نعم ولكن لا افعل حتى تعطونا
قالوا فانا نعطيكم ثلاثين شاة قال فقرات عليه الحمد لله رب العالمين سبع مرات فبرا فى رواية

سليمان من فيه عن ابي سعيد فافاق فبرا فبعث الينا بالشاء فاكلنا الطعام انا واصحابي وابوا ان ياكلوا من الغنم حتى اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته الخبر فقال وما يدريك انها رقية قلت يا رسول الله شيء القي في روعي قال كلوا واطعمونا من الغنم خرجه في كتاب السنن وخرج في كتاب الذبح من حديث السري ابن يحيى قال حدثني المعتمر بن سليمان عن ليث بن ابي سليم عن الحسن عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينفع باذن الله تعالى من البرص والجنون والجذام والبطن والسل والحمى والنفس ان يكتب بزعفران او بمشق يعني المغرة اعوذ بكلمات الله التامة واسمائه كلها عامة من شر السامة والهامة ومن شر العين اللامة ومن شر حاسد اذا حسد ومن ابي فروة وما ولد كذا قال ولم يقل من شر ابي فروة وقال ثلاثة وثلاثون من الملائكة اتوا ربهم عز وجل فقالوا وصب بارضنا فقال خذوا تربة من ارضكم فامسحوا نواصيكم او قال نوصبكم رقية محمد صلى الله عليه وسلم لا افلح من كتمها ابدا او اخذ عليها صفدا ثم يكتب فاتحة الكتاب واربع ايات من اول البقرة والاية التي فيها تصريف الرياح واية الكرسي والايتين اللتين من بعدها وخواتيم سورة البقرة من موضع لله ما في السموات وما في الارض الى اخرها وعشرا من اول ال عمران وعشرا من اخرها واول اية من النساء واول اية من المائدة واول اية من الانعام واول اية من الاعراف والاية التي في الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض حتى يختم الاية والاية التي في يونس من موضع قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين والاية التي في طه والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى وعشرا من اول الصافات وقل هو الله احد والمعوذتين تكتب في اناء نظيف ثم يغسل ثلاث مرات بماء نظيف ثم يحسو منه الوجع ثلاث حسوات ثم يتوضا منه كوضوئه للصلاة ويتوضا قبله وضوءه للصلاة حتى يكون على طهر قبل ان يتوضا منه ثم يصب على راسه وصدره وظهره ولا يستنجي به ثم يصلي ركعتين ثم يستشفي الله يفعل ذلك ثلاثة ايام قدر ما يكتب في كل يوم كتابا في رواية ومن شر ابي فروة وما ولد وقال فامسحوا بوصبكم ولم يشك وروى البخاري عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث في المرض الذي مات فيه على نفسه بالمعوذات فلما ثقل كنت انفث عنه بهن وامسح بيد نفسه لبركتها فسالت الزهري كيف ينفث قال كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه وروى مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى قرا على نفسه المعوذتين وتفل او نفث قال ابو بكر الانباري قال اللغويون تفسير نفث نفخ نفخا ليس معه ريق ومعنى تفل نفخ نفخا معه ريق قال الشاعر

فان يبرا فلم انفث عليه … وان يفقد فحق له الفقود

وقال ذو الرمة

ومن جوف ماء عرمض الحول فوقه … متى يحس منه مائح القوم يتفل

اراد ينفخ بريق وسياتي ما للعلماء في النفث في سورة الفلق ان شاء الله تعالى الثالثة روى ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره الرقى الا بالمعوذات قال الطبري وهذا حديث لا يجوز الاحتجاج بمثله في الدين اذ في نقلته من لا يعرف ولو كان صحيحا لكان اما غلطا واما منسوخا لقوله صلى الله عليه وسلم في الفاتحة ما ادراك انها رقية واذا جاز الرقى بالمعوذتين وهما سورتان من القران كانت الرقية بسائر القران مثلهما في الجواز اذ كله قران وروي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال شفاء امتي في ثلاث اية من كتاب الله او لعقة من عسل او شرطة محجم وقال رجاء الغنوي من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله الرابعة واختلف العلماء في النشرة وهي ان يكتب شيئا من اسماء الله او من القران ثم يغسله بالماء ثم يمسح به المريض او يسقيه فاجازها سعيد بن المسيب قيل له الرجل يؤخذ عن امراته ايحل عنه وينشر قال لا باس

به وما ينفع لم ينه عنه ولم ير مجاهد ان يكتب ايات من القران ثم يغسل ثم يسقاه صاحب الفزع وكانت عائشة تقرا المعوذتين في اناء ثم تامر ان يصب على المريض وقال المازري ابو عبد الله النشرة امر معروف عند اهل التعزيم وسميت بذلك لانها تنشر عن صاحبها اي تحل ومنعها الحسن وابراهيم النخعي قال النخعي اخاف ان يصيبه بلاء وكانه ذهب الى انه ما يجيء به القران فهو الى ان يعقب بلاء اقرب منه الى ان يفيد شفاء وقال الحسن سالت انسا فقال ذكروا عن النبي صلى الله عليه وسلم انها من الشيطان وقد روى ابو داود من حديث جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النشرة فقال هي من عمل الشيطان قال ابن عبد البر وهذه اثار لينة ولها وجوه محتملة وقد قيل ان هذا محمول على ما اذا كانت خارجة عما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن المداواة المعروفة والنشرة من جنس الطب فهي غسالة شيء له فضل فهو كوضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه السلام لا باس بالرقى ما لم يكن فيه شرك ومن استطاع منكم ان ينفع اخاه فليفعل قلت قد ذكرنا النص في النشرة مرفوعا وان ذلك لا يكون الا من كتاب الله فليعتمد عليه والله اعلم الخامسة قال مالك لا باس بتعليق الكتب التي فيها اسماء الله تعالى على اعناق المرضى على وجه التبرك بها اذا لم يرد معلقها بتعليقها مدافعة العين وهذا معناه قبل ان ينزل به شيء من العين وعلى هذا القول جماعة اهل العلم لا يجوز عندهم ان يعلق على الصحيح من البهائم او بني ادم شيء من العلائق خوف نزول العين وكل ما يعلق بعد نزول البلاء من اسماء الله عز وجل وكتابه رجاء الفرج والبرء من الله عز وجل فهو كالرقى المباح الذي وردت السنة باباحته من العين وغيرها وقد روى عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فزع احدكم من نومه فليقل اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وسوء عقابه ومن شر الشياطين وان يحضرون وكان عبد الله يعلمها ولده من ادرك منهم ومن لم يدرك منهم كتبها وعلقها عليه فان قيل فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من علق شيئا وكل اليه وراى ابن مسعود على ام ولده تميمة مربوطة فجبذها جبذا شديدا فقطعها وقال ان ال ابن مسعود لاغنياء عن الشرك ثم قال ان التمائم والرقى والتولة من الشرك قيل ما التولة قال ما تحببت به لزوجها وروي عن عقبة بن عامر الجهني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من علق تميمة فلا اتم الله له ومن علق ودعة فلا ودع الله له قلنا قال الخليل بن احمد التميمة قلادة فيها عوذ والودعة خرز وقال ابو عمر والتميمة في كلام العرب القلادة ومعناه عند اهل العلم ما علق في الاعناق من القلائد خشية العين او غيرها من انواع البلاء وكان المعنى في الحديث ان من علق تميمة خشية ان ينزل او لا ينزل قبل ان ينزل فلا اتم الله عليه صحته وعافيته ومن يعلق ودعة وهي مثلها في المعنى فلا ودع الله له اي فلا بارك الله له ما هو فيه من العافية والله اعلم وهذا كله تحذير مما كان اهل الجاهلية يصنعونه من تعليق التمائم والقلائد ويظنون انها تقيهم وتصرف البلاء عنهم وذلك لا يصرفه الا الله عز وجل وهو المعافي والمبتلي لا شريك له فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كانوا يصنعون من ذلك في جاهليتهم وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما تعلق بعد نزول البلاء وبعده والقول الاول اصح في الاثر والنظر ان شاء الله تعالى وما روي عن ابن مسعود يجوز ان يريد بما كره تعليقه غير القران اشياء ماخوذة عن العرافين والكهان اذ الاستشفاء بالقران معلقا وغير معلق لا يكون شركا وقوله عليه الصلاة والسلام من علق شيئا وكل اليه فمن علق القران ينبغي ان يتولاه الله ولا يكله الى غيره لانه تعالى هو المرغوب اليه والمتوكل

عليه في الاستشفاء بالقرآن وسئل ابن المسيب عن التعويذ يعلق قال اذا كان في قصبة او رقعة يجوز
فلا باس به وهذا على ان المكتوب قران وعن الضحاك انه لم يكن يرى باسا ان يعلق الرجل الشيء
من كتاب الله اذا وضعه عند الجماع وعند الغايط ورخص ابو جعفر محمد بن علي التعويذ يعلق على
الصبيان وكان ابن سيرين لا يرى باسا بالشيء من القرآن يعلقه الانسان السادسة قوله تعالى
ورحمة للمؤمنين تفريج للكروب وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب مع ما تفضل به تعالى من
الثواب في تلاوته كما روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشرة امثالها لا اقول الم حرف الف حرف
ولام حرف قال هذا حديث حسن صحيح غريب قد تقدم ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم به
قال قتادة ما جالس احد القرآن الا قام عنه بزيادة او نقصان ثم قرا وننزل من القرآن ما هو
شفاء الاية ونظير هذه الاية قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم
وقر وهو عليهم عمى وقيل شفاء في الفرايض والاحكام لما فيه من البيان قوله تعالى واذا انعمنا
على الانسان الغرض على الانسان اعرض ونأى بجانبه اي هؤلاء الذين يزيدهم القرآن خسارا
صفتهم الاعراض حتى تدبر ايات الله والكفران لنعمه وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة ومعنى
نأى بجانبه اي تكبر وتباعد ونأى متقلوب عنه والمعنى بعد عن القيام بحقوق الله عز وجل نأى الشيء
اي بعد ونأيته ونأيت عنه بمعنى اي بعدت وانأيته فانتأى اي ابعدته فبعد وتناءوا تباعدوا
والمنأى الموضع البعيد قال النابغة فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك
واسع وقرا ابن عامر في رواية بن ذكوان ناء مثل باع الهمزة مؤخرة وهو على طريقة القلب من
نأى كما يقال راى وراء وقيل هو من النوء وهو النهوض والقيام وقد يقال ايضا للوقوع والجلوس
نوء وهو من الاضداد وقرئ ونئي بفتح النون وكسر الهمزة والعامة نأى في وزن رأى واذا مسه
الشر كان يؤسا اي اذا ناله شدة من فقر او سقم او بؤس يئس وقنط لانه لم يثق بفضل الله تعالى
قوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته قال ابن عباس فلجيته وقاله الضحاك مجاهد طبيعته
وعنه حدته ابن زيد على دينه الحسن وقتادة نيته مقاتل جبلته الفراء على طريقته ومذهبه
الذي جبل عليه وقيل قل كل يعمل على ما هو اشكل عنده واولى بالصواب في اعتقاده وقيل هو ماخوذ
من الشكل يقال لست على شكلي ولا شاكلتي قال الشاعر كل امرئ يشبهه فعله ما يفعل المرء
فهو اهله فالشكل هو المثل والنظير والضرب كقوله تعالى واخر من شكله ازواج والشكل بكسر
الشين الهيئة يقال جارية حسنة الشكل وهذه الاقوال كلها متقاربة والمعنى ان كل احد يعمل
على ما يشاكل اصله واخلاقه التي الفها وهذا ذم للكافر ومدح للمؤمن والاية التي قبلها نزلت
في الوليد بن المغيرة ذكره المهدوي فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي بالمؤمن والكافر وما
سيحصل من كل واحد وقيل اهدى سبيلا اي اسرع قبولا وقيل الحسن دينا وحكي ان الصحابة رضي
الله عنهم تذاكروا القرآن قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه قرات القرآن من اوله الى اخره فلم ار
فيه اية ارجى واحسن من قوله تبارك وتعالى قل كل يعمل على شاكلته فانه لم يشاكل بالعبد
الا العصيان ولا يشاكل بالرب الا الغفران وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرات جميع
القرآن من اوله الى اخره فلم ار اية ارجى واحسن من قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل
الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قدم غفران الذنوب على
قبول التوبة وفي هذا بشارة للمؤمنين وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه قرات جميع القرآن

من اوله الى اخره فلم ار اية احسن وارجى من قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وقال علي
رضي الله عنه قرات القرآن من اوله الى اخره فلم ار اية احسن وارجى من قوله تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم
قلت وقرات القرآن من اوله الى اخره فلم ار اية احسن وارجى من قوله تعالى الذين امنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل
الروح من امر ربي روى البخاري ومسلم والترمذي عن عبد الله قال بينا انا مع النبي صلى الله
عليه وسلم في حرث وهو متوكئ على عسيب اذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال ما
رابكم اليه وقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه فقالوا سلوه عن الروح فامسك النبي صلى الله عليه وسلم
فلم يرد عليهم شيئا فعلمت انه يوحى اليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال ويسئلونك عن الروح قل
الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا لفظ البخاري وفي مسلم فامسك النبي صلى الله عليه وسلم
وفيه وما اوتوا وقد اختلف الناس في الروح المسئول عنه اي روح هو فقيل هو جبريل قاله قتادة
قال وكان ابن عباس يكتمه لا يفسره وقيل هو عيسى وقيل القرآن على ما ياتي بيانه في اخر الشورى
وقال علي ابن ابي طالب هو ملك من الملائكة له سبعون الف وجه في كل وجه سبعون الف لسان
في كل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بكل تلك اللغات يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير
مع الملائكة الى يوم القيمة ذكره الطبري قال ابن عطية وما اظن هذا القول يصح عن علي قلت
اسند البيهقي اخبرنا ابو زكريا ابن ابي اسحق انا ابو الحسن الطرايفي نا عثمان بن سعيد نا عبد الله بن
صالح عن معاوية بن صالح عن علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله ويسئلونك عن الروح قال
الروح ملك وباسناده عن معاوية بن صالح حدثني ابو هدان يزيد بن سمرة عمن حدثه عن علي ابن
ابي طالب انه قال في قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قال هو ملك من الملائكة له الف سبعون
وجه الحديث بلفظه ومعناه وروى عطا عن ابن عباس قال الروح ملك له احد عشر الف
جناح والف وجه يسبح الله تعالى الى يوم القيمة ذكره النحاس وعنه جند من جنود الله لهم
ايد وارجل ياكلون الطعام ذكره الغزنوي وقاله الخطابي وقال بعضهم هو ملك من الملائكة
بصفة وصفوها من عظم الخلقة وذهب اكثر اهل التاويل الى انهم سالوه عن الروح الذي يكون
به حياة الجسد وقال اهل النظر منهم انما سالوه عن كيفية الروح ومسلكه في بدن الانسان
وكيف امتزاجه بالجسم واتصال الحياة به وهذا شيء لا يعلمه الا الله عز وجل وقال ابو صالح
الروح خلق كخلق بني ادم وليسوا ببني ادم لهم ايد وارجل والصحيح الابهام لقوله قل الروح
من امر ربي دليل على خلق الروح اي هو امر عظيم وشان كبير من امر الله تعالى مبهما له وتاركا
تفصيله ليعرف الانسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها واذا كان الانسان
في معرفة نفسه هكذا كان بعجزه عن ادراك حقيقة الحق اولى قوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا
قليلا اختلف فيمن خوطب بذلك فقالت فرقة السايلون فقط وقال قوم المراد اليهود بجملتهم
وعلى هذا هي قراءة ابن مسعود وما اوتوا ورواها عن النبي صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة المراد
العالم كله وهو الصحيح وعليه قراءة الجمهور وما اوتيتم وقد قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم
كيف لم نؤت من العلم الا قليلا وقد اوتينا التورية وهي الحكمة ومن اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا فعارضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم الله فغلبوا وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقوله في بعض الاحاديث كلا يعني ان المراد بما اوتيتم جميع العالم وذلك ان يهودا قالت لم نحن

غيبت ام قومك فقال كلا وفي هذا المعنى نزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام حكى ذلك الطبري
رحمه الله وقد قيل ان السايلين عن الروح هم قريش قالت لهم اليهود سلوه عن اصحاب الكهف
وذي القرنين وعن الروح فان اخبركم عن اثنتين وامسك عن واحدة فهو نبي فاخبرهم خبر اصحاب الكهف
وذي القرنين على ما ياتي وقال في الروح قل الروح من امر ربي اي من الذي لا يعلمه الا الله ذكره
المهدوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس قوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك
يعني القران اي كما قدرنا على انزاله نقدر على اذهابه حتى ينساه الخلق ويتصل هذا بقوله وما اوتيتم
من العلم الا قليلا اي ولو شئت ان اذهب بذلك القليل لقدرت عليه ثم لا تجد لك به علينا وكيلا
اي ناصرا يرده عليك الا رحمة من ربك يعني لكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك فهو استثناء ليس من
الاول وقيل الا ان يرحمك ربك فلا يذهب به ان فضله كان عليك كبيرا اذ جعلك سيد ولد
ادم واعطاك المقام المحمود وهذا الكتاب العزيز وقال عبد الله بن مسعود اول ما تفقدون من
دينكم الامانة واخر ما تفقدون الصلاة وان هذا القران كانه قد نزع منكم تصبحون يوما وما معكم
منه شيء فقال رجل كيف يكون ذلك يا ابا عبد الرحمن وقد ثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا
نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم الى يوم القيمة قال يسرى به في ليلة فيذهب بما في المصاحف
وما في القلوب فيصبح الناس كالبهايم ثم قرا عبد الله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك
الاية خرجه ابو بكر بن ابي شيبة بمعناه قال ثنا ابو الاحوص عن عبد العزيز بن رفيع عن شداد بن
معقل قال عبد الله يعني ابن مسعود ان هذا القران الذي بين اظهركم يوشك ان ينتزع منكم قال
قلت كيف ينتزع منا وقد اثبته الله في قلوبنا وثبتناه في مصاحفنا قال يسرى عليه في ليلة
واحدة فينتزع ما في القلوب ويذهب ما في المصاحف ويصبح الناس منه فقرا ثم قرا ولئن شئنا
لنذهبن بالذي اوحينا اليك وهذا اسناد صحيح وعن ابن عمر لا تقوم الساعة حتى يرجع القران
من حيث نزل له دوي كدوي النحل فيقول الله ما بالك فيقول منك خرجت واليك اعود اتلى
فلا يعمل بي اتلى ولا يعمل بي قلت قد جاء معنى هذا مرفوعا من حديث عبد الله بن عمرو بن
العاص وحذيفة قال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرس الاسلام كما يدرس وشي
الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلوة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله تعالى في ليلة
فلا يبقى منه في الارض اية وتبقى طوايف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون ادركنا اباءنا
على هذه الكلمة لا اله الا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة قال له صلة
ما تغني عنهم لا اله الا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة فاعرض عنه حذيفة
ثم رددها ثلاثا كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم اقبل حذيفة عليه فقال يا صلة تنجيهم من
النار ثلاث اخرجه ابن ماجه في السنن وقال عبد الله بن عمرو خرج النبي صلى الله عليه وسلم
وهو معصوب الراس من وجع فضحك فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ما
هذه الكتب التي تكتبون اكتاب غير كتاب الله يوشك ان يغضب الله لكتابه فلا يدع ورقا ولا
قلبا الا اخذ منه قالوا يا رسول الله فكيف بالمؤمنين والمؤمنات يومئذ قال من اراد الله به
خيرا ابقى في قلبه لا اله الا الله ذكره الثعلبي والغزنوي وغيرهما في التفسير قوله تعالى قل لئن
اجتمعت الجن والانس على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي
عوينا ونصيرا مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه نزلت حين قالت الكفار لو نشاء لقلنا مثل
هذا فاكذبهم الله تعالى وقد مضى القول في اعجاز القران في اول الكتاب والحمد لله ولا ياتون

جواب القسم في لئن وقد يجزم على ارادة الشرط قال الشاعر لئن كان ما حدثته اليوم صادقا اصم في نهار
القيظ للشمس باديا قوله تعالى ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل اي وجهنا القول فيه
بكل مثل يجب به الاعتبار من الايات والعبر والترغيب والترهيب والاوامر والنواهي واقاصيص الاولين
والجنة والنار والقيمة فابى اكثر الناس الا كفورا يريد اهل مكة بين لهم الحق وفتح لهم وامهلهم حتى تبين
لهم فابوا الا الكفر وقت تبين الحق قال المهدوي ولا حجة للقدري في قولهم لا يقال ابى الا لمن ابى
فعل ما قدر عليه لان الكافر وان كان غير قادر على الايمان بحكم الله عليه بالاعراض عنه وطبعه
على قلبه فقد كان قادرا وقت الفسحة والمهلة على طلب الحق وتمييزه من الباطل قوله تعالى جل شانه
وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار
خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك
بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان
ربي هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا
رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل
كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ومن يهد الله فهو المهتدي ومن
يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما
ماواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا
عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض
قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا قل لو انتم تملكون
خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ولقد اتينا موسى تسع
ايات بينات فاسال بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا قال
لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا
فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل
اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر
لنا من الارض ينبوعا الاية نزلت في رؤساء قريش مثل عتبة وشيبة ابني ربيعة وابي سفيان
والنضر ابن الحارث وابي جهل وعبد الله بن ابي امية وامية بن خلف وابي البختري والوليد بن
المغيرة وغيرهم وذلك انهم لما عجزوا عن معارضة القران ولم يرضوا به معجزة اجتمعوا فيما ذكر ابن
اسحق وغيره بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه
وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فاتهم فجاءهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يظن ان قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بدو وكان صلى الله عليه وسلم
حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم فقالوا له يا محمد انا بعثنا اليك لنكلمك وانا والله
ما نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الاباء وعبت الدين
وشتمت الالهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة فما بقي امر قبيح الا قد جئته فيما بيننا وبينك او
كما قالوا له فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا
مالا وان كنت انما تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا
وان كان هذا الذي ياتيك رئيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا فربما
كان ذلك بذلنا اموالنا في طلب الطب لك حتى نبريك منه او نعذر فيك فقال لهم رسول

الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئت ما جئتكم به الطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم
ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت
لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم
الله بيني وبينكم او كما قال صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا شيئا عرضناه عليك
فانك قد علمت انه ليس من الناس احد اضيق بلدا ولا اقل ماء ولا اشد عيشا منا فاسئل لنا ربك
الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا او ليبسط لنا بلادنا وليخرق
لنا انهارا كانهار الشام وليبعث لنا من مضى من ابائنا وليكن فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب فانه كان
شيخ صدق فنسالهم عما تقول احق هو ام باطل فان صدقوك وصنعت ما سالناك عرفنا به منزلتك
من الله وانه بعثك رسولا كما تقول فقال لهم صلوات الله عليه وسلامه ما بهذا بعثت اليكم
انما جئتكم من الله تعالى بما بعثني به وقد بلغتكم ما ارسلت به اليكم فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا
والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فاذا لم تفعل هذا لنا فخذ
لنفسك سل ربك ان يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك واساله فليجعل لك جنانا
وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش
كما نلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما انا بفاعل وما انا بالذي يسئل ربه هذا وما بعثت بهذا اليكم ولكن
الله بعثني بشيرا ونذيرا او كما قال فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والاخرة وان
تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فاسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ان
ربك ان شاء فعل فانا لن نؤمن لك الا ان تفعل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك الى الله عز وجل ان شاء ان يفعله بكم فعل قالوا يا محمد فما علم ربك انا سنجلس معك ونسالك
عما سالناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك فيعلمك بما تراجعنا به ويخبرك ما هو
صانع في ذلك بنا اذا لم نقبل منك ما جئتنا به انه قد بلغنا انك انما يعلمك ذلك رجل من
اليمامة يقال له الرحمن وانا والله لا نؤمن بالرحمن ابدا فقد اعذرنا اليك يا محمد وانا والله
لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك او تهلكنا وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله
وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تاتي بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قام عنهم وقام معه عبد الله بن امية بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم وهو ابن عمته هو
لعاتكة بنت عبد المطلب فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم
سالوك لانفسهم امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله تعالى كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم
تفعل ثم سالوك ان تاخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل
ثم سالوك ان تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل او كما قال له فوالله لا اومن
بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتي بصك معه اربعة من الملائكة
يشهدون لك انك كما تقول وايم الله لو فعلت ذلك ما ظننت اني اصدقك ثم انصرف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهله حزينا اسفا
لما فاته مما كان طمع به من قومه حين دعوه ولما راه من مباعدتهم اياه كله لفظ ابن اسحق
وذكر الواحدي عن عكرمة عن ابن عباس فانزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا الايات ينبوعا بمعنى الجمع عن مجاهد وهي مفعول من نبع ينبع وقرا عاصم

وحمزة والكسائي تفجر لنا مخففة واجازه ابو حاتم لان الينبوع واحد ولم يختلفوا في تفجر الانهار
انه مشدد قال ابو عبيد والاولى مثلها قال ابو حاتم ليست مثلها لان الاولى بعدها ينبوع وهو
واحد والثانية بعدها الانهار وهي جمع والتشديد يدل على التكثير اجيب بان ينبوعا وان كان
واحدا فالمراد به الجمع كما قال مجاهد الينبوع عين الماء والجمع الينابيع وقرا قتادة او يكون لك
جنة خلالها اي وسطها او تسقط السماء قراءة العامة وقرا مجاهد او تسقط السماء على اسناد
الفعل الى السماء كسفا قطعا عن ابن عباس وغيره والكسف بفتح السين جمع كسفة وهي قراءة
نافع وابن عامر وعاصم الباقون كسفا باسكان السين قال الاخفش من قرا كسفا من السماء جعله
واحدا ومن قرا كسفا جعله جمعا قال المهدوي ومن اسكن السين جاز ان يكون جمع كسفة وجاز
ان يكون مصدرا من كسفت الشيء اذا غطيته فكانهم قالوا اسقطها طبقا علينا وقال الجوهري
الكسفة القطعة من الشيء يقال اعطني كسفة من ثوبك والجمع كسف وكسف ويقال الكسف والكسفة
واحدة او تاتي بالله والملائكة قبيلا اي معاينة عن قتادة وابن جريج وقال الضحاك وابن عباس
كفيلا مقابل شهيدا مجاهد هو جمع القبيلة اي باصناف الملائكة قبيلة قبيلة وقيل ضمنا يضمنون
ما اتياك به او يكون لك بيت من زخرف اي من ذهب عن ابن عباس وغيره واصله
من الزينة والمزخرف المزين وزخارف الماء طرايقه وقال مجاهد كنت لا ادري ما الزخرف
حتى رايته في قراءة ابن مسعود بيت من ذهب اي نحن لا ننقاد لك مع هذا الفقر الذي
نرى او ترقى في السماء اي تصعد يقال رقيت في السلم ارقى رقيا ورقيا اذا صعدت وارتقيت
مثله ولن نؤمن لرقيك ان من اجل رقيك وهو مصدر نحو مضى يمضي مضيا وهوى يهوي
هويا كذلك رقي يرقى رقيا حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه اي كتابا من الله الى كل رجل منا
كما قال بل يريد كل امرء منهم ان يؤتى صحفا منشرة قل سبحان ربي وقرا اهل مكة والشام
قال سبحان ربي يعني النبي صلى الله عليه وسلم اي قال ذلك تنزيها لله عن ان يعجز عن شيء وعن
ان يعترض عليه في فعل وقيل هذا كله تعجب من فرط كفرهم واقتراحاتهم الباقون قل على
الامر اي قل لهم يا محمد هل كنت اي ما انا الا بشرا رسولا اتبع ما يوحى الي من ربي ويفعل ما يشا
من هذه الاشياء التي ليست في قدرة البشر فهل سمعتم احدا من البشر اتى بهذه الايات
وقال بعض الملحدين ليس هذا جواب مقنع وغلطوا لانه اجابهم فقال انما انا بشر لا اقدر على
شيء مما سالتموني وليس لي ان اتخير على ربي ولم تكن الرسل قبلي ياتون اممهم بكل ما يريدونه
ويبغونه وسبيلي سبيلهم وكانوا يقتصرون على ما اتاهم الله من اياته الدالة على صحة نبوتهم
فاذا اقاموا عليهم الحجة لم يجب لقومهم ان يقترحوا غيرها ولو وجب على الله تعالى ان ياتيهم
بكل ما يقترحونه من الايات لوجب عليه ان ياتيهم بما يختارونه من الرسل ولوجب لكل انسان
ان يقول لا اومن حتى اوتى باية خلاف ما طلب غيري وهذا يؤول ان يكون التدبير الى الناس
وانما التدبير الى الله قوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى يعني الرسل والكتب
من عند الله بالدعاء اليه الا ان قالوا جهلا منهم ابعث الله بشرا رسولا ان الله اجل من ان
يكون رسوله من البشر فبين الله فرط عنادهم لانهم قالوا انت مثلنا فلا يلزمنا الانقياد
وغفلوا عن المعجزة وان الاولى في محل نصب باسقاط حرف الخفض وان الثانية في محل
رفع بمنع اي وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا فقوله
تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا

اعلم الله تعالى ان الملك انما يبعث الى الملائكة لانه لو ارسل ملكا الى الآدميين لم يقدروا
ان يروه على الهيئة التي خلق عليها وانما اقدر الانبياء على ذلك وخلق فيهم ما يقدرون به ليكون
ذلك آية لهم ومعجزة وقد تقدم في الانعام نظير هذه الاية وهو قوله وقالوا لولا انزل عليه
ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا تقدم الكلام
فيه قوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم روي ان كفار قريش قالوا حين سمعوا قوله
هل كنت الا بشرا رسولا قالوا فمن يشهد لك انك رسول الله فنزل قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا قوله تعالى ومن يهد الله فهو المهتد اي لو هداهم الله لاهتدوا
ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه اي لا يهديهم ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم فيه وجهان
ان ذلك عبارة عن الاسراع بهم الى جهنم من قول العرب قد مر القوم على وجوههم اذا اسرعوا الثاني
انهم يسحبون يوم القيمة على وجوههم الى جهنم كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في هوانه وتعذيبه
وهذا هو الصحيح لحديث انس ان رجلا قال يا رسول الله الذين يحشرون على وجوههم ايحشر
الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الذي امشاه على الرجلين قادر على
ان يمشيه على وجهه يوم القيمة قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا خرجه البخاري ومسلم
وحسبك عميا وبكما وصما قال ابن عباس والحسن اي عمي عما يسرهم بكم عن التكلم بحجة صم
عما ينفعهم وعلى هذا القول حواسهم باقية على ما كانت عليه وقيل انهم يحشرون على الصفة التي
وصفهم الله بها ليكون ذلك زيادة في عذابهم ثم يخلق لهم ذلك في النار فابصروا لقوله
تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها وتكلموا لقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا
وسمعوا لقوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال مقاتل بن سليمان اذا قيل لهم اخسؤا فيها
ولا تكلمون صاروا عميا لا يبصرون صما لا يسمعون بكما لا يفقهون وقيل عموا حين دخلوا النار
لشدة سوادها وانقطاع كلامهم حين قيل لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون وذهب الزفير والشهيق
بسمعهم فلم يسمعوا معه شيئا مأواهم جهنم اي مستقرهم ومقامهم كلما خبت اي سكنت عن
الضحاك وغيره مجاهد طفئت يقال خبت النار تخبو خبوا اي طفئت واخبيتها انا اذا زدناهم
سعيرا اي نارا تتلهب ويكون التهابها من غير نقصان في آلامهم ولا تخفيف عنهم من عذابهم
وقيل اذا ارادت ان تخبو كقوله واذا قرأت القرآن قوله تعالى ذلك جزاؤهم بانهم كفروا
باياتنا اي ذلك العذاب جزاء كفرهم وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا اي ترابا ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا فانكروا البعث فاجابهم الله تعالى فقال اولم يروا ان الله الذي خلق
السموات والارض قادر ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه قيل في الكلام تقديم
وتأخير اي اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض وجعل لهم اجلا لا ريب فيه قادر
على ان يخلق مثلهم والاجل مدة بقائهم في الدنيا ثم موتهم وهذا ما لا شك فيه اذ هو
مشاهد وقيل هذا جواب قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا وقيل هو يوم القيمة
فابى الظالمون الا كفورا اي المشركون الا جحودا بذلك الاجل بآيات الله وقيل ذلك الاجل
هو وقت البعث ولا ينبغي ان يشك فيه قوله تعالى قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي
اي خزائن الارزاق وقيل خزائن النعم وهذا اعم اذا لامسكتم خشية الانفاق من البخل وهو
جواب قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا حتى نتوسع في المعيشة اي لو توسعتم
لبخلتم ايضا وقيل المعنى لو ملك احد المخلوقين خزائن الله لما جاد بها كجود الله تعالى

لامرين احدهما انه لا بد ان يمسك منها لنفقته وما يعود لمنفعته الثاني انه يخاف الفقر ويخشى
العدم والله تعالى يتعالى وجوده عن هاتين الحالتين والانفاق في هذه الاية بمعنى الفقر
قاله ابن عباس وقتادة وحكى اهل اللغة انفق واصرم واعدم واقتر اذا قل ماله وكان الانسان
قتورا اي بخيلا مضيقا يقال قتر على عياله يقتر ويقتر قترا وقتورا اي ضيق عليهم في النفقة وكذلك
التقتير والاقتار ثلاث لغات واختلف في هذه الاية على قولين احدهما انها نزلت في المشركين
خاصة قاله الحسن الثاني انها عامة وهو قول الجمهور ذكره الماوردي قوله تعالى ولقد آتينا موسى
تسع آيات بينات اختلف في هذه الايات فقيل هي بمعنى آيات الكتاب كما روى الترمذي والنسائي
عن صفوان بن عسال المرادي ان يهوديين قال احدهما لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي نسأله
فقال لا تقل له نبي فانه ان سمعها كان له اربعة اعين فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه
عن قول الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا
تمشوا ببريء الى سلطان فيقتله ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة او لا تفروا من الزحف شك
شعبة وعليكم اليهود خاصة الا تعدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد انك نبي
قال فما يمنعكما ان تسلما قالا ان داود دعا الله ان لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف ان اسلمنا
ان يقتلنا اليهود قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقد مضى في البقرة وقيل الايات بمعنى
المعجزات والدلالات قال ابن عباس والضحاك الايات التسع العصا واليد واللسان والبحر
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات وقال الحسن والشعبي الخمس
المذكورة يعنيان الطوفان وما عطف عليه واليد والعصا والسنين والنقص من الثمرات
وروي نحوه عن الحسن والشعبي السنين والنقص من الثمرات واحدة وجعل التاسعة تلقف
العصا ما يافكون وعن مالك كذلك الا انه جعل مكان السنين والنقص من الثمرات
البحر والجبل وقال محمد بن كعب هي الخمس التي في الاعراف والبحر والعصا والحجر والطمس على
اموالهم وقد تقدم بيان هذه الايات مستوفى والحمد لله فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم اي
سلهم يا محمد اذ جاءهم موسى بهذه الايات حسب ما تقدم بيانه في يونس وهذا سؤال استفهام
لتعرف اليهود صحة ما يقول محمد عليه الصلوة والسلام فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى
مسحورا اي ساحرا بغرائب افعالك قاله الفراء وابو عبيدة بوضع المفعول موضع الفاعل كما
تقول هذا مشؤوم وميمون اي شائم ويامن وقيل مخدوعا وقيل مغلوبا قاله مقاتل وقيل غير
هذا وقد تقدم وهو ابن نهيك انهما قرا فسأل بني اسرائيل على الخبر اي سأل موسى فرعون ان
يخلي بني اسرائيل ويطلق سبيلهم ويرسلهم معه قوله تعالى قال لقد علمت ما انزل هؤلاء يعني
الايات التسع وانزل بمعنى اوجد الا رب السموات والارض بصائر اي دلالات يستدل بها
على قدرته ووحدانيته وقراءة العامة علمت بفتح التاء خطابا لفرعون وقرأ الكسائي بضم التاء
وهي قراءة علي رضي الله عنه وقال والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم فبلغت
ابن عباس فقال ايضا لقد علمت واحتج بقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما
وعلوا ونسب فرعون الى العناد وقال ابو عبيد والماخوذ به عندنا فتح التاء وهو الاصح للمعنى
الذي احتج به ابن عباس ولان موسى لا يحتج بقوله علمت انا وهو الرسول الداعي ولو كان
مع هذا كله يصح به القراءة عن علي لكانت حجة ولكن لا تثبت عنه انما هي عن كلثوم المرادي

وهو مجهول لا يعرف ولا نعلم احدا قرأ بها غير الكسائي وقيل انما اضاف موسى الى العلم فرعون
بهذه المعجزات لان فرعون قد علم مقدار ما يتهيأ للسحرة فعله وان مثل ما فعل موسى لا
يتهيأ لساحر وانه لا يقدر على فعله الا من يفعل الاجسام ويملك السموات والارض وقال مجاهد
دخل موسى على فرعون في يوم شات وعليه قطيفة له فالقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان فراى فرعون
جانبي البيت بين فقميها ففزع واحدث في قطيفته واني لاظنك يا فرعون مثبورا الظن هنا بمعنى
التحقيق والثبور الهلاك والخسران ايضا قال الكميت ورأت قضاعة في الايامن رأي مثبور
وثابر اي مخسور وخاسر يعني في انتسابها الى اليمن وقيل ملعونا رواه المنهال عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس وقاله ابان بن تغلب وانشد يا قومنا لا تروموا حربنا سفها ان السفاه
وان البغي مثبور اي ملعون وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس مثبورا ناقص العقل ونظر
المامون رجلا فقال له يا مثبور فسئل عنه فقال قال الرشيد قال المنصور لرجل يا مثبور
فسالته فقال حدثني ميمون بن مهران فذكره وقال قتادة هالكا وعنه ايضا والحسن
ومجاهد مهلكا والثبور الهلاك يقال ثبر الله العدو ثبورا اهلكه وقيل ممنوعا من
الخير حكى اهل اللغة ما ثبرك عن كذا اي ما منعك منه وثبره الله يثبره ويثبره لغتان قال
ابن الزبعرى اذ اجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور الضحاك مثبورا مسحورا
رد عليه مثل ما قال له باختلاف اللفظ وقال ابن زيد مثبورا مخبولا لا عقل له والله اعلم
قوله تعالى فاراد ان يستفزهم من الارض اي اراد فرعون ان يخرج موسى وبني اسرائيل من
ارض مصر اما بالقتل او بالابعاد فاهلكه الله وقلنا من بعده اي من بعد اغراقه لبني
اسرائيل اسكنوا الارض اي ارض الشام ومصر فاذا جاء وعد الاخرة اي القيمة جئنا بكم لفيفا
اي من قبوركم مختلطين من كل موضع قد اختلط المؤمن والكافر لا يتعارفون ولا ينحاز
منكم احد الى قبيلته وحيه وقال ابن عباس وقتادة جئنا بكم جميعا من جهات شتى والمعنى
واحد قال الجوهري واللفيف ما اجتمع من قبائل شتى يقال جاء القوم بلفهم ولفيفهم اي
باخلاطهم وقوله تعالى جئنا بكم لفيفا اي مجتمعين مختلطين وطعام لفيف اذا كان مخلوطا
من جنسين فصاعدا وفلان لفيف فلان اي صديقه قال الاصمعي اللفيف جمع وليس له واحد
وهو مثل الجميع والمعنى انهم يخرجون وقت الحشر من القبور كالجراد المنتشر مختلطين لا يتعارفون
وقال الكلبي فاذا جاء وعد الاخرة يعني مجيء عيسى من السماء والله اعلم قوله عز وجل

وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقراه على
الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله
اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا
ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا
فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل
الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل
وكبره تكبيرا قوله وبالحق انزلناه وبالحق نزل هذا متصل بما سبق من ذكر معجزات والقرآن
والكناية ترجع الى القرآن ووجه التكرير في قوله وبالحق انزلناه وبالحق نزل ويجوز ان يكون
معنى الاول اوجبنا انزاله بالحق ومعنى الثاني ونزل وفيه الحق كقوله خرج بثيابه اي وعليه
ثيابه وقيل الباء في وبالحق الاول بمعنى مع اي مع الحق كقولك ركب الامير بسيفه اي مع سيفه

وبالحق نزل اي بمحمد اي نزل عليه كما تقول نزلت بزيد ويجوز ان يكون المعنى وبالحق قدرنا ان ينزل وكذلك
نزل قوله تعالى وقرآنا فرقناه لتقراه على الناس على مكث مذهب سيبويه ان قرآنا منصوب
بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرا جمهور الناس فرقناه بتخفيف الراء ومعناه بيناه واوضحناه وفرقنا
فيه بين الحق والباطل قاله الحسن وقال ابن عباس فصلناه وقرا ابن عباس وعلي وابن مسعود وابي
فرقناه عليك واختلف في كم نزل القرآن من المدة فقيل في خمس وعشرين سنة ابن عباس في ثلاث
وعشرين ليس في عشرين وهذا الخلاف بحسب في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلاف انه نزل
الى السماء الدنيا جملة واحدة وقد مضى هذا في البقرة على مكث اي تطاول في المدة شيئا بعد شيء
ويتناسق هذا القول على قراءة ابن مسعود اي انزلناه اية اية وسورة سورة واما على القول
الاول فيكون على مكث اي على ترتيل في التلاوة وقد قيل قال مجاهد وابن عباس وابن جريج
فيعطي القارى القراءة حقها من ترتيلها وتحسينها وتطييبها بالصوت الحسن ما امكن من غير تلحين
ولا تطريب المودي الى تغير لفظ القرآن بزيادة او نقصان فان ذلك حرام على ما تقدم اول الكتاب
واجمع القراء على ضم الميم من مكث الا ابن محيصن فانه قرا مكث بفتح الميم ويقال مكث ومكث ومكث
ثلاث لغات قال مالك على مكث على تثبت وترسل قوله تعالى ونزلناه تنزيلا مبالغة وتاكيد
بالمصدر للمعنى المتقدم اي انزلناه نجما بعد نجم ولو اخذوا بجميع الفرايض في وقت واحد لنفروا قوله
تعالى قل آمنوا به او لا تؤمنوا يعني القرآن وهذا من الله عز وجل على وجه التبكيت والتهديد
لا على وجه التخيير ان الذين اوتوا العلم من قبله اي من قبل نزول القرآن وخروج النبي صلى الله
عليه وسلم وهم مؤمنوا اهل الكتاب في قول ابن جريج وغيره قال ابن جريج معنى اذا يتلى عليهم
كتابهم وقيل القرآن يخرون للاذقان سجدا وقيل هم قوم من ولد اسمعيل تمسكوا بدينهم الى
ان بعث الله النبي عليه السلام زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعلى هذا ليس يريد
اوتوا علم الدين وقال الحسن الذين اوتوا العلم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد انهم ناس
من اليهود وهو اظهر لقوله من قبله اذا يتلى عليهم يعني القرآن سجدوا وقالوا سبحان ربنا
ان كان وعد ربنا لمفعولا وقيل كانوا اذا تلوا كتابهم وما انزل عليه من القرآن خشعوا وسجدوا
وسبحوا وقالوا هذا هو المذكور في التوراة وهذا صفته ووعد الله به واقع لا محالة وجنحوا الى
الاسلام فنزلت الاية فيهم وقالت فرقة المراد بالذين اوتوا العلم من قبله محمد صلى الله عليه وسلم
والضمير في قبله عائد الى القرآن حسب الضمير في به في قوله قل آمنوا به وقيل الضميران لمحمد صلى
الله عليه وسلم واستانف ذكر القرآن في قوله اذا يتلى عليهم قوله تعالى ويقولون سبحان ربنا
دليل على جواز التسبيح في السجود وفي صحيح مسلم وغيره عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي قوله تعالى
ويخرون للاذقان يبكون فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى ويخرون للاذقان يبكون هذا
مبالغة في صفتهم ومدح لهم وحق لكل من توسم بالعلم وحصل منه شيئا ان يجري الى هذه
الرتبة فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل وفي مسند الدارمي ابي محمد التيمي قال من
اوتي من العلم ما لم يبكه لخليق ان لا يكون اوتي علما لان الله تعالى نعت العلماء ثم تلا هذه
الاية ذكره الطبري ايضا والاذقان جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين وقال الحسن الاذقان عبارة عن
اللحى اي يضعونها على الارض في حال السجود وهي كناية عن التواضع واللام بمعنى على تقول سقط
لفيه اي على فيه وقال ابن عباس ويخرون للاذقان سجدا اي للوجوه وانما خص الاذقان بالذكر

لان الذقن اقرب شي من وجه الانسان قال ابن خويزمنداذ ولا يجوز السجود على الذقن لان الذقن
هنا عبارة عن الوجه وقد يعبر بالشي عما جاوره وببعضه عن جميعه فيقال خر لوجهه ساجدا وان
كان لم يسجد على خده ولا عينه الا ترى الى قوله فخر صريعا لليدين وللفم فانما اراد خر صريعا
على وجهه ويديه الثانيــة قوله تعالى يبكون دليل على جواز البكا في الصلاة من خوف الله تعالى
او على مصيبة في دين الله وان ذلك لا يقطعها ولا يضرها ذكر ابن المبارك عن حماد بن سلمة عن
ثابت البناني عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
ولجوفه ازيز كازيز المرجل من البكا في كتاب ابي داود وفي صدره ازيز كازيز الرحا من البكا
الثالثــة واختلف الفقهاء في الانين فقال مالك الانين لا يقطع الصلاة للمريض واكرهه
للصحيح وبه قال الثوري وروى ابن عبد الحكم عن مالك التنحنح والانين والنفخ لا يقطع الصلاة
وقال ابن القاسم يقطع وقال الشافعي ان كان له حروف تسمع وتفهم يقطع الصلاة وقال ابو
حنيفة ان كان من خوف الله لم يقطع وان كان من وجع قطع وروى عن ابي يوسف ان صلاته
في ذلك كله تامة لانه لا يخلو مريض ولا ضعيف من انين الرابعــة قوله تعالى ويزيدهم خشوعا
تقدم القول في الخشوع في البقرة ويأتي قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله
الاسماء الحسنى سبب نزول هذه الاية ان المشركين سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو يا الله
يا رحمن فقالوا كان محمد يامرنا بدعاء اله واحد وهو يدعو الهين قاله ابن عباس وقال مكحول تهجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال في دعائه يا رحمن يا رحيم فسمعه رجل من المشركين وكان باليمامة
رجل يسمى الرحمن فقال ذلك السامع ما بال محمد يدعو رحمان اليمامة فنزلت الاية مبينة انهما
اسمان لمسمى واحد فان دعوتموه بالله فهو ذاك وان دعوتموه بالرحمن فهو ذاك وقيل كانوا
يكتبون في صدر الكتاب باسمك اللهم فنزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم
فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم فقال المشركون هذا الرحيم نعرفه فما
الرحمن فنزلت الاية وقيل ان اليهود قالت ما لنا لا نسمع في القرآن اسما هو في التوراة كثير
يعنون الرحمان فنزلت الاية وقرا طلحة بن مصرف ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى اي التي
تقتضي افضل الاوصاف واشرف المعاني وحسن الاسماء انما يتوجه بتحسين الشرع لاطلاقها والنص
عليها وانضاف الى ذلك انها تقتضي معاني حسانا شريفة وهي بتوقيف لا يصح وضع اسم لله
بنظر الا بتوقيف من القرآن او الحديث او الاجماع حسب ما بيناه في الكتاب الاسنى في شرح الاسما
الحسنى قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها فيه مسئلتان الاولى اختلف في سبب
نزولها على خمسة اقوال الاول ما روي عن ابن عباس في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا
تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار بمكة فكان اذا صلى باصحابه
رفع صوته بالقرآن فاذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن انزله ومن جاء به فقال الله
تعالى ولا تجهر بصلاتك فيسمع المشركون قراءتك ولا تخافت بها عن اصحابك اسمعهم
القرآن ولا تجهر ذلك الجهر وابتغ بين ذلك سبيلا قال يقول بين الجهر والمخافتة خرجه
البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم واللفظ لمسلم والمخافتة خفض الصوت والسكون يقال
للميت اذا برد خفت قال الشاعر لم يبق الا نفس خافت ومقلة انسانها باهت الثاني
ما رواه مسلم ايضا عن عائشة في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت قالت انزل هذا
في الدعا الثالث قال ابن سيرين كان الاعراب يجهرون بتشهدهم فنزلت الاية في ذلك قلت

وعلى هذا فتكون الاية متضمنة لاخفاء التشهد وقال ابن مسعود من السنة ان تخفي التشهد ذكره ابن
المنذر الرابع ما روي عن ابن سيرين ايضا ان ابا بكر رضي الله عنه كان يسر قراءته وكان عمر يجهر بها
فقيل لهما في ذلك فقال ابو بكر انما اناجي ربي وهو يعلم حاجتي اليه وقال عمر انا اطرد الشيطان
واوقظ الوسنان فلما نزلت هذه الاية قيل لابي بكر ارفع قليلا وقيل لعمر اخفض انت قليلا ذكره
الطبري وغيره الخامس ما روي عن ابن عباس ايضا ان معناها ولا تجهر بصلاة النهار ولا تخافت
بصلاة الليل ذكره يحيى بن سلام والزهراوي فتضمنت احكام الجهر والاسرار بالقراءة في النوافل والفرائض
فاما النوافل فالمصلي مخير في الجهر والسر في الليل والنهار وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يفعل الامرين جميعا واما الفرايض فحكمها في القراءة معلوم ليلا ونهارا وقول سادس
قال الحسن يقول الله لا ترائي بصلاتك تحسنها في العلانية ولا تسيئها في السر وقال ابن عباس
لا تصل مرائيا للناس ولا تدعها مخافة الناس الثانيــة عبر تعالى بالصلاة هنا عن القراءة
كما عبر عن القراءة في قوله وقرآن الفجر لان كل واحد مرتبط بالآخر لان الصلاة تشتمل على قراءة
وركوع وسجود فهي من جملة اجزائها فعبر بالجزء عن الجملة وبالجملة عن الجزء على عادة العرب
في المجاز وهو كثير ومنه الحديث الصحيح قسمت الصلاة بيني وبين عبدي اي قراءة الفاتحة
على ما تقدم قوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا هذه الاية رادة على اليهود والنصارى
والعرب في قولهم اندادا عزير وعيسى والملائكة ذرية الله سبحانه وتعالى عن اقوالهم ولم يكن
له شريك في الملك لانه واحد لا شريك له في ملكه ولا في عبادته ولم يكن له ولي من الذل
قال مجاهد المعنى لم يحالف احدا ولا ابتغى نصر احد اي لم يكن له ناصر يجيره من الذل فيكون
مدافعا وقال الكلبي لم يكن له ولي من اليهود والنصارى لانهم اذل الناس ردا لقولهم
نحن ابناء الله واحباؤه وقال الحسين بن الفضل ولم يكن له ولي من الذل يعني لم يذل
فيحتاج الى ولي ولا ناصر لعزته وكبريائه وكبره تكبيرا اي عظمه عظمة تامة ويقال ابلغ لفظة للعرب
في معنى التعظيم والاجلال الله اكبر اي صفه بانه اكبر من كل شي قال الشاعر رايت الله اكبر
كل شي محاولة واكثرهم جنودا وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل في الصلاة قال الله
اكبر وقد تقدم اول الكتاب وقال عمر بن الخطاب قول العبد الله اكبر خير من الدنيا وما فيها
وهذه الاية هي خاتمة التوراة وروى مطرف عن عبد الله بن كعب قال افتتحت التوراة بفاتحة
سورة الانعام وختمت بخاتمة هذه السورة وفي الخبر انها اية العز رواه معاذ بن جبل عن
النبي صلى الله عليه وسلم وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه وقل الحمد لله الاية كتب له منها اجر مثل الارض والجبال
لان الله تعالى يقول فيمن زعم ان له ولدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا وجاء في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم امر رجلا شكى اليه بالدين بان يقرا
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الى اخر السورة ثم يقول توكلت على الحي الذي لا يموت ثلاث
مرات والله اعلم **سورة الكهف وهي مكية في قول جميع المفسرين** وروي عن
فرقة ان اول السورة نزلت بالمدينة الى قوله جرزا والاول اصح وروي في فضلها من حديث
انس انه من قراها اعطي نورا بين السماء والارض ووقي بها فتنة القبر وقال اسحق بن
عبد الله بن ابي فروة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ادلكم على سورة شيعها سبعون
الف ملك ملا عظمها ما بين السماء والارض لتاليها مثل ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال

سورة اصحاب الكهف من قراها يوم الجمعة غفر له الى الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام واعطى
نورا يبلغ السماء ووقي فتنة الدجال ذكره الثعلبي والمهدوي ايضا بمعناه وفي مسند الدارمي عن
ابي سعيد الخدري قال من قرا سورة الكهف ليلة الجمعة اضاء له من النور فيما بينه وبين
البيت العتيق وفي صحيح مسلم عن ابي الدرداء ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر
ايات من اول سورة الكهف عصم من الدجال وفي رواية من اخر الكهف وفي مسلم من حديث النواس
بن سمعان فمن ادركه يعني الدجال فليقرا عليه فواتح سورة الكهف وذكر الثعلبي قال سمرة بن
جندب قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا عشر ايات من سورة الكهف حفظا لم تضره فتنة
الدجال ومن قرا السورة كلها دخل الجنة انتهى بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا من لدنه
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين
قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لابائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون
الا كذبا فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا
ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا
ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا
ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا فضربنا على اذانهم في الكهف سنين
عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم فتية
امنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات
والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة
لولا ياتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما
يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا
وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال
وهم في فجوة منه ذلك من ايات الله من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد
له وليا مرشدا قوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما
ذكر ابن اسحق ان قريشا بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط الى احبار يهود فقالوا
لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته واخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم علم
ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسالا احبار يهود عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووصفا لهم امره واخبراهم ببعض قوله وقالا لهم انكم اهل التوراة وقد جئناكم
لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقالت لهم احبار اليهود سلوه عن ثلاث نامركم بهن فان اخبركم
بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رايكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر
الاول ما كان من امرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق
الارض ومغاربها ما كان نباؤه وسلوه عن الروح ما هي فاذا اخبركم بذلك فاتبعوه فانه
نبي وان لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا في امره ما بدا لكم فاقبل النضر بن الحارث وعقبة
بن ابي معيط حتى قدما مكة على قريش فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين
محمد قد امرنا احبار يهود ان نساله عن اشياء امرونا بها فان اخبركم عنها فهو نبي وان لم
يفعل فالرجل متقول فروا فيه رايكم فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اخبرنا

عن فتية ذهبوا في الدهر الاول قد كانت لهم قصة عجب وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق
الارض ومغاربها واخبرنا عن الروح ما هي قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبركم عما
سالتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون خمس عشرة
ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا ولا ياتيه جبريل حتى ارجف اهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا
واليوم خمس عشرة ليلة قد اصبحنا لا يخبرنا بشيء مما سالناه عنه وحتى احزن رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين مكث الوحي عنه وشق عليه ما تكلم به اهل مكة ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة
اصحاب الكهف فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سالوه عنه من امر الفتية والرجل الطواف
والروح قال ابن اسحق فذكر لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لقد احتبست عني يا جبريل
حتى سوت ظنا فقال له جبريل وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما
بين ذلك وما كان ربك نسيا فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله صلى
الله عليه وسلم لما انكروا عليه من ذلك فقال الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم انك رسول مني اي تحقيق لما سالوه عنه من نبوتك ولم يجعل له عوجا قيما اي
معتدلا لا اختلاف فيه لينذر باسا شديدا من لدنه عاجل عقوبته في الدنيا وعذابا اليما
في الاخرة اي من عند ربك الذي بعثك رسولا ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم
اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا اي دار الخلد لا يموتون فيها الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك
به غيرهم وعملوا بما امرتهم به من الاعمال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا يعني قريشا في
قولهم انا نعبد الملائكة وهي بنات الله ما لهم به من علم ولا لابائهم الذين اعظموا فراقهم
وعيب دينهم كبرت كلمة تخرج من افواههم اي لقولهم ان الملائكة بنات الله ان يقولون
الا كذبا فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا لحزنه عليهم حين
فاته ما كان يرجوا منهم اي لا تفعل قال ابن هشام باخع نفسك اي مهلك نفسك فيما حدثني
ابو عبيدة قال ذو الرمة الا ايها الباخع الوجد نفسه لشيء نحته عن يديه المقادر وجمعها
باخعون وبخعة وهذا البيت في قصيدة له وتقول العرب العادر قد بخعت له نصحي
ونفسي اي جهدت له انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قال ابن اسحق
اي ايهم اتبع لامري واعمل بطاعتي وانا لجاعلون صعيدا جرزا اي الارض وان ما عليها لفان و
زايل وان المرجع الي فاجزي كلا بعمله فلا تاس ولا يحزنك ما ترى وتسمع فيها قال ابن هشام
الصعيد وجه الارض وجمعه صعد قال ذو الرمة يصف ظبيا صغيرا كانه بالضحى يرمي
الصعيد به دبابة في عظام الراس خرطوم وهذا البيت في قصيدة له والصعيد ايضا الطريق
وقد جاء في الحديث اياكم والقعود على الصعدات يريد الطرق والجرز الارض التي لا تنبت شيئا
وجمعها اجراز ويقال سنة جرز وسنون اجراز وهي التي لا يكون فيها مطر ويكون فيها جدوبة
ويبس وشدة قال ذو الرمة طوى النحز والاجراز ما في بطونها فما بقيت الا الضلوع الجراشع
قال ابن اسحق ثم استقبل قصة الخبر فيما سالوه من شان الفتية فقال ام حسبت ان
اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اي قد كان من اياتي فيما وضعت على العباد من حججي
ما هو اعجب من ذلك قال ابن هشام والرقيم الكتاب الذي رقم بخبرهم وجمعه رقم قال العجاج
ومستقر المصحف المرقم وهذا البيت في ارجوزة له قال ابن اسحق ثم قال اذ اوى الفتية الى
الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا فضربنا على اذانهم في الكهف

سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا ثم قال نحن نقص عليك نبأهم بالحق
اي بصدق الخبر انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا
رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اي لم يشركوا بي كما اشركتم بي
ما ليس لكم به علم قال ابن هشام والشطط الغلو ومجاوزة الحد قال اعشى بني قيس بن ثعلبة
لا ينتهون ولا ينهى ذوي شطط ، كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل ، وهذا البيت في قصيدة
له قال ابن اسحق هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين قال
قال ابن اسحق اي بحجة بالغة فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون
الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت
تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه قال ابن هشام
تزاور عن كهفهم تميل وهو من الزور وقال ابو الزحف الكليبي يصف بلدا ، جاب المندى عن
هوانا ازور ، ينضي المطايا خمسه العشنزر ، وهذان البيتان في ارجوزة له وتقرضهم ذات
الشمال تجاوزهم وتتركهم عن شمالها قال ذو الرمة ، الى ظعن يقرضن اجواز مشرف ، شمالا
وعن ايمانهن الفوارس ، وهذا البيت في قصيدة له والفجوة السعة وجمعها فجاء قال الشاعر
البست قومك مخزاة ومنقصة ، حتى ابيحوا وخلوا فجوة الدار ، ذلك من ايات الله اي في الحجة
على من عرف ذلك من امورهم من اهل الكتاب ممن امر هؤلاء بمسئلتك عنهم في صدق نبوتك
بتحقيق الخبر عنهم من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا قوله تعالى
وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا
بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا
احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف
ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا
وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون
بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن
عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء
ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر
ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا ولبثوا في كهفهم ثلاث
مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به
واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا واتل ما اوحي اليك من كتاب
ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا
ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا قوله تعالى وتحسبهم
ايقاظا وهم رقود الى قوله الوصيد قال ابن هشام الوصيد الباب قال العبسي واسمه عبيد
بن وهب ، بارض فلاة لا يسد وصيدها ، علي ومعروفي بها غير منكر ، وهذا البيت في
ابيات له والوصيد ايضا الفناء وجمعه وصائد ووصد ووصدان لو اطلعت عليهم لوليت منهم

فرارا

فرارا الى قوله قال الذين غلبوا على امرهم اهل السلطان والملك منهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون يعني احبار
اليهود والذين امروهم بالمسئلة عنهم ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم اي لا تكابرهم الا مراء
ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا فانهم لا علم لهم بهم ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء
الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اي لا تقولن لشيء سألوك
عنه كما قلت في هذا اني مخبركم غدا واستثن بمشيئة الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهديني
ربي لخير مما تسئلوني عنه رشدا فانك لا تدري ما انا صانع في ذلك ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين
وازدادوا تسعا اي سيقولون ذلك قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع
ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا اي لم يخف عليه شيء مما سألوك عنه قلت وهذا ما
وقع في السيرة من خبر اصحاب الكهف ذكرناه على نسقه ويأتي خبر ذي القرنين ثم نعود الى اول
السورة فنقول قد تقدم معنى الحمد لله وزعم الاخفش والكسائي والفراء وابو عبيد وجمهور المتأولين
ان في اول هذه السورة تقديما وتأخيرا وان المعنى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب قيما ولم
يجعل له عوجا وقيما نصب على الحال وقال قتادة الكلام على سياقه من غير تقديم ولا تأخير
ومعناه ولم يجعل له عوجا ولكن جعلناه قيما وقول الضحاك فيه حسن وان المعنى مستقيم اي مستقيم
الحكمة لا خطأ فيه ولا فساد ولا تناقض وقيل قيما على الكتب السابقة يصدقها وقيل قيما بالحجج
ابدا عوجا مفعول به والعوج بكسر العين في الدين والرأي والامر والطريق وبفتحها في الاجسام
كالخشب والجدار وقد تقدم وليس في القرآن عوج اي عيب اي ليس متناقضا مختلفا كما قال ولو
كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقيل اي لم يجعله مخلوقا كما روي عن ابن عباس
في قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق وقال مقاتل عوجا اختلافا قال الشاعر
ادوم بودي للصديق تكرما ولا خير فيمن كان بالود اعوجا لينذر بأسا شديدا اي لينذر محمد
والقرآن وفيه اضمار اي لينذر الكافرين عقاب الله وهذا العذاب الشديد قد يكون في الدنيا وقد
يكون في الاخرة من لدنه اي من عنده وقرأ ابو بكر عن عاصم من لدنه باسكان الدال واشمامها الضم
وكسر النون والهاء موصولة بياء والباقون من لدنه بضم الدال واسكان النون وضم الهاء قال
الجوهري وفي لدن ثلاث لغات لدن ولدى ولد وقال من لدنه قوله تعالى
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اي بان لهم اجرا حسنا وهي الجنة ماكثين فيه
ابدا دائمين فيه امرا لا الى غاية وان حملت التبشير على البيان لم يحتج الى الباء في بان والاجر الحسن
الثواب العظيم الذي يؤدي الى الجنة قوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا وهم اليهود
قالوا عزير ابن الله والنصارى قالت المسيح ابن الله وقريش قالت الملائكة بنات الله فالانذار
في اول السورة عام وهذا خاص فيمن قال لله ولد ما لهم به من علم من صلة اي ما لهم بذلك القول
علم لانهم مقلد وقالوه بغير دليل ولا لابائهم اي اسلافهم كبرت كلمة نصب على البيان اي كبرت تلك
الكلمة كلمة وقرأ الحسن ومجاهد ويحيى بن يعمر وابن اسحق كلمة بالرفع اي عظمت كلمة يعني قولهم
اتخذ الله ولدا وعلى هذه القراءة فلا حاجة الى اضمار يقال كبر الشيء اذا عظم وكبر الرجل اذا اسن
تخرج من افواههم في موضع الصفة ان يقولون الا كذبا قوله تعالى فلعلك باخع نفسك باخع
اي مهلك وقاتل وقد تقدم اثارهم جمع اثر ويقال اثر والمعنى على اثر توليهم واعراضهم عنك ان
لم يؤمنوا بهذا الحديث اي القرآن اسفا اي حزنا وغضبا على كفرهم وانتصب على التفسير قوله تعا

انا جعلنا ما على الارض زينة لها فيه مسئلتان الاولى انا جعلنا ما على الارض زينة ما وزينة مفعولا
والزينة كل ما على وجه الارض فهو عموم لانه دال على باريه وقال ابن جبير عن ابن عباس اراد بالزينة
وقاله مجاهد وروى عكرمة عن ابن عباس ان الزينة الخلفاء والامراء وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد
عن ابن عباس في قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها قال العلماء زينة الارض وقالت
فرقة اراد النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه ونحو هذا مما فيه زينة ولم يدخل فيه الجبال الصم
وكلما لا زينة فيه كالحيات والعقارب والقول بالعموم اولى وان كل ما على الارض فيه زينة من
جهة خلقه وصنعه واحكامه والاية بسط في التسلية اي لا تهتم يا محمد للدنيا واهلها فانا انما جعلنا
ذلك امتحانا واختبارا لاهلها فمنهم من يتدبر ويؤمن ومنهم من يكفر ثم يوم القيمة بين ايديهم فلا
يعظمن عليك كفرهم فانا نجازيهم الثانية معنى هذه الاية ينظر الى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الدنيا
خضرة حلوة والله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون وقوله عليه الصلوة والسلام ان اخوف ما
اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا قال وما زهرة الدنيا قال بركات الارض خرجه مسلم
وغيره من حديث ابي سعيد الخدري والمعنى ان الدنيا مستطابة في ذوقها معجبة في منظرها كالثمر
المستحلى المعجب الراي فابتلى الله بها عباده لينظر ايهم احسن عملا اي من ازهد فيها واترك لها ما لا
سبيل للعباد الى جمع ما زينه الله الا بعون على ذلك ولذلك كان عمر يقول فيما ذكر البخاري اللهم
انا لا نستطيع الا ان نفرح بما زينته لنا اللهم اني اسالك ان انفقه في حقه فدعا الله ان يعينه
على انفاقه في حقه وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام فمن اخذه بطيب نفس بورك له فيه
ومن اخذه باسراف نفس كان كالذي ياكل ولا يشبع وهكذا هو المكثر من الدنيا لا يقنع بما يحصل
له منها بل همته جمعها وذلك لعدم الفهم عن الله ورسوله فان الفتنة معها حاصلة وعدم
السلامة غالبة وقد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه وقال ابن عطية كان ابي رضي
الله عنه يقول في قوله احسن عملا احسن العمل اخذ بحق وانفاق في حق مع الايمان واداء الفرايض
واجتناب المحارم والاكثار من المندوب اليه قلت ـــــ هذا قول حسن وجيز في الفاظه بليغ
في معناه وقد جمعه النبي صلى الله عليه وسلم في لفظ واحد وهو قوله لسفيان بن عبد الله الثقفي
لما قال يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك في رواية غيرك قال قل امنت
بالله ثم استقم خرجه مسلم وقال سفيان الثوري احسن عملا ازهدكم فيها وكذلك قال ابو عصام
العسقلاني احسن عملا اترك لها وقد اختلفت عبارات العلماء في الزهد فقال قوم الزهد
قصر الامل وليس الزهد باكل الخشن ولبس العبا قاله سفيان الثوري قال علماؤنا وصدق رضي
الله عنه فان من قصر امله لم يتانق في المطعومات ولا يتفنن في الملبوسات واخذ من الدنيا
ما تيسر واجتزا منها بما يبلغ وقال قوم بغض المحمدة وحب الثنا وهو قول الاوزاعي ومن ذهب
اليه وقال قوم ترك الدنيا كلها هو الزهد احب تركها ام كره وهو قول فضيل وعن بشر بن
الحارث قال حب الدنيا حب لقا الناس والزهد في الدنيا الزهد في لقا الناس وهو عن الفضيل
ايضا علامة الزهد في الدنيا الزهد في الناس وقال قوم لا يكون زاهدا حتى يكون ترك الدنيا
احب اليه من اخذها قاله ابراهيم بن ادهم وقال قوم الزهد ان تزهد في الدنيا بقلبك قاله ابن
المبارك وقالت فرقة الزهد حب الموت والقول الاول يعم هذه الاقوال بالمعنى فهو اولى
قوله تعالى وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تقدم وقال ابو سهل ترابا لا نبات به كانه
قطع نباته والجرز القطع ومنه سيف جراز قال الراجز قد جرفتهن السنون الاجراز والارض

الجرز

الجرز التي لا نبات فيها ولا شي من عمارة ولا غيرها كانه قطع وازيل يعني يوم القيمة فان الارض تكون
مستوية لا مستتر فيها النحاس الجرز الارض التي لا نبات بها قال الكسائي يقال جرزت الارض تجرز
وجرزها القوم يجرزونها اذا اكلوا كلما فيها من النبات والزرع فهي مجروزة وجرز قوله تعالى
ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا مذهب سيبويه ان ام اذا جاءت دون
ان يتقدمها الف الاستفهام انها بمعنى بل والف الاستفهام وهي المنقطعة وقيل ام عطف على معنى
الاستفهام في لعلك او بمعنى الف الاستفهام على الانكار قال الطبري هو تقرير للنبي صلى الله عليه وسلم
على حسابه ان اصحاب الكهف كانوا عجبا بمعنى انكار ذلك عليه اي لا يعظم ذلك بحسب ما عظم
عليك السايلون من الكفرة فان ساير ايات الله اعظم من قصتهم واشبع هذا قول ابن عباس ومجاهد
وقتادة وابن اسحق والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين سالوه من فتية فقدوا وعن
ذي القرنين وعن الروح وابطا الوحي على ما تقدم فلما نزل قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم احسبت
يا محمد ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اي ليسوا بعجب من اياتنا بل في اياتنا
ما هو اعجب من خبرهم الكلبي خلق السموات والارض اعجب من خبرهم الضحاك ما اطلعتك عليه
من الغيب اعجب الجرجاني في الاسرار اعجب الماوردي معنى الكلام النفي اي ما حسبت لولا اخبارنا
ابو سهل استفهام تقرير اي احسبت ذلك فانهم عجب والكهف النقب المتسع في الجبل وما لم يتسع فيه
فهو غار وحكى النقاش عن انس بن مالك انه قال الكهف الجبل وهذا غير شهير في اللغة واختلف
الناس في الرقيم فقال ابن عباس كل شي في القران اعلمه الا اربعة غسلين وحنانا والاواه والرقيم
وسئل مرة عن الرقيم فقال زعم كعب انها قرية خرجوا منها وقال مجاهد الرقيم واد وقال
السدي الرقيم الصخرة التي كانت على الكهف وقال ابن زيد الرقيم كتاب عم الله علينا امره ولم تشرح
لنا قصته وقالت فرقة الرقيم كتاب لوح من نحاس وقال ابن عباس في لوح من رصاص كتب فيه
القوم الكفار الذين فر الفتية منهم قصتهم وجعلوها تاريخا لهم ذكروا وقت فقدهم وكم كانوا
وفي من كانوا وكذا قال الفراء قال الرقيم لوح من رصاص كتبت فيه اسماؤهم وانسابهم ودينهم وممن
فروا قال ابن عطية ويظهر من هذه الروايات انهم كانوا قوما مورخين للحوادث وذلك
من نبل المملكة وهو امر مفيد وهذه الاقوال ماخوذة من الرقم ومنه كتاب مرقوم ومنه الارقم
لتخطيطه ومنه رقمة الوادي اي مكان جري الماء وانعطافه وما روي عن ابن عباس ليس بمتناقض
لان القول الاول مما سمعه من كعب والقول الثاني يجوز ان يكون عرف الرقيم بعده وروي
عنه سعيد بن جبير قال ذكر ابن عباس اصحاب الكهف فقال ان الفتية فقدوا فطلبهم
اهلوهم فلم يجدوهم فرفع ذلك للملك فقال ليكونن لهم نبا واحضر لوحا من رصاص وكتب
فيه اسماءهم وجعله في خزانته فذلك اللوح هو الرقيم وقيل ان مؤمنين كانا في بيت الملك
فكتبا شان الفتية واسماءهم وانسابهم في لوح من رصاص ثم جعلاه في تابوت من نحاس وجعلاه
في البنيان والله اعلم وعن ابن عباس ايضا الرقيم كتاب مرقوم عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا
به من دين عيسى وقال النقاش عن قتادة الرقيم دراهمهم وقال انس بن مالك
والشعبي الرقيم كلبهم وقال عكرمة الرقيم الدواة وقيل الرقيم اللوح من الذهب تحت الجدار
الذي اقامه الخضر وقيل الرقيم اصحاب الغار الذي انطبق عليهم فذكر كل واحد منهم اصلح عمله
قلت ـــــ وفي هذا خبر معروف اخرجه الصحيحان واليه نحا البخاري وقال قوم اخبر الله عن
اصحاب الكهف ولم يخبر عن اصحاب الرقيم بشي وقال الضحاك الرقيم بلدة بالروم فيها غار فيه

احد وعشرون نفسا كانهم نيام على هيئة اصحاب الكهف فعلى هذا هم فتية اخرون جرى لهم ما
جرى لاصحاب الكهف والله اعلم وقيل الرقيم واد دون فلسطين فيه الكهف مأخوذ من رقمة الوادي
وهي موضع الماء يقال عليك بالرقمة ودع الضفة ذكره الغزنوي قال ابن عطية وبالشام على ما
سمعت من ناس كثير فيه موتى يزعم مجاوروه انهم اصحاب الكهف وعليهم مسجد وبناء يسمى الرقيم
ومعهم كلب رمة وبالاندلس من جهة غرناطة بقرب قرية تسمى لوشر كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة
واكثرهم قد تجرد لحمه وبعضهم متماسك وقد مضت القرون السالفة ولم نجد علم شانهم اثارة ويزعم
ناس انهم اصحاب الكهف دخلت اليهم ورايتهم سنة اربع وخمسماية وهم بهذه الحالة وعليهم مسجد
قريب منهم بناء ومي يسمى الرقيم كانه قصر مخلق قد بقي بعض جدرانه وهو في فلاة من الارض خزنة
وباعلا غرناطة مما يلي القبلة اثار مدينة قديمة رومية يقال لها مدينة دقيوس وجدنا في
اثارها غرايب في قبور ونحوها قلت ما ذكر من رؤيته لهم فانما هم غيرهم لان الله تعالى انزل
في حق اصحاب الكهف لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وقال ابن عباس لمعاوية
لما اراد رؤيتهم قد منع من هو خير منك عن ذلك وسياتي في اخر القصة وقال مجاهد في قوله
كانوا من اياتنا عجبا قال ام اعجب كذا روى ابن جريج عنه يذهب الى انه ليس بانكار على النبي صلى الله
عليه وسلم ان يكون عنده انهم عجب وروى ابن ابي نجيح عنه قال يقول ليس باعجب اياتنا قوله تعالى
اذ اوى الفتية الى الكهف الاية فيه ثلاث مسائل الاولى قوله اذ اوى الفتية الى الكهف روي
انهم قوم من ابناء اشراف مدينة دقيوس الملك الكافر ويقال فيه دقليوس ويقال فيه
دقينوس وروي انهم كانوا مطوقين مسورين ذوي ذوايب وهم من الروم واتبعوا دين عيسى
وقيل كانوا قبل عيسى والله اعلم وقال ابن عباس ان ملكا من الملوك يقال له دقيانوس ظهر على
مدينة من مداين الروم يقال لها افسوس وقيل هي طرسوس وكان بعد زمن عيسى عليه السلام
فامر بعبادة الاصنام فدعا اهلها الى عبادة الاصنام وكان بها سبعة احداث يعبدون الله
سرا فرفع خبرهم الى الملك وخافوه فهربوا ليلا ومروا براع معه كلب فتبعهم الملك فاووا
الى الكهف الى فم الغار فوجد واثر دخولهم ولم يجد واثر خروجهم فدخلوا فاعمى الله تعالى
ابصارهم فلم يروا شيئا فقال الملك سدوا عليهم باب الغار حتى يموتوا جوعا وعطشا وروى
مجاهد عن ابن عباس ايضا ان هؤلاء الفتية في دين ملك يعبد الاصنام ويذبح لها ويكفر
بالله وقد تابعه على ذلك اهل المدينة فوقع للفتية علم من بعض الحواريين حسب ما ذكر النقاش
او من مؤمني الامم قبلهم فامنوا بالله وراوا ببصايرهم قبيح فعل الناس فاخذوا نفوسهم بالتزام
الدين وعبادة الله فرفع امرهم الى الملك وقيل له انهم قد فارقوا دينك واستخفوا الهتك
وكفروا بها فاستحضرهم الملك في مجلسه وامرهم باتباع دينه والذبح لالهته وتوعدهم على
فراق ذلك بالقتل فقالوا له فيما روي ربنا رب السموات والارض الى قوله واذ اعتزلتموهم وروي
انهم قالوا نحو هذا الكلام وليس به فقال لهم الملك انكم شبان اغمار لا عقول لكم ولا اعجل بكم
استاني فاذهبوا الى منازلكم ودبروا رايكم وارجعوا الى امري وضرب لهم في ذلك اجلا ثم انه
سافر خلال الاجل فتشاور الفتية في الهروب بادينهم فقال لهم احدهم اني اعرف كهفا
في جبل كذا كان ابي يدخل فيه غنمه فلنذهب فلنختف فيه حتى يفتح الله لنا فخرجوا فيما روي يلعبون
بالصولجان والكرة وهم يدحرجونها الى نحو طريقهم لئلا يشعر الناس بهم وروي انهم كانوا
متفقين فحضر عيد فخرجوا اليه فركبوا في جملة الناس ثم اخذوا باللعب بالصولجان حتى

خلصوا

خلصوا بذلك وروي وهب بن منبه ان اول امرهم انما كان حواري لعيسى بن مريم جاء الى مدينة
اصحاب الكهف يريد دخولها فاجر نفسه من صاحب الحمام فكان يعمل فيه فراى صاحب الحمام في اعماله بركة
عظيمة فالقى اليه بكل امره وعرف ذلك الرجل فتيان من اهل المدينة فعرفهم الله تعالى فامنوا
به واتبعوه على دينه واشتهرت خلطتهم به فاتى يوما الى ذلك الحمام ولد الملك بامراة اراد الخلوة
بها فنهاه ذلك الحواري فانتهى ثم جاء مرة اخرى فنهاه فشتمه وامضى عزمه في دخول الحمام مع
البغي فدخل فماتا فيه جميعا فاتهم ذلك الحواري واصحابه بقتلهما ففروا جميعا حتى دخلوا الكهف
وقيل في خروجهم غير هذا واما الكلب فروي انه كان كلب صيد لهم وروي انهم وجدوا في
طريقهم راعيا له كلب فاتبعهم الراعي على رايهم وذهب الكلب معهم قاله ابن عباس واسم الكلب حمران
وقيل قطمير واما اسماء اهل الكهف فاعجمية والسند في معرفتها واه والذي ذكره الطبري هي
هذه مكسلمينا وهو اكبرهم والمتكلم عنهم ومحسيملينيا وتمليخا وهو الذي مضى بالورق عند
بعثهم من رقدتهم ومرطوس وكسوطونس ودينموس وبطرنس قال مقاتل وكان الكلب لمكسلمينا
وكان اسنهم وصاحب غنم هذه الاية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الاهل والبنين
والقرابات والاصدقاء والاوطان والاموال خوف الفتنة وما يلقاه الانسان من المحنة وقد
خرج النبي صلى الله عليه وسلم فارا بدينه وكذلك اصحابه وجلس في الغار حسب ما قدمناه في
سورة النحل وقد نص الله على ذلك براءة وقد تقدم فهجروا اوطانهم وتركوا ارضهم وديارهم
واهاليهم واولادهم وقراباتهم واخوانهم رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين فسكنى
الجبال ودخول الغيران والعزلة والانفراد وجواز الفرار من الظالم هي سنة الانبياء صلوات
الله عليهم والاولياء وقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم العزلة وفضلها جماعة من العلماء
لاسيما عند ظهور الفتن وفساد الناس وقد نص الله عليها في كتابه فقال فاووا الى الكهف
قال العلماء الاعتزال عن الناس يكون مرة في الجبال والشعاب ومرة في السواحل والرباط
ومرة في البيوت وقد جاء في الخبر اذا كانت الفتنة فاخف مكانك وكف لسانك ولم تخص
موضعا من موضع وقد جعلت طايفة من العلماء العزلة اعتزال الشر واهله بقلبك وعملك
وان كنت بين اظهرهم وقال ابن المبارك في تفسير العزلة ان تكون مع القوم فاذا خاضوا في
ذكر الله فخض معهم واذا خاضوا في غير ذلك فاسكت وروى البغوي عن ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال المؤمن من يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من المؤمن الذي لا يخالطهم
ولا يصبر على اذاهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم صوامع المؤمنين بيوتهم من مراسيل
الحسن وغيره وقال عقبة بن عامر للنبي صلى الله عليه وسلم ما النجاة يا رسول الله فقال يا عقبة
امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم ياتي
على الناس زمان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه
من الفتن خرجه البخاري وذكر علي بن معبد عن الحسين بن واقد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا كانت سنة ثمانين وماية فقد حلت لامتي العزبة والعزلة والترهب في
رؤوس الجبال وذكر ايضا علي بن معبد عن عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن
الحسن يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه
الا من فر بدينه من شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر فاذا كان كذلك لم تنل المعيشة الا
بمعصية الله فاذا كان ذلك حلت العزبة قالوا يا رسول الله كيف تحل العزبة وانت تامرنا

بالتزويج قال اذا كان ذلك كان هلاك الرجل على يدا بويه فان لم يكن له ابوان كان هلاكه
على يد زوجته فان لم يكن له زوجة كان هلاكه على يد ولده فان لم يكن له ولد كان هلاكه
على يدي القرابات والجيران قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه
ما لا يطيق فعند ذلك يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها قلت احوال الناس في هذا الباب
تختلف فرب رجل تكون له قوة على سكنى الكهوف والغيران في الجبال وهي ارفع الاحوال لانها
الحالة التي اختارها الله لنبيه في بداية امره ونص عليها في كتابه مخبرا عن الفتية فقال واذ اعتزلتموهم
وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ورب رجل تكون العزلة له في بيته اخف عليه واسهل
وقد اعتزل رجال من اهل بدر فلزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا الا الى قبورهم ورب رجل
متوسط بينهما فيكون له من القوة ما يصبر بها على مخالطة الناس واذاهم فهو معهم في الظاهر
ومخالف لهم في الباطن ذكر ابن المبارك نا وهيب بن الورد قال جاء رجل الى وهب بن منبه
فقال ان الناس وقعوا فيما فيه وقعوا وقد حدثت نفسي الا اخالطهم فقال لا تفعل انه لا بد
لك من الناس ولا بد لهم منك ولك اليهم حوايج ولهم اليك حوايج ولكن كن فيهم اصم
سميعا اعمى بصيرا سكوتا نطوقا وقد قيل ان كل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معنى الجبال
والشعاب مثل الاعتكاف في المساجد ولزوم السواحل للرباط والذكر ولزوم البيوت فرارا من
شرور الناس وانما جاءت الاحاديث بذكر الجبال والشعاب واتباع الغنم والله اعلم لان ذلك
هو الاغلب في المواضع التي يعتزل فكل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معناه كما ذكرنا
والله الموفق وبه العصمة وروى عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يعجب ربك من راعي غنم في راس شظية الجبل يوذن بالصلاة ويصلي فيقول الله
عز وجل انظروا الى عبدي هذا يوذن ويقيم يخاف مني قد غفرت لعبدي وادخلته الجنة
خرجه النساي وغيره الثالثة قوله تعالى وهيئ لنا من امرنا رشدا لما فروا ممن يطلبهم
اشتغلوا بالدعا ولجاوا الى الله تعالى فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا
رشدا توفيقا للرشاد وقال ابن عباس مخرجا من الغار في سلامة وقيل صوابا ومن هذا المعنى
انه عليه الصلاة والسلام كان اذا حزنه امر فزع الى الصلاة قوله تعالى فضربنا على اذانهم
الاية عبارة عن القاء الله تعالى النوم عليهم وهذه من فصيحات القران التي اقرت العرب بالقصور
عن الاتيان بمثله قال الزجاج اي منعناهم ان يسمعوا لان النايم اذا سمع انتبه وقال ابن عباس
ضربنا على اذانهم بالنوم اي سددنا اذانهم عن نفوذ الاصوات اليها وقيل المعنى فضربنا على اذانهم
اي فاستجبنا دعاهم وصرفنا عنهم شر قومهم وانمناهم والمعنى كله متقارب وقال قطرب هذا
كقول العرب ضرب الامير على يد الرعية اذا منعهم الفساد وضرب السيد على يد عبده الماذون
له في التجارة اذا منعه من التصرف قال الاسود بن يعفر وكان ضريرا ومن الحوادث لا ابا لك
انني ضربت علي الارض بالاسداد وانما خص الاذان بالذكر لانها الجارحة التي منها
عظم فساد النوم وقل ما ينقطع نوم نايم الا من جهة اذنه ولا يستحكم نوم الا مع تعطل السمع
ومن ذكر الاذن في النوم قوله صلى الله عليه وسلم ذاك رجل بال الشيطان في اذنه خرجه الصحيح
اشار صلى الله عليه وسلم الى رجل طويل النوم لا يقوم الليل وعددا نعت السنين اي معدودة والقصد
به التكثير لان القليل لا يحتاج الى عدد لانه قد عرف والعد المصدر والعدد اسم المعدود
كالنفض والخبط وقال ابو عبيدة عددا نصب على المصدر ثم بين الله عدد تلك السنين فقال

ولبثوا

ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا قوله تعالى ثم بعثناهم اي من نومهم ويقال لمن احيي
او اقيم من نومه مبعوث لانه كان ممنوعا من الانبعاث والتصرف قوله تعالى لنعلم اي الحزبين احصى
لنعلم عبارة عن خروج ذلك الشي الى الوجود ومشاهدته وهذا على نحو كلام العرب اي لنعلم ذلك موجودا
والا فقد كان الله تعالى علم اي الحزبين احصى الامد وقرا الزهري ليعلم بالياء والحزبان الفريقان والظاهر
من الاية ان الحزب الواحد هم الفتية اذ ظنوا لبثهم قليلا والحزب الثاني اهل المدينة الذين بعث الفتية
على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بامر الفتية وهذا قول الجمهور من المفسرين وقالت طائفة هما
حزبان من الكافرين اختلفا في مدة اصحاب الكهف وقيل هما حزبان من المومنين وقيل غير ذلك مما لا
يرتبط بالفاظ الاية واحصى فعل ماض وامدا انتصب على المفعول قاله ابو علي وقال الفراء نصب على
التمييز وقال نصب على الظرف اي الحزبين احصى للبثهم في الامد والامد الغاية وقال مجاهد امدا معناه
عددا وهذا تفسير بالمعنى على جهة التقريب وقال الطبري امدا منصوب بلبثوا ابن عطية وهذا غير متجه
واما من قال انه نصب على التفسير فيلحقه من الاختلال ان فعل لا يكون من فعل رباعي الا في الشاذ
واحصى فعل رباعي وقد يحتج له بان يقال ان افعل في الفعل الرباعي قد كثر ما اعطاه للمال واتاه للخير
وقال في صفة حوضه صلى الله عليه وسلم ماوه ابيض من اللبن وقال عمر بن الخطاب فهو لما سواها اضيع
قوله تعالى نحن نقص عليك نباهم بالحق لما اقتضى قوله تعالى لنعلم اي الحزبين احصى اختلافا وقع في
امد الفتية عقب بالخبر عن انه عز وجل يعلم من امرهم بالحق الذي وقع قوله تعالى انهم فتية اي
شباب واحداث حكم لهم بالفتوة حين امنوا بلا واسطة كذلك قال اهل اللسان راس الفتوة
الايمان وقال الجنيد الفتوة بذل الندى وكف الاذى وترك الشكوى وقيل الفتوة اجتناب المحارم
واستعمال المكارم وقيل غير هذا وهذا القول حسن جدا لانه يعم بالمعنى جميع ما قيل في الفتوة
قوله تعالى وزدناهم هدى اي يسرناهم للعمل الصالح من الانقطاع الى الله عز وجل ومباعدة الناس
والزهد في الدنيا وهذه زيادات على الايمان وقال السدي زادهم هدى بكلب الراعي حين طردوه
ورجموه مخافة ان ينبح عليهم وينبه بهم فرفع الكلب يديه كالداعي فانطقه الله تعالى فقال
يا قوم لم تطردوني ولم ترجموني ولم تضربوني فوالله لقد عرفت الله قبل ان تعرفوه باربعين سنة
فزادهم الله بذلك هدى قوله تعالى وربطنا على قلوبهم عبارة عن شدة عزم وقوة صبر اعطاها
الله تعالى لهم حتى قالوا بين يدي الكفار ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها
لقد قلنا اذا شططا ولما كان الفزع وخور النفس يشبه بالتناسب الانحلال حسن في شدة النفس
وقوة التصميم ان يشبه الربط ومنه فلان رابط الجاش اذا كان لا تفرق نفسه عند الفزع والحرب
وغيرها ومنه الربط على قلب ام موسى وقوله وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام وقد تقدم قوله
تعالى اذ قاموا فقالوا فيه مسئلتان الاولى قوله اذ قاموا فقالوا يحتمل ثلاث معان احدها ان يكون
هذا وصف مقامهم بين يدي الملك الكافر كما تقدم وهو مقام يحتاج الى الربط على القلب حيث خالفوا
دينه ورفضوا في ذات الله هيبته والمعنى الثاني فيما قيل انهم كانوا اولاد عظماء تلك المدينة
فخرجوا واجتمعوا وراء تلك المدينة من غير ميعاد فقال اسنهم اني اجد في نفسي ان ربي رب
السموات والارض فقالوا ونحن كذلك نجد في انفسنا فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات
والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اي لئن دعونا الها غيره فقد قلنا
اذا جورا ومحالا والمعنى الثالث انه يعبر بالقيام عن انبعاثهم بالعزم الى الهروب الى الله تعالى
ومنابذة الناس كما تقول قام فلان الى امر كذا اذا عزم عليه بغاية الجد الثانية قال ابن

علية تعلقت الصوفية فى القيام والقول بقوله تعالى اذ قاموا فقالوا قلت ـــــ وهذا تعلق
غير صحيح هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته وشكروا لما اولاهم من نعمه ونعمته ثم هاموا على وجوههم
منقطعين الى ربهم وخائفين من قولهم وهذه سنة الله فى الرسل والانبياء والفضلاء والاولياء
اين هذا من ضرب الارض بالاقدام والرقص بالاكمام وخاصة فى هذه الازمان عند سماع الاصوات الحسان
من المرد والنسوان هيهات بينهما والله ما بين السماء والارض هذا حرام عند جماعة العلماء على ما
ياتى بيانه فى سورة لقمان ان شاء الله تعالى وقد تقدم فى سبحان عند قوله ولا تمش فى الارض
مرحا ما فيه كفاية وقد قال الامام ابو بكر الطرطوشى وسئل عن مذهب الصوفية فقال واما الرقص
والتواجد فاول من احدثه اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حوليه
ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل على ما ياتى قوله تعالى هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه
الهة اي قال بعضهم لبعض هؤلاء قومنا اي اهل عصرنا وبلدنا عبدوا الاصنام تقليدا من غير حجة
لولا اي هلا ياتون عليهم بسلطان بين اي بحجة على عبادتهم الصنم وقيل عليهم راجع الى الالهة
اي هلا اقاموا بينة على الاصنام فى كونها الهة فقولهم لولا تحضيض بمعنى التعجيز واذا لم يمكنهم
ذلك لم يلتفت الى دعواهم قوله تعالى واذ اعتزلتموهم قيل هو من قول الله لهم اي واذ اعتزلتموهم
فاووا الى الكهف وقيل هو من قول رئيسهم تمليخا فيما ذكر ابن عطية وقال الغزنوي مكسلمينا قال لهم
ذلك اي اذ اعتزلتموهم واعتزلتم ما يعبدون ثم استثنى وقال الا الله اي انكم لم تتركوا عبادته
فهو استثناء منقطع قال ابن عطية وهذا على تقدير ان الذين فر اهل الكهف منهم لا يعرفون الله
ولا علم لهم به وانما يعتقدون الاصنام فى الوهيتهم فقط وان فرضنا انهم يعرفون الله فما كانت
العرب تفعل لكنهم يشركون اصنامهم معه فى العبادة فالاستثناء متصل لان الاعتزال وقع فى
كل ما يعبد الكفار الا فى جهة الله وفى مصحف عبد الله بن مسعود وما يعبدون من دون الله
قال قتادة هذا تفسيرها قلت ـــــ ويدل عليه ما ذكره ابو نعيم الحافظ عن عطا الخراساني فى قوله
تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله قال كانت فيه من قوم يعبدون الله ويعبدون
معه الهة فاعتزلت الفتية عبادة تلك الالهة ولم تعتزل عبادة الله ابن عطية فعلى
ما قال قتادة تكون الا بمنزلة غير وما من قوله وما يعبدون الا الله فى موضع نصب عطفا
على الضمير فى قوله اعتزلتموهم وتتضمن هذه الاية ان بعضهم قال لبعض اذا فارقنا الكفار
وانفردنا فلنجعل الكهف ماوى ونتكل على الله فانه يبسط لنا رحمته وينشرها علينا ويهيئ لنا
من امرنا مرفقا وهذه كلمة دعاء بغيب الدنيا وعلى ثقة كانوا من الله فى امر اخرتهم وقال
ابو جعفر محمد بن الحسين كان اصحاب الكهف مساولة واسم الكلب حيوم مرفقا قرئ بكسر الميم
وفتحها وهو ما يرتفق به وكذلك مرفق الانسان ومرفقه ومنهم من يجعل المرفق بفتح الميم
وكسر الفاء من الامر والمرفق من الانسان وقد قيل المرفق بفتح الميم الموضع كالمسجد وهما بعد لغتان
قوله تعالى وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين اي ترى ايها المخاطب
الشمس عند طلوعها تميل عن كهفهم والمعنى انك لو رايتهم كذا لا ان المخاطب راهم على التحقيق
وتزاور تتنحى وتميل من الازورار والزور الميل والازور فى العين المائل النظر الى ناحية ويستعمل
فى غير العين كما قال ابن ابى ربيعة وجنبني خيفة القوم ازور ومن اللفظة قول عنترة فازور
من وقع القنا بلبانه وفى غزوة موتة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى فى سرير عبد الله بن
رواحة ازورارا عن سرير جعفر وزيد بن حارثة وقرا اهل الحرمين وابو عمرو تزاور بادغام التا

فى الزاي والاصل تتزاور وقرا عاصم وحمزة والكسائي تزاور مخففة الزاي وقرا ابن عامر تزور مثل تحمر
وحكى الفراء تزوار مثل تحمار وكلها بمعنى واحد واذا غربت تقرضهم قرا الجمهور بالتاء على معنى تتركهم
قاله مجاهد وقال قتادة تدعهم النحاس وهذا معروف فى اللغة حكى البصريون انه قرضه يقرضه
اذا تركه والمعنى انهم كانوا لا تصيبهم شمس البتة كرامة لهم وهو قول ابن عباس يعني ان الشمس اذا طلعت
مالت عن كهفهم ذات اليمين اي يمين الكهف واذا غربت تمر بهم ذات الشمال اي شمال الكهف
فلا تصيبهم لا فى ابتداء النهار ولا فى اخر النهار وكان كهفهم مستقبل بنات نعش فى ارض الروم
فكانت الشمس تميل عنهم طالعة وغاربة وجارية لا تبلغهم لتؤذيهم بحرها وتغير الوانهم وتبلي ثيابهم
وقد قيل انه كان لكهفهم حاجب من جهة الجنوب وحاجب من جهة الدبور وهم فى زاويته
وذهب الزجاج الى ان فعل الشمس كان اية من الله دون ان يكون باب الكهف الى جهة توجب
ذلك وقرات فرقة يقرضهم بالياء من القرض وهو القطع اي يقتطعهم الكهف بظله من ضوء
الشمس وقد قيل واذا غربت تقرضهم اي تصيبهم بيسير منها ماخوذ من قراضة الذهب والفضة
اي يعطيهم الشمس اليسير من شعاعها وقالوا كان فى مسها لهم بالعشي اصلاح لاجسامهم وعلى الجملة فالاية
فى ذلك ان الله تعالى اواهم الى كهف هذه صفته لا الى كهف اخر يتاذون فيه بانبساط الشمس
عليهم فى معظم النهار وعلى هذا فيمكن ان يكون صرف الشمس عنهم باظلال غمام او سبب اخر والمقصود
بيان حفظهم من تطرق البلى وتغير الابدان والالوان اليهم والتاذي بحر او برد وهم فى فجوة
منه اي من الكهف والفجوة المتسع وجمعها فجوات وفجا مثل ركوة وركا وركوات قال الشاعر
ونحن ملانا كل واد وفجوة رجالا وخيلا غير ميل ولا عزل اي كانوا بحيث يصيبهم نسيم الهواء
ذلك من ايات الله لطف بهم وهذا يقوي قول الزجاج وقال اهل التفسير كانت اعينهم مفتوحة
وهم نائمون فلذلك كان الرائي يحسبهم ايقاظا الكرة تقلبهم كالمستيقظ فى ضجعه وايقاظا
جمع يقظ ويقظان وهو المنتبه وهم رقود كقوله هم قوم ركوع وسجود وقعود فوصف الجمع بالمصدر
ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قال ابن عباس لئلا تاكل الارض لحومهم وقال ابو هريرة
كان لهم فى كل عام تقليبتان وقيل فى كل سنة مرة وقال مجاهد فى كل سبع سنين مرة
وقالت فرقة انما قلبوا فى التسع الاواخر واما فى الثلاثمائة فلا وظاهر كلام المفسرين ان التقلب
كان من فعل ويجوز ان يكون من ملك بامر الله فيضاف الى الله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد فيه اربع مسائل الاولى قوله وكلبهم قال عمرو بن دينار ان مما اخذ على العقرب ان
لا تضر احدا فى ليل ولا فى نهار صلى على نوح وان مما اخذ على الكلب ان لا يضر من حمل عليه وكلبهم
باسط ذراعيه بالوصيد اكثر المفسرين على انه كلب حقيقة وكان لصيد احدهم او لزرعه او غنمه
على ما قال مقاتل واختلف فى لونه اختلافا كثيرا ذكره الثعلبي تحصيله اي لون ذكرت اصبت حتى
قيل لون الحجر وقيل لون السماء واختلف ايضا فى اسمه فعن علي قال ابن عباس قطمير الاوزاعي
تبر عبد الله بن سلام بسيط كعب صهبا وهب بن منبه نقى وقيل قطمير ذكره الثعلبي فكان اقتناء
الكلب جائزا فى وقتهم كما هو عندنا اليوم جائز فى شرعنا وقال ابن عباس هربوا ليلا وكانوا
سبعة فمروا براع معه كلب فاتبعهم على دينهم وقال كعب مروا بكلب فنبح لهم فطردوه فعاد
فطردوه مرارا فقام الكلب على رجليه ورفع يديه الى السماء كهيئة الداعي فنطق فقال لا
تخافوا مني انا احب احباء الله الثانية روي فى الصحيح عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من اقتنى كلبا الا كلب صيد او ماشية او زرع انتقص من اجره كل يوم قيراطان وروي

الصحيح ايضا عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتخذ كلبا الا كلب صيد او ماشية او زرع
انتقص كل يوم من اجره قيراط قال الزهري وذكر لابن عمر قول ابي هريرة فقال يرحم الله ابا هريرة كان
صاحب زرع فقد دلت السنة الثابتة على اقتناء الكلاب للصيد والزرع والماشية وجعل
النقص في اجر من اقتناها على غير ذلك من المنفعة اما لترويع الكلب المسلمين وتشويشه عليهم
بنباحه او لعدم دخول الملائكة البيت لنجاسته على ما يراه الشافعي او لاقتحام النهي عن اتخاذ ما لا
منفعة فيه والله اعلم وقال في احدى الروايتين قيراطان وفي الاخرى قيراط وذلك يحتمل ان يكون
في نوعين من الكلاب احدهما اشد اذى من الاخر كالاسود الذي امر عليه الصلاة والسلام بقتله
ولم يدخله في الاستثناء حين نهى عن قتلها كما هو منصوص في حديث جابر اخرجه الصحيح وقال عليكم
بالاسود البهيم ذي النقطتين فانه شيطان ويحتمل ان يكون ذلك لاختلاف المواضع فيكون ممسكه
بالمدينة مثلا او بمكة ينقص قيراطان وبغيرها قيراط والله اعلم واما المباح اتخاذه فلا ينقص كالفرس
والهر والله اعلم الثالثة وكلب الماشية المباح اتخاذه عند مالك هو الذي يسرح معها
لا الذي يحفظها في الدار من السراق وكلب الزرع هو الذي يحفظه من الوحوش بالليل او بالنهار
لا من السراق وقد اجاز غير مالك اتخاذها للسراق الماشية والزرع وقد تقدم في المائدة من
احكام الكلاب ما فيه كفاية الرابعة قال ابن عطية وحدثني ابي رضي الله عنه قال سمعت
ابا الفضل الجوهري في جامع مصر يقول على منبر وعظه سنة تسع وستين واربعمائة ان من احب
اهل الخير نال من بركتهم كلب احب اهل فضل وصحبهم فذكره الله تعالى في محكم تنزيله قلت
واذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والاولياء
حتى اخبر الله بذلك في كتابه فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين المحبين للاولياء
والصالحين بل في هذا تسلية وانس للمؤمنين المقصرين عن درجات الكمال المحبين للنبي
صلى الله عليه وسلم واله خير ال روي الصحيح عن انس بن مالك قال بينا انا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم خارجان من المسجد فلقينا رجل عند سدة المسجد فقال يا رسول الله متى
الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعددت لها قال فكان الرجل استكان ثم
قال يا رسول الله ما اعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله
قال فانت مع من احببت في رواية قال انس فما فرحت بعد الاسلام فرحا اشد من قول
النبي صلى الله عليه وسلم فانك من احببته قال انس فانا احب الله ورسوله وابا بكر وعمر
فارجوا ان اكون معهم وان لم اعمل باعمالهم قلت وهذا الذي تمسك به انس يشمل
من المسلمين كل ذي نفس فلذلك تعلقت اطماعنا بذلك وان كنا مقصرين ورجونا رحمة ارحم
الراحمين وان كنا غير مستاهلين كلب احب قوما فذكره الله معهم فكيف بنا وعندنا عقد
الايمان وكلمة الاسلام وحب النبي صلى الله عليه وسلم ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر
ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وقالت فرقة لم يكن كلبا
حقيقة وانما كان احدهم وكان قد قعد عند باب الغار طليعة لهم قال ابن عطية فسمي
باسم الحيوان الملازم لذلك الموضع كما سمي النجم التابع للجوزا كلبا لانه منها كالكلب من
الانسان ويقال له كلب الجبار اما ان هذا القول لضعفه ذكر بسط الذراعين بانها
في العرف من صفة الكلب حقيقة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ولا يبسط احدكم
ذراعيه انبساط الكلب وقد حكى ابو عمرو المطرز في كتاب اليواقيت انه قرئ وكالبهم

باسط

باسط ذراعيه فيحتمل ان يريد بالكالب هذا الرجل على ما روي اذ بسط الذراعين واللصوق بالارض
مع رفع الوجه للتطلع على هيئة الريبة المستخفي بنفسه ويحتمل ان يريد بالكالب الكلب وقرا جعفر
بن محمد الصادق وكالبهم يعني صاحب الكلب قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه اعمل اسم الفاعل وهو بمعنى
المضي لانها حكاية حال ولم يقصد الاخبار عن فعل الكلب والذراع من طرف المرفق الى طرف الاصبع
الوسطى ثم قيل بسط ذراعيه لطول المدة وقيل نام الكلب وكان ذلك من الايات وقيل نام مفتوح العين
والوصيد الفناء قاله ابن عباس ومجاهد وابن جبير اي فناء الكهف والجمع وصايد ووصد وقيل الباب
وقاله ابن عباس ايضا وانشد بارض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر وقد تقدم
وقال عطاء عتبة الباب والباب الموصد هو المغلق وقد اوصدت الباب واصدته اي اغلقته والوصيد
النبات المتقارب الاصول فهو مشترك قوله تعالى لو اطلعت عليهم قرا الجمهور بكسر الواو والاعمش
ويحيى بن وثاب بضمها لوليت منهم فرارا اي لو اشرفت عليهم لهربت منهم ولملئت منهم رعبا اي لما
حفهم الله به من الرعب واكتسبهم من الهيبة وقيل لوحشة مكانهم فكانهم اواهم الله الى هذا
المكان الموحش في الظاهر لينفر الناس منهم وقيل كان الناس محجوبين عنهم بالرعب لا يجترئ احد منهم على
الدنو اليهم وقيل الفرار منهم لطول شعورهم واظفارهم ذكره المهدوي والنحاس والزجاج والقشيري
وهذا بعيد لانهم لما استيقظوا قال بعضهم لبعض لبثنا يوما او بعض يوم ودل هذا على ان شعورهم
واظفارهم كانت بحالها الا ان يقال انما قالوا ذلك قبل ان ينظروا الى اظفارهم وشعورهم قال ابن
عطية والصحيح في امرهم ان الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون لهم ولغيرهم
فيهم اية فلم يبل لهم ثوب ولم تتغير صفة ولم ينكر الناهض الى المدينة الا معالم الارض والبناء
ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه اهم وقرا نافع وابن كثير وابن عباس واهل مكة
والمدينة لملئت بالتشديد للام على المبالغة اي ملئت ملئا وقرا الباقون لملئت بالتخفيف والتخفيف
اشهر في اللغة وقد جاء التثقيل في قول المخبل السعدي واذ فتك النعمان بالناس محرما فملئ
من كعب بن عوف سلاسله وقرا الجمهور رعبا باسكان العين وقرا بضمها ابو جعفر قال ابو حاتم
هما لغتان وفرارا نصب على الحال ورعبا مفعول او تمييز قوله تعالى وكذلك بعثناهم ليتساءلوا
بينهم البعث التحريك عن سكون والمعنى كما ضربنا على اذانهم وزدناهم هدى وقلبناهم بعثناهم
اي ايقظناهم من نومهم على ما كانوا عليه من هيئاتهم في ثيابهم واحوالهم قال الشاعر وفتيان
صدق قد بعثت بسحرة فقاموا جميعا بين عاث ونشوان اي ايقظت واللام في قوله ليتساءلوا
لام الصيرورة وهي لام العاقبة ليكون لهم عدوا وحزنا فبعثهم لم يكن لاجل تساؤلهم قوله تعالى
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وذلك انهم دخلوا غدوة وبعثهم الله في اخر النهار فقال رئيسهم
يمليخا او مكسلمينا الله اعلم بالمدة قوله تعالى فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فيه سبع
مسائل الاولى قال ابن عباس كانت ورقهم كاخفاف الربع ذكره النحاس وقرا ابن كثير ونافع
وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم بورقكم بكسر الراء وقرا ابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم
بورقكم بسكون الراء حذفوا الكسرة لثقلها وهما لغتان وقرا الزجاج بورقكم بكسر الواو وسكون
الراء ويروى انهم انتبهوا جياعا وان المبعوث هو يمليخا وكان اصغرهم فيما ذكر الغزنوي والمدينة
افسوس ويقال هي طرسوس وكان في الجاهلية افسوس فلما جاء الاسلام سموها طرسوس وقال
ابن عباس كان معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم الثانية فلينظر
ايها ازكى طعاما قال ابن عباس احل ذبيحة لان اهل بلدهم كانوا يذبحون على اسم الصنم وكان

فيهم قوم يخفون ايمانهم ابن عباس كان عامتهم مجوسا وقيل ازكى طعاما اي اكثر بركة قيل انهم امروه
ان يشتري ما يظن انه طعام اثنين او ثلاثة لئلا يطلع عليهم ثم اذا طبخ كفى جماعة ولهذا قيل
ذلك الطعام الارز وقيل زبيبا وقيل تمرا والله اعلم وقيل ازكى اطيب وقيل ارخص فليأتكم برزق منه
اي بقوت وليتلطف اي في دخول المدينة وشرا الطعام ولا يشعرن بكم احدا يخبرن وقيل ان
ظهر عليه فلا يوقعن اخوانه فيما وقع فيه انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم قال الزجاج معناه بالحجارة
وهو اخبث القتل وقيل يريدكم بالسب والشتم والاول اصح لانه كان عازما على قتلهم كما تقدم في
قصصهم والرجم فيما سلف هي كانت على ما ذكر قتلة مخالفة دين الناس اذ هي اشفى لجملة اهل ذلك
الدين لم حيث انهم يشتركون فيها الثالثة في هذه البعثة بالورق دليل على الوكالة وصحتها
وقد وكل علي ابن ابي طالب اخاه عقيلا عند عثمان رضي الله عنهما ولا خلاف فيها في الجملة والوكالة
معروفة في الجاهلية والاسلام الا ترى الى عبد الرحمن بن عوف كيف وكل امية بن خلف باهله
وحاشيته بمكة ان يحفظهم وامية مشرك والتزم عبد الرحمن لامية من حفظ حاشيته بالمدينة
مثل ذلك مجازاة لصنعه روى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف قال كاتبت امية بن خلف بان
يحفظني في صاغيتي بمكة واحفظه في صاغيته بالمدينة فلما ذكرت الرحمن قال لا اعرف الرحمن كاتبني
باسمك الذي كان في الجاهلية فكاتبته عبد عمرو وذكر الحديث قال الاصمعي صاغية الرجل الذي
يميلون اليه وياتونه وهو ماخوذ من صغا يصغو ويصغى اذا مال وكل مايل الى الشي او معه فقد
صغى اليه واصغى من كتاب الافعال الرابعة الوكالة عقد نيابة اذن الله تعالى فيه
للحاجة اليه وقيام المصلحة في ذلك اذ ليس كل احد يقدر على تناول اموره الا بمعونة من غيره
او يترفه فيستنيب من يريحه وقد استدل علماؤنا على صحتها بايات منها هذه وقوله والعاملين
عليها وقوله اذهبوا بقميصي هذا واما من السنة فاحاديث كثيرة منها حديث عروة البارقي
وقد تقدم في اخر الانعام وروى جابر بن عبد الله قال اردت الخروج الى خيبر فاتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت له اني اردت الخروج الى خيبر فقال ائت وكيلي فخذ منه خمسة
عشر وسقا فان ابتغى منك اية فضع يدك على ترقوته خرجه ابو داود والاحاديث في هذا المعنى
كثيرة وفي اجماع الامة على جوازها كفاية الخامسة الوكالة جايزة في كل حق تجوز النيابة
فيه فلو وكل الغاصب لم يجز وكان هو الوكيل لان كل محرم فعله لا تجوز النيابة فيه السادسة
في هذه الاية نكتة بديعة وهي ان الوكالة انما كانت مع التقية خوف ان يشعر بهم احد لما
كانوا عليه من الخوف على انفسهم وجواز توكيل ذي العذر متفق عليه فاما من لا عذر له فالجمهور
على جوازها وقال ابو حنيفة وسحنون لا يجوز قال ابن العربي وكان سحنون تلقفه من
اسد بن الفرات فحكم به ايام قضائه ولعله كان يفعل ذلك باهل الظلم والجبروت ايضا
منهم واذلالا لهم وهو الحق فان الوكالة معونة ولا يكون لاهل الباطل قلت هذا حسن
فاما اهل الدين والفضل فلهم ان يوكلوا وان كانوا حاضرين اصحا والدليل على جواز الوكالة
للشاهد الصحيح ما خرجه الصحيحان وغيرهما عن ابي هريرة قال كان لرجل على النبي صلى الله عليه
وسلم سن من الابل فجاء يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا له سنه فلم يجدوا الا سنا فوقها
فقال اعطوه فقال اوفيتني اوفى الله لك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خياركم احسنكم قضا
لفظ البخاري فدل هذا الحديث مع صحته على جواز توكيل الحاضر الصحيح البدن فان النبي صلى
الله عليه وسلم امر اصحابه ان يعطوه عنه السن التي كانت عليه وذلك توكيل منه لهم على ذلك

ولم

ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم مريضا ولا مسافرا وهذا يرد قول ابي حنيفة وسحنون في قولهما انه لا
يجوز توكيل الحاضر الصحيح البدن الا برضى خصمه وهذا الحديث خلاف قولهما السابعة قال ابن
خويزمنداد تضمنت هذه الاية جواز الشركة لان الورق كان لجميعهم وتضمنت جواز الوكالة لانهم
بعثوا من وكلوه بالشرا وتضمنت جواز اكل الرفقا وخلطهم طعامهم معا وان كان بعضهم اكثر اكلا
من بعض ومثله قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم حسب ما تقدم بيانه في البقرة ولهذا قال
اصحابنا في المسكين يتصدق فيخلطه بطعام لغني ثم ياكل معه ان ذلك جايز وقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكل من اشترى له اضحية قال ابن العربي ليس في الاية دليل على ذلك لانه
يحتمل ان يكون كل واحد منهم قد اعطاه منفردا فلا يكون فيه اشتراك ولا معول في هذه المسئلة
الا على حديثين احدهما ان ابن عمر مر بقوم ياكلون تمرا فقال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاقران
الا ان يستاذن الرجل اخاه الثاني حديث ابي عبيدة في جيش الخبط وهذا دون الاول في الظهور
لانه يحتمل ان يكون ابو عبيدة يعطيهم كفافا من ذلك القوت ولا يجمعهم قلت ومما يدل على
خلاف هذا من الكتاب قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم وقوله ليس عليكم ان تاكلوا جميعا او
اشتاتا على ما ياتي ان شاء الله تعالى قوله تعالى وكذلك اعثرنا عليهم اي اطلعنا عليهم واظهرناهم
اعثر وتعديته اعثرنا بالهمز واصل العثار في القدم ليعلموا ان وعد الله حق يعني الامة المسلمة الذين
بعث اهل الكهف على عهدهم وذلك ان دقيانوس مات ومضت قرون وملك اهل تلك الدار
رجل صالح فاختلف اهل بلده في الحشر وبعث الاجساد من القبور فشك في ذلك بعض الناس
واستبعدوه وقالوا انما يحشر الارواح والجسد تاكله الارض وقال بعضهم تبعث الروح والجسد
جميعا وكبر ذلك الملك وبقي حيران لا يدري كيف يبين امره لهم حتى لبس المسوح وقعد على
الرماد وتضرع الى الله تعالى في حجة وبيان فاعثر الله على اهل الكهف فيقال انهم لما بعثوا
احدهم بورقهم الى المدينة ليأتيهم برزق منها استنكر شخصه واستنكر ورقه لبعد العهد فحمل
الى الملك وكان صالحا قد امن وامن من معه فلما نظر اليه قال لعل هذا من الفتية الذين
خرجوا على عهد دقيانوس الملك فقد كنت ادعو الله ان يرينيهم وسال الفتى فاخبره فسر
الملك بذلك وقال لعل الله قد بعث لكم اية فلنسر الى الكهف معه فركب مع اهل المدينة
اليهم فلما دنوا الى الكهف قال تمليخا انا ادخل عليهم لئلا يرعبوا فدخل عليهم واعلمهم بالامر
وان الامة امة مسلمة فروي انهم سروا بذلك وخرجوا الى الملك وعظموه وعظمهم ثم
رجعوا الى كهفهم واكثر الروايات على انهم ماتوا حين حدثهم تمليخا ميتة الحق على ما ياتي بيانه
ورجع من كان شك في بعث الاجساد الى اليقين فهذا معنى اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد
الله حق اي ليعلم الملك ورعيته ان القيامة حق والبعث حق اذ يتنازعون بينهم امرهم وانما
استدلوا بذلك الواحد على خبرهم وهابوا الدخول عليهم فقال الملك ابنوا عليهم بنيانا
فقال الذين هم على دين الفتية اتخذوا عليهم مسجدا وروي ان طائفة كافرة قالت نبني
بيعة او مصنعا فمانعهم المسلمون وقالوا لنتخذن عليهم مسجدا وروي ان بعض القوم ذهب
الى طمس الكهف عليهم وتركهم فيه مغيبين وروي عن عبيد بن عمير ان الله اعمى على الناس
حينئذ اثرهم وحجبهم عنهم فلذلك دعا الملك الى بناء البنيان ليكون معلما لهم وقيل ان الملك
اراد ان يدفنهم في صندوق من ذهب فاتاه ات في المنام فقال اردت ان تجعلنا في صندوق
من ذهب فلا تفعل فانا من التراب خلقنا واليه نعود فدعنا وينشا هنا مسائل ممنوعة وجايزة

فاتخاذ المساجد على القبور والصلاة فيها والبناء عليها الى غير ذلك مما تضمنته السنة من النهي عنه
ممنوع لا يجوز لما روى ابو داود والترمذي عن ابن عباس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج قال الترمذي وفي الباب عن ابي هريرة وعائشة
حديث ابن عباس حديث حسن وروى الصحيحان عن عائشة وام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة
رايناها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ان اولئك
اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار
الخلق عند الله يوم القيمة لفظ مسلم قال علماؤنا وهذا يحرم على المسلمين ان يتخذوا قبور الانبياء
والعلماء مساجد وروى الائمة عن ابي مرثد الغنوي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها لفظ مسلم اي لا تتخذوها قبلة فتصلوا عليها او اليها
كما فعل اليهود والنصارى فيؤدي الى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الاصنام فحذر النبي
صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك وسد الذرائع المؤدية الى ذلك فقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا
قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد وروى الصحيحان عن عائشة وعبد الله بن عباس قالا لما نزل
برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة على وجهه فاذا اكتشفها عن وجهه فقال هو كذلك
لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا وروى مسلم عن
جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجصص القبر وان يقعد عليه وان يبنى عليه وخرج
ابو داود والترمذي ايضا عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجصص القبور وان يكتب
عليها وان يبنى عليها وان توطا قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وروى الصحيح عن ابي الهياج
الاسدي قال قال لي علي بن ابي طالب الا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته في رواية ولا صورة الا طمستها واخرجه ابو داود
والترمذي قال علماؤنا ظاهره منع تسنيم القبور ورفعها وان تكون لاطية وقد قال به بعض اهل
العلم وذهب الجمهور الى ان هذا الارتفاع المامور بازالته هو ما زاد على التسنيم ويبقى للقبر
ما يعرف به ويحترم وذلك صفة قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه رضي الله عنهما
على ما ذكر مالك في الموطا وقبر ابينا ادم عليه السلام على ما رواه الدارقطني من حديث ابن
عباس واما تعلية البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيما وتعظيما فذلك يهدم
ويزال فان فيه استعمال زينة الدنيا في اول منازل الاخرة وتشبيها بمن كان يعظم القبور
ويعبدها وباعتبار هذه المعاني وظاهر النهي ينبغي ان يقال هو حرام والتسنيم في القبر
ارتفاعه قدر شبر ماخوذ من سنام البعير ويرش عليه بالماء لئلا ينتثر بالريح وقال الشافعي
لا باس ان يطين القبر وقال ابو حنيفة لا يجصص القبر ولا يطين ولا يرفع عليه بناء فيسقط ولا
باس بوضع الاحجار لتكون علامة لما رواه ابو بكر الاثرم قال انا مسدد نا نوح بن دراج
عن ابان بن تغلب عن جعفر بن محمد قال كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
تزور قبر حمزة بن عبد المطلب كل جمعة وعلمته بصخرة ذكره ابو عمر واما الجائز فالدفن
في التابوت لا سيما في الارض الرخوة وروي ان دانيال صلوات الله عليه وسلم كان في
تابوت من حجر وان يوسف عليه السلام اوصى بان يتخذ له تابوت من رخام ويلقى في ركية
مخافة ان يعبد وبقي كذلك الى زمان موسى صلوات الله عليهم اجمعين فدلته عليه عجوز فرفعه
ووضعه في حظيرة اسحق وفي الصحيح عن سعد بن ابي وقاص قال في مرضه الذي هلك فيه

اتخذوا لي لحدا وانصبوا على اللبن نصبا كما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم اللحد هو ان يشق في الارض
ثم يحفر قبر اخر في جانب الشق من جانب القبلة ان كانت الارض صلبة يدخل فيه الميت ويسد
عليه باللبن وهو افضل عندنا من الشق لانه الذي اختاره الله لرسوله عليه الصلاة والسلام وبه
قال ابو حنيفة قال السنة اللحد وقال الشافعي الشق ويكره الاجر في اللحد وقال الشافعي لا باس به
لانه نوع من الحجر وكرهه ابو حنيفة واصحابه لان الاجر لاحكام البناء والقبر وما فيه للبلى فلا يليق
به الاحكام وعلى هذا يسوى بين الحجر والاجر قال ويستحب اللبن والقصب لما روي انه وضع
على قبر النبي صلى الله عليه وسلم طن من قصب وحكي عن الشيخ الامام ابي بكر محمد بن الفضل الحنفي رحمه
الله انه جوز اتخاذ التابوت في بلادهم لرخاوة الارض وقال لو اتخذ تابوت من حديد لا باس
به لكن ينبغي ان يفرش فيه التراب ويطين الطبقة العليا مما يلي الميت ويجعل اللبن الخفيف
على يمين الميت ويساره ليصير بمنزلة اللحد قلت ومن هذا المعنى جعل القطيفة في قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فان المدينة سبخة قال شقران والله طرحت القطيفة تحت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في القبر قال ابو عيسى الترمذي في حديث شقران حديث حسن صحيح غريب قوله تعالى
سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الضمير في سيقولون يراد به اهل التوراة ومعاصري محمد صلى
الله عليه وسلم وذلك انهم اختلفوا في عدد اهل الكهف هذا الاختلاف المنصوص وقيل المراد
النصارى فان قوما منهم حضروا النبي صلى الله عليه وسلم من نجران فجرى ذكر اصحاب الكهف
فقالت اليعقوبية كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال
المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وقيل هو اخبار عن اليهود الذين امروا المشركين بمسئلة
النبي صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الكهف والواو في قوله وثامنهم كلبهم طريق النحويين انها
واو عطف دخلت في اخر اخبار عن عددهم لتفصل امرهم وتدل على ان هذا نهاية ما قيل ولو
سقطت لصح الكلام وقالت فرقة منها ابن خالويه هي واو الثمانية وحكى الثعلبي عن ابي بكر
بن عياش ان قريشا كانت تقول في عددها ستة سبعة وثمانية فتدخل الواو في الثمانية
وحكى نحوه القفال فقال ان قوما قالوا العدد ينتهي عند العرب الى سبعة فاذا احتيج الى
الزيادة عليها استونف خبر اخر بادخال الواو كقوله التائبون العابدون ثم قال والناهون عن
المنكر والحافظون لحدود الله يدل عليه انه لما ذكر ابواب جهنم قال حتى اذا جاؤها فتحت
ابوابها بلا واو ولما ذكر ابواب الجنة قال وفتحت بالواو وقال خيرا منكن مسلمات ثم قال وابكارا
فالسبعة نهاية العدد عندهم كالعشرة الان عندنا قال القشيري ابو نصر ومثل هذا الكلام
تحكم ومن اين السبعة نهاية عندهم ثم هو منقوض بقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو
الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ولم يذكر الاسم الثامن بالواو وقال
قوم ممن صار الى ان عددهم سبعة انما ذكر الواو في قوله سبعة وثامنهم لينبه على ان هذا
العدد هو الحق وانه مباين للاعداد الاخر التي قال فيها اهل الكتاب ولهذا قال تعالى في
الجملتين المتقدمتين رجما بالغيب ولم يذكره في الجملة الثالثة ولم يقدح فيها بشيء فكانه تعالى
قال لنبيه هم سبعة وثامنهم كلبهم والرجم القول بالظن يقال لكل ما يخرص رجم فيه ومرجوم
ومرجم كما قال وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم قلت قد
ذكر الماوردي والغزنوي وقال ابن جريج ومحمد بن اسحق كانوا ثمانية رجال قوله تعالى وثامنهم
كلبهم اي صاحب كلبهم وهذا مما يقوي طريق النحويين في الواو وانها كما قالوا وقال القشيري

لم يذكر الواو في قوله رابعهم سادسهم ولو كان بالعكس لكان جائزا فطلب الحكمة والعلة في مثل هذه الواو تكلف بعيد وهو كقوله في موضع اخر وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفي موضع الا لها منذرون قوله تعالى قل ربي اعلم بعدتهم امر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام في هذه الاية ان يرد علم عدتهم اليه عز وجل ثم اخبر ان عالم ذلك من البشر قليل والمراد به قوم من اهل الكتاب في قول عطا وكان ابن عباس يقول انا من ذلك القليل وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم ثم ذكر السبعة باسمائهم والكلب اسمه قطمير كلب انمر فوق القلطي ودون الكردي قاله محمد بن سعيد بن المسيب هو كلب صيني والصحيح انه زبيري وقال لما بقي بنيسابور محدث الا كتب عني هذا الحديث الا من لم يقدر له قال وكتبه ابو عمرو الحيري عني قوله تعالى فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا اي لا تجادل في اصحاب الكهف الا بما اوحيناه اليك وهو رد علم عدتهم الى الله تعالى وقيل معنى المراء الظاهر ان يقول ليس كما تقولون ونحو هذا ولا يحتج على امر مقدر في ذلك وفي هذا دليل على ان الله تعالى لم ينشر لاحد عددهم فلهذا قال الا مراء ظاهرا اي ذاهبا كما قال وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ولم يبح له في هذه الاية ان يماري ولكن قوله الا مراء استعارة من حيث تمارية اهل الكتاب سميت مراجعته لهم مراء ثم قيد بانه ظاهر ففارق المراء الحقيقي المذموم والضمير في قوله فيهم عائد على اهل الكهف وفي قوله منهم عائد على اهل الكتاب المعارضين وقوله فلا تمار فيهم يعني في عدتهم وحذفت العدة لدلالة ظاهر القول عليها قوله تعالى ولا تستفت فيهم منهم احدا روي انه عليه الصلاة والسلام سال نصارى نجران عنهم فنهي عن السؤال وفي هذا دليل على منع المسلمين عن مراجعة اهل الكتاب في شيء من العلم قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فيه مسئلتان الاولى قال العلماء عاتب الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام على قوله للكفار حين سالوه عن الروح والفتية وذي القرنين غدا اخبركم بجواب مسئلتكم ولم يستثن في ذلك فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوما حتى شق عليه وارجف الكفار به فنزلت عليه هذه السورة مفرجة وامر في هذه الاية الا يقول في امر من الامور اني افعل غدا كذا وكذا الا ويعلق ذلك بمشيئة الله عز وجل حتى لا يكون محققا لحكم الخبر فانه اذا قال لافعلن ذلك ولم يفعل كان كاذبا واذا قال لافعلن ذلك ان شاء الله خرج ان يكون محققا للمخبر عنه واللام في قوله لشيء بمنزلة في او كانه قال لاجل شيء والله اعلم الثانية قال ابن عطية وتكلم الناس في هذه الاية في الاستثناء في اليمين والاية ليست في الايمان وانما هي في سنة الاستثناء في غير اليمين وقوله الا ان يشاء الله في الكلام حذف يقتضيه الظاهر ويحسنه الايجاز تقديره الا ان تقول الا ان يشاء الله من القول الذي نهي عنه قلت ما اختاره ابن عطية وارتضاه هو قول الكسائي والفراء والاخفش وقال البصريون الا بمشيئة الله فاذا قال الانسان اني افعل هذا ان شاء الله فمعناه بمشيئة الله قال ابن عطية وقالت فرقة الا ان يشاء الله استثناء من قوله ولا تقولن وهذا قول حكاه الطبري ورد عليه وهو من الفساد بحيث كان الواجب ان لا يحكى وقد تقدم القول في الاستثناء في اليمين وحكمه في المائدة قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت فيه مسئلة واحدة وهي الامر بالذكر بعد النسيان واختلف في الذكر المامور به فقيل هو قوله وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا قال محمد الكوفي المفسر انها بالفاظها مما امر ان يقولها كل من لم يستثن وانها كفارة لنسيان الاستثناء وقال الجمهور هو دعاء مامور به

دون هذا التخصيص وقيل هو قوله ان شاء الله الذي كان نسيه عند يمينه حكي عن ابن عباس انه من نسي الاستثناء ثم ذكر ولو بعد سنة لم يحنث ان كان حالفا وهو قول مجاهد وحكى اسمعيل بن اسحق ذلك عن ابي العالية في قوله واذكر ربك اذا نسيت قال يستثني اذا ذكر الحسن ما دام في مجلس الذكر ابن عباس سنتين ذكره الغزنوي قال فيحمل على تدارك التبرك بالاستثناء للتخلص عن الاثم فاما الاستثناء المغير حكما فلا يصح الا متصلا السدي ان كل صلاة نسيتها اذا ذكرتها وقيل استثن باسمه لئلا تغفل وقيل اذكره متى ما نسيته وقيل اذا نسيت شيئا فاذكره تذكره وقيل اذكره اذا نسيت غيره ولو نسيت نفسك فذلك حقيقة الذكر وهذه الاية مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وهي استفتاح كلام على الاصح وليست من الاستثناء في اليمين بشيء وهي بعد تعم جميع امته لانه حكم تردد في الناس لكثرة وقوعه والله الموفق قوله تعالى ولبثوا في كهفهم الاية هذا خبر من الله تعالى عن مدة لبثهم وفي قراءة ابن مسعود وقالوا لبثوا ان بني اسرائيل اختلفوا فيما مضى لهم من المدة بعد الاعثار عليهم الى مدة النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم انهم لبثوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين فاخبر الله نبيه ان هذه المدة في كونهم نياما وان ما بعد ذلك مجهول للبشر فامر الله ان يرد علم ذلك اليه قال ابن عطية فقوله على هذا لبثوا يريد في نوم الكهف ولبثوا الثاني يريد بعد الاعثار الى مدة محمد صلى الله عليه وسلم او الى وقت عدمهم بالبلاء مجاهد الى وقت نزول القرآن الضحاك الى ان ماتوا وقال بعضهم انه لما قال وازدادوا تسعا لم يدر الناس اهي ساعات ام ايام ام جمع ام شهور ام اعوام واختلف بنو اسرائيل بحسب ذلك فامر الله برد العلم اليه في التسع فهي على هذا مبهمة وظاهر كلام العرب المفهوم منه انها اعوام والظاهر من امرهم انهم قاموا ودخلوا الكهف بعد عيسى بيسير وقد بقيت من الحواريين بقية وقيل غير هذا على ما ياتي قال القشيري لا يفهم من التسع تسع ليال وتسع ساعات لسبق ذكر السنين كما تقول عندي مائة درهم وخمسة والمفهوم منه خمسة دراهم وقال ابو علي وازدادوا تسعا اي ازدادوا لبث تسع فحذف وقال الضحاك لما نزلت ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة قالوا سنين ام شهور ام ايام فانزل الله عز وجل سنين وحكى النقاش ما معناه انهم لبثوا ثلاثمائة شمسية بحساب الامم فلما كان الاخبار هنا للنبي العربي ذكر التسع اذ المفهوم عنده من السنين القمرية فهذه الزيادة هي ما بين الحسابين ونحوه ذكره الغزنوي باختلاف سني الشمس والقمر لانه يتفاوت في كل ثلاث وثلاثين وثلث سنة فيكون في ثلاثمائة تسع سنين وقرا الجمهور ثلاثمائة سنين بتنوين مائة ونصب سنين على التقديم والتاخير اي سنين ثلاثمائة فقدمت الصفة على الموصوف فيكون سنين على هذا بدلا او عطف بيان وقيل على التمييز والمميز وسنين في موضع سنة وقرا حمزة والكسائي باضافة مائة الى سنين وترك التنوين كانهم جعلوا سنين بمنزلة سنة اذ المعنى بهما واحد قال ابو علي هذه الاعداد التي تضاف في المشهور الى الاحاد نحو ثلاثمائة رجل وثوب قد تضاف الى الجمع وفي مصحف عبد الله ثلاثمائة سنة وقرا الضحاك ثلاثمائة سنون بالواو وقرا ابو عمرو بخلاف تسعا بفتح التاء وقرا الجمهور بكسرها وقرا الفراء والكسائي وابو عبيدة التقدير ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة قوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا قيل بعد موتهم الى نزول القرآن فيهم على قول مجاهد او الى ان ماتوا على قول الضحاك او الى وقت تغيرهم بالبلى على ما تقدم وقيل بما لبثوا في الكهف وهي المدة التي ذكرها الله تعالى عن اليهود اذ ذكروا زيادة ونقصانا اي لا يعلم علم ذلك الا الله او من علمه ذلك له غيب السموات والارض قوله تعالى ابصر به واسمع اي ما ابصره وما اسمعه قال قتادة لا احد ابصر من الله ولا اسمع وهذه عبارات

عن الادراك ويحتمل ان يكون المعنى ابصر به اي بوحيه وارشاده هداك وحججك والحق من الامور واسمع
به العالم فيكون امرين لا على وجه التعجب وقيل المعنى ابصرهم واسمعهم ما قال الله ما لهم من دونه من
ولي اي ولم يكن لاصحاب الكهف ولي يتولى حفظهم دون الله ويحتمل ان يعود الضمير في لهم على معاصري
محمد صلى الله عليه وسلم من الكفار والمعنى ما لهؤلاء المختلفين في مدة لبثهم ولي دون الله يتولى تدبير
امرهم فكيف يكون اعلم منه او كيف يتكلمون من غير اعلامه اياهم قوله تعالى ولا يشرك في حكمه احدا قرئ
بالياء ورفع الكاف على معنى الخبر عن الله وقرا ابن عامر والحسن وابو رجاء وقتادة والجحدري ولا تشرك
بالتاء من فوق واسكان الكاف على جهة النهي للنبي صلى الله عليه وسلم ويكون قوله ولا تشرك عطفا على ابصر
واسمع وقرا مجاهد يشرك بالياء من تحت والجزم قال يعقوب لا اعرف وجهه مسئلة اختلف في
اصحاب الكهف هل ماتوا او فنوا او هم نيام واجسادهم محفوظة فروي عن ابن عباس انه مر بالشام في
بعض غزواته مع ناس على موضع الكهف وجبله فمشى الناس معه اليه فوجدوا عظاما فقالوا هذه
عظام اصحاب الكهف فقال لهم ابن عباس اولئك قوم فنوا وعدموا منذ مدة طويلة فسمعه راهب
فقال ما كنت احسب ان احدا من العرب يعرف هذا فقالوا له هذا ابن عم نبينا صلى الله عليه وسلم
وروت فرقة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليحجن عيسى ابن مريم ومعه اصحاب الكهف فانهم لم يحجوا
بعد ذكره ابن عطية قلت ومكتوب في التورية والانجيل ان عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله وانه
يمر بالروحا او معتمرا او يجمع الله له ذلك فيجعل الله حواريه اصحاب الكهف والرقيم فيمرون حجاجا
فانهم لم يحجوا ولم يموتوا وقد ذكرنا هذا الخبر بكماله في كتاب التذكرة فعلى هذا هم نيام لم يموتوا الى
يوم القيمة بل يموتون قبل الساعة قوله تعالى واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته
قيل هو من تمام قصة اصحاب الكهف وقال الطبري لا مغير لما اوعد بكلماته اهل معاصيه والمخالفين
لكتابه ولن تجد انت من دونه ان لم تتبع القران وخالفته ملتحدا اي ملجا وقيل موئلا واصله
الميل ومن لجات اليه فقد ملت اليه قال القشيري ابو نصر عبد الرحيم وهذا اخر قصة اهل الكهف
ولما غزا معاوية غزوة المضيق نحو الروم وكان معه ابن عباس فانتهى الى الكهف الذي فيه اصحاب
الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فننظر اليهم فقال ابن عباس قد منع الله من هو
خير منك عن ذلك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال لا انتهي حتى اعلم علمهم وبعث
قوما لذلك فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاخرجتهم ذكره الثعلبي ايضا وذكر ان النبي
صلى الله عليه وسلم سال الله ان يريه اياهم فقال انك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث اليهم اربعة
من خيار امتك ان يبلغوهم رسالتك ويدعوهم الى الايمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل كيف
ابعثهم فقال ابسط كساءك واجلس على طرف من اطرافه ابا بكر وعلى الطرف الاخر عمر وعلى الثالث
عثمان وعلى الرابع علي ابن ابي طالب ثم ادع الريح الرخا المسخرة لسليمان فان الله تعالى يامرها
ان تطيعك فحملتهم الريح الى باب الكهف فقلعوا منه حجرا فحمل الكلب عليهم فلما راهم حرك
راسه وبصبص بذنبه واومى اليهم براسه ان ادخلوا فدخلوا الكهف فقالوا السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته فرد الله على الفتية ارواحهم فقاموا باجمعهم وقالوا وعليكم السلام ورحمة الله
وبركاته فقالوا لهم معشر الفتية ان النبي صلى الله عليه وسلم محمد ابن عبد الله يقرا عليكم السلام
فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والارض وعليكم بما ابلغتم وقبلوا دينه
واسلموا ثم قالوا اقرؤوا محمدا رسول الله منا السلام واخذوا مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم الى اخر
الزمان عند خروج المهدي فيقال ان المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله ثم يرجعون الى رقدتهم فلا

يقومون

يقومون حتى تقوم الساعة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان منهم ثم ردتهم الريح فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كيف وجدتموهم فاخبروه الخبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تفرق بيني
وبين اصحابي واصهاري واغفر لمن احبني واحب اهل بيتي وخاصتي واصحابي وقيل اصحاب الكهف
دخلوا الكهف قبل المسيح واخبر الله المسيح بخبرهم ثم بعثوا في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
وقيل كانوا قبل موسى عليه السلام وان موسى ذكرهم في التوراة ولهذا سالت اليهود رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل دخلوا الكهف بعد المسيح فالله اعلم اي ذلك كان قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي هذا مثل قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم في سورة الانعام
وقد مضى الكلام فيه وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه جاءت المؤلفة قلوبهم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس فقالوا يا رسول الله انك لو جلست في صدر
المسجد ونحيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم يعنون سلمان واباذر وفقراء المسلمين وكانت عليهم جباب
الصوف لم يكن عليهم غيرها جلسنا اليك وحدثناك واخذنا عنك فانزل الله تعالى واتل ما
اوحي اليك من كتاب ربك حتى بلغ انا اعتدنا للظالمين نارا يتهددهم بالنار فقام النبي صلى الله
عليه وسلم يلتمسهم حتى اذا اصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله قال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني
ان اصبر نفسي مع رجال من امتي معكم المحيا ومعكم الممات يريدون وجهه اي طاعته وقرا نصر
بن عاصم ومالك بن دينار وابو عبد الرحمن ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي وحجتهم
انها في السواد بالواو وقال ابو جعفر النحاس وهذا لا يلزم لكتبهم الحياة والصلاة بالواو ولا
تكاد العرب تقول الغدوة لانها معروفة وروي عن الحسن ولا تعد عيناك عنهم اي لا تتجاوز
عيناك الى غيرهم من ابناء الدنيا طلبا لزينتها حكاه اليزيدي وقيل لا تحتقرهم عيناك كما يقال
فلان تنبو عنه العين اي مستحقرا تريد زينة الحياة الدنيا اي تتزين بمجالسة هؤلاء الرؤساء
الذين اقترحوا ابعاد الفقراء من مجلسك ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم ان يفعل ذلك ولكن الله
تعالى نهاه عن ان يفعله وليس هذا باكثر من قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وان كان الله
تعالى اعاذه من الشرك وتريد فعل مضارع في موضع الحال اي لا تعد عيناك مريدا كقول
امرئ القيس فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا وزعم بعضهم
ان حق الكلام لا تعد عينيك عنهم لان تعد متعد بنفسه قيل له والذي وردت به التلاوة من رفع
العينين يؤول الى معنى النصب فيها اذا كان لا تعد عيناك عنهم بمنزلة تنصرف عيناك عنهم
ومعنى لا تنصرف عيناك لا تصرف عينيك عنهم فالفعل مسند الى العينين وهو في الحقيقة
موجه الى النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى فلا تعجبك اموالهم فاسند الامر الى الاموال والمعنى
ولا يعجبك يا محمد اموالهم ويزيدك وضوحا قول الزجاج المعنى لا تصرف بصرك عنهم الى
غيرهم من ذوي الهيئات والزينة قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا روى
جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا قال نزلت
نزلت في امية بن خلف الجمحي وذلك انه دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى امر كرهه في تجرد
الفقراء عنه وتقريب صناديد اهل مكة فانزل تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا
يعني من ختمنا على قلبه عن التوحيد واتبع هواه يعني الشرك وكان امره فرطا قيل هو من التفريط
الذي هو التقصير وتقديم بترك الايمان وقيل من الافراط ومجاوزة الحد وكان القوم قالوا
نحن اشراف مضر ان اسلمنا اسلم الناس فكان هذا من التكبر والافراط في القول وقيل فرطا اي

قدما في الشر من قولهم فرط منه امر اي سبق وقيل معنى اغفلنا قلبه وجدناه غافلا كما تقول لقيت
فلانا فاحمدته اي وجدته محمودا وقال عمرو بن معدي كرب لبني الحرث بن كعب والله لقد سألناكم
فما ابخلناكم وقاتلناكم فما اجبناكم وهاجيناكم فما افحمناكم اي ما وجدناكم بخلا ولا جبنا ولا مفحمين وقيل
نزلت ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا في عيينة بن حصن الفزاري ذكره عبد الرزاق وحكاه
النحاس عن سفيان الثوري والله اعلم قوله تعالى وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي
الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر
من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من
ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب
وحسنت مرتفقا واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما
بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا
وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل جنته وهو
ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي
لاجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم
من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اذ دخلت جنتك
قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين
خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا
فلن تستطيع له طلبا واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على
عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله
وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب لهم مثل
الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح
وكان الله على كل شيء مقتدرا قوله وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الحق
رفع على خبر ابتداء مضمر اي قل هو الحق وقيل رفع على الابتداء وخبره في قوله من ربكم والمعنى
قل يا محمد لهؤلاء الذين اغفلنا قلوبهم عن ذكرنا ايها الناس من ربكم الحق فاليه التوفيق
والخذلان وبيده الهدى والضلال يهدي من يشاء فيؤمن ويضل من يشاء فيكفر ليس الي
من ذلك شيء فالله يؤتي الحق من يشاء وان كان ضعيفا ويحرمه من يشاء وان كان قويا
غنيا ولست بطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم فامنوا وان شئتم فاكفروا وليس بترخيص
وتخيير بين الايمان والكفر فانما هو وعيد وتهديد اي ان كفرتم فقد اعد لكم النار وان امنتم فلكم
الجنة قوله تعالى انا اعتدنا اي اعددنا للظالمين اي للكافرين الجاحدين نارا احاط بهم
سرادقها قال الجوهري السرادق واحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار فكل بيت من كرسف
فهو سرادق قال رؤبة يا حكم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد عليك ممدود ويقال بيت
مسردق وقال سلامة بن جندل يذكر ابرويز وقتله النعمان بن المنذر تحت ارجل الفيلة
هو المدخل النعمان بيتا سماؤه صدور الفيول بعد بيت مسردق وقال ابن الاعرابي سرادقها
سورها وعن ابن عباس حائط من نار الكلبي عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظير
القتبي السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقاله ابن عزيز وقيل هو دخان يحيط بالكفار

يوم القيمة وهو الذي ذكره في سورة المرسلات حيث يقول انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب وقوله وظل
من يحموم قاله قتادة وقيل انه البحر المحيط بالدنيا وروى يعلى بن امية قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم البحر هو جهنم ثم تلى نارا احاط بهم سرادقها ثم قال والله لا ادخلها ابدا ما دمت حيا ولا
يصيبني منها قطرة ذكره الماوردي وخرج ابن المبارك من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال السرادق النار اربع جدر كثف جدار مسيرة اربعين سنة وخرجه ابو عيسى الترمذي
وقال فيه حسن صحيح غريب قلت وهذا يدل على ان السرادق ما يعلو الكفار من دخان او
نار وجدره ما وصف قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل قال ابن عباس المهل ماء غليظ
مثل دردي الزيت مجاهد القيح والدم الضحاك ماء اسود وان جهنم لسوداء وماؤها وشجرها
واهلها سود وقال ابو عبيدة هو كل ما اذيب من جواهر الارض من حديد ورصاص ونحاس
وقزدير يتموج بالغليان فذلك المهل ونحوه عن ابن مسعود وقال سعيد بن جبير هو الذي قد
انتهى حره وقال المهل ضرب من القطران يقال مهلت البعير فهو ممهول وقيل هو السم والمعنى
في هذه الاقوال متقارب وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كالمهل قال
كعكر الزيت فاذا قربه الى وجهه سقطت فروة وجهه قال ابو عيسى هذا حديث انما
نعرفه من حديث رشدين بن سعد ورشدين بن سعد قد تكلم فيه من قبل حفظه وخرج
عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه
فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه
حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول الله وان
يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا قال حديث غريب
قلت وهذا يدل على صحة تلك الاقوال وانها مرادة والله اعلم وكذلك نص عليها
اهل اللغة في الصحاح المهل النحاس المذاب ابن الاعرابي المهل المذاب مثل الرصاص وقال
ابو عمرو المهل دردي الزيت والمهل ايضا القيح والصديد في حديث ابي بكر في ثوبي هذين
فانهما للمهل والتراب ومرتفقا قال مجاهد معناه مجتمعا كانه ذهب الى معنى المرافقة
ابن عباس منزلا عطاء مقرا وقيل مهادا وقال القتبي مجلسا والمعنى متقارب واصله من المتكا
يقال منه ارتفقت اي اتكات على المرفق قال الشاعر قالت له وارتفقت الا فتى
يسوق بالقوم غزالات الضحى ويقال ارتفق الرجل اذا نام على مرفقه لا ياتيه نوم قال ابو ذؤيب
الهذلي بات الخلي وبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح الصاب عصارة
شجر مر قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا لما ذكر
ما اعد للكافرين من الهوان ذكر ايضا ما للمؤمنين من الثواب وفي الكلام اضمار اي لا نضيع
اجر من احسن عملا منهم فاما من احسن عملا من غير المؤمنين فعمله محبط وعملا نصب على التمييز
وان شئت بايقاع احسن عليه وقيل ان لا نضيع اجر من احسن عملا كلام معترض والخبر
قوله اولئك لهم جنات عدن سرة الجنة اي وسطها وسائر الجنات محدقة بها وذكر
بلفظ الجمع لسعتها لان كل بقعة منها تصلح ان تكون جنة وقيل العدن الاقامة يقال عدن
بالمكان اذا اقام به وعدنت البلد توطنته وعدنت الابل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه ومنه
جنات عدن اي جنات اقامة ومنه سمي المعدن بكسر الدال لان الناس يقيمون فيه الصيف
والشتاء ومركز كل شيء معدنه والمعادن الناقة المقيمة في المرعى وعدن بلد قال الجوهري

تجري من تحتهم الانهار تقدم في غير موضع يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا وفي الانسان من فضة
وقال ابو هريرة سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء
خرجه مسلم وحكي الفراء يحلون بفتح الياء وسكون الحاء وفتح اللام خفيفة يقال حليت المراة تحلى
فهي حالية اذا لبست الحلي وحلي الشي بعيني يحلى ذكره النحاس والسوار سوار المراة والجمع اساورة
وقرئ فلولا القي عليه اساورة من ذهب قاله الجوهري وقال ابن عزيز اساور جمع اسورة
واسورة جمع سوار وسوار هو الذي يلبس في الذراع من ذهب فان كان من فضة فهو قلب
وجمعه قلبه فان كان من قرن او زجاج فهي مسكة وجمعه مسك قال النحاس وحكى قطرب
في واحد الاساور اسوار وقطرب صاحب شذوذ قد تركه يعقوب وغيره فلم يذكره قلت
قد جاء في الصحاح وقال ابو عمرو بن العلا واحدها اسوار وقال المفسرون لما كانت الملوك
تلبس في الدنيا الاساور والتيجان جعل الله ذلك لاهل الجنة قوله تعالى ويلبسون ثيابا
خضرا من سندس واستبرق السندس الرقيق الخفيف واحده سندسة قاله الكسائي
والاستبرق ما ثخن منه عن عكرمة وهو الحرير قال الشاعر تراهن يلبسن المشاعر مرة
واستبرق الديباج طورا لباسها والاستبرق الديباج الثخين المنسوج بالذهب العتيق فارسي
معرب وتصغيره ابيرق وقيل هو استفعل من البريق والصحيح انه وفاق بين اللغتين اذ ليس
في القران ما ليس من لغة العرب على ما تقدم والله اعلم وخص الاخضر لانه الموافق للبصر
لان البياض يبدد النظر ويولم والسواد يذم والخضرة بين البياض والسواد وذلك يجمع
الشعاع والله اعلم وروي النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال بينما نحن عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل فقال يا رسول الله اخبرنا عن ثياب الجنة اخلق يخلق
او نسج ينسج فضحك بعض القوم فقال لهم مم تضحكون ان جاهلا يسال عالما فجلس يسيرا
او قليلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين السايل عن ثياب الجنة فقال ها هو ذا يا رسول
الله قال لا بل تشقق عنها ثمر الجنة قالها ثلاثا وقال ابو هريرة ان للمومن دارا درة مجوفة في
وسطها شجرة تنبت الحلل ويأخذ باصبعه او قال باصبعيه سبعين حلة منظمة بالدر
والمرجان ذكره يحيى بن سلام في تفسيره وابن المبارك في دقايقه وقد ذكرنا اسناده في
كتاب التذكرة وذكر في الحديث انه يكون على كل واحد منهم الحلة لها وجهان لكل وجه
لون يتكلمان بصوت يستحسنه صاحبه يقول احد الوجهين للاخر انا اكرم على ولي الله منك
انا الي جسده وانت لا تلي ويقول الاخر انا اكرم على ولي الله منك انا ابصر وجهه وانت
لا تبصر والله اعلم قوله تعالى متكئين فيها على الارائك الارائك جمع اريكة وهي السرر
في الحجال وقيل الفرش في الحجال قاله الزجاج ابن عباس هي الاسرة من ذهب وهي مكللة
بالدر والياقوت عليها الحجال الاريكة ما بين صنعا الى ايليا وما بين عدن الى الجابية
واصل متكئين موتكئين وكذلك اتكا اصله اوتكا واصل اتكا وكاة ومنه التوكا للتحامل
على الشي فقلبت الواو ياء وادغمت ورجل مكاة كثير الاتكاء نعم الثواب وحسنت مرتفقا
يعني الجنات عكس وساءت مرتفقا وقد تقدم ولو كان نعمت لجاز لانه اسم للجنة وعلى هذا
وحسنت مرتفقا وروي البرا ابن عازب ان اعرابيا قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة
الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضبا فقال اني رجل متعلم فاخبرني
عن هذه الاية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما انت

ما انت منهم ببعيد ولا هم ببعيد منك هم هولاء الاربع ابو بكر وعمر وعثمان وعلي فاعلم قومك ان هذه الاية
نزلت فيهم ذكره الماوردي واسنده النحاس في كتاب معاني القران فقال حدثنا ابو عبد الله احمد بن
علي بن سهل قال نا محمد بن حميد قال نا يحيى بن الضريس عن زهير بن معاوية عن ابي اسحق عن البرا ابن
عازب قال قام اعرابي فذكره واسنده السهيلي في كتاب الاعلام وقد روينا جميع ذلك بالاجازة والله
اعلم قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين هذا مثل لمن يتعزز بالدنيا ويستنكف عن مجالسة المومنين
وهو متصل بقوله واصبر نفسك واختلف في اسم هذين الرجلين وتعيينهما فقال الكلبي نزلت في
اخوين من اهل مكة مخزوميين احدهما مومن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن
عبد الله بن عمرو بن مخزوم زوج ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم والاخر كافر وهو الاسود بن
عبد الاسد وهما الاخوان المذكوران في سورة والصافات في قوله تعالى قال قائل منهم اني كان لي
قرين وورث كل واحد منهما اربعة الاف دينار فانفق احدهما ماله في سبيل الله وطلب من اخيه شيئا
فقال ما قال ذكره الثعلبي والقشيري وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم واهل مكة وقيل هو مثل
لجميع من امن بالله وجميع من كفر وقيل هو مثل لعيينة بن حصن واصحابه مع سلمان وصهيب
واصحابه شبههم الله برجلين من بني اسرائيل اخوين احدهما مومن واسمه يهودا في قول ابن عباس
وقال مقاتل اسمه تمليخا والاخر واسمه فرطوس وهما اللذان وصفهما الله في سورة والصافات وكذا
ذكر محمد بن الحسن المقري قال اسم الخير منهما تمليخا والاخر فرطس وانهما كانا شريكين ثم اقتسما المال
فصار لكل واحد منهما ثلاثة الاف دينار فاشترى المومن منهما عبيدا بالف واعتقهم وبالالف
الثانية ثيابا فكسى العراة وبالالف الثالثة طعاما فاطعم الجوع وبنى ايضا مساجد وفعل خيرا واما
الاخر فنكح بماله نساء ذوات يسار واشترى دواب وبقر فاستنتجها فنمت له نماء مفرطا وتجر بيا
فيها فربح حتى فاق اهل زمانه غنى وادركت الاول الحاجة فاراد ان يستاجر نفسه في جنة يخدمها
فقال لو ذهبت لشريكي وصاحبي فسالته ان يستخدمني في بعض جناته رجوت ان يكون ذلك
اصلح بي فجاءه فلم يكد يصل اليه من غلظ الحجاب فلما دخل عليه وعرفه وساله حاجته فقال له الم
اكن قاسمتك المال شطرين فما صنعت بمالك قال اشتريت به من الله ما هو خير منه وابقى
فقال ابنك لمن المصدقين ما اظن الساعة وما اراك الا سفيها وما جزاوك عندي على سفاهتك
الا الحرمان او ما ترى ما صنعت انا بمالي حتى ال الي ما تراه من الثروة وحسن الحال وذلك اني
كسبت وسفهت انت اخرج عني ثم كان من قصة هذا الغني ما ذكره الله في القران من الاحاطة
بثمره وذهابها اصلا بما ارسل عليها من السماء من الحسبان وقد ذكر الثعلبي هذه القصة بلفظ
اخر والمعنى متقارب قال عطا كانا شريكين لهما ثمانية الاف دينار وقيل ورثاه من ابيهما وكانا
اخوين فاقتسماها فاشترى احدهما ارضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد
اشترى ارضا بالف دينار واني اشتريت منك دارا في الجنة بالف دينار فتصدق
بها ثم ان صاحبه بنى دارا بالف دينار فقال اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار واني اشتريت
منك دارا في الجنة بالف دينار فتصدق بالف دينار ثم تزوج صاحبه امراة فانفق عليها
الف دينار فقال اللهم ان فلانا تزوج امراة بالف دينار واني اخطب اليك من نساء
الجنة بالف دينار فتصدق بالف دينار ثم اشترى خدما ومتاعا بالف دينار فقال اللهم
ان فلانا اشترى خدما ومتاعا بالف دينار واني اشتري منك خدما ومتاعا بالف دينار
فتصدق بالف دينار ثم اصابته حاجة شديدة فقال لعل صاحبي ينالني معروفه فاتاه فقال

ما فعل مالك فاخبره قصته فقال وانك لمن المصدقين فهذا الحديث والله لا اعطيك شيئا ثم قال
له انت تعبد اله السماء وانا لا اعبد الا الاصنام فقال صاحبه لاعظنه فوعظه وخوفه فقال مربنا
نصطاد السمك فمن صاد اكثر فهو على الحق فقال له يا اخي ان الدنيا احقر عند الله من ان يجعلها
ثوابا لمحسن او عقابا لكافر فاكرهه على الخروج معه فابتلاهما الله فجعل الكافر يرمي شبكته ويسمي
باسم صنمه فتطلع متدفقة سمكا وجعل المومن يرمي شبكته ويسمي باسم الله فلا يطلع له فيها شي فقال
له كيف ترى انا اكثر منك في الدنيا نصيبا ومنزلة ونفرا كذلك اكون افضل منك في الاخرة
ان كان ما تقول بزعمك حقا قال فضج الملك الموكل بهما فامر الله تعالى جبريل ان ياخذه فيذهب
به الى الجنان فيريه منازل المومن فيها فلما راى ما اعد الله له قال وعزتك لا ينفعه ما
اصابه من الدنيا بعد ما يكون مصيره الى هذا واراه منازل الكافر في جهنم فقال وعزتك لا
ينفعه ما اصابه من الدنيا بعد ان يكون مصيره الى هذا ثم ان الله تعالى توفى المومن واهلك
الكافر بعذاب من عنده فلما استقر المومن في الجنة وراى ما اعد الله له اقبل هو واصحابه
يتساءلون فقال اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين الاية فنادى مناديا اهل الجنة
هل انتم مطلعون فاطلع الى جهنم فراه في سواء الجحيم فنزلت واضرب لهم مثلا بين الله حال
الاخوين في الدنيا في هذه السورة وبين حالهما في الاخرة في سورة الصافات في قوله اني كان لي
قرين يقول ائنك لمن المصدقين الى قوله لمثل هذا فليعمل العاملون قال ابن عطية وذكر ابراهيم
بن القاسم الكاتب في كتابه في عجايب البلاد ان بحيرة تنيس كانت هاتين الجنتين وكانتا
لاخوين فباع احدهما نصيبه من الاخر وانفق في طاعة الله حتى عيره الاخر وجرت بينهما المحاورة
فغرقها الله في ليلة واياها عنى بهذه الاية وقد قيل ان هذا مثل ضربه الله لهذه الامة
وليس بخبر عن حال متقدمة لتزهد في الدنيا وترغب في الاخرة وجعله زجرا وانذارا ذكره
الماوردي وسياق الاية يدل على خلاف هذا والله اعلم قوله تعالى وحففناهما بنخل اي
اطفناهما من جوانبهما بنخل والحفاف الجانب وجمعه احفة ويقال حف القوم بفلان يحفون
حفا اي طافوا به ومنه حافين من حول العرش وجعلنا بينهما زرعا اي جعلنا حول الاعناب
النخل ووسط الاعناب الزرع كلتا الجنتين اي كل واحدة من الجنتين اتت اكلها تاما ولذلك
لم يقل اتتا واختلف في لفظ كلتا وكلا هل هو مفرد او مثنى فقال اهل البصرة هو مفرد لان كلا
وكلتا في توكيد الاثنين نظير كل في المجموع وهو اسم مفرد غير مثنى فاذا ولي اسما ظاهرا كان في
الرفع والنصب والخفض على حالة واحدة تقول رايت كلا الرجلين وجاءني كلا الرجلين ومررت
بكلا الرجلين فاذا اتصل بمضمر قلبت الالف ياء في موضع الجر والنصب تقول رايت كليهما ومررت
بكليهما كما تقول عليهما وقال الفراء هو مثنى وهو ماخوذ من كل فخففت اللام وزيدت الالف للتثنية
وكذلك كلتا للمونث ولا يكونان الا مضافين ولا يتكلم بواحد ولو تكلم به لقيل كل وكلت و
كلان وكلتان واحتج بقول الشاعر في كلت رجليها سلامى واحده كلتاهما مقرونة
بزايده اراد في احدى رجليها فافرد وهذا القول ضعيف عند اهل البصرة لانه لو كان
مثنى لوجب ان يكون الفه في النصب والجر ياء مع الاسم الظاهر ولان معنى كلا مخالف لمعنى
كل لان كلا للاحاطة وكلا يدل على اسم مخصوص واما هذا الشاعر فانما حذف الالف للضرورة
وقدر انها زايدة وما يكون ضرورة لا يجوز ان يجعل حجة فثبت انه اسم مفرد كمعا الا انه وضع
ليدل على التثنية كما ان قولهم نحن اسم مفرد يدل على الاثنين فما فوقهما يدل على ذلك كلا يومي

امامة

امامة يوم صد داب لهم فاخبر عن كلا بيوم مفرد كما افرد الخبر بقوله انت بالهما الا الماما ولو كان مثنى
لقال اتتا ويوما واختلف ايضا في الف كلتا فقال سيبويه الف كلتا للتانيث والتا بدل من
الفعل وهي واو والاصل كلوا وانما ابدلت تا لان في التاء علم التانيث والالف في كلتا قد تصير ياء مع
المضمر فتخرج عن علم التانيث فصار في ابدال الواو تاء تاكيد للتانيث وقال ابو عمر الجرمي التا ملحقة
والالف لام الفعل وتقديرها عندهم فعيل ولو كان الامر على ما زعم لقالوا في النسبة اليها كلتوي
فلما قالوا في كلوي واسقطوا التاء دل انهم اجروها مجرى التاء التي في اخت اذا نسبت اليها
قلت اخوي ذكره الجوهري قال ابو جعفر النحاس واجاز النحويون في غير القران الحمل على المعنى
وان يقول كلتا الجنتين اتت اكلها لان المعنى الجنتان كلتاهما اتتا واجاز الفرا كلتا الجنتين
اتى اكله والاكل بضم الهمزة ثمر النخل والشجر وكل ما يوكل فهو اكل ومنه قوله تعالى اكلها دايم
وقد تقدم ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص قوله تعالى وفجرنا خلالهما نهرا اي اجرينا وشققنا
وسط الجنتين بنهر وكان له ثمر قرا ابو جعفر وشيبة وعاصم ويعقوب وابن ابي اسحق ثمر بفتح
الثاء والميم وكذلك قوله واحيط بثمره جمع ثمرة قال الجوهري الثمرة واحدة الثمر والثمرات وجمع
الثمر ثمار مثل جبل وجبال قال الفرا وجمع الثمار ثمر مثل كتاب وكتب وجمع الثمر اثمار مثل اعناق و
عنق والثمر ايضا المال المثمر يخفف ويثقل وقرا ابو عمرو وكان له ثمر بضم الثاء واسكان الميم
ويثبته انواع المال الباقون بضمهما جميعا في الحرفين قال ابن عباس ذهب وفضة واموال وقد
مضى في الانعام مثل هذا مبينا وذكر النحاس حدثنا احمد بن شعيب قال اخبرني عمران بن
بكار قال نا ابراهيم بن العلاء الزبيدي قال نا شعيب بن اسحق قال نا هرون قال حدثني
ابان عن ثعلب عن الاعمش ان الحجاج قال لو سمعت احدا يقرا وكان له ثمر لقطعت لسانه فقلت
للاعمش اتاخذ بذلك قال لا ولا نعمة عين فكان يقرا ثمر وياخذه من جمع الثمر قال النحاس
فالتقدير على هذا القول انه جمع ثمرة على ثمار ثم جمع ثمار على ثمر وهو حسن في العربية الا
ان القول الاول اشبه والله اعلم لان قوله كلتا الجنتين اتت اكلها يدل على ان له ثمرا
قوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره اي يراجعه في الكلام ويجاوبه والمحاورة المجاوبة
والتحاور التجاوب ويقال كلمته فما احار الي جوابا وما رجع الي حويرا ولا حويره ولا محورة
ولا حوارا اي ما رد جوابا انا اكثر منك مالا واعز نفرا النفر الرهط ما دون العشرة واراد
ههنا الاتباع والخدم والولد حسب ما تقدم بيانه قوله تعالى ودخل جنته قيل اخذ بيد
اخيه المومن فطيف به فيها ويريه اياها وهو ظالم لنفسه اي بكفره وهو جملة في موضع
الحال ومن ادخل نفسه النار بكفره فهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا
انكر فناء الدار وما اظن الساعة قائمة اي لا احسب البعث كاينا ولئن رددت الى ربي
اي وان كان بعث فكما اعطاني هذه النعم في الدنيا سيعطيني افضل منه لكرامتي عليه وهو
معنى قوله لاجدن خيرا منها منقلبا وانما قال ذلك لما دعاه اخوه الى الايمان بالحشر والنشر
وفي مصاحف مكة والمدينة والشام منهما وفي مصاحف اهل البصرة والكوفة منها على التوحيد
والتثنية اولى لان الضمير اقرب الى الجنتين قوله تعالى قال له صاحبه يهودا او تمليخا
على الخلاف في اسمه اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا وعظه
وبين له ان ما اعترف به من هذه الاشياء التي لا ينكرها احد ابدع من الاعادة وسواك
اي جعلك معتدل الخلق والقامة صحيح لكن هو الله ربي لكنا قراه ابو عبد الرحمن السلمي

وابو العالية وروي عن الكسائي لكن هو الله ربي بمعنى لكن الامر هو الله ربي اضمر اسمها فيها وقرا
الباقون لكنا باثبات الالف قال الكسائي فيه تقديم وتاخير تقديره لكن الله هو ربي انا
فحذف الهمزة من ٢ للخفة لكثرة استعمالها وادغمت احدى النونين في الاخرى وحذفت
انا في الوصل واثبتت في الوقف قال النحاس مذهب الكسائي والفرا والمازني ان الاصل لكن
انا فالقيت حركة الهمزة على نون لكن وحذفت الهمزة وادغمت النون فالوقف عليها لكنا
وهي الف انا لبيان الحركة وقال ابو عبيد الاصل لكن انا فحذفت الالف فالتقت نونان فجاء
بالتشديد لذلك وانشد الكسائي لهنك من عبسيه لوسيمة على هنوات كاذب من يقولها اراد
لله انك لوسيمة فاسقط احدى اللامين من الله وحذف الالف من انك وقال الاخر مجابه على
الاصل وترميني بالطرف اي انت مذنب ويقليني لكن اياه لا اقلي اي لكن انا قال ابو حاتم
ورووا عن عاصم لكنا هو الله ربي وزعم ان هذا لحن يعني اثبات الالف في الادراج قال الزجاج
اثبات الالف في لكنا هو الله ربي في الادراج جيد لانه قد حذفت الالف من انا فجاؤا بها
عوضا قال وفي قراءة ابي لكن انا هو الله ربي وقرا ابن عامر والمسي عن نافع ورويس عن
يعقوب لكنا في حال الوصل والوقف معا باثبات الالف قال الشاعر انا سيف العشيرة فاعرفوني
قد تذربت لسانا وقال الاعشى فكيف انا وانتحالي القوافي بعد المشيب كفى ذاك عارا ولا
خلاف في اثباتها في الوقف هو الله ربي هو ضمير القصة والشان والامر كقوله فاذا هي شاخصة
ابصار الذين كفروا وقوله قل هو الله احد ولا اشرك بربي احدا دل مفهومه على ان الاخ الاخر
كان مشركا بالله يعبد غيره ويحتمل انه اراد لا ارى الغنا والفقر الا منه واعلم انه لو اراد ان
يسلب صاحب الدنيا دنياه قدر عليه وهو الذي اتاني الفقر ويحتمل انه اراد جحوده
البعث مصيره الى الله تبارك وتعالى لا يقدر عليه وهو تعجيز الرب سبحانه وتعالى ومن عجزه
سبحانه بخلقه فهو اشراك قوله تعالى ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة
الا بالله فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله
لا قوة الا بالله وهو توبيخ ووصية من المومن للكافر ورد عليه اذ قال ما اظن ان تبيد
هذه ابدا وما في موضع رفع تقديره هذه الجنة هي ما شاء الله وقال الزجاج والفرا الامر
ما شاء الله اي الامر مشيئة الله وقيل الجواب مضمر فيما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون
لا قوة الا بالله اي ما اجتمع لك من المال فهو بقدرة الله تعالى وقوته لا بقدرتك
وقوتك ولو شاء لنزع البركة عنه فلم يجتمع الثانية قال اشهب قال مالك ينبغي لكل من
دخل منزله ان يقول هذا وقال ابن وهب قال لي حفص بن ميسرة رايت على باب وهب
بن منبه مكتوبا ما شاء الله لا قوة الا بالله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي
هريرة الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا
بالله اذا قالها العبد قال الله عز وجل اسلم عبدي واستسلم اخرجه مسلم في صحيحه من
حديث ابي موسى وفيه فقال يا ابا موسى او يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كلمة من كنز
الجنة في رواية على كنز من كنوز الجنة قلت ما هي يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله
وعنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلك على كلمة من كنوز الجنة او قال
كنز من كنوز الجنة قلت بلى فقال لا حول ولا قوة الا بالله وروي انه من دخل منزله او
خرج منه فقال بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله تنافرت عنه الشياطين من بين يديه

وانزل

وانزل الله عليه البركات وقالت عائشة اذا خرج الرجل من منزله فقال بسم الله قال الملك هديت
واذا قال ما شاء الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت
خرجه الترمذي من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال يعني
اذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله يقال له كفيت ووقيت
وتنحى عنه الشيطان هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه خرجه ابو داود ايضا وزاد
يقال له هديت ووقيت وكفيت واخرجه ابن ماجة من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا خرج الرجل من باب بيته او باب داره كان معه ملكان موكلان به فاذا
قال بسم الله قالا هديت فاذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قالا وقيت واذا قال توكلت على
الله قالا كفيت قال فيلقاه قريناه فيقولان ماذا تريدان من رجل قد هدي ووقي وكفي
وقال الحاكم ابو عبد الله في علوم الحديث سئل محمد بن اسحق بن خزيمة عن قول النبي صلى الله عليه
وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت هذه يعني الجنة يدخلني الضعفاء من الضعيف قال الذي
يبرئ نفسه من الحول والقوة يعني في اليوم عشرين مرة او خمسين مرة وقال انس بن مالك
قال النبي صلى الله عليه وسلم من راى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم تضره عين
وقد قال نوح ما من احد قال ما شاء الله كان فاصابه شيء الا رضيه وروي انه من قال
اربعا امن من اربع من قال هذه امن ومن قال حسبنا الله ونعم الوكيل امن من كيد الشيطان
ومن قال وافوض امري الى الله امن من مكر الناس ومن قال لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين امن من الغم قوله تعالى ان ترن انا اقل منك مالا وولدا ان شرط
ترن مجزوم به والجواب فعسى ربي وانا فاصلة لا موضع لها من الاعراب ويجوز ان تكون
في موضع نصب توكيدا للنون والياء وقرا عيسى ابن عمران ترني اقل بالرفع يجعل انا مبتدا
واقل خبره والجملة في موضع المفعول الثاني والمفعول الاول النون والياء الا ان الياء حذفت
لان الكسرة تدل عليها واثباتها جيد بالرفع وهو الاصل لانها الاسم على الحقيقة وفعسى بمعنى
لعل اي فلعل ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك في الاخرة وقيل في الدنيا ويرسل عليها اي على
جنتك حسبانا اي مرامي من السماء احدها حسبانة قاله الاخفش والقتبي وابو عبيدة
وقال ابن الاعرابي والحسبانة الوسادة والحسبانة الصاعقة وقال الجوهري والحسبان بالضم
العذاب وقال ابو زياد الكلابي اصاب الارض حسبان اي جراد والحسبان ايضا الحساب
قال تعالى والشمس والقمر بحسبان وقد فسر الحسبان بهذا قال الزجاج الحسبان من الحساب
اي يرسل عليها عذاب الحساب وهو حساب ما اكتسبت يداك فهو من باب حذف المضاف
والحسبان ايضا سهام قصار يرمى بها في طلق واحد وكان من رمي الاكاسرة والمرامي
من السماء عذاب فتصبح صعيدا زلقا اي ارضا بيضا لا ينبت فيها نبات ولا يثبت عليها قدم
وهي اضر ارض بعد ان كانت جنته انفع ارض زلقا توكيد لوصف الصعيد اي تزل
عليها الاقدام لملاستها يقال مكان زلق بالتحريك اي دحض وهو في الاصل مصدر زلقت
رجله تزلق زلقا وازلقها غيره والزلق ايضا عجز الناقة قال رؤبة كانها حقبا تلقا
الزلق والمزلقة الموضع الذي لا يثبت عليه قدم وكذلك الزلاقة والزلق ايضا الحلق
زلق راسه يزلقه زلقا حلقه قاله الجوهري والزلق المحلوق كالنقض والنقض والمراد
انها تصير زلقة بل المراد به انه لا يبقى فيها نبات كالراس اذا حلق لا يبقى عليه شعر قاله القشيري

او يصبح ماؤها غورا اي غايرا ذاهبا فيكون اعدم للماء بعد ان كان اوجد ارض للماء والغور
مصدر وضع موضع الاسم كما يقال رجل صوم وفطر وعدل ورضى وفضل وزور ونساء نوح
ويستوى فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع وقال عمرو بن كلثوم تظل جياده نوحا عليه
مقلدة اعنتها صفونا اخر هريقي من دموعهما سجاما صاغ وجاوبي نوحا قياما اي نايحات
وقيل او يصبح ماؤها غورا لحذف المضاف مثل واسئل القرية ذكره النحاس وقال الكسائي
مياه غور وقد غار الماء يغور غورا وغؤورا اي سفل في الارض ويجوز الهمزة لانضمام الواو
وغارت عينه تغور غورا وغؤورا دخلت في الراس وغارت تغار لغة فيه وقال اغارت
عينه ام لم تغارا وغارت الشمس تغور غيارا اي غربت قال ابو ذويب هل الدهر الا ليلة ونهار
والا طلوع الشمس ثم غيارها فلن تستطيع له طلبا اي لن تستطيع رد الماء الغاير ولا تقدر
عليه بحيلة وقيل فلن تستطيع طلب غيره بدلا منه والى هذا الحد انتهت مناظرة اخيه
وانذاره قوله تعالى واحيط بثمره اسم ما لم يسم فاعله مضمر وهو المصدر ويجوز ان يكون المخفوض
في موضع رفع ومعنى احيط بثمره اي اهلك ماله كله وهذا اول ما حقق الله تعالى به
انذار اخيه فاصبح يقلب كفيه اي فاصبح الكافر يضرب احدى يديه على الاخرى ندما لان
هذا يصدر من النادم وقيل يقلب ملكه فلا يرى فيه عوض ما انفق وهذا لان الملك
قد يعبر عنه باليدين قولهم في يده مال اي في ملكه مال ودل قوله فاصبح على ان هذا
الاهلاك جرى بالليل كقوله فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فاصبحت
كالصريم ويقال انفقت في هذه الدار كذا وانفقت على وهي خاوية على عروشها اي
خالية قد سقط بعضها على بعض ماخوذ من خوت النجوم تخوى خيا امحلت وذلك اذا سقطت
ولم تمطر في نوئها واخوت مثله وخوت الدار خواء ممدودا قوت وكذلك اذا سقطت ومنه
قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ويقال ساقطة كما يقال فهي خاوية على عروشها
اي ساقطة على سقوفها فجمع عليه بين هلاك الثمر والاصل وهذا من اعظم الجوايح مقابلة
على بغيه ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا اي يا ليتني عرفت نعم الله علي وعرفت انها
كانت بقدرة الله ولم اكفر به وهذا ندم منه حين لا ينفعه الندم قوله تعالى ولم تكن
له فئة ينصرونه من دون الله فئة اسم تكن وله الخبر ينصرونه في موضع الصفة
اي فئة ناصرة ويجوز ان يكون ينصرونه الخبر والوجه الاول عند سيبويه لانه قد
تقدم له وابو العباس يخالفه ويحتج بقول الله عز وجل ولم يكن له كفوا احد وقد اجاز سيبويه
الاخر وينصرونه على معنى فئة لان معناها اقوام ولو كان على اللفظ لقال ولم تكن له فرقة
ينصرونه اي فرقة جماعة يلتجي اليهم وما كان منتصرا اي ممتنعا قاله قتادة وقيل مستردا بدل
ما ذهب عنه وقد تقدم اشتقاق الفئة في آل عمران والهاء عوض من الياء التي نقصت
من وسطه اصله فيء مثل لانه من فاء ويجمع على فيون وفيات مثل شيات ولدات وديات
اي لم تكن له عشيرة يمنعونه من عذاب الله وضل عنه من افتخر بهم من الخدم والولد
قوله تعالى هنالك الولاية لله الحق اختلف في العامل في قوله هنالك وهو ظرف فقيل
العامل فيه ولم تكن له فئة ولا كان هنالك اي ما نصر ولا انتصر هنالك اي لما اصابه
من العذاب وقيل تم الكلام عند قوله منتصرا والعامل في قوله هنالك وتقديره على
التقديم والتاخير الولاية لله الحق هنالك اي في القيمة وقرا ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع

نعتا لله عز وجل والتقدير لله ذي الحق قال الزجاج ويجوز الحق بالنصب على المصدر والتوكيد
كما تقول هو لك حقا وقرا الاعمش وحمزة والكسائي الولاية بكسر الواو والباقون بفتحها وهما بمعنى
واحد كالرضاعة والرضاعة وقيل الولاية بالفتح من الموالاة كقوله الله ولي الذين امنوا ذلك
بان الله مولى الذين امنوا وبالكسر يعني السلطان والقدرة والامارة كقوله والامر يومئذ لله
الملك والحكم يومئذ اي لا يرد امره الى احد والملك في كل وقت لله ولكن تزول الدعاوي
والتوهمات يوم القيمة وقال ابو عبيدة انها بفتح الواو للخالق وبكسرها للمخلوق هو خير ثوابا
اي ان الله خير ثوابا في الدنيا والاخرة لمن امن به وليس ثم غير موجب منه ولكنه اراه في
ظن الجهال اي هو خير من يرجى وخير عقبى قرا عاصم والاعمش وحمزة ويحيى عقبى ساكنة القاف
الباقون بضمها وهذا بمعنى واحد اي هو خير عاقبة لمن رجاه وامن به يقال عاقبة امر فلان
وعقباه وعقبه وعقبه في عقبه اي اخره قوله تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا اي
صف لهولاء المتكبرين الذين سالوك طرد فقراء المومنين مثل الحياة الدنيا اي شبهها كماء انزلناه
من السماء فاختلط به اي بالماء نبات الارض حتى استوى وقيل المعنى ان النبات اختلط بعضه
ببعض حين نزل عليه الماء لان النبات انما يختلط ويكثر بالمطر وقد تقدم هذا المعنى في
يونس مبينا وقالت الحكماء انما شبه الله الدنيا بالماء لان الماء لا يستقيم على حالة واحدة
كذلك الدنيا ولان الماء لا يقدر احد ان يدخله ولا يبتل كذلك الدنيا لا يسلم احد دخلها
من فتنتها وافتها ولان الماء اذا كان لا يقدر كان نافعا منبتا واذا جاوز المقدار كان
ضارا مهلكا وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر وفي حديث النبي صلى الله
عليه وسلم قال له رجل يا رسول الله اني اريد ان اكون من الفائزين قال ذر الدنيا وخذ
منها كالماء الراكد فان القليل منها يكفي والكثير يطغي وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم
قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه فاصبح اي النبات هشيما اي متكسرا من
اليبس متفتتا يعني بانقطاع الماء عنه فحذف ذلك ايجازا لدلالة الكلام عليه والهشم
كسر الشيء اليابس والهشيم من النبات اليابس المتكسر والشجرة البالية ياخذها الحاطب
كيف يشاء ومنه قولهم ما فلان الا هشيمة كرم اذا كان سمحا ورجل هشيم ضعيف البدن
وتهشم عليه فلان اذا انعطف واهتشم ما في ضرع الناقة اذا احتلبه ويقال هشم الثريد
ومنه سمي هاشم بن عبد مناف واسمه عمرو وفيه يقول عبد الله بن الزبعرى عمرو
الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف وكان سبب ذلك ان قريشا
اصابتهم جايحة سنوات ذهبن بالاموال فخرج هاشم الى الشام فامر بخبز كثير فخبز له فحمله
في الغراير على الابل حتى وافى مكة فهشم ذلك الخبز يعني كسره وثرده ونحر تلك الابل ثم
امر الطباخ فطبخوا ثم كفا القدور على الجفان فاشبع اهل مكة فكان ذلك اول الحيا
بعد السنة التي اصابتهم فسمي بذلك هاشما تذروه الرياح اي تفرقه قاله ابو عبيدة وقال
ابن كيسان تذهب به وتجي ابن عباس تديره والمعنى متقارب وقرا طلحة بن مصرف تذريه
اذرا اذا طارت به وفي قراءة عبد الله يذريه يقال ذرته الريح تذروه وتذريه ذروا
وذريا واذرته تذريه اذرا اذا طارت به وحكي الفراء اذريت الرجل عن فرسه اي قلبته
وانشد سيبويه والفراء فقلت له صوب ولا تجهدنه فيذرك من اخرى القطاة فتزلق
قوله تعالى وكان الله على كل شيء مقتدرا من الانشاء والافناء والاحياء قوله تعالى

المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا
ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك صفا
لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى
المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم
فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من
دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق
انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم
فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم
يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل وكان الانسان اكثر
شيء جدلا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة
الاولين او ياتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين
كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا ومن اظلم ممن ذكر بايات
ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم
وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم
بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى
اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا
ويجوز زينتا وهو خبر الابتداء في التثنية والافراد وانما كان المال والبنون زينة الحياة
الدنيا لان في المال جمالا ونفعا وفي البنين قوة ودفعا فصارا زينة الحياة الدنيا لكن
معه قرينة الصفة للمال والبنين لان المعنى المال والبنون زينة هذه الحياة فلا تتبعوها
نفوسكم وهو رد على عيينة ابن حصن وامثاله لما افتخروا بالغنى والشرف فاخبر الله تعالى
انما كان من زينة الحياة الدنيا فهو غرور يمر ولا يبقى كالهشيم حين ذرته الريح انما
يبقى ما كان من زاد القبر وعدد الاخرة وكان يقال لا يعقد قلبك مع المال لانه فيء ذاهب
ولا مع النساء لانها اليوم معك وغدا مع غيرك ولا تتبع السلطان لانه اليوم لك وغدا
لغيرك ويكفي في هذا قول الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم قوله تعالى والباقيات الصالحات اي ما ياتي به سلمان
وصهيب وفقراء المسلمين من الطاعات خير عند ربك ثوابا اي افضل وخير املا اي
افضل املا من ذي المال والبنين دون عمل صالح وليس في زينة الدنيا خير ولكنه خرج مخرج
قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقيل خير في التحقيق مما يظنه الجهال انه خير من
ظنهم واختلف العلماء في الباقيات الصالحات فقال ابن عباس وابن جبير وابو ميسرة عمرو
بن شرحبيل هي الصلوات الخمس وعن ابن عباس ايضا انها كل عمل صالح من قول او فعل يبقى
للاخرة وقاله ابن زيد ورجحه الطبري وهو الصحيح ان شاء الله تعالى لان كل ما بقي
ثوابه جاز ان يقال له هذا وقال علي رضي الله عنه الحرث حرثان فحرث الدنيا المال والبنون
وحرث الاخرة الباقيات الصالحات وقد يجمعهن الله لاقوام وقال الجمهور هي الكلمات الماثور
فضلها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله اخرجه

مالك في موطئه عن عمارة بن الصياد عن سعيد بن المسيب انه سمعه يقول الباقيات الصالحات
انها قول العبد الله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله اسنده
النسائي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحات
قيل وما هي يا رسول الله قال الملة قيل وما هي يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله
ولا حول ولا قوة الا بالله صححه ابو محمد عبد الحق رحمه الله وروى قتادة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخذ غصنا فخرطه حتى سقط ورقه وقال ان المسلم اذا قال سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر تحاتت خطاياه كما تحات هذا خذهن اليك يا ابا الدرداء قبل ان يحال
بينك وبينهن فانهن من كنوز الجنة وصفايا الكلام وهن الباقيات الصالحات ذكره الثعلبي
وخرجه ابن ماجة بمعناه من حديث ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك
بسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فانهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها واخرج
الترمذي من حديث الاعمش عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بشجرة يابسة
الورق فضربها بعصاه فتناثر الورق فقال ان الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله اكبر
لتساقط من ذنوب العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة قال هذا حديث غريب ولا نعرف للاعمش
سماعا من انس الا انه قد راه ونظر اليه وخرج الترمذي ايضا عن ابن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقيت ابراهيم عليه السلام ليلة اسري بي فقال يا محمد اقرئ امتك مني
السلام واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال حديث حسن غريب خرجه الماوردي بمعناه وفيه فقلت
وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله وخرجه ابن ماجة عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسا فقال يا ابا هريرة ما الذي تغرس قال غراسا قال
الا ادلك على غراس هو خير من هذا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يغرس لك
بكل واحدة شجرة في الجنة وقد قيل ان الباقيات الصالحات هي النيات والهمات لان بها تقبل
الاعمال وترفع قاله الحسن وقال عبيد بن عمير هن البنات يدل عليه اوائل الاية قال الله تعالى
المال والبنون زينة الحياة الدنيا ثم قال والباقيات الصالحات يعني البنات الصالحات هن
عند الله لابائهن خير ثوابا وخير املا في الاخرة لمن احسن اليهن يدل عليه ما روته عائشة
قالت دخلت علي امراة مسكينة الحديث وقد ذكرناه في سورة النحل في قوله يتوارى من القوم
الاية وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد رايت رجلا من امتي امر به الى النار فتعلقت
به بناته وجعلن يضربن ويقلن رب انه كان يحسن الينا فرحمه الله بهن وقال قتادة
في قوله تعالى فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما قال ابدلهما منه ابنة فتزوجها
نبي فولدت له اثني عشر غلاما كلهم انبياء قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة قال
بعض النحويين التقدير والباقيات الصالحات خير عند ربك يوم نسير الجبال اي نزيلها من اماكنها
من على وجه الارض ونسيرها كما يسير السحاب كما قال في اية اخرى وهي تمر مر السحاب ثم تكسر
فتعود الى الارض كما قال وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وقرا ابن كثير والحسن وابو عمرو
وابن عامر تسير الجبال بتاء مضمومة وفتح الياء والجبال رفعا على الفعل المجهول وقرا ابن محيصن
ومجاهد ويوم تسير الجبال بفتح التاء مخففا من سار الجبال رفعا دليل قراءة ابي عمرو واذا الجبال
سيرت ودليل قراءة ابن محيصن وتسير الجبال سيرا ابو عبيدة القراءة الاولى نسير بالنون لقوله

وحشرناهم ومعنى بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا بنيان اي اجتثت ثمارها وقلعت
جبالها وهدم بنيانها فهي بارزة ظاهرة وعلى هذا القول اهل التفسير وقيل وترى الارض بارزة اي
بروزما فيها من الكنوز والاموات كما قال والقت ما فيها وتخلت وقال واخرجت الارض اثقالها
وهذا قول عطا وحشرناهم الى الموقف فلم نغادر منهم احدا اي لم نترك يقال غادرت كذا اي تركته
قال عنترة غادرته متعفرا اوصاله والقوم بين مجرح ومجندل اي تركته والمغادرة الترك ومنه
الغدر لانه ترك الوفا وانما سمي الغدير من الماء غديرا لان الماء ذهب وتركه ومنه غدائر المراة
لانها تجعلها خلفها يقول حشرنا برهم وفاجرهم جنهم وانسهم قوله تعالى وعرضوا على ربك صفا
نصب على الحال قال مقاتل يعرضون صفا بعد صف كالصفوف في الصلاة كل امة وزمرة صفا
لا انهم صف واحد وقيل جميعا كقوله ثم ائتوا صفا اي جميعا وقيل قياما وخرج الحافظ ابو القسم
عبد الرحمن بن منده في كتاب التوحيد عن معاذ ابن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تبارك وتعالى ينادي يوم القيمة بصوت رفيع غير قطيع يا عبادي انا الله لا اله الا انا ارحم
الراحمين واحكم الحاكمين واسرع الحاسبين يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون احضروا
حجتكم ويسروا اجوابكم فانكم مسؤلون محاسبون يا ملائكتي اقيموا عبادي صفوفا على اطراف انامل
اقدامهم للحساب قلت هذا الحديث غاية في تفسير الاية ولم يذكره كثير من المفسرين وقد كتبناه
في كتاب التذكرة ومنه نقلناه ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقد تقدم وقال
الزجاج اي بعثناكم كما خلقناكم اي يقال لهم لقد جئتمونا حفاة عراة لا مال معكم ولا ولد وقيل فراد
دليله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقد تقدم وقال الزجاج اي بعثناكم كما خلقناكم
بل زعمتم هذا خطاب لمنكري البعث اي زعمتم في الدنيا ان لن تبعثوا وان لن نجعل لكم موعدا
للبعث وفي صحيح مسلم عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس
يوم القيمة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض قال
يا عايشة الامر اشد من ان ينظر بعضهم الى بعض غرلا اي غير مختونين وقد تقدم في الانعام
بيانه قوله تعالى ووضع الكتاب اسم جنس وفيه وجهان احدهما انها كتب الاعمال في ايدي العباد
قاله مقاتل الثاني انه وضع الحساب قاله الكلبي فعبر عن الحساب بالكتاب لانهم يحاسبون على
اعمالهم المكتوبة والقول الاول اظهر وذكر ابن المبارك انا الحكم او ابو الحكم شك عن نعيم عن اسمعيل
بن عبد الرحمن عن رجل من بني اسد قال قال عمر لكعب ويحك يا كعب حدثنا من حديث
الاخرة قال نعم يا امير المؤمنين اذا كان يوم القيمة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق احد من الخلايق
الا وهو ينظر الى عمله قال ثم يؤتى بالصحف التي فيها اعمال العباد فتنثر حول العرش وذلك
قوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال الاسدي الصغيرة ما دون الشرك والكبيرة الشرك
الا احصاها قال كعب ثم يدعى المؤمن فيعطى كتابه بيمينه فينظر فيه فاذا حسناته باديات
للناس وهو يقرا سيئاته لكيلا يقول كانت لي حسنات فلم تذكر فاحب الله ان يريه انه
من اهل الجنة فعند ذلك يقبل الى اصحابه ثم يقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني
ملاق حسابيه ثم يدعى الكافر فيعطى كتابه بشماله ثم يلف فيجعل من وراء ظهره ويلوى
عنقه فذلك قوله واما من اوتي كتابه وراء ظهره فينظر في كتابه فسيئاته بادية للناس
وينظر في حسناته لكي لا يقول افاثاب على السيئات وكان الفضيل بن عياض اذا قرا هذه

الاية يقول يا ويلتاه ضجوا الى الله من الصغاير قبل الكباير قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة
الضحك قلت فيحتمل ان يكون صغيرة اذا لم يكن في معصية فان الضحك في المعصية رضى
بها والرضى بالمعصية معصية وعلى هذا يكون كبيرة فيكون وجه الجمع هذا والله اعلم او يحمل الضحك
فيما ذكر الماوردي على التبسم وقد قال تعالى فتبسم ضاحكا من قولها وقال سعيد بن جبير اللمم كالمس
والقبل والكبيرة المواقعة والزنا وقد مضى في النساء بيان هذا قال قتادة اشتكى القوم الاحصا
وما اشتكى احد ظلما فاياكم ومحقرات الذنوب فانها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه وقد مضى معنى
احصاها عدها واحاط بها واضيف الاحصا الى الكتاب توسعا ووجدوا ما عملوا حاضرا اي
وجدوا احصاء ما عملوا حاضرا وقيل وجدوا جزاء ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا اي لا
ياخذ احدا بجرم احد ولا ياخذه بما لم يعمله قاله الضحاك وقيل لا ينقص طايعا من ثوابه
ولا يزيد عاصيا في عقابه قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان
من الجن تقدم في البقرة هذا مستوفى قال ابو جعفر النحاس وفي هذه الاية سؤال يقال ما
معنى ففسق عن امر ربه ففي هذا قولان احدهما وهو مذهب الخليل وسيبويه ان المعنى اتاه الفسق
لما امر فعصى فكان سبب الفسق امر ربه كما يقول اطعمته عن جوع والقول الاخر وهو قول
محمد بن قطرب ان المعنى ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وقف
عز وجل الكفرة على جهة التوبيخ بقوله افتتخذونه وذريته يا بني ادم اولياء وهم لكم عدو اي
اعداء فهو اسم جنس بئس للظالمين بدلا اي بئس عبادة الشيطان بدلا عن عبادة الله او
بئس ابليس بدلا عن الله واختلف هل لابليس ذرية من صلبه فقال الشعبي سالني رجل فقال
هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك عرس لم اشهده ثم ذكرت قوله افتتخذونه وذريته
فعلمت انه لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقال مجاهد ان ابليس ادخل فرجه في
فرج نفسه فباض خمس بيضات فهذه اصل ذريته وقيل ان الله خلق له في فخذه اليمنى
ذكرا وفي اليسرى فرجا فهو ينكح هذه بهذا يخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج من كل بيضة
سبعون شيطانا وشيطانة فهو يخرج ويطير واعظمهم عند ابيهم منزلة اعظمهم في
بني ادم فتنة وقال قوم ليس له اولاد ولا ذرية وذريته اعوانه من الشياطين قال القشيري
ابو نصر والجملة ان الله تعالى اخبر ان لابليس اتباعا وذرية وانهم يوسوسون الى بني ادم وهم
اعداؤهم ولا يثبت عندنا كيفية في كيفية التوالد منهم وحدوث الذرية عن ابليس فيتوقف الامر
فيه على نقل صحيح قلت الذي ثبت في هذا الباب من الصحيح ما ذكره الحميدي في الجمع
بين الصحيحين عن الامام ابي بكر البرقاني انه خرج في كتابه مسندا عن ابي محمد عبد الغني بن
سعيد الحافظ من رواية عاصم عن ابي عثمان عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تكن اول من يدخل السوق ولا اخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرخ وهذا يدل
على ان للشيطان ذرية من صلبه والله اعلم قال ابن عطية وقوله وذريته ظاهر اللفظ يقتضي
الموسوسين من الشياطين الذين ياتون بالمنكر ويحملون على الباطل وذكر الطبري وغيره ان
مجاهدا قال ذرية ابليس الشياطين وكان يعدهم زلنبور صاحب الاسواق يضع رايته في كل سوق
بين السماء والارض يجعل تلك الراية على حانوت اول من يفتح واخر من يغلق وثبر صاحب
المصايب يامر بضرب الوجوه وشق الجيوب والدعا بالويل والحرب والاعور صاحب ابواب
الزنا والسلاطين ومسوط صاحب الاخبار ياتي بها فيلقيها في افواه الناس ولا يجدون لها

اصلا وداسم الذي اذا دخل الرجل بيته فلم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لا يرفع وما لا يحسن
موضعه واذا اكل ولم يذكر اسم الله اكل معه قال الاعمش واني ربما ادخل البيت فلم اذكر الله ولم اسلم
فرايت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم اذكر فاقول داسم داسم اعوذ بالله منه زاد
الثعلبي وغيره عن مجاهد الابيض وهو الذي يوسوس للانبياء وصخر وهو الذي احتبس خاتم سليمان
والولهان وهو صاحب الطهارة والابيض وهو صاحب الصلاة يوسوس فيها ومرة صاحب المزامير
والبربط ويكون بالصحارى يضل الناس ويتيههم ومنه الغيلان وحكى ابو مطيع مكحول
بن الفضل النسفي في كتاب اللؤلؤيات عن مجاهد ان الهباذ هو صاحب الشراب ولقوس صاحب التحريش
والاعور صاحب ابواب السلطان قال وقال الدارقطني ان لابليس شيطانا يقال له المتقاضي يتقاضى
ابن ادم فيخبر بعمل كان عمله في السر منذ عشرين سنة فيحدث به في العلانية قال ابن عطية وهذا
وما جانسه مما لم يات به سند صحيح وقد طول النقاش في هذا المعنى وجلب حكايات تبعد عن
الصحة ولم يمر لي في هذا صحيح الا ما في كتاب مسلم من ان للصلاة شيطانا يسمى خنزب وذكره
الترمذي ان للوضوء شيطانا يسمى الولهان قلت اما ما ذكر من التعيين في الاسم فصحيح واما
ان له اتباعا واعوانا وجنودا فمقطوع به وقد ذكرنا الحديث الصحيح في ان له اولادا من
صلبه كما قال مجاهد وغيره وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود ان الشيطان ليتمثل
في صورة الرجل فياتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم سمعت
رجلا اعرف وجهه ولا ادري ما اسمه يحدث وفي مسند البزار عن سلمان الفارسي قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تكونن ان استطعت اول من يدخل السوق ولا اخر من يخرج منها فانها
معركة الشيطان وبها ينصب رايته وفي مسند احمد بن حنبل قال انا عبد الله بن المبارك
قال نا سفيان عن عطا بن السايب عن ابي عبد الرحمن السلمي عن ابي موسى الاشعري قال اذا اصبح
ابليس بث جنوده فيقول من اضل مسلما البسته التاج قال فيقول له القايل لم ازل بفلان
حتى طلق امراته قال يوشك ان يتزوج ويقول اخر لم ازل بفلان حتى عق قال يوشك ان
يبر قال ويقول القايل لم ازل بفلان حتى شرب قال انت وهذا قال لم ازل بفلان حتى
زنا قال انت قال ويقول لم ازل بفلان حتى قتل قال انت وفي صحيح مسلم عن جابر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم
منه منزلة اعظمهم فتنة يجي احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا قال
ويجي احدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين اهله قال فيدنيه او قال فيلتزمه ويقول نعم
انت وقد تقدم وسمعت شيخنا الامام ابا محمد عبد المعطي بثغر الاسكندرية يقول ان شيطانا يقال
له البيضاوي يتمثل للفقرا المواصلين في الصيام فاذا استحكم منهم الجوع واضر بادمغتهم يكشف لهم
عن ضياء ونور حتى يملا عليهم البيوت فيظنون انهم قد وصلوا وان ذلك من الله تعالى
وليس كما ظنوا انتهى قوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم قيل الضمير عايد
على ابليس وذريته اي لم اشاورهم في خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم بل خلقتهم على
ما اردت وقيل ما اشهدت ابليس وذريته ولا خلق انفسهم اي نفس المشركين فكيف اتخذوهم
اولياء من دوني وقيل الكناية في قوله ما اشهدتهم ترجع الى المشركين والى الناس بالجملة فتتضمن
الاية الرد على طوايف من المنجمين واهل الطبايع والمتحكمين من الاطباء وسواهم وكل من يتخرص
في هذه المسألة قال ابن عطية وسمعت ابي رحمه الله يقول سمعت الفقيه ابا عبد الله محمد بن معاذ

المهدوي

المهدوي بالمهدية يقول سمعت عبد الحق الصقلي يقول هذا القول ويتاول وهذا التاويل في هذه
الاية وانها رادة على هذه الطوايف المذكورة وعلى الكهان والعرب والمعظمين للجن حين يقولون
اعوذ بعزيز هذا الوادي اذ الجميع من هذه الفرق متعلقون بابليس وذريته فهم اضل الجميع فهم المراد
الاول بالمضلين ويندرج هذه الطوايف في معناهم قال الثعلبي وقال بعض اهل العلم ما اشهدتهم
خلق السموات والارض ردا على المنجمين ان قالوا الافلاك تحدث في الارض وفي بعضها في
بعض وقوله والارض ردا على اصحاب الهندسة حيث قالوا ان الارض كرية الافلاك تجري
تحتها والناس ملصقون عليها وتحتها ولا خلق انفسهم ردا على الطبايعيين حيث زعموا ان الطبايع
هي الفاعلة في النفوس وقرا ابو جعفر ما اشهدناهم بالنون والالف على التعظيم الباقون بالتا دليله
قوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا يقال اعتضدت بفلان اذا استعنت به وتقويت
والاصل فيه عضد اليد ثم وضع موضع العون لان اليد قوامها العضد يقال عضده وعاضده
على كذا اذا اعانه واعزه ومنه قوله سنشد عضدك باخيك اي سنعينك باخيك ولفظ العضد
على جهة المثل والله سبحانه لا يحتاج الى عون احد وخص المضلين بالذكر لزيادة الذم والتوبيخ
وقرا ابو جعفر الجحدري وما كنت بفتح التاء اي وما كنت يا محمد متخذ المضلين عضدا وفي عضد
ثمانية اوجه عضد بفتح العين وضم الضاد وهي قراءة الجمهور وهي افصحها وعضْد بفتح العين
واسكان الضاد وهي لغة بني تميم وعُضُد بضم العين والضاد وهي قراءة ابي عمرو والحسن وعَضَد
بفتح العين واسكان الضاد وهي قراءة عكرمة وعضد بكسر العين وفتح الضاد وهي قراءة الضحاك
وعضد بفتح العين والضاد وهي قراءة عيسى بن عمرو وحكى هرون القارى عضدا واللغة الثامنة
عضد على لغة من قال كتف وفخذ قوله تعالى ويوم يقول نادوا شركاي الذين زعمتم اي اذكروا
يوم يقول الله نادوا شركاي اي ادعوا الذين اشركتموهم بي فليمنعوكم من عذابي وانما يقول ذلك
لعبدة الاوثان وقرا حمزة ويحيى وعيسى ابن عمر نقول بالنون الباقون بالياء لقوله شركاي
ولم يقل شركائنا فدعوهم اي فعلوا ذلك فلم يستجيبوا لهم اي لم يجيبوهم الى نصرهم ولم يكفوا عنهم
شيئا وجعلنا بينهم موبقا قال انس بن مالك هو واد في جهنم من قيح ودم وقال ابن عباس
اي جعلنا بين المومنين والكفار حاجزا وقيل بين الاوثان وعبدتها نحو قوله فزيلنا بينهم قال
ابن الاعرابي لكل شي حاجز بين شيئين فهو موبق وذكر ابن وهب عن مجاهد في قوله موبقا
قال واد في جهنم يقال له موبق وكذلك قال نوف البكالي الا انه يحجز بينهم وبين المومنين
عكرمة هو نهر في جهنم يسيل نارا على حافتيه حيات مثل البغال الدهم فاذا نادت اليهم لتاخذهم
استغاثوا منها بالاقتحام في النار وروى يزيد بن درهم عن انس بن مالك قال موبقا واد
من قيح ودم في جهنم وقال عطا والضحاك مهلكا في جهنم ومنه يقال اوبقته ذنوبه ايباقا
وقال ابو عبيدة موعدا للهلاك الجوهري وبق يبق وبوقا هلك والموبق مثل الموعد مفعل
من وعد يعد ومنه قوله وجعلنا بينهم موبقا وفيه لغة اخرى وبق يوبق وبقا وفيه لغة
ثالثة وبق يبق بالكسر فيهما واوبقه اهلكه قال زهير ومن يشتري حسن الثنا بماله يصن عرضه عن
كل شنعا موبق قال الفراء جعل تواصلهم في الدنيا مهلكا في الاخرة قوله تعالى وراى المجرمون
النار اي اصله راي قلبت الياء الفا لانفتاحها وانفتاح ما قبلها ولهذا زعم ان راى تكتب
بالياء وتابعهم على هذا القول بعض البصريين فاما البصريون الحذاق منهم محمد بن يزيد
فانهم يكتبون بالالف قال النحاس سمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول

لايجوزان يكتب مضى ورمى وكل ماكان من ذوات الياء الا بالالف ولافرق بين ذوات الياء
وبين ذوات الواو في الخط كما انه لافرق بينهما في اللفظ ولو وجب ان يكتب ذوات اليا باليا
لوجب ان يكتب ذوات الواو بالواو وهم مع هذا يناقضون فيكتبون رمى بالياء ورماه بالالف
فان كانت العلة انه من ذوات الياء وجب ان يكتبوا رماه بالياء ثم يكتبون ضحى جمع ضحوة
وكسى جمع كسوة وكسوة وهما من ذوات الواو بالياء وهذا مما لايحصل ولايثبت على اصل
فظنوا انهم مواقعوها ظنوا هنا بمعنى اليقين والعلم كما قال فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج
اي يقنوا وقد تقدم قال ابن عباس ايقنوا انهم مواقعوها وقيل راوها من مكان بعيد
فتوهموا انهم مواقعوها وظنوا انها تاخذهم في الحال وفي الخبر ان الكافر ليرى جهنم ويظن
انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة والمواقعة ملابسة الشي وبشدة وظنوا انهم
ملابسوها اي مجتمعون فيها واللبس الجمع ولم يجدوا الاصنام مصرفا النار عن المشركين قوله تعالى
ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل يحتمل وجهين احدهما ماذكره لهم من العبر
والقرون الخالية الثاني ما اوضحه لهم من دلايل الربوبية وقد تقدم في سبحان فهو على الوجه
الاول زجرا وعلى الثاني بيانا وكان الانسان اكثر شي جدلا اي جدالا ومجادلة والمراد به النضر
بن الحرث وجداله في القران وقيل نزلت الاية في ابي بن خلف وقال الزجاج اي الكافر اكثر شي جدلا
والدليل على انه اراد الكافر قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل وروى انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال يؤتى بالرجل يوم القيمة من الكفار فيقول الله ماذا صنعت فيما ارسلت اليك
فيقول امنت بك وصدقت برسلك وعملت بكتابك فيقول الله تعالى هذه صحيفتك
ليس فيها شي من ذلك فيقول يارب اني لا اقبل ما في هذه الصحيفة فيقال له هذه الملايكة
الحفظة يشهدون عليك فيقول يارب ولا اقبلهم يارب وكيف اقبلهم ولا هم من عندي ولا
من جهتي فيقول الله تعالى هذا اللوح المحفوظ ام الكتاب قد شهد بذلك فقال يارب
الم تجرني من الظلم قال بلى فقال يارب لا اقبل الا شاهدا علي من نفسي فيقول الله تعالى
الان نبعث عليك شاهدا من نفسك فيتفكر من ذا الذي يشهد فيختم على فيه ثم تنطق
جوارحه بالشرك ثم يخلى بينه وبين الكلام فيدخل النار وان بعضه ليلعن بعضا يقول
لاعضائه لعنكن الله فعنكن كنت اناضل فتقول اعضاوه لعنك الله افتعلم ان الله
تعالى يكتم حديثا فذلك قوله وكان الانسان اكثر شي جدلا اخرجه مسلم بمعناه من
حديث انس ايضا وفي صحيح مسلم عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وهو نايم وفاطمة
فقال الا تصلون فقلت يارسول الله انما انفسنا بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا
فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ثم سمعته وهو مدبر يضرب
فخذه ويقول وكان الانسان اكثر شي جدلا قوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا
اي من ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي القران والاسلام ومحمد عليه السلام الا ان تاتيهم سنة
الاولين اي سنتنا في هلاكهم اي ما منعهم عن الايمان الا حكمي عليهم بذلك ولو حكمت عليهم
بالايمان امنوا وسنة الاولين عادة الاولين في عذاب الاستيصال وقيل المعنى ما منع
الناس ان يؤمنوا الا طلب سنة الاولين فحذف وسنة الاولين معاينة العذاب فطلب
المشركون ذلك وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية او ياتيهم العذاب قبلا
نصب على الحال ومعناه عيانا قاله ابن عباس وقال الكلبي هو السيف يوم بدر وقال

مقاتل فجاة وقرا ابو جعفر وعاصم والاعمش وحمزة والكسائي قبلا بضمتين اراد وا به اصناف العذاب
كانه جمع قبيل نحو سبيل وسبيل النحاس ومذهب الفراء ان قبلا جمع قبيل اي متفرقا يتلو بعضه
بعضا ويجوز عنده ان يكون المعنى عيانا وقال الاعرج قراته قبلا معناه جميعا وقال ابو عمرو وكانت
قراته قبلا ومعناه عيانا قوله تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين اي بالجنة لمن امن ومنذرين
اي مخوفين بالعذاب لمن كفر وقد تقدم ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق قيل نزلت
في المقتسمين كانوا يجادلون في الرسول فيقولون ساحر ومجنون وشاعر وكاهن كما تقدم ومعنى
ليدحضوا ليبطلوا ويزيلوا واصل الدحض الزلق يقال دحضت رجله اي زلقت تدحض دحضا
ودحضت الشمس عن كبد السماء زالت ودحضت حجته دحوضا بطلت وادحضها الله والادحاض
الازلاق وفي وصف الصراط ويضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون اللهم سلم سلم قيل يا
رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة اي تزلق فيه القدم قال طرفة ابا منذر رمت الوفاء
فهبته وحدت كما حاد البعير عن الدحض واتخذوا اياتي اي القران وما انذروا من الوعيد هزوا
وما بمعنى المصدر اي والانذار وقيل بمعنى الذي اي اتخذوا القران والذي انذروا به من الوعيد
هزوا ولعبا وباطلا وقد تقدم في البقرة بيانه وقيل هو قول ابي جهل في الزبد والتمر هذا هو
الزقوم وقيل هو قولهم في القران انه سحر واضغاث احلام واساطير الاولين وقالوا للرسول هل
هذا الا بشر مثلكم ولولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وما اراد الله بهذا مثلا
قوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها اي لا احد اظلم لنفسه ممن وعظ بايات
ربه فتهاون بها واعرض عن قبولها ونسي ما قدمت يداه اي ترك كفره ومعاصيه فلم يتب منها
فالنسيان هنا بمعنى الترك وقيل المعنى نسي ما قدمه لنفسه وحصل من العذاب والمعنى متقارب
على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا بسبب كفرهم اي نحن منعنا الايمان ان يدخل قلوبهم
واسماعهم وان تدعهم الى الهدى اي الى الايمان فلن يهتدوا اذا ابدا نزل في قوم معينين وهو
يرد على القدرية قولهم وقد تقدم معنى هذه الاية في سبحان وغيرها قوله تعالى وربك
الغفور للذنوب وهذا يختص به اهل الايمان دون الكفرة بدليل قوله ان الله لا يغفر ان
يشرك به ذو الرحمة فيه اربع تاويلات احدها ذو العفو الثاني ذو الثواب وهو على هذين
الوجهين مختص باهل الايمان دون الكفر الثالث ذو النعمة الرابع ذو الهدى وهو على هذين
الوجهين يعم اهل الايمان والكفر لانه ينعم في الدنيا على الكافر كانعامه على المؤمن وقد اوضح
هداه للكافر كما اوضحه للمؤمن وان اهتدى به المؤمن دون الكافر ومعنى قوله بما كسبوا اي
من الكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب ولكنه يمهل بل لهم موعد اي اجل مقدر يؤخرون اليه نظير
لكل نبا مستقر لكل اجل كتاب اي اجل لم يتاخر عنهم اما في الدنيا واما في الاخرة لن يجدوا من دونه
موئلا اي ملجا قاله ابن عباس وابن زيد وحكاه الجوهري في الصحاح وقد وال يئل والا اذا لجا
ايلجا وقال علي ما على اي طلب النجاة وقال مجاهد محرزا قتادة وليا ابو عبيدة منجى وقيل محيصا
والمعنى واحد والعرب تقول لا وألت نفسه اي لانجت نفسه ومنه قول الشاعر لا وألت
نفسك خليتها للعامريين ولم تكلم وقال الاعشى وقد احالس رب البيت غفلته وقد يحاذر
مني ثم ما يئل اي ما ينجو قوله تعالى وتلك القرى اهلكناهم تلك في موضع رفع بالابتداء القرى
نعت او بدل واهلكناهم في موضع الخبر محمول على المعنى لان المعنى اهل القرى ويجوز ان يكون
تلك في موضع نصب على من قال زيدا ضربته اي وتلك القرى التي قصصنا عليك نبأهم نحو قرى

عاد وثمود ومدين ولوط اهلكناهم لما ظلموا وكفروا وجعلنا لمهلكهم موعدا اي وقتا معلوما لم يعدة
ومهلك من اهلكوا وقرا عاصم مهلكا بفتح الميم واللام وهو مصدر هلك واجاز الكسائي والفرا
لمهلكهم بكسر اللام وفتح الميم النحاس وهو احب الي لانه من هلك الزجاج مهلك اسم للزمان والتقدير
لوقت مهلكهم كما يقال اتت الناقة على مضربها قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى
ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا
فلما جاوزا قال لفتاه لا ابرح اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ارايت اذ
اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله
في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على اثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه
رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت
رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان
شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شي حتى احدث لك
منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت
شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني
من امري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس
لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سالتك عن شي
بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما
اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت
عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا قوله واذ
قال موسى لفتاه لا ابرح الاية فيه اربع مسائل الاولى واذ قال موسى لفتاه لا ابرح الجمهور
من العلماء واهل التاريخ انه موسى بن عمران المذكور في القران ليس فيه موسى غيره وقالت
فرقة منهم نوف البكالي انه ليس ابن عمران وانما هو موسى بن ميشى بن يوسف بن يعقوب و
كان نبيا قبل موسى بن عمران وقد رد هذا القول ابن عباس في صحيح البخاري وغيره وفتاه
هو يوشع بن نون وقد مضى ذكره في المائدة واخر يوسف ومن قال هو ابن منشى فليس الفتى
يوشع بن نون لا ابرح اي لا ازال اسير قال الشاعر وابرح ما ادام الله قومي بحمد الله
منتطقا مجيدا وقيل لا ابرح لا افارقك حتى ابلغ مجمع البحرين اي ملتقاهما قال قتادة
هو بحر فارس والروم وقاله مجاهد قال ابن عطية وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال
الى جنوب في ارض فارس من وراء اذربيجان فالركن الذي لاجتماع البحرين مما يلي بر الشام
هو مجمع البحرين على هذين القولين وقيل انهما بحر الاردن وبحر القلزم وقيل مجمع البحرين
عند طنجة قال محمد بن كعب وروي عن ابي بن كعب انه قال افريقية وقال السدي هو الكر و
الرس بارمينية وقال بعض اهل العلم هو بحر الاندلس من البحر المحيط حكاه النقاش وهذا
مما يذكر كثيرا وقالت فرقة انما هما موسى والخضر وهذا قول ضعيف وحكي عن ابن عباس ولا يصح
فان الامر بين من الاحاديث انه انما وسم له بحر ماء وسبب هذه القصة ما خرج الصحيحان
عن ابي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى قام خطيبا في بني
اسرائيل اي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لي عبدا
بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب كيف لي به قال تاخذ معك حوتا فتجعله في

مكتل

مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم وذكر هذا الحديث واللفظ للبخاري وقال ابن عباس لما ظهر
موسى وقومه على ارض مصر انزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار امره ان يذكرهم بايام
الله فخطب قومه فذكرهم ما اتاهم من الخير والنعمة اذ نجاهم من ال فرعون واهلك عدوهم
واستخلفهم في الارض ثم قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه والقى علي محبة منه واتاكم
من كل ما سالتموه فجعلكم افضل اهل الارض ورزقكم العز بعد الذل والغنى بعد الفقر والتوراة
بعد ان كنتم جهالا فقال له رجل من بني اسرائيل عرفنا الذي تقول فهل على وجه الارض اعلم
منك يا نبي الله قال لا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم اليه فبعث اليه جبريل ان يا موسى
وما يدريك اين علمي بل ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك اي باحكام وقايع مفصلة وحكم نوازل
معينة لا مطلقا بدليل قول الخضر لموسى انك على علم علمكه الله لا اعلمه انا وانا على علم علمنيه لا تعلمه
انت وعلى هذا فيصدق على كل واحد منهما انه اعلم من الاخر بالنسبة الى ما يعلمه كل واحد منهما
ولا يعلمه الاخر فلما سمع موسى هذا تشوشت نفسه الفاضلة وهمته العالية لتحصيل علم ما لم
يعلم وللقاء من قيل فيه انه اعلم فعزم فسال سوال الذليل فكيف السبيل فامر بالارتحال على كل
حال وقيل له احمل معك حوتا مالحا في مكتل وهو الزنبيل فحيث يحيى وتفقده فثم السبيل فانطلق
مع فتاه لما واتاه مجتهدا طلبا قايلا لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا بضم الحاء و
القاف وهو الدهر والجمع احقاب وقد تسكن القاف فيقال حقب وهو ثمانون سنة ويقال اكثر
من ذلك والجمع حقاب والحقبة بكسر الحاء واحدة الحقب وهو السنون الثانية في هذا من
الفقه رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب
واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وان بعدت اقطارهم وذلك كان داب السلف الصالح وبسبب
ذلك وصل المرتحلون الى الحظ الراجح وحصلوا على السعي الناجح فرسخت لهم في العلوم
اقدام وحصل لهم في الذكر والاجر افضل الاقسام قال البخاري ورحل جابر بن عبد الله مسيرة
شهر الى عبد الله بن انيس في حديث واحد الثالثة قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه للعلماء
فيه ثلاثة اقوال احدها انه كان معه يخدمه والفتى في كلام العرب الشاب ولما كان الخدم
اكثر ما يكونون شبابا قيل للخادم فتى على جهة حسن الادب وندبت الشريعة الى ذلك في قول
النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي ولا امتي وليقل فتاي فهذا ندب الى التواضع وقد
تقدم هذا في يوسف وقيل انما سمي فتى موسى لانه لزمه ليتعلم منه وان كان حرا وهذا معنى
الاول وقيل انما سماه فتى لانه قام مقام الفتى وهو العبد قال الله تعالى وقال لفتيته
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم وقال تراود فتاها عن نفسه قال ابن العربي وظاهر القران
يقتضي انه عبد وفي الحديث انه كان يوشع بن نون وفي التفسير انه ابن اخته وهذا كله مما
لا يقطع به فالتوقف فيه اسلم الرابعة قوله تعالى وامضي حقبا قال ابن عمر والحقب
ثمانون سنة مجاهد سبعون خريفا قتادة زمان الذي يعرفه اهل اللغة ان الحقب والحقبة
زمان من الدهر مبهم غير محدود كما ان رهطا وقرنا مبهم غير محدود وجمعه احقاب قوله تعالى
فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا الضمير في بينهما للبحرين قاله
مجاهد والسرب المسلك قاله مجاهد وقال قتادة جمد الماء فصار كالسرب وجمهور
المفسرين ان الحوت بقي موضع سلوكه فارغا وان موسى مشى عليه متبعا للحوت حتى افضى به
الطريق الى جزيرة في البحر وفيها وجد الخضر وظاهر الروايات والكتاب انه انما وجد

الخضر في صفة البحر وقوله نسيا حوتهما وانما كان النسيان من الفتى وحده فقيل المعنى نسي ان
يعلم موسى بما راى من حاله فنسب النسيان اليهما للصحبة كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
وانما يخرج من الملح وقوله يامعشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وانما الرسل من الانس لا من
الجن وفي البخاري فقال لفتاه لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت قال ما كلفت
كثيرا فذلك قوله واذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون ليست عن سعيد قال فبينا هو في ظل
صخرة في مكان ثريان اذ تضرب الحوت وموسى نايم فقال فتاه لا اوقظه حتى اذا استيقظ نسي
ان يخبره وتضرب الحوت حتى دخل البحر فامسك الله عنه جرية البحر كان اثره في حجر قال لي عمرو
وهكذا كان اثره في حجر وحلق بين ابهاميه واللتين تليانهما وفي رواية وامسك الله عن الحوت
جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية
يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا
نصبا ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امر الله به فقال له فتاه ارايت اذ
اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وقيل ان النسيان
كان منهما لقوله فنسيا فنسب النسيان اليهما وذلك ان بدء حمل الحوت كان من موسى لانه الذي
امر به فلما مضيا كان فتاه هو الحامل له حتى اويا الى الصخرة نزلا فلما جاوزا بقي الحوت هناك
منسيا اي متروكا فلما سال موسى الغداء نسب الفتى النسيان الى نفسه عند المخاطبة وانما ذكر
الله نسيانهما عند بلوغ مجمع البحرين وهو الصخرة فقد كان موسى شريكا في النسيان لان النسيان
التاخير من ذلك قولهم في الدعاء انسا الله في اجلك فلما مضيا من الصخرة اخرا حوتهما عن حمله
فلم يحمله واحد منهما فجاز ان ينسب اليهما لانهما مضيا وتركا الحوت قوله تعالى اتنا غداءنا فيه
مسئلة واحدة وهو اتخاذ الزاد في الاسفار وهو رد على الصوفية والجهلة الاغمار الذين يقتحمون
المهامه والقفار زعما منهم ان ذلك هو التوكل على الواحد القهار هذا موسى نبي الله وكليمه
من اهل الارض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه وتوكله على رب العباد وفي صحيح البخاري ان
ناسا من اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فاذا قدموا سالوا
الناس فانزل الله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وقد مضى هذا في البقرة واختلف
في زاد موسى ما كان فقال ابن عباس كان حوتا مملوحا في زنبيل وكانا يصيبان منه غداء
وعشاء فلما انتهيا الى الصخرة على ساحل البحر وضع فتاه المكتل فاصاب الحوت جرف البحر فتحرك
الحوت في المكتل فقلب المكتل وانسرب الحوت ونسي الفتى ان يذكر قصة الحوت لموسى وقيل انما
كان الحوت دليلا على موضع الخضر لقوله في الحديث احمل معك حوتا في مكتل فحيث تفقد
الحوت فهو ثم وعلى هذا فيكونا تزودا شيئا غير الحوت وهذا ذكره شيخنا الامام ابو العباس
واختاره قال ابن عطية قال ابي رضي الله عنه سمعت ابا الفضل الجوهري يقول في وعظه
مشى موسى الى المناجاة فبقي اربعين يوما لم يحتج الى طعام ولما مشى الى بشر لحقه الجوع في بعض
يوم وقوله نصبا اي تعبا والنصب التعب والمشقة وقيل عني به هنا الجوع وفي هذا دليل على
جواز الاخبار بما يجده الانسان من الالام والامراض وان لا يقدح في الرضى ولا في التسليم للقضا
لكن اذا لم يصدر ذلك عن ضجر ولا تسخط وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره ان مع الفعل
في تاويل المصدر وهو منصوب بدل الاشتمال من الضمير في انسانيه وهو بدل الظاهر من المضمر
اي وما انساني ذكره الا الشيطان وفي مصحف عبد الله وما انسانيه ان اذكره الا الشيطان

وهذا

وهذا انما ذكره يوشع في معرض الاعتذار لقول موسى لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت
فقال ما كلفت كبيرا فاعتذر بذلك لقول قوله تعالى واتخذ سبيله في البحر عجبا يحتمل ان يكون
من قول يوشع لموسى اي اتخذ الحوت سبيله عجبا للناس ويحتمل ان قوله واتخذ سبيله في البحر تمام
الخبر ثم استانف التعجب فقال من قبل نفسه عجبا لهذا الامر وموضع العجب ان يكون حوت قد
مات يوكل شقه الايسر ثم حيي بعد ذلك فقال ابو شجاع في كتاب الطبري رايته اتيت به فاذا
هو شقة حوت وعين واحدة وشق اخر ليس فيه شي عليه قشرة دقيقة ليست تحته شوكة ويحتمل
ان يكون قوله واتخذ سبيله اخبارا من الله تعالى وذلك على وجهين اما ان يخبر عن موسى
انه اتخذ سبيل الحوت من البحر عجبا اي تعجب منه واما ان يخبر عن الحوت انه اتخذ سبيله
عجبا للناس ومن عجيب ما روي في البخاري عن ابن عباس من قصص هذه الاية ان الحوت
انما حيي لانه مسه ماء عين هناك تدعى عين الحياة ما مست قط شيئا الا حيي وفي التفسير ان العلامة
كانت ان يحيى الحوت فقيل لما نزل موسى بعد ما اجهده السفر على صخرة الى جنبها ماء الحياة
اصاب الحوت شي من ذلك الماء فحيي وقال الترمذي في حديثه قال سفيان تزعم ناس ان
تلك الصخرة عندها عين الحياة ولا يصيب ماؤها ميتا الا عاش قال فكان الحوت قد اكل
منه فلما قطر عليه الماء عاش وذكر صاحب كتاب العروس ان موسى توضا من عين الحياة
فقطرت من لحيته على الحوت قطرة فحيي والله اعلم قوله تعالى ذلك ما كنا نبغ اي قال موسى
لفتاه امر الحوت وفقده هو الذي كنا نطلب فان الرجل الذي جئنا له ثم فرجعا يقصان
اثارهما لئلا يخطئا طريقهما في البخاري فوجدا خضرا على طنفسة خضراء على كبد البحر مسجى
ثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت راسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه
وقال هل بارضي من سلام من انت قال موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم قال فما شانك
قال جئت لتعلمني مما علمت رشدا الحديث وقال الثعلبي في كتاب العرايس ان موسى وفتاه
وجدا الخضر وهو نايم على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب اخضر فسلم عليه
موسى فقال اني بارضنا السلام ثم رفع راسه واستوى جالسا وقال وعليك السلام يا نبي
بني اسرائيل فقال له موسى وما ادراك بي ومن اخبرك اني نبي بني اسرائيل قال الذي
ادراك بي ودلك علي ثم قال لموسى لقد كان لك في بني اسرائيل شغل قال موسى ان
ربي ارسلني اليك لاتبعك واعلم من علمك ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها
من الماء وذكر الحديث على ما ياتي قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا العبد هو الخضر عليه
السلام في قول الجمهور بمقتضى الاحاديث الثابتة وخالف من لا يعتد بقوله فقال ليس
صاحب موسى بالخضر بل هو عالم اخر وحكى ايضا هذا القول القشيري قال وقال قوم هو
عبد صالح والصحيح انه كان الخضر بذلك ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد
سمي الخضر لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروى الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء هذا
حديث صحيح غريب الفروة هنا وجه الارض قاله الخطابي وغيره والخضر نبي عند الجمهور
وقيل هو عبد صالح غير نبي والاية تشهد بنبوته لان بواطن افعاله هل كانت الا بوحي و
ايضا فان الانسان لا يتعلم ولا يتبع الا من فوقه وليس يجوز ان يكون فوق النبي من ليس بنبي
وقيل كان ملكا امر الله تعالى موسى ان ياخذ عنه مما حمله من علم الباطن والاول

الصحيح والله اعلم قوله تعالى اتيناه رحمة من عندنا الرحمة فى هذه الاية النبوة وقيل النعمة وعلمناه
من لدنا علما اي علم الغيب ابن عطية كان علم الخضر معرفة مواطن قد اوحيت اليه لا تعطى
ظواهر الاحكام افعالهم بحسبها وكان علم موسى علم الاحكام والفتيا بظاهر اقوال الناس وافعالهم
قوله تعالى قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا فيه مسئلتان الاولى قوله قال
له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا هذا سؤال الملاطف المخاطب المستنزل
المبالغ فى حسن الادب المعنى هل يتفق لك او يخف عليك وهذا كما فى الحديث هل تستطيع ان
تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا وعلى بعض التاويلات يجي كذلك هل
يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء حسب ما تقدم بيانه الثانية فى هذه
الاية دليل على ان المتعلم تبع للعالم وان تفاوتت المراتب ولا يظن ان تعلم موسى من الخضر ما
يدل على ان الخضر كان افضل فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول والفضل لمن علمه الله
والخضر ان كان وليا فموسى افضل منه لانه نبي والنبي افضل من الولي وان كان نبيا فموسى
فضله بالرسالة والله اعلم ورشدا مفعول ثانى بتعلمني قال له الخضر انك لن تستطيع معي
صبرا اي انك يا موسى لا تطيق ان تصبر على ما تراه من علمي لان الظواهر التي هي علمك لا تعطيه وكيف تصبر على
ما تراه خطا ولم تخبر بوجه الحكمة فيه ولا طريق الصواب وهو معنى قوله وكيف تصبر على
ما لم تحط به خبرا والانبياء لا يصبرون على منكر ولا يجوز لهم التقرير اي لا يسعك السكوت
جريا على عادتك وحكمك والنصب خبره على التمييز المنقول عن الفاعل وقيل على المصدر الملاقي
فى المعنى لان قوله لم تحط معناه لم تخبره خبرا واليه اشار مجاهد والخبير بالامور هو العالم
بخفاياها وبما يختبر منها قوله تعالى ستجدني ان شاء الله صابرا اي سا صبر بمشيئة الله ولا
اعصي لك امرا اي قد الزمت نفسي طاعتك واختلف فى الاستثناء هل يشمل قوله ولا اعصي
لك امرا ام لا فقيل يشمله كقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقيل استثنى فى الصبر
فصبر ولم يستثن فى قوله ولا اعصي لك امرا فاعترض وسال قال علماؤنا انما كان ذلك منه
لان الصبر امر مستقبل ولا يدرى كيف يكون حاله فيه ونفي المعصية معزوم عليه حاصل
فالاستثناء فيه ينافي العزم عليه ويمكن ان يفرق بينهما بان الصبر ليس مكتسبا لنا بخلاف
فعل المعصية وتركها فان ذلك كله مكتسب والله اعلم قوله تعالى فان اتبعتني فلا تسالني
عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا اي حتى اكون انا الذى افسره لك وهذا من الخضر تاديب
وارشاد لما يقتضي دوام الصحبة فلو صبر وداب لراى العجب لكنه اكثر من الاعتراض فتعين الفراق
والاعراض قوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها فيه مسئلتان الاولى فى
صحيح البخارى ومسلم فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا
الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا فى السفينة لم يفجا الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة
بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت
شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري
عسرا قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور
فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص
هذا العصفور من هذا البحر قال علماؤنا حرف السفينة طرفها وحرف كل شيء طرفه وهو اعلاه
المحدد والعلم هنا بمعنى المعلوم كما قال ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء اي من معلوماته

وهذا من الخضر تمثيل اي معلوماتي ومعلوماتك فى علم الله لا اثر لها كما ان ما اخذ هذا العصفور من
هذا البحر لا اثر له بالنسبة الى ماء البحر وانما مثل لذلك بالبحر لانه اكثر ما يشاهده مما بين ايدينا
واطلاق لفظ النقص هنا تجوز قصد به التمثيل والتفهيم اذ لا نقص فى علم الله ولا نهاية لمعلوماته
وقد اوضح هذا المعنى البخارى فقال والله ما علمي وما علمك فى جنب علم الله الا كما اخذ هذا الطائر
بمنقاره من البحر وفى التفسير عن ابي العالية لم ير الخضر حين خرق السفينة غير موسى وكان عبدا
لا يراه الا عين من اراد الله ان يريه ولو رآه القوم لمنعوه من خرق السفينة وقيل خرج اهل
السفينة الى جزيرة وتخلف الخضر فخرق السفينة وقال ابن عباس لما خرق الخضر السفينة تنحى
موسى ناحية وقال فى نفسه ما كنت اصنع بمصاحبة هذا الرجل كنت فى بني اسرائيل اتلو كتاب
الله عليهم غدوة وعشية فيطيعوني قال له الخضر يا موسى اتريد ان اخبرك بما حدثت به
نفسك قال نعم قال كذا وكذا قال صدقت ذكره الثعلبي فى كتاب العرائس الثانية فى خرق
السفينة دليل على ان للولي ان ينقص مال اليتيم اذا راه صلاحا مثل ان يراه على ربعه ظالما
فيخرب بعضه وقال ابو يوسف يجوز للولي ان يصالح السلطان ببعض مال اليتيم على بعض وقرا
حمزة والكسائي ليغرق اهلها بالرفع فاعل يغرق باللام على قراءة الجماعة فى لتغرق لام المال ليكون
مثل لهم عدوا وحزنا وعلى قراءة حمزة لام كي ولم يقل لتغرقني لان الذى غلب عليه فى الحال
فرط الشفقة عليهم ومراعاة حقهم وامرا معناه عجبا قاله القتبي وقيل منكرا قاله مجاهد
وقال ابو عبيدة الامر الداهية العظيمة وانشد لقد لقي الاقران مني نكرا داهية دهياء ادا
امرا وقال الاخفش امر امره يامر اذا اشتد والاسم الامر قوله تعالى لا تواخذني بما نسيت فى
معناه قولان يروى عن ابن عباس ان هذا من معاريض الكلام والاخر انه نسي فاعتذر ففيه
ما يدل على ان النسيان لا يقتضي المواخذة وانه لا يدخل تحت التكليف ولا يتعلق به حكم
طلاق ولا غيره وقد تقدم ولو نسي فى الثانية لاعتذر قوله تعالى فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما
فقتله فى البخارى قال يعلى قال سعيد وجد غلمانا يلعبون فاخذ غلاما كافرا فاضجعه ثم ذبحه
بالسكين قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لم يعمل بالحنث وفى الصحيحين وصحيح الترمذى
ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان
فاخذ الخضر براسه بيده فاقتلعه فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد
جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه اشد من الاولى
قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا لفظ البخارى
وفى التفسير ان الخضر مر بغلمان يلعبون فاخذ بيده غلاما ليس فيهم اضوء منه واخذ حجرا فضرب
به راسه حتى دمغه فقتله قال ابو العالية لم يره الا موسى ولو راوه لحالوا بينه وبين
الغلام قلت ولا اختلاف بين هذه الاحوال الثلاثة فانه يحتمل ان يكون دمغه اولا
بالحجر ثم اضجعه فذبحه ثم اقتلع راسه والله اعلم بما كان من ذلك وحسبك بما فى الصحيح
وقرا الجمهور زاكية بالف وقرا الكوفيون وابن عامر زكية بغير الف وتشديد الياء قيل المعنى
واحد قاله الكسائي وقال ثعلب الزكية ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية
التي اذنبت ثم تابت قوله تعالى غلاما اختلف العلماء فى الغلام هل كان بالغا ام لا فقال
الكلبي كان بالغا يقطع الطريق بين قريتين وابوه من عظماء احدى القريتين وامه من
عظماء القرية الاخرى فاخذه الخضر فصرعه ونزع راسه من جسده قال الكلبي واسم

الغلام شمعون وقال الضحاك حشود وقال وهب اسم ابيه سلاس واسم امه رُحمى وحكى السهيلي ان اسم
ابيه كان يري واسم امه سهوى وقال الجمهور لم يكن بالغا ولذلك قال موسى زاكية لم تذنب
وهو الذي يقتضيه لفظ الغلام فان الغلام في الرجال يقال على من لم يبلغ وتقابله الجارية في
النساء وكان للخضر قتله لما علم من سره وانه طبع كافرا كما في صحيح الحديث وانه لو ادرك ابويه
لارهقهما كفرا وقتل الصغير غير مستحيل اذا اذن الله في ذلك فان الله تعالى هو الفعال لما
يريد القادر على ما يشاء وفي كتاب العرايس ان موسى لما قال للخضر اقتلت نفسا زكية الاية غضب
الخضر واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه واذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله ابدا
وقد احتج اهل القول الاول بان العرب تبقي على الشاب اسم الغلام ومنه قول ليلى الاخيلية شفاها
من الداء العضال الذي بها غلام اذا هز القناة شفاها وقال صفوان لحسان تلقَّ ذباب
السيف عني فانني غلام اذا هوجيت لست بشاعر وفي الخبر ان هذا الغلام كان يفسد في الارض
ويقسم لابويه انه ما فعل فيقسمان على قسمه ويحميانه ممن يطلبه قالوا وقوله بغير نفس يقتضي
انه لو كان عن قتل نفس لم يكن به باس وهذا يدل على كبر الغلام والا فلو كان لم يحتلم لم يجب
قتله بنفس وانما جاز قتله لانه كان بالغا عاصيا قال ابن عباس كان شابا يقطع الطريق
وذهب ابن جبير الى انه ابلغ من التكليف لقراءة ابن عباس واما الغلام فكان كافرا وكان
ابواه مؤمنين والكفر والايمان من صفات المكلفين ولا يطلق على غير مكلف الا بحكم التبعية
لابويه وابوا الغلام كانا مؤمنين بالنص فلا يصدق عليه اسم الكافر الا بالبلوغ فتعين
ان يضاف اليه والغلام من الاغتلام وهو شدة الشبق قوله تعالى نكرا اختلف الناس
ايما ابلغ امرا او قوله نكرا فقالت فرقة هذا قتل بين وهناك مترقب فنكرا ابلغ وقالت فرقة
هذا قتل واحد وذاك قتل جماعة فامرا ابلغ قال ابن عطية وعندي انهما لمعنيين وقوله امرا افظع
واهول من حيث هو متوقع عظيم ونكرا بين في الفساد لان مكروهه قد وقع وهذا بين
قوله قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني شرط وهو لازم والمسلمون عند شروطهم
واحق الشروط ان يوفى بها ما التزمه الانبياء والتزم للانبياء وقوله قد بلغت من لدني
عذرا يدل على قيام الاعذار بالمرة الواحدة مطلقا وقيام الحجة من المرة الثانية بالقطع
قاله ابن العربي وابن عطية ويشبه ان تكون هذه القصة ايضا اصلا للاجال في الاحكام
التي هي ثلاثة وايام التلوم فتامله انتهى قوله تعالى فلا تصاحبني كذا قرا الجمهور اي تتابعني
وقرا الاعرج تَصحبني بفتح التاء والباء وتشديد النون وقرئ تُصحبني اي تتبعني وقرا يعقوب تُصحِبني
بضم التاء وكسر الحاء ورواها سهل عن ابي عمرو وقال الكسائي معناه فلا تتركني اصحبك قد بلغت
من لدني عذرا اي بلغت مبلغا تعذر به في ترك مصاحبتي وقرا الجمهور من لدني بضم
الدال الا ان نافعا وعاصم خففا النون فهي لدن اتصل بها ياء المتكلم التي في غلامي وفرسي
وكسر ما قبل الياء كما كسر في هذه الاية وقرا ابو بكر عن عاصم لدني بفتح اللام وسكون الدال
قال ابن مجاهد وهي غلط قال ابو علي هذا التغليط يشبه ان يكون من جهة الرواية فاما
على قياس العربية فهي صحيحة وقرا الجمهور عذرا وقرا عيسى عذرا بضم الذال وحكى الداني ان
ابيا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عذري بكسر الراء وياء بعدها مسئلة اسند الطبري
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لاحد بدا بنفسه قال يوما رحمة الله علينا وعلى
موسى لو صبر على صاحبه لراى العجب ولكنه قال فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا والذي

في صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى لولا انه عجل لراى العجب ولكنه
اخذته من صاحبه ذمامة فاوصبر لراى العجب قال وكان اذا ذكر احدا من الانبياء بدا بنفسه رحمة الله
علينا وعلى اخي كذا وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله موسى لوددنا انه صبر حتى يقص علينا
من امرهما الذمامة بالذال المعجمة المفتوحة وهو بمعنى الذمة بفتح الذال وكسرها وهي الرقة والعار من
ترك الحرمة يقال اخذتني منه مذمة ومذمة وذمامة وكانه استحى من تكرار مخالفته ومما صدر
عنه من تغليظ الانكار قوله تعالى فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية الى قوله صبرا فيه ثلاثة عشر
مسئلة الاولى قوله حتى اذا اتيا اهل قرية في صحيح مسلم عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم لياما
قطاطا في المجالس فاستطعما اهلها فلم يضيفونا ولم يطعمونا لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق
بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله
موسى وددت انه كان صبر حتى يقص علينا من اخبارهما الثانية واختلف العلماء في القرية
فقيل هي ايلة قاله قتادة وكذلك قال محمد بن سيرين وهي ابخل قرية وابعدها من السماء وقيل
انطاكية وقيل بجزيرة الاندلس وروي ذلك عن ابي هريرة وغيره ويذكر انها الجزيرة الخضراء
وقالت فرقة هي ابو جوزان وهي بناحية اذربيجان وحكى السهيلي انها قرية وقال الثعلبي هي قرية
من قرى الروم يقال لها ناصرة واليها تنسب النصارى وهذا كله بحسب الخلاف في اي ناحية
من الارض كانت قصة موسى والله اعلم بحقيقة ذلك الثالثة كان موسى عليه السلام حين
سقى لبنت شعيب احوج منه حين اتى القرية من الخضر ولم يسئل قوتا بل استقى ابتدا وفي القرية
سال القوت وفي ذلك للعلماء انفصالات كثيرة منها ان موسى كان في حديث مدين منفردا
وفي قصة الخضر متبعا لغيره قلت وعلى هذا المعنى يمشي قوله في اول الاية لفتاه اتنا غدانا
لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فاصابه الجوع مراعاة لصاحبه يوشع والله اعلم وقيل لما
كان هذا سفر تاديب وكل الى تكليف المشقة وكان ذلك سفر هجرة فوكل الى العون والنصرة
والقوة الرابعة في هذه الاية دليل على سؤال القوت وان من جاع وجب عليه ان يطلب
ما يرد جوعته خلافا لجهال المتصوفة والاستطعام سؤال الطعام والمراد به هنا سؤال الضيافة
بدليل قوله فابوا ان يضيفوهما فاستحق اهل القرية لذلك ان يذموا وينسبوا الى اللوم والبخل كما
وصفهم نبينا صلى الله عليه وسلم قال قتادة في هذه الاية شر القرى التي لا تضيف ولا تعرف لابن
السبيل حقه ولا يظهر من ذلك ان الضيافة كانت عليهم واجبة وان الخضر وموسى انما سالا
ما يجب لهما من الضيافة وهذا هو الاليق بحال الانبياء ومنصب الاولياء والفضلاء وقد تقدم
القول في الضيافة في هود والحمد لله ويعفو الله عن الحريري حيث تسخف في هذه الاية و
تمجن واتى بخطل من القول وزل فاستدل بها على الكدية والالحاح فيها وان ذلك ليس
بمعيب على فاعله ولا منقصة فقال فان رددت فما في الرد منقصة على قد رد موسى والخضر قبلي
وهذا لعب بالدين وانسلال عن احترام النبيين وهي شنشنة ادبية وهفوة سخافية ويرحم
الله السلف الصالح فلقد بالغوا في وصية كل ذي عقل راجح فقالوا مهما كنت لاعبا بشيء فاياك
ان تلعب بدينك الخامسة قوله تعالى جدارا الجدار والجدر بمعنى وفي الخبر حتى يبلغ الماء
الجدر ومكان جدير اي يبني حواليه جدار واصله الرفع واجدرت الشجرة طلعت ومنه
الجدري السادسة قوله تعالى جدارا يريد ان ينقض اي قرب ان يسقط وهذا مجاز
وتوسع وقد فسر في الحديث بقوله مائل فكان فيه دليل على وجود المجاز في القران وهو مذهب

الجمهور وجميع الافعال التي حقها ان تكون للحي الناطق متى اسندت الى جماد او بهيمة فانما هي استعارة
اي لو كان مكانهما انسان لكان ممتثلا لذلك الفعل وهذا في كلام العرب واشعارها كثير فمن ذلك
قول الاعشى اتنتهون ولا ينهى ذوي شطط كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل فاضاف النهي
الى الطعن ومن ذلك قول الاخر يريد الرمح صدر ابي براء ويرغب عن دماء بني عقيل قال الاخر
ان دهرا يلم شملي بسلمى لزمان يهم بالاحسان قال الاخر فيهمه بلغت به هاماتنا فلق الفؤوس
اذا اردن نصولا اي ثبوتا في الارض من قولهم نصل السيف اذا اثبت في الرمية فيشبه وقع السيوف
على رؤسهم بوقع الفؤوس في الارض فان الفاس يقع فيها ويثبت لا يكاد يخرج وقال حسان
لو ان اللوم ينسب كان عبدا قبيح الوجه اعور من ثقيف وقال عنترة فازور من وقع القنا
بلبانه وشكى الي بعبرة وتحمحم وقد فسر هذا المعنى بقوله لو كان يدري ما المحاورة اشتكى
وهذا في المعنى كثير جدا ومنه قول الناس داري تنظر الى دار فلان وفي الحديث اشتكت النار
الى ربها وذهب قوم الى منع المجاز في القران منهم ابو اسحاق الاسفرايني وابو بكر داود الاصفهاني
وغيرهما وان كلام الله عز وجل وكلام رسوله حمله على الحقيقة اولى بذي الدين والفضل لانه
يقص الحق كما اخبر به تعالى في كتابه ومما احتجوا به ان قالوا لو خاطبنا الله بالمجاز لزمه
وصفه انه متجوز ايضا فان العدول من الحقيقة الى المجاز يقتضي العجز عن الحقيقة وهو
على الله محال قال الله تعالى اليوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقال وتقول
هل من مزيد وقال اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال تدعوا من
ادبر وتولى واشتكت النار الى ربها واحتجت النار والجنة وما كان مثله حقيقة وان
خالقها انطقها الذي انطق كل شيء وفي صحيح مسلم من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
وفيه فيختم على فيه ويقال لفخذه انطق فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك
ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخط الله عليه هذا في الاخرة واما في
الدنيا ففي الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك
نعله ويخبره فخذه بما احدث اهله بعده وفي الباب عن ابي هريرة وهذا حديث صحيح
غريب التاسعة فاقامه هدمه ثم قعد يبنيه فقال موسى للخضر لو شئت لاتخذت
عليه اجرا وذكر ابو بكر الانباري عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قرا فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فهدمه ثم قعد يبنيه قال ابو بكر وهذا
الحديث ان صح سنده فهو جار من الرسول عليه الصلاة والسلام مجرى التفسير للقران وان بعض
الناقلين ادخل قرانا في موضع فسره ان ذلك قران وهذا القول هو الصحيح وهو الاشبه بافعال
الانبياء عليهم السلام بل و الاولياء وفي بعض الاخبار ان سمك ذلك الحايط كان ثلاثين
ذراعا بذراع ذلك القرن وطوله على وجه الارض وعرضه خمسون ذراعا فاقامه الخضر
اي سواه بيده فاستقام قال الثعلبي في كتاب العرايس فقال موسى للخضر لو شئت لاتخذت
عليه اجرا اي طعاما ناكله ففي هذا دليل على كرامات الاولياء وكذلك ما وصف من
احوال الخضر في هذا الباب كلها امور خارقة للعادات هذا اذا نزلنا على انه ولي لا نبي
قوله تعالى وما فعلته عن امري يدل على نبوته وانه يوحى اليه بالتكليف والاحكام
كما اوحي الى الانبياء غير انه ليس برسول والله اعلم الثامنة واجب على الانسان ان لا

يتعرض للجلوس تحت جدار مايل يخاف سقوطه بل يسرع في المشي اذا كان مارا عليه لان في حديث
النبي صلى الله عليه وسلم اذا مر احدكم بطربال مايل فليسرع المشي قال ابو عبيد القاسم ابن سلام
كان ابو عبيدة يقول الطربال شبيه بالمنظر من مناظر العجم كهيئة الصومعة والبناء المرتفع
قال جرير الوى بها شذب العروق مشذب فكانما وكنت على طربال يقال منه وكن يكن
اذا جلس وفي الصحاح الطربال القطعة العالية من الجدار والصخرة العظيمة المشرفة من الجبل
وطرابيل الشام صوامعها ويقال طربل بوله اذا مده الى فوق التاسعة كرامات الاولياء
ثابتة على ما دلت عليه الاخبار الثابتة والايات المتواترة ولا ينكرها الا مبتدع جاحد او
فاسق حايد فالايات ما اخبر الله عز وجل في حق مريم من ظهور الفواكه الشتوية والصيفية
في الشتاء على ما تقدم وما ظهر على يدها حيث امرت النخلة وكانت يابسة فاثمرت وهي ليست
بنبية على الخلاف ويدل عليها ما ظهر على يد الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة
الجدار قال بعض العلماء ولا يجوز ان يقال كان نبيا لان اثبات النبوة لا يجوز باخبار الاحاد
لا سيما وقد روي من طريق التواتر من غير ان يحتمل تاويلا باجماع الامة قوله عليه الصلاة والسلام لا نبي
بعدي قال تعالى وخاتم النبيين والخضر والياس جميعا باقيين مع هذه الكرامة فوجب
ان يكونا غير نبيين لانهما لو كانا نبيين لوجب ان يكون بعد نبينا عليه الصلاة والسلام
نبيا الا ما قامت الدلالة في حديث عيسى انه ينزل بعده قلت والجمهور ان الخضر
كان نبيا على ما تقدم وليس بعد نبينا نبي اي يدعي النبوة بعده ابتداء والله اعلم العاشرة
اختلف الناس هل يجوز ان يعلم الولي انه ولي ام لا على قولين احدهما انه لا يجوز وان
ما ظهر على يديه يجب ان لا يلاحظه بعين خوف المكر لانه لا يامن ان يكون مكرا و
استدراجا له وقد حكي عن السري انه كان يقول لو ان رجلا دخل بستانا فكلمه من راس
كل شجرة طير بلسان فصيح السلام عليك يا ولي الله فلو لم يخف ان يكون ذلك مكرا
لكان ممكورا به ولانه لو علم انه ولي لزال عنه الخوف وحصل له الامن ومن شرط الولي
ان يستديم الخوف الى ان تتنزل عليه الملائكة كما قال عز وجل تتنزل عليهم الملائكة الا
تخافوا ولا تحزنوا ولان الولي من كان مختوما له بالسعادة والعواقب مستورة ولا
يدري احد ما يختم له به ولهذا قال عليه السلام انما الاعمال بالخواتيم القول الثاني انه
يجوز للولي ان يعلم انه ولي الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم يجوز ان يعلم انه ولي ولا
خلاف انه يجوز لغيره ان يعرف انه ولي الله فجاز له ان يعلم ذلك وقد اخبر النبي صلى
الله عليه وسلم من حال العشرة من اصحابه انهم من اهل الجنة ثم لم يكن في ذلك زوال الخوف
بل كانوا اكثر تعظيما لله سبحانه واشد خوفا وهيبة فاذا جاز للعشرة ذلك ولم يخرجهم
عن الخوف فكذلك غيرهم وكان الشبلي يقول انا امان هذا الجانب فلما مات ودفن
عبر الديلم دجلة ذلك اليوم واستولوا على بغداد وصار يقول الناس مصيبتان موت
الشبلي وعبور الديلم ولا يقال انه يحتمل ان يكون ذلك استدراجا فلما لم يجز ذلك
لان فيه ابطال المعجزات لم يجز هذا لان فيه ابطال الكرامات وما روي من ظهور الكرامات
على يدي بلعام وانسلاخه عن الدين بعدها بقوله فانسلخ منها فليس في الاية انه كان
وليا ثم انسلخ عن الولاية وما نقل انه ظهر على يده ما يجري مجرى الكرامات هو
اخبار احاد لا توجب العلم والله اعلم والفرق بين المعجزة والكرامة ان الكرامات من

في الصيفية

شرطها الاستتار والمعجزة من شرطها الاظهار وقيل الكرامة ما يظهر من غير دعوى والمعجزة ما تظهر عند دعوى الانبياء فيطالبون بالبرهان فيظهر اثر ذلك وقد تقدم في مقدمة الكتاب شرائط المعجزة والحمد لله وحده لا شريك له واما الاحاديث الواردة في الدلالة على ثبوت الكرامة فمن ذلك ما خرجه البخاري من حديث ابي هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري جد عاصم ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فانطلقوا حتى اذا كانوا بالهدة وهي بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا اليهم قريبا من مائتي رجل كلهم رامي فاقتفوا اثارهم حتى وجدوا ماكلهم تمرا تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فاقتصوا اثارهم فلما راهم عاصم واصحابه لجاؤا الى فدفد واحاط بهم القوم فقالوا لهم انزلوا فاعطونا بايديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم احدا فقال عاصم بن ثابت امير السرية اما انا فوالله لا انزل اليوم في ذمة كافر اللهم اخبر عنا نبيك ثم رموا بالنبل فقتلوا عاصما في سبعة فنزل اليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق منهم خبيب الانصاري وابن دثنة ورجل اخر فلما استمسكوا منهم اطلقوا اوتار قسيهم فاوثقوهم فقال الرجل الثالث هذا اول الغدر والله لا اصحبكم ان لي في هولا لاسوة يريد القتلى وجرروه وعالجوه على ان يصحبهم فقتلوه فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر فابتاع خبيب بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم اسيرا فاخبرني عبيد الله بن عياض ان بنت الحارث اخبرته انهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها فاعارته فاخذ ابنا لي وانا غافلة حتى اتاه قالت فوجدته يجلسه على فخذه والموسى بيده قالت ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي فقال اتخشين ان اقتله ما كنت لافعل ذلك قالت والله ما رايت اسيرا قط خيرا من خبيب والله لقد وجدته يوما ياكل من قطف عنب في يده وانه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر وكانت تقول انه لرزق رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب دعوني اركع ركعتين فتركوه فركع ركعتين ثم قال لولا ان تظنوا ان ما بي جزع لزدت اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم احدا ثم قال ولست ابالي حين اقتل مسلما على اي شق كان لله مصرعي وذلك في ذات الاله وان يشا يبارك على اوصال شلو ممزع فقتله بنو الحارث وكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرء مسلم قتل صبرا فاستجاب الله لعاصم يوم اصيب فاخبر النبي اصحابه خبرهم وما اصيبوا وبعث ناس من كفار قريش الى عاصم لما حدثوا انه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف وكان قد قتل رجلا من عظمائهم يوم بدر فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا على ان يقطعوا من لحمه شيئا وقال ابن اسحاق في هذه القصة وقد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت ارادوا راسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن الشهيد وقد كانت نذرت حين اصيب اباها باحد لئن قدرت على راسه لتشربن في قحفه الخمر فمنعتهم الدبر فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يمسي فيذهب عنه فناخذه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصما فذهب وقد كان عاصم اعطى الله عهدا ان لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك ابدا في حياته فمنعه الله بعد وفاته مما امتنع منه في حياته وعن عمرو بن امية الضمري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه عينا وحده فقال جئت الى خشبة خبيب فرقيت فيها وانا اتخوف العيون فاطلقته فوقع بالارض ثم اقتحمت فانتبذت قليلا ثم التفت فكانما ابتلعته الارض

وفي رواية اخرى زيادة فلم يذكر لخبيب رمة حتى الساعة ذكره البيهقي الحادية عشر ولا ينكر ان يكون للولي مال وضيعة يصون بها وجهه وعياله وحسبك بالصحابة واموالهم مع ولايتهم وفضلهم وهم الحجة على غيرهم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل بفلاة من الارض فسمع صوتا في سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فافرغ ماءه في حرة فاذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فاذا رجل قايم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال يا عبد الله ما اسمك قال فلان الاسم الذي سمع في السحابة فقال له يا عبد الله لم تسالني عن اسمي قال اني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها قال اما اذا قلت هذا فاني انظر الى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه واكل انا وعيالي ثلثا وارد فيها ثلثا في رواية واجعل ثلثه في المساكين وابن السبيل قلت وهذا الحديث لا ينافضه قوله عليه الصلاة والسلام لا تتخذوا الضيعة فتركنوا الى الدنيا خرجه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال فيه حديث حسن فانه محمول على من اتخذها مستكثرا ومتنعما وممتعا بزهرتها واما من اتخذها معاشا يصون بها دينه وعياله فاتخاذها بهذه النية من افضل الاعمال وهي من افضل الاموال قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقد اكثر الناس في كرامات الاولياء وما ذكرناه فيه كفاية والله الموفق للهداية الثانية عشر قوله تعالى لاتخذت عليه اجرا دليل على صحة جواز الاجارة وهو سنة الانبياء والاولياء على ما ياتي بيانه في سورة القصص ان شاء الله وقرا الجمهور لاتخذت وابو عمرو لتخذت وهي قراءة ابن مسعود والحسن وقتادة وهما لغتان بمعنى واحد من الاخذ مثل قولك تبع واتبع وتقى واتقى وادغم بعض القراء الذال في التاء ولم يدغمها بعضهم وفي حديث ابي بن كعب لو شئت لاوتيت اجرا وهذه صدرت من موسى سوال على وجه العرض لا الاعتراض فعند ذلك قال له الخضر هذا فراق بيني وبينك بحكم ما شرطت على نفسك وتكريره بيني وبينك وعدوله عن بيننا لمعنى التاكيد قال سيبويه اخزى الله الكاذب مني ومنك وقال ابن عباس وكان قول موسى في السفينة والغلام لله وكان قوله في الجدار لنفسه لطلب شيء من الدنيا فكان سبب الفراق وقال وهب ابن منبه كان ذلك الجدار جدارا طوله في السماء مائة ذراع انتهى الثالثة عشر قوله تعالى سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا تاويل الشيء ماله قال له اني اخبرك لم فعلت ما فعلت وقيل في تفسير هذه الايات التي وقعت لموسى والخضر انها حجة على موسى وعجبا له وذلك انه لما انكر خرق السفينة نودي يا موسى اين كان تدبيرك هذا وانت في التابوت مطروحا في اليم فلما انكر امر الغلام قيل له اين انكارك هذا من وكزك القبطي وقضائك عليه فلما انكر اقامة الجدار نودي اين هذا من رفعك حجر البير لبنات شعيب دون اجر قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا ويسالونك عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض واتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب

واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا
واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا حتى
اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد
احطنا بما لديه خبرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون
يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا
على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما
اتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوني
افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي
فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا قوله اما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر استدل بهذا من قال ان المسكين احسن حالا من الفقير وقد مضى هذا المعنى مستوفى
في براءة وقد قيل انهم كانوا تجارا ولكن من حيث هم مسافرون على قلة في لجة بحر وبحال الضعف عن
مدافعة عطب عبر عنهم بمساكين اذ هم في حالة يشفق عليهم بسببها وهذا كما تقول لرجل غني وقع
في وهلة او خطب مسكين وقال كعب وغيره كانت لعشرة اخوة من المساكين ورثوها من ابيهم
خمسة زمنا وخمسة يعملون في البحر وقيل كانوا سبعة بكل واحد منهم زمانة ليست بالاخر
وقد ذكر النقاش اسماءهم فاما العمال منهم فاحدهم كان مجذوما والثاني اعور والثالث اعرج
والرابع ادر والخامس محموما لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو اصغرهم والخمسة الذين لا
يطيقون العمل اعمى واصم واخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذي يعملون فيه ما بين فارس
الى الروم ذكره الثعلبي وقرات فرقة لمساكين بتشديد السين واختلف في ذلك فقيل
هم ملاحو السفينة وذلك ان المساك هو الذي يمسك رجل السفينة وكل الخدمة
تصلح لامساكهم فسمى الجميع مساكين وقالت فرقة اراد بالمساكين دبغة المسوك وهي الجلود واحدها
مسك والاظهر قراءة مساكين بالتخفيف جمع مسكين وان معناها ان السفينة لقوم ضعفا
ينبغي ان يشفق عليهم والله اعلم قوله تعالى فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب يقال
عبت الشيء فعاب اذا صار ذا عيب فهو معيب وعايب وقوله وكان وراءهم ملك ياخذ
كل سفينة غصبا قرا ابن عباس وابن جبير صحيحة وقرا ايضا ابن عباس وعثمان بن عفان
صالحة ووراء اصلها بمعنى خلف فقال بعض المفسرين انه كان خلفهم وكان رجوعهم عليه
والاكثر على ان معنى وراء هنا امام يعضده قراءة ابن عباس وابن جبير وكان امامهم ملك
ياخذ كل سفينة غصبا صحيحة قال ابن عطية ووراء هو عندي على بابه وذلك ان هذه
الالفاظ انما تجيء مراعى بها الزمان وذلك ان الحادث المقدم الموجود هو الامام والذي
ياتي بعده هو الوراء وهو ما خلف وذلك بخلاف ما يظهر ببادي الراي وتامل هذه
الالفاظ في مواضعها حيث وردت تجدها تطرد فهذه الاية معناها ان هؤلاء وعلمهم
وسعيهم ياتي بعده في الزمان غصب هذا الملك ومن قرا امامهم اراد في المكان اي كانهم
يسيرون الى بلده وقول النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة امامك يريد في المكان والا فكونهم
في ذلك الوقت كان امام الصلاة في الزمان وتامل هذه المقالة فانها مربحة من شغب
هذه الالفاظ ووقع لقتادة في كتاب الطبري وكان وراءهم ملك قال قتادة امامهم الا
تراه يقول من ورائهم جهنم وهي بين ايديهم وهذا القول غير مستقيم وهذه هي العجمة التي

كان الحسن بن ابي الحسن يفجع منها قاله الزجاج قلت وما اختاره هذا الامام قد سبقه اليه في
ذلك ابن عرفة قال الهروي قال ابن عرفة يقول القائل من وراءه وهي امامه فزعم ابو عبيد وابو
علي قطرب ان هذا من الاضداد وان وراء في معنى قدام وهذا غير محصل لان الامام ضد وراء وانما
يصلح هذا في الاماكن والاوقات كقول الرجل اذا وعد في رجب الى رمضان ثم قال من ورائك شعبان
لجاز وانه كان امامه لانه مخلفا الى وقت وعده واشار الى هذا القول ايضا القشيري وقال
انما يقال هذا في الاوقات ولا يقال للرجل امامك انه وراءك قاله الفراء وجوزه غيره والقوم
ما كانوا عالمين بخبر الملك فاخبر الله الخضر حتى عيب السفينة ذكره الزجاج وقال الماوردي
اختلف اهل العربية في استعمال وراء موضع امام على ثلاثة اقاويل احدها يجوز استعمالها بكل
حال وفي كل مكان وهو من الاضداد قال الله تعالى من ورائهم جهنم اي من امامهم وقدامهم
قال الشاعر اترجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا يعني امامي والثاني
وراء يستعمل في موضع امام في المواقيت لان الانسان يجوزها فتصير وراءه ولا يجوز في غيره
والثالث انه يجوز في الاجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد وراء الاخر ولا يجوز في غيرها
وهذا قول علي بن عيسى واختلف في اسم هذا الملك فقال هدد بن بدد وقيل الجلندي وقال السهيلي
وذكر البخاري اسم الملك الاخذ لكل سفينة غصبا فقال هو حيسور هكذا قيدناه في الجامع من
رواية ابي زيد المروزي وفي غير هذه الرواية جيسور بالجيم وعندي في حاشية الكتاب رواية
ثالثة وهي حسنون وكان ياخذ كل سفينة غصبا فلذلك عابها الخضر وخرقها ففي هذا
من الفقه العمل بالمصالح اذا تحقق وجهها وجواز اصلاح كل المال بفساد بعضه وقد تقدم
وفي صحيح مسلم وجه الحكمة بخرق السفينة وذلك قوله فاذا الذي جاء يسخرها وجدها منخرقة فتجاوزها
فاصلحوها بخشبة الحديث ويحصل من هذا الحض على الصبر في الشدائد فكم في ضمن ذلك المكروه
من الفوائد وهذا معنى قوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم قوله تعالى واما الغلام
فكان ابواه مؤمنين جاء في صحيح الحديث انه طبع يوم طبع كافرا وهذا يرد ظاهره انه غير
بالغ ويحتمل ان يكون خبرا عنه مع كونه بالغا وقد تقدم هذا المعنى قوله تعالى فخشينا ان
يرهقهما طغيانا وكفرا قيل هو من كلام الخضر عليه السلام وهو الذي يشهد له سياق الكلام
وهو قول كثير من المفسرين اي خفنا ان يرهقهما طغيانا وكفرا وكان الله قد اباح له الاجتهاد
في قتل النفوس على هذه الجهة وقيل هو من كلام الله تعالى وعنه عبر الخضر قال الطبري
معناه فعلمنا وكذا قال ابن عباس اي فعلمنا وهذا كما كنى عن العلم بالخوف في قوله الا ان
يخافا الا يقيما حدود الله وحكي ان ابيا قرا فعلم ربك وقيل الخشية بمعنى الكراهة يقال
فرقت بينهما خشية ان يقتتلا اي كراهة ذلك قال ابن عطية والاظهر عندي في توجيه
هذا التاويل وان كان اللفظ يدافعه انها استعارة اي على ظن المخلوقين والمخاطبين
لو علموا حاله لوقعت منهم خشية الرهق للابوين وقرا ابن مسعود فخاف ربك وهذا
بين في الاستعارة انما هو بحسبكم ايها المخاطبون ويرهقهما يحشمهما ويكلفهما والمعنى ان
يلقيهما حبه في اتباعه فيضلا ويدينا بدينه قوله تعالى فاردنا ان يبدلهما قرا الجمهور بفتح
الباء وشد الدال وقرا عاصم بسكون الباء وتخفيف الدال اي ان يرزقهما الله ولدا خيرا
منه زكاة اي دينا وصلاحا يقال بدل وابدل مثل مهل وامهل ونزل وانزل واقرب رحما
قرا ابن عباس رحما بالضم قال الشاعر وكيف تظلم جاريتي ومنها اللين والرحم الباقون

بسكونها ومنه قول روبة بن العجاج يا منزل الرحم على ادريسا ومنزل اللعن على ابليسا واختلفوا
عن ابي عمرو ورحمًا معطوف على زكاة اي رحمة يقال رحمه رحمة ورحمًا والفه للتانيث ومذكره
رحم وقيل ان الرحم هنا بمعنى الرحم قراها ابن عباس واوصل رحما اي رحمها وقرا ايضا ازكى منه وعن
ابن جريج ايضا ابدلا جارية قال الكلبي فتزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على
يديه امة من الامم قتادة ولدت اثنى عشر نبيا وعن ابن جريج ايضا ان ام الغلام كانت يوم
قتل حاملا بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وعن ابن عباس فولدت نبيا وفي رواية ابدلهما الله
بجارية ولدت سبعين نبيا قاله جعفر بن محمد عن ابيه قال علماؤنا وهذا بعيد ولا تعرف
كثرة الانبياء الا في بني اسرائيل وهذه المراة لم تكن فيهم ويستفاد من هذه الاية تهوين
المصايب بفقد الاولاد وان كانوا قطعا من الاكباد ومن سلم للقضا اسفرت عاقبته عن اليد
البيضا قال قتادة لقد فرح به ابواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما
فالواجب على كل امرء الرضا بقضاء الله فان قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه
فيما يحب قوله تعالى واما الجدار فكان لغلامين هذان الغلامان صغيران بقرينة وصفهما
باليتم واسمهما اصرم وصريم وقد قال عليه الصلاة والسلام لا يتم بعد بلوغ هذا الظاهر وقد
يحتمل ان يبقى عليهما اسم اليتم بعد البلوغ اي كانا يتيمين على معنى الشفقة عليهما وقد تقدم ان
اليتم في الناس فقد الاب وفي غيرهم من الحيوان من قبل فقد الام ودل قوله في المدينة على
ان القرية تسمى مدينة ومنه الحديث امرت بقرية تاكل القرى وفي حديث الهجرة لمن انت
فقال لرجل من اهل المدينة يعني مكة واسم هذه المدينة قاله مقاتل قوله تعالى وكان
تحته كنز لهما اختلف الناس في الكنز فقال عكرمة وقتادة كان مالا جسيما وهو الظاهر
من اسم الكنز اذ هو في اللغة المال المجموع وقد مضى القول فيه وقال ابن عباس كان علما
في صحف مدفونا وعنه ايضا قال كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم
عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب عجبت لمن يؤمن
بالموت كيف يفرح عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل عجبت لمن يؤمن بالدنيا وتقلبها
باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وروي نحوه عن عكرمة وعمر مولى
غفرة ورواه عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وكان ابوهما صالحا ظاهر
اللفظ والسابق منه انه والدهما دنية وقيل هو الاب السابع قاله جعفر بن محمد وقيل العاشر
فحفظا فيه وان لم يذكرا بصلاح وكان يسمى كاشحا قاله مقاتل واسم امهما دنيا ذكره النقاش
ففيه ما يدل على ان الله تعالى يحفظ الصالح في سبعة من ذريته وعلى هذا يدل قوله
تعالى ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين قوله تعالى وما فعلته
عن امري يقتضي ان الخضر نبي وقد تقدم الخلاف في ذلك ذلك تاويل اي تفسير ما لم
تستطع عليه صبرا قرات فرقة تستطيع وقرا الجمهور تسطع قال ابو حاتم كذا نقراها في خط
المصحف وهنا خمس مسائل الاولى ان قال قايل لم يسمع لفتى موسى يذكر في اول الاية ولا في
اخرها قيل له اختلف في ذلك فقال عكرمة لابن عباس لم نسمع لفتى موسى بذكر وقد
كان معه فقال لشرب الفتى من الماء فخلد واخذه العالم فطبق عليه سفينة ثم ارسله
في البحر وانها لتموج به فيه الى يوم القيمة وذلك لم يكن له ان يشرب منه فشرب منه
قال القشيري وهذا ان ثبت فليس الفتى يوشع ابن نون فان يوشع بن نون قد عمي بعد

موسى

موسى وكان خليفته والاظهر ان موسى صرف فتاه لما لقي الخضر وقال شيخنا الامام ابو العباس يحتمل
ان يكون اكتفى بذكر المتبوع عن التابع والله اعلم الثانية ان قال قائل كيف اضاف الخضر قصة
استخراج كنز الغلامين لله تعالى وقال في السفينة فاردت ان اعيبها فاضاف العيب الى
نفسه قيل له انما اسند الارادة في الجدار الى الله تعالى لانها في امر مستانف في زمن طويل
غيب من الغيوب فحسن افراد هذا الموضع بذكر الله تعالى وان كان الخضر قد اراد ذلك الذي
اعلمه الله انه يريده وقيل لما كان ذلك خيرا كله اضافه الى الله تعالى واضاف عيب السفينة
الى نفسه رعاية للادب لانها لفظة عيب قتادة بان لم يسند الارادة الا الى نفسه كما تادب
ابراهيم عليه السلام في قوله واذا مرضت فهو يشفين فاسند الفعل قبل وبعد الى الله تعالى
واسند المرض الى نفسه اذ هو معنى نقص ومصيبة فلا يضاف اليه سبحانه من الالفاظ الا
ما يستحسن منها دون ما يستقبح وهذا كما قال تعالى بيدك الخير واقتصر عليه ولم ينسب الشر
اليه وان كان بيده الخير والشر والنفع والضر اذ هو على كل شيء قدير وبكل شيء خبير ولا اعتراض
بما حكاه عليه السلام عن ربه عز وجل انه يقول يوم القيمة يا ابن ادم مرضت فلم تعدني
واستطعمتك فلم تطعمني واستسقيتك فلم تسقني فان ذلك تنزل في الخطاب وتلطف في العتاب
مقتضاه التعريف بفضل ذي الجلال وبمقادير ثواب هذه الاعمال وقد تقدم هذا المعنى ولله
تعالى ان يطلق على نفسه ما يشاء ولا نطلق نحن الا ما اذن لنا فيه من الاوصاف الجميلة
والافعال الشريفة جل وتعالى عن النقايص والافات علوا كبيرا وقال في الغلام فاردنا
كانه اضاف القتل الى نفسه والتبديل الى الله تعالى والاشد كمال الخلق والعقل وقد مضى
الكلام فيه في الانعام والحمد لله الثالثة قال شيخنا الامام ابو العباس ذهب قوم ايما
يحكم بها على الاغنياء والعامة واما الاولياء والخصوص فلا يحتاجون الى تلك النصوص
بل انما يراد منهم ما يقع في قلوبهم ويحكم عليهم بما يغلب من خواطرهم قالوا وذلك لصفاء قلوبهم عن
الاكدار وخلوها عن الاغيار فتتجلى لهم العلوم الالهية والحقايق الربانية فيقفون على اسرار
الكاينات ويعلمون احكام الجزئيات فيستغنون بها عن احكام الشرايع الكليات كما اتفق
للخضر فانه استغنى بما تجلى له من العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم وقد جاء فيما
ينقلون استفت قلبك وان افتاك المفتون قال شيخنا رضي الله عنه وهذا القول زندقة
وكفر يقتل قايله ولا يستتاب لانه انكار ما علم من الشرايع فان الله تعالى قد اجرى سنته
وانفذ حكمته بان احكامه لا تعلم الا بواسطة رسله السفرا بينه وبين خلقه وهم المبلغون
عنه رسالاته وكلامه المبينون شرايعه واحكامه اختارهم لذلك واختصهم بما هنالك كما
قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وقال تعالى الله اعلم حيث
يجعل رسالاته وقال تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
الى غير ذلك من الاي وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري واجماع السلف
والخلف على ان لا طريق لمعرفة احكام الله تعالى التي هي راجعة الى امره ونهيه ولا يعرف
منها شيء الا من جهة الرسل فمن قال ان هناك طريقا اخر يعرف بها امره ونهيه من غير
الرسل حيث يستغني عن الرسل فهو كافر يقتل ولا يستتاب ولا يحتاج معه الى سؤال ولا
جواب ثم هو قول باثبات انبياء بعد نبينا عليه السلام الذي قد جعله الله خاتم انبيائه
ورسله فلا نبي بعده ولا رسول وبيان ذلك ان من قال يأخذ عن قلبه وان ما وقع فيه

هو حكم الله وانه يعمل بمقتضاه وانه لا يحتاج مع ذلك الى الكتاب ولا سنة فقد اثبت لنفسه خاصة
النبوة فان هذا نحو ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي الحديث
الرابعة ذهب الجمهور من الناس ان الخضر عليه السلام مات وقالت فرقة حي لانه شرب من عين
الحياة وانه باق في الارض وانه يحج البيت قال ابن عطية وقد اطنب النقاش في هذا المعنى
وذكر في كتابه اشياء كثيرة عن علي بن ابي طالب وغيره وكلها لا تقوم على ساق ولو كان الخضر عليه
السلام حيا يحج لكان له في ملة الاسلام ظهور والله تعالى العليم بتفاصيل الاشياء لا رب غيره
ومما يقضي بموت الخضر الان قوله عليه الصلاة والسلام ارايتكم ليلتكم هذه فانه لا يبقى ممن
هو اليوم على ظهر الارض احد قلت الى هذا ذهب البخاري واختاره القاضي ابو بكر ابن العربي
والصحيح القول الثاني وانه حي على ما نذكره وهذا الحديث خرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله
بن عمر قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة صلاة العشاء في اخر حياته فلما سلم قام
فقال ارايتكم ليلتكم هذه فان على راس مائة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد قال ابن
عمر فوهل الناس في مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يتحدثون من هذه الاحاديث عن
مائة سنة وانما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد يريد بذلك
ان ينخرم ذلك القرن ورواه ايضا من حديث جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول قبل ان يموت بشهر تسالوني عن الساعة وانما علمها عند الله واقسم بالله ما على
الارض نفس منفوسة ياتي عليها مائة سنة وفي اخرى قال سالم تذاكرنا انما هي مخلوقة يومئذ
وفي اخرى ما من نفس منفوسة اليوم ياتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ وفسرها عبد
الرحمن صاحب السقاية قال نقص العمر وعن ابي سعيد نحو هذا الحديث قال علماؤنا
تضمن هذا الحديث انه عليه الصلاة والسلام اخبر قبل موته بشهر ان كل من كان من بني ادم
موجودا في ذلك لا يزيد عمره على مائة سنة لقوله ما من نفس منفوسة وهذا اللفظ لا يتناول
الملائكة ولا الجن اذ يصح عنهم انهم كذلك ولا الحيوان غير العاقل لقوله ممن هو على وجه الارض
احد وهذا انما يقال بأصل وضعه على من يعقل فتعين ان المراد بنو ادم وقد بين ابن عمر
هذا المعنى فقال يريد بذلك ان ينخرم ذلك القرن ولا حجة لمن استدل به على بطلان
قول من يقول ان الخضر حي لعموم قوله ما من نفس منفوسة لان العموم وان كان مؤكد
الاستغراق فليس نصا فيه بل هو قابل للتخصيص فكما لم يتناول عيسى عليه السلام فكذلك
فانه لم يمت ولم يقتل فهو حي بنص القران ومعناه ولا يتناول الدجال مع انه حي
بدليل حديث الجساسة فكذلك لم يتناول الخضر وليس مشاهدا للناس ولا ممن يخالطهم
حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم بعضا فمثل هذا العموم لا يتناوله وقد قيل ان
اصحاب الكهف احياء يحجون مع عيسى عليه السلام كما تقدم وكذلك فتى موسى في قول
ابن عباس كما ذكرنا وقد ذكر ابو اسحاق الثعلبي في كتاب العرائس له والخضر على جميع الاقوال
نبي معمر محجوب عن الابصار وروى محمد بن المتوكل عن عبد الله بن سوار قال الخضر من ولد فارس
والياس من بني اسرائيل يلتقيان كل عام في الموسم وعن عمرو ابن دينار قال ان الخضر والياس
لا يزالان يحييان في الارض ما دام القران على الارض فاذا رفع ماتا وقد ذكر شيخنا الامام
ابو محمد عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي اللخمي في شرح الرسالة للقشيري حكايات كثيرة عن
جماعة من الصالحين والصالحات بانهم راوا الخضر ولقوه يفيد مجموعها غلبة الظن بحيا

مع

مع ماذكره النقاش والثعلبي وغيرهما وقد جاء في صحيح مسلم ان الدجال ينتهي الى بعض السباخ التي تلي المدينة
فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس او من خير الناس الحديث وفي اخره قال ابو اسحق يقال ان
هذا الرجل هو الخضر وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب الهواتف بسند يرفعه الى علي بن ابي طالب
انه لقي الخضر وعلمه هذا الدعاء وذكر فيه ثوابا عظيما ومغفرة ورحمة لمن قاله في اثر صلاة وهو يا من
لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا تغلطه المسائل ويا من لا يتبرم من الحاح الملحين اذقني برد عفوك
وحلاوة مغفرتك وذكر ايضا عن عمر ابن الخطاب في هذا الدعاء بعينه نحوا مما ذكر عن علي في سماعه
من الخضر وذكر ايضا اجتماع الياس مع النبي صلى الله عليه وسلم واذا جاز بقاء الياس الى عهد النبي
صلى الله عليه وسلم جاز بقاء الخضر وقد ذكر انهما يجتمعان عند البيت في كل حول وانهما يقولان عند
افتراقهما ما شاء الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما شاء الله ما يكون من نعمة فمن
الله ما شاء الله ما شاء الله توكلت على الله حسبنا الله ونعم الوكيل واما خبر الياس فياتي في
والصافات ان شاء الله تعالى وذكر ابو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد عن علي رضي الله عنه قال لما
توفي النبي صلى الله عليه وسلم وسجي بثوب هتف هاتف من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرون
شخصه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته السلام عليكم اهل البيت كل نفس ذائقة الموت الاية
ان في الله خلفا من كل هالك وعوضا من كل تالف وعزاء من كل مصيبة فبالله فثقوا واياه فارجوا
فان المصاب من حرم الثواب فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام يعني اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
والالف واللام في قوله على الارض للعهد لا للجنس وهي ارض العرب بدليل تصرفهم فيها واليها
غالبا دون ارض ياجوج وماجوج واقاصي جزر الهند والسند مما لا يقرع السمع اسمه ولا يعلم
علمه ولا جواب عن الدجال قال السهيلي واختلف في اسم الخضر اختلافا متباينا فعن ابن منبه
انه قال ايليا بن ملكان بن فالغ بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وقيل هو ابن عاميل
بن سماقحين بن اريا بن علقما بن عيص بن اسحق وان اباه كان ملكا وان امه كانت بنت
فارس واسمها الها وانها ولدته في مغارة وانه وجد هنالك وشاة ترضعه كل يوم من غنم
رجل من القرية فاخذه الرجل فرباه فلما شب وطلب ملك ابيه كاتبا وجمع اهل المعرفة
والنباهة ليكتب الصحف التي انزلت على ابراهيم وشيث كان فيمن اقدم عليه من الكتاب ابنه
الخضر وهو لا يعرفه فلما استحسن خطه ومعرفته وبحث عن جلية امره عرف انه ابنه فضمه لنفسه
وولاه امر الناس ثم ان الخضر فر من الملك لاسباب يطول ذكرها الى ان وجد عين الحياة
فشرب منه فهو حي الى ان يخرج الدجال وانه الرجل الذي يقتله الدجال ويقطعه ثم يحييه
الله تعالى وقيل لم يدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا لا يصح وقال البخاري وطائفة من
اهل الحديث منهم شيخنا ابو بكر بن العربي رحمه الله انه مات قبل انقضاء المائة من قوله
عليه الصلاة والسلام الى راس مائة عام لا يبقى على هذه الارض ممن هو عليها يعني من كان حيا
حين قال هذه المقالة قلت قد ذكرنا هذا الحديث في الكلام عليه وبينا حياة الخضر
الى الان فالله اعلم الخامسة قيل ان الخضر لما ذهب يفارق موسى قال له موسى اوصني
قال كن بساما ولا تكن ضحاكا ودع اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تعب على الخطائين
خطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران قوله تعالى ويسالونك عن ذي القرنين قل سأتلوا
عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض واتيناه من كل شيء سببا قال ابن اسحق وكان من
خبر ذي القرنين انه اوتي ما لم يوت غيره فمدت له الاسباب حتى انتهى من البلاد الى مشارق

الارض ومغاربها لا يطأ ارضا الا سلط على اهلها حتى انتهى من المشرق والمغرب الى ما ليس وراءه شيء من
الخلق قال ابن اسحق فحدثني من يسوق الاحاديث عن الاعاجم فيما توارثوا من علمه ان ذا القرنين كان
من اهل مصر اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح قال ابن هشام واسمه
الاسكندر وهو الذي بنى الاسكندرية فنسبت اليه قال ابن اسحق وقد حدثني ثور بن يزيد عن خالد
بن معدان الكلاعي وكان رجلا قد ادرك الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين
فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب وقال خالد سمع عمر ابن الخطاب رجلا يقول يا ذا القرنين
فقال عمر اللهم اغفر اما رضيتم ان تسموا بالانبياء حتى سميتم بالملائكة قال ابن اسحق فالله اعلم
اي ذلك كان او قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ام لا الحق ما قال قلت وقد روي عن
علي ابن ابي طالب رضي الله عنه مثل قول عمر سمع رجلا يدعو اخر يا ذا القرنين فقال علي اما كفاكم
سميتم باسماء الانبياء حتى سميتم باسماء الملائكة وعنه انه عبد ملك بكسر اللام صالح نصح الله
فايده وقيل هو نبي مبعوث فتح الله على يديه الارض وذكر الدارقطني في كتاب الاخبار ان ملكا
يقال له رقاييل كان ينزل على ذي القرنين وذلك الملك هو الذي يطوي الارض يوم القيمة وينقصها
فتقع اقدام الخلايق كلهم بالساهرة فيما ذكر بعض اهل العلم قال السهيلي وهذا مشاكل بتوكيل ذي
القرنين الذي قطع الارض مشارقها ومغاربها كما ان قصة خالد بن سنان في تسخير النار له مشاكلة
بحال الملك الموكل به وهو مالك عليه السلام وعلى جميع الملائكة اجمعين ذكر ابن ابي خيثمة
في كتاب البدأة خالد بن سنان العبسي وذكر نبوته وذكر انه وكل به من الملائكة مالك خازن
النار وكان من اعلام نبوته ان نارا يقال لها نار الحدثان كانت تخرج على الناس من مغارة فتأكل
الناس ولا يستطيعون ردها فردها خالد بن سنان فلم تخرج بعد واختلف في اسم ذي القرنين
وفي السبب الذي سمي به بذلك اختلافا كثيرا فاما اسمه فقيل هو الاسكندر الملك اليوناني
المقدوني وقد تشدد قافه ويقال المقدوني وقيل اسمه هرمس ويقال اسمه هرديس
قال ابن هشام هو المصعب بن ذي يزن الحميري من ولد وايل بن حمير وقد تقدم قول ابن
اسحق وقال وهب بن منبه هو رومي وذكر الطبري حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
ذا القرنين شاب من الروم وهو حديث واهي السند قاله ابن عطية قال السهيلي والظاهر
من علم الاخبار انهما اثنان احدهما كان على عهد ابراهيم عليه السلام ويقال انه الذي قضى
لابراهيم عليه السلام حين تحاكموا اليه في بئر السبع بالشام والاخر انه كان قريبا من
عهد عيسى عليه السلام وقد قيل انه افريدون الذي قتل بني راسف بن اندراسب الملك الطاغي
على عهد ابراهيم او قبله بزمان واما الاختلاف في السبب الذي سمي به فقيل انه كان ذا ظفيرتين
من شعر فسمي بها ذكره المهدوي وغيره الظفاير قرون الراس ومنه قول الشاعر فلثمت
فاها اخذا بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج وقيل انه راى في اول ملكه كانه قابضا
على قرني الشمس فقص ذلك ففسر انه سيغلب ما دارت عليه الشمس فسمي بذلك ذا القرنين
وقيل انما سمي بذلك لانه بلغ المغرب والمشرق فكانه حاذ قرني الدنيا وقالت طائفة انه لما
بلغ مطلع الشمس كشف بالروية قرونها فسمي بذلك او قرني الشيطان بها وقال وهب بن
منبه كان له قرنان تحت عمامته سال ابن الكوا عليا رضي الله عنه عن ذي القرنين انبيا كان
ام ملكا فقال لا ذا ولا ذا كان عبدا صالحا دعا قومه الى الله فشجوه على قرنه ثم دعاهم فشجوه
على قرنه الاخر فسمي ذا القرنين واختلفوا ايضا في وقت زمانه فقال قوم كان بعد موسى وقال قوم

كان في الفترة بعد عيسى وقيل كان في وقت ابراهيم واسمعيل وكان الخضر صاحب الراية الاعظم وقد
ذكرناه في البقرة وبالجملة فان الله تعالى مكنه وملكه ودانت له الملوك فروي ان جميع ملوك
الدنيا كلها اربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان بن داود والاسكندر والكافران نمرود
وبخت نصر وسيملكها من هذه الامة خامس لقوله تعالى ليظهره على الدين كله وهو المهدي وقيل
انما سمي ذا القرنين لانه كان كريم الطرفين من اهل بيت شريف من قبل ابيه وامه وقيل لانه انقرض
في وقته قرنان من الناس وهو حي وقيل لانه كان اذا قاتل قاتل بيديه وركابيه جميعا وقيل لانه
اعطي علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل الظلمة والنور وقيل لانه ملك فارس والروم قوله
تعالى انا مكنا له في الارض قال علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له
في النور فكان الليل والنهار عليه سواء وفي حديث عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لرجال من اهل الكتاب سألوه عن ذي القرنين فقال ان اول امره كان غلاما من الروم فاعطي
ملكا فسار حتى اتى ارض مصر فابتنى بها مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ اتاه ملك
فعرج به فقال انظر ما تحتك قال ارى مدينتي وحدها لا ارى غيرها فقال له الملك تلك
الارض كلها وهذا السواد الذي ترى محيطا بها هو البحر وانما اراد الله ان يريك وقد جعل لك
سلطانا فيها فسر في الارض فعلم الجاهل وثبت العالم الحديث قوله تعالى واتيناه من كل شيء سببا
قال ابن عباس من كل شيء علما يتسبب الى ما يريد وقال بلاغا الى حيث اراد وقيل من كل شيء
يحتاج اليه الخلق وقيل من كل شيء يستعين به الملوك من فتح المداين وقهر الاعداء واصل
السبب الحبل فاستعير لكل ما يتوصل به الى الشيء فاتبع سببا قرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
فاتبع سببا مقطوعة الالف وقرا اهل المدينة وابو عمرو فاتبع سببا بوصلها اي اتبع سببا
من الاسباب التي اوتيها قال الاخفش تبعته واتبعته بمعنى مثل ردفته واردفته ومنه قوله
تعالى الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب ومنه الاتباع في الكلام مثل حسن بسن
وقبح شقيح قال النحاس واختار ابو عبيد قراة اهل الكوفة قال لانها من السير وحكي هو والاصمعي
انه يقال تبعه واتبعه اذا سار ولم يلحقه واتبعه اذا لحقه قال ابو عبيد فاتبعوهم مشرقين
قال النحاس وهذا من التفريق وان كان الاصمعي قد حكاه لا يقبل الا بعلة او دليل وقوله
عز وجل فاتبعوهم مشرقين ليس في الحديث انهم لحقوهم وانما الحديث لما خرج موسى واصحابه
من البحر وحصل فرعون واصحابه انطبق عليهم البحر والحق في هذا ان تبع واتبع لغتان بمعنى
واحد وهي بمعنى السير وقد يجوز ان يكون معه لحاق وان لا يكون حتى اذا بلغ مغرب الشمس
وجدها تغرب في عين حمئة قرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي حامية اي حارة الباقون
حمئة اي كثيرة الحمأة وهي الطينة السوداء تقول حمأت البير حمأ بالتسكين اذا نزعت حمأتها
وحمئت البير حمأ بالتحريك كثرت حمأتها ويجوز ان تكون حامية من الحمأة فخففت
الهمزة وقلبت ياء وقد يجمع بين القراءتين فيقال كانت حارة وذات حمأة فقال عبد الله
بن عمرو نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى الشمس حين غربت فقال نار الله الحامية في نار الله
الحامية لولا ما يزعها من امر الله لاحرقت ما على الارض وقال ابن عباس اقرانيها ابي كما اقراه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين حمئة وقال معاوية هي حامية فقال عبد الله بن عمرو
بن العاص وانا مع امير المؤمنين فجعلوا كعبا بينهم حكما وقالوا يا كعب كيف تجدها في التوراة
فقال اجدها تغرب في عين سوداء فوافق ابن عباس وقد قال الشاعر وهو تبع اليماني

قدكان ذو القرنين قبلي مسلما ملكا تدين له الملوك وتخشد بلغ المغارب والمشارق يبتغي
اسباب امور من حكيم مرشد فراى مغارب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثاط حرمد
الخلب الطين والثاط الحما والحرمد الاسود وقال القفال قال بعض العلماء ليس المراد انه انتهى
الى الشمس مغربا ومشرقا حتى وصل الى جرمها ومسها لانها تدور مع السماء حول الارض من غير ان
تلتصق بالارض وهي اعظم من ان تدخل في عين من عيون الارض بل هي اكبر من الارض اضعافا
مضاعفة بل المراد انه انتهى الى اخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق فوجدها في راى
العين تغرب في عين حمئة كما انا نشاهدها في الارض الملسا كانها تدخل في الارض ولهذا قال
وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ولم يرد انها تطلع عليهم بان تماسهم وتلاصقهم
بل اراد انهم اول من تطلع عليه وقال القتبي ويجوز ان تكون هذه العين من البحر ويجوز ان
تكون الشمس تغيب وراها او معها او عندها فيقام حرف الصفة مقام صاحبه والله اعلم ووجد
عندها قوما اي عند العين او عند نهاية العين وهم اهل جابرس ويقال لها بالسريانية جرجيسا
يسكنها قوم من نسل ثمود بقيتهم الذين امنوا بصالح ذكره السهيلي وقال وهب بن منبه كان ذو
القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجايزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر فلما بلغ
كان عبدا صالحا قال الله تعالى يا ذا القرنين اني باعثك الى امم الارض وهم امم مختلفة السنتهم
وهم امم جميع الارض وهم اصناف امتان بينهما طول الارض كلها وامتان بينهما عرض الارض كلها وامم
في وسط الارض منهم الجن والانس وياجوج وماجوج فاما اللتان بينهما طول الارض فامة عند
مطلع الشمس يقال لها منسك وامة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك فقال ذو القرنين الهي لقد
ندبتني لامر عظيم لا يقدر قدره الا انت فاخبرني عن هذه الامم باي قوة اكاثرهم وباي صبر
اقاسيهم وباي لسان اناطقهم وكيف لي بان افقه لغتهم وليس عندي قوة فقال الله تعالى
ساطوقك بما حملتك اشرح لك صدرك فتسمع كل شيء واثبت لك فهمك فتفقه كل شيء
والبسك الهيبة فلا يروعك شيء واسخر لك النور والظلمة فيكونان جندا من جنودك
يهديك النور من امامك ويحفظك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك سار بمن
اتبعه فانطلق الى الامة التي عند مغرب الشمس لانها كانت اقرب الامم منه وهي ناسك
فوجد جموعا لا يحصيها الا الله تعالى وقوة وباسا لا يطيقه الا الله والسنة مختلفة
واهوا متشتتة فكاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر من جند الظلمة قدر
ما احاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ثم دخل عليهم بالنور فدعاهم الى الله
تعالى والى عبادته فمنهم من امن به ومنهم من صد عنه فادخل على الذين تولوا الظلمة
فغشيتهم من كل مكان فدخلت في افواههم وانوفهم واعينهم وبيوتهم وغشيتهم من كل مكان
فتحيروا وماجوا واشفقوا ان يهلكوا فعجوا الى الله بصوت واحد انا امنا فكشفها عنهم
واخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجند من اهل المغرب امما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم
انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم وتحرسه من خلفه والنور امامهم يقوده ويدلهم وهو
يسير في ناحية الارض اليمنى وهو يريد هاويل وسخر الله له يده وقلبه وعقله ونظره فلا
يخطي اذا عمل عملا فاذا اتوا مخاضة وبحرا بنى سفنا من الواح صغار امثال النعال فنظمها
في ساعة ثم جعل فيها وجميع من معه من تلك الامم فاذا قطع البحار والانهار فتقها ودفع
الى كل رجل لوحا فلا يكترث بحمله فانتهى الى هاويل ففعل بهم كفعله بناسك فامنوا ففرغ

منهم واخذ جيوشهم وانطلق في ناحية الارض الاخرى حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجند
منها جنودا كفعله في الاول ثم كر مقبلا حتى اخذ ناحية الارض اليسرى يريد تاويل وهي الامة
التي تقابل هاويل بينهما عرض الارض ففعل فيها كفعله فيما قبلها ثم عطف على الامم التي في وسط
الارض من الجن والانس وياجوج وماجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو
المشرق قالت له امة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق
الله كثير ليس فيهم مشابهة الا الانس وهم اشباه البهايم ياكلون العشب ويفترسون الدواب
والوحش كما يفترسها السباع وياكلون دواب الارض كلها من الحيات والعقارب والوزغ وكل
ذي روح مما خلق الله في الارض وليس لله خلق ينمي نماهم في العام الواحد فاذا طالت المدة فسيملون
الارض ويجلون اهلها فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وذكر الحديث وسياتي
من صفة ياجوج وماجوج والترك اذ هم نوع منهم ما فيه كفاية قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين
قال القشيري ابو نصر ان كان نبيا فهو وحي وان لم يكن نبيا فهو الهام اما ان تعذب واما ان
تتخذ فيهم حسنا قال ابراهيم بن السري خيره بين هذين كما خير محمد صلى الله عليه وسلم فقال فان
جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم ونحوه وقال ابو اسحق الزجاج المعنى ان الله تعالى خيره بين
هذين الحكمين قال النحاس ورد علي ابن سليمان عليه قوله لانه لم يصح ان ذا القرنين نبي فيخاطب
بهذا فكيف يقول لربه عز وجل ثم يرد الى ربه وكيف يقول فسوف نعذبه فيخاطب بالنون قال
التقدير قلنا يا محمد قالوا يا ذا القرنين قال ابو جعفر النحاس هذا الذي قاله ابو الحسن لا يلزم
منه شيء اما قوله قلنا يا ذا القرنين فيجوز ان يكون الله عز وجل خاطبه على لسان نبي في وقته
ويجوز ان يكون قال له هذا كما قال لنبيه فاما منا بعد واما فداء واما اشكال فسوف
نعذبه ثم يرد الى ربه فان تقديره ان الله عز وجل خيره بين القتل في قوله اما ان تعذب وبين
وبين الاستبقا في قوله واما ان تتخذ فيهم حسنا قال لاولئك القوم اما من ظلم اي اقام على
الكفر منكم فسوف نعذبه اي بالقتل ثم يرد الى ربه اي يوم القيمة فيعذبه عذابا نكرا اي شديدا
في جهنم واما من امن اي من تاب من الكفر وعمل صالحا قال احمد بن يحيي ان في موضع نصب في
اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال ولو رفعت كان صوابا بمعنى فاما هو كما قال
فسيرا فاما حاجة تقضيانها واما مقيل صالح وصديق فله جزاء الحسنى قراءة اهل المدينة وابي
عمرو وعاصم فله جزاء بالرفع على الابتداء او بالاستقرار والحسنى في موضع خفض بالاضافة
ويحذف التنوين للاضافة اي له جزاء الحسنى عند الله في الاخرة قاله الفراء ويحتمل ان يريد
بالحسنى الاعمال الصالحة ويمكن ان يكون هذا الجزاء من ذي القرنين اي اعطيه واتفضل عليه
ويجوز ان يحذف التنوين لالتقاء الساكنين ويكون الحسنى في موضع رفع على البدل عند البصريين
وعلى الترجمة عند الكوفيين وعلى هذه القراءة ابن ابي اسحق فله جزاء الحسنى الا انك تحذف
التنوين وهو اجود وقرا سائر الكوفيين فله جزاء الحسنى منصوبا منونا اي فله الحسنى جزاء قال
الفراء جزاء منصوبا على التمييز وقيل على المصدر قال الزجاج هو مصدر في موضع الحال اي
مجزيا بها جزاء وقرا ابن عباس ومسروق فله جزاء الحسنى منصوبا غير منون وهي عند ابي حاتم
على حذف التنوين لالتقاء الساكنين مثل فله جزاء الحسنى في احد الوجهين في الرفع النحاس
وهذا عندي غير خطاء لانه ليس موضع حذف تنوين لالتقاء الساكنين ويكون التقدير
فله الثواب جزاء الحسنى قوله تعالى ثم اتبع سببا تقدم ان اتبع وتبع بمعنى اي سلك طريقا ومنازل

حتى اذا بلغ مطلع الشمس وقرا مجاهد وابن محيصن بفتح اللام يقال طلعت الشمس والكوكب طلوعا
ومطلعا والمطلع موضع طلوعها قاله الجوهري المعنى انه انتهى الى موضع قوم لم يكن بينهم وبين
طلوع الشمس احد من الناس والشمس تطلع وراء ذلك بمسافة بعيدة فهذا معنى قوله وجدها
تطلع على قوم وقد اختلف فيهم فعن وهب ما تقدم وانها امة يقال لها منسك وهي مقابلة
ناسك وقاله مقاتل وقال قتادة يقال لهم الزنج وقال الكلبي هم تارس وهاويل ومنسك
عراة حفاة عماة عن الحق يتسافدون مثل الكلاب ويتهارجون تهارج الحمر وقيل هم اهل جابلق
وهم من نسل مومني عاد الذين امنوا بهود ويقال لها بالسريانية مرقيسا والذين عند مغرب
الشمس هم اهل جابوس ولكل واحدة من المدينتين عشرة الاف باب بين كل بابين فرسخ وورا
جابلق امم وهم منسك وهاويل وتارس وهم مجاورون ياجوج وماجوج واهل جابرس وجابلق
امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم مر بهم ليلة الاسرا فدعاهم فاجابوه ودعا الامم الاخرين فلم يجيبوه
ذكره السهيلي وقال اختصرت هذا كله من حديث طويل رواه مقاتل بن حيان عن عكرمة
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه الطبري مسندا الى مقاتل يرفعه والله اعلم
قوله تعالى لم نجعل لهم من دونها سترا اي حجابا يستترون منها عند طلوعها قال قتادة لم يكن
بينهم وبين الشمس ستر كانوا في مكان لا تستقر عليهم ثيابهم يكونون في اسراب لهم حتى اذا زالت
الشمس عنهم رجعوا الى معايشهم وحروثهم لا معنى لا يستترون منها بكهف جبل ولا بيت يكنهم منها
وقال امية رايت رجالا بسمرقند يحدثون الناس فقال بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين
فقيل لي ان بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فاستاجرت رجلا يريني حتى صبحتهم فوجدت احدهم
يفترش اذنه ويلتحف الاخرى وكان صاحبي يحسن كلامهم فبتنا بهم فقالوا فيما جيتم قلنا
جئنا ننظر كيف تطلع الشمس فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم
افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذ هي على الماء كهيئة الزيت اذ طرف
السماء كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت ادخلوني سربا لهم فلما ارتفع النهار وزالت الشمس
عن روسهم خرجوا يصطادون السمك فيطرحونه في الشمس فينضج وقال ابن جريج قد جاءهم
جيش مرة فقال لهم اهلها لا تطلع الشمس وانتم بها فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس ثم قالوا
ما هذه العظام قالوا هذه والله عظام جيش طلعت عليهم الشمس هاهنا فماتوا قال فولوا
هاربين في الارض وقال الحسن كانت ارضهم لا جبل فيها ولا شجر وكانت لا تحمل البناء فاذا
طلعت عليهم الشمس نفروا في الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فيتداعون كما تداعى البهايم قلت
وهذه الاقوال تدل على ان لا مدينة هناك والله اعلم وربما يكون منهم من يدخل في النهر ومنهم
من يدخل في السرب فلا تناقض بين قول الحسن وقتادة قوله تعالى ثم اتبع سببا حتى اذا
بلغ بين السدين وهما جبلان من قبل ارمينية واذربيجان روى عطا الخراساني عن ابن
عباس بين السدين الجبلين ارمينية واذربيجان وجد من دونهما اي من ورائهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا وقرا حمزة والكسائي يفقهون بضم الياء وكسر القاف من افقه اذا
ابان اي لا يفقهون غيرهم كلاما الباقون بفتح الياء والقاف اي يعلمون والقراءتان صحيحتان
فلا هم يفقهون من غيرهم ولا يفقهون غيرهم قوله تعالى قالوا ياذا القرنين اي قالت له امة من
الانس صالحة ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض قال الاخفش من همز ياجوج فجعل الالف
من الاصل يقول ياجوج يفعول وماجوج مفعول كانه من اجيج النار قال ومن لا يهمز يجعل الالف

زيدة تقول ياجوج من يججت وماجوج من مججت وهما غير مصروفين قال رؤبة لو ان ياجوج
وماجوج معا وعاد عاد واستجاشوا تبعا فكره الجوهري وقيل انهما لم ينصرفا لانهما اسمان اعجميان
مثل طالوت وجالوت غير مشتقين علتان في منع الصرف العجمة والتانيث وقالت فرقة هو
معرب من اج واجج علتان في منع الصرف التعريف والتانيث وقال ابو علي يجوز ان يكونا عربيين
فمن همز ياجوج فهو على وزن يفعول مثل يربوع من قولك اجت النار اي ضويت ومنه الاجيج ومنه
ملح اجاج ومن لم يهمز امكن ان يكون خفف الهمزة فقلبها الفا مثل راس واما ماجوج فهو مفعول
من اج والكلمتان من اصل واحد في الاشتقاق ومن لم يهمز فيجوز ان يكون خفف الهمزة ويجوز
ان يكون فاعولا من مج وترك الصرف فيهما للتانيث والتعريف كانه اسم للقبيلة واختلف في
افسادهم فقال سعيد بن عبد العزيز افسادهم اكل بني ادم وقالت فرقة افسادهم انما كان متوقعا اي
سيفسدون فطلبوا وجه التحرز منهم وقالت فرقة افسادهم هو الظلم والغشم والقتل وساير وجوه
الافساد المعلوم من البشر والله اعلم وقد وردت اخبار بصفتهم وخروجهم وانهم من ولد يافث روى
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولد لنوح سام وحام ويافث فولد سام العرب وفارس
والروم والخير فيهم وولد يافث ياجوج وماجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم وولد حام القبط
والبربر والسودان وقال كعب الاحبار احتلم ادم عليه السلام فاختلط ماوه بالتراب فاسف
فخلقوا من ذلك الماء فهم متصلون بنا من جهة الاب لا من جهة الام وهذا فيه نظر لان
الانبياء لا يحتلمون وانما هم من ولد يافث كذلك قال مقاتل وغيره وروى ابو سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه الف رجل يعني ياجوج
وماجوج وقال ابو سعيد هم خمس وعشرون قبيلة من وراء ياجوج وماجوج لا يموت الرجل
من هولاء ومن ياجوج وماجوج حتى يخرج من صلبه الف رجل ذكره القشيري وقال عبد
الله بن مسعود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن ياجوج وماجوج فقال ياجوج وماجوج
امتان كل امة اربعماية الف كل امة لا يعلم عددها الا الله لا يموت الرجل منهم حتى يولد له
الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح قيل يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة اصناف
صنف منهم امثال الارز شجر بالشام كل شجرة عشرون ومائة ذراع وصنف عرضه وطوله
سوا نحوا من الذراع وصنف يفترش اذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش
ولا خنزير الا اكلوه وياكلون من مات منهم مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون انهار
المشرق وبحيرة طبرية فيمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس وقال علي رضي الله
عنه وصنف منهم في طول شبر لهم مخاليب وانياب وتداعي الحمام وحافر البهايم وعوي الذياب
وشعور تقيهم الحر والبرد واذان عظام احدهما وبرة يشتون فيها والاخرى جلدة يصيفون
فيها يحفرون السد حتى كادوا ينقبونه فيعيده الله كما كان حتى يقولوا ننقبه غدا ان شاء الله
فينقبونه ويخرجون ويتحصن الناس في الحصون فيرمون الى السماء فيرد عليهم ملطخا بالدم
ثم يهلكهم الله بالنغف في رقابهم ذكره الغزنوي وقال عن النبي صلى الله عليه وسلم ياجوج
امة لها اربعماية امير وكذا ماجوج لا يموت احدهم حتى ينظر الى الف فارس من ولده قلت
وقد جاء مرفوعا من حديث ابي هريرة خرجه ابن ماجة في السنن قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ياجوج وماجوج يحفرون كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي
عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله اشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله ان

يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال ارجعوا فستحفرونه ان شاء الله فاستثنوا
فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الما ويتحصن
الناس منهم في حصونهم فيرمون سهامهم الى السماء فترجع عليها الدم الذي احفظ فيقولون قهرنا اهل
الارض وعلونا اهل السماء فيبعث الله نغفا في اقفائهم فيقتلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم قال الجوهري شكرت الناقة
تشكر شكرا فهي شكرة واشكر الضرع امتلا لبنا وقال وهب بن منبه رآهم ذو القرنين وطول
الواحد مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخاليب في مواضع الاظفار واضراس وانياب كالسباع
واحناك كاحناك الابل وهم هلب عليهم من الشعر ما يواريهم ولكل واحد اذنان عظيمتان يلتحف
باحدهما ويفترش الاخرى وكل واحد منهم قد عرف اجله لا يموت حتى يخرج من صلبه الف رجل
ان كان ذكرا ومن رحمها الف انثى لو كانت انثى وقال السدي والضحاك الترك شرذمة
من ياجوج وماجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت في هذا الجانب قال
السدي بنى السد على احدى وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة واحدة فهم الترك وقال قتادة
قلت واذا كان هذا فقد نعت النبي صلى الله عليه وسلم الترك كما نعت ياجوج وماجوج
فقال عليه السلام لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك قوما وجوههم كالمجان المطرقة
يلبسون الشعر ويمشون في الشعر في رواية وينتعلون الشعر خرجه مسلم وابو داود وغيرهما ولما
علم النبي صلى الله عليه وسلم عددهم وكثرتهم وحدة شوكتهم قال صلى الله عليه وسلم اتركوا الترك
ما تركوكم وقد خرج منهم في هذا الوقت امم لا يحصيهم الا الله ولا يردهم عن المسلمين الا الله حتى كانهم
ياجوج وماجوج ومقدمتهم وروى ابو داود عن ابي بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل
ناس من امتي بغائط يسمونه البصرة عند نهر يقال له دجلة يكون عليه جسر يكثر اهلها
ويكون من امصار المهاجرين قال ابن يحيى قال ابو معمر وتكون من امصار المسلمين فاذا كان في
اخر الزمان جاء بنو قنطورا عراض الوجوه صغار الاعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق اهلها
ثلاث فرق فرقة ياخذون اذناب البقر والبرية فهلكوا وفرقة ياخذون لانفسهم وكفروا
وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلونهم وهم الشهداء الغائط المطمئن من الارض
والبصرة الحجارة الرخوة وبها سميت البصرة وبنو قنطورا الترك يقال ان قنطورا اسم
جارية كانت لابراهيم صلوات الله عليه ولدت له اولادا جاء من نسلهم الترك قوله
تعالى فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى
فهل نجعل لك استفهام على جهة حسن الادب خرجا اي جعلا وقرى خراجا والخرج اخص
من الخراج يقال ادخرج راسك وخراج مدينتك وقال الازهري الخراج يقع على الضريبة
ويقع على مال الفيء ويقع على الجزية وعلى الغلة والخراج اسم لما يخرج من الفرايض في الاموال
والخرج المصدر وقوله تعالى على ان تجعل بيننا وبينهم سدا اي ردما والردم ما جعل بعضه
على بعض حتى يتصل وثوب مردم اي مرقع قاله الهروي يقال ردمت الثلمة اردمها بالكسر
ردما اي سددتها والردم ايضا الاسم وهو السد وقيل الردم ابلغ من السد اذ السد كل ما يسد به
والردم وضع الشيء على الشيء من حجارة او تراب او نحوه حتى يقوم من ذلك حاجز منيع ومنه
ردم ثوبه اذا رقعه برقاع متكاثفة بعضها على بعض ومنه قول عنترة هل غادر الشعرا
من متردم اي من قول يركب بعضه على بعض وقرى سدا بالفتح في السين فقال الخليل وسيبويه

الضم

الضم هو الاسم والفتح المصدر وقال الكسائي الفتح والضم لغتان بمعنى واحد وقال عكرمة وابو عمرو
بن العلا وابو عبيدة ما كان من خلقة الله لم يشارك فيه احد بعمل فيه بالضم وما كان من صنع
البشر فهو بالفتح ويلزم اهل هذه المقالة ان يقروا سدا بالفتح وقبله بين السدين بالضم وهي
قراءة حمزة والكسائي وقال ابو حاتم عن ابن عباس وعكرمة عكس ما قال ابو عبيدة وقال ابن ابي
اسحق ما رات عيناك فهو سد بالضم وما لا يرى فهو سد بالفتح الثانية في هذه الاية دليل على
اتخاذ السجون وحبس اهل الفساد فيها ومنعهم من التصرف لما يريدونه ولا يتركوا وما هم عليه بل
يوجعون ضربا ويحبسون او يكلفون ويطلقون كما فعل عمر رضي الله عنه قوله تعالى قال ما
مكني فيه ربي خير فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قال ما مكني المعنى قال لهم ذو القرنين ما
بسطه الله لي من القدرة والملك خير من خرجكم واموالكم ولكن اعينوني بقوة اي بقوة الابدان
اي برجال وعمل منكم بالابدي والالة التي بها ابني الردم وهو السد وهذا من تاييد الله تعالى
لذي القرنين في هذه المحاورة فان القوم لو جمعوا له خرجا لم يعنه احد ولو كلوه الى البنيان ومعونته
بانفسهم اجمل به واسرع في انقضاء هذا العمل وربما اربى ما ذكروه له من الخرج وقرا ابن كثير وحده
ما مكنني بنونين وقرا الباقون ما مكني الثانية في هذه الاية دليل على ان الملك فرض عليه ان
يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم وسد فرجتهم واصلاح ثغورهم من اموالهم التي تفي عليهم
وحقوقهم التي يجمعها الخزانة تحت نظره حتى لو اكلتها الحقوق وانفذتها المون لكان عليهم
جبر ذلك من اموالهم وعليه حسن النظر لهم وذلك بثلاثة شروط الاول ان لا يستاثر بشي
عليهم الثاني ان يبدا باهل الحاجة فيعينهم الثالث ان يسوي في العطا بينهم على قدر منازلهم
فاذا فنيت بعد هذا وبقيت صفرا فاطلعت الحوادث امرا بذلوا انفسهم قبل اموالهم فان لم
يغن ذلك فاموالهم توخذ منهم على تقدير بتصرف بتدبير فهذا ذو القرنين لما عرضوا عليه المال
في ان يكف عنهم ما يحذرونه من عادية ياجوج وماجوج قال لست احتاج اليه وانما احتاج اليكم
فاعينوني بقوة اي اخدموا بانفسكم معي فان الاموال عندي والرجال عندكم وراى ان الاموال
لا تغني دونهم وانه ان اخذها اجرة نقص ذلك مما يحتاج اليه فيعود بالاجر عليهم فكان
التطوع بخدمة الابدان اولى وضابط الامر انه لا يحل مال احد الا لضرورة تعرض فيوخذ
ذلك المال جهرا لا سرا وينفق بالعدل لا بالاستيثار وبراي الجماعة لا بالاستبداد بالامر
والله اعلم قوله تعالى اتوني زبر الحديد اي اعطوني زبر الحديد وناولونيها امرهم بنقل الالة
وهذا كله انما هو استدعاء للعطية التي بغير معنى الهبة وانما هو استدعاء للمناولة لانه قد
ارتبط من قوله انه لا ياخذ منهم الخراج فلم يبق الا استدعاء المناولة واعمال الابدان وزبر
الحديد قطع الحديد واصل الكلمة الاجتماع ومنه زبرة الاسد لما اجتمع من الشعر على كاهله
وزبرت الكتاب اي كتبته وجمعت حروفه وقرا ابو بكر والمفضل ردما ائتوني من الاتيان
الذي هو المجي جيئوني بزبر الحديد فلما سقط الخافض انتصب الفعل على نحو قول الشاعر امرتك
الخير حذف الجار منصب الفعل وقرا الجمهور زبر بفتح الباء وقرا الحسن بضمها وكل ذلك جمع
زبرة وهي القطعة العظيمة قوله تعالى حتى اذا ساوى يعني البنا فحذف لقوة الكلام عليه
بين الصدفين قال ابو عبيدة هما جانبا الوادي وسميا بذلك لتصادفهما اي لتلاقيهما و
قاله الزهري وابن عباس كانه يعرض عن الاخر من الصدوف قال الشاعر كلا الصدفين
ينفذه سناها توقد مثل مصباح الظلام ويقال للبناء المرتفع صدف تشبيه بجانب

الجبل وفي الحديث كان اذا مر بصدف مايل اسرع المشي قال ابو عبيدة الصدف والهدف كل بناء عظيم
مرتفع ابن عطية الصدفان الجبلان المتناوحان ولا يقال للواحد صدف وانما يقال صدفان
لاثنين لان احدهما يصادف الاخر وقرا نافع وحمزة والكسائي الصدفين بفتح الصاد وشدها وفتح
الدال وهي قراءة عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وهي اختيار ابي عبيدة لانها اشهر اللغات
وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو الصدفين بضم الصاد والدال وقرا عاصم في رواية ابي بكر الصدفين
بضم الصاد وسكون الدال نحو الجرف والجرف فهو تخفيف وقرا ابن الماجشون بفتح الصاد وضم
الدال وقرا قتادة بين الصدفين بفتح الصاد وسكون الدال وكل ذلك بمعنى واحد وهما الجبلان
المتناوحان قوله تعالى قال انفخوا الى اخر الاية اي على زبر الحديد بالاكيار وذلك انه كان
يامر بوضع طاقة من الزبر والحجارة ثم يوقد عليها الحطب والفحم بالمنافخ حتى يحمى والحديد اذا
اوقد عليه صار كالنار فذلك قوله حتى اذا جعله نارا ثم يوتى بالنحاس المذاب او بالرصاص او بالحديد
بحسب الخلاف في القطر فيفرغه على تلك الطاقة المنضدة فاذا التام واشتد ولصق البعض بالبعض
استانف رصف طاقة اخرى الى ان استوى العمل فصار جبلا صلدا قال قتادة هو كالبرد المحبر
طريقة سودا وطريقة حمرا ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال يا رسول الله
اني رايت سد ياجوج وماجوج قال كيف رايته قال رايته كالبرد المحبر طريقة صفرا وطريقة
حمرا وطريقة سودا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رايته ومعنى حتى اذا جعله نارا اي
كالنار ومعنى اتوني افرغ عليه قطرا اي اعطوني قطرا افرغ عليه على التقديم والتاخير ومن قرا
ائتوني فالمعنى عنده تعالوا افرغ عليه نحاسا والقطر عند اكثر المفسرين النحاس المذاب واصله
من القطر لانه اذا اذيب قطر كما يقطر الماء وقالت فرقة القطر الحديد المذاب وقالت فرقة
القطر منهم ابن الانباري الرصاص المذاب وهو مشتق من قطر يقطر ومنه واسلنا له عين
القطر قوله تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه اي ما استطاع ياجوج وماجوج ان يعلوه ويصعدوا
فيه لانه املس ومستو مع الجبل والجبل عال لا يرام وارتفاع السد مايتا ذراع وخمسون
ذراعا وروي في طوله ما بين طرفي الجبلين ماية فرسخ وفي عرضه خمسون فرسخا قاله
وهب بن منبه وما استطاعوا له نقبا لبعد عرضه وقوته وروى الصحيح عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وعقد وهب بيده
تسعين في رواية وحلق باصبعه الابهام والتي تليها وذكر يحيى بن سلام عن سعيد بن ابي
عروبة عن قتادة عن ابي رافع عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياجوج
وماجوج يخرقون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا
فستخرقونه غدا فيعيده الله كاشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله ان يبعثهم
على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا ان
شاء الله فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس الحديث
وقد تقدم قوله تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه بتخفيف الطاء على قراءة الجمهور وقيل
هي لغة بمعنى استطاعوا وقيل بل استطاعوا بعينه كثر في كلام العرب حتى حذف بعضهم
منه التاء فقالوا اسطاعوا وحذف بعضهم منه الطاء فقال استاع يستيع بمعنى استطاع
يستطيع وقال هي لغة مشهورة وقرا حمزة وحده فما اسطاعوا بتشديد الطاء كانه اراد
استطاعوا ثم ادغم التاء في الطاء فشددها وهي قراءة ضعيفة الوجه قال ابو علي هي غير

جايزة وقرا الاعمش فما استطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا بالتاء في الموضعين قوله تعالى قال
هذا رحمة من ربي القايل ذو القرنين واشار الى الردم والقوة عليه والانتفاع به في دفع ضرر
ياجوج وماجوج وقرا ابن ابي عبلة هذه رحمة قوله تعالى فاذا جاء وعد ربي اي يوم القيمة
وقيل وقت خروجهم جعله دكا اي مستويا بالارض ومنه قوله تعالى اذا دكت الارض دكا دكا
قال ابن عرفة اي جعلت مستوية لا اكمة فيها ومنه قوله تعالى جعله دكا قال الترمذي اي مستويا
يقال ناقة دكا اذا ذهب سنامها وقال القتبي اي جعله مدكوكا ملصقا بالارض وقال الكلبي قطعا
مكسرا قال هل غير غاد دك غارا فانهدم وقال الازهري يقال دككته ومن قرا دكا اراد جعل الجبل
ارضا دكا وهي الرابية التي لا تبلغ ان يكون جبلا وجمعها دكاوات قرا عاصم وحمزة والكسائي دكاء
بالمد على التشبيه بالناقة الدكا وهي التي لا سنام لها وفي الكلام حذف تقديره جعله مثل دكا
ولا بد من تقدير هذا الحذف لان السد مذك فلا يوصف بدكا ومن قرا دكا فهو مصدر دك
يدك اذا هدم ورض ويحتمل ان يكون جعل بمعنى خلق وينصب دكا على الحال وكذلك النصب
ايضا في قراءة من مد يحتمل الوجهين قوله تعالى وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في
الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء
عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني
اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم
في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بايات ربهم
ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا
واتخذوا اياتي ورسلي هزوا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس
نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل
ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم
اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض الضمير في تركنا لله تعالى اي تركنا الجن والانس يوم
القيمة يموج بعضهم في بعض وقيل تركنا ياجوج وماجوج يومئذ اي وقت كمال السد يموج بعضهم
في بعض واستعارة الموج لهم عبارة عن الحيرة وتردد بعضهم في بعض كالمولهين من هم وخوف
فشبههم بموج البحر الذي يضطرب بعضه في بعض وقيل تركنا ياجوج وماجوج يوم انفتاح
السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم قلت فهذه ثلاثة اقوال وحسن الاول لانه تقدم
ذكر القيمة في تاويل قوله فاذا جاء وعد ربي والله اعلم قوله تعالى ونفخ في الصور تقدم في الانعام
فجمعناهم جمعا يعني الجن والانس في عرصات القيمة وعرضنا جهنم اي ابرزناها لهم يومئذ
للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء نعت للكافرين في غطاء عن ذكري اي هم بمنزلة
من عينه مغطاة فلا ينظر الى دلايل الله تعالى وكانوا لا يستطيعون سمعا اي لا يطيقون ان
يسمعوا كتاب الله فهم بمنزلة من صم قوله تعالى افحسب الذين كفروا اي ظن وقرا علي وعكرمة
ومجاهد وابن محيصن افحسب باسكان السين وضم الباء اي افكفاهم ان يتخذوا عبادي
يعني عيسى والملائكة وعزيرا من دوني اولياء ولا اعاقبهم ففي الكلام حذف وقال الزجاج
المعنى افحسبوا ان ينفعهم ذلك انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا الى قوله وزنا فيه مسئلتان الاولى قوله هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الاية فيه دلالة على

ان من الناس من يعمل العمل وهو يظن انه حسن وقد حبط سعيه والذي يوجب احباط السعي اما فساد
الاعتقاد او المراءاة والمراد هنا الكفر وفي البخاري عن مصعب قال سالت ابي قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا هم الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى اما اليهود فكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم واما النصارى
فكفروا بالجنة فقالوا لا طعام فيها ولا شراب والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
وكان سعد يسميهم الفاسقين والاية معناها التوبيخ اي قل لهؤلاء الكفرة الذين عبدوا غيري
يخيب سعيهم واعمالهم غدا فهم الاخسرون اعمالا وهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا في عبادة من سواي قال ابن عباس يريد كفار مكة وقال
علي الخوارج اهل حروراء وقال مرة هم الرهبان اصحاب الصوامع وروي ان ابن الكواء سأله عن
الاخسرين اعمالا فقال له انت واصحابك قال ابن عطية ويضعف هذا كله قوله تعالى بعد
ذلك اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه وليس من هذه الطوايف من يكفر بلقاء الله
والبعث والنشور وانما هذه صفة مشركي عبدة الاوثان وعلي وسعد رضي الله عنهما ذكرا اقواما
اخذوا بحظهم من صدر الاية واعمالا نصب على التمييز وحبطت قراءة الجمهور بكسر الباء وقرا ابن
عباس حبطت بفتحها الثانية قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا قراءة الجمهور نقيم بنون
العظمة وقرا مجاهد بياء الغايب يريد فلا يقيم الله عز وجل وقرا عبيد بن عمير ولا تقيم
ويلزمه ان يقرا وزن قال عبيد بن عمير يؤتى يوم القيمة بالرجل العظيم الطويل الاكول الشروب
فلا يزن جناح بعوضة قلت هذا لا يقال مثله من جهة الراي وقد ثبت معناه في
صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه لياتي الرجل
العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة واقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم
القيمة وزنا والمعنى انهم لا ثواب لهم واعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في
موازين القيمة ومن لا حسنة له فهو في النار قال ابو سعيد الخدري يؤتى باعمال كجبال
تهامة فلا تزن شيئا وقيل يحتمل ان يريد المجاز والاستعارة كانه قال فلا قدر لهم عندنا
يومئذ والله اعلم وفي هذا من الفقه ذم السمن لمن تكلفه لما في ذلك من تكلف المطاعم
والاشتغال بها عن المكارم بل يدل على تحريم كثرة الاكل الزايد على قدر الكفاية المبتغى
به الترفه والسمن وقد قال صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله الحبر السمين
ومن حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم قرني ثم الذين يلونهم
قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه مرتين او ثلاثة ثم ان من بعدكم قوما يشهدون ولا
يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وهذا ذم
وسبب ذلك ان السمن المكتسب انما هو من كثرة الاكل والشرب والدعة والراحة والامن
والاسترسال مع النفس عن شهواتها فهو عبد نفسه لا عبد ربه ومن كان هذا حاله وقع
لا محالة في الحرام وكل لحم تولد عن سحت فالنار اولى به وقد ذم الله تعالى الكفار بكثرة الاكل
فقال والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم فاذا كان
المؤمن يتشبه بهم ويتنعم بتنعمهم في كل احواله وازمانه فاين حقيقة الايمان والقيام
بوظايف الاسلام ومن كثر اكله وشربه كثر همه وحرصه وزاد بالليل كسله ونومه فكان
نهاره هائما وليله نائما وقد مضى في الاعراف هذا المعنى وتقدم فيها ذكر الميزان وان له كفتان
توزن فيهما صحايف الاعمال فلا معنى للاعادة وقال صلى الله عليه وسلم حين من خمش ساق ابن

مسعود وهو يصعد النخلة تضحكون من ساق تزن بعمل اهل الارض فدل هذا ان الاشخاص توزن
ذكره الغزنوي قوله تعالى ذلك جزاؤهم جهنم خبره ذلك اشارة الى ترك الوزن وهو في موضع رفع
بالابتدا جزاؤهم خبره وجهنم بدل من الابتداء الذي هو ذلك وما في قوله بما كفروا مصدر والهزء
الاستخفاف والسخرية وقد تقدم قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات
الفردوس نزلا قال قتادة الفردوس ربوة الجنة واوسطها واعلاها وافضلها وقال ابو امامة
الباهلي الفردوس سرة الجنة وقال كعب ليس في الجنان جنة اعلا من جنة الفردوس فيها
الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم من امن بالله ورسله واقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله تعالى ان يدخله
الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله افلا نبشر الناس قال
ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء
والارض فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلا الجنة وفوقه عرش الرحمن
ومنه تفجر انهار الجنة وقال مجاهد الفردوس البستان بالرومية الفراء هو عربي والفردوس حديقة
في الجنة وفردوس اسم روضة دون اليمامة والجمع فراديس قال امية بن ابي الصلت الثقفي
كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة فيها الفراديس والفومان والبصل والفراديس موضع بالشام
وكرم مفردس اي معرش خالدين فيها اي دايمين لا يبغون عنها حولا اي لا يطلبون تحويلا الى غيرها
والحول بمعنى التحويل قاله ابو علي وقال الزجاج حال من مكانه حولا كما يقال عظم عظما قال ويجوز
ان يكون من الحيلة اي لا يحتالون منزلا غيرها وقال الجوهري والتحول التنقل من موضع الى
موضع والاسم الحول ومنه قوله تعالى خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قوله تعالى قل لو كان البحر
مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي نفد الشيء اذا فرغ وتم وقد تقدم
ولو جئنا بمثله مددا اي زيادة على البحر عددا ووزنا وفي مصحف ابي مدادا وكذلك قراها
مجاهد وابن محيصن وحميد وانتصب مددا على التمييز او الحال وقال ابن عباس قالت اليهود
لما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالوا وكيف وقد
اوتينا التوراة ومن اوتي التوراة فقد اوتي خيرا كثيرا فنزلت قل لو كان البحر مدادا الاية
وقيل قالت اليهود انك اوتيت الحكمة ومن اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم زعمت انك
لا علم لك بالروح فقال الله قل وان اوتيت القران واوتيتم التوراة فهي بالنسبة الى كلمات الله
قليلة قال ابن عباس كلمات ربي اي مواعظ ربي وقيل عني بالكلمات الكلام القديم الذي لا
غاية له ولا منتهى وهو وان كان واحدا فيجوز ان يعبر عنه بلفظ الجمع لما فيه من فوايد الكلمات
ولانه ينوب منابها فجازت العبارة عنه بصيغة الجمع تفخيما قال الاعشى ووجه نقي
اللون صاف يزينه مع الجيد لبات لها ومعاصم فعبر باللبات عن اللبة وفي التنزيل
نحن اولياؤكم وانا نحن نزلنا الذكر وانا لنحن نحيي ونميت وكذلك ان ابراهيم كان امة
لانه ناب مناب امة وقيل اي ما نفدت العبارات والدلالات التي تدل على مفهومات
معاني كلامه سبحانه وقال السدي اي ان كان البحر مدادا لنفد قبل ان تنفد صفات الجنة
التي هي دار الثواب وقال عكرمة لنفد البحر قبل ان ينفد ثواب من قال لا اله الا الله
ونظير هذه الاية ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر
ما نفدت كلمات الله وقرا حمزة والكسائي من قبل ان ينفد بالياء لتقدم الفعل قوله تعالى

قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي اي لا اعلم الا ما يعلمني الله وعلم الله لا يحصى وانما امرت ان ابلغكم بانه
لا اله الا الله فمن كان يرجوا لقاء ربه اي يرجوا روئيته وثوابه ويخشى عقابه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال ابن عباس نزلت في جندب بن زهير الغامدي قال يا
رسول الله اني اعمل العمل لله واريد به وجه الله الا انه اذا اطلع عليه سرني فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب ولا يقبل ما شورك فيه وقال طاوس قال رجل
يا رسول الله اني احب الجهاد في سبيل الله واحب ان يرى مكاني فنزلت وقال مجاهد جاء رجل الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اتصدق واصل الرحم ولا اصنع ذلك الا لله فيذكر ذلك مني
واحمد عليه فيسرني ذلك واعجب به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا
فانزل الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه الاية قلت ـــــ والكل مراد والاية تعم ذلك وغيرها
من الاعمال وقد تقدم في هود حديث ابي هريرة الصحيح في الثلاثة يقضى عليهم اول الناس
وتقدم في سورة النساء الكلام على الريا وذكرنا من الاخبار هناك ما فيه كفاية وقال الماوردي
وقال جميع اهل التاويل معنى قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي لا يرائي بعمله احدا وروي
الترمذي الحكيم في نوادر الاصول قال ثنا ابي رحمه الله قال ثنا مكي بن ابراهيم قال ثنا عبد
الواحد بن زيد عن عبادة بن انس قال اتيت شداد بن اوس في مصلاه وهو يبكي فقلت
ما الذي ابكاك يا ابا عبد الرحمن قال حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
اذ رايت بوجهه امرا ساءني فقلت يا رسول الله ما الذي ارى بوجهك قال امرا اتخوفه على
امتي من بعدي قلت ما هو قال الشرك والشهوة الخفية قلت يا رسول الله اوتشرك امتك
من بعدك قال يا شداد اما انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكنهم يراؤن
باعمالهم قلت يا رسول الله والريا شرك هو قال نعم قلت فما الشهوة الخفية قال يصبح
احدهم صايما فتعرض له شهوات الدنيا فيفطر قال عبد الوهاب فلقيت الحسن فقلت يا
ابا سعيد اخبرني عن الريا اشرك هو قال نعم اما تقرا فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وروي اسمعيل بن اسحاق قال ثنا محمد بن ابي بكر
قال ثنا المعتمر بن سليمان عن ليث عن شهر بن حوشب قال كان عبادة بن الصامت و
شداد بن اوس جالسين فقالا انا نتخوف على هذه الامة من الشرك والشهوة الخفية فاما
الشهوة الخفية من قبل النساء وقالا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى
صلاة يرائي بها فقد اشرك ومن صام صياما يرائي به فقد اشرك ثم تلا فمن كان يرجوا
لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قلت ـــ وقد جاء تفسير الشهوة الخفية
بخلاف هذا وقد ذكرناه في النساء وقال سهل بن عبد الله وسئل الحسن عن الاخلاص والريا
فقال الاخلاص ان تحب ان تكتم حسناتك ولا تحب ان تكتم سيئاتك فان اظهر الله تعالى
حسناتك عليك تقول هذا من فضلك واحسانك ليس هو من فعلي ولا من صنيعي وتذكر
قوله والذين يؤتون ما اتوا الاية يؤتون الاخلاص وهم يخافون الا يقبل منهم واما الريا
فطلب حظ النفس من عملها في الدنيا قيل له كيف يكون هذا قال من طلب بعمل ما بينه وبين الله
سوى وجه الله والدار الاخرة فهو رياء وقال علماؤنا وقد يفضي الريا بصاحبه الى استهزاء
الناس به كما حكي عن طاهر بن الحسين قال لابي عبد الله المروزي منذ كم صرت الى العراق
قال دخلت العراق منذ عشرين سنة وانا منذ ثلاثين سنة صايم فقال يا ابا عبد الله سالناك

عن مسئلة فاجبتنا عن مسئلتين وحكى الاصمعي ان اعرابيا صلى فاطال والى جانبه قوم فقالوا ما
احسن صلاتك فقال وانا مع ذلك صايم اين هذا من قول الاشعث بن قيس وقد صلى فخفف
فقيل له انك خففت فقال انه يخالطها رياء فخلص من تنقصهم بنفي الريا عن نفسه والتصنع من
صلاته وقد تقدم في النساء من قول لقمان وانه كتمان العمل وروي الترمذي الحكيم ثنا ابي قال ثنا
الحماني قال ثنا جرير عن ليث عن شيخ عن معقل بن يسار قال قال ابو بكر وشهد به على رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك قال هو فيكم اخفى من دبيب النمل وساذلك
على شيء اذا فعلته اذهب عنك صغار الشرك وكباره تقول اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك
وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم تقولها ثلاث مرات وقال عمرو بن قيس سمعت شوبر الكندي تلى
هذه الاية على المنبر فمن كان يرجو لقاء ربه فقال انها لاخر اية نزلت وقال عمر قال النبي صلى الله
عليه وسلم اوحي الي انه من قرا فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا رفع له نور ما بين
عدن الى مكة حشوه الملائكة يصلون عليه ويستغفرون له وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى
الله عليه وسلم من قرا اول سورة الكهف واخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها
كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعن ابن عباس انه قال له رجل اني اضمر ان اقوم ساعة
من الليل فيغلبني النوم فقال اذا اردت ان تقوم اية ساعة شئت من الليل فاقرا اذا اخذت
مضجعك قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الى اخرها فان الله تعالى يوقظك متى شئت من
الليل ذكر هذه الفضايل الثعلبي رحمه الله في مسند الدارمي ابي محمد انا محمد بن كثير عن الاوزاعي
عن عبيدة عن زر بن حبيش قال من قرا اخر سورة الكهف لاي ساعة يريد ان يقوم من الليل
قامها قال عبيدة فجربناه فوجدناه كذلك قال ابن العربي كان شيخنا الطرسوسي الاكبر
يقول لا تذهب لكم الازمان في مصاولة الاقران ومواصلة الاخوان وقد ختم الله تعالى
البيان بقوله فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا

والله اعلم انتهى اخر الجزء الثاني ويتلوه ان شاء الله
تعالى الجزء الثالث اول سورة مريم عليها السلام
اللهم اختم بخير ورزق العاقبة الخير
بجاه محمد واله وكان الفراغ
من كتابته في يوم الخميس
من ربيع الاول في سنة
الف وخمسة وتسعين
كتبه الفقير محمد
ابن الحاج مورد
غفر الله له
ولمن نظر
له بالخير
م

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
إلى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
١٧٥ وكفى عبده